تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

تأليف

عبد الحميد بن عبد المجيد الحالمي

(ت: بعد ٥١٤هـ) رحمه الله

تحقيق

أ. د. أحمد بن فارس السلوم

عفا الله عنه

دار ابن حزم

تفسير الحاكمي

المسمّى

تحليص الدرر

١

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

9 789959 859426

ISBN: 978-9959-859-42-6

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

تأليف

عبد الحميد بن عبد المجيد الحاكمي
(ت: بعد ٥١٤هـ) رحمه الله

تحقيق

أ.د. أحمد بن فارس السلوم
عفا الله عنه

المجلد الأول

(سورة الفاتحة - سورة الأنعام)

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ النبيِّ الأمين، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين، أمَّا بعد:

فهذا تفسير الحاكمي، المسمَّىٰ: «تخليص الدرر»، خلَّصه من عدة مصادر، ولخصه بأحسن عبارة، وأوسط منهج، جمع فيه أمَّات الأقوال وأشهرها، ونثر فيه مرويات أهل التأويل دون أنْ ينسبها في الغالب، فجاء كتابًا وسطًا بين الوجيز والبسيط، وبين المطول والمختصر، فلا هو ممل بتطويله، ولا هو مخل باختصاره، خالٍ من الحشو، مقتصرًا علىٰ البيان، حاوٍ علىٰ المحاسن، فإنْ أردت معرفة أقوال أهل التأويل وجدتَها فيه، وإنْ أردت أوجه الإعراب أتاك بأوجهها، وإن طلبت القراءات المتواترة أو الشاذة ألفيت فيه أشهرها، كل ذلك علىٰ سبيل الاختصار، بعبارة بليغة، وأسلوب سهل، فهو بذلك يصلح لأنْ يكون متنًا في التفسير، يعكف عليه المبتدئون، ويعول عليه المنتهون.

وقد يسر الله لي تحقيقه والتعليق عليه بقدرٍ لا يخرجه عن مراد المصنف، وبذلتُ جهدًا مضنيًا في تصحيحه، وإقامة نصوصه، فإن الناسخ -غفر الله له- كثيرَ التصحيف، في المتشابهات وغير المتشابهات، ويصحف أحيانًا علىٰ التوهم والحسبان، بمعنىٰ أنه يصحف الكلمة علىٰ ما يتوهمها هو لأقرب صورة من الأصل المنسوخ منه، وهو أصل المؤلف، ولما يعييه ذلك يسقط بعض الكلمة الذي لا يعرفه، ويثبت بعضها، وسترىٰ في حواشي الكتاب التنبيه علىٰ بعض النماذج من الإسقاط، وما صححتُ دون أن أنبه عليه أكثر، وصعوبة ذلك أنه يُسقط علىٰ غير قاعدة مستمرة، ولا منهج واضح، فربما كتب: فلان في موضع، وفي موضع آخر كتب: فلا، ويسقط النون، فإذا كان هذا الإسقاط في جملة كلام منفي أو إعرابٍ عظم

الخطب، وهكذا في أمثلة أخرىٰ، ليست بالقليلة.

وربما حمل التصحيف معنىٰ مستحسنًا، فيظنه القارئ لأول وهلة أنه صواب مراد، وليس كذلك.

فمثلاً: قال في تفسير سورة الإسراء: «يقال: قفوت الشيء إذا تبعت أثره، والقرب»، فقوله: والقرب تصحيف، لكنه في بداهة النظر قد يستحسن هذا، ويقال: القفو اتباع مع قرب، ومنه: قفوته أي اتبعته، ولكن الصواب: والقذف، فصحف في حرفين: الراء من الذال، والباء من الفاء، وهذا التصحيف مهيع واسع في مثل هذه الحروف، ولا سيما إذا كان الأصل المنقول منه غير مجود.

ولربما حسن التصحيف وهو ذميم، وما أشبه هذا بما قال شَمر: «ما رأيتُ تصحيفًا أشبه بالصواب مما قرأ مالك بن سليمان الهروي في التفسير عن مجاهد في قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي: جديلته، فصَحَّفَ، وقال: حَدٍ يليه، وهو قريب بعضه من بعض»(١).

ومن واجب المحقق تصحيح النص، والخروج به من مزالق التصحيف، ومطامن التحريف، إلىٰ جادة الصحة والاستقامة، والضبط والصيانة، وتشتد المؤونة في ذلك إذا كانت النسخة فريدة، كحال تفسيرنا هذا، فكيف إذا كان الناسخ كثير التصحيف، مع عجمة تعتريه.

وهذه مقدمة مختصرة بين يدي الكتاب، فيها تعريف بالمؤلف، وبمصادره، ومنهجه، والله ولي التوفيق، والهادي إلىٰ سواء السبيل، والحمد لله أولاً وآخرًا.

❁ ❁ ❁

---

(١) البسيط للواحدي ١٣/ ٤٥٨.

التعريف بالمصنف

هو الشيخ المفسِّر المصنِّف عبد الحميد بن عبد المجيد الحاكمي(١).

مصادر ترجمته محدودة، لم تذكر شيئًا عن نشأته، ولكن مِن معرفة شيوخه يظهر أنه خراساني، بل هو نيسابوري أو بيهقي.

ولم يذكر السمعاني نسبة الحاكمي في كتابه الأنساب، ولذا فقد استدرك عليه في اللباب هذه النسبة، وذكر أنَّها نسبة في مصر للحاكم بأمر الله العبيدي(٢)، وسماهم: الحاكمية.

ولا شك أنَّ المصنف ليس منسوبًا للحاكم العبيدي ولا لطائفته، وليس هو من مصر أصلاً، وإنما هو خراساني الدار، وهذه النسبة في خراسان معروفة، بل وفي نيسابور علىٰ جهة الخصوص، فقد ذكر السمعاني عدة من المنتسبين لها -وإن لم يفرد النسبة بالذكر- منهم:

أبو الفتح نصر بن الحسن الحاكمي(٣)، وهو آخر من حدث عن أبي علي الروذباري، وأبو الفتح الحاكمي هذا نيسابوري طوسي(٤).

وانتشرت هذه النسبة في بيهق، فقد أفرد ابن فندق الحاكميين بالذكر في تاريخ بيهق -لأنهم أجداده(٥)- وقال: «والحاكميُّون والفندقيُّون، الذين هم أسلافي،

---

(١) مصادر ترجمته: هدية العارفين ١/ ٥٠٦، إيضاح المكنون ٣/ ٢٧٠، معجم المؤلفين ٥/ ١٠٢، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتىٰ العصر الحاضر ص٢٥٩.

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٣٣٢، لب اللباب ٧٥.

(٣) الأنساب ٦/ ١٨٧.

(٤) المنتخب من السياق ٥١٠.

(٥) تاريخ بيهق ٢١٧.

ينحدرون من خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين صاحب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وكان مقرهم الأصلي قصبة سيوار، من نواحي وَالشْتان من توابع بست، ومنها قدم الحاكم الإمام أبو سليمان فندق بن الإمام أيوب بن الإمام الحسن إلىٰ ولاية نيسابور للقضاء والفتوىٰ بأمر السلطان محمود بن سبكتكين، ورعاية الوزير أحمد بن الحسن الميمنديِّ الملقب بشمس الكفاة؛ وقد بقي في قضاء نيسابور بالأصالة مدة، وأخرىٰ نيابة عن قاضي القضاة عماد الإسلام أبي العلاء صاعد بن الإمام الأديب أبي سعيد محمد بن أحمد، ثم طلب إعفاءه، واشترىٰ بناحية بيهق ضياعًا»(١).

فيحتمل أن يكون عبد الحميد من هؤلاء الحاكميين، وأنه بيهقي، ولعلنا نستأنس في هذا الباب بإكثاره الرواية عن شيخ القضاة إسماعيل بن الإمام البيهقي، والله أعلم.

نشأته وشيوخه:

نشأ الحاكمي في بيت علم وأدب، فأبوه وجده وجد أبيه أصحاب رواية وطلب علم، ولذا فقد بكروا به إلىٰ الدرس والسماع، فسمع وهو ابن تسع، وقد ذكر ذلك في تفسير سورة الملك، فقال ما نصه: «قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: سمعت أبي رحمه الله يروي عن والده عن جده، بإسنادهما إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أنَّ مَنْ قرأ سورة الملك كل ليلة تدفع عنه عذاب القبر إذا مات، سمعت هذا الحديث وأنا ابن تسع سنين وضاع منِّي الإسناد».

وقد ذكر في هذا الكتاب جملة من شيوخه، وهم:

١-والده، كما ذكرناه آنفًا، وروىٰ عنه الحديث.

---

(١) تاريخ بيهق ٢١٧-٢١٨.

٢-ناصح الدين أبو طاهر منبه بن محمد بن أحمد المخلصي الفرواني:

هكذا كناه المصنف، وهو تلميذه وأدرىٰ به، وفي المصادر أن كنيته: أبو وهب.

وهو منسوب إلىٰ فَرْوان، قال السمعاني: «بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الواو وفي آخرها النون، هذه النسبة إلىٰ فَرْوان، وهي بليدة عند غزنة، كان في نصفها منبر، والنصف الآخر في أيدي الهند، ولهم هناك سوق الزواني مشهور، وليس يجوز للهند حكم في النصف الذي في أيدي المسلمين، ولا للمسلمين في النصف الذي في أيدي المشركين، هكذا وقع الصلح، وقد صارت كلها في أيدي المسلمين.

منها أبو وهب منبه بن محمد بن أحمد بن المخلص الفرواني، واعظ، زاهد، ورع، مليح الوعظ، سليم الجانب، له معرفة بالتفسير، سمع أبا حامد أحمد بن محمد الشجاعي، وحدث عنه بكتاب النوادر لمحمد بن علىٰ بن حكيم، روىٰ عنه أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم القهستاني بسرخس، وأبو محمد محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن السانواجردي بمرو، وأبو بكر محمد بن الحسن الغزنوي بحلب وغيرهم.

وكانت وفاته في حدود سنة خمسمائة»[١].

قال الداودي: «منبه بن محمد بن أحمد بن علي بن ينال بن أبي سهل أبو وهب ابن أبي جعفر المُخْلصي -من الإخلاص بسكون الخاء المعجمة وكسر اللام- الفقيه الحنفي، كان فقيهًا شاعرًا واعظًا، مليح الوعظ، حسن المعرفة بالتفسير، قدم بغداد حاجًا سنة ست وتسعين وأربعمائة، وحدَّث بها عن أبي حامد أحمد بن محمد الشجاعي، وأبي نصر أحمد بن محمد بن حمدان الحداد، وروىٰ عنه من أهلها أبو

---

(١) الأنساب ١٠/ ٢٠١.

عبد الله البيضاوي.

ولد سنة تسع وثلاثين وأربعمائة.

وإنما سمي المخلصي، لأن والده كان صادقا مخلصا فيما يقول للملوك والسلاطين، وكان ينفق من ماله علىٰ من يقرأ عليه، قاله الصفديُّ»[١].

٣-القاضي الإمام الزاهد سعد بن عمر بن أبي سهل الخالدي.

وهؤلاء خالديون في خراسان، منهم من هو في طالقان، ومنهم من هو في مرو، ومنهم من هو في نيسابور نفسها، وفيهم كثرة.

٤-علي بن عبد الرحمن الواعظ الزوزني.

وهو منسوب إلىٰ زوزن، وهي بلدة كبيرة بين هراة ونيسابور[٢].

٥-شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي.

وهو ابن الإمام أحمد البيهقي المصنف المشهور، مصادر ترجمة أبي علي كثيرة، ولد سنة ٤٢٨، وتوفي سنة ٥٠٧ في بيهق[٣].

(١) طبقات المفسرين ٢/ ٣٣٣.
(٢) الأنساب ٦/ ٣٤٢.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١٤.

وفاته:

لم تسعفنا المصادر بشيء عن مولد الحاكمي أو وفاته، إلا أن المتأخرين ذكروا أنَّ وفاته سنة ٥١٤، والظاهر أنهم اعتمدوا علىٰ تاريخ تأليف هذا الكتاب، فقد ثبت آخر النسخة أنَّ الحاكمي ألفه في هذا التاريخ، وعليه فالصحيح أنه توفي بعد هذا التاريخ، والله أعلم.

۞ ۞ ۞

التعريف بتفسير الحاكمي

اسمه: «تخليص الدرر»، كذا ثبت في مقدمة المصنف، وورد في بعض المصادر تسميته: «تخليص الدرر في تفسير الآي والسور»[١] ولم أجد هذه التتمة في التفسير نفسه، لا في المقدمة ولا في الخاتمة، ولذا لم أعتمدها، فالمعول علىٰ المشاهد المنظور، لا علىٰ السجع المذكور، والله أعلم.

سبب تأليفه: بينه المصنف في مقدمة التفسير، وأنه رغب في كتاب ملخص في التفسير يجعله مؤنسه، فلما لم يجد شرع في تصنيف هذا الملخص، وجعله صالحًا للمبتدئ والمنتهي.

قال المصنف: «وقد كنت فيما سلف من عمري، وعنفوان أمري، أتمنىٰ وقوفي علىٰ كتاب ملخص في معاني كلام الله جل ذكره لأجعله عزة لنفسي، عقيب درسي، وأتخذه مؤنسًا في وحشتي، وصاحبًا في وحدتي، فما وقفتُ علىٰ شيء نشبت فيه مخالب مُنْيَتي، ولا رعت في روضهِ مطيةَ رغبتي، فأحببتُ أن أجمع لنفسي في ذلك ما يطمئن إليه قلبي، ويتبرَّد بنسيمه كبدي وخلبي، فالتقطت من درر علماء التفسير يتيمتهم، وجلوت علىٰ عرش أوراقي بكرم الله كريمتهم، وأوردت من المعاني أزينها، ومن الأقوال أحسنها، ومن التأويل أنبذه، ومن اللفظ أوجزه، وجهدت في الإيضاح ما أطقت، وبالغت في الإيجاز ما استطعت، ومعاذ الله أن أذكر مقدرًا من رأيي كلمةً أو حرفًا، أو أتصرف فيه إلا اكتفاء وحذفًا، وسميته: تخليص الدرر.

---

(١) إيضاح المكنون ٣/ ٢٧٠.

ليكون اسمه موافقًا لمعناه، ولقبه مطابقًا لمبناه، وهذا المجموع يصلح لكل مبتدئ ومتناهي، للمبتدئ هداية، وللمنتهي كفاية».

تاريخ الفراغ من تصنيفه: ذكره الحاكمي في آخر نسخته التي بخطه، وهو الرابع عشر من ذي الحجة سنة أربعة عشر وخمسمائة (١٤/ ١٢/ ٥١٤).

مصادر الحاكمي في تفسيره

يدلُّ عنوان هذا التفسير علىٰ أنه مستخلص من غيره، وهكذا أراد الحاكمي أن يكون تفسيره، فإنه التقط درر كتب التفسير وجمعها في تفسيره هذا، وقد صرح المصنف بمصادره، وذلك في آخر الكتاب، ومن هنا تظهر أهمية هذا الكتاب، فهو من جهة يعتمد علىٰ مصادر مفقودة في هذا العصر، ومن جهة أخرىٰ دلَّنا علىٰ شيء من مناهج أصحابها.

ويمكن أن نجعل المصادر عند الحاكمي علىٰ درجتين: أصول، وتوابع.

فالأصول:

هي كتب التفسير الجامعة التي رواها وتلقاها عن الأشياخ، واعتمد عليها في التفسير ومعرفة الأقوال الواردة في الآية، وهي أربعة أصول:

الأصل الأول: «تهذيب جامع العلوم»

وهو المسمىٰ كذلك: بـ«التفسير الكبير»، من تصنيف أبي بكر محمد بن الفضل بن محمد بن جعفر بن صالح الروَّاس البلخي (ت:٤١٦).

يعرف أبو بكر: بـ«المفسر الكبير»، وبـ«ميرك»، وبـ«الروَّاس».

وقد ترجمه السمعاني وعنه ابن الأثير والذهبي، وحاصل ما ذكروا في ترجمته: «صنَّف التفسير الكبير.

وروىٰ عن أبي الحسين أحمد بن محمد بن نافع الضرير، والحسين بن محمد بن الحسين، ومحمد بن علي بن عنبسة بن قتيبة الآجري، وأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين الجباخاني، وطبقتهم. روىٰ عنه علي بن محمد بن حيدرة، وغيره. توفي سنة خمس عشرة أو سنة ست عشرة وأربعمائة»(١).

قلت: ومن الرواة عنه نوح بن نصر الفرغاني، حيث روىٰ ابن عساكر من طريقه عنه حديثًا مسلسلاً(٢).

لكن في تحديد سنة وفاته اختلاف، فقد شك السمعاني في أي سنة توفي، وفي كتاب فضائل بلخ أنه توفي سنة ٤١٣، قطعًا بلا شك، وهو الصحيح(٣).

وقد عده الحافظ عبد القادر وابن قطلوبغا من علماء الحنفية، وقالا: «له كتاب

---

(١) الأنساب ٦/١٧٨، لباب الأنساب ٢/٣٩، تاريخ الإسلام ٩/ ٢٧٤. وانظر: طبقات المفسرين للسيوطي١١٢، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٢٤. وقد خلطا بين الرواس المفسر وآخر.

(٢) تاريخ دمشق ١٨/ ٨٦.

(٣) فضائل بلخ ص٣٢٣، تأليف صفي الملة والدين عبد الله بن عمر البلخي، مطبوع باللغة الفارسية.

الاعتقاد صنفه لمحمود بن سبكتكبن»[١]، وقد طبع هذا الكتاب، وهو مشهور باسم: «كتاب الخصال في عقائد أهل السنة»[٢].

وأقدم التراجم التي وقفت عليها للرواس هي ترجمة صفي الدين البلخي في كتاب فضائل بلخ وهو كتاب باللغة الفارسية، وقد أعانني بعض الفضلاء علىٰ ترجمة النص الفارسي إلىٰ العربية، وفيه ما ترجمته:

«الشيخ الرابع والخمسون هو:

محمد بن فضل بن أحمد بن محمد بن جعفر بن صالح - رحمهم الله -، من أكبر علماء بلخ وأقدمهم، وأعلمهم في ذلك الزمان، وخاصة في علم التفسير، وأشجعهم.

كنيته وتعريفه: أبو بكر بن أميرك الرواس البلخي رحمه الله، توفي سنة أربعمائة وثلاثة عشر، ودفن بباب بختي.

تولىٰ قضاء بلخ مدة من الزمن، وكان آية من آيات الله في التفسير والحديث وتقرير مذهب أهل السنة والجماعة.

وله في التفسير: كتاب الكبير المبسوط، المروج: بجامع العلوم، ورتبه في أحسن ترتيب وزينه في أزين تزيين، ومن أول السورة عشرة آيات الأولىٰ ذكر فيها الأصول وإعراب اللغة، ثم شرح سبب النزول، وبعدها بيَّن تفسير المعاني، وشرح الإشارات والرموز، وبسط الكلام في قراءات وفوائد العشر آيات، ثم مشىٰ علىٰ هذا النمط إلىٰ آخره.

وأكثر مصنفاته وكتبه وجيزة، وصنف في الحديث كتاب: كرامة المؤمن وغيره،

---

(١) الجوهر المضية ٢/ ١١١، تاج التراجم ٢٧١.
(٢) كشف الظنون ٢/ ١٣٩٣.

وصنَّف في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة كتاباً سماه: كتاب الديانة، وكان ذلك علىٰ طلب من سلطان محمود غازي.

مصنفاته كثيرة، وكلها في غاية الجودة، وهذه بعض من تلك المصنفات، وعليه كل الاعتماد...

ودفن أخوه عبدالله بن الفضل بن أحمد المقري أيضاً بباب بختي»[(١)].

وهذه الترجمة نفيسة جدًا فقد كشفت لنا عن منهجه في التفسير، فقد كان اعتماد المصنف عليه كبيرًا جدًا، وحسبك أن وصفه المصنف: بالركن الوثيق، والمعتمد عليه من كل وجه وطريق.

ثم ساق المصنف إسناده إلىٰ هذا الكتاب، من طريقين:

أ-عن ناصح الدين الفرواني، عن محمد بن علي البروقاني، عن المصنف.

ب-عن القاضي الإمام سعد الخالدي عن أبي القاسم منصور بن محمد التميمي البلخي عن المصنف.

ومما يضاف إلىٰ النص السابق في الكشف عن منهج الرواس في التفسير:

أنَّه كتاب اشتمل علىٰ رواية أقوال السلف في التفسير، والبناء عليها، يروي بالإسناد تفسير سعيد بن جبير، وعكرمة، ومقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان، والكلبي، وغيرهم، واشتمل علىٰ أوجه من النحو والإعراب، واعتنىٰ بالمعاني ونقل في سبيل ذلك عن أصحاب المعاني، كالزجاج وغيره، واختص بكتاب أبي سهل الأنماري المفسر[(٢)].

---

(١) فضائل بلخ، صفي الملة والدين عبد الله بن عمر البلخي ص٣٢٣.

(٢) عرفتُ بأبي سهل الأنماري وبكتابه فيه ما فيه في مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني ١/ ١٠٧.

الأصل الثاني: «الموضح في التفسير»

تأليف الإمام المقرئ المفسر أبي نصر أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي الحدادي الغزنوي (ت: بعد ٤٠٠).

قال ابن الجزري: «إمام بارع ناقل رحال، قرأ علىٰ أبي يحيىٰ محمد بن سليمان الخياط، وأبي القاسم محمد بن محمد الفسطاطي، وأبي سعيد جعفر بن محمد بن السجستاني، وأبي حفص الكتاني، وأبي نصر بن زاذان، وأبي القاسم الضرير، وأبي سعيد السيرافي، وأبي القاسم عبد الله بن الحسن، وأبي عمرو الأزدي، ومحمد بن العباس الخزاز، وأبي الحسن علي بن إبراهيم العطار البلخي، وأبي بكر أحمد بن نصر بن منصور الشذائي، وأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران وعلي بن عقبة. وألف كتاب «الغنية في القراءات».

وذكر أنه قرأ عليهم في بلاد متفرقة فدل علىٰ رحلته الواسعة، قال: «وإنما أتيت بذكر هؤلاء المشايخ افتخارًا بذكرهم، وترغيبًا في الدعاء لهم، وإعلامًا لمن أراد أن يقتدي، بهم فيعلم أنني ما أخذتها من وجه أو طريق واحد، لأنه رويَ عن غير واحد من الأئمة أنَّ من أخذ القراءة أو الرواية من طريق واحد فلم يشم رائحتها.

قرأ عليه ابنه نصر شيخ الهذلي.

وكان شيخ القراء بسمرقند، انتهىٰ إليه التحقيق والرواية وبقي إلىٰ بعد الأربعمائة»[١].

وللحدادي ثلاثة كتب:

---

(١) غاية النهاية ١/ ١٠٥. وله ترجمة وافية في مقدمة كتاب المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالىٰ وكتاب: الموضح في التفسير، وهما مطبوعان ومنسوبان إليه.

الأول: كتاب «الغنية في القراءات».

وهو الذي ذكره ابن الجزري، والنقل الذي أورده يدل علىٰ أنه كتاب حافل، ولم أجد ذكرًا للكتاب في كتب فهارس المخطوطات التي بحثت فيها.

الثاني: «المدخل لعلم تفسير كتاب الله».

هكذا طبع هذا الكتاب، ويظهر أن التسمية من استنباط المحقق وليس من نص المؤلف[١].

والكتاب مشتمل علىٰ مسائل في فقه اللغة وأسرارها.

وقد صرَّح في أوله أنه ألفه تحفةً لابنه محمد، وابنه هذا هو راوي التفسير عنه، كما أن ابنه نصر راوي القراءات عنه.

الثالث: «الموضح في التفسير».

هكذا سماه المصنف، إلا أن الحدادي ذكره في أول كتاب المدخل، وقال: لما فرغت من تصنيف كتاب الموضح لعلم القرآن..الخ[٢].

ومما ينبغي التنبيه عليه أنَّ النسخة المطبوعة باسم: الموضح في التفسير للحدادي هي منتخب من التفسير، مقتصر علىٰ الشواهد الشعرية، بدليل قوله في آخر النسخة: تمت الأشعار والشواهد في التفسير الموضح للحدادي[٣].

ويظهر أنَّ أبا الفداء إسماعيل حقي الاستانبولي (ت: ١١٢٧) كانت عنده نسخة من تفسير الحدادي، فقد أكثر النقل عنه في تفسيره: «روح البيان»، والله أعلم.

---

(١) المدخل ص٥١.

(٢) المدخل ص٤٦.

(٣) موضح التفسير ص١٣٦.

هذا، وقد روىٰ المصنف هذا التفسير الحافل: عن ناصح الدين، عن الشيخ الزاهد محمد بن أحمد الحدادي، عن والده المصنف.

الأصل الثالث: «كتاب التنزيل»

وهو من تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن شحمة الهروي.

وقد رواه المصنف من طريق علي الزوزني، عن أبي جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل الزوزني، عن أبيه عن جده أبي جعفر المصنف.

والعنوان يدل علىٰ أنه كتاب مختص بالتنزيل، أي معرفة المكي والمدني، والغالب علىٰ هذه الكتب اعتناؤها بالعدد، وبأسماء السور، وقد اعتنىٰ الحاكمي في تفسيره هذه بعلم المكي والمدني، فيذكر اسم السورة وتنزيلها وعدد آيها، والظن أن معتمده علىٰ هذا الكتاب.

ولكن الكتاب ليس مقتصرًا علىٰ التنزيل، بل هو كتاب تفسير، بدليل النقول التي صرح المصنف بنسبتها إليه، بل هو كتاب تفسير جامع، فإنه يذكر الخلاف ويرجح.

ولم أجد ترجمة لمصنف هذا الكتاب، ولا ذكرًا لكتابه، ولا عرفت رجال الإسناد.

وهذا شيءٌ من العلم الذي كان في خراسان ولم يصلنا، فكم كان فيها من مصنفات في شتىٰ العلوم، إلا أنَّ كثيرا منها ضاع وذهب مع الأيام، ولم نقف له علىٰ خبر، والله المستعان.

الأصل الرابع: «معاني القرآن»

لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد الفراء (ت:٢٠٧)، وهو كتاب مشهور، ويعد من أهم كتب المعاني وأفضلها.

وقد رواه المصنف من طريق ابن البيهقي عن أبيه-الإمام البيهقي- عن أبي سعيد بن أبي عمرو، عن الأصم، عن محمد بن الجهم، عن الفراء.

وهذا إسناد نازل بالنسبة لأهل عصره، فقد كان يمكنه أن يعلو فيه درجة، فالغالب أن يكون بين أهل زمانه وبين الأصم رجلان، والأصم معيار الطبقات في نيسابور، وقد بينت ذلك في كتابي عن «مشيخة الحافظ أبي القاسم الحسكاني».

وشيخ البيهقي: أبو سعيد بن أبي عمرو؛ هو: محمد بن موسىٰ بن الفضل بن شاذان، وبقية رجال الإسناد معروفون[1].

❁ ❁ ❁

(١) ترجمته في المنتخب من السياق لعبد الغافر الفارسي ص ٢٣، وأرخ وفاته سنة: ٤١٢.

الفروع

والمقصود منها الراويات والنسخ التفسيرية وأقوال المفسرين التي لا ترجع إلىٰ مؤلف بعينه، أو ترجع إلىٰ مؤلف لكن نقل عنه الحاكمي بواسطة.

فأولها: تفسير الكلبي:

وقد أطلت الحديث عن تفسير الكلبي في كتاب «قانون التفسير بالمأثور» وكتاب «مشيخة أبي القاسم الحسكاني»، إذ كان لتفسير الكلبي رواج كبير في خراسان، وكانوا يعتمدون عليه، ويقتدون بأسلوبه السردي، الذي يجمع بين الآيات وتفسيرها في نسق واحد.

وقد رواه المصنف عن ابن البيهقي، عن أبيه، عن ابن محبور الدهان، عن الحسين بن محمد بن هارون عن أحمد بن محمد بن نصر، عن يوسف بن بلال، عن محمد بن مروان عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

وهذا هو إسناد البيهقي إلىٰ تفسير الكلبي، يخرج منه في دلائل النبوة وغيرها.

والكلبي متروك، وما يرويه عن ابن عباس لا يصح عن ابن عباس، وغالب ذلك أشياء التقطها من مقاتل والضحاك وغيرهما فنسبها لابن عباس لتروج.

ثانيها: أبو سهل الأنماري:

وهو أبو سهل محمد بن محمد بن علي بن الأشعث الأنماري الطالقاني، وهو صاحب كتاب: «فيه ما فيه».

وأبو سهل من مصادر المصنف، ومن قبله الحاكم الحسكاني في كتابه: «شواهد التنزيل»، وابن محمشاد في تفسيره، والعاصمي في كتابيه: «زين الفتىٰ في تفسير سورة هل أتي»، وَ «كتاب المباني لنظم المعاني»، والواحدي في «البسيط»، وشيخه الثعلبي في

«الكشف والبيان».

وقد ترجمت له وعرفت به في مقدمة تحقيق: «كتاب المباني لنظم المعاني»[١].

وقد رواه المصنف من طريق التفسير الكبير، بأسانيده إلىٰ الرواس عن رجب بن أحيد الفرغاني عن أبي سهل الأنماري.

ثالثها: الزجاج.

والزجاج هو: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت:٣١١)، صاحب كتاب: «معاني القرآن وإعرابه»، وكتابه من أحسن الكتب في بابه.

ورواية المصنف بإسناده إلىٰ التفسير الكبير، عمن روىٰ عن الزجاج عن المصنف. وقد أكثر عنه جدًا، واعتمد عليه أكثر من اعتماده علىٰ معاني القرآن للفراء.

رابعها: أقوال أهل التأويل.

كمقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان والضحاك وسعيد بن جبير، فهذه ينقلها عن التفسير الكبير.

خامسها: الإشارات.

وهذه الإشارات ينقلها من إشارات: أبي عبيد الطوسي. ولعله: صخر بن محمد الحاكم الطوسي، المتوفىٰ سنة ٤٥١، وليست كل الإشارات عن الطوسي، بل ينقل بعض إشارات الحكيم الترمذي، وينص علىٰ نسبتها إليه فيقول: قال محمد بن علي الحكيم[٢].

---

(١) المباني لنظم المعاني ١/ ١٠١.

(٢) ألف الحكيم الترمذي في الإشارات الصوفية، قال الذهبي في ترجمته (تاريخ الإسلام ٦/ ٨١٤): «وذكره أبو عبد الرحمن السُّلمي فقال: نفوه من تِرْمذ وأخرجوه منها، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية، وكتاب علل الشَّريعة، وليس فيه ما

وغالبها إشارات قريبة المأخذ، وليست بالبعيدة، وفيها بعض ما لا تحتمله الآية، ولكنه بشكل عام ليس بمكثر من الإشارات، مع أن المفسر الكبير قد ذكر في تفسيره بعض الإشارات، كما سبق التنبيه عليه..

❁ ❁ ❁

يوجب ذلك، ولكن لبُعد فَهْمهم عنه. كذا قال السلمي، والسلمي له كتاب: حقائق التَّفسير، من هذا النَّمَط أشياء تنافي الحق، فما أدري ما أقول، أسأل الله السّلامة من تخبيطات الصُّوفية، وأعوذ بالله من كُفْريات صوفيّة الفلاسفة الذين تستروا في الظاهر بالإسلام، وعملوا علىٰ هدمه في الباطن وربطوا العوام برموز الصّوفيّة وإشاراتهم المتشابهة، وعباراتهم العَذْبَة، وسيرهم الغريب، وأسلوبهم العجيب، وأذواقهم الحلوة التي تجر إلىٰ الانسلاخ والفناء والمحو والجمع والوحدة، وعن ذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]؛ يعني طريق الكتاب والسنة المحمدية، ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]، والحكيم الترمذي فحاشىٰ لله؛ ما هو مِن هذا النَّمَط، فَإِنَّهُ إمامٌ في الحديث، صحيح المتابعة للآثار، حُلْو العبارة، عليه مؤاخذات قليلة كغيره من الكبار، وكلّ أحدٍ يُؤْخذُ من قوله ويُتْرك، إلا ذاك الصَّادق المعصوم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم».

فضائل القرآن في تفسير الحاكمي

اعتمد المصنف في ذكر فضائل القرآن علىٰ الحديث الطويل في فضائل القرآن، المروي عن أبي بن كعب، وهو حديث موضوع مشهور، نبه العلماء قديمًا وحديثًا علىٰ وضعه، وحذروا من روايته إلا مع بيان ضعفه.

وقد نفق هذا الحديث علىٰ كثير من المصنفين، فرووه في كتبهم، واعتمدوا عليه، غرهم أنه شامل للسور كلها سورة سورة.

وقد أطلتُ الحديث عليه في مقدمة تحقيق: «فضائل القرآن» للحافظ المستغفري رحمه الله[١].

وقد رواه المصنف من طريق المفسر الكبير الرواس، قال: نا الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حامد بن متويه الشاباذي، والشيخ أبو الحسن أحمد بن حمدان بن يوسف قالا: نا أبو شهاب المعمر العوفي، نا أبو عصمة عصام بن يوسف البلخي، عن سلام بن سليم، عن محمد بن عبد الواحد، عن علي بن زيد، عن عطاء أبي ميمونة، عن زر، عن أبي.

وهو مخلد بن عبد الواحد، لكنه تصحف في النسخة إلىٰ: محمد بن عبد الواحد، وهذا الإسناد بعينه مذكور في المقدمة المذكورة[٢].

ومخلد بن عبد الواحد منكر الحديث جدًا[٣]، ويظهر أنه سرقه من غيره، وليس هو الواضع الأصلي له، والله أعلم.

---

(١) فضائل القرآن ١/ ٥٠ ط الأولىٰ.

(٢) فضائل القرآن ١/ ٥٤.

(٣) لسان الميزان ٨/ ١٥.

وهذا الحديث مشهور في بلاد العجم، ونسخته في الشهرة تساوي نسخة تفسير الكلبي، وهذا شيء يعجب منه، أن يعتمد علىٰ تفسير الكلبي ومجلس أبي بن كعب في فضائل القرآن، أو علىٰ أحدهما.

فممن اعتمد عليهما أو علىٰ أحدهما من خراسان وما وراءها:

ابن حبيب المفسر، والثعلبي، والواحدي، والحسكاني، وأبو سهل الأنماري، والعاصمي، وأبو الليث السمرقندي، وابن محمشاذ الكرامي في تفسيره، والسمعاني في تفسيره، والزمخشري.

ولذا إذا قيل في بعض كتب هؤلاء، كتفسير الثعلبي وأبي الليث السمرقندي والواحدي: قال ابن عباس، ثم لم تجده في الروايات المشهورة عنه، عند الجامعين للمأثور، كابن جرير، وابن أبي حاتم، فالأصل أن يكون ذلك من رواية الكلبي، والثعلبي لا ينص علىٰ ذلك في غالب الأحيان، والسمرقندي والواحدي يذكران ذلك أكثر منه، فيقولان: من رواية أبي صالح عنه، وهذه هي رواية الكلبي، والله المستعان.

ثم إن المصنف يذكر الفضائل آخر السورة لا أولها، وقد يكون هذا هو منهج من لخص تفسيره منهم، كالمفسر الكبير والحدادي والهروي، إلا أنه ينبغي أن يعلم أن هذا المنهج قديم، فإننا نرىٰ أبا الليث السمرقندي (ت:٣٧٣) يذكر حديث الفضائل في آخر السورة.

ولا يخفىٰ أن هذا منهج الزمخشري في تفسيره، فإنه يذكر الحديث في آخر السورة، وقد تكلف المخرج لذلك لما سئل عنه فقال: لأنها صفات لها والصفة تستدعي تقديم الموصوف[1].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٣٢.

ولو أنه اعتذر عن ذلك بأنه منهج متبع في تلك الديار لكفاه، وحسبه أن البخاري رحمه الله قدَّم كتاب التفسير علىٰ كتاب فضائل القرآن في صحيحه.

وقد وقع في النفس أنَّ الزمخشري اعتمد علىٰ المفسر الكبير أو علىٰ الحدادي، وذلك لتشابه العبارات بين كتابي الحاكمي هذا وبين الكشاف في مواطن كثيرة، وقد نبهت علىٰ بعضها في تفسير سورة البقرة وآل عمران، فلعل الزمخشري كانت عنده نسخة منهما أو من أحدهما فاعتمد عليها كثيرا، وإن لم يصرح بذلك، فإنه كان يخفي مصادره، ولا يكاد يبين بها.

❁ ❁ ❁

منهج الحاكمي في التفسير

يعد هذا التفسير من كتب التفسير المتوسطة، فلا هو مطول مبسوط، ولا هو موجز مختصر، وعنوانه يدل على أنه خلَّصه من المصادر التي سبق ذكرها، لكنه تلخيص عالم أديب ذواق، يفهم الأقوال جيدًا، ثم يصوغها بعبارة بليغة حسنة، فهذب ورتب، وجمع وأفاد، ونثر أقوال أهل التأويل فجعلها على هيئة المتون، دون أن يستدل لهذه الأقوال، أو يسندها إلى أصحابها؛ في الغالب.

فإذا أراد أن يضيف شيئا من تلقاء نفسه ميزه بأن يقول: «قال عبد الحميد الحاكم غفر الله ذنوبه»، وهذا دلالة على الأمانة العلمية، والإخلاص في العمل، فرحمه الله وجزاه خيرا.

وهذه أهم الملامح عن منهجه باختصار، وقد تركت التمثيل لها، لأنك واجد مثال ذلك في تضاعيف ما تقرأ من هذا التفسير:

١-يذكر المصنف في الآية قولاً واحدًا إذا لم يكن فيها خلاف، فإذا كان فيها خلاف فإنه يذكر الأقوال مصدرًا إياها بـ«قيل»، ولا يعني قوله «قيل» تضعيفًا في الغالب، بل يريد أنه قول محكي وحسب، فانتبه لذلك.

٢-لا ينسب الأقوال لأحد من أصحابها في الغالب، وهذا ما يعلل قلة ذكر أسماء السلف في تفسيره، كابن عباس وعلي وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم، لكن المذكور في التفسير هو عين أقوال هؤلاء الأعلام المفسرين، فإن لم تكن أسماؤهم مذكورة فإنَّ أقوالهم مسطورة، فكتابه هذا متن تفسيري، كمتون الفقهاء.

وهذا منهج مطروق عند المتأخرين الجامعين للأقوال، كالماوردي في كتابه: النكت والعيون، وابن الجوزي في كتابه: زاد المسير.

ولا يعني هذا أنه لا يسمي أحدًا ولا ينسب دائمًا، بل قد يسمي بعض أصحاب الأقوال، وينسبها لأصحابها، ولكن ذلك متفاوت في كتابه.

٣-يحرص كثيرًا علىٰ التنبيه علىٰ الناسخ والمنسوخ، ولأنه كتاب مختصر فإنه لا يطيل في الاستدلال علىٰ ذلك، لكنه يكثر من ذكر دعاوىٰ النسخ، ويكرر ما يذكره المقاتِلَيْن والكلبي دائما من أنَّ كل آية فيها أمر بالصفح والمغفرة منسوخة بآية القتال، التي هي آية السيف، ولذا تجده يذكر ذلك دون مناقشة، إذ كان غرضه ذكر الأقوال دون تصحيح أو تضعيف.

٤-يعتني بذكر أسباب النزول، وإنْ تعددت، ويصوغها دون أن ينسبها إلىٰ أصحابها، طلبًا للاختصار، وعمدته -في كثير من الأحيان- علىٰ المقاتلَيْن وعلىٰ الكلبي، ولذا فإنَّ كثيرا من الأقوال التي يذكرها لا نجدها في أمات كتب التفسير المأثور، كالطبري وابن أبي حاتم.

٥- يختلف ذكره للقراءات بحسب نشاطه، فمرة يطيل بذكرها ولا يفوت ما في الآية من قراءات صحيحة وشاذة، ومرة يطوي ذكر القراءات، إلا أنه مهما طوىٰ ذكر بعضها فإنَّه لا يفوت ذكر القراءات التي يكون فيها الخلاف مؤثرًا.

٦-الغالب عليه أنه كان يفسر علىٰ قراءة أبي عمرو البصري، إلا أنني لم أستطع ضبط الآيات علىٰ هذا الحرف، فضبطتها علىٰ رواية حفص عن عاصم، وأشرت في الهامش إلىٰ الخلاف في رسم الكلمات، وذلك حين يكون الخلاف في صورة الكلمة، أما حين يكون الخلاف في ضبطها بالشكل فإن الناسخ لا يضبط في أحيان كثيرة.

٧-إذا ذكر الاختلاف في القراءات فإنه يشير إلىٰ توجيهها باختصار شديد، لكن من غير إخلال، وهذا من محاسن هذا الكتاب، فإن توجيهه للقراءات متن بحد ذاته، مما ينبغي علىٰ طالب القراءات حفظه.

٨-إذا ذكر في الآية قراءة متواترة وشاذة، فإنه يبدأ القراءة المتواترة بقوله: «القراءة»، والشاذة قوله: «قرئ»، فإذا لم يكن فيها إلا متواترة أو شاذة فإنه يقول: «قرئ»، وقد نبهت في الهوامش علىٰ المتواتر والشاذ.

٩- يعتني بذكر الوقف بأنواعه، ويستعمل مصطلحات القوم، مثل التام والكافي والحسن، وينبه علىٰ الممنوع، ويبين حكم الوقف المترتب علىٰ أوجه الإعراب، ولا سيما في رؤوس الآي.

وكانت طريقته في أول التفسير أن يذكر رأس الآية ويتبعها بأول الآية التي تليها ثم يبين الحكم بحسب الإعراب، وهذه طريقة بديعة، وقد نبه أولاً أن رؤوس الآي يوقف عليها، واستغنىٰ بهذا التنبيه عن الإعادة.

لكن نشاطه يختلف من سورة لأخرىٰ، فربما أكثر من ذكر ذلك في بعض السور، وربما مرت سورة طويلة دون أن يتطرق للوقف، فربما أن ذلك بسبب المصادر التي اعتمد عليها، أو أنه اكتفىٰ بالتنبيه علىٰ ما سبق، والله أعلم.

١٠-يبين فقه الآية بما دلت عليه، دون تعرض لمذاهب الفقهاء، إلا في مواطن يسيرة، والمصنف حنفي المذهب.

١١-يعرف المفردة القرآنية في أول ورودها علىٰ جهة الاختصار، ويذكر الاشتقاق، دون تطويل، وقد سلك مسلكًا حسنًا في تعريف المفردة القرآنية، فيذكر معناها في الآية، ثم يبين أصل وضع الكلمة، فجمع بين التفسير واللغة.

وذكره للمفردات مبني علىٰ كتب التفسير التي اعتمد عليها، وعلىٰ كتاب تهذيب اللغة للأزهري.

١٢-يميز المصنف زياداته علىٰ الأصول التي لخص منها تفسيره بقوله: «قال عبد الحميد بن عبد المجيد الحاكمي».

١٣-يتتبع المصنف أقوال المعتزلة وشبههم، فيذكرها باختصار ثم يفندها، ويقرر عقيدة أهل السنة، ويبالغ في الانكار علىٰ المعتزلة، وفي لعنهم، ويستنبط من فقه الآية ما يرد عليهم، وقد أحسن في هذا الجانب جدًا.

١٤-سلك المصنف مسلك أهل التأويل، فأوَّل كثيرًا من صفات الله عز وجل، فجانب الصواب، وخالف السلف، ولا أدري هل مسلك التأويل منه أصالة أم من أصله الذي اعتمد عليه، لأنه ينقل عن أبي منصور الماتريدي المتوفىٰ سنة ٣٣٣، في هذا الباب فقط، مع أنه لم يذكره في مصادره، ولم يتبين لي هل النقل منه مباشرة أم بواسطة بعض مصادره الأربعة.

ومما جعلني أظنُّ أنَّ التأويل منه وليس من مصادره أنه أحيانًا ينقل تفسير بعض الصفات علىٰ غير تأويل.

فمثلاً: أول الرحمة في أول ورودها، علىٰ ما هو مشهور من مذهبهم: بإرادة الخير بالعباد، ثم في تضاعيف الآيات إذا ورد: «غفور رحيم» فإنه يفسر الرحيم: بالمتحنن والمتشفق، وهذا غير هذا.

ويذكر تفسير استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ، وهو قول أبي منصور الماتريدي[1]، وهو تفسير المعتزلة -مع شدة إنكاره عليهم في غير هذا الموضع- ويذكر أحيانًا مذهب السلف، فهو في هذا الباب ناقل لا محرر.

وهكذا غالب المفسرين، إنما يحكم عليهم بالتأويل من خلال تفاسيرهم، وقد لا يكونوا محررين في باب الاعتقاد، ولا متضلعين فيه، إنما هم نقلة بحسب المصادر التي اعتمدوا عليها، فإنَّ المفسرين في الغالب يعتمدون علىٰ كتب من قبلهم، ومن

---

(١) تأويلات أهل السنة ١/ ٤١١.

هنا يدخل عليهم الدخيل، وتغشاهم الشوائب، وهذا القاضي البيضاوي لما اعتمد علىٰ الزمخشري تابعه في بعض ما يذكره.

ومن المفسرين من هو متمرس في علم العقائد، فهذا الذي يحكم علىٰ عقيدته من خلال تفسيره، كأبي منصور الماتريدي في تفسيره: «تأويلات أهل السنة»، وكأبي عبد الله الرازي في تفسيره: «مفاتيح الغيب».

❁ ❁ ❁

التعريف بالنسخة الخطية:

لهذا التفسير نسخة وحيدة من محفوظات مكتبة: نور عثمان.

ناسخها: هو محمد بن الفقير إلىٰ كرم الله تعالىٰ الشيخ رمضان السعودي الشافعي. هكذا ثبت اسمه في آخر المخطوط.

تاريخ نسخها: ثامن عشر ربيع الثاني، عام ٩٤٣ (١٨/ ٤/ ٩٤٣هـ).

الأصل المنقول منه: بين الناسخ أنه نسخ الكتاب عن نسخة بخط المؤلف.

عدد ورقات المخطوط: (٤٣١)، في كل ورقة لوحتان.

وصف المخطوط: كتب بخط واضح مفصل جميل، كتب الآيات بالحمرة، والتفسير بالمداد الأسود.

في كل لوح: (٢٥) سطرا، اطلع أحدهم علىٰ النسخة فحشىٰ علىٰ أولها من تفسير القاضي البيضاوي.

وهذا الأصل وإن كان واضحًا إلا أنه كثير التصحيف، وأحيانًا تشكل عليه الكلمة في الأصل المنقول منه، فيرسمها علىٰ هيئتها.

وللناسخ طريقة في الكتابة لا يتبع فيها أحيانا قواعد النحو.

ويظهر أنه اشترك فيه ناسخان، الناسخ الأصلي وقد نسخ معظم الكتاب، وناسخ آخر خطه رديء جدًا، كثير التصحيف، كتب آخر المخطوط، ثم عاد الناسخ الأول فكتب الخاتمة.

وقفية المخطوط: علىٰ أول ورقة من المخطوط وقفية صورتها ما يلي:

«وقف السلطان السعيد الأعظم، وتخليد الخاقان الأكرم الأفخم، مقر العدل والإحسان، وموضح أحمال الأمور بالرُشد والعرفان، السلطان بن

السلطان، السلطان أبو المحاسن والمكارم عثمان خان ابن السلطان مصطفىٰ خان، ثبَّت الله أساس دولته الطاهرة، وخلَّد خلافته الباهرة، وأنا الداعي لدولته الحاج إبراهيم حنيف المفتش بأوقاف الحرمين المحرمين غفر له»(١).

منهج التحقيق:

١-بعد نسخ المخطوط قابلته علىٰ أصله، ملتزمًا قواعد الإملاء المشهورة، ولا أنبه علىٰ ما خالف الناسخ في هذا الباب.

٢-كتبت الآيات بالرسم العثماني علىٰ رواية حفص عن عاصم، وأنبه علىٰ الحروف التي كتبها في الأصل مخالفة لرواية حفص، حيث إن المؤلف كان يفسر علىٰ حرف أبي عمرو بن العلاء البصري.

٣-كل ما بين الحاصرتين [] من زياداتي، وهي قليلة جدا، لكنها علىٰ نوعين: إما شيء لا بد منه لتصحيح الكلام، وإما كلمة من آية سقطت علىٰ الناسخ، حيث إن المصنف اتبع في تفسيره منهج دمج التفسير مع الآيات، فربما سقطت عليه كلمة من آية أو أكثر، فأستدركه بين تينك الحاصرتين، وربما أخطأ في كتابة آية، فأصححها دون تنبيه.

٤-اقتصرت في التعليق علىٰ المهمات كي لا أطيل الكتاب، فإنه وُضع علىٰ الاختصار، فإذا علقت علىٰ كل آية خرجت عن غرض المصنف.

والتحشية التي تجدها في بعض الآيات هي للتوثيق، بمعنىٰ أن هذا الكلام الذي ذكره المصنف مسطور نحوه في هذه المراجع.

---

(١) توفي إبراهيم حنيف بن مصطفىٰ الرومي سنة ١١٩٩ (الأعلام ١/ ٢٧)، وتوفي السلطان العثماني عثمان خان بن مصطفىٰ خان عام ١١٧١.

٥-اجتهدت في تصحيح النص، وحافظت علىٰ ما ثبت في النسخة الخطية، إلا مواطن تصحفت أو قلبت علىٰ الناسخ، فأثبت ما أراه صوابا، وأنبه في الهامش علىٰ ما هو ثابت في الأصل.

٦-لم أطل في تخريج الروايات ولا القراءات، فالغرض من العزو التوثيق، وإلا فإن لتخريج الروايات وتوجيه القراءات موطنا آخر.

وهذه صورة من الأصل المعتمد في التحقيق:

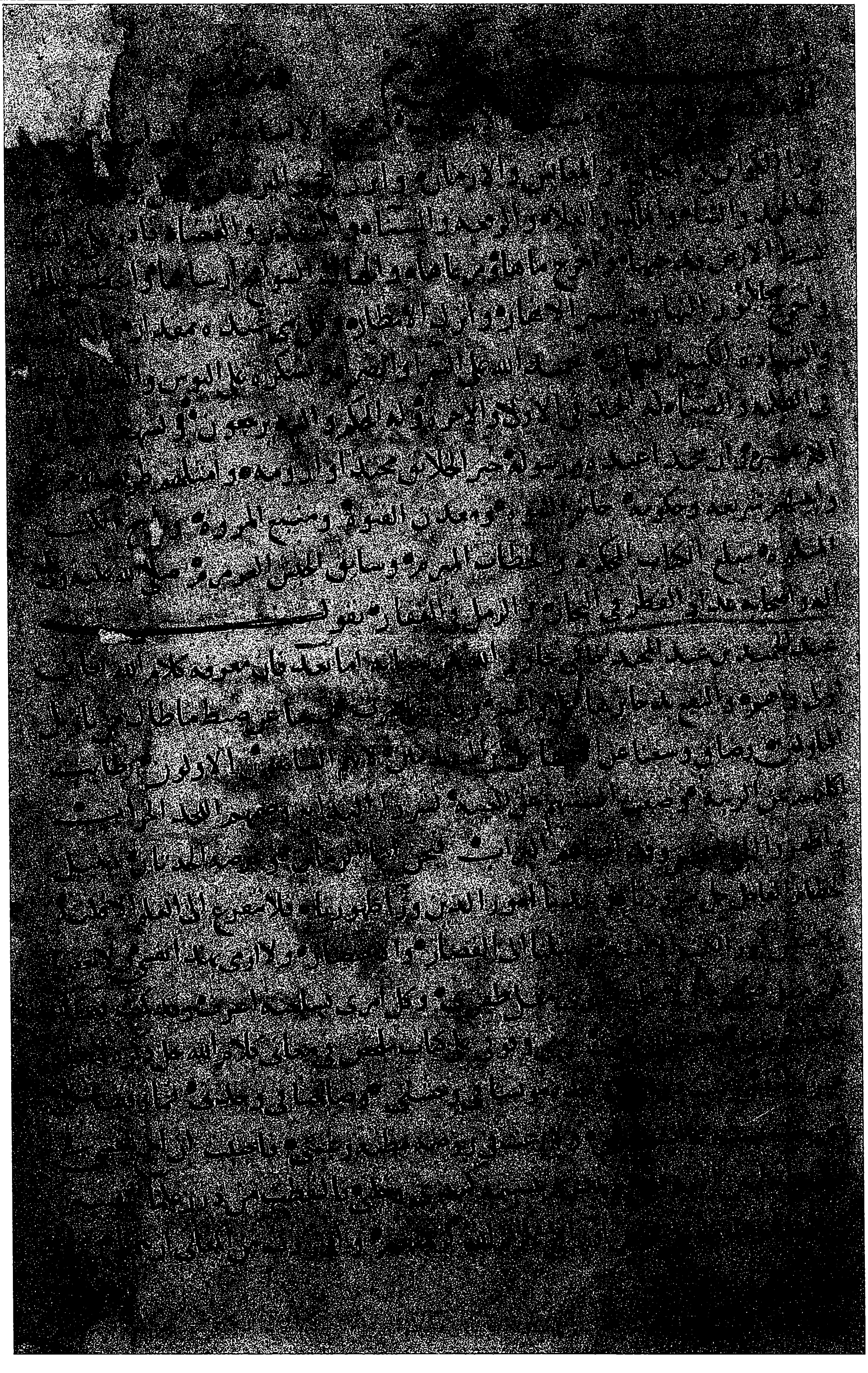

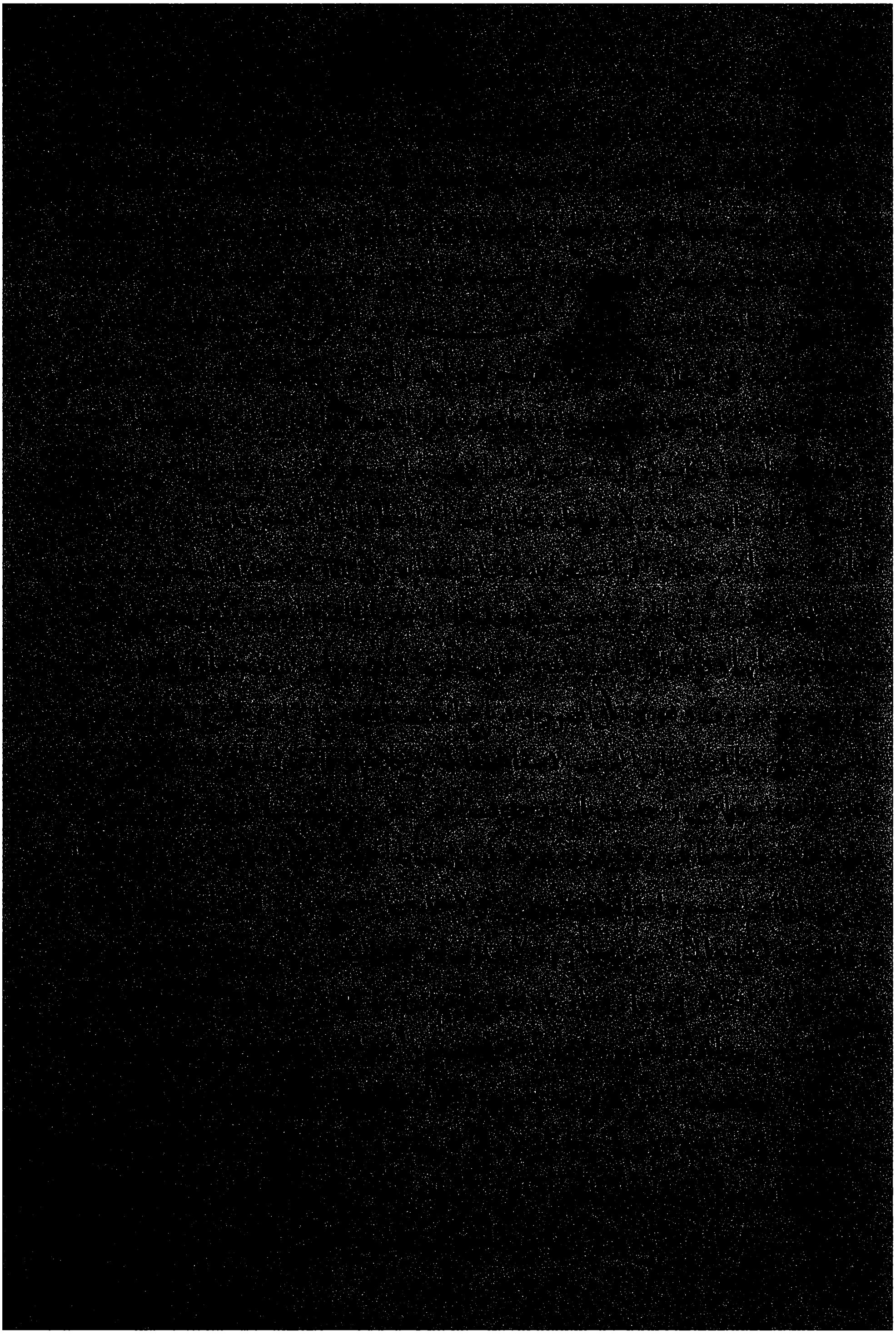

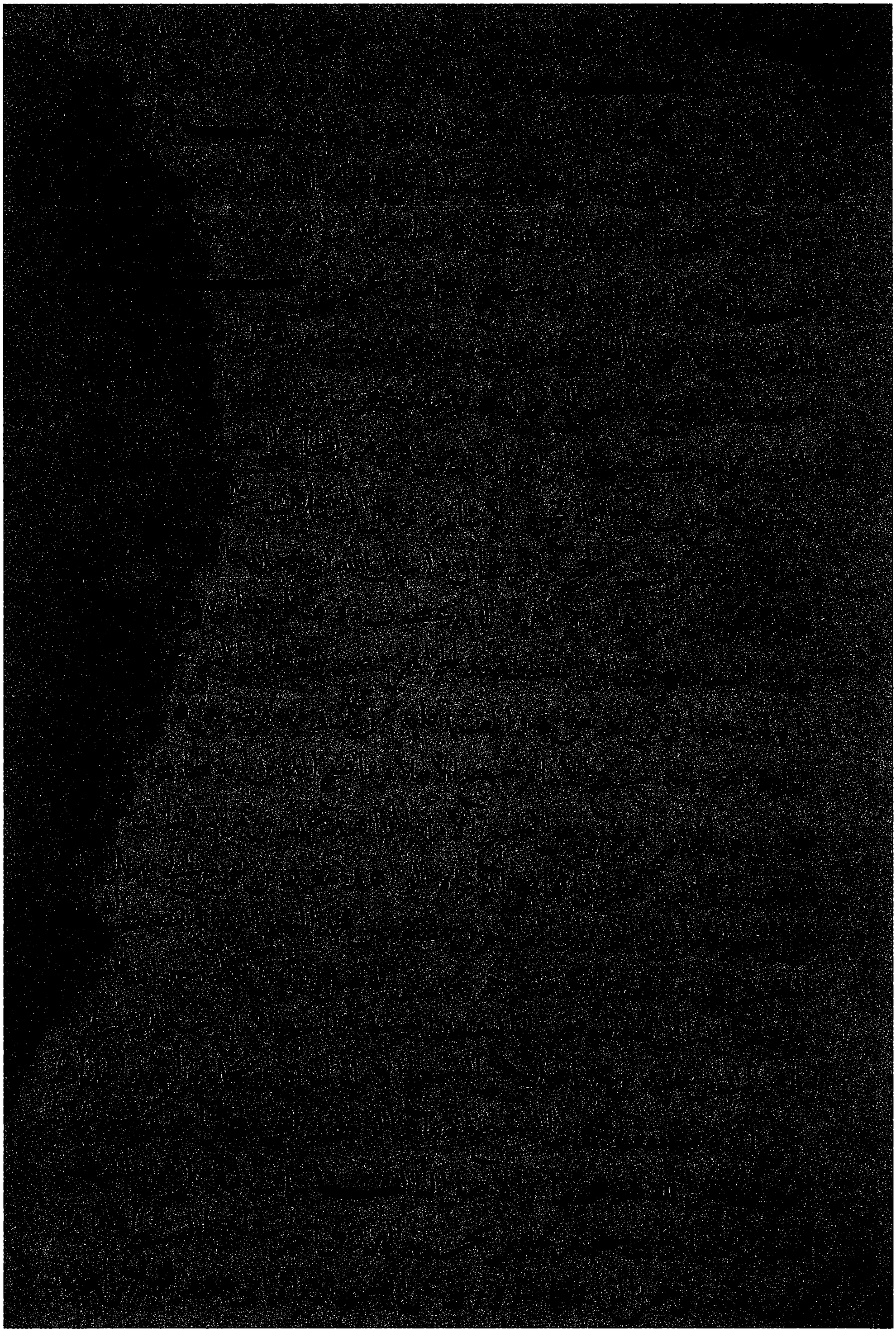

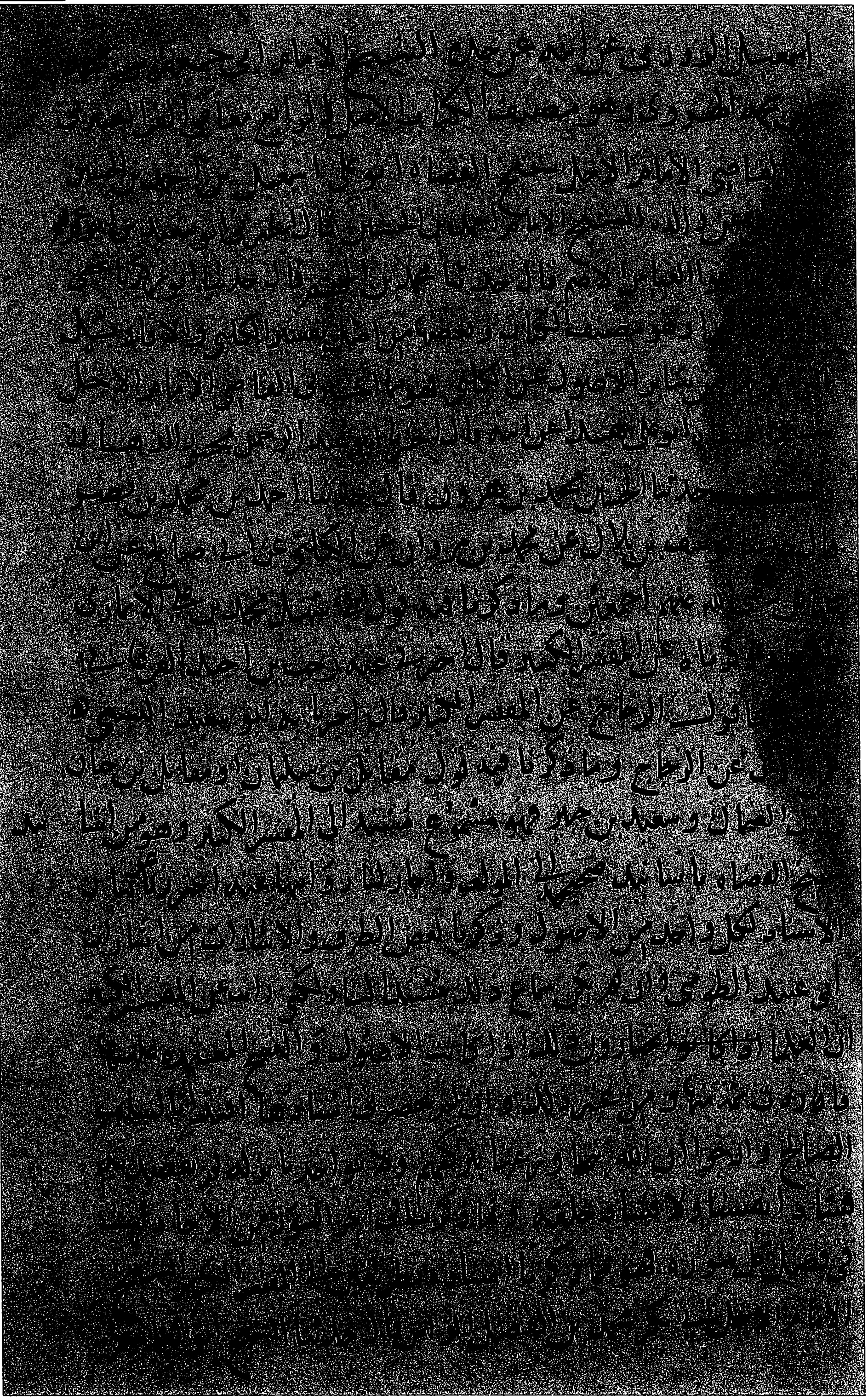

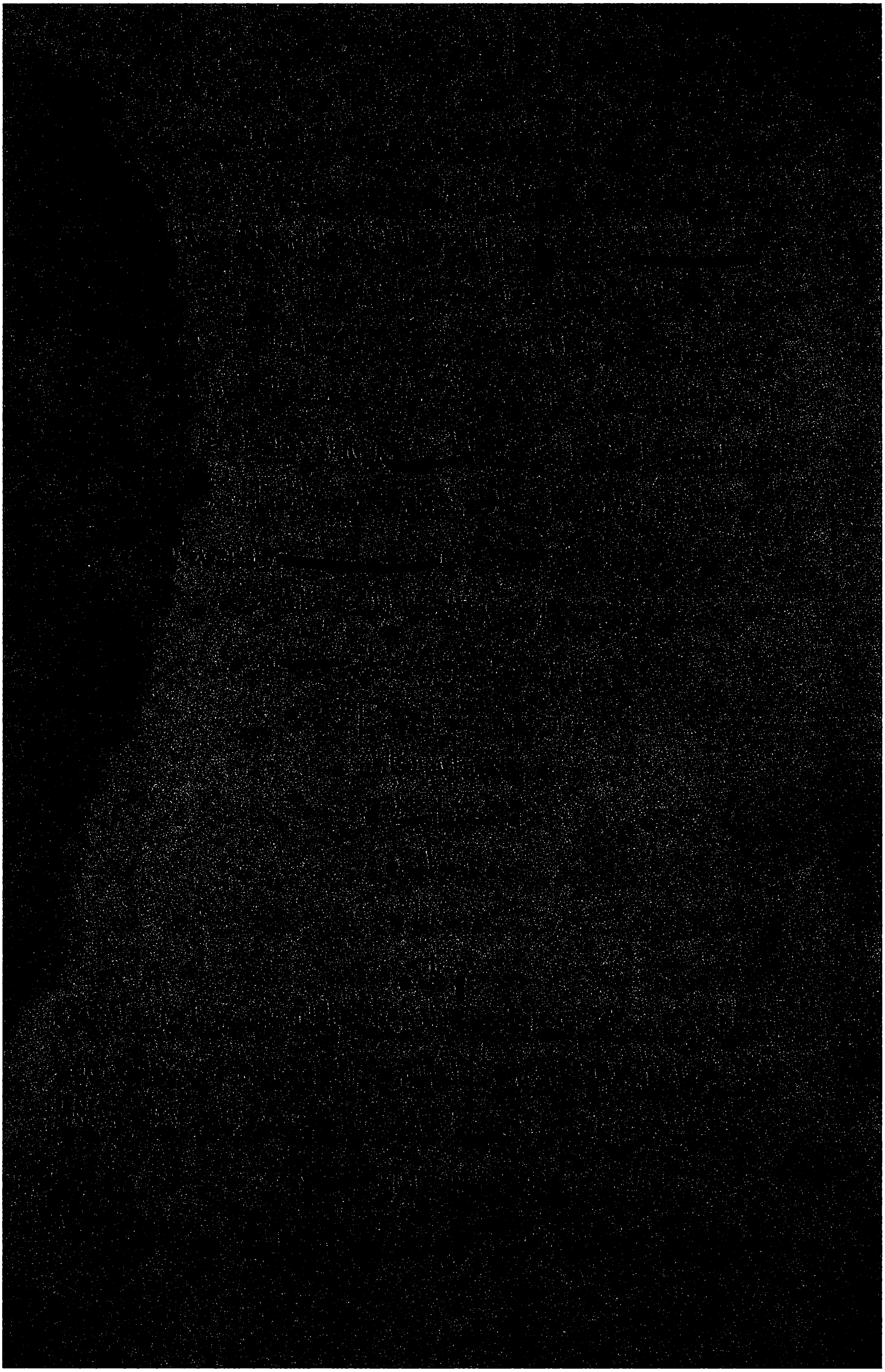

تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

«النص المحقق»

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي.

الحمد لله مفتِّح الأبواب، ومسبِّب الأسباب، ومُخْرِج الأنساب، من الترائب [والأصلاب] [(١)]، ذرأ الكوائن والمكان، والمعايش والأزمان، وأبرز الحجج والبرهان، وكل يوم هو في شان، له الحمد والثناء، والمُلك والعلاء، والرفعة والسناء، والتقدير والقضاء، قادر علىٰ ما يشاء، بسط الأرض فدحاها، وأخرج ماءها ومرعاها، والجبال الشوامخ أرساها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، نوَّر النهار، وسيَّر الأنهار، وأنزل الأمطار، وكل شيء عنده بمقدار، عالِم الغيب والشهادة الكبير المتعال، نحمد الله علىٰ السراء والضراء، ونشكره علىٰ البؤس والنعماء، ونستهديه في الظلمة والضياء، له الحمد في الأولىٰ والآخرة، وله الحكم وإليه يرجعون، ونشهد أن لا إله غيره، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، خير الخلائق محتدًا وأرومة[(٢)]، وأمثلهم طريقة وجرثومة[(٣)]، وأبينهم شريعة وحكومة، خاتم النبوة، ومعدن الفتوة، ومنبع المروَّة، وناسخ الكتب المتلوَّة، مبلِّغ الكتاب المحكم، والخطاب المبرم، وسائق الجيش العرمرم، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه عداد القطر في البحار، والرمل في القفار.

---

(١) في الأصل مطموسة وأثبتها تخمينا.

(٢) المحتِد الأصل، وكذا المحفد والمحقد والمحكد كلها بالكسر (تاج العروس٨/ ٥)، وكان في الأصل: محتذا، بالذال المعجمة، وهو تصحيف، والأرومة: بالفتح في الهمزة وضمها: الأصل، والجمع أروم (تاج العروس٣١/ ٢٠٧).

(٣) الجرثومة بالضم أصل الشيء ومجتمعه (تاج العروس ٣١/ ٣٩٥).

يقول عبد الحميد بن عبد المجيد الحاكمي تجاوز الله عن سيئاته:

أما بعد: فإنَّ معرفة كلام الله تعالىٰ أولىٰ وأهم، والنفع بذخائرها أعلا وأعم، وقد تقاصرت هممنا عن ضبط ما طال من تأويل المتأولين، وضاق وسعنا عن الاقتفاء علىٰ أثر المتقدمين، لأنهم السابقون الأولون، طابت أكلتهم عن الريبة، وصفت ألسنتهم عن الغيبة، نشروا البدائع وضمهم اللحد الخراب، وأظهروا الجواهر وقد أخفاهم التراب، فنحن أبناء الزمان، وعرضة الحدثان، بنيل الحطام العاجل جلُّ سرورنا، ونبذنُا أمور الدين وراء ظهورنا، فلا نتفرغ إلىٰ العلم إلا فلتة، ولا نقتبس كنوز الكتب إلا بغتة، وميلنا إلىٰ القصار، والاختصار، ولا أرمي بهذا نفسي، ولا يعض لقمتي مثل ضرسي، ولا يحك ظهري مثل ظفري، وكل امرئ بسلعته أعرف.

وقد كنتُ فيما سلف من عمري، وعنفوان أمري، أتمنىٰ وقوفي علىٰ كتاب ملخَّص في معاني كلام الله جل ذكره؛ لأجعله عزة[١] لنفسي، عقيب درسي، وأتخذه مؤنسًا في وحشتي، وصاحبًا في وحدتي، فما وقفت علىٰ شيء نشبت فيه مخالب مُنْيَتي، ولا رعت في روضه مطية رغبتي، فأحببتُ أن أجمع لنفسي في ذلك ما يطمئن إليه قلبي، ويتبرَّد بنسيمه كبدي وخِلبي[٢]، فالتقطتُ من درر علماء التفسير يتيمتهم، وجلوت علىٰ عرش أوراقي بكرم الله كريمتهم، وأوردتُ من المعاني أزينها، ومن الأقوال أحسنها، ومن التأويل أنبذه، ومن اللفظ أوجزه، وجهدت في الإيضاح ما أطقت، وبالغت في الإيجاز ما استطعت، ومعاذ الله أن أذكر مقدرًا من رأيي كلمةً أو حرفًا، أو أتصرف فيه إلا اكتفاء وحذفًا.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) الخِلب -بالكسر-: حجاب القلب (تهذيب اللغة ٧/ ١٧٩).

وسميته: «تخليص الدرر».

ليكون اسمه موافقًا لمعناه، ولقبه مطابقًا لمبناه، وهذا المجموع يصلح لكل مبتدئ ومتناهي، للمبتدئ هداية، وللمنتهي كفاية، وإلىٰ الله أرغب في تتميم ما قصدته، وأستهديه الصواب فيما شرعته، إنه الحكيم التواب، الهادي طرق الصواب.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

الكلام في إعرابه الذي لابد منه على الإيجاز:

كسرت الباء لأنها حرف واحد، والحرف الواحد لا إعراب له، والإعراب للكلمة، والكلمة أقلها حرفان، فبقيت الباء ساكنة [لـ]ـتعذر الابتداء بها، فكان الوجه في حركتها النصب، لأنَّ النصب أخف الحركات، كواو العطف وألف الاستفهام، ولكن كسرت فرقًا بينها وبين ما هو اسم الحرف، كما يقال: كاف حسنة، ولام طويلة، فكان اسم الباء مضافًا إلى الاسم، فلهذا كسروها، فها هنا أضمر فيه الأمر، معناه: اِقرأ بسم الله، وقيل: اِبتدئ بعون الله وتوفيقه.

والباء حرف من حروف الصلة، تكسر الاسم، وترفع الخبر، وتقتضي خبرًا مقدمًا أو مؤخرًا، ظاهرًا أو مضمرًا، كقوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ وقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾.

وإنَّما سقطت الألف من «بسم الله» غير سائر الأسماء لأنها تقع في موضع معروف، وهو أوائل السور، وفواتح الكتب، فاستغنى القارئ عن قراءتها ومعرفتها، فاستخف طرحها، ومن شأن العرب الإسقاط فيما يكثر في كلامهم، كما يقال: إيش هذا، معناه: أي شيء، فحذفوا إعراب «أي»، وإحدى يائَيه، وحذفت الهمزة من «شيء»، وكسرت الشين وكانت مفتوحة، فهذا لكثرة استعمالهم ومعرفتهم به.

ولا يكون إسقاط الألف من الاسم إلا إذا ذكرت مع الله، حتى لو قيل: باسم السميع، و[بـ]ـاسم العليم، لا يحذف.

ولا يحذف إلا مع حرف الباء، وإن كانت تلك الصفة حرفًا واحدًا، كما يقال: لاسم الله حلاوة، ولا يحذف الألف، ولو قيل: ليس اسم كاسم الله لا

يحذف الألف، فافهم الكلام في معناه[١].

وتأويله: قيل: «باسم» الباء بهاء الله وبركته وبلاؤه، وابتداء اسمه: بارئ، والسين: سناء الله وسموه، وابتداء اسمه: سميع، والميم: مجد الله وملكه ومِنَّته علىٰ عباده، وابتداء اسمه: مجيد[٢].

﴿ٱللَّهِ﴾ الذي أَله الخلق عن درك ماهيته[٣] والإحاطة بكيفيته.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٢، معاني القرآن للزجاج ١/ ٣، الكشف والبيان للثعلبي ٢/ ٢٧٨، الهداية لمكي ١/ ٩٣، البسيط للواحدي ١/ ٤٣٨، الكشاف ١/ ٣٥.

(٢) هذا تفسير الكلبي بروايته عن ابن عباس، انظر: تنوير المقباس ٢. وهو تفسير موضوع علىٰ ابن عباس.
واستخراج المعاني من الحروف علىٰ هذه الطريقة التي سماها المصنف تأويلا هي من التفسير الإشاري، ولذا فقد ذكر مثل هذا التستري في تفسيره ٢٢، والقشيري (في لطائف الإشارات١/ ٤٤).
وربما استدل بعضهم علىٰ ذلك بحديث مروي، وهو حديث أبي سعيد قال:
قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إن عيسىٰ ابن مريم أسلمته أمه إلىٰ الكتاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب: بسم، فقال له عيسىٰ: وما بسم؟ فقال له المعلم: ما أدري، فقال عيسىٰ: الباء بهاء الله، والسين: سناؤه، والميم: مملكته».
رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ١٢١، والثعلبي في الكشف والبيان ٢/ ٢٨٤، وهذا حديث موضوع لا اصل له عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وإنما هذا من رواية جويبر عن الضحاك من قوله، كذا رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٥).
ثم هو غلط في التفسير، قال ابن جرير (في التفسير ١/ ١٢٢): فأخشىٰ أن يكون غلطا من المحدث، وأن يكون أراد [ب س م]، علىٰ سبيل ما يعلم المبتدئ من الصبيان في الكتاب حروف أبي جاد، فغلط بذلك، فوصله، فقال: بسم، لأنه لا معنىٰ لهذا التأويل إذا تلا بسم الله الرحمن الرحيم، علىٰ ما يتلوه القارئ في كتاب الله، لاستحالة معناه علىٰ المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها، إذا حمل تأويله علىٰ ذلك.

(٣) في الأصل: ما بينه، وهو تصحيف لا معنىٰ له.

ويقال: الله ممسك الأرواح في الأجسام، والأولاد في الأرحام.

واختلفوا في كونه مشتقًا أو غير مشتق:

قيل: اشتقاقه من أَلِهَ الرجلُ يَألَهُ إذا فزع إلىٰ أحد من أمر نزل به؛ فألَّهَه أي: أجاره وأمَّنه، فسمِّيَ إلـٰهًا، كما يسمىٰ الرجل إمامًا إذا أمَّ الناس فأتموا به[1].

قال الخليل: أصله وله يوله، والعرب تقلب الألف واوًا، كما يقال: وِشاح وَشاح، ووسادة وَسادة، فالخلق والهٌ إليه، وهو المولَّه إليه، وكل من صبا إلىٰ شيء وغلب عليه حبه قيل: وَاله[2].

وزعم المبرد وقطرب أنه غير مشتق، أي: مفزع إليه، وهو اسم علم وضع للرب جل ذكره، إذ لو كان مشتقًا من وَلَه لجاز أن يقال لكل من وُجِد منه ذلك المعنىٰ إلـٰهًا أو الله؛ فلما لم يجز دلَّ أنه تفرَّد به الباري إشارة إلىٰ عظمته وجلاله[3].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ هما من الرحمة، والرحمة من الله تعالىٰ إرادة الخير بعباده[4].

---

(١) زاد المسير ١/ ١٦.

وسيعيد المصنف المسألة في آخر الكتاب، في تفسير سورة الإخلاص.

(٢) الكشف والبيان ٢/ ٢٩٥، البسيط ١/ ٤٤٨.

(٣) البسيط ١/ ٤٤٨.

(٤) تفسير الرحمن والرحيم بإرادة الخير بالعباد من تأويل هذه الصفة، ومن صرفها عن معناها الظاهر المعروف في لسان العرب إلىٰ بعض لوازمها، وهذا هو مسلك المتكلمين، والمصنف جرىٰ عليه في الغالب، وأهل السنة والجماعة علىٰ إثبات هذين الاسمين الجليلين، اللذين هما علىٰ زنة: فعلان وفعيل من رَحِم، فهما اسمان مشتقان من الرحمة، يدلان علىٰ اتصافه بها، من غير تشبيه ولا تكييف ولا تأويل.

وسيأتي عنه إثبات صفة الرحمة من غير تأويل.

فالرحمَٰن للمبالغة في الرحمة.

قال الفرَّاء: الرحمَٰن مَا رحم الله من الجبلة الأولين الماضين، والرحيم ما يرحم الله البواقي من الأمم الجائية[١].

وقال قطرب: هما اسمان جُمِعَا علىٰ جهة التوكيد، كما يقال: ندمان ونديم.

وقيل: الرحمَٰن: هو العاطف علىٰ البَرِّ والفاجر، بإنزال الرزق عليهم، ودفع الآفات عنهم.

والرحيم: المتحنن علىٰ المؤمنين خاصة بالمغفرة لذنوبهم، وإدخالهم الجنة[٢]، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والفرق بين الرحمن والرحيم -في المشهور-: أنه تعالىٰ بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه، إما في كل الأحوال، وإما في بعض الأحوال (تفسير الطبري ١/ ١٢٨-١٢٩).

(١) في الأصل: جانبه، ولا معنىٰ لها، والظاهر أن الذي أثبته هو الصواب، وهذا القول عن الفراء لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

(٢) وهذه المعاني التي ذكرها ترد علىٰ ما ذكره أولاً من تأويل الرحمة بإرادة الخير، فتأمل، وسيأتي تفسيره الرحمن بالعاطف، وذلك في سورة الفاتحة، وهو خلاف تأويله الذي قدم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفاتحة

سبع آيات[١]، مدنية[٢].

قوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أدخل الألف واللام لمعنيين:

أحدهما: الجنس، أي: كل الحمد لله، وغيره لا يستحق الحمد.

والثاني: الإشارة إلىٰ الحمد الذي حَمد اللهُ تعالىٰ نفسه ذلك الحَمْد له كما حَمد، فأمر العباد بموافقة نفسه، وبحُسن[٣] حمد نفسه من الله تعالىٰ لأن المراد تعريف العباد، حتىٰ يعرفوا كيف يحمدوا الرب، ولو لم يعرفهم لا يعرفوا، فإنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مع كمال فصاحته أقر بالعجز عند إرادة الثناء، فقال: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»[٤].

ويعني قوله «الحمد لله» أي: الشكر لله بنعمه السوابغ علىٰ المؤمنين أن هداهم للإسلام.

والحمد سبب دوام النعمة، وعلامة استحقاق المزيد، والأمر فيه مضمَّن، معناه: قل الحمد لله، وقد بيَّن في آية أخرىٰ[٥].

---

(١) بلا خلاف، كما في البيان في عد آي القرآن ١٣٩.

(٢) في نزولها اختلاف، فقيل مكية وقيل مدنية، انظر: الكشف والبيان ٢/ ٢٥٥، البيان في عد آي القرآن ١٣٩، زاد المسير ١/ ١٧.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الأولىٰ: ويحسن حمد نفسه..

(٤) كما في حديث عائشة في صحيح مسلم (٤٨٦).

(٥) مثل قوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [سورة النمل:٥٩].

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ خالق كل زوج دبَّ علىٰ وجه الأرض ومن أهل السماء، وواحدُ العالمين: عالَم، ولا واحِد لعالم في لفظه[1].

وقيل: إنَّ لله تعالىٰ ثمانية عشر ألف عالَم سوىٰ الإنس والجن[2].

ومعنىٰ: العالَم ما يُعلم به، كالخاتَم ما يختم به، والطابع ما يطبع به، ومعناه: أن كل شيء نظرت إليه أو فكرت فيه تستدل به علىٰ الصانع[3].

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قيل: الرحمن العاطف بجميع الخلق والرحيم بأوليائه.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قاضي يوم الحساب والجزاء، ثم عدل عن المغايبة إلىٰ المخاطبة فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لك نوحد ولك نطيع ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ أي: بك نستعين علىٰ طاعتك.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ أي: عرِّفنا الدين المختار المرضي عندك[4]، وهو دين الأنبياء والمرسلين.

وقيل: ثبتنا، وقيل: أرشدنا إلىٰ الإسلام.

الصراط المستقيم هو القرآن، يعني: اهدنا إلىٰ حلاله وحرامه وبيان ما فيه.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مننت عليهم بالنبوة ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ غير دين اليهود الذين غضبتَ عليهم فلم تحفظ قلوبهم حتىٰ تهودوا[5].

---

(١) كالأنام والرهط والجيش ونحوها، (الكشف والبيان ٢/ ٣٨٨).

(٢) وذلك مروي في حديث موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢/ ٣٨٩. ونقل الثعلبي عن بعض المفسرين أقوالاً أخرىٰ في مبلغ عددهم.

(٣) الكشف والبيان ٢/ ٣٩٣، البسيط للواحدي ١/ ٤٨٩، تفسير القرطبي ١/ ١٢١.

(٤) في الأصل: عنك.

(٥) في الأصل: تهودا.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ أي: دين الذين ضلوا عن الإسلام، وهم النصارىٰ.

وغضب الله علىٰ اليهود مرتين: مرة حين عبدوا العجل، والثانية حين كذَّبوا محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم.

وهذه السورة فُتِحَتْ: بالحمد وخُتِمَتْ: بالضالين، فتكون مقبلة علىٰ الهدىٰ، مدبرة عن الضلالة.

قال عبد الحميد بن عبد المجيد: بلغنا أنَّ إبليس لعنه الله رنَّ ثلاث رنَّات، أولها: حين أهبط آدم من الجنة.

والثانية: حين ولد عيسىٰ من عُزَّاب.

والثالثة: حين أعطىٰ هذه الأمة فاتحة الكتاب[1]، فرنتاه الأوليان من الفرح، والثالثة من الغم والحسد، لما علم من لطف الله تعالىٰ بهذه الأمة.

وقوله: «آمين»: دعاء للقارئ[2] حين سأل ربه الإجابة فقال: اللهم اسمع واستجب.

---

(١) روىٰ ابن الضريس في فضائله (١٥٦) عبد الواحد بن زياد، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: «لما نزلت الحمد لله رب العالمين شق علىٰ إبليس مشقة عظيمة شديدة، ورن رنة شديدة، ونخر نخرة شديدة». قال مجاهد: «فمن رن أو نخر فهو ملعون» وروىٰ نحوه (١٥٨) عن عبد العزيز بن رفيع.
وروىٰ أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٩٩) من طريق أخرىٰ عن مجاهد قال: «رنَّ إبليس أربعا: حين لعن، وحين أهبط، وحين بعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وقد بعث علىٰ فترة من الرسل، وحين أنزلت الحمد لله رب العالمين وأنزلت بالمدينة، وكان يقال: الرنة والنخرة من الشيطان، فلعن من رن أو نخر».

(٢) في الأصل: لقارئ.

السورة التي تذكر فيها البقرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلها مدنية[١]، وهي مائتان وست وثمانون آية[٢].

قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ قال ابن عباس: أنا الله أعلم.

وقيل: إن لكل كتاب سرًا وسر القرآن حروف التهجي في فواتح السور متفرقة[٣]، فإذا جمعت صارت اسمًا من أسماء الله تعالىٰ، مثل: الر، وحم، ونون، فإذا جُمِعَتْ صارت اسم الرحمن.

وقيل: قَسَم أقسم الله به، كأنه قال: بالأول اللطيف المجيد[٤].

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ يعني: هذا الكتاب، و«هذا» و«ذلك» يتعاقبان، كقوله في آية أخرىٰ ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ﴾ أي: ذلك الكتاب هو القرآن الذي وعدتك أُنزل عليك[٥].

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣/ ٧، زاد المسير ١/ ٢٤.

(٢) في الكوفي، وسبع في البصري، وخمس في المدنيين والمكي والشامي، البيان في عد آي القرآن ١٤٠.

(٣) كذا وقع في الأصل، ويظهر أنه سقط علىٰ الناسخ شيء، فخلط قولين في قول، ذلك لأن في الحروف المقطعة عدة أقوال، منها قول: أن لكل كتاب سر وسر القرآن حروف التهجي، ومنها -وهو قول آخر-: أن هذه الحروف تدل علىٰ أسماء لأنها حروف من أسماء فإذا جمعت صارت اسما.. انظر: تفسير الماوردي ١/ ٦٣، زاد المسير ١/ ٢٥.

وعلىٰ القول بأنها من الأسرار فتكون من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، انظر: تفسير الطبري ١/ ٢٠٥، الكشف والبيان ٣/ ١٩.

(٤) وهو قول ابن عباس في رواية علي (تفسير الطبري ١/ ٢٠٧).

(٥) معاني القرآن للفراء ١/ ١٠.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك، ولا ينبغي أن يشك فيه.

وقيل: أراد به النهي، أي: لا ترتابوا فيه[(١)].

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ أي: رشدًا للخائفين، والمتقي: الذي نُزِع من قلبه حب الشهوات[(٢)].

وقد فسرهم الله فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يُقِرُّون بغيب القرآن أنه من الله، فيؤمنون بحِله وحرامه ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة في مواقيتها بشرائطها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم من المال ﴿يُنفِقُونَ ۝٣﴾ يتصدقون علىٰ المستحقين.

ثم زاد في وصف المتقين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: عليك، يعني: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ سائر الكتب كالتوراة والإنجيل والزبور ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ﴾ التي فيها جزاء الأعمال ونعيم الجنة ﴿هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ يصدقون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الصفة ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ أي: رشد وبرهان ﴿مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ الباقون أبدًا في الجنة والثواب، والفلاحُ في اللغة هو البقاء والظفر والنجاة والسعادة والأمن.

ثم وصف الكافرين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: كتموا نعتك وصفتك في التوراة، وجحدوا نبوتك ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ أي: مستوٍ عندهم الإنذار وترك الإنذار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ أي: لا يظهرون نعتك وصفتك، وأراد به إيمان الحال، لأن بعضهم آمن بَعْدَ ذلك[(٣)].

---

(١) ذكره أبو الليث في تفسيره ١/ ٢٢. وبهذا يجاب عن الإيراد الذي أورده بعضهم بأنه قد شك فيه أمم.

(٢) كلام أهل التأويل الذي رواه ابن جرير دائر علىٰ أن المتقي من تجنب الحرمات وأدَّىٰ الفرائض (تفسير الطبري ١/ ٢٣٢).

(٣) وهذا بناء علىٰ قول الكلبي: إنها نزلت في رؤساء اليهود (تفسير أبي الليث ١/ ٢٤).

و«سواء»: مصدر أقيم مقام الفاعل.

والإنذار ضد البشارة، وهو مقدمة الوعيد[١].

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بنياتهم الخبيثة، غطَّىٰ عليها وطبع كي لا تعي الحكمة، والعبد إذا عصىٰ ربه ركَّب علىٰ قلبه ظلمه كهيئة الدخان، كلما زاد معصية زيد في قلبه الظلمة، حتىٰ يصير كأنه في غطاء[٢].

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ أي: غطاء، فصاروا كمن لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر، ذكر السمع بلفظ الوحدان وأراد به الجمع، كقوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾.

المعنىٰ: لمَّا لم ينظروا في آيات الله وخلقه وفي أنفسهم جازاهم بذلك، وقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ أي: وافر شديد.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٧٧.

(٢) ودليله حديث ربعي، عن حذيفة، قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي صلىٰ الله عليه وسلم يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت لله أبوك.

قال حذيفة: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «تُعرض الفتن علىٰ القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتىٰ تصير علىٰ قلبين، علىٰ أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مِربادا كالكوز، مُجَخِّيا لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه» الحديث.

قال أبو خالد: فقلت لسعد: يا أبا مالك، ما أسود مِربَاد؟ قال: «شدة البياض في سواد»، قال: قلت: فما الكوز مُجَخِّيًا؟ قال: «منكوسًا»، رواه مسلم ١٤٤.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ وحَّد فعل الجمع لأنه ذكر بكلمة «مِن»، وأنها تصلح للتثنية والجمع، كقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾[١].

والآية نزلت في المنافقين إلىٰ ثلاثة عشر آية، المعنىٰ: من الناس ناس يقولون صدقنا الرسول بقلوبنا بما تلا علينا من آيات الله[٢].

﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي: البعث، وهو آخر أيام الدنيا ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ أي: ليسوا بمصدقين.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ قال ابن عباس: يكذبون الله[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قيل: ليس أحد يقصد مخادعة الله، ولكن لما قصدوا المخادعة للمؤمنين -وهم أولياء الله- أضاف الله المخادعة إلىٰ نفسه لعظم قدرهم عنده، كقوله: ﴿إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ أي: تنصروا دين الله بنصرة أوليائه ينصركم، وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[٤].

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[٥] لأنَّ وبال ذلك راجع إليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ أي: لا يعلمون أن الله مطَّلِع علىٰ سرهم.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك ونفاق، سمَّىٰ النفاق مرضًا لأنَّ المريض متردد بين الموت والحياة، والمنافق متردد بين الكفر والإسلام ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ علىٰ وجه الدعاء.

---

(١) البسيط ٢/ ١٢٧.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٦٩، تفسير أبي الليث ١/ ٢٦.

(٣) وذلك في تفسير الكلبي عنه، كما في تنوير المقباس ٤، تفسير أبي الليث ١/ ٢٦.

(٤) انظر: البسيط ٢/ ١٣٤.

(٥) في الأصل: «يُخادعون»، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو (النشر ٢/ ٢٠٧).

وقيل: علىٰ وجه الجزاء لأنه ذُكر بالفاء[١].

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ أي: مؤلم موجع ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠﴾[٢] أي: بتكذيبهم الرسول والقرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بتعويق الناس عن دين محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١﴾ أي: هو مداراة منَّا، نأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، آمنا بالرسول ونحن علىٰ دين اليهود، ولا دين إلا دين اليهودية، فكذَّبهم الله تعالىٰ فقال:

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ غير المصلحين ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾ أنهم كذلك، أو لا يشعرون أنَّ الله تعالىٰ يُطلع رسوله علىٰ ذلك.

«ألا»: كلمة تنبيه معناه اعلم[٣].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ يعني: قيل لليهود تابعوا الرسول وصدقوا بنبوته كإيمان عبد الله بن سلام ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾ استفهام بمعنىٰ الجحد، أي: لا نقر به كفعل الجُهَّال منَّا؛ عبد الله وغيره.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ اعلم أنَّهم السفهاء الأغبياء، والسفه: خفة الحلم.

﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ۝١٣﴾ أنهم كذلك وما يحلُّ بهم في الآخرة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٩٧.

(٢) في الأصل: «يكذِّبون»، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين (النشر ٢/ ٢٠٧).
قال الزجاج (في معاني القرآن ١/ ٨٧): من قرأ بالتخفيف فإن كذبهم قولهم أنهم مؤمنون، وأما بالتثقيل فمعناه بتكذيبهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١/ ٨٨، الكشف والبيان ٣/ ١٠٩، البسيط ٢/ ١٦٠.

«لكن»: مأخوذ من ثلاثة أحرف، «لا» للنفي، و«إن» للتحقيق، و«الكاف» للمخاطبة[١].

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني: عبد الله بن سلول وأصحابه، رأوا أبا بكر وعمر وعليًّا.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ كإيمانكم سرًا وجهرًا ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ رؤسائهم وكهنتهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ على دينكم في السر ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ ساخرون بمحمد وأصحابه بإظهار الإيمان.

﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ أي: يجازيهم جزاء استهزائهم، حين يُفتح لهم باب من الجنة في النار فإذا قصدوا إليه صُرِفُوا عنه[٢].

﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ يتركهم في كفرهم ﴿يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ يترددون تردد الأعمى في طريقه[٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ اختاروا اليهودية على الإسلام. يقال لمن ترك شيئًا وتمسك بغيره: قد اشترى ذلك، وإن لم يكن هناك شِرَاء.

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي: لم يربحوا فيها، أضيف الربح إلى التجارة، كما يقال: فلان ليله نائم ونهاره صائم، أي: ينام فيه ويصوم فيه[٤].

---

(١) البسيط ٢/ ١٥٨، وقال: «ومعناها: استدراك بإيجاب بعد نفي أو نفي بعد إيجاب»، ونوقش في بعض ذلك.

(٢) وهذا من تفسير الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ١/ ٢٩.

ولابن جرير كلام طويل في الرد على من قال إنه لم يكن منه تعالى استهزاء ولا مكر ولا خديعة بهم، وأن ذلك كان على وجه الجزاء، طالعه في تفسيره ١/ ٣٠٤.

(٣) البسيط ٢/ ١٧٦.

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ١٥، البسيط ٢/ ١٧٦.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهۡتَدِينَ ۝١٦﴾ من الضلالة، أي: ما صابروا[(١)].

﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا﴾ أي: شبههم كشبه الذي كان في مفازة في ليلة مظلمة يخاف السباع، فأوقد نارًا ليأمن بها علىٰ نفسه، وهذا مثل إيمانهم برسول الله قبل خروجه والاستنصار به علىٰ أعدائهم.

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾ أي: بُعِثَ محمدٌ بمكة وقَدِمَ المدينة ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ أبطل الله منفعة إيمانهم به قبل مبعثه ﴿وَتَرَكَهُمۡ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ اليهودية ﴿لَّا يُبۡصِرُونَ ۝١٧﴾ الهدىٰ.

وقيل: ظلمات ثلاث: ظُلمة الكُفر، وظُلمة الشك، وظُلمة الشهوات.

﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ﴾ أي: صُم بآذان قلوبهم، وبُكم بألسنة قلوبهم، لا يسمعون الحق ولا يعقلونه.

وقيل: يتصاممون ويتباكمون ويتعامون.

﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝١٨﴾ عن الضلالة.

﴿أَوۡ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كلمة «أو» هاهنا للإباحة، لا للشك[(٢)]، أي: مثلهم كمثل من ابتلي بمطر في ليلة ظلماء.

﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ ثلاث، ظُلمة الليل وظُلمة المطر وظُلمة السحاب، فالمطر هو القرآن، إنَّ في المطر حياة الأرض، وفي القرآن حياة القلب.

﴿وَرَعۡدٌ وَبَرۡقٌ﴾ فالرعد: مثله تخويف الله تعالىٰ إياهم، ووعيده علىٰ كُفرهم، والبرق: ما يتبين لهم من ظهور الإسلام وغلبة أهله[(٣)].

---

(١) كذا في الأصل، ويظهر أنه مصحف، إذ لا معنىٰ له، والمذكور هنا -مما يقرب من هذا التصحيف-: مصيبين، أي ما كانوا مصيبين، كذا ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ١٣١.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ١٣، البسيط ٢/ ١٩٨.

(٣) تفسير أبي الليث ١/ ٣٢.

﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ كما أنَّ المسافر عند هذه الأفزاع يجعل أصبعيه في أذنيه؛ كذلك المنافق عند نزول القرآن وتخويف الله وزجره يجعل إصبعيه في أذنيه؛ كي لا يميل قلبه إليه ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ أي: علمه وعذابه محيط بهم[1].

﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾ أي: كما أنَّ البرق في المطر يكاد يذهب بأبصار المسافرين؛ كذلك النور الذي يتراءىٰ في قلب المنافق كاد أن يخطف بصر قلبه؛ فيأخذه إلىٰ الله عز وجل ليقبل دينه[2].

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ البرق في سفرهم.

﴿مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ فكذلك المنافق؛ كلما سمع من القرآن أراد أن يؤمن به.

﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ أي: إذا سكت القارئ بقي المنافق متحيرًا.

وقيل: أضاء لهم في الدنيا، فإذا مات بقي في ظُلمة الكفر.

وقيل: إذا رأىٰ نكبة المؤمنين مثل يوم أُحُد وغيره بقي المنافق متحيرًا[3].

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ﴾ أي: بسمع رؤوسهم وأبصارها؛ كما ذهب بسمع قلوبهم وأبصارها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ قادر علىٰ إذهاب البصر والسمع وغيره، حتىٰ لا يغتروا بالمُهلة وصحة الأجسام.

---

(١) ونحو هذا في تفسير أبي الليث١/ ٣٢ فقد قال: أي عالم بأعمالهم، والإحاطة هي إدراك الشيء، والذي عليه أهل التأويل هو ما قال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم، واختاره ابن جرير وقال: أي: جامعهم، فمحل بهم عقوبته (تفسير الطبري ١/ ٣٥٦، تفسير السمعاني ١/ ٥٤).

(٢) وهذا النور هو حجج القرآن (البسيط ٢/ ٢١٢).

(٣) تفسير الطبري ١/ ٣٥٩، تفسير أبي الليث ١/ ٣٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي: يا هؤلاء الناس وحِّدوا ربكم، وأطيعوا سيدكم بما أمركم ونهاكم[١].

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ في بطون أمهاتكم نُطفًا وعلقًا ومضغًا، على اختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: تتقوا المعصية وتنجوا من السخط.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ مهادًا ومنامًا ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ أي: مبنيًا، أقيم المصدر مقام المفعول[٢].

---

(١) تفسير العبادة بالتوحيد والطاعة جادة عند المفسرين، وينقلون عن ابن عباس في كليات القرآن قوله: «كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد».
وهذا هو الموضع الأول الذي ذكر فيه ابن جرير الأمر بإفراد الربوبية والعبادة لله تعالىٰ.
فقال ابن جرير: أمر جل ثناؤه الفريقين... بالاستكانة، والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة، لأنه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم من آبائهم وأجدادهم، وخالق أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم، فقال لهم جل ذكره: فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم، وهو يقدر علىٰ ضركم ونفعكم أولىٰ بالطاعة ممن لا يقدر لكم علىٰ نفع ولا ضر، وكان ابن عباس -فيما روي لنا عنه- يقول في ذلك نظير ما قلنا فيه، غير أنه ذُكر عنه أنه كان يقول في معنىٰ «اعبدوا ربكم»: وحدوا ربكم، وقد دللنا -فيما مضىٰ من كتابنا هذا- علىٰ أن معنىٰ العبادة: الخضوع لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة، والذي أراد ابن عباس -إن شاء الله- بقوله في تأويل قوله: «اعبدوا ربكم» وحدوه، أي: أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه.
(وانظر: تفسير أبي الليث ١/ ٣٣، تفسير السمعاني ١/ ٥٦، معالم التنزيل ١/ ٧١).
وقال أبو الليث: هذه الآية عامة، وقد تكون كلمة «يا أَيُّهَا النَّاسُ» خاصة لأهل مكة وقد تكون عامة لجميع الخلق، فهاهنا «يا أَيُّهَا النَّاسُ» لجميع الخلق، يقول للكفار: وحدوا ربكم، ويقول للعصاة: أطيعوا ربكم، ويقول للمنافقين: أخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم، ويقول للمطيعين: اثبتوا علىٰ طاعة ربكم، واللفظ يحتمل هذه الوجوه كلها، وهو من جوامع الكلم..

(٢) الدر المصون ١/ ١٩٢.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: السحاب.

﴿مَآءً﴾ المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾ أي: بالمطر ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بألوانها.

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ طعامًا لكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: لا تصفوا الله أمثالاً من الأصنام ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أنه الخالق دون أصنامكم.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد، وتقولون: إنه اختلقه ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: مثل القرآن[١].

وقيل: من آدمي مثل محمد[٢].

﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ استعينوا برؤسائكم علىٰ إتيان مثلها ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ في دعواكم أنه[٣] يقول مِن ذات نفسه.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ولم تقدروا علىٰ إتيان مثله في ماضي الزمان، وكنتم أعجز في مستقبل الزمان، فقد ثبت عندكم أنَّ القرآن من عند الله تعالىٰ؛ وجب عليكم الإيمان به.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ أي: احذروها وآمنوا، فإن لم تؤمنوا أُدخلتم النار.

﴿ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أي[٤]: حطبها بنو آدم وحجارة الكبريت، وإنما خص الكبريت فيه لسرعة وقوده، وبُطْءِ خموده، ونتن رائحته، وشدة حره والتصاقه بالبدن[٥].

---

(١) وهو قول قتادة ومجاهد، ورجحه ابن جرير (تفسير الطبري ١/ ٣٧٤).

(٢) تفسير الطبري ١/ ٣٧٤، تفسير أبي الليث ١/ ٣٤.

(٣) في الأصل كرر أنه مرتين.

(٤) في الأصل: أن، وهو تصحيف.

(٥) وهو مروي عن ابن مسعود كما في تفسير الطبري ١/ ٣٨١.

﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ أي: هيأت.

فلما خوفهم فلما يخافوا ولم يؤمنوا؛ وخاف المؤمنون؛ فبشَّرهم الله تعالىٰ فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: فرِّح يا محمد قلوب المؤمنين ﴿أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ تجري الأنهار من تحت أشجارها وظللها.

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا﴾ أي: من الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا﴾ أي: أطعموا أبكارًا[١] وعشيًا ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾ في أول النهار، ظنُّوا أنَّ ما أتىٰ إليهم هو الذي قد رُفع من بين أيديهم.

وقيل: الذي رزقنا في الدنيا قبل الموت[٢].

﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾ في المنظر، مختلفًا في الطعم.

وقيل: كلها جيد ليس فيها رديء[٣].

﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ﴾ في الجنة ﴿أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ جوارٍ مهذبةٌ في الخَلْق والخُلُق، لا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن إلىٰ غير أزواجهن، طهرت من كل عيب ودنس.

﴿وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ أحياء دائمون مع هذه الكرامات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ﴾ الاستحياء في هذا[٤] الترك، أي: أنَّ الله لا يترك الحق حتىٰ يصف له شبهًا ببعوضة[٥].

---

(١) جمع صحيح لبُكرة (كما في تاج العروس ١٠/ ٢٣٦).

(٢) وكلا القولين مرويين عن أهل التأويل (تفسير الطبري ١/ ٣٨٦، تفسير أبي الليث ١/ ٣٦).

(٣) أي يشبه بعضه بعضا في الجودة، وليس فيه رديء (تفسير أبي الليث ١/ ٣٦).

(٤) في الأصل: هو، والصواب ما أثبت.

(٥) أي: أنه تعالىٰ لا يمنعه الحياء فيترك لأجل ذلك ضرب الأمثال، والمعنىٰ: لا يستنكف، وقيل: لا يخشىٰ أن يضرب مثلاً ما صغيرًا كان أو كبيرًا.

﴿فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ أي: أكثر منها.

وقيل: ما فوقها أي: دونها، وهو اختيار الزجاج وأبي عبيدة(١).

المعنىٰ: كيف يستحي أن يضرب بها المثل، والخلق لو أجمعوا علىٰ أنْ يخلقوا بعوضة لا يقدروا عليها.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدَّقوا ﴿فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾ أنَّ المثل المضروب صدقٌ من الله تعالىٰ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من اليهود وغيرهم ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ﴾ أيُّ شيء ﴿أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ الذي ضرب ﴿مَثَلٗاۘ﴾.

وهذه الآية تفسر بمعرفة سبب نزولها، وحاصل ما رواه ابن جرير وغيره: أن الله عز وجل لما ضرب المثلين للمنافقين قالوا: الله أعلىٰ وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية (تفسير الطبري ١/ ٣٩٩).

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٥، معاني القرآن للزجاج ١/ ١٠٤، لكنه جعل القولين مختارَين.

وقال الفراء (في معاني القرآن ١/ ٢١): «فالذي «فوقها» يريد أكبر منها، وهو العنكبوت والذباب، ولو جعلت في مثله من الكلام «فما فوقها» تريد أصغر منها لجاز ذلك، ولست أستحسنه لأن البعوضة كأنها غاية في الصغر، فأحب إليَّ أن أجعل «فما فوقها» أكبر منها؛ ألا ترىٰ أنك تقول: يعطىٰ من الزكاة الخمسون فما دونها، والدرهم فما فوقه فيضيق الكلام أن تقول: فوقه فيهما، أو دونه فيهما.

وأما موضع حسنها في الكلام فأن يقول القائل: إن فلانًا لشريف، فيقول السامع: وفوق ذاك يريد المدح. أو يقول: إنه لبخيل، فيقول الآخر: وفوق ذاك، يريد بكليهما معنىٰ أكبر، فإذا عرفت أنت الرجل فقلت: دون ذلك فكأنك تحطه عن غاية الشرف أو غاية البخل، ألا ترىٰ أنك إذا قلت: إنه لبخيل وفوق ذاك، تريد فوق البخل، وفوق ذاك، وفوق الشرف، وإذا قلت: دون ذاك، فأنت رجل عرفته فأنزلته قليلا عن درجته. فلا تقولن: وفوق ذاك، إلا في مدح أو ذم».

قلت: واختيار ابن جرير أنَّ المراد فما هو أكبر منها، لأجل ما ورد عن أهل التأويل أن البعوضة أضعف خلق الله (تفسير الطبري ١/ ٤٠٥).

أجابهم الله تعالىٰ، وقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ أي: يخذل به من الخلق كثيرًا ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ من المؤمنين.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ أي: لا يُحرَم من فهم هذا المثل إلا الناقضين للعهد من اليهود.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ أُمروا بأن يؤمنوا بجميع الأنبياء؛ فآمنوا بالبعض وكفروا بالبعض.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ معنىٰ صلة الأرحام التي بينهم وبين رسول الله، لأنهم من أولاد إسحق ورسول الله من أولاد إسماعيل[1].

وقيل: أراد به صلة الإيمان.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ هلك رأس مالهم وهو العمر.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ استفهام بمعنىٰ التعجب، والتعجب من الله تعالىٰ هو الإنكار لصنيعهم وهو الكفر بعد قيام الحجة عليهم[2].

---

(١) وهذا علىٰ أن الآيات نزلت في اليهود (تفسير الطبري ١/ ٤١٠، تفسير أبي الليث ١/ ٣٨) ورجح ابن جرير أن الآية نزلت في فساق الأحبار الذين كانوا علىٰ عهد النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ومن كان علىٰ شركه من أهل النفاق.

(٢) نص كلام الفراء (في معاني القرآن١/ ٢٤): «علىٰ وجه التعجب والتوبيخ لا علىٰ الاستفهام المحض، أي: ويحكم كيف تكفرون، وهو كقوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦﴾ [سورة التكوير:٢٦]». واستطرد المؤلف هنا ففسر التعجب -الوارد في صفات الله- ببعض لوازمه، وهذه من الصفات التي ثبتت لله عز وجل بنص الكتاب، كما سيأتي في سورة الصافات، عند قوله تعالىٰ ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ١٢﴾ [سورة الصافات:١٢] وفُسِّر: بأنه تكبير الشي وتعظيمه لدىٰ المتكلم، فالمعنىٰ: عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا (تفسير الطبري ٢١/ ٢٣). ومعنىٰ

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ كنتم نُطفًا فنفخ الروم فيكم.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث، فهما حياتان وموتتان ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ في القيامة للمحاسبة، فيجزيكم جزاء أعمالكم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعني: يحييكم ويجزيكم الذي خلق من أجلكم جميع الأشياء.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الاستواء على أربعة أوجه: استقام، وقصد، واستولىٰ، وصعد وعلا.

قال أهل التفسير: استوىٰ أي: عمد وقصد إلىٰ تخليق السماء[1].

الآية هنا: عظم عندي كفركم بالله وهو الذي خلقكم، ولا شك أنه يلزم منه الإنكار، فالانكار بعض لوازم التعجب، وليس كل ما يدل عليه.

قال ابن جرير: «قوله جل ذكره ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [سورة البقرة:٢٨] توبيخ مستعتب عباده، وتأنيب مسترجع خلقه من المعاصي إلىٰ الطاعة، ومن الضلالة إلىٰ الإنابة، ولا إنابة في القبور بعد الممات، ولا توبة فيها بعد الوفاة».

(١) هذا قول أهل اللغة لا أهل التفسير.

قال الفراء (في معاني القرآن١/ ٢٥): «الاستواء في كلام العرب علىٰ جهتين: إحداهما أن يستوي الرجل وينتهي شبابه، أو يستوي عن اعوجاج، فهذان وجهان.

ووجه ثالث أن تقول: كان مقبلاً علىٰ فلان ثم استوىٰ عليَّ يشاتمني وإليَّ سواء، علىٰ معنىٰ أقبل إليَّ وعليَّ فهذا، معنىٰ قوله: «ثم استوىٰ إلىٰ السماء» والله أعلم.

وقال ابن عباس: ثم استوىٰ إلىٰ السماء: صعد، وهذا كقولك للرجل: كان قائمًا فاستوىٰ قاعدا، وكان قاعدا فاستوىٰ قائما، وكل في كلام العرب جائز».

وقال السمعاني (في تفسيره ١/ ٦٣): «قال ابن عباس وأكثر المفسرين من السلف: أي ارتفع وعلا إلىٰ السماء».

والسماء هاهنا السماوات لأنَّه قال: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾ أي: خلقهنَّ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾ عالم بجميع ما خلق وأعمالهم.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إذ معناها الوقت.

المعنىٰ: واذكروا ابتداء خلقكم حين قلنا للملائكة الذين كانوا في الأرض[(١)].

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ﴾ سِوَاكم، ورافعكم إلىٰ السماء[(٢)].

﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[(٣)].

وأولىٰ المعاني عند ابن جرير: «علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سماوات».

(١) هذا مما يتكرر في القرآن كثيرًا، وفي سورة البقرة علىٰ جهة الخصوص.
قال الزمخشري (في الكشاف ١/ ١٢٤): «إذ نصب بإضمار: اذكر، ويجوز أن ينتصب بقالوا».
وقال البيضاوي (في التفسير ١/ ٦٧): «وإذ: ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرىٰ، كما وضع إذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه أخرىٰ، ولذلك يجب إضافتهما إلىٰ الجمل».
وانظر بتوسع ما ذكره القرطبي في تفسيره (١/ ٢٦١) فإنه مفيد.

(٢) وذلك في قصة رويت عن إسكان ملائكة السماء الدنيا الأرض بعد أن هزموا الجن، وهي من قبيل الإسرائيليات المروية، انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٠.

(٣) كتب فوقها: استفهام تعجب، وإنما عرفوا بإخبار من الله تعالىٰ أو تلقٍ من اللوح. قاضي أهـ
وهو في تفسير القاضي البيضاوي١/ ٦٨، ونصه: «تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها، أو يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية، واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد وألغتها، واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره.
وليس باعتراض علىٰ الله تعالىٰ جلت قدرته، ولا طعن في بني آدم علىٰ وجه الغيبة، فإنهم أعلىٰ من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ٢٦﴾ [سورة الأنبياء:٢٦] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ٢٧﴾ وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالىٰ، أو تلق

قال الزجاج: هي ألف إيجاب[(١)]، وفيه استرشاد.

المعنىٰ: إنك تخلق فيها خلقًا تعصيك ويسفكون الدماء المحترمة، فإيش الحكمة فيه؟ عرِّفنا وجه الحكمة؟ وقاسوا أمرهم بأمر الجن.

والسفكُ: يستعمل في كل دم حرام.

﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ نعظِّمك ونُطهِّر أنفسنا لك ﴿قَالَ﴾ الله ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ أي: أعلم أنَّه يكون من نسل هذه الخليفة من يسبح ويقدس لي.

من اللوح، أو استنباط عما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم، أو قياس لأحد الثقلين علىٰ الآخر».

(١) ألف الإيجاب هي ألف الإثبات، ولكن الزجاج لم يقله في هذه الهمزة، بل في الهمزة الآتية في قوله تعالىٰ ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ قال الزجاج (معاني القرآن ١/ ١٠٩): أي أبتلي من تظنون أنه يطيع فيهديه الابتلاء، فالألف ههنا إنما هي علىٰ إيجاب الجعل في هذا القول.

قلت: إيجاب الجعل الوارد أولا في قوله: «إني جاعل» لا علىٰ قولهم «أتجعل فيها»، فإن المفسرين متفقين أن الهمزة في قولهم استعلام لا إيجاب، قال ابن جرير (في التفسير ١/ ٤٧١): «فإن قال لنا قائل: وما وجه استخبارها، والأمر علىٰ ما وصفت، من أنها قد أخبرت أن ذلك كائن؟

قيل: وجه استخبارها حينئذ يكون عن حالهم عن وقوع ذلك، وهل ذلك منهم؟ ومسألتهم ربهم أن يجعلهم الخلفاء في الأرض حتىٰ لا يعصوه، وغير فاسد أيضًا ما رواه الضحاك عن ابن عباس، وتابعه عليه الربيع بن أنس، من أن الملائكة قالت ذلك لما كان عندها من علم سكان الأرض -قبل آدم- من الجن، فقالت لربها: أجاعل فيها أنت مثلهم من الخلق يفعلون مثل الذي كانوا يفعلون؟ علىٰ وجه الاستعلام منهم لربهم، لا علىٰ وجه الإيجاب أن ذلك كائن كذلك، فيكون ذلك منها إخبارًا عمَّا لم تطلع عليه من علم الغيب.

وغير خطأ أيضا ما قاله ابن زيد من أن يكون قيلُ الملائكةِ -ما قالت من ذلك- علىٰ وجه التعجب منها من أن يكون لله خلق يعصي خالقه».

قال يحيىٰ بن أبي كثير: خرجت نار من الحُجُب فأحرقت منهم عشرة آلاف.

وفي الخبر: أعرض الرب عمن بقي منهم سبع سنين، حتىٰ طافوا حول الكرسي يقولون: لبيك اللهم لبيك، اعتذارًا إليك، فمن هاهنا بدؤوا التلبية في الحج(١).

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي: بمعانيها، وقيل: أسماء ذريته، وقيل: أسماء كل شيء من الحيوان والعروض(٢).

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ﴾ أشخاص الأسماء، فلذلك لم يقل عرضها ﴿عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ فسألهم عنها ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأشخاص ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ في مقالتكم أنكم تعلمون ما يكون من هذا الخليفة، فلما قال: «أنبئوني» شغلهم بنفسه حتىٰ تحيروا عن الجواب، ثم أمر آدم بإخبارهم، فلما عجزوا:

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ تنزيهًا لك وبراءة لك عن السوء، لا علم لنا بالغيب ولا بمعلوماتك ﴿إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾(٣) وليس هذا مما علمتنا.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بخلقك ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ في أمرك، الحكيم الذي يدرك الأشياء بحقائقها.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ أي: بأسماء الأشخاص.

---

(١) هذه الأخبار من رواية محمد بن مروان السدي الصغير -المتهم بالكذب - عن جعفر بن محمد، وهي مروية في كتب الرافضة، انظر: تفسير العياشي ١/ ٢٩.

(٢) هذه الأقوال مروية في تفسير الطبري ١/ ٤٨٢، والجامع لها قول مجاهد: علمه اسم كل شيء.

(٣) في الهامش: اعتراف بالعجز، قاضي.

﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ ظهر فضله عليهم ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: سرهم ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ من الطاعة ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝٣٣﴾ أي: ما يكتم إبليس من المعصية.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين كانوا في الأرض[١] ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ وكانت تلك السجدة سجدة تحية وتكرمة ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ أي: إلا الذي صار إبليس أبىٰ عن السجود وتعظَّم ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ في علم الله.

وقيل: صار من الكافرين[٢].

﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ أي: اجعل الجنة مأواك ومأوىٰ زوجك ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ أي: تأكلان من الجنة، واسعًا موسعًا عليكما، الرغد: الذي لا يعنيك طلبه[٣].

﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ التي هي وسط الجنة بحذائكما، كما قال ابن عباس، كانت شجرة الكرم، وقيل شجرة السنبلة، وقيل شجرة التين[٤].

---

(١) ذكر الخلاف في الملائكة المرادين بهذه الآية الواحدي في البسيط ٢/ ٣٦١، والأرجح أنهم جميع الملائكة، لقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝٣٠﴾ [سورة الحجر:٣٠] انظر: تفسير الطبري ١/ ٥٠٨، تفسير القرطبي ٢/ ٦٣٢.

(٢) وفي هذه الآية يذكر الفسرون مسألة: هل إبليس من الجن أم من الملائكة، أم من حي من أحياء الملائكة يقال له الحن -بالحاء المهملة-، أم من قبيل منهم يسمىٰ الجن -بالجيم المعجمة- وقد روىٰ ابن جرير الآثار الدالة علىٰ اختلافهم في ذلك، ومال إلىٰ أنه كان أصلا من الملائكة (تفسير الطبري١/ ٥٠٩).

(٣) تفسير الطبري ١/ ٥١٥، معاني القرآن للزجاج ١/ ١١٤.

(٤) وكلها أقوال مروية، تشبه أن تكون من أخبار الأحبار، انظر: تفسير الطبري ١/ ٥١٧، الهداية لمكي القيسي١/ ٢٣٥، البسيط ٢/ ٣٨١. وقد رُوي في ذلك آثار عن ابن عباس وابن مسعود، وليس فيها إسناد يعتمد عليه.

وقيل: شجرة العَلْم[١]، وهي أحسن شجرة من أشجار الجنة عليها من كل لون من الأطعمة.

﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ أي: إن أكلتما تصيرا من الظالمين لأنفسكما الضارين بها.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ معناه: زلاَّ بإغواء الشيطان، أي: غرهما ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[٢] من رغد العيش وجوار الرب.

﴿وَقُلْنَا﴾ بوحي ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ من الجنة[٣] ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: آدم وحوىٰ وإبليس والحية، إذ دخل إبليس رأس الحية فوسوس إليهما.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦﴾ وقرار الآدميين للعبودية، وقرار إبليس للغواية، وقرار الحية تلقىٰ من الآدميين فتلدغ أعقابهم، ويلقون منها فيشدخون[٤] رؤوسها.

﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦﴾: إلىٰ منتهىٰ الآجال، يعني القيامة.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ أي: قبلها[٥] بفهمه، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾.

---

(١) كذا ضبطها في الأصل، وهذا قول الكلبي، كما في تنوير المقباس ص٧.

(٢) هامش الأصل: أي من النعيم والجنة والكرامة. قاضي. (تفسير البيضاوي ١/ ٧٢).

(٣) هامش الأصل: أي انزلوا إلىٰ دار بلية لا يخلّدون فيها. قاضي.

(٤) في الأصل: يسدحرون، وهي مصحفة، والصواب ما أثبت، ففي تفسير القرطبي ١/ ٣١٣: «يذكر أن الحية كانت خادم آدم عليه السلام في الجنة فخانته بأن مكنت عدو الله من نفسها وأظهرت العداوة له هناك، فلما أهبطوا تأكدت العداوة وجعل رزقها التراب، وقيل لها: أنت عدو بني آدم وهم أعداؤك وحيث لقيك منهم أحد شدخ رأسك».

(٥) كتب فوقها: وأخذها أهـ وانظر تفسير القرطبي ١/ ٣٢٣.

وقيل: قوله: أسألك يا رب بحق محمد أن تغفر لي[١].

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قَبِل التوبة منه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ المجاوز عن الذنوب الرحيم بعباده.

وقوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ أي: من الجنة إلىٰ السماء.

ويقال: من السماء إلىٰ الأرض[٢].

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ أي: متىٰ ما يأتينّكم يا ذرية آدم مني هدىٰ: رسل وكتب ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ فمن آمن بكتبي ورسلي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم من العذاب.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ علىٰ ما خلفوا من أمر الدنيا.

قال محمد بن علي الحكيم[٣]: إذا رأوا أهوال القيامة وأشرفوا علىٰ تلك القناطر من النار؛ فلا خوف عليهم ولا يحزنون كحزن أهل النار.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: دائمون.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وهم أولاد[٤] يعقوب، يهود المدينة[٥].

---

(١) هذا قول يذكر بغير سند ولا إضافة إلىٰ قائل، انظر: الكشف والبيان ٣/ ٢٥١، واستدل له بحديث موضوع، والقول الأول عليه الجمهور.

(٢) علىٰ أنهما هبوطان، تفسير السمعاني ١/ ٧٠، أنوار التنزيل ١/ ٧٣.

(٣) هو الحكيم الترمذي صاحب التصانيف المشهورة، توفي بعد سنة (٢٨٠)، انظر: تاريخ الإسلام ٦/ ٨١٤.

(٤) في الأصل: أولا.

(٥) أي أن المخاطبين هم يهود المدينة الذين كانوا بين ظهراني مهاجر النبي صلىٰ الله عليه وسلم (تفسير الطبري ١/ ٥٥٤).

﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ احفظوا منَّتي التي مننتُ عليكم، أي: على أجدادكم فيما أنزلت عليهم[1] من المن والسلوى، وظلَّلتُ عليكم الغمام في التيه.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ يعني: أوفوا بما أمرتكم بطاعتي ونهيتكم عن معصيتي في النبي صلى الله عليه وسلم؛ أوفِ بعهدكم: أرضى عنكم، وأدخلكم الجنة، وقد عاهدهم بذلك ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾ أي: خافوا مني.

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾ على محمد ﴿مُصَدِّقٗا﴾ موافقًا ﴿لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾ أي: بالقرآن وبمحمد عند نزول هذا الخطاب ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ أي: لا تستبدلوا بالكفر بمحمد وبالقرآن عرَضًا يسيرًا ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ ومن عذابي فاخشوا، فمن جحد محمدًا فله النار[2].

﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ لا تخلطوا الصدق بالكذب.

وقيل: الحق ما هو المنزَّل من التوراة والباطل ما استبدلوه[3].

﴿وَتَكۡتُمُواْ﴾ أي: ولا تكتموا ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ صفة النبي عليه السلام وبعثه ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢﴾ إنه الحق.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أتمُّوها في مواقيتها ﴿وَءَاتُواْ﴾ أدُّوا ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ صلُّوا بالجماعات[4].

---

(١) في الأصل: عليه.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٤٧.

(٣) وهما متلازمان (تفسير الطبري ١/ ٥٦٨).

(٤) وحمله ابن جرير على الخضوع، وفسر الركوع به، وهو أنسب، لأن الآية في سياق مخاطبة أهل الكتاب (تفسير الطبري ١/ ٥٧٥).

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ ألف استفهام، ومعناه التقرير، ومعناه: أنتم علىٰ هذه الطريقة.

ومعنىٰ الكلام -والله أعلم-: أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسُّك بالقرآن وبالإيمان وهم يتركون التمسُّك به، فعيَّرهم تعالىٰ بذلك[١].

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة وتعرفون أنه الحق ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ثم حرَّضهم علىٰ الصوم والصلاة فقال:

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: الصوم وسمَّىٰ الصوم صبرًا لأنَّه حبس النفس عن الطعام[٢].

وقيل: استعينوا بالصبر علىٰ ما يذهب منكم من الرياسة بمتابعة النبي صلىٰ الله عليه وسلم[٣].

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أيضًا، لأنَّ الصلاة ترغِّب العبد فيما عند الله تعالىٰ، وتزهده في الدنيا.

﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: الصلاة ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ المتواضعين من المؤمنين[٤].

ومن حمله علىٰ الصلاة، قال: صلاة اليهود لا ركوع فيها، ولذا أمرهم بالصلاة ذات الركوع، وهي صلاة المسلمين (تفسير السمعاني ١/ ٧٣).

في الأصل كتب بالحمرة: نصف حزب.

(١) ملخص من معاني القرآن للزجاج ١/ ١٢٥.

(٢) الصوم بعض معاني الصبر، كما قرر ابن جرير (في التفسير١/ ١١)، والمراد العموم، فيدخل فيه الصوم وغيره.

(٣) من معاني القرآن للزجاج ١/ ١٢٥.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ٤٩.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ أي: يوقنون. والظن هاهنا اليقين.

﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: أي: معاينوا ثواب ربهم[١].

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ إلىٰ الله ﴿رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾ فيجزيهم بأعمالهم.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ أي: عالمي زمانهم، فضَّلهم لكثرة ما أرسل إليهم من الرسل، وأنزل إليهم من الكتب، وذلك الفضل كان لأجدادهم، ولكن أضاف إليهم لأن فيما تُعطىٰ الآباء شرف للأبناء[٢].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ أي: لا تغني نفس.

﴿عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ والآية في اليهود، والمؤمنون تنفعهم شفاعة الشافعين[٣].

---

(١) هذا تأويل بعيد لمعنىٰ الملاقاة، إذ حمل ملاقاة الله علىٰ ملاقاة ثوابه، والصواب -كما قال ابن جرير وغيره- أي: «الموقنون بلقائي والرجوع إليَّ بعد مماتهم».
ولذا يقول المسلمون: إنا لله وإنا إليه راجعون.
قال السمعاني (في تفسيره ١/ ٧٥): أي صائرون إلىٰ ربهم، وكل ما ورد في القرآن من اللقاء فهو بمعنىٰ الصيرورة إليه، كذا قال المفسرون.
وقيل: هو اللقاء الموعود، وهو رؤية الله تعالىٰ وقوله تعالىٰ: «وأنهم إليه راجعون» أي: صائرون».

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٥٠.

(٣) هذا قول الزجاج، فإنه قال: «يعني به يوم القيامة، وكانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لها عند الله فأيئسهم الله من ذلك» (معاني القرآن ١/ ١٢٨).
والمفسرون علىٰ أن المراد العموم، والمعنىٰ: «هو أن أحدنا اليوم ربما قضىٰ عن ولده أو والده أو ذي الصداقة والقرابة دَينَه. وأما في الآخرة فإنه فيما أتتنا به الأخبار عنها- يسر الرجل أن يبرد له علىٰ ولده أو والده حق، وذلك أن قضاء الحقوق في القيامة من الحسنات والسيئات» تفسير الطبري ١/ ٢٨.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ أي: من هذه النفس الكافرة ﴿شَفَٰعَةٌ﴾ ملكٌ ولا نبيٌّ ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي: فِداء، وقيل: مِثل[١].

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾ يُمْنَعُون من عذاب الله.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أتباعه ومَن كان علىٰ دينه ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ يولونكم[٢] شديد العذاب ويكلفونكم به.

وبيَّن العذاب فقال: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ صغارًا ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ كبارًا، أي: يتركونهن أحياءً للخدمة ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩﴾ أي: فيما أنجاكم -من قتل الأبناء واستخدام النساء- نعمة من ربكم عظيمة[٣].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ يقول: اذكروا نعمتي التي شققنا لكم البحر، وُضِعَ الباء مكان اللام[٤]، تمرُّون في طريق يَبُس.

﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ أهل دينه وأتباعه، وقيل: الآلُ أصله أهله حولت الهاء همزة[٥].

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ بأعينكم بعد ما لفظهم البحر.

---

(١) وهما بمعنىٰ، إلا أن عبارة المفسرين: العدل الفدية (تفسير الطبري ٢/ ٣٥).

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٥١، وفي الأصل قد كتب تحتها حاشية: يطلبونكم.

(٣) هاهنا حاشية من تفسير القاضي البيضاوي (١/ ٧٩): «وفي ذلكم بلاء محنة، إن أشير بذلكم إلىٰ صنيعهم، ونعمة إن أشير به إلىٰ الإنجاء، وأصله الاختبار، لكن لما كان اختبار الله تعالىٰ عباده تارة بالمنحة أطلق عليهما، ويجوز أن يشار بذلكم إلىٰ الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما».

(٤) تفسير الفرق بالشق جعله يحمل الباء علىٰ اللام، ومثله في معالم التنزيل ١/ ٩١. وكلمة المفسرين علىٰ أنَّ الفرق هو الفصل، أي: فصلنا بكم البحر، لأنهم كانوا اثني عشر سبطا فسلك كل سبط منهم طريقا (تفسير الطبري ٢/ ٥٠، الكشاف ١/ ١٣٨).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٢.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[١] إتيان الجبل لإعطاء التوراة، منها ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ إلـٰهًا بعد ذهابه إلىٰ الجبل.

﴿وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ صادُّون بأنفسكم، كافرون بربكم.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد عبادة العجل تركناكم [ولم][٢] نستأصلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ لكي تشكروا الله علىٰ العفو.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ في الآية إضمار، معناها: اذكروا إذ آتينا موسىٰ التوراة ومحمد الفرقان[٣] ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ بهما من الضلالة.

وقيل: الفرقان هي التوراة بعينها، ذكرها باللفظين تأكيدًا كقوله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾[٤].

والفرقان: ما يفرق بين الحق والباطل[٥].

واذكروا[٦]: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ بعد رجوعه من طور سيناء ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أسأتم بعبادة العجل ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ أي: برأكم[٧].

---

(١) هكذا بالأصل، وهي قراءة أبي جعفر وأبي عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون: بالألف بعد الواو: واعدنا (النشر في القراءات العشر ٢/ ٢١٢).

(٢) ليست في الأصل، ولا بد منها لتصحيح السياق، وهي ثابتة في تفسير الكلبي.

(٣) وهو الوجه الأول عند الفراء في معاني القرآن ١/ ٣٧.

(٤) وهو الوجه الثاني عند الفراء، وهو الذي عليه أهل التأويل، انظر: تفسير الطبري ٢/ ٧١، تفسير أبي الليث ١/ ٥٢، تفسير السمعاني ١/ ٨٠.

(٥) البسيط ٢/ ٥٢٤.

(٦) فصل بين الواو وإذ بـ«اذكروا» ولا يمكن هذا في الرسم العثماني.

(٧) أي: خلقكم (تفسير الطبري ٢/ ٧٨، معاني الزجاج ١/ ١٣٥).

قالوا: وما توبتنا؟ قال موسىٰ: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: ليقتل الذين لم يعبدوا العجل مَن عبده ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ القتل في رضىٰ الله ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ من الحياة في سخطه ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ إذ لم يستأصلكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾ الشفيق علىٰ التائبين خاصة.

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ غير محتجب ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ فأنزل الله نارًا من السماء فأحرقتهم، وقيل: الصاعقة مثل صوت الرعد ولمعان البرق[١].

﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥﴾ إليها حين نزلت من السماء.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم﴾ أحييناكم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ أي: هلاككم بالصاعقة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦﴾.

﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ﴾ في التيه.

قال ابن عباس: ليس ذلك سحاب، ولكن غمام أتت فيه الملائكة يوم بدر، ولم يكن ذلك لغير بني إسرائيل[٢].

﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ﴾ المنُّ: شيء حلو مثل الطرنجبين[٣].

---

(١) تفسير الطبري ٢/ ٨٣.

(٢) رواه ابن جرير (في التفسير ٢/ ٩٠) بإسناد منقطع، وجاء نحوه عن مجاهد.

(٣) كذا ثبت في الأصل بالطاء، وهو صحيح، ومثله ثبت في نسخ من الكشف والبيان ٣/ ٣١٦، وفي غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٩.

ويقال فيه بالتاء: الترنجبين، كذا ذكره الفراء ١/ ٣٧، وابن جرير ٢/ ٩٣، وأبو الليث في تفسيره ١/ ١٥٤، والزجاج ١/ ١٣٨، وبعض نسخ الكشف والبيان، وزاد المسير ١/ ٦٧، وغيرها.

قال الواحدي (في البسيط ٢/ ٥٤٦): «والمن: الصحيح أنه التَّرَنْجَبِين، وكان كالعسل الجامس - أي الجامد- حلاوة، كان يقع علىٰ أشجارهم بالأسحار عفوًا بلا علاج منهم، ولا مقاساة مشقة».

والسلوىٰ: طير يشبه السمَّاني[١].

﴿كُلُوا﴾ أي: قلنا لهم كلوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ من غير تعب منكم، ولا ترفعوا لغدٍ فعصوا ربهم فرفعوا فأخذهم به[٢]، وقال: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ مِنْ ملكنا شيئًا ﴿وَلَٰكِن﴾ ظلموا به ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٥٧﴾ حيث رفعوا لغدٍ فنَتِنَ.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ إيلياء، ويقال: أريحا[٣].

أوحىٰ الله إليهم بعد موت موسىٰ علىٰ لسان يوشع بن نون ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾ واسعًا بغير تعب ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ أي: رُكَّعًا، وقيل: خاضعين لله متواضعين.

﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ أي: قولوا لا إله إلا الله، وقيل: معناه حط عنَّا خطايانا، وقيل: قولوا مقالة هي حطة لخطاياكم[٤].

﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨﴾ الذين لم يكونوا من أهل الخطيئة، قال: فتفرقوا فرقتين وافقوا أمر الله، فخالفوا.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: خالفوا ﴿قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ فقالوا مكان كلمة حطة: «هطا سمقاثا»، يعنون: حنطة حمراء[٥].

---

(١) يضرب إلىٰ الحمرة (تفسير أبي الليث ١/ ٥٤).

(٢) وجعلوا اللحم قديدًا مخافة أن ينفد (تفسير أبي الليث ١/ ٥٥).

(٣) وهو قول الكلبي، كما ذكر ذلك السمرقندي في تفسير أبي الليث ١/ ٥٥، ووافقه ابن زيد وقال: هي قرية من بيت المقدس (رواه الطبري في تفسيره ٢/ ١٠٣)، والجمهور علىٰ أن المراد بيت المقدس.

(٤) تفسير الطبري ٢/ ١٠٣، تفسير أبي الليث ١/ ٥٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢/ ١١٤، تفسير أبي الليث ١/ ٥٦، الكشف والبيان ٣/ ٣٢٧، تفسير السمعاني ١/ ٨٤، معالم التنزيل ١/ ٩٩.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عذابًا، قيل: هو موت الفجأة أو الطاعون[1].

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ٥٩﴾ بخروجهم عن أمر الله وطاعته.

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ في التيه، إذ بقي فيه أربعين عامًا، فعطش قومه فسأل ربه الماء لقومه.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ أمره أن يضرب بعصاه الحجر، وكانت عصاه من آس الجنة[2]، وكان الحجر مربعًا مثل رأس الإنسان، فوضعه في المِخلاة وضربه بعصاه ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ لكل سبط نهر ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ عرف ﴿كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي: كل سبط موضع شُرْبه ﴿كُلُواْ﴾ قيل لهم بالوحي: كلوا من المن ﴿وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ من ماء العيون.

وعينًا: نصب على التمييز[3].

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٦٠﴾ لا يعملوا في التيه بالمعاصي.

عثا يعثو، وعاث يعيث، لغتان في الفساد[4].

وكان ابن مسعود يقول: هطا سمقاثا ازبة هزبا، أي: حنطة حمراء مثقوبة فيها شعيرة سوداء كذا روىٰ عنه ابن جرير في التفسير ٢/ ١١٤، وهو أقرب ترجمة للفظ النبوي، ففي صحيح البخاري (٣٤٠٣) عن أبي هريرة مرفوعا: «دخلوا يزحفون علىٰ أستاههم وقالوا حبة في شعرة» وفي بعض الألفاظ: في شعيرة (تفسير الطبري ٢/ ١١٣).

(١) تفسير الطبري ٢/ ١١٨، تفسير أبي الليث ١/ ٥٦، وقيل: نزلت بهم نار فاحترقوا.

(٢) انظر: الكشف والبيان ٣/ ٣٢٩. وهذه الأخبار من قبيل الإسرائيليات التي تروىٰ فلا تصدق ولا تكذب.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٦.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ٥٧، البسيط ٢/ ٥٧٩.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ يعنون به المن والسلوىٰ، لما دام أكلهم منهما صار كالطعام الواحد.

﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ سل الله من أجلنا ﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا﴾ من البقول والقثاء[1] والبطيخ[2]، وفومها قيل: الفوم الخبز، وقيل: هو الثوم.

﴿وَبَصَلِهَا﴾ فغضب موسىٰ عليهم، و ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ تختارون الذي هو أزرىٰ وأقل قيمة ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ علىٰ الذي هو أفضل ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ قيل لهم بعد موت موسىٰ وهارون ولأولادهم: اهبطوا مصرًا من الأمصار، وقيل: مصر فرعون[3].

﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ بمعنىٰ: النبات لا يكون في المفازة ويكون في الأمصار.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ ألقي عليهم أي: علىٰ اليهود الذين عاندوا رسول الله وكتموا نعته، الذلة: الجزية ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ الفقر، أي: فقر النفس وإن كان موسرًا ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استوجبوا سخط الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الذي أصابهم من الذل والمسكنة إنما أصابهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بمحمد والقرآن.

---

(١) هاهنا كلمة مصحفة: والفثد، وهي نفسها القثاء، لكن تصحفت عليه.
والقثاء معروف، وهو الخيار أو الكبير منه. والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر. والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس، كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها (الكشاف ١/ ١٤٥).

(٢) فسر القثاء كذلك بالفاكهة، ومنه البطيخ (تفسير أبي الليث ١/ ٥٧) وفيه غرابة.

(٣) القولان في تفسير الطبري ٢/ ١٣٦، تفسير أبي الليث ١/ ٥٨.

﴿وَ﴾ كانوا ﴿يَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: الجرم[١].

أضاف قتل الأنبياء إليهم لأنَّهم كانوا يفتخرون بذلك ورضوا به إذ سمعوا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الغضب على اليهود ﴿بِمَا عَصَوا۟﴾ باستحلالهم الصيد يوم السبت وقد نهوا ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ بقتل الأنبياء، أي: يظلمون بقتل يحيىٰ وزكريا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أنزلت الآية في قوم آمنوا بموسىٰ وعيسىٰ ولم يتهودوا ولم يتنصروا ضلالةً؛ حتىٰ أدركوا رسول الله فآمنوا به، أثنىٰ الله عز وجل عليهم خيرًا، وبيَّن ثوابهم وقال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلون[٢].

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ فيما يخلفون من الأموال والأولاد.

الصابئون: صنف من النصارىٰ المحلقة أنصاف[٣] رؤوسهم.

وقيل: قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرؤون الزبور[٤]، وقيل: تركوا اليهودية والنصرانية وصبوا عنهما أي: مالوا[٥].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ أي: عهدكم المؤكد باليمين، حين خرجوا من صلب آدم، في التوراة أيضًا ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ جبلاً من جبال فلسطين إذْ

---

(١) في الأصل: الحرام، وهو تصحيف، وعلىٰ الصواب ورد في تفسير أبي الليث ١/ ٥٨، وكلاهما صدر عن تفسير الكلبي (تنوير المقباس ١٠).

(٢) البسيط ٢/ ٦٢٠.

(٣) في الأصل: أوصاف، وهو تصحيف، وهذا قول الكلبي، رواه عنه الثعلبي قال: يحلقون وسط رؤوسهم ويجبون ذكورهم.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ٥٩.

(٥) الكشف والبيان ٣/ ٣٥٦. وفيهم أقوال أخرىٰ، انظر: البسيط ٢/ ٦١٨.

لم تقبلوا التوراة ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ أي: قيل لهم اعملوا بما أمرناكم في التوراة بجدٍّ فيه ﴿وَٱذۡكُرُواْ﴾ احفظوا ﴿مَا فِيهِ﴾ من الثواب والعقاب واعملوا بالحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣﴾ السخط والعذاب.

لعل من الله واجب، وهو إطماع، والله أكرم من أن يُطمع ثم يخيب.

ثم ذكر إعراضهم عن العهد فقال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: بعد إظهار نبوة رسول الله أبيتم عن عهد الله وكفرتم بمحمد ﴿فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بتأخير العذاب ﴿لَكُنتُم﴾ أي: صرتم ﴿مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٤﴾ بعقاب الدنيا والآخرة.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ عرفتم اليهود الذين جاوزوا ما حدَّ لهم من ترك اصطياد الحيتان في السبت؛ فحبسوها في السبت وأخذوها[1] في الأحد ﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ﴾ أي: جعلناهم باعتدائهم.

﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥﴾ مبعدين، والخُساء[2] صَغارٌ في بُعد.

﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا﴾ أي: عِبرة، والهاء راجع إلى القرية[3]، والنكال أصله: نكول الحالف عن اليمين: امتناعه[4].

﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا﴾ لمن شاهدها، ومَنْ حولها من اليهود.

﴿وَمَا خَلۡفَهَا﴾ من الأمم.

---

(١) في الأصل: واحذروها. وهو تصحيف.

(٢) لم أجد هذا المصدر في المعاجم التي وقفت عليها، ولكن فيها: الخَسْأُ والخُسُوء، يقال: خَسَأَ الكلْبَ، -كمنع- إذا طرَده وأبعده، وقَالَ اللَّيْث: زَجره، خَسْأً -بِفَتْح فَسُكُون- وخُسُوءًا -كقُعودٍ- (انظر: البسيط ٢/ ٦٣٨، تاج العروس ١/ ٢١٠).

(٣) وفيها أقوال أخرى، كما في زاد المسير ١/ ٧٥.

(٤) أي: عبرة تنكل من اعتبر بها، أي تمنعه، الكشاف ١/ ١٤٧.

﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦﴾ لأمة محمد، بتقوىٰ الله عز وجل.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ﴾ الآية، معناه: واذكروا إذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها، أي: اختلفتم في قتلها ومعرفة قاتلها، فسألتم موسىٰ أن يسأل ربه أن يبين قاتله، فقال موسىٰ: إن الله يأمركم.

﴿أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ فتضربوا بعضو من أعضائها علىٰ المقتول، وهو «عاميل»[1] فيحيىٰ فيخبركم بقاتله.

﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ يعنون: أتسخر بنا، لأنَّ الهازئ جاهل لاعب، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ ألوذ بالله وأمتنع بالله وألتجئ إلىٰ الله ﴿أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾ الهازئين.

﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ سل ربك ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ البقرة كبيرة أم صغيرة ﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ﴾ أي: لا كبيرة ولا صغيرة ولكن: ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ وسط ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨﴾ اذبحوا ما أمركم الله به، ولا تسألوا غيره فذهبوا ثم رجعوا.

و﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي: خالقك ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ أيُّ شيء لونها ﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩﴾ أصفر فاقع شديد الصُفرة، قيل: صفراء حتىٰ الظلف والقرن[2].

فذهبوا ثم رجعوا وسألوا: و﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ عاملة أم غير عاملة ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ تشاكل أمرها علينا ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠﴾ أي: واجدون الصفة، ولولا [أنهم] استثنوا لما وجدوها أبدًا[3].

---

(١) هكذا سماه الكلبي (تنوير المقباس ١١، تفسير أبي الليث ١/ ٦٢).
(٢) وهو قول الحسن البصري (تفسير الطبري ٢/ ١٩٩)، وقيل: صفراء أي سوداء، ورده ابن جرير.
(٣) تفسير أبي الليث ١/ ٦٣.

﴿قَالَ﴾ نبيهم موسىٰ ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: ليست بعاملة ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ أي: لم يسق عليها بالسواني للحرث ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سلَّمها الله من العيوب ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي: ليس فيها لون يخالف معظم لونها.

والشِّيَة: من الوشي كالصِّلَة من الوصل[١].

﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ بيَّنْتَ لنا صفة البقرة التي كُنَّا نطلب، والآن منصوب علىٰ الحال والظرف أيضًا[٢].

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ بعدما اشتروها بملْءِ مَسكها ذهبًا، وكادوا أنْ لا يذبحوها لغلاء ثمنها[٣].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ أي: تدافعتم واختلفتم وسألتم موسىٰ بيان أمرها ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: مظهر ما كتمتم من أمر القتل.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أي: بعض أعضاء البقرة علىٰ القتيل، قيل: هو ذنبها، وقيل فخذها الأيمن، فلما ضربوه حييٰ وجلس فأخبر بقاتله[٤].

﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ في الآخرة كإحياء «عاميل» ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ دلائل وحدانيته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ تستيقنون بالبعث.

---

(١) الوشي خلط لون بلون (معاني الزجاج ١/ ١٥٢).

(٢) الدر المصون ١/ ٤٣١.

(٣) وهذا مروي عن وهب بن منبه كما في تفسير أبي الليث ١/ ٦٣، قال: لم توجد تلك البقرة إلا عند فتىٰ من بني إسرائيل، كان باراً بوالدته وكان يصلي ثلث الليل، وينام ثلث الليل، ويجلس ثلث الليل عند رأس أمه ويقول لها: إن لم تقدري علىٰ القيام فسبحي الله وهللي، وكان ورث عن أبيه بقرة، فلم يجد أهل تلك القرية علىٰ تلك الصفة إلا هذه البقرة، فاشتروها بملء مسكها دنانير.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ٦٤.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ غلظت ونسيت، والقسوة في القلب: ذهاب الرحمة والرقة منه ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: إحياء القتيل ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في الشدة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ثم بيَّن منفعة الأحجار فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ كحجر موسىٰ.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ أي: يتشقق ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ مثل العيون في الجبال ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ كالجبل الذي تجلىٰ له ربه عند تكليم موسىٰ فصار أرضًا دكًا.

شبه قلوبهم بالحجر دون الحديد والصُفر، لأنَّ الحديد والصفر يُليِّنهما النار، وأما الحجر فلا يُلَيِّنُهُ النار[1].

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ خرج الكلام علىٰ أبلغ الوعيد.

ثم قال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ في الآية تعريف[2] للنبي صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه من إيمان هؤلاء الرهط، معناه: أترجوا يا محمد أن تُصدِّقك اليهود بعد هذا البيان ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ سبعين نفرًا ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: غيَّروا كلامه بعد ما فهموه

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ما حرفوا، وقيل: المراد بكلام الله التوراة ونعت[3] رسول الله وقد حرفوه.

---

(١) تفسير السمعاني ١/ ٩٥.

(٢) كذا في الأصل، ولا معنىٰ له، ولعله: تعويق، وفي بعض كتب التفسير: في الآية تعزية للنبي صلىٰ الله عليه وسلم (تفسير أبي الليث ١/ ٦٦) فلعله هكذا في الأصل، وصحف الناسخ.
وفي معاني الزجاج ١/ ١٥٨: هذه الألف ألف استخبار، وتجري في كثير من المواضع مجرىٰ الإنكار والنهي إذا لم يكن معها نفي، كأنه أيئسهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة من اليهود.

(٣) في الأصل: وبعث، والصواب ما أثبت.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ هم منافقو أهل الكتاب آمنوا ثم نافقوا ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يحدثون بما عُذِّب آباؤهم ﴿قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ﴾ حكم الله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وقيل: فتح الله عليكم من العلم بصفة الرسول المبشر به وقصَّ عليكم من قصته ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ في القيامة أنه نبي ولا تتابعوه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ أنَّ هذه حجة عليكم[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ هؤلاء ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ فيما بينهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ من بعث رسوله.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي: جُهَّال ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قراءة التوراة ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ يعني: الكذب، وهو الذي أخبرهم به رؤساؤهم، فيقبلونه علىٰ ظن أن ذلك حق، وهو كذب.

وقيل: الأماني التلاوة، وقيل: أباطيل بلغة قريش[2].

والأمي: الذي يكون علىٰ أصل الولادة منسوب إلىٰ أُمِّه[3].

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ وما السفلة إلا ظانين فيما يخبرهم الرؤساء ويقولون[4].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الويل: كلمة تُسْتَعْمَل لمن وقع في هلكة[5]، يعني: هلك من كتب بيده غير نعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ثُمَّ

---

(١) نحوه في تفسير أبي الليث ١/ ٦٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٢٥٩، تفسير أبي الليث ١/ ٦٧.

(٣) نحوه في تفسير الطبري ٢/ ٢٥٩، معاني القرآن للزجاج ١/ ١٥٩، وتفسير أبي الليث ١/ ٦٦.

(٤) في الأصل: وأما السلفة الاظانين فيما يخبرهم الروساء لا يقولون.

(٥) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٦٠.

يَقُولُونَ﴾ للسفهاء ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ليصيبوا بكتمانه عرضًا يسيرًا ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ غير نعته ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ علىٰ تكذيب رسول الله، وهو ثلاث ويلات عليهم من الله عز وجل. وقيل: الويل واد في جهنم يهوي الكافر فيها أربعين خريفًا [قبل أن] يبلغ قعره(١).

﴿وَقَالُوا۟﴾ اليهود ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وهي: أربعون يومًا عدد ما عبد آباؤنا العجل، وقد قالوا سبعة أيام، ويقال: الدنيا سبعة آلاف سنة، فيعذب لكل ألف سنة يومًا(٢).

وقال السدي: زعمت اليهود: أنَّ الله تعالىٰ يدخلنا النار فنمكث فيها أربعين ليلة حتىٰ [إذا] أكلت النار ذنوبنا نادىٰ منادٍ أن أخرجوا من النار كل مختون من ولد إسرائيل فيخرجوننا(٣).

﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ هل عندكم بهذا خبرٌ أنَّه يعذبكم هذه الأيام، فإن كان كذلك ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ﴾ بل تقولون ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الفرق بين بلىٰ ونعم: قال الفراء: إذا قال الرجل لصاحبه ما لك عليَّ حق، فقال الآخر: نعم، كان كأنَّه صدَّقه فقال نعم ليس لي عليك حق، ولو قال: بلىٰ؛ فقد رد كلامه، وقال: لي عليك حق؛ فبلىٰ جواب النفي ونعم جواب الإثبات(٤).

---

(١) الزيادة من تفسير الطبري ٢/ ٢٦٩، والكشف والبيان ٣/ ٤٠٧.

(٢) تفسير الطبري ٢/ ٢٧٤، الكشف والبيان ٣/ ٤١٢.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٢/ ٢٧٥. والزيادة منه.

(٤) هذا معنىٰ ما ذكره الفراء لا نصه، انظر: معاني القرآن ١/ ٥٢ وقد وقع في اختصاره إخلال، ونص كلام الفراء:«وضعت «بلىٰ» لكل إقرار في أوله جحد، ووضعت «نعم» للاستفهام

ومعنىٰ الآية: بلىٰ لمن أشرك بالله ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ مات علىٰ شركه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ دائمون أبدًا، ردًّا لكلامهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أقروا بوحدانية الله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فعلوا ما أُمِرُوا وانتهوا عمَّا نُهوا، فـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾ دائمون.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ واذكروا يا بني إسرائيل حين عهدنا في التوراة علىٰ أولاد يعقوب أن: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ أي: أمرناهم ببر الوالدين والعطف عليهما ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وأمرناهم بصلة القرابة ﴿وَ﴾ العطف علىٰ ﴿ٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ الذين لا شيء لهم، والذي قد أسكنه الفقر فعجز ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ قولاً ذا حُسن.

الذي لا جحد فيه، فـ«بلىٰ» بمنزلة «نعم» إلا أنها لا تكون إلا لما في أوله جحد، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ [سورة الأعراف:٤٤] فـ«بلىٰ» لا تصلح في هذا الموضع.

وأما الجحد فقوله: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ﴾ [سورة الملك:٩] ولا تصلح هاهنا «نعم» أداة، وذلك أن الاستفهام يحتاج إلىٰ جواب بـ«نعم» و «لا» ما لم يكن فيه جحد، فإذا دخل الجحد في الاستفهام لم يستقم أن تقول فيه «نعم» فتكون كأنك مقر بالجحد وبالفعل الذي بعده، ألا ترىٰ أنك لو قلت لقائل قال لك: أما لك مال؟ فلو قلت «نعم» كنت مقرًا بالكلمة بطرح الاستفهام وحده، كأنك قلت: نعم مالي مال، فأرادوا أن يرجعوا عن الجحد ويقروا بما بعده فاختاروا بلىٰ، لأنَّ أصلها كان رجوعًا محضًا عن الجحد إذا قالوا: ما قال عبد الله بل زيد، فكانت «بل» كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليها، فزادوا فيها ألفا يصلح فيها الوقوف عليه، ويكون رجوعا عن الجحد فقط، وإقرارا بالفعل الذي بعد الجحد، فقالوا: «بلىٰ»، فدلت علىٰ معنىٰ الإقرار والأنعام، ودل لفظ «بل» علىٰ الرجوع عن الجحد فقط».

قيل: هو خطاب لرؤساء اليهود بإظهار نعت الرسول علىٰ سِفلتهم، وقيل: أمر بحُسن القول لجميع الخلق من اليهود والمسلمين[١].

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وأقرنوا الزكاة بها ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن العهد الذي أخذ عليكم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ منكم إلا جماعة قليلة وهو عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ جاحدون هو تأكيد للأول.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ ذكر النون في تسفكون لحذف كلمة أن[٢].

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ أي: لا تخرجوا بعضكم بعضًا من داره[٣]، وإن يأتوكم أسارىٰ تفادوهم تشترونهم بالفداء، وفي الآية تقديم وتأخير ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بهذا كله ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ تعلمون أنها كذلك في التوراة.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يا معشر بني قريظة والنضير ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ إخوانكم ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ بمعاونة عدوهم عليهم ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ يتعاونون عليهم ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ وهو الإفراط في الظلم، والإثم: هو الجور ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ منكم أو من غيركم ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ تشترونهم.

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٦٩، وحمل المعنىٰ الأول علىٰ قراءة: حَسنا، والمعنىٰ الثاني علىٰ قراءة: حُسنا.

(٢) قال الفراء (في معاني القرآن ١/ ٥٣): «رفعت تعبدون لأن دخول «أن» يصلح فيها، فلما حذف الناصب رفعت».

(٣) في الأصل غير محررة، وأقرب إلىٰ: بلده، لكن غير منقوطة، وانظر: الكشف والبيان ٣/ ٤٢٧.

ثم قال: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ يعني: إخراجهم كان عليكم حرامًا، فقد أخرجتموهم.

فقد ذكر الأمزاج مرة ثم كرَّر ثم قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: تقرون ببعض ما في التوراة وهو الفداء والعتق ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي: تستحلون القتل والأسر والإخراج من الديار، ثم أوعدهم فقال: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير من المدينة[1] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: لا يخفىٰ علىٰ الله من قبيح أفعالكم.

ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ﴾ اختاروا ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ الفانية علىٰ الحياة الباقية في الجنة.

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: لا يسهل عليهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ يُمنعون مما يراد بهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أردفنا بعد موته بالرسل ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الآيات التي كانت معجزة له من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتىٰ بإذن الله ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ شددناه وقوَّيناه بجبريل، والروح جبريل، والقدس الرب ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ﴾ أيها اليهود ﴿رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ لا يوافق مرادكم ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تعظمتم من أن تكونوا أتباعًا بعدما كنتم متبوعين فكفرتم ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ يعني: عيسىٰ ومحمد ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ زكريا ويحيىٰ، مستقبل بمعنىٰ الماضي.

---

(١) انظر: الكشف والبيان ٣/ ٤٣٤، وفي الأصل: وإخلاء بني النضير من النضير من المدينة.

﴿وَقَالُواْ﴾ أي: اليهود ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ جمع أَغْلَف[١]، أي: في أوعية عليها غطاء، فلا نفهم ما تقول.

وقيل: قالوا قلوبنا أوعية للخير ومعدن العلوم، فلا يحتاج إلىٰ علمك يا محمد[٢].

فأخبر الله تعالىٰ أن الأمر بخلاف ما قالوا، فقال: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: طردهم وأبعدهم بجحدوهم محمدًا ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾ يعني: المؤمن منهم قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، والكتاب في اللغة عبارة عن الجمع، وسمي الخرز كتبة لأن الخارز يجمعها، والقرآن يجمع الشرائع[٣] ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ موافق للتوراة ﴿وَكَانُواْ﴾ اليهود ﴿مِن قَبْلُ﴾ مبعث رسول الله ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون علىٰ الأوس والخزرج برسول الله، فيقولون: بحق النبي المبعوث في آخر الزمان أن تنصرنا[٤]

---

(١) كما أن حُمُرا جمع أحمر.

(٢) فيه قراءتان: غُلُف، وهي قراءة شاذة نسبت لابن محيصن، قالوا: إن المعنىٰ علىٰ ذلك: قلوبنا أوعية للعلم.

والمتواتر: غلْف، بإسكان اللام، أي ذوات غلف، لا تعي ما تقول، وبكلا القولين قال أهل التأويل. فيتحصل من حمل المعنيين علىٰ بعضهما البعض أنهم قالوا قلوبنا أوعية لكل علم ولا تفقه ما تقول لأنك لا تأتي بعلم، فلو كنت نبيًا لفقهت قولك.

(تفسير الطبري ٢/ ٣٢٥، تفسير أبي الليث ١/ ٧٢، البسيط ٣/ ١٣٣، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٥٤).

(٣) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٧٠.

(٤) في الأصل: تنصرونا، وهو تصحيف لأنهم كانوا يستفتحون من الله علىٰ المشركين، والروايات تدل علىٰ ذلك، انظر: تفسير الطبري ٢/ ٣٣٣، الكشف والبيان ٣/ ٤٤٤.

عليهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم [مَّا عَرَفُواْ]﴾ بعثه الله من العرب ﴿كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ وقد عرفوه بنعته ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ [عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩]﴾ علىٰ الجاحدين لنعته وصفته.

﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: باعوا أنفسهم[1]، أي: بئس ما اختاروا لأنفسهم ﴿أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا﴾ ظلمًا وحسدًا ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ علىٰ ما ينزل الله النبوة علىٰ محمد ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ﴾ أي: احتملوا واستوجبوا ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩٠﴾ يهانون فيه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ﴾ صدِّقوا ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن ﴿قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ وهو التوراة ﴿وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ بما بعد التوراة من الإنجيل والقرآن ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: القرآن هو الحق ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ﴾ من التوراة ﴿قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩١﴾ فيما قلتم.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ التسع، ويقال: بالعجائب ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ إلهًا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: بعد انطلاقه إلىٰ الجبل ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٩٢﴾ ضارون بأنفسكم.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ يعني: العهد عليكم في التوراة علىٰ أن تعبدوا الله ولا تشركوا به وتؤمنوا بالكتب والأنبياء فأبيتم ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ أي: فوق رؤوسكم الجبل حين لم تقبلوا التوراة، قلنا: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ بجدٍّ ومواظبة منكم ﴿وَٱسۡمَعُواْۖ﴾ واقبلوا ما في التوراة من الأحكام والشدائد ﴿قَالُواْ﴾ لموسىٰ ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ سمعنا قولك الذي خوفتنا، وعصينا أمرك، فلا نتبع ذلك.

---

(١) في الأصل: أنفسكم، وهو تصحيف.

وقيل: سمعنا قولك الآن وعصينا أمرك من قبل، ولولا الجبل لما أطعنا[١].

﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: سقىٰ قلوبهم بحب العِجل وحلاوة عبادته[٢] ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: فعل ذلك بهم مجازاة علىٰ كفرهم ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ بئس الإيمان إيمانٌ يأمر العبد بالكفر[٣].

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ صافية ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: المؤمنين علىٰ زعمكم ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ [إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾]﴾ لأنَّهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا، والجنة خالصة لنا، فقال الله مُجيبًا: فتمنَّوا الموت وقولوا: اللهم أمِتْنا.

وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فيموت» فأبوا أن يقولوا[٤]، فنزل:

---

(١) وقال الحسن: سمعنا بالأذن وعصينا بالقلوب، قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه بالعصيان فنسب ذلك إلىٰ القول اتساعا (انظر: الكشف والبيان ٣/ ٤٤٨، البسيط ٣/ ١٥٩، معالم التنزيل ١/ ١٢٢).

(٢) قال الزجاج (في معاني القرآن ١/ ١٧٥): أي سُقوا حب العجل، فحذف حب وأقيم العجل مقامه.

والإشراب في اللغة: خلط لون بلون، يقال: أبيض مشرب بحمرة (البسيط ٣/ ١٦٠).

(٣) البسيط ٣/ ١٦٢.

(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٧٤، من طريق تفسير الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة.

تنبيه: قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٧٥) وروىٰ البخاري في صحيحه... فذكر حديث: لو فعل لأخذته الملائكة ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا.

والحديث في الصحيح (في كتاب التفسير ٤٩٥٧) ليس فيه: ولو أن اليهود، بل هي من زيادات المستخرجات، قال ابن حجر (في فتح الباري ٨/ ٧٢٤): وزاد الإسماعيلي في آخره

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مخافة ما سلف من كفرهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ يعني: بمجازاتهم.

ثم ذكر حرصهم على البقاء في الدنيا، وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ على بقاء في الدنيا ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ هم أحرص من مشركي مكة على الحياة. وقيل: أراد به المجوس[(١)].

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يتمنى أن يُعمَّر في الدنيا ألف سنة ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ أي: ما التعمير بمُنحيه ومُبْعِده ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ عالم بهم وبعقوبتهم.

قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ وكانت اليهود زعموا ذلك، قال الله تعالى: من كان له عدوًا فليكن ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ أي: جبريل ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ القرآن ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ حتى حفظته ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ومشيئته ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مصدِّق الكتب المنزَّلة على الأنبياء قبلك ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ أي: هدى القرآن، هاديًا ومبشرًا للمصدقين.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ فهم كفار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ فجبريل وميكائيل من الملائكة وخصهما لفضلهما[(٢)].

من طريق معمر عن عبد الكريم الجزري: قال ابن عباس: لو تمنى اليهود الموت لماتوا، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً.

(١) وهو تفسير الكلبي، وأورد عليه السمرقندي: كيف يصح والمجوس ليسوا بمشركين، قال: لأنهم قالوا بإلٰهين اثنين: النور والظلمة (تفسير أبي الليث ١/ ٧٥).

(٢) قال الطبري (في التفسير٢/ ٣٩٥): فإن قال قائل: أو ليس جبريل وميكائيل من الملائكة؟ قيل: بلى. فإن قال: فما معنى تكرير ذكرهما بأسمائهما، وقد مضى ذكرهما في الآية في جملة

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ﴾ أي: ما يجحد بها [﴿إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾] إلا الخارجون عن أمر الله، يعني اليهود.

ثم أوعدهم فقال: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ أي: نقضه ورماه[١] طائفة من اليهود ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ بمحمد والقرآن.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمدًا ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: علماؤهم ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ تركوه فلم يعملوا به، واتخذوا سحر هاروت وماروت ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ نعتك وصفتك في كتابهم، والله أعلم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ وهم اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله، وقيل: كانوا في عصر سليمان[٢].

أسماء الملائكة؟ قيل: معنىٰ إفراد ذكرهما بأسمائهما، أن اليهود لما قالت: «جبريل عدونا، وميكائيل ولينا»- وزعمت أنها كفرت بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم، من أجل أن جبريل صاحب محمد صلىٰ الله عليه وسلم - أعلمهم الله أنَّ من كان لجبريل عدوًا، فإن الله له عدو، وأنه من الكافرين، فنص عليه باسمه وعلىٰ ميكائيل باسمه، لئلا يقول منهم قائل: إنما قال الله: من كان عدوا لله وملائكته ورسله، ولسنا لله ولا لملائكته ورسله أعداء؛ لأن الملائكة اسم عام محتمل خاصًا، وجبريل وميكائيل غير داخلين فيه؛ وكذلك قوله: «ورسله»، فلستَ يا محمد داخلاً فيهم؛ فنص الله تعالىٰ علىٰ أسماء من زعموا أنهم أعداؤه بأعيانهم، ليقطع بذلك تلبيسهم علىٰ أهل الضعف منهم، ويحسم تمويههم أمورهم علىٰ المنافقين.

(١) في الأصل: ورمىٰ.

(٢) وكلا القولين مروي عن السلف (تفسير الطبري ٢/ ٤٠٥).

فإذا كان المقصود هم اليهود الذين كانوا في المدة النبوية، فمعنىٰ اتباعهم ما تتلوا الشياطين: أنهم لما خاصموا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالتوراة؛ وجدوا التوراة للقرآن موافقة، تأمر من اتباع محمد صلىٰ الله عليه وسلم وتصديقه، بمثل الذي يأمر به القرآن، فخاصموا بالكتب التي كان الناس اكتتبوها من الكهنة علىٰ عهد سليمان.

«يتلو»: يتبع لأنَّ التالي تابع.

﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ بعد ذهاب مُلكه، قيل: تقولت الشياطين والسحرة من النيرنجات[١] وكتموه تحت كرسيه، ثم استخرجوه بعد موته، وزعمت أنَّ سليمان كان يشدُّ ملكه بذلك[٢].

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي: لم يكتب سليمان السحر ولا كتمه فكفر به ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ اليهود كتبوا السحر وكتموه ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ ثم علَّموا الناس.

وقيل: أراد به الشياطين الذين استولوا علىٰ مُلك سليمان أربعين يومًا، فعاقبه الله به فكتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيه، نسبوه إليه[٣].

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ والذي أنزل عليهما وكتبانه[٤] من الأخذ[٥] والتهيج والسحر ﴿بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ يعلمون الناس أيضًا كذلك.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ أحدًا ذلك ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ بلية ابْتُلينا به ليزاد في عذابنا ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أيها المتعلم بتعليمه ولا تستعمله فتكفر.

---

(١) في شرح القاموس (٦/ ٢٣٦): «النِّيرَنْجُ -بِالْكَسْرِ- هكذا فِي سَائِر النُّسخ، وَالْمَنْقُول عَن نَصِّ كلامِ اللَّيْث: النِّيرَجُ، بِإِسقاط النُّون الثَّانِيَة: أُخَذٌ -بضمٍ فَفتح- كالسِّحْر، وَلَيْسَ بِهِ، أَي لَيْسَ بحقيقَتِه وَلَا كالسِّحر، إِنّما هُوَ تَشْبيهٌ وتَلْبيسٌ، وَهِي النِّيرَنْجِيّات».

(٢) المفسرون مجمعون علىٰ أنَّ علىٰ بمعنىٰ في، أي: ما تتلوا الشياطين في ملك سليمان، ومن ذلك ما ذكره المصنف، وهو قول الكلبي وطائفة (تفسير الطبري ٢/ ٤١١).

(٣) تفسير أبي الليث ١/ ٧٧.

(٤) لعلها هكذا، فإنها في الأصل مصحفة.

(٥) الأخذ نوع من السحر تحبس به المرأة زوجها عن جماع غيرها، والعامة تسميه: الرباط والعقد (تاج العروس ٩/ ٣٦٦). وأما الكلمة التي تليها فهكذا هي في الأصل، ولم أتبين صحتها.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ الأخذة والسحر من غير رضاهما، لأن فتنتهما أنهما يتذاكران [الـ]ـزهرة وحبَّها في كل عام، ويعاد [لـ]ـهما ذلك، فيلهمهما الله كلامًا يبغضانها به، ويكون الشيطان حاضرًا[1] ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ﴾ ما يوقعون بسببه ﴿بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ العداوة والفُرقة ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ﴾ بالسحر والأُخذة أحدًا من خلق الله ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ومشيئته وعلمه وقضائه.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ يعني: اليهود السحر من الملكين ﴿مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ في الدنيا وإنْ تعجلوا به نفعًا.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ الذي اختار السحر على الإيمان ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ من نصيب إذ لا دين له.

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بئس الشيء الذي باعوا بسببه ورهنوا أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ يصدقوا بثواب الله.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ أي: اليهود صدَّقوا ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ السحر ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ لثوابهم[2] ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ من اختيارهم السحر ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ يوفون العلم حقه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ المراعاة: المراقبة والتفقُّد[3]، أي: راعنا سمعك حتى نفهمك.

---

(١) حاصل قصة الزهرة -وهي امرأة- مع الملكَين أنها فتنتهما فمُسخت كوكبا، وهي من قبيل الإسرائيليات (انظر الروايات في: تفسير الطبري ٢/ ٤٢٧، تفسير أبي الليث ١/ ٧٩) وهذه القصة يذكرها من حمل «ما» على معنى الذي، ومن جعل «ما» نافية لم يحتج إلى ذلك. والراجح عند ابن جرير أنها بمعنى الذي، وقد أطال في ذلك.

(٢) تفسير الطبري ٢/ ٤٥٨.

(٣) البسيط ٣/ ٢١٥.

وقيل: هذا بلسان اليهود سبٌّ قبيح، فكانوا يقولون ذلك[١].

﴿وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ انتظرنا[٢] ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ ما يأتيكم به الرسول ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: اليهود ﴿عَذَابٌ [أَلِيمٞ] ١٠٤﴾ مؤلم.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ تهودوا وتنصروا ولا مشركي العرب ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ النبوة والإسلام ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ﴾ يختار لدينه ﴿مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ علىٰ محمد وأمته.

[﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾][٣].

﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾ معناه: أيُّما آية نرفع حكمها[٤] ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾ نُنْزِل جبريل بما هو خير منها، أنفع للأمة وأهون عليهم وأعظم ثوابًا ﴿أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ من السهولة والثواب.

﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾[٥] نتركها غير منسوخة، وفيه تقديم وتأخير.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من الناسخ والمنسوخ ﴿قَدِيرٌ ١٠٦﴾.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ ألف «ألم» للتوقيف[٦].

---

(١) تفسير الطبري ٢/ ٤٦٠، معاني القرآن للزجاج ١/ ١٨٨، تفسير أبي الليث ١/ ٨٠.

(٢) البسيط ٣/ ٢١٧.

(٣) كتابة الآية من زياداتي كما علمت عليها، لأنه في التفسير غيَّر في سياق الآية.

(٤) كتب هذا في الأصل بعد سطر، بعد قوله: والثواب.

(٥) في الأصل كتبها: ننسأها، وهي قراء أبي عمرو وابن كثير، وقرأ الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٢٢٠).

(٦) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩١، البسيط ٣/ ٢٣٥. ومراده من التوقيف: التقرير.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ يعني: خزائنها؛ خزائن السماء الرزق والمطر، وخزائن الأرض النبت والجوهر.

﴿وَمَا لَكُم﴾ أيها اليهود ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ [وَلَا نَصِيرٍ] ١٠٧﴾ قريب ينفعكم ولا ناصر ينصركم.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ معناه: أتريدون ﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ﴾ قيل: إنهم سألوا أن يأتيهم الله عز وجل فيروه جهرة[1].

وقيل: سألوا أن يجعل الصفا ذهبًا[2].

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: يختار اليهودية على الإسلام ﴿فَقَدْ [ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ] ١٠٨﴾ أخطأ قصد الطريق.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ أي: يصرفونكم عن توحيد الله من بعد إقراركم به ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ من غير أنْ يؤمروا به ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ﴾ في التوراة أن محمدًا رسول الله، ثم قال: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾ اتركوهم أيها المؤمنون واصفحوا عن مكافأتهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ [بِأَمْرِهِۦٓۗ]﴾ يقضِ الله بحكمه.

ثم حكم في بني قريظة القتل، وفي بني النضير الجلاء، فصارت الآية منسوخة بآية السيف[3].

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير ٢/ ٤٩٠ عن السدي وقتادة.

(٢) البسيط ٣/ ٢٣٨ منسوبا لابن عباس، ولعله من تفسير الكلبي. وروي عن مجاهد الجمع بين السببين (تفسير الطبري ٢/ ٤٩٠).

(٣) وهو مروي عن ابن عباس، من طريق علي بن أبي طلحة، (تفسير الطبري ٢/ ٥٠٣، البسيط ٣/ ٢٤٢). ومثل هذا لا يحمل على النسخ على الحقيقة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ أي: قدر الأعمال[١].

ثم قال ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟﴾ من صدقة أو عملتم من عمل صالح ﴿تَجِدُوهُ﴾ ثوابه يوم القيامة ﴿[عِندَ ٱللَّهِ ۗ] إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ عالِم بها وبإخلاصها ونفاقها.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ﴾ يعني: يهود المدينة ونصارىٰ نجران[٢]، كل طائفة قالوا: نحن أهل الجنة خاصة، قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ﴾ أباطيلهم وأكاذيبهم ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ أي: حجتكم. ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ في زعمكم.

قوله: ﴿بَلَىٰ ۚ﴾ ردٌّ عليهم، معناه: ولكن [﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾] من أخلص دينه ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾ ثوابه في الآخرة ﴿عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بالخلود في النار ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ بفوت الجنة.

ثم وصف خصومة أهل الكتاب: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: علىٰ دين، ولا دين إلا دين اليهودية ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ [لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ]﴾ كذلك ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ﴾ لليهود التوراة، وللنصارىٰ الإنجيل ولا يؤمنون بهما.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل مقالة اليهود والنصارىٰ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من مشركي العرب ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ﴾ أي: ليست اليهود والنصارىٰ والمسلمون علىٰ

---

(١) كذا في الأصل، والكلمة الأولىٰ غير واضح، وقدير من القُدْرة وليس من القَدَر، فهو سبحانه قادر علىٰ كل شيء.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٨٤. وعدَّ هذا الكلام من جوامع الكلم فقال: هذا من جوامع الكلم وهذا كلام علىٰ وجه الاختصار، فكأنه يقول: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديـًا. وقالت النصارىٰ: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيـًا.

دين ولا دين إلا الشرك ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ يريهم من يدخل الجنة والنار عيانًا.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ [أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ]﴾ أي: منع المؤمنين عن إظهار توحيد الله في بيت الله المقدس، قيل: نزلت في بُختنصر وأصحابه[1].

ذكر المساجد بلفظ الجمع لأنَّ كل موضع منه مسجد[2].

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾ بطائفته.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ﴾ أي: يدخل الأرض المقدسة بعد بعث رسول الله إلا متنكرين مخافة القتل ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ قتل وسبي وغارات وجزية ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾ النار الكبرىٰ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ يعني: هو مالك الشرق والغرب ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ﴾ تتوجهوا للصلاة ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ أي: قبلة الله، لأنَّ المصلي يواجه القبلة فسمي وجهًا[3].

---

(١) وذلك أن النصارىٰ كانوا يطرحون الأذىٰ في بيت المقدس، وقيل: النصارىٰ أعانوا بختنصر علىٰ اليهود فخرب بيت المقدس (تفسير الطبري ٢/ ٥٢٠).

(٢) أي: مكان للسجود (تفسير الطبري ٢/ ٥١٩).

(٣) وهو أحد قولين في التفسير، وهو مروي عن قتادة (تفسير الطبري ٢/ ٥٣٠، تفسير السمعاني ١/ ١٢٩).

والقول الثاني: نزلت هذه الآية علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، إذنا من الله عز وجل له أن يصلي التطوع حيث توجه وجهه من شرق أو غرب، في مسيره في سفره، وفي حال المسايفة، وفي شدة الخوف، والتقاء الزحوف في الفرائض. وأعلمه أنه حيث وجه وجهه فهو هنالك، وهو مروي عن ابن عمر وغيره (تفسير الطبري ٢/ ٥٣٠).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ١١٥﴾ جواد محسن يقبل اليسير ويعطي الجزيل[١].

وقيل: واسع أي: غني عن صلاة المخلوقين، ولكن يطلب منهم النية الخالصة[٢].

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قالت اليهود: عُزيرًا، وقالت النصارىٰ: مسيحًا، وقال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، فنزَّه الله نفسه وقال ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ أي: طهارة وتنزيهًا له.

﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ من الملائكة والآدميين عبيده ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾ مقرون بالعبودية[٣].

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ خلقهما من غير شيء كانا ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ أراد خلق شيء [﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ﴾] فيقول للشيء الكائن في علمه ﴿كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ أي: يكون كما أراده[٤].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ توحيد ربهم من كفار مكة ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: هلا يخاطبنا الله بأنك رسوله فنؤمن بك ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ﴾ هلاَّ تأتينا بعلامة علىٰ نبوتك؛ يدًا كيد موسىٰ وعصًا كعصاه.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ من قوم موسىٰ ﴿مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ أرنا الله جهرة ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ في القسوة والكفر ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: العلامات في

وعدها السمعاني من آيات الصفات، وقال في تفسيره ١/ ١٢٩: وقد ذكر الله تعالىٰ الوجه في أحد عشر موضعا، وهو صفة لله تعالىٰ، وتفسيره قراءته والإيمان به.

(١) تفسير الطبري ٢/ ٥٣٧، تفسير السمعاني ١/ ١٣٠، معالم التنزيل ١/ ١٣٩.

(٢) ذكر الواحدي (في البسيط ٣/ ٢٦١) ثلاثة معانٍ في الواسع، ليس هذا منها.

(٣) وهو معنىٰ ما روي عن السلف: مطيعون (تفسير الطبري ٢/ ٣٥٩).

(٤) تفسير الطبري ٢/ ٥٣٧، تفسير السمعاني ١/ ١٣٠، معالم التنزيل ١/ ١٣٩.

التوراة والقرآن ﴿لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ يميِّزون الحق من الباطل[١].

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: الدعوة إلىٰ الحق وهو التوحيد ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ بالجنة والنار ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ الزم دينك وطاعتك، فإنك لا تُسأَل عن أصحاب النار.

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ [ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ]﴾ يهود المدينة ولا نصارىٰ نجران ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ تتوجه في الصلاة نحو قبلتهم ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي: دين الله ﴿هُوَ [ٱلۡهُدَىٰۗ]﴾ الإسلام.

وقيل: قبلة الله الكعبة[٢].

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ صليت قِبلتهم ﴿بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ أي: البيان في تحويل القبلة ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: دون الله ﴿مِن وَلِيّٖ﴾ قريب ﴿وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ مانع يمنعك من عذابه، الخطاب لرسول الله وأراد به أمته.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿يَتۡلُونَهُۥ﴾ يتبعونه ﴿حَقَّ [تِلَاوَتِهِۦٓ]﴾ إتباعه، ولا يحرِّفونه، هم أربعون رجلاً من أهل الحبشة قدموا مع جعفر بن أبي طالب مسلمين[٣].

---

(١) نحوه في تفسير أبي الليث ١/ ٨٨.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٨٩.

وقال ابن جرير (في التفسير ٢/ ٥٦٣): الهدىٰ هدىٰ الله أي بيان الله هو المقنع.

(٣) في الأصل: مسلما، وهذا الخبر منقول عن ابن عباس -من طريق لا يثبت- قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا أربعين رجلاً، اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا.

انظر: الكشف والبيان ٤/ ٦٩، البسيط ٣/ ٢٨٧، معالم التنزيل ١/ ١٤٤.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: يصدِّقون به ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ المغبونون بحرمان الجنة ودخول النار.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ [وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾]﴾[١] تقدم تفسيره.

﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ اختبره الله بأمورٍ أمره بها[٢] ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: وفَّىٰ بهنَّ.

قيل: عشر خصال، خمس في النفس، وخمس في الرأس[٣].

وقيل: مناسك الحج.

﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يقتدىٰ بك وبدينك، ويقصدون قصدك ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أولادي اجعلهم أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ أي: لا يُصَب عهدي الذي عهدت إليك الظالمين من ذريتك، والعهد الإيمان.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ معادًا لهم يعودون إليه كل عام، والهاء في المثابة للمبالغة[٤] ﴿وَأَمْنًا﴾ أي: جعلنا البيت مأمنًا لمن دخله حتىٰ يخرج.

---

(١) كتب في الأصل بدل الآية الثانية: إلىٰ قوله «ولا هم ينصرون».

(٢) في الأصل كلمة مصحفة، صورتها: أمر اه.

(٣) روىٰ ابن جرير (في تفسيره ٢/ ٩): من طريق معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ابتلاه الله بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد. في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء، وإسناده صحيح. وانظر: الكشف والبيان ٤/ ٧٧، البسيط ٣/ ٢٨٩.

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٧٦، معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٠٤.

وقيل: أمنًا من النار[١].

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ [مُصَلًّىۖ]﴾[٢] وهذا العطف على معنى ثوبوا إليه واتخِذوا، وقيل: معطوف على قوله: اذكروا نعمتي واتخذوا، والحرم كله مقام إبراهيم، والمعروف أنه حجرٌ[٣].

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي: أمرناه ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ الكعبة من الأوثان والشرك والخنا ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ حوله ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ من أهل مكة ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ الراكعين الساجدين.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ يأمن فيه أهله أن يُسبى أو يُؤذى ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أطْعِمْهم ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ﴾ أي: صدَّق ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ بالبعث.

﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ سأرزقه[٤] قليلاً في الدنيا ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ [إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ]﴾ أُلجئه وأردُّه إلى جهنم إنْ مات كافرًا.

﴿وَبِئْسَ [ٱلْمَصِيرُ] ﴿١٢٦﴾﴾ المرجع النار، قيل: علَّم الله السخاوة لخليله بهذه الآية.

---

(١) أي: أمنًا من النار لمن حجه وتعبد فيه، وهذا القول لم أجده، وقريب منه قول ابن الأنباري: معناه وأمنًا أن يُبخس القاصد له من الثواب الذي يوعده أمثاله، فهو واثق آمنٌ أنَّ أجرَه لا يضيعُ عند ربه (البسيط ٣/ ٣٠١).

(٢) في الأصل: واتَّخَذوا، على الفعل الماضي، وهي قراءة نافع وابن عامر، وقرأ الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٥٦٣) ويظهر لي أن هذا الضبط من الناسخ لا من المؤلف، لأن المؤلف جرى على قراءة أبي عمرو، ولأنَّ التفسير التالي للآية ليس على هذه القراءة، وعادة المؤلف أن يجعل التفسير الأول للقراءة التي يثبتها أولاً.

(٣) وهو الراجح، من بين أقوال قيلت في مقام إبراهيم (انظر: زاد المسير ١/ ١٠٩).

(٤) في الأصل: سأرزق.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ قيل: أنشأه إبراهيم، وقيل: آدم، إلا أنه عفا أثره فجدده إبراهيم[1]، ومعناه: وقد رفع إبراهيم ذلك ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾.

والقواعد من البيت أساسه، والملائكة يناولونهما الحجارة، فلما فرغا من البيت قالا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بناء بيتك بأمرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ بنياتنا.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ من الفريق الذين ينقادون لك، ويخضعون لأمرك، والإسلام الانقياد لأمر الله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ اجعلهم ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ أي: مخلصة بالتوحيد ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ عرِّفنا معاملات ديننا في حجنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ تجاوز عن ذنوبنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ المتجاوز المتحنن على الحُجَّاج.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمدًا ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ظاهر القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ باطن القرآن، وقيل: الحكمة الفقه.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يأخذ زكاة مالهم.

---

(١) وهذا الثاني قول عطاء، ويشهد له ما صح عن ابن عباس قال: القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك (رواه الطبري ٣/ ٥٨).

وعن أبي قلابة عن عبد الله بن عمرو قال: لما أهبط الله آدم من الجنة قال: إني مهبط معك - أو منزل - معك بيتًا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي، فلما كان زمن الطوفان رفع، فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه، حتى بوأه الله إبراهيم، وأعلمه مكانه، فبناه من خمسة أجبل: من حراء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الخمر. (رواه الطبري ٣/ ٥٨، وإسناده صحيح، ورواه بعضهم عن أبي قلابة من قوله، ليس فيه ذكر عبد الله بن عمرو).

وقال محمد بن علي[١]: ينميهم، فأنماهم الله تعالىٰ بمحمد حتىٰ صاروا أئمة الهُدىٰ، بليت أجسادهم وبقيتْ آثارهم[٢].

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ المنيع في سلطانك ونقمتك ممن لا يقر بوحدانيتك.

﴿ٱلْحَكِيمُ ١٢٩﴾ إذ حكمت ببعث رسولك من العرب بمكة.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ استفهام خرج مخرج الوعيد، أي: لا يكفر بدين إبراهيم ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ خسر نفسه.

والسفهُ: غلبة الجهل والطيش، والملة: اسم لكل طريق سُلك وبان أثره[٣].

ثم أثنىٰ علىٰ إبراهيم فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾[٤] بالنبوة والإسلام، وقيل بالخُلة والسخاء ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ مع آبائه المرسلين[٥]، ويقال: من الفائزين.

---

(١) هو الحكيم الترمذي. وهذا النقل لم أجده عنه، وفي نوادر الأصول ٣/ ١٥٠ كلام حول هذه الآية.

(٢) وقال ابن عباس: ويرشدهم إلىٰ أفضل عبادتك، وقال ابن جريج: يطهرهم من الشرك، ويخلّصهم منه. وقيل: يأخذ زكاة أموالهم، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ (البسيط ٣/ ٣٢٦).

(٣) البسيط ٢/ ١٦٣.

(٤) تصحفت: ولقد إلىٰ وهذا.

(٥) كذا في الأصل، وهو قول أبي صالح عن ابن عباس من رواية الكلبي، ولو قال: مع أبنائه المرسلين لكان صحيحا كذلك، لأنه أبو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (الكشف والبيان ٤/ ١٣٥، البسيط ٣/ ٣٣٦).

قال ابن جرير (في التفسير ٣/ ٩١): والصالح من بني آدم: هو المؤدي حقوق الله عليه، فأخبر تعالىٰ ذكره عن إبراهيم خليله، أنه في الدنيا صفي، وفي الآخرة ولي، وأنه وارد موارد أوليائه الموفين بعهده.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ استقم على ما أنت عليه من كلمة الإخلاص ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٣١﴾ قال: أخلصت لله مقالة لا إله إلا الله.

ثم قال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ لبنيه الإثني عشر، خصَّ بالذكر وصية إبراهيم، ألا ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ المرضي ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٣٢﴾ فاثبتوا على الإسلام.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ يعني: أكنتم يا يهود ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: لم تكونوا حضورًا فلماذا تشهدون بالباطل، لأنهم قالوا: أوصىٰ يعقوب بدين اليهودية[(١)].

ثم ذكر وصيته ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ امتحانًا لهم، فأجابوا جواب العقلاء ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ الخليل ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ الصادق ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ الحكيم ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ لا شريك له ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ١٣٩﴾ مسلمون معترفون بالعبودية.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ يعني: الأنبياء عصبة قد مضت لسبيلها[(٢)] ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَلَكُم﴾ جزاء ﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾ من شر ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ﴾ أيها اليهود ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٣٤﴾ إنما تُسألون عن أفعالكم.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ الآية [فيها] إضمار، وإنما قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النصارىٰ: كونوا نصارىٰ[(٣)] ﴿تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ بل تكون علىٰ ملة إبراهيم الحنيف الذي مال عن ملة اليهودية

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ٩٧، تفسير أبي الليث ١/ ٩٥.

(٢) البسيط ٣/ ٣٥٠.

(٣) تفسير الطبري ٣/ ١٠١.

والنصرانية، ونصب ملةَ على إضمار نتبع ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾ ثم علَّم المؤمنين جوابهم فقال:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ بجميع القرآن المُنْزَل على نبينا ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ من الصحف التي عمل بها أولاده ﴿[وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ] وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وسمى أولاد يعقوب أسباطًا[1]، وأولاد إسماعيل[2] قبائل ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أقررنا بأنه حق ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لا نفرِّق بين الأنبياء بالإيمان ببعض والكفر ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ١٣٦﴾ مخلصون.

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ يعني اليهود ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ من الضلالة.

﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أعرضوا وأبوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ وضلال وخلاف ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ هذا ضمان من الله لنبيه بالنُصرة، ومعناه: يرفع الله عنكم مؤونة اليهود ويكفيك شرهم. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالتهم ﴿ٱلْعَلِيمُ ١٣٧﴾ بعقوبتهم.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: دين الله، والصبغة: الإسلام[3].

قال محمد بن علي الحكيم: أراد الله هداية الموحد بغمس قلبه في ماء

---

(١) انظر بيان الأسباط في تفسير الطبري ٣/ ١١٢.

(٢) في الأصل يعقوب، وهو سبق قلم منه، انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٩٧، البسيط ٣/ ٣٥٦.

(٣) تفسير الطبري ٣/ ١١٧. وقال: وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تنصر أطفالهم، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس، بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية، فقال الله تعالى ذكره -إذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به: «كونوا هودا أو نصارى تهتدوا»-: قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى، بل اتبعوا ملة إبراهيم، صبغة الله التي هي أحسن الصبغ، فإنها هي الحنيفية المسلمة، ودعوا الشرك بالله، والضلال عن محجة هداه.

الرحمة فيغسله، فالصبغة هي ماء الرحمة[١].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ حيث صبغ قلب المؤمن في ماء الرحمة ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ موحدون. وقيل: ومن[٢] أحسن من دين الإسلام.

و«صبغة الله» منصوبة على قوله: «بل نتبع»[٣].

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ استفهام في معنى توبيخ[٤]، أي: لم تحاجوننا، أي: تخاصموننا ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ لنا ديننا الإسلام، ولكم اليهودية، ثم نسخ بآية السيف[٥].

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ۝١٣٩﴾ أي: قولوا ذلك.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾[٦] قل لليهود والنصارى: أنتم أعرف بدين إبراهيم [و] أولاده أم الله، ثم أوعدهم فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ

---

(١) نحوه في كتابة رياض النفوس له ص٣٤، وللحكيم كلام على تفسير هذه الآية في نوادر الأصول ١/ ٣٠٩.

(٢) في الأصل: دين، وهو تصحيف أحال المعنى. وانظر: تفسير السمعاني ١/ ١٤٦.

(٣) أي: بل نتبع صبغة الله، معاني القرآن للزجاج ١/ ٢١٥. وفيها أوجه أخرى، انظرها في تفسير الطبري ٣/ ١١٧، الدر المصون ٢/ ١٤٢.

(٤) التوبيخ والتقرير (كما في البسيط ٣/ ٣٦٣).

(٥) قال ابن الجوزي: قال أكثر المفسرين: هذا الكلام اقتضى نوع مساهلة، ثم نسخ بآية السيف (زاد المسير ١/ ١١٧). قلت: لم أقف عليه إلا عند المصنف وابن الجوزي، والظن أنَّه من تفسير الكلبي، لاعتماد المصنف عليه في باب النسخ وغيره، والآية تحمل معنى البراءة ولذا لا معنى للنسخ فيها، قال ابن كثير: أي برآء منكم كما أنتم برآء منا (تفسير ابن كثير ١/ ٤٥١).

(٦) في الأصل: على الغيبة في يقولون، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء: تقولون (النشر ٢/ ٢٢٣).

شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ في كتابهم من نعت محمد صلىٰ الله عليه وسلم وصفته ثم قال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠﴾ أيها اليهود والنصارىٰ.

﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا﴾ ثواب ﴿مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم﴾ ثواب ﴿مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١﴾.

وقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الجُهَّال من اليهود أو أهل مكة[(١)] ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ﴾ صرفهم ﴿عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ صلُّوا إليها، وهو بيت المقدس، قالت اليهود: رجع محمد عن قبلتنا وقبلة الأنبياء، وقال أهل مكة: رجع محمد إلىٰ قبلتنا الكعبة[(٢)].

[﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾][(٣)].

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٩٩.

(٢) تفسير الطبري ٣/ ١٢٩، تفسير أبي الليث ١/ ٩٩.

(٣) سقط علىٰ الناسخ من انتقال النظر، فذهب تفسير هاتين الآيتين، وهذا تفسيرهما من تفسير السمعاني ١/ ١٤٨ للفائدة:

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ يوجه العباد إلىٰ أيهما شاء ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾ أي: طريق مستقيم. والطريق المستقيم: هو الموصل إلىٰ المقصود.

ونزلت الآية في اليهود؛ حيث عيروا المسلمين علىٰ تحويلهم من بيت المقدس إلىٰ الكعبة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ يعني: كما اخترنا الأنبياء، واخترنا بني إسرائيل من الخلق، فكذلك اخترناكم من الأمم ﴿أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ أي: عدلا خيارا الذي ليس فيه غلو ولا تقصير، وذلك دين الإسلام؛ لأن النصارىٰ غلوا في دينهم، واليهود قصروا، وأما المسلمون أخذوا بالنمط الأوسط ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وذلك يوم القيامة، حين يسأل الأمم عن إبلاغ الرسل، فينكرون تبليغهم الرسالة، فيسأل الرسل فيقولون: بلغنا، فيقال لهم: ومن يشهد لكم؟ فيأتون بهذه الأمة فيشهدون لهم بالبلاغ، فتقول الأمم: إنهم أتوا بعدنا فكيف يشهدون

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ لنختبر(١) ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: لشك في دينه أو يرجع إلىٰ كفره ﴿وَإِن كَانَتْ [لَكَبِيرَةً]﴾ صَرْف القبلة ثقيلة شديدة علىٰ اليهود ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: المؤمنين الذين أرشدهم الله لدينه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ اللام لام الجحود، يعني صلاتكم نحو بيت المقدس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾(٢) بالمؤمنين شفيق بار.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ إدامة نظرك في السماء ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ لنحولَّنك ﴿قِبْلَةً [تَرْضَىٰهَا]﴾ تهواها وهي الكعبة ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: نحوه، ومعنىٰ الشطر النحو، فانصرف رسول الله إلىٰ الكعبة في خلال صلاته بعدما صلىٰ ركعتين ومضىٰ عليها(٣).

ثم قال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ أينما(٤) كنتم في بر أو بحر تحولوا إلىٰ الكعبة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ الصدق منه ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ [عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾]﴾ أي ساهٍ عن عمل اليهود في كتمان

بذلك؟ فيسأل هذه الأمة، فيقولون: أرسلت إلينا رسولا، وأنزلت علينا كتابا، وأخبرتنا فيه ببلاغ الرسل، وأنت صادق فيما أخبرت، فبذلك نشهد لهم بالبلاغ ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ علىٰ أعمالكم. وقيل: معناه مزكيا مصدقا علىٰ شهادتكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أي: ما حولنا القبلة من بيت المقدس إلىٰ الكعبة».

(١) تفسير أبي الليث ١/ ١٠٠.

(٢) في الأصل: رؤف علىٰ وزن: فَعُل، بقصر الهمزة من غير واو، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف وشعبة، وقرأ الباقون بزيادة واو بعد الهمزة زنة: فعول، وذلك حيث وقع في القرآن (النشر ٢/ ٢٢٣).

(٣) يشير إلىٰ قصة مسجد القبلتين، ذكرها الواحدي في البسيط ٣/ ٣٩١.

(٤) في الأصل: أي، وهو سبق قلم.

نعت محمد(١).

ثم ذكر عنادهم فقال: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: لو جئت إلىٰ رؤساء اليهود ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ ودلالة وعلامة علىٰ نبوتك ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ ما صلوا إلىٰ الكعبة ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ بعد انصرافك عنها ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ ليس اليهود بتابع قبلة النصارىٰ ولا النصارىٰ تابع قبلة اليهود، ثم حذره فقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ صليت إلىٰ قبلتهم، خاطبه والمراد به غيره(٢).

﴿[مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ] إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ الضارين بأنفسهم(٣).

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ أي: كما يعرف أحدكم ولده بين الصبيان. وقيل: يعرفون أمر القبلة(٤).

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ وهو صفة رسول الله وأمر القبلة ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ أنَّه نبي وأنَّ الكعبة قِبلة(٥).

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ١٨٤.

(٢) وكل ما كان من هذا القبيل من الخطابات فالخطاب له ولأمته (معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٢٤).

(٣) يفسر الظلم: بضرر العبد نفسه، وهذا تفسير الكلبي (كما في تنوير المقباس ٢١)، وقد تكرر من المصنف، وتكرر من أمثاله الذين اعتمدوا علىٰ تفسير الكلبي، كأبي الليث السمرقندي في تفسير أبي الليث والثعلبي في الكشف والبيان والسمعاني في تفسيره.

(٤) القولان في معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٢٥، والذي ذكره ابن جرير عن أهل التأويل - كابن عباس والربيع والسدي وابن زيد- هو أمر القبلة لا غير (تفسير الطبري ٣/ ١٨٨) وهو المناسب مع السياق.

(٥) وهذا تفسير الكلبي، وقد سلك في تفسيره هذا المسلك، فيحمل كل معرفة وكتمان من قبل أهل الكتاب علىٰ صفة النبي النبي صلىٰ الله عليه وسلم، سواء ساعده النظم أم لا.

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: هذا حق من ربك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ أي: الشاكين.

﴿وَلِكُلࣲّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾ لكل نبي وجهة واحدة وهو طريق الإسلام، وإنْ كانت الأحكام مختلفة[١]. والتولية هاهنا: الإقبال[٢].

﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ بادروا إلىٰ الصلوات الخمس. وقيل: إلىٰ قبول أمر الله[٣].

﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ في أي موضع تموتون يحشركم الله جميعًا الأول والآخر[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءࣲ قَدِيرࣱ ١٤٨﴾ من الخلق والبعث والجزاء.

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ﴾ من مكة والمدينة ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ﴾ حوِّل وجهك في الصلاة ﴿شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ﴾ أي: أمر القبلة صدق من الله عز وجل ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩﴾.

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ أي: الكعبة ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ تلقاءه ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ أي: اليهود

---

(١) المفسرون علىٰ أنَّ المراد: لكل أهل ملة، ولا شك أن الأنبياء قادة أهل مللهم، فلا تناقض بين هذا الذي ذكره المصنف وما يذكره المفسرون (تفسير الطبري ٣/ ١٩٢).

(٢) هذا قول الفراء (معاني القرآن١/ ٨٥)، والمعنىٰ: قبلة هو مستقبلها، ووافقه ابن جرير (٣/ ١٩٤). وبعض أهل التفسير علىٰ أن التولية هنا الانصراف، والمعنىٰ: قبلة مصروف إليها، (الكشف والبيان ٤/ ١٩٤).

(٣) وحمل ابن جرير المعنىٰ علىٰ العموم، أي: سارعوا إلىٰ الخيرات، وأولها القبلة التي حولتم إليها، وهذا قول قتادة، وقال ابن زيد: الأعمال الصالحة (تفسير الطبري ٣/ ١٩٦).

(٤) تفسير الطبري ٣/ ١٩٧.

﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ قيل هذا استثناء منقطع، يعني: ولكن الذين ظلموا يحاجونك بالباطل[١].

وقيل: والذين ظلموا[٢] ﴿مِنْهُمْ﴾.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ بانصرافكم إلىٰ الكعبة ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ في تركها ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ بهدايتكم إلىٰ قبلة إبراهيم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٠﴾ من الضلالة.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ معناه: نعمتي عليكم كما أرسلنا محمدًا إليكم رسولاً منكم آدمي مثلكم[٣].

﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ كتابنا ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم بالتوحيد ويصلحكم بأخذ الزكاة.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٨٩.

(٢) في الأصل: بدون واو، وهذا قول حكاه الفراء وزعم أنَّه صحيح في التفسير ضعيف في اللغة، وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٦٠، قال: «موضع «إلّا» هاهنا ليس بموضع استثناء، إنما هو موضع واو الموالاة، ومجازها: لئلا يكون للناس عليكم حجة، وللذين ظلموا» وقد رده ابن جرير وغيره.
واختار ابن جرير أنه استثناء متصل غير منقطع، وأن الذين ظلموا هم أهل الشرك، وروىٰ ذلك عن بعض أهل التأويل، قال (في التفسير ٣/ ٢٠١): «معنىٰ الكلام: لئلا يكون لأحد من الناس عليكم خصومة ودعوىٰ باطل غير مشركي قريش، فإن لهم عليكم دعوىٰ باطلا وخصومة بغير حق، بقيلهم لكم: «رجع محمد إلىٰ قبلتنا، وسيرجع إلىٰ ديننا».
فذلك من قولهم وأمانيهم الباطلة، هي الحجة التي كانت لقريش علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه.
ومن أجل ذلك استثنىٰ الله تعالىٰ ذكره: الذين ظلموا؛ من قريش من سائر الناس غيرهم، إذ نفىٰ أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة، وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

(٣) تفسير الطبري ٣/ ٢٠٨.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ [ٱلْكِتَٰبَ]﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: الفقه، وقيل: السُّنَّة ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ قبل محمد مِن صلاح دينكم.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ اذكروني بالطاعة أذكركم بالرحمة(١).

وقيل: اذكروني في الرخاء أذكركم في الشدة(٢).

﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ أي: نعمتي عليكم بإرسال الرسل ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ أي: لا تجحدوا هذه النعمة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ استرفقوا علىٰ طلب الآخرة وتمحيص الذنوب بالصبر علىٰ أداء الفرائض والصلاة، يعني: خمس صلوات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ بالمعونة والنُصرة لهم.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ كانوا يقولون لقتلىٰ بدر وأحد: مات فلان ومات [فلان]، فكره الله ذلك، وأنزل الآية(٣).

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ عند ربهم في الجنة ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ حياتهم بعد زوال أرواحهم(٤).

---

(١) وهو مروي عن سعيد بن جبير (تفسير الطبري ٣/ ٢٢١).

(٢) معالم التنزيل ١/ ١٦٧.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤/ ٢٢٠، والواحدي في البسيط ٣/ ٤٢٣، وأسباب النزول ص٤٧، وهذا يعرف من تفسير الكلبي عن ابن عباس (تنوير المقباس ٢١).

(٤) وهاهنا مسألة بديعة عن الإمام الطبري، فقد قال في تفسيره ٣/ ٢١٦: إن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ من خصوصية الخبر عن المقتول في سبيل الله الذي لم يعم به غيره؟ وقد علمت تظاهر الأخبار عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم، فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلىٰ الجنة يشمون منها روحها، ويستعجلون الله قيام الساعة، ليصيروا إلىٰ مساكنهم منها، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها، وعن

الكافرين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلىٰ النار ينظرون إليها، ويصيبهم من نتنها ومكروهها، ويسلط عليهم فيها إلىٰ قيام الساعة من يقمعهم فيها، ويسألون الله فيها تأخير قيام الساعة، حذارا من المصير إلىٰ ما أعد الله لهم فيها، مع أشباه ذلك من الأخبار.

وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فما الذي خص به القتيل في سبيل الله، مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة، وسائر الكفار والمؤمنين غيره أحياء في البرزخ، أما الكفار فمعذبون فيه بالمعيشة الضنك، وأما المؤمنون فمنعمون بالروح والريحان ونسيم الجنان؟

قيل: إن الذي خص الله به الشهداء في ذلك، وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالىٰ ذكره، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يطعمها الله أحدا غيرهم في برزخه قبل بعثه.

فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم، فقال تعالىٰ ذكره لنبيه محمد صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩-١٧٠]، وبمثل الذي قلنا جاء الخبر عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. ثم روىٰ حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: الشهداء علىٰ بارق، نهر بباب الجنة، في قبة خضراء -وقال عبدة: في روضة خضراء- يخرج عليهم رزقهم من الجنه بكرة وعشيا.

ثم قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فإن الخبر عما ذكرت أن الله تعالىٰ ذكره أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من النعمة التي خصهم بها في البرزخ غير موجود في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ وإنما فيه الخبر عن حالهم، أموات هم أم أحياء.

قيل: إن المقصود بذكر الخبر عن حياتهم، إنما هو الخبر عما هم فيه من النعمة، ولكنه تعالىٰ ذكره لما كان قد أنبأ عباده عما خص به الشهداء في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩]، وعلموا حالهم بخبره ذلك -ثم كان المراد من الله تعالىٰ ذكره في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ نهي خلقه عن أن يقولوا للشهداء أنهم موتىٰ- ترك إعادة ذكر ما قد بين لهم من

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ أي: خوف العدو ﴿وَٱلۡجُوعِ﴾ قحط السنين ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ﴾ بذهاب الأموال والأمراض ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ أي: الزروع، قيل موت الأولاد(١). ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ الثابتين على البلاء(٢).

ثم نعتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ نقرُّ بالعبودية لله ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ نقر بالبعث، وقيل: إن عشنا فعليه أرزاقنا، وإن متنا فإليه مآبنا(٣).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ﴾ مغفرة ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ ترحم وتحنن ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ الموفقون للاسترجاع.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: السعي بين الصفا والمروة من متعبدات الحج، والشعائر: المعالم، وأصله شعرت أي: علمت، وشعائر الله: ما جعله مواطن عبادته يعلم العباد ذلك(٤).

﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ﴾ قصد البيت أو زاره للعمرة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾ أي: لا إثم عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ يسعى بين الصفا والمروة، وكانوا يكرهون ذلك لمكان الصنمين بينهما وهما إساف ونائلة، فرفع الله الكراهية(٥).

خبرهم، وأما قوله: ﴿أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤﴾ فإنه يعني به: ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياء، وإنما تعلمون ذلك بخبري إياكم به.

(١) قال الثعلبي: لأن ولد الرجل ثمرة قلبه (الكشف والبيان ٤/ ٢٢٥).

(٢) في الأصل: النداء، وأراها مصحفة.

(٣) نحوه في تفسير أبي الليث ١/ ١٠٦.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ١٠٦، البسيط ٣/ ٤٣٤.

(٥) في صحيح البخاري (١٦٤٣) وصحيح مسلم (١٢٧٧) قال عروة: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾، فوالله ما

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: زاد في الطواف بعد طوافه الفريضة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ اليسير من عمله ﴿عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ بنيته، والشكر من الله المجازاة والثناء(١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وهو القرآن بالأمر والنهية ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ صفة محمد ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾ أوضحناه ﴿لِلنَّاسِ﴾ لبني إسرائيل ﴿[فِى ٱلْكِتَٰبِ] أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعذبهم في القبور، وقيل يطردهم عن رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ الخلائق كلهم إلا الإنس والجن.

على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية قالت عائشة رضي الله عنها: «وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما»..

ثم أخبرتُ أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته، ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يذكرون: أن الناس، - إلا من ذكرت عائشة - ممن كان يهل بمناة، كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت، ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله، كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

قال أبو بكر: «فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما، في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة، والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام، من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت، ولم يذكر الصفا، حتى ذكر ذلك، بعد ما ذكر الطواف بالبيت»

(١) ذكر السمعاني والبغوي وابن كثير وغيرهم أن الشكر من الله هو: أن يعطي فوق ما يستحق العبد بأن يثيب على القليل الكثير (تفسير السمعاني ١/ ١٦٠، معالم التنزيل ١/ ١٧٥، تفسير ابن كثير ١/ ٤٢٧).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ رجعوا ووحدوا ربهم ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ نعت رسول الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أتجاوز عنهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ﴾ المتجاوز ﴿ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ علىٰ من مات علىٰ التوبة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ [وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٦١]﴾ والمؤمنين.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين في العذاب واللعنة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ لا يرفع ولا يهوَّن ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ أي: لا يؤجلون ساعة حتىٰ يستريحوا.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له ولا ولد ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا يستحق الألوهية[1] إلا هو، ثم وصف نفسه بالرحمة فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ العاطف المتحنن[2].

ثم ذكر آية وحدانيته فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في ذهابهما ومجيئهما ونقصانهما ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ وهو السفن في البحر لمعايش بني آدم ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ [مِنَ ٱلسَّمَآءِ]﴾ أمطر الله مِن السحاب ﴿مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يبسها وذهاب النبات منها ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ أي: خَلق في الأرض من الهوام وفرَّقهم في البلاد ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ يمينًا وشمالاً في الرحمة والعذاب ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ المذلَّل في الهواء ﴿[بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ] لَأَيَٰتٍ﴾ أي: هذه كلها أعلامٌ علىٰ وحدانية الله ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ يصدقون.

---

(١) يفرق المصنف أحيانًا بين الألوهية والربوبية كما هنا، ويعبر أحيانًا عن الربوبية: بالوحدانية.

(٢) سبق له أن أوَّل صفة الرحمة، وهنا فسرها علىٰ غير ذاك التأويل، مما يجعل -احتمالا- أن أصله الذي اعتمد عليه -وهو المفسر الكبير- لم يكن من المؤولة، وأن مرجعه في التأويل هو الأستاذ أبو منصور الماتريدي، والله أعلم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ أي: أعدالاً من الأصنام، وقيل: أشكالاً من الرجال أطاعوهم في معصية الله[١] ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي: يحبوا الأنداد كحب المؤمنين الله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أي: أدوم محبة لله من عابد الوثن، لأنَّ عابد الوثن يعبده في الرخاء لا في الشدة، فإنهم في الشدائد يفزعون إلىٰ غير الأوثان[٢].

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أشركوا ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ في الآخرة، متروك الجواب[٣].

ثم قال ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لأنَّ القوة لله جميعًا ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾. وقيل: ولو يرىٰ الذين ظلموا العذاب في الآخرة لآمنوا في الدنيا[٤].

---

(١) الأول قول الجمهور، والثاني قولٌ للسدي، وهما متقاربان، إذ يمكن أن يقال: الأنداد كل ما نصب عدلا لله عز وجل فعبد بأي نوع من أنواع العبادة ومنها: الطاعة في معصية الله والشرك. (تفسير الطبري ٣/ ٢٧٩، تفسير أبي الليث ١/ ١١٠، البسيط ٣/ ٤٦٦).

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٢٧٩.

(٣) تفسير الطبري ٣/ ٢٨٣، معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٣٨.

(٤) في الياء من قوله: «ولو يرىٰ» قراءتان، بالتاء وبالياء، وتقدير المحذوف علىٰ القراءتين:
من قرأ بالتاء فهو خطاب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، و الجواب تقديره: ولو ترىٰ أي تبصر يا محمد الذين ظلموا أي أشركوا إذ يرون العذاب لرأيت أمرا عظيما أو لعلمت ما يصيرون إليه أو لتعجبت منه.
ومن قرأ بالياء: فمعناه: ولو يرىٰ الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب لعلموا أن القوة لله جميعا أو لآمنوا أو لعلموا مضرة الكفر (تفسير الطبري ٣/ ٢٨٣، الكشف والبيان ٤/ ٢٧٣).
وأما الحكمة في حذف جواب لو، فقد قال أصحاب المعاني: وحذف جواب لو في مثل هذا الآي يكون أفخم وأبلغ؛ لذهاب المخاطب المتوعَّد إلىٰ كلِّ ضرب من الوعيد، ولو ذكر له ضرب من الوعيد لم يكن مثل أن يبهم عليه؛ لأنه يوطِّن نفسه علىٰ ذلك المذكور، ومن وطَّن نفسه علىٰ شيء لم يصعب عليه صعوبتَه علىٰ من لم يوطنْ عليه نفسَه (البسيط ٣/ ٤٧٢).

﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ عامل الإعراب: شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا وقت تبرأ هذا من هذا؛ عند معاينة العذاب؛ إذ تبرأ السادة من الأتباع، والقادة من السفلة، والشياطين من الكفرة[١].

﴿وَرَأَوُاْ﴾ كلهم ﴿ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ أي: انقطع وصلهم، والأسباب الوُصلات[٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ أي: سِفْلَتهم عند براءة الرؤساء منهم ﴿لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ﴾ رجعة إلىٰ الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ﴾ الساعة.

﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ عقوبة آثامهم ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ ندامات علىٰ قلوبهم حيث يريهم مكان المطيعين في الجنة ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ أبدًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ كلوا مما في الأرض من الزروع والأنعام حلالاً طيبًا.

الحلال: ما أطلق الشرع أخذه[٣]، والطيب: ما استلذه الطبع[٤].

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ هي: جمع خطوة وهو ما بين القدمين، وأراد به: تزيينه ووسواسه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ ظاهر العداوة إذ لم يسجد لأبيكم.

﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ السوء: الإثم، والفحشاء المعاصي، ويقال: الزنا.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٣٧، الدر المصون ٢/ ٢١٧.

(٢) أي الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا (الكشف والبيان ٤/ ٢٧٥).

(٣) انظر في الحلال: تفسير الطبري ٣/ ٣٠٠، البسيط ٣/ ٤٨٣، المفردات ١/ ٢٥١.

(٤) انظر في الطيب: تفسير الطبري ٣/ ٣٠١، البسيط ٣/ ٤٨٣، المفردات ١/ ٥٢٧.

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ ما لا علم لكم به من الحل والحُرمة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لمشركي العرب ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من أحكامه ﴿قَالُوا۟ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي: وجدناهم عليه من الدين والمنهاج وتحريم البحيرة والسائبة ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ هذا واو عطف دخل عليها ألف التوبيخ، فلهذا فتحت[1].

يعني: أيتبعون آباءهم ولو كانوا جُهَّالاً[2] ﴿لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـًٔا﴾ من الدين ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ إلىٰ السُنَّة.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ﴾ أي: مثل الكفار في دعائهم كمثل الراعي في دعائه البهائم، يدعوها ولا تفهم الدواب ذلك.

وقيل: كمثل الذي ينادي في الجبل فيجيبه الصدىٰ بما لا يسمع منه ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ إذا قال: يا زيد يجيبه الصدىٰ: يا زيد، وليس وراءه شيء، فكذلك الكافر لا يسمع من دعاء رسول الله إلا صوته.

---

(١) سواء قلت هنا: ألف التوبيخ أو ألف الاستفهام. لأنها في الأصل ألف استفهام أفادت التوبيخ، معاني القرآن ١/ ٩٨، معاني الزجاج ١/ ٢٤٢، البسيط ٣/ ٤٩٠، البحر المحيط ١/ ٤٨٠.
قال الواحدي: «وإنما جعل ألف الاستفهام للتوبيخ؛ لأنه يقتضي ما الإقرار به فضيحة كما يقتضي الاستفهام الإخبار عن المستفهم عنه. وفي هذا حجة عليهم، كأنه قيل: إذا جاز لكم أن تتبعوا آباءكم فيما لا تدرون أعلىٰ حق هم فيه أم باطل؟ فأنتم كمن قال: نتبعهم وإن كانوا علىٰ باطل، وهذا غاية الفضيحة.
والآية تضمنت النهي عن التقليد؛ لأن الله تعالىٰ أنكر عليهم متابعة آبائهم، وأمر بمتابعة العقل والهدىٰ».
(٢) البسيط ٣/ ٤٨٩.

﴿صُمٌّ﴾ عن صوت الخير[١] ﴿بُكۡمٌ﴾ عن التكليم بالخير ﴿عُمۡيٞ﴾ عن الحق ﴿فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ التوحيد[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي: من الحلالات في وقت الحاجة ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ علىٰ نعمه وأطيعوه ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ إن كانت عبادة الله عليكم واجبة.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ الميتة التي ماتت حتف أنفها، والدم دم مسفوح ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: حرم عليكم أكل بهيمة ذكر عند ذبحها غير اسم الله تعالىٰ ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ في المجاعة إلىٰ كل شيء من هذه المحرمات ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ أي: غير متجاوز قدر حاجته وغير مقصر عن ما يقيم حياته.

وأصل البغي: الطلب لغةً[٣].

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ في أكله مقدار ما يسكن به رمقه ولا يتزوَّد منها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لذنوب العباد ﴿رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ بهم إذ رخص لهم في أكلها عند الاضطرار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من نعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم عليه ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في التوراة ﴿وَيَشۡتَرُونَ﴾ أي: يختارون ﴿بِهِۦ﴾ بكتمان ذلك ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ عرضًا يسيرًا وهي الدنيا بأسرها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ﴾ أي: ما يجعلون في بطونهم ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ يعني الحرام، سمىٰ الحرام نارًا لأن عاقبته إلىٰ النار، وقيل يأكلون في جهنم جزاء علىٰ عملهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ

---

(١) كأن رسمها في الأصل: صوب الخبر، وما أثبته أشهر في كتب التفسير، والله أعلم.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ١١٣، تفسير السمعاني ١/ ١٦٨، معالم التنزيل ١/ ١٨٢.

(٣) البسيط ٣/ ٥٠١.

ٱللَّهُ [يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ]﴾ أصلاً[١]، كما قال في آية أخرىٰ: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ والملائكة تسألهم أيضًا.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ يبرئهم من الذنوب ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: استبدلوا الكفر بالإيمان ﴿وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ ما أجرأهم، بمعنىٰ التعجب، وقيل: ما استفهام، أي: ما الذي صبَّرهم عليها[٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ لأن الله ﴿نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ﴾ والتوحيد ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ﴾ من اليهود في التوراة والنصارىٰ في الإنجيل ﴿لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ خلاف طويل.

﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ أيها اليهود إلىٰ بيت المقدس وأيها النصارىٰ نحو الشرق، وكانوا يقولون: البر هو الصلاة إلىٰ قبلتنا.

ثمَّ بين البر فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ يعني:[٣] البار هو من آمن بالله ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أقر بالبعث ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: بكتب الله وأنبيائه ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ تصدق بماله الذي هو محبب عنده ﴿ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ علىٰ أقربائه ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الضيف النازل به.

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ علىٰ بابه.

---

(١) قال ابن جرير (في التفسير ٣/ ٣٣٠): «وأما قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ يقول: ولا يكلمهم بما يحبون ويشتهون، فأما بما يسوءهم ويكرهون، فإنه سيكلمهم، لأنه قد أخبر تعالىٰ ذكره أنه يقول لهم إذا قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [سورة المؤمنون:١٠٨].

(٢) القولان مرويان عن السلف (تفسير ابن جرير ٣/ ٣٣٣).

(٣) هنا زيادة في الأصل: وقيل، وهو اقحام لا معنىٰ له.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ المكاتبين يعينهم علىٰ بذل الكتابة[١].

ثم ذكر الفرائض فقال: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المقرونة ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ أي: يتموا عهودهم[٢].

ثم مدحهم فقال: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ نصب علىٰ المدح. وقيل: نصب علىٰ تطاول الكلام[٣].

والبؤس: الفقر والضر المرض[٤].

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ أي: الصابرين عند القتال.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ عما نهوا عنه المؤتَمِرُون بما أمروا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ أي: فُرض عليكم القصاص علىٰ من قَتل منكم عمدًا، والقصاص من أصله: المساواة[٥].

﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ وفاءً ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ وفاءً ﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ [لَهُۥ]﴾ أي: تُرك عليه، أي: علىٰ القاتل ﴿مِنْ﴾ حق ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول ﴿شَىْءٌ﴾ وجب عليه فصولحَ بالدية أو غيرها ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: فعلىٰ الطالب مطالبته من

---

(١) في الأصل: يغنيهم علىٰ بدل، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت.

(٢) وفي رفع الموفون ثلاثة أوجه، انظرها في الدر المصون ٢/ ٢٥٠.

(٣) هذه من المسائل المشهورة في التفسير وعلوم القرآن، والمصنف ذكر القولين المشهورين، انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٥، تفسير الطبري ٣/ ٣٥٢، معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٤٧، البسيط ٣/ ٥٢٥.

(٤) وهو مروي عن ابن عباس وغيره (تفسير الطبري ٣/ ٣٤٩، البسيط ٣/ ٥٢٨).

(٥) لابن جرير مباحث نفيسة علىٰ هيئة السؤال والجواب حول هذه الآية، انظرها في: تفسيره ٣/ ٣٥٨.

غير غيظ.

ثم حثَّ المطلوب على الأداء فقال: ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ أي: بلا مماطلة ومشقة ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ تهوين وتسهيل ﴿وَرَحۡمَةٞۗ﴾ وتحنُّن ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ من أولياء المقتول على القاتل بعد العفو فقتله ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾ عقاب وجيع في الآخرة والدنيا.

وفيه دليل أنَّ العبد لا يكفر بالذنب لأنَّ أعظم الذنب سفك الدماء، والله تعالى سمَّى القاتل في الابتداء مؤمنًا، وفي وسط الآية سمَّاهم إخوانًا، [و] في آخرها قال ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾ وعد لهم الرحمة[١].

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ بقاء، وهو أن يحجز القاصد إلى القتل عن القتل خوف القتل فيبقى حيًا والمقصود بقتله حيًّا ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ يا ذوي العقول ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ تمتنعون من الدماء خوف القصاص[٢].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: قرب ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾ أي: مالاً بلغة جُرهم[٣] ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ الصلة لهما ﴿وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ الأقرباء ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ بالقصد من غير سرف.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ أي: حقيقًا على المؤمنين.

---

(١) تفسير السمعاني ١/ ١٧٤.

(٢) قال الواحدي (في البسيط ٣/ ٥٤١):«قال عُظْمُ أهل التأويل: معناه: أن سافكَ الدم إذا أُقيد منه ارتدع من كان يهمُّ بالقتل، فكان في القصاص بقاءٌ؛ لأنه إذا علم أنه إن قَتل قُتِلَ أَمْسَكَ وارتدع عن القتل، ففيه حياةٌ للذي همَّ بقتله، وحياةٌ للهامِّ أيضًا..أخذه المتمثلون فقالوا: بعض القتل أحيا للجميع، وقالوا: القتل أقل للقتل».

(٣) اتفق المفسرون أن الخير هنا المال، انظر: تفسير القرطبي ٢/ ٢٥٩، وكونه بلغة جرهم نقله السامري في اللغات في القرآن ٢١، والسيوطي في الاتقان ٢/ ١١٤.

وهذه الآية منسوخة بآية المواريث(١).

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ أي: بدَّل المعروف من الوصية، الهاء راجع(٢) إلىٰ شرط الوصية [﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾] أي: بعدما سمع ذلك من الموصي ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ وزر التبديل علىٰ مُغيِّر الوصية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لوصية الموصي من العدل أو الحيف ﴿عَلِيمٌ ١٨١﴾ بما يفعله الموصي.

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ أي: علم من موص جنفًا أي: ميلاً [﴿أَوْ إِثْمًا﴾] أَوْ قصدًا إلىٰ الجور(٣) [﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾] أصلح بين الورثة ورد الوصية إلىٰ الثلث بعد موت الموصي.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ علىٰ الموصَىٰ فيما بدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للوصي ﴿رَّحِيمٌ ١٨٢﴾ حنين حين رخص له ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ في شهر رمضان ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: أهل الإنجيل، وقيل: علىٰ سائر الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ هاهنا ترجي ﴿تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ الأكل والشُرب والإفضاء.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ ثلاثين يومًا من أيام الشهر ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم

---

(١) علىٰ قول بعض العلماء، وقال السمعاني: والأصح: أنه صار منسوخًا في حق الكل، وبقيَ الاستحباب في حق الأقربين الذين لا يرثون (تفسير السمعاني ١/ ١٧٥).

(٢) في الأصل كلمة مصحفة صورتها هكذا: الـا رافع.

(٣) في الأَصل: وقصدا.

فرقوا بين الجنف والإثم بالقصد، فقالوا: الجنف الميل عن الحق خطأً والإثم الميل عنه عمدًا، وهو مروي عن طائفة من السلف كابن عباس والسدي وعكرمة والربيع، (انظر: تفسير مقاتل ١/ ١٦٠، تفسير الطبري ٣/ ٤٠٣، البسيط ٣/ ٥٥٢، معالم التنزيل ١/ ١٩٤، تفسير القرطبي ٢/ ٢٧٠).

﴿مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ عدد ما أفطر من أيام أُخر ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ يستطيعون الصوم ولا يكونوا مرضىٰ ولا سفرًا فأفطروا ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ لكل يوم مُدًّا من حنطة لكل مسكين، ثم صارت منسوخة بقوله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(١).

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ أي: من أعطىٰ مسكينين طائعًا من قِبل نفسه فهو خير له عند ربه(٢).

﴿وَأَن تَصُومُوا۟﴾ شهر رمضان في حال الصحة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أن تفطروا وتطعموا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤﴾ ثواب الصائمين عند الله.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ يعني: كتب عليكم الصيام في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ، في كل عام في كل ليلة القدر في عشرين شهرًا إلىٰ سماء الدنيا، ونزل به جبريل للنبي صلىٰ الله عليه وسلم في عشرين سنة(٣).

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ١٢٢.

(٢) أي بدل أن يعطي مسكينا يعطي مسكينين، وهذا تفسير مقاتل، فقد قال: فزاد علىٰ مسكين فأطعم مسكينين أو ثلاثة مكان كل يوم.
وهذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما (تفسير الطبري ٣/ ٤٤١).
وقيل: التطوع هو أن يصوم مع الفدية، وهو قول ابن شهاب الزهري، وقيل التطوع في الزيادة في قدر إطعام المسكين، ورجح ابن جرير العموم (تفسير الطبري ٣/ ٤٤٣)..

(٣) لا خلاف عند العلماء أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ جملة إلىٰ السماء الدنيا في ليلة القدر، فوضع في بيت العزة، ثم نزل منجما بعد ذلك في ثلاث وعشرين سنة وبعضهم يقول كما قال المصنف: في عشرين سنة (تفسير السمعاني ١/ ١٨٣، معالم التنزيل ١/ ١٩٨، تفسير القرطبي ٢/ ٢٩٧).
وهذا الذي ذكره المصنف هو بنصه قول مقاتل في تفسيره ١/ ١٦١، وقد أورده القرطبي، ثم قال: وقول مقاتل خلاف ما نقل من الإجماع.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ نصب على الحال[١]، أي: أنزلنا القرآن هاديًا للناس، ودليلاً على الحق لمن أقرَّ به ﴿وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ وآيات واضحات من الحلال والحرام ﴿وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ أي: المخرج من الشبهات، سُمِّي فرقًا لأنه يفرِّق بين الحلال والحرام.

وسمي القرآن قرآنًا: لأنه حروف منظومٌ بعضها إلى بعض، يقال قرأتُ الماء في الحوض أي: جمعتُ[٢].

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ﴾ أي: من كان حاضرًا شهر رمضان وهو صحيح العقل والبدن فليصُم الشهر بتمامه ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ فأفطر ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾ يصومها مكانه ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ بما رخص من الإفطار في السفر والمرض ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ المشقة عليكم ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ أمر مواجهة، أي: أكملوا عدة الشهر[٣] ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: تعظِّموه ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ أي: بما هداكم شرائع رسوله ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ نعمه.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ عن إجابتي ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ بالإجابة ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ دنيا أو دينًا، بعد أن لا يعجل ولا ييأس، ولا يدعوني عن قلب غافل.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٩٦.

(٢) البسيط ٣/ ٥٧٤.

(٣) عُظْم المفسرين على أن اللام هنا هي لام كي، وليست لام الأمر (البسيط ٣/ ٥٩٠)، وعلامة لام كي أنها لو ألقيت كان صوابا، قال الفراء (في معاني القرآن ١/ ١١٣): «والعرب تدخلها في كلامها على إضمار فعل بعدها. ولا تكون شرطا للفعل الذي قبلها وفيها الواو. ألا ترى أنك تقول: جئتك لتحسن إليَّ، ولا تقول جئتك ولتحسن إليَّ، فإذا قلته فأنت تريد: ولتحسن إليَّ جئتك، وهو في القرآن كثير» وصوبه ابن جرير (في التفسير ٣/ ٤٧٨).

قال الصادق رضي الله عنه: إن للدعاء أركانًا وأجنحةً وأوقاتًا وأسبابًا؛ فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار إلىٰ السماء، وإن وافق مواقيته استجيب، وإن وافق أسبابه أنجح، فأركانه: حضور القلب، والرقة، والاستكانة، والخشوع، وتعلُّق القلب بالله تعالىٰ، وقطع الأسباب، فإنه موضع الإجابة، وأجنحته: الصدقة فإنها ترفعه، وهي تطفئ غضب الرب، وأسبابه: أن لا يكون السؤال محالاً، ومواقيته: أوقات الأسحار، وأدبار الصبح، وبين الأذان والإقامة، وبعد أن يصلي علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم(١).

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ وليصدقوا رسولي ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ لكي يهتدوا.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ أي: رخص في ليلة الصيام ﴿ٱلرَّفَثُ [إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ]﴾ الجماع مع نسائكم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ وإنما سمي لباسًا لأن كل واحد منهما يتحصن ويتعفف بصاحبه فلا يظهر لهما في الناس عورة(٢).

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تظلمون ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالجماع في ليلة الصيام قبل حله، وأراد به عمر رضي الله عنه(٣).

---

(١) نقله القرطبي في تفسيره (٢/ ٣١١) منسوبا إلىٰ ابن عطاء.

(٢) أو لأنهما يعتنقان ويشيتمل كل واحد منهما علىٰ صاحبه في عناقه فشبه باللباس المشتمل عليه (الكشاف ١/ ٢٣٠) وهو مستفاد من الزجاج في معاني القرآن ١/ ٢٥٦.

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ٣/ ٤٩٣، وأحمد في المسند ١٥٧٩٥ من طريق ابن لهيعة، وهو ضعيف الحديث، لكنه من رواية عبد الله بن المبارك، وقيل: إن رواية العبادلة عنه جيدة، فهذا منها.
وله شاهد من حديث ابن أبي ليلىٰ عن عمر، ومن حديث علي بن ابي طلحة عن ابن عباس، رواهما ابن جرير في التفسير ٣/ ٤٩٦.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ أي: ترككم ولم يعاقبكم ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ﴾ أحللت لكم ذلك، فـ ﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ المباشرة: المباضعة، وهو أمر إباحة[1] ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: بالنية الخالصة عند المجامعة أن يكون لي بهذا ولد صالح يسبحه ويذكره.

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ في الليل ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ أراد به الصبح وطلوع الفجر المعترض بعد ذهاب الليل ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ إلىٰ وقوع قرص الشمس ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ﴾ ليلاً ولا نهارًا ﴿وَأَنتُمْ [عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ]﴾ معتكفون ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: شرط الله، وقيل معصية الله[2] ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ يعني المجامعة ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ نهيه عن الجماع في الاعتكاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ الجماع.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال أخيه المسلم بالظلم ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أي: ولا تلجئوهم إلىٰ المرافعة إلىٰ الحكام.

وفي صحيح البخاري (١٩١٥) عن البراء رضي الله عنه، قال: كان أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائما، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتىٰ يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما، فلما حضر الإفطار أتىٰ امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلىٰ الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ففرحوا بها فرحا شديدا، ونزلت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(١) تفسير الطبري ٣/ ٥٣٩، البسيط ٣/ ٦٠٣.

(٢) وكلا القولين مروي عن بعض السلف، والأول أكثر (تفسير الطبري ٣/ ٥٤٧).

وقيل: لا تحتجوا بشهادة الزور إلىٰ الحكام لينظروا ما يجعل لكم من الحكم، كمن أدلىٰ دلوه في البئر لينظر ما يخرج له منها[١].

و«تدلوا» جزمًا علىٰ النهي أي: لا تدلوا[٢].

﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾ أي: طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ أي: بالظلم والجور ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ أنكم مبطلون في دعواكم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ تبدو دقيقة ثم تنشق[٣] ثم تنتقص ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ أي: جعلت ذلك لمواقيت الناس، لحل ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نساءهم وغير ذلك ﴿وَالْحَجِّ﴾ أي: يعرفون وقت الحج.

ثم ابتدأ وقال: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ كانوا في الجاهلية إذا أحرموا وفي ابتداء الإسلام ينقبون ظهور بيوتهم، أي: خلفها، فيدخلون منه ويخرجون، وبعضهم يتسور من كوَّة بيته بسلمٍ، إلا قريشًا ومن تبعهم من كنانة وخزاعة فإنهم يدخلون ويخرجون من الباب، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ ليس التقوىٰ في باب الإحرام أن تدخلوا بيوتكم من ظهورها، أي: خلفها[٤].

قال الشيخ الحداد: ذكر في بعض التفاسير أن البيوت هاهنا النساء نهىٰ[٥]

---

(١) والأول أشهر، تفسير الطبري ٣/ ٥٥٢، تفسير أبي الليث ١/ ١٢٦.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٩٨.

(٣) كذا في الأصل، والمشهور في كتب التفسير: تبدو دقيقة ثم تمتلئ نورا ثم ترجع دقيقة (تفسير السمعاني ١/ ١٩١، معالم التنزيل ١/ ٢١١).

(٤) والروايات عنهم في ذلك مخرجة في تفسير الطبري ٣/ ٥٥٦، منها قول البراء: كانت الأنصار إذا حَجوا ورَجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظُهورها، قال: فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه، فقيل له في ذلك، فنزلت هذه الآية..

(٥) لعلها هكذا فإنها في الأصل مصحفة غير واضحة.

عن إتيانهن عن الأدبار[١].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ لكن الطاعة طاعة مَن اتقىٰ الله في الإحرام من الرفث والجدال والفسوق ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾ رخص لكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾ لكي تفوزوا بثوابه وتنجوا من عقابه.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ أي: حاربوا أعداء الله بأمر الله في الحِل والحرم ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ بعدما عاهدوا أن يخلوا لكم مكة في عمرة القضاء بعد عام الحديبية ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ أي: لا تبدؤوهم بالقتال إن لم يقاتلوكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ أي: لا يرضىٰ[٢] من ﴿ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ الاعتداء.

ثم قال: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾ إنْ بدؤوكم بالقتال ﴿حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ وجدتموهم في الحل والحرم ﴿وَأَخۡرِجُوهُم﴾ يعني أهل مكة ﴿مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾ يعني مكة ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ﴾ أي: الشرك الذي هم فيه أعظم وزرًا عند الله من قتلكم آباءهم في الحرم ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ﴾ أي: لا تبدؤوهم بالقتال في الحرم ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ أي: يبدؤوكم بالقتال ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ﴾ بدؤوكم بالقتال ﴿فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ﴾ حينئذ ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١﴾ إن يبدؤوا بالقتال.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن قتالكم وآمنوا بكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما مضىٰ في جاهليتهم ﴿رَّحِيمٌ ١٩٢﴾ لهم بعد توبتهم.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾ إن بدؤوكم بالقتال ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ﴾ أي: لا يبقىٰ شرك

---

(١) ما أحرىٰ هذا القول أن يعد من بدع التفاسير، فإنه لا أثر يدل عليه، ولا سياق، ولا يحتمله الظاهر من لسان العرب.

(٢) المصنف يأوِّل -أحيانًا- الحب بالرضىٰ، وبينهما فرق، وقد سبق التنبيه علىٰ ذلك.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ في جزيرة العرب ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن قتالكم ودخلوا دينكم ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ أي: لا سبيل لكم في قتالهم ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ الناقضين للعهد المبتدئين للقتال.

ثم قال: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: ذو القعدة، الذي[١] دخلت مكة لعمرة القضاء بذي القعدة الذي صدوك عن مكة عام أول ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ أي: حُرَم هذه السنة بدل عن حُرَم السنة الماضية[٢].

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ من بدأكم بالقتال ﴿فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ أي: قاتلوه وكافئوه بمثله ولا تجاوزوا.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في كل ما أُمِرتُم ونُهِيتُم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ في النُصرة لهم والدفع عنهم.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أيها الأغنياء على الفقراء إذا خرجتم إلى عمرة القضاء ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ أي: لا تهلكوا أنفسكم بالإقامة في الأهل.

وقيل: بالإمساك عن النفقة.

---

(١) في الأصل في الموضعين: التي.

(٢) وذلك سنة (٦) من الهجرة (تفسير الطبري ٣/ ٥٧٥).

وجَمَع الحرمات لأنه أراد: الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام، ومعنى القصاص فيها: الاستيفاء، وذلك أن قريشا فخرت بصدها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، العام الماضي، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة هذا العام.

قال ابن جرير (في التفسير ٣/ ٥٧٩): فقال جل ثناؤه لنبيه محمد والمؤمنين معه: دخولكم الحرم، بإحرامكم هذا، في شهركم هذا الحرام، قصاص مما منعتم من مثله عامكم الماضي، وذلك هو «الحرمات» التي جعلها الله قصاصا، وقد بينا أن «القصاص» هو المجازاة من جهة الفعل أو القول أو البدن، وهو في هذا الموضع من جهة الفعل.

وقيل: هو الرجل يذنب ذنبًا عظيمًا فييأس من[1] رحمة الله ثم ينهمك في المعاصي ويقول: لا توبة لي[2].

﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ أي: أحسنوا الظن بالله، وقيل: أحسِنوا إلىٰ الفقراء[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ إلىٰ الفقراء وحُسن الظن به.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ أي: حجوا واعتمروا لله بشرائطها؛ من ترك الفسوق والرفث.

وقيل: لا تخالطوهما بشيء من الشرك في التلبية.

وكانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، فنهاهم الله عن ذلك[4].

ثم بيَّن حكم الإحصار ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ أي: حُبِسْتُم بعدو أو مرض ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾ أي: عليكم ما تيسر من الهدي، وهو ما يساق إلىٰ البيت للقربات من البدنة والبقرة والشاة، يقال: هَدْيٌ وهَدِيٌّ كما يقال مَيْت ومَيِّتٌ[5].

﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ [مَحِلَّهُۥۚ]﴾ منحره بمكة ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ لا يستطيع الإقامة إلىٰ بلوغ الهدي محلَّه ﴿أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾ أي: قمل رأسه، فحلق قبل بلوغ الهدي ﴿فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ﴾ ثلاث أيام ﴿أَوۡ صَدَقَةٍ﴾ يتصدق علىٰ ستة أنفس ﴿أَوۡ نُسُكٖۚ﴾ أي: شاة.

---

(١) في الأصل: في.

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٥٨٦، تفسير أبي الليث ١/ ١٢٩، زاد المسير ١/ ١٥٨.

(٣) تفسير السمعاني ١/ ١٩٥.

(٤) زاد المسير ١/ ١٥٨.

(٥) أهلُ الحجاز يخففون الهَدْي، وتميم تثقله، فيقولون: هديَّة وهديٌّ، مثل مطيَّة ومَطِيٌّ (البسيط ٤/ ١٥).

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ من العدو وبرأتم من المرض، والآية على الاختصار معناه: فاقضوا ما كنتم أحرمتم له قبل الإحصار حجًا كان أو عمرة.

ثم قال: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ﴾ التمتُّع: هو أن يحرم الرجل بالعمرة في أشهر الحج، فلما قضى عمرته أحل من الإحرام بلبس مخيط، أو تطيَّب بطيب، أو غير ذلك، ثم يحرم بالحج في عامه قبل رجوعه إلى أهله حلالاً، فهذا متمتع وبيَّن حكمه فقال: ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ الهدي ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ بعد فراغه من العمرة في أي يوم شاء بعد أن يكون آخره يوم عرفة ﴿وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ﴾ إلى أهاليكم أو في الطريق ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ أي: مُكمَّلة، و ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الفداء ﴿لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ﴾ وعياله ﴿حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ أي: لم يكن من أهل الحرم، ومن كان مكيًّا فلا متعة له ولا فداء عليه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقوبته ولا تستحلوا في الحج والعمرة ما لا يحل لكم ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾ لمن استحل محارمه.

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ وقت الإهلال(١) بالحج والتلبية في أشهر معلومات: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة(٢).

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾ أي: أحرم ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أي: لا يجامعنَّ ولا يسبنَّ ولا يمارينَّ صاحبه حتى(٣) يغضب، ولا يُغضب غيره ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ أي: تتركوا من رفثٍ وفُسوق ﴿يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ يجازيكم عليه ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ أي: العمل بطاعة الله ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ أطيعوني يا ذوي العقول.

---

(١) في الأصل: الهلال.

(٢) وهو المهور عن ابن عباس وأصحابه، وفيه أقوال أخرى، تفسير الطبري ٤/ ١١٥.

(٣) كذا في الأصل، ولها وجه، ولعله: حين.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تطلبوا رزقًا من الله بالتجارة قبل الحج وبعده ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ رجعتم منها، والإفاضة: انحدار بتفرق كانحدار الماء، سمي إفاضة[1].

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ سبحوه وهللوه ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ تلك الليلة بالمزدلفة ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ اشكروه كما هداكم للإسلام، ورزقكم الحج ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل أن هداكم لدينه ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ عن الهدىٰ.

وقيل: وما كنتم من قبله إلا ضالين، إنْ بمعنىٰ «ما» النفي، واللام في «لمن» بمعنىٰ إلا[2].

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: ارجعوا من حيث رجع الناس، وكان الحُمُس -وهم قريش وخزاعة وكنانة- لا يأتون عرفات، وكانوا يفيضون من جَمْع -وهي المزدلفة-، فأمرهم الله بإتيان عرفات ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالموقف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبكم ﴿رَّحِيمٌ ١٩٩﴾ بعد توبتكم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ إذا فرغتم من أمر حجكم ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بلسانكم، وأثنوا عليه في الإسلام كما كنتم تذكرون آبائكم في الجاهلية بالخير ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ بل أكثر ذكرًا ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وهم كفار، ويسألُ الله الدنيا في حجه، يقول: أكثر مالي وأنزل الغيث وأنبت المرعىٰ لدوابي ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ٢٠٠﴾ أي: نصيب.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٧٢، البسيط ٤/ ٤٤.

(٢) تفسير الطبري ٤/ ١٨٤، معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٧٣، البسيط ٤/ ٥٢.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ في دعائه ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ فحسنة الدنيا العلم، وحسنة الآخرة الجنة، وقيل: حسنة الدنيا العافية، وحسنة الآخرة خلوص الطاعة.

وقيل: في الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة رضوان الله[١].

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ أي: نجنا من النار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ وافر ﴿مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ من الطاعة والدعاء ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٢٠٢﴾ إذا حاسب لا يحتاج إلىٰ حظ وعقد.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أيام التشريق المعلومات عشر ذي الحجة، معناه: أثنوا علىٰ الله أيها الموحدون في أيام التشريق أدبار صلاتكم ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ بالرجوع من منًىٰ إلىٰ أهله ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: بعد ما رمىٰ يومين، وترك في اليوم الثالث بعد يوم النحر من أيام التشريق بعد المغرب ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: لا ذنب ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ إلىٰ يوم الثالث من أيام التشريق ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتأخيره.

قال ابن عمر: إنْ رجع رجع مغفورًا وإن تأخر تأخر مغفورًا[٢].

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الصيد في الحرم والحرام، وقيل: في قابل من عمره[٣].

---

(١) تفسير الطبري ٤/ ٢٠٣، تفسير أبي الليث ١/ ١٣٤، زاد المسير ١/ ١٦٨.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ٤/ ٢١٨، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف الحديث.

(٣) هذا بعض ما ورد عن السلف في تفسير الآية، وقال ابن جرير: «وأولىٰ هذه الأقوال بالصحة قول من قال: تأويل ذلك: فمن تعجل في يومين من أيام منىٰ الثلاثة فنفر في اليوم الثاني فلا إثم عليه، لحط الله ذنوبه، إنْ كان قد اتقىٰ الله في حجه، فاجتنب فيه ما أمره الله باجتنابه، وفعل فيه ما أمره الله بفعله، وأطاعه بأدائه علىٰ ما كلفه من حدوده، ومن تأخر إلىٰ اليوم الثالث منهن فلم ينفر إلىٰ النفر الثاني حتىٰ نفر من غد النفر الأول؛ فلا إثم عليه: لتكفير الله له ما سلف من

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تستحلوا الرفث والفسوق ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ في الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ﴾ يفرحك كلامه ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ أي: يحلف بالله على ما في ضميره ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ شديد الخصومة.

قال الزجاج: الخصام جمع خَصِم[١]، أي: هو أشد المخاصمين.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مشى فيها[٢] ﴿لِيُفۡسِدَ فِيهَا﴾ في الأرض بالدعوة إلى غير عبادة الله ﴿وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ﴾ بحرق الكُدْس[٣] ويعقر الدواب، وقيل: الحرث النساء لأنهن محل زراعة الولد، والنسل والولد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ أي: لا يرضى به، والآية نزلت في الأخنس بن شريق وكان منافقًا حلو المنطق[٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أخذته عقوبته ﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾ الحمية

آثامه وإجرامه، وإن كان اتقى الله في حجه بأدائه بحدوده، وإنما قلنا أنَّ ذلك أولى تأويلاته بالصحة، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ومن حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأنه قال صلى الله عليه وسلم: تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة».

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٧٧.

(٢) وتولى هنا بمعنى: خرج وأدبر من عندك غاضبا (تفسير الطبري ٤/ ٢٣٨).

(٣) الكُدْس بالضم: الحب المحصود المجموع، وهو العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك، وجمعه أكداس (تاج العروس ١٦/ ٤٣١).

(٤) قيل نزلت في الأخنس لأنه قدم المدينة وأظهر الإسلام فلما خرج مر بزرع من المسلمين فأحرقه وعقر دوابهم، وقيل: بل نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في السرية التي أصيبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجيع (تفسير الطبري ٤/ ٢٣٠).

بالمعصية، أي مكر وازدياد معصية، وقال[١]: لمثلي يقال هذا! ﴿فَحَسْبُهُۥ﴾ يكفيه نار ﴿جَهَنَّمُ﴾ مكافأة ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٢٠٦﴾ الفراش.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي [نَفْسَهُ]﴾ أي: يختار نفسه ودينه بجميع ما يملكه، نزلت في صهيب وعمار[٢] وغيرهما ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ طلب رضىٰ الله ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾ يرضىٰ عنهم ويرحمهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ أي: في شرائع الإسلام كلها، والكافة من الكف وهو المنع علىٰ لفظ العاجل، يعني: ادخلوا في السلم بحيث يكفكم عن عدد و[أحد][٣] لم يدخل فيه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ تزيُّن الشيطان وآثاره ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشيطان ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٠٨﴾ ظاهر.

السِّلم الإسلام، والسَّلم الصلح[٤].

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ أي: مِلتُم عن الإسلام ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ علىٰ لسان محمد ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ منيع في سلطانه بالانتقام ممن مال عن دينه ﴿حَكِيمٌ ۝٢٠٩﴾ في أمره وقضائه.

---

(١) في الأصل: ويقال.

(٢) وهو مروي عن ابن عباس من طريق الكلبي (تفسير أبي الليث ١/ ١٣٦، البسيط ٤/ ٨٦، الدر المنثور ١/ ٥٧١).

وهو قول عكرمة، وقال مجاهد: نزلت في المهاجرين والأنصار (تفسير الطبري ٤/ ٢٤٨).

(٣) في الأصل: «وا» لم يتمها، والزيادة من معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٧٩، وبها يستقيم المعنىٰ.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ١٣٧، ويجوز في سين السلم بمعنىٰ الصلح الكسر والفتح (تاج العروس ٣٢/ ٣٧١).

وقد قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير والنسائي بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها (النشر ٢/ ٢٢٧).

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: لا ينتظر أهل مكة في جحودهم محمدًا إلا أن يأتيهم الله، قيل: يأتيهم أمر الله وهو قيام الساعة[١]، وقيل: في الآية تقديم وتأخير، معناه: لا ينتظرون إلا قيام الساعة -وهو أمر الله- وإتيان الملائكة من السماء إلىٰ الأرض[٢].

﴿فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ وهو السحاب الأبيض، وقال الكلبي: هذا من المكتوم الذي لا يفسر[٣]، وطائفة من أهل التفسير سلكوا مسلكه.

---

(١) نسب الزجاج هذا القول إلىٰ أهل اللغة (معاني القرآن ١/ ٢٨٠).

(٢) الصحيح هو القول الأول الذي بدأ به المصنف، والقولان الأخيران من مسالك أهل الكلام، فإنهم قدروا محذوفًا ثم اختلفوا فيه، فمنهم من قال: أمر الله، أو عقوبة الله، أو قيام الساعة وهذه التقديرات لا يدل عليها دليل، بل تذهب بالمراد من الآية، ذلك لأن الآية توعد وتهدد هؤلاء الذين لم يدخلوا في السلم، وأي وعيد أعظم من أن يقول الملك سبحانه وتعالىٰ: سآتيهم مع الملائكة، فأولوا وقالوا: بل يأتي أمره، فذهبوا بأعظم ما يوعد الله به ويهدد، وهو مجيئه هو سبحانه وتعالىٰ، فإن مجيئه أعظم من مجيء أمره، وأي فائدة في مجيء أمره مع ذكر الملائكة، فإن الملائكة موصوفة بأنها تنزل بالعذاب والعقاب، وهذا هو أمره، فيكون علىٰ هذا التأويل تكرار في الآية، غير معهود في أسلوب القرآن ونظمه.

والصواب في ذلك أن يقال -كما قال ابن جرير وغيره- يعني بذلك جل ثناؤه: هل ينظر المكذبون بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم وما جاء به إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة، ثم روىٰ عن أبي أنه قرأ -قراءة تفسيرية في الغالب-: «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام»، قال: تأتي الملائكة في ظلل من الغمام، ويأتي الله عز وجل فيما شاء (تفسير الطبري ٤/ ٢٦١)..

ولا يقال بعد ذلك: كيف يأتي الله في ظلل من الغمام، فإن ذلك مما لا يعمله إلا الله، ومن ثم قال العلماء: إن هذه الآية من المتشابهات، أي: لا يعلم تأويلها إلا الله، والتأويل هو الكيفية، وأما التفسير فمعلوم، فإن لفظ الاتيان معروف في لسان العرب.

(٣) في تنوير المقباس ٢٨: يأتيهم الله بلا كيف يوم القيامة.

﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ﴾ أي: فرغ من الحساب، وقيل: ذبح الموت وأدخل الفريقان منازلهم الجنة والنار ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ٢١٠﴾ أي: عواقبها.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو سؤال توبيخ، يعني: سل يهود المدينة ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ﴾ في وقت موسىٰ فكفروا به، مثل عصىٰ موسىٰ، ويده، وفلق البحر، والمن والسلوىٰ في التيه ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ ومن يكفر بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم والقرآن ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ هذه النعمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٢١١﴾ أي: العقوبة.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ [ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا]﴾ أي: لأبي جهل وأصحابه ما بُسط لهم من الدنيا وفنون أموالها ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: بفقراء المسلمين يستهزؤون بهم[(١)].

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ أي: الذين وحَّدوا ربهم فوق المشركين يعني في الجنة، والكفار في النار ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ [مَن يَشَآءُ]﴾ المؤمن علىٰ قدر عمله، ثم يتفضل عليه فيضاعفه لأنه كريم فذلك قوله ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢١٢﴾ وقيل: يقول الله: ليس ملك فوقي يحاسبني فأخافَ منه، فأعطي من شئت بغير حساب[(٢)].

الكلبي: بغير قوت ولا هنداز[(٣)].

يقول عبد الحميد بن عبد الحميد الحاكمي: الهندزة في اللغة التقديرُ معناه بلا مقدار[(٤)].

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ١٣٩.

(٢) تفسير مقاتل ١/ ١٨١، البسيط ٤/ ١٠٩.

(٣) تصحف في تنوير المقباس ٢٩ وغيره من المصادر، والصواب ما أثبت وسيشرحه المصنف.

(٤) انظر: تاج العروس ١٥/ ٣٩١، وقال: «الهنداز بالكسر ووجد في كتاب الأزهري في غير موضع تقييده بالفتح من غير ضبط: الحد، فارسي معرب وأصله أندازه، بالفتح. يقال: أعطاه

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً﴾ أي: كانوا أهل ملة واحدة وهو الكفر، فبعث الله الأنبياء هُداة معلِّمين، وقيل: كانوا علىٰ الإيمان حين عرضوا علىٰ آدم ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من النار ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ﴾ أي: إليهم ﴿ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿لِيَحْكُمَ﴾ الكتاب ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ اليهود من كتمان صفة محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: أُعطوا علمه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ الواضحات ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ حسدًا وتطاولاً أثاروه فيما بينهم ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: أرشد المؤمنين في كل عصر حتىٰ استقاموا علىٰ ما جاءت الرسل به من الإخلاص فيه وعبادته ﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: إلىٰ الطريق الواضح الذي أنكروه ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ من عباده الذي يكون أهلاً ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ يعني: طريق الإسلام.

الأمة في اللغة علىٰ وجوه: الدين، والقامة[1]، والقرن، والإمام، والحِين،

بلا حساب ولا هنداز. ومنه: المهندز، لمقدر مجاري القني والأبنية، وإنما صيروا الزاي سينا فقالوا: مهندس لأنه ليس في كلامهم زاي قبلها دال».

قلت: يستفاد من هذا النص ضبط هذه الكلمة في تفسير الكلبي، فإنها في جل ما وقفت عليه من كتب التفاسير مروية بالمعنىٰ لا بالأصل، ففي تنوير المقباس والبسيط ٤/ ١٠٨: بلا فوت ولا مقدار.

وفي بعض نسخ الثعلبي الكشف والبيان ٥/ ٣٦٣: هندام، والصواب ما ثبت في تفسير الحاكمي.

وهاهنا قاعدة كلية عن أبي الليث في تفسيره ١/ ١٣٩، فإنه قال: كل ما في القرآن «بغير حساب» فهو علىٰ هذه الوجوه الأربعة: أي يرزق من يشاء رزقًا كثيراً لا يُعرف حسابه، ويقال: أي يرزقه ولا يطلب منه حسابه بما يرزقه، ويقال: بغير حساب أي: ليس له أحد يحاسبه منه بما يرزقه، ويقال: بغير حساب أي بغير احتساب..

(١) ومنه قولهم: فلان حسن الأمة أي القامة، كذا في معاني القرآ ن للزجاج، ولم يرد هذا المعنىٰ في القرآن، ولذا قيده في اللغة، وما سواه فقد ورد في القرآن، ومما لم يذكره: الجماعة، وبها

والصنف، ومعلم الخير[1]، قيل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي: معلِّمًا للخير.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أظننتم، وقيل: بل ظننتم أيها المؤمنون من أهل أُحُد أو الخندق[2] ﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ من غير أن يحل بكم من البلاء ما أحل بغيركم من قبلكم، ثم بيَّن البلاء فقال: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ البأساء: الفقر، والضراء: البلاء والشدة، وقيل: البأساء الجوع والضراء المرض ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ أي: زعزعوا بالمخافة من العدو، وقيل: خوفوا.

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ كل نبي بعث إلىٰ أمته مع أمته أجهدوا[3] حتىٰ قالوا ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ ظفر الله علىٰ الأعداء، ثم قال الله تعالىٰ لنبيه: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ﴾ لك ولأمتك ﴿قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: يسألك عمرو بن الجموح الأنصاري: كم ننفق؟ [وعلىٰ من ننفق؟][4] ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ أي: من مال ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾

فسروا قوله تعالىٰ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [سورة البقرة:١٢٨]، انظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال ٣٢، نزهة الأعين النواظر ١٤٢.

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٨٢.

(٢) قال قتادة والسدي: إنها في أهل الخندق، ونسبه ابن جرير لأهل التأويل (تفسير الطبري ٤/ ٢٨٩، البسيط ٤/ ١١٦).

(٣) كذا في الأصل، والمراد: كل نبي بعث إلىٰ أمته -أمة الدعوة-، أجهد هو ومعه أمته -أمة الإجابة- حتىٰ قالوا: متىٰ نصر الله. وهذا تفسير الكلبي، ونصه: هذا في كل رسول بعث إلىٰ أمته، واجتهد في ذلك، حتىٰ قال: متىٰ نصر؟ قال الله: إن نصر الله قريب.
وأما مقاتل فقال: الرسول هو شعيب وهو اليسع (تفسير أبي الليث ١/ ١٤١).

(٤) سقط علىٰ الناسخ من انتقال النظر، وهو في تفسير مقاتل ١/ ١٨٣، ويدل عليه قوله الآتي. وهذا الخبر هو من رواية الكلبي عن ابن عباس، كما في تفسير أبي الليث ١/ ١٤١، والبسيط ٤/ ١٢٥. ولذا فقد خلا منه تفسير الطبري.

﴿وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ فهذا جواب قوله: «علىٰ من ننفق»، وجواب قوله: «كم» في آية أخرىٰ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾.

﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ أي: صدقة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥﴾ يجازيكم به.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾ أي: كره إليكم القتال ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ وهو الجهاد ﴿وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ تجدون السفر والغنيمة في الدنيا، والمغفرة والرحمة في الآخرة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا﴾ وهو القعود عن الجهاد ﴿وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ تفوتكم الغنيمة والدرجة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ أنَّ الجهاد خير لكم من الجلوس ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ ذلك.

وعسىٰ قد يكون في واجب وقد يكون في غير واجب، وهذا في غير واجب، لأنه ليس كل ما يكره المؤمن فهو خير له، وليس كل ما يحب شر له[1].

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ﴾ يا محمد [﴿قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾] القتال فيه كثير إثمه، وعظيم جُرمه.

والآية منسوخة بآية السيف[2] وذلك حين عيَّر المشركون أصحاب رسول الله بقتل ابن الحضرمي في رجب[3]، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) للواحدي في البسيط ٤/ ١٣٤ مبحث نفيس حول عسىٰ، فراجعه.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ١٤٣، والكشاف ١/ ٢٥٩. حيث عده الزمخشري أكثر أقاويل المفسرين. والكلبي قائل بعدم النسخ، كذا روىٰ عنه أبو يوسف القاضي.

(٣) وذلك أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعث سرية وأمر عليهم عبد الله بن جحش، فلقوا عمرو بن الحضرمي فقتلوه، وهم يظنون أنه آخر يوم من جمادىٰ الآخرة، وهو أول يوم من رجب، فعيرهم المشركون بذلك، وقالوا: ألستم تزعمون أنكم تحرمون البلد الحرام والشهر الحرام، فقد قتلتم في الشهر الحرام، هذا ملخص ما ورد في ذلك، وقد استوعب رواية الأخبار ابن جرير في التفسير ٤/ ٣٠٩، وانظر: الكشف والبيان ٥/ ٤١٢، البسيط للواحدي ٤/ ١٣٧، أسباب النزول ٦٩، زاد المسير ١/ ١٨٢.

﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: صدٌّ وصرف عن المسجد الحرام ﴿وَإِخۡرَاجُ [أَهۡلِهِۦ]﴾ أهل المسجد الحرام ﴿مِنۡهُ أَكۡبَرُ﴾ عند الله من قتل ابن الحضرمي ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾ أي: الشرك أعظم جرمًا من قتل ابن الحضرمي، ثم أخبر المؤمنين عن عزم المشركين فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ﴾ الإسلام [﴿إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾] إن قدروا عليه، ثم حذرهم فقال: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾ «فيمت» فاء العطف لا فاء الجواب[1] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ بطل ثواب إيمانهم ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ لا يجازون عليها ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسوله ﴿[وَٱلَّذِينَ] هَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في طاعته ومرضاته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: مغفرته وجنته ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لما كان منهم من القتل والأسر وأخذ الغنيمة في الشهر الحرام للعقل[2] ﴿رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ يتجاوز عنهم[3].

﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ﴾ وذلك حين قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله إنَّ الخمر مذهبة [للعقل]، مهلكة للمال، ادع الله أن يبين لنا فيه رأيه، فنزلت[4].

---

(١) معطوف على: يرتدد، وفاء الجواب في: فأولئك (التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٧٥، الدر المصون ٢/ ٤٠٠).

(٢) كذا في الأصل. ولعل الصواب: للفعل، أي لما فعلوا.

(٣) والغفور: ستور، والرحيم: عطوف (تفسير السمعاني ١/ ٢١٨).

(٤) انظر: الكشف والبيان ٥/ ٤٢٧، البسيط ٤/ ١٤٦، أسباب النزول ٧٣.

وروى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب، قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء. فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ [سورة البقرة:٢١٩] قال: فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت الآية التي في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ اللعب بالقمار، والميسر أُخذ من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه، والياسر هو الواجب بقداح أو غيرها[1].

﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ أي: ذنب عظيم ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ قبل التحريم للتجارة وأثمانها، واللذة بالخمر في شربها قبل تحريمها[2].

﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ أي: إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: شيء يعطون من الصدقة ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: الفضل من أقواتهم، الذي يسهل إعطاؤه، والآية منسوخة بآية الزكاة[3].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ تتأملون.

وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [سورة النساء:٤٣]، فكان منادي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادىٰ: أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء. فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة:٩١] قال: فقال عمر: انتهينا، انتهينا.

وهو حديث رجاله ثقات، رواه أبو داود (٣٦٧٠) والترمذي (٣٠٤٩)، وقال: «وقد روي عن إسرائيل هذا الحديث مرسلا» حدثنا محمد بن العلاء قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، أن عمر بن الخطاب، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فذكر نحوه «وهذا أصح من حديث محمد بن يوسف» أهـ قلت: لم يتفرد محمد بن يوسف بوصله عن إسرائيل، بل تابعه خلف بن الوليد، وإسماعيل بن جعفر، فالحديث صحيح، والله أعلم.

(١) الكشف والبيان ٥/ ٥٤٥، البسيط ٤/ ١٥٠. وفي الأصل: غيره.

(٢) تفسير السمعاني ١/ ٢٢٠.

(٣) كذا قال بعضهم، وهذا القول ذكره أبو الليث ١/ ١٤٥، والسمعاني ١/ ٢٢٠. وهذا قول السدي، ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (تفسير الطبري ٤/ ٣٤٤)، ورده ابن جرير في مبحث تنفيس، فطالعه.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: في أمرهما[١]، وقيل: في الدنيا بأنها دار بلاء وفناء، وفي الآخرة بأنها دار جزاء وبقاء[٢].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ ومخالطتهم حين نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ الآية، خوفًا عن حكم الآية، وسألوا: هل يصلح لنا مخالطتهم في الطعام والشراب والمبيت، فلا نأخذ شيئًا من مالهم إلا نرد عليهم بأفضل منه، فنزل قوله: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: ما كان فيه بقاء مالهم خير لهم[٣] ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ في الطعام والشراب وركوب الدابة ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ في الدين، فاحفظوا الإنصاف.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ أي: المصلح بمال اليتيم من مفسده ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي: يؤثمكم ويحرِّم عليكم مخالطتهم، وقيل لأعنتكم: كلَّفكم ما يشتد عليكم، والعنت المشقة[٤].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾منيع قوي لا يمانع من الفعل ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ لا يفعل من غير علم.

قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ لا تتزوجوهنَّ حتىٰ يؤمن بالله ويتبرأنَ من الشرك ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ﴾ ذميمة مسلمة ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿مِنْ﴾ نكاح حرة

---

(١) وهو قول الزجاج في معاني القرآن ١/ ٢٩٤.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ١٤٥.

(٣) روىٰ ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٣٤٩) عن ابن عباس قال: عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [سورة الإسراء:٣٤] عزلوا أموال اليتامىٰ، فذكروا ذلك لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فنزلت: ﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ [سورة البقرة:٢٢٠] فخالطوهم. وانظر: الكشف والبيان ٦/ ٥، البسيط ٤/ ١٥٩.

(٤) مجاز القرآن ١/ ٧٣، معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٩٤، تفسير أبي الليث ١/ ١٤٥.

حسنة ﴿مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ﴾ المشركة بحُسنها وجمالها.

﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ﴾ أي: لا تُزوِّجوا نساءكم المشركين حتىٰ يؤمنوا: يقروا بوحدانية الله ﴿وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ﴾ أي: تزويجكم العبد المملوك المؤمن ﴿خَيۡرٞ [مِّن مُّشۡرِكٖ]﴾ من تزويجكم الحر المشرك ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ﴾ الحر المشرك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المشركون والمشركات ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ يأمرونكم بالشرك ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ بالتوحيد ﴿[وَٱلۡمَغۡفِرَةِ]﴾ والتوبة[(١)] ﴿بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ أي: بعلمه الذي علم أنَّ إيمانكم وَصلةٌ لكم إلىٰ مغفرته ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أمره ونهيه ﴿لِلنَّاسِ﴾ للمؤمنين ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾ في آيات الله فيتعظون بها[(٢)].

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ﴾ عن وطئ النساء[(٣)] وقت المحيض ﴿قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾ قذر ونجس[(٤)]، وقيل: أذىً في حق المرأة قد يؤلمها، ويمنع الزوج عن غشيانها، ويمنعها من الصوم والصلاة.

---

(١) تفسير المغفرة بالتوبة هو نص تفسير الكلبي الذي تبعه المصنف في هذه الآية، ولذا زدت ما بين الحاصرتين لإكمال السياق.

(٢) ولم يذكر المصنف سبب النزول علىٰ عادت، وفي الآية سبب رواه ابن جرير في تفسيره ٤/ ٣٦٩، وذكر أبو الليث سببا آخر في تفسيره١/ ١٤٦.

(٣) في الأصل: الناس، وهو تصحيف. وقيل المعنىٰ: عن النساء إذا حضن (تفسير أبي الليث ١/ ١٤٦). وهذان القولان علىٰ تقدير محذوف، والطبري لا يصير إلىٰ مثل ذلك إلا في أضيق السبل، ولذا قال: يسألك يا محمد أصحابك علىٰ الحيض (تفسير الطبري ٤/ ٣٧٢).

(٤) قال الطبري (في التفسير ٤/ ٣٧٤): الأذىٰ: هو ما يؤذىٰ به من مكروه فيه، وهو في هذا الموضع يسمىٰ أذىٰ لنتن ريحه وقذره ونجاسته، وهو جامع لمعان شتىٰ من خلال الأذىٰ، غير واحدة، وقد اختلف أهل التأويل في البيان عن تأويل ذلك، علىٰ تقارب معاني بعض ما قالوا فيه من بعض..

﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ أي: امتنعوا عن مباضعتهن في الفرج في أيامها ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾ إلىٰ أنْ ينقطع الدم عنهنَّ ويغتسلنَ.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ﴾ اغتسلن من المحيض ﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أي: من حيث أمركم الله بتجنبه في الحيض، وهو الفرج، وقيل: أمركم الله إتيانها قبل الحيض[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذنوب ﴿[وَيُحِبُّ]ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ من الأنجاس.

﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ أي: مولدكم[2] كما تحرث الأرض فتزرع ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ [أَنَّىٰ]﴾ كيف ﴿شِئۡتُمۡۖ﴾ مقبلة ومدبرة، والمأتىٰ الفرج الذي هو موضع الحرث.

وقال ابن عمر: ﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ إن شاء عزل وإن شاء لم يعزل[3].

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ وهو التسمية عند الجماع عن ابن عباس ومجاهد وعطاء[4].

وقيل: النية الصالحة عند الجماع بأن يكون له ولد يعبد الله[5].

---

(١) أي من الوجه الذي أمر اتيانها منه قبل الحيض، وهو الطهر، ويحتمل أن يريد طريق النكاح، وهذا قول ابن الحنفية (الكشف والبيان ٦/ ٦٤، تفسير السمعاني ١/ ٢٢٥).

(٢) كذا في الأصل، أي منبت الولد، وعبارة المفسرين: مزدرعكم، ولعلها كانت هكذا فتصحفت علىٰ الناسخ (تفسير الطبري ٤/ ٣٩٧).

(٣) قول ابن عمر رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٩٤١)، وفي تفسير الطبري (٤/ ٤٠٨) عن ابن عباس مثله.

(٤) وإسناده إلىٰ ابن عباس ضعيف، رواه الطبري في تفسيره ٤/ ٤١٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٤١٧، زاد المسير ١/ ١٩٣.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ احذروا عقوبته، واجتنبوا محاشّ النساء؛ إتيانهن في الأدبار وفي حال الحيض ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾ عند المحاسبة حفاة عراةً يجزيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾ بأمر الله ونهيه.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ يقال: نزلت في أبي بكر الصديق حلف أن لا يصل ولده عبد الرحمن ما لم يسلم، فنزلت الآية[١].

والعُرضة: العلة، أي: لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة لكم من البر والتقوىٰ حتىٰ تعتلوا بها؛ وتقولوا: قد حلفنا بالله[٢].

﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ أي: أولىٰ بكم أن تبروا ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ أي: افعلوا الذي هو خير، ولا تحتجوا بما سلف من اليمين، وقوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ قيل: أن لا تبروا، ولا مضمر في الكلام، وقيل: لأن تبروا علىٰ معنىٰ الإثبات وتتقوا قطيعة الرحم[٣] ﴿وَتُصۡلِحُواْ﴾ بين المتشاجرين ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأيمانكم ﴿عَلِيمٞ ٢٢٤﴾ بنياتكم.

وأصل العرضة: ما عرض لك في طريقك ويمنعك عن القصد وسلوكه[٤].

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ واللغو: يمين الرجل «لا والله» و«بلىٰ والله» من غير قصده اليمين[٥].

---

(١) وهذا قاله المقاتلان، انظر: تفسير مقاتل ١/ ١١٦، الكشف والبيان ٦/ ١٢٣، زاد المسير ١/ ١٩٤.

وأما الكلبي فقال: نزلت في شأن عبد الله بن رواحة إذ حلف بالله أن لا يحسن إلىٰ أخته وختنه، ولا يكلمهما ولا يصلح بينهما، فنهاه الله عن ذلك.

(٢) البسيط ٤/ ١٨٥.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٩٨، البسيط ٤/ ١٨٨، الكشاف ١/ ٢٦٧.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ١/ ٢٨٨.

(٥) وعليه أكثر الناس، فقد صح عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما (تفسير الطبري ٤/ ٤٢٨).

وقيل: هو يمين الغضبان[(١)].

وقيل: يمين الظان[(٢)].

لا يؤاخذكم الله بكفارتها ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ يعاقبكم ﴿[بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ]﴾ بما عقدت عليه قلوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب من اليمين الغموس ﴿حَلِيمٌ ۝٢٢٥﴾ بالحالف لم يعجل عقوبته.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يحلفون أنْ لا يطؤوا نساءهم ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ لهم مدة أربعة أشهر من يوم الحلف[(٣)].

﴿فَإِن فَآءُو﴾ رجعوا عن ذلك بالجماع قبل تمام أربعة أشهر، فعليه الكفارة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ بحنثه ﴿رَّحِيمٌ ۝٢٢٦﴾ إذ أمره بالكفارة.

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ أي: حققوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ ليمينه ﴿عَلِيمٌ ۝٢٢٧﴾ به.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ التربص: الانتظار ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ القروء من الأضداد، واحدها قُرُؤٌ، وأصله في اللغة الوقت، فيقع علىٰ الحيض والطُّهر جميعًا؛ لأنَّ الوقت يعتبر فيهما[(٤)].

---

(١) وهو مروي عن ابن عباس بإسناد غريب (تفسير الطبري ٤/ ٤٣٨).

(٢) وهو قول أبي هريرة، ورواية العوفي وعلي بن ابي طلحة عن ابن عباس (تفسير الطبري ٤/ ٤٣٢). وفيه أقوال أخرىٰ تركها المصنف.

(٣) والتربص: النظر والتوقف (تفسير الطبري ٤/ ٤٥٦).

(٤) ممن قال إن القرء هو الحيض: ابن عباس في رواية عطاء الخراساني، وأبو موسىٰ، ومجاهد، والربيع، وقتادة، والحسن، والأسود، والضحاك، وعمرو بن دينار، وعكرمة والسدي.
ويروىٰ عن ابن مسعود وعمر. لأنهما قالا: هو أحق بها مالم تغتسل، فدل أنهما اعتبرا القرء الحيض، وبذلك قضىٰ أبو موسىٰ (تفسير الطبري ٤/ ٥٠٣).
فعلىٰ هذا القول: يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، ثم تحيض ثم تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم تحيض، فإذا اغتسلت حلت.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ﴾ أي: يسترن من أزواجهن ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الحيض والولد ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ﴾ يصدقن بالله ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ﴾ البعث بالقيامة.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ برجعتهن في العدة وفي الحبل، وذلك أراد به الحبل الذي في رحمها ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ﴾ الموافقة ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: النساء علىٰ الأزواج ﴿مِثْلُ [ٱلَّذِى]﴾ ما للأزواج ﴿عَلَيْهِنَّ [بِٱلْمَعْرُوفِۚ]﴾ من حقوق وحُسن صحبة ومعاشرة.

ثم بيَّن فضيلة الرجال فقال: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ فضيلة ورتبة في الميراث والشهادة[1] والدية.

وضابط الغسل بينه معبد الجهني فقال: إذا غسلت فرجها من الحيضة الثالثة بانت منه وحلت للأزواج (تفسير الطبري ٤/ ٥٠٥).

وممن قال إن القرء الطهر: عائشة وزيد وابن عمر، وأبو بكر بن عبد الرحمن وسالم وأبان بن عثمان، وهو مذهب أهل الحجاز إلا سعيد بن المسيب فقد خالف أهل الحجاز، وتابعهم أهل الشام إلا الأوزاعي، (تفسير الطبري ٤/ ٥١١، تفسير السمعاني ١/ ٢٢٩، معالم التنزيل ١/ ٢٦٦).

فعلىٰ هذا القول: يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، ثم تحيض فتطهر، ثم تحيض فتطهر، ثم تحيض، فإذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد بانت.

قال البغوي: وفائدة الخلاف تظهر في أنَّ المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها علىٰ قول من يجعلها أطهارا، وتحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءا، قالت عائشة رضي الله عنها: إذا طعنت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرئ منها.

ومن ذهب إلىٰ أن الأقراء هي الحيض يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة (معالم التنزيل ١/ ٢٦٦).

(١) في الأصل: الشهرة، وهو تصحيف، والتصحيح من كتب التفسير.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة ممن عصاهُ وتركَ حقَّ صاحبه ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ حكم علىٰ الزوج: الإمساك بالمعروف، وعلىٰ المرأة: طاعة الزوج.

ثم قال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ يعني: الذي يملك الزوج فيه الرجعة تطليقتان، وقيل: الطلاق المسنون مرتان[١].

﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾ يمسكها بحُسن الصحبة بعد تطليقتين ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ﴾ لها ﴿بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ منه يؤدي حقها، ويطلِّقها بأكثر[٢] ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾ من المهر ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ يعلما ويتيقنا ﴿[أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ]﴾ أن لا[٣] يمكنهما إصلاح ذات البين، فحينئذ لا جُناح أي: لا حرج علىٰ الزوج والمرأة فيما افتدت المرأة نفسها، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ وإذا كان النشوز في جانبها، فإن كان في جانبه فلا يأخذ شيئًا ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ فرائضه وأحكامه ﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾ أي: لا تجاوزوا حدوده ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ لأنفسهم.

ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الثالثة -كانت حُبلىٰ أو لم تكن- ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾ التطليقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ ووطئها.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ بمهر جديد ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾ أي: يعلما[٤] ويتيقنا أن يقدرا علىٰ إقامة أحكام الله

---

(١) تفسير الطبري ٤/ ٥٣٨، تفسير أبي الليث ١/ ١٥٠.

(٢) كذا في الأصل: ويطلقها بأكثر، وهو تصحيف لا معنىٰ له، أظن أن الصواب: ويطلقها الثالثة، وهو قول عطاء ومجاهد ومقاتل (زاد المسير ١/ ٢٠٢) ولا سيما أنه يعتمد علىٰ تفسير مقاتل.

(٣) في الأصل: الان لا، وهو تصحيف جرىٰ عليه قلمه في مواطن في كتابة: أن لا.

(٤) في الأصل: علما.

بينهما ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ ما أمر بالطلاق والمراجعة وحُسن الصحبة بالمعروف ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ أمره.

ثم قال: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ واحدة أو ثنتين ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهنَّ قبل أنْ يغتسلن[١] ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: راجعوهن بحُسن الصحبة والمعاشرة ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتىٰ تنقضي عدتهن بمعروف، أي: بإحسان في غير ضرر ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ أي: بتطويل العدة عليهن بالمراجعة والتطليق ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يمسكها للضرار ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ أضرَّ نفسه، أي: عرَّضها لعذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ كان الرجل يطلِّق امرأته فإذا سئل عن ذلك قال: طلَّقت وأنا ألعب، فنزلت الآية[٢].

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فلا تعصوه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ من أعمالكم ويجزيكم.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ طلقة أو طلقتين ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهنَّ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فلا تمنعوهن ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ أنْ يرجعن إلىٰ أزواجهن.

﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟﴾ أي: توافقوا ﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بمهر ونكاح جديد وشهود ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من النهي ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي: ذلك الائتمار ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم وقلوبهنَّ من الريبة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ حب كل واحد من الزوجين لصاحبه ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ والآية نزلت في معقل ابن يسار منع أخته عن زوجها أبي الدحداح ابن عاصم[٣].

---

(١) علىٰ قول من قال: القرء الحيض.

(٢) انظر الروايات في تفسير الطبري ٥/ ١٣.

(٣) في صحيح البخاري (٥١٣٠) عن معقل بن يسار، أنها نزلت فيه.

﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ لفظه خبر ومعناه الأمر[1] ﴿لِمَنۡ أَرَادَ﴾ من الآباء والأمهات إتمام ﴿ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ﴾ أي: الوالد ﴿رِزۡقُهُنَّ﴾ نفقتهن ﴿وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ أي: علىٰ قدر طاقة الرجل.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ أي: لا تطلب من النفقة إلا بقدر اليسار ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ أي: لا ينزع الولد من الأم إذا كانت الأم ترضعه بمثل أجرة غيرها ﴿وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾ أي: لا تطرح الأم ولدها إلىٰ الأب بعدما عرف الولد الأم ولا يقبل ثدي غيرها[2].

﴿وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ﴾ أي: وارث الصبي، وقيل: وارث الوالد[3].

قال: زوجت أختًا لي من رجل فطلقها، حتىٰ إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك، فطلقتها، ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبدا، وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، قال: «فزوجها إياه».

(١) نحوه في تفسير السمعاني ١/ ٢٣٦، ولكن ليس ذلك علىٰ جهة الإيجاب (تفسيرالطبري ٥/ ٣١).

(٢) وهذا النهي للتحريم بإجماع المسلمين (تفسير الطبري ٥/ ٤٨).

(٣) والقولان مشهوران عند أهل العلم، وبكل قول قال بعض الفقهاء، والاختلاف في أمرين: أي وارث هو، ووارث من هو (تفسير الطبري ٥/ ٥٤).

وقال السمعاني (في تفسيره ١/ ٢٣٧): قال عمر: أراد به علىٰ غير الوالدين مثل ذلك النفقة، وهذا قول أبي حنيفة، فإنه يوجب نفقة القرابة علىٰ الإخوة والأعمام، والقول الثاني: أراد بمثل ذلك: ترك المضارة. وهو قول ابن عباس، ولم ير النفقة علىٰ غير الوالدين، وهذا مذهب مالك والشافعي، وفيه قول ثالث: أراد بالوارث هذا: الولد، عليه نفقته من ماله إن كان له مال.

وأما الشيخ ابن جرير فقال: وأولىٰ الأقوال بالصواب في تأويل قوله: «وعلىٰ الوارث مثل ذلك»: أن يكون المعني بالوارث المولود، وفي قوله: «مثل ذلك» أن يكون معنيا به: مثل الذي كان علىٰ والده من رزق والدته وكسوتها بالمعروف، إن كانت من أهل الحاجة، ومن

﴿مِثۡلُ [ذَٰلِكَۗ]﴾ ما على الوالد من النفقة والكسوة وترك الضرار.

﴿فَإِنۡ أَرَادَا﴾ الأبوان ﴿فِصَالًا﴾ أي: فطامًا ﴿عَن تَرَاضٖ﴾ وموافقة ﴿مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ﴾ بينهما ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ﴾ ويكون التشاور فيما بين الحولين[1].

﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ أخذتم لهم ظئرًا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ أي: سلمتم أجرة المراضع على ما ضمنتم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اخشوه في ترك الضرار بالأم[2] ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من العدل والجور في أولادكم ﴿بَصِيرٞ ٢٣٣﴾ عالم يجزيكم به.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ﴾ يموتون من الرجال عن أزواجهنَّ ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾ أي: ينتظرن في عدة أزواجهن ﴿أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ ليال، فلهذا لم يقل عشرة[3] ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يا أولياء الميت في تركهن.

هي ذات زمانة وعاهة، ومن لا احتراف فيها، ولا زوج لها تستغني به، وإن كانت من أهل الغنى والصحة، فمثل الذي كان على والده لها من أجر رضاعه (تفسير الطبري ٥/ ٦٥) وهذا الموضع مشكل في التفسير، وقول ابن جرير حسن.

(١) أي: قبل الحولين (معالم التنزيل ١/ ٢٧٨).

(٢) في الأصل: للأم.

(٣) وإنما خص الليالي لأن كل أجل يبتدئ بالليل (تفسير السمعاني ١/ ٢٣٩).

قال ابن جرير: فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: «يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا»، ولم يقل: وعشرة؟ وإذ كان التنزيل كذلك: أفبالليالي تعتد المتوفى عنها العشر، أم بالأيام؟.

قيل: بل تعتد بالأيام بلياليها.

فإن قال: فإذ كان ذلك كذلك، فكيف قيل: وعشرا؟ ولم يقل: وعشرة؟ والعشر بغير الهاء من عدد الليالي دون الأيام؟ فإن أجاز ذلك المعنى فيه ما قلت، فهل تجيز: عندي عشر، وأنت تريد عشرة من رجال ونساء؟

قلت: ذلك جائز في عدد الليالي والأيام، وغير جائز مثله في عدد بني آدم من الرجال النساء، وذلك أن العرب في الأيام والليالي خاصة، إذا أبهمت العدد، غلبت فيه الليالي، حتى إنهم

وفي حرف ابن مسعود: «فلا جناح عليهن»، أي: لا ذنب عليهن[١].

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من الزينة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ للتزويج ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الخير والشر ﴿خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ عالم يجازيكم.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ والتعريض أنْ يقول لها: إن كان لي امرأة مثلك أُحسن إليها كذا وكذا، أو يقول: أريد أن تكون لي زوجة مثلك، وأشباه ذلك من غير تصريح[٢].

﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْۚ﴾ أو تسرون في قلوبكم تزوجهنَّ وهنَّ في العدة ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي: علم الله بما يكون منكم قبل خلقكم وخلقهن ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: لا تواعدوهنَّ بالنكاح تصريحًا في السر وهنَّ في العدة، وقيل: لا تنعتوا لهنَّ جماعًا من أنفسكم.

وقيل: السر الزنا[٣].

فيما روي لنا عنهم ليقولون: صمنا عشرا من شهر رمضان، لتغليبهم الليالي على الأيام، وذلك أن العدد عندهم قد جرى في ذلك بالليالي دون الأيام؛ فإذا أظهروا مع العدد مفسَّره أسقطوا من عدد المؤنث الهاء، وأثبتوها في عدد المذكر، كما قال تعالى ذكره: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [سورة الحاقة: ٧] فأسقط الهاء من سبع وأثبتها في الثمانية (تفسير الطبري ٥/ ٩٢).

(١) لم أقف عليه.

(٢) البسيط ٤/ ٢٦٨. قال المفسرون: ومعنى التعريض بالخطبة: أن يقول لها وهي في العدة: إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك لنَافِقة، وإن من عَزْمي أن أتزوج، وإني فيك لراغب، وما أشبه هذا من الكلام، هذا في عدة المتوفى عنها، فأما الرجعية فلا يحل التعريض بخطبتها في العدة؛ لأنها في معاني الأزواج، وأما المختلعة والمطلقة ثلاثًا فالصحيح أن التعريض بخطبتها جائز، كجوازه في عدة الوفاة (البسيط ٤/ ٢٧١).

(٣) وهذا رواية الكلبي عن ابن عباس (البسيط ٤/ ٢٧٣)، وهو قول أبي مجلز والحسن (تفسير الطبري ٥/ ١٠٦) ورجحه ابن جرير الطبري.

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾ كناية غير إفصاح ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي: لا تحققوا النكاح ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ حتىٰ ينتهي الأجل المذكور في كتاب الله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من الوفاء للنساء وغيره [﴿ فَٱحْذَرُوهُۚ ﴾] فاحذروا أن تخالفوا أمره.

والحذر: هو إعداد ما يُتقىٰ به الضُر في العاجل.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمواعدة السر منكم ﴿حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ لم يعجل بعقوبتكم فيما تركتم من الأدب.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ لم تجامعوهنَّ ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ﴾ أي: لم تبينوا لهن مهرًا ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ متعة الطلاق ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾[1] علىٰ الغني مقدار غناه، وعلىٰ الفقير مقدار فقره، أعلاها خادم في قول ابن عباس، وأدناها الكسوة: درع وخمار وملحفة[2].

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ واجبًا علىٰ المؤمنين.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ أي: سرَّحتموهن من قِبل المسيس ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ بيَّنتم لهنَّ مهرًا ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: عليكم نصف ما أوجبتم من المهر ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ أي: يتركن ما يجب لهن من نصف الصداق[3].

﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ أي: الزوج، يترك المهر علىٰ المرأة المطلقة كاملاً، وقيل: الولي[4].

---

(١) ضبطها في الأصل بإسكان الدال: قدْره، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ورواية هشام وشعبة، وقرأ الباقون: بفتح الدال، وهم أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وحفص (النشر ٢/ ٢٢٨). وهما لغتان في جميع معاني القدر (البسيط ٤/ ٢٨١).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٥/ ١٢١، البسيط ٤/ ٢٨٢.

(٣) تفسير الطبري ٥/ ١٤١.

(٤) والقولان مشهوران في كتب التفسير، تفسير الطبري ٥/ ١٤٦، تفسير أبي الليث ١/ ١٥٦.

والألف واللام في النكاح يدل على الإضافة، أي: نكاحها، كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي: مأواه.

﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: التفضل والعفو أقرب للمتَّقي إلىٰ التقوىٰ ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: لا تتركوا الإفضال بعضكم علىٰ بعض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الفضل والإحسان ﴿بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ عالم.

قوله: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ واظبوا ولازموا عليها خصوصًا ﴿ٱلْوُسْطَىٰ﴾ قيل: هي العصر، وقيل: الظهر، وقيل: الغداة، وقيل: المغرب[1].

﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ في صلاتكم ﴿قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ خاضعين قائمين[2] مطيعين.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾ أي: خفتم من العدو والسباع فمشاة بالإيماء، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ علىٰ الدواب علىٰ الرحال [إن] أمكنكم ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ أي: زال عنكم الخوف ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: صلوا لله ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ للمقيم أربعًا وللمسافر ركعتين ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ قبل نزول الآية.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ أي: يموتون وتُقْبَض أرواحهم ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ أي: نساءً ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ علىٰ الأمر بالنصب، وبالرفع علىٰ الحكاية، أي: لأزواجهم وصية[3].

﴿مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ أي: لهنَّ نفقة العدة إلىٰ تمام الحول ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: لا يخرجنَ من مسكن أزواجهن.

---

(١) والمرجح أنها: صلاة العصر، والله أعلم (تفسير الطبري ٥/ ١٦٨، تفسير ابن كثير ١/ ٦٤٥).

(٢) في الأصل: قانتين، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت، يوافق ما في كتب التفسير.

(٣) ضبطها بالأصل بالنصب، وبذلك قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص، وقرأ الباقون بالرفع (النشر ٢/ ٢٢٨).

ثم صارت منسوخة بآية المواريث: الربع والثُّمن[١].

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: خرجن من قِبل أنفسهن، أو تزوجنَ قبل حَوَلان الحول؛ فلا جناح عليكم يا أولياء الميت في منع نفقتهن وتركهن في التزويج والتزيُّن.

ونسختْ عدَّة الحول بعدة أربعة أشهر وعشرًا[٢].

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ بالانتقام ممن خالف أمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ حكم على الزوج النفقة والمتعة.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ﴾ المدخولات بهن ﴿مَتَاعٌ﴾ أي: متعة الطلاق ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ على قدر ميسرة الرجل ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ المؤمنين، وهذا مستحب وليس بواجب[٣].

---

(١) وهو قول عظم المفسرين، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة والضحاك وعطاء والربيع وغيرهم (تفسير الطبري ٥/ ٢٥٥، تفسير أبي الليث ١/ ١٥٨).

(٢) وهذا محل إجماع، قال الواحدي (في البسيط ٤/ ٣٠٠): «كان الأمر في ابتداء الإسلام على هذا، إذا مات الرجل لم يكن لامرأته من الميراث شيء إلا السكنى والنفقة سنة، ما لم تخرج من بيت زوجها، وكان المتوفى يوصي بذلك لها، فإن خرجت من بيت زوجها لم يكن لها نفقة، وكان الحول عزيمة عليها في الصبر عن التزوج، ولكن كانت مخيرة في أن تعتد إن شاءت في بيت الزوج، وإن شاءت خرجت قبل الحول، على أنها إن خرجت سقطت نفقتها، هذا جملة حكم هذه الآية. ثم ورد النسخ على هذه الآية من وجهين: أحدهما: أن العدة صارت مقدرة بأربعة أشهر وعشر، وقد تقدمت الآية الناسخة، والوجه الثاني: أن الميراث ثبت لها، وسقطت نفقة العدة».

(٣) هو مستحب للمدخول بها، وعلى هذا جرى المصنف، وهو قول أكثر المفسرين، أن الآية في المدخول بها، وأما غير المدخول بها ففيه تفصيل، فإن لم يسم لها مهرا فقد قال قوم بوجوب المتعة لهن، على ما سبق من الآيات. واختار ابن جرير القول بعموم المتعة لكل مطلقة، وأنه حق على المتقين (تفسير الطبري ٥/ ٢٦٣).

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أمره ونهيه؛ كما بيَّن لكم أحكام النساء ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢٤٢﴾ أي: تفهمون.

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ وهم سبطٌ [من] بني إسرائيل، ﴿[وَهُمۡ أُلُوفٌ]﴾ قيل: ثمانية آلاف، وقيل: بضعًا وثلاثين ألفًا[1].

﴿[حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ]﴾ فرُّوا من الطاعون ﴿[فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ]﴾ فأماتهم الله ثمانية أيَّام ﴿ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ بدعاء نبيهم حزقيل[2]، ورجعوا إلىٰ بلادهم وأقاموا وتوالدوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: ذو مَنٍّ عليهم حين أحياهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٢٤٣﴾ نعمه، ثم قال لهم بعدما أحياهم:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالتكم إذ قلتم: لا ندخل أرضًا فيها طاعون ﴿عَلِيمٞ ۝٢٤٤﴾ بنياتكم.

وقيل: هذا الخطاب للمؤمنين من أمة محمد كي لا يكونوا كبني إسرائيل[3].

---

(١) وهذان القولان من رواية الضحاك والكلبي عن ابن عباس (كما في تفسير أبي الليث ١/ ١٥٩، وانظر: تفسير السمعاني ١/ ٢٤٥، معالم التنزيل ١/ ٢٩٣).

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ١٥٩، تفسير السمعاني ١/ ٢٤٦، معالم التنزيل ١/ ٢٩٣.

(٣) القول الأول: هو رواية الكلبي عن ابن عباس (كما في تفسير أبي الليث ١/ ١٥٩، معالم التنزيل ١/ ٢٩٤) ولا وجه له، فإن عادة القرآن أن يستخلص العبر -لهذه الأمة- بعد القصص، ويذيل بها عليها، ولذا قال ابن جرير (في التفسير ٥/ ٢٨١): «ولا وجه لقول من زعم أن قوله «وقاتلوا في سبيل الله»، أمر من الله الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف بالقتال، بعد ما أحياهم».

ثم أطال النفس في الرد عليه في مبحث نفيس علىٰ طالب العلم أن يطلع عليه، فمثل هذه المباحث تعلم النقد في التفسير.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قيل: إقراض الله أن يتصدق بصدقة اكتسبها من حلال محتسبًا في ذلك من قلبه، مطمئنة بها نفسه، لا يمنُّ بها على السائل ولا يؤذيه ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾[١] أضعافًا كثيرة، قال السُّدي: لا يعلم أحد ما هو[٢]، وقال جماعة: سبعمائة ضعف.

وقوله ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ قرئ بالنصب والرفع[٣].

فمعنى النصب: أنه جواب الاستفهام بالفاء، ومعنى الرفع: أنه عطف على قوله: ﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ قال المفسر الكبير: الرفع هو الاختيار؛ لأنه في معنى الشرط والجزاء، وما بعد فاء الشرط مرفوع، كقوله ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾[٤].

ومن حق ﴿يُقْرِضُ﴾ أن يكون مجزومًا بكلمة ﴿مَّن﴾، ولكن دخل بينه وبين الشرط اسم وهو كلمة ﴿ٱلَّذِى﴾ فانقطع حكمه[٥].

ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ أي: يقتِّر ويوسع ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥﴾ في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

قال محمد بن علي: القرض[٦] في اللغة القطع، معناه: اقطعوا حب ذلك المال وذكره من قلوبكم وأعطوا[٧].

---

(١) ضبطها بالأصل بالضم في الفاء، وهي قراءة من سوى ابن عامر وعاصم ويعقوب، حيث قرأ الثلاثة بالنصب فيها (النشر ٢/ ٢٢٨).

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ٥/ ٢٨٦.

(٣) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بالنصب، وقرأ الباقون بالضم (النشر ٢/ ٢٨٨).

(٤) الحجة لأبي علي ٢/ ٣٤٤، الدر المصون ٢/ ٥٠٩.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٩٤.

(٦) تصحفت في الأصل إلى القرضي، ثم كرر القرض مرة أخرى بعد كلمة.

(٧) وهذا من الإشارات التي اشتهر بها الحكيم الترمذي.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: جماعة منهم ﴿مِنۢ [بَعْدِ]﴾ وفاة ﴿مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ شمعون، وقيل: أشمويل بالعبرانية وإسماعيل بالعربية(١).

﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ أرسل معنا قائدًا ﴿نُّقَٰتِلْ﴾ بأمره ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: لعلكم إن فرض عليكم القتال مع عدوكم العمالقة ﴿أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ﴾ أي: ليس لنا ﴿أَلَّا نُقَٰتِلَ [فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ]﴾ عدونا ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ وقد أجْلونا من منازلنا وسَبوا ذرارينا ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ نصب علىٰ الاستثناء(٢).

وهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلًا(٣).

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ المخالفين الذين كرهوا القتال.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ تجاهدون عدوكم معه ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ أنكروا ملكه؛ لأنَّه ليس من سبط الأنبياء ولا من سبط المملكة، وكانت النبوة في سبط لاوي، والمُلك في سبط يهوذا(٤).

---

(١) الأول قول السدي، والثاني قول وهب وابن إسحاق، وقيل: شمؤل، وقيل يوشع، تفسير الطبري ٥/ ٢٩١.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٢٧.

(٣) عدة أصحاب بدر، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري (٣٩٥٧) عن البراء قال: حدثني أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم ممن شهد بدرا، أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت، الذين جاوزوا معه النهر، بضعة عشر وثلاث مائة، قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ١٦٢. وقد روىٰ الطبري في ذلك خبرا إسرائيليا طويلا ٥/ ٣٠٩.

﴿وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ﴾ لأنَّ منَّا الأنبياء والملوك، ومع هذا لم يؤت طالوت غنًىٰ من المال لينفق علينا ﴿قَالَ﴾ نبيُّهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ﴾ اختاره بالمُلك ﴿عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً﴾ أي: فضيلة ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ قيل: هو علم الشريعة، وقيل: علم الحروب لأنه يطولهم بمنكبيه[١].

﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي: جواد بعطيته ﴿عَلِيمٌ ٢٤٧﴾ بالعباد من كان أهلاً لعطيته، [فـ]طلبوا علىٰ ذلك علامةً:

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ﴾ من الله عز وجل ﴿أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الذي قد أخذ منكم عدوكم قوم جالوت ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ طمأنينة، وقيل: تسكنون إليه إذا أتاكم.

ابن عباس: «السكينة طست من ذهب يغسل فيه قلوب الأنبياء»[٢].

وقال علي: «شيء لها وجه كوجه الإنسان، ولها جناحان، فإذا حاربوا قومًا قدموها فإذا صوتت[٣] عرفوا أن النصر لهم»[٤].

---

(١) أي أطول من بني إسرائيل بمنكبيه، وهذا قول وهب بن منبه (تفسير الطبري ٥/ ٣١٣).

(٢) من رواية الحكم بن ظهير وهو متروك، وهو قول السدي نسبه الحكم لابن عباس (تفسير الطبري ٥/ ٣٢٨).

(٣) في الأصل: تصوبت، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته، وهو مشهور في كتب التفسير (تفسير أبي الليث ١/ ١٦٣).

(٤) المروي عن علي أنه قال: ريح هفهافة.. والباقي نحوه، رواه ابن جرير (تفسير الطبري ٥/ ٣٢٦).

قال الواحدي (في البسيط ٤/ ٣٢٦): «قال قتادة والكلبي: هي فعيله من السكون، أي: طمأنينة من ربكم. وفي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا.

وهذا اختيار الزجاج. قال: أي: فيه ما تسكنون به إذا أتاكم.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ ابن عباس: «كان قفيزًا من مَنٍّ وهو الترنجبين الذي يأكله بنو إسرائيل في التيه، ورضاض الألواح، وعصا موسىٰ، وعمامة هارون، وكان التابوت من عمود الشمشار»(١).

﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾ أي: تسوقه الملائكة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في رد التابوت ﴿لَأٓيَةً﴾ علامة ﴿لَّكُمۡ﴾ بأن مُلك طالوت من الله ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٤٨﴾ مصدقين لذلك فاقرؤوا إذا أتاهم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾ يعني: سار بجنوده في قفرة من الأرض وشدة الحر أصابهم العطش، فشكوا ذلك، فقال لهم طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾ من الماء ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ أي: لا يعينني علىٰ قتال عدوي ويصير جبانًا ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ﴾ أي: لم يشرب ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ يعينني علىٰ القتال ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ﴾(٢) قال مقاتل: الغَرفة يشرب منها الرجل وخادمه ودابته، ويملأ به قربته، وقيل: هو الملأ بالكف(٣).

والسكينة: مصدر وقع موقع الاسم، نحو القضية والعزيمة، وهذا معنىٰ قول الحسن، قال: جعل الله لهم في التابوت سكينةً لا يفرُّون عنه أبدًا وتطمئن قلوبهم».

(١) وهذا من رواية الكلبي، انظر: تفسير الطبري ٥/ ٣٣١، تفسير أبي الليث ١/ ١٦٣، البسيط ٤/ ٣٢٦. والشمشار شجر عندهم صنعوا منه أشياء، انظر: البداية والنهاية ٢/ ١٩٦، وليست في المعاجم.

(٢) ضبطها في الأصل: غَرْفة، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون: غُرفة (النشر ٢/ ٢٣٠).

(٣) وهو الصحيح، لأنه الذي تدل عليه اللغة، وقول مقاتل لا دليل عليه، بل هو من قبيل الإسرائيليات.

قال الواحدي: الاغتراف: الأَخْذُ من الشيء باليدِ أو بآلة كما يغترف من الماء، والمِغْرَفَةُ: الآلة التي يغرف بها، وكذلك الغَرْفُ مثل الاغْتِرَاف، واختلف القراء في فتح الغين من (غرفة) وضمها، فمن فتح الغين عدَّىٰ الفعل إلىٰ المصدر، والمفعول محذوف في قوله، والمعنىٰ:

فلما رأوا الماء ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ثلاث مائة وثلاث عشر عدد صحب رسول الله يوم بدر(١) ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ طالوت ﴿هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: لم يشربوا الماء إلا غرفة ﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ [بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ]﴾ أي: العصاة الذين شربوا، قالوا ذلك ولم يقطعوا النهر، وقيل: جاوزوا ثم قالوا ذلك(٢).

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يتيقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة، أي: معاينوه بالبعث ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ عددهم ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾ من الكافرين ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بنصرة الله ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ بالمعونة والنُصرة.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ﴾ أي: خرجوا لمحاربته وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وصافوا للقتال ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: أنزل علينا صبراً ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ كيلا ننهزم ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ أي: علىٰ جالوت وجموعه، فاستجاب دعاءهم.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: كسروا جنوده بنُصرة الله ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ﴾ النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم ﴿جَالُوتَ﴾ اللعين ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ يعني: داود، جعله ملكًا علىٰ بني إسرائيل ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: النبوة ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ أي: علم داود ما أراد داودُ من صنعه الدروع، فألان له الحديد حتىٰ صنع الدروع.

إلا من اغترف ماءً غَرْفةً. ومن ضم الغين عدَّىٰ الفعل إلىٰ المفعول به، ولم يعده إلىٰ المصدر؛ لأن الغُرفَة بالضم: الشيء المُغْتَرف، والماء المغروف، فهذا بمنزلة: إلا من اغترف ماء (البسيط ٤/ ٣٣٢).

(١) انظر الروايات في تفسير الطبري ٥/ ٣٤٦ قد أطال في ذكرها.

(٢) والأخير هو المرجح عند ابن جرير (تفسير الطبري ٥/ ٣٥٠).

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: لولا دفع الله شر جالوت بداود ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: خربت وفسد أهلها بفسادها، وقيل: يغلب المشركون على مساجد المسلمين وصوامع الرهابين[١].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ بالظفر لهم على الكافرين وبالحُكم عليهم.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي: القرآن ﴿نَتْلُوهَا﴾ حال من آيات الله [﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾].

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ تام[٢] إن استأنفت[٣].

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: موسى عليه السلام، وإن نصبت ﴿مِّنْهُم﴾ بدلاً من موضع ﴿فَضَّلْنَا﴾ لم تقف على بعض[٤].

وقرئ: «كلَّم اللهَ» نصبًا، وقرئ: «كالم الله» من المكالمة، وكليم يدل عليه[٥].

---

(١) وليس المقصود داود عليه السلام فقط، بل يدخل في الآية كل المؤمنين في كل زمان ومكان، قال ابن جرير (في التفسير ٥/ ٣٧٢): ولولا أن الله يدفع ببعض الناس -وهم أهل الطاعة له والإيمان به- بعضًا؛ وهم أهل المعصية لله والشرك به، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له -وقد أعطاهم ما سألوا ربهم ابتداء: من بعثة ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله- بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر، جالوت وجنوده لفسدت الأرض، يعني: لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض، ولكن الله ذو منٍّ على خلقه وتطول عليهم، بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر.

(٢) في الأصل: تا.

(٣) وهو الوجه، وفيها وجه آخر وهو: حال من المشار إليه (الدر المصون ٢/ ٥٣٥).

(٤) التبيان ١/ ٢٠١، الدر المصون ٢/ ٥٣٦.

(٥) وهاتان قراءتان شاذتان، لم يذكرهما ابن جني.

﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ﴾ أي: محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ولم يصرح باسمه تفخيمًا له ﴿دَرَجَٰتٖ﴾ حسن[١]، نصب حال، أي: زاد درجات، وحُسن الوقف هنا، لأنَّ[٢] ما بعده جملة مستأنفة، المعنىٰ: أنه عليه السلام ساوىٰ الأنبياء عليهم السلام في فضلهم صلىٰ الله عليه وسلم وعليهم أجمعين؛ وفضل عليهم بأشياء كثيرة، وأكثرها القرآن الثابت إعجازه علىٰ مرور الأزمان، قال عليه السلام: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه[٣] البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ»[٤].

وقال عليه السلام: «فُضِّلْتُ علىٰ الأنبياء بست، أوتيت جوامع الكلم، ونُصِرْتُ بالرعب، وأُحِلَّت لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُرْسِلْتُ إلىٰ الخلق كافة، وخُتِمَ بي النبيون»[٥].

﴿[وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ][٦] بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيئة قهر[٧] ﴿مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم﴾ أي: بعد الرسل ﴿وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ﴾ في

وفي الكشاف للزمخشري (١/ ٢٩٧):«وقرئ (كلم اللهَ) بالنصب، وقرأ اليماني: كالم الله، من المكالمة، ويدل عليه قولهم: كليم الله، بمعنىٰ مُكَالمه» وانظر: التبيان ١/ ٢٠١، الدر المصون ٢/ ٥٣٦.

(١) أي وقف حسن.

(٢) في الأصل: لا، وهو تصحيف.

(٣) في الأصل: ما آمن عليه مثله البشر.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٤٩٨١)، والبخاري (١٥٢).

(٥) رواه مسلم في الصحيح (٥٢٣).

(٦) سبق تفسيرها، ولذا لم يفسرها،وقال الزجاج (في معاني القرآن ١/ ٣٣٤):« أي أعطيناه. والبينات الحجج التي تدل علىٰ إثبات نبوته صلىٰ الله عليه وسلم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتىٰ والإنباء بما غاب عنه».

(٧) في الأصل: مشيئة قشر، وهو تصحيف.

دينهم ﴿فَمِنْهُم﴾ أي: الذين بقوا بعد الرسل ﴿مَّنْ ءَامَنَ﴾ من ثبت على الإيمان ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ ارتدوا وكفروا ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ تأكيدًا ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾.

﴿[يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟]﴾: مفعول ﴿أَنفِقُوا۟﴾ محذوف، أي: شيئًا[1] ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ هي الزكاة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ لا فداء ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ لا صداقة ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ بغير إذنه.

القراءة هنا، وإبراهيم: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾، والطور: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ فتحًا في السبعة[2] بلا تنوين يبنى على ما بعدها على الفتح، كأن قائلاً قال: هل من بيع؟ فجيء بالجواب عامًا على وفق السؤال، فقيل: لا بيع، وغير الاسم بالبناء، ومحل «لا» مع الاسم رفع ابتداءٍ، خبره «فيه».

وبالرفع: على جعل «لا» بمعنى «ليس»، تلخيصه: تأهبوا للحساب قبل الموت[3]. ﴿[وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ] ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾.

قال صلى الله عليه وسلم يومًا لأبي: «أبا المنذر، أية آية في كتاب الله أعظم؟ قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم، والذي نفسي بيده إن لها للسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش»[4].

---

(١) التبيان ١/ ٢٠٢.

(٢) أي الكلمات السبعة: بيع، خلة، شفاعة، بيع، خلال، لغو، تأثيم. وهكذا ضبطها في الأصل. وقد اختلف القراء في هذه الحروف، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب هذه السبعة بالفتح – كما ذكر المصنف–، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين (النشر ٢/ ٢١١).

(٣) هذا وجه قراء النصب بلا تنوين، وعلى القراءة الأخرى –الرفع والتنوين–:«أنه جعله جوابا لقول قائل: هل عندك رجل؟ فقال لا رجل، فلم يعمل «لا» لأن هل غير عامله». انظر: الحجة لابن خالويه ٩٩، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢/ ٣٥٤.

(٤) رواه مسلم في الصحيح (٨١٠) إلى قوله: ليهنك العلم، ورواه تاما كما ذكره المصنف: أحمد في المسند (٢١٢٧٨).

«ومن قرأها حين يأوي إلىٰ فراشه وكل الله به حافظًا، ولا يقربه شيطان حتىٰ يصبح»[١].

ثم وصف الله تعالىٰ فقال: ﴿ٱلْحَيُّ﴾ خبر مبتدأ، أي: هو الذي لا يلحقه الفناء ولا يموت ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ فَيْعُول بناء مبالغة[٢]، وهو القائم دائمًا بتدبير خلقه، وقرئ «القيَّام» و«القيِّم» بمعناه[٣].

ثم بين ذلك وأكده بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وزيدت «لا» هنا مع الواو لنفي السِنة والنوم عنه بكل حال، ولولا «لا» هنا لاحتمل أن يقال لا تأخذه سِنة ولا نوم في حال واحدة.

والنوم: غشية ثقيلة تقع علىٰ القلب فيمنعه معرفة الأشياء. والسِنة: ما يتقدمه من النعاس[٤]، فعلىٰ هذا لم يكتف بقوله ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ دون ذكر النوم لنفي وهم أن السِّنة إنما لم تأخذه لضعفها، ولتوهم أنَّ النوم قد يأخذه لقوته، فجمع بينهما لنفي التوهمين، السِنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب.

تلخيصه: هو منزَّه عن جميع التغيرات[٥].

---

(١) هذا جزء من حديث أبي هريرة وقصته مع الشيطان، وهو في صحيح البخاري معلقا (٢٣١١)، وانظر فضائل القرآن للمستغفري (٧٣٨) حيث خرجنا هذه الروايات وغيرها.

(٢) وزنه فَيْعُول، وأصله: قَيْوُوم، فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن جُعِلَتا ياءً مشددة، ولا يجوز أن يكون علىٰ (فَعُّول)، لأنه لو كان كذلك لكان قووما (البسيط ٤/ ٣٤٧).

(٣) الأولىٰ نسبت لعمر وابن مسعود، والثانية لعلقمة، انظر: الكشف والبيان ٧/ ٨١، تفسير السمعاني ١/ ٢٥٧، معالم التنزيل ١/ ٣١٢، الكشاف ١/ ٣٠٠.

(٤) البسيط ٤/ ٣٤٨.

(٥) وتلخيصه كذلك: أنه لا يغفل عن تدبير الخلق، سبحانه وتعالىٰ (البسيط ٤/ ٣٤٩).

وفي صحيح مسلم (١٧٩) عن أبي موسىٰ، قال: قام فينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه،

ثم أكد نفي السِنة والنوم المشار إليه بقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ لأنه خلقهما بما فيهما، والمشاركة إنما تقع فيما فيهما؛ ومن يكن له ما فيهما فمحال نومه ومشاركته، إذ لو وجد شيء من ذلك لفسدتا بما فيهما، ثم أكد الوحدانية المنزهة عن صفات المحدَثات بقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ لأنَّ أحدًا لا يقدر علىٰ الكلام يوم القيامة ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ حال[1]، بأن يأذن في الكلام والشفاعة لمن شاء فيمن شاء.

ثم بين أنه لا يغيب عنه شيءٌ مَا بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بين أيدي ما فيهما، والمراد: ما وجد قبل خلق ما فيهما كالملائكة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْۖ﴾ ما يوجد بعد ما فيهما[2].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ[بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ مما علم.

وقوله: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ كإخبار الرسل، بدل من «شيء».

ثم دلَّ علىٰ عظمته ومُلكه بقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أي: علمه ومُلكه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ﴾ والعلم يسمىٰ كرسيًا، والعالِم أيضًا، ومنه الكرَّاسة لما فيها من العلم، والمعنىٰ: أحاط قدرة وعلمًا بهما.

أو الكرسي: شيء إلىٰ جنب العرش[3]، في الحديث: «السماوات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في

يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - وفي رواية أبي بكر: النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه».

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٠٤.

(٢) ضمير التثنية فيما مضىٰ عائد للسماوات والأرض.

(٣) أتىٰ المصنف علىٰ القولين المشهورين في الكرسي، وهما: العلم، ومخلوق قدام العرش، علىٰ هيئة الكرسي المعروف وهو موضع القدمين، وعن الحسن: أن الكرسي هو العرش

فلاة»[١].

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ لا يثقله ولا يشق عليه ﴿حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ المتعال عن أن يحيط به وصف واصف أو معرفة عالم عارف ﴿ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ الذي ليس شيء أعظم.

ونزل فيمن كان له أولاد في الكفار وأراد عودهم إلىٰ الإسلام[٢]: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾. ابن مسعود: هذه الآية منسوخة بآية السيف[٣].

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ﴾ الإيمان ﴿مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ الكفر، المعنىٰ: ظهر الإيمان من الكُفر بالدلائل الواضحة.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطان، والأصنام، وكل من أطيع في معصية الله طاغوت، ووزنه بعد التغيير والقلب فلعوت عند بعضهم، وهو من الياء مِن طغىٰ يطغىٰ، يدل عليه الطغيان، أو من طغا يطغو، والياء أكثر فحمله عليها أولىٰ، فأصله «طغيوت»، ثم قُدمت اللام فصارت «طيغوت»، فتحركت الياء فقُلِبَتْ ألفًا.

ويُذَكَّر ويؤنَّث ويُفْرَد ويُجْمَع[٤].

نفسه، وهذا قول شاذ (تفسير الطبري ٥/ ٣٩٧، الكشف والبيان ٧/ ١٠٤، البسيط ٤/ ٣٥٣، تفسير السمعاني ١/ ٢٥٨، معالم التنزيل ١/ ٣١٣).

(١) رواه ابن جرير في التفسير ٥/ ٣٩٩، وابن حبان في الصحيح (٣٦١) وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٦٦، والثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ١٠٩

(٢) قال ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاتا، فتجعل علىٰ نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده. فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله تعالىٰ ذكره: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾، رواه ابن جرير ٥/ ٤٠٨ بإسناد صحيح.

(٣) تفسير الطبري ٥/ ٤١٢، البسيط ٤/ ٣٥٩.

(٤) تفسير الطبري ٥/ ٤١٩، البسيط ٤/ ٣٦٢، تاج العروس ٣٨/ ٤٩٥.

تلخيصه: ظهر الإيمان فمن آمن ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ أي: تمسك واعتصم ﴿بِٱلْعُرْوَةِ﴾ بالعقد الثابت والحُجة ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾ المحكمة الموصلة إلىٰ رضىٰ الله تعالىٰ، وأصل العروة الثبات واللزوم، والوثقىٰ العقد والأحكام ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ لا انقطاع، وأصل الفصم: انصداع من غير فصل[1].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ أي: سميع لقولهم عليم بهم.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ أي: ناصر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ الإيمان، [﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾] واليهود وليهم الطاغوت: كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ الإيمان بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم، لأنهم كانوا يعرفونه في كتبهم ويستفتحون به ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ الكفر به، بأن أنكروه ومنعوا من اتباعه، والمراد جميع الكفار، ويكون الاخراج عن الإيمان المنع عن الدخول فيه، لقول يوسف عليه السلام ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

﴿[أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ]﴾ فلهم ﴿ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

ثم عجَّب نبيه صلىٰ الله عليه وسلم وسلَّاه[2] بمجادلة إبراهيم نمرود الجبار المدّعي الربوبية: ﴿[أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ] أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ والعامل في «أن»: حاجَّ، فمحل أن والمتصل بها نصب أو جر، تقديره:

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٤٢٢، البسيط ٤/ ٣٦٦.

(٢) قال ابن جرير (في التفسير ٥/ ٤٣٠):«وهذا تعجيب من الله تعالىٰ ذكره نبيه محمدا صلىٰ الله عليه وسلم، من الذي حاج إبراهيم في ربه، ولذلك أدخلت«إلىٰ» في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ﴾ وكذلك تفعل العرب إذا أرادت التعجيب من رجل في بعض ما أنكرت من فعله، قالوا:«ما ترىٰ إلىٰ هذا» والمعنىٰ: هل رأيت مثل هذا، أو كهذا». وانظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٤٠.

حاج لأن أعطاه المُلك، فكانت المحاجة من نظر الملك قالوا أنه ملك الأرض فتنة له، أو الهاء لإبراهيم فالملك علىٰ هذا النبوة.

أي: حاج نمرود إبراهيم لأنْ أعطي النبوة[١].

ومحل ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ نُصِب بحاج ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ فثم نمرود ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ فعمد إلىٰ رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فجعل ترك القتل إحياءً.

القراءة: بحذف الألف من أنا، وإثباتها إذا كان بعدها من همزة مضمومة أو مفتوحة[٢].

وكان لإبراهيم أن يقول: أحيي مَن أماتَ، ولنمرود أن يقول: فليحيي ربك من أمتُّ، ولكن صُرف عن ذلك معجزة لإبراهيم.

فانتقل إبراهيم إلىٰ حجة واضحة بأن: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ أي: تحيَّر ودُهِش ﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ وانقطعت حجته.

وقرئ: «فبَهَتَ» أي: فبهت إبراهيم الكافر[٣].

وقرئ: «فبَهُتَ» كقرب، وبَهِتَ كعلم وزنًا، لغتان[٤].

---

(١) قال الزجاج: أيْ آتىٰ الكافرَ الملكَ، وهذا هو الذي عليه أهل التفسير وعليه يصح (معاني القرآن ١/ ٣٤٠).

(٢) وهذه قراءة أبي جعفر ونافع (النشر ٢/ ٢٣١).

(٣) وهي قراءة ابن السميفع، شاذة (انظر: تفسير الطبري ٥/ ٤٣٢، الكشف والبيان ٧/ ١٤٧).

(٤) وهي قراءات شاذة، ذكرها ابن جني في المحتسب ١/ ١٣٤، وذكرها الواحدي علىٰ أنها لغات لا قراءات (البسيط ٤/ ٣٧٨).

وفي انتقال إبراهيم دليل على جواز الانتقال من دليل إلى دليل أخف وأوفى. [﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾].

﴿أَوۡ كَٱلَّذِي﴾ كاف في ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾[(١)]، والكاف منصوبة محلاً بمحذوف: أو رأيت مثل الذي، وحُذفت رأيت لدلالة ألم تر عليه، لأنهما للتعجب، أو زائدة أي: ألم تر إلى الذي حاج وإلى الذي ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها.

وأصل الخوى: الخلاء[(٢)]، وأصل العرش: أن يستعمل لكل بناء مرتفع، ثم استعمل في كل سقف كالسرير، أي: سقطت السقوف؛ ثم سقطت عليها الحيطان، أو «على» بمعنى «مع»[(٣)].

والمارُّ: عزيرٌ، أو كافر شك في البعث، أو أرمياء بن حلقيا[(٤)].

والقرية: بيت المقدس، أو قرية العنب قريب منها[(٥)].

وذلك لأنَّه لما كثرت المعاصي في بني إسرائيل وعظهم أرمياء فلم يتعظوا، فخرج من بينهم وخالط الوحوش يتعبد، ودخل بختنصر بجنوده بيت المقدس

---

(١) يعني مثلها.

(٢) انظر لكلمة خوى: تفسير الطبري ٥/ ٤٤٤، معاني القرآن، للزجاج ١/ ٣٤٢.

(٣) كذا في الأصل: مع، وهو صحيح، ومثله في الدر المصون ٢/ ٥٥٩، والمعنى: مع عروشها، فيكون المراد بالعروش الأبنية، أي قرية خالية والأبنية كذلك.

وقيل: إنها بمعنى عن، أي خاوية عن عروشها، قال الواحدي (في البسيط ٤/ ٣٨٣): وقال بعضهم أي: خالية عن عروشها لتهدمها، جعل على بمعنى عن كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢﴾ [سورة المطففين:٢] أي: عنهم.

(٤) هذه الأقوال الثلاثة مذكورة في كتب التفسير، انظر: تفسير الطبري ٥/ ٤٣٩، الكشف والبيان ٧/ ١٥٠، البسيط ٤/ ٣٨٠، تفسير السمعاني ١/ ٢٦٣، معالم التنزيل ١/ ٣١٧.

(٥) تفسير الطبري ٥/ ٤٤٢.

وخربه، وملأه ترابًا، وقتل من فيه، وسبىٰ ذراريهم، فلما ذهب رجع أرمياء بحماره وعصير عنب وتين فوجده خرابًا، فقال -ليزداد بصيرة- وكذلك إنْ قيل المار هو العزير: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾.

وإن قيل: السائل كان كافرًا؛ فإنما سأل شكًّا في البعث.

إن جعلت «أنَّىٰ» بمعنىٰ متىٰ نصبتها: بيُحيي.

وبمعنىٰ كيف نصبتها: حالاً مِن هذه[1].

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: ألبثه ميتًا ﴿مِاْئَةَ عَامٖ﴾ ولا يكون ظرفًا لأماته لأنَّ الإماتة تقع في أيسر زمان[2] ﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾ أحياه ثم قال له ملكٌ: ﴿كَمۡ لَبِثۡتَۖ﴾ ميتًا ﴿قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا﴾ لأنه قد كان مات أول النهار ثم رأىٰ بقية من الشمس، فقال: ﴿أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ التين أو العنب ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير أو اللبن ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ﴾ لام يتسنه هاء، كقولهم: سانهت فلانًا عاملته سنة، أي: لم يتغير من مر السنين.

أو واو[3]؛ لقولهم: سنوات، فحذفت الواو وجيء بهاء السكت كحسابيه.

أو نون، من الحمإ المسنون؛ فقلبت نونه حرف علة، كيتمطىٰ[4].

ولم يثنه ردًا للضمير إلىٰ أقرب المذكورَيْن[5].

---

(١) التبيان ١/ ٢٠٨، الدر المصون ٢/ ٥٦٠.

(٢) أي أدناه وأقله، انظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٠٩، الدر المصون ٢/ ٥٦٠.

(٣) معطوف علىٰ قوله: هاء، أي لام الفعل يتسن هاء أو واو.

(٤) وذلك أن أصله تمطط، ومثله قولهم: تقضىٰ البازي، أصله: تقضض، فلما اجتمعت ثلاث طاءات في تمطط وثلاث ضادات في تقضض قلبوا إحداهن ياءً، فقالوا: تمطىٰ، تقضىٰ.
وقد رد الزجاج هذا الوجه وقال: «وهذا ليس من ذاك لأن مسنون إنما هو مَصْبُوب علىٰ سنة الطريق» (معاني القرآن ١/ ٣٤٤).

(٥) قال الثعلبي: «فإن قيل: أخبر عن شيئين اثنين ثم قال: لم يتسنه ولم يثنه؟ قيل: لأن التغيير راجع إلىٰ أقرب اللفظين وهو الشراب، واكتفىٰ بذكر أحد المذكورين عن الآخر لأنه في

القراءة: بإثبات الهاء وصلاً، لأنها لام الكلمة، وبحذفها فصلاً علىٰ أنها للسكت، وإثباتها وقفًا للكل[١].

وقرئ: «وهذا شرابك لم يتسن»[٢] وقرئ: «يسَّنَّه» بإدغام التاء في السين[٣].

وتلخيصه: ما معك باق بحُسنه.

قالوا: كان حماره قد مات وبقي عظامًا فقيل له: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ أو لم يكن قد مات، وهذا أبلغ في القدرة، فنظر فرآه قائمًا كهيئته أول يوم، ثم عطف ما بعد علىٰ محذوف تقديره: أريناك ذلك لتعلم قدرتنا ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أو زائدة، أي: فعلنا ذلك للدلالة علىٰ البعث ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ أي: عظام الحمار أو عظام الموتىٰ ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾[٤] وناصب كيف ننشرها، القراءة: بضم النون من أنشر اللهُ الموتىٰ فنُشروا وأظهروا، وبفتحها من نَشر الله الموتىٰ بمعنىٰ أَنشرهم، أو من النشر ضد الطي، وبضم النون والزاي[٥] من النشور: التحرك والارتفاع، أي: نحركها ونرفعها[٦].

معنىٰ الثاني،...ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود: (فانظر إلىٰ طعامك وهذا شرابك لم يتسنه)». الكشف والبيان ٧/ ١٦٩.

(١) قرأ بحذف الهاء لفظا في الوصل وإثباتها في الوقف اتباعا للرسم حمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وأثبتها الباقون في الحالين (النشر ٢/ ٢٣١).

(٢) الكشف والبيان ٧/ ١٦٧، البسيط ٤/ ٣٩٢.

(٣) الكشف والبيان ٧/ ١٦٥، تفسير القرطبي ٣/ ٢٩٣.

(٤) ضبطها في الأصل: «نُنْشرُها» وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وكلام المصنف علىٰ هذه القراءة، وقرأ الكوفيون وابن عامر بالزاي كما أثبتُّ (النشر ٢/ ٢٣١)، وروىٰ أبان عن عاصم: نَنشُرُها (السبعة ١٨٩).

(٥) في الأصل: والرا، وهو تصحيف.

(٦) انظر: الكشف والبيان ٧/ ١٧١، البسيط ٤/ ٣٩٦.

﴿ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ فعادت العظام كهيئتها حية ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ إحياء الموتىٰ، لأن فاعل تبيَّن مضمر.

وقرئ: «تُبين» مجهولاً[١].

القراءة: ﴿قَالَ أَعۡلَمُ﴾ بقطع الهمزة رفعًا إخبارًا عن نفسه، وبوصل الهمزة جزمًا أمرًا لنفسه أو من الله تعالىٰ له بالعلم اليقين[٢] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾ وقرئ: «قيل اعلم»[٣].

﴿[وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ] أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ لأزداد بصيرة، وإذا سئلتُ: هل رأيت إحياء الموتىٰ فأقول نعم ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ﴾ مع علمه بإيمانه، ليظهر إيمانه لكل سامع بقوله ﴿[قَالَ] بَلَىٰ وَلَٰكِن﴾ واللام بعد[٤] متعلقة بمحذوف تقدير سألتك ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ﴾ أي: ليسكن ﴿قَلۡبِيۖ﴾ ويصير علم اليقين بالاستدلال عين اليقين بالمشاهدة، وليس ما يصل إلىٰ القلب بالخبر كالذي يصل إليه بالنظر، لأن الكذب في الخبر ممكن، وفي النظر غير ممكن، لأنَّ حاسة السمع مخبرة وحاسة البصر ممازجة، ولو كان الجواب بنعم لكان كفرًا، لأنَّ الاستفهام أكد معنىٰ النفي، وبلىٰ لإيجاب المنفي سواء أكان مع النفي استفهام أو لم يكن.

تلخيصه: آمنت وأريد مشاهدة ذلك لإيمان غيري.

---

(١) أي علىٰ البناء للمفعول، انظر: الكشاف ١/ ٣٠٨.

(٢) فقرأ حمزة والكسائي بالوصل، وإسكان الميم علىٰ الأمر، وإذا ابتدأ كسرا همزة الوصل. وقرأ الباقون بقطع الهمزة والرفع علىٰ الخبر (النشر ٢/ ٢٣٢).

(٣) نسبت هذه القراءة للأعمش، انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٧٤، تفسير الطبري ٥/ ٤٨٣، الكشف والبيان ٧/ ١٨٧، البسيط ٤/ ٣٩٧.

(٤) أي في: ليطمئن، (التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢١١).

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ طاوسًا وديكًا وحمامة وغرابًا[(١)] ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[(٢)] ضمًا للصاد قطعهنَّ، وكسرًا أملهنَّ.

أو لغتان: صريته وصروته[(٣)] أملته وقطعته.

أو: صرهن صِح بهنَّ.

الخليل: «عصفور صوَّار» للمجيب إذا دُعي[(٤)].

وقرئ: «فصُرُّهنَّ» بضم الصاد وكسرها من صرَّه يصِرُّه ويصُرُّه: جمعه؛ كضرَّه يضِره ويضُره من الضرر.

و«فصَرِّهنَّ» من التصرية الجمع[(٥)]، و«فصِرْهنَّ» من الصرير الصوت؛ أي: صحْ بهن، وجميع المستعمل من: (ص ر ر) يشمله معنىٰ الميل[(٦)].

---

(١) انظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٥/ ٤٩٤.

(٢) قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس بكسر الصاد، وقرأ الباقون بضمها (النشر ٢/ ٢٣٢).

(٣) في الأصل: صرية وصرتة، وهو تصحيف.
ومن قال: إنهما لغتان قال إحداهما: صار يصور، والأخرىٰ: صار يصير (انظر: تفسير الطبري ٥/ ٤٩٩).

(٤) العين ٧/ ١٤٩، ونص كلام الخليل: وعُصفورٌ صَوّارٌ: وهو الذي يُجيب الدّاعي. وقوله تعالىٰ: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي فشقِّقْهُنَّ اليك، قال: فقال له الرحمن: صَرْها فإنّها تأتيك طوعـًا عند دعوتك الشفع.

(٥) الكشف والبيان ٧/ ٢٠٨، الكشاف ١/ ٣١٠، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢١٢، الدر المصون ٢/ ٥٧٦.
قال أبو البقاء: «ويقرأ بضم الصاد وتشديد الراء، ثم منهم من يضمها، ومنهم من يفتحها، ومنهم من يكسرها مثل مدهن، فالضم علىٰ الإتباع، والفتح للتخفيف، والكسر علىٰ أصل التقاء الساكنين، والمعنىٰ في الجميع من صره يصره إذا جمعه».

(٦) الكشف والبيان ٧/ ٢٠٨، البسيط

وأمر بضمها إليه بعد الأمر بأخذها ليتأملها ويعرف أشكالها، لئلا يلتبس عليه بعد عودها إليه، والمعنىٰ: أملهن إليك واعتبرهن ثم قطعهن ثم أخلط لحمهن بعضه ببعض ثم أمسك رؤوسهن ثم جزِّئهن أجزاء.

﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضك وكانت سبعةً ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ القراءة: بضم الزاي وإسكانها، ومنهن: صفة لجزء، فلما قدمت عليه نصبت حالاً[1].

﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ قل لهن تعالين بإذن الله ﴿يَأْتِينَكَ﴾ ففعل، فعاد كل جزءٍ إلىٰ جزئغ، ثم أتين إلىٰ رؤوسهن ﴿سَعْيًا﴾ سريعًا، أو مشيًا، لئلا يتوهم أنها غير تلك الطير[2]، أو أنها غير سليمة الأرجل، فاتصلت برؤوسهن فعادت كما كانت، وانتصاب سعيًا مصدر مؤكد، أو في موضع الحال أي: ساعيات ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾.

لما كانت هذه الأشياء تدل علىٰ قدرة الله تعالىٰ حث علىٰ النفقة بعد لأنه قادر علىٰ الخلف والثواب قال:

﴿مَّثَلُ [ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ]﴾ مبتدأ، وفي الكلام حذف أي: مثل نفقات المنفقين، خبره ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ وقدر في الكلام حذف لأنَّ الذين ينفقون لا يشبهون الحبة، لأنه لا يشبه الحيوان بالجماد، بل نفقاتهم تشبه الحبَّة[3].

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢١٢.

(٢) في الأصل: عرينك الطين، وهو تصحيف عجيب، والتصحيح من الكشف والبيان ٧/ ٢١٨، معالم التنزيل ١/ ٣٢٤.

(٣) الكشف والبيان ٧/ ٢٢٢، البسيط ٤/ ٤٠٧، الكشاف ١/ ٣١٠.

ومحل: ﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ جزاء صفة حبة، وإسناد الإنبات إلىٰ الحبة مجاز.

المعنىٰ: فتشعبت من أصلها سبع شعب في كل شعبة سنبلة ﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾.

قرئ: «مائةً» نصبًا بدلاً من سبع(١)، والتاء في مائة بدل من لامها(٢).

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ يزيد الثواب ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ من المنفقين إلىٰ سبع مائة ﴿[وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ] عَلِيمٌ ۝٢٦١﴾.

ونزل في المنفقين في طاعة الله ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾(٣) لا يمن علىٰ المُنْفق عليه ﴿وَلَآ أَذٗى﴾ لا يؤذيه بأن يقول: قد أعطيتك فما شكرت، وإلىٰ كم تؤذيني.

تلخيصه: لا يعيره بشيء من إحسانه إليه.

ولا وقف هنا لأن خبر الذين ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ [عِندَ رَبِّهِمۡ]﴾ ولم يجيء بالفاء في ﴿لَّهُمۡ﴾ هنا وجيء بها في ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ بعدُ لأن الموصول هنا لم يتضمن معنىٰ الشرط، وضمنه ثَمَّ، ولأنَّ الفاء فيها دلالة لأن الإنفاق به استحق الأجر وطرحها عارٍ من تلك الدلالة ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٢٦٢﴾(٤).

﴿۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾ رد جميلٌ أو عدة حسنة، مبتدأ ﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾ يغفر خلته ولا يهتك ستره أو يجاوز عن الفقير إذا استطال عطفًا عليه، وخبر المبتدأ:

---

(١) وهي قراءة شاذة (التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢١٣).

(٢) لأن أصل الكلمة: م أ ي، فلامها الياء (تاج العروس ٣٩/ ٥٠٦).

(٣) في الأصل: كتب كلمتين من أول الآية، ثم قال: إلىٰ «ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا».

(٤) البحر المحيط ٢/ ٦٥٩.

﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ منٌّ وتعيير ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة من يمُنُّ ﴿حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد، ثم أكده بقوله:

﴿[يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ أي: أجورها ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى﴾ ومحل الكاف نصب صفة محذوف، أي: إبطالاً مثل إبطال المنفق ﴿مَالَهُۥ رِئَآءَ﴾ مفعول له، أي: لأجل ﴿ٱلنَّاسِ﴾ ليقال كريم، ورياء مصدر مضاف إلىٰ المفعول هنا.

وقرئ: «ريايَ» بقلب الهمزة ياء[١].

ثم جاء بالفاء لتربط ما بعدها بما قبلها فقال: ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي: مثل نفقة المرائي بها ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس، وجمعه صُفي، أو واحده صفوانة، وقرئ: «صفَوان» كغَلَيان[٢]، أي: كمثل حجر قد استقر ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ نقيًا لا تراب عليه، المعنىٰ: مثل الفريق المان والمنافق في صدقتهما يوم القيامة كحجر عليه تراب أزاله عنه المطر ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: المراؤون ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ [وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ] ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ قال صلىٰ الله عليه وسلم: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»[٣].

[﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ﴾]...[٤]المنفقين رياء فذكر المنفقين: ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ﴾ أي: طلب رضوان ﴿ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا﴾ معطوف، علىٰ المفعول

---

(١) قراءة شاذة، ذكره في التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢١٤.

(٢) قراءة شاذة نسبت للزهري، انظر المحتسب ١/ ١٣٧، الكشف والبيان ٧/ ٢٤٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٣٦٣٠)، وهو حديث صحيح.

(٤) هاهنا كلمة في الأصل صورتها: بلث، وهي مصحفة، والمعنىٰ واضح أي أنه لما ذكر المنفقين رياء ذكر المنفقين ابتغاء مرضات الله.

له، أي: للابتغاء وللتثبيت أين يضعون النفقة، فمحل ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ نصب مفعول المصدر(١).

أو المعنىٰ: تثبيتًا لأنفسهم علىٰ إخراج النفقة، لأنَّ المال شقيق النفس، وتثبيتًا لها علىٰ الإيمان بالجزاء(٢).

فـ ﴿مِّنْ﴾ علىٰ هذا تبعيض، نحو: هزَّ من عطفه(٣).

أو ابتدائية كقوله: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي: تثبيتًا صادرًا من عند أنفسهم(٤).

أو بمعنىٰ اللام نحو: فعلت ذلك(٥) كسرًا من شهوتي.

وقرئ: تثبيتًا(٦).

والمعنىٰ: مثل نفقة هؤلاء ونموها عند الله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ هي المستوىٰ من الأرض لا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء، فيكون نبته حسن.

القراءة: بضم الراء وفتحها(٧).

---

(١) وعلىٰ هذا ورد قول بعض السلف كعطاء ومجاهد والحسن، حيث قالوا: يتثبت في صدقته في أهل الصلاح والعفاف (تفسير الطبري ٥/ ٥٣٢، البسيط ٤/ ٤١٦)، وضعفه ابن جرير لبعده عن ظاهر التلاوة.

(٢) وهذا عليه جماهير المفسرين (تفسير الطبري ٥/ ٥٣١، الكشف والبيان ٧/ ٢٥٣).

(٣) ونحو حرك من نشاطه، «فإن قلت: فما معنىٰ التبعيض؟ قلت: معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها» الكشاف ١/ ٣١٣.

(٤) نحوه في الكشاف١/ ٣١٣، ومنه ومن البحر المحيط أقمت بعض الخلل في الأصل.

(٥) في الأصل أسقط الذال، والتصحيح من البحر المحيط ٢/ ٦٦٦.

(٦) نسبت لمجاهد، انظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٥٥، الكشاف ١/ ٣١٣.

(٧) قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء والباقون بضمها، (النشر ٢/ ٢٣٢) وقد ضبطه الآية في الأصل بالضم.

وقُرِئَ: بكسرها[١]، وبضمها وبفتحها وكسرها مع الألف لغات كلها[٢].

﴿فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ﴾ أي: حملت في سنة ما يحمل غيرها في سنتين.

القراءة: «أكْلها» و«أكْله» و«أكْل خمط» حيث وقع بسكون الكاف وضمها، لغتان[٣].

﴿فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞ﴾ رفع بمحذوف، أي: كالذي يصبها طل، وهو المطر الضعيف، أو الندىٰ، والطل إذا دام عمِلَ عمَلَ الوابل.

المعنىٰ: أن هذه الجنة تربع قلَّ المطر أو كثر، كذلك صدقة المؤمن المخلص فيها تنفعه قلَّت أو جلَّتْ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ] بَصِيرٌ ٢٦٥﴾.

إن لم تجعل ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ﴾ متصلاً بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ ومحل: ﴿مِّن نَّخِيلٖ﴾ -جمع نخل، أو نخل ونخيل واحد وهو من جنس- ﴿وَأَعۡنَابٖ﴾ رفع صفة جنة ﴿[تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ] لَهُۥ فِيهَا﴾ رزق أو ثمرة ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وخصَّ النخيل والأعناب بالذكر وإن كان في الجنة غيرهما تفضيلاً لهما.

والواو للحال في: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ﴾.

ومحل: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ﴾ أي: أولاد ﴿ضُعَفَآءُ﴾ صغار حال من الهاء في أصابه، أو عاطفة علىٰ ﴿أَيَوَدُّ﴾، ويكون الماضي مستقبلاً بمعنىٰ[٤].

---

(١) أي بدون ألف، وهي قراءة شاذة (الكشف والبيان ٧/ ٢٥٧، الكشاف ١/ ٣١٣).

(٢) هذه شواذ كذلك (مختصر في شواذ القرآن ٢٣، الكشف والبيان ٧/ ٢٥٧) فصار في الحرف هذا تثليث الراء مع الألف، وبدونها.

(٣) ضبط الآية في الأصل بالسكون، وأما القراءات: فقد أسكن الكاف من أكلها وأكله والأكل وأكل: نافع وابن كثير وافقهما أبو عمرو في أكلها خاصة (النشر ٢/ ٢١٦).

(٤) أي مستقبل المعنىٰ، وهو صادر عن معاني القرآن للفراء ١/ ١٧٥، فقد وضح هذا المعنىٰ بأمثلته.

إنْ جعلت ذرية من ذرأ -بمعنىٰ خلق- فوزنها فعولة، وأصلها ذروءة، فأبدلت الهمزة ياء تخفيفًا، فبقيت ذروية، ثم أدغمت الواو في الياء بعد القلب.

وإن جعلتها من الذَّرِّ -التفريق- فوزنها فعلية أو فعولة، وأصلها ذرية أو ذرورة، فأبدلت الراء الثانية ياء لكثرة الراءات، ثم أبدلت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء وكسرت الراء لتصح الياء الساكنة.

وقرئ بكسر الذال: إتباع لكسرة الراء، أو نسبة إلىٰ الذر، كـا[1] «إمسي» في «أمس»[2].

وإن جعلتها من: ذروتُ الحَبَّ وذريتُه؛ فوزنها من الواو فعولة، وأصلها ذرورة، ومن الياء فعيلة وأصلها فعولة -كخَرُّوبَة-، من الذر أيضًا[3].

والفاء عاطفة في: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ﴾ ريح شديدة ترتفع كالعمود، أو ريح تسطع وتثير السحاب ﴿فِيهِ نَارٌ﴾[4].

المعنىٰ: أيحب أحدكم أن يملك جنة في غاية الجودة يدَّخرها لفاقته فأحوج ما كان إليها فأصابها ﴿[إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ] فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾ فبقي متحيرًا محتاجًا لا يجد ما يعود به عليه، كذلك المرائي بعمله أحوج ما يكون إليه لا ينفعه.

تلخيصه: من عمل لغير الله ندم حين لا ينفع الندم، وصل[5] الحرق بكل شيء مع حرارة والتهاب.

---

(١) كـا اختصار لقوله: كقولهم.

(٢) تصحفت في الأصل، وأقمتها من المحتسب ١/ ١٥٨.

(٣) لابن جني مبحث نفيس مبحث نفيس في اشتقاق ذرية، في المحتسب ١/ ١٥٨، واعتمد عليه السمين -وعلىٰ غيره- في الدر المصون ٢/ ١٠١، وانظر: التبيان في إعراب القرآن.

(٤) تفسير الطبري ٥/ ٥٥٤، تفسير أبي الليث ١/ ١٧٧.

(٥) في الأصل: أوصل الحرق بكل شيء بشيء مع حرارة واتهاب.

أو: هذا مثل لمن عمل بالطاعات فبعث له الشيطان فعمل بالمعاصي فأغرق أعماله كلها، وإن أحدهم أفقر ما يكون إلىٰ عمله إذا فارق الدنيا[١].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: هكذا البيان الذي بُين فيما تقدم من الجهاد والصدقة وقصة إبراهيم عليه السلام وغيرها[٢].

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: الدلالات التي تحتاجون إليها في توحيدكم ودينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ بالتجارة والصناعة، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «أحل ما أكل الرجل من كسبه، وإنَّ ولده من كسبه»[٣]، وقال: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن داود ما كان يأكل إلا من عمل يده»[٤].

﴿وَمِمَّآ﴾ أي: ومن طيبات ﴿أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمر، ويجوز أن يقال: من الكنوز والمعادن، وهذا أمر بإخراج الزكاة.

---

(١) في صحيح البخاري (٤٥٣٨): أن عمر رضي الله عنه قال يوما لأصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم: فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [سورة البقرة:٢٦٦] ؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: «قولوا نعلم أو لا نعلم»، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: «يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك»، قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: «أي عمل؟» قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: «لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتىٰ أغرق أعماله».

(٢) صدر عن معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٤٩.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٤٠٣٢) وأبو داود (٣٥٢٨) وابن ماجه (٢١٣٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، بلفظ: إن أطيب ما أكل الرجل.. وهو حديث حسن.

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٢٠٧٢) من حديث المقدام رضي الله عنه.

ونزل فيمن كان يتصدق بالرديء ويختص بالجيد[١]: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ أي: الرديء، ومحل: ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ -أي: من الخبيث- نصبُ حالٍ مقدرة من الضمير في ﴿تَيَمَّمُواْ﴾.

القراءة: بتشديد التاء وتخفيفها هنا وفي أخواتها، وهي في أحد وثلاثين موضعًا[٢].

وقرئ: «ولا تأمموا»[٣] «ولا تُيمموا»[٤] بضم التاء، وتيممه[٥] وأممه ويممه واحد: قصده[٦].

ومحل ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ﴾ -أي: تسامحوا في أخذه- حالٌ، وأصل الإغماض: غض البصر، أغمض فلان عن بعض حقه تساهل فيه[٧].

المعنىٰ: لو جاء[٨] لكم أنكم لا تأخذونه إلا في حال الإغماض.

---

(١) وذلك أن رجلا من الأنصار علق قنوًا من حشف - وهو رديء التمر- في الموضع الذي كان المسلمون يعلقون صدقة ثمارهم؛ صدقة من تمره، يظن أن ذلك جائز (انظر: سنن الترمذي (٢٩٨٧)، تفسير الطبري ٥/ ٥٦٠، الكشف والبيان ٧/ ٢٩١، البسيط ٤/ ٤٢٤).

(٢) وهي التاءات التي تكون في أوائل الأفعال المستقبلة إذا حسن معها تاء أخرىٰ، ولم ترسم خطا، وهذه المواطن مجموعة في الشاطبية (البيت ٥٢٦-٥٣٥).
قرأ البزيُّ بتشديد التاء وصلا في الفعل المضارع في أحد وثلاثين موضعا باتفاق، وموضعين باختلاف، وغير البزي يقرأ بالتخفيف أي بتاء واحدة، ومحل بسط ذلك كتب القراءات، انظر: النشر ٢/ ٢٣٣، الوافي شرح الشاطبية ٢٢٥.

(٣) نسبت لابن مسعود (انظر: تفسير الطبري ٥/ ٥٥٨، الكشف والبيان ٧/ ٢٩٠)

(٤) نسبت لابن عباس (الكشف والبيان ٧/ ٢٩٠، الكشاف ١/ ٣١٤).

(٥) في الأصل: تممه، وهو تصحيف، تصويبه من الطبري والبسيط ٤/ ٤٢٢.

(٦) البسيط ٤/ ٤٢٢.

(٧) تهذيب اللغة ٨/ ٥٨.

(٨) في الأصل: و جا، والمراد: أن الحق لو كان لكم علىٰ غيركم، فجاء به رديئا لا تأخذونه إلا بحال الإغماض.

أو المعنىٰ: لو أُهدي إلىٰ أحدكم ما أخذه إلا علىٰ استحياء من صاحبه.

وقرئ: «تغمِّضوا» مشددًا من غمَّض، و«تغمُضوا» بضم الميم وذكرها من غَمَض يغمُض[١].

«وتُغمَضُوا» مجهولاً[٢]. ﴿[وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ] حَمِيدٌ ۝٢٦٧﴾.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ وعد يستعمل في الخير والشر[٣].

والفقر: سواء الحال، وأصله انفراج في شيء، ومنه فقار الظهر؛ لما فيه من الفصول، والفقر منه[٤].

والمعنىٰ: أنه يخوفكم بالفقر؛ بأن يقول: إن تصدقتم افتقرتم ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ بالبخل.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ أي: إن أنفقتم ﴿مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضۡلٗاۗ﴾ خلفًا مما أنفقتم وثوابًا عليه ﴿[وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ] عَلِيمٌ ۝٢٦٨﴾.

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي: العلم النافع الموصِل إلىٰ رضىٰ الله تعالىٰ والعمل به أو الورع ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾. وأصل الحكمة المنع، وكذلك جميع المستعمل من (ح ك م) وتعكيسه[٥]، ثم استعمل للمنع مع إصلاح.

---

(١) نسبت الأولىٰ لقتادة وهذه للزهري كما في الكشف والبيان ٧/ ٢٩٧.

(٢) نسبت الأولىٰ لقتادة والثانية للزهري، وهذه الثالثة قراءة أبي مجلز كما في الكشف والبيان ٧/ ٢٩٧، البسيط ٤/ ٤٢٧.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٥١.

(٤) البسيط ٤/ ٤٢٨.

(٥) مثل: كمح الدابة وأكمحها أي: كبحها، انظر: تهذيب اللغة ١/ ٨٨٥، البسيط ٢/ ٣٥٥، تاج العروس ٧/ ٨٢.

وتمَّ الوقف هنا؛ لأنَّ الواو في: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ استئنافية، أو عاطفة جمل علىٰ جملة، و«مَنْ» علىٰ القراءة مرفوعة محلاً مبتدأ خبره ما بعده، وقرئ: بكسر التاء فـ«مَنْ» علىٰ هذا منصوبه بـ«يؤت» ويؤت مجزومة بها، لأنها شرط، وفاعل يؤت الله تعالىٰ، أي: ومن يؤته الله الحكمة[1].

تلخيصه: مَن أُعْطي ما يدخله الجنة ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ في مكثرة الخير ووصفه بالكثرة دليل علىٰ عظمه ﴿[وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ] ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ في طاعة أو معصية ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ كذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ يحفظه فيجازيكم به، ولم يقل: «يعلمها» ردًّا للضمير إلىٰ ما[2] ﴿[وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ] مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾.

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ نِعْمَ: فعلٌ غير متصرف، وفاعله مضمر، و«ما» نكرة غير موصولة ولا موصوفة بمعنىٰ شيء، وهي نصب تفسير، أي: فنعم التي شيئًا أو فنعم شيئًا إبداؤها، وهي خبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل ما الممدوح؟ فقيل هي، أي: الممدوح الصدقة، أو هي مبتدأ خبره ما قبله، تقديره: فهي نعم شيئًا.

القراءة: هنا والنساء[3] بفتح النون وكسر العين علىٰ الأصل، لأنَّ أصلها نَعِمَ كعَلِمَ.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٢٠.

(٢) وهذه من الأسئلة القديمة التي ذكرها الطبري، فقد قال ابن جرير (في التفسير ٥/ ٥٨٢): إن قال لنا قائل: فكيف قال: «فإن الله يعلمه»، ولم يقل: «يعلمهما»، وقد ذكر النذر والنفقة، قيل: إنما قال: «فإن الله يعلمه»، لأنه أراد: فإن الله يعلم ما أنفقتم أو نذرتم، فلذلك وحد الكناية (وانظر: البسيط ٤/ ٤٣٣).

(٣) قوله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ [سورة النساء:٥٨].

وبكسر النون وإخفاء حركة العين، نقلوا حركة العين إلىٰ النون.

وبكسر النون والعين إتباع، وتشديد الميم هنا إجماع[١].

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضل -ولكل مستقبل[٢]- إذا صلحت النية، في الحديث: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»[٣].

قالوا: هذا في صدقة التطوع، وأما الزكاة فإظهارها أفضل ليقتدىٰ به، ولنفي التهمة، ويجوز أن يقال: إن لم يعرف ما معه فصدقة الفرض سرًا أفضل خوف الظلمة[٤].

القراءة[٥]: ﴿ونُكَفِّرْ عَنكُم﴾ بالنون والياء غيبة جزمًا، عطفًا علىٰ محل الفاء وما بعدها فهو جزم لأنه جواب الشرط[٦]، ورفعًا خبر ابتداء، أي: ونحن

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بفتح النون في الموضعين، وقرأ الباقون بكسرها، وقرأ أبو جعفر بإسكان العين، وقرأ شعبة، وقالون، وأبو عمرو، بإخفاء كسر العين، أي بالاختلاس، وقرأ الباقون بكسر النون والعين، واتفقوا كما ذكر المصنف علىٰ تشديد الميم، انظر: السبعة ١٩٠، النشر ٢/ ٢٣٥، الوافي شرح الشاطبية ٢٢٧.

(٢) كذا في الأصل، ويخشىٰ عليه من التصحيف.

(٣) رواه الترمذي (٦٦٤) عن أنس من غير تقييد بالسر، وفي إسناده ضعف، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٩٤٣) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ومن حديث أبي أمامة، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١١٥. وانظر: تلخيص الحبير ٣/ ٢٤٧.

(٤) نحوه في تفسير أبي الليث ١/ ١٨٠، الكشاف ١/ ٣١٦.

ومن البديع في هذه الآية: الطباق المعنوي، في قوله: «وتؤتوها الفقراء» لأنه لا يؤتي الصدقات إلا الأغنياء، فكأنه قيل: إن يبد الأغنياء الصدقات، وإن يخف الأغنياء الصدقات، ويؤتوها الفقراء، فقابل الإبداء بالإخفاء لفظًا، والأغنياء بالفقراء معنىٰ (الدر المصون ٢/ ٦١٠).

(٥) قرأ ابن عامر وحفص بالياء، وقرأ الباقون بالنون، وقرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وخلف بالجزم، وقرأ الباقون بالرفع (النشر ٢/ ٢٣٦).

(٦) انظر: الحجة لأبي علي ٢/ ٤٠٠، الكشاف ١/ ٣١٦.

نُكفرُ، أو أنه جملة من فعل [و] فاعل[١].

وقرئ: بالتاء مؤنثًا رفعًا وجزمًا، وبالياء مذكرًا نصبًا، بإضمار أنْ، أي: إن تخفوها تكن خيرًا وإن نكفر عنكم[٢].

﴿مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ﴾ «من» زائدة[٣]، أو هي تبعيض غير زائدة[٤] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾.

ونزل في النهي عن الصدقة علىٰ كافر حتىٰ يُسْلِم[٥]: ﴿۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ﴾ أي: لا يلزمك ﴿هُدَىٰهُمۡ﴾ هدىٰ التوفيق، وعليك هدىٰ البيان، فلا تمنعوهم الصدقة كي يسلموا.

---

(١) أي أنها مستأنفة، انظر: الحجة ٢/ ٤٠٠، البسيط ٤/ ٤٤٢، الكشاف ١/ ٣١٦.

(٢) وهي قراءات شاذة، انظر: الكشاف ١/ ٣١٦، الدر المصون ٢/ ٦١١.

(٣) وهو قول بعض نحويي البصرة، فيكون المعنىٰ: نكفر عنكم سيئاتكم.
ويكره العلماء هذه الألفاظ في حق القرآن الكريم، ولذا عبر بعضهم: بأنها صلة، في حين استخدم الطبري مصطلح: الإسقاط، فقال: قال بعض نحويي البصرة معنىٰ من الإسقاط (تفسير الطبري ٥/ ٥٨٦) ومن الخطأ علىٰ ابن جرير أن زعم ابن عطية أن هذا مذهب الطبري، وليس كذلك بل حكاه الطبري عن بعض النحويين، وهو مشهور من مذهب الأخفش.

(٤) الدر المصون ٢/ ٦١٤، وكلام السمين يشعر بترجيحه، لأن الصدقات لا تكفر كل الذنوب.
وهو الصحيح، وهو قول ابن جرير فإنه قال: فإن قال قائل: وما وجه دخول «من» في قوله: «ونكفر عنكم من سيئاتكم»، قيل: وجه دخولها في ذلك بمعنىٰ: ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها، ليكون العباد علىٰ وجل من الله فلا يتكلوا علىٰ وعده ما وعد علىٰ الصدقات التي يخفيها المتصدق فيجترئوا علىٰ حدوده ومعاصيه (تفسير الطبري ٥/ ٥٨٦).

(٥) أي في النهي عن ذلك، وجواز الصدقة علىٰ الكافر، عن ابن عباس، قال: كانوا لا يرضخون لقراباتهم من المشركين، فنزلت.. (تفسير الطبري ٥/ ٥٨٧، الدر المنثور ٢/ ٨٦).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ أي: مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ فثوابه لأنفسكم لا لغيركم.

«ما» بمعنى النفي في قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ في أهل الذمة، ما هذه شرط كما في قوله ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ الأولى جوابه ﴿يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ ثوابه وافرًا مضاعفًا ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢﴾ شيئًا من ثوابكم هذا، في صدقة التطوع توضع في المسلمين وأهل الذمة، وأما الواجبة فلا توضع إلا في المسلمين، وجوَّز أبو حنيفة وضع صدقة الفطر في أهل الذمة[1].

ومحل: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ رفع خبر مبتدأ محذوف أي: صدقاتكم: للفقراء، أو نصبٍ أي: اجعلوا صدقاتكم للفقراء[2].

﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ﴾ أي: حبسوا نفوسهم على الغزو والجهاد[3] ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم: أهل الصفة، كانوا زهاء أربعمائة يسكنون المسجد يرضخون النوى نهارًا، ويقرؤون القرآن ليلاً، يخرجون في كل سرية يبعثها النبي صلى الله عليه وسلم[4] ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ لكثرة أعدائهم، أو لا يتفرغون للتجارة.

القراءة: بكسر السين وفتحها في مستقبل الفعل[5] نحو: ﴿يَحۡسَبُهُمُ

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين ٢/ ٣٦٩، وذكر أن الفتوى على قول أبي يوسف بأنه لا يجوز.

(٢) نحوه في التبيان ١/ ٢٢٢، وانظر: الكشاف ١/ ٣١٨، والدر المصون ٢/ ٦١٥.

(٣) تفسير الطبري ٥/ ٥٩١.

(٤) وهو قول مقاتل ورواية الكلبي، تفسير أبي الليث ١/ ١٨١، البسيط ٤/ ٤٤٧، تفسير السمعاني ١/ ٢٧٧، زاد المسير ١/ ٢٤٥.

(٥) قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها (النشر ٢/ ٢٣٦).

﴿ٱلۡجَاهِلُ﴾ لحالهم ﴿أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ أصل (ع ف ف) الترك، من العفة، وهي: حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة[١].

أو: من العفة والعَفَافة لبقية اللبن، والتعفف تركٌ مع تكلف، وكان المتعفف قد بقيت فيه بقية تمكنه لسببها الترك[٢].

و«من» متعلقة بتحسبهم، أي: يحسبهم الجاهل لأجل تعففهم أغنياء[٣].

﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ بعلامتهم التواضع ورثاثة أحوالهم من الفقر.

﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ صفة مصدر محذوف، أي: سؤالاً ذا إلحاف، أي: إذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء، أو: لا يسألون الناس أصلاً، فعلىٰ هذا إلحافًا مفعول له، وهذا أحسن، إذ لو كانت المسألة من عادتهم لما كان إلىٰ معرفتهم بالعلامة حاجة[٤].

وأصل الإلحاف: الملازمة واللجاج[٥].

قال صلىٰ الله عليه وسلم: «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الناس إلحافًا»[٦].

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٥٩٤، البسيط ٤/ ٤٥٢.

(٢) العفافة: القليل من اللبن في الضرع والبقية منه (تهذيب اللغة ١/ ٨٥).

(٣) فهو مفعول من أجله (الدر المصون ٢/ ٦١٩) وفيها قولان آخران.

(٤) في الأصل: بالحاجة. وهذا الكلام مستفاد من تفسير الطبري ٥/ ٥٩٨.

(٥) البسيط ٤/ ٤٥٣.

(٦) رواه النسائي (٥/ ٩٨) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وإسناده حسن، ورواه أبو داود (١٦٢٨) والنسائي (٥/ ٩٨) من حدي أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم: مَنْ سأل وله قيمة أوقية فقد ألحفَ، ورواه الطبراني في الكبير (١٦٣٠)، والثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٣٥٦، من حديث أبي ذر نحو حديث أبي سعيد.

وقال: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب علىٰ ظهره فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه»[١].

﴿[وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ] عَلِيمٌ ٢٧٣﴾.

ونزل فيمن يتصدق ليلاً ونهارًا سرًا وجهرًا، أو في خيول المرابطين لأنها تعتلف سرًا وجهرًا وليلاً ونهارًا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم﴾[٢].

والباء في ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بمعنىٰ في، وقوله: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ مصدر في موضع الحال ﴿[فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ] وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ تلخيصه: من يتق الله يثبت مع الأمن والفرَج.

عن أبي هريرة أنه كان إذا مر بفرس سمين قرأ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ الآية[٣].

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ مبتدأ[٤]، أي: يعاملون به، وخصَّ بالأكل لأنه معظم المقصود.

والربا: الزيادة مطلقًا لغةً، وشرعًا: علىٰ وجه دون وجه[٥].

وكتبت بالواو؛ قالوا: علىٰ لغة من يفخمه كالزكاة، ويجوز أن يقال: تنبيهًا علىٰ أصله لأنَّه من رَبَا يربو زاد، وزيدت الألف تشبيهًا بواو الجمع[٦].

---

(١) رواه البخاري من حديث الزبير بن العوام (٢٣٧٣)، و(٢٣٧٤) من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم من حديث أبي هريرة (١٠٢٤).

(٢) الروايات في ذلك مذكورة في تفسير ابن جرير ٥/ ٦٠١، وتفسير ابن ابي حاتم ٢/ ٥٤٢، وتفسير ابن كثير ١/ ٧٠٣، وفي هذا الموضع من تفسير ابن جرير خرم ذهب ببعض الروايات.

(٣) ذكره في الكشف والبيان ٧/ ٣٨٧، والكشاف ١/ ٣١٩.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٢٣.

(٥) تفسير الطبري ٦/ ٧، البسيط ٤/ ٤٦١.

(٦) قال أبو البقاء: وأجاز الكوفيون كتبه وتثنيته بالياء، وهو خطأ عندنا. (التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٢٣، وانظر: الدر لمصون ٢/ ٦٢٨).

وخبر المبتدأ: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ مِن قبورهم للبعث ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ﴾ ومحل الكاف نصب صفةِ مصدرٍ محذوف، أي: إلا قيامًا مثل قيام[١] ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي: يضربه ويصرعه ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، وأصل الخبط: الضرب والوطء.

و«مِنْ» في قوله ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ -الجنون مسَّ الرجل فهو ممسوس- خبر متعلق بلا يقومون، أي: لا يقومون للبعث من الجنون إلا كقيام المصروع، أو بـ«يتخبطه»، أي: يتخبطه من جهة الجنون[٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: العذاب النازل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ﴾ أي: بسبب قولهم ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ لأنه كان إذا حلَّ علىٰ رجل مال يقول لغريمه: زدني في الأجل وأزيدك في الربح، فيفعلان ذلك ويقولان: سواء علينا الزيادة في أول البيع وعند المحل[٣].

وكان ينبغي أن يقال: إنما هو الربا مثل البيع، لأنَّ البيع هو الأصل، ولأنَّ الإنكار والتهديد إنما وقع لأجل الربا، ولكنهم لما أحبوا الربا واستحلوه وأكثروا منه بالغوا فيه؛ حتىٰ جعلوه أصلاً شبهوا به البيع[٤].

وقريب من هذا قولهم: رأيت القمر كوجه سعدىٰ، وكقوله:

ورملٍ كأكفال العذارى قطعته ....[٥]

---

(١) وهذا المشهور عند المعربين، وفيه وجه آخر: النصب علىٰ الحال، وهذان الوجهان فيما يشبهه من الآيات (الدر المصون ٢/ ٦٣٠).

(٢) الوجهان في الكشاف ١/ ٣٢٠، والتبيان ١/ ٢٢٣.

(٣) نحوه في تفسير الطبري ٦/ ١٣.

(٤) نحوه في الكشاف ١/ ٣٢٠.

(٥) شطر بيت لذي الرمة، والشطر الثاني: إذا ألبسته المظلمات الحنادس، والرواية في المصادر: كأوراك، انظر: الكامل ٣/ ٨٢، لسان العرب ١٠/ ٥٠٩، تاج العروس ٢٧/ ٣٨٤.

فقال تعالىٰ منكرًا عليهم ومبطلاً مناقشتهم: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وهذا تصريح أن القياس يبطله النص، لأنَّه جعل الدليل علىٰ بطلان قياسهم تحليله[(١)] وتحريمه.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ﴾ أي: بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ أي: وعظ، تأنيث الموعظة غير حقيقي.

وقرئ: «جاءته موعظة»[(٢)] ﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ فسمع النهي وامتنع ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي: مضىٰ من ذنبه قبل النهي معفو به عنه وجعل ملكًا له[(٣)] ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيما يأمره وينهاه، ليس له شيء من أمر نفسه لأنه عبد[(٤)] ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلىٰ الربا استحلالاً بعد النهي ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ لعن صلىٰ الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: «هم سواء»[(٥)].

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ﴾ أي: ينقص ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ويُذهب بركته ولا يقبل منه فعل خير، وأصل المحق النقص ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يزيدها ويبارك فيها في الدنيا، ويضاعف بها الثواب في العقبىٰ، في الحديث: «ما نقصت زكاة من مال قط»[(٦)].

﴿[وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ] كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ فاجر، وهذا تغليظ لحال الربا.

---

(١) في الأصل: تحليل، والصواب ما أثبت لدلالة السياق وما بعده.

(٢) نسبت للحسن كما الكشف والبيان ٧/ ٤٠٦.

(٣) قال أبو الليث: فيما مضىٰ قبل النهي، لأن الحجة لم تقم عليهم، ولم يعلموا بحرمته، وأما اليوم فمن تاب عن الربا، فلا بدَّ له من أن يرد الفضل، ولا يكون له ما سلف، لأن حرمة الربا ظاهرة بين المسلمين، لأن كتاب الله تعالىٰ فيهم (تفسير أبي الليث ١/ ١٨٣).

(٤) أي في العصمة من الوقوع في الربا مرة آخرىٰ (تفسير الطبري ٦/ ١٤، تفسير أبي الليث ١/ ١٨٣).

(٥) رواه مسلم في الصحيح (١٥٩٨).

(٦) رواه مسلم في الصحيح (٢٥٨٨) بنحوه.

﴿[إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ] يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾.

فلما أخذوا ما شرطوا أُمروا بترك الزيادة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ وقرئ: «بقا» و«بقي» بسكون الياء وهي لغة بني طي[١] ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾ كاملي الإيمان، وإن صح إيمانكم، فإنَّ امتثال الأمر دليل الإيمان.

﴿[فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ]﴾ القراءة: «فأْذنوا» بسكون الهمزة وفتح الذال، مِن أذِن عَلِم، أي: فاعْلَموا، وقرئ: «فآذنوا» بفتح الهمزة مدًا كآمنوا، والمفعول محذوف، أي: فأَعلِموا غيركم[٢].

﴿بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ابن عباس: يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب[٣]، وحرب الله النار وحرب رسوله السيف.

ولما نزلت هذه الآية قال المربون: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله، ورضوا برأس المال[٤]، ثم بين تعالىٰ الحكم بعد التوبة بقوله: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ عن الربا ﴿فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ التي أربيتم بها ﴿لَا تَظۡلِمُونَ﴾ بطلب الزيادة ﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ بأن تنقصوا عن رأس المال، وقرئ: «لا تُظلمون ولا تَظلمون» عكس القراءة[٥]، وهذا خبر بمعنىٰ النهي.

---

(١) المحتسب ١/ ١٤١، الكشف والبيان ٧/ ٤٢٨.

(٢) القراءة الأخيرة قراءة حمزة وشعبة، والقراءة الأولىٰ قراءة الباقين (النشر ٢/ ٢٣٦).

(٣) رواه الطبري في التفسير ٦/ ٢٥، والثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٤٣١.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ١٨٤.

(٥) الحجة لأبي علي ٢/ ٤١٣، الكشف والبيان ٧/ ٤٣١، الكشاف ١/ ٣٢٢.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ كان هنا تامة، أي: إن وقع ذو إعسار[١]، وأصل العسر ضد اليسر الصعوبة والشدة.

وقرئ: «ومن كان ذا عسرة»[٢].

﴿فَنَظِرَةٌ﴾ خبر ابتداء، تقديره: فالحكم نظرة، أي: انتظار، أي: إمهال.

وقرئ: بسكون الظاء[٣].

وقرئ: «فناظرة»، أي: فصاحب الحق ناظره أي: منتظره[٤].

وقرئ: «فناظِرْه» أمرًا، أي: فسامحه بالنظرة[٥].

﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ إلىٰ وقت يسر.

القراءة: بفتح السين وضمها لغتان[٦]، وقرئ: بضم السين مضافًا[٧].

وقرئ: بضم السين وكسرها وحذف التاء فيهما مضافين، كقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٨].

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٢٥، وقيل بل هي الناقصة، والخبر محذوف، والتقدير: إن كان ذو عسرة لكم عليه حق..

(٢) تنسب لأبان بن عثمان، كما في: الكشف والبيان ٧/ ٤٣٣، الكشاف ١/ ٣٢٢.

(٣) وهي بمعنىٰ القراءة المتواترة، لكن سكنت إيثار للتخفيف، كفخذ وفخذ، وكيف وكتف (التبيان ١/ ٢٢٥).

(٤) ذكرها الزمخشري في الكشاف ١/ ٣٢٣،أبو البقاء في التبيان ١/ ٢٥٢٥، وهي مصدر كالعاقبة والعافية.

(٥) هذه القراءات الشاذة في الكشف والبيان ٧/ ٤٣٤-٤٣٥، والكشاف ١/ ٣٢٣.

(٦) قرأ نافع بضم السين، وقرأ الباقون بفتحها (النشر ٢/ ٢٣٦).

(٧) أي: ميسُرِهِ، وهي قراءة تنسب لمجاهد وغيره (إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٤٢، الكشف والبيان ٤/ ٤٣٦).

(٨) الكشاف ١/ ٣٢٣.

ومحل ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ -بترك رؤوس الأموال أو بعضها للمعسر، أو المراد بالتصدق الإنظار.

القراءة: بتشديد الصاد وتخفيفها مع تشديد الدال فيهما[١]- رفع ابتداء أي: وتصدقكم.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ أنه خير لكم فتعلمون[٢] فيه، فجعل من علم ولم يعمل كمن لا[٣] يعلم.

قال صلىٰ الله عليه وسلم: «[من أنظر معسرًا] أو وضع له أنجاه الله من كرب يوم القيامة»[٤].

ابن عباس: آخر آية نزلت، وعاش بعدها صلىٰ الله عليه وسلم سبع أو تسع ليال أو إحدىٰ وعشرين ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ أو آية الربا[٥].

---

(١) قرأ عاصم بتخفيف الصاد، وقرأ الباقون بتشديدها (النشر ٢/ ٢٣٦).

(٢) كذا في الأصل، وهو تصحيف فيما يظهر، صوابه: فتعملون فيه، بدلالة ما بعده، فالله أعلم.

(٣) في الأصل صورتها أقرب إلىٰ: ما.

(٤) رواه أحمد (٨٧١١)، والترمذي (١٣٠٦) من حديث أبي هريرة بلفظ: «من أنظر معسرا، أو وضع له، أظله الله في ظل عرشه يوم القيامة». وروي من حديث غيره، وهو حديث صحيح. وقد سقط أول الحديث علىٰ الناسخ.

(٥) نقله في الكشاف ١/ ٣٢٣، بهذا اللفظ.

ورواه الطبري في التفسير ٦/ ٣٩، من حديث الشعبي عنه بلفظ: آخر ما أنزل عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم آية الربا، ورواه كذلك ٦/ ٤٠ من حديث عكرمة عنه: آخر آية نزلت قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، ثم قال ابن جريج عقب روايته هذا الحديث: يقولون إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال، وبدئ يوم السبت، ومات يوم الإثنين (تفسير الطبري ٦/ ٤١).

ونحوه روىٰ ابن أبي حاتم (٢٩٤٤) عن سعيد بن جبير، بإسناد فيه ابن لهيعة.

وانظر الروايات الأخرىٰ في الكشف والبيان ٧/ ٤٨٢.

القراءة: بفتح التاء وكسر الجيم؛ أي: تصيرون، وقرئ بها وبضم التاء وفتح الجيم؛ أي: تردُّون[١].

ويومًا: نصب ظرف، تقديره: واتقوا عذاب يوم، وأبو علي ينصبه مفعولاً به، كقوله ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ [يَوْمًا]﴾ أي: كيف تتقون هذا اليوم الذي هو وصفه مع الكفر بالله[٢].

﴿[ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ] وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

ابن عباس[٣]: ولما حرَّم الله تعالىٰ الربا أباح السلف المضمون إلىٰ أجل معلوم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾ بالدَّين، داينت الرجل عاملته مُعطيًا أو آخذًا[٤].

﴿بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدة معلومة الأول والآخر.

﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ دينًا كان أو قرضًا، وهذا أمر ندب عند أكثرهم، أو كان فرضًا فنسخ بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾[٥].

---

(١) قرأ يعقوب وأبو عمرو: تَرجِعُون، وهكذا ضبط الآية في الأصل، والباقون علىٰ القراءة الثانية (النشر ٢/ ٢٠٩).

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢/ ٤١٨، ونقله في البسيط ٤/ ٤٨٢.

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ٦/ ٤٣ من طرق عنه.

(٤) الكشاف ١/ ٣٢٤.

(٥) حكىٰ الطبري الخلاف في هذا الأمر، وهل هو فرض أم ندب، فممن قال بفرضيته: الضحاك وابن جريج والربيع والمرعشي، ومن قال أنه كان فرضا فنسخ: الشعبي، وابن زيد، وروي عن أبي سعيد الخدري، ورجح الطبري أنه فرض لم ينسخ (تفسير الطبري ٦/ ٥٣).
وقال القرطبي: «قال الجمهور: الأمر بالكتب ندب إلىٰ حفظ الأموال وإزالة الريب، وإذا كان الغريم تقيا فما يضره الكتاب، وإن كان غير ذلك فالكتاب ثقاف في دينه وحاجة صاحب الحق.
قال بعضهم: إن أشهدت فحزم، وإن ائتمنت ففي حل وسعة.

ثم بيَّن الله تعالىٰ الكتابة فقال: ﴿وَلْيَكْتُب﴾ كتاب الدين ﴿بَّيْنَكُمْ [كَاتِبٌ]﴾ أي: بين الخصمين، وقوله: ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ متعلق بقوله «وليكتب» أي: وليكتب بالحق.

﴿وَلَا يَأْبَ﴾ لا يمنع ﴿كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾ وقوله ﴿كَمَا عَلَّمَهُ﴾ متعلق بأن يكتب، فهذا نهي عن الامتناع عن الكتابة المقيدة، ثم قيل له: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تلك الكتابة المقيدة توكيدًا، أو ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ متعلق بقوله فليكتب، فهذا نهي عن الامتناع من الكتابة علىٰ سبيل الإطلاق ثم أمر بالكتابة مقيدة ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ بأن يقر المشهود عليه بلسانه علىٰ نفسه، والإملاء والإملال واحد، وأصله الامتداد من زمان أو غيره[1].

﴿وَلْيَتَّقِ﴾ المملي ﴿ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ لا ينقص من الحق الذي عليه ﴿شَيْـًٔا [فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ] سَفِيهًا﴾ أي: جاهلاً أو مبذرًا ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ بنفسه لِعِيٍّ أو خرس، أو لا يمكنه حضور الكاتب، و«هو» هنا تأكيد للضمير في يمل، وليس بفاعل، المعنىٰ: إذا عجز من عليه الحق عن الإملاء ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ أي: قيمه وترجمانه ﴿[بِٱلْعَدْلِ] وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾ واطلبوا ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ الأحرار البالغين العقلاء المسلمين، يشهدان علىٰ الدَّين.

وجوَّز شُرَيح وابن سيرين شهادة العبد، وجوَّز أبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم علىٰ بعض علىٰ اختلاف مللهم[2].

ابن عطية: وهذا هو القول الصحيح، ولا يترتب نسخ في هذا، لأن الله تعالىٰ ندب إلىٰ الكتاب فيما للمرء أن يهبه ويتركه بإجماع، فندبه إنما هو علىٰ جهة الحيطة للناس (الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٣٨٣).

(١) البسيط ٤/ ٤٨٩.

(٢) الكشف والبيان ٧/ ٤٩٨، الكشاف ١/ ٣٢٦.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أي: الشاهدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾ أي: فليشهد رجل ﴿وَٱمْرَأَتَانِ﴾ وشهادة النساء مع الرجال في الأموال جائزة اتفاقًا منهم.

وقرئ: «وامرأْتان» بهمزة ساكنة، وفيه بعدٌ لأن الهمزة المتحركة لا تسكن لخفة الفتحة، ويجوز أنها سكنت لتوالي الحركات وإن كانت فتحة كما سكنوا [باء] ضربت[١].

ومحل ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ -أي: من كان منهم مرضيًا في ديانته وأمانته- رفعٌ، صفة رجل وامرأتين[٢].

القراءة[٣]: بفتح ﴿أَن تَضِلَّ﴾ أي: تنسىٰ، أي: لأنْ تضل ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ ونصب ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ عطف علىٰ «تضل»، وليس إضلال إحداهما بمراد، وإن كان ظاهر اللفظ يقتضيه، ولكنه محمول علىٰ المعنىٰ، لأنهم ينزلون السبب والمسبب كل واحد منهما منزلة الآخر؛ لاتصاله به، فالإضلال سبب للإذكار والإذكار سبب عنه، فكأنه قيل: أراد أن تذكِّر إحداهما الأخرىٰ إنْ ضلت، كقولك: أعددت هذه الخشبة أنْ يميل الحائط فأدعمه بها، وهذا السلاح أن يجيء عدو فأدفعه به[٤].

ويمكن: أن تضل شرطًا؛ وجوابه فتذكر رفعًا، أي: فهي تذكر، ومحل

---

(١) وهي قراءة شاذة، المحتسب ١/ ١٤٧، التبيان ١/ ٢٢٨، الدر المصون ٢/ ٦٥٦.

(٢) وقيل: في محل نصب لأنه نعت لشهيدين (الدر المصون ٢/ ٦٥٨).

(٣) قرأ حمزة بكسر الهمزة: «إنْ» وَ«فتذكِّرُ» بالرفع، وقرأ الباقون بفتح الهمزة «أنْ» وَ«فتذكرَ» بالفتح، إلا أنَّ ابن كثير وأبا عمرو ويعقوب يخففون الكاف، والباقون يشددونها، وسيذكرها المصنف لاحقًا (النشر ٢/ ٢٣٦).

(٤) نحوه في الكشاف ١/ ٣٢٦ مما يدل علىٰ أنهما صدرا عن أصل واحد. وأصل ذلك في معاني القرآن للفراء ١/ ١٨٤، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٣٦٤، البسيط ٤/ ٤٩٨.

الشرط وجوابه رفع صفة ثانية لرجل وامرأتين[١]، فعلىٰ قراءة الكسر يكفي الوقف علىٰ «الشهداء» وعلىٰ الفتح لا يجوز [٢].

القراءة أيضًا: «فتذكر» مشددًا ومخففًا ونصبًا ورفعًا للراء[٣].

والذِّكر: ضد النسيان[٤].

وقرئ: «فتذاكر»[٥].

وقرئ: «أن تُضَلَّ إحدَاهما» مجهولاً [٦].

ولم يقل «فتذكرها» لئلا يعود الضمير إلىٰ المذكور فيتعين المذكور، والغرض الإبهام، أو لو وضعها موضع «إحداهما» لكانت إحداهما الثانية مفعولاً مقدمًا علىٰ الفاعل، ولا يجوز أن يكون إحداهما علىٰ هذا فاعلاً؛ لأن الضمير علىٰ هذا هو المظهر بعينه، والمظهر الأول فاعل «تضل» فلو جعل الضمير لذلك المظهر الثانية هي المذكورة وذا محال، المعنىٰ: إذا نسيت إحداهما ذكَّرتها الأخرىٰ ﴿[وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟]﴾.

---

(١) البسيط ٤/ ٤٩٩.

(٢) هذه الآية مما يحمل فيها التفسير علىٰ المعنىٰ لا علىٰ اللفظ، وهي محل سؤال مشهور عند المفسرين، ويجيبون بنحو ما أجاب المصنف، انظر: البسيط ٤/ ٤٩٧، الكشاف ١/ ٣٢٦، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٢٩، الدر المصون ٢/ ٦٥٩.

(٣) ضبط القراءة في الأصل بالتخفيف علىٰ: قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب: فتُذْكِرَ، وقد مر التنبيه علىٰ القراءات(النشر ٢/ ٢٣٦).

(٤) وهو قول عامة المفسرين كما قال ذلك الواحدي (البسيط ٤/ ٥٠١)، ثم نقل الطبري والواحدي -وغيرهما- عن ابن عيينة وأبي عمرو بن العلاء أن التخفيف يحتمل أن يكون: تجعلها ذكرا، أي بمثابة الرجل، وأطال الطبري (في تفسيره ٦/ ٦٦) والواحدي في إنكاره، وعده الزمخشري من بدع التفاسير.

(٥) نسبها في الكشف والبيان ٧/ ٥١٣ لزيد بن أسلم.

(٦) نسبها في الكشف والبيان ٧/ ٥١٣ لعاصم الجحدري.

ثم حرض على الكَتْب فقال: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ أي: تملوا ﴿أَن تَكۡتُبُوهُ﴾ أي: الحق ﴿صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا﴾ حالان من الهاء، أي: على كل حال كان الحق من صغير أو كبير.

أصل السآمة: الملالة مما يكثر كتبه، وهو قريب من الكسل[١]، ولكن لا يعبر عنه بالكسل، لأنه صفة المنافقين، في الحديث: «لا يقول المؤمن كسلت»[٢].

وجوَّز بعضهم أن يكون الضمير للكتاب، أي: اكتبوا الكتاب صغر أو كبر[٣].

﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ المعلوم بين الغريمين ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أي: الكتب ﴿أَقۡسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: أعون على إقامة الشهادة.

تلخيصه: إذا تداينتم فاكتبوا الدين وأشهدوا عليه عدولاً فهو أحفظ لأموالكم. ﴿[وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ]﴾[٤].

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾ القراءة[٥]: بنصب التجارة خبر كان، أي: إلا أن تكون التجارةُ ﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾، وبرفعها على أنَّ كان تامة، أو ناقصة وخبرها: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ﴾ وجاء بالفاء رابطة ما بعدها بما قبلها فقال: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ﴾[٦].

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٧٦،

(٢) هذا حديث تواردت على ذكره بعض كتب التفاسير، ولا يعرف له إسناد، انظر: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ١/ ١٦٧، الفتح السماوي للمناوي ١/ ٣٣١.

(٣) الكشاف ١/ ٣٢٦.

(٤) قال الزمخشري:«وأقرب من انتفاء الريب».

(٥) اختلفوا في: تجارة حاضرة فقرأه عاصم بالنصب فيهما، وقرأ الباقون برفعهما (النشر ٢/ ٢٣٧).

(٦) تفسير الطبري ٦/ ٨٠.

المعنىٰ: إذا كانت التجارة حاضرة فلا بأس بترك الكتب ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ﴾ علىٰ التبايع ﴿إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ﴾ فإنه أدفع للاختلاف، وهذا أمر ندب عن أكثرهم.

الضحاك يقول بالإشهاد ولو علىٰ باقة بقل[1].

﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾ لا يمتنع ﴿كَاتِبٞ﴾ عن الكتابة ﴿وَلَا شَهِيدٞۚ﴾ عن الشهادة، فتحت الراء للساكنين، وأصله «يُضارِر» بكسر الراء، وقرئ بها[2].

وهذا نهي للكاتب عن ترك الكتابة أو الزيادة والنقصان فيها، وللشاهدِ عن تحريف الشهادة.

أو: نهي عن مضارَّة الكاتب والشهيد، وأصله «يضارَر» فتحًا، وقرئ بها[3].

المعنىٰ: إذا كانا مشغولين ويوجد غيرهما فلا يضاران بإبطال شغلهما.

وقرئ: «يضار» كسرًا وإسكانًا[4].

﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ﴾ الضرار ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ﴾ أي: معصية ﴿بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إذا استأنفت ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾، وإنْ نصبت «ويعلمكم الله» حالاً من فاعل «واتقوا الله»، أي: اتقوا الله مضمونًا لكم التعليم[5]، ولا أحب الوقف بعد

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٤٧، الكشف والبيان ٧/ ٥٢١، واختار شيخ المفسرين هذا المذهب وأطال في تقريره (تفسير الطبري ٦/ ٥٣).

(٢) أي في الشاذ، ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٥٢٤، والزمخشري في الكشاف١/ ٣٢٧. ورواها ابن جرير في التفسير ٦/ ٨٧ عن عمر وابن مسعود بإسناد لا يصح.

(٣) كما في الكشف والبيان ٧/ ٥٢٤، والكشاف ١/ ٣٢٧. وانظر توجيه ذلك في المحتسب ١/ ١٤٨.

(٤) أما الكسر فقراءة الحسن (الكشاف ١/ ٣٢٧)، وأما السكون فقد روي عن أبي جعفر -أحد العشرة-: السكون مع التخفيف، وتلك رواية ابن جماز عنه من طريق الهاشمي (النشر ٢/ ٢٢٨).

(٥) نحوه في التبيان ١/ ٢٣٢، والدر المصون ٢/ ٦٧٧.

«واتقوا الله»، وكذلك إن نصبته حالاً مقدرة، المعنىٰ: اجتنبوا معصية الله يعرفكم طرق فلاحكم نحو ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ [وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا] يَحۡتَسِبُۚ﴾[(١)].

تلخيصه: من راقب الله تعالىٰ أرشده.

﴿[وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ] عَلِيمٞ ۝٢٨٢﴾.

﴿۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ أي: مسافرين ﴿وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا﴾ وقرئ: «كتابًا» و«كتَّابًا» جمع و«كتبًا»[(٢)] ﴿فَرِهَٰنٞ﴾ خبر مبتدأ، أي: فالتوثق رهن ﴿مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾ مسلمةٌ إلىٰ المرتهن، ولابد من القبض.

القراءة: بضم الراء والهاء جمع رهن كسَقْف وسُقُف، وبألف بعد الراء جمع رَهن أيضًا كبَغل وبِغال[(٣)].

وقرئ: «فرُهْن» بسكون الهاء تخفيفًا[(٤)].

وليس المراد أخذ الرهن في السفر خاصة إلا عند مجاهد[(٥)]، لظاهر الآية، فإنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي بالمدينة من غير سفر ولا عدم كاتب، ولكن لما كان السفر مظنة إعواز الكاتب والشاهد قيد به، المعنىٰ: ارهنوا واقبضوا.

---

(١) لم يتم الآية في الأصل، وكتب إلىٰ..

(٢) ثلاث قراءات شاذة، الأولىٰ منسوبة لابن عباس، والثانية للضحاك، والثالثة للحسن، انظر: تفسير الطبري ٦/ ٩٥، الكشف والبيان ٧/ ٥٢٧، الكشاف ١/ ٣٢٨.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن بضم الراء والهاء من غير ألف، وهكذا كتب الآية في الأصل، وقرأ الباقون بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها (النشر ٢/ ٢٣٧).

(٤) نسبت لعكرمة وجماعة، الكشف والبيان ٧/ ٥٢٧.

(٥) وافقه الضحاك، انظر: الكشف والبيان ٧/ ٥٣٠، الكشاف ١/ ٣٢٨.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: إن وثق إليه لأمانته.

وقرئ: «أومن» أي: أمنه الناس(١).

﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أي: ما في ذمته، وسمَّىٰ الدين أمانة لتعلقه بالذمة كتعلق الأمانة.

تلخيصه: فليُقبض المديون ما عليه من الدين.

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أداء الدين.

وحذفت يا «الذي» وصلا للساكنَيْن، وإذا وقفت علىٰ «الذي» ابتدأت: أؤتمن، فالواو بدل من الهمزة التي هي فاء الفعل(٢).

ثم التفت مخاطبًا الشهود فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا دعيتم إلىٰ إقامتها.

وقرئ: «يكتموا» بالياء غيبة(٣).

ثم تهددهم فقال: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾ فاجر ﴿قَلْبُهُۥ﴾ «آثمٌ» خبر «إنَّ»، و«قلبه» مرتفع به ارتفاع الفاعل بفعله، أو «قلبه» مبتدأ و«آثم» خبره مقدم عليه، وهما خبر «إنَّ»(٤).

---

(١) هكذ ذكرها في الأصل، ومثله في الكشاف ١/ ٣٢٩، وقد صدرا عن مصدر واحد، وفي الكشف والبيان ٧/ ٥٣١: فإن ائتُمِن.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٣٢، وقد صدرا عن مصدر واحد، ونصه: «إذا وقفت علىٰ «الذي» ابتدأت: أؤتمن، فالهمزة للوصل، والواو بدل من الهمزة التي هي فاء الفعل، فإذا وصلت حذفت همزة الوصل، وأعدت الواو إلىٰ أصلها، وهو الهمزة، وحذفت ياء «الذي» لالتقاء الساكنين، وقد أبدلت الهمزة ياء ساكنة، وياء الذي محذوفة لما ذكرنا، وقد قرئ به».

(٣) الدر المصون ٢/ ٦٨٦.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٣٣، الدر المصون ٢/ ٦٨٦.

وقرئ: «أثَّم قلبَه» مشددًا[١] جعله آثمًا.

و«آثم» مدًا وبفتح باء «قلبه»[٢] كقوله: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾.

قالوا: والمراد مسخ القلب، وما أوعد الله تعالىٰ علىٰ شيء كإيعاده علىٰ كتمان الشهادة.

ابن عباس: أكبر الكبائر الإشراك بالله وشهادة الزور وكتم الشهادة[٣].

وخص القلب بالذكر لأنه محل تحمل الشهادة والعقائد والنيات ﴿[وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ] عَلِيمٞ ٢٨٣﴾.

رُوي أنه نزل في موالاة المؤمنين الكفار[٤]: ﴿[لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ] وَإِن تُبۡدُواْ﴾ أي: تعلنوا ﴿مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من موالاة الكفار ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ تسروه ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ وهذا كقوله ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ والصحيح عموم هذه الآية.

ولما نزلت ثقلت علىٰ المسلمين حتىٰ نزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ فنسخت بها[٥]، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست بها أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»[٦].

وبعضهم لا يجيز النسخ هنا؛ لأن النسخ إنما يرد علىٰ الأمر والنهي دون الخبر، وقوله: ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ خبر، ويقول: إن الله يحاسبهم بكل ما أبدوه

---

(١) الدر المصون ٢/ ٦٨٦.

(٢) أي: آثمَ قلبَه (الكشف والبيان ٧/ ٥٣٢، الكشاف ١/ ٣٢٩).

(٣) وهذه رواية علي بن أبي طلحة عنه، كما في تفسير الطبري ٦/ ١٠٠.

(٤) هو قول مقاتل والواقدي (الكشف والبيان ٧/ ٥٣٦) ولذا خلا تفسير الطبري من هذا القول.

(٥) وهذا أحد قولين في الآية (تفسير الطبري ٦/ ١١٦، الكشف والبيان ٧/ ٥٣٥).

(٦) رواه البخاري في الصحيح (٥٢٦٩).

وأخفوه، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾.

تلخصيه: إن الله تعالىٰ يحاسب بكل عبيده ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ الذنب العظيم ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ علىٰ الذنب الحقير، وكل ما يفعله عدل تعالىٰ علاؤه وشأنه.

القراءة: برفع الراء والباء، أي: فهو يغفر ويعذب، وبجزمها عطفًا علىٰ جواب الشرط[١].

وقرئ: بنصبهما بإضمار أن[٢]، [و] الفاء لعطف مصدر علىٰ مصدر، إن يكن منه حساب فغفران، وهذا يسمىٰ الصرف؛ لأنه حرف من اللفظ إلىٰ المعنىٰ.

و«يغفر» بلا فاء و«يعذب» مجزومين بدلاً من يحاسبكم[٣].

ابن جني: «وهذا البدل تفصيل لجملة الحساب؛ لأن التفصيل أوضح من المفصل، فجرىٰ مجرىٰ بدل البعض أو الاشتمال؛ كضربت زيدًا رأسه، وأحببت زيدًا عقله، وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين[٤] إلىٰ البيان، ومثله ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ [لأن مضاعفة العذاب] هو لقي الآثام»[٥].

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر يعقوب برفع الراء والباء منهما، والباقون بجزمها (النشر ٢/ ٢٣٧).

(٢) وهي قراءة شاذة، نسبت لابن عباس والأعرج وأبي حيوة (الدر المصون ٢/ ٦٨٧).

(٣) وهي قراءة شاذة، نسبت للجعفي وطلحة بن مصرف والأعمش (الكشاف ١/ ٣٣٠، الدر المصون ٢/ ٦٨٨).

(٤) هاهنا زيادة مقحمة، وهي: «لأن مضاعفة العذاب» ومحلها بعد سطر، وقد تداخلت علىٰ الناسخ، وعلىٰ الصواب هي في المحتسب ١/ ١٥٠، والكشاف ١/ ٣٣١، حيث نقل العبارة بنصها دون أن يسمي قائلها.

(٥) المحتسب ١/ ١٥٠.

﴿[وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ] قَدِيرٌ ٢٨٤﴾.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ تقف هنا إنْ جعلت ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ مبتدأ وقوله ﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ ثانيًا، وقوله: ﴿ءَامَنَ﴾ خبر المبتدأ الثاني، والثاني وخبره خبر الأول.

وأفرد لفظ «آمن» ردًا على لفظ «كل»[(١)]، فعلى هذا لا يكون المؤمنون داخلين فيما دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم من الإيمان.

والاختيار: الوقف على المؤمنين وهو حسن، ليكون المؤمنون داخلين فيما دخل النبي صلى الله عليه وسلم فيه.

والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عِوض من المحذوف تقديره: كلهم آمن ﴿بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ حسن.

القراءة: «وكتبه» جمعًا «وكتابه» مفردًا إرادة جنس الكتب[(٢)].

وقرئ: «وكتْبه ورسْلِه» إسكانًا تخفيفًا[(٣)]، فالرسول والمؤمنون يقولون: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ أي: لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى. وقرئ: «لا يفرق» بالياء[(٤)] أي: النبي صلى الله عليه وسلم.

ويجوز أن يراد الجمع، يدل عليه ما قرئ: «لا يفرقون»[(٥)].

---

(١) أي كل واحد منهم آمن.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف: وكتابه على التوحيد، وقرأ الباقون على الجمع (النشر ٢/ ٢٣٧).

(٣) ذكرها في الكشف والبيان ٧/ ٥٧٥، والكشاف ١/ ٣٣١.

(٤) وهي قراءة يعقوب من العشرة، فهي قراءة متواترة (النشر ٢/ ٢٣٧).

(٥) وهي هكذا في مصحف عبد الله فيما روي (الكشف والبيان ٧/ ٥٧٦).

و«أحد» بمعنىٰ الجمع[١]، فلذلك أضيف «بين» إليه[٢].

﴿[وَقَالُواْ] سَمِعۡنَا﴾ أجبنا ﴿وَأَطَعۡنَاۖ﴾ دخلنا في الطاعة.

روي أنه لما نزلت هذه الآية قال جبريل للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: «إن الله قد أثنىٰ عليك وعلىٰ أمتك فسل تعطه» فقال بتلقين جبريل إيَّاه: ﴿غُفۡرَانَكَ﴾[٣] مصدر اغفر، أو نسألك غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾.

﴿[لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا] إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ طاقتها، والوسع خلاف الضيق، وهو ما يسع الشيء ولا يضيق عليه.

ابن عباس: هم المؤمنون خاصة، وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم إلَّا ما يستطيعون[٤].

وقرئ: «وَسِعَها» بفتح الواو[٥].

﴿لَهَا﴾ أي: للنفس ﴿مَا كَسَبَتۡ﴾ من الخير ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ من الشر عليها وزره.

كان بنو إسرائيل إذا نسوا شيئًا مما أمروا به أو أخطأوا أُعجلت لهم العقوبة، فأُمر المسلمون بالدعاء برفع ذلك عنهم[٦]، فقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ﴾ غفلنا ﴿أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ تجاوزنا الحد، وإن كان الخطأ والنسيان

---

(١) كقوله تعالىٰ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾ [سورة الحاقة:٤٧].

(٢) مثله في الكشاف ١/ ٣٣١.

(٣) رواه الطبري٦/ ١٢٩، وابن ابي حاتم ٢/ ٥٧٥، وهو مرسل رجاله ثقات.

(٤) وهي رواية علي بن أبي طلحة عن (تفسير الطبري ٦/ ١٣٠).

(٥) وهي قراءة ابن أبي عبلة كما في: الكشف والبيان ٧/ ٥٨١، الكشاف ١/ ٣٣٢، الدر المصون ٢/ ٦٩٧.

(٦) هذا قول الكلبي كما في الكشف والبيان ٧/ ٥٨٦.

مرفوعين عنه، لقوله صلىٰ الله عليه وسلم: «رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[١] فسؤالهم اعتراف بنعمة الله تعالىٰ عليهم.

أو معنىٰ «نسينا»: تركنا الأمر، كقوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ و«أخطأنا»: تعمدنا فعل الخطأ[٢].

﴿[رَبَّنَا] وَلَا تَحۡمِلۡ﴾ وقرئ[٣]: «تحمِّل» مشددًا[٤] ﴿عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ ثقلاً، وأصل الإصر: العقد والإحكام، أو إصرًا: عهدًا ثقيلاً فتعذبنا بنقضه، أو الإصر: ذنب لا توبة منه، أي: اعصمنا عن مثله[٥].

وقرئ: «آصارًا»[٦].

﴿كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ يعني: اليهود، لأنهم نقضوا العهد، أو المعنىٰ: لا تشدد علينا كمن كان قبلنا لأنه كان قد فرض عليهم تعالىٰ

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٤٣) من حديث أبي ذر، وفي إسناده ضعف، ومن حديث ابن عباس (٢٠٤٥)، وفيه انقطاع، ورواه الثعلبي في التفسير ٧/ ٥٨٩ من حديث ابن عمر، وهو منكر.

(٢) قال ابن جرير (في التفسير ٦/ ١٣٣): النسيان علىٰ وجهين: أحدهما علىٰ وجه التضييع من العبد والتفريط، والآخر علىٰ وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكل به، وضعف عقله عن احتماله، ثم حمل الآية علىٰ الأول.

وكذلك الخطأ وجهان: أحدهما: من وجه ما نهي عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة، فذلك خطأ منه، وهو به مأخوذ، وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلىٰ ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه، إلا ما كان من ذلك كفرا، والآخر منهما: ما كان عنه علىٰ وجه الجهل به، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلا وهو يحسب أن الفجر لم يطلع، فإن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد، الذي وضع الله عز وجل عن عباده الإثم فيه، فلا وجه لمسألة العبد ربه أن لا يؤاخذه به.

(٣) في الأصل: ويقرئ، وهو تصحيف.

(٤) الكشاف ١/ ٣٣٣ منسوبة إلىٰ أبي بن كعب.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٦/ ١٣٥، معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٧٠، البسيط ٤/ ٥٣٨.

(٦) الكشاف ١/ ٣٣٣ دون نسبة.

خمسين صلاة في يوم وليلة، وإخراج ربع أموالهم زكاة، وغير ذلك من الأعمال الشاقة[١].

﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ من الأعمال الشاقة، أو: هو حديث النفس، أو الغُلمة[٢]، أو الحب والعشق، أو شماتة الأعداء، [أو] الفُرقة[٣]، تلخيصه: كل ما نضعف عن حمله.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ بمجرد توبنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ تلخيصه: افعل بنا ما أنت أهله.

وعن ابن عباس أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة منها: «قد فعلت»[٤].

ولا يوقف علىٰ ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا، لوجود الفاء في قوله: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ لأنَّك سيدنا، والسيد ينصر عبيده[٥].

---

(١) البسيط ٤/ ٥٣٩.

(٢) الغلمة: غلبة شهوة المواقعة من الرجل أو المرأة.

(٣) الأقوال وغيرها في زاد المسير ١/ ٢٥٦، وقد فسر أصحاب هذه الأقوال بالمثال، وجامع هذه الأقوال: لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به (تفسير الطبري ٦/ ١٣٩).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (١٢٦)، ولفظه: عن ابن عباس، قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ قال: دخل قلوبهم منها شيءٌ لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا، قال: فألقىٰ الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: قد فعلت، ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ قال: قد فعلت».

(٥) والفاء تصل ما بعدها بما قبلها، والوقف لحن سارٍ بين القراء (إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٥٦٠، المكتفىٰ ٣٦).

عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه»[١].

وعنه صلىٰ الله عليه وسلم: «إنَّ الله كتبَ كتابًا قبل أن يخلق السماوات بألفي عام؛ وأنزل منه الآيتين ختم بها سورة البقرة، فلا تُقرَآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»[٢].

وكان معاذٌ إذا ختم البقرة يقول آمين[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) متفق عليه من حديث أبي مسعود، رواه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٨٢) والنسائي (١٠٨٠٢) والمستغفري في فضائل القرآن (٧٥٥)، وهو حديث صحيح.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧٩٧٩)، وأبو عبيد في فضائله ص١٢٥، والثعلبي في تفسيره ٧/ ٦٠٧، والمستغفري في فضائله (٧٦٢) وإسناده ضعيف.

سورة آل عمران

مدنية[١]، مائتا آية أو إلا آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القراءة: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ بفتح الميم وصلاً لالتقاء الساكنين تخفيفًا، وهما الميم ولام التعريف[٣]، ويعضده: ما قُرئ بكسر الميم علىٰ أصل التقاء الساكنين[٤].

وزعم بعضهم أنَّ فتحةَ الميم حركة الهمزة أُلقيتْ حين سقطت للتخفيف.

وفيه نظر[٥].

لأنَّ همزة الوصل لا تثبت وصلاً حتىٰ تلقي حركتها علىٰ غيرها، إلا أنْ تجعل الهمزة في «الله» همزة قطع حذفت لكثرة الاستعمال[٦].

---

(١) لا خلاف في أنها مدنية، الكشف والبيان ٨/ ٧.قال ابن الجوزي (في زاد المسير ١/ ٢٥٧): ذكر أهل التفسير أنها مدنية، وأنَّ صدرًا من أولها نزل في وفد نجران، قدموا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم في ستين راكبًا، فيهم العاقب، والسيد، فخاصموه في عيسىٰ، فقالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ فنزلت فيهم صدر آل عمران إلىٰ بضع وثمانين آية منها.

(٢) في جميع العدد، كما في البيان في عد آي القرآن ص١٤٣.

(٣) السبعة ٢٠١.

(٤) وهي قراءة عمرو بن عبيد، كما في الكشاف ١/ ٣٣٥.

(٥) وهو مذهب الفراء، ورده أبو الفتح في المحتسب ١/ ٢٤٠.

(٦) فلذلك ألقيت حركتها علىٰ الميم، لأنها تستحق الثبوت، وهذا يصح علىٰ قول من جعل أداة التعريف «أل». انظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٧٣، الحجة لابن خالويه ١٠٥، الحجة للقراء السبعة للفارسي ٣/ ٨، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٣٥.

وقرئ: بإسكان الميم وفتح الهمزة من «الله» علىٰ أنها همزة قطعٍ، أو أجريَ الوصل مجرىٰ الوقف، أو علىٰ لغةِ من يقطع ألف الوصل[١].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٢] ويكون ما بعده مبتدأ محذوف أي: هو ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ وإن جعلت «الله» مبتدأ وما بعدها كله صفته والخبر ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: القرآن فلا وقف علىٰ «هو» ولا علىٰ «القيوم».

وقرئ: «نَزَلَ» تخفيفًا ورفع «الكتابُ» فاعلاً[٣].

ومحل ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ -بالصدق- حال، وقوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال.

﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ لما قبله من الكتب السماوية والشرائع النبوية، أي: نزل في حال تصديقه للكتب قبله، وكفىٰ الوقف هنا؛ لأنَّ ما بعده عطف جملة علىٰ جملة.

قال: نزَّل الكتابَ مشددًا تكثيرًا لأنَّ القرآن نزل نجومًا، وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣﴾ لأنهما نزلا مرة واحدة[٤].

ويؤنَّث الإنجيل نظرًا إلىٰ الصحيفة ويذكَّر نظرًا إلىٰ الكتاب.

قالوا: أصل التوراة: وَوْرية، فَوْعلة من ورىٰ الزند ظهر ناره، سُمِّيَت بذلك لما فيها من ظهور الحق، فأبدلت الواو الأولىٰ تاء كـ: «تولج»، ثم قُلِبَت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها[٥].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٧٣، الهداية ٢/ ٩٤٦، الكشاف ١/ ٣٣٥.

(٢) أي الجملة خبر.

(٣) قراءة ابن أبي عبلة كما في الكشف والبيان ٨/ ٢٤، والأعمش كما في الكشاف ١/ ٣٣٦، وزاد في الدر المصون ٣/ ١٥ نسبتها للنخعي.

(٤) الكشاف ١/ ٣٣٦.

(٥) معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٧٤، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٣٦.

القراءة: بفتحها وبإمالتها لأن أصلها الياء وبين بين(١).

والإنجيل: إفعيل من نجلَ الشيء رمىٰ به، لأنه رمىٰ بالباطل وأبعده(٢).

أو من السعة، من طعنة نجلاء وعين نجلاء، لأنَّ فيه سعة ليست في التوراة.

ويجوز أن يكونا أعجميين وإنْ وافقا اشتقاقًا؛ كأيوب: «فيعول» من آب يؤوب: رجع، لأنَّ أيوب صلىٰ الله عليه وسلم رد في بلائه ثم رجع إلىٰ صحته.

وكيعقوب، وما ذكر أنه خرج من الرحم آخذًا بعقب العيص.

ولو كان أيوب ويعقوب مشتقين لانصرفا، ويقوي هذا ما قرئ: «أنجيل» بفتح الهمزة(٣)؛ لأنه ليس في كلام العرب أفعيل(٤).

وقوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ متعلق بأنزل، وقوله: ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ نصب حال من التوراة والإنجيل، ولم يثن لأنه مصدر، والمراد بالناس موسىٰ وعيسىٰ وأتباعهما، وجميع الناس إن جعلت شريعة من تقدمنا شريعة لنا.

﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ يعني: جنس الكتب لفرقها بين الحق والباطل، فصلها أولاً

---

(١) قرأ بالإمالة أبو عمرو والكسائي وخلف وابن ذكوان، واختلف عن حمزة وقالون وورش، فمن طريق الشاطبية: عن حمزة وورش بالتقليل، وهو بين بين، وعن قالون: الفتح والتقليل، وقرأ الباقون بالفتح (إبراز المعاني ٣٨١، النشر ٢/ ٦١، الوافي شرح الشاطبية ٢٣٠).

(٢) وهذا قول جميع أهل اللغة عند الزجاج (معاني القرآن ١/ ٣٧٥).

(٣) وهي قراءة الحسن، كما في المحتسب ١/ ١٥٢.

(٤) اختلف العلماء في التوراة والإنجيل هل يدخلها الاشتقاق والتصريف أم لا لكونهما أعجمين، وقد ذكر المصنف المذهبين ملخصين، وللسمين الحلبي مبحث نفيس في ذلك فليراجعه من أراد الاستزادة (الدر المصون ٣/ ١٦) ومن المفسرين من ذكر المسألة متوسعًا كالثعلبي في الكشف ٨/ ٢٤، وتلميذه الواحدي في البسيط ٥/ ١٨، والزمخشري في الكشاف ١/ ٣٣٥، وانظر المحتسب ١/ ١٥٢ كذلك ففيه فوائد.

ثم جمعها ثانيًا تفضيلاً لها[١].

أو الفرقان القرآن كرره تفخيمًا له لفرقه بين الحق والباطل.

﴿[إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ] بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ من كتبه المنزلة ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ﴾ مبتدأ وخبر، وهما خبر «إن الذين كفروا» ﴿[وَٱللَّهُ عَزِيزٞ] ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ عقوبة شديدة لا يقدر علىٰ مثلها غيره.

﴿[إِنَّ ٱللَّهَ] لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ من الأشياء ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ عبر عن إدراكه جميع الأشياء بذكر الأرض والسماء لأنهما محل لها.

﴿[هُوَ ٱلَّذِي] يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ من الصور المختلفة من الذكورة والأنوثة[٢].

وقرئ: «تَصَوَّرَكُم»[٣] أي: صوَّركم لنفسه ولتعبده، كقولك: أثلت مالاً جعلته أثلة، أي: أصلاً؛ وتأثلته إذا أثلته لنفسك.

قالوا: وهذا رد علىٰ الذين يقولون عيسىٰ ابن الله أو الله، لأن من صُوِّرَ في الرحم يمتنع أن يكون إلهًا أو ولد الله لكونه مركبًا وحالاً في مركب[٤]، ولتعاقُب الفناء عليه.

قال صلىٰ الله عليه وسلم: «يدخل الملك علىٰ النطفة بعدما تستقر بأربعين أو خمسين وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقي أم سعيد فيكتبان، أذكر أم أنثىٰ

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ١٦٣.

(٢) تفسير الطبري ٦/ ١٦٦.

(٣) تنسب لطاوس، كما في الكشاف ١/ ٣٣٦، وعبارته مثل عبارة المصنف، فكأنهما صدر عن مرجع واحد.

(٤) تشابهت مادته مع الكشاف ١/ ٣٣٧، وانظر: الدر المصون ٣/ ٢٣.

فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوىٰ الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص»[١].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦﴾.

﴿[هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ] ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ متقنات مفصلات مِن: الإحكام، أحكمها فلم يدخل فيها شيء من الاشتباه، ومحل ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ -أي: أصله الذي يعمل عليه الأحكام[٢] - رفع صفة آيات، ولم يقل أمهات جمعًا لأنَّ الآيات في الحكم بها بمنزلة آية واحدة[٣].

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ «وأُخر»: عطف علىٰ آيات، و«متشابهات» نعتٌ لأُخر[٤].

جعله محكمًا كله في قوله: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أراد أنه كله حق ليس فيه عيب، وجعله كله متشابهًا في قول الله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ أي: يشبه بعضه بعضًا في الحسن والصدق، وجعل بعضه هنا محكمًا وبعضه متشابهًا؛ أراد بالمحكم الذي يعمل به ولا يدخله التغيير كالناسخ، والمتشابه المنسوخ.

---

(١) كذا ورد في الأصل، والحديث هو حديث الصادق المصدوق، قال عبد الله بن مسعود: حدثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتىٰ ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتىٰ ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة»، متفق عليه، رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أقحم هنا: ثم، ولا معنىٰ لها.

(٣) التبيان ١/ ٢٣٨.

(٤) البسيط ٥/ ٤٧.

أو المحكم ما احتمل وجهًا واحدًا، والمتشابه ما احتمل وجوهًا.

أو المحكم ما معناه وحججه واضحة، والمتشابه ما يفتقر إلىٰ النظر في فهم ولا يفهمه إلا الخواص[(١)].

ولم يجعله محكمًا كله لئلا يؤخذ بالأسهل ويترك النظر والاستدلال فيتعطل طريق الوصول إلىٰ معرفة الله، وليعظم أجر الناظر وكاشف الحق، ولأنَّ في المتشابه ابتلاء كابتلاء بني إسرائيل بالنهر.

ونزل في المنافقين، أو أهل البدع[(٢)]، أو وفد نجران حين قالوا لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ألست تزعم أن عيسىٰ كلمة الله وروح منه؟ قال: بلىٰ، قالوا: حسبنا»[(٣)]: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ أي: ميل عن الحق، وأصل الزيغ الميل.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ المعنىٰ: الزائغون يتعلقون من المتشابه بما يوافق هواهم ظاهرًا ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ مفعول له، أي: لطلب ﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ بأن يفتنوا أنفسهم وجهالهم بالمتشابه ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ أي: وطلب تفسير المتشابه بما يشتهون.

ثم بين أن لا سبيل لهم إلىٰ معرفة تأويله بأنْ نفىٰ ثم استثنىٰ فقال: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ أي: المتشابه ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾.

إن جعلت المتشابه بمعنىٰ: ما استأثر الله تعالىٰ بعلمه وعلم حكمته، كقيام الساعة وعدِّ الزبانية؛ فعلىٰ هذا ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ -هم الذين ثبتوا فيه وتمكنوا منه، لأنَّ أصل الرسوخ الثبوت[(٤)]- مبتدأٌ خبره: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾.

---

(١) انظر في أقوالهم في المحكم والمتشابه تفسير الطبري ٦/ ١٧٦، الكشف والبيان ٨/ ٣١، البسيط ٥/ ٣١، زاد المسير ١/ ٢٥٨.

(٢) وهو قول الحسن وقتادة وغيرهما (الكشف والبيان ٨/ ٤٤).

(٣) وهذه رواية الربيع بن أنس، فالرواية مرسلة، كما في تفسير الطبري ٦/ ١٨٧، والكشف والبيان ٨/ ٤٣. وزعم الكلبي أنها نزلت في اليهود فأبعد (البسيط ٥/ ٤٩).

(٤) تفسير الطبري ٦/ ٢٠٦.

ويعضد هذا ما قرئ: «ويقول الراسخون في العلم»[1] وما قرئ: «إن تأويله إلا الله عنده»[2].

تلخيصه: الراسخون لا يعلمون تأويله بل يؤمنون به[3].

وإنْ جعلت الراسخون يعلمون تأويل المتشابه، والمراد: ما للفكر والنظر فيه مجال -وهو مذهب ابن عباس وغيره، قالوا: كان يقول: «أنا من الراسخين في العلم»-[4] لم تقف بعد ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ لأن الواو عاطفة[5].

ولا أحب العطف على ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ لأن محل «يقول» نصب حال.

﴿كُلّٞ﴾ أي: كل واحد من المحكم والمتشابه.

﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ ولا أحب الوقف على ﴿بِهِۦ﴾ لأن ﴿كُلّٞ﴾ مبتدأ خبره ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾، ومحل «آمنا به» و«كلٌ» وخبره نصب بـ«يقولون» ﴿[وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ] أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾.

---

(١) نسبت لأبي وابن عباس تفسير الطبري ٦/ ٢٠٢، الكشف والبيان ٨/ ٥٧، الكشاف ١/ ٣٣٩.

(٢) في المصادر: إلا عند الله، وتنسب لابن مسعود، انظر: تفسير الطبري ٦/ ٢٠٢، الكشف والبيان ٨/ ٥٧، الكشاف ١/ ٣٣٩.

(٣) قال الواحدي: «وهذا مذهب: عائشة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبَي، وكثير من التابعين، واختيار الفَرّاء، والكسائي، والمُفَضَّل، وابن الأنباري، وأَبي عُبَيد، وأحمد بن يحيىٰ».
وهو قول عروة بن الزبير وأبي نهيك الأسدي وعمر بن عبد العزيز ومالك، رواه عنهم ابن جرير، واختاره (تفسير الطبري ٦/ ٢٠٢، ٢٠٤، معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٧٨، البسيط ٥/ ٥٤، ٥٧).

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ٦/ ٢٠٣ من طريق مجاهد عنه.

(٥) وهو قول مجاهد والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير، واختيار ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن ٩٨، البسيط ٥/ ٦٠). وقد أشار إلىٰ هذا الوقف بحسب الاختلاف في التأويل علماء الوقف المصنفين فيه، ومن أحسن من بحث ذلك ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٦٥.

القراءة: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وإذ هنا ليست بظرف لإضافة «بعد» إليها[1].

وقرئ: «يزغ» بالتاء والياء مفتوحان، ورفع «القلوب» فاعلاً، يقال: زاغ الشيء مال وأزاغه غيره[2].

تلخيصه: ثبتها على الإيمان.

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ توفيقًا.

وبنيت «لدن» على السكون مع الإضافة، لأنَّ علة بنائها قبل الإضافة موجود في الإضافة، فالحكم تابع للعلة، والعلة أنَّ «لدن» بمعنى «عند»، لكنها تدل على اتصال بالشيء و«عند» لا تدل عليه، ولهذا تقول: عندي كذا؛ لما تملك، حضرك أو غاب عنك، ولا تقول: لدني كذا إلا لما حضرك، فأفادت لدى معنى لم يفده الظرف، بل أفادت الحرف، فكأنها قد تضمنت معنى الإشارة الدالة على القُرب، ومثلها في البناء: «هنا»[3].

وتمَّ[4]: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ قالوا: لأنه رأس آية، ولو وسم بالحُسن أو الكافي لكان أولى، لأنه من كلام القوم ومن جملة الحكاية عنهم[5].

---

(١) الدر المصون ٣/ ٣٠.

(٢) أي: لا تَزِغ قلوبُنا، وهي منسوبة لأبي واقد وأبي وغيرهما، كما في المحتسب ١/ ١٥٤، والقراءتان في الكشاف ١/ ٣٣٩، والدر المصون ٣/ ٢٩.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٤٠، الدر المصون ٣/ ٣٣، الإتقان في في علوم القرآن ٢/ ٢٤٥، تاج العروس ٣٦/ ١٠٩.

(٤) في الأصل: ومثلها في البناء هنا وثم، وهو تصحسف، وإنما أراد: وتم أي من الوقف التام، بدليل ما بعده.

(٥) ذكره بالتمام ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٦٨، والداني في المكتفى ٣٨. وهو الصحيح.

والإضافة في قوله: ﴿[رَبَّنَآ إِنَّكَ] جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ﴾ مجازية لأن جامع مستقبل، أي: يجمعهم لقضاء يوم ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ والهاء للقضاء، أو لليوم، أو للجمع، ثم جاء بذكر الله تعالىٰ مُظهرًا تفخيمًا مشيرًا إلىٰ صدق وعده فقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩﴾ الموعد.

القراءة: ﴿[إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ] لَن تُغۡنِيَ﴾ نصبًا.

وقرئ: بسكون الياء استثقالاً للحركة عليها[١].

وقرئ: «يغني» بسكون الياء مذكرًا لأنَّ تأنيث الأموال غير حقيقي، وللفصل[٢]. [﴿عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾].

ومحل ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ -أي: من عذاب الله- نصبٌ، تقديره: لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم عذاب الله، ويكون ﴿شَيۡـٔٗاۖ﴾ مصدرًا، أي: غِنىً، و«من» لابتداء الغاية كقوله: ﴿لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾، أو «من الله» صفة لـ«شيئًا»؛ قدم عليه فنصب حالاً، تقديره: لن تدفع عنهم الأموال شيئًا من الله[٣].

[﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ﴾] القراءة: ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠﴾ فتحًا اسم لما يوقد.

وقرئ: بالضم، التَّوَقُّد، أي: أهل وقود النار[٤]، أو لغتان فيما يوقد.

والمراد بالذين كفروا مَن كفر بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم، تلخيصه: لا مخلص للكفار من النار.

ويكفي الوقف علىٰ النار إن رفعت محل الكاف خبر ابتداء محذوف،

---

(١) أي: تُغني، وتنسب للحسن، كما في الكشف والبيان ٨/ ٧٥.

(٢) تنسب للسلمي، كما في الكشف والبيان ٨/ ٧٥.

(٣) تشابهت مادته مع التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٤١.

(٤) في الأصل: الناس، وهو تصحيف. والقراءة في الكشاف ١/ ٣٤٠، والتبيان ١/ ٢٤١.

تقديره: دأب هؤلاء الكفرة في الكُفر تكذيب الرسل[١].

﴿كَدَأْبِ﴾ أي: عادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ والدأب مصدر دأب في العمل جدَّ فيه، وأصله الملازمة والدَّوام، والمراد هنا: العادة الدائمة[٢]. تلخيصه: عادة أولاء كعادة أولائك.

ولا أحب الوقف علىٰ «النار» وإن كان آخر آية، وأجازه بعضهم إذا نصبت محل الكاف بلن، يعني: أي لن تغني عن أولاء أموالهم مثل ما لم يغن عن أولئك أموالهم، أو بالوقود لما فيه من معنىٰ الفعل، أي: يوقد النار بأولاء كما يوقد بأولئك، ويتم الوقف علىٰ «فرعون» إن رفعت[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي: مِن كفار الأمم المتقدمة، مبتدأ خبره: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وإن جعلت الواو عاطفة لم تقف علىٰ «فرعون»، ويكون محل «الذين كذبوا» جرًّا، وتقف علىٰ «من قبلهم» إنْ استأنفت «كذبوا بآياتنا» وجعلتها جملة مفسرة لدأبهم وما فعلوا بهم، وكأنها جواب سؤال مقدر عن حالهم، ولا موضع لها من الإعراب، وإن نصبت محل «كذبوا» حالاً و«قد» معه مقدرة لم تقف علىٰ «من قبلهم»[٤].

تلخيصه: كلهم كفروا.

﴿فَأَخَذَهُمُ﴾ أي: فعاقبهم ﴿ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١١﴾.

ونزل في المشركين أو في اليهود لما جمعهم رسول الله صلىٰ الله عليه

---

(١) مثله في: إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٦٨، المكتفىٰ ٣٨.

(٢) البسيط ٥/ ٦٩.

(٣) وافق المصنف الأنباري في كراهة الوقف علىٰ النار، كما في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٦٩، وذكر الداني الوجهين. انظر: المكتفىٰ في الوقف والابتدا للداني ٣٨.

(٤) التبيان ١/ ٢٤٢.

وسلم في سوق بني قينقاع بعد وقعة بدر، فقال: «أسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بقريش» قالوا: لا يغرنك أنك لقيت قومًا أغمارًا لا علم لهم بالحرب، إنَّا والله لو قاتلناك إنَّا نحن الناس[(١)]: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾.

القراءة: بالتاء فيهما خطابًا، وبالياء غيبة[(٢)].

وأصل الغلبة القوة والقهر[(٣)]، والحشر: السَّوق والجمع، المعنىٰ: أنهم يغلبون في الدنيا ويُساقون في الأخرىٰ مجموعين.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢﴾ الفراش، وأصله التوطئة والتسهيل.

ثم خاطب كفار قريش مشيرًا إلىٰ وقعة بدر فقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ ذكَّر[(٤)]: أراد البيان، أو ذكَّر للفصل بما هو خبر كان وهو: لكم[(٥)]، المعنىٰ: قد ظهر لكم دلالة علىٰ صدق قولي إنكم تغلبون.

ومحل: ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾ -أي: فريقين، وأصل الفئة: الرجوع- رفعٌ، نعتٌ لآية.

ومحل: ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ جرٌ، نعت لفئتين، وحسُن الوقف هنا لأن ما بعدُ خبرُ مبتدأٍ تقديره: «إحداهما ﴿فِئَةٌ﴾».

﴿تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في طاعته، وهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه، وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فرس للمقداد ابن عمرو،

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير (٦/ ٢٢٧) وهو المشهور في التفسير أن المراد: اليهود.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالغيب فيهما، وضبط الآية في الأصل كذلك، وقرأ الباقون بالخطاب (النشر ٢/ ٢٣٨).

(٣) البسيط ٥/ ٧٤.

(٤) يعني: كان، ولم يقل كانت، مع أن الآية مؤنث.

(٥) البسيط ٥/ ٧٨.

وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وستة أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجَّالة[(١)].

﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم كفار قريش، كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً من المقاتلة[(٢)].

وقرئ: بجر «فئة» و«كافرة» بدلاً من «فئتين»، وبنصبهما اختصاصًا أو حالاً من الضمير في «التقتا» تقديره: التقتا مؤمنة وكافرة[(٣)].

القراءة: ﴿يَرَوْنَهُم﴾ بالتاء خطابًا لليهود؛ لأن منهم من حضر الوقعة ينظرُ لمن الكرَّة، وبالياء: أي: يرونهم المسلمون[(٤)] ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ نصب حال لأنَّه من رؤية العين[(٥)].

وقرئ: بالياء والتاء مضمومتين مجهولاً[(٦)]، من: أُريتُ[(٧)] الشيء دلَّني عليه غيري.

وقوله ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ وكانوا ثلاثة أمثالهم؛ أي: مثليهم سواهم، كقول الرجل: عندي درهم أنا محتاج إلىٰ مثليه، أي: إلىٰ مثليه سواه فيكون ثلاثة[(٨)].

---

(١) الكشف والبيان ٨/ ٨٩.

(٢) تفسير الطبري ٦/ ٢٣٥، الكشف والبيان ٨/ ٩٠.

(٣) الخفض قراءة الزهري، والنصب قراءة ابن السميفع، انظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٨١، الكشف والبيان ٨/ ٩٠، الكشاف ١/ ٣٤١، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٤٣.

(٤) قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب بالتاء علىٰ الخطاب، وقرأ الباقون بالياء (النشر ٢/ ٢٣٨).

(٥) التبيان ١/ ٢٤٣.

(٦) أي: تُرونهم، يُرونهم، وبالتاء قراءة السلمي كما في الكشف والبيان ٨/ ٩٦، والثانية ذكرها في المحتسب ١/ ١٥٤، والكشاف ١/ ٣٤١ منسوبة لابن عباس وابن مصرف، وبلا نسبة في التبيان ١/ ٢٤٣، الدر المصون ٣/ ٥٤.

(٧) في الأصل: أرأيت.

(٨) وهو قول الفراء كما في معاني القرآن له ١/ ١٩٤، ووافقه ابن جرير ٦/ ٢٣٨. ورده الزجاج في معاني القرآن ١/ ٣٨١.

ويجوز أن يقال: لم تكن الرؤية تحقيقًا فيقال كانوا ثلاثة أمثالهم؛ بل كان ظنًا يدل علىٰ ذلك قول ابن مسعود: «نظرنا المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرناهم فرأيناهم لا يزيدون علينا رجلاً واحدًا، حتىٰ قلت إلىٰ رجل جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة»(١).

أو: رأىٰ المشركون المسلمين مثليهم ليعظُموا في أنفسهم(٢).

ولا يجوز أن تكون الرؤية علىٰ القراءات كلها إلا بالعين لقوله ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِۚ﴾ نصب مصدرًا أي: بارزًا ظاهرًا ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ أي: يقوي ﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ١٣﴾ اعتبار لذوي العقول والنظر.

القراءة: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ﴾ رفعًا مفعولاً لم يسم فاعله.

وقُرئ: بفتح الزاي ونصب «حب»(٣).

---

(١) رواه الطبري في التفسير ٦/ ٢٣٤.

(٢) ذكره في معاني الزجاج ١/ ٣٨٢، والكشف والبيان ٨/ ٩٤، «فإن قلت: فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [سورة الأنفال:٤٤] قلت: قللوا أوّلا في أعينهم حتىٰ اجترؤوا عليهم، فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتىٰ غلبوا، فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين، ونظيره من المحمول علىٰ اختلاف الأحوال قوله تعالىٰ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾ [سورة الرحمن:٣٩] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤﴾ [سورة الصافات:٢٤] وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرىٰ في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية» الكشاف ١/ ٣٤١.

(٣) أي: «زَيَّنَ للناس حُبَّ»، ونسبت لمجاهد، انظر: المحتسب ١/ ١٥٥، الكشاف ١/ ٣٤٢، التبيان ١/ ٢٤٤، الدر المصون ٣/ ٥٦. قال أبو الفتح: «فاعل هذا الفعل إبليس، ودل عليه ما يتردد في القرآن من ذكره، فهذا نحو قول الله تعالىٰ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ﴾ [سورة النساء:١٢٠] وما جرىٰ هذا المجرىٰ».

﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ أصل الشهوة: نزوع النفس إلىٰ ما تريده، وقد يسمىٰ المشتَهىٰ شهوة والقوة التي بها يُشتهي الشيء شهوة، المُزَيِّن الله زيَّنها لهم للاختبار.

[الحسن]: «الشيطان والله زينها لهم لأنَّا لا نعلم أحدًا أذم لها من خالقها»(١).

ومحل ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ حال من الشهوات.

﴿[وَٱلْبَنِينَ] وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ جمع القنطار أو جمع القنطرة، وهي من المال مقدار تعبر به الحياة، تشبيهًا للقنطرة للمارة، وذلك غير محدود، فربَّ مستغنٍ بالقليل وآخر غير مستغنٍ بالكثير، وبالجملة فالمراد المال الكثير، واختلفوا في حده: هو ألف ومائتا دينار، أو ملء مسك ثور ذهبًا، أو مائة ألف مثقال(٢).

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ المجمعة كقولهم ألف مؤلفة، ومحل: ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ﴾ حال من القنطرة ﴿وَٱلْفِضَّةِ﴾ عطف عليه ﴿وَٱلْخَيْلِ﴾ من الخيلاء لا واحد له من لفظه، عطف علىٰ النساء لا علىٰ الذهب والفضة، لأنها لا تسمىٰ قنطارًا، وزعم بعضهم أن واحدها خائل كطائر وطير ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلَّمة من العلامة، أو المرعية من سمت الدابة وأسمتها: رعيتُها ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ أي: الزرع ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور ﴿مَتَٰعُ﴾ يتمتع به يسيرًا في ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ثم، يزول وهذا تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة، يوضحه قوله تعالىٰ ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ المرجع.

---

(١) توافق المصنف والزمخشري في العبارة، ولذا زدت الحسن لأنه عبارته، وقد رواها عنه الطبري في تفسيره ٦/ ٢٤٣.

(٢) انظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٦/ ٢٤٤، والكشف والبيان ٨/ ١٠٤، وزاد المسير ١/ ٢٤٦.

[﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾].

﴿[* قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم] بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ لأن ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدأ ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي﴾ أو تقديره: هو جنات، ولأجل أن ﴿لِلَّذِينَ﴾ الآية موضحة بحُسن المآب معنىً.

ولجواز تعلُّق اللام ب«خير» كفىٰ الوقف علىٰ «ذلكم»، ولولاه لكان تامًا.

ومحل «[من] ذلكم» نصب بخير، أي: بما فضل ذلك، ولا يكون وصفًا لخير لأن ذلك يوجب أن تكون الجنة وما فيها مما رغبوا فيه بعضًا لِمَا زهدوا فيه من الأموال(١).

وقرئ: «جناتٍ» جرًا بدلاً من «خير»(٢)، فيكون «للذين» علىٰ هذا وصفًا «لِخير» فلا يكفي الوقف علىٰ «ذلكم»(٣) ويكفي الوقف علىٰ «ذلكم» إن نصبت جنات بأعني مدحًا.

القراءة: ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ مصدر، أيْ: رضىً ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ بضم الراء وكسرها في جميع القرآن، لغتان، إلا من اتبع رضوانه ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ في المائدة بكسر الراء لا غير.

---

(١) مثله في التبيان ١/ ٢٤٥، الدر المصون ٣/ ٦٥.

(٢) القراءة شاذة، وهي غير منسوبة في التبيان ١/ ٢٤٦، الدر المصون ٣/ ٦٥.

(٣) في الأصل هنا وبعد قليل: ربكم، وهو تصحف.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ إن نصبت أو رفعت ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ﴾ [مدحًا][١]، وإن جررته صفة ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ أو «للعباد» لم يجز.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ إن نصبت ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ مدحًا، وغير جائز إن جررته نعتا للمتقين[٢]. وبعضهم يختار أن لا وقف في: ﴿ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ إلىٰ ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ﴾ أي: المصلين، أو المصلين جماعة ﴿بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ قال: «لأن المراد الإعلام أن الجنة أُعِدَّت لجميع المذكورين»، ولا بأس بهذا الاعتبار.

وتوسط الواو بين الصفات المذكورة مؤذنٌ أنَّ كل صفة مستقلة بالمدح، أو مؤذنة بأن منهم صابر ومنهم صادق[٣].

والمراد[٤] حقيقة الاستغفار، قالوا: كانوا يصلون أول الليل ويبدؤون الصلاة، فإذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار[٥].

وعن بعضهم أنهم كانوا يستغفرون من عبادتهم استقلالاً لها وما يقع منها، قال لقمان لابنه: يا بني لا تكوننَّ أعجز من هذا الديك يصوت بالأسحار وأنت نائم علىٰ فراشك[٦].

---

(١) كذا، وكان ينبغي أن يؤخر: أو نصبت، كي يكون قوله مدحا متصلا به.
مراد المصنف أنه يجوز الوقف علىٰ العباد إن أعربت ما بعدها نصبًا علىٰ المدح أو رفعا علىٰ تقدير: هم، فأما إن أعربته صفة أو بدل من العباد لم يحسن الوقف، والوقف علىٰ العباد كافٍ عند الداني، حسن غير تام عند الأنباري (الإيضاح ٢/ ٥٧٢، المكتفىٰ ٣٨).

(٢) أي: «للذين اتقوا». وهذا الذي أجازه المصنف يسميه القراء: التام، (الإيضاح ٢/ ٥٧٢، المكتفىٰ ٣٨).

(٣) التبيان ١/ ٢٤٧.

(٤) في الأصل: أو، وهو خطأ.

(٥) انظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٦/ ٢٦٦، الكشف والبيان ٨/ ١٤٣

(٦) الكشف والبيان ٨/ ١٤٧، معالم التنزيل ٢/ ١٧.

وعن ابن عباس: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، فشهد لنفسه بنفسه قبل خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ أي: بيَّن وأعلم بمصنوعاته[١].

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أيضًا ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ هم الأنبياء والمؤمنون المثبتون التوحيد شهدوا بذلك وأقروا به اعتقادًا.

وقرئ: «شهداء لله» بنصب الهمزة حال من «يستغفرون» فلا يوقف علىٰ «بالأسحار» وبالرفع أي: هم شهداء الله، فعلىٰ هذا والملائكة عطف علىٰ الضمير في شهداء، وجاز ذلك للفاصل بينهما وقرئ: «وشهداءُ اللهِ» رفعًا مع الإضافة[٢].

﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: مقيمًا بالعدل وتدبير الخلق ورزقهم، حال مؤكدة من «الله»، أو من «هو» دون مَن ذُكر معه[٣] لأمن اللبس، ومثله جاء زيد وهند راكبًا، لأجل التذكير، ولو قد جاء زيد وعمرو راكبًا لم يجز للَّبس، أو مدحًا - وإن كان نكرة- لأنه قد جاء، وحق المدح أن يكون معرفة؛ نحو: «إنَّا معشر الأنبياء لا نورث»[٤].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ إن كسرت ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

---

(١) ذكره الثعلبي (الكشف والبيان ٨/ ١٥٨) من غير إسناد، والظاهر أنه من رواية الكلبي.

(٢) نسبت بعض هذه القراءات إلىٰ أبي المهلب محارب بن دثار وأبي نهيك، كما في المحتسب ١/ ١٥٥، والكشاف ١/ ٣٤٥، والتبيان ١/ ٢٤٧، الدر المصون ٣/ ٧٣.

(٣) وهم الملائكة وأولوا العلم.

(٤) تشابهت مادته مع الكشاف، وانظر مناقشة أبي حيان والسمين لهذه الأوجه في الدر المصون ٣/ ٧٧.

﴿ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ استئنافًا -وهي القراءة-[١].

وغير جائز إن فتحت «أن الدين»، وهي القراءة أيضًا[٢]، بدلاً من «أنه لا إله إلا هو»، أو من «القسط»، وهما بدل الشيء من الشيء، لأن التوحيد والعدل هو الإسلام، أو بدل اشتمال لأنَّ الإسلام يشتمل علىٰ التوحيد والعدل.

وقرئ: بكسر «إنه لا إله إلا هو» استئنافًا وفتح «أن الدين» معمول «شهد» وما بينهما اعتراض، المعنىٰ: الإسلام التوحيد والعدل وهما الدين عند الله لا غير[٣].

ونزل في اليهود والنصارىٰ: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في نبوة محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ في التوراة أنه نبي حق، فكذبوا وأشركوا بأن ثلَّثت النصارىٰ وقالت اليهود عزير ابن الله[٤] ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾...[٥] حال من «الذين»، أو مفعول له.

تلخيصه: ما كان اختلافهم بعد العلم إلا للبغي وطلب الرياسة، أو المراد أولاد السبعين الذين استودعهم موسىٰ التوراة لما حضره الموت واستخلف عليهم يوشع بن نون، فلما مضىٰ القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفُرقة بينهم في الدين.

﴿[وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ] فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾.

---

(١) أي جاز الوقف علىٰ: الحكيم.

(٢) الفتح قراءة الكسائي، والكسر قراءة الباقين(النشر ٢/ ٢٣٨).

(٣) انظر: الكشاف ١/ ٣٤٥، التبيان ١/ ٢٤٨، الدر المصون٣/ ٨٣.

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ٢٠١.

(٥) هاهنا كلمة: رفع، وهو إقحام لا معنىٰ له.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي: خاصمك يا محمد أهل الكتاب في الدين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: انقدتُ ﴿لِلَّهِ﴾ وحده بجميع جوارحي، وأخلصتُ عملي له.

وخص الوجه بالذكر لأنه أكرم الشخص، وإذا أخضع الإنسان به خضع بجميع جوارحه.

ومحل ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ رفعٌ، عطف على التاء في أسلمتُ، وجاز العطف للفصل، أي: أسلمتُ وأسلم من اتبعن أيضًا وجوههم، وإن كانت الواو بمعنى مع فمحله نصب مفعول معه.

القراءة: بإثبات الياء وحذفها وصلاً، وحذفها وقفًا إجماع إتباعًا للخط.

ثم أمره أن يستفهم من...[1] على المعاندة بعد قيام المعجز من آي الإسلام فقال: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ مشركي العرب ﴿ءَأَسْلَمْتُمْۚ﴾ أي: أسلموا، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾.

﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ﴾ بخروجهم من الضلال إلى الهدى، ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ﴾ تبليغ الرسالة دون الهداية ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ بمن يؤمن وبمن لا يؤمن. هذه الآية منسوخة بآية السيف والمراد منها التبليغ عند بعضهم، ومحكمة عند غيرهم؛ والمراد منها أن لا يحزن النبي صلى الله عليه وسلم على من لم يجبه.

﴿[إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ]﴾.

القراءة: ﴿وَيُقَاتِلون ٱلَّذِينَ﴾ يفاعلون، ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ بفتح الياء مخففًا[2].

---

(١) هاهنا كلمة صورتها: نحا، والمراد واضح: من بقي على المعاندة..الخ. او نحو ذلك.

(٢) قرأ حمزة: ويقاتلون، والباقون: ويقتلون (النشر ٢/ ٢٣٨).

وقرئ: «ويقتّلون النبيين» مشددًا[١].

سئل صلىٰ الله عليه وسلم: أيُّ الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟ قال: «رجلٌ قتل نبيًا، أو رجلاً[٢] أمر بالمنكر ونهىٰ عن المعروف، ثم قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًا يومًا من أول النهار في ساعة واحدة، ثم قام مائة واثنا عشر رجلاً من عُبَّاد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعًا آخر النهار في ذلك اليوم»[٣].

تلخيصه: إن كفار بني إسرائيل قتلوا أنبيائهم وأتباعهم عنادًا.

﴿[وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ] فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ ودخلت الفاء في خبر إن لتضمن اسمها معنىٰ الجزاء[٤] وشبهه «الذي» بالشرط؛ أي: الذين يكفرون فبشرهم، كقولك من يكفر فبشره، ولأنَّ «إن» لم تغير معنىٰ الابتداء بل زادته توكيدًا[٥]، ولهذا لو دخلت «ليت» ونحوها مما يعتبر معنىٰ الابتداء لم يجز دخول الفاء[٦].

﴿[أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم] مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) وهي قراءة الحسن في الموضعين، كما في الكشف والبيان ٨/ ١٧٣، والكشاف ١/ ٣٤٧، والدر المصون ٣/ ٩٤.

(٢) في الأصل: رجل. وفي تفسير الطبري: أو رجل أمر بمنكر ونهىٰ عن معروف.

(٣) رواه الطبري في التفسير ٦/ ٢٨٦، والثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ١٧٦، من حديث أبي عبيدة، وفيه أبو الحسن مولىٰ بني أسد عن مكحول، وأبو الحسن مجهول.

(٤) أي استحقاق البشارة بالعذاب جزاء الكفر.

(٥) ولذا لم تمنع دخول الفاء علىٰ الخبر.

(٦) تشابهت مادته مع الكشاف ١/ ٣٤٨، والتبيان ١/ ٢٤٩، والدر المصون ٣/ ٩٤.

ونزل في اليهود لما دعاهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الإسلام فأبوا[١]، أو لما جاء أهل خيبر إليه برجل وامرأة منهم زنيا فحكم عليهما بالرجم، فقال النعمان بن أوفىٰ وبحري بن عمرو: ليس عليهما الرجم، فقال صلىٰ الله عليه وسلم: «بيني وبينكم التوراة» فقالوا: أنصفتنا، فجيء بالتوراة فوجد فيها الرجم، فرجما فانصرف اليهود مغضبين[٢].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: التوراة، ومحل ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ حال من «الذين».

وقرئ: «ليُحكم» مجهولاً[٣]. والمراد الاختلاف وقع بين من أسلم وبين من لم يسلم[٤].

ومحل ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ -عن قبول الحق- رفعٌ، صفة فريق.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التولي والإعراض مبتدأ، خبره ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ أي: بسبب قولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ في دينهم صلة يفترون.

ومحل ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ نصبُ حال، العامل فيه محذوف، أي: فكيف يصنعون، أو كيف ظرف لهذا المحذوف، وإذا ظرف له أيضًا.

﴿[لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ] وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم ﴿مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

---

(١) وهذا قول قتادة كما في تفسير الطبري ٦/ ٢٨٩.

(٢) وهذا رواية الكلبي عن ابن عباس، كما في الكشف والبيان ٨/ ١٨٣.

(٣) الكشاف ١/ ٣٤٨.

(٤) أي من أحبارهم، كما في الكشاف وغيره، وفي الأصل: أو المراد، وهو خطأ، لأن ما بعد المراد توجيه القراءة.

ونزلت لما وعد صلىٰ الله عليه وسلم أمته بملك فارس والروم[١]، أو لما دعا لهم بذلك[٢] ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ الميم عوض من حرف النداء، وشددت لقيامها قيام حرفين، واللام في قوله ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ للجنس ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ﴾ أي: النبوة أو غيرها مما يملك ﴿مَن تَشَآءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنزِعُ﴾ أي: تزيل وتمنع ﴿ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالملك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ تنزعه منه، أو بما تريد، وكل ذلك عدل منك ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ ولم يذكر الشر اكتفاءً بذكر الخير، ولأن الآية في ذكر ما عدا المؤمنين ﴿[إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ] قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ ثم أومأ إلىٰ قدرته الباهرة بقوله:

﴿تُولِجُ﴾ تدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ حتىٰ يصير خمس عشرة ساعة ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ حتىٰ يصير خمس عشرة[٣] ساعة فما أنقص من هذا زيد في هذا ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي: الحيوان من النطفة، أو الطير من البيضة، أو المؤمن من الكافر، لأن الكافر ميت القلب، كقوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾، أو النبات من الحب اليابس ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ عكس الأول.

القراءة: «الميت» و«لبلد ميت» إذا كان قد مات مشددًا أو مخففًا؛ لغتان، وشددوا ما لم يمت. أبو عمرو: المشدد ما لم يمت، والمخفف ما قارفته الروح[٤].

---

(١) وينسب لابن عباس من غير إسناد، انظر: الكشف والبيان٨/ ١٩١.

(٢) وهو قول قتادة كما في تفسير الطبري ٦/ ٣٠٠.

(٣) في الأصل في الموضعين: خمسة عشر، وهو غلط.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة بتخفيف الياء هنا، والباقون بتشديدها، و«ما لم يمت للكل جاء مثقلا»، هكذا قال الشاطبي، ولا يختص به أبو عمرو، والمعنىٰ: «أن ما لم تتحقق فيه صفة الموت فهو مقروء بالتشديد لجميع القراء» (النشر:٢/ ٢٢٤، الوافي شرح الشاطبية ٢٣٢).

أو «الميت من الحي» السقطة من العارف[١].

﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٧﴾ لأنه المالك حقيقة.

ونزل نهيًا عن مباطنة من يبطن الكفر ويظهر الإيمان وعن موالاتهم: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ بكسر الذال للساكنين، وبعضهم يرفعه ويجعل الكلام خبرا.

ومحل ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ نصب صفة «أولياء»، المعنىٰ: اجتنبوا مولاة الكفار فلكم غنية عن[٢] موالاتهم بموالاة المؤمنين، لأنهم أعداء الله ومن والاهم فقد دخل في عداوة الله. تلخيصه: اتركوهم لله.

ثم تهددهم فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: ولاية الكفار ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من دينه وتوفيقه ﴿فِى شَىْءٍ﴾ لأنه ينسلخ عن ولاية الله تعالىٰ ودينه، ويجوز أن يقال: الله بريء منه.

أبو حاتم وأبو بكر: الوقف هنا كاف، وفيه نظر لوجود الاستثناء بعد[٣].

ومحل ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟﴾ نصب مفعول له ﴿مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ أبو حاتم: تام[٤].

نصب مصدر، المعنىٰ: لأجل خوفكم منهم أمرًا يجب الاحتراز منه بأن يغلب الكفار، أو يكون المؤمن بينهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان، وهذا رخصة، فلو صبر حتىٰ قتل كان أجره عظيمًا، قال الحسن في فتنة الحجاج:

---

(١) وهذا من التفسير الإشاري.

(٢) تصحفت في الأصل: بحسن، وكأنها كانت في الأصل الذي نقل منه ممدودة، فتوهمها سينًا.

(٣) في إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري ٢/ ٥٧٣: أن الوقف حسن، وفي المكتفىٰ ص٣٩، أنه كافٍ.

(٤) في المكتفىٰ ص٣٩، أنه كافٍ.

لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، فقال ابن جبير: ليس في الإسلام تقية إنما التقية في أهل الحرب[١].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ بأن يغضب عليكم لموالاة الكفار ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨﴾ تحذير أيضا.

﴿[قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ] يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط[٢].

﴿[وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ] قَدِيرٌ﴾.

إن لم يعلق ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ بالمصير، أو يحذركم، ويتم الوقف هنا إن استأنفت ما بعد، و«محضرًا» مفعول ثانٍ لتجد، الأول: «ما عملت»، و«ما» بمعنى الذي، وإن نصبت «يوم تجد» بـ«تودُّ» -بعدُ- لم تقف هنا ووقفت على «قدير»[٣].

﴿وَمَا﴾ في ﴿عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ بمعنى الذي، مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ﴾ وقرئ: ودت[٤] ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ﴾ أي: بين النفس وبين السوء ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ مسافة واسعة، تلخيصه: والذي عملته تود لو تباعد ما بينها وبينه.

---

(١) نقله الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٢٣١. وفي الأصل: بقية في المواضع كلها وهو تصحيف.

(٢) يعني: «ويعلم ما في».

(٣) قال ابن الأنباري: «والوقف على ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ حسن إذا رفعت ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ بموضع «تود» لعودته بذكر «ما» وذكرها الهاء التي في «بينها»، وإن جعلت «ما»منصوبة بمعنى: وتجد ما عملت من سوء؛ لم يتم الوقف على قوله: «محضرا» لأن الثاني منسوق عليه» (إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٧٤، وانظر: المكتفى ٣٩).

(٤) نسبت لابن مسعود معاني القرآن للفراء ١/ ٢٠٦، الكشف والبيان ٨/ ٢٣٦، الكشاف ١/ ٣٥٢.

وإن عطفت «وما عملت» على «ما عملت» فيكون «يود» حالاً، تقديره: يوم تجد كل نفس عملها محضرًا وادة[١] تباعد ما بينها وبين السوء[٢]، لم يقف على «محضرًا». ويجوز أن تكون ما فيهما مصدرية [٣]. ﴿[وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ] بِٱلْعِبَادِ ٣٠﴾.

قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحبابه، وقال صلى الله عليه وسلم لقريش عند عبادتهم الأصنام: «قد خالفتم ملة إبراهيم» فقالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، وقالت طائفة: إنَّا نحب الله فنزل امتحانًا لهم[٤]:

---

(١) في الأصل: وإذ وهو تصحيف يفسد السياق، والتصحيح من الكشاف ١/ ٣٥٢ حيث تشابهت المادة.

(٢) عبارة الكشاف أتم، وهي: «وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرا، كقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ﴾ [سورة الكهف:٤٩] يعنى مكتوبا في صحفهم يقرؤونه، ونحوه ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [سورة المجادلة:٦] ».

والأول أشهر عند المفسرين، ويشهد لهذا الثاني تفسير الحسن البصري (كما في تفسير الطبري ٦/ ٣٢١، والكشف والباين ٨/ ٢٣٧)، والله أعلم.

(٣) ويكون المصدر حينئذ واقعا موقع المفعول تقديره: يوم تجد كل نفس عملها أي: معمولها، فلا عائد حينئذ عند الجمهور (من الدر المصون ٣/ ١١٦).

(٤) القول الثالث مرسل الحسن، رواه عنه الطبري في تفسيره ٦/ ٣٢٢، والقولان الأولان غريبان، وإن ذكرا في كتب التفسير، فقول اليهود هو من رواية الكلبي عن ابن عباس، وحديث قريش من رواية الضحاك عنه، وكلا الروايتين غير صحيحة (انظر: الكشف والبيان ٨/ ٢٣٧).

وهذه الأقوال في سبب النزول كلها يأباها السياق، ولا يدل عليها حديث صحيح، ولذا قال ابن جرير -تعقيبا على قول محمد بن جعفر بن الزبير: هذا أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى: إن كان الذي تقولونه في عيسى من عظيم القول، إنما يقولونه تعظيما لله وحبا له، فاتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم- قال: وأولى القولين بتأويل الآية، قول محمد بن جعفر بن الزبير. لأنه لم يجر لغير وفد نجران في

﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ وقرئ: تَحبُّون ويَحببكم ويَحبُّكم من حبَّه[١]، وزعم بعضهم أن حبَّه يحِبه شاذ لأنه لا يأتي يفعل بالكسر إلا ويشركه يفعل بالضم إذا كان متعديًا ما خلا هذا الحرف، يشير إلىٰ أنه لم ينقل فيه الضم، والقراءة بضم مستقبله دليل علىٰ عدم شذوذه.

﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ ومحبة الله امتثال أمره، ومحبته إياهم رضاه عنهم[٢]، ولاشك أن من ادَّعىٰ محبة الله تعالىٰ وخالف سُنّة نبيه فهو كذَّاب بنص كتاب الله تعالىٰ، يؤكد كذبه ما نزل الله تعالىٰ لما قال ابن أُبي: إنَّ محمدًا يجعل طاعته كطاعة الله، يأمرنا أن نحبه كما أحبَّت النصارىٰ المسيح[٣]:

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أي: أعرضتم، أو تعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ لا يرضىٰ فعلهم ولا يغفر لهم[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ أي إبراهيم وعمران،

هذه السورة ولا قبل هذه الآية، ذكر قوم ادعوا أنهم يحبون الله، ولا أنهم يعظمونه، فيكون قوله ﴿ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ جوابا لقولهم...، فإذ لم يكن بذلك خبر علىٰ ما قلنا، ولا في الآية دليل علىٰ ما وصفنا، فأولىٰ الأمور بنا أن نلحق تأويله بالذي عليه الدلالة من آي السورة، وذلك هو ما وصفنا».

(١) نسبت لأبي رجاء العطاردي، انظر: الكشاف ١/ ٣٥٣، الدر المصون ٣/ ١٢٥.

(٢) مر التنبيه أن المصنف يؤول المحبة أحيانا بالرضىٰ، وأحيانا يفسرها بالتحنن.

(٣) هذا من رواية الكلبي عن ابن عباس (الكشف والبيان ٨/ ٢٤٥، تنوير المقباس ٤٦).

(٤) فرق القرآن بين صفتي الرضا والمحبة، فقد قال هنا: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [سورة آل عمران:٣٢] فنفىٰ محبته الكافرين، وقال في آية أخرىٰ ﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [سورة الزمر:٧] فنفىٰ الرضىٰ عن الكفر، فالمحبة والرضىٰ صفتان لله تعالىٰ، لكل واحدة معنىٰ معروف في لسان العرب، وهو مثبت لله تعالىٰ دون أن ندرك كيفية ذلك.

كقوله: ﴿فِيهِ [سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ] وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴿٢٤٨﴾﴾ أو: آل إبراهيم إسماعيل وإسحق وأولادهما، ومحمد صلىٰ الله عليه وسلم من أولادهما، وآل عمران: موسىٰ وهارون لأن موسىٰ ابن عمران ابن صهر[1] ابن لاوي بن يعقوب[2].

المعنىٰ: اختص آدم والأنبياء المذكورين والأنبياء من أولادهم عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالنبوة ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

إن نصبت ﴿ذُرِّيَّةً﴾ مدحًا[3]، وغير كاف إنْ نصبتها حالاً مِن المصطفين عدا آدم فإنه ليس بذرية، أو بدلاً من نوح والمعطوف.

﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ مبتدأ وخبر محلهما نصب وصف لذرية، والمراد الدين والتناصر، أو بعضهم أولاد بعض.

﴿[وَٱللَّهُ سَمِيعٌ] عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

إن نصبت ﴿إِذْ﴾ باذكر مقدرةً، وإن جعلت «إذ» ظرفًا لعليم لم يكف.

﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ هي حنَّة أم مريم، وعمران بن ماثان أو ابن أشهم[4]، وكان في زمن زكريا فتزوج زكريا أخت حنة أم مريم، فكان يحيىٰ وعيسىٰ ابني خالة، وليس هذا بعمران أبي موسىٰ، قالوا: كان بينهما ألف وثمان مائة سنة، فأحبت حنة الولد بعدما أسنَّت وكانت عاقرًا، فدعت الله تعالىٰ أن يرزقها ولدًا، ونذرت إن رزقته أن تجعله من خدم بيت المقدس، فلما أحسَّت بالولد قالت:

---

(١) كذا في الأصل، وفي المصادر: يصهر، وزادت بعض المصادر بعده: بن فاهت.

(٢) هذا قول مقاتل والكلبي، (تفسير مقاتل ١/ ٢٧١، الكشف والبيان ٨/ ٢٤٦، تنوير المقباس ٤٦) وهو ضعيف، لأن ما بعده يرده، فالمقصود بعمران هو أبو مريم عليها السلام.

(٣) أي كافٍ علىٰ رأس الآية.

(٤) كذا في الاصل، وفي تفسير الطبري ٦/ ٣٢٨: ياشهم، وفي الكشف والبيان ٨/ ٢٥٠: ياشم.

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ حال من ما، أي: غلامًا محررًا، ولم تقل محررة لأنهم إنما كانوا يحررون الغلمان. والنذر: ما يوجبه الإنسان على نفسه. والمحرر: المعتَق من الحر، والحر في الحقيقة الذي لم يملك، فمن ملكته مواليه أو شهوتُه فليس بحر، بعضهم: «عبدُ الشهوةِ أذلُّ من عبد الرق».

فأرادت أن تجعله حرًا من كل شيء عبدًا مخلصًا لله تعالى، تلخيصه: أوجبتُ عليَّ أنَّ الذي في بطني عتيق مفرغ لعبادة الله تعالى لا أشغله بشيء من الدنيا.

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ [إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ] ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ فهلك عمران زوجها وهي حاملة بمريم ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ أي: النذيرة أو النسمة ﴿قَالَتْ﴾ معتذرة، وظنًا أن نذرها لا يُقْبَل ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ حال من ضمير «وضعتها».

القراءة: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ بسكون التاء فيوقف على أنثى؛ لأنَّ بعدها جملة مستأنفة خبرٌ من الله تعالى.

وبضم التاء فلا يوقف على أنثى؛ لأن الكلام كله جملة محكية عن أم مريم وما بينهما اعتراض(١).

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ في الخدمة لضعفها، ولما يعتريها من أمور النساء.

وإن عطفت ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ أي: العابدة بلغتهم، على «إني وضعتها» لم يقف بينهما.

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أي: أولادها ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ قال صلى الله عليه وسلم: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعيه حين يولد

---

(١) قرأ ابن عامر ويعقوب وشعبة بإسكان العين وضم التاء: وضعْتُ، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التاء: وضعَتْ (النشر ٢/ ٢٣٩).

غير عيسىٰ ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب»[١].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قبل مريم من حنَّة ﴿بِقَبُولٍ﴾ أي: بأمر ذي قبول ﴿حَسَنٍ﴾ أصل القبول الرضىٰ، وهو مصدر كالوَلوع والوَزوع[٢]، المعنىٰ: سلك بها سبيل السعداء.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ سوىٰ خلقها، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام، ولما وضعتها أتت بها الأحبار وهم في المسجد يلون من أمره ما يلي السدنة من الكعبة، فقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي، فقالوا: لا حتىٰ تقرع، فقرعهم زكريا.

القراءة: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بتشديد الفاء أي: ضمَّنها الله تعالىٰ زكريا وضمها إليه، وبتخفيفها أي: ضمها زكريا بنفسه إليه[٣]، وبمد زكريا وقصره لغتان[٤].

وقرئ: «وأكفلها زكريا» من قوله: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾[٥].

و«تقبَّلْها» و«أنبتها» و«كفلها»[٦] ونصب «ربَّها» نداء.

وقرئ: «وكفِلها» بكسر الفاء مخففًا.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٣٢٨٦).

(٢) المصادر علىٰ فعول بفتح الفاء قليلة، والوَلوع من أولعت به ولوعا، والوَزوع من أوزع بالشيء إذا اعتاده، انظر: تاج العروس ٢٢/ ٣١٩، ٣٧٣.

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بتشديد الفاء، والباقون بتخفيفها (النشر ٢/ ٢٣٩).

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم: زكريا، وقرأ الباقون: زكرياء، وبالمد كتب الآية في الأصل، ولما كان شعبة يقرأ بالتشديد نصب الهمزة من زكرياء (النشر ٢/ ٢٣٩).

(٥) نسبت لمصحف أبي، الكشف والبيان ٨/ ٢٦٧، الكشاف ١/ ٣٥٨.

(٦) علىٰ الأمر فيها، وهي قراءة مجاهد، كما في الكشاف ١/ ٣٥٨

فبنىٰ لها غرفة في المسجد وضعها فيها، وكان يضع عندها طعامها وشرابها ويغلق عليها أبوابها، وكان: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ أي: غرفتها، والمحراب أشرف المجالس، فكأنها وضعت في أشرف المكان في المسجد ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ أي: فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ أي: من أين ﴿لَكِ هَٰذَا﴾ الرزق والأبواب مغلقة عليك ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: من الجنة، تكلمت صغيرة. يكفي الوقف هنا إن جعلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ ولا تبعة..[١].

فلما رأىٰ زكريا عجائب قدرة الله طمع في الولد في كبره ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ أي: سيده وخالقه ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولدًا[٢] مطيعًا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨﴾ أي: مجيب الدعوة.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ يفرحك بولد اسمه يحيىٰ ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعيسىٰ، وكان يحيىٰ أكبر من عيسىٰ بثلاث سنين، ويحيىٰ أول من آمن به أنه كلمة الله وروحه، وسمي يحيىٰ لأنَّ الله تعالىٰ أحيىٰ به رحم والدته ثم أثنىٰ عليه فقال: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ حليمًا عن الجهل وحصورًا لا يأتي النساء عن قدرة ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ أي: المرسلين، وقيل: السيد الذي يفوق قومه في الخير، وقيل: السيد الذي لا يغضب[٣].

﴿قَالَ﴾ زكريا ﴿رَبِّ﴾ سيدي ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ من أين يكون لي هذا الغلام من هذه المرأة العاقر أم من غيرها، ولم يشك في البشارة ﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ

---

(١) سقط جواب إن علىٰ الناسخ، وهو: استئناف، فإن كانت من جملة كلام مريم لم يحسن.

(٢) في الأصل: ولذ لك، وأستظهر أنها تصحيف، صوابه ما أثبت أو: ولدينك.

(٣) الكشف والبيان ٨/ ٢٩٣.

﴿ٱلْكِبَرُ﴾ أي: الهرم ﴿وَٱمْرَأَتِى [عَاقِرٌ]﴾ عجوز عقيم فأجاب جبريل وقال: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾ يخلق من العاقر وغيرها.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ أي: علامة إذا حبلت امرأتي عرفت ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: أنك إذا جامعتها على الطُهر وحبلت تصبح أنت ولا تطيق الكلام ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ بلياليها ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ أي: إشارة تومئ بها بيدك أو برأسك من غير خرس يكون بك، قيل: عوقب به حيث سأل الآية بعد البشارة(١).

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ باللسان فإنك غير ممنوع عن التسبيح والذكر ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾ أي: صلِّ لله تعالى بالغداة والعشي، والتسبيح تعظيم الله وتنزيهه عن كل سوء.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: جبريل، يا مريم ناداها حين طهرت ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ اختارك بولادة عيسى ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من دم الحيض والنفاس، وقيل من الزنا والشرك ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾ أي: على عالمي أهل الدنيا بولد من غير أب من البشر.

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ أطيعي وأطيلي القيام بين يديه ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ أي: صلي مع الأحبار في مسجد بيت المقدس، قدم السجود على الركوع، والواو توجب الجمع لا الترتيب.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: ما غاب عنك خبره يا محمد.

---

(١) وهو مروي عن بعض السلف كقتادة انظر الكشف والبيان ٨/ ٣١٦، قال النحاس (في إعراب القرآن ١/ ١٥٧): «وهذا قول مرغوب عنه لأن الله عزَّ وجلَّ لم يخبرنا أن زكريا أذنب، ولا أنه نهاه عن هذا، والقول فيه أن المعنى اجعل لي علامة تدلّ على كون الولد إذ كان ذلك مغيبا عني».

﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ بجبريل لتحتج بذلك علىٰ أهل الكتاب ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ حاضرًا، أي: عند الأحبار ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ علىٰ وجه الماء علىٰ طريق القرعة، فغاب قلم زكريا في الماء وهو من القصب، وقيل: قام علىٰ وجه الماء وهو من الشبَّة[1].

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ أي: يضمـ[ـها] إلىٰ نفسه للتربية ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يتناظرون.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: بعيسىٰ ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وسمِّيَ كلمةً لأنه ظهر بكلمة الله: كُنْ فكان، وإنما ذكر الكلمة لأنه أراد به الولد، وسمِّيَ عيسىٰ روحًا لنفخ جبريل في جيب مريم، والأرواح كلها تنسب إلىٰ الله تعالىٰ، وسمِّيَ مسيحًا لأنه كان لا يمس ذا عاهة إلا برأ، وقيل: المسيح الملك وكان ملكًا لأنَّ الملك من لا يحتاج إلىٰ أحد من المخلوقين.

﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا﴾ أي: مكينًا فيها ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ في الآخرة وفيه تقديم وتأخير، ونصب علىٰ الحال.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ معطوف علىٰ قوله «وجيهًا» يعني: يبشر به وجيهًا ومكلمًا للناس[2] ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: يكلِّم بني إسرائيل بحجته رضيعًا في الحجر ابن أربعين يومًا، وهو تبرئة أمه [مما] قذفت به، والمعجزة التي ظهرت منه ﴿وَكَهْلًا﴾ حين ينزله الله من السماء لقتل الدجال، وقيل: هو إشارة لمريم أنه لا يموت ويحيا حتىٰ يكتهل ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: يكون عيسىٰ من المرسلين.

---

(١) تفسير أبي الليث للسمرقندي ١/ ٢٠٩.

(٢) في الأصل: للسان. وهو تصحيف.

﴿قَالَتْ﴾ مريم ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي: لم يكن لي زوج، ﴿قَالَ﴾ لها جبريل: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ﴾ القادر ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: حكم كون مخلوق من غير أب ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ كتب الأنبياء، وقيل الكتابة بالقلم ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الفقه ﴿[وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾]﴾.

ويجعله ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتىٰ ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ﴾ أي: أقدر لكم صورة كصورة الخفاش ﴿فَأَنفُخُ [فِيهِ]﴾ في الطين فيصير ﴿[فَيَكُونُ] طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1] بغير ريش بمشيئة الله ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ الذي وُلِدَ أعمىٰ ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ الذي وُلِدَ أبرص ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بمشيئة الله وقضائه ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ [وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ]﴾ أقول: تعشيتم بكذا، وتغديتم بكذا، وادخرتم في بيوتكم بكذا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: قصة عيسىٰ ﴿لَآيَةً﴾ وعلامة ﴿لَّكُمْ﴾ أيها اليهود ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ مصدِّقين بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم، وقيل: مصدِّقين بعيسىٰ[2].

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ أي: جئتكم مصدِّقًا موافقًا.

---

(١) في الأصل: طائر، وهذه قراءة أبي جعفر ونافع ويعقوب، والباقون: طيرا (النشر ٢/ ٢٤٠).

(٢) الظاهر من السياق أن قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ هو من صلة كلام المسيح عليه السلام، وهذا الذي ذكره الطبري في تفسيره ٦/ ٤٣٧، والثعلبي في الكشف ٨/ ٣٤٢، والزمخشري في الكشاف ١/ ٣٦٥، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٤٥، فهذا الذي ذكره المصنف غريب، ولا يدل عليه سياق ولا أثر، والله أعلم.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ أي: أرخص لكم ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في التوراة بظلمكم مثل الشحوم ولحوم الإبل والحيتان ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ أي: بعلامة علىٰ صدق نبوتي ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾ فيما آمركم من النصيحة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحده ﴿هَٰذَا﴾ الذي دعوتكم إليه ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ طريق واضح وهو دين الله رضيه.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ أبصر ووجد وعلِمَ ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: من أعواني منكم في الدعاء إلىٰ توحيد الله وتبليغ رسالته ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ أصفياء عيسىٰ، وقيل أعوان الأنبياء، وأصله النظافة، يقال [لنساء] الأمصار[1] حواريات لتنظفهن وتعطرهن، أخذ من تحوير الخبز[2]، والخبر الحُوَّاري ما سبل ونخل وطيِّب، وكانوا قصارين فسموا حواريين، وقيل كانوا ملوكًا أجابوا عيسىٰ وقالوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: أنصار دينه.

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾ أي: مخلصون له بالتوحيد.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ في الإنجيل ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ أي: عيسىٰ علىٰ دينه ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ مع من أسلم فاقبلنا من المهاجرين الأولين قبل عيسىٰ[3]، والشاهد هو الذي يبيِّن صحة دعوىٰ المدعي.

---

(١) في الأصل: لامضار، وهكذا يفعل في كل كلمة لا يحسن قراءتها، يصحفها، والمثبت من معاني الزجاج ١/ ٤١٧، والكشاف والبسيط ٥/ ٢٩٥، ومعاجم اللغة.

(٢) لعلها هكذا فإنها غير واضحة، وقد تكون: الخبر، أو الخير.

(٣) وهذا قول الكلبي (تنوير المقباس ٤٨، زاد المسير ١/ ٢٨٦)، وثمت أقوال أخرىٰ، ولعل الأولىٰ بالصواب: الذين شهدوا لك بالوحدانية وصدقوا رسلك، فيشمل من سبق ومن لحق، وهو الذي لم يذكر ابن جرير سواه (تفسير الطبري ٦/ ٤٥٢).

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ المكر من المخلوق خبٌّ وخداع، ومن الله مجازاة الخِداع أي: المكار، أي: احتالت اليهود في قتل عيسىٰ فجازاهم الله به[1].

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ أي: أقوىٰ المانعين.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ﴾ اذكر إذ قال الله يا عيسىٰ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك من وجه الأرض، وقيل توفي ساعات ثم رد الله روحه[2] ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: إلىٰ السماء ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: منجيك من أيدي الكفرة ومبرئك ممَّا قيل فيك من الكذب ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وجاعل الذين اتبعوك في دينك من أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم فوق الذين كفروا من اليهود والنصارىٰ بالغلبة والنُصرة ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ أي: مصيركم للمؤمنين والكافرين ﴿فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ أي: بين الفريقين ﴿فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥﴾ تتخاصمون في الدين.

---

(١) أي بمكرهم، قال المفسرون: مكر الله استدراجه بأعدائه، ومكر اليهود هو تواطؤهم علىٰ قتل عيسىٰ عليه السلام، ومكر الله بهم أن ألقىٰ شبهه علىٰ واحد منهم فقتلوه وهم يظنون أنه عيسىٰ، وقيل بل فداه أحد الحواريين.

قال السدي: ثم إن بني إسرائيل حصروا عيسىٰ وتسعة عشر رجلا من الحواريين في بيت، فقال عيسىٰ لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة؟ فأخذها رجل منهم، وصعد بعيسىٰ إلىٰ السماء، فذلك قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر، فأخبروهم أن عيسىٰ قد صعد به إلىٰ السماء، فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلا من العدة، ويرون صورة عيسىٰ فيهم، فشكوا فيه. وعلىٰ ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسىٰ وصلبوه، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾ [سورة النساء:١٥٧].(تفسير الطبري ٦/ ٤٥٤).

(٢) في المراد بالتوفي هنا أقوال لأهل العلم، وقد بسطها ابن جرير في التفسير ٦/ ٤٥٨، والثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٣٧٠.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بي وبرسلي ﴿فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾ بالقتل والجزية في الدنيا؛ وبالنار في الآخرة ﴿وَمَا لَهُم﴾ في الآخرة ﴿مِّن نَّٰصِرِينَ ٥٦﴾ مانعين من النار.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهم أمة محمد عليه السلام ﴿فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ﴾[1] أي: ثواب إيمانهم وطاعتهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧﴾ أي: لا يرضىٰ دين أهل الكتاب والمشركين.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ﴾ يا محمد، يقرأ عليك جبريل ﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾ القرآن الذي قرأ، حكيم من الشياطين أن يزيدوا فيه وينقصوا، وقيل المحكم في التأليف والنظم.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ قيل: إن وفد نجران سألوا رسول الله شبهًا بعيسىٰ وأجّلوه ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث لم يأت بالشبه، وفشت المقالة بين الناس، حتىٰ بعد العصر من ذلك اليوم نزلت الآية[2].

أي: مثل عيسىٰ الذي خلق من غير أب كممثل آدم خلق بغير أب وأم.

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: هذا الخبر الصدق من ربك.

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠﴾ الخطاب للرسول والمراد غيره، أي: لا تكن أيها السامع للبرهان من الشاكين.

فلما قرأ رسول الله علىٰ وفد نجران قالوا: ما نعرف ما تقول، فنزل قوله:

---

(١) في الأصل كتب: فنوفيهم، بالنون، وهي قراءة عظم القراء، إلا حفصا فقد روىٰ عن عاصم بالياء (النشر ٢/ ٢٤٠).

(٢) وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وروي نحوه مرسلا عن بعض التابعين، انظر: تفسير الطبري ٦/ ٤٦٨، الكشف والبيان ٨/ ٣٨٣.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي: خاصمك من وفد نجران في أمر عيسىٰ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: البيان في القرآن ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فنخرج إلىٰ فضاء من الأرض ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي: نتضرع ونجتهد في الدعاء ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ ونقول: اللهم أنزل لعنتك علىٰ من كان منَّا كاذبًا، فخرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مع علي وفاطمة والحسن والحسين، وخاف وفد نجران علىٰ أنفسهم الهلاك فلم يخرجوا، وقال السيد والعاقب: والله إن الرجلَ لنبي مرسل، وما لاعنَ قوم نبيًّا إلا هلكوا، فصالحوه، فصالحهم رسول الله علىٰ ألفي حلة في كل سنة قيمة كل حلة أربعون درهمًا، ثم قال رسول الله: «والله لو خرجوا لاضطرم عليهم الوادي فلم يبق نصراني ولا نصرانية»[١].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ المنيع في سلطانه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ في أمره حكم كون عيسىٰ من غير أب.

---

(١) الخبر بهذا اللفظ من رواية الكلبي، وهو في الكشف والبيان ٨/ ٣٩٠، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٢٥٨.

وفي صحيح البخاري (٤٣٨٠) عن حذيفة، قال: جاء العاقب والسيد، صاحبا نجران، إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًا فلاعنا لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينا.

فقال: «لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «هذا أمين هذه الأمة».

ثم قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أبوا عن الملاعنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ وبعقوبتهم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: كلمة عدل وصواب بيننا وبينكم، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ثم فسر الكلمة فقال: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ لا نعترف بالربوبية إلا لله ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ من خلقه.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ أي: لا يتخذ الأتباع الرؤساء بمنزلة الأرباب يطيعونهم في معصية الله ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أعرضوا ﴿فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ مقرون بالتوحيد لله، وقولوا:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ بمدة طويلة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ استفهام بمعنىٰ توبيخ.

ثم قال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ [فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ]﴾ أي: أنتم يا هؤلاء من اليهود والنصارىٰ خاصمتم فيما[١] لكم به علم فيما وجدتم في كتابكم من نعت محمد صلىٰ الله عليه وسلم[٢].

﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾ أي: تخاصمون ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ أي: في إبراهيم بالجهل ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصْرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسْلِمٗا﴾ أي: خاصًا مخلصًا، وكل من اختتن وحج البيت يقال له الحنيف ﴿وَمَا كَانَ مِنَ

(١) هنا في الأصل: ليس، وهو إقحام لا معنىٰ له، وقع من تداخل النظر.

(٢) وهذا قول ورد في ما لهم به علم، وقيل: المراد ما وجدوه في كتبهم، وهما قولان متلازمان (البسيط ٥/ ٣٣٧).

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ يقول إن أحق الناس بدين إبراهيم وسنته ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في عصره بالإيمان به ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ محمد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ به من أمته ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٨﴾ بالنصر لهم.

فمن قوله ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟﴾ إلىٰ هاهنا نزل في قصة النجاشي ومن هاجر إليه من أصحاب رسول الله ومناظرة بين الصحابة والحبشة ثم حذَّر المؤمنين عن مخادعة اليهود فقال[١]:

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من اليهود ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ يصرفونكم عن دينكم ويشككونكم في أمر الدين ﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ أي: ما يرجع وبال ضلالتهم ﴿إِلَّآ﴾ علىٰ ﴿أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٦٩﴾ لا يعلمون ذلك، ولا يعلمون أن الله يُطْلِع نبيه علىٰ ضلالتهم، وكانت اليهود تدعوا عمَّارًا ومعاذًا بن جبل إلىٰ دينهما الأول فنزلت الآية[٢].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠﴾ معناه وأنتم تعلمون أن محمدًا حق.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بتحريف التوراة والإنجيل وكتمان بعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٧١﴾ أنه نبي مرسل.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كعب بن الأشرف وأصحابه لسفلتهم[٣]

---

(١) هذا ورد عن بعض التابعين، كما في الكشف والبيان ٨/ ٤٠٤.

(٢) هذا قول مقاتل كما في تفسيره ١/ ٢٨٣، والكشف والبيان ٨/ ٤٠٨، ولذا لم يذكره ابن جرير ولا ابن كثير.

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٢٨٤، الكشف والبيان ٨/ ٤١١.

﴿ءَامِنُواْ﴾ بمحمد وما أنزل عليه أول النهار يعنون القبلة لأن رسول الله صلىٰ الفجر إلىٰ بيت المقدس فتحولت القبلة إلىٰ الكعبة في صلاة الظهر فقالوا[1]: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ إلىٰ قبلتهم الأولىٰ.

[﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾]

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: لا تقروا بالحق إلا لمن صلىٰ إلىٰ قبلتكم: بيت المقدس، وتقدير الآية ولا تؤمنوا: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ من فضل التوراة والمن والسلوىٰ وغيرها، ولا تؤمنوا أن ﴿يُحَآجُّوكُمْ﴾ به ﴿عِندَ رَبِّكُمْ ۗ﴾ في القيامة لأنه لا حجة لهم وفي الآية تقديم وتأخير ثمَّ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي: دين الله دين الحق وهو الإسلام وقبلة الله الكعبة.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ النبوة والإسلام يعطيه ﴿مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ بالعطية ﴿عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ بكل شيء.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ أي: بنبوته ﴿مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ بالنبوة والإسلام، والفضل الزيادة من الإحسان.

ثم ذكر بعض أمانة أهل الكتاب فقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ أي: تبايعه بالنسيئة بملء مسك ثور ذهبًا أو فضة، وقيل علىٰ قنطار والباء بمعنىٰ علىٰ ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ بلا عناء ومشقة ولا يستحله مثل عبد الله بن سلام ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ﴾ تبايعه ﴿بِدِينَارٍ﴾ نسيئةً ﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٥٠٨.

﴿دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ أي: على رأسه قائمًا متقاضيًا، وقيل يبيعه يدًا بيد ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاستحلال ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ أي: ليس في استحلال مال العرب حرج وإثم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ لأن الله تعالى أمرهم بالوفاء لكل من خالطهم[(١)] من أهل دينهم أو غيرهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ أن الله حرَّم ذلك عليهم في التوراة[(٢)].

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ وكلمة بلى لتدارك الغلط، أي: ليس كما يزعمون بل عليهم حرج وإثم في أخذ مال الغير.

﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ الذي عاهد عليهم وترك الخيانة ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ نقض العهد ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾ عن نقض العهد والظلم للناس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: يختارون على نقض العهد ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾ نقض عهودهم الذي عاهدوا أنبياءهم ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من المأكلة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ [فِى ٱلْءَاخِرَةِ]﴾ أي: لا نصيب لهم في الجنة ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بكلام رحمة في القيامة ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ بالرحمة ﴿[يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ] وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يطهِّرهم من أعمالهم الخبيثة ﴿وَلَهُمْ﴾ مع ذلك ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾ وجيع في النار.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي: من أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ جماعة وطائفة ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يحرِّفون ما في التوراة من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ ليظن السفلة أن ما يروجون عليهم ﴿مِنَ [ٱلْكِتَٰبِ]﴾ التوراة ﴿وَمَا هُوَ مِنَ [ٱلْكِتَٰبِ]﴾ التوراة ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للسفلة

---

(١) في الأصل: خاطهم.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٢٢٤.

﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بسبب حطام الدنيا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أنهم كاذبون.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ مثل عزير وعيسىٰ إذ أكرمهما الله بكتابه ورسالته ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ [عِبَادًا]﴾ عبيدا ﴿لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾ ينبغي أن يقولوا ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ متعبدين لله، وقيل: عالمين ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ والرباني الذي يربي المتعلم ليتعلم(١).

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ عزير وعيسىٰ، وقيل محمد ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ تعبدونهم ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ مخلصون بالتوحيد.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: ذكر المفسر الكبير في تهذيب جامع العلوم أنَّ هذه الآية في المعضلات(٢)، قلت: ولعمري إنها كذلك، وقد طالعت كثيرًا من التفاسير فما استوفيت معنىٰ الآية بتمامها إلا وقد عرض لي فيها شبهة، وسأبيِّن ذلك بمشيئة الله تعالىٰ ملخصًا علىٰ أوضح الوجوه الذي ذكروه.

---

(١) تنوعت عباراتهم في الربانيين علىٰ نحو لا تتضاد فيه، وانظر لها: الكشف والبيان ٨/ ٤٦٠.

(٢) وجه الاعضال فيها أن الميثاق أخذ علىٰ النبيين، وطولبوا باتباع النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ولذا ورد عن بعض التابعين استشكال ذلك، والبحث في القراءات الأخرىٰ لعلهم يجدون المخرج، فوجدوا في قراءة ابن مسعود وأبي: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب» وهذه الروايات التي رواها الطبري في تفسيره ٦/ ٥٥٣. وبمعرفة الأقوال الواردة في الميثاق يزول الإشكال.

قوله تعالىٰ جدُّه: ﴿وَإِذْ﴾ للتوقيت(١) ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أن يصدِّق بعضهم بعضًا ويبلِّغوا رسالاته وكُتبه إلىٰ قومهم، فأخذ النبيون مواثيق قومهم أن يؤمنوا بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم وينصروه، وقيل: أخذ الله ميثاق النبيين الأولين أن يؤمنوا بالآخرين منهم(٢).

ثم قال: ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾ فقرأ حمزة بكسر اللام والتخفيف، ومعناه: بما أتيتكم(٣).

وقرأ عاصم وابن عامر: لمَّا بنصب اللام والتشديد علىٰ معنىٰ التوقيت(٤).

وقرأ الباقون بنصب اللام والتخفيف لما هو قبل(٥).

اللام هاهنا جواب القسم، وما جواب الشرط، لأنَّ أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف واللام جوابه، واللامات في أوائل الشرط جواب الأقسام، كقوله: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ﴾ ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا [فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ]﴾ ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ [لَيَقُولُنَّ]﴾ المعنىٰ: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال لهم: والله مهما آتيتكم

---

(١) أي: واذكر حين.

(٢) في ميثاق النبيين عدة أقوال، قيل: علىٰ تقدير محذوف، أي ميثاق أقوام النبيين، وقيل: بل ميثاق النبيين علىٰ قومهم، انظر: تفسير الطبري ٦/ ٥٥٧، الكشاف ١/ ٣٧٩.

(٣) النشر ٢/ ٢٤١. وجه قراءة حمزة (لِمَا آتيتكم) بكسر اللام أنه يتعلق بالأخذ، كأنّ المعنىٰ: أخذ ميثاقهم لهذا، لأنّ من يؤتىٰ الكتاب والحكمة يؤخذ عليهم الميثاق لما أوتوه من الحكمة، وأنّهم الأفاضل وأماثل الناس (الحجة لابن خالويه ١١١، الحجة للفارسي٣/ ٦٢).

(٤) وهم المصنف في نسبة هذه القراءة لعاصم وابن عامر، لأنهما يقرآن كما يقرأ البقية، فالخلاف بين حمزة وبين بقية القراء، ولكن هذه قراءة سعيد بن جبير، كما في الكشف والبيان ٨/ ٤٦٩.

(٥) كذا في الأصل.

﴿مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾ أي: بعثتكم رسلاً إلىٰ قومكم وأكرمتكم بالنبوة ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ﴾ أي: خير رسول، وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ من النبوة ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ﴾ لتقرُّنَّ بنعته وشرح أمره لقومكم[1] ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ﴾ الله تعالىٰ ﴿ءَأَقۡرَرۡتُمۡ﴾ بما قلت لكم ﴿وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾ أي: قبلتم ميثاقي ﴿قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ﴾ يا رب بعهدك في نبيك محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿قَالَ فَٱشۡهَدُواْ﴾ رسلي علىٰ الأمم ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ علىٰ إقرارهم، وقيل: وأنا من الشاهدين عليكم وعليهم.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ أعرض عن أخذ الميثاق من اليهود وغيرهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٨٢﴾ الناقضون للعهد.

﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ أي: يطلبون ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ [طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا]﴾ وله أخلص بالإسلام والتوحيد جميع من في السماوات والأرض؛ طائعًا أو كارهًا، فأهل السماوات طائعين، وأهل الأرض كذلك من ولد في الإسلام ومن قتل حتىٰ أسلم فقد أسلم كرهًا ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ في القيامة يجزيكم.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ أي: بكتبهم ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ﴾ لا نجحد أحدًا منهم ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤﴾ مُقِرُّون.

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ﴾ أي: يختار دينًا من اليهودية أو النصرانية غير دين

---

(١) هذا الوجه الأول، أن تكون اللام للجزاء، والوجه الثاني أن تكون بمعنىٰ اللذي (الحجة للفارسي ٣/ ٦٤).

الحنيفية ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ المغبونين بفوت الدرجات.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا﴾ أي: لا يهدي الله قومًا ﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ بمحمد ودينه قبل مبعثه ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ أي: نعته في التوراة ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلالات بتحقيق ما في كتابهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: لا يرشدهم إلىٰ الإسلام(١).

﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين أدركوا رسول الله ولم يؤمنوا به، وقيل: هم عشرة رهط ارتدوا ولحقوا بمكة؛ منهم مقيس بن صبابة والحارث بن سويد قالوا: نقيم بمكة ونتربص بمحمد ريب المنون(٢).

﴿جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ﴾ ولعنة ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ ولعنة ﴿وَالنَّاسِ

---

(١) روىٰ الطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٢) بإسناد جيد عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم فأرسل إلىٰ قومه: أرسلوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، هل لي من توبة؟ قال: فنزلت الآيات، فأرسل إليه قومه فأسلم. وسماه مجاهد: الحارث بن سويد..

(٢) وهذا قول الكلبي كما في الكشف والبيان ٨/ ٤٩٠.

وقد جمع الطبري بين القولين، وجوز أن تكون نزلت في الأحبار وفيمن ارتد من العرب، وقال (في تفسيره: ٦/ ٥٧٥): وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن: من أن هذه الآية معني بها أهل الكتاب علىٰ ما قال، غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن، وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدوا عن الإسلام، فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم في ارتداده عن الإيمان بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم في هذه الآيات. ثم عرف عباده سنته فيهم، فيكون داخلا في ذلك كل من كان مؤمنا بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم قبل أن يبعث، ثم كفر به بعد أن بعث، وكل من كان كافرا ثم أسلم علىٰ عهده صلىٰ الله عليه وسلم، ثم ارتد وهو حي عن إسلامه. فيكون معنيا بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما، بل ذلك كذلك إن شاء الله.

أَجۡمَعِينَ ۝٨٧﴾[١] أي: في اللعنة في الدنيا والنار في العاقبة.

﴿[خَٰلِدِينَ فِيهَا] لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ۝٨٨﴾ مؤجلون ليتوبوا، ثم استثنىٰ مؤمني أهل التوراة؛ ابن سلام وأصحابه فقال[٢]:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ من اليهودية ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ العمل بعد إيمانهم بالصلاة والزكاة وبيان ما كتموا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لما سلف منهم في كُفرهم ﴿رَّحِيمٌ ۝٨٩﴾ بهم حين قبِلَ توبتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ أي: ثباتًا علىٰ كُفرهم ويقولون: نتربص بمحمد ريب المنون ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ رجعتهم ما داموا علىٰ ذلك العزم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠﴾ عن الإسلام، وتوبتهم لو تابوا تكون باللسان لا بالاعتقاد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا﴾ قال الكلبي[٣]: وزن الأرض ذهبًا ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ﴾ نفسه لم يقبل منه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٩١﴾ مانعين يمنعوهم من عذاب الله.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ أي: لم تصيبوا الثواب والكرامة عند الله ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ أي: ما لم تتصدقوا علىٰ الفقراء مما تحبون من المال، والبر: اسم جامع للخير كله[٤] ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ﴾ من المال قلَّ أو كثُر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ۝٩٢﴾ يجزيكم بها غدًا.

---

(١) في الأصل فصل بين الواو والملائكة والناس، هكذا: ولعنة الملائكة ولعنة الناس.

(٢) وقيل نزلت في الحارث بن سويد (الكشف والبيان ٨/ ٤٨٨).

(٣) كما في تنوير المقباس ص٥٢.

(٤) وكثير من السلف فسر البر هنا بأنه الجنة، أي: لن تدخلوا الجنة حتىٰ تنفقوا (الطبري٦/ ٥٨٨).

وقيل ﴿لَن تَنَالُوا۟﴾ الآية، أي: لن تصلوا إلىٰ القربة وأنتم متعلقون بحظوظ أنفسكم[١].

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: كل الطعام الذي هو حلال لأمة محمد كان حلالاً لبني إسرائيل ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وهو يعقوب النبي صلىٰ الله عليه وسلم، أخذه وجع عِرق النَّسا فنذر لله إن شفاه الله حرم علىٰ نفسه أحبَّ طعام، فحرَّم لحم الإبل، فاستنَّ أولاده سُنته، وقالوا لرسول الله: ما حرم علينا كان حرامًا علىٰ جميع الأنبياء وأنت تحله لأمتك، فكذَّبهم الله في الآية[٢]، وقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ فيما ادعيتم أنه حرام علىٰ الأنبياء، فلم يأتوا بها فأنزل الله تعالىٰ[٣]:

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد بيان الله لهم في كتابهم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ الكافرون الكاذبون علىٰ الله عز وجل.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ فيما أحل وحرم، وقيل: صدق فيما أخبر عن إبراهيم أنه كان حنيفًا ولم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ الحنيف: المائل من الكفر إلىٰ الإسلام، وكان دين إبراهيم حج البيت ومسح الركن واستلام الحجر ورمي الجمار والصلاة إلىٰ الكعبة، فهذا تفسير الحنيف ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ ولا يهوديًا ولا نصرانيًا.

ثم قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ أول مسجد بُني لحجِّ الناس ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ سمَّىٰ مكة بكة لأن الأقدام تبكُّ بعضها بعضًا، أي: تزدحم عند الطواف،

(١) وهذا من قبيل الإشارة لا التفسير.

(٢) وهذا قول أبي روق والكلبي كما في الكشف والبيان ٨/ ٥٠٦، ولذا لم يعرج عليه الطبري في تفسيره ٦/ ٩.

(٣) وهو قول الضحاك، كما في الكشف والبيان ٨/ ٥١٤.

وقيل: تبك أعناق الجبابرة، أي تدق ﴿مُبَارَكًا﴾ نصب على الحال، أي: استقر في حال بركته، وقيل: بكة موضع البيت ومكة اسم البلد(١)، وأوَّل: أفعل من آل أي رجع ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦﴾ أي: قبلة للمؤمنين.

﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أي: في البيت علامات واضحات ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموضع الذي قام عليه، وحطيم إسماعيل، والحجر الأسود ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ أي: دخله مجترمًا كان آمنًا من إقامة الحدود إلى أن يخرج، وقيل: من مات في الحرم بُعِثَ آمنًا من النار ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ [مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا]﴾ الذهاب إلى البيت الحرام، من قدر على الزاد والراحلة، والحِج بالكسر اسم الفعل والحَج مصدر ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ ولم ير الحج فرضًا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ۝٩٧﴾ عمن كفر به وعن إيمانهم وحجهم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بالإسلام وحج البيت، وقيل بمحمد والقرآن ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨﴾ أي: عالم بكفركم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لم تمنعون سفلتكم عن دين الله ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أي: من أراد أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون في دين الله زيغًا وميلاً، والهاء راجع إلى السبيل ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي أنتم علماء بما في التوراة من نعت رسول الله ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٩﴾ من الكُفر.

ثم حذَّر المؤمنين عن دعوة اليهود فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ﴾ أي: كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿يَرُدُّوكُم﴾ إلى اليهودية ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بمحمد حتى تصيروا ﴿كَافِرِينَ ۝١٠٠﴾.

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٢٣، وقيل هو من باب التعاقب بين الباء والميم (الكشف والبيان ٩/ ١٣).

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ بمعنىٰ التعجب والتوبيخ، وقيل: معناه النهي أي لا تكفروا ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي: كتابه ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ محمد ﴿وَمَن يَعْتَصِم﴾ يتمسك بتوحيده ويتبرأ من الشرك ﴿بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ أرشد إلىٰ طريق الصواب، وقيل: يعتصم بالله يتمسك بحبله وكتابه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أي: يُطاع فلا يُعصىٰ ويشكر فلا يكفر ويذكر ولا ينسىٰ (١).

قال ابن عباس: هي محكمة لم تنسخ(٢)، وقال قتادة والسدي: منسوخة بقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(٣).

وقيل: إن قوله ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ بيان لقوله ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أي: لا أكلِّفكم لما لا تطيقون.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ ومعنىٰ النهي واقع علىٰ أمر بالإقامة علىٰ الإسلام، أي: أقيموا علىٰ الإسلام حتىٰ يصادفكم الموت علىٰ الإسلام.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ معناه: تمسَّكوا بدين الله ودعوا العصبية والجاهلية، والحبل هو العهد ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ أي: لا تختلفوا في الدين ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالرسول والقرآن ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ في الجاهلية يقتل بعضكم بعضًا ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ أي: صرتم بنعمة الإسلام أصدقاء ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: واذكروا حين كنتم علىٰ طرف خندق من النار ومَن مات منكم يدخل النار ﴿فَأَنقَذَكُم

---

(١) وهو نص حديث ضعيف رواه الثعلبي في التفسير ٩/ ٧٢ عن ابن مسعود مرفوعا، وصح عنه موقوفا كما في تفسير الطبري ٧/ ٦٥.

(٢) وهو من رواية علي بن أبي طلحة عنه (رواه الطبري في التفسير ٧/ ٦٨).

(٣) رواه الطبري في التفسير ٧/ ٦٩، الكشف والبيان ٩/ ٧٤.

﴿مِّنۡهَاۗ﴾ أي: نجَّاكم عن الحفرة بالتوحيد، وشفا كل شيء: حرفه ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ هكذا يبين الله ﴿لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ أي: تبصرون ما أمركم به، ولعل حرف ترجي، أي: علىٰ رجاء هداية.

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ﴾ يا أمة محمد، واللام لام الأمر ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ الصلاة والصيام، قيل: قد بيَّن الخير فقال: ﴿وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾ الأمر بالمعروف: اتباع محمد، والنهي عن المنكر: الجبت والطاغوت ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ السعداء في الآخرة، والمفلح: الفائز بما يُغتبط به.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ﴾ من اليهود والنصارىٰ، اختلفت اليهود من بعد موسىٰ بخمسمائة عام، والنصارىٰ بعد عيسىٰ بثلاثمائة عام ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ في التوراة والإنجيل ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المختلفون ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ ثم بيَّن متىٰ يكون ذلك فقال:

﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾ المؤمنين ﴿وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ الكافرين ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ وازرقَّت عيونهم، يقول لهم خزنة النار: ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ استفهام بمعنىٰ التوبيخ، معناه: لِمَ كفرتم بمحمد وعيسىٰ بعد قراءتكم في التوراة والإنجيل بعثهما[1]، وقيل: أراد به الكفار جميعًا لإعراضهم عما يوجبه الإقرار بالتوحيد يوم الميثاق.

﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾ هذه لفظة تستعمل في الذي يؤيَّس الخير، يقال: ذق ما أنت فيه، أي: ليس لك فيه خلاص.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ يعني المؤمنين ﴿فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ [هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧]﴾ أي: جنته لا يموتون ولا يخرجون.

---

(١) في الكشاف ١/ ٣٩٩: الهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ هذه آيات الله ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق، يعني القرآن ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ بالجن والإنس أن يعذبهم من غير رسول ولا كتاب.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا ودليلاً على وحدانيته ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ يجازي المؤمنين بالثواب والكافرين بالعقاب والنكال.

ثم مدح هذه الأمة فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وقيل: كنتم منذ أنتم خير أمة[1] ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أي: أنتم خير الناس للناس، أي: أخرجكم الله من ظهور الآباء وأرحام الأمهات لأهل الأديان، تجيئون بالكفار في السلاسل والأغلال، وتدخلونهم في الإسلام[2]، ثم قال:

﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: تدعون الكفرة إلى توحيد الله ﴿وَتَنْهَوْنَ [عَنِ ٱلْمُنكَرِ]﴾ عن عبادة الأوثان والشيطان.

قال يحيى بن معاذ: «هذه مدحة لجميع هذه الأمة، والله تعالى حكيم إذا مدحهم لا يذمهم بمعاصيهم».

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ تقرُّون به ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مثل إيمانكم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ في العاجل والآجل ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مثل ابن سلام وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ الخارجون عن أمر الله وطاعته: كعب ابن الأشرف وأصحابه.

---

(١) وقيل إنها من العام الذي أريد به الخاص، والمراد هم المهاجرون مع النبي صلى الله عليه وسلم (تفسير الطبري ٧/ ١٠١، البسيط ٥/ ٤٩٧)، والأولى العموم، فكل من اتصف بهذه الصفات كان من أهل الخيرية، ودخول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيها أولي.

(٢) يشير إلى حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري (٤٥٥٧): ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام».

ثم قال للصحابة: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ أي: اليهود، يؤذونكم بالبهت والافتراء على الله ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ أي: يحاربوكم ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ عليكم.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ مذلة الجزية ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ أي: وجدوا في دار الإسلام ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ [وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ]﴾ بعهد من الله وعهد من رسوله، وقيل: إلا أن يكونوا مستمسكين بدين الله وتوحيده(١).

وذكر الناس هاهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل جميع المؤمنين.

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ ألزموا زي الفقر ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذل ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بمحمد وبالقرآن ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ [بِغَيْرِ حَقٍّ]﴾ أي: قتلوا زكريا ويحيى بالظلم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الفقر والمسكنة لهم ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ الله وخالفوا أمره ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ بقتل الأنبياء وجحود الآيات.

﴿[لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾]﴾

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ أي: ليس هؤلاء العصاة من اليهود -كعب وأصحابه- وأمة عاملة بالحق -عبد الله بن سلام وأصحابه- مستوون عند الله تعالى(٢)، وقيل: ليسوا سواء معطوف على قوله: وكانوا يعتدون ليسوا سواء(٣).

---

(١) البسيط ٥/ ٥٠٣.

(٢) وهو مروي عن ابن عباس من طريق محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، وهو مجهول، وهو قول ابن جريج كذلك (تفسير الطبري ٧/ ١٢١).

(٣) وهو غريب، ولم يذكره المعربون.

أو هاهنا وقف تام ثم ابتدأ[١] فقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ عاملة ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن في ساعات الليل ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ يصلون.

قيل: لا يستوي القاتل لأنبياء الله والقائم في طاعة الله[٢].

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ بتوحيده ونوره ورسوله ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ البعث ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ غيرهم، أي: بالإيمان ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ عن التكذيب ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: يبادرون بفعل الطاعات ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ أي: خيار المؤمنين.

﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾[٣] يا أمة محمد من أداء الفرائض واجتناب المحارم ﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ أي: لن يُنسىٰ ثوابه لكم بل تثابون عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ أي: بالموحدين وثوابهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾ أي: لا ينفعهم كثرة أموالهم وأولادهم ﴿مِّنَ﴾ عذاب ﴿ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهلُ هذه الصِّفة ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ دائمون.

---

(١) وهو ابتداء لبيان لماذا ليسوا سواء (الكشاف ١/ ٤٠٢)، والوقف التام علىٰ سواء (الدر المصون ٣/ ٣٥٤).
ثم في المراد بليسوا سواء قول آخر، وهو أن المقايسة وقعت بين أهل الكتاب والمسلمين، روي عن ابن مسعود: ليسوا سواء أهل الكتاب وأمة محمد، وهو قول السدي، ونسبه الثعلبي لابن جرير والزجاج، وليس هو اختيا ابن جرير كما في (تفسيره٧/ ١٢٢)، فهذا من الخطأ علىٰ ابن جرير، (الكشف والبيان ٩/ ١٧١).

(٢) نحوه قال الزجاج في معاني القرآن ١/ ٤٥٨.

(٣) ضبطها في الأصل: تفعلوا.. تكفروه، وبالتاء قرأ القراء إلا حمزة والكسائي وخلف وحفص فإنهم قرؤوا بالياء (النشر ٢/ ٢٤١).

ثم ضرب[١] لنفقات الأتباع والسفلة علىٰ رؤسائهم من اليهود مثلاً فقال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: شبه نفقات اليهود علىٰ علمائهم في كتمان صفة النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ [فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ]﴾ في الآية تقديم وتأخير، أي: مثله كمثل زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بمنع حق الله من ذلك الزرع، أصابه ريح فيها صر أي برد ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ أي أهلكت الريح الزرعَ، حتىٰ لم ينتفعوا به شيئًا، كذلك نفقة هؤلاء اليهود لا يثابون بها في الآخرة شيئًا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإبطال ثوابهم في نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً﴾ خاصة الرجل، أي: لا تتخذوا من اليهود أخلاء وأصدقاء ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يتركون الجهد في فسادكم﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يحبون إثمكم وكُفركم حتىٰ تستوجبوا[٢] النار، والعنت: هو إدخال المشقة علىٰ الإنسان ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: قد ظهر الطعن والشتم منهم علىٰ ألسنتهم ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ أي: ما يضمرون في قلوبهم من البُغض لكم أكبر مما يظهرون ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في القرآن من صفة اليهود وعداوتهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ تفهمون عن الله.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ ها: تنبيه، وأولاء: إشارة إلىٰ الجمع، فقد فصل بين هؤلاء بأنتم للتقريب، كأنَّه قال: أنتم هؤلاء تحبونهم، وأولاء جمع ذا، تعالىٰ هذان يد[٣]، فها للتنبيه، وذا للإشارة، وتأنيث ذا ذات، وجمعه أولات، معناه: أياهؤلاء تجالسون المنافقين وتحبونهم ويبغضونكم ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾

(١) في الأصل: ضربت.
(٢) في الأصل: تستحبوا.
(٣) كذا في الأصل، وهو تصحيف، لعله يريد: وهذان مثنىٰ ذا.

التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وهم يكفرون بما سوىٰ التوراة ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ أي: نافقوكم ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ يعني إذا دخلوا إلىٰ مجالسهم عضوا أناملهم حقدًا عليكم بتصديقكم بمحمد ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ بحقدكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾ أي: بما في ضمائر القلوب.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ أي: فتح وغنيمة ببدر ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ ذلك أحزنهم ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قتل وهزيمة كيوم أُحد ﴿يَفْرَحُواْ [بِهَا]﴾ بالسيئة.

﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ علىٰ أمر الله وأذىٰ المنافقين والمشركين ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الشرك ﴿لَا يَضُرُّكُمْ [كَيْدُهُمْ]﴾(١) عداوتهم ﴿شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي المنافقون والكافرون ﴿مُحِيطٌ ١٢٠﴾ أي: عالِم يجزيهم بها.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: اذكر إذ غدوت من أهلك أي خرجت من وطنك غدوة من منزل عائشة يوم أُحد ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تُنزلهم ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مراكزهم للحرب، وبعثت كل واحد إلىٰ مكان ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأمرك إياهم ﴿عَلِيمٌ ١٢١﴾ بأمرك ونجواهم، وقيل: كان يوم الأحزاب يبوئهم مقاعد عند الخندق(٢).

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾ يعني: وقد همت أرادت وأضمرت طائفتان قليلتان ﴿مِنكُمْ﴾ من الأنصار ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ أي: يجبنا عن العدو، وهما حيان من

---

(١) ضبطها في الأصل: يَضِرْكُم، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٢٤٢).

(٢) وهو قول مقاتل، وقد ضعف هذا القول أهل العلم، والجمهور أنه يوم أحد بدلالة الآية بعدها (انظر: تفسير الطبري الكشف ٧/ ١٥٩، والبيان ٩/ ١٩٩).

الأنصار: بنو سلمة وبنو حارثة، همَّا أن يتركا المركز ويتنازعا في أمر القتال، وقيل: همَّا أن لا يخرجا مع رسول الله[١].

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ حافظهما وناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ أي: بالله فليثق الواثقون.

ثم ذكر مِنته فقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ علىٰ عدوكم مع قلتكم وشوكة عدوكم فذلك قوله: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ قليلة في العدد ثلاث: مائة وثلاثة عشر، بلا سلاح ولا ظهر ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في هذا اليوم يوم أُحُد ولا تعصوا رسوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ تؤدون شُكر نصره إياكم ببدر لتستوجبوا المزيد.

ثم رجع إلىٰ قصة أُحُد فقال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: قلت لهم ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ استفهام بمعنىٰ التقرير: أي: كفاكم بـ ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ من السماء.

قال الله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰٓ﴾ يكفيكم ذلك ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ علىٰ قتال عدوكم ولا تنهزموا ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ المعصية، ثم أخبر مجيء الكفار ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي: يحضر العدو من وجوههم التي توجهتم من طريق مكة ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾ حينئذ ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ معلِّمين خيولهم بالصوف الأبيض من نواصي الخيل وأذنابها، وقيل: معتمِّين بالبياض قد أرخوا أطراف العمائم بين أكتافهم[٢].

---

(١) عن جابر رضي الله عنه، قال: نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ بني سلمة، وبني حارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ رواه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).

(٢) الرواية الواردة عن ابن عباس: أنها عمائم بيض، ولا تصح، رواها الطبراني في المعجم الكبير (١٢٠٨٥).

فرسول الله وعدهم بمدد ثلاثة آلاف والله تعالىٰ زادهم ألفين؛ بشرط الصبر، فزاد الله علىٰ وعد الرسول من مَدد الملائكة ألفين.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ أي: ما وعد الله عدد الملائكة خمسة آلاف إلا بشارة لكم ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم [بِهِۦ]﴾ تسكن قلوبكم بالمدد ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ليس الظفر للعباد إلا بعون الله لا بالملائكة ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ المنيع في سلطانه ﴿ٱلْحَكِيمِ ١٢٦﴾ في قضائه، ثم قال:

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: يقطع جماعة، أو يقتل جماعة منهم ومن صناديدهم، وسمَّاهم طرفًا لأنهم كذلك ليجمع بين الطرف للجسد، نحو اليد والرجل والرأس(١).

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ قيل: يهزمهم، يقال: كبت علىٰ وجهه أي: صرع، وقيل: يخزيهم(٢) ﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ١٢٧﴾ راجعين منهزمين، والخائب الذي لم ينل ما أمل.

والرواية الواردة عن علي: كانت سيما الملائكة أهل بدر الصوف الأبيض، رواها ابن أبي حاتم (٤١٠٧) بإسناد صحيح، لكن لا يراد بذكل العمائم.

والمشهور في عمائم الملائكة أنها صفرا لا بيضاء، علىٰ سيما الزبير رضي الله عنه، وهذه الروايات في تفسير الطبري ٧/ ١٨٨، والكشف والبيان ٩/ ٢٣٤.

(١) قال الواحدي: «وإنما قال: طرفا ولم يقل: وسطا؛ لأنه لا يوصل إلىٰ الوسط إلا بعد قطع الطرف، وهذا القطع إنما هو بأيدي المؤمنين، وإنما يقطعون الطرف الذي يليهم من الكافرين، وهذا يوافق قوله: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾ [سورة التوبة:١٢٣]» البسيط ٥/ ٥٨٢.

(٢) الكَبْتُ -في اللغة-: صَرْعُ الشيء علىٰ وجهه؛ يُقال: كَبَتَهُ، فانْكَبَتَ، هذا تفسيره، ثم قد يُذكرُ المرادُ به: الإخزاءُ، والإهلاكُ، واللَّعْنُ، والهَزِيمَةُ، والغَيْظُ، والإذلالُ. وكلُّ هذا ذكره المفسرون (البسيط ٥/ ٥٨٢).

قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قال ابن عباس لما كُسِرَتْ رباعية رسول الله يوم أُحُد وَشُجَّ رأسه حتىٰ جرت الدماء علىٰ وجه الأرض قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم وهو مع ذلك حريص علىٰ دعائهم إلىٰ ربهم» فنزلت الآية[1].

أي: ليس لك إذن بالدعاء.

---

(١) حديث ابن عباس هذا رواه ابن جرير ٧/ ١٩٩، من طريق ابن جريج قال، قال ابن عباس: شج النبي صلىٰ الله عليه وسلم في فرق حاجبه، وكسرت رباعيته، قال ابن جريج: ذكر لنا أنه لما جرح، جعل سالم مولىٰ أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلىٰ الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، وهذا إسناد ضعيف، وقد بينت رواية الطبري أن أوله عن ابن عباس وباقيه عن ابن جريج.

لكن ورد في حديث أنس، علقه البخاري، ورواه ابن جرير في التفسير (٧/ ١٩٥) بإسناد صحيح.

ولفظه: قال أنس: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم يوم أحد، وكسرت رَبَاعيته، وشُجَّ، فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلىٰ ربهم، فأنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وقيل: إنها نزلت في شأن آخر، ففي صحيح البخاري (٤٥٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو علىٰ أحد أو يدعو لأحد، قنت بعد الركوع، فربما قال: إذا قال: سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللهم اشدد وطأتك علىٰ مضر، واجعلها سنين كسني يوسف يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: «اللهم العن فلانا وفلانا، لأحياء من العرب» حتىٰ أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وفيه (٤٥٥٩) عن ابن عمر نحوه.

ولم يرجح ابن جرير بين هاتين الروايتين، ويمكن الجمع بأن ذلك الدعاء علىٰ الكافرين كان بعد غزوة أحد، ويستنبط هذا من صنيع البخاري في ذكره الحديث مرتين، مرة في غزوة أحد، ومرة في كتاب التفسير، والله أعلم.

﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ﴾ فيه تقديم وتأخير معناه حتىٰ يعذبهم بالسيف ربهم ﴿فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ كافرون ضارون[1] لأنفسهم، أو يتوب عليهم فيستنقذهم بالإيمان من الكفر.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مِلكًا ومُلكًا ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ من خلقه المغفرة ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ من خلقه بالنار، ولو عذب جميع خلقه لعذَّبهم وهو غير ظالم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لمن تاب من الشرك ﴿رَّحِيمٞ ١٢٩﴾ بهم حيث رخص لهم بالتوبة بعد المعصية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ أي: زيادة علىٰ زيادة، يعني إذا حل الأجل زادوا في المال وزادوا في الأجل ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اخشوه في أكل الربا ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾ تفوزون بالجنة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ يا أكلة الربا ﴿ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ وقيل: اتقوا أن تِحُلُّوا ما حرَّم الله كيلا تصيروا كافرين.

ثم وعظهم فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ في الفرائض ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ في السُنن ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ رجّاهم الرحمة، وقيل: إن لعل بمعنىٰ الام، أي: لترحموا ولا تعذبوا.

﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ أي: بادروا يا أكلة الربا ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي التوبة ﴿وَجَنَّةٍ﴾ أي: بادروا إلىٰ جنَّة ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ لو وصل بعضها إلىٰ بعض[2]، عن الكلبي والضحاك: الجنان أربعة جنة عدن وجنة الفردوس

---

(١) كذا في الأصل، والأولىٰ: ظالمون لأنفسهم، كعادته فيما مضىٰ، فلعله تصحف علىٰ الناسخ.

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس من طريق السدي، وعن بعض أصحابه، (تفسير الطبري ٧/ ٢٠٧).

وجنة المأوىٰ وجنة النعيم، في كل جنة من هذه الجنان أربع جنان بعدد نجوم السماء وقطر المطر، كل جنة من تلك الجنان في العرض والسعة مثل السموات السبع والأرضين السبع لو ألصق بعضها إلىٰ بعض[١]، فهذا عرض الجنان فيستدل علىٰ طوله بعرضها[٢] ثم قال:

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ أي: هيئت للموحدين[٣] ثم ذكر نعتهم فقال:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ يتصدقون ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قيل: الغنىٰ والفقر، وقيل العسر واليسر، وقيل: الغم والسرور ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ أي يتجرعونه، وقيل: الحابسين الغيظ والحزن في أجوافهم ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ ابن عباس: عن المملوكين[٤]، وقيل: عن جميع ما خاطبهم من المؤمنين ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ أي: من فعل هذا فهو محسن والله يحب المحسنين.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً﴾ نزلت في رجل من الأنصار كان بينه وبين رجل ثقفي مؤاخاة، فغاب الثقفي وخلف الأنصاري في أهله، فكان الأنصاري يتعاهد أهله كل يوم، حتىٰ إنَّ امرأة الثقفي اغتسلت يومًا وهي ناشرة شعرها رآها الأنصاري فوقع في نفسه شيء، فدخل عليها بغير إذنها، فغطَّت المرأة وجهها بكفها، فدنا منها وقبل علىٰ ظاهر كفها، ثم ندم واستحىٰ فأدبر، فقالت له المرأة: سبحان الله، خنت أمانتك، وعصيت ربك، ولم تصب حاجتك، فخرج إلىٰ

---

(١) قول الكلبي في تفسير أبي الليث ١/ ٢٤٦.

(٢) في الأصل عكس: علىٰ عرضها طولها.

(٣) في الأصل: للموحين.

(٤) وهي رواية الكلبي كمايظهر من تفسير الثعلبي ٩/ ٢٦٦، وتنوير المقباس ٥٦. ولا شك أن المراد العموم، والمملوك والخادم داخل في هذا العموم، أما علىٰ القول الأول فالآية من العام المراد به الخصوص.

الجبال يصيح ويتعبد ندما، حتىٰ قدم الثقفي مع رسول الله وَأُخْبِرَ بخبر الأنصاري، فاهتم لأجله، فتبعه يطلبه فوجده ساجدًا يقول: رب ذنبي، رب ذنبي، خنت أخي، فقال الثقفي: يا أخي قُم إلىٰ المدينة فإن رب المدينة والجبال واحد، فرجع إلىٰ المدينة وسأل أبا بكر عن توبته، فقال: لا توبة لك، لأن الله يغار للمغازي[1] ما لا يغار للجالس في بيته، وكذلك عمر، وكذلك علي، فجاء إلىٰ رسول الله ونادىٰ علىٰ الباب: المذنب المذنب، فأُذن له ليدخل علىٰ رسول الله، وقص عليه، فردَّه رسول الله كما ردَّه أصحابه، فخرج وهو يسيح في الجبال ويصيح، ولا يمر علىٰ سهلة حارة ولا علىٰ حجر صلد إلا تجرَّد يتمرغ عليه، حتىٰ إذا كان ذات يوم نزل جبريل بتوبته[2]:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ قيل: الفاحشة هاهنا الزنا، وقيل الكبيرة ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالصغيرة وهي النظرة واللمسة والقُبلة ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: خافوه[3] من قيامه بين يديه ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ من خطيئتهم ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ استفهام بمعنىٰ الجحد، أي: ليس أحد يستر الذنوب علىٰ العبد سوىٰ الله، ثم قال في التقديم ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ أي: لم يقوموا علىٰ معصيتهم فاستغفروا لذنوبهم ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ أن لهم ربًا يغفر لهم الذنوب، الكلبي: الإصرار وهو السكوت عن الاستغفار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ مقيمين فيها أبدًا.

---

(١) كذا في الأصل، وفي بعض المصادر: للغازي.

(٢) وهذه رواية الكلبي ومقاتل، وهما متروكان، ولا سيما في باب أسباب النزول، انظر: تفسير مقاتل ١/ ٣٠١، الكشف والبيان ٩/ ٢٧٢.

(٣) كذا ولعل الصواب: خافوا من قيامهم..

﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ أي: نعم ثواب التائبين من الذنوب: الجنة.

روي عن علي رضي الله عليه قال: من حدثني من أصحاب رسول الله حديثًا استحلفته ثم صدَّقته، وحدَّثني أبو بكر وصدقني قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يُذْنِب ذنبًا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له» ثم قرأ الآية ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ (١).

قوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾ أي: مضت فيكم يا أهل مكة عبر في الأمم، منهم من خُسِفَ ومنهم من مُسِخَ قردة وخنازير ومنهم من أُغْرِق ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: سافروا ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ بعد السير ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ للرسل فأنتم تستوجبون مثلها.

﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ أي: هذا القرآن فيه بيان لبني آدم بما فيه من الوعد والوعيد ﴿وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ﴾ أي: هدىٰ من الضلالة وموعظة تنهىٰ عن المحظورات ﴿لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ ثم رجع إلىٰ قصة أُحُد فقال:

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ أي: لا تضعفوا ولا تجزعوا من قتال العدو، ولا تحزنوا علىٰ ما فاتكم من الظفر ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ الغالبون لعدوكم ﴿إِن كُنتُم [مُّؤۡمِنِينَ] ١٣٩﴾ مصدِّقين بوعد الله.

﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ [فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ]﴾ القَرح: بالفتح الجراحة، والقُرح بالضم ألم الجراحة(٢).

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢١) بإسناد صحيح.

(٢) اختلف القراء في هذا الحرف، فقرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة بضم القاف وقرأ الباقون بفتحها (النشر ٢/ ٢٤٢).

إن أصابكم جراحة أيها المسلمون يوم أُحد فقد أصاب أهل مكة جراحة يوم بدر مثل ما أصابكم ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ أي: أيام الدنيا نصرفها بين الفريقين المؤمنين والكافرين، مرة نديل المؤمنين علىٰ الكافرين كيوم بدر، ومرة نديل الكافرين علىٰ المؤمنين كيوم أُحُد ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ظاهرًا لا باطنًا وهم المنافقون، وإنما أراد بالعلم علم مشاهدة الخلق؛ لأن علم الله تعالىٰ عَلم العلم الغيبـ[ـي]، والعبد لا يستحق العقوبة بعلم الغيب، لأن المجازاة إنما تقع علىٰ ما علمه من العبد وقوعًا، وعلم الغيب قبل الوقوع.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي: يكرم بعضهم بالشهاة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ أي: لا يرضىٰ ذنبهم.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يخلّصهم من الذنوب ويطهّرهم ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ أي: يهلكهم، وأصل المحق النقصان، يقال لآخر الشهر مُحاق.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ أظننتم يا أصحاب محمد أن تكونوا مغفورين مستوجِبين للجنة ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟﴾ أي لم يميز الله الذين جاهدوا﴿مِنكُمْ﴾ من غير المجاهدين، ولما يعلم الله هي كلمة لم دخل عليها ما الصلة، فأدغم الميم في الميم، وكسر يعلم لالتقاء الساكنين[(١)].

﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ أي: لم يميز الصابرين، وقوله ويعلم منصوب علىٰ الصرف، أي صرف الكلام إلىٰ معنىٰ الأول ومعنىٰ الأول لم يعلم الله[(٢)].

والتوجيه المذكور قول الفراء في معاني القرآن ١/ ٢٣٤، وانظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٣٧، الكشف والبيان ٩/ ٢٨٨، البسيط ٦/ ٨.

(١) قال الزجاج: المعنىٰ ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين، ولما يعلم الله ذلك واقعـاً منهم. لأنه جلَّ وعزَّ يعلمه غيباً، وإنما يجازيهم علىٰ عَملهم (معاني القرآن ١/ ٤٧٢).

(٢) التبيان ١/ ٢٩٥.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: تسألون الشهادة بعد يوم بدر ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ أي: تعاينوه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: عاينتموه يوم أُحُد، يعني أسباب الموت من السيوف والرماح ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝١٤٣﴾ بأعينكم، وليس بأعينكم علة[١]، ذكر النظر بعد الرؤية للتوكيد، كما يقال: رأيت ذلك بعيني وسمعت بأذني، ولئلا يتوهم رؤية القلب، ولأن الموت لا يُرىٰ بالعين، فالمراد هو النظر إلىٰ أسبابه[٢].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ قيل كان المنهزمون من أصحاب رسول الله اعتذروا وقالوا: سمعنا صوتًا أنَّ محمدًا قد قُتِلَ فانهزمنا، فنزلت الآية[٣] ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ أي: مضت الرسل من قبله ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ يعني إن مات علىٰ فراشه أو قُتِلَ في غزوة ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ مرتدين إلىٰ الشرك.

وقوله: أفإن دخلت ألف الاستفهام علىٰ حرف الشرط في معنىٰ دخولها علىٰ الجزاء، ومعناه: إن مات محمد أو قُتِلَ أتنقلبون علىٰ أعقابكم كقوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾ يعني إن مت أنت[٤].

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ يرجع إلىٰ الشرك ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ أي لم ينقص من ملكه ولكن أضر بنفسه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ أي: سيثيب الله الموحدين علىٰ توحيدهم وجهادهم.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ أي: لا تكون لنفس ﴿أَن تَمُوتَ﴾ أو تقتل ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وقضائه وإرادته ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ أي: أجلاً مؤقتًا كتب له في اللوح ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: يطلب بمحاسن أعمالهم مثابة الدنيا ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾

---

(١) في الأصل: انه وأظنه تصحيف علة، كما يفهم من كلام الزجاج في معاني القرآن ١/ ٤٧٣.

(٢) مثله في البسيط ٦/ ٣٦.

(٣) روي عن قتادة والربيع (تفسير الطبري ٧/ ٢٥٤).

(٤) أفيخلدون هم (انظر: التبيان ١/ ٢٩٧، الدر المصون ٣/ ٤١٦).

أي: نعطه من الدنيا مقدار ما قدرناه له ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بمحاسن أعماله ﴿ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي: طلب ثواب الله ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ في الآخرة، وقيل: نثيب المخلصين الذين يثبتوا على المركز[1].

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ كم من نبي ﴿قَاتَلَ مَعَهُ﴾ أي: بسببه ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة من قومه، وكأين وكائن لغتان جيدتان[2].

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾ من القتل والجراحة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من قتل نبيهم، وقيل: من قتل إخوانهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي: ما ذلُّوا وما تضعضعوا ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ عند المصائب والقتال.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ أي: لم يكن قولهم عند القتال وبعدما قتل نبيهم ﴿إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ ما دون الكبائر ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ العظائم ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ عند معاينة العدو ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ﴾ بدعائهم وصبرهم ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ الجنة والنعيم فيها ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ المجاهدين في سبيله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من المنافقين حين

---

(١) أي مركز جبل الرماة يوم أحد، انظر: الكشف والبيان ٩/ ٣١٣.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو جعفر بألف ممدودة بعد الكاف، وبعدها همزة مكسورة: كائِن، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة بعد الكاف، وبعدها ياء مكسورة مشددة: كأيِّن (النشر ٢/ ٢٤٢).

وفي قاتل قراءتان: فقرأ نافع وابن كثير، والبصريان بضم القاف وكسر التاء من غير ألف، وقرأ الباقون بفتح القاف والتاء وألف بينهما (النشر ٢/ ٢٤٢).

فعلى القراءة الأولى: النبي قتل، وعلى الثانية: أعوانه قاتلوا معه، فأخبر الله عز وجل عن أحوال الأنبياء في قراءتين، فبعضهم قتل، وبعضهم قاتل.

قالوا بعد يوم أُحُد للمؤمنين: ارجعوا إلىٰ إخوانكم من أهل مكة والزموا دينكم ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ إلىٰ الكفر بعد الإيمان ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ في الآخرة أي: مغبونين.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾ أطيعوا الله فإنه وليكم في النصر لكم والدفع عنكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ لمن أطاعه.

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ هذا ذكر هزيمة الكفار يوم أُحُد، أي: قذفنا في قلوب كفاركم المخافة حتىٰ انهزموا ﴿بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي: بشركهم بالله [﴿مَا﴾] الذي ﴿لَمْ يُنَزِّلْ [بِهِۦ]﴾ بسبب شركهم [﴿سُلْطَٰنًا ۖ﴾] كتابًا ولا حجة، والسلطان الحجة ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ﴾ أي: مصيرهم إلىٰ النار بشركهم ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ منزل المشركين النار.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ أي: الظفر، حيث وعد نبيه يوم أُحُد هزيمة أعدائه ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾ تقتلونهم بأمره وحكمه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ أي: جبنتم ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ قيل: فيه تقديم وتأخير، أي: تنازعتم وفشلتم، معناه اختلفتم في أمر المركز فكففتم عن القتال وجبنتم ﴿وَعَصَيْتُم﴾ الرسول بترككم المركز ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ من النصر علىٰ عدوكم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ الذين تركوا المركز ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾ وهم الذين ثبتوا عند المركز؛ عبد الله بن جبير وأصحابه حتىٰ قُتِلُوا ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ بالهزيمة بعد الظفر ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ﴾ ليختبركم بمعصية الرماة، ولكي يكرم بعضكم بالشهادة ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ﴾ فلم يستأصلكم جميعًا ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥٢﴾ بالعفو عنهم.

﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ أي: تبعدون بالهزيمة في الوادي، ولا تلتفتون إلىٰ رسول الله ولا تعرجون إليه ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: من خلفكم يقول: إليَّ أنا رسول الله.

﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾ أي: جازاكم بحزن بعد حزن كنتم فيه، الغم الأول على فوات الفتح والغنيمة والقتل، والغم في أخراكم على إشراف خالد بن الوليد عليهم من الجبل فأفزعهم عيانه حتى نسوا ما كانوا فيه من الغم.

﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ﴾ من الجراحة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣﴾ من خير أو شر، جاء على الوعيد.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ﴾ أمّنكم بها ﴿نُّعَاسٗا﴾ أي تنامون معه، نصب على البدل من أمنة، قيل: جعل الله لهم مكان ذلك الغم نوم السُبات فأمنوا ﴿يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ يعني أهل الصدق واليقين حتى صارت رقابهم إلى صدورهم من النُعاس ﴿وَطَآئِفَةٞ﴾ وهم المنافقون ﴿قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ لم يغشهم النعاس ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي ظن الباطل ألا ينصر محمدا ﴿ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ كظن جُهَّال المشركين ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾ أي: ليس لمحمد من النصر شيء ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ يا محمد قل لهم: النصرة والدولة كله لله ﴿يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ﴾ أي يضمرون في قلوبهم من الكفر والعداوة ما لا يظهرون لك ﴿يَقُولُونَ﴾ فيما بينهم ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ أي لو كان لمحمد من النُصرة والدولة نصيبًا لما قتل أصحابنا ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ﴾(١) أي خرج الذين قدر عليهم القتال ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ مصارعهم ومقتلهم ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ أي ليختبر ويظهر ما في قلوبكم لرسوله ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ ليبين لنبيه ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ من النفاق ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ أي: ما فيها من الخير والشر.

---

(١) ضبطها في الأصل: القتال، وهي قراءة شاذة نسبت لقتادة والزهري، وليست من العشرة (الكشف والبيان ٩/ ٣٤٦).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ﴾ أي: انهزموا من المخلصين والمنافقين ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ عسكر محمد وعسكر أبي سفيان ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: طلب زلتهم وخطيئتهم ﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾ أي: بتركهم المركز[1] ﴿وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ﴾ أي: تجاوز عنهم بلا عقوبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب المؤمنين ﴿حَلِيمٞ ١٥٥﴾ لا يعجل بعقوبتهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لا تكونوا كعبد الله بن أبي وأصحابه وهم الكافرون[2] ﴿وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ من المنافقين ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ سافروا للتجارة ﴿أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى﴾ -جمع غازي فُعَّل- فقتل في غزوة ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا﴾ بالمدينة ﴿مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾ حزنًا وندامة، قيل هي لام القسم[3] ﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ﴾ أي: يحيي في السفر ويميت في الحضر ولا ينفع الهرب من حكمه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بأعمالكم وأقوالكم [﴿بَصِيرٞ ١٥٦﴾].

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طريق الغزو ﴿أَوۡ مُتُّمۡ﴾ في إقامتكم وأنتم مخلصون ﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحۡمَةٌ﴾ من عذابه ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧﴾ من الدنيا.

﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ﴾ علىٰ فراشكم ﴿أَوۡ قُتِلۡتُمۡ﴾ في سبيل الله ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨﴾ أي: محشركم إلىٰ ربكم في الحالين، الأولىٰ لام القسم، والثانية لام الجواب[4].

---

(١) وهو قول عامة المفسرين (الكشف والبيان ٩/ ٣٤٧).

(٢) علىٰ هذا فالذين كفروا عام أريد به خصوص المنافقين، عبد الله وأصحابه، انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٣١، الكشف والبيان ٩/ ٣٤٩.

(٣) وقيل إنها لام العاقبة، كما في الكشاف ١/ ٤٣٠، التبيان ١/ ٣٠٤.

(٤) التبيان ١/ ٣٠٥.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ «ما» هاهنا صلة[١]، يقول: فبعطف وتحنُّن من الله حيث جعلك عاطفًا رءوفًا علىٰ أمتك لنت لهم جانبك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ جافيًا باللسان ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ قاسيًا ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرقوا من قُربك ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: تجاوز عنهم ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ عن صنيعهم يوم أُحُد ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ قيل: في أمر القتال، وقيل: في جميع أمر لم ينزل به وحي، وإنما قال تطييبًا لقلوبهم وليستنوا بسُنته.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: فوِّض أمرك إلىٰ الله واتكل علىٰ ما اختار لك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ المفوضين أمرهم إلىٰ ربهم.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ أي: يظفركم علىٰ عدوكم، ولا غالب لكم كيوم بدر ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ يترككم فلا ينصركم -كيوم أُحُد مع مدد خمسة آلاف من الملائكة- ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد خذلانه[٢] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٦٠﴾ التوكُّل: تفويض الأمر إلىٰ الله لا بالأسباب والمال.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ أي: ليس لمحمد أن يخون في الغنيمة، ومن قرأ: «يُغَل» أي: لا ينبغي له أن يُخان أو ينسب إليه الخيانة[٣].

---

(١) وقال الأخفش وغيره: تجوز أن تكون نكرة بمعنىٰ شيء، ورحمة بدل منه. التبيان ١/ ٣٠٥.

(٢) وعلىٰ هذا إطباق المفسرين، انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٤٧، وقال الزمخشري (في الكشاف ١/ ٤٣٢): من بعد خذلانه، أو هو من قولك: ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين: يَغُل، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين: يُغَل، (النشر ٢/ ٢٤٣) والناسخ أثبت القراءة الأولىٰ، لأنه يضبط النص في الغالب علىٰ قراءة أبي عمرو.

وأصل الغل: الحقد، قيل: سبب النزول أنهم فقدوا قطيفة حمراء يوم بدر، فقال بعضهم: لعل رسول الله أخذها[١].

وقيل: إن الرماة تركوا المركز يوم أُحُد لأنهم ظنوا أن رسول الله لا يعطيهم من الغنيمة[٢].

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يأتي به حاملاً على عنقه أو ظهره[٣] ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ برة أو فاجرة ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: عملت في الدنيا من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم.

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير ٧/ ٣٤٨، والترمذي في السنن (٣٠٠٩) من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف.

(٢) وهذا قول مقاتل كما في تفسيره ١/ ٣١٠، والكلبي كما في الكشف والبيان ٩/ ٣٨٧.
وقد روى ابن جرير معناه عن بعض التابعين ولكن ليس في قصة المركز، والله أعلم.

(٣) في صحيح البخاري (٣٠٧٣) وصحيح مسلم (١٨٣١): عن أبي هريرة، قال: «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، ثم قال: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك».

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ استفهام بمعنىٰ التقرير؛ أفمن عمل في مرضات الله ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: وجب عليه سخط الله أي بالغلول[1]، وانصرف إلىٰ مأواه وهو مسخوط عليه ﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ﴾ أي: مصيرهم ومرجعهم إلىٰ جهنم ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢﴾ المرجع.

﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: ذَوو درجات عند الله رفيعة، والكافرون ذَوو درجات خسيسة، كما يقال: صوم وعدل أي ذوو عدل وصوم[2] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣﴾ من الغلول وغيره.

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا﴾ حين أرسل إليهم رسولاً ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ من العرب، وقيل: آدمي مثلهم ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يقرأ عليهم القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ بأخذ الزكاة من أموالهم، وقيل: يطهرهم ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: القرآن ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي: الحلال والحرام والأمر والنهي ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ﴾ أن يبعث الله محمدًا رسولاً ﴿لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ لفي خطأ ظاهر.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم﴾ وقيل: إن أصابتكم[3] ﴿مُّصِيبَةٞ﴾ واو عطف دخل عليها ألف الاستفهام بمعنىٰ الإنكار، كأنه قال: وعصيتم وانهزمتم لمَّا أصابتكم،

---

(١) في الأصل: بالقلب، وهو تصحيف.

(٢) انظر: الكشاف ١/ ٤٣٥، والتبيان ١/ ٣٠٧.

والضمير في هم عائد علىٰ ما سبق في الآية السابقة، أي: أنّ من اتبع رضوان الله ومن باء بسخَط من الله، مختلفو المنازل عند الله. فلمن اتبع رضوان الله، الكرامةُ والثواب الجزيل، ولمن باء بسخط من الله، المهانةُ والعقاب الأليم (تفسير الطبري ٧/ ٣٦٧، الكشف والبيان ٩/ ٣٩٧، البسيط ٦/ ١٤٢).

(٣) كذا في الأصل، وهو خطأ من الناسخ، كأن الصواب: أقلتم إن أصابتكم، كذا في الكشاف ١/ ٤٣٦.

وقيل: إن أصابتكم مصيبة أي نكبة وهزيمة يوم أُحُد بقتل وجراح فلا تهنوا لذلك فـ ﴿قَدْ أَصَبْتُم﴾ من أهل مكة يوم بدر ﴿مِّثْلَيْهَا﴾ أي: مثلي ما أصابوا منكم يوم أُحُد ﴿قُلْتُمْ﴾ فيما بينكم -بعد المحنة- ﴿أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾ من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون، وقد وعدنا الله بالنُصرة ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ بمخالفتكم الرسول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ من النصر وغيره.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من الهزيمة والقتل ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ بأُحُد ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعلمه ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ ويظهر نفاق المنافقين وجُبنهم وقلة صبرهم ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: إن عبد الله ابن أبي رجع يوم أُحُد مع أصحابه قبل الحرب، فقيل لهم: أنشدكم بالله في نبيكم ودينكم قاتلوا في دين الله[1] ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ العدو عن حرمكم، فـ ﴿قَالُوا۟﴾ والله لا يكون ثَمَّ قتال، لو علمنا أنَّ ثمَّ قتالاً ﴿لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ أطعناكم، قال الله تعالىٰ: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي: ميلهم إلىٰ الكفار أكثر من ميلهم إلىٰ المؤمنين ﴿يَقُولُونَ [بِأَفْوَٰهِهِم]﴾ بألسنتهم ﴿مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ تصديقه ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ من النفاق والبُغض للمؤمنين.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ من المنافقين ﴿وَقَعَدُوا۟﴾ أي: هم قد قعدوا ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في الجلوس ﴿مَا قُتِلُوا۟﴾ يعني أصحاب رسول الله ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ حتىٰ لا تموتوا في منازلكم.

---

(١) وهذا الخبر في سيرة ابن إسحاق، وقد رواه الطبري في التفسير ٧/ ٣٩٧ من طريقه، وقيل إن الذي قال لهم ذلك وذكره بالله هو عبد الله بن حرام أبو جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ كانوا يقولون لمن يستشهد ببدر وأُحُد: مات فلان وفلان، فأنزل الله تعالىٰ: لا تظنن يا محمد الذين قتلوا في طاعة الله أمواتًا كأمواتكم(١).

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ في الجنة ﴿[عِندَ رَبِّهِمْ] يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ التحف.

﴿فَرِحِينَ﴾ أي: في حال سرورهم ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: بما رزقهم الله من الشهادة، أي: أرواحهم في الجنة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: بإخوانهم المؤمنين الذين يقبلون علىٰ

---

(١) ذكره السمعاني في التفسير ١/ ٣٧٨، وهو قول الكلبي فيما يظهر، ولذا لم يذكره ابن جرير.
وقال الواحدي: أكثر المفسرين أن الآية نزلت في شهداء أحد (البسيط ٦/ ١٦٦).
يدل عليه حديث ابن عباس: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلىٰ قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات علىٰ رسوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾، رواه أحمد (٢٣٨٩) وأبو داود (٢٥٢٠) وفيه ابن إسحاق وأبو الزبير مدلسان لم أقف علىٰ تصريحهما بالسماع.
وفي صحيح مسلم (١٨٨٧) عن مسروق، قال: «سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة»، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتىٰ نقتل في سبيلك مرة أخرىٰ، فلما رأىٰ أن ليس لهم حاجة تركوا»، وأخرجه ابن جرير من طرق، لم أر فيها تصريحه بأنها في شهداء أحد، إلا في رواية ابن إسحاق عن الأعمش، ولم يصرح بالسماع، والله أعلم.

الغزو حتىٰ يلحقوا بهم ويستبشرون ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ من الموت.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بكرامة من الله ومنٍّ منه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ أي: ثواب المجاهدين في سبيله، ثم نعتهم فقال:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: أجابوا وأطاعوا في الخروج إلىٰ بدر الصغرىٰ، وقد واعد أبو سفيان رسول الله يوم أُحُد إلىٰ بدر الصغرىٰ، وأجابه رسول الله، فلما مضت المدة ندم أبو سفيان علىٰ تلك المواعدة خوفًا، وخاف بعض أصحاب رسول الله مما رأوا في قتال أُحُد، فقال رسول الله: «والله لأخرجن إليهم وإن لم يخرج معي أحد» فمضىٰ رسول الله ومعه سبعون نفرًا، حتىٰ وافىٰ بدرًا الصغرىٰ، فلم يخرج أحد من أهل مكة، فأنزل الله فيمن خرج مع رسول الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بأُحُد ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا﴾ سخط الله في المخالفة ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ في الجنة[1].

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ وهم نُعيم بن مسعود خوَّف أصحاب رسول الله بجموع أبي سفيان بمكة، وقد كذب[2].

---

(١) وهي وقعة حمراء الأسد، والخبر في ذلك رواه ابن إسحاق في السيرة، كما في سيرة ابن هشام ٣/ ١٠١، وابن جرير الطبري في التفسير ٧/ ٣٩٩، والثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٤٣٤.
مضىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ حمراء الأسد علىٰ ثمانية أميال من المدينة، يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، فمكث ثلاثا، الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع المدينة.

(٢) قال ابن جرير: «والناس الأوّل، هم قوم -فيما ذكر لنا- كان أبو سفيان سألهم أن يثبّطوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد إلىٰ حمراء الأسد، والناس الثاني، هم أبو سفيان وأصحابه من قريش، الذين كانوا معه بأحد.».

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ بمقالة نُعيم وجرأة علىٰ ما كانوا عليه من قبل ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: كافينا الله وثقتنا بالله ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ الحافظ والناصر.

﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ من بدر الصغرىٰ يعني: بنصر من الله أو ربح في التجارة الذي ربحوا في سوق بدر(١).

﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ أي: قتل وجراحة ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: طلبوا رضا الله بخروجهم مع نبيهم واثقين بالله ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ علىٰ من توكل عليه.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: الذي خوفكم بأبي سفيان وأصحابه هو الشيطان، والشيطان عند العرب كل متمرد عاتٍ، يخوفكم بأوليائه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ أي: لا تخافوا من أولياء الشيطان بترك الخروج ﴿وَخَافُونِ﴾ بالقعود منهم ﴿إِن كُنتُم [مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾]﴾ مصدقين بوعدي إياكم.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي: لا يحزنك يا محمد مبادرة الذين يبادرون في الكفر، نزلت في قوم من العرب ارتدوا عن الإسلام(٢) ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ أي: لم ينقصوه شيئًا بمسارعتهم في الكُفر، خرج الكلام مخرج

مضىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ حمراء الأسد علىٰ ثمانية أميال من المدينة، يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، فمكث ثلاثا، الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع المدينة.

(١) قيل: النعمة العافية، والفضل: التجارة، والسوء: القتل. تفسير الطبري ٧/ ٤١٥.

(٢) قال الضحاك: كفار قريش، وقال مجاهد: في المنافقين (تفسير الطبري ٧/ ٤١٨، الكشف والبيان ٩/ ٤٧٥).

النهي أي: لا تحزن إنما ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: لا يعطيهم نصيبًا في الجنة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ فظيع شديد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: اختاروا الكفر على الإيمان ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ مؤلم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: جحدوا وحدانية الله من اليهود والنصارى ﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: إملاؤنا وإمهالنا إياهم خير ﴿لِّأَنفُسِهِمْ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ أي: نمهلهم ليزدادوا معصية في الدنيا ودركات في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: لا يترك الله من كان في سابق علمه أنه يؤمن(١) على ما أنتم عليه من الكفر والنفاق ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ الكافر من المؤمن ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ على سره لتعلموا من يؤمن ومن لا يؤمن ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يصطفي لرسالته من يشاء كما اصطفى محمدًا صلى الله عليه وسلم فيطلعه على بعض غيبه ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي: صدقوا له فيما يوحي إليكم ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ فيما يؤدي عنه إليكم ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟﴾ بالله ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ فلا تعصوه ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ ثواب جزيل في الجنة.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾(٢) أي: لا تظنن يا محمد الذين يبخلون بما آتاهم الله: أعطاهم الله من فضله أي رِزْقه ﴿هُوَ خَيْرًا

---

(١) في الأصل: ا يومن.

(٢) في الأصل: تحسبن، بالتاء، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة حمزة، وقرأ الباقون بالياء، والخلاف في الحرف السابق مثل هذا الحرف، وقد ثبت في الأصل بالتاء كذلك (النشر ٢/ ٢٤٤).

﴿لَّهُمۡۖ﴾ أي: البخل خيرًا، فصل بين الاسم والخير ﴿بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ أي: يجعل الله ما بخلوا من المال طوقًا من النار في أعناقهم يوم القيامة، وقيل: يجعله الله ثعبانًا في عنقه ينهشه أبدًا، وقيل: يأتي حاملاً كنزه علىٰ عنقه ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: يميت الخلائق ويرث ملكهم بملكه الذي لا يزول ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الحق والباطل والبخل والسخاء ﴿خَبِيرٞ ١٨٠﴾ يجزيكم بها.

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ[وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ]﴾ نزلت في فنحاص اليهودي، دعاه أبو بكر إلىٰ الإسلام فقال: لا حاجة بنا إلىٰ الله ونحن أغنياء وهو إلينا محتاج لأنه يستفرضنا أموالنا علىٰ زعم صاحبكم، فغضب أبو بكر وضربه علىٰ وجهه ضربًا شديدًا، فجاء يشكو إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأبو بكر ذكر قصته، فجحد ونزلت الآية: لقد سمع الله قول فنخاص اللعين حين قال: إن الله فقير يطلب منَّا القرض(١).

﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ أي: سنحفظ عليهم مقالتهم الكفر في الدنيا ﴿وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ بلا جرم كان منهم ﴿وَنَقُولُ﴾ لهم في الآخرة ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١﴾ وهي النار.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني هذا العذاب لكم ﴿بِمَا [قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ]﴾ سلف من كفركم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢﴾ أن يعذبهم بغير جُرم.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾ أي: يأتينا بنار تأكل قرابيننا، كما كان في عهد بني

---

(١) روي عن ابن عباس من طريق محمد بن أبي محمد، كما في تفسير الطبري ٧/ ٤٤١، وهو قول السدي ومجاهد، وعامة المفسرين، وقيل إن اليهودي القائل مقالة السوء هو حيي بن أحطب (الكشف والبيان ٩/ ٥٠٥).

إسرائيل، قال ذلك كعب بن الأشرف وغيره[١] ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ انفلاق البحر وإغراق فرعون، وعيسىٰ بإحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه[٢] والأبرص ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ أي: قد جاء البعض بالذي سألتم من أمر القربان ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ في دعواكم من العهد.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: لست بأول من كذَّبه قومه ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ العلامات الواضحات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ والكُتب، وقيل بأحاديث الأنبياء ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ بالحلال والحرام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: كل نفس مؤمنة أو كافرة من أهل السماء والأرض سيذوق الموت وغصصه ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: مجازات أعمالكم بتمامها ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ نُجّي وعُزِل وأُبْعِدَ بالتوحيد لله من النار ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ وسعد ونجا من النار ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ أي: ليس نعيم الدنيا إلا كمتاع البيت، مثل القصعة والسكرجة والزجاج يسرع الكسر ولا يقبل الجبر.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ أي: لتختبرنَّ يا محمد بذهاب أموالكم ومرض أجسادكم ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ [مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟]﴾ من أهل الكتاب والمشركين من أهل مكة ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ أذىٰ اليهود قولهم عزير ابن الله، وأذىٰ النصارىٰ قولهم المسيح ابن الله، وأذىٰ العرب قولهم الملائكة بنات الله ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ علىٰ سماع الأذىٰ ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الصبر علىٰ الأذىٰ

---

(١) سماهم الكلبي في تفسيره، انظر: الكشف والبيان ٩/ ٥١٠.

(٢) في الأصل: الأبكم، وهو سبق قلم من الناسخ.

﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ أي: من حزم الأمور، وقيل من حُسن الأمور، والعزم على الأمر إمضاؤه، والحزم ضبطه.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ من اليهود ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ أي: نعت محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ﴾[1] أي: تركوا العمل به ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ اختاروا على كتمانه عرضًا يسيرًا ﴿فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ أي: يختارون لأنفسهم الفانية على الباقية.

﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾[2] أي: يعجبون بعملهم الكفر والمعاصي، وقيل: بما غيروا من صفة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ وهو أن يقال فيهم الخير والصوم والصلاة ولم يفعلوا ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ﴾ أي: منجاة وبُعدٍ ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ واتصال الآية بما قبلها[3]: كيف يطلبون محمدة الخلق وملك السماوات والأرض [لله] فعليهم أن يحمدوه، ولله خزائن السماوات والأرض بالمطر والنبات ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩﴾ أي: قادر على [كل] شيء.

ثم بيَّن عجائب قدرته: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وما بينهما من النجوم والشمس والقمر والبحور والنبات والشجر ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في

---

(١) في الأصل: كتب الفعلين بالياء: ليبيننه، يكتمونه، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ الباقون بالتاء (النشر ٢/ ٢٤٦).

(٢) في الأصل: يحسبن بالياء، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالتاء (النشر ٢/ ٢٤٦). وكذا كتب الحرف الأتي: يحسبنهم بالياء، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي مناسبة الآية لما قبلها، يعبر عن التناسب بالاتصال.

ذهابهما ومجيئهما ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾ أي: علامات لذوي العقول.

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ أراد به أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم يُصلُّون لله ﴿قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ إن لم يستطيعون القيام، وعلىٰ جنوبهم إن لم يستطيعوا القعود، وقيل يراد به الذكر في الأحوال في غير الصلاة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ما كان فيهما من الآيات والعبر ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا﴾ أي: قائلين ربنا لم تخلقهما وما فيهما من الآيات جزافًا، يعني أمر ونهي ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك من الشريك والولد ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ أي: نجنا منها.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ أهنته وأذللته ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ للمشركين ﴿مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢﴾ ولم يقل ناصرًا لاستواء الفواصل[1].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ يدعوا الخلق إلىٰ التوحيد، قيل: هو القرآن، وقيل: هو النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿[أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ] فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا﴾ أي: صدَّقنا بتوحيدك ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الكبائر وغير الكبائر ﴿وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ تجاوز عن شركنا ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ اقبض أرواحنا مع الأنبياء والصالحين.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: علىٰ ألسنة رسلك ﴿وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ أي: لا تخذلنا في عذاب النار ولا تذلنا، والخزي: الذل.

﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ لأن وعدك حق لا خلف له، وإنك صادق الوعد.

---

(١) أي أواخر الآيات.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أجاب واستجاب بمعنىٰ واحد ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ﴾ أي: لا أبطل ﴿عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ أي: ثوابه ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ رجل أو امرأة ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ قيل: بعضكم أولاد بعض، وقيل: بعضكم أولياء بعض في الدين وكلكم مؤمنون ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ من مكة إلىٰ المدينة ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ من مكة إلىٰ المدينة ﴿وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾ عُذِّبُوا بسبب ديني ﴿وَقَٰتَلُوا۟﴾ العدو في طاعتي ﴿وَقُتِلُوا۟﴾ في الجهاد ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي: ذنوبهم ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا﴾ مكافأة وجزاء لتوحيدهم ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ أي: حُسن المنقلب والمرجع.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ لا يحزنْك ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ذهاب المشركين ومجيئهم ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ للتجارات.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: هي منفعة يسيرة في الدنيا ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ﴾ ومصيرهم إلىٰ ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ الفراش.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ الشرك والمعصية ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: ثوابًا وجزاءً، وقيل: رزقًا، نصب علىٰ التفسير[1].

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الكرامة ﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ من الدنيا وما فيها.

قال الكلبي: الأبرار الذين لا يؤذون الذر[2]، وقيل هم الصالحون.

---

(١) وهو قول الفراء كما في معاني القرآن ١/ ٢٥١، وقيل غير ذلك، انظر: التبيان ١/ ٣٢٣.

(٢) في الأصل: لا يؤذون الله، وهو تصحيف لا معنىٰ له، والصواب ما أثبت، فقد رواه الطبري عن الحسن البصري (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٩٠) وقال: والأبرار: جمع برٍّ، وهم الذين برُّوا

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ أي: من جملتهم -مثل عبد الله بن سلام- لمن يؤمن بالله ووحدانيته ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من التوراة ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ أي: خاضعين له، نصب على الحال ﴿لَا يَشْتَرُونَ﴾ بكتمان نعت النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضًا يسيرًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٩٩﴾ والمجازاة، قيل: نزلت في النجاشي وأصحابه[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ على أداء الفرائض واجتناب المحارم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أعداء الله أي: جاهدوهم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ في سبيل الله، وقيل: ورابطوا بانتظار الصلاة بعد الصلاة، والرباط: الإقامة في الثغر لقتال العدو ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: تجنبوا الانبساط معي ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠﴾ غدًا برؤيتي ولقائي، وقيل: لكي تسلموا من أعمال تبطل طاعاتكم.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانًا على الصراط»[2].

وبالله التوفيق وعليه الهُدى.

الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. وقد كان الحسن يقول: هم الذين لا يؤذون شيئًا حتى الذَّر (انظر: الكشف والبيان ٢٨/ ٢٠٤).

(١) قيل نزولها في النجاشي لما مات وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل في أناس من النصارى من نجران ومن الروم، وقيل: في عبد الله بن سلام، ويجمع هذه الأقوال كلها قول مجاهد: نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم (الكشف والبيان ٩/ ٥٨٧).

(٢) حديث موضوع، سبق التنبيه عليه، وقد رواه الثعلبي ٨/ ١٠، والمستغفري في فضائل القرآن(١١٧٠).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النساء

مدنية، وهي مائة وخمس وسبعون آية[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ عامٌ يعني به جميع العالم: وحِّدوا ربكم وأطيعوه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء، خُلِقَتْ من ضلعه الأيسر ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: نشر ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اخشوه وأطيعوه ﴿ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ أي: تطلبون حقوقكم بعضكم من بعض، يقول الرجل: نشدتُك بالله وسألتُك بالله ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ لا تقطعوها[٢].

وفي قراءة حمزة «والأرحامِ» بالكسر أي: بحق الرحم، يعني: تساءلون بالله الحقوق وبحق الرحم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ①﴾ حافظًا لأعمالكم.

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ من مواريث آبائهم التي هي وديعة عندكم بعد بلوغهم، يخاطب الأولياء والأوصياء، سمَّاهم يتامىٰ علىٰ استصحاب الحال.

---

(١) لا خلاف في أنها مدنية، انظر: الكشف والبيان ١٠/ ٧، البيان في عد آي القرآن ١٤٦، وهي ١٧٥ آية في المدني والمكي والبصري، و ١٧٦ في الكوفي، ١٧٧ في الشامي.

(٢) قرأ حمزة: والأرحامِ بالخفض عطفا علىٰ الضمير في «به»، وهذا الذي منعه البصريون وأجازه الكوفيون، وقيل الجر علىٰ القسم. وقرأ الباقون: والأرحام نصبا، وفيها وجهان: الأول: معطوف علىٰ اسم الله؛ أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. والثاني: هو محمول علىٰ موضع الجار والمجرور، كما تقول مررت بزيد وعمرا؛ والتقدير: الذي تعظمونه والأرحام؛ لأن الحلف به تعظيم له (انظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٢٧).

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ الخبيث: الحرام، والطيب: الحلال، أي لا تستبدلوا مالكم بمالهم ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ أي: ذنبًا عظيمًا، والحوب: الإثم.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قيل: إنهم كانوا يتحرجون عن أمر اليتامىٰ بعد نزول قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية، كانوا لا يخالطونهم في شيء ولا يتولَّون أمرهم[1].

وكانوا يتزوجون من النساء كثيرًا حتىٰ إن الرجل كان عنده عشرة من النساء فنزلت الآية[2].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾ أي: ألاَّ تعدلوا في اليتامىٰ فلذلك خافوا في أمر النساء لأنهن عندكم كالأيتام ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم﴾ أي: حلَّ لكم ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ فما وراءهن حرام ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ أي: لا تستطيعوا

---

(١) ذكره في الكشف والبيان ١٠/ ٢٥.

(٢) وهو مروي عن ابن عباس من طريق طاوس، والعوفي، وعلي بن أبي طلحة، ومروي عن عكرمة، كما في تفسير الطبري ٧/ ٥٣٥، والكشف والبيان ١٠/ ٢٤.

وفي صحيح البخاري (٢٧٦٣) عروة بن الزبير، يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قالت: هي اليتيمة في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن يتزوجها بأدنىٰ من سنة نسائها، فنهوا عن نكاحهن، إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء، قالت عائشة: ثم استفتىٰ الناس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [سورة النساء:١٢٧]، قالت: فبين الله في هذه الآية: أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال، ومال رغبوا في نكاحها، ولم يلحقوها بسنتها بإكمال الصداق، فإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء«، قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها الأوفىٰ من الصداق ويعطوها حقها

العدل بين الأربعة والثلاثة والثنتين ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ أي: تزوجوا امرأة واحدة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أو اكتفوا بالإماء ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣﴾ أي: تزوج الواحدة أحرىٰ وأقرب ألا تجوروا، وقيل معناه: ذلك أقرب ألا تعولوا جماعة من النساء أي: تموِّنُوهن وتقومون بحوائجهن فتفتقروا، وقيل: تعولوا أي تكثر عيالكم، يقال: عال الرجل إذا كثر عِياله.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ مهورهن عطية، وقيل: فريضة، وكانوا في الجاهلية يأخذون المهر من الزوج ولا يعطونها المرأة، ولكن يأكلون فقال: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ يقول: إن أحللن لكم من المهر شيئًا بطيبة النفس، نصب على التمييز[1] ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ أي: حلالاً.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ قيل: أراد به الأيتام، أي: لا تؤتوهم أموالهم قبل رشدهم، وقيل: لا تؤتوا أموالكم النساء والصبيان، سميت المرأة سفيهة لضعف عقلها؛ وكذلك الصبيان قبل الرشد ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ أي: قوامًا[2]، وقيل: يقيمكم فتقومون بها قيامًا لمعاشكم ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ منها أطعموهم منها ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾ أي: علِّموهم أمر دينهم، وقيل أراد عِدَةً جميلة.

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أي: اختبروا عقولهم في حال يتمهم وجرِّبوهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ كناية عن إتيان النساء؛ عن البلوغ ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ أي: رأيتم منهم صلاحًا في دينهم، وحفظًا لمالهم، وآنستم: أي أبصرتم وعلمتم ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ بعد البلوغ ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾ في المعصية ﴿وَبِدَارًا﴾ مسارعة مخافة أن يكبروا ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ فليكف، معناه: عن مال

---

(١) يريد: نفسًا، انظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٢٩.

(٢) القوام: ملاك الأمر وما يقوم به (الكشف والبيان ١٠/ ٦٦).

اليتيم ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا﴾ أي: محتاجًا إلىٰ مال اليتيم وهو في عونه ﴿فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالتقدير[١].

وقيل: فليأكل بالقرض ليرده عليه بعد البلوغ[٢]، وقيل: أن يضع يده مع يد اليتيم في طعامه.

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ بعد البلوغ ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ بما أنفقتم وبما بقي منه، هذا أمر ندب[٣].

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ علىٰ الأولياء والأوصياء ﴿حَسِيبًا ۝٦﴾ مجازيًا بما صنعوا.

ثم قال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ [مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ]﴾ وكان أهل الجاهلية لا يعطون النساء من الميراث شيئًا ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ في قليل المال وكثيره ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ حظًا واجبًا.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ أي: قسمة الميراث ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: ذو القرابة في الرحم ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ الفقراء والسُّؤَّال ﴿فَٱرْزُقُوهُم﴾ وأعطوهم ﴿مِّنْهُ﴾ شيئًا ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾ يقول الوصي: لولا في المال قلة وفي

---

(١) هذا تفسير الكلبي، وقال: لكي لا يحتاج إلىٰ مال غيره (تنوير المقباس ٦٥) وهذا نقل عن غيره، والمراد أن يأكل منها بقدر ما يقوم علىٰ شأنها (الكشف والبيان ١٠/ ٨٧، تفسير أبي الليث ١/ ٢٨٢).

(٢) وهذا هو الأرجح عند شيخ المفسرين ابن جرير (تفسير الطبري ٧/ ٥٩٤).

(٣) مثله في الكشف والبيان ١٠/ ٩٠. وقال القرطبي (في الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤٤): «هذا الإشهاد مستحب عند طائفة من العلماء، فإن القول قول الوصي، لأنه أمين.
وقالت طائفة: هو فرض، وهو ظاهر الآية، وليس بأمين فيقبل قوله، كالوكيل إذا زعم أنه قد رد ما دفع إليه أو المودع، وإنما هو أمين للأب، ومتىٰ ائتمنه الأب لا يقبل قوله علىٰ غير؛ ألا ترىٰ أن الوكيل لو ادعىٰ أنه قد دفع لزيد ما أمره به بعدالته لم يقبل قوله إلا ببينة، فكذلك الوصي».

الورثة صغار لزدناكم، قيل: إن هذه الآية منسوخة، وغير منسوخة في قول البعض[١].

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ قيل: أراد به الموصي؛ يعني إذا خاف علىٰ أولاده الضياع بعده فليتق الله ولا يوصي بماله لغير أولاده، قيل: أراد به الوصي؛ لو خاف علىٰ أولاده الضياع والضعف فليحسن إلىٰ ورثة من هو وصيه، وقيل: أراد به من حضر عند الوصية؛ فلا يأمر الموصي بالحيف في الوصية، وينبغي أن يأمره بالعدل في الوصية[٢]، وقيل: الثلث حيف، والربع جهد بالورثة، والخُمس عدل، وهذا قول الخلفاء الأربعة[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ أي: غصبًا ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي: من الحرام ما يكون في بطونهم يوم القيامة نارًا حتىٰ يخرج لهب النار من فِيه ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ أي: يدخلون نارًا.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أي: للابن مثل نصيب الابنتين ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ أي: بنات، اثنتان فما فوقهما ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الوالد، والباقي للعصبة ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ البنت ﴿وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ يعني أبوي الميت ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ الميتُ من الميراث ﴿إِن كَانَ [لَهُۥ]﴾ للميت ﴿وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكر ولا أنثىٰ ﴿وَوَرِثَهُۥٓ

---

(١) المراد من أنها منسوخة: أي لا يعطي من المال شيئا لغير وارثه، انظر بيان ذلك في تفسير الطبري ٧/ ٩، الكشف والبيان ١٠/ ٩٣، واختار ابن جرير أنها محكمة غير منسوخة، وقال: «إنما عنىٰ بها الوصية لأولي قربىٰ الموصي، وعنىٰ باليتامىٰ والمساكين: أن يقال لهم قول معروف» (تفسير الطبري ٧/ ١٢).

(٢) نسبه الواحدي لأكثر المفسرين ٦/ ٣٤٦.

(٣) نسبه الزمخشري للصحابة، انظر: الكشاف ١/ ٤٧٨.

﴿أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾ وما بقي للأب ﴿فَإِن كَانَ [لَهُۥٓ]﴾ للميت ﴿إِخۡوَةٌ﴾ أو أختان أو أخ وأخت أو أخوات ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾ يحجبون الأم عن الثلث، ولا يرثون، والباقي للأب ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ أي: يرثون بعد قضاء الدين وإنفاذ الوصية ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾ أي: بعضكم آباء وبعضكم أبناء ﴿لَا تَدۡرُونَ﴾ حياة ﴿أَيُّهُمۡ﴾ أو موته ﴿أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ في الدنيا أم في الآخرة؛ لأن الأب ينفع الابن بالانفاق والتأديب والحفظ عن الهلكة، ولو مات الأب يرث الابن ماله، وفي الآخرة: إن كان الوالد أرفع درجة من الولد يُلْحِق الله الولد به، وإن كان الولد أرفع درجة يُلحق الله الوالد به، فلا تدرون أي هذه المنافع أقرب إليكم.

﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ نصب علىٰ المصدر أو الحال[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١١﴾ أي: لم يزل عالمًا مَن يرث ومَن لا يرث.

﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ أي: نسائكم ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ﴾ إنفاذ الوصية التي يوصين ﴿بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ﴾ كان عليهن ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ﴾ أي: للنساء الربع ﴿مِمَّا تَرَكۡتُمۡ﴾ من المال ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ﴾ منها ولا من غيرها ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ [مِمَّا تَرَكۡتُمۚ]﴾ من التركة ﴿مِّنۢ بَعۡدِ﴾ إنفاذ ﴿وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾ كان عليكم.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ ما خلا الوالد والولد، سميت كلالة لأنه يتكلل به النسب من الجانبين، والكلالة: مشتقة من الإكليل،

---

(١) وقيل: مصدر منصوب لفعل محذوف من لفظها، أي: فرض الله ذلك فريضة، التبيان ١/ ٣٣٥، الدر المصون ٣/ ٦٠٦.

والإكليل ما ستر جانبي الرأس، وفي الآية تقديم وتأخير معناه: إن كان الكلالة رجل ﴿أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ﴾ أي: للكلالة ﴿أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾ من أمه ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي: كانوا إخوة وأخوات ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ في تركة الكلالة، الذكر والأنثىٰ سواء، لأنه ذكر الشركة وما بقي للعصبة ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ كان عليه ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي: يوصي وصية غير مضار للورثة، وقوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي: هذا الأمر مِن الله تعالىٰ لكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ فيما بيَّن، وفيما يعدلون ويجورون ﴿حَلِيمٞ ١٢﴾ لا يعجل بالعقوبة عليهم.

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ وفرائضه وأحكامه: ما أمركم به من القسمة ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما بيَّن من الوصية والقسمة ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ النجاة الوافرة[1].

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ[وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ]﴾ تجاوز فرائضه فيما أوجب للورثة، ولا يعدل ﴿يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ يهان صاحبه وقد ذكرنا تفسير هذا الخلود في سورة البقرة.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ الفاحشة: الزنا، أي من تزني من نسائكم المحصنات ﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ[مِّنكُمۡۖ]﴾ من الشهود الأحرار البالغين العدول المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ علىٰ العورتين كما ينبغي ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ أي: في السجون ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ

---

(١) تصحفت في الأصل: الوافي، وهذه كلمة تتكرة عنده، وهي عبارة الكلبي في تفسيره.

﴿ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥﴾ أي: مخرجًا وحكمًا[١]، قيل: نسخت هذه الآية آيةُ الرجم، وقيل: نسختها الآية التي بعدها:

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ واللذان أي: الرجل والمرأة، يأتيانها منكم أي يزنيان، والزنا يرجع إلىٰ الفاحشة، أي يأتيان الفاحشة ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ أي: عيِّروهما باللسان بالملامة والشتم؛ يا زاني أو يا زانية أفٍّ لك أما استحيت إذ زنيت[٢] ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ العمل واستقاما علىٰ التوبة ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ لا تعيروهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝١٦﴾ بالرحمة علىٰ من تاب من الذنب، رحيمًا بهم حين رخَّص لهم بالتوبة.

قيل: نسخ التعبير والسب والأذىٰ للأبكار بقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟﴾ الآية.

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ﴾ معناه: أن الله تعالىٰ أوجب الرحمة علىٰ نفسه للذين يعملون المعاصي بجهالة؛ ثم يرجعون عن ذلك ندامةً، قيل: إن كل معصية لله، عن قتادة[٣]، وقيل: فعل كفعل الجاهل الذي لا يعلم ما عليه من القدر.

قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ أي قبل نزول سلطان الموت به، وقيل: قبل

---

(١) وقد جعل الله لهن مخرجا، ففي صحيح مسلم (١٦٩٠) عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة، والرجم».

(٢) الكشف والبيان ١٠/ ١٢٧.

(٣) يعني عمدا كان أو غيره، قال أبو العالية: أن أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة. (تفسير الطبري ٨/ ٨٩، الكشف والبيان ١٠/ ١٣٨).

المعاينة والمصير إلىٰ حال الآخرة ورفع الحُجُب ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ يتجاوز عن ذنوبهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ لم يزل ﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه بمن تاب ومن لم يتب ﴿حَكِيمٗا ١٧﴾ حكم بقبول التوبة.

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ﴾ أي: الرجعة ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ من الشرك والمعاصي وأصروا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ عاين أسباب الموت وبُشِّر بسخط الله وناره ﴿قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾ أي: لا يقبل للذين يموتون علىٰ الكفر توبتهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الفريقان ﴿أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا أن وهب ابن منبه قال لابنه: «يا بني مع الموت أربع خصال: فراق الأحباب، وخلع الأسباب، وسكون التراب، ولقاء الحساب».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ كان الرجل إذا مات في الجاهلية جاء أقرب الناس إلىٰ الميت ويلقي علىٰ امرأته ثوبًا؛ فيرث نكاحها بمهرها الأول، ففعل ذلك رجل في الإسلام فنزلت الآية.

معناه: يا أيها المؤمنون لا يحل لكم أن تأخذوا النساء بالميراث كرهًا، أي: جبرًا، ولا غير جبر إذا كانت المرأة قد حرمت عليه بالمصاهرة.

﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ لا تمنعوهن عن التزويج ﴿لِتَذۡهَبُواْ﴾ أيها الورثة ﴿بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ أعطيتموهن من المهر ليفتدينَ ببعض المهر ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ يعني إلا أن يكون النشوز من قبلها عند الفُرقة عن الأزواج، قيل: هو الزنا، فإذا زنت جاز للرجل أن يأخذ الفدية منها ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ أي: صاحبوهنَّ بحُسن المعاشرة فالكسوة ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ أي: صحبتهن ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ إذا

صبرتم علىٰ ذلك لوجه الله، وقيل أراد به الولد يُرزقه منها.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ عند الكراهة ﴿وَءَاتَيْتُمْ﴾ أعطيتم الأولىٰ ﴿قِنطَارًا﴾ من الذهب فلا تستردوا من القنطار شيئًا؛ قليلاً ولا كثيرًا إن كان النشوز منكم ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ﴾ أتستحلونه ﴿بُهْتَٰنًا [وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠]﴾ قيل البهتان هو أن يكذب عليها والظلم من جهته، نصب علىٰ الحال، أي: أتأخذونه باهتين وآثمين(١).

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ استفهام بمعنىٰ التعجب ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ قبل إرادته: الجماع، الكلبي: الإفضاء أن يجتمعا في لحاف واحد جامع أو لم يجامع(٢).

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾ أي: احذر عند عقد النكاح عهدًا وثيقًا وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم [مِّنَ ٱلنِّسَآءِ]﴾ أي: لا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم كفعل الجاهلية ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلا ما مضىٰ في الجاهلية لا تؤاخذون به إذا تركتم في الإسلام ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا﴾ أي: كان زنىٰ، والمقت أشد البُغض، وقيل: يمقته أبوه وأقرباء أبيه ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٢٢﴾ أي: بئس الطريق نكاح نساء الآباء، سبيلاً نصب علىٰ التفسير.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ أي: تزوج أمهاتكم اللاتي ولدنكم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ اللاتي من أصلابكم ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ تزويجًا، فهذا سبعٌ(٣) من النسب حرم نكاحهن.

---

(١) وفيه أوجه أخرىٰ، انظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٥٤، الدر المصون ٣/ ٦٣٤.

(٢) وتتمة كلامه: فقد وجب المهر، تفسير أبي الليث ١/ ٢٩١، تنوير المقباس ٦٧.

(٣) تصحف في الأصل: تسع.

ثم ذكر المحرمات من السبب؛ هن سبع[١] فقال: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ أي: نكاحها ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ كذلك ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ أي: حرم عليكم نكاحهن دخلتم ببناتهن أو لا ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ أي: بنات نسائكم ﴿ٱلَّٰتِي [فِي حُجُورِكُم]﴾ ربيتموهن في بيوتكم ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ [ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ]﴾ المدخول بهن ﴿فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم﴾ بأم الربيبة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ في تزويج الربيبة، وإنما قيدوها بكونها في الحجر لغالب الأحوال ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ أي: حَرُم عليكم تزويج نساء أبنائكم ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ فإن كان من غير صلب وقد تبنيتموهم[٢] فلا بأس ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ﴾ أي: سوى ما كان في الجاهلية إلى نزول هذه الآية، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٣﴾ متجاوزًا ما كان في الجاهلية من تزويج الأختين، رحيمًا وعد المغفرة بعد التوبة، ثم قال:

﴿۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يعني نكاح ذوات الأزواج حرام نكاحهن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ من سبي الكفار، وهي ذات زوج في أرضها، جاز وطئها بعد الاستبراء، وقيل: حرم عليكم نكاح الحرائر من النساء ما فوق الأربع إلا ما ملكت أيمانكم من الولائد ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ أي: اعملوا بكتاب الله، نصب على الإغراء[٣]، وقيل: شرط الله عليكم ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ أي: ما

---

(١) قال ابن عباس: حرم الله من النسب سبعا ومن الصهر سبعا (رواه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٢).

(٢) في الأصل كلمة مصحفة.

(٣) وقد رده ابن جرير، لأنه غير مستفيض في كلام العرب، وذلك أنها لاتنصب بالحرف الذي تغري به إذا أخرت الإغراء وقدمت المغرى به، وقال: «كتابًا من الله عليكم، فأخرج الكتاب مُصدَّرًا من غير لفظه» (تفسير الطبري ٨/ ١٧١).

وراء المذكورات ﴿أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم﴾ أي: تشتروا بأموالكم من الإماء، وقيل تبتغوا بأموالكم نكاحًا ﴿مُّحۡصِنِينَ﴾ أي: تكونوا محصنين متزوجين ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ أي: زانين ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾ نكاحًا ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿فَرِيضَةٗۚ﴾ فرض الله وبينه[1]، قيل: الآية نزلت في المتعة ثم نُسِخَتْ بآية الطلاق[2].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾ أي: فيما زدتم في المهر أو الأجل بعد أمر الأول[3]، وهو تقدير المهر الأول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤﴾.

﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ أي: لم يجد سعةً وغنىٰ ﴿أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ الحرائر ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ فلينكح ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾ أي:

---

(١) فالمتعة هنا هي اللذة، وهي الجماع فلو جامعها مرة واحدة وجب المهر، (تفسير الطبري ٨/ ١٧٥، الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٩).

(٢) وهو مروي عن بعض السلف، رواه ابن جرير ثم قال: «وأولىٰ التأويلين في ذلك بالصواب، تأويل من تأوَّله: فما نكحتموه منهن فجامعتموه فآتوهن أجورهن، لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء علىٰ غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح علىٰ لسان رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، ثم روىٰ حديث الرَّبيع بن سبرة الجهني، عن أبيه: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: استمتعوا من هذه النساء والاستمتاع عندنا يومئذ التزويج».

(٣) وهذا علىٰ قول من قال: المراد المتعة قبل أن تنسخ، قال السمرقندي (في تفسير أبي الليث ١/ ٢٩٤): «قال بعضهم: يعني المتعة قبل أن تنسخ، أجاز لهما أن يتراضيا علىٰ زيادة الأجل والمال. وقال بعضهم: يعني المهر، لا جناح علىٰ الزوجين أن يتراضيا بعد النكاح علىٰ زيادة المهر» وانظر البسيط ٦/ ٤٤٤..

وقد أبعد الثعلبي لما قال: «يعني فيما تفتدي به المرأة نفسها»، لأن الافتداء في هذه الأبواب يذكر مع الخلع، ولم يجر لذلك ذكر، وإنما ورد عن ابن زيد أنه في الحط من المهر، إن قبلت أن تحط من مهرها فهو سائغ (تفسير الطبري ٨/ ١٨١).

إمائكم ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ﴾ أي: بتصديق قلوبكم وثباتها على الإيمان ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ أي: كلكم من نسل آدم، بعضكم ولد بعض ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾ أي: تزوجوا الولائد -أي الإماء- بإذن مواليهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي: على قدر السعة، وقيل على قدر ما فوق مهر البغي أقله عشرة دراهم ﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾ أي: تزوجوا المحصنات: حافظات لفروجهن ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ﴾ أي: زواني ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ﴾ أي: أخلاء في السر يزني بها ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ أي: تزوجن أو زُوِّجنَ ﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ بعد الإحصان وهو الزنى ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ [مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ]﴾ الحرائر والأبكار من الجلد، أي: تضرب خمسين جلدة، فإحصان الأمة تزويجها وإسلامها وإمساكها في البيت، هذه الثلاثة فرادى، وإحصان الحرة البلوغ والعقل والإسلام والدخول بنكاح صحيح.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ﴾ أي: الزنا، فيتزوج بالأمة، والعنت في اللغة المشقة ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾ عن التزوج بالأمة ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ﴾ لأن ولدكم يكون عبدًا، ولْتستعينوا بالصوم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لمن تزوج الأمة في حال الاضطرار ﴿رَّحِيمٞ ٢٥﴾ به حين رخص ذلك.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ أي: أراد الله بيان الحرام من الحلال ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ﴾ يرشدكم ﴿سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي: طرق الصالحين والرسل ﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ﴾ أي: يدلكم على عمل يكون سببًا لتوبتكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد ﴿حَكِيمٞ ٢٦﴾ في الأمر والنهي.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: يتجاوز عنكم الزلل ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ قيل: هم اليهود أعداء الله، استحلوا نكاح بنات الأخت

وبنات الأخ والأخت من الأب[١] ﴿أَن تَمِيلُواْ [مَيْلًا]﴾ أي: تستحلوا استحلالاً ﴿عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ وهو استحلال بنات الأخ والأخت.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ﴾ أي: يهون عليكم بما رخص من نكاح الإماء ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ لا يصبر عن النكاح وأمر النساء، وقيل أسيرًا للشهوة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قيل: بالربا والقِمار والظلم واليمين الكاذبة، وقيل: بغير استحقاق من جهة المعاوضة، والمختار هو الأول[٢].

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ﴾ بعد تراضي البائع والمشتري.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ قيل: لا يقتل بعضكم بعضًا عن السدي[٣]، وقيل: هو قتل النفس حقيقة من غضب أو ضجر[٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ حيث نهاكم عن قتل النفس.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ أي: استحلال الأموال وقتل النفوس والعدوان، والظلم واحد جمع بين اللفظين لاختلاف الألفاظ ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ هيِّنًا لا يرحم من لم يرحم من ظلمه.

---

(١) وقيل الزناة والعصاة وأهل الريبة والفسوق، قال ابن جرير: ويريد الذين يطلبون لذّات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها، أن تميلوا: عن أمر الله تبارك وتعالىٰ، فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرّم عليكم وركوبكم معاصيه، ميلا عظيمًا: جورًا وعدولا عنه شديدًا (تفسير الطبري ٨/ ٢١٢، الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٥).

(٢) تفسير الطبري ٨/ ٢١٨.

(٣) ولم يذكر الطبري غيره في التفسير ٨/ ٢٢٩.

(٤) وهو ظاهر الآية كما في زاد المسير ١/ ٣٩٦.

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ فالكبائر كل ما نهىٰ الله عز وجل من رأس هذه إلىٰ ثلاثين آية فهي كبائر[1].

وقيل: كل ذنب في القرآن مقرون به وعيد النار كبيرة، فمن اجتنب عنها وهو مؤمن كفَّر الله تعالىٰ سيئاته -وهي الصغائر- من جماعة إلىٰ جماعة، ومن جمعة إلىٰ جمعة، ومن صوم إلىٰ صوم[2].

﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ حسنًا شريفًا.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ﴾ قيل: لا يتمنىٰ الرجل مال غيره حسدًا، ولكن ليقل: اللهم إني أسألك من فضلك مثله[3].

قيل: سبب نزولها أم سلمة زوجة النبي صلىٰ الله عليه وسلم حيث قالت: يا رسول الله نصيب الرجال في الميراث اثنان وللنساء واحد، والرجال يغزون[4] دون النساء، فكذلك الذنوب، أيكون موضوعًا عنهن علىٰ قدر ميراثهن؟ فنزلت

---

(١) يعني ثلاثين آية مضت، قال ابن مسعود: الكبائر من أول سورة النساء إلىٰ ثلاثين منها، قوله ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ رواه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٣٣، والسمرقندي في تفسير أبي الليث ١/ ٢٩٨. وإسناده صحيح.
مراد عبد الله الكبائر المذكورة في هذه السورة بعينها، لا حصر كل الكبائر، بدليل أنه روي عنه -بإسناد صحيح كذلك عند ابن جرير ٨/ ٢٤٣ وغيره- عد بعض الكبائر وليست فيما مضىٰ من الثلاثين آية.
و انظر: فصلا عقده الثعلبي في تفسيره ١٠/ ٢٦٩: في تفصيل أقاويل أهل التأويل في عدد الكبائر مجموعة من الكتاب والسنة، مقرونة بالدليل والحجة، فإنه نفيس.

(٢) وهذا منقول من تفسير الكلبي كما في تفسير أبي الليث ١/ ٢٩٧.

(٣) وهذا قول الكلبي كما في الكشف والبيان ١٠/ ٢٧٨، والمعروف هو القول الثاني.

(٤) في الأصل: يعرفون، وهو تصحيف، والتصحيح من كتب التفسير، فقد رواه ابن جرير في التفسير ٨/ ٢٦١ بألفاظ مختلفة، وانظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٧٧.

الآية ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ الرجال بالجماعة والجمعة والعيد والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسهام الميراث.

ثم قال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ من الخيرات ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ﴾ اطلبوا الفضل من الله، وقيل: سلوا التوفيق والعصمة من الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ عالمًا بتفضيل الرجال والنساء.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ﴾ الموالي هاهنا: العصبة، أي: لكل تركة جعلنا من يستحقها من العصبة وغيرهم مما ترك الوالدان والأقربون من المال ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾[1] أي: حالفت بعقد المولاة وكان معروفًا في الجاهلية ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ﴾ ثم نسخ ذلك بآية الميراث ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ على عهودهم ووفائهم ونقضهم.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: مسلَّطون على تأديب النساء ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ نزلت في أسعد بن الربيع لطم امرأته ابنت محمد بن سلمة فنشزت عن فراشه، واستعدت رسول الله، فأمرها بالقصاص، فلما همت تضربه نزل جبريل بالآية، وكان القصاص واجبًا في اللطمة[2].

قوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: بتفضيله تعالى الرجال على النساء بالعقل والقسمة في الميزان ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟﴾ عليهن ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾ في

---

(١) كتب في الأصل: عاقدت، وهي قراءة القراء إلا الكوفيين حيث قرؤوا: عقدت (النشر ٢/ ٢٤٩).

(٢) هذا منقول عن مقاتل والكلبي كما في الكشف والبيان ١٠/ ٢٨٨، وروي عن الحسن مرسلا، كما في تفسير الطبري ٨/ ٢٩١.

المهر والنفقة ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ المحسنات إلىٰ أزواجهن ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ مطيعات لله تعالىٰ ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ﴾ أي: غيب أزواجهن، والألف واللام دليل الإضافة كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾.

﴿[بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ] وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أي: علمتم عصيانهن لأزواجهن، الخوف بمعنىٰ العلم.

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أي: ذكّروهن بكتاب الله، ويقول: اتقي الله فإن الله قد فرض عليك حقي[١]، وإن أبت ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ تحول وجهه عنها في الفراش، وقيل: لا يقرب فراشها، وقال الكلبي: يسبُّها من الهُجْر[٢].

﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾ ضربًا غير شائن ولا مبرّح إذا لم تقبل العظة ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ لا تطلبوا عليهن علة في الحب، لأنَّ الحب والبُغض مخلوقان في القلب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ أي: عليٌّ فلا أحد يدركه بالحواس[٣] أو يقاس بالناس، كبيرًا: متعال من أن يكلِّف إلا بمقدار الطاقة[٤].

---

(١) في تفسير الطبري ٨/ ٣٠٠ عن مجاهد نحوه.

(٢) وهو مذهب سعيد بن جبير كما نسبه إليه الواحدي، وقال (في البسيط: ٦/ ٤٩٢): «من الهجر الذي هو بمعنىٰ القبيح من الكلام، يريد عنّفوهن وغلّظوا في القول لهن».
وقول الكلبي في تفسير أبي الليث للسمرقندي ١/ ٣٠٠، لكن تصحف يسبها إلىٰ ينسها.

(٣) في الأصل: علي في الأحد به أدرك.

(٤) تفسير العلي بأنه ذو علو علىٰ كل شيء، فهذا معنىٰ العلي، وأما ما يذكرونه بعد ذلك فهو من مناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين، من ذلك قول الطبري (في تفسيره ٨/ ٣١٨): إن الله ذو علوّ علىٰ كل شيء، فلا تبغوا، أيها الناس، علىٰ أزواجكم إذا أطعنكم فيما ألزمهن الله لكم من حق سبيلا؛ لعلوِّ أيديكم علىٰ أيديهن، فإنّ الله أعلىٰ منكم ومن كل شيء عليكم.. وأكبر منكم ومن كل شيء، وأنتم في يده وقبضته، فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا﴾ أي: علمتم مخالفةً بينهما ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ الخطاب للحكام ﴿إِن يُرِيدَآ﴾ أي: الحكمان ﴿إِصۡلَٰحٗا﴾ موافقة ونُصحًا ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ أي: يؤلف الله بينهما، هذا إذا لم يُدرَ أنَّ النشوز من أيهما، فيبعث الحاكم حكمين حتىٰ يتعرفا حالهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بفعل الحكمين ﴿خَبِيرٗا ٣٥﴾ بفعل الزوجين.

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ فإنما هو إله واحد ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ ووصاكم بالوالدين إحسانًا ﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي: صِلوا القرابات ولا تقطعوهم ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ أوصاكم باليتامىٰ ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ يقول بالعطف علىٰ الفقراء والقيام بحفظ أموال الأيتام ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي: بصلة الأقرباء الذي يسكنون في جواركم ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ أي: الجار الأجنبي ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ وقيل هو الرفيق في السفر، وقيل رفيقك في السفر وجليسك في الحضر، وامرأتك التي تضاجعها ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الضيف النازل ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ من عبيدكم وإمائكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ﴾ في مشيه بطرًا ﴿مُخۡتَالٗا [فَخُورًا ٣٦]﴾ علىٰ الناس بكِبره.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ نزلت في اليهود بخلوا في ظهار نعت رسول الله(١).

سبيلا، وهن لكم مطيعات، فينتصر لهن منكم ربُّكم، الذي هو أعلىٰ منكم ومن كل شيء، وأكبر منكم ومن كل شيء.

وقال أبو الليث (في تفسيره ١/ ٣٠٠): يقول: لا تطلبوا عليهن غللا، ولا تكلفوهن الحب لكم، فإن الحب أمر القلب وليس لها ذلك بيدها إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيرًا: أي رفيعًا علا فوق كل كبير، فلا يطلب من عباده الحب، ولا يكلفهم ما لا يطيقونه، ويطلب منهم الطاعة، فأنتم أيضًا لا تكلفوهن.

ويقال: إن الله مع علوه يتجاوز عن عباده، فأنتم أيضًا تجاوزوا ولا تطلبوا العلل.

(١) والأقوال الواردة عنهم في ذلك رواها ابن جرير في تفسيره ٨/ ٣٥٢.

﴿وَيَأْمُرُونَ [ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ]﴾ أتباعهم بكتمانه ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: علم التوراة وعلم نعت رسول الله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ منهم ﴿عَذَابًا مُّهِينًا ۝٣٧﴾ يهانون فيه.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: مراءاة الناس ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ والآية نزلت في المنافقين، أي: لا يصدقون بالقلوب، وقيل نزلت فيمن أنفق على الناس ليخرجوا إلىٰ حرب بدر ورؤساء مكة[(١)].

وفي الآية إضمار أي: من فعل ذلك فالشيطان قرينه، ثم قال: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨﴾ أي: ساء القرين قرينًا هو.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما الذي عليهم ﴿لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ في طاعة الله وطاعة رسوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝٣٩﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: لا يظلم أحدًا من خلقه وزن نملة صغيرة، ومثقال كل شيء قدر وزنه، أي: يجازي بالخير والشر ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ لأهله، يزيدها من واحد إلىٰ ما لا يحصىٰ. ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ أي: يعطى المؤمن من فضله ثوابًا جزيلاً.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ استفهام بمعنىٰ التعجب، أي: كيف يصنع الكفَّار حين أحضرنا من أهل كل زمان برسلهم يشهدون عليهم بالبلاغ، وقيل: علىٰ كفار أمتك بالبلاغ.

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ لأمتك مزكيًا لهم بالتصديق وبما يشهدون علىٰ الأمم، وقيل: جئنا بك شهيدًا علىٰ أمتك بتبليغك[(٢)].

---

(١) ذكره في تفسير أبي الليث ١/ ٣٠٢، الكشف والبيان ١٠/ ٣١٦.

(٢) وهذان القولان بمعنىٰ واحد. انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٦٨، الكشف والبيان ١٠/ ٣٢٨.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ حينئذ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ﴾ يتمنىٰ الذين خالفوا الرسول ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: لم يُبْعَثُوا من القبور وكانوا في الأرض سواء كالتراب ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ وذلك أنهم إذا سئلوا عن كفرهم أنكروا، وقالوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فيختم علىٰ أفواههم وتشهد علىٰ كُفرهم جوارحهم فحينئذ يودوا ذلك[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ نزلت في جماعة من الصحابة منهم أبو بكر وعمر قبل تحريم الخمر يشربون ثم يصلون[2].

﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ أي: تفهموا ما يقرأ إمامكم في الصلاة ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ يعني: ولا تقربوا الصلاة في حال الجنابة، أي: لا تقربوا المساجد ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ أي: مارّ الطريق، إذا كان الطريق في المسجد يدخل المسجد في حال جنابته لأخذ الماء.

وقال مقاتل[3]: لا تقربوا الصلاة جُنبًا ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ﴾ ثم استثنىٰ المسافر الذي لا يجد الماء فقال: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ يتيمم ويصلي.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ جرحىٰ ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ في سفر ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ من مكان الحدث ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ جامعتموهنَّ ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ امشوا إلىٰ تراب نظيف بقصدكم [﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ﴾] وامسحوا به وجوهكم ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ بالضربة الأولىٰ الوجه

---

(١) كما روىٰ ذلك البخاري في صحيحه ٦/ ١٢٧ عن ابن عباس.

(٢) عن علي بن أبي طالب: أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر، فصلىٰ بهم عبد الرحمن فقرأ: «الكافرون» فخلط فيها، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ رواه ابن جرير في التفسير ٨/ ٣٧٦، وإسناده جيد.

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٢٣١.

وبالثانية اليدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ لم يزل ﴿عَفُوًّا غَفُورًا ۝٤٣﴾ متفضلاً علىٰ العباد فيما وسَّع عليهم في أمر الدين غفورًا لتقصدكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ نزلت في كعب وأصحابه(١)، يعني: ألا تتعجب يا محمد علىٰ الذين أُعطوا حظًا من التوراة.

﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ يختارون اليهودية علىٰ الإسلام بتبديل نعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن التوراة ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝٤٤﴾ أي: طريق الإسلام.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ من اليهود ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ بنصرته إياكم وحافظًا ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ۝٤٥﴾ مانعًا.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ مالوا عن الإسلام ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وقد حرفوا آية الرجم ونعت الرسول، وإذا حضروا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ولا نطيعك ﴿وَٱسْمَعْ﴾ يا محمد ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي: اسمع منَّا حديثنا غير مقبول منك ما تقول، ويقال: اسمع لا سمعت، وقيل: سمعنا في العلانية غير مسموع في السر ﴿وَرَٰعِنَا﴾ وكان هذا شتمًا قبيحًا علىٰ ما ذكرناه في سورة البقرة ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي: يريدون أن يحرِّفوها بألسنتهم، ويجعلون راعنا من المراعاة والانتظار إلىٰ السب بالرعونة ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ يطعنون في دينكم بأنَّا نروِّج الكلام عليهم. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ﴾ نحدثك مقبولاً ﴿وَٱنظُرْنَا﴾ حتىٰ نخبرك، مكان قولهم راعنا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ وأصوب في التعبير والسب ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: طردهم عن رحمته بكفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٤٦﴾.

---

(١) يعني اليهود، وهذا محل اتفاق وإن اختلفوا في تسمية أعيانهم، انظر: تنوير القباس ٧١، الكشف والبيان ١٠/ ٣٨٨.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ أي: القرآن ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ الطمس: إذهاب الأثر، أي: نذهب بآثار وجوهكم ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ نجعلها كالأقفاء، ونجعل عيونها في أقفائها ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ كمسخهم كما مسخنا ﴿أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ الذين استحلوا أخذ الحيتان يوم السبت ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ أي: كائنًا لا محالة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يغفر ما دون الشرك لمن سبقت له المشيئة بالمغفرة، نزلت في قاتل حمزة، وحشي اسمه[1].

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ فقد اكتسب لنفسه إثمًا عظيمًا، وقيل: اختلق على الله كذبًا عظيمًا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ أي: يبرئون أنفسهم عن الذنوب.

نزلت في جماعة من اليهود جاؤوا إلى رسول الله ومعهم أولادهم الأطفال، فقالوا: هل تعرف لهؤلاء ذنوبًا؟ فقال رسول الله: «لا»، فقالوا: والذي نحلف به ما نحن إلا كهيئتهم، نحن أبناء الله وأحبَّاؤه، كل ذنب نعمله بالنهار غفر لنا بالليل، وما نعمل بالليل غفر لنا بالنهار فنزلت الآية[2].

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ يبرئ من الذنب من كان أهلاً لذلك ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ أي: يذهب بحق العباد بقدر الفتيل، والفتيل القشرة في بطن النواة.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي: يتقولون عليه «إنما نحن بمنزلة الأطفال» ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾.

---

(١) وهو قول الكلبي كما في الكشف والبيان ١٠/ ٣٩٤.

(٢) وهو من مرويات الكلبي في أسباب النزول، كما في الكشف والبيان ١٠/ ٤٠٠.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: حظًا من التوراة ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ قيل: هما صنمان، وقيل: الجبت الساحر والطاغوت الشيطان، وقيل الجبت: حُييّ بن أخطب والطاغوت كعب بن أشرف، وقيل: كل معبود سوىٰ الله فهو جبت وطاغوت[1].

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١﴾ بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أي: طردهم وأبعدهم ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ﴾ أي: يخزه ويؤيسه من رحمته ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ٥٢﴾ مانعًا من العذاب، يعذِّبه في الدنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنار.

﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ استفهام بمعنىٰ الشرط[2]، يقول: لو كان لهم نصيب من المُلك ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ٥٣﴾ وهو ما يكون علىٰ ظهر النواة من النقطة.

﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ بل يحسدون محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم[3] علىٰ ما أعطاه الله من فضله من النبوة، وكثرة النساء، وكانوا يحسدون رسول الله وقالوا: ما له همة إلا النساء، ولو كان نبيًا لشغلته النبوة عن النساء[4].

---

(١) كل هذه الأقوال مروية عن السلف، ورجح ابن جرير القول الأخير، لأنه الجامع لها (تفسير الطبري ٨/ ٤٥٦، الكشف والبيان ١٠/ ٤٠٤).

(٢) وهو يفيد النفي والإنكار، معامي الفراء ١/ ٢٧٣، تفسير الطبري٨/ ٤٧٢، معاني الزجاج ٢/ ٦٢، الكشاف ١/ ٥٢١.

(٣) وعلىٰ هذا فالناس في هذه الآية من العام الذي أريد به الخصوص (تفسير الطبري ٨/ ٤٧٦).

(٤) وهذا الخبر رواه أبو حمزة الثمالي مرسلا، انظر: الكشف والبيان ١٠/ ٤١٣.

ثم قال: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ لداود وسليمان وغيرهما ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني صحف إبراهيم ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الفهم ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ حتىٰ أدخل لداود في مُلكه تسعة وتسعين امرأة، ولسليمان ثلاثمائة، فليس ما أعطينا محمدًا أبدع[1].

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ أي: بمحمد، مثل ابن سلام ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ أي: أعرض عنه ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ أي: نارًا لمن أنكر محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ ندخلهم ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ أي: احترقت في النار ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أنبتنا عليهم جلودًا غير محترقة، وقيل: يزاد في أعضائهم عظمًا[2] ترده إلىٰ الحالة الأولىٰ ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: يجدوه عودًا كما وجدوه بدأ.

قال الحسن: بلغنا أنها تنضج كل يوم سبعين ألف مرة[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ أي: منيعًا في انتقامه، حكيم بالعذاب لمن جحد برسوله، ثم بيَّن مستقر المؤمنين فقال:

ورواه الطبري في التفسير (٨/ ٤٧٨) عن ابن عباس من طريق العوفي، وعن السدس والضحاك.

(١) انظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٨/ ٤٧١، والكشف والبيان ١٠/ ٤١٤.

(٢) كذا في الأصل، وقد تكون: غلظًا. لكن تصحفت.

(٣) رواه الطبري في التفسير ٨/ ٤٨٥، زاد في رواية: وغلظ جلد الكافر أربعون ذراعا، الله أعلم باي ذراع.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ﴾ مع نعيمها ﴿أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ أي: ظلاً كنينًا من حر الشمس، فليس فيها حر ولا برد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ قيل: أراد به كل مؤتمن علىٰ شيء، وقيل: نزلت في قصة مفتاح الكعبة، حيث أخذه رسول الله من عثمان بن طلحة، وكان العباس يطلب ذلك من رسول الله، فأمر الله برد المفتاح إلىٰ عثمان(1).

﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ بين عثمان والعباس ﴿أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ القسط، السدانة لعثمان والسقاية للعباس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ أي: نِعْمَ الشيء الذي أمركم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا﴾ لمناشدة عثمان إياك في مسألة المفتاح ﴿بَصِيرٗا ۝٥٨﴾ بردك إلىٰ عثمان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ في الفرائض والأمر والنهي ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ في السنن ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قيل: الأمراء، وقيل: أمراء الأجناد، وقيل: العلماء، وهو قول ابن عباس وجابر ومجاهد وعطاء والحسن وأبي العالية(2).

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: اختلفتم في أمر الدين فكلوا أمره إلىٰ كتاب الله [﴿وَٱلرَّسُولِ﴾] ورسوله ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ تقرون وتصدقون بالله وبوحدانيته ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ البعث ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ نصب علىٰ التمييز(3)، أي: أكرم وأحمد عاقبة.

---

(1) رواه الطبري في التفسير ٨/ ٤٩٢، وهو من مراسيل ابن جريج والزهري.

(2) انظر أقوالهم في تفسير الطبري ٨/ ٤٩٥، والكشف والبيان ١٠/ ٤٣٠، البسيط ٦/ ٥٣٩، زاد المسير ١/ ٤٢٣.

(3) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٦٧.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من التوراة ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾(١) يتخاصموا إلىٰ كعب بن الأشرف.

نزلت في منافق تخاصم يهوديًا، وقال له: أخاصمك إلىٰ كعب، وقال اليهودي: إلىٰ محمد، فاختصما فقضىٰ رسول الله لليهودي علىٰ المنافق، فلما خرج قال: ننطلق إلىٰ عمر فدخلا عليه وأخبره اليهودي بقضاء رسول الله، فضربه عمر بسيفه إذ لم يرض بقضاء رسول الله عليه السلام، فنزلت الآية(٢).

يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الجبت والطاغوت ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ قال الضحاك: الطاغوت الشيطان الذي كان مع كعب(٣).

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ عن الحق والهدىٰ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلىٰ حكم الله وحكم رسوله ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١﴾ يعرضون عنك إعراضًا.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ قال مقاتل: لمَّا قتل عمر رضي الله

---

(١) في الأصل: الجبت والطاغوت، وهو خطأ في الآية.

(٢) هذه رواية الكلبي كما في الكشف والبيان ١٠/ ٤٥٣، وعن الشعبي نحوه، وليس فيه ذكر لعمر، رواه الطبري في التفسير ٨/ ٥٠٨، ولعله أشبه بالصواب.

ولفظه: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فكان المنافق يدعو إلىٰ اليهود، لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة، وكان اليهودي يدعو إلىٰ المسلمين، لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة. فاصطلحا أن يتحاكما إلىٰ كاهن من جُهَيْنة، فأنزل الله فيه هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية، وعن حضرمي وقتادة نحوه.

(٣) نحوه في تفسير الطبري ٨/ ٥١٣.

بِشرًا المنافق جاء أولياءه يطلبون الدية، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «ليس لكم ذلك» فرجعوا وندموا، ثم جاءوا يعتذرون إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال الله تعالىٰ: فكيف تصنعون إذ أصابتهم مصيبة وهو قتل عمر بشرًا[1].

﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ جنايتهم ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ معتذرين ﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ﴾ ما أردنا بمطالبة الدية ﴿إِلَّآ إِحۡسَٰنًا﴾ يعني الخير والموافقة، وقيل: ما أردنا بترك الاختصام إليك إلا الإحسان إليك كيلا تشغلك خصومتنا ﴿وَتَوۡفِيقًا ۝٦٢﴾ أي: طلبنا التوفيق من الله في إصلاح ذات بيننا من غير أن يختصم فيه إليك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: لا تعاقبهم ﴿وَعِظۡهُمۡ﴾ بلسانك ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغًا ۝٦٣﴾ أي: خوِّفهم إن فعلتم الثانية عاقبتكم بالقتل برد حكمي وقضائي.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لم نرسل رسولاً من قبلك إلا أمرناهم بطاعته، بإذن الله: أي بأمره، ولم يطعه أحد إلا بأمري ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بمطالبة الحكم إلىٰ الطاغوت ﴿جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ تابوا إلىٰ الله ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ طلب لهم التوبة ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝٦٤﴾ قابلاً للتوبة لمن تاب من الذنب، رحيمًا حنينًا بهم.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ معناه: فوربك، كقول القائل: لا والله لا يؤمنون بك ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: يجعلوك حَكَمًا، ويرضو بحكمك فيما اختلفوا ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا﴾ أي: لا يجدوا لحكمك شكًّا في قلوبهم ﴿مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٦٥﴾ ينقادوا لحكمك انقيادًا.

---

(١) تفسير مقاتل ١/ ١٣٨. وانظر: الكشف والبيان ١٠/ ٤٥٧.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في يهودي قال لثابت بن قيس: لو أمرني رسول الله أن أقتل نفسي لقتلتُ[١]، فنزل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ من اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه، ومن المؤمنين ثابت بن قيس وعمار وعبد الله بن مسعود ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ يؤمرون به ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من الشرك والنفاق ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ أي: ثباتًا على الصواب.

﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم﴾ أعطيناهم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ بتفضلنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ ثوابًا وافرًا.

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ حفظناهم على دين الإسلام، ويقال نصرناهم.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ قيل: نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله فقال يومًا: أخاف أن لا ألقاك في الآخرة يا رسول الله، فنزلت الآية[٢].

ومن يطع الله في الفرائض والرسول في السنن ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ يعني من يطع، وكلمة من تصلح للواحد والجمع والمثنى.

﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بالنبوة ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ أفاضل الصحابة ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ الذين يستشهدوا في طاعة الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ عامة المستورين من المسلمين ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ يعني ما أحسن هؤلاء الرفقاء.

---

(١) وهو قول السدي كما في تفسير الطبري ٨/ ٥٢٦.

(٢) هذه القصة من رواية الكلبي، كما في أسباب النزول للواحدي ١٦٨، وذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٤٦٥، وقد ورد نحو هذا في مرسل سعيد بن جبير ومسروق، كما في تفسير الطبري ٨/ ٥٣٤، بل يكاد يكون إطباق من المفسرين في أن ذلك سبب النزول.

﴿ذَٰلِكَ [ٱلۡفَضۡلُ]﴾ الثواب ﴿مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ منّة منّها عليهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ بخلقه، وبحب ثوابان لك وثوابه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ أي: احذروا عدوكم بأخذ سلاحكم ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ اخرجوا إلىٰ قتالهم جملة وفُرادىٰ.

﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ لام الأول لام ابتداء، والثاني لام القسم، ونون التأكيد[١].

والإبطاء: إطالة مدة العمل، والقسم فيه مضمر، كأنه قال: وإن منكم لمن أحلف بالله يبطئن يتثاقلنّ عن الجهاد، وقيل ليُكَسِلَنَّ المؤمنين عن الجهاد.

﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ نكبة وهزيمة ﴿قَالَ﴾ من أبطأ ﴿قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾ بالجلوس ﴿إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ [شَهِيدٗا] ٧٢﴾ حاضرًا[٢].

﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ظفر ودولة ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٧٣﴾ أي: أسعد سعادة عظيمة بالغنيمة، وفي الآية تقديم وتأخير، كأنه قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدًا كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، ثم ولئن أصابكم فضل من الله.

قوله تعالىٰ: ﴿۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في طاعته ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ﴾ يبتغون ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ أي: يبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾ أي: يقتل شهيدًا، أو يظفر علىٰ

---

(١) البسيط ٦/ ٥٨٦، الكشاف ١/ ٥٣٢.

(٢) شهيدا هنا بمعنىٰ حاضرا، وليست من الشهادة، لأن الآية في المنافقين، وهم لا يؤمنون بذلك. قال قتادة: هذا قول مكذب، وقال ابن جريج: شامت (تفسير الطبري ٨/ ٥٣٩).

العدو ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ﴾ أي: نعطيه ﴿أَجۡرًا عَظِيمًا ٧٤﴾ ثوابًا وافرًا الجنة.

ثم ذكر كراهتهم للقتال فقال: ﴿وَمَا لَكُمۡ﴾ معشر المؤمنين ﴿لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ الصغار، أي: لم لا تقاتلوا في سبب المستضعفين المقهورين المأسورين؛ من الرجال الزمنى؛ والنساء والولدان الصغار ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بمكة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا﴾ ونجّنا ﴿مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ يعنون مكة ﴿ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾ الكافر أهلها.

وإنما خفض الظالم ورفع الأهل لأنَّ الظلم نعت الأهل، والأهل في موضع الخفض؛ لأنه مضاف إليه، فعاد إعراب الأهل على القرية، وإعراب القرية على الأهل، كما يقال: مررت بالرجل الواسعة داره ومررت برجل حسنة عينه[1].

﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ بفضلك معينًا ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ أي: بفضلك ﴿نصيرًا﴾ مانعًا يمنعنا من المشركين، فاستجاب الله دعاهم وفتح مكة، وجعل رسوله وليًّا لهم، واستعمل رسول الله عتاب بن أسيد، فجعله الله لهم نصيرًا ينصف الضعيف من القوي[2].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لطلب مرضاته وإعزاز دينه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ في طاعة الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي: أتباعه وقرناءه ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ومكره ﴿كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ وكلمة كان زائدة[3].

---

(١) منقول من الفراء في معاني القرآن ١/ ٢٧٧، وانظر: الكشف والبيان ١٠/ ٤٧٣، الكشاف ١/ ٥٣٥، التبيان ١/ ٣٧٣، الدر المصون ٤/ ٣٨.

(٢) هذا تفسير الكلبي، ومثله في الكشف والبيان ١٠/ ٤٧٤، والكشاف ١/ ٥٣٤.

(٣) قال الواحدي: وفائدة إدخال كان التأكيد لضعف كيده، وذلك أنَّ كان يدلُّ على لزوم الضعف كيده، خلاف العارض الذي لم يكن ثم كان، وكيده مما يلزمه صفة الضعف، وليس عارضة فيه، بدلالة كان على هذا المعنى (البسيط ٦/ ٦٠٥).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ عن القتال، وهم مقداد بن الأسود، وسعد ابن أبي وقاص، وابن عوف[١] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ [ٱلْقِتَالُ]﴾ بالمدينة إلىٰ بدر الصغرىٰ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: الكفار ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: خشيتهم من الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ بل أشد خشية ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ هلّا أمهلتنا إلىٰ منتهىٰ أجلنا لنموت علىٰ فراشنا.

وقيل: نزلت في المنافقين[٢].

﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ منفعة يسيرة تنقطع وتزول ﴿وَٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ أي: أبقىٰ وأدوم لمن وحَّد الله ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ لا ينقص من عملهم ذلك القَدْر[٣].

---

(١) هذا نص الكلبي، كما في الكشف والبيان ١٠/ ٤٧٥، ورواه الطبري في تفسيره ٨/ ٥٤٩ عن ابن عباس قال: «إن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، كنا في عِزّ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذِلة، فقال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا. فلما حوَّله الله إلىٰ المدينة، أمر بالقتال فكفوا، فأنزل الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾، الآية». وفي متنه نكارة من جهة تسمية عبد الرحمن بن عوف، فإن هذا رواه الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عنه، لكن ابن جريج رواه عن عكرمة مقطوعا عليه، فلم يذكر فيه عبد الرحمن، وكذا روي عن قتادة مرسلا، فيخشىٰ أن ابن واقد وهم في ذكره، واتبع فيه رواية الكلبي، فهو الذي سمىٰ عبد الرحمن وأصحابه، كما نقل المصنف، والكلبي متروك في الرواية.

(٢) يعني قوله: «إذا فريق منهم»، لا أول الآية، انظر: الكشف والبيان ١٠/ ٤٧٦. ويدل علىٰ هذا أن الآية التي تليها من صفات المنافقين.

(٣) أي قدر الفتيل، وهو الشيء الذي يكون في شق النواة، وعن ابن عباس: هو ما تفتله بيدك ثم تلقيه احتقارا. (الكشف والبيان ١٠/ ٤٧٧، البسيط ٦/ ٦٠٩).

﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ حيث كنتم في أرض الله وبلاده، أو في رحالكم ﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ في قصور محصنة مرتفعة إلىٰ عنان السماء؛ وكانت الروح من حديد لمُتَّم ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ﴾ خصب ورخص ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: فضل الله ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ جدب وغلاء سعر ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ أي: من شؤمك وشؤم أصحابك ﴿قُلۡ﴾ يا محمد للمنافقين ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ السلامة والغنيمة والهزيمة والبلاء والشدة؛ كله بقضاء الله وقدره ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ من المنافقين واليهود ﴿لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾ أي: لا يفهمون عن الله تعالىٰ.

ثم قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم وللمؤمنين: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: نعمة وغنيمة كيوم بدر ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ﴾ أي: هزيمة كيوم أُحُد ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ وأنا قدرتها عليك، وقيل: بذنب أصحابك بتركهم المركز[١].

﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ﴾ إلىٰ كافة الخلق ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ عالمًا بمن آمن ومن جحد[٢].

وقيل: في الآية تقديم وتأخير معناه ما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا وهو قولهم: ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله[٣].

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ في سُنته وهُداه ﴿فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ في فرائضه ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن تصديقه وطاعته ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ أي:

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٣٢٠.

(٢) الشهيد هنا بمعنىٰ الشاهد، أي شاهدا عليك بالبلاغ (تفسير الطبري ٨/ ٥٦١، تفسير أبي الليث ١/ ٣٢٠).

(٣) مثله في تفسير أبي الليث ١/ ٣٢٠، الكشف والبيان ١٠/ ٤٨٢.

مسلَّطًا[١]، وهذا الحرف نسخته آية السيف[٢].

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ يعني المنافقين يقولون بحضرتك: أمرك طاعة ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ﴾ أي: خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ﴾ أي: غيَّر وبدَّل ﴿طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ﴾ أي: يعلم ما يغيرون ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تعاقبهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ مانعًا.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أصل التدبُّر: النظر إلىٰ عواقب الأمور.

والفرق بين التفكُّر والتدبُّر: أن التدبُّر نظر القلب في العواقب، والتفكُّر نظر القلب في الدلائل.

ومعنىٰ الآية: أفلا يتعظون بمواعظ القرآن ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: من عند مخلوق ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ أي: تناقضًا كبيرًا.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ إن خبر من أمر السرايا [بالفتح][٣] كتموه، وإذا جاءهم خبر من الخوف ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ فشو ذلك الخير ليُحْزِنُوا المؤمنين بذلك ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي: خبر العسكر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: أمراء السرايا، وقيل: إلىٰ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﴿لَعَلِمَهُ [ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ]﴾ أهل الاستنباط منهم، أي: الذين يطلبون صحة الخبر من غير إفشاء المنافين، وقيل: أولو الأمر أهل العلم والفقه وقيل: ﴿يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يتحسسون ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا

---

(١) هذا من لازم المعنىٰ، فإن الحفيظ: الرقيب والمحاسب (الكشف والبيان ١٠/ ٤٨٥).
(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٣٢٠، الكشف والبيان ١٠/ ٤٨٢.
(٣) سقطت علىٰ الناسخ ولا بد منها لتصحيح السياق، وهي في مصادر المؤلف: كتفسير الكلبي (تفسير أبي الليث ١/ ٣٢١، تنوير المقباس ٧٥).

﴿٨٣﴾ أغراكم الشيطان، وقيل: لولا فضل الله بإرسال الرسل وإنزال القرآن ما اهتديتم إلىٰ معرفته إلا قليلاً.

ثم أمر رسوله بالخروج إلىٰ بدر الصغرىٰ فقال: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ أي: لا يؤمر بهذا الجهاد إلا أنت، وقيل: ليس عليك وزر غيرك ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ علىٰ القتال ببيان ثوابه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ أي: قتالهم.

فانطلق رسول الله وامتنع أبو سفيان عن الحضور حتىٰ رجع رسول الله سالمًا مع ثواب المجاهدين[١].

﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾ قوة وعذابًا في الدنيا ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾ عقوبة في الآخرة.

﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ أي: من يصلح بين اثني ويدلهما علىٰ الطاعة ﴿يَكُن [لَّهُۥ]﴾ للمصلح ﴿نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾ أي: ثواب ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ﴾ أي: يمشي بين اثنين بالنميمة، ويغري أحدهما علىٰ الآخر ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ أي: من السيئة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾﴾ حافظًا ومقتدرًا، وقيل هو الذي بيده الأرزاق والأقوات.

والشفع في اللغة: هو الزيادة، فقوله ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ أي: من يزد عملاً إلىٰ عمل[٢].

---

(١) وكانت هذه الغزوة في شعبان من السنة الرابعة، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٢١.
وهذا الخبر من رواية الكلبي عن ابن عباس، ولذا لم يذكره ابن جرير، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٤٩٣.

(٢) اعتمد المصنف علىٰ قول الكلبي، ولم يذكر قول غيره في تفسير هذه الآية، والمرجح في هذه الآية عند ابن جرير العموم، وإن كان بدء نزولها في الجهاد، قال ابن جرير (في التفسير

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ قيل: إذا حييتم بسلام فأجيبوا بأحسن منه وأكمل، وهو أن يزيد في الجواب: الرحمة والبركة، وقيل: إذا أهدىٰ إليكم مسلم هدية فعوِّضوه بأحسن منها ﴿أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ أي: شهيدًا حفيظًا.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ في البرزخ ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ الذي يقومون فيه ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾ عند المؤمنين ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ لأنه لا يكذب، ولا يجوز عليه الكذب.

﴿۞فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ يقول: ما لكم -معشرَ المؤمنين- صرتم في معنىٰ المنافقين فرقتين، مُحل لدمائهم؛ ومحرم لها.

نزلت في سبعة نفر ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، ثم خرجوا من مكة إلىٰ الشام، فقصد المسلمون قِبلهم، وتكلموا فيه، فنزلت الآية[1].

٨/ ٥٨١): «يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾ من يَصِرْ يا محمد شفعًا لوتر أصحابك، فيشفعهم في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل الله -وهو الشفاعة الحسنة- يكن له نصيب منها، وهو الحظ من ثواب الله وجزيل كرامته، ومن يشفع شفاعة سيئة، يقول: ومن يشفع وتر أهل الكفر بالله علىٰ المؤمنين به، فيقاتلهم معهم، وذلك هو الشفاعة السيئة؛ يكن له كِفل منها، يعني: بالكفل النصيب والحظ من الوزر والإثم...، وقد قيل إنه عنىٰ شفاعة الناس بعضهم لبعض، وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكرنا، ثم عُمَّ بذلك كل شافع بخير أو شر».

(١) ونحو هذا مروي عن ابن عباس من طريق العوفي، وعن السدي من قوله (تفسير الطبري ٨/ ١٠، الكشف والبيان ١٠/ ٥٠٣).

والصحيح في سبب نزول هذه الآية ما البخاري (٤٥٨٩) ومسلم (١٣٨٤) والطبري ٨/ ٨: عن زيد بن ثابت: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما خرج إلىٰ أحد، رجعت طائفة ممن كان معه، فكان أصحاب النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم فيهم فرقتين، فرقة تقول: نقتلهم، وفرقة

﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم [بِمَا كَسَبُوٓاْۚ]﴾ أي: ردهم إلىٰ شركهم بخبث نياتهم ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ معشر المؤمنين ﴿أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي: ترشدوا من خذله الله ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ أي: خذله عن دينه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾ ودينًا.

﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾ أي: تمنوا أن تشركوا بالله كما اشركوا ﴿فَتَكُونُونَ﴾ هم وأنتم في الشر سواء ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ [مِنۡهُمۡ]﴾ من المرتدين ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ في النُصرة في الدين ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ [فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ]﴾ أي: يؤمنوا ويهاجروا إلىٰ المدينة مرة أخرىٰ ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان والهجرة ﴿فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ﴾ في الحل والحرم ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ أي: يدخلون في أمان القوم الذي واثقتموهم، وهم: قوم هلال بن عويمر كان بينهم وبين رسول الله عهد(١).

﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ معناه: إلا الذين يصلون إلىٰ قوم قد جاءوكم حصرت صدورهم أي: ضاقت قلوبهم من قتالكم أو من قتال قومهم؛ يحبون السلامة وركنوا إلىٰ العافية؛ وهم بنو مدلج.

ثم ذكر مِنّته علىٰ رسوله وأمته، فقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني: بني مدلج، لو أراد أن يسلِّطهم عليكم لسلَّط ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ﴾ مع قومهم ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: الصلح، وخضعوا لكم بالصلح ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ أي: حجة في قتالهم.

تقول:لا، فنزلت هذه الآية: ﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ الآية، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في المدينة: إنها طَيْبَة، وإنها تَنْفي خَبَثَها كما تنفي النار خبثَ الفِضَّة».

(١) وهذا قول عكرمة، قال: قوم هلال بن عويمر، وسراقة بن مالك، وخزيمة بن عامر (تفسير ابن جرير ٨/ ١٩).

قال الضحاك: نُسِخَت بآية السيف[١].

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ أي: غيرهم لم يعتزلوكم ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ أي: يأمنوا فيكم فلا تتعرضوا لهم ﴿وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾ أي: في قومهم وهم أسد وغطفان[٢] ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ﴾ متىٰ دعوا إلىٰ الشرك أجابوا إليها، وتكلموا بالإسلام وهم غير مسلمين ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ أي: لم يمتنعوا عن قتالكم وأموالكم ﴿وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: لم يلقوا الصلح ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: لم يكفوا عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ أي: حجة ظاهرة.

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔاۚ﴾ أي: وما جاز لمؤمن ذلك.

قيل: نزلت الآية في أبي الدرداء حيث قتل الراعي خطأ[٣].

---

(١) وناسخ ذلك براءة التي نزلت بعد فتح مكة، وهو إجماع من المفسرين كما قال ابن جرير (التفسير ٨/ ٢١، ٢٤).

(٢) سماهما الكلبي في روايته عن ابن عباس، وفي رواية العوفي لم يسم أحدا (الكشف والبيان ١٠/ ٥١١).

(٣) قال ابن زيد: «نزل هذا في رجل قتله أبو الدرداء، نزل هذا كله فيه، كانوا في سرية، فعدَل أبو الدرداء إلىٰ شِعْبٍ يريد حاجة له، فوجد رجلا من القوم في غنم له، فحمل عليه بالسيف فقال: لا إله إلا الله، قال: فضربه، ثم جاء بغنمه إلىٰ القوم، ثم وجد في نفسه شيئًا، فأتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ألا شققتَ عن قلبه، فقال: ما عَسَيْتُ أجِدُ، هل هو يا رسول الله إلا دمٌ أو ماء؟ قال: فقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه؟ قال: كيف بي يا رسول الله؟ قال: فكيف بلا إله إلا الله؟ قال: فكيف بي يا رسول الله؟ قال: فكيف بلا إله إلا الله؟ حتىٰ تمنَّيتُ أن يكون ذلك مبتدأ إسلامي، قال: ونزل القرآن ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔاۚ﴾. (تفسير الطبري ٩/ ٣٣).

وأما الاستثناء: قيل هو استثناء منقطع، أي: لا يقتله أصلاً، ولو قتله خطأ فحكمه كذا. ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ وتسليم دية كاملة إلىٰ أولياء المقتول: مائة من الإبل، أو عشرة دراهم[1]؛ علىٰ عاقلته وهم أهل ديوانه إن كان من أهل الديوان[2]، وعلىٰ الأنساب[3] إن كان من أهل البادية، وإن لم يكن منهما فعلىٰ بيت المال، يؤدون في ثلاث سنين.

﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ۚ﴾ أي: يتصدق أولياء المقتول علىٰ القاتل ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ﴾ هو ﴿عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ أن يسلم في دار الحرب ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: المقتول مؤمن ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أي: مصلية، ولا دية عليه ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ﴾ أي: مُصلِّية، وكان رسول الله مع بعض العرب يتواثقون أن لا يقتل بعضهم بعضًا، فإن وقع قتل خطأ فهذا حكمه.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ التحرير ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ لا يفطر فيهما يومًا ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي: رحمة منه لقاتل الخطأ، وإنما انتصبت بما تقدم[4]، أي: اعملوا بما أوجبه الله عليكم توبة ليقبل توبتكم.

وأما رواية الكلبي والسدي ومجاهد، فسبب نزولها عياش بن أبي ربيعة قتل رجلا لم يعلم بإسلامه (تفسير الطبري ٩/ ٣٢، الكشف والبيان ١٠/ ٥١٥).

(١) كذا في الأصل، وفيه خلل، والمشهور أن الدية: اثنا عشر ألف درهم علىٰ أهل الورق، وعلىٰ أهل الذهب: ألف دينار، والله أعلم.

(٢) انظر الخلاف في ذلك في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٣٢٠.

(٣) في الأصل: الإنسان، وهو تصحيف. والمقصود: أقرب الأنساب إليهم، ومحل تفصيل ذلك في كتب الفروع.

(٤) التبيان ١/ ٣٨١.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ حكم [بـ]ـالتوبة عليهم.

ثم قال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قيل: مستحلاً لقتله.

وقيل: نزلت في شأن مقيس بن صبابة، وجد أخاه هشام بن صبابة مقتولاً في بني النجار، فأخبر بذلك رسول الله، فقال لهم رسول الله: إن علمتم قاتل هشام فادفعوه إلىٰ أخيه، وإلا فادفعوا إليه الدية، فأعطوه مائة من الإبل علىٰ يدي رجل من بني فهر، وهو رسول [رسول] الله إليهم، فلما رجعا من بني النجار وقربا المدينة وسوس الشيطان [إلىٰ] مقيس ابن صبابة، وأمره أن يقتل الفهري مكان أخيه حتىٰ تفضل له الدية، فأخذ صخرة فرماه فشدخ رأسه وقُتِلَ، ثم رجع وساق الإبل، وافتخر به في شعر له، وهو:

قَتَلْتُ بِهِ فِهْرًا وحَمَّلْتُ عَقْلَهُ سَراةَ بَنِي النَّجّارِ أرْبابِ فارِعِ
وأدْرَكْتُ ثَأْرِي واضْطَجَعْتُ مُوَسَّدًا وكُنْتُ إلىٰ الأوْثانِ أوَّلَ راجِعِ

ورجع إلىٰ مكة كافرًا يعبد الأوثان[1]، فنزلت.

قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ قاصدًا لقتله ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ بشِرْكِه ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بأخذه الدية ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ باعتدائه حيث قتل غير قاتل أخيه ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ﴾ بجرأته علىٰ الله ﴿عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ أي: فتعرَّفوا.
ومن قرأ: «فتثبتوا» أي: امكثوا ولا تعجلوا[2].

---

(١) في الأصل: يعبد الله، وهو سبق قلم من الناسخ، وهذه القصة رواها ابن جرير في التفسير ٦/ ١٦، عن عكرمة مرسلا، وانظر: الكشف والبيان ١٠/ ٥٢٠.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالثاء: فتثبتوا، وقرأ الباقون: فتبينوا (النشر ٢/ ٢٥١).

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[١] نزلت في رجل من أصحاب رسول الله قتل مرداسًا -وهو رجل من الصحابة- في سفر الغزو، ولا يعرفه، ومرداس يقول، والقاتل لا يصدِّقه وظن أنه يكذب[٢].

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: الغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يغنمكم ويرزقكم ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إسلامكم تأمنون في قومكم من القتل بإقراركم، وقيل: يؤخذ من قبل أموالكم غنيمة.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بدينه ومتابعة رسوله ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ ولا تعجلوا بقتل من ألقىٰ إليكم السلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ لم يزل ولا يزال ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ يجزيكم بهذا غدًا.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ أي: في حال صحته ولا مرض به ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾ مع الكفرة بأموالهم وأنفسهم ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ [بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ]﴾ أي: طلب طاعة الله ورضوانه بالمثوبة.

وقرئ: «غيرُ أولي الضرر» بالرفع[٣]، وهو صفة القاعد أيضًا.

ثم قال: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾ أي: علىٰ القاعدين ذي العذر درجة، أي: فضيلة ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة بالإيمان ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ الذين لا عذر لهم ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ ثم بيَّن الأجر العظيم فقال:

---

(١) في الأصل: السَّلَم، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف، وقراءة الباقين كما أثبت (النشر ٢/ ٢٥١).

(٢) وهذا قول قتادة والسدي، كما في تفسير الطبري ٩/ ٧٨، وفيها أقوال أخرىٰ.

(٣) وهذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة ويعقوب (النشر ٢/ ٢٥١).

﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾ قيل: مائة درجة، من درجة إلىٰ درجة حُضْر[1] الجواد المضمر سبعين سنة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ للمجاهدين ﴿رَّحِيمًا ٩٦﴾ للقاعدين حين رخص لهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ نزل في قوم من المنافقين خرجوا مع[2] المشركين من مكة إلىٰ حرب بدر، منهم قيس بن الفاكهة، فقتلوا، فسألتهم الملائكة عند قبض أرواحهم[3]: ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ﴾ أي: في أي شيء كنتم؟ ومن أي فريق كنتم؟ ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مقهورين في أيدي الكفار بمكة؛ فأخرجونا إلىٰ الحرب كارهين ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الملائكة ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ﴾ أي: أرض المدينة آمنة ﴿فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ وتخرجوا من بين أظهر أعداء الله، وقيل: كانوا مؤمنين ولكن لما رأوا قلة المسلمين شكُّوا في أمر رسول الله، فكفروا به، فكانوا ظالمي أنفسهم أي: ظالمين أنفسهم نصب علىٰ الحال ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾ أي: منزلهم النار ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾ لمن صار إليها، ثم استثنىٰ فقال:

﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ يعني: المقهورين بمكة من الشيوخ والنساء الأرامل والولدان الصغار ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ﴾ أي: لا يجدون زادًا وراحلة ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨﴾ لا يعرفون طريقًا إلىٰ المدينة.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾ يتجاوز عن تقصيرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا﴾ عنهم بضعفهم وقلة حيلهم ﴿غَفُورٗا ٩٩﴾ جلوسهم وتخلُّفهم.

---

(١) أي: عَدْو الجواد، وهذا مروي عن ابن محيريز، انظر: تفسير الطبري ٩/ ٩٨، تفسير أبي الليث ١/ ٣٣٠، الكشف والبيان ١٠/ ٥٥٢.

(٢) في الأصل: من، وهو تصحيف.

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ٩/ ١٠٣ عن ابن عباس وغيره. ولم يسم ابن عباس أحدا، إنما سماهم عكرمة وبعض المفسرين (الكشف والبيان ١٠/ ٥٥٢).

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾ أي: متحولاً من أرض إلىٰ أرض، وقيل: مطالبًا للمعيشة والرزق، وقيل ملجأً.

وتقدير الآية: ومن يهاجر في سبيل الله من مكة إلىٰ المدينة ويفارق أهله وأولاده فريدًا وحيدًا لوجه الله تعالىٰ يجد في أرض المدينة متسعًا ومتحولاً وسِعَة في الرزق.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وهو جندع بن ضمرة الليثي خرج من مكة قاصدًا المدينة فمات بالتنعيم وهو قوله: ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ بالتنعيم ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وجب ثوابه علىٰ الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان منه ﴿رَّحِيمًا ١٠٠﴾ به بعد الإسلام، حيث تابع رسول الله وأخذ يده اليسرىٰ بيده اليمنىٰ عند الموت، وقال: اللهم هذه لك وهذه رسولك، أبايعك علىٰ ما بايعك رسولك ومات فنزلت الآية(١).

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: إثمٌ ﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ صلاة المقيم الظهر والعصر والعشاء ركعتان ركعتان، والمغرب والفجر بحالهما، وكذلك الوتر والسنن ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ يعني يقتلكم الكفار في الصلاة ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ١٠١﴾ أي: بيِّنٌ عداوتهم.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نزلت هذه الآية بغطفان، وكان المشركين عزموا الإيقاع علىٰ المسلمين إذا اشتغلوا بالصلاة، فأطلع الله نبيه علىٰ ذلك وأمره بالتحري(٢) ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ أي: مع أصحابك في غزوة ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أممت بهم في صلاة الخوف ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ [مِّنْهُم]﴾

---

(١) خبره في تفسير ابن جرير ٩/ ١١٤، والكشف والبيان ١٠/ ٥٥٨، وقد اختلف في اسمه.

(٢) جمع ابن كثير الروايات الواردة في سبب نزول هذه الآية في مبحث نفيس في تفسيره ٢/ ٤٠٠.

أي: جماعة من أصحابك ﴿مَعَكَ﴾ في الصلاة فتكبر ويكبرون، وتقوم طائفة بإزاء العدو ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ﴾ أي: الطائفة الذين بحذو[١] العدو ﴿أَسْلِحَتَهُمْۖ﴾ ليدفعوا بها بأس العدو عن أنفسهم ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ أي: الطائفة التي معك ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ الطائفة الأخرىٰ ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحفظون ظهوركم ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ التي كانت بحذو[٢] العدو ﴿لَمْ يُصَلُّواْ﴾ أي: لم يدركوا أول الصلاة ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ الركعة الثانية ﴿وَلْيَأْخُذُواْ﴾ الذين...[٣] العدو ﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: تمنىٰ الذين كفروا ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ أي: تضعون أسلحتكم ﴿وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ آلة الحرب ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةًۚ﴾ أي: يحملون جملة واحدة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ﴾ أي: احذروا في جميع الأحوال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ﴾ أي: خلق وهيأ ﴿لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٠٢﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾ معناه: فإذا فرغتم من الصلاة أي صلاة الخوف فاذكروا الله قيامًا وقعودا، قياما للصحيح وقعودًا للمريض ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ﴾ إن لم تستطيعوا القعود ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ رجعتم إلىٰ منازلكم وأمنتم من العدو ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ أربعًا ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ١٠٣﴾ أي: فرضًا مؤقتًا، في كل يوم وليلة خمس مرات.

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ﴾ ثم رجع إلىٰ ذكر الخروج إلىٰ بدر الصغرىٰ، يعني: لا تضعفوا أيها المؤمنون في طلب أبي سفيان وأصحابه ﴿إِن تَكُونُواْ

---

(١) في الأصل: يحذرو، وهو تصحيف، لأنها لو كانت يحذرو لكانت: يحذرون.

(٢) في الأصل: تجد، وهو تصحيف.

(٣) هاهنا كلمة مصحفة حاول أن يصلحها فما تم له ذلك، والمعنىٰ مفهوم: الذي واجهوا العدو..

﴿تَأْلَمُونَ﴾ تتوجعون مما أصابكم من الجراحة ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ أي: يتوجعون أيضًا كما تتوجعون ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ النصر الذي وعدكم، وإظهار دينكم على سائر الأديان، والجنة في العُقبىٰ ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، لأنهم غير مقرين بالآخرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالحكم وما أصابكم من الجراحات ﴿حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ حكم عليكم ابتغاء القوم.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ دون الباطل، والحق: وضع الشيء في موضعه علىٰ ما ترجو إليه الحكمة.

﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ بما أعطاك الله من الفهم في القرآن، وقيل بما علَّمك الله من الحكمة ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ نزلت في طُعمة ابن أبيرق، سرق درعًا وخبأه عند يهودي، فاقتفوا أثر السارق فوجدوه عند اليهودي، فقال: وضعه عندي طعمة ابن أبيرق، فكذب قوم طعمة اليهودي، وحلف طُعمة أنه لم يأخذ، وهمَّ رسول الله باليهودي، فنزلت الآية[(1)].

أي: لا تكُن لطعمة السارق مخاصمًا معينًا له.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ من همك باليهودي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ متجاوزًا عنك ﴿رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ بك.

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالسرقة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ كل ﴿مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ سارقًا ﴿أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ فاجرًا بربه.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يستترون من قوم طُعمة ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يقدروا أن يستتروا من الله ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ عالِم بهم ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا

---

(١) قصة ابن أبيرق مشهورة في كتب التفسير، وقد روىٰ الطبري جل الروايات الواردة في ذلك في تفسيره ٩/ ١٧٦.

﴿يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: يؤلفون من التهمة لليهودي ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ أي: بأعمالهم الخبيث عالمًا.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ها أنتم تنبيه، أي: أنتم يا هؤلاء يعني قوم طُعمة ﴿جَٰدَلْتُمْ [عَنْهُمْ]﴾ في حرف أُبي: عنه[1]، أي: خاصمتم عن طعمة ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: في الدنيا ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ حافظًا ومانعًا من النار، ثم عرض التوبة علىٰ طُعمة فقال:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بالسرقة والحلف الكاذب ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ ساتر الذنوب رحيمًا بعد إنابته.

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ أي: سرقة ويحلف بالله كاذبًا ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي: جنايته علىٰ نفسه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ لم يزل ولا يزال ﴿عَلِيمًا﴾ بسارق الدرع ﴿حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾ حكم القطع علىٰ السارق.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ أي: سرقة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ يمينًا كاذبًا ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ ثم يتهم بالإثم والسرقة طاهرًا من ذلك، يعني اليهودي ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا﴾ أي: استوجب عقوبة بهتانه وكذبه ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ أي: عقوبة ذنب بيِّن عند الله تعالىٰ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالوحي والنبوة ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ أي: يجهلوك حتىٰ تعذر السارق، وقيل: يستزلوك عن الحق، وهم قوم طُعمة ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ بتعاونهم علىٰ الإثم وشهادة الزور والبُهتان ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ من عصمة الله إياك ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ

---

(١) في الأصل: عنهم، جرىٰ علىٰ الجادة، ولا قراءة في ذلك، القراة المروية كما أثبت، انظر: الكشاف ١/ ٥٦٣، البحر المحيط ٣/ ٣٦٠.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ وبين فيه الحلال ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾ قبل الوحي ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ﴾ بالنبوة ﴿عَظِيمٗا ١١٣﴾.

﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ﴾ أي: لا منفعة في كثير من أسرارهم، يعني طُعمة وقومه ﴿إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلا في نجوىٰ من أمر بصدقة وإعطاء فقير ﴿أَوۡ مَعۡرُوفٍ﴾ أو أمر بإعطاء قرضٍ ﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ أي: يكون بين الحاضرين تشاجر فيصالح بينهما ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرنا ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ طلبًا لرضاه ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ في الجنة.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: يخالفه، يعني طُعمة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ التوحيد ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: دينًا غير دين الإسلام ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: نتركه ما اختار لنفسه الكُفر ﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ﴾ في الآخرة، أي: النار ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ أي: بئس ما صار إليه.

قيل: إن طُعمة ارتد عن الإسلام بعد ظهور سرقته ونزول الآيات، فنزلت الآية[1]:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أي: يتجاوز عن كُفر مَنْ كفر[2] ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما دون الشرك ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ من كان أهلاً للمغفرة، قيل: يغفر لمن يشاء لمن لم يكن بينه وبين أحد مظلمة ولا مطالبة، فوهب الله تعالىٰ حقه ما كان بينه وبين العبد ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ أي: جهل وتاه، أي: تحيَّر جهلاً بعيدًا عن الحق.

---

(١) وهذا علىٰ قول الجمهور فإن السياق مستمر في شأن طعمة، وفيه قول آخر (زاد المسير ١/ ٤٧٢).

(٢) وهو تفسير معنىٰ المغفرة، لا النفي، وهذا عادة كتب التفسير التي تدمج القرآن بالتفسير، يكون التفسير راجعا علىٰ المذكور أخيرا، فعلىٰ القارئ أن ينتبه.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ قيل: كان حي من أحياء العرب يقولون الملائكة بنات الله ويعبدونهم[١].

وقال ابن عباس: أراد الأوثان، اللات والعزىٰ ومناة، وكان ابن عباس يقرأ «أُثُنا»، يعني: وثنا، فبدل الواو عن الألف، كقوله: وقتت وأقتت[٢].

﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ يعني إبليس، لأنهم إذا أطاعوه فقد عبدوه، والمَرِيدُ: الخارج عن الطاعة المُبْعَد من الرحمة.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ طرده حين أبىٰ أن يسجد لآدم، وقال الملعون حينئذ: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾ لنفسي حظًا معلومًا.

قال ابن عباس: في كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار وواحد إلىٰ الجنة[٣].

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أي: أرجيَّنهم طول الحياة، ولبعضهم لا جنة ولا نار ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يشققونها، ويسمونها بحيرة وسائبة ووصية وحامًا ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ أي: يبدلنَّ دين الله، وقيل بالإخصاء، وقيل بالوشم ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يطيعه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ تاه وتحيَّر وضل ضلالاً بيِّنًا.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ يرجيهم الأباطيل ويشككهم في البعث ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في بقاء الدنيا وإنكار البعث ﴿إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ باطلاً.

---

(١) وهو قول الضحاك، رواه ابن جرير في التفسير ٩/ ٢٠٩.

(٢) القراءة في تفسير الطبري ٩/ ٢١٠، والكشاف ١/ ٥٦٦، وزاد المسير ١/ ٤٧٢.

(٣) وهو من رواية الكلبي، كما في تنوير المقباس ٨٠، وروي عن مقاتل، انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٣٤٠، الكشف والبيان ١١/ ٥.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مصيرهم إلىٰ النار بشركهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ أي: منجىٰ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ﴾ أي: وعدهم وعدًا حقًا ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ أي: لا أصدق من الله وعدًا، نصب علىٰ التمييز.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ أي: ليس أمر الثواب باشتهائكم يا أهل مكة ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ﴾ من اليهود والنصارىٰ ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ من يشرك بالله يُعَذَّب بالشرك، وقيل: من عمل معصية يكافأ به.

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ﴾ لنفسه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ قريبا ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ مانعا يمنعه.

وقيل إن المؤمنين قالوا: لا تضرنا المعصية مع الإيمان، واليهود قالوا: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودةً فنزلت الآية.

وقيل: إن المؤمن يجزيه في الدنيا بالمصائب والأمراض، والكافر لا يجد له وليًا ولا نصيرًا[١].

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ أي: لا ينقص من أعمالهم مقدار ما تسع في نقرة ظهر النواة[٢].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ﴾ يعني: وأي أحد أحكم دينًا وأحسن قولاً ممن أسلم ﴿وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص عمله لله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله، وقيل: أخلص عمله أي لم يجعل عزيرًا ولده والمسيح ابنه واللات والعزىٰ أربابًا دونه.

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٢٣٤، الكشف والبيان ١١/ ١١.

(٢) البسيط ٧/ ١١٢.

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ﴾ أي: لزمه، والحنيف الحاج والمختون ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ اصطفاه، قيل: الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل.

قال التستري: «ملة إبراهيم أي لا يعتمد علىٰ أحد سواه ألا تراه قال لجبريل أمَّا إليك فلا»[1].

وقيل: خليلاً أي فقيرا، كان لا يفتقر إلا إلىٰ الله.

---

(١) تفسير التستري ٦٢.
والقصة المشهورة التي يتوارد المفسرون علىٰ ذكرها في سب تسميته بالخليل ملخصها:
أنه أصابَ أهلَ ناحيته جدْبٌ، فارتحل إلىٰ خليلٍ له من أهل الموصل -وقال بعضهم: من أهل مصر- في امتيار طعام لأهله من قِبله، فلم يصبْ عنده حاجته. فلما قرُب من أهله مرَّ بمفازة ذات رمل، فقال: لو ملأت غرائري من هذا الرمل، لئلا أغُمَّ أهلي برجوعي إليهم بغير مِيرَة، وليظنوا أنّي قد أتيتهم بما يحبون! ففعل ذلك، فتحوَّل ما في غرائره من الرمل دقيقًا، فلما صار إلىٰ منزله نام. وقام أهله، ففتحوا الغرائر، فوجدوا دقيقًا، فعجنوا منه وخبزوا. فاستيقظ، فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا، فقالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك، فعلم، فقال: نعم هو من خليلي الله، قالوا: فسماه الله بذلك: خليلا».
وفي بعض الألفاظ: أن مواليه هم من ملؤوا الغرارة رملا.
فهذه القصة أوردها شيخ المفسرين ابن جرير الطبري دون أن يسوق إسنادها، وقال في التفسير ٩/ ٢٥٢: وقيل قد سماه الله خليلا من أجل.. فذكره، وعلق الشيخ شاكر: هذا دليل آخر علىٰ اختصار أبي جعفر تفسيره في مواضع، كما قيل في ترجمته. فلولا الاختصار، لساق أخبار إبراهيم عليه وعلىٰ نبينا صلىٰ الله عليهما السلام. وقد سلفت أخبار إبراهيم في مواضع متفرقة من التفسير..
قلت: لا شك أن هذا التفسير أخصر من الذي كان يريد أن يؤلفه، ولكن ليس هذا سبب الاختصار هنا، إنما سببه أن القصة من رواية الكلبي عن ابن عباس (كما في الكشف والبيان ١١/ ١٩)، وهو كذاب في روايته هذه، فلأنها ليست من شرطه لم يسق إسنادها، وله في صنيعه هذا نظائر.

وقال الشاعر في الفقر:

وإنْ أتاهُ فقير يوم مسغبةٍ ... يقولُ لا غائب مالي ولا حرم[١]

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ اتصال الآية:[٢] إن الله اتخذه خليلاً لا لحاجة؛ فإنَّ لله ما في السماوات وما في الأرض وهو عبد من عبيده ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ عالمًا علم[٣] إحاطة، والمحيط بالشيء: الذي علمه بجميع جهاته، يُعلِّمكم أيضًا ويفتيكم، وعلم الإحاطة: أن يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون وما هو كائن وما أن لو كان كيف يكون.

﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ وميراثهن من أبيهن ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ﴾ أي: يبين لكم ويعلمكم ﴿فِيهِنَّ﴾ في ميراثهن ﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الذي يقرأ عليكم في أول هذه السورة ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: بنات أم كجَّة وقد مات زوجها وترك بناتًا، وأخذت الورثة مالها، ولم يعطوا البنات شيئًا علىٰ عادة الجاهلية، فجاءت أم كجَّة إلىٰ رسول الله وأخبرته، فنزلت الآية[٤].

وقيل: أراد بهذه الآية ذكر قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ﴾ الآية.

---

(١) كذا أنشد البيت، وهو لزهير بن أبي سلمىٰ يمدح هرم بن سنان، وإنما يتم له الشاهد برواية: وإن أتاه خليل.. وهكذا هو في معاني الزجاج ٢/ ١١٢، الكشف والبيان ١١/ ٢١، البسيط ٧/ ١١٤، وقال: الخليل الفقير.

(٢) أي مناسبتها.

(٣) في الأصل: علمه، وهو تصحيف.

(٤) خبر أم كجة من رواية الكلبي كما في الكشف والبيان ١١/ ٢٢، ولذا لم يعرج عليه الطبري في التفسير ٩/ ٢٦٠.

﴿ٱلَّتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن(١).

وقوله: ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ أي: يفتيكم في المستضعفين المقهورين ﴿مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ بمكة ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ أي: يفتيكم أن تحفظوا مال اليتامىٰ بالعدل ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ وإحسان إلىٰ هؤلاء الفِرَق الثلاث ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧﴾ يجزيكم بها.

﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾ فكلمة الشرط لا تدخل علىٰ الأسماء؛ علىٰ التقديم والتأخير، ومعناه: إن خافت امرأة، يعني خولة بنت محمد بن مسلمة تزوج عليها زوجها رافع(٢).

﴿نُشُوزًا﴾ أي: بُغضًا وعصيانًا، ﴿أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ منها إلىٰ غيرها، قيل: النشوز ترك الجماع، والإعراض ترك المجالسة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ﴾(٣) علىٰ ما ترضىٰ به المرأة: أن يتزوج عليها غيرها ويكون عندها كذا وعند غيرها كذا.

---

(١) فأن هنا بمعنىٰ عن أن: أي ترغبون عنهن (تفسير الطبري ٩/ ٢٦٤).

(٢) عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار: أنَّ رافع بن خديج كان تحته امرأة قد خلا من سنها، فتزوج عليها شابة، فآثر الشابة عليها. فأبت امرأته الأولىٰ أن تقيم علىٰ ذلك، فطلقها تطليقة. حتىٰ إذا بقي من أجلها يسير قال: إن شئت راجعتك وصبرتِ علىٰ الأثرة، وإن شئت تركتك حتىٰ يخلو أجلك، قالت: بل راجعني وأصبر علىٰ الأثرة، فراجعها، ثم آثر عليها، فلم تصبر علىٰ الأثرة، فطلَّقها أخرىٰ وآثر عليها الشابة. قال: فذلك الصلح الذي بلغنا أن الله أنزل فيه: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾ الآية، (تفسير الطبري ٩/ ٢٧٥).

(٣) في الأصل: يصَّالحا، وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين، وقرأ الكوفيون كما أثبت (النشر ٢/ ٢٥٢).

﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ من الجور، وقيل: من المفارقة والمباراة ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ أي: جُبِلَتْ الأنفس علىٰ البُخل، أي: تشح المرأة بمكانها من زوجها والرجل يشح بنفسه علىٰ المرأة إذا كانت غيرها أحب إليه ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ إلىٰ النساء بجميل العشرة ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجور والميل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من العدل والجور ﴿خَبِيرٗا ١٢٨﴾ يجزيكم عليهما.

ثم قال: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ﴾ أبدًا ﴿أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بين الشابة والكبيرة في الحب ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ﴾ علىٰ ذلك وجهدتم، لأن الحب مخلوق في القلب ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾ بالبدن ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾ أي: كالمسجونة؛ لا أيِّمًا ولا ذات بعل ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ بينهن ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجور ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ لميلكم إلىٰ الشابة رحيمًا علىٰ من تاب من ذلك.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ بالطلاق ﴿يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ﴾ أي: برزقه الحاوي علىٰ عباده ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ في الرحمة والعطاء ﴿حَكِيمٗا ١٣٠﴾ فيما أمر بالفُرقة.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ هو مالك ما فيهما والمستحق للربوبية ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ﴾ أي: أمرنا أهل التوراة والإنجيل وأمرناكم يا أمة محمد ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ وحده، ولا تشركوا به، وقيل: اخشوه من أمر النساء فلا تظلموهن ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ وصية الله فيهن ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ تنبيه بعد تنبيه، أي: لا تطلبوا من غير الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ١٣١﴾ أي: غنيًا عن طاعة العباد، محمودًا في فعاله، يحمده العارف وغير العارف.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢﴾ أي: حافظًا وناصرًا ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾ أطوع منكم، ولكنه لا يفعل لأنه غني عن العبادة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ١٣٣﴾ علىٰ ذهابكم وتخليف غيركم.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: يريد بعبادته التي فرض عليه عرض الدنيا ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ فليطلب ذلك في رضى الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لمقالتكم ودعائكم ﴿بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ بأعمالكم.

﴿۞ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ حفظًا لأمر الله، وقيل: قوموا بالعدل وأشهدوا الله بالحق ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ حق أقر به ﴿أَوِ﴾ على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ بغناه وفقره منكم، وقيل: الله أولى بالتعظيم، فلا تميلوا في ذلك لفقره وغِناه ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ أي: لا تعدلوا، فلا تطلبوا مراد الأقرباء في الشهادة ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾ قيل تلجلجوا فتفسد الشهادة(١).

وقرئ: «تلُوا» من الولاية، يقول: إن أقمتم الشهادة أو(٢) عرضتم عنها(٣).

﴿[أَوْ تُعْرِضُواْ] فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من كتمان الشهادة وإقامتها ﴿خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ يجزيكم بها.

﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قيل: نزلت في عبد الله بن سلام(٤) ومن معه أسد وأُسيد ابنا كعب؛ وثعلبة بن قيس، أتوا رسول الله وقالوا: نؤمن بك وبكتابك وموسى وعزير والتوراة ونكفر بما سواه، فنزلت الآية(٥).

---

(١) رواه الطبري في التفسير ٩/ ٣٠٨ عن قتادة.

(٢) في الأصل: إذا، وهو تصحيف لا معنى له، وعلى الصواب وردت في الكشاف.

(٣) وهي قراءة ابن عامر وحمزة، كما في النشر (٢/ ٢٥٢).

قال الزمخشري في الكشاف ١/ ٥٧٥، وقال: إن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها.

وانظر: التبيان ١/ ٣٩٨، الدر المصون ٤/ ١١٨.

(٤) في الأصل: مسلم، وهو تصحيف.

(٥) وهذه رواية الكلبي كما في تفسير أبي الليث ١/ ٣٤٧، الكشف والبيان ١١/ ٤٤.

وقيل: نزلت في المنافقين.

آمنوا بالله وبمحمد ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[١] أي: جميع الكتب، ثم قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ تحير تحيُّرا طويلاً لا انقطاع له.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ قيل: آمنوا بموسىٰ ثم كفروا بعد موته، ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعده بعيسىٰ، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد عليه الصلاة والسلام.

وقيل: آمنوا يوم الميثاق، ثم كفروا بعد البلوغ، ثم آمنوا بمحمد، ثم كفروا بالارتداد، ثم ازدادوا علىٰ الارتداد حيث أقاموا علىٰ الردة إلىٰ الموت[٢].

﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ إذا ماتوا علىٰ الكفر ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ ولا ليرشدهم إلىٰ طريق النجاة؛ وهو الإسلام. ثم قال:

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ قال الزجاج: فيه دليل علىٰ أن الآية نزلت في المنافقين[٣].

ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتولون اليهود في العون والنُصرة دون المؤمنين ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ أي: عند اليهود المنعة والغلبة ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ لا لليهود.

---

(١) في الأصل: الذي أُنزلَ...والكتاب الذي أُنزل، وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون كما أثبت. (النشر ٢/ ٢٥٣).

(٢) وعليه فالآية في المنافقين، ولا مانع من أن تكون شاملة أهل الكتاب والمنافقين معا، وإن رجح ابن جرير أنها نزلت في أهل الكتاب لدلالة السياق قبلها (تفسير الطبري ٩/ ٣١٦)، فإنه يمكن أن تكون تأسيسا لذكر المنافقين بعدها، والله أعلم.

(٣) معاني القرآن ٢/ ١١٩،

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: بيَّن لكم في القرآن وأمركم ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾ أي: يجحد بمحمد والقرآن ﴿وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: يسخر بها ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ القرآن وذكر محمد ﴿إِنَّكُمْ [إِذًا]﴾ إذا جالستموهم تكونوا ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ لأنكم رضيتم بقولهم وفعلهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ أي: ينتظرون هلالكم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ظفر ونُصرة ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: علىٰ دينكم، أعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ أي: ظفر ودولة، قالوا للكافرين: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نخبركم بعورة محمد، والاستحواذ: الاستيلاء لغة، يقال: حاذ العير أتنه؛ إذا بالغ في حفظها، وفي التنزيل ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: استولىٰ، فمعناه: ألم نغلبكم بالموالات لكم[1].

﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: منعناكم ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ يا معشر المنافقين واليهود ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يوجب لكل فريق منكم ما يستحق من العقوبة ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ أي: دولة.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بألسنتهم غير تصديق في الإيمان ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ أي: يسرع لهم جزاء خداعهم وإضمار كفرهم، وخداعهم: المدد من الأموال والبنين في عاجل الدنيا، والخاتمة بالنار.

﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ لا يتمون ركوعها وسجودها ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يصلون رياء الناس ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ رياء وسمعة، ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرًا، عن الكلبي[2].

---

(١) البسيط ٧/ ١٥٧.

(٢) تنوير المقباس ٨٣.

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ مترددين بين الكفر والإيمان ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ليسوا مع المؤمنين فيستحقون ثوابهم ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: ليسوا مع الكفار فيؤخذوا بما يؤخذ به الكفار من القتل والجزية ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ يجهله ويحيره ويغطي قلبه بظلمات معاصيه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ أي: مخرجًا من ظلمته إلىٰ الهدىٰ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وكان المؤمنون بعضهم يتولون اليهود والنصارىٰ ليستقرضوا مالهم عند الحاجة، فنزلت الآية[1].

وقال: ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجة في عقوبتكم ﴿مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ يعني الدرج الأبعد، وقيل: الدرج والدرك واحد، وقيل: ما كان في الصعود فهو درج وما كان في الهبوط فهو درك[2].

وإنما استوجبوا الأسفل لأنهم فاقوا الكفار بكفرهم، وفَضَلُوا الكفار بمخادعتهم[3] ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ مانعًا من النار.

وقال الحسن: إنما قلَّ لأنه كان لغير الله، وقال قتادة: إنما قلّ ذكر المنافق، لأن الله لم يقبله. وكل ما رَدَّ الله قليل، وكل ما قبلَ الله كثير (تفسير الطبري ٩/ ٣٣٢).

(١) لم أجده عند غيره من المفسرين، ونحوه في تفسير أبي الليث ١/ ٣٥٠.

(٢) نسبه الواحدي للضحاك (البسيط ٧/ ١٦٦).

(٣) قال الزمخشري: لأنه مثله في الكفر، وضم إلىٰ كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله (الكشاف ١/ ٥٨١).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ رجعوا من نفاقهم ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ العمل فيما بينهم وبين ربهم ﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: تمسكوا بتوحيده ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ أي: التوحيد الذي تكلموا به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ أي: من المؤمنين ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ ثوابًا في الجنة.

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾ استفهام بمعنىٰ الجحد، أي: لا يعذبكم[١] ﴿إِن شَكَرۡتُمۡ﴾ وجدتم في السر ﴿وَءَامَنتُمۡۚ﴾ أي: صدقتم في إيمانكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾ مجازيًا مكافئًا، وعليمًا بثوابكم، والشكر من الله تعالىٰ لعبده أن يقبل عمله ويجازيه.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: لا يحب الله أنْ يذكر أحدٌ أحدًا بالقول القبيح.

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ قيل: ولا من ظلم، أي: لا يجب ذلك من المظلوم أيضًا[٢].

وقيل: معناه «لا يحب الله» -الآية- كلامٌ، وقوله: «إلا من »ظلم كأنه قال: إذا علم العبد أن هذا مما لا يحبه الله امتنع عنه إلا من ظَلَم نفسه، فلا يبالي به، ويجهر بالسوء بجهله، إلا من ظلم فينتصر وينتصف من القول بمثل ما ظُلم، ولا حرج عليه.

قيل: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه شتمه رجل، وسكت أبو بكر مرارًا، ورسول الله جالس، فلما أجابه أبو بكر ذهب رسول الله، فنزلت الآية[٣].

---

(١) وقيل: معناه التقرير (البسيط ٧/ ١٦٨) والمعنىٰ واحد.

(٢) وهو قول الكلبي (تنوير المقباس ٨٤).

(٣) هذا قول مقاتل، كما في تفسيره ١/ ٢٦٧، وتتمته: فقال أبو بكر: يا رسول الله، شتمني وأنا ساكت، فلم تقل له شيئًا، حتىٰ إذا رددت عليه قمت، قال: إن ملكا كان يجيب عنك، فلما أن رددت عليه، ذهب الملك وجاء الشيطان، فلم أكن لأجلس عند مجيء الشيطان.

أي: لا يأذن الله أحدًا باللعن لأحد إلا للمظلوم، فقد أذن له أن ينتصر من الظالم بالدعاء، وهذا استثناء منقطع؛ معناه: ولكن من ظلم[١].

وقيل: أراد به الدعاء على الظالم بما فيه نجاته؛ لا بما فيه ضرر بالظالم.

وقيل: هو شكاية الضيف إذا منعوا عنه الضيافة فرخص له الشكاية[٢].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لدعاء المظلوم ﴿عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ بعقوبة الظالم.

ثم أخبر أن العفو والتجاوز أفضل عند الله فقال: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ عليه ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ مظلمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ ذوا تجاوز ﴿قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ على عفو ذنوبك كما عفوت عن صاحبك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: يأخذوا دنياكم بأمر الله ورسوله[٣] وهو أن: يقولوا ليسوا هم أنبياء ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ أي: بموسى وعزير والتوراة ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ بالإنجيل والقرآن وعيسى ومحمد.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ أي: مذهبًا يذهبون إليه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ أي: صدقًا ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ كفعل اليهود

---

(١) وهو معنى قول ابن عباس (تفسير ابن جرير ٩/ ٣٤٤).

(٢) وهو قول مجاهد، قال: هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته، فيخرج من عنده فيقول: أساءَ ضيافتي ولم يُحسن (تفسير ابن جرير ٩/ ٣٤٥).

(٣) كذا في الأصل، وهو مختل النظم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ﴾[1] في الآخرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف من الشرك ﴿رَّحِيمًا ١٥٢﴾ بهم في الإسلام.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا﴾ لأنهم سألوا أن ينزل كتابًا بمرة واحدة كما جاء موسىٰ بالتوراة ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ وأعظم ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وهم السبعون الذين اختارهم موسىٰ للجبل، قيل: جهرة أي: أرنا الله رؤية منكشفة[2]، وقيل: جهرة صفة لقولهم، أي: قالوا -جهرة-: أرنا الله.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ [بِظُلْمِهِمْۚ]﴾ يعني: الموت بقولهم هذا ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الآيات التسع ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ١٥٣﴾ اليد والعصا.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ﴾ رؤوسهم ﴿ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ أي: إقرارهم بالتوراة ولم يقبلوها ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي: باب أيلة رُكَّعًا ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ بعد ذلك بزمان ﴿لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ بأخذ الحيتان ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ١٥٤﴾ في محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم [مِّيثَٰقَهُمْ]﴾ أي: فبنقضهم الميثاق الذي أُخذ عليهم في التوراة؛ واستحلالهم السبت؛ لعنَّاهم، واللعن هاهنا مضمر، وقد ظهر في موضع آخر ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الذي بيَّنت لهم في التوراة من صفة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: بغير جرم كان منهم ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾ في غطاء وأكنَّة لا تفهم، وقيل: أوعية لكل علم ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾ ختم

---

(١) في الأصل: نؤتيهم، بالنون، وهي قراءة كل القراء سوىٰ حفص (النشر ٢/ ٢٥٣).

(٢) وهذا هو المشهور في كتب التفسير لا الثاني (الكشف والبيان ١١/ ٦٤).

الله عليها ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ عقوبة لهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ بمحمد والقرآن ﴿إِلَّا قَلِيلًا ١٥٥﴾ منهم عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ بعيسىٰ ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ١٥٦﴾ رموها بالزنا كذبًا.

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ أي: بقولهم ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ سُمِّي مسيحًا لأنه مسح بالبركة ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي: كان رسول الله فقتلناه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ قال بعض أهل التفسير: ما قتلوه يقينًا وكل من علم شيئًا بكماله يقال قتله علمًا، والهاء راجع إلىٰ عيسىٰ، يقول: عيسىٰ علىٰ كل حال غير مقتول(١).

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ألقىٰ شبهه علىٰ غيره فقتلوه وظنوا أنهم قتلوا عيسىٰ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي: الذي اختلفوا في قتل عيسىٰ هم في شك من قتله ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ قُتل أو لم يقتل ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ١٥٧﴾.

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ إلىٰ السماء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ بالانتقام ممن عصاه ﴿حَكِيمًا ١٥٨﴾ بنصره أولياءه علىٰ أعدائه.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارىٰ ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ بعيسىٰ ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعني قبل موت عيسىٰ، وقيل: قبل موت الكتابي حين تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وتقول: يا عدو الله إن المسيح عبد الله ورسوله، فيؤمن به ولا ينفعه إيمانه.

قال ابن عباس: من غرق أو حرق أو أكله سبع لا تخرج روحه حتىٰ يؤمن بعيسىٰ(٢).

---

(١) القتل هنا علىٰ بابه، ينفي الله عز وجل أن يكون قتل أو صلب.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ٣٨٢.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ فيما قالوا من البهتان والجحود.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ﴾ أي: عوقبوا بظلمهم بتحريم الطيبات التي ﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دين الله ﴿كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ من الناس.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ عن أكله في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالظلم والرشوة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ يعني المبالغين في علم التوراة[1] ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ﴾ نصب على المدح، وقيل: معطوف على الإيمان أي[2]: يؤمنون بالمقيمين الصلاة[3] ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: الزكاة المفروضة ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ ثوابًا وافرًا.

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ بالقرآن ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الخليل ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ الصدِّيق ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ الذبيح ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ إسرائيل ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاد يعقوب ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ﴾ ثم قال ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ فعول بمعنى مفعول، أي: مزبور مكتوب.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾ لم نسمهم لك ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ بلا يوحي مخاطبةً.

---

(١) ينسب لابن عباس كما في البسيط ٧/ ١٨٩، وكنت أظن الصواب: البالغون، كما في تنوير المقباس، ولكنها هكذا وردت في البسيط، والكشف والبيان ١١/ ٧٩، فدل على صحتها.

(٢) في الأصل: أن، وهو تصحيف.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٠٨.

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾ نصب لأنه بدل عن قوله: «رسلاً قد قصصناهم عليك»، وقيل: صفة لهم مبشرين[١].

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالجنة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾ أي: عند الله عذر في القيامة ﴿بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: بعد إرسال الرسل إليهم، كيلا يقولوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ قيل: نزلت في أهل مكة إذ قالوا: من يشهد أنك رسول الله فإنَّا سألنا أهل الكتاب فلم يشهدوا[٢]، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ وإن لم يشهد غيره ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أنك أهل لإنزاله عليك لقيامك به، وقيل: أنزله علىٰ علم منه بمن يقبل ذلك وبمن لا يقبل، وقيل بأمره.
﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ عليه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾ إن لم يشهدوا اليهود.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ عن الحق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟﴾ بإصرارهم علىٰ الكفر ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي: لا يتجاوز عنهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ١٦٨﴾.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي: طريق الشرك الذي يؤديهم إلىٰ جهنم، وهذا في قوم علم الله تعالىٰ أنهم لا يؤمنون، بل يموتون علىٰ الكُفر ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي: في النار ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٦٩﴾ أي: تخليدهم.

---

(١) التبيان ١/ ٤١٠.
(٢) ذكره السمرقندي في تفسير أبي الليث ١/ ٣٥٩، والثعلبي في الكشف والبيان ١١/ ٩١ منسوبا لابن عباس، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٤٩٩، وهو من رواية الكلبي كما في تنوير المقباس ٨٦.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ يعني به أهل مكة، أي: قد جاءكم محمد بالفرقان صدق من ربكم، وقيل: قد جاءكم الرسول بالحق الذي لله عليكم(١).

﴿فَـَٔامِنُواْ﴾ أي: صدِّقوا بمحمد والقرآن يكون ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: لا تنقصوه من ملكه شيئًا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه من يؤمن ومن لا يؤمن ﴿حَكِيمٗا ١٧٠﴾ يحكم بينهم.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ الغلو: مجاوزة القدر عن غير الحق(٢). أي: لا تتعمقوا فتفتروا علىٰ الله.

ابن عباس قال: نزلت في النسطورية والماريعقوبية والمرقوسية(٣)، فالنسطورية قالوا: عيسىٰ ابن الله، والماريعقوبية من نصارىٰ نجران قالوا: عيسىٰ هو الله، والمرقوسية قالوا: عيسىٰ ثالث ثلاثة لعنهم الله لعنًا وبيلًا(٤).

﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ من أمر عيسىٰ ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أي: مَن كان ولدًا لمريم كيف يكون إلهًا، هو رسول الله أرسله إليكم ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ قوله كن فكان ﴿أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ فوضع اسم الكلمة علىٰ عيسىٰ لأنه كان بشرىٰ(٥) ألقاها إلىٰ مريم وقال: ليكن في بطنها ولد من غير أب ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ أي بنفخة جبريل، وقيل: لأنه يحيا به الناس كما يحيون بالأرواح.

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٤١٢، البسيط ٧/ ٢٠٢.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ٤١٥، الكشف والبيان ١١/ ٩٣، البسيط ٧/ ٢٠٤.

(٣) وهذه الثلاث فرق النصارىٰ، انظر في التعريف بها: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٢٢.

(٤) وهو من رواية الكلبي، انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٣٠٦، الكشف والبيان ١١/ ٩٢، تنوير المقباس ٨٦.

(٥) لعلها هكذا فإنها في الأصل مصحفة، وقد يكون صوابها: نفخة، وبهاتين الكلمتين أجاب أهل التفسير، انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٢.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ﴾ أي: بعيسىٰ ومحمد وغيرهما ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ أي: آلهتنا ثلاثة: الله والمسيح وأمه ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ أي: انتهوا عن هذه المقالة كان خيرًا لكم ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ ليس باثنين ولا ثلاثة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ أي: يكون له مثلٌ كعزير وعيسىٰ ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ كلهم عبيده ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ أي: ربًا، اكتفوا بربوبيته.

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ أن يتعظم ولن يحتشم ولن يأنف أن يكون ﴿عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ حملة العرش ﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ﴾ عن الائتمار بأمره ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ في الآخرة المستكبر والمتواضع.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ في الآخرة ثواب إيمانهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ﴾ أي: من عطائه؛ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم﴾ أي: لأنفسهم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ قريبًا ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣﴾ يمنعهم من النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: القرآن ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ أي: علىٰ نبيكم ﴿نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ ضياءً من العمىٰ وهو القرآن.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ قال ابن جريج: تمسكوا بكتابه(١).

وقيل: بدينه إلىٰ الموت ﴿فَسَيُدۡخِلُهُمۡ﴾ ربهم ﴿فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾ يعني الجنة ﴿وَفَضۡلٖ﴾ أي: الكرامة ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾ قيل: في الآية تقديم وتأخير، بمعنىٰ يهديهم في الدنيا ويثبتهم علىٰ صراط مستقيم ثم يدخلهم الجنة(٢).

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٤٢٩، الكشف والبيان

(٢) نحوه في تفسير أبي الليث ١/ ٣٦٢.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ نزلت في جابر بن عبد الله حيث قال: يا رسول الله إن لي أختًا فما لي منها بعد موتها، فنزلت[1].

﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ من أبيه وأمه ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ بيَّن ميراث جابر أولاً، ثم ميراث أخته الكلالة، من لا ولد له ولا والد، لأنه كلَّ به النسب.

وإن كان له أخت من الأب مع الأخت من الأب والأم فلها السدس تكملة الثلثين مع نصياب الأخت من الأب والأم، والباقي للعصبة.

﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾ يعني الأخ يرث تركة الأخت ﴿إِن لَّمْ يَكُن [لَّهَا]﴾ للأخت ﴿وَلَدٌ [فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ][2] وَإِن كَانُوٓا۟﴾ أي: الورثة ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾ ولم يكن للميت ولد ولا والد ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ قيل: كراهة أن تضلوا.

وقال الفراء: معناه أن لا تضلوا، فأضمر لا، وقد يراد لا والمعنىٰ طرحها، كقوله تعالىٰ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ ومعناه: ليعلم أهل الكتاب[3].

---

(١) روىٰ البخاري (١٩٤) ومسلم (١٦١٦) عن جابر بن عبد الله، قال: مرضت فأتاني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأبو بكر يعوداني ماشيين، فأغمي علي، فتوضأ، ثم صب علي من وضوئه، فأفقت، قلت: يا رسول الله، كيف أقضي في مالي؟ فلم يرد عليَّ شيئًا، حتىٰ نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾.

(٢) سقط علىٰ الناسخ تفسير هذه الآية، قال أبو الليث: يعني: إذا كان للميت أختان أو أكثر فلهما الثلثان إذا كانتا اثنتين، وإن كنَّ أكثر من ذلك فلهنَّ الثلثان أيضـًا بالإجماع (تفسير أبي الليث ١/ ٣٦٢).

(٣) نحوه في معاني القرآن ١/ ٢٩٧.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة النساء أعطي من الأجر مثل من يجد قريبًا من أقربائه رقيقًا فاشتراه وأعتقه، وبرئ من الكفر، ويكون من جملة المغفورين»[(١)].

والله سبحانه أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) حديث موضوع، رواه الثعلبي ١٠/ ٩، والمستغفري في فضائل القرآن(١١٧٢).

السورة التي يذكر فيها المائدة

مدنية غير قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ فإنها نزلت بعرفات بعد الهجرة[(١)].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ العقد: هو الجمع بين الشيئين بما يتعذر انفصال أحدهما عن الآخر، ونقيضه الحل[(٢)].

ومعنىٰ العقود هاهنا العهود، قيل: أراد به عهودَ التحليل والتحريم[(٣)]، وقيل: هو عهد بين المشركين وبين المسلمين نهىٰ عن نقضها حتىٰ يكون النقض من قبلهم.

ثم ابتدأ فقال: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ وهو ثمانية أزواج هي مذكورات في القرآن، وقيل: أنسيها ووحشيها ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ تحريمه وهو قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ إلىٰ آخره.

---

(١) انظر: الكشف والبيان ١١/ ١٠٩، البيان في عد آي القرآن ١٤٩.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ٤٥١، البسيط ٧/ ٢١٧.

(٣) وهو قول ابن عباس، ورجحه ابن جرير، وقال (في التفسير ٩/ ٤٥٤):
وإنما قلنا ذلك أولىٰ بالصواب من غيره من الأقوال، لأن الله جل وعز أتبع ذلك البيانَ عما أحل لعباده وحرم عليهم، وما أوجب عليهم من فرائضه. فكان معلومًا بذلك أن قوله: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾، أمرٌ منه عبادَه بالعمل بما ألزمهم من فرائضه وعقوده عقيب ذلك، ونَهْيٌ منه لهم عن نقض ما عقده عليهم منه، مع أن قوله: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾، أمرٌ منه بالوفاء بكل عقد أذن فيه، فغير جائز أن يخصَّ منه شيء حتىٰ تقوم حجة بخصوص شيء منه يجب التسليم لها. فإذْ كان الأمر في ذلك كما وصفنا، فلا معنىٰ لقول من وجَّه ذلك إلىٰ معنىٰ الأمر بالوفاء ببعض العقود التي أمرَ الله بالوفاء بها دون بعض.

﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: في الحرم بحج أو عمرة، يقول: أحللت لكم هذه الأشياء في غير حالة الإحرام، والحرم جمع حرام والحرام المحرم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ [مَا يُرِيدُ] ①﴾ على عباده بما يشاء مما أحل وحرم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: مناسك الحج[1].

واحده شعيرة، وهي: جميع المتعبدات، الله الذي أشعرها أي: جعلها أعلامًا لها.

ثم قال: ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ أي: لا تستحلوا القتل في الشهر الحرام، ولا تتعرضوا للبُدن إلىٰ تُهدىٰ إلىٰ بيت الله؛ فيعلق لحاء الشجرة علىٰ عنقها، حتىٰ تعلموا أنها رجعت حاجًا، كما في عادة الجاهلية.

والقلائد: أراد به ذات القلائد فحذف المضاف.

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ يعني القاصدين إلىٰ الحرم، لا تقتلوهم ولا تأخذوا أموالهم. قيل: كان أهل الجاهلية إذا خافوا من عدوهم وأرادوا أن يأمنوا الإغارة قلَّد الرجل بعيره بشعر أو وبر أو بشيء من لحاء شجر الحرام، فكان لا يُتعرض بسوء، فلما جاء الإسلام ثبَّتهم الله علىٰ ذلك، ثم نسخ[2].

قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ أي: ربحًا بالتجارة ورضوانًا بالحج، ولكن الله لا يرضىٰ عنهم ما لم يسلموا، وأكثر هذه الأحكام نُسِخَتْ بآية السيف.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ أي: خرجتم من إحرامكم فاصطادوا خارج الحرم

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٤٦٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٩٩، الكشف والبيان ١١/ ١٢١.

إن شئتم، أمر إباحة واختيار ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي: يحملنكم[1] ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ [أَن صَدُّوكُمْ]﴾ وقيل يكسبنكم، أي: لا يحملنكم بُغضهم علىٰ الظلم والاعتداء حيث صدوكم ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عام الحديبية ﴿أَن تَعْتَدُوا۟﴾ علىٰ حُجَّاج اليمامة فتستحلون منهم.

ثم قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾ أي: علىٰ الطاعة ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: بترك المعصية ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ المعاصي والظلم، إلا بما يلزم الإثم، والعدوان: ما يتعدىٰ علىٰ غيره ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ يعني أكل الميتة التي ماتت حتف أنفها ﴿وَٱلدَّمُ﴾ المسفوح ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: ما ذُبِحَ وذُكِرَ علىٰ الذبيحة غير اسم الله ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ التي تخنق بالحبل حتىٰ ماتت ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ المضروبة بالخشب حتىٰ ماتت ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي سقطت من جبل أو تقع في بئر ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ التي نطحتها صاحبتها بقرنها فماتت ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي: حرم أكل ما أكل منه السبع فمات ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ فالاستثناء واقع علىٰ جميع ما سبق ذِكره، وإدراك الذكاة: أن يوجد وله عين تطرف أو ذنب يتحرك فذبح؛ فأكله جائز.

قيل الاستثناء وقع [علىٰ] ما أكل السبع خاصة[2].

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ أي: ذبح وأريق دمها علىٰ النُّصب، وهي الحجارة المنصوبة، كانوا يعبدونها ويقربون الذبائح إليها، والنصب ما لا صورة له من الأوثان، والصنم ما كان مصورًا منقَّشًا.

---

(١) وهو قول الفراء في معاني القرآن ١/ ٢٩٩.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ٥٠٥.

﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ القداح، واحدها زَلَم على وزن قَلَم وأقلام، وقيل زُلَم على وزن جُمَل[١].

وهي: سهام صغار بعضهم يتخذها من الأديم كالدراهم يصقلها ويختم على بعضها: «أمرني ربي» وعلى بعضها: «نهاني ربي»[٢] وبعضها لا شيء عليه، ويسمى غُفلاً، فإذا عزم على أمر يجيل القداح، فإن خرج الذي عليه أمرني ربي وجب عليه الخروج، ولا يجوز له التخلف، وإن خرج الذي عليه نهاني ربي يقعد عن حاجته ولا يجوز له الخروج، وإن خرج ما لا كتابة عليه -وهو الغفل- أجالها ثانية.

وقيل: كانوا يجتمعون عشرة نفر ويشترون جزورًا، ويجعلون لحمه تسعة أجزاء، وأعطى كل واحد سهمًا، وجمعوا السهام العشرة عند رجل، فيخرجه واحدًا بعد واحد، فكل من خرج سهمه يأخذ من ذلك اللحم، فإذا خرج تسعة أسهم لا يبقى شيء من اللحم، ويبقى رجل واحد لا شيء له من اللحم، وكان ثمن الجزور عليه كلها[٣]، فنهى الله تعالى عن ذلك[٤].

وقيل: كان عشرة من القداح، لكل واحد منهما اسم، ولم يكن للثالث منها نصيب من اللحم، واسم الثلاثة قداح: السفيح، والمنيح، والوغد، وكانت سبعة أخرى لكل اسم نصيب[٥].

---

(١) فيه لغتان كما قيدته في الأصل، ووزن الثاني الذي ذكره المصنف مشكل، انظر: تفسير الطبري ٩/ ٥١٠، معاني القرآن للزجاج ٢/ ١٤٦، الكشف والبيان ١١/ ١٤٥

(٢) وفي بعض الأخبار: مكتوب على بعضها نعم، وعلى بعضها لا (معالم التنزيل ٣/ ١١).

(٣) الجزور إذا أفرد أنث، ولذا قال: كلها (انظر: تاج العروس ١٠/ ٤١٦).

(٤) تفسير أبي الليث ١/ ٣٦٨.

(٥) من أراد الاستزادة فلينظر في كتاب: قيد الأوابد للعاصمي ١/ ٣٥٣.

وذكر في تفسير أبي بكر أنَّ ذلك سهمًا حقيقي بلا قُذذٍ ونصال[١]، مكتوب علىٰ كل منها: أمرني ربي، وعلىٰ بعضها:[نهاني][٢] ربي:

الفذ، والتوأم، والرقيب، والمعلىٰ، والحلس[٣]، والنافس، والمسبل.

فمن خرج له الفذ كان له سهم، ومن خرج له التوأم فله سهمان، وفي الرقيب ثلاثة أسهم، يراضع كل سهم إلىٰ السابع، وبعد السبع لا نصيب لثلاثة من القداح، وثمن ذلك الجزور كلها عليهم لا علىٰ أصحاب الأنصباء.

قال عبد الحميد الحاكمي: ذكر الفرَّاء في معاني القرآن المؤلَّف له؛ أنَّ القداح كانت موضوعة في الكعبة، وذكر الثلاثة الأُوَل فقط، وكانوا يشهدون علىٰ الله أنه أمر بذلك فقال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ وخروج عن طاعة الله[٤].

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ قيل: لأنهم ارتدوا راجعين إلىٰ دينهم فآيسوا، وقيل: يئسوا أن تعودوا كفارًا. وهو يوم عرفة عام حجة الوداع ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ في ترك أمري.

قيل: نزلت الآية والتي بعدها في الآية بعرفات، والناس رافعوا أيديهم بالدعاء، ورسول الله علىٰ ناقته، فنزلت الآية فبركت ناقته صلىٰ الله عليه وسلم مِن ثقل هذه الآية، وعاش رسول الله بعد نزول هذه الآية ثمانين ليلة[٥].

---

(١) القذة: ريش السهم، جمعه قذذ، وكان في الأصل: قذذة، وهو تصحيف، والنصال: جمع نصل، وهو حديدة السهم والرمح.

(٢) بيض لمقدار كلمة.

(٣) في الأصل: الحبش، وهو تصحيف.

(٤) معاني القرآن ١/ ٣٠١، وتتمة كلامه: والكلام منقطع عند الفسق.

(٥) تفسير الطبري ٩/ ٥٢٤، الكشف والبيان ١١/ ١٥٠.

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ يعني: يوم الحج الأكبر أكملت لكم شرائع دينكم ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ هدايتكم لديني، ولا يطوف معكم مشرك حول البيت، ولا يقف معكم بعرفات. وقيل: أدخلتكم يا أمة محمد جنتي، عن معاذ بن جبل(١).

لأنه لا يتم النعمة إلا بدخول الجنة وهذا وعد لا يخلف الله وعده.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ لأنه ديني ودين ملائكتي ورسلي.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ أي: مجاعة إلىٰ أكل شيء من المحرمات التي ذكرنا ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾ غير متعمد لمعصية، والجنف الميل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمن أصاب من المحرمات في حالة الاضطرار، والاضطرار: أصابه الضر ﴿رَّحِيمٞ ۝٣﴾ به رخص في الحرام عند الضرر.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾ يعني من الصيد وغيره ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ المذبوحات من الحلال ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾ أي: أحل لكم ما علمتم من صيد الجوارح، مثل الكلاب وغيرها، ثم قال: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ نصب علىٰ الحال، أي: في هذه الحالة يقال رجل مكلِّب وكلاَّب إذا كان يصيد بالكلاب، وهو كالمودب، وإنما خص المكلب لأن السائل سأله عن صيد الكلب، وهو عدي بن حاتم(٢).

وفي صحيح البخاري (٤٥) وصحيح مسلم (٣٠١٧) عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب، أن رجلا، من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرءونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: أي آية؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفة يوم جمعة»

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٣٩٦.

(٢) في صحيح البخاري (٥٤٨٣): عن عدي بن حاتم، قال: سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قلت: إنا قوم نصيد بهذه الكلاب؟ فقال: «إذا أرسلت كلابك المعلمة، وذكرت اسم

والكلب وغيره إذا عُلِّم سواء ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ أي: تؤدبونهن يعني الجوارح ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ألهمكم ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أخذن لكم ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: على إرسال الكلب والجوارح، وقيل: على ذبحه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أكل الميتة وفيما أمركم ونهاكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾ أي: المجازاة.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ أباح لكم أكل الحلال من الذبائح، وكان الذبائح والطيبات حلالاً للأمة التي قبل ذلك، وإنما ذكر اليوم لتحليل ذبائح أهل الكتاب حل في ذلك اليوم بقوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ أي: ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم ﴿وَطَعَامُكُمْ [حِلٌّ لَّهُمْ]﴾ أي: ذبائحكم حلال لهم.

ثم قال ﴿[وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ] وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ [مِن قَبْلِكُمْ]﴾ من اليهود والنصارى حلال لكم ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن بعد التزويج ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين، نصب على الحال ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ زانين ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ من أن يأخذ صديقة يزني بها في السر ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ أي: يكفر بعد الإيمان، وقيل يكفر بما أنزل الله على محمد من الإيمان بالكتب والرسل وغيرهما حبط عمله: بطل ثوابه ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ المغبونين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية، في الآية إضمار يعني: إذا قصدتم الصلاة وأنتم محدثون ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ وقوله: «وأرجلِكم»[1]

الله، فكل مما أمسكن عليكم وإن قتلن، إلا أن يأكل الكلب، فإني أخاف أن يكون إنما أمسكه على نفسه، وإن خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل».

(١) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وحمزة وشعبة بالكسر، وهكذا قيدها في الأصل، وقرأ الباقون بنصب اللام (النشر ٢/ ٢٥٤).

كسره علىٰ الإتباع كقوله ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾، أي: سُبيَ أبناؤنا، فكسر للإتباع[1].

ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ أي: اغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ أي: جرحىٰ أو أصابكم جدري ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ في سفر ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ وهو مكان الحدث بعدما أحدث ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: جامعتم ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ لم تقدروا عليه ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابًا طاهرًا ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ﴾ بالضربة الأولىٰ ﴿وَأَيْدِيكُم﴾ بالضربة الأخرىٰ، دخلت الباء لمكان التراب، أي: امسحوا بالتراب وجوهكم ﴿مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي: لم يرد الله أن يجعل عليكم في أمر دينكم ضيقًا، حتىٰ لا يجوز الطهارة إلا بالماء ﴿وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالتيمم، واللام لتبيين الإرادة، يعني أراد به ليطهركم ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بجواز التيمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ منّته ورخصته.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام، وما علمكم من الأحكام ﴿وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ يوم الميثاق ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أمرك، حين قلت: ألستُ بربكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فلا تنقضوا ذلك الميثاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ بما في القلوب من الوفاء والنقض.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: كونوا مؤديين لله الشهادة بالعدل إذا دعيتم إلىٰ شهادة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ لا يمنعكم عداوة قوم وبغضهم ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ في الشهادة ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ

(١) وهو قول جماعة من النحاة واللغويين، كأبي عبيدة والأخفش، حيث خرجوها علىٰ الاتباع لفظا لا معنىٰ (مجاز القرآن ١/ ١٥٥، معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٦٥، الكشف والبيان ١١/ ١٩٦).

﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: العدل أقرب إلى التوحيد، وقيل: أقرب من أن تكونوا متقين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ترك ما أمركم به وارتكاب ما نهاكم عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ تضمرون من الجور والعدل.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قيل: هاهنا كلام متروك بلا خبر(١)، ثم ابتدأ فقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ ثواب وافر.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾ وقد فُسِّر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ وهم بني النضير، قصدوا قتل رسول الله حين أتاهم يستقرضهم المال بسبب مقتولين من بني سليم قتلاً خطأً، وكان معه أبو بكر وعمر وعلي، فواعدوه المال، ثم تدبروا في قتلهم، فلما اشتغلوا بالسلاح جاء جبريل وأخبر رسول الله بذلك، فخرج رسول الله وحده ولم يخبر أصحابه مخافة أن يثوروا به، فقام بالباب، فلما أبطأ الرجوع خرج علي لينظر ما شأنه، فأخبره رسول الله بذلك، فخرج، فخرجوا كلهم، واليهود مشتغلون بالسلاح ينتظرون كعب بن الأشرف(٢).

قوله ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ لهم حديث النفس، يبسطوا: أي يمدوا إليكم أيديهم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ عن كفران النعمة ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: يثق الواثقون.

---

(١) والتقدير: وعدهم الحسنىٰ (البسيط ٧/ ٢٩١).

(٢) تفسير الطبري ١٠/ ١٠١، الكشف والبيان ١١/ ٢٢٨.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ على التوحيد والإيمان بالرسل ﴿وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾ إلى الجبارين، قيل: النقيب هو الكفيل والضمين، وقيل: الشهيد والأمين، لأنه أخذ من كل سبط أمينًا وشهيدًا وضمينًا كفيلا[1]، والنقيب: في الأصل هو الرئيس، أرسلهم موسى إلى الجبارين ليقفوا على أحوالهم فيخبروه بذلك.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ تعالى للنقباء على لسان موسى: ﴿إِنِّي مَعَكُمۡۖ﴾ بالنصر لكم ﴿لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾ أي: نصرتموهم، وقيل: عظمتموهم.

وأصل التعزير: هو المنع والرد، أي: تردوا أعداءهم عنهم.

﴿وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ أي: تصديقًا بقلوبكم لوجه الله ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ لأغفرنَّ لكم خطاياكم في الدنيا ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ «لئن أقمتم الصلاة» لام القسم، «لأكفرن» جواب القسم[2] ﴿فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾ أي: قَصْدَ الطريق.

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾ «ما» صلة، ومعناه: فبنقضهم والفاء جواب كلام المجالة[3]، معناه: فنقضوا ميثاقهم ﴿لَعَنَّٰهُمۡ﴾ طردناهم ﴿وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ﴾ قيل: القاسي اليابس شديد الضلالة ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ أي:

---

(١) في الأصل: ملكا، وهو تصحيف.

(٢) الكشاف ١/ ٦١٥، وبعضهم قال: الشرط (التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٢٦).

(٣) كذا في الأصل ولا معنى له، وهذه الفاء هي التي يسمونها: الفصيحة، لأنها تفصح عن محذوف. قال ابن جرير (في التفسير ١٠/ ١٢٥): وفي الكلام محذوف اكتُفِي بدلالة الظاهر عليه، وذلك أن معنى الكلام: فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل، فنقضوا الميثاق، فلعنتهم، فبما نقضْهم ميثاقهم لعناهم، فاكتفى بقوله: فبما نقضهم ميثاقهم من ذكر: فنقضوا.

يفسرونه علىٰ غير ما أنزل، وقيل: يغيرونه نظمًا ولفظًا ويكتبون غيره.

﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أي: تركوا نصيبهم الذي أمروا به من إتباع النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ [مِّنْهُمْ]﴾ اليهود، من نقض عهدهم.

وهو مصدر، ومثاله كثير، كما يقال: عافاه الله عافية، وسمعت راغية الإبل؛ أي: رغاءها، وثاغية [الشاء][1]، والهاء دخلت في «الخائنة» للمبالغة في الوصف، كما يقال نسابة وعلامة[2].

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم مسلمو أهل الكتاب، وخيانتهم أنهم نقضوا العهد، وركب كعب بن الأشرف إلىٰ أبي سفيان ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ أي: تجاوز عنهم، منسوخ بآية السيف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ المتجاوزين.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أي: ضيعوا الذي أمروا به وتركوه مثل اليهود ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ أي: ألصقنا، مأخوذ من الغِراء؛ الذي يلصق به.

وقيل: هيجنا، وقيل: ألقينا بين اليهود والنصارىٰ من المكايدة.

وهم: النسطورية والمايعقوبية والملكانية، يشهد بعضهم علىٰ كُفر بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا، والملكانية: الذين يقولون عيسىٰ عبد الله[3].

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ مكافأة صنيعهم نقض العهد.

---

(١) في الأصل: وثاغية الثايغاها. والتصحيح من كتب التفسير.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠/ ١٣١، البسيط ٧/ ٣٠٥، الكشاف ١/ ٦١٦، الدر المصون ٤/ ٢٢٤.

(٣) معالم التنزيل ٣/ ٣٣.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: يظهر لكم ما كتمتم من التوراة والإنجيل من نعت محمد وآية الرجم ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ أي: يتجاوز، فلم يظهر لكم ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم، والنور: هو الذي يُبيِّن الأشياء ويريها الأبصار بحقيقتها(١).

﴿وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ بالحلال والحرام.

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي: بالنور وهو محمد ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ أي الله ﴿رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي طرق السلامة التي من سلكها سلم من الآفات.

وقال ابن عباس: الله هو السلام ودينه الإسلام(٢).

﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ الظلمات الكُفر، والنور الإيمان. بإذنه: أي بأمره وقضائه ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ أي: دين الحق حتىٰ يؤديهم إلىٰ الجنة.

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ نزلت في أسقفي نجران السيد والعاقب(٣).

﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ فمن يقدر أن يدفع عنكم شيئًا من عذاب الله أو عن غيركم ﴿إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾ وجميع من عبدهما، ثم نزَّه نفسه

---

(١) من معاني القرآن للزجاج ٢/ ١٦١.

(٢) وهو رواية الكلبي، كما في تنوير المقباس ٩٠، وروي مثله عن السدي (تفسير السمعاني ٢/ ٢٣).

(٣) وهذا قول اليعقوبية من فرق النصارىٰ القديمة (تفسير السمعاني ٢/ ٢٣، معالم التنزيل ٣/ ٣٣).

وقال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: مُلكها وخزائنها له ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ كما خلق عيسىٰ في بطن أمه من غير أب ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ من خلق عيسىٰ وغيره.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ قيل: لما حذر رسول الله اليهود عقوبات الله ونقماته، قالوا: لا تخوفنا يا محمد، فإنَّا أبناء الله وأحباؤه[1]، فقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ مقدار ما زعمتم أنه لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة، فإن الأب المشفق علىٰ ولده لا يعذب ولده في النار ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ كسائر الخلق لا فضل لكم [علىٰ][2] غيركم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ ويهديه لدينه ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من يميتهم علىٰ الكُفر.

ثم عظم نفسه وقال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق والعجائب، كلها ملكه، والملك والنبوة لا يجتمعان، وأنتم مقرون بأنكم عبيده ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ المرجع.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فيه تقديم وتأخير: أي قد جاءكم رسولنا علىٰ فترة؛ بعد انقطاع من الرسل؛ يبين لكم أمر دينكم ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ كيلا تقولوا، ويحتمل: كراهة أن تقولوا يوم القيامة ما جاءنا يا رب بشير بالجنة والثواب، ويخوف بالنار

---

(١) روىٰ ابن جرير في التفسير ١٠/ ١٥٠، من طريق محمد بن أبي محمد مولىٰ آل زيد بن ثابت بإسناده عن ابن عباس قال: أتىٰ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم نعمانُ بن أضاء، وبحريّ بن عمرو، وشأس بن عدي، فكلموه، فكلّمهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ودعاهم إلىٰ الله وحذّرهم نقمته، فقالوا: ما تُخوّفنا، يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحبَّاؤه -كقول النصارىٰ- فنزلت الآية.

(٢) في الأصل: لا.

والعقاب ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ محمد ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ من إرسال الرسل؛ والثواب والعقاب.

فمدة الفترة بين عيسىٰ ورسولنا: ستمائة سنة عن الحسن وقتادة(١).

وعن الضحاك: أربعمائة سنة وبضع وستون سنة(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ أي: بعث منكم أنبياء، قيل: أراد به السبعين الذين اختارهم موسىٰ للجبل، جعلهم الله أنبياء بعدما بعثوا عن الصعقة(٣)، وقيل: بعث الله في بني إسرائيل ألف نبي، أولهم موسىٰ وآخرهم عيسىٰ.

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ بالخلاص عن استعباد القبط(٤) ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ من تظليل الغمام والمن والسلوىٰ في التيه.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ وهي: الأردن ودمشق وفلسطين وبيت المقدس(٥)، سمِّيت مقدسة لأنها طُهِّرَتْ من كثير من الشرك، وهي مسكن

---

(١) وهو قول سلمان الفارسي، رواه البخاري في صحيحه (٣٧٣٢). وعن قتادة: ٥٦٠ سنة، وعن الكلبي: ٥٤٠، وهذا كله علىٰ جهة التقريب، فإن مولد النبي صلىٰ الله عليه وسلم نحو ٥٧٢ من الميلاد، وبعثته بعد ذلك بأربعين سنة توافق ٦١٢ من الميلاد، وأقرب الأقوال إليه قول وهب: ٦٤٠سنة، والله أعلم.

(٢) انظر أقوالهم في تفسير الطبري ١٠/ ١٥٦، تفسير أبي الليث ١/ ٣٨٠، الكشف والبيان ١١/ ٢٤٢، زاد المسير ١/ ٥٣١.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ١٠/ ١٦٠ قولا بلا إسناد، ويظهر أنه قول الكلبي كما في تفسير أبي الليث ١/ ٣٨٠.

(٤) تنوعت عبارة المفسرين في المراد بالملك، وحاصل كلامهم راجع إلىٰ التوسيع في الدنيا، وقد أحصىٰ ابن الجوزي ثمانية أقوال في ذلك، لا تخرج عما ذكرنا (زاد المسير ١/ ٥٣١).

(٥) وهي الشام كما قال قتادة وغيره (تفسير الطبري ١٠/ ١٦٧).

الأنبياء والأولياء.

وقيل: لما رفع إبراهيم على الجبل قيل له: انظر، فلك ما أدرك بصرك، وهو ميراث لك ولولدك، فأدرك بصره ما بين فلسطين وبعض الأردن، فلما خرج موسى من مصر أُمر أن يدخل أرض ميراثه[(١)].

﴿[ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ] وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ أي: لا تنهزموا فتصيروا مغبونين بفوت الظفر.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ عظماء، والجبار: العاتي الذي يُجبر الناس على ما يريد ويكرههم.

﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾ من الجانب الآخر ﴿فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله، وقيل: يخافون الجبارين، ولكن ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإسلام، ويقين الخطرات، حتى لم يثق[(٢)] خوفهما، وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا[(٣)].

وقيل: كانا من مدينة الجبارين على دين موسى، أنعم الله عليهما بدين موسى، والجبارين: من بقايا قوم عاد، قيل: بعث موسى اثني عشر جاسوسًا من كل سبط واحدًا ليأتوه بخبر الجبارين، فمكثوا في بلادهم أربعين يومًا، حتى رأوا مداخلهم وأماكنهم، فأخذهم رجل اسمه: عِوج، وحملهم في ثوبه تحت يده،

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٣٨١، وهو يعتمد على تفسير الكلبي كذلك. وانظر: تنوير المقباس ٩١.

(٢) كذا في الأصل. ولعله: لم يبق خوفهما، أي أذهبه الله.

(٣) تفسير الطبري ١٠/ ١٧٦، تفسير أبي الليث ١/ ٣٨٢، البسيط ٧/ ٣٢٦. وهاهنا يذكر بعض المفسرين خبر عوج بن عنق الباطل.

حتىٰ ألقاهم بين يدي الملك، وأمر الملك بقتلهم، فشفعت امرأته فيهم حتىٰ تركهم، وأرسلهم وزوَّدهم عنقودًا من العنب فحملوه بأجمعهم اثني عشر رجلاً، ورجعوا إلىٰ أصحابهم، وأمرهم موسىٰ بكتمان خبر الجبارين، فأظهروا كلهم إلا اثنان، وفرق قوم موسىٰ من ذلك[١]، فقال الرجلان المسلمان: ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ أي: باب المدينة ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ وذلك لما علما أنَّ الله وعد نبيه ذلك ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟﴾ في نصره ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ بوعد الله تعالىٰ وبوعد رسوله.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ قيل: وربك يعينك، وقيل: اذهب وحدك وينصرك ربك لأنه وعدك[٢] النصرة.

قالوا: هذا والجماعة سواء[٣]، وقيل ربك أرادوا: أخوك[٤].

﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ منتظرون رجوعك.

---

(١) القصة من رواية الكلبي، وهي في تفسير أبي الليث ١/ ٣٨١. وفي تفسير الطبري ١٠/ ١٧٧ عن ابن عباس قصة بنحوها، بدون ذكر عوج وما يمت إليه.

(٢) صورتها في الأصل أقرب إلىٰ: وعد لك. ووعد يتعدىٰ بنفسه وبالباء أما باللام فلم أجده (لسان العرب ٣/ ٤٦١، تاج العروس ٩/ ٣٠٤).

(٣) إن لم تكن الجملة مصحفة فالمراد: كلهم سواء في هذا القول، أي مقولة عامتهم.

(٤) لأن هاون أكبر منه، ذكره في تفسير أبي الليث ١/ ٣٨٢.

وهاهنا كلمة للزمخشري جيدة (في الكشاف ١/ ٦٢١) قال: والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء، وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عز وجل جهرة؛ والدليل عليه: مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكىٰ أنّ موسىٰ وهرون عليهما السلام خرّا لوجوههما قدّامهم لشدّة ما ورد عليهما، فهموا برجمهما. ولأمر مّا قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله تعالىٰ: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [سورة المائدة:٨٢].

فلما آيس موسىٰ من طاعتهم غضب ودعا عليهم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ﴾ هارون في دخول مدينة الجبارين ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ أي: كن حكمًا فيما بيننا، فأجابه الله:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ﴾ نصب أربعين لأنه مفعول التيه، أي: يتيهون أربعين سنة، ومحرمة عليهم دخول القرية أبدًا، وعلىٰ هذا عامة أهل التفسير(١).

وذكر المفسر الكبير أنها حُرِّمَتْ عليهم أربعين سنة، ثم دخلوها بعد ذلك، قال: وهو اختيار الحسين بن الفضل البجلي رحمه الله(٢).

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ذنوبه-: بلغني عن المفسر الكبير أنه قال: أقول بهذا القول، لأن الله تعالىٰ قال: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وما كتب الله لعبد فلابد من الوصول إليه، ومعنىٰ التحريم هو المنع، كقوله تعالىٰ: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾(٣).

ثم ندم موسىٰ علىٰ دعائه فأوحىٰ الله إليه ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ أي: إنك سميتهم فاسقين فلا تحزن عليهم.

---

(١) هذا قول ابن عباس وقتادة، كما تفسير الطبري ١٠/ ١٩٧. وذلك لأن الأربعين منصوبة بالتحريم.

(٢) وهذا قول الربيع من المتقدمين رواه ابن جرير في التفسير ١٠/ ١٩٠.

والراجح أن من بقي منهم حيًّا دخل الأرض المقدسة مع ذراريهم، ومن مات في التيه فقد سبق قضاء الله فيه. وزعم ابن جرير أن موسىٰ دخل أول الأرض المقدسة، وعلىٰ مقدمته يوشع، واستدل علىٰ ذلك بخبرين إسرائيليين أجمع أهل التاريخ علىٰ القول بهما، وهما خبر عوج بن عنق -ويقال: عناق- وبلعم بن باعوراء، ومن أراد الاستزادة فلينظر: تفسير الطبري ١٠/ ١٩٧، والكشف والبيان ١١/ ٢٥٨.

(٣) يمكن أن يجاب عنه فيقال: كتب لكم أي لبني إسرائيل، ولم يرد أعيان الموجودين.

فمات هارون في التيه، ومات موسىٰ بعده بثلاث سنين، ومات القوم كلهم فلم يدخلها إلا أولادهم الذين نشأُوا في التيه، وكان التيه ستة فراسخ، تحيَّروا فيها أربعين سنة.

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ اتصال الآية: أن حال اليهود في ارتكاب الفواحش كحال ابني آدم، فاقرأ عليهم خبر ابني آدم بالحق، أي: بالصدق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وضعا قربانيهما علىٰ الجبل، وهما هابيل وقابيل، كانت حواء تلد في كل بطن ولدين: ابنًا وبنتًا، فأول ولد ولدت هابيل ومعه أخته ليوثا، وقيل ليوذا(١)، ثم قابيل ومعه أخته إقليما، وكانت إقليما أحسن جمالاً من ليوثا، فأمر الله آدم أن يزوِّج أخت هابيل قابيل، وأخت قابيل هابيل، فأبىٰ قابيل ذلك وقال: أنا أتزوج أختي التي وُلِدَتْ معي، فقال آدم: قرِّبا قربانًا فأيكما يُتَقَبَّل قُربانه تزوج إقليما، وكان هابيل صاحب غنم، وقابيل صاحب زرع، فجاء هابيل بأحسن كبش من غنمه وأسمنها، وجاء قابيل بأردئ سنابل من زرعه، فرفعه آدم علىٰ الجبل فجاءت نار فأكلت قربان هابيل، ولم تأكل قربان قابيل.

﴿قَالَ﴾ قابيل لأخيه هابيل ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لماذا تقتلني؟ [قال:] لأنه قبل قربانك ولم يقبل قرباني، قال: هابيل وما ذنبي؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ كلمة إنما تقتضي النفي والإثبات، تقديره: لا يقبل الله إلا من المتقين المصدِّقين بالقول والعمل، الزاكية قلوبهم(٢).

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى﴾ أي: مددتَ يدك لتقتلني ظُلمًا ﴿مَآ أَنَا۠

(١) في الأصل: كيوذا، وهو تصحيف، والتصويب من: تفسير أبي الليث ١/ ٣٨٣، الكشف والبيان ١١/ ٢٧١.

(٢) ما ذكره المصنف هو ملخص ما ذكره المفسرون في قصة ابني آدم، انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٢٠١، تفسير أبي الليث ١/ ٣٨٣، الكشف والبيان ١١/ ٢٧٠، البسيط ٧/ ٣٣٤.

﴿بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾ ليست بمادٍّ يدي إليك ﴿لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ وأخشىٰ عقوبته.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي﴾ أي: ترجع بإثمي، أي إثم قتلي، وإثمك الذي يقوم منك؛ الذي لم يتقبل قربانك بذلك السبب ﴿فَتَكُونَ﴾ أنت ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ وأنا أستحق الكرامة من الله بامتناعي عن قتلك ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: النار جزاء الظالمين الذين لم يرضوا بحكم الله.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ أي: تابعته، وقيل: شجعته، وقيل: زيَّنت له نفسه ووافقته[1].

﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ قيل إن إبليس علمه القتل، وهو لم يعلم، فجاء بحية وشدخ رأسها بالحجر فتعلم القتل[2]، فقتله ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ خسر بحسناته، واستوجب عقوبة ربه.

قيل: لما قتل أخاه حمله علىٰ ظهره ولم يدر ما يصنع به[3] ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ [غُرَابًا]﴾ غرابين حيًا وميتًا، فبحث الحي التراب ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾ أي: يغطي عورة أخيه، قيل إن الغرابين قد اقتتلا فقتل أحدهما الآخر، ثم بحث التراب وجعل حفيرة، وألقىٰ المقتول فيه، فعلم قابيل ذلك فـ ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ ويلٌ لي، ويقال: يا هلاكاه، الويل والويلة: الهلكة ﴿أَعَجَزْتُ﴾ أضعفت عن الحيلة ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ﴾ أغطِّي عورة أخي ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ علىٰ ترك مواراة أخيه لا علىٰ قتل أخيه.

---

(١) البسيط ٧/ ٣٤٠.

(٢) الروايات في ذلك مذكورة في تفسير الطبري ١٠/ ٢٢١، الكشف والبيان ١١/ ٢٧٧.

(٣) في بعض الآثار أنه حمله في جراب علىٰ ظهره سنة (تفسير الطبري ١٠/ ٢٢٥).

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ذنوبه-: بلغنا أن بعض المفسرين قالوا: يحتمل أنه ندم على قتل أخيه، ولم تنفعه ندامته، كما روي في الخبر: «ثلاثة لا يقبل الله توبتهم: إبليس، وهو رأس الكفرة، وقابيل، وهو رأس القتلة، لأنه أول من سنَّ القتل، ومن قتل نبيًا من أنبياء الله عز وجل»[1].

قوله: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من جرِّ[2] ذلك وسبب ذلك ﴿كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا﴾ متعمدًا ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ أي: من غير قصاص كان عليه، أو سبب يوجب القتل ﴿أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: هو الشرك، وقيل: أن يزني بعد إحصان ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ أي: وجب له من العذاب ما وجب بقتل الناس جميعًا، لأنَّ الناس كلهم خصماء للقاتل، فيكون قتل الواحد قتلهم.

وقيل: أراد به استحلال القتل، لأنه إذا استحل قتل واحد وقتَله فجزاؤه جهنم خالدًا فيها ولو فعل ذلك بجميع الناس فجزاؤه كذلك.

﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ أي: عفا عن دمه بعد وجوب القصاص، وقيل: أراد النجاة من الهلاك[3].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، لكن في صحيح البخاري (٣٣٣٥) ومسلم (١٦٧٧) عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لا تقتل نفس ظلما، إلا كان علىٰ ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل».

(٢) في الأصل: جرم، والصواب ما أثبت، ولعله استشكل في أصله ذلك فرسمها علىٰ ما توهم صوابه، انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٢٣١، الكشف والبيان ١١/ ٢٨٩، البسيط٧/ ٣٥٢، الكشاف١/ ٦٢٧.

(٣) أي: أنقذ نفسا من الهلاك، كأن ينقذ غريقا أو ما شابه.

وقيل إن ذلك من العام الذي أريد به الخصوص، فروىٰ ابن جرير (في التفسير ١٠/ ٢٣٣) بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: من شدّ علىٰ عضُد نبيّ أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعًا، ومن قتل نبيًّا أو إمام عدل، فكأنما قتل الناس جميعًا.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: إلىٰ بني إسرائيل، والبينات الأمر والنهي ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد إرسال الرسل وظهور الحق ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ بالشرك بالله وسفك الدماء واستحلال المعاصي.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قيل: نزلت الآية في قوم من عُرينة أو من عُكل، الذي بعثهم رسول الله إلىٰ إبل الصدقة ليشربوا ألبانها، أو يداووا بأبوالها، فلما صحُّوا من المرض قتلوا الرعاة وساقوا الإبل، فأمر رسول الله بأخذهم وقطع أيديهم وأرجلهم، وألقاهم في الحرة حتىٰ ماتوا[١].

وقيل: نزلت في قاطع الطريق، والدليل عليه أنه قال ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ فنزلت[٢].

﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: يتركون أمرهما مجاهرة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: أخذوا مال المسلمين ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟﴾ إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ إنْ أخذوا المال ولم

ثم قال ابن جرير: أولىٰ هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال: تأويل ذلك: أنه من قتل نفسًا مؤمنة بغير نفس قَتَلتها فاستحقت القَوَد بها والقتل قِصاصًا، أو بغير فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله جل ثناؤه..، وأما قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فأولىٰ التأويلات به، قول من قال: من حرّم قتل من حرّم الله عز ذكره قتله علىٰ نفسه، فلم يتقدّم علىٰ قتله، فقد حيىٰ الناس منه بسلامتهم منه، وذلك إحياؤه إياها.(تفسير الطبري ١٠/ ٢٤١).

(١) قصتهم في صحيح البخاري (١٥٠١) وليس فيها أنهم سبب النزول.

ورواه ابن جرير (في التفسير ١٠/ ٢٤٥) ثم ذكر زيادة في آخره عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم.

(٢) وفيه أقوال أخرىٰ، انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٢٤٥، الكشف والبيان ١١/ ٢٩٤.

يقتلوا ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ بالطرد والتهريب، بأن يجعل دمهم هدرًا من رآه قتله، أو يحبس في السجن وهو قول أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم[1].

﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: هذا الجزاء لهم فضيحة ونكال ما داموا في الدنيا ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من قطع الطريق ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمن تاب، ما كان من حقه، وأما حقوق الخلق باقية ﴿رَّحِيمٞ ٣٤﴾ بالتائبين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أي: اطلبوا بتقوى الله عن معاصيه التقرُّب إليه، يعني اطلبوا القربة بالعمل الصالح ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ أي: اطلبوا القُربة بالجهاد أيضًا ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ أي: تظفروا علىٰ عدوكم وتسعدوا بالجنة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ عند معاينة العذاب ﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ أي: ضعفه ﴿لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ أنفسهم ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: اشتروها ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾ كلما رفعتهم النار بلهبها رجوا أن يخرجوا منها، نظيره قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ دائم لا يزول ولا ينقطع.

ثم قال ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ أيمانهما من الكراسيع[2]،

---

(١) أصل النفي الطرد، وأقوال المفسرين تدور حوله، انظر: تفسير ابن جرير ١٠/ ٢٦٨، الكشف والبيان ١١/ ٣٠٠، الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٥٢.

(٢) الكرسوع -كعصفور- طرف الزند الذي يلي الخنصر وهو الناتئ عند الرسغ (تاج العروس ٢٢/ ١١٤).

إذا سرقا من حرز مستتم يبلغ قيمتها عشرة دراهم ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ القطع لهما جزاء بما عملا ﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي: فضيحة وشينًا منه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة من السارق ﴿حَكِيمٞ ٣٨﴾ حكم عليه القطع.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ أي: سرقته ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ العمل بعد السرقة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ﴾ يتجاوز عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لما سلف من ذنبه ﴿رَّحِيمٌ ٣٩﴾ بعد التوبة.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: تعجَّب من لم يعرف حُرمة الربوبية، وقال: ما هذا الحكم؟ يسرق الرجل عشرة دراهم فتقطع يده، وديتها خمسمائة دينار! فنزلت الآية[1].

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ اعلم أيها الجاهل أن لله المقدرة على أهل السموات والأرض ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ على الذنب وإن صغر ﴿وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ مع الذنب وإن كبر ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠﴾ مع المغفرة والعذاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ نزلت في المنافقين[2] ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: لم تطمئن على ذلك قلوبهم، ثم عطف عليهم طائفة أخرى، وهم يهود بني قريظة

---

(١) لم أقف عليه في كتب التفسير التي طالعتها، والمفسرون يعيدون الخطاب إلى اليهود، بدلالة ما بعدها، وهو الأولى (تفسير الطبري ١٠/ ٣٠٠، الهداية لمكي ٣/ ١٧٠٨).

(٢) وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه الآية، قيل: أبو لبابة بن عبد المنذر، وقيل في يهودي سأل رجلا من المسلمين أن يسأل رسول الله عن حكمه في قتيل قتله، وقيل في ابن صوريا وذلك أنه ارتد بعد إسلامه، وقيل -كما ذكر المصنف- أنها نزلت في المنافقين، ورجح ابن جرير: انها نزلت في ابن صوريا (تفسير الطبري ١٠/ ٣٠١).

فقال ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ قيل: قوالون للكذب، وقيل: قابلون للكذب، لأن من قبل كلامًا يقال سمع ذلك، ومنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل حمده.

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ وكان بنو قريظة كثيرًا ما يسألون رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وينهون خبره إلىٰ أهل خيبر، أي: يسمعون كلامك لأجل قوم آخرين لم يحضروك ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ يغيِّرون حكم الحد، أي: الرجم، من بعد ما وضعه الله مواضعه وفرض فروضه ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ أي: إن قضىٰ بالجلد علىٰ المحصن فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾ يعني: إن قضىٰ بالرجم فلا تقبلوا[1].

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾ أي: قتله بالرجم وتعذيبه به ﴿فَلَن تَمۡلِكَ﴾ أي: لم تقدر أيها الجاهل أن تصرف عنه بحيلتك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ أي: يخلص قلوبهم بتوحيده ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ نكال وفضيحة: قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾.

---

(١) يشير إلىٰ حديث ابن عمر في الصحيحين البخاري (٤٥٥٦) ومسلم (١٦٩٩):
أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أتي بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ جاء يهود، فقال: «ما تجدون في التوراة علىٰ من زنىٰ؟» قالوا: نسود وجوههما، ونحملهما، ونخالف بين وجوههما، ويطاف بهما، قال: «فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين»، فجاءوا بها فقرءوها حتىٰ إذا مروا بآية الرجم وضع الفتىٰ الذي يقرأ يده علىٰ آية الرجم، وقرأ ما بين يديها، وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام -وهو مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم-: مره فليرفع يده، فرفعها فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فرجما، قال عبد الله بن عمر: كنت فيمن رجمهما، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه.
وفي تفسير ابن جرير (١٠/ ٣١٣) روايات عن ابن عباس وغيره نحو هذه القصة، واعلم أن أشهر ما حرفوه بعد البشارة بنبينا صلىٰ الله عليه وسلم هو آية الرجم، لفشو الزنا فيهم، وآية الربا، لأكلهم إياه، وهذان أعظم فتن بني إسرائيل: الزنا والربا.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ يعني الرشوة في الحكم؛ وإن كان الحكم بحق فتلك الرشوة حرام؛ كلحم الميتة ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ يا محمد ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ﴾ بكتابك وهو الرجم ﴿أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ ودعهم وما هم فيه، فلا تحكم، عن[1] بعضهم: أن التخيير منسوخ بقوله ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[2].

﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: تترك الحكم ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ﴾ أي: لن ينقصوك شيئًا ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ﴾ أي: قضيت فيما بينهم ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ أي: العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾ الخطاب لرسول الله والوعظ لسائر الحكام.

﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ أي: كيف يتحاكمون إليك ويرضون بحكمك ﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ الرجم على المحصن ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ البيان ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٣﴾ المصدِّقين.

فاعترف ابن صوريا بآية الرجم، ورجم رسول الله الزانيين.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ أي: هدىً من الضلالة، ونور لمن آمن بها ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ أي: أخلصوا ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي: بني إسرائيل، يعني عليهم، وقيل: الإخلاص صفة الرباني والأحبار ومن اتبعهم من أهل العلم، يحكم به أيضًا، فذلك قوله: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ فالرباني: منسوب إلى الرب، زِيدَ فيه الألف والنون للمبالغة في النسب، كاللحياني والرقباني.

---

(١) في الأصل: على، وهو تصحيف.

(٢) وبيان ذلك في تفسير الطبري ١٠/ ٣٢٩.

وقيل: الربانيون علماء النصارىٰ والأحبار علماء اليهود[١].

﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: استودعوا وعُلموا في كتاب الله التوراة ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ أي: علماء بصفة محمد ونعته ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ يا عبد الله بن سلام في إظهار نعت محمد ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ في كتمانه ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾ من الرشوة والمأكلة من السِّفْلة ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: لم يرض بما بيَّن الله من صفة رسوله والرجم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ بالله وكتبه ورسله.

﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ﴾ أي: أوجبنا علىٰ بني إسرائيل في التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ عمدًا وفاءً ﴿وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾ عمدا وفاءً ﴿وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ﴾ كذلك ﴿وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ﴾ كذلك ﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ كذلك ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾ أي: ما يمكن قصاصه وكان عمدًا ففيه قصاص، ومعناه الجراحات سواء إلا أن يكون عظمًا مكسورًا[٢].

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: بحقه علىٰ الجارح ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٞ [لَّهُۥۚ]﴾ أي: مغفرة لذنوب المجروح ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم﴾ من اليهود ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ الضارون لأنفسهم.

﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: اتبعنا وأردفنا خلفهم ﴿بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ وهو آخر نبي من بني إسرائيل ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ

---

(١) الكشف والبيان ١١/ ٣٥٢، البسيط ٧/ ٣٨٩.

(٢) أي: ما يمكن فيه القصاص، قال الواحدي: وهو كل ما يمكن أن يقتص فيه مثل: الشفتين والذكر والأنثين والألسن والقدمين واليدين وغيرها، فأما ما لا يمكن القصاص من رضة لحم، أو هيضة عظم أو جراحة في البطن يُخاف منها التلف ففيه أرش حكومة. (البسيط ٧/ ٣٩٨).

﴿هُدًى﴾ بيان من الضلالة له ﴿وَنُورٌ﴾ لمن آمن به ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: كتابه كذلك ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ أي: بيانًا ونهيًا ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الموحِّدين.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ أي: بيَّن الله فيه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا [أَنزَلَ اللَّهُ]﴾ بيَّن الله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ الخارجون عن الطاعة.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: الحق، والدعوة[١] إلى الحق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قيل: شهيدًا، وقيل: أمينًا ومؤتمنًا، فقُلِبَتْ الهمزة هاء، عن الزجاج[٢]، وقيل: رقيبًا.

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي: اقض بين بني قريظة والنضير بكتاب الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في ترك الرجم ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: بعدما جاءك من الحق والبيان ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا﴾ أي: لكل نبي ﴿مِنكُمْ﴾ منا ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أحكامًا وسُننًا، والشِرعة والشريعة سواء، وهي: الطريقة الظاهرة[٣].

والمنهاج: الطريق المستبين[٤].

---

(١) في الأصل: الدعوىٰ.

(٢) معاني القرآن ٢/ ١٧٩-١٨٠.

(٣) قال ابن جرير (في التفسير ١٠/ ٣٨٤): والشرعة هي الشريعة بعينها، تجمع الشرعة شِرَعًا، والشريعة شرائع، ولو جمعت الشرعة شرائع كان صوابًا، لأن معناها ومعنىٰ الشريعة واحد، فيردّها عند الجمع إلىٰ لفظ نظيرها. وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة، ومن ذلك قيل: لشريعة الماء شريعة، لأنه يُشْرع منها إلىٰ الماء. ومنه سميت شرائع الإسلام شرائع، لشروع أهله فيه. ومنه قيل للقوم إذا تساووا في الشيء: هم شَرَعٌ، سواءٌ.

(٤) لعلها: المسير، وهي مصحفة في هذا الموضع.

قال ابن جرير (التفسير ١٠/ ٣٨٤): المنهاج أصله: الطريقُ البيِّن الواضح، يقال منه: هو طريق نَهْجٌ، وَمنهْجٌ، بيِّنٌ.

وانظر: تفسير أبي الليث ١/ ٣٩٦، الكشف والبيان ١١/ ٣٧١، البسيط ٧/ ٤٠٨.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: على طريقة واحدة متفقة، ولكنه لم يشأ.

قال ابن عباس: كل شيء في القرآن «ولو شاء الله» فإنه لم يشأ الله[١].

مشيئة اختيارية عند أهل السُنَّة والجماعة، وعند المعتزلة هي مشيئة الجبر والقسر.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ غير أنه يختبركم بما أمركم من الوحي والرسالة والشرائع المختلفة ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بادروا إلى الطاعات ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: رجوعكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ ويجزيكم ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ من الدين والشريعة.

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ المعنى: وأنزلنا إليك الكتاب بالحق وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في الجلد ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ عن أن يصرفوك ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ من القرآن في ترك الرجم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن دينك وسُنتك ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بكل ذنوبهم التي سلفت منهم؛ من جحودهم لدينك، وقد يذكر بعض الشيء ويراد كله.

وقيل: بعض ذنوبهم في الدنيا والباقي الآخرة[٢].

---

(١) هذا ما يسمى كليات القرآن، وقد ذكرها السيوطي في الإتقان ٢/ ١٦٤، ولم أقف على هذا الأثر عن ابن عباس ولا ذكره السيوطي.

(٢) قال أهل المعاني: وخصص بعض الذنوب لأنهم جوزوا في الدنيا ببعض ذنوبهم، وكان مجازاتهم بالبعض كافيًا في إهلاكهم والتدمير عليهم، يقول: فإن أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يُعَجِّل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم (البسيط ٧/ ٤١٦).

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: اليهود ﴿لَفَٰسِقُونَ ۝٤٩﴾ حين كرهوا حكمك.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أقضاءَ أهل الجهل بالله هم يطلبون منك، وهو تعطيل الحدود ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ يعني: أي أحد أعدل في حكمه من الله ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ أي: يُصدقون بالقرآن.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ نزلت في المؤمنين خافوا علىٰ أنفسهم النكبةَ بعد يوم أُحُد، فقال الزبير: إني ألحق باليهود، وقال طلحة: إني ألحق بالنصارىٰ بالشام، وأبو لبابة بن عبد المنذر أشار بيده لليهود إلىٰ حلقه حين قصدوا النزول، أي: لا تنزلوا فإنه الذبح فنزلت الآية(١).

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ﴾ أي بعض اليهود أولياء ﴿بَعْضٍ﴾ كذلك النصارىٰ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ معشرَ المؤمنين ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ في الدين، ومعهم في النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ لا يرشد اليهود والنصارىٰ إلىٰ دينه، وقيل نزلت في المنافقين.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ من المنافقين ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ يبادرون في ولايتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: شدة، وأن لا يتم الأمر لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم، ومعنىٰ الدائرة: الدولة تدور.

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ أي: الظفر للمسلمين علىٰ الكافرين، قيل: أراد به فتح مكة ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير ﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟﴾ أي: يصيروا علىٰ ما في قلوبهم من ولاية اليهود ﴿نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾.

---

(١) يشبه أن يكون هذا الخبر من أخبار الكلبي، فإني لم أجده في كتب التفاسير، ولا سيما في ذكره أفاضل الصحابة، فإن هذه القصة قد رواها السدي كما في تفسير ابن جرير ١٠/ ٣٩٧، ولم يسم هؤلاء الصحابة، ومعلوم أن الكلبي يأخذ روايات السدي ومقاتل ويزيد عليها، وينسبها لابن عباس بإسناد ركبه. فلا يغتر بمثل هذه الروايات، فقد برأ الله حواري الرسول من موالاة اليهود، وكذا طلحة الخير.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ حينئذ لليهود عند قتلهم وإجلائهم ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: حلفوا إنهم لمعكم في النصرة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أكد يمينه بالله فهو جهد اليمين ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التي عملوها ﴿فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ في مودتهم مغبونين ببطلان أعمالهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ قال الكلبي: يعني به أهل الردة الذين ارتدوا بعد وفاة رسول الله في ولاية أبي بكر، منهم بنو تميم، وبنو حنيفة، وأسد، وغطفان، وأُناس من كندة، حتى لم يبق إلا ثلاثة مساجد، مكة، والمدينة، والبحرين، فحاربهم أبو بكر بجماعة من أهل اليمن والنخع، حتى نصره الله عليهم، فأنزل الله تعالى قبل وفاة رسول الله[١]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ بعد وفاة محمد فلا يضر الله شيئًا ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ أي: يهدي الله قومًا ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ أي: يحبهم الله تعالى، يثبتهم على طاعته، وهم يحبونه يطيعونه، وقيل: يحبهم لنُصرة دينه، وهم يحبون دين ربهم.

محبة الله تعالى للمؤمنين بإكرامهم وإجلالهم بثوابه، ومحبتهم لله طلبهم لمرضاته، وشُكرهم على نعمه[٢].

---

(١) تنوير المقباس ٩٦، وقد ذكره السمرقندي من قول ابن عباس، فدل على أنه من رواية الكلبي.
وأما رواية علي عن ابن عباس فليس فيها هذا التفصيل، بل قال: وعيد من الله من ارتد منكم أنه يستبدل خيرا منه (رواه ابن جرير في التفسير ١٠/ ٤١٩).
ولم يتفرد به الكلبي، بل هو قول جماعة من التابعين، كما يعرف ذلك بمراجعة كتب التفسير.

(٢) سبق التنبيه على أن المصنف يؤول أحيانًا صفتي المحبة والرحمة المضافتين لله عز وجل، ويحملهما على بعض لوازمهما، وإن كانت هذه اللوازم صحيحة إلا أن ذلك لا يعني نفي المعنى الظاهر المعروف من لسان العرب، على ما سبق بيانه.

ثم وصفهم فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ متواضعين متوادِّين للمؤمنين ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أقوياء غلظاء على الكافرين ﴿يُجَٰهِدُونَ﴾ يقاتلون ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ حتى يظهر الإسلام ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ أي: ملامة لائم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ يعني الإسلام ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ من خلقه فيكرمه به ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لما يعطي، لا ينقص من مُلكه وزن ذرَّة بالكثر من الإعطاء ﴿عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ بمن يصلح لذلك.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ خطاب الآية لعبد الله بن سلام وأصحابه، لأنهم شَكَوْا مفارقة قومهم، فأنزل الله تعالى الآية يواسيهم بما أبدلهم من ولايته وولاية رسوله وولاية المؤمنين بعد ولاية اليهود[١].

قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ويعطون في حال ركوعهم، قال الكلبي: نزلت ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ في علي، لأنه أعطى خاتمه وهو راكع[٢].

فلما سمعوا الآية قال مسلمة أهل التوراة: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين وليًّا[٣].

قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ أي: هو حزب الله تعالى، وحزب الله شيعته على دينه ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ لأهل الأديان.

وفي الآية دلالة فضيلة علي بن أبي طالب[٤].

---

(١) وهو من رواية الكلبي، انظر: الكشف والبيان ١١/ ٣٩٠.

(٢) هذه القصة مختلقة، وقد بين ذلك علماء الإسلام، وقد غدت مثل هذه الروايات من الدخيل الذي يعكر صفو المأثور في التفسير، وينظر في ذلك: الفصل الذي عقدته في تفسير هذه الآية من كتاب: مشيخة الحافظ أبي القاسم الحسكاني الحاكم.

(٣) وهو من تتمة خبر الكلبي الذي صدر به سبب النزول، انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٠٠.

(٤) فضائل علي بن أبي طالب كثيرة، وهو في غنى عن هذا الخبر الموضوع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا [مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ]﴾ نزلت في مشركي العرب، عن الحسن(١).

وقيل: نزلت في كل كافر وعابد وثن وملحد، يعني الذين اتخذوا دين الإسلام استهزاءً وسخرية ولعبًا باطلاً؛ إذا صليتم ضحكوا، وإذا أذَّنتم هَزؤُوا؛ فلا تتخذوا هؤلاء من أهل الكتاب ولا من سائر الكفار ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أي: أحباء ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ أي: مصدِّقين.

ثم زاد في نعتهم فقال: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾ أي: ضُحكة واستهزاءً ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاستهزاء منهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ أي: لا يعقلون بأنهم سفهاء.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ استفهام بمعنىٰ الجحد، أي: تكرهون منَّا ولا تنكرون علينا ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: أقررنا لله ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ من سائر الكتب ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝٥٩﴾ أي: لا تكرهون منَّا إلا إيماننا وفسقكم، وأنتم تعلمون بأنَّا علىٰ الحق وأنتم علىٰ الباطل.

يقال: كيف يكون أكثرهم فاسقون، فإن كلهم فاسقون؟ قيل: فاسقون بركوب الهوىٰ، واتصف به بعضهم، والثاني: خارجون عن أمر الله حسدًا علىٰ النبوة، واختص به رؤساؤهم، ولأن أكثر الشيء يقوم مقام الكل.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ معشرَ اليهود ﴿بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ﴾ مما قلتم لنا، وهذا نزل جوابًا لقولهم: ما رأينا أهل دين أقل حظًا في الدنيا والآخرة من هؤلاء(٢)، فأجابهم الله

---

(١) سياق الآيات يقتضي أنها نزلت في أهل الكتاب، وهذا مروي عن ابن عباس من طريق محمد بن أبي محمد بإسناده عنه، قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادُّونهما، فأنزل الله فيهما الآية. (تفسير الطبري ١٠/ ٤٣٠).

(٢) البسيط ٧/ ٤٤٤.

تعالىٰ: هل أنبئكم بشر مما قلتم وعِبتم المؤمنين به ﴿مَثُوبَةً﴾ نصب علىٰ التفسير، يعني جزاءً ثم بيَّن ذلك: ﴿[عِندَ ٱللَّهِۚ] مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ هو في موضع الخفض لأنه بدل عن الشر، وتقدير الآية: ألا أخبركم معشر اليهود بحال هو أسوأ حالاً مما نسبتمونا إليه، وذلك الحال حال من لعنه الله: أي عذَّبه بالجزية ﴿[وَغَضِبَ عَلَيۡهِ]﴾ وسخط عليه ﴿وَجَعَلَ﴾ طائفة ﴿مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ﴾ في زمن داود ﴿وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ في زمن عيسىٰ[١]، وجعل منهم ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ لقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ أي: مَن يحرِّفون.

وقرئ: «وعبدوا الطاغوت» وهو جمع عبد أو عابد[٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ أي: منزلة عند الله مما عبتم علينا ﴿وَأَضَلُّ﴾ منَّا ﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾ عن قصد سبيل الهدىٰ.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بمحمد ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ﴾ أي: مع الكفر ﴿وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾ وهو كفر السر[٣] ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ٦١﴾ من عدوانكم والكفر.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ المعصية والظلم ﴿وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ﴾ الرشوة في الحكم، يعني: كعبًا وأصحابه ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢﴾ من استحلال الربا والرشوة.

﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ استفهام بمعنىٰ التوبيخ، أي: هلا ينهاهم علماؤهم ونهوهم عن كذبهم علىٰ الله والافتراء ﴿وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣﴾ من ترك النهي عن ذلك.

---

(١) قال المفسرون: القردة كفار السبت، والخنازير كفار المائدة (البسيط ٧/ ٤٤٦).

(٢) نسبت لابن مسعود، انظر: الكشف والبيان ١١/ ٤١٥، الكشاف ١/ ٦٥٢.

(٣) تفسير السمعاني ٢/ ٥٠.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ قيل: معناه رزقه مكفوف عنَّا، سلبنا ملكنا، وقتر علينا في الرزق، وقيل: يد الله ممنوعة عن عذابنا[١].

غُلت أيديهم: دعاءٌ أي أُمْسِكَتْ عن الإنفاق في الخير، فهم أبخل الناس[٢].

﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ عُذِّبُوا بالجزية بمقالتهم: يد الله مغلولة، ثم كذَّبهم فقال ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ على البر والفاجر ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾.

ذكر اليد على التثنية، قيل: أراد به نعمة الدنيا والآخرة، وقيل: نعمة الدين والدنيا، وقيل: بالثواب والعقاب[٣].

ولا تذكر التثنية ويراد بها[٤] الجمع في قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾، وقال: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ أي: ظهراء[٥].

---

(١) والمراد من الآية الأول، وهو وصفه بالبخل، عليهم لعنات الله، وظاهر الآية يدل عليه، ولذا لم يذكر ابن جرير غيره (تفسير الطبري ١٠/ ٤٥١) وذكر ابن الجوزي بقية الأقوال، وهي ضعيفة، زاد المسير ١/ ٥٦٥.
والقول الأخير الذي ذكره المصنف ذكره الثعلبي ونسبه للحسن (الكشف والبيان ١١/ ٤٢٤).

(٢) الكشف والبيان ١١/ ٤٢٥.

(٣) هذا تأويل لصفة اليدين، وقد يتوارد عليه كثير من المفسرين، يتبع كل واحد منهم أصله الذي بنى عليه، وكثير منهم ليس من أهل التحقيق في هذا الباب، فيذكر ما يذكر على غير جهة التحقيق.

(٤) في الأصل: به، والتثنية مؤنث.

(٥) في هذه الجملة رد على القول السابق، وهي دليل على أن اليدين صفة لله عز وجل، ولا تفسر بالنعمة، ذلك لأن الواحد يؤدي عن الجنس، كما في الآيتين اللتين ذكر المصنف، لكن التثنية لا تؤدي عن الجنس، فلا يصح أن تقول: ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس، فدل قوله بل يداه مبسوطتان -مع إخباره عبادة أن نعمه لا تحصى- على خطأ من فسر اليدين بالنعمة. وعلى صحة قول من قال: يد الله صفة له. وقد أطال ابن جرير تقرير ذلك في تفسيره ١٠/ ٤٥٦.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يعني: يزداد كثير من اليهود بالقرآن طغيانًا في النعمة، وكُفرًا بالله عز وجل ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعني بين أهل الكتابين ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ أي: أجمعوا أمرهم علىٰ مكر محمد صلىٰ الله عليه وسلم ردَّ الله مكرهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وهو منعهم السِّفلة عن الإسلام ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ الشرك ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي: شركهم ومساوئ أعمالهم ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ يتنعمون فيها.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أي: عملوا بما فيهما ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو القرآن ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ﴾ من مطر السماء ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ من نبات الأرض.

ثم أثنىٰ علىٰ المؤمنين فقال: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ جماعة عادلة عاملة بالخير ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ بئس الشيء عملهم[1].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ سبب نزول الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله: إنَّا لذو عدد كثير فاحذرنا أن نقتلك إنْ لم ترجع، فكان بعد ذلك يحرس رسول الله مائةٌ من المهاجرين، فأمره الله بتبليغ الرسالة وأمَّنهم عن مكر اليهود، فأخرج رسول الله رأسه من القبة وقال: يا معشر المسلمين، ارجعوا فقد

وقال السمعاني (في تفسيره ٢/ ٥١): وأما اليد: صفة لله - تعالىٰ - بلا كيف، وله يدان، وقد صح عن النبي أنه قال: كلتا يديه يمين. والله أعلم بكيفية المراد.

(١) تفسير الطبري ١٠/ ٤٦٦.

عصمني الله عن الناس[(١)].

﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ معناه: إنْ لم تبلِّغ شيئًا منه فقد بطل جميع ما كان قبل هذا من التبليغ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ من اليهود حتىٰ لن ينالوك بسوء أو أسر أو قهر، فكان رسول الله بعد ذلك يخرج وقت السحر إلىٰ أودية المدينة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ لدينه ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ من بني قريظة والنضير.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ بعد ما حرفتم، وقيل: حتىٰ عملتم[(٢)] به ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ من نعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم في التوراة ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم﴾ من اليهود ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ [مِن رَّبِّكَ]﴾ من القرآن ﴿طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ﴾ أي: تجبُّرًا وتكبُّرًا ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾ أي: لا تحزن إن لم يؤمنوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالظاهر، وهم المنافقون[(٣)] ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي: مالوا ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ وهم الذين يعبدون الملائكة ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ من آمن مِن هؤلاء الأربع ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾.

---

(١) القصة مشهورة دون ذكر اليهود، وقد روىٰ نحوها ابن جرير عن جماعة ١٠/ ٤٧٠، وانظر: الكشف والبيان ١١/ ٤٣٥.

(٢) في الأصل: علمتم، وهو تصحيف، انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٠٦.

(٣) وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٢/ ١٩٤، والواحدي في البسيط ٧/ ٤٧٢، والسمعاني في التفسير ٢/ ٥٤، ويدل عليه أن السياق كان في المنافقين، فسماهم مؤمنين باعتبار أحكامهم الدنيوية.

وحمله ابن جرير علىٰ المؤمن الحقيقي، وأن المراد الثبات علىٰ الإيمان، وذلك في تفسير نظيرتها في سورة البقرة، آية: ٦٢ (تفسير ابن جرير ٢/ ١٤٨).

والصابئون رُفِعَ علىٰ تطاول الكلام، لأن العرب تعدل من الرفع إلىٰ النصب ومن النصب إلىٰ الرفع إذا طال الكلام[(١)].

كقول الشاعر[(٢)]:

وكل قومٍ أطاعوا أَمرَ مرُشدِهم إلاَّ نُميرًا أطاعتْ أمر غاويها

الظَّاعنين ولمَّا يُظْعِنوا أحدًا والقائلونَ لمن دار نُخليها

وقيل: إنه مرجوع علىٰ قوله: «آمنوا» والواو والألف فيه في موضع الرفع[(٣)].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وهو عهد الله إليهم أن يبيِّنوا بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ وهم ألف رسول ونبي ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ﴾ من رسل الله ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: لا يوافق مرادهم ﴿فَرِيقًا﴾ من الرسل ﴿كَذَّبُوا۟﴾ مثل عيسىٰ ومحمد ﴿وَفَرِيقًا [يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾]﴾ قتلوهم مثل يحيىٰ وزكريا.

يقال: وعد الله النصر لأنبيائه بقوله ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية، فكيف لم ينصرهم حتىٰ قُتلوا؟

قلنا: أصحاب الشرائع والكتب لم يصل أحدٌ إلىٰ قتلهم، ووعد الله النُصرة للرسل الذين يقاتلون في سبيل الله، والأنبياء غير المرسلين، كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحثون علىٰ الطاعة لا غير[(٤)].

---

(١) المفسرون يحيلون في هذه الآية إلىٰ نظيرتها في سورة البقرة، انظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٥٢، الدر المصون ٤/ ٣٥٣.

(٢) البيتان في معاني القرآن للزجاج ١/ ٤٤، والكشف والبيان ٤/ ٣٤٩، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٢١.

(٣) البسيط ٧/ ٤٧٢.

(٤) وهو جواب الزجاج، في معاني القرآن ٢/ ١٩٥.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ أي: حسبوا أن يتركوا[(١)] إذا قتلوا الأنبياء وآمنوا، وقيل: حسبوا أن لا يبتلوا بقتل الأنبياء[(٢)] ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الدين والهدىٰ ﴿وَصَمُّواْ﴾ أي: صاروا كالعميان، ترك التوبة والإيمان، صاروا أصم عن الحق ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ بإرسال محمد إليهم، فأعلمهم أن الله يقبل توبتهم إن تابوا ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ بترك التوبة والإيمان بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به.

رفع كثير منهم لأنه في المعنىٰ: عمىٰ وصم كثير منهم، فالكثرة صفة العمىٰ والصم[(٣)].

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ عالم بهم وبأحوالهم.

ومذهب البصريين: الفعل إذا تقدم الاسم يجمع، وفي القرآن: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[(٤)].

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ هم أهل نجران، وهم اليعقوبية، لأن بعض أحبارهم قالوا: هو الله نزل من السماء فأحيا ما أحيا، وأمات ما أمات، وتابعه قوم وهم اليعقوبية[(٥)].

---

(١) في الأصل: يركنوا، وهو تصحيف فيما يظهر.

(٢) تفسير الطبري ١٠/ ٤٨٠، تفسير أبي الليث ١/ ٤٠٧.

(٣) الكشاف ١/ ٦٦٣، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٥٣.

(٤) وهي لغة: أكلوني البراغيث، وعلىٰ هذا فكثير فاعل: عموا وصموا، الكشاف ١/ ٦٦٣، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٥٣.

(٥) هذا مذهب اليعقوبية كما قال المصنف، ومثله في تفسير الطبري (١٠/ ٤٨٤) وجعله الثعلبي: مذهب الملكانية (الكشف والبيان ١١/ ٤٤٩).

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ أي: مع الله شيئًا ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي: دخول الجنة ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ للمشركين ﴿مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ من عذاب الله عز وجل.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ وهم الملكانية[1] من النصارىٰ يقولون: نعبد أبًا وابنًا وروحًا قُدسًا، يعنون عيسىٰ، ثم يقولون هم ثلاثة: اللاهوت، والناسوت، والروح الطيب، لعنهم الله بذلك[2].

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ دخلت «مِن» في الكلام للتأكيد، يعني: ما إله إلا الله واحد ليس له شريك ولا شركاء لا واحد ولا أكثر من ذلك ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ﴾ أي: لم يمتنعوا ﴿عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ في الآخرة.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ ألف إنكار بمعنىٰ الاستفهام، وقيل: أراد به الأمر[3].

وقيل: إنها أرجىٰ آية في كتاب الله تعالىٰ إذ دعاهم إلىٰ التوبة مع قبيح فعلهم، وفيها دليل علىٰ أن التوبة غير الاستغفار لأنه فرّق بينهما[4].

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ يغفر للتائبين ويرحمهم.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ أي: الآيات التي جاء بها من إبراء الأكمه والأبرص [وإحياء] الموتىٰ؛ لأنه ليس إله، ولكنها آيات

---

(١) في الأصل: الملكية.

(٢) تفسير الطبري ١٠/ ٤٨٢، تفسير أبي الليث ١/ ٤٠٨، تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٧.

(٣) وهو قول الفراء ٢/ ١٩٦، وانظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٠٩، البسيط ٧/ ٤٨٣، زاد المسير ١/ ٥٧٢.

(٤) تفسير الطبري ١٠/ ٤٨٢، تفسير أبي الليث ١/ ٤٠٨، تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٧.

كآيات سائر الرسل[١] ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ﴾ مبالغة في الصدق، صدَّقت جبريل إذ قال لها ﴿أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾ فصدَّقته، ومنه قوله ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ وكيف يكون إله من يعيش بالطعام، وولدته النساء، ذكر الطعام ونبه عن عاقبته وهو الحدث ليعلم العاقل أنه لا يصلح للربوبية[٢].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يعني آيات الربوبية ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٧٥﴾ كيف يُصرفون من الحق إلىٰ الباطل.

والإفك: في الأصل هو الكذب، لأنه مصروف عن الصدق.

قيل: ليست في القرآن آية أقطع من هذه الآية لخصومة النصارىٰ.

---

(١) وهو من معاني القرآن للزجاج ٢/ ١٩٦.

(٢) البسيط ٧/ ٤٨٧.

وفيه عن ابن قتيبة قال: هذا ألطف ما يكون من الكناية، لأنه عبر عن الحدث بالطعام، لأن من أكل الطعام لا بد له من أن يحدث، فلما ذكر أكل الطعام صار كأنه أخبر عن عاقبته، والطعام والحدث ليسا من أوصاف الإلهية، وأنكر عمرو بن بحر [هو الجاحظ وتصحف في الأصل] أن يكون هذا كناية عما ذكر، وقال: كأنه لم يعلم أن في الجوع وما ينال أهله من الذلة والعجز والفاقة أدل دليل علىٰ أنهم مخلوقون، حتىٰ ادعىٰ علىٰ الكلام شيئًا قد أغناه الله عنه.(غريب القرآن لابن قتيبة ١٤٤).

قلت: وهذا الذي قاله الجاحظ قد قال مثله ابن جرير في التفسير ١٠/ ٤٥٨، والزجاج في معاني القرآن ٢/ ١٩٧، والزمخشري في الكشاف ١/ ٦٦٥، وهو بيان الآية، وقول ابن قتيبة قد نسبه الثعلبي في الكشف والبيان ١١/ ٤٥٠، لأهل المعاني، وقد قال به النحاس في إعراب القرآن ١/ ٢٧٨، وهو من قبيل التفسير باللازم. وما كان من هذا القبيل فإنه يفسر بظاهر ولا يمنع لازمه، إذا كان صحيحا.

وينظر: مبحث الرازي (في مفاتيح الغيب ١٢/ ٤٠٩): «في بيان وجوه فساد قول النصارىٰ».

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أيها النصارىٰ ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرًّا﴾ في الدنيا ﴿وَلَا نَفۡعًاۚ﴾ في الآخرة ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم الشرك مع الله ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ بعقوبتهم.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ الغلو تجاوز الحد إلىٰ الازدياد، والتقصير خروج عن حده إلىٰ النقصان، ودين الله بين الغالي والمقصر.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ﴾ أي: مذاهبهم ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ أن يبعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ ممن تبعهم ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ [عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ]﴾ أي: مسخ بدعاء داود، وهم أصحاب السبب من أهله أيلة، صاروا قردة.

والذين مسخوا بدعاء عيسىٰ: أهل المائدة، أكلوا من مائدة السماء، فأكلوا منها وأنكروا نبوة عيسىٰ، فدعا عليهم فصيَّرهم الله خنازير بدعائه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المسخ لهم ﴿بِمَا عَصَواْ [وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨]﴾ واعتدوا بأخذ السمك يوم السبت.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ أي: لا يمتنعون من استحلال صيد السمك وأخذ الرشوة وأكل الربا ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ يظاهرون مشركي العرب علىٰ رسول الله ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ كلمة «أن» إذا لحقت بالفعل كان المراد منه المصدر، أي: بئس ما قدمت لهم أنفسهم سخط الله عليهم ﴿وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾.

﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أنه واحد لا شريك له ﴿وَٱلنَّبِيِّ﴾ محمد عليه السلام ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ من القرآن ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي: الكفار أولياء

﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: اليهود والمنافقين ﴿فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ ناقضون للعهد مع كفرهم.

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾ يعني يهود بني قريظة والنضير وفدك وخيبر[1].

اللام: لام القسم، والنون للتأكيد، يقول: أشد الناس عداوة للمؤمنين.

ومشركو أهل مكة أيضًا، وقيل: يعني به جملة اليهود ومشركي العرب جملة.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمحمد وأصحابه ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ وهو النجاشي وأصحابه، وهم أربعون نفرًا، اثنان وثلاثون من أرض الحبشة، وثمانية من رهابين أهل الشام[2].

﴿ذَٰلِكَ﴾ المودة ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ أي: متعبدين وأصحاب الصوامع ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لا يتعظمون عن قبول الحق.

---

(١) قال الزمخشري (في الكشاف ١/ ٦٦٨): وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلىٰ الحق ولين عريكة النصارىٰ وسهولة ارعوائهم وميلهم إلىٰ الإسلام، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، بل نبه علىٰ تقدم قدمهم فيها بتقديمهم علىٰ الذين أشركوا، وكذلك فعل في قوله ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [سورة البقرة:٩٦] ولعمري إنهم لكذلك وأشد. وعن النبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم «ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله» وعلل سهولة مأخذ النصارىٰ وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا أىٰ علماء وعبادا وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم، واليهود علىٰ خلاف ذلك.

(٢) قول سعيد بن جبير، والسدي، ورواية علي عن ابن عباس علىٰ أنها في النجاشي، وقول قتادة أنها في قسيسين من النصارىٰ (تفسير الطبري ١٠/ ٤٩٩) والمصنف نقل قول مقاتل والكلبي (كما في الكشف والبيان ١١/ ٤٦١).

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ﴾ أي: هم الذين سمعوا القرآن من جعفر ابن أبي طالب بالحبشة، وقيل: قراءة النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالمدينة.

﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ﴾ أي: تسيل ﴿مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: سالت دموعهم لمعرفة صفة محمد في كتابهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ أقررنا بوحدانيتك وكتابك ورسولك ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾ اجعلنا من أمة محمد؛ الذين شهدوا أنَّ محمدًا رسول الله.

فلما رجعوا إلىٰ قومهم لامهم قومهم، فقالوا ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو الكتاب والرسول ﴿وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٤﴾ أي: نرجوا من الله إدخال الجنة مع أصحاب محمد، وقيل النبيين.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾ أي: جازاهم في الآخرة بإيمانهم ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾ الموحدين المخلصين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وهم مشركو العرب والكافرون من النصارىٰ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٨٦﴾ وهي نار شديدة الاتقاد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ نزلت في جماعة من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومقداد وعثمان بن مظعون وغيرهم، تواثقوا في بيت عثمان بن مظعون أن لا يأكلوا ولا يشربوا إلا قوتًا، ولا يأكلوا لحمًا ولا دسمًا، ولا يأتوا النساء، وأن يجبُّوا أنفسهم، فنهاهم الله عن ذلك، وقال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إني آكل وأشرب وآكل اللحم والدسم، وأنام وأصلي، وآتي النساء وأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي

فليس مني»[1].

﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ مما حدَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٨٧﴾.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الطعام والشراب إذا كان أصله من حلال ﴿حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في تحريم ما أحل الله لكم ﴿ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ۝٨٨﴾ مصدِّقون.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ إذ حلف القوم بما حلفوا[2]، نزلت الآية.

واللغو في اللغة: ما لا يعتدُّ به، قيل: هو يمين الظان، وقيل: ما يجري في كلام الناس لا والله وبلىٰ والله، معناه: لا يوجب الله الكفارة في لغو أيمانكم.

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾ أي: عزمتم عليه ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ أي: كفارة الحنث ﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ﴾ أي: أعدل ما تطعمون ﴿أَهۡلِيكُمۡ﴾ من الخبز ﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾ لكل مسكين ثوبًا كبيرًا أو صغيرًا ﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ﴾ سليمة من الآفات.

وكلمة «أو» في الآية للتخيير لا للترتيب عند الجمهور[3].

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ ذلك أي: يعسر عليه ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ﴾ متتابعات[4] ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ ليستُر وبال آثامكم ﴿إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ كيلا

---

(١) هذا مستخلص من مجموع روايات ذكرها ابن جرير وغيره، انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٥١٤، تفسير أبي الليث ١/ ٤١٣، الكشف والبيان ١١/ ٤٦٦. وأقرب الألفاظ إليه لفظ قتادة.

(٢) يعني الصحابة المذكورين في الآية السابقة، فإنهم كانوا حلفوا علىٰ فعل ذلك.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٧٥ حيث فصل في ذلك.

(٤) وفي ذلك خلاف مشهور ذكره القرطبي وغيره، انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٧٧.

تحنثوا، وقيل: احفظوا كيلا تضيعوا كفارتها ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني كفارة اليمين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ نعمه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ أي: شُرب الخمر واستعمال الميسر، فالميسر القمار، حتىٰ لعب الصبيان بالجوز والكعاب.

وعن مجاهد: الميسر كعاب فارس وقداح العرب[(١)].

والفعل منه: يسر ييسر يسرًا بجزم السين فهو يَسَرٌ وياسرٌ[(٢)].

﴿وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ ما تقدم شرحه في أول السورة ﴿رِجْسٌ﴾ أي: هذا كله خبيث مستقذر من عمل الشيطان وإغرائه ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ أي: عن الرجس ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ أي: تسعدون وتظفرون.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ﴾ في الظاهر ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ في القلوب ﴿فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: يريد أن يصدكم عن ذكر الله، أي: طاعته ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الخمس ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ استفهام خرج مخرج التهديد، يعني: انتهوا عن هذه الحرمات، فلما نزلت الآية قالت الأنصار: «انتهينا يا رب عن شربها»[(٣)].

---

(١) رواه الطبري في التفسير ٩/ ٥١٢. وقد فسروا الكعاب بفص النرد (تاج العروس ٤/ ١٤٩).

(٢) تاج العروس ١٤/ ٤٥٩.

(٣) عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب، قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة:٢١٩] قال: فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت الآية التي في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [سورة النساء:٤٣]، فكان منادي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادىٰ: أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما بيَّن لكم من تحريم هذه الأشياء ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أخبركم به ﴿وَٱحْذَرُوا۟﴾ أن تخالفوهما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ عن الله بما أمر ونهىٰ، أي: عليه البلاغ وعلينا الجزاء.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾ أي: إثم ﴿فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ أي: شربوا الخمر قبل[1] تحريمها ثم ماتوا ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ الشرك ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ أي: صدَّقوا بما أخبرهم من تحريم الخمر ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الفرائض والواجبات ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ يعني استحلال الخمر بعد تحريمها ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ بتحريمها ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ شربها بعد تحريمها ﴿وَّأَحْسَنُوا۟﴾ في الإمساك عنها ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ الذين اتقوا الحرام وعظَّموا نهي الله تعالىٰ وأمره[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ هو لام القسم ونون التوكيد كما ذكرنا ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ في الحرم والإحرام، وذلك في عام الحديبية حين صدهم المشركون، وكانوا قد ضلوا طريقهم في ليلة ظلماء، ووقعوا بالحديبية، وكان

الخمر بيانا شفاء، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة:٩١] قال: فقال عمر: انتهينا، انتهينا.

رواه أحمد (٣٧٨) بإسناد صحيح. ورواه أبو داو (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٧).

(١) في الأصل: أي، وهو تصحيف.

(٢) في صحيح البخاري (٤٦٢٠) وصحيح مسلم (١٩٨٠) عن أنس بن مالك، قال: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلا الفضيخ: البسر والتمر، فإذا مناد ينادي، فقال: اخرج فانظر، فخرجت، فإذا مناد ينادي: «ألا إن الخمر قد حرمت»، قال: فجرت في سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة: اخرج فاهرقها، فهرقتها، فقالوا - أو قال بعضهم: - قتل فلان، قتل فلان، وهي في بطونهم، - قال: فلا أدري هو من حديث أنس -، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة المائدة:٩٣].

يغشاهم الصيد في رحالهم[١].

﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ﴾ مثل بيض النعام وأفراخها ﴿وَرِمَاحُكُمۡ﴾ ظباء الحرم ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ أي: ليميز الله من يخاف عذابه ممن لا يخاف بالغيب.

والغيب: هو تواري الشيء بحيث لا يقع عليه الحس، معناه: يخاف الله فيما بينه وبين ربه فيمتنع عن المناهي[٢].

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾ أي: تجاوز الحد بأخذ الصيد ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ البيان ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤﴾ قيل في التفسير: يملأ ظهره وبطنه سوطًا، أي: يضرب[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ في الحرم، أو محرمين بالحج أو العمرة ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا﴾ بعد النهي ناسيًا أو ذاكرًا لإحرامه عمدا أو خطأ سواء ﴿فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي: فعليه جزاء مثل ما علىٰ قاتل النعم، أي: الإبل والغنم والبقر ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ أي: أهل ملتكم، رجلان فقيهان صالحان ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ أي: يشتري هديًا يبلغ إلىٰ الكعبة، وإن كان لا يبلغ قيمته الهدي يشتري بثمنه طعامًا يتصدق به، لكل مسكين نصف صاع ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ إن لم يجد طعامًا يصوم لكل مدين من الطعام يومًا ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ﴾ أي: جزاء ذنبه.

---

(١) لم أجده مسندًا، لكن ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ١١/ ٤٩٧، والواحدي في البسيط ٧/ ٥١٥، والزمخشري في الكشاف ١/ ٦٧٧، ولم يذكره الزيلعي في التخريج، وهو من مرويات مقاتل كما في تفسيره ١/ ٥٠٣.

(٢) تفسير الطبري ١٠/ ٥٨٥.

(٣) وهو من رواية الكلبي عن ابن عباس كم في تنوير المقباس ١٠١، والبسيط ٧/ ٥١٧.

وهذا يدل علىٰ أنه عذاب دنيوي، وهو التعزير، أو الكفارة كما في تفسير أبي الليث ١/ ٤١٨، والصحيح أن المراد عذاب يوم القيامة، (انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٥٨٥، تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٠).

الوبال: ثقل الشيء من حمل المكروه[١]، والوبيل: العصا الضخمة، وطعام وبيل غير مريء.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ في الجاهلية وبدء الإسلام قبل النهي ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ مستحِلاً للصيد بعد التحريم ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ أي: يعذِّبه الله ويجازيه كجزاء قاتل النفس ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ ينتقم ممن يشاء وهو ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٩٥﴾ من أعدائه.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ أي: السمك الذي حسر عنه الماء أو لفظه[٢] ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ أي: منفعة للمقيم ﴿وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾ أي: المسافرين، يعني السمك المالح ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًاۗ﴾ أي: محرمين، أو في الحرم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اخشوه ولا تستحلوا الصيد في الحرم ﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩٦﴾ في الآخرة.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ أي: قبلة، وقيل: قوامًا لمصالح دينهم ودنياهم، وأمانًا لهم[٣].

﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَۚ﴾ أي: جعل هذه الثلاثة أمنًا لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لأنَّ الرجل إذا رأىٰ قاتل أبيه أو أخيه في الحرم أو الشهر الحرام لا يتعرض له، ولولا ذلك لانسدت الطرق، والله تعالىٰ منَّ عليهم بمراعات هذه المصلحة، لأنه يعلم غيب السموات والأرض، فكيف لا يعلم بصلاح هذا القول.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٩٧﴾ بصلاحهم وفسادهم.

---

(١) في الأصل: حملة، ولعل الذي أثبته أليق، انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٤٧، البسيط ٧/ ٥٢٨.

(٢) تفسير الطبري ١١/ ٥٧، البسيط ٧/ ٥٣٠.

(٣) تفسير الطبري ١١/ ٩١، وقد قيل إن الناس هنا هم العرب خاصة، فيكون علىٰ هذا التفسير من الخاص الذي أريد به العام.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن استحل المحارم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ متجاوز عمن تاب ﴿رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ إذ رخص له في التوبة.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ من الله والإنذار للمكلفين ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ أي: تظهرون وتضمرون.

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ قيل: لا يستوي الكافر والمؤمن، وقيل: لا يستوي المال الحرام والحلال(١).

﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ﴾ يا ابن آدم، أي: راقك ﴿كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ﴾ أي: الحرام ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اخشوه ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي: ذوي العقول ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ تنجون من عذاب الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ أي: تظهر لكم ساءكم ذلك.

قيل: سألوا رسول الله عن وجوب الحج في كل عام، فكره رسول الله ذلك منهم، فأعادوا ثم أعادوا، ثم قال رسول الله: «ما يؤمنكم أن أقول في كل عام ولا تطيقونه»(٢).

---

(١) قال الطبري (في التفسير ١١/ ٩٦): يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد صلىٰ الله عليه وسلم، قل يا محمد: لا يعتدل الرديء والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي، ولو كثر أهل المعاصي فعجبتَ من كثرتهم، لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلُّوا، دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا، فلا تعجبنَّ من كثرة من يعصىٰ الله فيُمْهِله ولا يعاجله بالعقوبة، فإن العقبَىٰ الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم

(٢) رواه مسلم في الصحيح (١٣٣٧) عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتىٰ قالها ثلاثا، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: لو قلت: نعم لوجبت، ولما

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي: تبدَ لكم حين ينزل القرآن ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: عن مسألتكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝١٠١﴾ قيل: نزلت في رجل سأل رسول الله عن نسب نفسه، واستقصىٰ في ذلك، حتىٰ أخبره رسول الله أنه ولد الزنا(١).

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ [ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ۝١٠٢]﴾ أي: قوم صالح، سألوا الناقة ثم كفروا بها، وقوم عيسىٰ سألوا المائدة ثم كفروا بها، فلا تسألوا أنتم.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ وهي الناقة التي تشق أذنها شقًا واسعًا، كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها، وتركوا ركوبها وذبحها، فلا يطردوها عن الماء والمرعىٰ، ولا يُشرب لبنها، فإذا ماتت يأكلها الرجال والنساء، وإن كان الولد الخامس أنثىٰ نحروها، وكانت لا تمنع من ماء وكلأ، وينتفع بها الرجال دون النساء، من لبنها ووبرها، فإذا ما ماتت أكلها الرجال والنساء(٢).

استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». وليس في هذا الحديث أن القصة سبب النزول. وقد رواه ابن جرير من طرق أخرىٰ فيها أن ذلك سبب النزول ١١/ ١٠٤.

(١) في صحيح البخاري (٤٦٢١) ومسلم (٢٣٠٩): عن أنس رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا»، قال: فغطىٰ أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين، فقال رجل: من أبي؟ قال: فلان، فنزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. وانظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٦/ ٥٤. وليس في شيء من ذلك انه نسبه للزنا.

(٢) البحر: الشق، انظر: مجاز القرآن ١/ ١٧٧، تفسير الطبري ١١/ ١٢٢، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢١٣، الكشف والبيان ١١/ ٥١٩، البسيط ٧/ ٥٥٢، علىٰ خلاف ليس بالشديد.

﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ والسائبة: ما سيبها صاحبها للأصنام، أي: أرسلها وأطلقها وسلَّمها إلىٰ السدنة ليفعلوا بها ما شاءوا في مصلحة الأصنام(١).

﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ من الغنم التي وصلت أخاها وهي أنثىٰ، ولدت معه في البطن السابع، كانت تترك مع أخيها فلا تُذْبَح، وكانت للرجال دون النساء [حتىٰ] تموت(٢)، فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء، وكان ولد الغنم في البطن السابع إذا كان ذكرًا ذبحوه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثىٰ لم ينتفع بها النساء حتىٰ يموت فأكلوه كلهم رجالاً ونساءً(٣).

﴿وَلَا حَامٍ﴾ وهو الفحل من الإبل الذي رُكب ولد ولده، يقال: حمىٰ ظهره فلا يركب ولا يمنع من رعي ولا ماء، وأيُّما إبل أتاها لم يحل بينه وبينها، فإذا مات أكله الرجال والنساء(٤).

أول من وضع لهم هذه السُنَّة: جُنادة بن عوف الكناني، وغيَّر الدين الحنيفية دين إبراهيم، ونصب الأصنام حول الكعبة(٥).

---

(١) قال الزجاج (في معاني القرآن ٢/ ٢١٣): والسائبة: كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو برء من علة أو ما أشبه ذلك قال: ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها وأن لا تجلىٰ عن ماء ولا تمنع من مرعىٰ، وكان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة، فلا عقل بينهما ولا ميراث.

وانظر: تفسير الطبري ١١/ ١٢٣.

(٢) تنوير المقباس ١٠٢.

(٣) تفسير الطبري ١١/ ١٢٤، معالم التنزيل ٣/ ١٠٧.

(٤) استوعب ابن الجوزي الخلاف في بيان هذه المسميات في زاد المسير ١/ ٥٩٢، والذي ذكره المصنف -وإن اعتمد فيه علىٰ الكلبي- هو المشهور عند المفسرين.

(٥) لم أجد من ذكره في هذا الباب، بل المشهور أنه من النسأة، والله أعلم.

وقيل: هو عمرو بن عامر بن لحي[١]. فأخبر الله تعالىٰ أنه لم يأمر بشيء من هذه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ أي: كلهم لا يفهمون أمر الله ونهيه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: اعملوا به ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ إلىٰ ما بيَّن الرسول من سُنته أجابوا ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من الدين والمنهاج وهو الشرك ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ إلىٰ الإقرار بالحق فهم يقتدون بهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ أي: عليكم بحفظ أنفسكم وصلاحها، لا تنقصكم جهالة مَنْ جهل من أهل مكة، حيث قالوا: إن محمدًا شرط أن لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، وإنه قد قبل من مجوس أهل هجر، وحزن المسلمون بذلك[٢].

---

(١) في الأصل: عمر بن عامر بن يحيىٰ، تصحف علىٰ الناسخ، وهو عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي، في صحيح البخاري (٤٦٢٣) ومسلم (٢٨٥٦): عن سعيد بن المسيب، قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال: وقال أبو هريرة: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب» والوصيلة: الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثىٰ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرىٰ ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضىٰ ضرابه ودعوه للطواغيت، وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي.

(٢) وهذا من رواية الكلبي بإسناده عن ابن عباس، كما في الكشف والبيان ١١/ ٥٢٨، والبسيط ٧/ ٥٥٩.

ثم قال: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ المؤمن والكافر ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥﴾ ويجازيكم.

وقوله ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: الزموا أنفسكم فإن الله لا يؤاخذكم بذنوب غيركم وهذا لا يوجب ترك الأمر بالمعروف(١).

---

(١) انظر بيان ذلك بتوسع في: تفسير الطبري ١١/ ١٣٨، الكشف والبيان ١١/ ٥٢٥.

وقال الواحدي (في البسيط ٧/ ٥٦٠): ويقال: هل تدل هذه الآية علىٰ جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قيل: في هذا وجوه:

أحدها: وهو الذي عليه أكثر الناس أن الآية لا تدل علىٰ ذلك، بل توجب أن المطيع لربه لا يكون مؤاخذًا بذنوب العاصي، فأما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمعقول بالآيات في ذلك، وخطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ وتضعونها غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم ينكروه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب».

الوجه الثاني في تأويل الآية: ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما قالا: قوله تعالىٰ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ يكون هذا في آخر الزمان..، ويؤكد هذا الوجه: ما روي أن أبا ثعلبة الخشني سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتىٰ إذا رأيت دنيا مؤثرة، وشحًّا مطاعًا، وهوًىٰ متبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك، وذر عوامهم. الوجه الثالث في تأويل الآية: ما ذهب إليه عبد الله بن المبارك، فقال: هذه أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله تعالىٰ خاطب بها المؤمنين جميعًا، وأغراهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ يعني: عليكم أهل دينكم ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ من الكفار.. وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء عنه..

الوجه الرابع: أن الآية نازلة في أهل الأهواء، لأنه لا ينفعهم الوعظ ولا يتركون هواهم بالأمر بالمعروف، فإذا رأيتهم أو كنت فيهم فعليك نفسك وذرهم وما اختاروه لأنفسهم، فلن يضرك ضلالهم. وهذا الوجه يروىٰ عن صفوان بن مُحرِز، ونحو ذلك قال الضحاك..

قال أبو عبيد: والذي أذن الله في إقراره والإمساك عن تغييره بقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ إنما هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم أهل ملل يدينون بها، فأما

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: شهادة خصومات بينكم، وقيل: أراد بالشهادة اليمين، يعني اليمين الذي يجب بالتنازع الواقع فيما بينكم.

وقال أبو سهل الأنماري رحمه الله: في الآية إضمار، معناه: إذا حضر أحدكم الموت وهو مسافر أو مقيم وحضر وصيته اثنان ذوا عدل منكم؛ واثنان من غيركم؛ فالحكم فيه سواء.

والقصة في ذلك أن عدي [بن بندي ويقال: ابن بداء][(1)] وتميم بن أوس الداري -وهما نصرانيان- خرجا في سفر مع بديل بن أبي مارية، مولىٰ لعمرو بن العاص، وكان مسلمًا، فمرض بُديل وأوصىٰ إلىٰ صاحبيه النصرانيين، وكتب أمتعته[(2)] في نسخة، ودس ذلك في بعض متاعه، فلما مات فتشا متاعه وأخذا منه جامًا من فضة منقوشًا بالذهب، ورجعا وسلَّما الأمتعة إلىٰ أهله، فوجدوا نسخة المتاع، ولم يجدوا الجام، فأخذوا الوصيين، وطلبوا منهما، فأنكرا، فاختصموا إلىٰ رسول الله فنزلت الآية[(3)].

الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل في هذه الآية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان في أهل المعاصي من المسلمين علىٰ الأبد..

(١) في الأصل: تصحف عليه الاسم فكتبه علىٰ أشكال: عدي بن بند وين وابي ابن بد. وقد أثبت ما استظهرت أنه صوابا.

واختلف في اسم عدي، ففي الكشف والبيان ١١/ ٥٣٠: بن بندي، وفي تفسير الطبري ١١/ ١٨٥: بن بداء، وهو المشهور عند أهل التفسير والحديث، والله أعلم.

(٢) في الأصل أقرب في الصورة إلىٰ: أقمشته، وهو تصحيف، وما أثبته الصواب، بدليل آخر القصة.

(٣) الخبر مطولا في تفسير ابن جرير ١١/ ١٨٧.

واختلف في اسم عدي، ففي الكشف والبيان ١١/ ٥٣٠: بن بندي، وفي تفسير الطبري ١١/ ١٨٥: بن بداء، وهو المشهور عند أهل التفسير والحديث، والله أعلم.

وذكر أمر السفر ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ للتجارة ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ محنه، وقيل: أراد به مصيبة الموت لأولياء الميت[1] بموت صاحبهم بُديل ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ وفيه إضمار، أي: اتهمتوا الوصيين احبسوهما، خبرٌ بمعنىٰ الأمر ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: صلاة العصر، لأن أهل الكتاب يعظِّمون وقت وجوب الشمس ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ الذي لا إله إلا هو ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ يا أولياء الميت في أمرهما، وقيل: يقول الوصيان ذلك في تمنيهما ذلك؛ إن شككتم يا أولياء الميت فبالله الذي لا إله إلا هو ﴿لَا نَشْتَرِى﴾ بهذا اليمين ﴿ثَمَنًا﴾ قليلاً من عرض الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ الميت ﴿ذَا﴾ قرابة منَّا في الرحم، ولا نفعل ذلك أيضًا.

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ قرأ بعضهم: بتنوين «شهادة» وكسر «الله»، أي: لا نكتم الشهادة بالله، وكلمة «الله» يراد بها القسم في الكلام، لأن اليمين إذا سقط منها حرف القسم فإنه ينصب إلا اسم الله، فإنه يجوز فيه النصب والكسر[2].

والقراءة: بغير التنوين، يقال: بأنَّ الشهادة أضيفت إلىٰ الله تعظيمًا، وقيل: علم الله منَّا[3].

﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: العاصين.

فحلَّفهما رسول الله وتركهما، قال: ثم ظهر الجام عندهما بعد ذلك، وقالا: كنا اشتريناه ولم يكن لنا بينة فلذلك أنكرنا، فاختصموا إلىٰ رسول الله ثانيًا، فأنزل الله:

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي: اطلع علىٰ خيانة النصرانيين.

---

(١) في الأصل: الموت، وهو سبق قلم.

(٢) رواها ابن جرير في التفسير ١١/ ١٧٧ عن الشعبي، ونسبها في المحتسب ١/ ٢٢١ إلىٰ جماعة آخرين، وانظر: الكشف والبيان ١١/ ٥٣٦، الكشاف ١/ ٦٨٧.

(٣) والمعنىٰ: لا نكتم شهادة لله عندنا (تفسير الطبري ١١/ ١٧٧).

وأصل العثور: هو السقوط والوقوع[١].

معناه: وقعا علىٰ شيء يستحقان الإثم بذلك، وهو الخيانة ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ من أولياء الميت؛ وهو: عمرو بن العاص، والمطلب بن أبي وداعة، ﴿يَقُومَانِ [مَقَامَهُمَا]﴾ مقام الوصيين النصرانيين في اليمين ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَانِ﴾ ومعناه: آخران أوليان بالميت، يقومان من الذين استحق عليهم الوصية، يحلفان به.

قرأ حفص عن عاصم: «استَحق» بفتح التاء[٢]، فالمعنىٰ علىٰ هذه القراءة: الأوليان من أولياء الميت - أي: الأقرباء- يقومان مقام الوصي في اليمين.

وعلىٰ قراءة غيره: آخران من أولياء الميت يقومان مقامهما من الذين استُحق عليهم الوصية، والنصرانيان قد استحقا الوصية علىٰ أولياء الميت، والأوليان صفة لأولياء الميت[٣].

﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أي: يميننا أصدق من يمين الخائنين ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ بهذا اليمين، [﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧﴾] أي: ما قصدنا الظلم، ولو قصدنا ذلك لكنَّا من جملة الخائنين.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم الذي سبق ذكره ﴿أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ أي: أحرىٰ وأقرب أن تقيموا الشهادة علىٰ الإناء[٤] صادقين كما كانت ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن

(١) تفسير الطبري ١١/ ١٨٠.

(٢) تفرد حفص بهذه القراءة، والباقون بضم التاء وكسر الحاء، وهكذا قيدها في الأصل (النشر ٢/ ٢٥٦).

(٣) انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٢٦، الكشف والبيان ١١/ ٥٣٩.

(٤) لعلها هكذا في الأصل، يريد بالاناء الجام الذي فقد، وفي كتب التفسير: علىٰ وجهها كما كانت.

﴿تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْۗ﴾ أي: يخاف الخائنان أن ترد اليمين على أولياء الميت بعد ظهور خيانتهم، فلا يكذبوا، وقيل: يخاف أولياء الميت أن تظهر خيانتهما كما ظهرت خيانة الأولين فيفتضحا كما افتضح الأولون فلا يكذبان.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أيها الفريقين جميعًا أن تحلفوا كذبًا ﴿وَٱسْمَعُواْۗ﴾ الوعظ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾ الخارجين عن أمر الله.

قال ابن عباس رضي الله عنه: نسخت هذه الآية بقوله ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ﴾[1].

وعند الحسن غير المنسوخة. من رجالكم[2].

---

(١) رواه الطبري في التفسير ١١/ ٢٠٧ من طريق العوفي عنه، وهي طريق ضعيف (تفسير الطبري تفسير ابن جرير٣/ ٢١٥).
وفي رواية علي بن أبي طلحة عنه ما يشعر أنها محكمة، فقد روى ابن جرير من طريقه عنه أنه قال: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِۚ﴾ فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين، فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين. فإن ارتيب في شهادتهما، استحلفا بعد الصلاة بالله: لم نشتر بشهادتنا ثمنًا قليلاً (تفسير الطبري ١١/ ١٧٣).
وممن قال بالنسخ: إبراهيم النخعي، كما في تفسير الطبري.

(٢) اختلف العلماء في حكم هذه الآية، هل هو منسوخ أم محكم، والجمهور على أنه محكم غير منسوخ. وهو قول الأكثرين الذي استصوبه الثعلبي وغيره (انظر: الكشف والبيان ١١/ ٥٤٢، الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ١٦٠، البسيط ٧/ ٥٧٥).
قال ابن جرير (في التفسير ١١/ ٢٠٧): الصواب من القول في ذلك أن حكم الآية غير منسوخ، وذلك أن من حكم الله تعالى الذي عليه أهل الإسلام، من لدن بعث الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، أن من ادعي عليه دعوى مما يملكه بنو آدم، أن المدعى عليه لا يبرئه مما ادعي عليه إلا اليمين، إذا لم يكن للمدعي بينة تصحح دعواه، ثم ذكر تأويل الآية، ثم قال: فإذ كان تأويل ذلك كذلك، فلا وجه لدعوى مدع أن هذه الآية منسوخة، لأنه غير جائز أن يقضى على حكم من أحكام الله تعالى ذكره أنه منسوخ، إلا بخبر يقطع العذر: أما من عند الله، أو من عند رسوله صلى الله عليه وسلم، أو بورود النقل

﴿* يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ نصب، لأنه سيق على قوله: اتقوا [يوم] يجمع الله الرسل[١] أي: يحشرهم ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ أي: ما أجابكم قومكم فيما بلَّغتهم إليهم ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾ قيل: هول المسألة نسوا ما أجيبوا، قيل: إن ذلك حين زفرت جهنم زفرة شوقًا إلى أهلها، فتطير قلوب الرسل حتى نسوا الجواب، ثم يجيبون بعد ذلك في مقام آخر[٢].

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ أي: ما غاب عن علم العباد.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ أي: عليك بالنبوة وعلى والدتك بالاصطفاء ﴿إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ حين همُّوا بقتلك ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ﴾ وقد فسرناه في أول آل عمران ﴿وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ـة بالقلم ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ الفهم والعلم ﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ أي: تُقدِّر منه ﴿كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ الخفاش ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ أي: في هيئة الخفاش ﴿فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾ أحياءً ﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ على رسالتك، وهي: إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾.

﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾ ألهمتهم[٣] ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾ مخلصون بالعبادة.

المستفيض بذلك. فأما ولا خبر بذلك، ولا يدفع صحته عقل، فغير جائز أن يقضى عليه بأنه منسوخ.

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٧٠.

(٢) تفسير الطبري ١١/ ٢١٠، وقيل: المقصود: أنت أعلم به منا.

(٣) تفسير أبي الليث ١/ ٤٢٩، الكشف والبيان ١١/ ٥٤٧

﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ [أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ]﴾ هل تقدر أن تسأل ربك، ومن قرأ بالياء ورفع الباء: معناه هل يقدر ربك(١).

وإنما كان في ابتداء إيمانهم ولهذا نهاهم عيسىٰ عن ذلك فـ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أن تشكوا في قدرته.

وقيل: معنىٰ قوله «هل يستطيع» علىٰ وجه الإعظام، كمن يقول لرجل يعظمه: هل تستطيع أن تقوم معي في حاجة كذا، وإن كان يعلم أنه يستطيع، ولكن يقول ذلك تعظيمًا لدىٰ هذا(٢).

وقول عيسىٰ: «اتقوا الله» ليس بزجر، ولكن نهاهم عن الاقتراح علىٰ الله بما لم يسأله أحد، قيل: إن جماعة من قوم عيسىٰ غير الحواريين سألوا الحواريين أن تسألوا عيسىٰ أن يسأل ربه إنزال المائدة، وكان عيسىٰ يسلك بالناس القرىٰ والقِفار، فنزل بهم قفرة من غير ماء وطعام، وهم يومئذ خمسة آلاف رجل، فلما جاءوا في القفر قالوا ذلك للحواريين(٣).

وقيل: إنه علىٰ الظاهر، فقال عيسىٰ: اتقوا لله ولا تكلفوا نبيكم فيما لا ينبغي لكم التجربة للأنبياء ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾.

---

(١) قرأ الكسائي: (تستطيعُ ربَّكَ)، وقرأ الباقون: يستطيعُ ربُّك (النشر ٢/ ٢٥٦).

(٢) تفسير الطبري ١١/ ٢١٩، وفيه: عن عائشة قالت: كان الحواريون لا يشكّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسىٰ هل تَستطيع ربَّك؟.
ثم بين ابن جرير أنه من قبيل سؤال الحاجات لا من سؤال الآيات، وقال: إنما كانت مسألتهم إياه ذلك علىٰ نحو ما يسأل أحدهم نبيه، إذا كان فقيرا، أن يسأل له ربه أن يغنيه وإن عرضت له حاجة، أن يسأل له ربه أن يقضيها، فليس ذلك من مسألة الآية في شيء، بل ذلك سؤال ذي حاجة عرضت له إلىٰ ربه، فسأل نبيه مسألة ربه أن يقضيها له.

(٣) القصة في تفسير أبي الليث ١/ ٤٢٩.

اعتذروا: ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ وهذا كما سأل إبراهيم الخليل إحياء الميت.

﴿وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾ فيما ادَّعيت وما جئتنا به ﴿وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝١١٣﴾ إذا رجعنا إلىٰ بلادنا.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المائدة: مشتقة من الميد، وهو العطاء، يقال: ماد يميد إذا أعطىٰ، وهي فاعلة بمعنىٰ مفعوله، كما يقال عيشة راضية[١].

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا﴾ نحن حتىٰ نعظِّمه ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ ولمن يكون خلفنا ﴿وَءَايَةٗ مِّنكَۖ﴾ أي: حجة لمن آمن علىٰ من كفر ﴿وَٱرۡزُقۡنَا﴾ أعطنا ما سألتنا ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١٤﴾.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ﴾ يعني المائدة ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ﴾ نزول المائدة ﴿مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا﴾ في الدنيا ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١١٥﴾ قيل: سأل عيسىٰ بعض أصحابه، فجاء شمعون بخمسة أرغفة وسمكتين، فجعل عيسىٰ صلوات الله عليه يقطع ذلك قِطعًا صغارًا، ثم جعل القوم رفاقًا، كل رفقة عشرة، ثم قام ودعا الله، وجعل يلقي عند كل رفقة ما حمله أصابعه، ثم قال: كلوا بسم الله، فكان الطعام يزداد حتىٰ بلغ ركبهم، فأكلوا ما شاء الله، وفضل خمس وثلاثون مكتلاً، وكان القوم خمسة آلاف ونيف، فقالوا جميعًا: نشهد أنك عبده ورسوله، ثم في اليوم الثاني، كذلك فرجعوا إلىٰ قراهم ونشروا هذا الحديث، فضحكوا وقالوا: سحروا أعينكم، فمكثوا ثلاثة أيام ثم مسخوا خنازير[٢].

---

(١) تفسير الطبري ١١/ ٢٢٣.

(٢) تحويل مَنْ كفر إلىٰ خنازير مروي عن قتادة (تفسير الطبري ١١/ ٢٣٢).
وذكره الكلبي ومقاتل في سياق طويل (الكشف والبيان ١١/ ٥٦١).

وقيل: إن المائدة نزلت من السماء عليها جميع البقول إلا الخس[١] والكراث[٢].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: يقول ماضٍ بمعنىٰ المستقبل، وقيل: إنه كان حين رفع عيسىٰ إلىٰ السماء لأنه ذكر بكلمة إذ، وهي للماضي، ولكن الأصح أن كلمة إذ للتوقيت، وتستعمل في الماضي والعابر، كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[٣].

﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهذا سؤال توبيخ للنصارىٰ[٤].

﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ براءة لك من السوء ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما يجوز ﴿لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ من السر ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ أي: غيبك وما عندك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

---

(١) في الأصل: الا نحس.

(٢) وقع اختلاف بين أهل التأويل هل نزلت المائدة أم لم تنزل، فمن قال نزلت -وهم الجمهور- فإنهم قالوا: نزلت من السماء، ولا شك أن ذلك هو الأليق بظاهر الآية، وبعظم المعجزة، فإنها لو لم تكن نزلت لما كانت آية، ولما سميت سورة من القرآن العظيم باسمها، كما سميت سورة الإسراء لأن الإسراء آية عظيمة، وكذا سورة القمر.
انظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٢٦، الكشف والبيان ١١/ ٥٥٩.

(٣) قال ابن جريج انه وقت الرفع، وقال سائر المفسرين: إنه يوم القيامة.
واستدل له قتادة بأنه يقول بعده: «هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم».
واختار ابن جرير أنه وقت الرفع (تفسير الطبري ١١/ ٢٣٦)، وانظر: الكشف والبيان ١١/ ٥٦٦.

(٤) وقيل: تحذيرا له من هذه المقالة، وإخبارا له أن قومه قالوها بعد رفعه (تفسير الطبري١١/ ٢٣٧، الكشف والبيان ١١/ ٥٦٨).

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ من الدعوة إلىٰ وحدانيتك وهو قولي ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بالبلاغ ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ﴾ أي: بين أظهرهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ رفعتني من الأرض ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ الحفيظ علىٰ أفعالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ عالم.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ولا تعذبهم كمن تاب وآمن، تفضلاً منك ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ العزيز في تعذيب من لقيك كافرًا، الحكيم في غفران المؤمن.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ﴾ المبلغين رسالتهم.

قرأ نافع بنصب الميم «يومَ» نصب علىٰ الظرف، أي: هذا السؤال يكون يوم القيامة[(١)].

ومن رفع: فرفعه بهذا نفىٰ الوحشة عن عيسىٰ، آنسه بقوله: ينفع الصادقين صدقهم، أي: ينفع لعيسىٰ صدق مقالته أنه لم يأمرهم بعبادة نفسه[(٢)].

﴿لَهُمْ﴾ أي: للأنبياء والصادقين والمؤمنين ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ [أَبَدًا ۚ]﴾ مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بإيمانهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ بالثواب والكرامة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من الخلود والرضوان ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: المقدرة والمملكة علىٰ أهل السماوات والأرض ﴿وَمَا فِيهِنَّ ۚ﴾ من الملائكة والآدميين ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾.

---

(١) تفرد نافع بهذه القراءة (النشر ٢/ ٢٥٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٤١، الكشف والبيان ١١/ ٥٧١، وقراءة الرفع تعين أن ذلك كان يوم القيامة.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه كلها: بلغنا عن أبي بن كعب أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات»(١).

❁ ❁ ❁

(١) حديث موضوع، وراه الثعلبي في الكشف والبيان ١١/ ١١١، والمستغفري في فضائل القرآن (١١٧٢).

سورة الأنعام

مكية، غير ست آيات مدنيات ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ إلىٰ ثلاث آيات، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ إلىٰ ثلاث آيات[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس: حمد الله تعالىٰ نفسه ودلَّ بصنعه علىٰ الجاحدين من أهل مكة وغيرهم[٢].

يعني: المحمود والمشكور مِن خلق السماوات والأرض.

ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الوحدان؛ لأنَّ السماوات السبع منفرجة بعضها عن بعض، والأرضون السبع مطبقة.

وقيل: أجناس السماوات مختلفة، وجنس الأراضين واحد.

ثم ذكر الظلمات بلفظ الجمع والنور وحدانًا؛ لوقوع المقابلة بين الجمع والجمع، والواحد والواحد، وهو غاية البلاغة.

وقيل: الظلمات أراد به الليل، والنور أراد به النهار، وقيل: الظلمات الكفر وذلك أديان مختلفة، والنور الإسلام وهو دين واحد[٣].

---

(١) انظر: الكشف والبيان ١٢/ ٧، البيان في عد آي القرآن ١٥١، وذكر الداني الخلاف في ذلك.

(٢) نحوه في تفسير أبي الليث ١/ ٤٣٣، دون نسبة لابن عباس، مما يدل علىٰ أنه من رواية الكلبي، فإن أبا الليث يعتمد عليه. وانظر: البسيط ٨/ ٧.

(٣) انظر هذه الأقوال وغيرها في الكشف والبيان ١٢/ ٢١، البسيط ٨/ ٨، الكشاف ٢/ ٣، مفاتيح الغيب ١٢/ ٤٧٩، الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٨٦.

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١﴾ به الأصنام، أي: يشركون.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ﴾ أي: آدم من طين وأنتم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ﴾ من وقت ولادتهم إلىٰ موتهم ﴿وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ أي: مقدار أجل القيامة عنده ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿تَمۡتَرُونَ ۝٢﴾ فيه، أي: تشكون فيه.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: هو المعبود فيهما، يألَهُ إليه أهلهما ﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ ضمير قلوبكم وعلانيتكم ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣﴾ من خير أو شر[1].

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ مثل انشقاق القمر وغيره ﴿إِلَّا كَانُواْ﴾ يعني أهل مكة ﴿عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ۝٤﴾ مكذِّبين تاركين.

والإعراض عن الشيء: هو ترك النظر فيه[2].

﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ أي: بالقرآن وبمحمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٥﴾ أي: ينزل بهم عقوبة استهزائهم.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾ أي: القرون الماضية ولم يعتبروا به ﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أمهلناهم في الأولاد والعمر وأعطيناهم من ذلك.

﴿مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾ أي: لم نعطكم. التعديةُ تارةً تكون باللام، وتارة بغيرها، كقوله ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا﴾ وفي حذفها ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا﴾[3] وقوله ﴿تَنۢبُتُ

---

(١) وقال ابن جرير: الله الذي هو في السماوات وفي الأرض يعلم سِرَّكم وجَهْركم، فلا يخفىٰ عليه شيء (تفسير الطبري ١١/ ٢٦١).

(٢) وهو الانصراف بالوجه عن الشيء، ثم يبنىٰ عليه الانصراف بالفكر، (تفسير الطبري ٩/ ٢٦٨، البسيط ٨/ ١٧).

(٣) كذا، وبعدها: أوتو، ويظهر أنه تصحيف.

بِٱلدُّهۡنِ﴾[١].

﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي: المطر ﴿عَلَيۡهِم﴾ دائمًا ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ﴾ في بساتينهم وزروعهم ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾ لما كفروا النعم، وكذبوا الرسل ﴿وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾ أسكناهم في مساكنهم.

﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبًا فِي قِرۡطَاسٍ﴾ أي: صحيفة، فعاينوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ هلال أنزل عليه ذلك الملك الذي يزعم أنه يوحىٰ إليه معاينة حتىٰ يخبرنا أنه حق ﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا﴾ كما طلبوا ﴿لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ [ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨]﴾ أي: فُرغ من عذابهم، لأنَّ المَلَك لا يأتي إلا للعذاب، وأنهم لا يقدرون علىٰ رؤية الملَك علىٰ صورته.

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا﴾ أي: لو أنزلنا ملكًا كما طلبوا ﴿لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾ علىٰ صورة آدمي؛ لأنهم لا يقدرون النظر إلىٰ المَلَك، ألا تراهم كيف تطير قلوبهم لو رأوا جنيًّا أو شيطانًا ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩﴾ أي: لشكّكْناهم حينئذ عند رؤية الملك؛ كما يلبسون: لست بملك إنما أنت بشر مثلنا.

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ هذه الآية تعزية وتسلية لرسول الله[٢]، لكي يصبر علىٰ استهزائهم، يعني سخر الكفار من الأمم ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ

---

(١) مناسبة ذكر التعدية أن الآية ذكرت فعلا مرتين، مرة بتعدية وأخرىٰ بدونها: مكناهم، نمكن لكم. قال السمين (الدر المصون ٤/ ٥٣٧): والفرق بين قوله ﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وقوله ﴿مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾ أن مكنه في كذا أثبته فيها..، وأما مكن له فمعناه جعل له مكانا...، هذا قول الزمخشري. وأما الشيخ أبو حيان فإنه يظهر من كلامه التسوية بينهما...، وقال أبو عبيدة: مكناهم ومكناهم لهم: لغتان فصيحتان نحو: نصحته ونصحت له.

(٢) تفسير الطبري ١١/ ٢٧٢، الكشف والبيان ١٢/ ٣٨.

﴿مِنۡهُم﴾ أي: دار بهم، وقيل: نزل بهم جزاء استهزائهم.

والحيق في اللغة: رجوع مكروه فعل الماكر، كقوله ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾[1].

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ بالعبرة إلى قريات لوط وإلى الحجر ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ [ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١]﴾ المذنبين منهم، أمرهم بالاعتبار لا باليسير في الأرض.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ من الخلق والعجائب، فإن أجابوك وإلا ف﴿قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ لمن تاب من الشرك، وقيل: الرحمة هي الجنة يدركونها بفضل الله لا بأعمالهم.

﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ أي: يجمعكم في البرزخ بعد الموت حتى تقوم الساعة، ثم ابتدأ فقال ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ ومنازلهم في الجنة ورثها المؤمنون ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ بالبعث.

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ ذكر الساكن ولم يذكر المتحرك لأنَّ ما يعمهم السكون أكثر مما يعمهم الحركة، لأن كل متحرك قد يسكن، بعضها بالليل وبعضها بالنهار، وبعضها ساكن بثقله من غير عمد واختيار[2].

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾ سميع بمقالة الخلق عليهم بهم.

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ أي: ربًا. وهو جوابًا لقولهم: نحن نعطيك من المال فارجع عن مقالك والزم دين آبائك، فنزلت الآية[3].

---

(١) تفسير الطبري ١١/ ٢٧٢، البسيط ٨/ ٢٩.

(٢) قال السدي: السكون الاستقرار (تفسير الطبري ١١/ ٢٨٢).

(٣) ذكره أبو الليث في تفسيره ١/ ٤٣٧، والثعلبي في الكشف والبيان ١٢/ ٤٣ دون نسبة.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني: الله فاطر السموات ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ أي: يرزق العباد ولا يرزقه أحد ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ﴾ أي: أخلص بالتوحيد لله من أهل زماني ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤﴾.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾ أي: أعلم إن عصيت ربي وعبدت غيره ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾.

﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ﴾ عذابه ﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ﴾ وأدخله الجنة ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ النجاة والظفر الظاهر.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ أي: ببلاء وشدة ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: لا دافع ولا مانع ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ﴾ أي: رخاء وعافية وغنىً ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ من الضر والخير.

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ أي: الغالب علىٰ عباده، ومعنىٰ فوق: الاستعلاء عليهم بالقهر حتىٰ صاروا تحت تسخيره[١].

﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ حكم لنفسه العلية، ويعلم حالهم.

﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾ أعظم وأزكىٰ، وكانوا يسألوا رسول الله: من يشهد علىٰ أنك رسول الله؟ فنزلت الآية[٢].

أي: قل لهم ذلك، فإن أجابوك وإلا ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ أي: الله أكبر

---

(١) فوق عباده: أي علا عبادَه، من العلو، وهي تتضمن: فوقية العلو والقهر، كما قال أبو الليث (تفسير أبي الليث ١/ ٤٣٨).

قال السمعاني: وقوله: ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ هو صفة الاستعلاء الذي لله تعالىٰ الذي يعرفه أهل السنة (تفسير السمعاني ٢/ ٩٣).

(٢) وهو من رواية الكلبي، كما في (الكشف والبيان ١٢/ ٥١).

شهادة، وقوله أعدل ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي: ومن بلغه هذا القرآن فأنا منذره، حذف الهاء؛ كقوله ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ أي: بعثه[١].

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ يا أهل مكة، استفهام بمعنىٰ التحقيق، أي: إنكم تشهدون ﴿أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل﴾ يا محمد أنَّا لا نشهد ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ من الأصنام.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ محمدًا ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ الذين من[٢] أصلابهم، ثم ابتدأ فقال ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بذهاب الدنيا والآخرة، مثل كعب وذويه ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: كافر أظلم علىٰ نفسه ممن[٣] افترىٰ علىٰ الله كذبًا أن له شريكًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ محمد والقرآن ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ أي: لا يسعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يوم نصب علىٰ الحال، لأنه بين حالهم بجمعهم العابد والمعبود ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أنهم شركائي، وقيل: أين شفعاؤكم علىٰ زعمكم والمراد به الأصنام.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ أي: لم يكن جوابهم ومعذرتهم، وسُمِّيَتْ فتنة لأنها موجب الفتنة في الدنيا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ يجحدون شركهم.

---

(١) قال الفراء: والعرب تضمر الهاء في الذي ومن وما، وتظهرها، وكل ذلك صواب (معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٧، الكشف والبيان ١٢/ ٥١، البسيط ٨/ ٤٨).

(٢) في الأصل: في، وهو تصحيف. (انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٤٠، الكشف والبيان ١٢/ ٥٤).

(٣) في الأصل: فمن.

قال الله تعالىٰ ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ﴾ أي: تكذيبهم أنفسهم ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ أي: ضل افتراؤهم، وبطلت دعاويهم؛ حيث نطقت الجوارح بما كتمت الألسن.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ﴾ يعني قراءتك، وهو النضر بن الحارث من كفار مكة[١].

﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ عقوبة لاختيارهم الكفر لا يفقهوه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ صممًا وثقلاً؛ كيلا يسمعوا الحق ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ﴾ طلبوا منك ﴿لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ﴾ أنها من الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ أي: يخاصمونك.

و«حتىٰ» إذا قرن بـ«إذا» يراد به الابتداء، كقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾ أحاديثهم وكذبهم، وقيل: أعاجيبهم مثل حديث رستم وإسفنديار[٢].

﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ يمنعون الناس عن متابعته، يعني أبا جهل وذويه ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ أي: يبعدون عنه[٣].

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٤٤١، الكشف والبيان ١٢/ ٥٥، وهو من رواية الكلبي.

(٢) البسيط ٨/ ٦٥.

وهذان ملكان من ملوك الفرس، كانت لهما أحوال، ولعل تخصيصهما بالذكر لكثرة ما نسج حولهما من أباطيل وترهات، انظر سيرتهما في تاريخ الطبري ١/ ٥٠٤، ٥٦٢.

(٣) تفسير الطبري ١١/ ٣١١، البسيط ٨/ ٦٦.ورجحه الزجاج في معاني القرآن ٢/ ٢٣٨ لأن الكلام متصل بذكر أهل الكتاب والمشركين، ورجحه ابن جرير لأنه القول علىٰ عموم الكافرين، لا علىٰ الخصوص.

وقيل: أراد به أبا طالب، يمنع الناس عن أذاه ولا يؤمن به[١].

﴿وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٢٦﴾ أن وبال ذلك راجع عيهم.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: أدخلوا النار، رأيت أسوء حال ترى وحسرة ما لها نهاية ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ إلىٰ الدنيا فنصدق بما كذبنا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢٧﴾.

﴿بَلۡ بَدَا لَهُم﴾ أي: ظهر لهم بشهادة الجوارح ﴿مَّا كَانُواْ [يُخۡفُونَ]﴾ يسرونها ﴿مِن قَبۡلُۖ﴾ وقيل: ظهر لأتباع الغواة ما كان الغواة يخفون عنهم من أمر البعث[٢].

﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ أي: إلىٰ ما نهوا من الشرك ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ في مقالتهم: لا نكذب بآياتنا.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ هذا ذكر إنكارهم القيامة ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ۝٢٩﴾ بعد الموت.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ للمحاسبة، منكّسةً رؤوسهم من الخزي ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ يعني القيامة والعذاب ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ إنه لحق كما قالت الرسل ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝٣٠﴾ في الدنيا.

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: شقي الذين كذبوا بالبعث ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾ فجأة.

وسميت القيامة ساعة لأنها تقوم في ساعة[٣]، والبغتة وقوع شيء غير

---

(١) تفسير الطبري ١١/ ٣١٣، الكشف والبيان ١٢/ ٥٦، البسيط ٨/ ٦٦.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٤٤٢، الكشف والبيان ١٢/ ٦١، البسيط ٨/ ٧٩، الكشاف ٢/ ١٦، زاد المسير ٢/ ٢٠.

(٣) وقيل: يوم القيامة الساعة؛ لسرعة الحساب للجزاء فيها، كأنه قيل: ما هي إلا ساعة الحساب للجزاء حتىٰ جعل أهل المنزلين في منازلهم من الجنة والنار (البسيط ٨/ ٨٣).

موهوم[١].

﴿قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا﴾ والحسرة: ما يركب القلب من الندم حتىٰ يبقىٰ حسيرًا.

وهذا نداء للحسرة، وهي لا تعقل النداء والإجابة، ولكن معناه: أيها الحسرة قد آن لك، وقيل: انتبهوا لحسرتنا[٢].

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ أي: في الدنيا تركنا الإيمان، والتفريط التقصير ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ لأنَّ كل من عمل عملاً صالحًا يصورها صورة حسنة تأتيه علىٰ رأس قبره، فما ينظر المؤمن إلىٰ شيء يهوله إلا هوَّنته هذه الصورة عليه، ثم يركبه المؤمن إلىٰ الموقف، ومن عمل سيئًا يأتيه العمل علىٰ أقبح صورة يفزع به الكافر[٣]، وما يرىٰ شيئًا هائلاً إلا أفزعته منه هذه الصورة، ثم ركبت هذه الصورة عاملها وبيده مقمع يضربه به إلىٰ الموقف، وهو معنىٰ قوله ﴿يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾[٤].

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾ بئس ما يحملون.

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ وزينتها ﴿إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ أي: عبث وباطل ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾ أضيفت الدار إلىٰ الآخرة إضافة الشيء إلىٰ نفسه، كقوله ﴿وَحَبَّ

---

(١) أي غير متوقع. (تفسير الطبري ١١/ ٣٢٥، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٤١، الكشف والبيان ١٢/ ٦٢، البسيط ٨/ ٧٨).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٤١، البسيط ٥/ ٨٤، زاد المسير ٢/ ٢١.
وبمثل هذا يستبين الفرق بين أهل التفسير وأهل اللغة، فالمفسرون يذكرون المراد، فيقولون: يا حسرتنا يا ندامتنا، وأهل المعاني يذكرون التفصيل الذي ذكره المصنف.

(٣) في الأصل: المؤمن، وهو سبق قلم.

(٤) نحوه عن السدي وعمرو بن قيس كما في تفسير الطبري ١١/ ٣٢٧، وانظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٤٣، الكشف والبيان ١٢/ ٦٤، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥١.

ﵟٱلۡحَصِيدِ ٩ﵞ وﵟدِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ﵞ[١].

ﵟلِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚﵞ الشرك والفواحش ﵟأَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٨ﵞ أن الآخرة خير.

ﵟقَدۡ نَعۡلَمُﵞ يا محمد ﵟ[إِنَّهُۥ] لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖﵞ من التكذيب، حزنني الأمر وأحزنني بمعنىً ﵟفَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَﵞ في السر، لأنهم يعلمون صدقك ﵟوَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِﵞ أي: بمحمد والقرآن ﵟيَجۡحَدُونَ ٣٣ﵞ في الظاهر.

والجحود يكون بعد المعرفة.

ومن قرأ: «يُكْذِبُونك»[٢]؛ أي: لا يجدونك كاذبًا، يقال: أكذبت فلانًا إذا وجدته كاذبًا؛ كما يقال أبخلته وجدته بخيلاً[٣].

ﵟوَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَﵞ كما كُذِّبت ﵟفَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْﵞ في الله ﵟحَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚﵞ إياهم ﵟوَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚﵞ حين وعد لهم النصرة والظفر ﵟوَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤ﵞ في القرآن كيف أنجيناهم وأهلكنا قومهم، فاصبر أنت كصبرهم حتىٰ يكون لك النصرة والظفر.

ﵟوَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡﵞ أي: [عظم][٤] ﵟفَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَﵞ أي: قدرت ﵟأَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِﵞ أي: طريقًا نافذًا سربًا كنفق اليربوع فتدخل فيه ﵟأَوۡ سُلَّمٗاﵞ أي: تطلب سببًا إلىٰ صعود السماء ﵟفَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚﵞ من عند الله،

---

(١) الكشف والبيان ١٢/ ٦٥

(٢) وهي قراءة نافع والكسائي، وقرأ الباقون بالتشديد (النشر ٢/ ٢٥٨).

(٣) الكشف والبيان ١٢/ ٦٧.

(٤) ما بين الحاصرتين في الأصل كلام غير مستقيم صورته: تلك بيهم كك. ما أثبته معنىٰ: كبر باتفاق المفسرين.

وجواب الكلام محذوف، لأن فيه ما يدل عليه حذف جوابه، وجوابه: فافعل ذلك[1].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ لأكرمهم بالإسلام، ولكن لم يشأ، وقيل: طبعهم، وعند أكثر أهل التفسير عرَّفهم حتىٰ آمنوا[2].

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ بأنهم لا يخالفون مقدوري عليهم بجهدك.

قيل: رسول الله كان معصومًا عن الجهل، ولكن ذكر هذا ليُعلم أن العصمة لا ترفع الأمر والنهي.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: يجيبك إلىٰ الهدي والتوحيد من يسمع كلامك سمع فهمٍ وهو حي، والكافر ميت القلب.

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في القيامة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ عند المحاسبة.

ثم حكىٰ عن الحارث بن عامر ورؤساء قريش[3] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يد كيد موسىٰ، أو عصا كعصاه، أو حجر كحجره؛ ليعرف نبوته ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ إن شاء، ولكن ينزل بهم العذاب علىٰ من جحد ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تدب وتتحرك ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ذكرهما

---

(١) تفسير الطبري ١١/ ٣٣٧، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٤٤، تفسير أبي الليث ١/ ٤٤٥.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٤٤٥، قال السمعاني (في التفسير ٢/ ١٠٠): والصحيح: أن المراد به: ولو شاء الله لطبعهم وخلقهم علىٰ الإيمان؛ فهذا أقرب إلىٰ قول أهل السنة؛ لأن إيمان الضرورة لا ينفع، وإنما ينفع الإيمان بالغيب اختيارا.

(٣) انظر: الكشف والبيان ١٢/ ٧١.

للتأكيد، والطيران لا يكون إلا بالجناحين، ولكن الطيران يعبر عن السرعة، فيقال: طِرْ في حاجتي؛ أي: أسرع، فذكر الجناحين لإزالة الإيهام والله أعلم[١].

﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ أي: مخلوقون مثلكم يحتاجون إلىٰ الطعام والشراب وفي الموت والبعث وطلب الغذاء والنسل والتوقي من المهالك، وقيل: يحتمل أمثالكم في معرفة الله[٢].

﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ أي: ما تركنا من شيء تقع لك الحاجة إليه إلا قد بيناه في القرآن[٣] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ أي: الطيور والدواب، حتىٰ يقتص بعضها من بعض ثم قيل لها كوني ترابًا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ أي: هم في الضلالات، صم وبكم في منافع الدين أصحاء في منافع الدنيا ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ﴾ يُمِتْهُ علىٰ الكفر ﴿وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ يثبته ويوفقه لذلك.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ يعني أرأيتم أنفسكم ﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ ومعناه قل لهم ما تقولون وما ترون أن آتاكم عذاب الله مثل يوم بدر وأُحُد والأحزاب ﴿أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ بغتة وفجأة ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿تَدۡعُونَ﴾ عند نزول العذاب ليكشف عنكم البلاء ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠﴾ أن لله شريكًا.

﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾ بل كلمة استدراك وإيجاب بعد نفي، كما تدعونه في

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٣٤٩، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٤٥، الكشف والبيان ١٢/ ٧١، البسيط ٨/ ١١١.

(٢) وقيل يفقه بعضهم بعضًا (الكشف والبيان ١٢/ ٧١، البسيط ٨/ ١١٤).

(٣) هذا القول شاذ في التفسير –وإن قال به بعض أهل العلم– والمعروف عندهم المروي عن ابن عباس وغيره، ان المقصود اللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب (تفسير الطبري ١١/ ٣٤٦، تفسير أبي الليث ١/ ٤٤٦، الكشف والبيان ١٢/ ٧٣).

لجج البحار إذا هاجت ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني الضر الذي تدعونه لأجله ﴿إِن شَآءَ﴾ كشفه ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي: الأصنام، فلا يخطر ذكرها علىٰ قلوبكم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ أي: الشدة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ الأمراض والأوجاع؛ كما أخذنا أهل مكة بالجوع سبع سنين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يُخلصون لله بالتوحيد، ويجأرون، لأن الشدة ذريعة إلىٰ التضرع.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ هلاَّ إذا جاءهم عذابنا: الخوف والجوع، يعني به أهل مكة ﴿تَضَرَّعُوا۟﴾ تابوا وأخلصوا ليرفع ذلك عنهم ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يبست واشتدت ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ في كفرهم.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: تركوا ما وعظوا به ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاجون إليه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ أي: أُعطوا من الخصب والنعيم ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ فجأة بالعذاب ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ متحسرون غاية الحسرة، آيسون من كل خير.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: استؤصلوا حتىٰ قطع نسلهم، فلم يبق منهم باقية ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ علىٰ هلاك أعدائه، ونجاة أوليائه.

قيل: أراد قطع أصول مكة يوم بدر[1].

---

(١) لم أجد هذا القول عند أحد، وهو غريب، لأن بدر بعد الهجرة، وهذه السورة مكية.
وقال الزمخشري (في الكشاف ٢/ ٢٤): فيه إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم أهـ. فقال ابن المنير في حاشيته: ونظيرها قوله تعالىٰ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النمل:٥٩] فيمن وقف هاهنا وجعل الحمد علىٰ إهلاك المتقدم

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أي: ما تقولون ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ كيلا تسمعوا شيئًا ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ كيلا تعقلوا شيئًا ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ أي: يرد إليكم ما أخذ الله منكم، فإذا كانت أصنامكم لا يقدرون على ردها عليكم كيف تعبدونها ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الأمثال والحجج ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: يعرضون.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ فجأةً بالليل أو علانية بالنهار ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: ما يهلك إلا أنتم.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ الإرسال الإطلاق، وسمي الرسول رسولاً لإطلاق لسانه فيما يحمل من الرسالة ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ وحقيقة المس التقاء الشيئين من غير فصل، ومسُّ العذاب: دخول الألم بهم ولا يفارقهم حتى أهلكهم.

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ مفاتيح الرزق والأمطار، والخزن: وضع الشيء بحيث لا تناله الأيدي(١).

﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ متى ينزل العذاب ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ نزلتُ من السماء ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ لا أعمل ولا أقول إلا بوحي ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعني الكافر والمؤمن ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أنهما لا يستويان

ذكرهم من الطاغين. ومنهم من وقف على المنذرين؛ وجعل الحمد متصلاً بما بعده من إقامة البراهين على وحدانية الله تعالى، وأنه جل جلاله خير مما يشركون، فعلى الأول يكون الحمد حتما، وعلى الثاني فاتحة، وهو مستعمل فيهما شرعا، ولكنه في آية النمل أظهر في كونه مفتتحًا لما بعده، وفي آية الأنعام ختم لما تقدمه ختمًا، إذ لا يقتضي السياق غير ذلك.

(١) انظر: البسيط ٨/ ١٥٢، وفي الأصل: الأخزان، وهو تصحيف.

وقيل: أفلا تتفكرون في صنعي وعجائبي.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي: خوِّفهم بالقرآن، الذين يخافون أي: يعلمون[١] ﴿أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ عند البعث ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: سوىٰ الله ﴿وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ والشفيع: السائل في صاحبه ليبلغ منزلة أو يُعفىٰ عنه في خطيئة.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ المعاصي.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم [بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ]﴾ قيل: إنَّ أُمية بن خلف مع جماعة من الكفار حملوا رسول الله علىٰ طرد المؤمنين الضعفاء من عنده؛ مثل: عمار وبلال وصهيب وابن مسعود؛ ليرغب صناديدهم في الإسلام، فنزلت الآية[٢].

أي: لا تبعد الذين يدعون الله في الصلاة الخمس في النهار ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ يطلبون رضاه ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم﴾ أي: مجازاة أعمالهم ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ وقيل: ما عليك من حساب رزقهم [من] شيء، وإن ابتلوا بالفقر، وقيل: ما عليك مؤنة رزقهم[٣] ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ﴾ أي: رزقك علىٰ هذا التفسير ﴿عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ يحتمل جواب النهي، ويحتمل جواب النفي، فقوله ﴿وَمَا

---

(١) قال ابن جرير: وضعت المخافة موضع العلم (التفسير ١١/ ٣٧٣).

(٢) رواه ابن جرير من طرق عدة عن ابن مسعود وابن عباس وخباب وغيرهم (في التفسير ١١/ ٣٧٥).

وفي صحيح مسلم (٢٤١٣)، عن سعد، قال: «كنا مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾».

(٣) زاد المسير ٢/ ٣٤.

﴿مِنۡ حِسَابِكَ﴾ فتكون نصبًا من الحالين ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢﴾ الضارين لنفسك.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ أي: ابتلينا العربي بالموالي، والشريف بالوضيع، كما ابتلينا أهل مكة بهؤلاء من الموالي ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ يعني: الأشراف يقولوا ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني الفقراء والضعفاء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ﴾ بالمعرفة والإسلام ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ الموحدين، وقيل: الفقراء أشكر لنعم الله من الأغنياء.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ يعني أبا بكر وعمر، جاءا إلىٰ رسول الله متعذرين فيما صدقا الكفار، وبلغا رسالتهم إلىٰ رسول الله[1] ﴿فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ أي: أمنكم الله وسلَّمكم من سخطه وعذابه.

والسلام: مصدر من قوله سلمت سلامًا.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ أي: هو جاهل بعاقبة أمره، يُغفر له أو لا يغفر؟ قيل: كل من يعمل السوء لغلبة شهوة، أو لاعتماد علىٰ كرم الله بالعفو، أو يعمل علىٰ نية التوبة، فهذه فعل سوء بجهالة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾ العمل بالاستقامة علىٰ التوبة ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ﴾ لما سلف من الذنوب ﴿رَّحِيمٞ ۝٥٤﴾ رخص بالتوبة.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم كلما رأىٰ أبا بكر وعمر بعد هذه الآية بدأهما بالسلام[2].

---

(١) هذا قول الكلبي: أن عمر أشار علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم بتأخير الفقراء سنة (تفسير أبي الليث ١/ ٤٥١، الكشف والبيان ١٢/ ٩٠، زاد المسير ٢/ ٣٤).
وعن عكرمة وابن زيد نحوه، رواه ابن جرير في تفسيره ١١/ ٣٩١.

(٢) لم أجده هكذا، لكن من تتمة خبر الكلبي عن عمر نحوه (تفسير أبي الليث ١/ ٤٥١).

وقيل: أمر بالسلام على بلال وصهيب وهؤلاء الفقراء، فكان يسلِّم عليهم ويقول: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر معهم وأبدأهم بالسلام»[١].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيِّن الآيات والدلالات ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ أي: لتعرف أنت يا محمد ولتظهر الطريق.

والسبيل: يذكَّر ويؤنَّث، كقوله ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾، يعني به: سبيل المؤمنين والمجرمين، فاختصر بأحدهما، لأن الآيتين إذا ميز أحدهما تبيَّنَ الآخر ضرورة، وكقوله ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ وحذف البرد[٢].

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: سوى الله، وذلك حين دعوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى لزوم دين عبد المطلب، فقال لهم: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إن اتبعت أهواءكم، وضللت بفتح اللام أفصح[٣] ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ أي: النبيين.

﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ أي: بيان وبصيرة من أمر ربي ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أي: جحدتم بالقرآن، وقيل: بربكم ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من العذاب والآفات ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: ما الحكم وما القضاء بنزول العذاب ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾[٤] أي: يحكم بالعدل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ القاضين.

---

(١) رواه أبو داود في السنن (٣٦٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري مطولا، وإسناده ضعيف.

(٢) من معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٥٥.

(٣) كما في تفسير الطبري ١١/ ٣٩٧.

(٤) في الأصل: «يقضي الحق» وعلى هذه القراءة جاء تفسير المصنف، فإن يقضي بمعنى: يحكم، وهذه قراءة وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف.
وقرأ: أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم: يقص الحق، أي يقول ويحكيه (النشر ٢/ ٢٥٨).

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذاب، أي: بيدي ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: فُرغ من عذابكم، لأني آيست من إيمانكم، فالله أرحم بكم مني ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾ أي: بعقوبة الكافرين.

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ روي في الحديث أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مفاتح الغيب خمسة» ثم[١] قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٢].

فالمفاتح: جمع مِفتح[٣]، والمفاتيح: جمع مفتاح.

والغيب: هو علم شيء لا دليل عليه يستدل به، ولا أعلمك به أحد، يعني خزائن الغيب عنده ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ من الخلق والعجائب؛ من اختلاط قطرات الماء بعضها ببعض، ويعلم لو انفصل بعضها عن بعض كم تصير من الأقطار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ويعلم سبب سقوطها ودورانها في الهواء ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في بطنها من أنواع الحبوب الساقطة في الأرض إلا يعلمها، ويعلم عددها...[٤].

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ قيل: الرطب الخُضَر واليابس الحجر والمدر، وقيل: الأحياء والأموات، وقيل: الأجساد النامية

وانظر: تفسير الطبري ١١/ ٤٠٠، والكشف والبيان ١٢/ ٩٥، والبسيط ٨/ ١٨٥.

(١) في الأصل: لمن، وهذا تصحيف تكرر نحوه.

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٤٦٩٧): عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متىٰ يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متىٰ تقوم الساعة إلا الله».

(٣) بالفتح والكسر في أوله (تفسير الطبري ١١/ ٤٠١، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٣، البسيط ٨/ ١٨٨).

(٤) هاهنا كلمة مصحفة لم أهتد لصوابها، صورتها: وفدنها.

والخامدة ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ أي: علم ذلك في اللوح المحفوظ، مكتوب لأجلكم لا لأجلي.

والفائدة في الكتابة: لا لخوف النسيان، بل -ما أخبر الله تعالىٰ في آية أخرىٰ- تسلية لعباده ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ [إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ]۝٢٢﴾ ثم قال ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ إذا علمتم أنه كتب لغيركم ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ إذا علمتم أنه كُتب لكم في الأزل[1].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ يقبض أرواحكم التي بها تميزون.

والتَّوفِّي: هو قبض الشيء بتمامه[2]، وقيل: إن الروح روحان، مميز وغير مميز، فبالنوم يذهب الروح المميز ويبقىٰ غير المميز، وبالموت يذهبان جميعًا[3].

﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ فيه تقديم وتأخير، أي: يبعثكم بالنهار علىٰ علم ما تجترحون فيه، أي: تكسبون ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ﴾ أي: أجل الموت في

---

(١) ما ذكره المصنف حسن جدا، لأنه مستنبط من القرآن نفسه، وانظر لمبحث الحكمة في الكتابة في: تفسير الطبري ١١/ ٤٠٣، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ٣/ ٢٠٤٤، البسيط ٨/ ١٩٣، زاد المسير ٢/ ٣٨، لباب التأويل للخازن ٢/ ١١٩.
ولابن الأنباري ثلاثة أجوبة، ذكرها الواحدي -نصًا- ولخصها ابن الجوزي: أحدها: أنه أحصاها في كتاب، لتقف الملائكة علىٰ نفاذ علمه. والثاني: أنه نبه بذلك عباده علىٰ تعظيم الحساب، وأعلمهم أنه لا يفوته ما يصنعون، لأن من يثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب، فهو إلىٰ إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع. والثالث: أن المراد بالكتاب: العلم فالمعنىٰ: أنها مثبتة في علمه.

(٢) وعبارة بعضهم: استيفاء العدد (تفسير الطبري ١١/ ٤٠٥).

(٣) تفسير أبي الليث ١/ ٤٥٤، تفسير السمعاني ٢/ ١١١.

انقضاء أعماركم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ في الدنيا.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ على مستصعب الأمور، وقيل: فوق زيادة والمعنى هو القاهر والغالب لعباده بجبروته.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ من الملائكة يحفظون أعمالكم، ملكان بالليل وملكان بالنهار ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: حضره الموت ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ قبض روحه مَلَكُ الموت وأعوانه ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي: لا يعصون[١] فيما أمروا ولا يغفلون.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ أي: ردوا من الدنيا إلى الله الحق ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ في عباده ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ قيل: الحساب يقع في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا[٢]، والمدة الطويلة في القصاص وعقد الألوية والجواز على الصراط.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ استفهام بمعنى التقرير، أي: الله ينجيكم ﴿مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ وأهوالهما ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ علانية وسرًا ﴿لَّئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ﴾ أي: خلَّصتنا وأنقذتنا من هذه الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ المعترفين بالنعمة وهو التوحيد.

---

(١) في الأصل: يعصرون، وهو تصحيف.

(٢) لم أقف على هذا القول، والمشهور أنه نصف يوم من أيام الآخرة، لكن لعل المصنف يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يوما كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» رواه أحمد (١١٧١٧) وهو حديث ضعيف.

﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ أي: غم وشدة ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ به الأصنام بعد النجاة.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الرجم والطوفان ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يخلط أمركم ويجعلكم فرقًا، ذات أهواء مختلفة، يعني خلط اضطراب لا خلط اتفاق ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتل والهرب ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ وعده ووعيده، قيل في الخبر: أن رسول الله دعا الله أن يحفظ أمته عن هذه الأربع، فأخبره جبريل أنه استجيب في اثنين: عذابًا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، فأجارهم عن هذين، ولم يجرهم عن اثنين: أن يلبسهم شيعًا، ويذيق بعضهم بأس بعض[1].

انظر يا محمد كيف نصرِّف الآيات تنبيهًا لقوم يفقهون وعده ووعيده.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ أي: بالقرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ بمسلِّط أجبركم علىٰ الإيمان، وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ﴾ أي: لكل خبر حقيقة يأتي في وقته وله أجل ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ إذا نزل العذاب بكم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ الخوض: هو الدخول في الشيء علىٰ تلوُّثٍ، وأصله الخوض في الماء لا يخلوا من اللوث. يعني: يستهزؤون بك وبالقرآن ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ اترك مجالستهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ﴾ أي: في

---

(١) في صحيح البخاري (٤٦٢٨): عن جابر رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «هاتان أهون أو أيسر».

غير القرآن ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يوقعك في النسيان بعد النهي فجالستهم ناسيًا ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ المشركين إذا ذكرتَ.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ أي: حساب[١] الخائضين ﴿مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ أي: عليهم أن يُذكروهم ذكرىٰ بالقرآن[٢] ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ الاستهزاء.

قال السدي: نُسِخَتْ الآية بقوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ إلىٰ الآخر، وقال غيره لم تُنْسَخ[٣].

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ أمرٌ بمعنىٰ التهديد، وقيل: منسوخ بآية السيف[٤].

قيل: أراد به يوم العيد، دينهم: أي عيدهم فرحًا ولعبًا، فكل أهل دين يفعلون ذلك إلا أمة محمد، اتخذوا عيدهم للصلاة[٥].

وقيل: أراد به سائر أمر الدين يستخفون بها[٦].

﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ أي: عِظ بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ﴾ أي: من قبل أن تُحبس وتُرْهَن النفس في النار ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذاب الله ﴿وَلِىٌّ﴾ قريب يمنع العذاب عنها ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لها ﴿وَإِن

---

(١) في الأصل: حسنات، وهو تصحيف.

(٢) الكشف والبيان ١٢/ ١١٠.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١١/ ٤٤٠.

(٤) وهو قول عدد من أهل التفسير (تفسير الطبري ١١/ ٤٤٢).

(٥) وهو قول الكلبي كما في تفسير أبي الليث ١/ ٤٥٨، البسيط ٨/ ٢١٤، وهذا قول شاذ.

(٦) وهو قول ابن عباس وسائر أهل التفسير، كما في البسيط ٨/ ٢١٤.

تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ [لَّا يُؤۡخَذۡ]﴾ إن تفدِ النفس بجميع ما في الدنيا لا يقبل ﴿مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ أسلموا إلىٰ النار بشركهم ﴿لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ ماء حار قد انتهىٰ حره، يغلي في البطون ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾[١].

﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ وكان كفار مكة أجبروا نفرًا من المسلمين علىٰ الكفر فنزلت الآية.

أي: لا تنفعنا عبادته ولا يضرنا ترك عبادته ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا﴾ أي: نرجع إلىٰ الكفر كمن يمشي وراء ظهره لا يرىٰ ما خلفه ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ أي: أكرمنا بمعرفته ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: دعته الغيلان فنادته باسمه واسم أبيه حتىٰ يتعسف المنهاج ﴿حَيۡرَانَ﴾ منصوب علىٰ الحال ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ﴾ أي: للمؤمن أصحاب وهم المؤمنون والملائكة؛ يدعونه إلىٰ الهدىٰ، وللكافر أصحاب وهم الشياطين؛ يدعونه إلىٰ الردىٰ ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾ وهو الإسلام لا ما ظننتموه هدىٰ ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ والتسليم: هو ترك التدبير والرضىٰ بجاري القضاء.

وقوله «لنسلم» معناه: أن نسلم، ولام كي وحرف أن يتعاقبان، كقوله ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾[٢].

﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ﴾ أي: أُمِرْنا لنسلم وبإقام الصلاة والتقوىٰ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢﴾ بعد الموت.

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٤٥٨.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٦٢، البسيط ٨/ ٢٢٦.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: للاستدلال على الحق ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ أي: خلق يوم يقول للبعث مرة واحدة ﴿كُن﴾ مرة واحدة ﴿فَيَكُونُ﴾من غير أن يثني القول مرتين ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ما يقول لكم في أمر الآخرة حق ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ له المقدرة والقضاء...[1]، وإنما خص به يوم القيامة مع أن له الملك في سائر الأوقات لأن أحدًا لا يدعي المُلك فيه، [كـ]قوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ وهو قرن ينفخ فيه نفختان، نفخة للفناء ونفخة للإنشاء، وذلك علامة الابتداء والانتهاء.

وقيل: الصور جمع الصورة، يعني ينفخ فيها الأرواح[2].

---

(١) هاهنا في الأصل كلمتان يظهر أنهما مقحمتان مصحفتان، صورتهما: والمغفر والعد. وقد صدر المصنف عن معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٦٤، وليس فيه هذا.

(٢) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ١٩٦، وقد أنكر عليه ذلك، إلا الزجاج فإنه جوزه (معاني القرآن ٢/ ٢٦٤).

قال أبو الهيثم: اعترض قوم فأنكروا أن يكون الصور قرنًا، كما أنكروا العرش والميزان والصراط، وادعوا أن الصور جمع الصورة كما أن الصوف جمع الصوفة والثوم جمع الثومة، ورووا ذلك عن أبي عبيدة، قال أبو الهيثم: وهذا خطأ فاحش وتحريف لكلم الله عن مواضعه؛ لأن الله قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [سورة غافر:٦٤] وقال: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [سورة الكهف:٩٩] فمن قرأها: «وَنُفِخَ فِي الصُّوَرِ» وقرأ: «فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ» فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله، وكان أبو عبيدة صاحب أخبارٍ وغريب ولم يكن له معرفة بالنحو.

قال الفراء: كل جمع على لفظ الواحد المذكر سبق جمعه واحدته فواحده بزيادة هاء فيه، وذلك مثل الصوف والوبر والشعر والقطن والعشب، فكل واحد من هذه الأسماء اسم لجميع جنسه، فإذا أفردت واحدته زيدت فيها هاء؛ لأن جمع هذا الباب سبق واحدته، ولو أن الصوفة كانت سابقة للصوف لقالوا: صوفَةٌ وصُوَف وبُسْره وبُسَر، كما قالوا: غُرْفة وغُرَف

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٧٣﴾ بأعمال خلقه.

﴿۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ قيل: إن آزر اسم أبيه[1] بالعربية، وبالعبرانية تارخ، وآزر لا ينصرف، وقيل: إن آزر بلغتهم مذمة، كأنه قال يا مخطئ[2].

﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ أي: تعبد الأصنام من دون الله ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٧٤﴾ وقيل: اسم تارخ، ولقبه آزر، وقيل: آزر اسم صنم، ومعناه: أتتخذ آزر إلهًا وأصنامًا آلهة[3].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ معناه: كما ألهمنا إبراهيم خطأ أبيه فأريناه ملكوت السماوات والأرض.

والملكوت: الملك زيدت الواو والتاء، وهو ما رأىٰ من الشمس والقمر والسماء والأرض. ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ أي: يستدل به فتزول عنه الشكوك[4].

وزُلْفَة وزُلَف. وأما الصور: القرن فهو واحد لا يجوز أن يقال: واحدتها صورَة، وإنما تَجمع صورة الإنسان صورًا لأن واحدته لسبقت جمعه.

قال الأزهري: قد احتج أبو الهيثم فأحسن الاحتجاج، ولا يجوز عندي غير ما ذهب إليه، وهو قول أهل السنة والجماعة، والدليل علىٰ صحة ما قال؛ أن الله تعالىٰ إذا بعث الأموات ينشئهم كيف شاء، ومن ادعىٰ أنه يصورهم ثم ينفخ فيهم فعليه البيان.

(انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٤٠، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٦٤، تهذيب اللغة للأزهري ٢/ ١٩٦٠، وعنه الواحدي في البسيط ٨/ ٢٣٢).

وانظر: رد ابن جرير علىٰ قول أبي عبيدة في التفسير (١١/ ٤٦٣).

(١) في الأصل: الله، واستغفر الله عن هذا التصحيف.

(٢) وقيل: معوج، انظر: تفسير الطبري ١١/ ٤٦٧، تفسير أبي الليث ١/ ٤٦٠، الكشف والبيان ١٢/ ١١٩.

(٣) وهو قول مجاهد والسدي، وهو شاذ (تفسير الطبري ١١/ ٤٦٧).

(٤) تفسير الطبري ١١/ ٤٧٠، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٦٥، الكشف والبيان ١٢/ ١٢٠.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ أي: أظلم وغطاه بسواده وهو في السرب ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ أشرف على الباب فنظر فرأى الزهرة ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ قيل: ذاك على وجه الاستفهام، فلم يزل يقول هذا ربي حتى توارى عنه [﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾] فألهمه الله أنه ليس برب فـ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ۝٧٦﴾ أي لا أعبد ربًّا يغيب ولا يدوم.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعًا في آخر الليل ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾ حتى أعرفه ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ مما رأيت ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨﴾ من هذه الكواكب والأصنام، قال ذلك بأعلى صوته حين عرف ربه بالدلائل.

قيل: إنه لم يبطل إبراهيم ربوبية الكواكب لانتقالها وغيبوبتها؛ إذ لو كان كذلك لأثبت الربوبية للجبال لعدم هذين الوصفين، ولكن أبطل ربوبية الكواكب لأنها متى غابت انمحت آثارها، والله تعالى غائب عن الأبصار ولكن دلائل ربوبيته قائمة بأعيننا(١).

﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾ أخلصت ديني وعملي ﴿لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ نصب على الحال(٢)، والحنيف: صحيح الميل إلى الإسلام ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ خاصمه ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ أتخاصمونني ﴿فِى﴾ دين ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ عرَّفني دينه ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ وكانوا خوَّفوه بشيء من الخبل بشتم الأصنام ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ أي: إلا أن يضلني

---

(١) انظر: الكشاف ٢/ ٤٠، وحاشية ابن المنير عليه.

(٢) الدر المصون ٥/ ١٥.

ربي فأخاف حينئذ آلهتكم ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: عالمًا لكل شيء، نصب على التمييز[١] ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله، على وجه التهديد ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾ أي: لا تخافون حين أشركتم بالله، أي: لا تخافون الله وقد أشركتم به ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وعذرًا من الله ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ من عذاب الله نحن أو أنتم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١﴾ عواقب الأمور.

فأجابه الله وقال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوا إيمانهم بشرك ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من عذاب الله ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ من الضلالة.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ليحجَّ بها[٢] قومه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ بالعلم، والحكمة.

الحجة: إظهار برهان يدحض به حجة الخصم[٣].

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ بإلهام الحجة ﴿عَلِيمٌ ۝٨٣﴾ بمن يصلح للنبوة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ولدًا ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولد الولد ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي: هديناهم للنبوة والإسلام ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ هؤلاء ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: ذرية نوح[٤] ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ أكرمنا جميعًا بالنبوة والإسلام ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٨٤﴾ الموحدين.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٥١٣.

(٢) في الأصل: ليحتج به، وهو تصحيف.

(٣) قال الحسين بن الفضل: يعني: مراتبهم بالعلم والفهم والفضيلة والعقل (البسيط ٨/ ٢٥٧).

(٤) رجح ابن جرير والثعلبي وغيرهما عود الضمير إلىٰ نوح لأن لوطا ليس من ذرية إبراهيم (تفسير الطبري ١١/ ٥٠٧، الكشف والبيان ١٢/ ١٣٨).

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: المرسلين.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ وقرئ: «واللَّيْسع»[1] ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ بالنبوة.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ مثل آدم وشيث وإدريس ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ قيل: إنهم إخوة يوسف، وقيل: من آمن معهم وبهم ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ استخلصناهم بالنبوة، وقيل: بالتوحيد ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ مَنْ كان أهلاً لذلك ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ أي: هؤلاء الأنبياء لو أشركوا طرفة عين ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ من الحسنات.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أي: العلم والفهم ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ والحكم: فصل الأمر علىٰ موافقة الحق ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني: بآياتنا والنبوة، يعني أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ أي: وفقناهم، وهم أهل المدينة ﴿لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ وقيل: إن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها النبيين الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم[2].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ وأكرمهم بالأخلاق الحسنة ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ أي: بأخلاقهم الحسنة اقتدِ يا محمد، بشكر نوح، وحلم إبراهيم، وصلابة موسىٰ، وتواضع سليمان، وعبادة داود، وصبر أيوب، وزُهد عيسىٰ.

والاقتداء: طلب موافقة الثاني للأول، والهاء في اقتده هاء الوقف[3].

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف (النشر ٢/ ٢٦٠).

(٢) وهو قول قتادة، كما في تفسير الطبري١١/ ٥١٨، والكشف والبيان ١٢/ ١٤٢، وهو اختيار ابن جرير.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٠، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١، التبيان ١/ ٥١٧.

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ أي: على تبليغ الرسالة جُعلاً ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ﴾ أي: عِظة بليغة ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ يعني: القرآن، والعالمين هاهنا الجن والإنس.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظَّموا الله حق تعظيمه، عن الحسن وغيره. وقيل: ما عرفوه حق معرفته[1].

قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: منْ يقدر أن يعظِّم الله حق عظمته؟ أو يعرفه حق معرفته؟ أو يعبده حق عبادته؟ والملائكة يقولون يوم القيامة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، مع ما أخبر الله عنهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، قال: ولكن تأويله ما عرفوا الله حق المعرفة التي تُعْرَف بالاستدلال، وما عظَّموه حق العظمة التي تُعظم بالاستدلال[2].

﴿إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ أي: كتاب.

قيل: إنَّ مالك بن الصيف دخل مكة وكان أُسقف اليهود، وكان سميناً، فقال له رسول الله: «أنشدك بالله يا مالك، أتجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين» قال: نعم، قال له: «أنت الحبر السمين، سمنت من مأكلتك التي يطعمك اليهود» وضحك القوم على مالك، فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء أي: كتاب[3].

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٤٦٦، الكشف والبيان ١٢/ ١٤٢.

(٢) تأويلات القرآن لأبي منصور الماتريدي ٤/ ١٦٥.

(٣) روي ذلك عن سعيد بن جبير مرسلا، كما في تفسير الطبري ١١/ ٥٢١، وقال عكرمة: نزلت في مالك بن الصيف، وهو مرسل كذلك، ولم يذكرا أن ذلك كان بمكة. وعن مجاهد: قائل ذلك المشركون من أهل مكة، وهكذا هو من رواية علي بن ابي طلحة عن ابن عباس، فهكذا اختلف أصحاب ابن عباس، ولو كان عن ابن عباس شيء من ذلك لما اختلفوا فيه.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى﴾ وهو التوراة ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ من الضلالة ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾ أي: تجعلونه صحفًا تظهرون منها ما تحبون من القصص وصفة الجنة ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ أي: تكتمون نعت ومحمد وصفته وآية الرجم ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ من الأحكام ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾ قبل التوراة ﴿أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ فإنْ أجابوك وإلا فـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أنزل ذلك الكتاب ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿فِى خَوْضِهِمْ﴾ أي باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ أي: لاعبين.

ليس بجواب الأمر لقوله: ذرهم يخوضوا ويلعبوا، ولكنه مستقبل بمعنىٰ الحال، كقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين[1].

قيل: هو منسوخ بآية السيف[2].

﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾ علىٰ من عمل به وآمن ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: ما تقدمه من الكتب والرسل ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أراد به مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من البلدان ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ أوقاتها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أراد به مسيلمة الكذاب[3] ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وهو عبد الله بن سعد ابن أبي سرح.

والراجح أنه من قول المشركين، لأن السورة مكية، وهو اختيار ابن جرير، والله أعلم.

(١) البسيط ٨/ ٢٨٠، الكشاف ٢/ ٤٤، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٥١٩.

(٢) البسيط ٨/ ٢٨٠، أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٢١٢.

(٣) هذا قول قتادة وعكرمة، وفيه نظر من جهة أن مسيلمة كانت قصته في المدينة، في حين أن السورة مكية، نزلت جملة واحدة.

ثم وصف حالهم عند الموت فقال ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: الكافرون ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: سكرات الموت ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ لنزع أرواحهم، وهذا محذوف الجواب، ومعناه: لو رأيت ذلك لرأيت عجبًا.

﴿أَخْرِجُوٓا۟ [أَنفُسَكُمُ]﴾ أي: قيل لهم موتوا، أو خلِّصوا أرواحكم من أيديهما، ثم ابتدأ فقال ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ تكافؤون عذابًا تُهانون فيه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أن له شريكًا ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أي: قيل لهم يوم القيامة لقد آتيتمونا ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ وحيدًا ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وحيدًا ليس معكم شيء ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ أي: خلَّفتم ما أعطيناكم ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ خلفكم في الدنيا ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَنَّهُمْ [فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟]﴾ شفعاء لكم، وقيل لهم: أين اللات والعزىٰ؟ وأين عُزير وعيسىٰ؟

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: وصلكم(١)، وقيل: ما بينكم من الأسباب والأرحام.

﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ أنهم شفعاؤكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ الفلق: الشق، يعني: يشق جوف الحنطة في السنبلة، وجوف النواة في داخل الثمر(٢).

وعن السدي: أنه عبد الله بن أبي السرح، كان كاتبا للنبي صلىٰ الله عليه وسلم ثم ارتد، والله أعلم (الكشف والبيان ١٢/ ١٤٧، البسيط ٨/ ٢٨٥).

(١) ضبطها في الأصل: بينُكم، بضم النون، وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وحمزة وخلف ويعقوب وشعبة، والتفسير علىٰ هذه القراءة.

وقرأ الباقون: بينكم، كما أثبت، وتفسيرها القول الثاني الذي أورده (النشر ٢/ ٢٦٠).

(٢) النوىٰ لكل ثمرة فيها نوىٰ، كالمشمش والخوخ والإجاص وليس خاصا بالتمر (تفسير أبي الليث ١/ ٤٦٩).

وقيل: الفالق هو الخالق(١).

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ وقد سبق تفسيره في أول سورة آل عمران ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ أي: تصدفون عن الحق.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ أي: شاق عمود الصبح عن سواد الليل ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾(٢) لتسكنوا في ظلمته ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ يجريان بحساب معدودة، ومنازل معلومة.

والشمس والقمر منصوبان عطفًا على الليل، الذي هو في محل النصب، فانتصب على معناه وموضعه(٣).

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ المنيع في سلطانه العليم بتدبيره.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ في السماء ﴿لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: لتعرفوا الطريق فيها ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ بيَّنا العلامات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون أمر الله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي: لكم مستقر في أرحام الأمهات، ومستودع في أصلاب الآباء.

وعن ابن عباس: المستقر ما قد خُلق، والمستودع عند الله ما لم يخلق(٤).

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدلالة على وحدانيتنا ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ أمْرنا.

---

(١) وهو قول الضحاك، وهو ضعيف لغة (تفسير الطبري ١١/ ٥٥٢).

(٢) كتبها في الأصل: وجاعل، وهي قراءة من سوى الكوفيين (النشر ٢/ ٢٦٠).

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٢٣، الدر المصون ٥/ ٦١.

(٤) وهي رواية عنه، وعنه رواية كالقول الأول (تفسير الطبري ١١/ ٥٦٥) وذهب ابن جرير إلى أن الآية تحتمل كل هذه الأقوال.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: مطرًا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي: أنبتنا بالمطر ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أيُّ صنف من النبات ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ في السنبلة ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ أي: أخرجنا من النخل ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ وهو الكُفُرَّىٰ[(١)] ﴿قِنْوَانٌ﴾ أي: عروق[(٢)] ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة المتناول، وقيل: يراد به دانية وقاصية، فاكتفىٰ بذكر أحدهما كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾.

﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ أي: وأخرجنا جنات ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أي: بساتين كروم ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ أي: أخرجنا شجرة الزيتون والرمان ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في المنظر وورقهما ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في الثمر ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ أي: نضجه إذا نضج وظهر فيه اللون، أي: تفكروا عبيدي في الأشجار والأثمار واعتبروا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ﴾ أي: في اختلاف ألوان الثمار وطعمهم ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ نصب الجن لأنه بدل عن شركاء، وقيل: مفعول ثانٍ، وتقديره: ووصفوا لله الجن شركاء[(٣)].

ابن عباس قال: إن الزنادقة قالوا بين إبليس وبين الله نسبة الإخوة، لعنهم الله مع إبليس[(٤)].

وقيل: [نزلت] في جهينة وخزاعة وبني سلمة، قالوا: إن جنًا من الملائكة يقال لهم الجن بنات الرحمن[(٥)].

---

(١) الكَفُر والكُفُرَّىٰ -مثلثة الكاف والفاء- واحد، وهو وعاء طلع النخل وقشره الأعلىٰ (تاج العروس ١٤/ ٥٩).

(٢) وهو العذق (الكشف والبيان ١٢/ ١٦٢).

(٣) الوجهان في معاني القرآن للفراء ٨/ ٣٢٦، وتفسير الطبري ١١/ ٧، والتبيان ١/ ٥٢٦.

(٤) وهو من رواية الكلبي، كما يظهر من تفسير أبي الليث ١/ ٤٧٢، الكشف والبيان ١٢/ ١٦٥.

(٥) وهو قول مقاتل، كما في تفسير أبي الليث ١/ ٤٧٢.

﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾ أي: كذبوا في مقالتهم بأن له ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ [عِلۡمٖۚ]﴾ بيان ولا حُجة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾ أي: يقولون، ومعناه الأمر، أي: سبِّحوه عما يقول عليه الجاهلون، وبرئوه أيها المؤمنون.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مبدعهما ومنشئهما من غير شيء ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ أي: زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ﴾ من الذكور والإناث والجن والإنس وأفعالهم، رغمًا للمعتزلة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ أي: وجِّهوا شكر نعمه إليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ كفيل برزق كل دابة.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ بكيفيته ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ بحقائقها، وفيه إعلام أن الخلق لا يعرفون حقيقة البصر؛ وما الشيء الذي صار الإنسان به بصيرًا حتىٰ يبصر من عينيه دون سائر أعضائه، فأعلم الله تعالىٰ أن أحدًا من مخلوقاته -وإن كان عالمًا- لا يدرك كنه شيء من المخلوقين ولا من نفسه؛ فكيف من رب العالمين[1].

وليس للمعتزلة في الآية حجة علىٰ نفي الرؤية، لأنَّ الله تعالىٰ نفىٰ الإدراك، ونفي الإدراك لا يدل علىٰ نفي الرؤية، لأن الرؤية غير، والإدراك غير، قال الله تعالىٰ في قصة موسىٰ ﴿تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ﴾ أثبت الرؤية بقوله: تراءىٰ، أي: ثم نفىٰ الإدراك بقوله: كلا.

وفيه دليل علىٰ إثبات الرؤية؛ لأنه نفىٰ الإدراك، فلو لم يحتمل الرؤية لم يكن لنفي الإدراك معنىٰ، لأن الإدراك فيما يدرك بعد الرؤية، ونفي الإدراك فيما

(١) من معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٧٨.

لا يحتمل الرؤية لا يليق بحكمة الحكيم، فدل نفي الإدراك [(١)] في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [أن] هناك رؤية، لكن لا يدرك ولا يحاط[(٢)].

وقال بعضهم: أراد بالأبصار بصر القلب، لأنه قال في آخره ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ بخفيات الأسرار، الخبير بظواهرها.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بيان ودلائل في القرآن ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ البيان وعلم وآمن به ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أي: له نفعه ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ أي: جهل وتغافل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ ضرورة ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ مسلَّط حتىٰ أجبركم علىٰ الإيمان، منسوخ بآية السيف.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيِّنها ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾[(٣)] واللام لام العاقبة، أي: صار عاقبة ذلك إلىٰ أن يقولوا: درسْتَ، أي: تعلمتَ من أهل الكتاب وليس بوحي[(٤)].

وقرئ: «دَرَسَتْ» بفتح السين وتسكين التاء، أي: أخبار من[(٥)] مضىٰ وانمحىٰ، كمثل خبر رستم وإسفنديار، فأحياها محمد.

وقيل: «لا» في الكلام مضمر: لئلا يقولوا درست[(٦)].

---

(١) هنا كلمتان لا معنىٰ لهما، وهما: علىٰ نفي، والظاهر أنه من تداخل الكلمات علىٰ الناسخ.

(٢) يتوارد المفسرون من أهل السنة علىٰ نحو هذا، انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٤، الكشف والبيان ١٢/ ١٦٦، تفسير السمعاني ٢/ ١٣٢، معالم التنزيل ٣/ ١٧٤، البسيط ٨/ ٣٣٠، وأطال ابن كثير في إثبات الرؤية يوم القيامة ٣/ ٣٠٩.

(٣) في الأصل: دارسْتَ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر ويعقوب: درسَتْ، وقرأ الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٢٦١).

(٤) وهذا تأويل القراءتين اللتين من المُدارسة، بمعنىٰ التعليم.

(٥) في الأصل: قد، وهي قريبة التصحيف من: من.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٧٩، البسيط ٨/ ٣٣٩.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥﴾ وينتفعون بعلمهم: محمد وأصحابه.

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦﴾ نُسِخَتْ بآية السيف.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يشركوا[1] ﴿مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ نُسِخَتْ بآية السيف[2].

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأصنام ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ أي: عدوانًا، تجاوز الحد ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾ القبيح امتحانًا منًّا، وزيَّنا للمشركين شركهم ابتلاءً ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أي: اجتهدوا في مبالغة اليمين ﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ﴾ أي: علامة مثل عصا موسىٰ وحجره ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ بحكم الله ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ﴾ أي: لعلها إذا جاءت ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩﴾.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ عن الاتعاظ بالآيات ﴿كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ وهو عند انشقاق القمر، وكان في أول مبعث رسول الله، وقيل: كما لم يؤمن به أوائلهم من الأمم الماضية، رأوا الآيات بعد سؤالها فأنكروها، ولم يؤمنوا بها.

وقيل: لم يؤمنوا به يوم الميثاق[3].

---

(١) في الأصل: أشركوا، والتصحيح من تفسير الكلبي.

(٢) الكشف والبيان ١٢/ ١٧٣.

(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٤٤، الكشف والبيان ١٢/ ١٨١.

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾ أي: في عتوهم يترددون.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ من السماء معاينة ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ﴾ أي: أحييتَ الموتىٰ -كفعل المسيح- بدعائك وتشهد علىٰ نبوتك ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ عيانًا، وقيل: «قِبَلاً»[1] جمع قبيل، أي: قبائلاً مع الملائكة والموتىٰ والطير والوحش والسباع والبهائم وخلق البحار وأهل السماء؛ ناطقتهم هذه الأشياء بأن محمدًا رسولي وما أتاكم به حق، مشافهة وعيانًا[2] ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إلا بمشيئة الله لهم الإيمان.

ويجوز أن يكون القُبُل[3] جمع قبيل، وهو الكفيل كقوله ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢﴾ أي: كفيلاً ضمينًا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۝١١١﴾ أنه حق.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: كما جعلنا لك ولأمتك من الشياطين والإنس أعداءً؛ كذلك جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء والأمم أعداء ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ أي: مردتهم من الكفار، والشياطين: كل عاتٍ متمرد جنيًّا كان أو إنسيًا.

وقيل: إن إبليس جعل شياطينه فريقين؛ فريقًا يوسوس الجن، وفريقًا يوسوس الإنس، فإذا لقي الشيطانُ الذي يوسوس الإنس الشيطانَ الجن قال: إني أضللت صاحبي بكذا فافعل أنت بصاحبك كذا حتىٰ تضله فهذا شياطين الإنس[4].

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يلقِّن بعضهم بعضًا ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ كلامًا مزخرفًا مزيَّنًا بالغرور الباطل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: منعهم عن

(١) وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر (النشر ٢/ ٢٦٢).
(٢) ولذا قال بعض العلماء إن المعنىٰ علىٰ القراءتين واحد (البسيط ٨/ ٣٦٣).
(٣) أي علىٰ القراءة الأولىٰ.
(٤) ذكره في الكشف والبيان ١٢/ ١٨٥.

ذلك ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١١٢﴾ أي: دعهم وافتراؤهم علي، أنا أنفرد بهلاكهم.

﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾ لكي يميل الزخرف والغرور(١) ﴿أَفْئِدَةُ [الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ]﴾ الكفار ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لكي يختاروا حين مالت إليه قلوبهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ أي: يكتسبوا بالزخرف والغرور من الشرك والافتراء ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ١١٣﴾ أي: يكتسبون، وقيل: إنها لام الأمر(٢).

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ أي: أطلب حكمًا ربًا ومعبودًا؛ لأنهم: قالوا اجعل يا محمد بيننا وبينك حكمًا من اليهود ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ بالحلال والحرام ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ علم التوراة: عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ١١٤﴾ من الشاكين بأنهم لا يعلمون(٣)، قيل: إن الخطاب لرسول الله والمراد أمته.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾(٤) وجبتْ عدةُ ربك فيما قال لأوليائه صدقًا فيما قال، وعدلاً فيما حكم، وقيل: صدقًا في الأنباء وعدلاً في الأحكام.

---

(١) الصغو: الميل، صغىٰ إلىٰ كذا يصغي أي يميل (البسيط ٨/ ٣٧٨).

(٢) أي: اللفظ لفظ أمر، والمعنىٰ هو التهديد، كذا ذكر الزجاج (في معاني القرآن ٢/ ٢٨٥) والأول: هو الأثبت في اللغة (كما في البسيط ٨/ ٣٨٣).
وقد قرئ بإسكان اللام في الشاذ، ومع ذلك فقد أبىٰ ابن جني أن تكون من لام الأمر (المحتسب ١/ ٢٢٨).

(٣) أي لا يعلمون أنه منزل من الله،:ما في معاني القرآن للفراء ١/ ٣٥١.

(٤) في الأصل: كلمات، بالجمع، وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين ويعقوب، حيث قرؤوا بالإفراد (النشر ٢/ ٢٦٢). وهما بمعنىٰ واحد، قال أهل المعاني: الكلمة والكلمات معناها: ما جاء من وعد ووعيدٍ وثواب وعقاب، فلا تبديل فيه ولا تغيير له، كما قال تعالىٰ: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [سورة ق:٢٩] والتقدير: وتمت ذوات الكلمات -أي: يخبر بها عنها- فمن قرأ

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ لا مغيِّر لوعده، وقيل: لا ينقض بعضه بعضًا ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ لما قال الكفار عليم بعقوبتهم.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حيث دعوك إلىٰ ملة آبائك ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ ما يعبدون الأصنام إلا بالظن ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ وما هم إلا كاذبون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ﴾ أي: هو أعلم أيُّ الناس يضل عن سبيله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ لدينه من أمتك إلىٰ يوم القيامة.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند ذبحه، أمر إباحةٍ ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ أيُّ شيء لكم معشرَ الكفار ﴿أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند ذبحه ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في سورة المائدة من الميتة والدم ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِۗ﴾ إلىٰ أكله ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ أي: يصرفون الناس عن أكله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ الذين يجاوزون الحد، ولا يرضون لحلال الله وحرامه.

نزلت الآية في مالك بن عوف وأصحابه حيث قالوا للمؤمنين: إنكم تأكلون ما أمتُّمُوه، ولا تأكلون ما أماته الله، فمقتولكم خير من مقتول الله[1].

«كلمات» بالجمع قال: لأن معناها الجمع، فوجب أن يجمع في اللفظ، ومن قرأ علىٰ الواحدة فلأنهم قد قالوا: الكلمة يراد بها الكثرة.. (الحجة لأبي علي ٣/ ٣٨٨، الكشف والبيان ١٢/ ١٩١، الهداية ٣/ ٢١٦٠، البسيط ٨/ ٢٨٦)

(١) مراده هذه الآية مع الآيتين بعدها، وهذا القول في تفسير الطبري ١٢/ ٧٧، تفسير أبي الليث ١/ ٤٧٩، الكشف والبيان ١٢/ ١٩٧.

قيل: إن المقصود هو عمرو بن لحي لأنه بدل شريعة إبراهيم (البسيط ٨/ ٣٩٧).

ثم قال ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ الظاهر: الزنا، والباطن: المخالة[١]، وقيل: الظاهر المعصية بالجوارح، والباطن محبة المعصية والفرح بها، وقيل الظاهر الخمرُ والباطن الزبيبيَّة والتمرية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ أي: يعلمونها ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ۝١٢٠﴾ يكتسبون.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند ذبحه ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ حرام ومعصية ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ أي: يوسوسون إلىٰ أوليائهم من المشركين ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ ليخاصموكم، ويقولون: ما قتله الله أولىٰ بالأكل مما قتلتم ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾ إذا أطعتموهم في استحلال أكل الميتة.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالشرك ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بالإيمان، أي: ليس من كان ميتًا بقلبه كافرًا بربه فأحييناه بنور الهدىٰ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ [فِى ٱلنَّاسِ]﴾ بين المؤمنين إلىٰ الطاعات ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ كحال مَن يكون في الضلالات والشبهات مِن الكفر، وهو أبو جهل ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: من تلك الضلالات يموت عليها، قال الضحاك: نزلت في عمر وأبي جهل[٢].

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٢﴾ من القبائح[٣].

---

(١) أي: اتخاذ الخليلة، وهو تفسير الكلبي، كما في الكشف والبيان ١٢/ ١٩٥.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ١٢/ ٨٩.

(٣) قال ابن جرير في التفسير ١٢/ ٩٢: «كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم عن الحق، فزينت له سوءَ عمله فرآه حسنًا، ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب، كذلك زيَّنت لغيره ممن كان علىٰ مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته، ما كانوا يعملون من معاصي الله، ليستوجبوا بذلك من فعلهم، ما لهم عند ربهم من النَّكال، وفي هذا أوضح البيان علىٰ تكذيب الله الزاعمين أن الله فوَّض الأمور إلىٰ خلقه في أعمالهم، فلا صنع له في أفعالهم، وأنه قد سوَّىٰ بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلىٰ الطاعة والمعصية. لأن ذلك لو كان كما قالوا،

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ أي: جعلنا في كل قرية رؤساءها وجبابرتها: مجرميها، كما جعلنا في قريتك.

والأكابر جمع أكبر ﴿لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾ أي: ليعلموا فيها بالمعاصي وقتل الأنبياء، واللام لام العاقبة ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأنَّ وبال ذلك راجع إليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ ذلك.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ﴾ يعني عبد الله بن أمية[1] ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ مثل موسىٰ وعيسىٰ وسليمان ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ ومَنْ هو أهل للرسالة، وهذا جواب للوليد بن المغيرة تمنىٰ أن يكون نبيًا، فأجابه الله تعالىٰ.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ أي: أشركوا ﴿صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: مذلة ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ أي: بمكرهم وكُفرهم.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ بالمعرفة ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ أي: يوسع قلبه لقبول الإسلام، مثل محمد وأصحابه، وهو عمار وأمثاله ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ أي: يتركه في الضلالة ويخذله ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ لا يتسع فيه الإيمان، أي: شاكًّا، وقيل: الحرج الشجر الملتفت[2].

لكان قد زيَّن لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر، نظيرَ ما زيَّن من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به، وزيَّن لأهل الكفر به من الإيمان به، نظيرَ الذي زيّن منه لأنبيائه وأوليائه. وفي إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله، ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان، وخصَّ أعداءه وأهل الكفر، بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان، وكرّه إليهم الإيمان به والطاعة».

(١) وفي تفسير أبي الليث ١/ ٤٨٠، والكشف والبيان ١٢/ ٢٠١ أن القائل: الوليد بن المغيرة، وأبو مسعود الثقفي. وكذا هو في تفسير الكلبي ١١٨.

(٢) وروي في ذلك عن عمر بن الخطاب قصة، فقد روىٰ ابن جرير ١٢/ ١٠٤ عن أبي الصلت الثقفي: أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ أي: يكلف أن يصعد إلىٰ السماء بغير آلة، وذلك في غاية نبوِّ قلبه عن الإيمان وبُعده منه ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ﴾ أي: اللعنة والعذاب، وقيل الإثم ﴿عَلَى [ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥]﴾ قلوبهم، كما ضيقنا قلوبهم.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ﴾ أي: هذا القرآن، وقيل: الدين سبيل ربك العدل الواضح، نصب علىٰ الحال ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: بيَّنا العلامات ﴿لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ يتعظون.

﴿لَهُمۡ﴾ أي: المؤمنين ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾ أي: دار السلامة من كل آفة، وقيل: السلام هو الله، وداره جنته عند ربهم يكرمهم[(١)].

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ بالكرامة والثواب ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ من الخيرات.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ أي: نبعثهم[(٢)] ﴿جَمِيعٗا﴾ كفار الجن والإنس ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾ أي: نقول لهم يا معشر الجن ﴿قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ أي: أضللتم كثيرًا من الإنس، أي: بني آدم.

[﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾]: وقال أولياء الجن من الإنس ﴿رَبَّنَا

ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بنصب الراء، قال: وقرأ بعض مَنْ عنده من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ضَيِّقًا حَرِجًا»، قال صفوان: فقال عمر: ابغوني رجلاً من كنانة واجعلوه راعيًا، وليكن مُدْلجيًّا. قال: فأتوه به. فقال له عمر: يا فتىٰ، ما الحرجة؟ قال: الحرجة فينا، الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعيةٌ ولا وحشيَّة ولا شيء. قال: فقال عمر: كذلك قلبُ المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

(١) الكشف والبيان ١٢/ ٢٠٩.

(٢) في الأصل: نحشرهم، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة الكل، سوىٰ حفص وروح (النشر ٢/ ٢٦٢).

﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي: انتفع الجن بالإنس والإنس بالجن، أما انتفاع الجن بالإنس قبول قولهم والامتثال بغرورهم، وانتفاع الإنس بالجن تلذذهم بالشهوات بإغوائهم ووسوستهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي: وقتت لنا؛ الموت والحشر ﴿قَالَ﴾ الله ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ مقامكم ومأواكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ دائمين ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يزيدهم على الخلود من سائر العذاب، كقوله: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾.

وقيل: الاستثناء في إخراج أهل التوحيد من النار[1].

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ بالخلود ﴿عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ بعقوبتهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: نسلِّط بعضهم على بعض حين يُنتقَم منهم، ثم ينتقم الله من الجميع، أي: كما وصفنا من تسليط الجن على الإنس؛ كذلك نسلِّط بعض الظالمين على بعض لانتقام بعضهم من بعض[2].

وقال ابن عباس: نولي أي نقرن الشيطان مع الآدمي في سلسلة، ويقرن الجني مع شيطانه الذي يوسوسه في سلسلة[3].

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ في الدنيا من المعاصي.

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٤٨٢، الكشف والبيان ١٢/ ٢١٣.

(٢) قال السمرقندي (في تفسيره ١/ ٤٨٢): وهذا كلام لتهديد الظالم لكي يمتنع عن ظلمه، لأنه لو لم يمتنع يسلط الله عليه ظالماً آخر، ويدخل في الآية جميع من يظلم، ومن ظَلم في رعيته، أو التاجر يظلم الناس في تجارته، أو السارق وغيرهم.
وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجباً.
وقال ابن عباس: إذا رضي الله عن قوم ولّىٰ أمرهم خيارهم، وإذا سخط الله علىٰ قوم ولّىٰ أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون، ثم تلا قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ اهـ.
والخبر عن ابن عباس من رواية الكلبي كما في الكشف والبيان ١٢/ ٢١٥.

(٣) لم أجده من قول ابن عباس، وعلىٰ كل فالمصنف يصدر عن تفسير الكلبي.

ثم يقال لهم: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ لماذا عصيتم ربكم ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ من الإنس خاصة، عمومٌ أريد به الخصوص.

وقيل: كان رسل الحق إلىٰ غيرهم من الجن، كما قال في آية أخرىٰ ﴿وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩﴾[1].

قال ابن عباس: كانت الرسل قبل مبعث رسول تبعث إلىٰ الإنس، ورسول الله بعث إلىٰ الإنس والجن جميعًا[2].

﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ بالأمر والنهي ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ أي: يحذرونكم عذاب هذا اليوم ﴿قَالُواْ﴾ جميعًا ﴿شَهِدۡنَا﴾ يا رب ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ أنهم بلغوا الرسالة وأنكرنا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ بما فيها من النعيم والزهرة فاغتروا بها، وتركوا متابعة الأنبياء به ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾ يشرك منهم قبل إرسال الرسل إليهم ﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ عن الأمر والنهي.

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ﴾ لأهل الجنة درجات بالفضائل، ولأهل النار دركات بمعاصيهم ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ أي: ذو الغنىٰ عن طاعة العباد وإيمانهم، ذو الرحمة والشفقة بتأخير العذاب عن الكفرة ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ يهلككم ﴿وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ أي: قومًا أطوع منكم ﴿كَمَآ

---

(١) كذا في الأصل، وهو قول مجاهد، وفي الكشف والبيان ١٢/ ٢١٧ عنه: الرسل من الإنس، والنذر من الجن، ثم قرأ الآية.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٤٨٣، وهو من رواية الكلبي كما في الكشف والبيان ١٢/ ٢١٧.

﴿أَنشَأَكُم﴾ أي: خلقكم ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ أولاد نوح صلوات الله عليه.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ أي: ما تخوَّفون من البعث والعذاب لكائن ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ الله عن ذلك، ولا بفائتين الله بأعمالكم الخبيثة.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ﴾ أي: طريقتكم، أمر تهديد، يعني: اثبتوا علىٰ ما أنتم عليه إذا رضيتم أن مأواكم النار ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: سوف تعلمون من له عاقبة دار الجنة، لنا أو لكم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ أي: جعلوا له من مخلوقاته نصيبًا، وللأصنام نصيبًا ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: قولهم ﴿وَهَٰذَا﴾ النصيب ﴿لِشُرَكَآئِنَا﴾ آلهتنا وأصنامنا ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ أي: نصيب آلهتهم ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ أصنامهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ أي: بئس ما يحكمون.

وذلك أن بعض أهل الجاهلية سمَّوا بعض الأموال: مال الله، فينفقون منه علىٰ الضعفاء والمساكين، وبعض الأموال: مال الأصنام، وسلموا ذلك إلىٰ السدنة؛ من الحروث والحبوب والدواب، فمتىٰ وقعت سنبلة أو ثمرة من نصيب الأصنام في نصيب الله لقطوه وردوه إلىٰ موضعه، ولو وقعت من نصيب الله في نصيب الأصنام تركوه، وقالوا: إن الله غني والأصنام فقراء، ولو سال الماء في نوبة الأصنام في زرع هو لله حبسوه عنه، ولو سال في نوبة الله في زرع الأصنام تركوه، وفي الأنعام لو ضرب فحل الأصنام نوقًا هو لله منعوه، ولو ضرب فحل

هو لله في نوق الأصنام تركوه، وقالوا: هو غير محتاج إليه، الله أعلم بذلك(١).

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ أي: زيَّن قُرناؤهم من الشياطين دفن بناتهم أحياء ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي: يهلكوهم بذلك التزيين ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾أي: يخلطون عليهم دين إسماعيل النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١٣٧﴾ أي: افتراؤهم الكذب علىٰ الله، ثم نسخ بعد ذلك(٢).

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ﴾ يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي: حرام ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ﴾ أي: الأنعام والحرث ﴿إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ من الرجال دون النساء ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: قولهم ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ أي: ركوبها وهي الحام ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ عند الذبح ذبحوها لأصنامهم ﴿ٱفْتِرَآءً [عَلَيْهِ]﴾ علىٰ الله أنه أمرهم، وكذبوا ﴿سَيَجْزِيهِم﴾ يعاقبهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝١٣٨﴾ علىٰ الله.

﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ أي: رجالنا ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ [أَزْوَٰجِنَا]﴾ نسائنا ﴿وَإِن يَكُن﴾ الولد ﴿مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ يشرك الرجال والنساء في أكله ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: بوصفهم وكذبهم ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ بتحليل الأشياء ﴿عَلِيمٌ ۝١٣٩﴾ بما أحلَّ وحرَّم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ﴾ دفنوا ﴿أَوْلَٰدَهُمْ﴾ أي: بناتهم أحياء ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ

---

(١) وهو مروي عن ابن عباس من طرق، انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٣٢، تفسير أبي الليث ١/ ٤٨٥، الكشف والبيان ١٢/ ٢٢٢، البسيط ٨/ ٤٥٣.

(٢) وذلك علىٰ أن المقصود ترك قتالهم، ومن ثم قال قوم هو منسوخ بأية السيف (زاد المسير ٢/ ٨٢) ويظهر أن ذلك من قول الكلبي، ولم أجد هذا القول لا في تفسير الطبري ولا تفسير أبي الليث ولا الكشف والبيان ولا البسيط ولا معالم التنزيل، فالله أعلم.

عِلۡمٖ﴾ أي: جهلاً بلا حجة ﴿وَحَرَّمُواْ﴾ على أنفسهم ﴿مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ عن الهدى ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠﴾ إلى الصواب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ﴾ أي: الذي كذبوا عليه افتراءً هو الذي أنشأ ﴿جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ أراد به الكروم والقَثَد[1] والقثاء والقرع ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ سائر الأشجار ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ أي: ثمره ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا﴾ في المنظر ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾ في الطعم ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ أي: أدْرك ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ قيل: نزلت قبل آية الصدقة وهو قول ابن عباس، وكانوا يعطون قليلاً قليلاً بعد الحصاد من الثمار والزروع، نسختها آية الزكاة[2].

وقيل: أعطوا زكاته يوم كَيْله[3].

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ في المعاصي والإنفاق في غير طاعة الله ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾.

﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ﴾ أي: ما يحمل عليها من الإبل والبقر والبغال والحمير ﴿وَفَرۡشٗاۚ﴾ الغنم عن ابن عباس[4].

---

(١) القَثَد: نوع من القثاء، أو هو المدور منه، أو يشبهه (تاج العروس ٩/ ٩).

(٢) رواه مقسم عن ابن عباس، قال: نسخها العشر ونصف العشر، كذا في تفسير الطبري ١٢/ ١٦٨، وفي كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٤٣ من طريق أخرى قال: نسخة الزكاة كل نفقة في القرآن. وهناك قول ثالث ذكره ابن جرير، وهو أنه حق في المال سوى الزكاة، وهو قول جماعة كعطاء وحماد والحكم، (تفسير الطبري ١٢/ ١٦٢، الكشف والبيان ١٢/ ٢٣٦). ورجح ابن جرير القول: بأنه كان ذلك مفروضا عليهم في الطعام والثمار ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة (تفسير الطبري ١٢/ ١٧٠).

(٣) وهو مروي عن ابن عباس من طرق، وأن المقصود هو الزكاة المفروضة، وهو قول أنس والحسن وقتادة وطاوس وغيرهم، كما في تفسير الطبري ١٢/ ١٥٨، الكشف والبيان ١٢/ ٢٣٥.

(٤) من رواية علي بن أبي طلحة عنه (تفسير الطبري ١٢/ ١٨٠).

وقيل: الحمولة ما يحمل عليها من الإبل والفرش صغارها[١].

﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من لحوم هذه الأنعام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: تزيينه في تحريم الأنعام؛ وآثار الشيطان ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ ظاهر عداوته.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ نصب لأنه معطوف على قوله: «أنشأ»[٢]، يقال للواحد من الشفع زوج وللاثنين زوج[٣].

﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، وجعل بينهما مَدَّة[٤].

﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ومعنى الكلام: أنكم تقولون أن ولد الضأن أو المعز في البطن السابع أو البطن الخامس على حسب الاختلاف حرام

---

(١) وهو قول ابن مسعود، ورواية عن ابن عباس (تفسير الطبري ١٢/ ١٧٨).

(٢) في نصبه ستة أقوال، أشهرها الذي ذكره المصنف، انظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٦، التبيان ١/ ٥٤٤.

(٣) قال الفراء: الذكر زوج، والأنثى زوج، وهو قول ابن عباس: يريد: بالزوج الواحد الذكر زوج، والأنثى زوج.
وقال ابن قتيبة: والثمانية الأزواج: الضأن، والماعز، والإبل، والبقر، وإنما جعلها ثمانية وهي أربعة؛ لأنه أراد ذكرًا وأنثى من كل صنف، فالذكر زوج، والأنثى زوج، يقع على الواحد وعلى الاثنين، ألا ترى أنك تقول للرجل: زوج وهو واحد، وللمرأة زوج وهي واحدة، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة النجم:٤٥] (البسيط ٨/ ٤٩٠، وانظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٨٣، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٩٩، تفسير أبي الليث ١/ ٤٨٩، الكشاف ٢/ ٧٣).

(٤) والاستفهام للإنكار، (الكشاف ٢/ ٧٤).

على النساء دون الرجال، وبعضها حلال على الكل بعد الموت، حرام قبله، قل لهم يا محمد؛ لأبي الحوص مالك بن عوف ناظرَّ رسولَ الله فيها، قل: الذكرين حرم، أي: قل له التحريم جاء مِن قِبل الذكرين؛ ولد الضأن والمعز؛ أم من حيث الأنثيين أنهما أنثيان؟ فإن كان مِن قِبل الذكرين فالعقل يقتضي أنَّ كل ذكر حرام، وإن كان من حيث الأنثيين فالعقل يقتضي أن كل ما يشتمل عليه الأرحام حرام؛ لأن الأرحام لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فمن أين اختصاص البطن الخامس أو السابع؟ وتخصيص الذَّكر دون الأنثى؟ أو الأنثى دون الذكر؟.

فيجيب مالك بن عوف ولم يحضره سوى قوله: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾[1].

﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾ أن الله حرم عليكم ذلك.

ثم قال ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ من أين جاء التحريم؟ من قِبل الذكر أو قِبل الأنثى؟ أم من جهة اشتمال الأرحام بهما؟ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حضوراً يا أهل مكة ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ إذ أمركم الله بهذا التحريم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾ عن دين الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أتاه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ أي: لا يرشدهم إلى الحجة في مقابلة الحق.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ أي: آكل يأكله ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ الشيء ﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ جاريًا ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ

---

(١) القصة في تفسير أبي الليث ١/ ٤٩٠، والكشف والبيان ١٢/ ٢٤٥، وهي كما يظهر من هذه المصادر أنها من رواية الكلبي فهو الذي سمى مالك بن عوف (تنوير المقباس ١٢١)، والمفسرون يذكرون نحو هذا ولكن لا ينسبونه للرسول صلى الله عليه وسلم (تفسير الطبري ١٢/ ١٨٥).

﴿رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ فيه تقديم وتأخير، معناه: ميتة أو دمًا أو لحم خنزير أو فسقًا أُهِلَّ لغير الله به، أي: عند ذبحه غير اسم الله، فإنه فسق.

والرجس: اسم لما يستقذر وهو الحرام في هذه الموضع.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ أي: أجهد ضرورةً إلىٰ أكل هذه المحرمات ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ غير باغ: يستحل ما حرم الله، ولا عاد مجاوز القصد بقدر الحاجة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ﴾ إذا أكل ما يسد جوعه ﴿رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ رخَّص له ذلك.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ مالوا عن الإسلام ﴿حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾ ما ليس بمنفرج الأصابع، مثل النعام والبط والإبل، عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد[1].

وقال الضحاك: النعام وحمار الوحش.

مقاتل: كل ذا خفٍ وظُفر من الدواب والطير؛ عن الإبل والنعامة والبط[2].

وكل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من السباع، عن الكلبي ومن الدواب كل ذي ظفر ليس بمنشق مثل البعير والأرنب[3].

﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ﴾ شحوم الثُّروب[4] ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ﴾ من الشحم ﴿أَوِ ٱلۡحَوَايَآ﴾ أي: ما كان علىٰ الماعز من الشحم عن ابن عباس[5].

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ١٩٨، الكشف والبيان ١٢/ ٢٤٧، البسيط ٨/ ٥٠٢، زاد المسير ٢/ ٨٨.

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٣٧٦.

(٣) تنوير المقباس ١٢١.

(٤) الثروب: الشحم المبسوط علىٰ الأمعاء والمصارين والكرش (لسان العرب ١/ ٤٥٧).

(٥) كذا في الأصل، ويظهر أن مراده من قول ابن عباس هو تفسير: ما حملت الظهور، لا الحوايا.

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ نحو شحوم الألية ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ بذنوبهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ أي: اليهود فيما أخبرتهم عن التحريم ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ بتأخير العذاب عنكم وألا يعذبكم ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١٤٧﴾ أي: اليهود.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ من كفار مكة ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا نشرك به ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ من قبلنا ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ من الحرث والأنعام، ولكنه شاء لنا ذلك وأمرنا بتحريمه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: هكذا ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ بيان وحجة بأن الله أمركم به ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ أي: تبيِّنوه لنا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ ما تقولون ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الشك ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨﴾ ما أنتم إلا تكذبون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ الوثيقة على خلقه في التحليل والتحريم والتأديب ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩﴾.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ أي: هاتوا شهداءكم ﴿ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ ليشهدوا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ أنَّ هذه الأشياء حرام حرمها الله في الكتاب ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ بذلك ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالقرآن ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: البعث ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١٥٠﴾ الأصنام.

فإن رواية علي بن أبي طلحة عنه: ما حملت ظهورهما: ما علق بالظهر من الشحوم، والحوايا: المبعر (تفسير الطبري ١٢/ ٢٠٢). ولا خلاف في تفسير الحوايا بالمباعر.

قال ابن جرير: الحوايا: جمع، واحدها حاوِياء وحاوية وحَوِيَّة، وهي ما تحوَّىٰ من البطن فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن [الأمعاء الدقيقة]، وهي المباعر، وتسمىٰ: المرابض، وفيها الأمعاء.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿[تَعَالَوۡاْ] أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ في الكتب ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ أوصاكم بترك الشرك؛ لأنَّ من حرم شيئًا فقد وصاكم بتركه ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾ أوصاكم بالوالدين إحسانًا، أي: برًا بهما وعطفًا عليهما ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾ مخافة الفقر ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ الزنا، وقيل: الشرك، ويحتمل جميع المعاصي ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ كانت الحوانيت بمكة معروفة، فذلك ما ظهر، وما بطن هي المخالة في السر[1] ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ﴾ المؤمنة ﴿ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بالعدل، بالقصاص والرجم والارتداد [﴿ذَٰلِكُمۡ﴾] هكذا ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أمركم ونهاكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ﴾ أي: لا تأكلوا ماله ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ بالقرض، وقيل: لا تقربوا إلا للحفظ[2] ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾ يعني الحلم والرشد[3] ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ أتموها ﴿وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ أي: العدل ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ أي: اصدقوا، قيل: إذا شهدتم وحكمتم فاعدلوا[4] ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾ وإن كان المشهود عليه ذا قربىٰ منكم ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ﴾ أي: أتموا فرائض الله ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ نصب علىٰ الحال، وأنَّ بنصب الألف معطوف علىٰ قوله: ألا تشركوا[5] ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ فالزموه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾

(١) في الأصل: المخالفة في الشيء، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته، وكذا هو في كتب التفسير.
(٢) في الأصل: للحظ، والتصحيح من تنوير المقباس، وتفسير السمرقندي فقد صدر عن الكلبي.
(٣) الكشف والبيان ١٢/ ٢٥٧.
(٤) الكشف والبيان ١٢/ ٢٥٩.
(٥) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٤٩.

اليهودية وسائر المِلل ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: يضلكم عن دينه الحق ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ عن سائر الملل.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ مبنيٌّ على قوله: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾؛ مع ما حرمت: آتينا موسى الكتاب[1] ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ أي: تمامًا على الوجه الذي هو أحسن[2]، وقيل: الذي بمعنى ما؛ أي: تمامًا على ما أحسن من العلم والحكمة وكتب الله المتقدمة[3]، وقيل: تتميمًا منَّا إحسانه على من أحسن منهم؛ أي: المحسنين[4].

﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ تفصيلاً: بيان الحرام والحلال، وهدى: من الضلالة، ورحمة: من العذاب لمن آمن بها.

وانتصبت الكلمات نسقًا على قوله: «تمامًا».

﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ أي: البعث ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني القرآن ﴿مُبَارَكٌ﴾ دائم خيره على من آمن به ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ بما فيه من الحلال والحرام ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ سخط الله ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ معناه: اتقوا ألا تقولوا ذلك: أنزل الكتاب ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ قوم موسى وعيسى ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ

---

(١) أي أنه معطوف على ما قبله، فكما أمره الله أن يقص عليهم ما حرم عليهم، أمره أن يقول: وأعطيت موسى التوراة.. (انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٢٣٢، تفسير أبي الليث ١/ ٤٥٩، الكشف والبيان ١٢/ ٢٦١).

(٢) وهو قول ابن زيد، كما في تفسير الطبري ١٢/ ٢٣٦.

(٣) وهو قول الربيع وقتادة، كما في تفسير الطبري ١٢/ ٢٣٥.

(٤) وهو قول مجاهد، كما في تفسير الطبري ١٢/ ٢٣٣.

﴿١٥٦﴾ أي: ما كنا عن تلاوة كتابهم إلا غافلين، لم نعقل ما فيها، فهذا الكتاب نزل بلغتكم حجة عليكم.

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ كيلا تقولوا ﴿لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ﴾ بلغتنا ﴿لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ أي: أسرع إجابة ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: الكتاب والرسول ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ معطوفًا علىٰ بينة، لا علىٰ الحال ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ [بِآيَاتِ اللَّهِ]﴾ علىٰ الله بمحمد والقرآن ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أي: أعرض عنها ﴿سَنَجْزِي﴾ نعاقب ﴿الَّذِينَ﴾ يعرضون عنها ﴿يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ يعرضون.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ إتيان ملك الموت وأعوانه(١) ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ هذا وعيد، أوعد الله لأهل مكة، وأراد به عذابه، ومن وصف الله بالتحويل وجوَّز ذلك فقد عظم جرمه، وافترىٰ علىٰ الله كذبًا عظيمًا، تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا(٢).

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٢٤٥، الكشف والبيان ١٢/ ٢٦٦.

(٢) هذا تأويل لصفة المجيء، فحمل المصنف الآية علىٰ المجاز، وعلىٰ أن المراد عذاب الدنيا، فخالف المفسرين في ذلك، فإنهم قالوا: المراد يوم القيامة، والذي يجيء هو الله بلا تشبيه بمجيء خلقه، وبإياس عن معرفة كيف يكون ذلك. ولذا لا يقال: كيف يجيء.
قال مجاهد وقتادة وابن جريج: يأتي ربك يوم القيامة (تفسير الطبري ١٢/ ٢٤٦)، ومثله قال مقاتل بن حيان (تفسير ابن أبي حاتم٥/ ١٤٢٧)، وقال مقاتل بن سليمان: يأتي ربك يوم القيامة في ظلل من الغمام (تفسير مقاتل ١/ ٣٨٠)، قال الكلبي: يأتي ربك يوم القيامة بلا كيف (تنوير المقباس: ١٢٣) ومثله قال ابن قتيبة (في غريب القرآن ١٤١)، وقال الثعلبي: بلا كيف، لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة (الكشف والبيان ١٢/ ٢٦٦)، وقال مكي: أي: لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة (الهداية ٣/ ٢٢٥٢)، ومثله قال السمعاني في تفسيره ٢/ ١٥٩، والبغوي في معالم التنزيل ٣/ ٢٠٧، وابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٧١.

وقد يراد إتيان الله والمراد عذابه، كقوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾، وفي موضع آخر ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ أي: أهلكهم(١).

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي: طلوع الشمس من مغربها ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ طلوعها من مغربها أو خروج دابة الأرض(٢).

﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ تلك الآية، لأنَّ تلك الآية متصلة بالساعة، فهو بمنزلة التوبة بعد رفع الحُجُب ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ قيل: آمنت باللسان ولم تخلص بالقلب، والصحيح: أنَّ المراد بقوله ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ أراد الصبيان إذا ولدوا علىٰ الفطرة قبل طلوع الشمس من مغربها، ثم أدركوا بعد طلوعها وآمنوا عند الإدراك، كان لهم حكم الإيمان(٣).

---

(١) نحوه في معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٠٧، فلعل المصنف صدر عنه.

(٢) في صحيح البخاري (٤٦٣٥) ومسلم (١٥٧) هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « لا تقوم الساعة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل».
وفي صحيح مسلم (١٥٩) عن أبي ذر أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال يوما: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «إن هذه تجري حتىٰ تنتهي إلىٰ مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتىٰ يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتىٰ تنتهي إلىٰ مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتىٰ يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتىٰ تنتهي إلىٰ مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها»، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أتدرون متىٰ ذاكم، ذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا».

(٣) هذا قول الكلبي في تفسيره (تنوير المقباس ١٢٣) وهو قول غريب، غير معروف في كتب التفسير، ولا ذكره من يعتني بجمع الأقوال، انظر: النكت والعيون ٢/ ١٩١، زاد المسير ٢/ ٩٦.

وقوله ﴿أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾يعني: قد آمن قبل طلوع الشمس من مغربها وعمل من الأعمال الصالحة قبلها، فإنه ينفعه الإيمان، وفي غير هذين لا ينفعه الإيمان، فالكافر إذا آمن بعد ذلك لا يقبل إيمانه وتوبته.

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ أي: انتظروا الموت والعذاب، إنَّا منتظرون: إلينا رجعتكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾ تركوا الإسلام ﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ صاروا فِرقًا مختلفة[١] ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ كلمة تقتضي التبعيد جدًا، أي: لا يجمعكم وإياهم سبب، وقيل: ليس عليك قتالهم، وهذا منسوخ بآية السيف[٢].

وقيل: ليس بيدك توفيقهم وخذلانهم.

---

(١) جمهور المفسرين أن المراد اليهود والنصارىٰ، وهم الذين فرقوا دينهم (البسيط ٨/ ٥٥٠)، وقيل إنهم المشركون.

(٢) وهذا علىٰ قول الكلبي والسدي، أن معنىٰ لست منهم في شيء أي لست من قتالهم في شيء ولم تؤمر به (البسيط ٨/ ٥٥٤).

ولكن الصحيح أن المعنىٰ: أنت بريء منهم، وهذا مروي عن بعض السلف (تفسير الطبري١٢/ ٢٧٢) والبراءة لا يدخلها النسخ.

قال ابن الأنباري: معنىٰ ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ أنت منهم بريء، وهم منك برآء لم تلتبس بشيء من مذاهبهم، والعرب تقول: إن كلمت فلانًا فلست منك ولست مني، يريدون: كل واحد منا بريء من صحبه.

قال ابن جرير: قوله ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ إعلام من الله نبيَّه محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء، ومن الأحزاب من مشركي قومه، ومن اليهود والنصارىٰ. وليس في إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم...، وإذ كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم، وقوله: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ؛ ولم يكن في الآية دليلٌ واضح علىٰ أنها منسوخة؛ ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبرٌ؛ كان غير جائز أن يُقْضَىٰ عليها بأنها منسوخة (تفسير الطبري ١٢/ ٢٧٣).

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مجازاتهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾ من الكفر في الدنيا.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ من سبَّح أو هلَّل أو عمل شيئًا من الطاعات فله عشر أمثالها في التضعيف، إلىٰ ما لا يحصىٰ.

وقيل: يجازىٰ بكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة يضعف كل عشرة منها بعشرة، فتصير الحسنة الواحدة مائة في ميزانه[١].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشرك ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: النار.

وقيل: معصية بواحدة.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٠﴾ أي: لا يعاقبون بأكثر مما استوجبوا.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: أرشدني إلىٰ دين قائم فأجبته ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ جوابًا[٢]، نصب على البدل[٣] ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ﴾ إبراهيم ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٦١﴾ بالله في تلبيته كما تفعلون أنتم.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ ديني وعبادتي، وقيل: ذبيحتي وقرابيني[٤] ﴿وَمَحْيَايَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَمَاتِي﴾ أي: جميع طاعاتي وما يلحقني من أعمال أمتي التي سننتُها، كلها ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾.

---

(١) انظر: الكشف والبيان ١٢/ ٢٨١، البسيط ٨/ ٥٥٥.

(٢) وليس هذا تفسير لـ«قياما»، إنما هو من تكملة كلامه، ومعناها القويم المستقيم (الكشف والبيان ١٢/ ٢٨٣).

(٣) استوعب الثعلبي خلاف النحاة في أوجه انتصابه (الكشف والبيان ١٢/ ٢٨٣، وانظر: البسيط ٨/ ٥٥٩).

(٤) تفسير الطبري ١٢/ ٢٨٤.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: بالتوحيد والإخلاص ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ من أهل زماني[١].

وقيل: من أهل مكة، وقيل: أنا أول من أجاب الله ببلىٰ يوم الميثاق[٢].

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ أي: أطلب معبودًا ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ومالكه ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من الذنوب ﴿إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا يؤخذ بريء بذنب غيره، ولا تحمل حاملة ذنب أخرىٰ طوعًا، لأنهم قالوا: لو رجعت إلىٰ دين آبائك فكل وزر يحصل لك فهو علينا، فأجابهم الله بذلك.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ منقلبكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ١٦٤﴾ في الدنيا من أمر الدين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سكانًا للأرض خلفًا من الجان، وقيل: أراد أنَّ أمة محمد خلفاء الأمم الماضية ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: فضائل في العلم والشرف ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ كيف صنيعكم في ما خولكم الله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ بمن كفر ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ١٦٥﴾ لمن تاب من الشرك.

قال عبد الحميد الحاكمي: «بلغنا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: نزلت سورة الأنعام ومعها سبعون ألف ملك، قائدهم جبريل، لهم زجل بالتسبيح والتهليل، طبقوا ما بين السماء والأرض، ثم قال: يا محمدًا من قرأها

---

(١) وهو قول الكلبي، كما في تنوير المقباس ١٠٦.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٢٨٥، الكشف والبيان ١٢/ ٢٨٥.

من أمتك إيمانًا واحتسابًا صلَّىٰ عليه السبعون ألف ملك الذين شيَّعوا بها إليك، فخرَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ساجدًا، وقال: سبحان الله»[1].

والله أعلم بمعاني كلامه.

(١) رواه ابن الضريس في فضائل القرآن ٢٠١، والمستغفري في فضائل القرآن (٧٨٢) وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ١٢/ ٩.
وهو حديث منكر، تفرد به أبان بن أبي عياش، وهو متروك.
والحديث في الأصل جزء من حديث أبي بن كعب الطويل الموضوع في فضائل سور القرآن سورة سورة، كما في فضائل القرآن للمستغفري (١١٧٣).

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
التعريف بالمصنف ٧
التعريف بتفسير الحاكمي ١٢
مصادر الحاكمي في تفسيره ١٤
الأصل الأول: «تهذيب جامع العلوم» ١٥
الأصل الثاني: «الموضح في التفسير» ١٨
الأصل الثالث: «كتاب التنزيل» ٢١
الأصل الرابع: «معاني القرآن» ٢٢
الفروع ٢٣
فضائل القرآن في تفسير الحاكمي ٢٦
منهج الحاكمي في التفسير ٢٩
التعريف بالنسخة الخطية: ٣٤
بسم الله الرحمن الرحيم ٤٥
سورة الفاتحة ٥٣
السورة التي تذكر فيها البقرة ٥٧
سورة آل عمران ٢٢٣
سورة النساء ٣٠٥
السورة التي يذكر فيها المائدة ٣٧١
سورة الأنعام ٤٣٥

تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

تأليف

عبد الحميد بن عبد المجيد الحاكمي

(ت: بعد ٥١٤هـ) رحمه الله

تحقيق

أ. د. أحمد بن فارس السلوم

عفا الله عنه

دار ابن حزم

تفسير الحاكمي

المسمى

تحليل الدرر

٢

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

9 789959 859426

ISBN: 978-9959-859-42-6

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

تأليف

عبد الحميد بن عبد المجيد الحاكمي

(ت: بعد ٥١٤هـ) رحمه الله

تحقيق

أ. د. أحمد بن فارس السلوم

عفا الله عنه

المجلد الثاني

(سورة الأعراف - سورة طه)

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

مكية غير قوله عز وجل: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ نزلت بالمدينة، ذكر في التهذيب والمهذب[١]، وذكر في الموضح: هذه الآية إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾[٢].

مائتا آية وست[٣].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ أنا الله أعلم وأبصر[٤].

وقيل: قَسَم أقسَمَ الله بآلائه ولطفه ومجده وصِدقه[٥] أن هذا الكتاب ﴿[كِتَٰبٌ] أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لتنذر به أهل مكة، وعظة للمؤمنين ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ

---

(١) ذكره كذلك في الكشف والبيان ١٢/ ٢٩١، البيان في عد آي القرآن ١٥٥، زاد المسير ٢/ ١٠٠.

(٢) وهذا قول مقاتل، كما في زاد المسير ٢/ ١٠٠، الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٦٠.

(٣) هذا علىٰ العد المدني والمكي والكوفي، وهي ٢٠٥ في البصري والشامي (البيان ١٥٥).

(٤) روي عن ابن عباس وابن جبير(تفسير الطبري ١٢/ ٢٩١، تفسير أبي الليث ١/ ٥٠٢).

(٥) روي عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، (تفسير الطبري ١٢/ ٢٩٢، الكشف والبيان ١٢/ ٢٩٣.

تنبيه:

في بعض المصادر (كتفسير الطبري ١٢/ ٢٩١، والكشف والبيان ١٢/ ٢٩٤، والبسيط ٩/ ٧، النكت والعيون ٢/ ١٩٨، زاد المسير ٢/ ١٠٠) عن ابن عباس: أنا الله أفضل. بالضاد المعجمة، وهذا تصحيف، صوابه بالصاد، أي: أنا الله أفصل.

وذلك جلي وضح، فإن قول ابن عباس مشتق من بعض حروف الهجاء، ولا ضاد في هذه الحروف، ولذا فقد زاده السمرقندي وضوحا في (تفسيره ١/ ٥٠٢)، فقال: عن ابن عباس: أنا

حَرَجٌ مِّنۡهُ﴾ أي: ضيق مما تؤمر به من الإبلاغ، وهو مقدَّم ومؤخر، وسبب ذلك أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يخاف الكفار في تبليغ الرسالة حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾.

[﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾].

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ اعملوا به ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ أي شركاء ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ أي: ما أقل ما تتعظون، وقيل: لا تتعظون البتة.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ أي: قومها من الأمم الماضية ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ أي ليلاً ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ نائمون نصف النهار غير متوقعين بذلك.

﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ أي: قولهم وصراخهم ﴿إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾ علىٰ أنفسنا بالشرك والمعاصي.

﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ يعني الأمم، سؤال توبيخ وتقريع للكفار، وسؤال تنبيه للمؤمنين، وسؤال الرسل بالجحود من الأمم، وقلنا لهم: هل بلغكم رسلي رسالتي؟ ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦﴾ هل بلَّغتم رسالتي إليهم.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ﴾ أي: لنخبرنَّ كل واحد منهم بما عملوا، أو لنحاسبنَّهم بعلم منَّا ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ حين كذبت الأمم رسلهم.

﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ﴾ أي: وزن الأعمال كائن [بـ] عدل[1] ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ رجحت حسناته في الميزان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨﴾ السعداء.

الله أعلم وأفصل، معناه: أعلم بأمور الخلق، وأفصل الأحكام والمقادير.. وعلىٰ الصواب ورد في تفسير الطبري تحقيق التركي ١٠/ ٥٢، وتفسير السمعاني ٢/ ١٦٣.

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٥٧.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ وهم المشركون ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ بذهاب رأس مالهم، وهو هلاك النفس ونفس رأس المال ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ أي: يجحدون.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مكّناكم وعمّرناكم ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ أي تأكلون وتشربون ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾ أي: قليل شكركم بنعم ربكم إذ جحدتم وحدانيته.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي قدرنا خلق أبيكم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي صورنا آدم بين مكة والطائف.

الخلق: إيجاده، والتصوير تغييره من حال إلىٰ حال[1].

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ «ثم» هاهنا علىٰ سبيل الإخبار لا علىٰ الترادف[2] ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ وإبليس في ذلك اليوم لم يكن إبليس، ولكن بترك السجود صار إبليس، أي: خضعت الملائكة كلهم إلا الذي صار إبليس.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ بالسجود لآدم، استفهام توبيخ ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ معني عن ذلك إني خير منه ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ وهي النور ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ وهو الظلمة، فلعنه الله حين جهَّل ربه في التفضيل.

---

(١) أي: شق سمعه وبصره وأصابعه، وتقلبه من طور إلىٰ طور (انظر: الكشف والبيان ١٢/ ٣٠٥).

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٥٠٥، الكشف والبيان ١٢/ ٣٠٥.

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الأرض إلىٰ جزائر البحور[1] ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ يا خبيث ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ أي: تتعظم في الأرض علىٰ آدم ﴿فَٱخْرُجْ﴾ من الأرض ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ يعني الأذلاء.

﴿قَالَ﴾ الخبيث حينئذ ﴿أَنظِرْنِىٓ [إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾]﴾ أجلني ولا تُمِتْنِي إلىٰ يوم تحشر الخلائق من قبورهم، أراد اللعين ألا يذوق الموت، فأجابه الله وقال: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ إلىٰ يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولىٰ نفخة الصعق.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أي: كما أغويتني، دعوتني إلىٰ شيء غويت بسببه، وهو سجود آدم، وقيل: فبما أغويتني قسم أقسم -لعنه الله- بصفة الله[2].

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ أي: لأرصدن طريق بني آدم فأصدهم عن دينك الإسلام، وطريقك المستقيم.

﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من قِبل الآخرة، وأخبرهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من قِبل الدنيا، وآمرهم بجمع المال ومنعه عن حقه ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قِبل دينهم، الهدىٰ فأزيِّن لهم الضلالة والغواية ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من قِبل الشهوات، أزيِّنها لهم ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ مؤمنين موحدين، ولم يعلم حقيقة ذلك، ولكنه ظنَّ فكان كما ظنَّ، قال الله تعالىٰ ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾.

---

(١) وهذا تفسير الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ١/ ٥٠٥، وأهل التفسير علىٰ أن الضمير في منها عائد إلىٰ الجنة، أي اهبط من الجنة وهذا الذي لم يذكر الطبري سواه (تفسير الطبري ١٢/ ٣٢٩، البسيط ٩/ ٤٦).

وقيل: من السماء إلىٰ الأرض، ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ١٢/ ٣١٠، وهو محتمل كذلك، لأن فيه معنىٰ الهبوط، أما علىٰ قول الكلبي فلا يتحقق فيه الهبوط.

(٢) البسيط ٩/ ٤٩.

﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ من صورة الملائكة[1] ﴿مَذۡءُومٗا﴾ معيبًا مطرودًا، والذمُّ العيب والطرد ﴿مَّدۡحُورٗاۖ﴾ مبعدًا عن كل خير ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ لام القسم ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾ أي لأُدخلن، جواب القسم ﴿جَهَنَّمَ [مِنكُمۡ]﴾ منك وممن اتبعك منهم ﴿أَجۡمَعِينَ ١٨﴾ أي من بني آدم.

وقال لآدم ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة.

﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي زيَّن. سُمِّي شيطانًا لبُعده من رحمة الله.

وفي موضع: «وسوس إليه»، والفرق بين الوسوسة له والوسوسة إليه أنَّ ما كان «له» فيه إيهام النصيحة، والوسوسة «إليه» إلقاء المعنىٰ في قلبه يغترُّ به[2].

ووصول الوسوسة إليهما وهما في الجنة وإبليس في الأرض مختلفٌ فيه.

قال الحسن: أوصل الوسوسة إليهما وهما في الجنة وهو في الأرض بالقوة التي خلقها الله تعالىٰ له في الوسوسة[3].

وأكثر العلماء علىٰ أنه دخل بين لحيي الحية، وأقام في رأسها، أتىٰ باب الجنة ونادىٰ يا آدم ويا حواء، فأجاباه، فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ﴾ تحييان حياته.

---

(١) هذا القول غريب، فقد فسر الكلبي هذه الآية بأنه الخروج من الجنة (البسيط ٩/ ٥٧)، والمصنف يعتمد عليه، ولكنه تركه في هذا الموضع لأنه يخالف ما ذهب إليه آنفا في معنىٰ الهبوط. والمفسرون علىٰ أن المراد هنا: اخرج من الجنة (تفسير الطبري ١٢/ ٣٤٢، تفسير أبي الليث ١/ ٥٠٦).

(٢) وقال الزمخشري: معنىٰ وسوس له: فعل الوسوسة لأجله، ووسوس إليه: ألقاها إليه ليبدي جعل ذلك غرضا (الكشاف ٢/ ٩٤)، وانظر: التفسير الكبير للرازي ١٤/ ٢١٨.

(٣) التفسير الكبير للرازي ١٤/ ٢١٧.

قوله: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ أي: يظهر ما ستر من عورتهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ تعيشان أبدًا ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ مع الخالدين، مِن حُرم أهل الجنة الذين خلقوا فيها.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ حلف لهما أنها شجرة الخُلد، وهو لهما من الناصحين ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ أي: قرَّبهما من الشجرة علىٰ غرور ومكر منه.

والغرور: هو القول الذي يكون ظاهره نصيحة وباطنه خيانة.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي أكلا من الشجرة ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ ظهرت عوراتهما ﴿وَطَفِقَا﴾ عمدا وقصدا ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: يلزقان علىٰ عوراتهما من ورق التين استحياءً[1] ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ أي: دعاهما يا آدم ويا حواء ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي: عن الأكل منها ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ ظاهر عداوته.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: تجاوز عنَّا ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ تعطف علينا، ناب الواو عن تكرار لم ﴿لَنَكُونَنَّ﴾ أي: نصيرنَّ ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟﴾ انزلوا من الجنة ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدم وحواء وإبليس والحية، ويقال: طاووس كان معهم ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: موقع قرار ومعاش ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ أي: منفعة ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ منتهىٰ آجالكم.

ويحتمل أنهما سألا العود إلىٰ الجنة قبل الموت حتىٰ أجيبا: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: تُبعثون بعد الموت والدفن فيها.

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٥٠٨.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾ أي: خلقنا لكم لباسًا ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ يستر عوراتكم، وقيل: أراد به إنزال المطر، لأن ما اتخذ منه الثياب كلها لا يستغني عن المطر[1] ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ أي: ما فيه جمال وزينة، والرياش المال ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ أي: ما يلبس به العورة هو لباس التقوىٰ، أي: المتقين، وقيل لباس التقوىٰ هو التوحيد والعفة والحياء ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ من كل لباس ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي تدل علىٰ وحدانيته، وتدعو علىٰ تفريده ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ أي: يتعظون ويعتبرون.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ﴾ لا يضلنكم عن طاعة الله عز وجل ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ احتال في أمر أبويكم حتىٰ أخرجهما من الجنة ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي: لا ينزع عنكم النعم التي وعدتكم كما نزع عن أبويكم لباسكما ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾ عوراتهما ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني الشيطان ﴿يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ جنوده من الشياطين ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ لأنه يجري منكم مجرىٰ الدم، وصدوركم مسكن لهم، وأعينكم حجاب لهم ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ [أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧]﴾ قرناء الكافرين وسوينا بينهم في البُعد عن الله تعالىٰ.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ﴾ من تحريم البحيرة وغيرها من المنهيات من الأنعام والحرث[2] ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ أي: بتحريمها ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٥٠٩.

(٢) وقيل: المقصود بالفاحشة، الطواف بالبيت عراة، وما أحسن هذا القول ومناسبته لقصة آدم وحواء، وفي صحيح مسلم (١٢١٩) عن عروة قال: كانت العرب تطوف بالبيت عراة، إلا الحمس، والحمس قريش وما ولدت، كانوا يطوفون عراة، إلا أن تعطيهم الحمس ثيابا، فيعطي الرجال الرجال، والنساء النساء، وكانت الحمس لا يخرجون من المزدلفة، وكان الناس كلهم يبلغون عرفات.

يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ والمعاصي ﴿أَتَقُولُونَ﴾ بل تقولون ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أنه حرام عليكم.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ بالحق، ودعوة الحق، وهو: أن يستوي الإناث والذكور في منافع الأنعام ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ معناه: أمرني أن أقسطوا وأقيموا وجوهكم، أي استقبلوا بوجوهكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في كل صلاة إلىٰ جانب الكعبة ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ بالتوحيد، ولا تشركوا به شيئًا ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: كما بدأكم في اللوح المحفوظ تعودون إليه أشقياء أم سعداء، قيل: كما خلقكم أولاً من التراب تعودون ترابًا، وقيل: كما بدأكم يوم الميثاق تعودون بعد الممات[(١)].

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ أرشدهم لدينه ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ فأضلهم وعاقبهم ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أطاعوهم في عبادة الأصنام ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ إلىٰ الحق.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ البسوا ثيابكم، ما يواري عوراتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: صلاة ﴿وَكُلُوا۟﴾ من اللحم والدسم، وقيل: كلوا من لحم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾ من ألبانها[(٢)].

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ بتحريم هذه الأشياء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[(٣)].

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٢/ ٣٨٢، وهي أقوال مؤتلفة غير مختلفة، لإمكان الجمع بينها كلها.

(٢) الكشف والبيان ١٢/ ٣٣٩.

(٣) في صحيح مسلم (٣٠٢٨): عن ابن عباس، قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: من يعيرني تطوافا؟ تجعله علىٰ فرجها، وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ أي: من منع عن لبس الثياب التي أخرجها الله لعباده من الأرض ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ الحلالات اللذيذات منه ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مشتركة بين الكفار ﴿خَالِصَةً﴾ للمؤمنين ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا يشركهم الكفار ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: نبيِّن لهم ما أحللنا.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ يعني الزنا في الظاهر، والمخالَّة في السر[1]، وكانوا يستحسنونه سرًا ويستقبحونه في العلانية، ثم قال ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ قيل: هو الخمر والمعاصي أيضًا.

وقيل: الذنوب دون الحد.

﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الاستطالة والظلم علىٰ الناس ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ يعني الإشراك بالله ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ كتابًا ولا حجة ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ من تحريم الحرث والأنعام.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة لانقضاء أعمارهم، وقيل: لكل أهل دين أجل وقت هلاكهم ومده لاستئصالهم[2] ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: انقضت أعمارهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ عند نزول العذاب طرفة عين ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ قبل وقته طرفة عين.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ مهما يأتينكم ومتىٰ ما[3] يأتينكم ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾

فنزلت هذه الآية ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

(١) في الأصل: المخالفة في السر، وقد تكرر منه هذا التصحيف، وهذا التفسير مشهور بين المفسرين، انظر: الكشف والبيان ١٢/ ٣٤٢، زاد المسير ٢/ ١١٥.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٤٠٥، الكشف والبيان ١٢/ ٣٤٣.

(٣) كتبها في الأصل متصلة، وانظر: تفسير أبي الليث ١/ ٥١٣، تفسير السمعاني ٢/ ١٧٩.

آدميون[1] ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ بالأمر والنهي ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك وتاب منه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أي: آمن بالرسول وأصلح العمل بينه وبين ربه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ﴾ أي: تعظموا وتكبروا عن الإيمان ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أيُّ شيء أشنع من الكذب على الله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ بكتبه ورسله، والأعاجيب التي في أرضه وسمائه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ﴾ ما كتب لهم في اللوح المحفوظ من العذاب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحهم ﴿قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ أي: اشتغلوا بأنفسهم عنَّا، وذهبوا عنَّا، وبطلت عبادتنا إياهم ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أقروا عند الممات وفي القيامة ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ أي: مضت على منهاجكم قبلكم ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ﴾ أخت الشيء: جنسه الموافق له في المعنى.

لعنت أختها: أهل ملتها التي تقدمتها، يلعن المشركون المشركين واليهودُ اليهودَ والنصارىٰ النصارىٰ[2].

والمصنف على مذهب سيبويه في تفسير: أمَّا، فإنه يفسرها بـ «مهما يكن من شيء» (الإتقان ٢/ ١٩٧).

(١) في الأصل: أميون، وهو تصحيف لا معنىٰ له، والتصحيح من تفسير الكلبي: تنوير المقباس ١٢٦. وانظر: تفسير أبي الليث ١/ ٥١٣، الهداية ٤/ ٢٣٥١.

(٢) الكشف والبيان ١٢/ ٣٤٦، البسيط ٩/ ١٢٠.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾ أي: اجتمعوا فيها وتداركوا فيها، أي: النار ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ دخولاً، وقيل: أُخرىٰ الأمم [﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾] لأول الأمم، أو لأولهم دخولاً[(١)].

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ عن دينك وأمرونا بالضلالة ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابًا ضِعۡفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ أي: ضعفي ما علينا ﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ ﴿لِكُلٍّ ضِعۡفٌ﴾ أي: لكل واحد من القادة والأتباع ضعفٌ، أي: عذاب مضاعف ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ أنتم ما عليهم.

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ﴾ أي: القادة ﴿لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾ أي: للسِّفلة ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٍ﴾ بتخفيف العذاب، كفرتم كم كفرنا، فأنتم ونحن سواء، قال الله تعالىٰ ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ من الشرك والتكذيب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ أي: تعظَّموا عن الإيمان ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ﴾ أي: لأعمالهم ﴿أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ ولا لأرواحهم عند القبض، وعمل المؤمن يصعد إلىٰ الله كل صباح أو[(٢)] مساء، وإذا مات فُتِحَتْ أبواب السماء لروحه[(٣)]

---

(١) الفرق بين القولين: أن الأول المقصود منه اعتبار الأمم كلها، بينما الثاني في الأمة الواحدة، قال مقاتل: يعني أخراهم دولا النار وهم الأتباع، لأولاهم دخولا وهم القادة (تفسير مقاتل ١/ ٧٨٨، الكشف والبيان ١٢/ ٣٤٧، البسيط ٩/ ١٢٠).

(٢) كذا في الأصل، وفي صحيح مسلم (١٧٩) عن أبي موسىٰ، قال: قام فينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: «إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - وفي رواية أبي بكر: النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه».

فهذا يدل علىٰ أن الأعمال ترفع مرتين، صباحا ومساءً.

(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٤٢١، الكشف والبيان ١٢/ ٣٤٨، البسيط ٩/ ١٢٨.

﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ أي: في ثقب الإبرة وهذه غاية الإياس ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤٠﴾ أي: نعاقب المشركين.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾ أي: فِراش ﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾ جمع غاشية، وهو الغطاء، أي: يكونون بين أطباق النار؛ فيكون فراشه غاشية لغيره، وغاشيته فراشًا لغيره؛ لقوله: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ﴾[1].

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾ الكافرين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من أداء الفرائض واجتناب المحارم ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ أي: مقدار وسعهم، ولا يكلفون فوقه، يأمر بالطاعة بقدر الطاقة[2]، وقيل: وسعه دون طاقته[3] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٤٢﴾.

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ﴾ أي: أخرجنا ما في قلوبهم من حقد بعضهم على بعض؛ حتى طهَّر الله أجوافهم ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي: الشكر لله الذي هدانا لهذا المنزل؛ وما أثابنا في الجنة من النعيم، والمِنّة له علينا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ﴾ إلى الإيمان ﴿لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ إلى الإيمان وثوابه ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: بكون هذا اليوم صدقًا

---

(١) الكشف والبيان ١٢/ ٣٤٩، البسيط ٩/ ١٣١، وفيه: قال المفسرون في هذه الآية: هذا إخبار عن إحاطة النار بهم من كل جانب، فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولِحاف.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٣٨.

(٣) لم أقف عليه. وعرف الزمخشري الوسع فقال: الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح (الكشاف ٢/ ١٠٤)، وقال الرازي: معنى الوسع ما يقدر الإنسان عليه في حال السعة والسهولة لا في حال الضيق والشدة والدليل عليه: أن معاذ بن جبل قال في هذه الآية إلا يسرها لا عسرها. وأما أقصى الطاقة يسمى جهدا لا وسعا وغلط من ظن أن الوسع بذل المجهود. (التفسير الكبير ١٤/ ٢٤٢).

فصدقناهم ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ أورثكم الله نصيب الكفار إذ لم يؤمنوا ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ أي: بطاعتكم.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ أي: مِن الثواب صدقًا ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ﴾ أي: خوفكم من العذاب صدقًا ﴿قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ وجدنا، وجواب الاستفهام إذا دخل على النفي يجاب بنعم، ولو كان فيه نفي يجاب ببلى ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ قال ابن عباس: المؤذن جبريل قائم في أعلى غرفة[1]، وقيل: مالك خازن النار.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يصرفون الناس عن دين الله ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾ أي: يطلبون في ذلك السبيل ﴿عِوَجٗا﴾ تغيُّرًا وتحريفًا وزيغًا ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ جاحدون.

﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ﴾ أي: بين أهل الجنة وأهل النار سور أو ستر ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾ يعني: على السور رجال[2].

قال ابن عباس: هم سبعون رجلاً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليس معهم امرأة، كان لهم من الحسنات مقدار ما جاوزوا الصراط، ثم طفأ نورهم حيث تسنموا السور، فبقوا في مكانهم، وهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم[3].

---

(١) لم أجد هذا القول، والمفسرون يفسرون: نادى منادٍ، ومنهم من يقول: من الملائكة، ولم يعينوه (الكشف والبيان ١٢/ ٣٥٤، الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٠٩).
بل ذكر الواحدي (في البسيط ٩/ ١٤٦): قال ابن عباس: «وذلك المؤذن من الملائكة وهو صاحب الصور». والظن أن هذا من مرويات الكلبي، وإلا لوجدناه في كتب التفسير المأثور.

(٢) الأعراف جمع عُرف، وكل مرتفع من الأرض يسمى عرفا، ولا خلاف بينهم أنه السور (تفسير الطبري ١٢/ ٤٤٩، الكشف والبيان ١٢/ ٣٥٤).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وقد روي عنه بألفاظ متقاربة.

وقيل: هم الذين استشهدوا في عقوق الوالدين(١).

وقيل: العلماء الذي يشكُّون أمر الرزق(٢).

﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أهل الجنة بإشراق وجوههم، وأهل النار بسواد وجوههم ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ يعني أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ في دخولها.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ عُدلت أبصارهم ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ تجاه أهل النار ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الكافرين.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ بسواد وجوههم وزُرقة أعينهم ﴿قَالُوا﴾ يا أبا جهل، ويا وليد بن المغيرة، ويا فلان، ويا فلان، قالوا ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ من المال والولد من عذاب الله ولم ينفعكم ذلك ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: لم ينفعكم تكبُّركم، ثم عيَّروهم وقالوا:

وهذا أشهر الأقوال وأصحها، مروي عن ابن مسعود وحذيفة وابن عباس، وطائفة من التابعين، انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٤٥٢، تفسير أبي الليث ١/ ٥١٧، الكشف والبيان ١٢/ ٣٥٦.

وروىٰ فيه ابن جرير حديثا مرسلا عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال: سئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال: «هم آخر مَنْ يفصل بينهم من العباد، وإذا فرغ ربُّ العالمين من فصله بين العباد قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلكم الجنة، وأنتم عُتقائي، فارعوا من الجنة حيث شئتم». إسناده حسن لكنه مرسل.

(١) وهو مروي عن شرحبيل بن سعد، انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٤٥٧، الكشف والبيان ١٢/ ٣٥٧، وفيه حديث ضعيف رواه الطبري في التفسير.

(٢) وهو أحد قولين للكلبي، كما في تنوير المقباس ١٢٨.

وروي عن مجاهد لكن بلفظ: قوم صالحون فقهاء علماء (تفسير الطبري ١٢/ ٤٥٨).

وشذ قولٌ أن أصحاب الأعراف هم ملائكة (رواه ابن جرير في التفسير عن أبي مجلز).

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ أي: الضعفاء الذين في الدنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ أي: لا يدخلهم الله الجنة، هاهنا وقف تام[١].

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ يقول الله لأهل الأعراف: ادخلوا الجنة[٢] ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ من الحساب ﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾ مما ينزل بأهل النار من العذاب.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ من نعيم الجنة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ أي: منعهما عنهم، ثم نعتهم فقال:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾ الإسلام ﴿لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ استهزاءً وباطلاً وفرحًا ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ عن طلب الآخرة ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ [كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا]﴾ نتركهم في النار كما تركوا العمل في الدنيا لهذا اليوم ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ أي: بما جحدوا بمحمد والقرآن.

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ﴾ أي: أنزلنا إلىٰ أهل مكة القرآن ﴿فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ أي: بيّناه بعلم منّا ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾ أي: هاديًا وراحمًا.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾ أي: لا ينتظرون -أهل مكة- في كفرهم إلا عاقبة ما يؤول إليه أمرهم من العقاب ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ أي: عاقبته ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ﴾ أي: تركوا الإيمان والطاعة في الدنيا ﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ بالبيان من أمر البعث فلم نؤمن بها ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ﴾ إلىٰ

---

(١) لأنه آخر قول أصحاب الأعراف، وما بعده من قول الله تعالىٰ (المكتفىٰ ٧٧).

(٢) وعلىٰ هذا فقد دل القرآن علىٰ أن أهل الأعراف يدخلون الجنة (تفسير الطبري ١٢/ ٤٦٩، الكشف والبيان ١٢/ ٣٦٢).

وقد قيل: إن الآية كلها من مقول الله عز وجل، وهو مروي عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وهو اختيار ابن جرير.

الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ في الدنيا ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بذهاب الجنة ودخول النار ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: بطل افتراؤهم أنَّ الآلهة تشفع لهم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الآخرة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: استوىٰ أمره علىٰ العرش، وهو قول الحسن(١).

وقيل: استوىٰ في علمه القريب والبعيد، لأنَّ العرش أبعد كل شيء.

وقال أهل اللغة: استوىٰ استولىٰ، وهو استواء قهر وتذليل وتسخير(٢).

---

(١) لم أجده عن الحسن فيما وقفت عليه من كتب التفسير.

(٢) وهذا تأويل المعتزلة، ويلزم منه أنه تعالىٰ كان مغالَبا عليه، ثم غلب، ولذا تبرأ أهل السنة من هذا القول، وقال الثعلبي: قال بعضهم استولىٰ وغلب وملك وهذه كلها تأويلات مدخولة لا يخفىٰ فسادها (الكشف والبيان ١٢/ ٣٦٥).
قال السمعاني: أول المعتزلة الاستواء بالاستيلاء.. وأما أهل السنة فيتبرؤون من هذا التأويل، ويقولون: إن الاستواء علىٰ العرش صفة لله تعالىٰ بلا كيف، والإيمان به واجب (تفسير السمعاني ٢/ ١٨٨).
وقال البغوي: قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد، وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء علىٰ العرش صفة لله تعالىٰ، بلا كيف، يجب علىٰ الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلىٰ الله عز وجل. وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه:٥] كيف استوىٰ؟ فأطرق رأسه مليا، وعلاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالا ثم أمر به فأخرج.
وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة: أمروها كما جاءت بلا كيف. (معالم التنزيل ٣/ ٢٣٦).
والعجب من إضافة المصنف ذلك إلىٰ أهل اللغة، فقد قال ابن الجوزي عن هذا التفسير: منكر عند اللغويين (زاد المسير ٢/ ١٢٨) ثم نقل عن ابن الأعرابي قال: العرب لا تعرف

وإنما خص العرش به لأنه أعظم كل مخلوق؛ فقهرُه يستدل علىٰ سائر المخلوقات. وقيل: استوىٰ أي عمد إلىٰ خلق العرش.

﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يغطي النهار بظلمة الليل ويغطي سواد الليل ضوء النهار ﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ أي: يطلب الليل ضوء النهار سريعًا حتىٰ يغلب بسواده بياضه، وقيل: يستمر علىٰ منهاج واحد من غير فتور[١].

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ أي: خلق الشمس والقمر ﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ﴾ مذلَّلات ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ نصب علىٰ الحال ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ أي: له الخلق والقضاء فيهم وله المشيئة ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ تعالىٰ الله بالوحدانية لم يزل ولا يزال.

تبارك: تفاعل من البركة، ولا يجيء منه المتبارك[٢]، خالق كل ذي روح.

استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال: استولىٰ فلان علىٰ كذا، إذا كان بعيدا عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه والله عز وجل لم يزل مستوليا علىٰ الأشياء والبيتان – يعني اللذين يستدلون بهما علىٰ هذا المعنىٰ - لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي؛ ولو صحا، فلا حجة فيهما لما بينا من استيلاء من لم يكن مستوليا، نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة.

(١) وجمع المفسرون بين هذين القولين، فقالوا: معنىٰ: ﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ هو أن يستمر الليل في طلب النهار علىٰ منهاج من غير فتور يوجب الاضطراب، كما يكون في السوق الحثيث، وهذا معنىٰ قول ابن عباس: لا غفلة له (البسيط ٩/ ١٧٤).

(٢) قال البغوي (في معالم التنزيل ٣/ ٢٣٦): ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: تعالىٰ الله وتعظم، وقيل: ارتفع، والمبارك المرتفع، وقيل: تبارك تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة، أي: البركة تكتسب وتنال بذكره، وعن ابن عباس قال: جاء بكل بركة. وقال الحسن: تجيء البركة من قِبله، وقيل: تبارك: تقدس، والقُدس: الطهارة، وقيل: تبارك الله أي: باسمه يتبرك في كل شيء، وقال المحققون: معنىٰ هذه الصفة ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال. وأصل البركة الثبوت، ويقال: تبارك الله ولا يقال: متبارك ولا مُبارك، لأنه لم يرد به التوقيف.

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ في حال التضرع، أي: تضرعوا تضرُّعًا واستكانة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ في الدعاء، والاعتداء في الدعاء أن يقول بحق جبريل وبحق فلان وفلان، وقيل: هو أن يلعن مؤمنًا.

﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد ما أصلحها الله بإرسال الرسل، وبإرسال محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ أي: خوفًا من عذابه، وطمعًا في ثوابه، وقيل: خوفًا ليس فيه قنوط، وطمعًا ليس فيه أمن[(١)].

﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦﴾ الموحدين، القريب: إذا كان بمعنىٰ المكان يستوي فيه المذكر والمؤنث، ويفترقان في القرابة بالنسب[(٢)].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ واتصال الآية: يعني من رحمته أنه يرسل الرياح قُدَّام المطر ﴿بُشۡرَۢا﴾[(٣)] قال الفرَّاء: النَّشر من الرياح الطيبة اللينة التي ينشئ السحاب[(٤)].

وقرئ: نَشُرًا أي: نَشرًا وهو جمع نشور[(٥)].

---

(١) الكشف والبيان ١٢/ ٣٧٨.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٤٤، الكشف والبيان ١٢/ ٣٨١.

(٣) في الأصل: نُشُرا، بالنون، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة المدنيين والبصريين وابن كثير، بضمتين في النون والشين. وقرأ ابن عامر مثلها لكن بسكون الشين: نُشْرا.
وقرأ حمزة والكسائي وخلف: نَشْرا، بالنون المفتوحة وسكون الشين.
وقرأ عاصم: بُشْرًا، كما أثبت، بضمة فسكون (النشر ٢/ ٢٧٠).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٨١.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٤٥، البسيط ٩/ ١٨٦.

وقرئ: بُشرًا أي مبشرات[١] ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ يعني المطر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾ أي: حملتْ ورفعت سحابًا ﴿ثِقَالًا﴾ بالماء ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ إلى بلد قحطٍ لا نبات فيها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ يعني بالريح، وقيل: بالسحاب، وقيل: بالبلد مطرًا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي: بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ من: ألوانها ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ نحييها ونخرجها من قبورهم لفصل القضاء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: تتعظون في أمر البعث.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ هذا مَثَل ضربه الله للمؤمنين، يعني الأرض الطيبة التي لا يكون فيها سبخة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ سهلاً كثيرًا، كذلك المؤمن يعمل الطاعات بلا عناء ومشقة.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ وهو مثل الكافر، يعني الأرض السبخة ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ إلا قليلاً بالكد والعناء، والنكد القليل الريع[٢] ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيِّنها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ربهم فيوحدونه.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ بالرسالة واللام للقسم ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: وحِّدوه وقيل: أطيعوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ ليس لكم رب سواه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ أعلم إن لم تعبدوه ﴿عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ وهو الغرق ثم النار إن لم تؤمنوا.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ وهم رؤساؤهم وأشرافهم ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ في خطأ بيِّن لمخالفة دين آبائك.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٨١، الكشاف ٢/ ١١١.

(٢) تصحف في الأصل: الكد القليل الربع، وانظر: تفسير الطبري ١٢/ ٤٩٥، تفسير أبي الليث ١/ ٥٢٤، البسيط ٩/ ١٩٤، الكشاف ٢/ ١١٢.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ ولا سفاهة ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ بالأمر والنهي ﴿وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾ بالدعاء إلىٰ التوحيد ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢﴾ أنه يعذِّبكم إن لم تؤمنوا.

﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ﴾ ألف استفهام -بمعنىٰ التوبيخ- دخلت علىٰ واو العطف، يعني: أتعجبون، وقيل: أتنكرون ﴿أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ وحيٌ ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ﴾ تعرفونه آدميٌ مثلكم ﴿لِيُنذِرَكُمۡ﴾ بالعذاب إنْ لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُواْ﴾ لكي تتقوا أي: توحدوا ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ أنقذناه من الطوفان ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ وهم ثمانون نفرًا ركبوا معه السفينة ﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾ ودلائل وحدانيتنا ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤﴾ قد عموا عن الإيمان.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ علىٰ معنىٰ: أرسلنا إلىٰ عاد ﴿أَخَاهُمۡ﴾ يعني من قبيلتهم ﴿هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ عبادة غير الله ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾ أي: جهالة وحُمق ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦﴾ في الرسالة، قيل: الظن هاهنا يقينٌ معناه[1].

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ﴾ جهالة ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾ علىٰ رسالة ربي.

﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ [ذِكۡرٞ]﴾ خبر، جاءكم وحي ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ﴾ آدمي ﴿لِيُنذِرَكُمۡۚ﴾ يخوِّفكم ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ﴾ بدلاً

---

(١) القولان في البسيط ٩/ ٢٠٤، وفيه: وقال أبو إسحاق فكفروا به ظانين لا مستيقنين، وهو قول الحسن، قال: كان تكذيبهم إياه علىٰ الظن لا علىٰ اليقين.

﴿مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ أي: في الطول والجسم فضيلة، كان أقصرهم ستين ذراعًا[(١)].

﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نِعمه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ تفوزون ببقاء الآخرة.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ﴾ أي: نترك ﴿مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ تخوِّفنا ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾.

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ﴾ وجب ﴿عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ﴾ عذاب وسخط ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي﴾ تخاصمونني ﴿فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ في أصنام نحتُّموها بأيديكم، وسميتموها آلهة ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها من السماء ﴿مِن سُلۡطَٰنٖۚ﴾ كتاب وحجة ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ لهلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُم﴾ لهلاككم ﴿مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ يعني هودًا ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ بنعمة منَّا ﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ استأصلناهم عن آخرهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢﴾.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ أي أرسلنا إلىٰ ثمود ﴿أَخَاهُمۡ﴾ في النسبة ﴿صَٰلِحٗاۚ﴾ وكان عربيًا، وثمود من العرب ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ أي بيان ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾ علىٰ صدق نبوتي.

آية: نصب علىٰ الحال[(٢)].

---

(١) وهذا من مرويات الكلبي ومقاتل، انظر: تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٠، الكشف والبيان ١٢/ ٣٩٢.

(٢) أي: انظروا إلىٰ هذه الناقة آية أي علامة (معاني القرآن الزجاج ٢/ ٣٤٩، التبيان ١/ ٥٨٠).

فخرجت الناقة من هذه الصخرة الملساء وبراء عُشراء، تمخضت الصخرة كما تمخض النساء، فخرجت الناقة منها على الصفة التي طلبتم[١].

وقوله: «هذه» ها للتنبيه، وذه اسم مبتدأ، وناقة الله خبره، ولكم تخصيص، وآية منصوب على الحال عمل فيه المقدر في ها، كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾[٢].

﴿فَذَرُوهَا﴾ أي خلُّوها سبيلها ﴿تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ ترعى في أرض، يعني الحِجر ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أي لا تصيبوها بعقْر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ بعد عقْرها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ مستخلَفين ﴿مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ أي بعد هلاكهم ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أسكنكم أرض حجر ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تبنون للصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ للشتاء ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعماءه عليكم ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ وواحد الآلاء: ألا[٣]، وقيل الآلاء النعماء في الخِلقة وقيل في الدين[٤].

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ أي: ألا تعلموا بالمعاصي.

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٥٢٨، البسيط ٩/ ٢٠٩، تفسير السمعاني ٢/ ١٩٣.

(٢) الدر المصون ٥/ ٣٦٢.

(٣) قال في تاج العروس (٣٧/ ٩٧): واحِدُها(إِلْيٌ) بالكسْرِ، (وأَلْوٌ)، بالفتْح، كدَلْوٍ وأَدْلاءٍ، (وأَلْيٌ)، بالياءِ، (وأَلًا) كرَحا وأرحاءٍ، (وإِلًى) بالكسْرِ، كمِعًى وأَمْعاءٍ، وعَلَى الأَخيرَةِ تُكْتَب بالياءِ فهُنَّ خَمْسٌ، اقتَصَرَ الجَوْهرِيُّ على الأَخيرَتَيْن، وزادَ السَّخاوي وزَكريا فِي شَرْحَيْهما على أَلْفيةِ المصطلح: أُلْيٌ بضمٍ فسكونٍ، وإِلْى بالكسْرِ من غيرِ تَنْوين.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٢٩.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ تعظموا عن الإيمان من قومه ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ أي استقهروا ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ علىٰ وجه السخرية ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ بالتوحيد وبرسالة صالح ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قتلوا الناقة يوم الأربعاء، عقرها قدار بن سالف، وكان رجلاً قصيرًا أعور، ومعه مصدع بن دهر[١] ﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ صيحة جبريل بُكرة يوم الأحد ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ﴾ أي: صاروا في محلتهم ﴿جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ ميتين سقوطًا علىٰ وجوههم وبطونهم جثوم الطير[٢]، وقيل: صاروا باركين علىٰ ركبهم، وقيل: خرجت نار من تحت أقدامهم فصاروا كالرماد الجاثم ميتين ساقطين علىٰ الوجوه[٣].

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أي: خرج صالح من بين أظهرهم قبل العذاب ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى﴾ بنزول العذاب ودعوتكم إلىٰ التوحيد ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ حذرتكم من عذابه ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ لم تقبلوا نصيحة الناصح.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ يعني: أرسلنا لوطًا حتىٰ قال لقومه ﴿أَتَأْتُونَ

---

(١) وقيل: مصدع بن مهرج (انظر: الكشف والبيان ١٢/ ٤٣، معالم التنزيل ٣/ ٢٤٧).

(٢) الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل (زاد المسير ٢/ ١٣٦).

(٣) تفسير أبي الليث ١/ ٥٢٩، زاد المسير ٢/ ١٣٦.

﴿ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ أي تستعملون اللواطة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ ممن كان قبلكم.

﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ أي: أدبار الرجال ﴿شَهۡوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ أي: هو أشهىٰ عندكم من فروج النساء ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ مُّسۡرِفُونَ ٨١﴾ مشركون.

والإسراف: الخروج عن حد الحق إلىٰ الفساد[1].

و«بل» تكون نفيًا لما تقدم، وإثباتًا لما بعده، ومعناه هاهنا: أعرضت عن ذكر قبائحكم بل أنتم قوم مسرفون[2].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ أي: قالت القادة للسفلة ﴿أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ﴾ يعنون لوطًا وابنتيه زعورا وريثا[3]، من مدينتكم: سَدوم ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢﴾ أي: يتنزهون من أدبار الرجال وأدبار النساء، عن ابن عباس[4].

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣﴾ تخلَّفت مع الهالكين.

﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم﴾ علىٰ مسافريهم ﴿مَّطَرٗاۖ﴾ من الحجارة ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٨٤﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول من عمل

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٥٤٨.

(٢) قال الواحدي: معنىٰ بَلْ هاهنا إضراب عن الأول إلىٰ جميع المعايب من عبادة الأوثان، وإتيان الذكران، وترك ما قام به البرهان، وعلىٰ هذا المعنىٰ دل كلام ابن عباس حيث قال: يريد جمعتم مع الشرك معصية لم يفعلها خلق قبلكم. (البسيط ٩/ ٢٢٠).

(٣) في الأصل: ربثا، والتصحيح من تفسير أبي الليث ١/ ٥٣٠، في تفسير الثعلبي ١٢/ ٤٣٧: زعورا ورثا.

(٤) رواه الطبري في التفسير ١٢/ ٥٥٠.

عملهم الخبيث قوم لوط، وذلك أن إبليس تمثَّل لهم في صورة غلام صبيح الوجه، ثم دعاهم إلىٰ دبره، ثم عبثوا بذلك العمل زمانًا، فلما كثر ذلك فيهم عجت الأرض إلىٰ ربها، فسمعت السماء، فعجت السماء إلىٰ ربها، فسمع العرش، فعجَّ العرش إلىٰ ربه، فأمر الله السماء أن تحصبهم، وأمر الأرض أن تخسف بهم[1].

قال مجاهد: لو أن الذي عمل ذلك العمل اغتسل بكل قطرة في السماء وبكل قطرة في الأرض ما زال نجسًا إلىٰ يوم القيامة[2].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ معناه: وأرسلنا إلىٰ مدين، ومدين: اسم ولد من أولاد إبراهيم، نسب البلد إليه فسمي باسمه، وكان أخوهم في النسب ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ علىٰ صدق نبوتي ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ إذا كِلتم ووزنتم، والإيفاء: هو الإتمام إلىٰ حد الحق ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ حقوقهم، البخس: النقص ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ أي: لا تعملوا بالشرك والمعاصي بعد ما أمرتكم بالصلاح ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني إيفاء الكيل والميزان ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس والنقصان ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ أي: علىٰ ممر الطريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ لأهل الإيمان بشُعيبٍ بالقتل، وقيل نهاهم عن قطع الطريق ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تصرفون الناس عن دين الله ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ أي: بالله ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: بملة الإسلام زيغًا ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ أي:

---

(١) وهو من رواية الكلبي، كما يظهر ذلك من الكشف والبيان ١٢/ ٤٣٦.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٥٣٠.

صرتم قليلاً بعد أن [أهلك] الأمم الخالية وكثركم ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: آخر أمر من كان قبلكم من المشركين.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ وهو التوحيد ﴿وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بالنجاة لنا والعذاب لكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ وشعيب لم يكن مأمورًا بالقتال فواعدهم.

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: تكبروا ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ﴾ أي: بك ﴿مِن قَرْيَتِنَآ﴾ مدين ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ فتجبروننا على ذلك، وقيل: معناه إنا كارهون لدينكم فلا نجيبكم إلى ذلك.

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ وأكرمنا بالهدى ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ إلا بمشيئة الله التي قد سبق في الأزل، وذلك غيب عنَّا، وتصديق ذلك قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط علمه بخلقه، من اهتدى منهم ومن ضل، وإنما حكى شعيب عن مؤمني قومه لأن كون الأنبياء على غير دين الحق لا يجوز أبدًا[1].

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ وثقنا بأنه ربنا يعصمنا ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ اقض بيننا ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ بحكمك العدل في نزول العذاب بهم وأنت أعدل القاضين.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ للضعفاء منهم ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ وآمنتم به ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ مغبونون.

---

(١) وفي ذلك أجوبة ذكرها العلماء، انظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٥٥، الكشف والبيان ١٢/ ٤٤٤، البسيط ٩/ ٢٣١، زاد المسير ٢/ ١٣٨.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة، وقيل أصابهم حر شديد ثم رُفِعَتْ لهم سحابة فخرجوا إليها يطلبون الرَّوْحَ تحتها فلما صاروا تحتها نزل العذاب، ورجفت بهم الأرض.

﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ ميتين محترقين.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ كأن لم يكونوا في تلك المنازل، وهي المغاني ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ﴾ صاروا ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ المغبونين.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ شُعيب قبل نزول العذاب، ولم تعذب أمة قط ما لم يخرج نبيهم من بينهم، فلما خرج ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ وقد أخبرتكم بنزول العذاب ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ دعوتكم إلىٰ التوحيد، وحذرتكم من العذاب ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ أي: أحزن عليهم بعد النصيحة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا﴾ عاقبناهم ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ أي: الشدة والقحط ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ البلاء والأمراض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ لكي يتضرع من أراد أن يتضرع.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ أي: حوَّلنا مكان الشدة والرخاء والخصب ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ كثروا، وكثرت أموالهم، ثم اغتروا بما رأوا من سعة العيش ﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ أي: أصابهم الفقر واليُسر، وليس ذلك من دعاء النبي وإنما هو عادة الزمان ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ بنزول العذاب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ الشرك ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ أنزلنا ﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أمطارًا مباركة، وأخرجنا من ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ نباتًا مباركًا ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ منعنا

عنهم القطر من السماء والنبات من الأرض بشركهم.

﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ مكة وغيرها ﴿أَن يَأۡتِيَهُم [بَأۡسُنَا]﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۝٩٧﴾ ليلاً وهم غافلون.

﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ﴾ نهارًا ﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩٨﴾ أي: يخوضون في الباطل.

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: عذاب الله جراء صنيعهم ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ عذاب الله وعقوبته ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ في العقوبة.

﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ﴾ الهداية: الدلالة المؤدية إلىٰ البغية[1]، معناه: أو لم نبيِّن فعلنا الذي قصصنا عليك من أنبائهم للذين يرثون الأرض من قومك من بعد أهلها، أي: من بعد هلاك أهلها[2] ﴿أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم﴾ يعني قومك ﴿بِذُنُوبِهِمۡۚ﴾ تم الكلام[3]، ثم قال ﴿وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ عقوبةً علىٰ ترك الاعتبار يختمها بالكفر ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝١٠٠﴾ الهدىٰ.

﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ نخبرك بهلاكها ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ كما جئت إلىٰ قومك ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ قيل: بما كذبوا يوم الميثاق، وقيل: لا تصدق أهل مكة بنزول العذاب الذي كذَّبت أوائلهم من قبلهم[4].

﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾ بالكفر ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٠١﴾ فلا يصدِّقون.

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٥٣٦.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٥٧٨.

(٣) وما بعده استئناف (تفسير أبي الليث ١/ ٥٣٦)، وقيل: إنه كافٍ، كما في المكتفىٰ (٧٨).

(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٨، الكشف والبيان ١٢/ ٤٥٦، والأول قول الجمهور، وهو يروىٰ عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي: وفاءً بما أمروا من الحلال والحرام ﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾ أي ما وجدنا ﴿أَكْثَرَهُمْ [لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾]﴾ إلا فاسقين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: من بعد هلاكهم ﴿مُّوسَىٰ﴾ وقيل: من بعد الرسل ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي: أشراف قومه ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ جحدوا بها ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ إليك.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ إي: بأن لا أقول، وإن قرأتَ بتشديد الياء: واجب عليَّ أن لا أقول[1] ﴿عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ الصدق ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعلامة لنبوتي ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ أي: ابعث مع قومي أولاد يعقوب حتىٰ أذهب بهم إلىٰ أرض ميراثهم ولا تستعبدهم.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ أي: بعلامة لنبوتك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ أي: طرحها ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ أي: حية بيِّنة ظاهرة فيها الحركة، ولا لبس فيها، والثعبان: الحية الصفراء الذكر العظيمة.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ إليها من غير برص، لها شعاع كشعاع الشمس، ولها نور يتلألأ.

قال الكلبي رحمه الله: الثعبان الذي ظهر من عصا موسىٰ حية عظيمة ملأت دار فرعون، ثم فتحت فاها، فإذا شدقها ثمانون ذراعًا، ثم شدَّت علىٰ

---

(١) قرأ نافع (عليّ) بتشديد الياء وفتحها علىٰ أنها ياء الإضافة، وقرأ الباقون (علىٰ) علىٰ أنها حرف جر (النشر ٢/ ٢٧٠).

فرعون لتبتلعه فوثب فرعون عن سريره، وهرب الناس، وصاحوا إلىٰ موسىٰ[١].

وقيل: إنها فتحت فاها وجعل القبة بين نابيها حتىٰ استغاث فرعون بموسىٰ.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ أي أشراف قومه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ حاذق بسحره، هو: لطف الاحتيال بغاية التدقيق.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ أرض مصر ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ قال فرعون لهم: أيُّ شيء تشيرون فيه؟

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ﴾[٢] احبسه، وبالهمزة أخِّر أمره ولا تعجل[٣] ﴿وَأَخَاهُ﴾ معه ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ أي: مصر، وما حوله من الشُرَط.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ حاذق.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ جُعلاً ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾ قاهرين لموسىٰ.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ قال محمد بن إسحاق: كانت السحرة خمسة عشر ألفًا مع كل واحد حبل وعصا[٤].

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٥٣٨، وتكملته: ونادىٰ فرعون يا موسىٰ خذها عني فأخذها، فإذا هي عصا بيضاء بيده كما كانت، وجعل الناس يضحكون مما يصنع موسىٰ. ونحوه في الكشف والبيان ١٢/ ٤٦١، والكشاف ٢/ ١٣٨ وله تكملة أطول، وكل هذا من قبيل الإسرائيليات.

(٢) في الأصل: أرْجِئهُ، بالهمزة، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر (الوافي شرح الشاطبية ٧١).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٤/ ٦٠، وذكر أنهما لغتان بمعنىٰ واحد، وكذا ذكر السمرقندي في تفسير أبي الليث ١/ ٥٣٨.

(٤) كذا في الأصل، وفي تفسير أبي الليث ١/ ٥٣٩، عنه: ألف رجل وخمسمائة رجل.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ عصاك على الأرض ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥﴾ أولاً.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ أخذوا أعين الناس بالسحر ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾ وخوَّفوهم ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾ هائل، فتحيَّر فيه موسى.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ﴾ من يدك فألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾ تلتقم، ولا تأخذ بفيها ﴿مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧﴾ ما يسحرون ويكذبون أنها حيات. التقمت كلَّ عصا وحبال لقمة واحدة.

﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: ظهر واستنار لهم الصدق ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨﴾ واضمحل سحرهم.

﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩﴾ قُهروا، وصاروا ذليلين، يعني: فرعون وقومه القبط.

﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠﴾ قال ابن عباس: سجد موسى وهارون شكرًا لله عز وجل، فما تماكثت السحرة أنْ خروا لله سُجَّدًا.

وإنما قال: ألقي لأنهم من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا على وجوههم بمرة[1].

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١﴾ قال: فرعون إياي تعيون؟.

وهذا من قبيل الإسرائيليات ولذا فقد اختلفوا في عددهم اختلافا كثيرا (تفسير الطبري ١٣/ ٢٦، الكشف والبيان ١٢/ ٤٦٦).

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٥٤٠، الكشف والبيان ١٢/ ٤٦٨، وهو من تفسير الكلبي كما في تنوير المقباس ١٣٥.

قالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۝١٢٢﴾.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ آمركم به ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ أي: حيلة احتلتموه ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي مصر ﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ بالمكر، ثم أوعدهم وقال ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝١٢٣﴾ ما ينزل بكم من النَّكال.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الميامن ﴿وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾ المياسر ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ علىٰ جذوع النخل ﴿أَجْمَعِينَ ۝١٢٤﴾ قيل: هذا من جهالة الملعون، أنه لم يعلم بأن قطع الأيدي والأرجل من خلاف أيسر علىٰ المقطوع، وكان قصده زيادة الشدة.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝١٢٥﴾ راجعون بالقتل أو بالموت.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا﴾ أي: لا تنكر منا ولا تعيب علينا إلا بإيماننا بآيات ربنا: اليد والعصا ﴿لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ ثم قالوا ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: وفِّقنا للصبر علىٰ القتل والقطع والصلب؛ كيلا نترك الإيمان بك ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۝١٢٦﴾ اقبض أرواحنا علىٰ التوحيد، ففعل بهم فرعون ما أوعدهم، فكانوا أول اليوم السحرة، وآخر اليوم شهداء سعداء.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ بعد قتل السحرة ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ بني إسرائيل ﴿لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بتغيير دينك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ ويترك عبادتك، وعبادة الأصنام التي أمرت بعبادتها، وقلتَ: من عبدها فقد عبدني ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ صغارًا كما قتلناهم أول مرة ﴿وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ نستخدمهنَّ كما فعلنا بهم من قبل ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ۝١٢٧﴾ غالبون.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ استوثقوا بالصبر علىٰ أذىٰ فرعون ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ علىٰ البلاء ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وهم المؤمنون، يعني أرض مصر ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨﴾ أي: الجنة للموحدين.

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا﴾ أي: عُذِّبنا ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾ بالرسالة ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ﴾ لعلَّ ربكم ﴿أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ﴾ فرعون ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ [فِي ٱلۡأَرۡضِ]﴾ في أرض مصر تسكنون بها بعد هلاكهم ﴿فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ تشكرون أم لا.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ بالجوع سبع سنين ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: بذهاب الثمرات ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ يتعظون.

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ أي: الخصب والرخاء ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ أي: أُعطينا علىٰ استحقاق ونحن أحق بها ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ أي: يتشاءموا بهم ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني: شدتهم ورخاؤهم من عند الله، وقيل: الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وُعدوا به في الآخرة لا ما ينالهم[(١)] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾.

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا﴾ أي: تأخذ به أعيننا ﴿فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾ مصدِّقين.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ﴾ الطوفان: المطر الدائم من السماء من سبت إلىٰ سبت، فغرقهم، وقيل: الطوفان الموت الذريع، مات أبكارهم ودوابهم[(٢)].

والجراد: حتىٰ أكلت النبات والزرع والثمار.

---

(١) وبكلا القولين قال طائفة من العلماء (كما في تفسير الطبري ١٣/ ٥١، الكشف والبيان ١٢/ ٤٧٨).

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٥٤٠، الكشف والبيان ١٢/ ٤٦٨، وهو من تفسير الكلبي كما في تنوير المقباس ١٣٥.

﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ وهو صغار الجراد وهو الذباب، وقيل: الحَمْنان والسوس[(١)].

﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ خرج من النيل كالليل المظلم فغشيهم حتىٰ كان الرجل من منامه وعلىٰ فراشه قدر ذراع من الضفادع، داخل فراشه.

﴿وَٱلدَّمَ﴾ حتىٰ صارت مياههم كلها دماء، أنهارهم وقُلُبُهم وماء بني إسرائيل عذْبًا.

﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ بين كل آيتين شهر[(٢)] ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: تعظموا ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ١٣٣﴾ مقيمين علىٰ كُفرهم.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ أي: العذاب من كل لون ذكرناه ﴿قَالُوا۟﴾ في كل مرة ﴿يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: توسل إليه بذلك العهد الذي بينك وبينه ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ العذاب ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾ فدعا موسىٰ، فكشف عنهم فعادوا إلىٰ كُفرهم فذلك قوله[(٣)]:

---

(١) الحمنان: ضرب من القراد، (تفسير الطبري ١٣/ ٥٤، الكشف والبيان ١٢/ ٤٨١).

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٦٨، تفسير أبي الليث ١/ ٥٤٥.

(٣) روىٰ ابن جرير في التفسير ١٣/ ٥٦ عن ابن عباس وسعيد بن جبير قالا: لما أتىٰ موسىٰ فرعون قال له: أرسل معي بني إسرائيل، فأبىٰ عليه، فأرسل الله عليهم الطوفان -وهو المطر- فصبَّ عليهم منه شيئًا، فخافوا أن يكون عذابًا، فقالوا لموسىٰ: ادع لنا ربّك أن يكشف عنا المطر، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فأنبت لهم في تلك السنة شيئًا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلأ. فقالوا: هذا ما كنا نتمنّىٰ، فأرسل الله عليهم الجراد، فسلّطه علىٰ الكلأ، فلما رأوا أثَره في الكلأ عرفوا أنه لا يُبقىٰ الزرع. فقالوا: يا موسىٰ ادْع لنا ربك فيكشف عنا الجرادَ فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه، فكشف عنهم الجرادَ، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فداسُوا وأحرزُوا في البيوت، فقالوا: قد أحرزْنَا، فأرسل الله عليهم القُمَّل -وهو السوس الذي يخرج منه- فكان الرجل يخرج عشرة أجرِبة إلىٰ الرحىٰ، فلا يردّ منها ثلاثة أقفِزة. فقالوا: يا موسىٰ، ادع لنا ربك يكشف عنا القمّل، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه،

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ أي: لتبقيتهم إلىٰ وقت الغرق الذي يبلغونه ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾ أي: ينقضون العهد.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ مرة واحدة، وشفينا صدور المؤمنين ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أي البحر ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: بتكذيبهم بالآيات التسع ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦﴾ أي جاحدين أنها ليست من الله.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ يعني مصر، علوها وسفلها شرقيها وغربيها[1] ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وجبت عِدة ربك ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بالنصر علىٰ أعدائهم واستخلافهم، وتمت الموعدة لهم ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ علىٰ دين الله وأذىٰ أعدائهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ أي: صنيع

فكشف عنهم، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل، فبينا هو جالس عند فرعون، إذ سمع نقيق ضِفْدَع، فقال لفرعون: ما تلقىٰ أنت وقومك من هذا، فقال: وما عسىٰ أن يكون كيدُ هذا، فما أمسوا حتىٰ كان الرجل يجلس إلىٰ ذَقْنه في الضفادع، ويهمُّ أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه. فقالوا لموسىٰ: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فكشف عنهم فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فكان ما استقوا من الأنهار والآبار، أو ما كان في أوعيتهم وجدُوه دمًا عَبِطًا، فشكوا إلىٰ فرعون فقالوا: إنا قد ابتلينا بالدّم، وليس لنا شراب، فقال: إنه قد سحركم، فقالوا: من أين سحرنا، ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئًا من الماءِ إلا وجدناه دمًا عبيطًا؟ فأتوه فقالوا: يا موسىٰ ادعُ لنا ربك يكشف عنا هذا الدم، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل.

(١) الصحيح أنها الشام، وكان في تفسير الكلبي: الشام ومصر، فلعله سقط علىٰ المؤلف (تفسير الطبري ١٣/ ٧٦، تفسير أبي الليث ١/ ٥٤٥، الكشف والبيان ١٢/ ٤٩٢، تنوير المقباس ١٣٦).

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعۡرِشُونَ ۝١٣٧﴾ يبنون من القصور والكروم، وقيل: ما هيئوا من المكيدة لبني إسرائيل[1].

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ يعني عبرنا بهم مع موسىٰ البحر، وهذه الآية مؤخر في التلاوة مقدَّمة في البيان، لأن مجاوزة البحر كانت قبل الميراث.

وقوله: ﴿وَجَٰوَزۡنَا﴾ نقض علىٰ المعتزلة، وفيه دليل علىٰ أنَّ فعل العباد لا يخلو عن صنع الله لأنه أضاف المجاوزة إلىٰ نفسه.

﴿فَأَتَوۡا۟ عَلَىٰ قَوۡمٖ [يَعۡكُفُونَ]﴾ مرُّوا علىٰ قوم يدومون ﴿عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ اتخذوها لأنفسهم، وهم العمالقة ﴿قَالُوا۟﴾ يعني بني إسرائيل ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ نعبده ﴿كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ يعبدونها، وإنما قال ذلك قومٌ كانوا حديث العهد بالإيمان ﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ۝١٣٨﴾ جُهَّالٌ عن أمر الله ومعرفته.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ﴾ مُهْلَك ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ﴾ وقيل: إن هؤلاء عبدة الأصنام، والأصنام مكسرة منحوتة من الحجارة والخشب.

﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ ۝١٣٩﴾ وضلال.

﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ﴾ أطلب لكم ربًا ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٤٠﴾ في زمانكم.

﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ ومن بليتهم ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ يذيقونكم ذلك ﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ صغارًا ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾ يستخدموهن كبارًا ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ مما ذكرنا ﴿بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ۝١٤١﴾.

---

(١) والمعروف الأول، انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٧٩، الكشف والبيان ١٢/ ٤٩٣.
والثاني ذكره أبو الليث تفسيره ١/ ٥٤٦.

﴿۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ من ذي القعدة وعشرًا من ذي الحجة[1]، قوله ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ قيل: أمره بالصوم، فصام ثلاثين ليلة، ثم استاك في الطريق، فأمر بصوم عشر ذي الحجة[2].

قال مجاهد: وَعَده ثلاثين ليلة...[3] ثم أنزل عليه التوراة في عشر ذي الحجة وكلما فيها ولذلك فُضِّلَتْ أيام العشر، وقد كلَّمه الله في يوم عاشوراء، وقد:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ عند ذهابه إلىٰ الجبل ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ أي: كُن خليفتي في بني إسرائيل ﴿وَأَصۡلِحۡ﴾ وارفق بهم، وأمرهم بالصلاح ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي: ميعادنا الذي واعدناه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أكرمه بالكلام من غير تكييف، ولكن أسمعه كما شاء، وذكر في المهذب: أنشأ الله تعالىٰ كلمة وصوتًا أسمعه موسىٰ كيف شاء بما شاء[4].

---

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٨٦.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٥٤٧، الكشف والبيان ١٢/ ٤٩٧.

(٣) هاهنا كلمة، صورتها: لا عطا، لعلها: لإعطاء، ولكن سقطت كلمة بعدها، ولم أجد النقل عن مجاهد هذا.

(٤) هذه العبارة ليست جيدة، فإن الإنشاء يعني الخلق، وهي قريبة من عبارة الزمخشري في الكشاف ٢/ ١٥٢: «وتكليمه: أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح»، فلا فرق بين الخلق والإنشاء، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥﴾ [سورة الواقعة:٣٥] قال ابن جرير: إنا خلقناهن خلقا (تفسير الطبري ٢٣/ ١١٨).
والصحيح ما ذكره المصنف أولا، من أن الله كلم موسىٰ تكليما، فسمع موسىٰ صوته، بلا تكييف ولا تشبيه، والله أعلم.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ قيل: لما كلَّمه الله تعالىٰ وسوس إليه الشيطان فقال: من تكلِّم يا موسىٰ؟ قال: ربي، قال: لعلك تُكلِّم شيطانًا، فحينئذ سأل الرؤية، قاله الكلبي(١).

قيل: وهذا ليس بسديد، لأنَّ نبيًا مثل موسىٰ عليه السلام -وقد اصطفاه الله لكلامه- لا يتمكن الشيطان لوسوسته في حال قوته وكلام ربه.

وقيل: لمَّا سمع موسىٰ كلام الله وقع حلاوة كلامه في مسامعه [فـ]ـاشتاق إلىٰ رؤية ربه فسأل الرؤية في غير وقته(٢).

﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ لن تقدر أن تراني، لأنَّ هذا ليس بوقت لرؤيتي، ولكن أريك ما تعرف به عجزك عن احتمال ما طلبت ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ الذي هو أشد منك وأقوىٰ خلقًا وعِظمًا، فإنه حجر مصمت باقٍ علىٰ ممر الدهور ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ عندما يرىٰ من عجائب قدرتي ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ حينئذ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ أي ظهر وبان أمره بجبل زَبير(٣) ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ كسرًا مكسرًا، أقيم المصدر مقام المفعول أي: مدكوكًا.

---

(١) ونحوه قال السدي (كما في الكشف والبيان ١٢/ ٤٩٩)، وحاشا لله أن يختلط علىٰ موسىٰ نداء الرحمن بوسوسة الشيطان.

(٢) وهذا المشهور عند المفسرين، وهو مروي عن السدي، والربيع، وأبي بكر الهذلي، انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٩١، الكشف والبيان ١٢/ ٤٩٨.

(٣) لم يقل أحدٌ من المفسرين أن الذي ظهر وبان هو أمر الله، بل حملوا الآية علىٰ ظاهرها، وأن الله عز وجل تجلىٰ للجبل، ولو قال: ظهر وأظهر من أمره ما شاء، لكان ذلك سائغا، لأنه لم يبطل الظاهر.
قال ابن جرير: فلما اطّلع الرب للجبل، جعل الله الجبل دكًّا (تفسير الطبري ١٣/ ٩٧) ثم روىٰ بعض الروايات في ذلك عن أهل التأويل.

ومن قرأ دكاء: أي طار أعلاه، وبقي أسفله، كالناقة الدكاء التي لا سنام لها[١].

قال مقاتل: صار ست قطع، وطار ثلاث منها بمكة ثَبير وثَور وحراء، وثلاث منها طار بالمدينة رَضوىٰ وورقاء وأُحد[٢].

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ مغشيًا عليه من هول ما رأىٰ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ أي: رجع إليه عقله ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ تنزيهًا لك، رجعت وتُبت إليك من مسألتي الرؤية في الدنيا ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ بأنك لا ترىٰ في الدنيا.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي﴾ اخترتك علىٰ بني إسرائيل برسالاتي ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ معك بلا واسطة ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ اقبل كرامتي لك، وقيل: اعمل بما أمرتك.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ لنعمائي.

قال الشيخ أبو سهل الأنماري رحمه الله: «لَنْ» كلمة إياس، ولكنه علىٰ ضربين؛ مؤقت وغير مؤقت، وهذا مؤقت في الدنيا، والدليل عليه أن قوم موسىٰ قالوا لموسىٰ: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ ثم آمنوا ولم يروه، وأظهر من هذا إن الله تعالىٰ قال لليهود: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤﴾ ثم قال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾، ثم أخبر عنهم أنهم إذا عاينوا النار وشدتها يقولون: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾ ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي

وفي الأصل: ثبير، وهو تصحيف، وما أثبت من كتب التفسير، كتفسير الكلبي، وتفسير أبي الليث ١/ ٥٤٨، والكشف والبيان ١٢/ ٤٩٩.

(١) تفسير الطبري ١٣/ ١٠٠، الكشف والبيان ١٢/ ٥١٣، البسيط ٩/ ٣٣٦، تفسير السمعاني ٢/ ٢١٣، الكشاف ٢/ ١٥٥.

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٤١٤.

كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾﴾ فهذا يدل على التأقيت، وكلمة لن تقع على الوقت، كقوله ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾، وفيه إبطال قول المعتزلة لعنهم الله(١).

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ قيل: كانا لوحين، فذكرهما بلفظ الجمع، وكانت الألواح من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء(٢).

وقال مقاتل: تسعة ألواح كتب فيها كنقش الخاتم(٣).

﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ﴾ نهيًا ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي: بيانًا لكل حكم ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ أي: اجتهاد وصحة عزيمة ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ أي: بحسنها، كما يقال الله أكبر ومعناه الكبير(٤).

﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ أي: سترون آثار من عصانا في الأرض المقدسة، وقيل: منزل فرعون في النار(٥)، وقيل: خاطب هذه الأمة وأراد به مكة(٦).

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ أي: أمنع عن التفكر في آياتي الذين يتكبرون ويتعظمون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في أرض مصر ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالشرك.

---

(١) وهذا من غرر النقولات عن أبي سهل الأنماري، وفيه الاستدلال بلغة القرآن وعاداته، وهو من أقوى المسالك في الاحتجاج، وأصح الطرق في التفسير.

(٢) وهو قول الكلبي كما في الكشف والبيان ١٢/ ٥٢٣.

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٤١٤، وعنه الثعلبي في الكشف والبيان ١٢/ ٥٢٣.

(٤) وهو قول قطرب، كما في الكشف والبيان ١٢/ ٥٢٥، زاد المسير ٢/ ١٥٣.

(٥) تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٠، الكشف والبيان ١٢/ ٥٢٦.

(٦) غريب، ولم أجده في كتب التفسير.

وقال أبو سهل: أراد به فهم معاني القرآن، يقرؤونه ويفسرونه ولا يفهمون ما أراد الله به، وإنما وصف التكبير بغير حق لأن تكبُّر المؤمن علىٰ الكافر لكُفره حق، وتكبر الكافر علىٰ المن لإيمانه بغير حق[1].

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ﴾ أي: فرعون وقومه، وقيل: أبو جهل وأصحابه، كل علامة[2] ﴿لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾ طريق الهدىٰ ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ﴾ أي: لا يختاروه ﴿سَبِيلٗا﴾ أي: دينًا ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ [يَتَّخِذُوهُ]﴾ أي: طريق الضلالة اختاروه ﴿سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ﴾ الاختيار ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع ﴿وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾ تاركين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي البعث ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ﴾ بطل ثواب حسناهم ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ﴾ أي: يعاقبون ﴿إِلَّا [مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧]﴾ علىٰ جحودهم.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: من بعد خروجه إلىٰ الجبل ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾ أي: من ذهبهم ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ أي: جثة خاوية عن الروح ﴿لَّهُۥ

---

(١) إنما يصح قول أبي سهل هذا علىٰ أن الآيات هي القرآن، وهو قول بعض السلف، قال ابن عيينة: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ قال يقول: أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي (رواه الطبري في التفسير ١٣/ ١١٢).
وعن ذي النون المصري: أبىٰ الله أن يكرِّم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن (رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٢/ ٥٢٩).
والأولىٰ عند ابن جرير حمل الآية علىٰ عمومها، فتشمل الأدلة الكونية والأدلة الشرعية.

(٢) ويجمع بين القولين بأن المراد: كل متكبر عن آيات الله (تفسير الطبري ١٣/ ١١٤).
ومن العلماء من قال: إن حكم هذه الآية خاص بأهل مصر، ومنهم قال بالعموم (الكشف والبيان ١٢/ ٥٢٧).

﴿خُوَارٌ﴾ أي: صوت، قيل صيَّره مشبكًا يدخل الريح من جانب ويخرج من جانب، فكان مثل الخوار بالحيلة[١].

وقيل: صار له لحم ودم، لأنَّ السامري أخذ من تراب أثر فرس جبريل ورمىٰ عليه، فتحول لحمًا ودمًا فخار خورة، فقالوا: هذا إلهكم وإلٰه موسىٰ[٢].

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ ألم يعلموا ﴿أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ إلىٰ الحق ﴿ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ أي: عبدوه، واتخذوه معبودًا وكانوا ظالمين بعبادتها.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟﴾ ندموا علىٰ عبادة العجل، يقال للنادم: قد سُقط في يده، ومعناه: سقط الندم في أيديهم، أي: لم يبق في أيديهم إلا الندم[٣].

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: يتجاوز عنَّا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ حزينًا، الآسف: الذي قرب بكاؤه من الحزن[٤] ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ أي: عملتم خلفي وبعد ذهابي ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أسبقتم وعد ربي، وهو أربعون يومًا، وقيل: وحي الله.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ طرحها من يده فتكسرت، ورجعت عامة الكلام إلىٰ

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٢، تفسير السمعاني ٢/ ٢١٦.

(٢) وهو قول وهب وعكرمة كما في تفسير أبي الليث ١/ ٥٥١، الكشف والبيان ١٢/ ٥٣١، تفسير السمعاني ٢/ ٢١٦، معالم التنزيل ٣/ ٢٨٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٩٣، البسيط ٩/ ٣٦١.

(٤) وهو قول ابن عباس والسدي والحسن، كما في البسيط ٩/ ٣٦٥، وقيل: الأسف شدة الغضب، وهو القول الثاني في التفسير.

السماء[١]، وكان طول موسىٰ عشر أذرع وطول كل لوح مثله[٢].

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ هارون -وكان شعرانيًا- بيمينه، ولحيته بيده اليسرىٰ ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ إلىٰ نفسه ﴿قَالَ﴾ هارون لموسىٰ ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ أي: استذلوني ولم يطيعوني ﴿وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ أرادوا قتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ والشماتة: سرور العدو بسوء العاقبة ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥٠﴾ أي: لا تحسبني من أصحاب العجل فتعاقبني معهم.

وكان هارون أخا موسىٰ لأبيه [وأمه][٣]، ونسب موسىٰ إلىٰ أمه ترقيقًا واستعطافًا[٤].

ومن قرأ: «ابن أمَّ» لأنهما اسمان صارا اسمًا واحدًا [كـ]: البعل بك، وحضرموت[٥].

---

(١) هذا قول الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٢، وعنده: وصعد عامة الكلام.. الخ، وتعقبه فقال: تأويله أن الألواح لما انكسرت ذهب أثر المكتوب منها وهذا إذا كان غير الأحكام. وأما الأحكام أيضًا فلا يجوز أن تذهب عنه وإنما أراد بذلك حجة عليهم.

(٢) الكشف والبيان ١٢/ ٥٣٤.

(٣) سقطت هذه الكلمة ولا بد منها، فإن هارون شقيق موسىٰ الأكبر، لا خلاف في ذلك، والمصنف قد صدر عن تفسير الكلبي، وهو فيه علىٰ الصواب: تنوير المقباس ١٣٨، تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٣.

(٤) الكشف والبيان ١٢/ ٥٣٤.

(٥) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر شعبة بكسر الميم: ابن أمِّ، وقرأ الباقون بفتحها: ابن أمَّ (النشر ٢/ ٢٧٢).

فالفتح ذكر وجهه علىٰ معنىٰ يا ابن أماه، وجعلها اسما واحدا.

والكسر: علىٰ حذف ياء الإضافة لأن مبنىٰ النداء علىٰ الحذف، وترك الكسرة في الميم لتدل علىٰ الإضافة (الحجة للفارسي ٥/ ٢٤٨، الكشف والبيان ١٢/ ٥٣٥، البسيط ٩/ ٣٦٧).

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾ اغفر لي ذنبي من قتل القبطي، ولأخي إذا لم يناجزهم بالقتال ﴿وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ﴾ أي: جنتك ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾ أعطف العاطفين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ معبودًا ﴿سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ [وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ]﴾ أي: يصيب ذريتهم غضب وذلة بالجزى[1]، وقيل: معنى المذلة ألا يكون منهم مَلِك إلىٰ يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾ أي: نعاقب المكذِّبين.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عبدوا العجل وكفروا بالله ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ بالله، أي: قتلوا أنفسهم توبةً، وآمنوا بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ يعني السيئة والتوبة ﴿لَغَفُورٞ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ بهم.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ أي: سكن، وإنما ذكر السكون لأن الغضبان في تحرُّكه كالناطق، فإذا سكن غضبه فكأنه سكت ﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ﴾ رفعها بعد ما ألقاها من يده، وقيل: أعيد له في اللوحين[2] ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾ أي: نسخة ما بقي منها وانتسخ موسىٰ بعد الكسر ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾ أي: بيان لمن عمل بها ﴿لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾ أي: يخافون عذاب ربهم من أجل ربهم.

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ أي: من قومه سبعين شيوخًا ﴿لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ أمره الله تعالىٰ بأن يختار سبعين شيوخًا، فلم يجد إلا ستين شيخًا، فاختار مكان العشرة الباقية من الشُّبَّان، فناموا فأصبحوا شيوخًا[3].

---

(١) جمع جزية، كلحية ولحىٰ (تاج العروس ٣٧/ ٣٥٤).

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٤، الكشف والبيان ١٢/ ٥٣٩، تفسير السمعاني ٢/ ٢١٩، معالم التنزيل ٣/ ٢٨٥.

(٣) وهذا كذلك من الأخبار الإسرائيلية، وهو من تفسير الكلبي، تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٤، الكشف والبيان ١٢/ ٥٤٤.

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة والنار، لأنهم قالوا: أرنا الله جهرة كما رأيته، فلما هلكوا جعل موسىٰ يبكي ويقول: يا رب إذا رجعت إلىٰ بني إسرائيل فماذا أقول لهم وقد أهلكت خيارهم، وظن موسىٰ أنهم هلكوا باتخاذ بني إسرائيل العجل إلـهًا ﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ﴾ مجيئهم معي إلىٰ الجبل ﴿وَإِيَّٰيَۖ﴾ بقتلي القبطي ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ بعبادتهم العجل ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ حين جعلت الروح في العجل، فهي اختبارك ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ أي: بعبادة العجل ﴿مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ﴾ أي: توفِّق للإيمان من[1] كان أهلاً ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ ربنا وسيدنا ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ المتجاوزين عن الذنوب.

والفتنة في الأصل في الابتلاء، والشر والخير كله باختيار الله تعالىٰ وابتلاؤه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾.

﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ توفيقًا وعصمة وعافية ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ عفوًا ومغفرة وجنة ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ أي: تُبْنا، وهو من مقالة الشيوخ الذين أصابتهم الرجفة بسؤالهم رؤية الله.

وقيل: من سمع كلام الله وهيبته فكادت أوصالهم من هيبة كلام الله أن تنقلع، فدعا موسىٰ لهم فسكَّن الله ذلك عليهم قبل الموت.

وقيل: ماتوا فأحياهم الله وذلك قوله ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾، فلما استقاموا علىٰ حالهم قالوا تبنا إليك.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾[2] فتطاول إبليس حين سمع هذا الكلام، وقال: أنا شيءٌ، فآيسه الله، وقال

---

(١) في الأصل: ما كان.

(٢) قال ابن جرير: قال بعضهم: مخرجه عامٌّ، ومعناه خاص، والمراد به: ورحمتي وَسِعت المؤمنين بي من أمة محمّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم. واستشهد بالذي بعده من الكلام، وهو

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والكفر، ويقرون بالزكاة ويعطونها ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

فتطاولت اليهود إذ سمعوا هذا الوعد، فآيسهم الله[1]، وقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ فالأمي الذي لا يكتب بيده، وقيل: نسبة إلى مكة وهي أم القرى[2] ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ ويجدون نعته ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أي: الكفر ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ من لحوم الإبل والشحوم ما حرم على اليهود ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ أي: الدم ولحم الخنزير والميتة ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ يعني العهد الثقيل والشدائد ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أنْ يقتل قاتل العمد البتة ولا يُعفى عنه، ويقتل قاتل الخطأ إلا أنْ يُعفى عنه ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ أي: بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أعانوه ووقروه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ بالسيف، والتعزير: هو المنع، وأريد به منع أعدائه عنه ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ عملوا بالقرآن ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ الناجون السعداء.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ نصب على الحال، يعني: جميع الناس الذين في زمانه وبعده إلى قيام الساعة، لأنه لا نبي بعده فالكل في حاله.

قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية، ثم روى عن ابن عباس: أنه قرأ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قال: جعلها الله لهذه الأمة (تفسير الطبري ١٣/ ١٥٦).

(١) وهو مروي عن الهذلي وابن جريج وقتادة، انظر: تفسير الطبري ١٣/ ١٥٧، تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٥، الكشف والبيان ١٢/ ٥٥٠.

(٢) قال الزجاج: الْأُمِّيّ: هو على خلقة الأمّة، لم يتعلم الكتاب فهو على جِبلَّتِهِ. (معاني القرآن ٢/ ٣٨١، وانظر: تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٦).

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ﴾ الأموات ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ﴾ فكلماته: الكتب المنزلة على الأنبياء، وكلمته: أراد به عيسى، واتبعوه: الزموا طريقه ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨﴾ بالإيمان.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ﴾ أي: في زمانك عصبة منهم يهدون ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يدعون إلى التوحيد ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ١٥٩﴾ أي: بالحق يعملون.

قيل: أراد به عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقيل: هم قوم فروا من العدو ورمى بهم من وراء تُبَّتْ، متمسكين بالتوراة والإنجيل مشتاقين إلى الإسلام، يعملون بفرائض الله، بيوتهم مستوية، والأمانة فيهم فاشية، وقبورهم عند أبوابهم، لا تباغُض بينهم ولا تحاسُد، ولا خُلْف ولا خيانة، يعملون بالحق بلا أمير وقاض، رآهم رسول الله ليلة المعراج وآمنوا به، وفيه قصة طويلة[1].

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ جماعة جماعة.

وإنَّما فسر العدد بالجمع ولم يقل: سبطًا؛ لأنه بدلٌ وليس بتمييز[2].

وقيل: كل قسم منهم أسباط، لأنَّ الواحد سبط، وإنما ذكر التأنيث على ضمير الفرقة يعني: عشرة فرقة ثم حذف[3].

---

(١) تُبَّتْ: من بلاد الصين، وهذا من الروايات الإسرائيلية، والقصة مذكورة في تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٧، الكشف والبيان ١٢/ ٥٥٨ من رواية الكلبي وغيره، والحديث الذي ساقه السمرقندي في ذلك موضوع.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٩٩.

(٣) يعني: حذف فرقة، انظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٨٣.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ أي: طلبوا الماء ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ أي: خرجت ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ من الأسباط ﴿مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ في التيه يقيهم الحر ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ وقد فُسِّر.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي: انزلوا أريحا ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ منحنين ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ الذين لم يعبدوا العجل.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ قالوا مكان حطة: هطا سمقاثا[1] استهزاءً منهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عذابًا، وقيل طاعونا ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ يفترون.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ وبينها وبين البحر مسيرة يوم، سلهم -وهو سؤال توبيخ-: ما فعل الله بأهل تلك القرية، وهي قرية أيلة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ أي: يوم استراحتهم عن العمل ﴿شُرَّعًا﴾ شارعات من غمر الماء إلىٰ قريب من اللجة، آمنات من الاصطياد ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ﴾ أي: يوم لا يستريحون عن أخذها لا يأتيهم السمك ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ ابتليناهم بفسقهم[2].

---

(١) تصحف في الأصل، والتصحيح مما سبق ذكره في تفسير سورة البقرة آية٥٩.

(٢) تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٩، الكشف والبيان ١٢/ ٦٣.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ من المستحلِّين[١]، وذلك أنَّ أهل تلك القرية صاروا ثلاث فِرق: مُستحِل، ومُداهِن، وواعظ.

فالمُداهِن لا يستحل، ولكن يؤاكلون ويشاربون المستحلين.

والواعظون يعظونهم، فقال المداهن للواعظ: لم تعظون قومًا الله مهلكهم بالمسخ، ومعذِّبهم عذابًا شديدًا بالنار.

وكانوا يسدون طريق السمك في يوم السبت حتىٰ لا يرجع إلىٰ الغمر، ثم يأخذونها في يوم الأحد. قال الواعظون: «معذرة»: وعظناكم معذرةً إلىٰ ربكم[٢] ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ أخذ الحيتان.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ أي تركوا ما وعظوا به ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ أخذ الحيتان ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ اعتدوا بأخذ الحيتان ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ أي: شديد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ يستحلون أخذ الحيتان.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾ أبوا وأعرضوا ﴿عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ أي: حولناهم قردة صاغرين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فيا لها من أكلة ما أوجبها المسخ في الدنيا والنار في العقبىٰ[٣].

---

(١) ومثله في تفسير أبي الليث ١/ ٥٦٠، قال: وهي الظلمة للأمة الواعظة.

وقد اختلف العلماء في أصحاب هذا القول، ذكر الثعلبي هذا الخلاف، ثم رجح أنه كان من القول الناجية، وأنه من قول المؤمنين بعضهم لبعض (الكشف والبيان ١٢/ ٥٦٨).

(٢) البسيط ٩/ ٤١٤.

(٣) لم أجد هذا القول.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أعلم ربك، وقال ربك، وقضىٰ ربك ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ليسلطن علىٰ اليهود قضاءً واجبًا إلىٰ يوم القيامة ﴿مَن يَسُومُهُمْ [سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ]﴾ يعذبهم أقبح العذاب بالجزية، وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم وأمته ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن لا يؤمن به ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ لمن آمن به.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ المسلمون ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ اليهود والنصارىٰ والصابئون ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ اختبرناهم بالخصب والسلامة والصحة، وبالسيئات السقم والفقر ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ فيتوبون.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: جاء من بعدهم قرن، والخَلْف: ولد سوء، وأراد به اليهود ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: علم التوراة عن أوائلهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ وهي: الرشوة في الحكم، والعَرَض: صنوف الأموال، والأدنىٰ تذكيرُ الدنيا ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما عملنا بالنهار يغفر لنا بالليل، وما عملنا بالليل يغفر لها بالنهار ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ﴾ حرام، كما أخذوه بالأمس ﴿يَأْخُذُوهُ﴾ اليوم ويستحلوه ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني العهد في التوراة ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ الصدق ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ من العهد والميثاق ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ يعني الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والمعاصي ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أمر الله لينتهوا عن الباطل.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: لا يحرِّفون ما في التوراة ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بشرائطها ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ والمصلح: المقيم علىٰ الإيمان، المؤدي لفرائض الله اعتقادًا وعملاً.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: رفعنا فوق عسكرهم جبلاً فرسخًا في فرسخ ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ سحابة ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم إن لم يقبلوا التوراة، وقيل لهم: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍّ ومواظبة ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧١﴾ وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ واذكر إذ أخذ ربك من بني آدم ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾[1] قيل: أخرج ذرية آدم من ظهر آدم، وأخرج بعضهم من بعض على أمثال الذر، ثم أحياهم وأعقلهم وأنطقهم، وقال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾.

ذكر المفسر الكبير رحمة الله عليه في تهذيب جامع العلوم: بأنَّ هذه الآية مشكلة، ولا يُعرف تفسيرها إلا من الحديث.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ذنوبه-: فقد ذكر طرق الحديث، واخترت من طرقه الأوضح وهو، ما أوردته:

قال: روى الضحاك عن ابن عباس: كان آدم صلوات الله عليه بعرفات في بعض جبالها، أخذ الله الميثاق على من كان في صلبه إلى أن تقوم الساعة، استخرج من متنه الأيمن ذرًا بيضًا وجعلهم في كف آدم اليمنى ثم يشهدهم الميثاق: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، ثم قال: يا آدم هؤلاء أصحاب اليمين هم السعداء من أمتك إلى أن تقوم الساعة، وهم في الجنة برحمتي، ثم ضرب على صفحة متنه الأيسر، فاستخرج ذرًا سودًا، فجعل في كف آدم الشمال، ثم يشهدهم الميثاق: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، ثم قال: هؤلاء أصحاب الشمال هم الأشقياء من ذريتك، وهؤلاء في النار ولا أبالي وذلك قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ٢٧﴾ ثم قال بعده ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١﴾[2].

---

(١) في الأصل: ذرياتهم، بالجمع، وهي قراءة من سوى ابن كثير والكوفيين (النشر ٢/ ٢٧٣).

(٢) حديث الضحاك رواه ابن جرير بلفظ مختلف (تفسير الطبري ١٣/ ١٣٠).

ولحديث ابن عباس طرق أشهر من هذه، لكنها مختصرة، فرواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير (تفسير الطبري ١٣/ ٢٢٢) وبين أن ذلك كان بوادي نعمان، وهو قريب من عرفات،

قال الزجاج رحمه الله: وجائز أن يكون لأمثال الذر فهمًا يعقل، كقوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[١].

﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟﴾ يعني: لكيلا تقولوا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ عن العهد ساهين، فأشهد الله عليهم ملائكته.

﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ وأسسوا لنا الشرك ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أولادًا صغارًا اقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ المكذِّبون، تعذِّبنا به.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيِّنها كما بيَّنا قصة أخذ الميثاق ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ أي: يتوبون عن الكفر[٢].

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ وهو اسم الله الأعظم، أعطاه الله بلعم بن باعور، وعلىٰ قول مجاهد: بلعم بن أبرة[٣] ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي: خرج

وقيل في رواية عطاء بن السائب عن سعيد ن ذلك بدهنا من أرض الهند، وقد استوعب ابن جرير الروايات الواردة في هذا الباب.

والمفسرون مجمعون علىٰ أن الميثاق كان في عالم الذر، ومن آثاره أن يولد المولود علىٰ الفطرة، لأنه أقر بربوبية الرب، في ميثاق الذر، والله أعلم.

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٩٠، وإنما دعاه إلىٰ هذا القول -وهو في غير محله- لأنه نقل نقلا خاطئا، فإنه قال: قال بعضهم: خلق الله الناسَ كالذَّرِ من صلب آدَمَ، وأشهدَهُمْ علىٰ توحيده أهـ. وقول أهل التفسير ليس علىٰ أن الله صير الخلق هذا كالذر، بل أخرجهم هم -بكيفية يعلمها- من صلب آدم أبناؤه الذين يكونون بعده، وشبه أهل التفسير ذلك: كالذر، لا أنهم خلقوا ذرًّا، والله أعلم.

(٢) في الأصل: أي يتوب عن الكفر عن يتوب.

(٣) وقع في الأصل:أيرة، سماه ابن مسعود: بلعم بن أبر، وسماه ابن عباس: بلعم باعر، وعن مجاهد: بلعم بن باعر (كذا في روايات ابن جرير في التفسير ١٣/ ٢٥٤، الكشف والبيان ١٢/ ٥٨٩).

﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أدركه، أتبع فلانًا ألحقه، وتبعه ذهب على إثره[١] ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥﴾ الهالكين، أي: صار من الكافرين.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي: عصمناه، أو رفعناه إلى الدرجات ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ اطمأنَّ إليها ومال إلى الدنيا ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وهوى امرأته ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ إن: طردته يدلع لسانه ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ يدلع لسانه كذلك، مثل المنافق ومثل بلعم، وإنما ضرب مثل الكلب لأنَّ الكلب عادته أن يخضع ويذل لكل أحد؛ لما يطمع أن ينال منه أدنى شيء، ولا يبالي ما نصيبه من الذل والهوان في نفسه، فكذلك المكذِّب والمهين لآيات الله، لا يبالي بما يصيبه في دينه ونفسه بعد أن ينال شيئًا من الدنيا[٢].

﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ عليهم من القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦﴾ في أمثال الله.

﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ أي: ساء المثل مثلاً، ساء بمعنى: بئس مثلاً ﴿ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ۝١٧٧﴾ لا غيرهم.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ المصيب لدينه ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ أي: يخذله الله ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٧٨﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ واللام لام الاستحقاق[٣].

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ من كفارهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ

---

(١) قال ابن قتيبة: يقال: أتبعت القوم إذا لحقتهم، وقال أبو عبيد: يقال: أتبعت القوم -مثال أفعلت- إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم، ويقال: ما زلت أتبعهم حتى أتبعتهم أي: حتى أدركتهم (البسيط ٩/ ٤٦٢).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٩١، الكشف والبيان ١٢/ ٦٠٢.

(٣) لام الاستحقاق التي تقع بين اسم ذات واسم معنى.

أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا﴾ الهدىٰ ﴿وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ﴾ المواعظ.

وعند المعتزلة: هذا اللام لام العاقبة، لأنهم قالوا: إن الله خلقهم للجنة ولكنهم استوجبوا النار بأعمالهم[(١)].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ في المأكل والمشرب وقضاء الشهوة، وهذه همتهم لا غير ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ من الأنعام، لأن الأنعام تعرف ربها وتذكره، وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يوحدونه.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ كانت الصحابة يقولون: يا الله يا رحمٰن يا رحيم، فكان كفار مكة يقولون: إنهم يعيبون علينا بأن ندعو آلهة؛ اللات والعزىٰ ومناة وإساف ونائلة، ويقولون: يا الله فهذا رب، ويا رحمٰن فهذا رب آخر، ويا رحيم فهذا رب آخر، فنزلت الآية[(٢)].

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ وله الصفات العليا، يستحق الأسماء لنفسه أو لفعله ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ فمن أسماء الصفات وطريق المعرفة به، وهو الأول قبل كل شيء، والباقي بعد فناء كل شيء، والقادر الذي لا يعجزه شيء، والعالم الذي لا يخفىٰ عليه شيء، والواحد الذي ليس كمثله شيء، والغني بنفسه عن كل شيء.

قال الشيخ أبو منصور: ظنوا أن في تعديد الأسماء إثبات عدد الذات، فالله تعالىٰ رد عليهم ظنهم[(٣)].

﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ أي: يميلون ويعدلون عنه، وذلك الذين

---

(١) ليس بالضرورة أن يلزم ذلك، فالجمهور علىٰ أنها لام العاقبة، فالله خلقهم للنار بعدله، انظر: الكشف والبيان ١٢/ ٦٠٤، زاد المسير ٢/ ١٧١، الدر المصون ٥/ ٥٢١.

(٢) وهو قول مقاتل كما في تفسيره ٢/ ٧٦، والكشف والبيان ١٢/ ٦٠٧.

(٣) تأويلات القرآن لأبي منصور الماتريدي ٥/ ٩٨.

يسمون أصنامهم بأسماء أيضًا هي أسماء الله، مثل: اللات أرادوا أن يسووا اسمه الله، والعزىٰ أرادوا أن يسوُّوا اسمه العزيز.

﴿سَيُجۡزَوۡنَ﴾ يعاقبون ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠﴾.

﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ [وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ۝١٨١]﴾ يأمرون بالحق، ويميلون إلىٰ الحق، ويحكمون بالحق، يعني به أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

وقيل: الفرقة الهادية هم العلماء الأتقياء؛ لأنَّ الله تعالىٰ مدحهم ودلَّ علىٰ أنهم يعلمون الناس علم الدين؛ حتىٰ يصلوا به إلىٰ الحق اليقين.

قال الشيخ أبو سهل الأنماري رحمة الله عليه: هم أبدال هذه الأمة، والدليل علىٰ صحة هذه القول ما روي عن ابن مسعود أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «إنَّ لله تعالىٰ ثلاث مائة، قلوبهم علىٰ قلب آدم، وله أربعون قلوبهم علىٰ قلب موسىٰ، وله سبعة قلوبهم علىٰ قلب إبراهيم، وله خمسة قلوبهم علىٰ قلب جبريل، وله ثلاثة قلوبهم علىٰ قلب ميكائيل، وله واحد قلبه علىٰ قلب إسرافيل، وصلوات الله عليهم أجمعين، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة، وإذا مات الواحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات الواحد من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة، وهكذا مكان السبعة من الأربعين، ومكان واحد من الأربعين من الثلاثمائة، ولو مات واحد من الثلاث مائة أبدل الله مكانه من عامة الخلق[(١)]، فبهم يحيي ويميت، وبهم يمطر وينبت، ويدفع بهم البلاء، يسألون إكثار هذه الأمة فيكثرون، ويدعون علىٰ الجبابرة فيقصمون»[(٢)].

---

(١) في الأصل: الحق، وهو تصحيف.

(٢) هذا حديث موضوع مكذوب علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وهو من وضع الطرقية وأشباههم من الجهال.

ثم قال ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢﴾ أي: نأخذهم قليلاً قليلاً، كلما جدَّدُوا معصية جدَّدنا لهم نعمة، وأنسيناهم شكرها، فإذا سكنوا إلىٰ النعمة أُخِذُوا ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ في كفرهم، أصل الإملاء: الاستمرار علىٰ العمل، ومعناه: أُمهلهم ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾ عذابي شديد.

﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ﴾ يعني المستهزئين ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ﴾ بقلوبهم ليعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ أي: ليس محمد بساحر ولا بمجنون ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ١٨٤﴾ رسول مخوف أمين.

﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ليعرفوا ربوبية الله، ويعتبروا بالنظر في الشمس والقمر والجبال والبحار ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ يعني جميع

وقد رواه أبو نعيم في الحلية ١/ ٨، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٥٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٢٢٢، من رواية: محمد بن السرىٰ القنطري ثنا قيس بن إبراهيم بن قيس السامري ثنا عبد الرحمن بن يحيىٰ الأرمني ثنا عثمان بن عمارة ثنا المعافىٰ بن عمران عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله فذكره، وهذا الحديث لو كان عند المعافىٰ بن عمران أو الثوري أو منصور أو إبراهيم لخرج في الصحيحين، ولكن لما ركب علىٰ الثوري بإسناد علىٰ رسم الصحيح دل علىٰ أن راويه عن الثوري أو من هو دونه قد اختلقه، وإلا فأين أصحاب الثوري عنه، وأين أصحاب منصور عنه، وهكذا.

ورجاله من المعافىٰ إلىٰ الصحابي ثقات، فإذا نظرت فيمن هو دونه وجدت النكرات الذين لا يعرفون.

فأما عثمان بن عمارة فقد ترجمه الذهبي في الميزان، وقال: عن المعافىٰ بحديث كذب، ثم رواه، ثم قال: فقاتل الله من وضع هذا الافك (ميزان الاعتدال ٣/ ٥٠، لسان الميزان ٥/ ٤٠٥).

وقد نبه العلماء علىٰ بطلان هذا الحديث، وانظر مبحثا مفيدا للشيخ الألباني في كتابه: سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣/ ٦٧٠.

مخلوقاته من الطير والوحش والسباع ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: لم ينظروا أنْ عسىٰ أن يكون قد اقتربت آجالهم فيموتوا علىٰ كُفرهم، وهم يسوِّفون بالتوبة ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ أي: لم يؤمنوا بهدي القرآن فبأي حديث يؤمنون.

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ﴾ أي: يتركهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ وضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ يتحيرون.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متىٰ حينها ووقتها؟ والإرساء: الإثبات، يقولون: متىٰ تثبتها؟ وإنما سأل أهل مكة علىٰ وجه الاستهزاء لأنهم ينكرون القيامة ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾ أي: لا يظهرها لوقتها ﴿إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ﴾ أي: ثقل وخفي علمها ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي: علىٰ أهلها، وقيل: ثقل وعظم وقوعها علىٰ أهل السماوات والأرض؛ من تكوير الشمس، وانتثار النجوم، وتسيير الجبال[1].

ثم بيَّن وقوعها فقال ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ﴾ فجأة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ﴾ عالمٌ بها، وقيل: فرح بسؤالهم لك عنها.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ أن القيامة حق كائن.

﴿قُل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي: بمشيئته وتقديره لي ذلك ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: لو علمت متىٰ أموت لاستكثرت من العمل الصالح قبل الموت، وقيل: لو

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٢٩٥، تفسير أبي الليث ١/ ٥٧٣.

علمت متىٰ يكون الجدب لأعددت في السنة المخصبة للسنة المجدبة[١] ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: لم يلحقني العيب بأن لا أعلم الغيب[٢] ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ ما أنا إلا مخوِّف بالنار لمن عصا ربه ﴿وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝١٨٨﴾ بالله وبالجنة.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ آدم صلوات الله عليه ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ حواء، من ضلعه القصير، وهو بين النائم واليقظان، فلو كان نائمًا لم يعلم بخلق الله إياها منه، فلم يشفق عليها، ولو كان يقظانًا أصابه شيء من الألم فأبغضها.

قوله ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ يستأنس بها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ أي باشرها جماعًا ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ يعني المَني ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ أي: ذهبت وجاءت وقامت وقعدت.

وقرئ: «فمَرَتْ به» بالتخفيف شكَّت هل بها حبل أم لا لخفتها[٣].

﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ دنت الولادة وثقل الولد في بطنها، جاءها إبليس وقال: ما في بطنك يا حواء؟ لعله حمار وحش أو سبع، فخافت حواء من ذلك، فقال: إن دعوت الله أن يجعله إنسانًا كصورتكما تسميه باسمي، فقالت: ما اسمك؟ قال: اسمي الحارث، فإن ولدت إنسيًا تسميه عبد الحارث؟ فقالت: نعم، فذلك قوله ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩﴾ لنعمتك.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا [صَٰلِحٗا]﴾ ولدًا سويَّ الخلق ﴿جَعَلَا لَهُۥ﴾ أي لله ﴿شُرَكَآءَ﴾ والشركاء والشريك في هذا الموضع واحد ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ من الولد، فسموه عبد

---

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٥٧٣.

(٢) في الأصل: الأولىٰ الغيب، والثانية العيب، والصحيح ما أثبت.

(٣) وهي قراءة يحيىٰ بن يعمر، كما في الكشف والبيان ١٢/ ٦٢١، الكشاف ٢/ ١٨٦.

الحارث، فعاش الولد أيامًا ثم مات ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾ أي: تبرأ الله عن ذلك[١].

وقيل معنىٰ قوله ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا﴾ أولادًا مستوية من الرجال والنساء، ثم قال: جعلا له، أي: هذان الجنسان الرجال والنساء، أشركا بالله الأصنام، ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾[٢].

وأجمع العلماء أنَّ الشرك علىٰ الأنبياء لا يجوز، فلم يكن المراد به آدم وحواء، ولكن سائر الناس من المشركين.

﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١﴾ أي: لا يقدر علىٰ شيء وهم يُنحتون.

﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا﴾ أي: لا يدفعون عنهم العذاب ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ يعني الأصنام لا ينصرون أنفسهم عند النحت وعند الكسر، خرج الكلام مخرج المتكلمين، وأُمضيَ علىٰ لفظ الناطقين.

﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ إن دعوتم يا أهل مكة أصنامكم إلىٰ الرشد لم يُرشدوكم، ولا يرشدوا بأنفسهم، ولا يردوا جوابًا، فذلك قوله ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ﴾ يعني الأصنام ﴿أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ ساكتون لا يجيبونكم.

---

(١) وهو قول طائفة من السلف، ورواية عن ابن عباس، وعكرمة وقتادة ومجاهد، قالوا: لم يكن الشرك إلا في التسمية، (تفسير الطبري ١٣/ ٣٠٩).

(٢) وهو قول الحسن البصري (تفسير الطبري ١٣/ ٣١٤).

قال ابن جرير: وأولىٰ القولين بالصواب، قول من قال: عنىٰ بقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ في الاسم لا في العبادة، وأن المعنيَّ بذلك آدم وحواء، لإجماع الحجة من أهل التأويل علىٰ ذلك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ مخلوق كما أنتم، وقيل: أراد به الملائكة الذين عبدوهم ﴿فَٱدۡعُوهُمۡ﴾ عند جر منفعة، أو دفع مضرة ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ لام أمر، بمعنىٰ التعجيز.

﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ﴾ إلىٰ حوائجهم ﴿أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ﴾ أي: يقتلون بها قرابينكم ﴿أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ﴾ عبادتكم ﴿أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ﴾ دعاءكم، فهذا تفصيل عباد الأصنام علىٰ الأصنام، ففيه بيان لقلة أفهامهم وتمييزهم ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ استعينوا بآلهتكم ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أي: اعملوا في هلاكي ما شئتم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ أي لا تؤجلوني.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ أي: حافظي وناصري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ يكشف الضر عن المؤمنين.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ أي: لا يقدرون دفع العذاب عنكم، ولا الكسر عن أنفسهم.

﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ﴾ لأنهم أموات ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ مفتَّحة عيونهم ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨﴾ الهدىٰ ولا غير.

وقيل: الخطاب لرسول الله: إن تدعوا المشركين إلىٰ الهُدىٰ لا يسمعوا، ينظرون إليك ولا يبصرون الرشد والهدىٰ[1].

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم.

وقيل: عاملهم بالعفو عما يكون منهم.

وقيل: تجاوز عن سيئاتهم[2].

---

(١) وهذا قول مقاتل، وهو شاذ يأباه السياق (تفسير أبي الليث ١/ ٥٧٦).

(٢) انظر الأقوال في ذلك في تفسير أبي الليث ١/ ٥٧٦، زاد المسير ٢/ ١٨٠.

وقيل: نسخ بآية السيف[1].

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي التوحيد ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ واصفح عن زلات المسيئين، وقيل: عن المشركين.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ [فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ]﴾ معناه: إن نالك من الشيطان أدنىٰ وسوسة؛ فسل الله أن يعيذك منها ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لدعائك ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ بوسوسته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾[2] أي وسوسة ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بإلمام بذنب بوسوسته ﴿تَذَكَّرُوا۟﴾ ما نهوا عنه وعرفوا أنها من الشيطان ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ النجدين، نجد الهدىٰ والضلالة، فيتركون نجد الضلالة، ويأخذون نجد الهدىٰ.

و«طائف» من الشيطان فاعل من الطيف.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ رجع إلىٰ ذكر الكفرة في التقديم، يعني: إخوان الشياطين من الكفرة وقرناؤهم ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ وقيل: هم إخوان المشركين، أي الشياطين يجرونهم إلىٰ الضلالة.

---

(١) وذلك علىٰ القول بأن المراد: العفو عن المشركين (زاد المسير ٢/ ١٨٠).

وقيل أيضا: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي ما فضل عن حاجتهم، وذلك في الصدقات، ثم قالوا: نسخ بآية الزكاة (تفسير الطبري ١٣/ ٣٢٨، تفسير أبي الليث ١/ ٥٧٦).

والحق أن الآية محكمة لا نسخ فيها، كما بين ذلك ابن جرير ١٣/ ٣٢٩.

(٢) ضبطها في الأصل: طَيْفٌ، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب وابن كثير والكسائي، وعليها جاء التفسير، وقرأ الباقون: طائف (النشر ٢/ ٢٧٥).

قال الثعلبي: هما لغتان، ومعناهما الشيء الذي يلم بك، وفرق قوم بنيهما، فقال أبو عمرو: الطائف ما يطوف حول الشيء، والطيف اللمم والخطرة (الكشف والبيان ١٢/ ٦٣٦).

﴿ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢﴾ أي: لا ينتهي الكفار عن قبول الوسوسة، ولا الشياطين عن إلقاء الوسوسة[١].

﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ﴾ بعلامة سألوكها، ولم تجبهم عنها ساعة، ثم أخبرتهم بعدها بالوحي ﴿قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ أي: اختلقتها، يعني: هلا قلتها من تلقاء نفسك ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ أي: أعمل بما أنزل علي من القرآن ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ بيان ودلائل ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ لمن آمن به وعمل ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣﴾.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ سُمِّي القرآن قرآنًا: لأنه كلام في الطبقة العليا من حسن النظم؛ وعجز الناس عن إتيان مثله.

وكان القوم إذ ذاك يتكلمون في صلاتهم فنهوا عنه بقوله ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ﴾ أي: القرآن[٢] ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ أي: اسكتوا ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾ فلا تعذبون.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا﴾ أي: القرآن في نفسك في الصلوات الخمس إخلاصًا واستكانة ﴿وَخِيفَةٗ﴾ من عذابه ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: دون الصوت العالي ﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾ أي: الغدوات ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ والعشاءات، تضرُّعًا وخُفية منصوبان على المصدر ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ عن القراءة في الصلاة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ لا يتعظمون ﴿عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ وطاعته، وقوله: عند ربك بالتشريف لا بالمكان وهم الملائكة[٣].

---

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٣٣٧.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ١٣/ ٣٤٥.

(٣) انظر: تفسير السمعاني ٢/ ٢٤٥، معالم التنزيل ٣/ ٣٢١.

﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ يصلون له وينزِّهونه ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ يخضعون في الصلوات.

معناه: فافعل أنت مثلهم يا محمد، لأن دينك دين الملائكة.

عن معاذ بن جبل أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «كان جبريل إذا نزل شيئًا من القرآن فيه السجود قرأ ثم يخرُّ ساجدًا، ويأمرني بذلك، ثم يقول: هذا واجب عليك وعلىٰ أمتك».

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله ذنوبه-: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الأعراف جعل الله تعالىٰ بينه وبين إبليس سترًا يوم القيامة وكان آدم له شفيعًا »[١].

والعلم عند الله.

---

(١) حديث موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان١٢/ ٢٩٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٧٤.

سورة الأنفال

مدنية كلها، وهي خمس وسبعون آية[١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ يعني: الغنائم، واحدها نفلٌ.

وهذه الآية نزلت في غنائم بدر، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حثَّ أصحابه علىٰ مال أبي سفيان إذ جاء بعير[٢] وأموال كثيرة من الشام، فعلم أبو سفيان بخروج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه قاصدًا مَاله، فسيَّر أبو سفيان ضمضم بن عمرو إلىٰ أهل مكة يعلِمْهُم بخروج محمد وأصحابه، فخرج أهل مكة بعسكرهم قاصدًا لرسول الله، وحفظًا لمالهم الذي كان مع أبي سفيان، وذهب أبو سفيان من طريق آخر إلىٰ مكة، ونجا بنفسه وماله، وقريش جاءوا إلىٰ موضع يقال له بدر، وهو اسم بئر، وقيل: اسم رجل حفر ذلك البئر، فلما سمع أصحاب رسول الله بنجاة أبي سفيان اغتموا لذلك، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إن الله وعدني إحدىٰ الطائفتين إما العير وإما العسكر» فإن ألغي[٣] العير بقي العسكر، فحرَّضهم علىٰ القتال، وقد قال: «من قتل قتيلاً فله سلبه» فخرج سرعان الناس وشبانهم إلىٰ الحرب، ولم يبق مع رسول الله إلا الشيوخ، فلما ظفروا وأخذوا أموالهم قالوا: يا رسول الله، أعطنا ما وعدتنا، والشيوخ

---

(١) انظر: الكشف والبيان ١٣/ ٧، البيان في عد آي القرآن ١٥٨، وهي ٥٧ آية في العد الكوفي والشامي، و٥٦ في المدني والمكي والبصري.
وفي صحيح البخاري (٤٦٤٥) عن ابن عباس أنه قال: سورة الأنفال نزلت في بدر.

(٢) في الأصل: بعين، وهو تصحيف.

(٣) هكذا في الأصل، والمعنىٰ واضح.

يقولون: إنما بقينا عندك يا رسول الله كيلا تعرىٰ راياتك عن الرحال، ولم يبق لنا من الغنائم مال، ووقع بين المشايخ والشبان جدال، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[١].

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾ أي حكم الأنفال إلىٰ الله وإلىٰ ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ ثم نُسِخَتْ الآية بقوله في هذه السورة ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ إلىٰ آخر السورة[٢].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما أمركم ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: أصلحوا حقيقة وصلكم، وقيل: أصلحوا الخصومة بينكم.

وحقيقة المعنىٰ: كونوا مجتمعين علىٰ ما أمركم الله، به وإنما ذكر ذات بلفظ التأنيث لأنها كناية عن الخصومة أو الحقيقة[٣].

والبين أراد به الوصل وهو من الأضداد.

---

(١) هذا الذي ذكره المصنف تلخيص روايات صحيحة، رواه ابن جرير، وغيره، انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٣٦٧، وفي صحيح مسلم (١٧٤٨) عن سعد بن أبي وقاص قال: أصبت سيفا، فأتىٰ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، نفلنيه، فقال: «ضعه»، ثم قام، فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «ضعه من حيث أخذته»، ثم قام، فقال: نفلنيه يا رسول الله، فقال: «ضعه»، فقام، فقال: يا رسول الله، نفلنيه، أؤجعل كمن لا غناء له؟ فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «ضعه من حيث أخذته»، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

(٢) اختلف العلماء في هذه الآية هل منسوخة أم محكمة؟ وبالنسخ قال مجاهد وعكرمة والسدي، وقال ابن زيد هي محكمة، (تفسير الطبري ١٣/ ٣٨٠، الكشف والبيان ١٣/ ١٥). ورجح ابن جرير أنها محكمة، وهي تخيير النبي صلىٰ الله عليه وسلم في أن ينفل من شاء، فنفل القاتل السلب، وجعل للجيش في البداءة الربع، وفي القفلة الثلث، بعد الخمس، والله أعلم.

(٣) أي: الحال التي هم عليها، (انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٣٨٤، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٠٠، الهداية ٤/ ٢٧١٣، الكشاف ٢/ ١٩٥).

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ اخشوا الله فيما أمركم ﴿وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما بين لكم وأعطاكم من الغنيمة ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١﴾ ثم نعت المؤمنين فقال:

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ المصدِّقون بوعد الله ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: ذكر عظمة الله، خافت قلوبهم ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ [عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ]﴾ أي قرئت عليهم آياته من القرآن ﴿زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ أي: تصديقًا ويقينًا، لأن من عرف شيئًا بالدليل ثم رأىٰ دليلاً آخر زادته يقينًا علىٰ يقينه ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ أي: بالله يثقون، وعلىٰ فضله يتكلون، يكلون أمرهم إلىٰ الله راضين بفعله ولا يجادلون.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ في تصديقهم ﴿حَقّٗاۚ﴾ لاشك في تصديقهم ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ الدرجات: هي المنازل المرتفعة في الجنة علىٰ قدر أعمالهم ﴿وَمَغۡفِرَةٞ﴾ تجاوز عن ذنوبهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ ثواب حسن في المنظر، شهي في المطعم.

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ﴾ بالمدينة ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ وتبعك المؤمنون، وإن كانوا كارهين، ثم صار عاقبة أمرهم خيرًا لذلك؛ إن أطاعوك في أمر الأنفال يجعل الله عاقبة أمرهم خيرًا[1].

وقيل: حكم الغنائم إليك حق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق[2].

---

(١) اختلف العلماء في الجالب لهذه الكاف في قوله: «كما»، وهذ القول الأول مرجح عند بعض اهل العلم، انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٤٠٣، تفسير الطبري ١٣/ ٣٩١، تفسير أبي الليث ٢/ ٥، الكشف والبيان ١٣/ ٢٢، البسيط ١٠/ ٢٥.

(٢) وهو بمعنىٰ القول الأول.

وقيل: هم المؤمنون حقًا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق[1].

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا﴾ أي: طائفة ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ۝٥﴾ للخروج.

﴿يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم أنَّ إحدىٰ الطائفتين لهم، وجدالهم: أنَّا لو علمنا أن لنا الحرب مع العدو لاستعدينا لهم، فهلَّا أخبرتنا يا رسول الله ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ من قلة عددهم ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ إلىٰ الموت لشدة كراهيتهم.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ إما العير وإما العسكر ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ تتمنون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ التي ليس فيها حرب ولا سلاح ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ يقال: رجل شاك السلاح، فمنه الشوكة ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ أي: ينصر الإسلام ويظهر دينه ﴿بِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ بنصرته ووعده، والحق: وقوع الشيء في موضعه ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٧﴾ أي: يريد أن يقتل قادة المشركين.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ أي: يظهر الإسلام ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ ويهلك الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ وإن كره المشركون إظهار الإسلام.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ اذكروا حين تطلبون المعونة من ربكم؛ وتستجيرون الله من عدوكم، وكان رسول الله يلح في الدعاء يوم بدر ويقول: «اللهم انصرني علىٰ أعدائك» حتىٰ قال أبو بكر: لا تنشد ربك يا رسول الله[2].

---

(١) وهو قول عكرمة كما في تفسير الطبري (١٣/ ٣٩١).

(٢) في صحيح مسلم (١٧٦٣) عن عبد الله بن عباس، قال: حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة، حتىٰ

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ أي: أجابكم ربكم ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾ متتابعين، واحد بعد واحد، بعضهم علىٰ إثر بعض، قيل: نزل خمس مائة من الملائكة ورئيسهم جبريل، وخمسمائة أخرىٰ ورئيسهم ميكائيل، فكان جبريل علىٰ الميمنة وميكائيل علىٰ الميسرة(١).

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: إرداف الملائكة ﴿إِلَّا [بُشۡرَىٰ]﴾ بشارة ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ أي: تسكن قلوبكم بإنزالهم ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: حقيقة النصر من الله لا من الملائكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ منيع بالنقمة ﴿حَكِيمٌ ۝١٠﴾ حكم بنُصرة المؤمنين يوم بدر.

﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ أي السِنة، وهو ابتداء النوم.

قال ابن مسعود: النُعاس في الحرب من الله وفي الصلاة من الشيطان(٢).

﴿أَمَنَةٗ مِّنۡهُ﴾ أي: أمنًا من الله تعالىٰ ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ أي: المطر ﴿وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ وذلك أنَّ الكفار كانوا [علىٰ] ماء، والمؤمنون علىٰ غير الماء، فأصاب بعضهم الجنابة بالاحتلام، فلما أصبحوا وسوس إليهم الشيطان: لو كنتم علىٰ الحق ما بقيتم عن الماء عطاشًا وجُنبًا، فأمطر الله السماء حتىٰ سال الماء في الوادي، حتىٰ

سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه علىٰ منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾فأمده الله بالملائكة.

(١) روىٰ ابن جرير في التفسير (١٣/ ٤١٧) عن علي: نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي صلىٰ الله عليه وسلم وفيها أبو بكر رضي الله عنه، ونزل ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وأنا فيها. وإسناده ضعيف.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ١٣/ ٤١٩.

اغتسلوا من الجنابة، وكان الوادي رملاً تغيب فيه الأقدام، فإذا أصابه المطر اشتد الرمل[(١)]، فذلك قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الجنابة.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يصبركم على القتال ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ أي: بالطر على الرمل.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ألهمهم ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾ ناصر، وقيل: قولوا للمؤمنين إني معكم ومبشرهم بذلك.

﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ شجعوهم على الكفار، وقيل: ثبّتوهم برؤيتهم إياكم ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف والفزع، ثم علمهم كيف يقتلون الكفار فقال: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي: على الأعناق، وقيل: رؤوسهم[(٢)] ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ يعني: الأصابع، وقيل: أراد به جميع المفاصل والقبائل[(٣)]، وقيل: أراد بالبنان الأيدي.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ خالفوه في الدين، وبرسوله كفروا ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ﴾ أي يعاديه ﴿وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القتل و الهزيمة ﴿فَذُوقُوهُ﴾ فجربوه، وإنَّ قدامكم أشد من ذلك، وهو[(٤)] ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾.

---

(١) قال ابن جرير: وبمثل ذلك تتابعت الأخبار عن أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم غيره من أهل العلم (تفسير الطبري ١٣/ ٤٢١).

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٤٣٠، الكشف والبيان ١٣/ ٣٦.

(٣) القبائل هنا بمعنىٰ الشُّعَب.

(٤) في الأصل: فرق بالضمير بين الواو، وأن، ولا يتأتىٰ ذلك في آيات الرسم العثماني.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا﴾ يتزاحفون زحفًا ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾ منهزمين.

وقيل: كونوا زحفانًا [ثابتين][1] غير منهزمين.

واللقاء: الاجتماع علىٰ جهة المقاربة، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أمر أصحابه أن يغضوا أبصارهم، ويمشوا إلىٰ عدوهم زحفًا مشاةً، وفيه: تحريض الله المؤمنين من أهل بدر أن يقاتلوا العدو مقبلين غير مدبرين.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ﴾ أي: ظهره[2] منهزمًا ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ﴾ أي: مستطردًا لقتال، أراد الكرَّة علىٰ العدو ﴿أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ أي: ينحاز إلىٰ جماعة شجعان من المسلمين، أي: يجتمع عليهم ليحفظوا ظهره.

والتحرُّف: الزوال عن جهة الاستواء إلىٰ جهة الحرف، والتحيُّز: هو طلب حيِّزٍ، أي: مكان يتمكن فيه[3].

قوله: ﴿فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استوجب الغضب من الله ﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦﴾.

﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ﴾ أي: يوم بدر بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ [قَتَلَهُمۡۚ]﴾ نصركم وأعانكم بإمداد الملائكة حتىٰ قتلتموهم ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ وكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم أخذ كفًا من تراب الوادي فرمىٰ به إلىٰ الكفار، وقال[4]: «شاهت الوجوه»، فكثر الله ذلك التراب حتىٰ ملأ أعينهم وأنوفهم وأفواههم،

---

(١) لعلها هكذا، فإنها غير واضحة في الأصل.

(٢) في الأصل: يظهر، وهو تصحيف، والتصحيح من تفسير الكلبي حيث صدر عنه المصنف.

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٤٣٥، البسيط ١٠/ ٦٢.

(٤) في الأصل: وقد، وهو تصحيف.

فأخبره الله تعالىٰ وقال: ما بلغت بكف من التراب إلىٰ أعينهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ [رَمَىٰ]﴾ تولىٰ ذلك وبلغه إلىٰ أعينهم[١].

﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ يعني: أراد الله أن يصنع بالمؤمنين من رمي التراب صنعًا بديعًا بالنُصرة والغنيمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائك ﴿عَلِيمٌ ۝١٧﴾ بهم وبعقوبتهم.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ مضعف صنيع الكافرين، والكيد: هو احتيال بشيء يوقع الرعب في قلب الخصم.

﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾ وإنما نزلت في أبي جهل لعنه الله، حين أراد الخروج من مكة إلىٰ بدر، تعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم انصر أعز الجندين وأكرم الفئتين، فلما اشتدت الحرب ببدر جاء مَلَك وصرعه عن فرسه، فقُتِلَ، فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾[٢].

﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ أي: تنتهوا عن كفركم ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ إلىٰ قتالهم مرة ثانية بعد بدر ﴿نَعُدۡ﴾ عليكم بالقتل والهزيمة ﴿وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ﴾ حينئذ ﴿فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ﴾ بعد أنْ يكون الله عليكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٩﴾ بالنصر لهم والدفع عنهم.

---

(١) رواه الطبري في التفسير ١٣/ ٤٤٣، عن ابن عباس من رواية علي، وعن ابن زيد وقتادة والقرظي وغيرهم، وانظر: الكشف والبيان ١٣/ ٤٩. وهذا محل اتفاق بين المفسرين، ما خالف إلا الزهري في خبر رواه.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير (١٣/ ٤٥٢) من طرق عدة، وهذا قول الجمهور، وقيل: إن المخاطب هم المسلمون، وهو ضعيف (الكشف والبيان ١٣/ ٥٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في أمر الغنيمة ﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ أي: عن أمر الله في طاعة رسوله ﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾ موعظته.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١﴾ قيل: هم اليهود[1]، وقيل: هم المنافقون، يقولون: سمعنا كلامك ولا يسمعون ذلك، لأن السماع الحقيقي هو القبول ولا يقبلون.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ أي: شر الخليقة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢﴾ لا يفهمون أمر الله، يتصاممون ويتباكمون ولا يفهمون.

﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ يعني لو علم فيهم أهلية الإيمان لأكرمهم بالإيمان ﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ﴾ حتىٰ فهموا ما يراد منه ﴿لَتَوَلَّواْ﴾ عن الهدىٰ ﴿وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾ لِعلم الله السابق فيهم أنهم مخلوقون للنار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ إلىٰ القتال ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ يعني: إلىٰ القتال، حتىٰ تُقتلوا فتصيروا أحياء في الجنة أبدًا.

وقيل: لما يحييكم أي يعزكم ويشرِّفكم.

وقيل: يدعوكم إلىٰ العلم والقرآن الذي فيه سبب حياتكم[2].

---

(١) لم يجر ذكر لليهود فيما مضىٰ، وقد حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس (زاد المسير ٢/ ١٩٨)، فيظهر أنه من رواية الكلبي، وهو قول غريب، بل المقصود: المشركون، وهو قول الجمهور، لأن ما مضىٰ يتحدث عنهم، أو المنافقون، وهو قول ابن إسحاق، لأن ما يستقبل ينالهم (تفسير الطبري ١٣/ ٤٥٨، تفسير أبي الليث ٢/ ١٤، الكشف والبيان ١٣/ ٥٧).

(٢) وكل هذه الأقوال مؤتلفة غير مختلفة، يجمعها: الاستجابة لأمر الله ورسوله في المكره والمنشط، ولذا لما دعا النبي صلىٰ الله عليه وسلم أبا سعيد بن المعلىٰ، وكان أصلي في المسجد، فلم يجبه، ثم أجابه فقال: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال صلىٰ الله عليه

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ معناه: استجيبوا لله والرسول من قبل أن يحال بين المرء وقلبه؛ فتمتنع عنه التوبة بالموت.

وقيل: قبل أن يجعل الله القوي ضعيفًا، والضعيف قويًا، والذليل عزيزًا، والعزيز ذليلاً، والشجاع جبانًا، والآمن خائفًا، فأجيبوا الرسول بالخروج إلىٰ الجهاد قبل هذه الحوادث، واعلموا أنَّ محشركم إلىٰ الله في الآخرة، وعليه مجازاة أعمالكم(١).

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً﴾ تكون بعد موت النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ ولكنها تصيب الظالم والمظلوم، وهي ما وقعت بين الصحابة(٢).

والنون دخلت في تصيبن لأنه نهي بعد أمر، كقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَـٰنُ﴾(٣).

وسلم: ألم يقل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾..الحديث، رواه البخاري (٤٤٧٤)، فدل هذا علىٰ عموم المراد.

ولذا قال ابن جرير بعد أن روىٰ هذه الأقوال: وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: معناه: استجيبوا لله وللرسول بالطاعة، إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق. وذلك أن ذلك إذا كان معناه، كان داخلا فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدو والجهاد، والإجابة إذا دعاكم إلىٰ حكم القرآن، وفي الإجابة إلىٰ كل ذلك حياة المجيب. أما في الدنيا، فبقاء الذكر الجميل، وذلك له فيه حياة. وأما في الآخرة، فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها (تفسير الطبري ١٣/ ٤٥٦).

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٤٦٨، الكشف والبيان ١٣/ ٦٢.

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٤٧٣، الكشف والبيان ١٣/ ٦٧.

(٣) وهو قول نحاة الكوفة، وهو منقول من معاني القرآن للفراء ١/ ٤٠٧، وانظر: تفسير الطبري ١٣/ ٤٧٥، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤١٠، الكشف والبيان ١٣/ ٦٥.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢٥﴾.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾ معشر المهاجرين ﴿إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾ أي: كنتم قليلاً في العدد ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ﴾ مقهورون في أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ يختلسكم أهل مكة ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ إلىٰ المدينة، أي: جعل المدينة مأواكم ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ أي: قوّاكم يوم بدر بظفره ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من الغنائم الحلالات ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٢٦﴾ صنائع ربكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الخيانة: منع الحق بعد ضمان التأدية.

نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، أرسله رسول الله إلىٰ بني قريظة يكون حكمًا بينهم وبين النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فقام في مواجهتهم وأشار إلىٰ حلقه، أي: لا تنزلوا فإنه الذبح، فنزلت الآية(١).

أي: لا تنصحوا أعداء الله ﴿وَتَخُونُوٓاْ [أَمَٰنَٰتِكُمۡ]﴾ أمانات الله، وأمانة الله عند العبد أوامره ونواهيه، وترك الشيء منها خيانتها ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٧﴾ أنكم خُنتم الأمانة(٢).

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ الذين عند بني قريظة ﴿فِتۡنَةٞ﴾ وكان عندهم أولاده وماله، فخان المسلمين لأجل ذلك(٣) ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٢٨﴾ ثواب وافر للناصحين لأمة محمد.

---

(١) وهو المشهور عند المفسرين، وقد تاب وحسنت توبته، والحديث رواه ابن جرير في التفسير ١٣/ ٤٨١، وهو في سيرة ابن هشام ٣/ ٢٤٧، والكشف والبيان ١٣/ ٧٢.

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٤٨٦، تفسير أبي الليث ٢/ ١٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ١٧.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾ يعني: إن تتقوا الله في ترك الخيانة وأداء الأمانة يسبب لكم ولعيالكم فرجًا ونجاةً، وقيل: فرقانًا هداية ونورًا في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل كيلا تخونوا أمانة الله ﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ ما قد سلف من ذنوبكم ويغفر لكم الكبائر ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ علىٰ عباده.

﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: اذكر حين احتال في قتلك الكفار في دار النَّدْوةَ ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ في الوثاق أو الحبس ﴿أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ من البلد، وله قصة طويلة، وكان مدبرهم إبليس، ورئيسهم أبو جهل لعنهم الله، أشار عمرو بن هشام إلىٰ أن يُرْبَط علىٰ بعير ويُخْرَج من مكة ليموت جوعًا وعطشًا «أو يخرجوك»[١].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾ أي: يحتالون لهلاكك بدلالة إبليس، ويجازيهم الله جزاء مكرهم، وهو قتلهم ببدر ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ أفضل الصانعين لأنه يجازي، وليس بمبتدئ بمكر.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ﴾ يعني: ما هذا الذي يقرأ ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣١﴾ يعني: ما سطره الأولون من الأكاذيب والأخبار، واحدها: أسطورة[٢].

---

(١) القصة في سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٠، وانظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٤٠٨، تفسير الطبري ١٣/ ٤٩٤، وبحر العلوم ٢/ ١٧، والكشف والبيان ١٣/ ٧٨.

(٢) في الأصل: سطرة، وهو تصحيف، والصواب ما أثبت، قال ابن جرير (في التفسير ١٣/ ٥٠٣): الأساطير جمع أسطر، وهو جمع الجمع، لأن واحد الأسطر سطر، ثم يجمع السطر: أسطر وسطور، ثم يجمع الأسطر: أساطير وأساطر، وقد كان بعضُ أهل العربية يقول: واحد الأساطير: أسطورة. (انظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤١١، الكشف والبيان ١٣/ ٨٤).

نزلت في النضر بن الحارث[١]، ونزلت فيه أيضًا: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كما أمطرت على أصحاب الفيل ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ كعذاب الأمم الماضية[٢].

قال الله تعالىٰ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: لا يعذِّبهم الله تعالىٰ، وكان زائدة[٣] ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ أي: بين أظهرهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني: في أصلابهم المستغفرون.

وقيل: لا يعذبهم الله لو كانوا يستغفرون.

وقيل: لا يعذبهم عذاب استئصال واصطلام، ولكن يعذِّبهم دون ذلك بالقحط والخوف[٤].

ثم قال ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ من بعد خروجك من بينهم، وبعد خلوِّ أصلابهم من المستغفرين ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: يصرفون الناس عن الكعبة ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ أي: أولياء المسجد، وقيل أولياء الله

---

(١) قال المفسرون: كان النضر بن الحارث يختلف تاجرًا إلىٰ فارس، فيمرّ بالعِباد وهم يقرأون الإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء مكة، فوجد محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد، فقال النضر: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا، للذي سَمِع من العباد. فنزلت (تفسير الطبري ١٣/ ٥٠٣، تفسير أبي الليث ٢/ ١٨، الكشف والبيان ١٣/ ٨٤).

(٢) انظر الروايات في النضر ومقولته تلك في تفسير الطبري ١٣/ ٥٠٥، والكشف والبيان ١٣/ ٨٤.

(٣) لا زائد في القرآن، بل كل كلمة في موضعها متمكنة الفصاحة، في أعلىٰ منازلها، وكذا كل حرف، فكان هنا: أفادت أن ذلك ما كان مكتوبا في الأزل، من دلالة الماضي، وهذا أعظم في تشريف النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فكأنه قال: مكتوب في الأزل أنه إذا كان في قوم لا ينزل بهم عذاب لبركته فيهم.

(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٥١١، تفسير أبي الليث ٢/ ١٩، الكشف والبيان ١٣/ ٨٦.

﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾ أي: ما أولياء المسجد الحرام ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ من أمة محمد إلى أن تقوم الساعة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٣٤﴾ أنَّ أولياءهم المؤمنون.

ثم نعتهم وقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلَّى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدار عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم، فيصفران كما يصفر المكاء، والمكاء: الطير في البادية –مشدد–[1] يصفر في صوته، ورجلان عن يساره فيصفقان بأيديهما[2].

وإنَّما سمَّى الله المكاء والتصدية صلاةً؛ لأنهم: يجعلونها مكان صلاة المؤمنين ومكان الدعاء لهم.

﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٥﴾ بالله، وتجحدون نبوة رسوله، فقتلوا كلهم ببدر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يصرفون الناس عن دين الله ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ يعني: حسرة وندامة يوم القيامة، ثم يغلبون ويقتلون ببدر.

وأراد به المطعمون ببدر، كانوا يطعمون العسكر، لكل واحد منهم نوبة في الإطعام، وهم ثلاثة عشر رجلاً: أبو جهل، وأخوه الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن الحارث،

---

(١) أي: مكَّاء (الكشف والبيان ١٣/ ٩١).

(٢) وهو قول مقاتل في تفسيره ٢/ ١٦، وتتمته: فقتلهم الله ببدر هؤلاء الأربعة، ولهم يقول الله ولبقية بنى عبد الدار: «فذوقوا العذاب» يعنى القتل ببدر «بما كنتم تكفرون».

وحكيم بن حزام، وأُبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، والعباس بن عبد المطب، كلهم من قريش[١].

ثم قال ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ إذا ماتوا علىٰ كُفرهم.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أي: يفرق الكافر من المؤمن، والمرائي من المخلص، والمطيع من العاصي.

واللام: لام القسم[٢]، والتمييز: إخراج الشيء مما ليس منه.

وقيل: أراد به نفقة الكفار عن المسلم[٣].

﴿وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا﴾ فيجمعه جميعًا ﴿فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧﴾ المغبونون بذهاب الدنيا والآخرة، إنما يدخل ذلك في النار ليزيد أهل النار بها حسرة، كما تدخل الآلهة معهم في النار.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ إن انتهوا عن الشرك يغفر لهم ما سلف في الجاهلية من الذنوب ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلىٰ الشرك ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ﴾ جرت وخلت ﴿سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ أي: جرت سُنَّة الله في الأولين بنصرة أوليائه، وإهلاك أعدائه، وسُنَّة الأولين من الكفار أن يهزموا ويقتلوا ويحشروا إلىٰ النار.

---

(١) وهو قول الضحاك، كما في الكشف والبيان ١٣/ ٩٦، وتتمته: وكانوا يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر. (انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٢٠، معالم التنزيل ٣/ ٣٥٥).

(٢) لا وجه لذلك، بل هي لام التعليل (الهداية ٤/ ٢٨٢٠، البحر المحيط ٥/ ٣١٧).

(٣) الكشف والبيان ١٣/ ٩٦.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾ يعني كفار مكة ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ أي: لا يبقىٰ شرك في جزيرة العرب ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ أي العبادة في الحرم ﴿كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن الكفر وقتالكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ من الانتهاء والتوبة ﴿بَصِيرٞ ٣٩﴾ عالِم.

﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن طاعتكم ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ﴾ مالككم وناصركم ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾.

﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ و«ما» بمعنىٰ الذي، يعني: الذي أخذتم من الكفار.

[﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾]

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ وهو افتتاح كلام لأن الأشياء كلها لله، وهو قوله ﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ﴾ ثم يقسم هذا الخمس علىٰ خمسة أسهم:

خُمس للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، وخُمس لأقرباء النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وخُمس لليتامىٰ من المسلمين، وخُمس للمساكين، وخُمس لأبناء السبيل.

والمساكين: الطوّافون علىٰ الأبواب.

وابن السبيل: مار الطريق، وقيل الضيف النازل.

فسهم الله وسهم رسوله واحد، وكان رسول الله يأخذه وينفق علىٰ من شاء وما شاء من عمارة الكعبة والسلاح والكراع.

وسهم ذوي القربىٰ يجعله بين بني هاشم، ويجعل لأولاد عبد المطلب نصيبًا، وهم أولاد الحارث بن عبد المطلب، وأولاد العباس وأولاد علي وجعفر وعقيل.

فما توفي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جعل الغنائم بين اليتامىٰ والمساكين وأبناء السبيل، وذهب سهم الله وسهم رسوله، وسقط سهم ذوي القربىٰ، وقسَم علىٰ ذلك أبو بكر، واتفق أصحاب رسول الله علىٰ ذلك[1].

ثم قال ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ أي: محمد من القرآن ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر حين[2] غلب الحق الباطل، وقيل: يوم النصرة.

﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع محمد وجمع قريش ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ من النصر والظفر.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: شفير الوادي مما يلي المدينة، يعني: الأقرب إلىٰ مسكنكم ﴿وَهُم﴾ يعني قريش، وهو أبو جهل وأصحابه ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ أي: شفير الوادي الأبعد، وكانوا مما يلي مكة[3]، والعدوة جانب الوادي ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني: العير، نزلوا أسفل منكم علىٰ شاطئ البحر، بعضكم من بعض قريب، والركب كانوا أربعون رجلاً فيهم أبو سفيان ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم وأهل مكة والعير علىٰ اجتماعكم في منزل واحد في ليلة واحدة لا يمكنكم ذلك ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن﴾ جمعكم الله علىٰ مكان واحد ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي: ليمضيَ حكمًا كان في علمه مفعولاً كائنًا، وهو النُصرة لرسول الله، والهزيمة لعدوه، والهلاك لأبي جهل.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي: يقتل من قُتِلَ علىٰ الكفر بعد بيان وحجة ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي: يؤمن من أراد أن يؤمن بعد بيان وحجة.

---

(١) وفي ذلك خلاف بين أهل العلم، وهو مذكور في كتب تفسير الأحكام والفروع، وانظر: تفسير الطبري ١٣/ ٥٤٨، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٣، جامع أحكام القرآن ٨/ ٩ فما بعد.

(٢) الكشف والبيان ١٣/ ١٠٥.

(٣) تصحف في الأصل: وحنين.

قيل: ليدخل في النار من كان من أهلها بعد البيان والحُجة، ويدخل في الجنة أهلها بعد البيان والحجة، فشبَّه الإيمان بالحياة والكفر بالموت.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ لدعائك على المشركين، عليمٌ: بعقوبتهم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ يعني: أراك الله الكفار في عينك قليلاً، وكان قد رآهم في نومه فأخبرهم بذلك -يعني أصحابه-.

وقيل: في اليقظة، والأول أوفق لقول الجماعة، ثم إذا التقوا ببدر قلَّل الله المشركين في أعين المؤمنين تصديقًا لرؤيا رسوله(١).

﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ أي: جبنتم من العدو ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: اختلفتم في أمر الحرب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أتمَّ لكم الأمر، وقيل: أعطاكم السلامة وأهلك عدوكم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ أي: بإرادة ذوات الصدور.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ يعني: أراكم الله الكفار في أعينكم قليلاً عند الالتقاء حتى أجرأكم عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ يعني: في أعين المشركين حتى اجترؤوا عليكم ولم يستعدوا للحرب عُدة بالغة ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ كائنًا في علمه، وهو: أن ينصر محمدًا صلى الله عليه وسلم ويقتل عدوه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ أي: عاقبة الأمور في الآخرة راجعة إلى الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟﴾ يعني: لقيتم فئة من الكفار اصبروا لقتالهم ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ بالدعاء والاستغفار، وقيل بالتكبير ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ بالظفر على العدو.

---

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٥٦٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٣، الكشف والبيان ١٣/ ١٠٨.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في أمر القتال ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ أي: لا تختلفوا في أمر الحرب فتجبنُوا ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ دولتكم ونصرتكم ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾ مع نبيكم في القتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ معينُهم.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ أي: لا تكونوا في المعصية كالذين خرجوا من مكة ﴿بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أشرًا ومراءاةً، منصوبان على الحال[1].

وكان أبو جهل لعنه الله يقول: لا نرجع إلىٰ مكة حتىٰ ننحر الجزور، ونشرب الخمور ونقيم[2] القينات، حتىٰ تسمع العرب بخروجنا.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: مع بطرهم وريائهم يمنعون السِّفلة والأتباع عن متابعة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧﴾ أي: بأعمالهم الخبيثة.

﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: قُبْح أعمالهم ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وذلك أنَّ إبليس قد جاء علىٰ صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، وكان سراقة سيدهم، وكان بين قريش وبين كنانة دماء، فخاف أهل مكة أن يعينوا خصمهم، فقال لهم إبليس من لفظ سراقة: لا غالب لكم اليوم من الناس -يعني محمدًا وأصحابه- فجِدُّوا في حربه ﴿وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ من بني كنانة، وإذا كنت أنا فيكم لا تخالفونني ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ﴾ أي: التقىٰ الجمعان: المسلم والكافر ﴿نَكَصَ﴾ أي: رجع الشيطان ﴿عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ خلفه منهزمًا هاربًا، لأنه رأىٰ الملائكة تنزل من السماء ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾ فقبض شيبة بن ربيعة بمجامع ثوبه، وقال: يا سراقة، الله الله،

(١) وقيل: مفعولان لأجله (التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٦٢٦، الدر المصون ٥/ ٦١٦).

(٢) كذا في الأصل، وفي تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٨، والكشف والبيان ١٣/ ١١٥): وتعزف.

أتخذلنا في هذا الموضع بعدما حرَّضتنا على القتال، فدفعه دفعة رماه بها وأدبر، وهو ينادي: إني بريء منكم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ مِن الملائكة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾ أن يصيبني معكم بعذابه(١).

قال مقاتل: كذب عدو الله، ما كان به خوف، ولكنهم خذلهم عند الشدة، فانهزموا على أثره، وقالوا: انهزم بالناس سراقة، فبلغ الخبر إلى سراقة فذهب إلى مكة، وقال: والذي يحلف به ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أنه فِعل إبليس(٢) [﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤٨﴾].

﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك في دين الله ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾ الإسلام، يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

والغرور: إظهار النصح وإبطان الغش.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في جميع ما ينويه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٤٩﴾ منيع بالنِقمة من أعدائه، حكيم للنصر لمن توكل على الله.

ثم ذكر حال المنافقين ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني: تقبض الملائكة أرواحهم يوم بدر ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ أي: ظهورهم بالعُمُد ﴿وَذُوقُواْ﴾ يعني: يقولون لهم: ذوقوا ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠﴾ وجواب الكلام محذوف، وجوابه: لو رأيت ذلك لرأيت أمرًا صعبًا(٣).

---

(١) قصة سراقة في السيرة لابن هشام ١/ ٦٦٣، وتفسير الطبري ١٣/ ٧، والكشف والبيان ١٣/ ١١٦.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٢١. وعنه في الكشف والبيان ١٣/ ١١٨.

(٣) البسيط ١٠/ ١٩٤.

وقيل: قولهم «ذوقوا عذاب الحريق» يكون في القيامة بعد ما ذاقوا السيف في الدنيا، أي: جربوا[١].

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ وألسنتكم من الشرك والمعاصي ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ أي: لا يعذِّب بغير جُرم.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: عادة[٢] هؤلاء في الكفر كعادة آل فرعون، فجُوزوا هؤلاء بالقتل والسبي كما جُوزي آل فرعون بالغرق والإهلاك ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كعادة مَن كان قبلهم مثل قوم نوح وهود وثمود ﴿كَفَرُوا۟﴾ ربهم، فهؤلاء كفروا ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مثلهم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ وكُفرهم وتكذيبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ في أمرهم، بالانتقام ممن عصاه ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ إذا عاقب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب لأهل مكة ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: ليعلموا بأن الله ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ [حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ]﴾ أي: لا يزيل علىٰ قوم نعمة أعطاهم حتىٰ يزيلوا ذلك بترك الشُكر واستعمالها في المعصية، كما غيَّر علىٰ أهل مكة حين أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف؛ فكفروا بنعمة الله فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف[٣].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائكم ﴿عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ بإجابتكم.

---

(١) الكشف والبيان ١٣/ ١٢٢.

(٢) تصحفت هذه الكلمة في المواضع كلها: عبادة، والتصحيح من كتب التفسير، (مجاز القرآن ١/ ٢٤٧، تفسير الطبري ١٣/ ١٨، معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٠٩، الكشف والبيان ١٣/ ١٢٣، البسيط ١٠/ ٢٠١) وسترد بعد آية علىٰ الصواب.

(٣) تفسير الطبري ١٤/ ١٩.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: عادة هؤلاء في تغير الرحمة كعادة آل فرعون ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَۚ﴾ أي فرعون وقومه ﴿وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ كافرين.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ الخليقة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من بني قريظة وغيرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أبدًا[1].

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ أي: عاهدتهم بأن لا يقاتلوك ثم ينقضون عهدهم بالعُذْر ﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عادتهم ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ نقض العهد.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ﴾ مهما تأسرنهم وتأخذنهم في الحرب وغيره ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: إذا أسرتهم نكِّل بهم تنكيلاً، وعاقبهم عقوبة تشرِّد وتفرق بتلك العقوبة من يأتي خلفهم من أهل العهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: يتعظون عن نقض العهد.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ أي: تعلمنَّ ﴿مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ بنقض العهد ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: اطرح إليهم العهد وأعلمهم بذلك ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ لتكون أنت وَهُم في نقض العهد علىٰ استواء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ البادين بنقض العهد[2].

---

(١) لا خلاف بين المفسرين أن الآية نازلة في بني قريظة (تفسير الطبري ١٤/ ٢٢، الكشف والبيان ١٣/ ١٢٧، زاد المسير ٢/ ٢١٩).
وفيه: قال المفسرون: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا ثم عاهدوه الثانية، فنقضوا ومالؤوا الكفار يوم الخندق، وكتب كعب بن الأشرف إلىٰ مكة يوافقهم علىٰ مخالفة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

(٢) الكشف والبيان ١٣/ ١٢٩.

وقيل: إن قتلتهم بغير إعلام فتكون خائنًا والله لا يحب الخائنين.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿سَبَقُوٓاْۚ﴾ انفلت قوم من المشركين يوم بدر، فاغتم بذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ﴾.

إنْ قرأت بالتاء فالخطاب لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وإن قرأت بالياء فالخطاب للكفار، ومعناه: لا تحسبن يا محمد أنهم سابقين وفائتين من عذابي[1].

﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ۝٥٩﴾ الله عن عقوبتهم.

ثم قال ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ أي للكفار ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أي سلاح ورمي وقسي ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ أي: ربط الخيل علىٰ العلف ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ﴾ تخوِّفون بالخيل ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ بني قريظة والنضير ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾ تخوِّفون أعداءً آخرين مِن دون بني قريظة من سائر الكفار[2].

وقيل: أراد به الجن، لأنَّ الجني يخاف من صهيل الفَرَس ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾ أنتم ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾[3].

وقيل: هم أهل فارس والروم.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ يوفر عليكم ثوابه ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝٦٠﴾ بنقص الثواب.

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة وأبو جعفر وحفص بالياء، واختلف عن إدريس عن خلف، وقرأ الباقون بالتاء (النشر ٢/ ٢٧٧).

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٣٦.

(٣) ذكره أهل التفسير ولم ينسبوه لأحد، تفسير الطبري ١٤/ ٣٦، الكشف والبيان ١٣/ ١٣٣. وفي تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩: أن الجن لا تدخل بيتا فيه قوس وسهام.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ إنْ مالوا إلىٰ الصلح فمِل إليها، وإنْ خفت تدليسًا منهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ لما طلبوا من الصلح، ولما أضمروا في قلوبهم.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟﴾ بني قريظة ﴿أَن يَخْدَعُوكَ﴾ في الصلح، والخديعة: هي إظهار المحبوب إذا كان الإضمار بخلافه ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ معناه: أن الذي تولىٰ كفايتك هو الله، وهو الذي قوَّاك وأعانك علىٰ عدوك يوم بدر مع قلة أعوانك، وأمدَّك بالملائكة ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأيدك بالأوس والخزرج ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ جمع الله علىٰ الإسلام قلوبهم، وكانوا قبل ذلك متباغضين، وبينهم حرب ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الذهب والفضة لتألِّف قلوبهم ﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لم تقدر علىٰ ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ جمع بينهم ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة ﴿حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ حكم التأليف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ فيه معنيان:

أحدهما: أنَّ الله يكفيك ويكفي المؤمنين أيضًا، فيكون [«من»] في موضع النصب.

والثاني: أنَّ الله يكفيك ومن اتبعك من المؤمنين يكفيك أيضًا، فيكون «من» في موضع الرفع.

والثاني قول الزجاج واختياره وقول الحسن(١)، والأول قول الشعبي وأبي سهل(٢).

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٤١٧، تفسير الطبري ١٤/ ٥٠، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٢٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠، والفراء هو الذي اختار هذا القول، أما الزجاج فحكىٰ القولين.

(٢) وقول الضحاك وابن زيد كذلك، انظر: تفسير الطبري ١٤/ ٤٩، معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٢٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠، الكشف والبيان ١٣/ ١٣٦.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ قتال المشركين، أي: أخبرهم بثواب المجاهدين، [و] حظهم من الغنيمة ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ يحتسبون في الحرب ﴿يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ من المشركين ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ﴾ صابرة ﴿يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ عن الله عز وجل أمره وتوحيده، وأنتم تفقهون ذلك.

ثم قال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ أي: هوَّن الله عليكم الأمر الذي افترضه عليكم ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ﴾ في النية والصبر ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم﴾ الآن ﴿مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ محتسبة ﴿يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ من الكفار ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ﴾ من الكفار ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: بأمره ومشيئته ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ بمعنىٰ النصرة.

والآية الأخيرة ناسخة للآية المتقدمة علىٰ قول الجماعة، منهم: ابن عباس(١)، ولفظ الآية خبر ومعناه الأمر حتىٰ يحتمل النسخ، لأنَّ الخبر لا يحتمل النسخ(٢).

وقيل: نزلت هذه الأخيرة بعد الأولىٰ بمدة طويلة.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما جاء لنبي وما ينبغي له أن يكون له أسرىٰ، أي: يقبل الفداء من الأسارىٰ حتىٰ يثخن في

---

(١) لفظ حديث ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، ثقلت علىٰ المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين، ومئة ألفا، فخفف الله عنهم. فنسخها بالآية الأخرىٰ فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ قال: وكانوا إذا كانوا علىٰ الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم. وإن كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم أن يقاتلوا، وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم، رواه الطبري في التفسير ١٤/ ٥٢.

(٢) وهو معنىٰ قول ابن جرير في التفسير ١٤/ ٥٦.

الأرض، حتىٰ يتمكن في الأرض ويبالغ في قتل الأعداء، ويغلب علىٰ جزيرة العرب.

وذلك أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أسر ببدر سبعين رجلاً من قريش، فيهم عمه العباس، فشاور أبا بكر وعمر في الأسارىٰ، فقال أبو بكر: أرىٰ أن تأخذ منهم الفداء، فيقوىٰ به أصحابك، ولعل الله يهديهم، فأعجب رسول الله ذلك، وقال عمر رضي الله عنه: أرىٰ أن تضرب أعناقهم، والله تعالىٰ أغناك عن الفداء، فكره رسول الله ذلك، وقال لأبي بكر: مثلك مثل إبراهيم حيث قال ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦﴾ وقال لعمر: مثلك مثل نوح حيث قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ فجعل علىٰ كل رجل أربعين أوقية فداء، وعلىٰ عمه مائة أوقية، لإقدامه علىٰ قطع الرحم، وإطعامه أعداء الله، فنزلت الآية ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ﴾ الفداء، إلىٰ قوله ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ كما قال أبو بكر(١).

---

(١) روي هذا عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، وهو لم يسمع منه في قول النقاد، وعن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة وأبي زميل، وعن بعض التابعين، رواه الطبري في التفسير ١٤/ ٥٩، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٤٠.
وحديث أبي زميل في صحيح مسلم (١٧٦٣)، ولفظه: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارىٰ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأبي بكر، وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارىٰ؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرىٰ أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة علىٰ الكفار، فعسىٰ الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ما ترىٰ يا ابن الخطاب؟» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرىٰ الذي رأىٰ أبو بكر، ولكني أرىٰ أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيبا لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾ إن شاء انتقم من الكفار من غير قتالكم، وإن شاء حكم عليكم بالقتل.

﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أي: لولا قضاء من الله سبق بالمغفرة لأهل بدر ﴿لَمَسَّكُمۡ﴾ أي: أصابكم ﴿فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾ وقيل: لولا ما قضىٰ من إحلال الغنيمة.

ثم قال: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾ من غنائم الكفار بعد إخراج الخُمس منه، حلال لكم طيب قد طيَّبها الله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ اخشوه ولا تغلوا من الغنائم شيئًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ متجاوِز لما فرط منكم ﴿رَّحِيمٞ ٦٩﴾ إذ لم يعذِّبكم فيما فعلتم قبل الرخصة، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لو نزل العذاب لنجا منه عمر بن الخطاب»(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ أي: العباس ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ أي: صدق الإيمان ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ أي: ما أخذه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم منكم من الفداء ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ ذنوبكم مما سلف من الشرك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ قال العباس رضي الله عنه: صدق الله وعده، قد أعطاني خيرًا مما أخذ مني، إن لي عشرين مملوكًا كل مملوك يضرب بعشرين ألفًا من التجارة، وأعطاني زمزمًا، وأنا أرجوا المغفرة من ربي(٢).

وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنىٰ من هذه الشجرة» - شجرة قريبة من نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم - وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ إلىٰ قوله ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾ فأحل الله الغنيمة لهم.

(١) رواه ابن جرير في التفسير ١٤/ ٧١، من حديث ابن زيد مرسلا.

(٢) روىٰ ابن جرير نحوه من طرق عدة عن ابن عباس (التفسير ١٤/ ٧٣، ٧٤).

قيل: لما ضرب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الفداء علىٰ العباس مائة أوقية، فقال: يا ابن أخي أتتركني أسأل الناس؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أين الدنانير التي دفعت إلىٰ أم الفضل ليلة خرجت إلىٰ بدر» فقال: من أخبرك بهذا ولم يكن معنا ثالث؟ فقال: «الله أخبرني وهو عالِم الغيب والشهادة» فقال العباس: علمت أنك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فأسلم(١).

وأخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الفداء من الكل غير عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث فإنهما قد ضرب أعناقهما، والآية نزلت بعد أخذ الفداء، والله أعلم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ أي: نقض العهد فلا تبال ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ حين قاتلوك ببدر ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: غلَّبك عليهم وأظفرك ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبهم من الخيانة ﴿حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ حكم أنهم [إن] عادوا فعُد أنت أيضًا.

والإمكان: القدرة علىٰ المبتغَىٰ من غير مانع(٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الذين صدقوا وهاجروا من مكة إلىٰ المدينة، وحاربوا العدو بأموالهم وأنفسهم لإعزاز دين الله، ثم ذكر الأنصار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ أي أعطوا رسول الله المأوىٰ ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ أعانوه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في الدين والميراث، يعني المهاجرين والأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من أهل مكة ﴿وَلَمْ يُهَاجِرُواْ﴾ كهجرتكم ﴿مَا لَكُم﴾ معشر المهاجرين ﴿مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: لا ترثونهم ولا يرثونكم ما لم

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٢٤، وإسناده جيد.

(٢) البسيط ١٠/ ٢٦٤.

يهاجروا ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ وإن لم يهاجروا إليكم فانصروهم لئلا يردهم الكفار عن دين الإسلام[١].

الوَلاية: بنصب الواو مصدر الولي، وبكسر الواو مصدر الوالي[٢].

ثم قال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ مثل بني كنانة، فإنهم إن استنصروكم عليهم فأصلحوا بينهم ولا تدعوهم يقاتلون ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ صار منسوخًا بقوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ [إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ] ﴿١﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في الميراث.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ مقدَّم ومؤخَّر، معناه: وإنْ استنصروكم فعليكم النصر إلا تفعلوا أي: لا تعينوهم[٣] ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ترك نصرهم فتنة لهم،

---

(١) الكشف والبيان ١٣/ ١٥١.

(٢) وقال الكسائي: بالفتح النصر، وبالكسر الإمارة (الكشف والبيان ١٣/ ١٥٢).

(٣) تفسير الطبري ١٤/ ٨٥، الكشف والبيان ١٣/ ١٥٢.

قال الواحدي (في البسيط ١٠/ ٢٦٨): في الكناية في قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ قولان: أحدهما: أن الكناية تعود إلىٰ الموالاة، وذلك أن قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ معناه: بعضهم يوالي بعضًا، وهذا يدل علىٰ المصدر، فكني عنه.. قال ابن الأنباري: فتكون الهاء عائدة علىٰ التوارث، أي: إن لا تفعلوا التوارث علىٰ ما حد الله لكم تكن فتنة في الأرض.

وهذا القول كالأول؛ لأن الوراثة كانت بالولاية، فسواء عادت الكناية إلىٰ التوارث، أو إلىٰ الموالاة فالمعنىٰ واحد، وعلىٰ معنىٰ قول ابن جرير تكون الكناية راجعة علىٰ التناصر..، والقولان في رجوع الكناية ذكرهما الفراء والزجاج، ولابد من تقدير تقديم وتأخير في الكلام؛ لأنا إن قلنا: تعود إلىٰ الموالاة فكأن قيل: أولئك بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة، وإن قلنا: تعود علىٰ التناصر فكأنه قيل: فعليكم النصر إلا تفعلوه تكن فتنة (وانظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٤١٩).

يرجعون إلىٰ الكفر ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾ بالقتل، الفتنة هاهنا: المحنة بالميل إلىٰ الضلال، والفساد: تناول القبيح.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لا شك في إيمانهم ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ تمحيص لذنوبهم في الدنيا ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤﴾ ثوابٌ حسن في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ﴾ المهاجرين الأولين ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ والمهاجرة: فراق الوطن إلىٰ غيره من البلدان، والمجاهدة[1]: تحمل المشقة في قتال العدو.

﴿فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ في الولاية والميراث ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الميراث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: فرائض الله، وقيل: حكم الله ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧٥﴾ كان في ابتداء الإسلام لا يجري التوارث بين المهاجر وغير المهاجر إن كانا مسلمين، فنسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الأنفال والتوبة فأنا له شفيع وشهيد يوم القيامة أنَّه بريء من النفاق، وأعطي له من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات، ومُحي عنه عشر سيئات بعددهم، ورفع له عشر درجات»[2].

---

(١) في الأصل: والمهاجرة، وهو سبق قلم.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٧٥.

سورة التوبة

مدنيَّة[١]، وهي مائة وتسع[٢] وعشرون آية في الكوفي[٣].

قوله عز وجل: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾:

سئل أُبي بن كعب: لم ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم علىٰ رأس سورة براءة؟ قال: لأن هذه السورة آخر ما نزل من القرآن، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بيَّن موضع كل سورة، وتوفي ولم يبن موضع هذه السورة، فألحقناها بسورة الأنفال لتشابههما[٤].

---

(١) قال ابن الجوزي (في زاد المسير ٢/ ٢٣٠): لها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة. والثاني: براءة وهذان مشهوران بين الناس. والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة. والرابع: المقشقشة، قاله ابن عمر. والخامس: سورة البحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود. والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس. والسابع: المبعثرة، لأنها بعثرت أخبار الناس وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد وابن إسحاق. والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة. والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزجاج.

وانظر: مبحث أسماء سورة التوبة في الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٦١.

(٢) تصحفت في الأصل: إلىٰ سبع، والتصحيف بين سبع وتسع مهيع واسع.

(٣) لا خلاف في مدنيتها (الكشف والبيان ١٣/ ١٥٧، البيان في عد آي القرآن ١٦٠، الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٦١). وهي ١٢٩ في الكوفي، و ١٣٠ في عدد الباقين (البيان ١٦٠).

(٤) المعروف أن ذلك من رواية ابن عباس عن عثمان، رواه أحمد في المسند (٤٩٩)، وهو حديث منكر. ورواه أبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦).

قال الزجاج: أمْرَ العهودِ مذكور في سورة الأنفال، وهذه نزلت بنقض العهود فكانت ملتبسة بالأنفال في الشبه (معاني القرآن ٢/ ٤٢٧).

لكن نقله الزمخشري عن أبي بن كعب، فقال في الكشاف ٢/ ٢٤١: وعن أبىٰ كعب: إنما توهموا ذلك، لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود، ولم يذكره الزيلعي في تخريجه.

وفي قول الكلبي: هي من سورة الأنفال[١].

وسُئل علي بن أبي طالب عن ذلك، قال: لأنَّ سورة براءة نزلت في السيف، وليس للسيف أمان، وبسم الله الرحمن الرحيم من الأمان[٢].

وعامل الإعراب في قوله «براءة» أي: هذه براءة[٣]، أي: نقضُ عهدٍ علانيةً من الله ورسوله ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ①﴾ أي: عن الذين عاهدتم، وكلمة إلىٰ مقبض علىٰ قوله: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ معناه: براءة منبوذة إلىٰ الكفار من عهودهم.

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ آمنين من القتال، من يوم النحر سنة تسع من الهجرة إلىٰ تمام أربعة أشهر، أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عليًّا بأن يقرأ علىٰ أهل الجمع بمنًىٰ تسع آيات من سورة براءة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عهد أكثر من أربعة أشهر فقد حطَّه إلىٰ أربعة أشهر، ومن كان عهده دون أربعة أشهر أكمل إلىٰ أربعة أشهر، ومن لم يكن له عهد كان آمنًا إلىٰ خمسين ليلة: عشرون من ذي الحجة وثلاثون من المحرم بعده[٤].

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي: إن سرتم في الأرض فلم تفوتوا من

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧، وقد عقد ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٢٣١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٦٢، فصلا لبيان سبب ترك البسملة، وهذا القول نسب إلىٰ غير واحد.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٢٣١، القرطبي في تفسيره ٨/ ٦٢، وروىٰ الثعلبي عن ابن عيينة مثله (الكشف والبيان ١٣/ ١٦٤).

وكل هذه التخريجات لا تعدو أن تكون تعليلا لعدم إثباتها، فإنها إنما تركت لأجل الرواية، فالقرآن منقول بالتواتر، وقد أجمع القراء علىٰ ترك البسملة هنا، وهذا الإجماع يفيد العلم اليقين أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لم يبسمل بها، والله أعلم.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٢٨، الكشاف ٢/ ٢٤٢، التبيان ٢/ ٦٣٤، الدر المصون ٦/ ٥.

(٤) تفسير الطبري ١٤/ ٩٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧، الكشف والبيان ١٣/ ١٦٧.

عذاب الله هربًا ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ أي معذِّبهم.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ أي: هذا إعلام من الله ورسوله ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعني أهل العهد ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم عرفة، وقيل: يوم منىً لأنَّ فيه طواف الزيارة[1].

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ أيضا ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ عن نقض العهد، وقيل: رجعتم عن الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ﴾ أي: غير فائتين من عذابه ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وهم حي من بني كنانة، عاهدوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تسعة أشهر، ولم ينقضوا، فأمر بإتمام عهدهم[2] ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: لم ينقضوا عهدهم ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ لم يعاونوا ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ﴾ تسعة أشهر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ عن نقض العهد.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ أي: ذهب ومضىٰ المحرَّم، لأنَّ بمُضي المحرم تمضي[3] الحُرُم ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مَنْ لم يكن له عهد ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في الحلِّ والحرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ يعني: ائسروهم ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ أي: احبسوهم ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ﴾ أي: خذوا عليهم كل ممر ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾

---

(١) أي يوم النحر، وهذان قولان مشهوران (تفسير الطبري ١٤/ ١١٣)، ورجح ابن جرير أنه يوم النحر.

(٢) لم يذكرهم ابن جرير، وانظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٣٩، الكشف والبيان ١٣/ ١٩٥، تفسير السمعاني ٢/ ٢٨٨، معالم التنزيل ٤/ ١٢.

(٣) لعلها هكذا، فإنها مصحفة، وصورتها: نصب.

من الشرك ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أقروا بفرضيتها ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أقروا بها ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾ اتركوهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ متجاوِز لما سلف من الشرك، قابل لتوبتهم.

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ﴾ بعد انقضاء المدة ﴿فَأَجِرۡهُ﴾ أي: استأمنك فأمِّنه من القتل ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: يسمع قراءتك لكلام الله، فيقف على ما أمر الله له ونهاه عنه ﴿ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾ أي: موضع أمنه ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإجارة لهم ﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ توحيد الله، فيجب أن تقام عليهم الحجة.

﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ على وجه التعجب، وقيل: استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يكون للمشركين عهد عند الله ﴿وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ وهم بنو كنانة ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ﴾ أي: بيتوا على الوفاء ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾ فاحفظوا عهدهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٧﴾.

﴿كَيۡفَ﴾ يحفظون عهدكم ﴿وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: يظفروا بكم ﴿لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ﴾ أي: لا يحفظوا فيكم ﴿إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾ الإل: القرابة والذمة: العهد، وقيل: الإل العهد والذمة الأمان، وقيل: الإل اسم من أسماء الله تعالى[1].

المعنى: إن ظفروا بكم لا يحفظون حق قرابتكم وعهودكم ولا حق الله.

﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بألسنتهم بغير إخلاص ﴿وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: تنكر قلوبهم ما يقول باللسان ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨﴾ خارجون عن أمر الله.

---

(١) ذكرها في زاد المسير ٢/ ٢٣٨.

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ اختاروا بكتمان آيات الله وتحريف التوراة عَرَضًا يسيرًا من الدنيا[١] ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ أي: منعوا الناس عن طريق الحق وهو الإسلام ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ قيل: هم اليهود، وقيل: المنافقون.

﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ﴾ أي: لا يحفظوا فيكم ﴿إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠﴾ المجاوزون عن الحد.

﴿فَإِن تَابُواْ﴾ من الشرك ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فهم[٢] ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ أي: الإسلام، وإنما ذكر هذا لأنَّ الأول للتخلية، والثاني لإثبات الأخوة ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١﴾ يفهمون من الله تعالىٰ.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾ نقضوا عهودهم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ أي: عانوا علىٰ دينكم ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ سادة الكفار، مثل أبي سفيان والحارث بن هشام ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ أي: لا عهد.

وقرئ: «لا إيمان لهم» لأنهم مشركون[٣].

﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ عن الشرك.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا﴾ كلمة «ألا» كلمة تحريض ﴿نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾

---

(١) هذا قول الكلبي، أن الآية نازلة في اليهود، وهو قول شاذ، وقال مجاهد وعطاء ومقاتل: في المشركين، لأن أبا سفيان كان يعطي الناقة ليصد عن سبيل الله (تفسير أبي الليث ٢/ ٤١).
وهذا هو الذي اختاره ابن جرير، وهو الظاهر من سياق الآيات (تفسير الطبري ١٤/ ١٥١، الكشف والبيان ١٣/ ٢١٢).

(٢) فصل بين الفاء وإخوانكم بهم.

(٣) في الأصل: لا أمان، وهو تصحيف، وهذه قراءة ابن عامر مصدر آمن إيمانا (النشر ٢/ ٢٧٨).

يعني: قريشًا نقضوا عهودهم ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة قبل الهجرة ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالنكث، حيث أعانوا بني الديل -وهم بنو بكر- علىٰ خزاعة وقاتلوهم، وخزاعة في عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(١).

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ استفهام بمعنىٰ الإنكار، أي: لا تخشوهم ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ أي: حاربوهم ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ بسيوفكم ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ يعني: أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(٢).

وشفاء الصدر: سكون القلب بزوال الهموم.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: غيظ خزاعة ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ من بني الديل(٣) ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ من كان أهلاً للتوبة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن يؤمن ﴿حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ في أمره.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ﴾ أظننتم يا أصحاب محمد أن تتركوا علىٰ الإقرار فقط ولم تؤمروا بالجهاد ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ أي: لم يميِّز المجاهدين عن غير المجاهدين، قيل: أراد به العلم الذي يُجازىٰ العبد، وإنما يجازىٰ العبد علىٰ ظاهر فعله، فإذا ظهر منه العمل علم الله منه الفعل الذي يستحق الجزاء.

---

(١) قيل في البدء الأول: قاتلوكم ببدر، وقيل قاتلوا حلفاءكم خزاعة، تفسير الطبري ١٤/ ١٥٨.

(٢) يعين بأصحابه: حلفاؤه من خزاعة.

(٣) في الأصل: الدليل. وبنو الديل -ويقال: الدئل- من خزاعة، وهذا أحد قولين في الآية، وهو قول عكرمة، والثاني: أنه عام في المشركين، وهو المختار (الكشف والبيان ١٣/ ٢٢١، زاد المسير ٢/ ٢٤١).

﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يعني: ولا دون المؤمنين ﴿وَلِيجَةً﴾ أي: خاصة وبطانة.

والوليجة: الدخيلة في القوم من غيرهم، وهو الذي يتخذه غيرُه صاحبَ سرٍّ يفضي إليه سرَّه، وحقيقة المعنىٰ: أحسبتم أن تتركوا بمجرد قولكم آمنَّا؛ ولا نختبر صحة دعواكم بالجهاد في سبيل الله؛ والإخلاص في دينكم وإيمانكم؛ والامتناع عن موالاة الكفار ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ فيه تهديد للمنافقين، وعظة للمخلِصين.

﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ نزلت في العباس بن عبد المطلب حين أُسِرَ يوم بدر، عيَّره المؤمنون بأفعاله، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتتركون محاسننا، فقالوا: وما محاسنكم؟ فقال: نحن عُمَّار بيت الله، وفينا السقاية والسدانة، نسقي الحاج ونفك الأسير[1]، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ لأنَّ عمارة المسجد بالطاعة لا بالتزيين والتطيين.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾ لأنَّ اليهودي يقول: أنا يهودي، والنصراني يقول: أنا نصراني، وعابد الوثن يقول: أنا عابد الوثن[2] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ بالشرك ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾.

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ أي: لم يعبد إلا الله ﴿فَعَسَىٰٓ﴾ أي: لا شك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ بدين الإسلام، وعسىٰ بمعنىٰ اليقين.

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير ١٤/ ١٧٠، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وذكره في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٦، والكشف والبيان ١٣/ ٢٢٥.

(٢) وهذا قول السدي، رواه عنه ابن جرير في التفسير ١٤/ ١٦٦. والمعنىٰ: أنهم يقرون علىٰ أنفسهم بالشرك إما بدلالة الحال أو المقال (الكشف والبيان ١٣/ ٢٢٩).

ثم وبَّخهم فقال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: كإيمان مَن آمن ﴿بِٱللَّهِ﴾ وقيل: أجعلتم صاحب السقاية وعامر المسجد كمن آمن بالله ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لأنَّ هذا في الجنة وذاك في النار ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ أي: لا يلهم الكافرين ما أصروا على كفرهم، وقيل: لا يهديهم إلى الحجة على أهل الحق.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾ من مكة ﴿وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أنفقوها في الجهاد ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ نصب على التمييز، أي: درجة المؤمن أرفع عند الله ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ بالظفر بالجنة.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ﴾ أي: يفرحهم بالجنة والكرامة ورضوان بأنْ لا يسخط عليهم، وجنات: بساتين ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ دائم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي: في الجنة خالدين، نصب على حال البشارة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ ثواب وافر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ قيل: لما أمر رسول الله بالهجرة فكان بعضهم يمنعهم آباؤهم وإخوانهم عن الهجرة، فنزلت الآية[١].

لا تتخذوا[٢] آباؤكم وإخوانكم الذين بمكة أحباء في العون والنُصرة ﴿إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: اختاروا الشرك على الإيمان بالله ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ وافقهم في الجلوس بمكة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ لأنفسهم.

(١) تفسير الطبري ١٤/ ١٧٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧، الكشف والبيان ١٣/ ٢٤٠.
(٢) في الأصل: تتخذ.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أي: أقرباؤكم الذين كلهم بمكة ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها، الاقتراف: الاكتساب للمال ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ يخافون ألا تَنفق بالمدينة ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ أي: منازل تحبونها بمكة.

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: طاعة الله وطاعة رسوله بالهجرة ﴿وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ أي: أحب إليكم من الجهاد ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: بنُصرةٍ لنبيه، وقيل: حتىٰ يفتح الله مكة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ خاصة، وحُنين: اسم وادٍ بين مكة والطائف، وذلك أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خرج في عشرة آلاف رجل إلىٰ وادي حنين، فقال [رجل من الأنصار] [(١)]: يا رسول الله، والله لا نغلب اليوم من كثرة، فساءت رسول الله كلمته، فابتلاهم الله بتلك الكلمة، فجاء مالك بن عوف الدهماني[(٢)] ومعه أربعة آلاف كسروا جفون سيوفهم، وحملوا علىٰ المؤمنين حملة شديدة فهزموهم جملة، ولم يبق مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلا قليل من الناس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان يقود ناقة رسول الله، وعباس أخذ...[(٣)] وأمر رسول الله عباسًا وكان رجلاً صيِّتًا

---

(١) في الأصل: أمير الكفار، وهو تصحيف شنيع، أمير تصحيف من، حيث مدّ النون في الأصل، والأنصار تصحفت إلىٰ الكفار، وقيل إن القائل: سلمة بن سلامة (انظر: تفسير الطبري ١٤/ ١٨٠، تفسير أبي الليث ٢٨/ ٤٨، الكشف والبيان ١٣/ ٢٤٧، البسيط ١٠/ ٣٤٦).

(٢) كذا في الأصل، ودُهمان جده، فهو: مالك بن عوف بن مالك بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، أسلم وشهد القادسية.

(٣) كلمة لم أستطع قراءتها، والمشهور أن العباس كان آخذا بلجام دابة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، كما في كتب السيرة والمصادر المذكورة. والقصة في صحيح مسلم مطولة.

لينادي: يا أهل القرآن اجتمعوا إلىٰ رسول الله، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «أيها المهاجرون إليَّ إليَّ، أين أصحاب الصُفَّة، أين أصحاب سورة البقرة» فاجتمع إليه الناس بعد الهزيمة، وحملوا علىٰ الكفار، فهزمهم الله تعالىٰ، فولوا مدبرين فذلك قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: انهزمتم بإعجابكم بالكثرة، فلم تنفعكم كثرتكم ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رحبها وسعتها، حتىٰ كدتم أن لم تجدوا مفرًا ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أعرضتم منهزمين.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طمأنينته وأمنه ورحمته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا﴾ من السماء ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة صلوات الله عليهم ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ بالقتل والهزيمة ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ في الدنيا.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ من أهل الطائف فيهديهم لدينه، ومن المنهزمين ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ غفور لما كان من هزيمتهم، رحيم بهم حين رخص لهم في التوبة(١).

---

(١) روىٰ مسلم في الصحيح (١٧٧٥) عن عباس قال: شهدت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فلم نفارقه، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقىٰ المسلمون والكفار ولىٰ المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أي عباس، ناد أصحاب السمرة»، فقال عباس -وكان رجلا صيتًا-: فقلت بأعلىٰ صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله، لكأن

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ أي: قذر مستقذر، مصدر أقيم مقام الفاعل ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ الحج والطواف ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَـٰذَاۚ﴾ وهو عام البراءة، سنة تسع من الهجرة ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿عَيۡلَةٗ﴾ أي: فاقة بسبب انقطاع التجار من مكة ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ أي: من رزقه مِن وجه آخر ﴿إِن شَآءَۚ﴾ لأنَّ الإغناء بمشيئة الله، قيل: أسلم أهل صنعاء وتُبالة وجُرش[١]، وحملوا الطعام إلىٰ مكة، وأغناهم الله عن تجار بكر وائل[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٞ ۝٢٨﴾ حكم أنَّ الغنىٰ بيده لا يملكه غيره.

﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ اليهود والنصارىٰ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ [وَرَسُولُهُۥ]﴾ أي: لا يؤمنون بالرسول والقرآن

عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر علىٰ أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة علىٰ بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو علىٰ بغلته كالمتطاول عليها إلىٰ قتالهم، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم «هذا حين حمي الوطيس» قال: ثم أخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حصيات فرمىٰ بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال علىٰ هيئته فيما أرىٰ، قال: فوالله، ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرىٰ حدهم كليلا، وأمرهم مدبرا.

(١) وهي أصقاع من اليمن، وهذا من تفسير الكلبي، وقيل: أنزل الله عليهم المطر مدرارا فكثر خيرهم ذلك العام، وقيل: عوضهم بالجزية (تفسير الطبري ١٤/ ١٩٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٥١، الكشف والبيان ١٣/ ٢٧١).

(٢) في الأصل: يكون وائل، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت من تفسير الكلبي، والكشف والبيان ١٣/ ٢٧٢.

حتىٰ يحرموا الخمر والخنزير ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: لا يخضعون لله بالتوحيد ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة والإنجيل ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ يعني: إلىٰ أن يعطوا الجزية ﴿عَن يَدٖ﴾ صَغارٍ ومذلة، أي: عنوة ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ أذلاء.

قال الكلبي: يعطوا الجزية قيامًا وصغارة؛ أن تؤخذ ويتلتل بها تلتلة[١].

ثم حكىٰ الله تعالىٰ مقالتهم فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ لعن الله الفريقين لعنًا وبيلاً ﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ أي: كذب ليس تحته معنىٰ ولا حُجة ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يشابهون ﴿قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ والمضاهاة: المشابهة، وكانت الكفار ﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ يقولون: اللات والعزىٰ ومناة بنات الله ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أي: لعنهم ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ من أين يكذبون علىٰ الله وينكرون توحيده.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ أي: علماؤهم وأهل صوامعهم ﴿أَرۡبَابٗا [مِّن دُونِ ٱللَّهِ]﴾ يعني: أمروهم بالمعصية والكُفر فأطاعوهم، واتخذوا ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ إلـٰهًا أيضا ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ أي: ما أمرهم الله في شيء مِن الكتب، ولا أمرهم عيسىٰ ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ وتعالىٰ ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ تنزيهًا له عما يقولون.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ أي: يبطلوا توحيد الله بتكذيبهم ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ﴾ أي: لا يفعل الله ما يريدون ﴿إِلَّآ [أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ]﴾ إظهار دينه

---

(١) البسيط ١٠/ ٣٦١، وفي رواية عن الكلبي: إذا أعطىٰ الجزية صفع في قفاه (الكشف والبيان ١٣/ ٢٨٥). وكفىٰ بإعطائها صغارا، فمن زعم أنه يفعل بهم فوق ذلك فقد تعدىٰ (انظر: تفسير الطبري ١٤/ ٢٠١).
والتلتلة: التحريك والإقلاق والزعزعة والزلزلة (تاج العروس ٢٨/ ١٤٠).

الإسلام ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ اليهود أعداء الله، والنصارىٰ أعداء الله، لعنهم الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ بعث محمدًا ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ والتوحيد ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي: يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: علىٰ الأديان، والدين اسم جنس يقع علىٰ جميع الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: الجور، ويقال: بالرِّشا علىٰ كتمان نعت محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دين الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ يجمعونها، مقدار ما تجب الزكاة فيهما بعد حولان الحول ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يزكيها، رده إلىٰ الكنوز ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: تسجر النار علىٰ الكنوز في نار جهنم ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا﴾ أي: بالكنوز ﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ والكي: إلصاق الحديد الحار بالبدن ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: قيل لهم هذا ما جمعتم من المال لهوىٰ أنفسكم، وضيَّعتم حقَّ الله فيها ﴿فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي جربوا: عقوبة ما تجمعون.

قيل: لا يوضع دينار مكان دينار ولا درهم مكان درهم، ولكن يوسع جلدهم لذلك(١).

---

(١) رواه الطبري في التفسير ١٤/ ٢٣٣ عن ابن مسعود بإسناد صحيح، وانظر: الكشف والبيان ١٣/ ٣٣٦.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا﴾ التي جعلت لسنتكم؛ منازل العمر ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ منذ قدَّر الله خلقهما ﴿مِنۡهَآ﴾ أي: من الشهور ﴿أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ﴾ ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ثلاثة سردٌ وواحد فرد ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾ الحساب المستقيم ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ أي: لا تضروا في هذه الأشهر أنفسكم بالقتل والإغارة، والظلم حرام في جميع الشهور، وخص هذه الأشهر تعظيمًا لهنَّ[1].

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ أي: جملة ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾ فصار القتل مباحًا في الأشهر الحرم، والأشهر الحرم صارت منسوخة[2] ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ معين الموحدين.

قوله ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ كان كفار العرب يشتد امتناعهم عن القتال والإغارة ثلاثة أشهر متوالية، فإذا أرادوا ذلك قام رجل يقال له: جنادة بن عوف، أبو أمامة[3] كُنيته، يوم منىٰ، ينادي: يا أهل منىٰ، إني أحللت المحرم وحرَّمت مكانه صفرًا، فقاتَلوا في المحرم وغمدوا سيوفهم في صفر، فإذا كان عام القابل فيقول ذلك الرجل: يا أهل مِنىٰ، إني أحللت صفرًا وحرَّمت المحرم كما كان، فنزلت الآية[4].

---

(١) نحوه في تفسير أبي الليث ٢/ ٥٦.

(٢) يعني: نسخ تحريم القتال فيها. والجمهور من أهل التأويل أن هذه الآية نسخت ترك القتال في الأشهر الحرم، (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٦، الكشف والبيان ١٣/ ٣٥٤) ولم يذكر ابن جرير نسخًا.

(٣) كذا في الأصل: أمامة، ومثله في تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧، وفي كتب التفسير الأخرىٰ والسير: أبو ثمامة، وهو الصحيح، و هكذا ترجمه الحافظ في الإصابة ١/ ٦١٠، فقد قيل: إنه أسلم.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٤٤، تفسير الطبري ١٤/ ٢٤٥، الكشف والبيان ١٣/ ٣٦٠.

والنسيء في اللغة: التأخير[١]، أي: تأخير المحرم إلىٰ صفر، زيادة في الكفر: أي هو كفر بنفسه، وهو تحليل حرام الله، ضم إلىٰ كفر آخر.

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: يوافقوا عدد ما حرم الله من الشهور الأربعة أشهر، فيحلوا ما حرَّم الله من الدم والأموال ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ﴾ أي: قبح أعمالهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ خاص وليس بعام، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لقد رأيت جنادة بن عوف يجر قميصه في النار»[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم أمر الناس بالخروج إلىٰ غزوة تبوك في حر شديد، فتثاقلوا عنها، فنزلت الآية[٣].

ومعناها: مالكم[٤] إذا قال لكم رسول الله: انفروا -اخرجوا- إلىٰ قتال العدو بسبب دين الله: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ﴾ اطمأننتم إليها، وأحببتم الدنيا

---

(١) البسيط ١٠/ ٤١٧.

(٢) غريب بهذا اللفظ، لم أجده في كتب التفسير والحديث، وكيف يكون ذلك وقد أسلم جنادة، كما ذكره الحافظ وغيره، ولكن المعروف: رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار، وقد مر هذا الحديث، فلعله تصحف علىٰ المصنف أو علىٰ المصدر، لأن عمرو بن لحي له ذكر هنا كذلك، فإنه -علىٰ بعض الأقوال- أول من نسأ الأشهر، هكذا روىٰ جويبر عن الضحاك عن ابن عباس (كما في الكشف والبيان ١٣/ ٣٦٥)، وهذا إسناد واهٍ عن ابن عباس، كما هو معروف، والله أعلم.

(٣) لا خلاف بين المفسرين في ذلك، انظر: تفسير الطبري ١٤/ ٢٥٤، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧، الكشف والبيان ١٣/ ٢٦٩.

(٤) في الأصل: ماكلتم.

على الجهاد ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ رضيتم بنعيم الدنيا من نعيم الآخرة بدلاً، استفهام بمعنى التوبيخ[1].

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جنب ﴿ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ أي: تخرجوا مع نبيكم إلى غزوة تبوك ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في النار ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أطوع لله منكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تنقصوه بالمعصية شيئًا من ملكه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ من العذاب والبدل.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ إن لم تنصروا محمدًا عليه الصلاة والسلام بالخروج ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أعانه حين أخرجه كفارُ مكة من مكة ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أحد اثنين هو وأبو بكر ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ في كهف من جبل ثور ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ يعني: رسول الله قال لصاحبه ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ يا أبا بكر على قتلي وعلى ذهاب الإسلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ في الدفع والضر ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ أي: سكون قلب وطمأنينة على أبي بكر، وقيل: على رسول الله ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أعانه ﴿بِجُنُودٍ﴾ من الملائكة ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ لم تعاينوها ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ وهي كلمة الكفر، يعني مغلوبة مذمومة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ التوحيد ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ العالية القاهرة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

وقصة الغار معروفة، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وهما في الغار: «يا أبا بكر ما أدري أي أياديك أعدها، صدَّقتني حين كذَّبني الناس، وواسيتني بنفسك حين خذلني الناس، وآنستني في وحدتي، فأي يد أفضل من هذا» قال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأنا

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٧١، ولو قال: معناه الحث –كما قال ابن جرير والثعلبي– لكان أحسن.

الفداء لك، حتىٰ متىٰ تكون أنت وأنا في هذا الغار خائفين، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أبشر يا أبا بكر، ولا تحزن إن الله معنا بالنصر، ألم تصدقني أول من صدقني» قال: بلىٰ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: «فصدقني بما أقول لك، ليبلغن توحيد ربي مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، حتىٰ يغلب الإسلام كل دين»[١].

قوله تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ شبانًا وشيوخًا، وقيل: فقراء وأغنياء وأصحَّاء ومرضىٰ[٢] ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ أنفقوا أموالكم وابذلوا دماءكم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ [لَّكُمۡ]﴾ من القعود ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ ذلك.

﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا﴾ غنيمة قريبة المأخذ ﴿وَسَفَرٗا قَاصِدٗا﴾ أي: قريبًا وقصدًا، والقصد: هو الشيء بين الشيئين[٣] ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ لأطاعوك ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ السفر إلىٰ الشام، فتخلَّف عن غزوة تبوك أربعة وثمانون رجلاً من المنافقين ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ كذبًا ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا

---

(١) غريب بهذا اللفظ، لم أجده بهذه السياقة، وعلامات الوضع بادية عليه، والله أعلم.
وأخرج ابن عساكر (في تاريخ دمشق ٣٠/ ٣١٧) عن أبي بكر رضي الله عنه أن قال: ما دخلني اشفاق من شيء ولا دخلني في الدين وحشة إلىٰ أحد بعد ليلة الغار، فإن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين رأىٰ إشفاقي عليه، وعلىٰ الدين، قال لي: هون عليك، فإن الله قد قضىٰ لهذا الأمر بالنصر والتمام. وفيه سيف بن عمر متروك.

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٢٦٢.

(٣) قال الليث: القصد استقامة الطريقة، يقال: قصد يقصد قصدًا فهو قاصد..، وقال أهل المعاني: وسفرًا قاصدًا: سهلاً باقتصاده من غير طول في أمره، وإنما قيل للعدل قصد لأنه مما ينبغي أن يقصد (البسيط ١٠/ ٤٥١).

﴿مَعَكُمْ﴾ لو وجدنا من المال لخرجنا معكم ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالأيمان الكاذبة، والسريرة الفاجرة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيما يعتذرون.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ يؤنسه الله بالعفو، ثم يعاتبه، فقال: تجاوز الله عنك.

والعفو: هو ترك التبعة على الجرم[1].

ثم قال ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في القعود ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ أي: يظهر لك ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ في أيمانهم.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ في الحلف ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟﴾ أي: لا يجاهدوا ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ مثل أبي بكر وأصحابه.

ثم وصف المنافقين فقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: شكت قلوبهم في أمرك ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يتحيَّرون، لا يدرون أيخرجون أم يقعدون.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ لاستعدوا [بـ]ـالسلاح ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ خروجهم معك ولم يُرد[2] ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ ثقَّلهم عن

---

(١) أي في اللغة، أما في تفسير هذه الآية فالمعنى كما قال: تجاوز الله عنك، وهذه عادة يفسر المفردة، ثم يذكر أصلها اللغوي. قال عمرو بن ميمون الأودي: اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه من الأسارى، فأنزل الله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ الآية (تفسير الطبري ١٤/ ٢٧٤).
وقال الحسين بن الفضل: هذا من لطيف المعاتبة ولو لم يفتتح الخطاب بالعفو ما كان يقوم لقوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ فطيب الله نفسه بتصدير العفو، وذلك أنه أذن لهم من غير مؤامرة ولم يكن له أن يمضي شيئًا إلا بوحي (البسيط ١٠/ ٤٥٥).

(٢) أوّل المصنفُ الكره بعدم الإرادة، وهو تأويل الزجاج، كما في معاني القرآن ٢/ ٤٥٠.

الخروج، وأدخل حلاوة الجلوس في قلوبهم، وخذلهم ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: مع النساء بالإلهام أو وسوسة الشيطان[١].

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فسادًا وشرًا في أمر العسكر ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾ ساروا بالسرعة على إبلهم بالنميمة ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: طلبوا إظهار الشرك منكم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي: جواسيس ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: عالم بعقوبتهم.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل غزوة تبوك، وقيل: قبل قدوم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة[٢] ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ ظهرًا لبطن، ماذا يفعلون بك وبأصحابك من الشر ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الإسلام ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي دينه الإسلام ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ لذلك.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ في الجلوس، وهو معتب بن قشير كان يقول: إني مستهتر بالنساء، فأْذن لي بالقعود[٣].

وبينهما فرق، فالكره هو البغض، والله عز وجل أبغض خروجهم مع نبيه صلىٰ الله عليه وسلم، فلما أبغض خروجهم ثبطهم، وتأويل الكره بعدم الإرادة غير صحيح، إذ ليس عدم الإرادة لازمًا للكره دائما، لأنه قد يكره الشيء ويقع، ويكون مقدرا ومرادا إرادة كونية، فقد كره الله عز وجل الكفر وقيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال، ومع ذلك وقع ذلك كله قدرا من أناس يعلمهم الله. ولذا كان تفسير ابن كثير للآية هو الصحيح، فإنه قال: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي: أبغض أن يخرجوا معك قدرا (تفسير ابن كثير ٤/ ١٥٩)، والله أعلم.

(١) البسيط ١٠/ ٤٦٤.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٣، الكشف والبيان ١٣/ ٣٩٧، البسيط ١٠/ ٤٧٦.

(٣) المشهور عند المفسرين أن قائل ذلك هو الجدُّ بن قيس، علىٰ هذا تواردوا، انظر الروايات في تفسير الطبري ١٤/ ٢٨٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٦٤، الكشف والبيان ١٣/ ٣٩٩، تفسير السمعاني ٢/ ٣١٥، معالم التنزيل ٤/ ٥٦. وهذه العبارة نسبها للجد بن قيس الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٧٧، والرازي في التفسير الكبير ١٦/ ٦٥.

﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ أي: لا تؤثمني في بنات الأصفر، يعني: نساء الروم، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ أي: في الكفر والنفاق ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ٤٩﴾ أحاطت بهم جميعًا.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٞ تَسُؤْهُمْ﴾ أي ظفر وغنيمة لك ساءهم ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٞ﴾ هزيمة وشدة ﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: حذرنا من البلاء قبل وقوعها بالتخلف، كما قالوا يوم أُحد ﴿وَيَتَوَلَّواْ﴾ عن الجهاد ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ ٥٠﴾ مسرورون شامتون.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ أي: قضاه الله علينا أو لنا ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ﴾ أولىٰ بنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾ أي: علىٰ المؤمنين أن يتوكلوا علىٰ الله.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ تنتظرون بنا ﴿إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِۖ﴾ إما الفتح والغنيمة(١) وإما القتل والشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ وهو أحد الشرين ﴿أَوْ بِأَيْدِينَاۖ﴾ بسيوفنا، وهو شر آخر لكم ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ٥٢﴾ هلاككم بأخذ هذين الشرين، لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ يعني: إن أنفقتم طائعين أو كارهين ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ فالطوع: ما يتصدقون علىٰ المساكين رياء وسمعة، والكره: ما يؤخذ من الصدقات منهم ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ٥٣﴾ عاصين بالكفر.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ أي: من قبول نفقاتهم إلا لأجل كفرهم بالله وبرسوله، ويجوز أن يكون بمعنىٰ: ما منعهم الله عن قبول نفقاتهم

---

(١) في الأصل: وإما الغنيمة، سبق قلم.

﴿إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ الأموال ﴿إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ۝٥٤﴾.

﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا [فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا]﴾ وفي الآية إشكال، لأنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ فكيف يعذِّبهم بالزينة؟.

ولكن نقول: في الآية تقديم وتأخير، معناه: فلا يعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذِّبهم بكثرة الأموال والأولاد في الآخرة(١).

﴿وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ كاذبين.

﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ﴾ في السر ﴿وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ۝٥٦﴾ يخافون من القتل والسبي.

﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا﴾ حِرزًا ﴿أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ﴾ غِيرانا في الجبل ﴿أَوۡ مُدَّخَلٗا﴾ سربًا في الأرض ﴿لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ﴾ أي: مضوا إليه ﴿وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ۝٥٧﴾ يسرعون إليه.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ﴾ يطعنك ﴿فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ اللمز: العيب بكسر الشفاه، والهمز: بكسر العين.

وقالوا: إنَّ محمدًا لم يعدل في القسمة، يعني زيد بن رفاعة وأبا الجواظ، قالا ذلك(٢).

---

(١) انظر: التفسير الكبير ١٦/ ٧٢. وهذا مروي عن بعض السلف، كقتادة وابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة (تفسير الطبري ١٤/ ٢٩٦). وقيل: التعذيب إنما هو بالكلف والمشاق المترتبة علىٰ هذه الزينة، وهو قول بعض السلف كذلك (تفسير الطبري ١٤/ ٢٩٦).

(٢) هذا من تفسير الكلبي كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٦٦، والكشف والبيان ١٣/ ٤١٨، ولذا لم يذكره الطبري، بل أخرج نزولها في ذي الخويصرة التميمي، رأس الخوارج.

﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ﴾ أي: أعطوا مقدار مرادهم رضوا بالقسمة ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ ثقتنا به ﴿سَيُؤْتِينَا﴾ يعطينا ﴿ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ أي: عطيَّته ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ نطمع فيما عنده، لكان ذلك خيرًا لهم، وهذا محذوف الجواب(١).

وقيل: جوابه حذف الواو عن قوله: «وقالوا حسبنا الله»، وقد يذكر الواو والمراد طرحه كقوله تعالىٰ: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ معناه: كالأعمىٰ الأصم [و] البصير السميع.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ أي صدقات السوائم من الأصناف الأربع للفقراء، من أهل الصُفَّة، وكانوا نحوًا من أربعمائة رجل، هاجروا من أهاليهم وأموالهم، فأسكنهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الصُفَّة، لا يأوون إلىٰ أهل ولا مال.

والفقير: الذي كسرت الحاجة فَقَاره.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الذي: سكَّنته الحاجة عن حال أهل الثروة، وهو يسأل الناس لحاجته(٢).

﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ الساعين الذين يأخذونها عن حق، ويضعونها في حق.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ قيل: كانوا خمسة عشر رجلاً من بني أمية وبني مخزوم منهم، أبو سفيان بن حرب، والأقرع بن حابس، وأصحابهما، كان رسول

---

(١) مثله في تفسير أبي الليث ٢/ ٦٧، البسيط ١٠/ ٥٠١، الكشاف ٢/ ٢٨٢.

(٢) انظر في الفرق بين الفقير والمسكين: تفسير الطبري ١٤/ ٣٠٤، الكشف والبيان ١٣/ ٤٢٢.

الله صلىٰ الله عليه وسلم يعطيهم تأليفًا علىٰ الإسلام، ثم منع عنهم أبو بكر رضي الله عنه[١].

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ يعني المكاتبين ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ أصحاب الديون الذين وجب عليهم الدين[٢].

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ نفقة الغزاة ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الذي فني زاده وانقطع عن راحلته.

ذكر «لام الملك» إلىٰ المؤلفة قلوبهم، ثم ذكر «في»[٣]، لأَنَّ[٤] في لام الملك يسلَّم إليهم، وفي الباقي لا يسلم إليهم، ولكن يوضع في حوائجهم بقدرها كيلا يتلفوها[٥].

---

(١) نحوه في تفسير الطبري ١٤/ ٣١٣، وقد سماهم بأسمائهم، ثم روىٰ عن الشعبي أن قطعها كان في زمن أبي بكر (تفسير الطبري ١٤/ ٣١٥).

(٢) شرط الدين ألا يكون في معصية (تفسير الطبري ١٤/ ٣١٧).

(٣) تصحفت في الأصل إلىٰ: حتىٰ.

(٤) في الأصل إلىٰ: أن.

(٥) فيسلم للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم، ويصرف في حوائج: الرقاب، والغارمين، والغزاة، وابن السبيل.

وقد روىٰ الطبري (في التفسير ١٤/ ٣١٧): أن مكاتبًا قام إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رحمه الله تعالىٰ وهو يخطب الناسَ يوم الجمعة، فقال له: أيها الأمير، حُثَّ الناس عليَّ، فحثَّ عليه أبو موسىٰ، فألقىٰ الناسُ عليه عمامة وملاءة وخاتمًا، حتىٰ ألقوا سَوادًا كثيرًا، فلما رأىٰ أبو موسىٰ ما ألقي عليه قال: اجمعوه، فجمع، ثم أمر به فبيع. فأعطىٰ المكاتب مكاتبته، ثم أعطىٰ الفضل في الرقاب، ولم يرده علىٰ الناس، وقال: إنما أعطي الناسُ في الرقاب.

وقال الزمخشري (في الكشاف ٢/ ٢٨٣): فإن قلت: لم عدل عن اللام إلىٰ «في» في الأربعة الأخيرة؟ قلت: للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره، لأن «في» للوعاء، فنبه علىٰ أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا، وذلك لما

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ فرضها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ عليم بأهلها حكيم بقسمتها.

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ﴾ وهم جماعة، فقال بعضهم لأصحابه: فإنَّا نخاف أن يبلغ قولنا محمدًا، وقال الآخر بل نقول ما شئنا [ونحلف بالله][(١)] ونعتذر فيصدقنا، فإنَّه أُذن، فأنزل الله تعالىٰ الآية[(٢)].

ثم قال: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ يعني هو أذن خير لا أذن شر، يستمع الخير ولا يستمع الشر، وهذا يؤدي إلىٰ الكرم ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ فيما أنزل ويصدِّقُ المؤمنين فيما أخبروا، فذلك قوله: «يؤمن بالله»، ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال الكسائي: الباء واللام زائدتان، معناه: يصدق الله ويصدق المؤمنين[(٣)].

في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر، وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال، وتكرير «في» في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين علىٰ الرقاب والغارمين.

فتعقبه ابن المنير بقوله: ثم سر آخر هو أظهر وأقرب، وذلك أن الأصناف الأربعة الأوائل ملاك لما عساه يدفع إليهم، وإنما يأخذونه ملكا، فكان دخول اللام لائقا بهم. وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يصرف إليهم، ولكن في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون، فليس نصيبهم مصروفا إلىٰ أيديهم حتىٰ يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم..

(١) في الأصل: ونا لله، والتصحيح من كتب التفسير.

(٢) الخبر في تفسير الطبري ١٤/ ٣٢٥، تفسير أبي الليث ٢/ ٦٨، الكشف والبيان ١٣/ ٤٥٠.

(٣) قال المفسرون: معناه: ويؤمن المؤمنين، لأن العرب تقول فيما ذكر لنا عنها: آمنتُ له وآمنتُه، بمعنىٰ: صدَّقته، كما قيل: ﴿رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝٧٢﴾ [سورة النمل:٧٢]، ومعناه: ردفكم، وكما قال: ﴿لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ۝١٥٤﴾ [سورة الأعراف:١٥٤]، ومعناه: للذين هم ربَّهم يرهبون (معاني القرآن للفراء ١/ ٤٤٤، تفسير الطبري ١٤/ ٣٢٧، البسيط ١٠/ ٥٢٤).

﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾ أي: رحمة من الله، ونعمة للمخلصين منكم ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بالطعن ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾ بحلفهم بالله، وكانوا يؤذون رسول الله ثم يأتونه ويحلفون أنهم ما فعلوا شيئًا ليرضوهم بذلك ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ ولم يقل يرضوهما لأنَّ في رضىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم رضا الله، فاكتفىٰ بذكر أحدهما عن الثاني[١] ﴿إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ ولكن لم يكونوا.

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: يعادي الله ورسوله ويشاقق الله تعالىٰ.

[فُلان حادَّ فلانا][٢] إذا كان أحدهما في حد وهو في حد آخر، مجانبين[٣].

﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٣﴾ الندم...[٤] الدائم، والخزي في الأصل هو الحياء[٥].

﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ [تُنَبِّئُهُم]﴾ تخبرهم ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ من الغش والنفاق ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤﴾ أي: مُظْهِر ومُعْلِن ما تُخفون من أمر النفاق.

---

(١) نحوه في الكشاف ٢/ ٢٨٥.

(٢) تصحفت في الأصل: فلان جاد لو نا. والتصحيح من كتب التفسير.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٥٨، الهداية ٤/ ٣٠٥٥، البسيط ١٠/ ٥٣٠، تفسير السمعاني ٢/ ٣٢٣.

(٤) هاهنا كلمة في الأصل، صورتها: والحدد، ولعلها مقحمة.

(٥) قال ابن الأنباري: معنىٰ الخِزْي -في اللغة-: الهلاك بتلفٍ أو انقطاع حُجّةٍ، أو بوقوعٍ في بلاء...، يقال: خَزِيَ، يَخْزَىٰ، خِزْيًا: إذا هلك. و خَزِي، يَخزىٰ خَزايةً: إذا استحيا (البسيط ٦/ ٢٥٦). وانظر: المفردات للراغب ٢٨١.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ يا محمد: لم تضحكون؟ ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ أي: نتحدث عن الرَّكْب ونضحكُ فيما بيننا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾ كتابه ﴿وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾[١].

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ أي: قل لهم يا محمد: لا تعتذروا فإنه لا عذر لكم ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهاركم الإيمان، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إليهم عمارًا وقال: قل لأولئك النفر: احترقتم عليكم لعنة الله، فلما بلغهم ذلك جاءوا معتذرين، وقالوا: ما كنَّا في أمرك، كُنَّا في أمر العسكر[٢].

وقال المختبي بن حمار -ويروىٰ المخشي بن حمار[٣]-: والله ما قلت شيئًا، وإني تائب إلىٰ الله تعالىٰ عز وجل، فتاب الله عليه، فسماه رسول الله: عبد الله بن عبد الرحمن، فنزل: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾.

سمىٰ الواحد طائفة، وقيل: معناه يعف عن نفسٍ طائفة، وهو عبد الله بن عبد الرحمن[٤].

---

(١) وكان من شأنهم فيما روىٰ عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فبلغ ذلك النبي صلىٰ الله عليه وسلم ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تَنْكُبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ (تفسير الطبري ١٤/ ٣٣٤).

(٢) القصة من رواية مقاتل، كما في تفسيره ٢/ ٥٦، وفي تفسير أبي الليث ٢/ ٧٠، البسيط ١٠/ ٥٣٧.

(٣) سماه ابن إسحاق: مخشي بن حمير (تفسير الطبري ١٤/ ٣٣٦، الكشف والبيان ١٣/ ٤٦٢، الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١٣٨١، الإصابة ٩/ ١٤٩)، وفي تفسير مقاتل ٢/ ٥٧: المخش.

(٤) من معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٥٩، وانظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٧١، البسيط ١٠/ ٥٣٩.

﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ﴾ آخرون ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ٦٦﴾ أي: منافقين في السر.

ثم قال ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ أي: بعضهم علىٰ دين بعض ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ أي: بالشرك ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: التوحيد والإخلاص ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ﴾ يمسكونها عن النفقة في الخير ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ أي: تركوا طاعة الله فتركهم في النار، ومنعهم العصمة ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ الكافرون.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ﴾ يعني: النار تكفيهم عقوبة ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ طردهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٦٨﴾ دائم.

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: وعدكم الله من العذاب كما وعد الذين من قبلكم ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾ أي: منعة وبطشًا ﴿وَأَكْثَرَ﴾ منكم ﴿أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ منصوبان علىٰ التمييز ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ [فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ]﴾ أي: انتفعوا في الدنيا بنصيبهم، فاستمتعوا بخلاقكم فانتفعتم أيضًا بخلاقكم أي: نصيبكم، كما انتفع الذين من قبلهم بنصيبهم ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْۚ﴾ أي: دخلتم في الباطل والتكذيب كما دخلوا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلت حسناتهم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ بذهاب نصيبهم من الآخرة.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: خبر مَن كان قبلهم ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ حيث أهلكوا بالغرق ﴿وَعَادٍ﴾ حيث أهلكوا بالريح ﴿وَثَمُودَ﴾ حيث أهلكوا

بالنار ﴿وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أُهلكوا بالبعوضة ﴿وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ﴾ أُهلكوا هدًّا[1] تحت الظلة ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾ قُريات لوط بالخسف، ائتفكت بهم الأرض أي: انقلبت ﴿أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بخبر العذاب أنه نازل بهم، فكذبوا رسلهم ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ يعذِّبهم بغير جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠﴾ بالكفر.

ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ أي: علىٰ دين بعض ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي: التوحيد وإتباع الرسول ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ أي: الشرك ومخالفة الحق ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ويتمونها ويقرون بفرضيتها ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لأموالهم ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ أي: ينجيهم من عذابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ أي: عزيز في سلطانه، حكيمٌ حكم أنه يُدْخِل المؤمنين في رحمته، ويعذِّب المنافقين بعذابه.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾ من قصور الدر والياقوت، طيَّبها الله بالمسك والريحان ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ في بساتين، وهي مقصورة الرحمن ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ أي رضىٰ الله أكبر من تلك الكرامات ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ شدِّد علىٰ الفريقين بالقول، ولا ترقَّ لهم ولا ترحمهم ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾ أي: مصيرهم في الآخرة ﴿جَهَنَّمُۖ [وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣]﴾ لكلا الفريقين.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ نزلت في خمسة عشر رجلاً من المنافقين، منهم عبد الله بن أُبي وأصحابه، وخطب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بتبوك وسمىٰ

---

(١) في الأصل: قهد همدا.

المنافقين رجسًا، فقال الجلاَّس بن سويد: إن كان محمد صادقًا فيما يقول فنحن شر من الحمير، فسمعه عامر بن قيس فأخبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بذلك، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لجلاَّس: «ما هذا الذي بلغني منك» فأنكر وقال: كذب علي عامر، فأمرهما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يحلفا، فحلف جلاس بالله الذي لا إله إلا هو أني ما قلته وأنه كذب علي، فقام عامر وحلف بالله إنه لصادق فيما قال، ثم رفع يده إلىٰ السماء وقال: اللهم أنزل علىٰ نبيك الصادق منك الصدق، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والمؤمنون: «آمين» فنزل جبريل بهذه الآية قبل أن يتفرقا[1].

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ يعني به الجلاَّس ﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ عيب النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَكَفَرُواْ﴾ بقلوبهم ﴿بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ بألسنتهم ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾ أي: هموا بإلقاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من العقبة.

وقيل: بإخراج رسول الله من المدينة[2].

وقصة العقبة: أنَّ رسول الله لما توجه تبوك أخذ أصحابه بطن الوادي ورسول الله طريق العقبة، ومعه حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر، فهمَّ جماعة

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير ١٤/ ٣٦١، عن عروة بن الزبير وغيره، وهذا هو المشهور في سبب النزول، وروىٰ ابن جرير كذلك ١٤/ ٣٦٣ عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالسًا في ظلّ شجرة، فقال: إنه سيأتيكم إنسانٌ فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه. فلم يلبث أن طلَع رجل أزرقُ، فدعاه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: علامَ تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا، حتىٰ تجاوَز عنهم، فأنزل الله: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ ، ثم نعتهم جميعًا، إلىٰ آخر الآية.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ١٤/ ٣٦٦ عن قتادة، ودليله: قول تعالىٰ ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ [سورة المنافقون:٨].

من المنافقين بإلقائه من العقبة، فتبعوه وأدركوه، فغضب رسول الله وأمر حذيفة بردهم خائبين[(١)].

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾ لأنهم كانوا في شدة من العيش قبل قدوم رسول الله المدينة، فأغناهم الله به، فجعلوا شكر ذلك: النقمة والعداوة لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾ عن نفاقهم ﴿يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ﴾ عن التوبة ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا [فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ]﴾ في الدنيا بالفضيحة وإعلان الأسرار وفي الآخرة بالنار ﴿وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤﴾ أي: ليس لهم قريب ينفعهم ولا ناصر ينصرهم.

فلما نزلت هذه الآية قام الجلاس وقال: صدق عامر، وكذبت أنا، وإني أستغفر الله وأتوب إليه، فقبل رسول الله توبته وحسنت توبته.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: أعطانا من رزقه ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ علىٰ الفقراء ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ المؤدين فرائض الله.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: رزقه ﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ عن النفقة وأداء حق الله ﴿وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦﴾ أي: نقضوا العهد وأعرضوا عن الإيمان.

﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ﴾ بُخلهم ﴿نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: أورثهم نفاقًا في قلوبهم عقوبة لنقضهم العهد ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ﴾ وهو يوم القيامة، لأن الله تعالىٰ أعلم بما في ضمائرهم وموتهم علىٰ نفاقهم ﴿بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ من الإنفاق ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧﴾ أخبر أنَّ هذا المخالف للوعد يموت علىٰ نفاقه بإخلاف

---

(١) وقد سماهم الكلبي في تفسيره، كما في الكشف والبيان ١٣/ ٤٨٥، وقصة العقبة من رواية مقاتل والضحاك، كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٧٤، ولذا لم يخرجها ابن جرير.

الوعد، ونعوذ بالله من سوء قضاء قد سبق.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ أي: ما يتناجون ليلة العقبة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٧٨﴾ ما غاب عن علمهم فكيف بما يقولونه.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ مثل عبد الرحمن بن عوف حين تصدق بأربعة ألف درهم على جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: هو شطر مالي، وعثمان جهَّز جيش العُسرة فتصدَّق بألف دينار، وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من ثمر، فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المنافقون: إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء، وإن الله عن صاع أبي عقيل لغني، فنزلت الآية[١].

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾، أي: المتنفلين[٢] في الصدقات ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ أي: طاقتهم، والجهد: الحمل على النفس بما يشق، فالمنفِق بجهده أبو عقيل [الأنصاري][٣]، [والمطوع][٤] عبد الرحمن بن عوف ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي جازاهم جزاء سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾ مؤلم.

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير ١٤/ ٣٨٢ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي، وعن غيره، وانظر: الكشف والبيان ١٣/ ٥٠٦.

وفي صحيح البخاري (١٤١٥)، وصحيح مسلم (١٠١٨) عن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: " لما نزلت آية الصدقة، كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾.

(٢) في الأصل: المتنلفين، وقد كثر منه مثل هذا التصحيف.

(٣) في الأصل: المعري، ولا معنى لها هنا.

(٤) في الأصل: والمودع.

فجاءوا وطلبوا الاستغفار من رسول الله فنزلت الآية ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يا محمد ﴿سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ ماداموا علىٰ نفاقهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ عليم في سابق علمه أنه يموت علىٰ الكفر.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الفرح: لذة تظهر في القلب، عند تنكُّب المسلمين فرح المخلَّفون ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ علىٰ مخالفة رسول الله، وهم بضع وثمانون رجلاً منهم من اعتل بشدة الحر، ومنهم بالمرض، ومنهم بالعُسرة.

﴿وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الكراهية: معنىٰ يدعوا إلىٰ ترك الأمر ﴿وَقَالُوا۟﴾ لمن أطاعهم ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ أي: لا تخرجوا إلىٰ تبوك في هذا الحر ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من حر الدنيا، وقد استوجبتم نار جهنم لتخلفكم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ أي: يعلمون حرارتها.

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ اللفظ لفظ الأمر، ومعناه التوبيخ، أي: من ضحك في الدنيا قليلاً بكىٰ في الآخرة كثيرًا ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ من الشرك.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: إلىٰ المتخلِّفين بعد فراغك عن غزوة تبوك ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلىٰ غزو آخر ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ﴾ إلىٰ قتال عدو ﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان، يقتضي التأبيد في القابل ﴿وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ﴾ أي: فرحتم بالتخلُّف عن غزوة تبوك ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ قيل: مع النساء والصبيان، وقيل: مع المنافقين المتخلِّفين.

ثم قال ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ أي: من المنافقين بعدما

صليت علىٰ عبد الله بن أُبي، وكان لعبد الله ابنٌ مؤمنٌ سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يصلِّيَ عليه ويكفِّنه حتىٰ لا يشمت به الأعداء، فأجاب رسول الله، وصلىٰ عليه، وألبسه قميصه، فنُهِي عن ذلك بعده(١).

وقيل: لمَّا ألبسه قميصه أسلم علىٰ ذلك ألف رجل من الخزرج(٢).

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ بالدعاء والاستغفار ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في السر ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ ثابتون علىٰ النفاق.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا [فِى ٱلدُّنْيَا﴾ و] في الآخرة تشبيهًا مقدَّم ومؤخَّر ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أرواحهم من أجسادهم ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: سورة براءة ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ﴾ العدوَّ ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ ذوا القدرة علىٰ المال من المنافقين ﴿وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن﴾ بالمدينة ﴿مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ من أهل القلعة(٣).

﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أي: النساء ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالنفاق ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

---

(١) رویٰ البخاري في الصحيح (١٢٦٩) ومسلم في الصحيح (٢٧٧٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عبد الله بن أبي لما توفي، جاء ابنه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له، فأعطاه النبي صلىٰ الله عليه وسلم قميصه، فقال: «آذني أصلي عليه»، فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر رضي الله عنه، فقال: أليس الله نهاك أن تصلي علىٰ المنافقين؟ فقال: « أنا بين خيرتين، قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ » فصلىٰ عليه، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٧٩.

(٣) كذا، ولا وجه لها، ولعلها: العذر، فتصحفت، والله أعلم.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ في السر ﴿جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ﴾ مع عدوه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾ الحسنات المقبولات، ولهم الجواري الحسان ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨﴾.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٨٩﴾ النجاة الوافر.

﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ﴾ المعذِّر: مَن اعتذر بالحق أو بغير حق، لأنه المعتذر، وقرئ: «المُعذِرون»[١] وهم: الذين لهم عذر[٢].

قال الضحاك: هم أسد وغطفان الذين خالفوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالتخلُّف، وقالوا: إن بنا جهدًا وشدة[٣].

ثم ذكر المخلَّفين بغير عذر فقال: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ أي تخلف الذين خالفوا الله ورسوله في الشر من أهل النفاق ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٠﴾.

ثم رخص للزَّمْنىٰ والمرضىٰ بالجلوس فقال: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ أي: الشيوخ والزَّمْنىٰ ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ مأثم بالتخلف ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ أي: كانوا مؤمنين بالله ورسوله ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾ أي: ما علىٰ المخلصين من إثم وحرج ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٞ ٩١﴾ لا يكلِّفهم فوق طاقتهم.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ علىٰ الدواب في الجهاد،

---

(١) وهي قراءة يعقوب وحده (النشر ٢/ ٢٨٠).

(٢) وهو توجيه ابن عباس، كما في تفسير الطبري ١٤/ ٤١٦.

(٣) الكشف والبيان ١٣/ ٥٢١.

وقيل: لتزودهم في الطريق، وهو عبد الله بن المغفل المزني مع سبعة نفر، قالوا: يا رسول الله احملنا فإنَّا لا نجد ما نخرج عليه[1] ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ من الدواب ﴿تَوَلَّواْ﴾ أي: راجعوا من عندك ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ نصب على الحال، أي: محزونين[2] ﴿أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢﴾ في الخروج إلى الجهاد.

﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ أي: الإثم والخروج ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أي: مع النساء ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٩٣﴾.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ﴾ إلى المدينة ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ أي: لن نصدِّقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ﴾ أي: أخبرنا الله بأعمالكم ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ بعد اليوم فيما بقي من عمركم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ يرى أيضًا ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ أي: ترجعون ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ الغيب: ما غاب عن العباد ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما علمه العباد ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٤﴾ في دار الدنيا.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ أي: رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك ﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ﴾ ولا تعاقبوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ﴾ أي مصيرهم ومرجعهم ﴿جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٩٥﴾.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٩٦﴾.

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٤٢٢، تفسير أبي الليث ٢/ ٨١.

(٢) فيه قولان آخران، انظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٦٥٥، الدر المصون ٦/ ١٠١.

﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾ يعني أسد وغطفان، كانوا من حاضري [المدينة][(١)]، أشد كفرًا: أي ثباتًا علىٰ الكفر، وأقسىٰ قلبًا، وأبعد من سماع التنزيل[(٢)] ﴿وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ﴾ أن: يكونوا كذلك، لأنهم لا يعلمون أحكام الله وما أنزل الله علىٰ رسوله ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧﴾ في أمره للأحكام.

﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾ أي: يحسب ﴿مَا يُنفِقُ﴾ في الجهاد ﴿مَغۡرَمٗا﴾ أي: غُرما عليكم ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ﴾ وينتظر بكم أيها المسلمون ﴿ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾ أي: الهلاك والموت ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾ أي: عاقبة السوء ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم حيث قالوا: ندفع إلىٰ محمد شيئًا من أموالنا حتىٰ يخرج إلىٰ الغزو فيقتل ﴿عَلِيمٞ ٩٨﴾ بعقابهم.

﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ من حاضري المدينة: جهينة ومزينة وغفار ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قربة وفضائل، أي: يطلب بذلك التقرُّب إلىٰ الله ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ أي: يطلب دعاء الرسول ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾ يعني: الصدقة والنفقة ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩﴾.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ المبادرون إلىٰ الإيمان ﴿مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ قيل: هم أهل بيعة الرضوان بيعة الحديبية صلوا القبيلتين وشهدوا بدرًا[(٣)] ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) بيض لها في الأصل، واستدركتها من كتب التفسير.

(٢) فعلىٰ هذه القول يكون الأعراب عام أريد به الخصوص، انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٨٢.
واختار ابن جرير بقاء العموم علىٰ أصله، فقال: يقول تعالىٰ ذكره: الأعراب أشدُّ جحودًا لتوحيد الله، وأشدّ نفاقًا، من أهل الحضر في القرىٰ والأمصار. وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك، لجفائهم، وقسوة قلوبهم، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير، فهم لذلك أقسىٰ قلوبًا، وأقلُّ علمًا بحقوق الله (تفسير الطبري١٤/ ٤٢٩، الكشف والبيان ١٤/ ٦).

(٣) تفسير الطبري ١٤/ ٤٣٥، تفسير أبي الليث ٢/ ٨٣، الكشف والبيان ١٤/ ١٠.

﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ بالتوحيد والأعمال الصالحة إلىٰ يوم القيامة ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بالطاعة ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بالتوحيد ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾[١] دائمًا ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ النجاة الكبرىٰ.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ مُزينة وجهينة ﴿مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ أيضًا: عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي: عتوا ومرنوا وتعودوا النفاق، والمرود: هو الهجوم علىٰ الشيء بالتجرُّد، أي: تجردوا عن الإسلام وخرجوا عنه إلىٰ النفاق[٢].

﴿لَا تَعْلَمُهُمْۖ﴾ يا محمد ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ مرة في الدنيا بالقتل وإظهار العيوب، ومرة في الآخرة في القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۝١٠١﴾ في النار.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أقروا بتخلُّفهم عن غزوة تبوك ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي: غزوا قبل تبوك مثل بدر وأُحد ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ أي: تخلُّفهم عن غزوة تبوك ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ﴾ أي: يتجاوز عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾ غفر لما سلف من ذنوبهم، رحيم: رخص في التوبة.

قيل: نزلت الآية في ثلاث نفر تخلفوا عن غزوة تبوك، وربطوا أنفسهم علىٰ سواري المسجد ندمًا علىٰ التخلُّف حتىٰ[٣] نزلت الآية[٤].

---

(١) في الأصل: من تحتها، وهي قراءة ابن كثير، (النشر ٢/ ٢٨٠).

(٢) البسيط ١١/ ٢٧.

(٣) في الأصل: حين، وهو تصحيف.

(٤) رواه ابن جرير في التفسير ١٤/ ٤٤٨ من طرق عن ابن عباس، ورواه عن جماعة من التابعين، وقد اختلفوا في الذين ربطوا أنفسهم من هم، وكم عددهم.

وهم: أبو لبابة بن عبد المنذر، وأوس بن خذام[١]، ووديعة بن ثعلبة، فلما نزلت الآية جمعوا ما لهم إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وقالوا: يا رسول الله هذا الذي خلفنا عنك، فخذها منَّا وتصدَّق بها، فقال رسول الله: «ما أُمِرْتُ بشيء من ذلك»[٢] فنزل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ أي: بعض أموالهم ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من الذنوب ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ تصلح أعمالهم، ورفع تطهرهم لأنه ليس بجواب الأمر، ولكن خطاب لرسول الله، أي: تطهرهم أنت بالدعاء.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ استغفر لهم ﴿إِنَّ [صَلَوٰتَكَ]﴾ استغفارك ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي: طمأنينة لقلوبهم بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ودعائك ﴿عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ بتوبتهم وإجابتهم، فأخذ رسول الله ثُلث أموالهم وتصدق بها عنهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: يقبلها فيربيها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ المتجاوز ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ بالتائبين.

﴿وَقُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱعْمَلُواْ﴾ خيرًا في المستأنف ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الذين هم شهداء الله في أرضه يرون أيضًا ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ أي: ترجعون

---

(١) كذا في الأصل ومثله في معرفة الصحابة لابن منده ١/ ٣١٢، وفي تفسير أبي الليث ٢/ ٨٥: أوس بن ثعلبة، ووديعة بن خذام، وأشار الحافظ في الإصابة ١/ ٢٩٩، إلىٰ هذا الاختلاف.
وقال: روىٰ أبو الشيخ في تفسيره من طريق الثوري، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال كان ممن تخلّف عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم في تبوك ستة: أبو لبابة، وأوس بن خدام، وثعلبة بن وديعة، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أميّة، فجاء أبو لبابة وأوس وثعلبة فربطوا أنفسهم بالسّواري، وجاءوا بأموالهم، فقالوا: يا رسول الله، خذها، هذا الّذي حبسنا عنك. فقال: «لا أحلّهم حتّىٰ يكون قتال»، قال: فنزل القرآن: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾، إسناده قوي.

(٢) رواه الطبري في التفسير ١٤/ ٤٥٤، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

يوم الحساب ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ يخبر كل واحد بعمله، ويجازيه على فعله.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: أقوام آخرون سوى الثلاثة، مرجون بالهم وغير الهم، أي: مؤخرون لأمر الله، وهم ثلاث نفر سوى الثلاثة الأولى: كعب بن مالك الشاعر الأنصاري، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، كلهم أنصاريون من أهل قباء، لم يفعلوا فعل أبي لبابة وأصحابه، تخلفوا عن رسول الله عن غزوة تبوك، فأوقفهم رسول الله خمسين يومًا، ونهى الناس عن مجالستهم ومؤاكلتهم، فاعتزلوا النساء وتركوا المدينة، وسكنوا الجبال يبكون ويتضرعون، ويسألون من الله المغفرة، ويعتذرون إلى رسول الله ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بتخلُّفهم ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: عليم بنياتهم، حكيم حكم بإرجاء أمرهم إلى وقته[1].

ثم ذكر المنافقين ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا﴾ أي: بنوا مسجدًا ﴿ضِرَارًا﴾ مضرًا للمؤمنين، الضرار: محاولة الضر ﴿وَكُفْرًا﴾ أي: لإظهار الكُفر ﴿وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى يصلي بعضهم في مسجدهم وبعضهم في مسجد رسول الله ﴿وَإِرْصَادًا﴾ أي: إنظارًا[2] ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ بناء المسجد وهو أبو عمرو الراهب -الذي سماه رسول الله فاسقًا- وعدهم بأن يأتي بجيش يخرج محمدًا من المدينة، فأخبر الله بخبث نياتهم، وأمر بهدم ذلك المسجد[3]

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٤٦٤، تفسير أبي الليث ٢/ ٨٧، الكشف والبيان ١٤/ ٤٦، البسيط ١١/ ٤٣، روضة المستنصر ١٧٣.

(٢) في معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٦٨، والبسيط ١١/ ٤٦: الإرصاد: الانتظار.

(٣) المشهور: أبو عامر الراهب، وهو الأكثر في كتب التفسير، (تفسير الطبري ١٤/ ٤٧٠، معاني الزجاج ٢/ ٤٦٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٨٧).

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: ما أردنا ببناء المسجد إلا الخير ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾.

ثم قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ وقد سألوا رسول الله أن يكون في مسجدهم بعض الصلوات، وقالوا: نتبرَّك بك ونستأنس بحديثك، قال الله تعالىٰ ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهو مسجد قباء، أسسه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿[مِنْ] أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ دخل المدينة ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ أولىٰ أن تصلي فيه، ثم قال ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ أي: يستنجوا بالماء ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ من الأحداث والذنوب(١).

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ﴾ ألف «أفمن» أَلِفُ إنكار، وهو استفهام بمعنىٰ الإنكار، لأنه لا يجد المجيب وجه الجواب، والمعنىٰ: من أسس بنيانه أي مسجده وهو مسجد قباء أسسه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ وطاعة، وطلب رضوانه ذاك ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ﴾ وهو مسجد الضرار ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ أي هائر، وهذا من المقلوب ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي خر البناء بالباني في نار جهنم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾.

قيل: أمر رسول الله بإلقاء الجيف والعذرات في مسجد الضرار، لأنه مسجد لم يُبْنَ لله تعالىٰ، فلما فعلت الأنصار ذلك بأمر رسول الله صار ذلك حسرة في قلوبهم(٢)، فذلك قوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾

---

(١) في المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ قول آخر، وهو أنه مسجد النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وهو الذي رجحه ابن جرير لصحة الخبر عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في ذلك، انظر: تفسير الطبري ١٤/ ٤٨٢، الكشف والبيان ١٤/ ٥٥.

(٢) أورد ابن جرير روايات في حرقه، وأنه بقي يخرج منه دخان حتىٰ دولة بني أمية (تفسير الطبري ١٤/ ٤٩٣).

أي: حسرة وندامة على ما أنفقوا فيها، وفرق جمعهم ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ استثناء بمعنى الغاية، أي: لا يزالوا كذلك حتى يموتوا، وقيل لا يزالون خائفين حتى يموتوا[1].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ١١٠﴾ حكم بالريب في قلوبهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ الاشتراء: الاستقراض.

من الله تعالى: حُسن المعاملة والتلطُّف في الدعاء إلى طاعته، لأنه يملكهم[2] قبل الاشتراء.

وحقيقة الاشتراء: استبدال شيء بشيء ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ بدلاً، ثم بين من هم فقال: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الذين يحاربون أعداء الله لطلب مرضاته وإعزاز دينه ﴿فَيَقۡتُلُونَ﴾ العدو ﴿وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ على يدي العدو ﴿[وَعۡدًا عَلَيۡهِ]﴾ وعد الله ذلك المؤمنين ﴿حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ وهذا مثل كما قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾.

﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: ليس أحد أوفى من الله في العهد، وهذا تأكيد للوعد، ثم بشّر المؤمنين فقال ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ﴾ مع ربكم ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ النجاة الوافر، والسعادة غير المتناهية.

ثم وصف الباعة فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ الراجعون إلى الله تعالى بالندم على ما سلف من ذنوبهم مستغفرين ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ العاملون لله بأمره

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٧١، البسيط ١١/ ٥٩.

(٢) في الأصل: لا يملكهم، وهو تصحيف شنيع، والتصحيح من كتب التفسير (تفسير أبي الليث ٢/ ٨٩، البسيط ١١/ ٦٤).

وقال السمعاني (في التفسير ٢/ ٣٥٠): معنى الآية: أن الله تعالى أمر المسلمين بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وجعل لهم الجنة ثوابا عليه، فجعل هذا بمنزلة الشراء والبيع.

﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ الذين يضيفون ما بهم من خير الله تعالىٰ ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمون، وقيل: السائرون في الخيرات[١] ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ هم المصلُّون لله تعالىٰ ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي: كلمة التوحيد والطاعة لله تعالىٰ ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ أي، الشرك بالله والمعصية.

وإنما ذكر الناهون بالواو لأن الصفة جاءت علىٰ مصاحبة الفعل الثاني للأول، لأن الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المعنىٰ كأنهما فعل واحد، حتىٰ لا يكاد يذكر أحدهما بدون الآخر، فيقرن بالواو.

وقيل: هي واو الثمانية بدون الواو[٢].

﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ معطوف علىٰ أقرب الكلمات، أي: القائمون بجميع أوامر الله ونواهيه ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ المصدِّقين بوعد الله.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم قام علىٰ قبر أمه ليستغفر لها، فإذا جبريل وضع يده علىٰ صدره وقرأ الآية[٣].

---

(١) زاد المسير ٢/ ٣٠٣.

(٢) انظر: البسيط ١١/ ٧١، زاد المسير ٢/ ٣٠٣، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٦٦٢.
ونقل الواحدي عن الجرجاني صاحب النظم قوله: «التَّائِبُونَ» إلىٰ قوله «السَّاجِدُونَ» مبتدأ يقتضي جوابًا، وجاء بهذا النظم منسوقًا بعضه علىٰ بعض بلا واو العطف، ثم أجاب هذا المبتدأ بقوله: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ فلما كان الفصل الأول مبتدأ جعل له نظمًا غير نظم الجواب، ونظم الجواب نسق بواو العطف فرقًا بينهما، ولولا هذا الفرق لما امتاز الخبر من المبتدأ، فالتأويل: «التَّائِبُونَ» إلىٰ قوله: «السَّاجِدُونَ» هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، أي الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وعلىٰ هذا التأويل دخله واو العطف، لأنه ذهب به مذهب الفعل بعضه في إثر بعض.

(٣) وفيه قول آخر: أنها نزلت في استغفاره لعمه أبي طالب (انظر: تفسير الطبري ١٤/ ٥١٢، تفسير أبي الليث ٢/ ٩٠).

﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾:أي وإن كان الميت ذا قرابة من الداعي ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ ماتوا على الكفر.

فقال بعض المسلمين: هذا إبراهيم خليل الله دعاء لأبويه، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ أن يسلم[1].

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ مات على كفره ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ أي: من موالاته ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ أي: كثير التأوُّه من خوف النار، وقيل: دعَّاءٌ، وقيل: فقيهٌ، وقيل: مسبحٌ[2].

﴿حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ سيد، لأن الحلم من أخلاق السادة.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ نزلت في قوم يعملون بالمنسوخ قبل علمهم بالنسخ، مثل: تحويل القبلة وتحريم الخمر ونحو ذلك[3].

ومعناه: لا يبطل الله طاعات أقوام عملوا ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ أي: يكون لهم الحجة بالتحريم والنسخ، ويُبطل بعد العلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ من الناسخ والمنسوخ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المُلك السعة المقدور لمن له السياسة ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يمنعكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ ينصركم.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير ١٤/ ٥١٤.

(٢) زاد المسير ٢/ ٣٠٦.

(٣) وهو قول مقاتل والكلبي، انظر: الكشف والبيان ١٤/ ١٠٣، زاد المسير ٢/ ٣٠٦.

﴿ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ أي تجاوز عنه زلة رسول الله حين أذن للمنافقين وبعض المؤمنين بالتخلُّف، حتىٰ قال الله تعالىٰ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾(١).

وزلة المؤمنين: أن بعضهم أرادوا التخلُّف عن رسول الله في ساعة العُسرة التي وصفها الله ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ لأنَّ جيش رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أعسر ما كانوا في هذا الغزو، من عوز الزاد والظهر والماء، كان الرهط منهم يتعاقبون جملاً واحدًا، وكانوا يعصرون أكراش الإبل فيشربون ماءها، وربما شقوا الثمرة بنصفين، ويروىٰ أنَّ النفر منهم ربما اشتركوا في تمره واحدة يمصها واحد بعد واحد، ولهذا سمي: جيش العُسرة، فلما قصدوا الرجوع ولم يرجعوا تاب الله عليهم ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ تاب عليهم أي: وفقهم للتوبة فتابوا.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ يعني: وتاب علىٰ الثلاثة معطوف علىٰ الأول، والثلاثة قد سميناهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، خلفوا عن قبول توبتهم إلىٰ خمسين يومًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ أي: مع رحبها وسعتها ضاقت عليهم من شدة الخوف ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي: قلوبهم اغتمامًا ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أي: علموا ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ أي: لا مفر من عذاب الله إلا إلىٰ لتوبة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ أي: وفَّقهم للتوبة حتىٰ يتوبوا من صنيعهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ المتجاوِز عن المذنبين ﴿ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ بعباده التائبين(٢).

---

(١) ما يليق أن يعبر بالزلة في أمر عفا الله عنه وتاب علىٰ نبيه وعلىٰ المؤمنين منه، ولذا كانت عبارة أبي –ومن شابهه– أجود حين قال: يعني: تجاوز الله عن النبي إذنه للمنافقين بالتخلف (تفسير أبي الليث ٢/ ٩٣) ومثله قال السمعاني، وزاد: وقيل: تجاوز الله (تفسير السمعاني ٢/ ٣٥٥) وهذه عبارة الكلبي.

(٢) قصتهم مخرجة في الصحيحين في حديث طويل، صحيح البخاري (٤٤١٨)، وصحيح مسلم (٢٧٦٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في سرائركم ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ أي: مع المهاجرين في السرعة إلىٰ القتال.

ثم وعظ أهل المدينة ليكونوا بالسرعة إلىٰ القتال مثل أبي بكر وعمر فقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ مُزينة وجهينة وأشجع وغِفار ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ عن غزوة يغزوها ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: لا يكونوا أشفق علىٰ أنفسهم منهم علىٰ نفس محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ذَٰلِكَ﴾ التخصيص لهم ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ في غزوهم ﴿ظَمَأٌ﴾ أي: عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ ولا تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ مجاعة ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعته ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ أي: لا يمشون علىٰ الأرض ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ وطئهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ من قتل أو أسر أو أخذ مال ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ﴾ أي: بكل واحد من ذلك ﴿عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ يستحقون به الثواب في الآخرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٢٠﴾ الموحدين.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ قال ابن عباس: الصغيرة وزن النملة والذرة والكبيرة أكبر منها(١).

﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ من الأودية في طلب الكفار ومعونة المصطفىٰ عليه السلام ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ بها ثواب حسن ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٢١﴾ لأن أحسن أعمالهم شدتهم وجرأتهم علىٰ أعداء الله.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ قيل: لما رغَّب الله الناس في الجهاد وأخبرهم بثوابه؛ كلما بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سرية

---

(١) لعله من رواية الكلبي لذا لم يروه أهل التفسير، وفي زاد المسير ٢/ ٣٠٩، قال ابن عباس: صغيرة تمرة فما فوقها.

تسارعوا حتىٰ لا يبقىٰ عند رسول الله أحد يحضرون الناسخ والمنسوخ، فنهىٰ الله تعالىٰ عن ذلك فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا إلىٰ الجهاد جملة[1].

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ أي: هلا خرج ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ ويمكث طائفة مع رسول الله ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي: في أمر الدين من رسول الله ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ أي: يعظوا قومهم ﴿إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزوات ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ عما نهوا.

وقال الكلبي: نزلت في بني أسد، أقحمتهم[2] سنة شديدة، فأقبلوا بالأهل والذراري ونزلوا المدينة، وأفسدوا طرقها بالعذرات، وأغلوا أسعار المدينة، فنزلت الآية[3].

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ إلىٰ المدينة ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ من المدينة ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ أي: يقربكم ﴿مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ يعني: بني قريظة والنضير ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ ظاهر الأمر متوجه علىٰ الكفار، وحقيقة الأمر للمؤمنين، يعني: ليكن منكم فيهم قول غليظ وصلابة في الدين ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ بالنصر لهم.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَمِنْهُم﴾ أي المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لبعضهم استهزاءً ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ السورة ﴿إِيمَٰنًا﴾

---

(١) وفي ذلك خلاف استوعبه الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٦٦.

(٢) في الكشف والبيان: أصابتهم.

(٣) ذكره في الكشف والبيان ١٤/ ١٣٢، وعن ابن عباس نحوه من طريق علي بن أبي طلحة، رواه الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٦٩.

ويقينًا ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدقوا بالله ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ تصديقًا ويقينًا إلىٰ يقينهم الأول ﴿وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ بنزولها[١].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ ونفاق ﴿فَزَادَتۡهُمۡ﴾ السورة ﴿رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ فسقًا إلىٰ فسقهم وشكًّا إلىٰ شكهم ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ مقيمون علىٰ الكفر.

﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ﴾ أي: يبتلون ويختبرون بالدعاء إلىٰ الجهاد، وقيل: بالقتل والمكروه[٢] ﴿فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ﴾ وقيل: بإظهار نفاقهم وما يسرونه من الكلام فيما بينهم، يخبرهم رسول الله بذلك[٣].

﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ يتَّعظون.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾ في عيوبهم وفي إسرارهم ﴿نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾ وأشار بعضهم إلىٰ بعض، ويقولون ﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ﴾ من المخلصين ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ﴾ خرجوا من المسجد ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ أضلهم الله، مجازاة لهم علىٰ فِعلهم ﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧﴾ أَمْرَ الله تعالىٰ.

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ معشر قريش يعني من العرب، وقيل: من بني آدم[٤] ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ﴾ شديد عليه ﴿مَا عَنِتُّمۡ﴾ ما أثمتم، وقيل: ما لقيتم من العنت، أي المعصية، شفقة منه عليكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ علىٰ أن تكونوا خيارًا، وقيل: حريص علىٰ إيمانكم.

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٥٧٧.

(٢) مجموع ما قاله أهل التأويل لا يخرج عن أن يكون الابتلاء بالأقدار الكونية، أو الأوامر الشرعية، انظر: تفسير الطبري ١٤/ ٥٧٩.

(٣) انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ١٠٠،

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ١٠٠، الكشف والبيان ١٤/ ١٤٦.

ثم استأنف فقال ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ أي رفيق مشفِق.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: يكفيني الله ولا معبود للخلق سواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وقفت على ما وعدني من النصر والظفر ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ قيل: عرشه سريره، من غير أن يحتاج إليه، وهو رب الملك العظيم، وكل ملك عند ملكه صغير[(١)].

وقيل قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ منسوخ بآية السيف.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا أن الحسين بن منصور رحمة الله عليه كان يقرأ «جاءكم رسول مِن أَنْفَسكم» [(٢)]أي: أجلّكُم نسبًا، وأعلاكم همَّة، جاد بالكونين عوضًا عن الحق[(٣)]، ما نظر إلى الملكوت ولا إلى سدرة المنتهى، ما زاغ بصره عن مشاهدة الحق وما طغى قلبه عن موافقته.

وبلغنا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «تعلموا سورة براءة وعلِّموا نساءكم سورة النور»[(٤)].

---

(١) في الأصل: وكل ملك عنده ملكه ملكه صغير.

(٢) وهي قراءة شاذة نسبت لغير واحد من السلف، انظر: الكشف والبيان ١٤/ ١٤٦.

(٣) جاد أي من الجود والبذل، وهذه عبارة نقلت عن بعض المتصوفة في كرمه صلى الله عليه وسلم، نقلها السلمي في حقائق التفسير ١/ ٣٧٧، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/ ١٥٤ منسوبة للواسطي، ونسبها في عرائس البيان للحسين، جون أن ينسبه.

والحسين بن منصور هو الحلاج، المتوفى ٣٠٩، المقتول على الزندقة والعياذ بالله، انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٧/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٤.

(٤) رواه المستغفري في فضائل القرآن (٨٤٠)، وقد خرجناه هناك.

السورة التي ذكر فيها يونس

مكية إلا قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ إلىٰ آخر الآية[١].

وهي مائة وتسع آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ أي: المُحْكَم، يقال: أحكمت الشيء فهو محكم وحكيم، وأكرمت الرجل فهو مُكرَم وكريم[٣].

وقوله: ﴿الٓر﴾ معناه: أنا الله أرىٰ[٤]، وقد مر الكلام في ذكر أمثاله.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني: أكان إيحاؤنا إلىٰ رجل من نسب العرب عجبًا عندهم، وهذا استفهام بمعنىٰ الإنكار[٥].

والتعجيب: التعجُّب تغيُّر النفس بشيء خرج عن العادة ولا يعلم سببه.

﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أي: أمرناه أن ينذر الناس بما ينبغي أن يحذروا عنه ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بالجنة ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ منزلة رفيعة، وقيل: سابقة

---

(١) الكشف والبيان ١٤/ ١٥٥، البيان في عد آي القرآن ١٦٣، زاد المسير ٢/ ٣١٤، والذي استثنىٰ الآيه هو الكلبي، كما سيأتي في تفسيرها.

(٢) في عدد الجمهور، وفي العدد الشامي: ١١٠ (البيان ١٦٣).

(٣) تفسير الطبري ١٤/ ١٢، الكشف والبيان ١٤/ ١٥٩.

(٤) وهي رواية أبي الضحىٰ عن ابن عباس، وقول الضحاك، كما في تفسير الطبري ١٤/ ٥٨٩.

(٥) الانكار والتوبيخ (البسيط ١١/ ١١٧)، وقال الزمخشري: الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه (الكشاف ٢/ ٣٢٦).

خير ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ وقيل: شفيع صدق، وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم[1].

قال ابن عمر: قلنا: يا رسول الله ما القدم الصدق؟ فقال: «شفاعتي يتوسلون بها إلىٰ ربكم»[2].

﴿قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝٢﴾[3] يعنون النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

ثم ذكَّر أهل مكة صُنعه، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ طول كل يوم منها ألف سنة[4] ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ استولىٰ أمره فوق عرشه، والاستواء عند أهل المعاني هو: الاستيلاء علىٰ العرش بإنشاء التدبير من جهته[5].

---

(١) وهذه الأقوال في تفسير الطبري ١٥/ ١٥، والكشف والبيان ١٤/ ١٦٢.

(٢) غريب ولم أجده مسندا، وقد ذكره القرطبي في تفسيره (٨/ ٣٠٦) بلا إسناد، وهذا القول مروي عن بعض التابعين، كزيد بن أسلم.

(٣) في الأصل: لسحرٌ، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وأبي عمرو وابن عامر (النشر ٢/ ٢٥٦).
قال مكي (في الهداية ٥/ ٣٢١٤): ومن قرأ لساحر: فمعناه: هذا النذير لساحر، يعنون النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ومن قرأ لسحر: فمعناه: هذا الذي أنذرنا به سحر، يعنون القرآن.

(٤) وهو قول الكلبي، كما في تنوير المقباس ١٦٩.

(٥) أوَّل المصنف صفة الاستواء، وقد سبق التنبيه علىٰ ذلك، وأن تفسير الاستواء بالاستيلاء فاسد، إذ يلزم منه أن يكون غُولب عليه فغُلب ثم غَلب.
وقد حكىٰ السمعاني -في هذا الموضع- هذا المذهب الذي سلكه المصنف ونسبه للمعتزلة، وقال: وأما المعتزلة: فإنهم أولوا الاستواء بالاستيلاء، وهو باطل عند أهل العربية.
حكىٰ عن أحمد بن أبي داود - وكان من رؤساء المعتزلة - أنه قال لابن الأعرابي: أتعرف العرب الاستواء؟ بمعنىٰ الإستيلاء فقال. لا. ويحكىٰ أن هذه المسألة جرت في مجلس المأمون، فقال بشر المريسي: الاستواء بمعنىٰ الاستيلاء، فقال له أبو السمراء - وهو رجل

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾ من فوق عرشه إلىٰ الملائكة من رسله، لا يشركه في تدبيره من خلقه أحد، فجبريل دون إسرافيل مما يلي الحُجُب ترعد فرائصه، ينتظر الأمر، كلما أراد الله أمرًا ضرب اللوح جبهة إسرافيل، وضرب الوحي قَلْبُه، ثم يأمر جبريل بذلك الأمر[1].

والتدبير: [تنزيل] الأمور في مراتبها علىٰ أحكام عواقبها[2].

﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾ يشفع للناس من ملك مقرَّب ولا نبي مرسل ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ في الشفاعة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ وحِّدوه وأطيعوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ تتعظون.

﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ﴾ أي: منقلبكم إليه بعد الممات يوم القضاء للبر والفاجر ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ﴾ أي: وعد وعدًا حقًا، منصوبان علىٰ المصدر[3] ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ أي: بدأهم في النشأة الأولىٰ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ للبعث بعد ما صاروا ترابًا ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ أي: يثيبهم بالعدل ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيده ﴿لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ أي: ماء حار قد انتهي حرُّه ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٤﴾ أي: يجحدون برسل الله.

من أهل اللغة - اخطأت يا شيخ؛ فإن العرب لا تعرف الاستيلاء إلا بعد عجز سابق.(تفسير السمعاني ٢/ ٣٦٦).

(١) لم أجده، وفي تفسير أبي الليث ٢/ ١٠٣: عن ابن سابط قال: مدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل، أما جبريل، فعلىٰ الرياح والوحي والجنود، وأما ميكائيل، فعلىٰ النبات والمطر، وأما ملك الموت، فعلىٰ الأنفس، وأما إسرافيل، فينزل إليهم بما يؤمرون. والله أعلم بحقيقة هذا، فإن لم يرد به خبر عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم فنسلم به.

(٢) مثله في البسيط ١١/ ١٢١، والجامع لأحكام القرآن ٨/ ٣٠٨، ومنهما استدركت السقط.

(٣) أي: منصوب علىٰ المصدر بفعل دل عليه الكلام، وهو قوله «إليه مرجعكم» لأن هذا وعد منه سبحانه بالبعث (التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٦٦٥).

ثم زادهم في الدليل فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ أي: خلق الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ أي: القمر ﴿مَنَازِلَ﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً في كل شهر.

وفي توحيد «قدَّره» وجهان:

أحدهما: لأن إحصاء شهور الأهلّة ومعرفة المعاملات التي عليها الناس بالقمر.

والثاني: أنه اكتفىٰ بذكر الواحد عن الاثنين، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[١].

﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ حساب السنين والشهور ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لم يخلق الشمس والقمر إلا لتبيان الحق ﴿يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ الدلائل والعلامات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ يفهمون أمر الله.

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم والرياح، وفي ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] من الأشجار والبحار والأنهار ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ الشرك فيوحدونه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي: لا يخافون البعث ولا يقرون به ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: اختاروا ما في الدنيا علىٰ يوم الآخرة ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ أي: سكنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: السماء والأرض ﴿غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ جاحدون توحيدنا.

---

(١) هذا جواب الفراء في معاني القرآن ١/ ٤٥٨، وعليه عول المفسرون، انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٢٣، الكشف والبيان ١٤/ ١٦٨، البسيط ١١/ ١٢٥.

(٢) في الأصل: فصل بين الواو والأرض بحرف الجر: في، ولا يتأتىٰ ذلك في الرسم العثماني.

﴿أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: مصيرهم ومرجعهم جهنم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ في الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ يرشدهم ربهم إلىٰ منازلهم في الجنة[1] ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾ في بساتين يتنعمون.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ أي: قولهم ونداؤهم في الجنة إذا اشتهوا شيئًا أن يقولون ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فإذا ما أتاهم الخدم بما يشتهون يضعون بين أيديهم بالتحية: سلام عليكم يا ولي الله، هذه شهوتك[2]، فذلك قوله ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ مع الخُدَّام والملائكة ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي: دعاؤهم إذا فرغوا من الطعام ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾.

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ [لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ]﴾ أي: لو يعجل الله للكفار إجابة دعائهم حين يدعون بالشر علىٰ أنفسهم[3]، مثل النضر بن الحارث إذ قال: «إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء»، وبعضهم يدعون علىٰ أنفسهم بالهلاك في

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ٢٧، الكشف والبيان ١٤/ ١٧٢.

(٢) نسبه الثعلبي في الكشف والبيان ١٤/ ١٧٣ إلىٰ المفسرين. وهو مروي عن ابن جريج وسفيان وقتادة (تفسير الطبري ١٥/ ٣٠).

(٣) علىٰ قوله هذا فإن الناس هم الكافرون، فيكون من العام الذي أريد به الخصوص، وهذا قول مقاتل (٢/ ٨٤، تفسير أبي الليث ٢/ ١٠٦).

ولكن المفسرين علىٰ أن المراد العموم، وفسروا ذلك بدعاء الوالد علىٰ ولده، ونحوه (تفسير الطبري ١٥/ ٣٤، الكشف والبيان ١٤/ ١٧٥).

الضجر، لو أجابهم الله إلىٰ ذلك كما أجابهم إلىٰ الدعاء بالخير لماتوا كلهم وتفانوا، ولكنه يجيب بالخير ويؤخر الشر، إلا ما وافق القضاء والقدر[1].

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١١﴾ في كفرهم يترددون.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ نزلت في هشام بن المغيرة وكان كافرًا متىٰ مسَّه بلاء أو لأواء دعانا مضطجعًا[2] ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا﴾ يعني: إن قام دعا، وإن قعد دعا، وإن اضطجع دعا، مادام في بلائه وضره، فإذا زال عنه الضر؛ قوله ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ استمر علىٰ عادته الأولىٰ ﴿كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾ وشدة أصابته ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أي: المشركين ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢﴾ من الشرك.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي: أهلكنا بالعذاب من قبلكم قرونًا يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ حين أشركوا ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: العذاب النازل ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ أي: وما كان كفار مكة ليصدِّقوا بنزول العذاب بهم ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٣﴾ نعاقب المشركين من الماضين والغابرين.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ يا أمة محمد ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ بدلاً عن الماضين ﴿لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ۝١٤﴾ أي: نميِّز كيف تصنعون، تعتبرون بما صنع بالماضين أو لا تعتبرون، وقوله: «لننظر» بالفارسية: تاماي بيهم كي سماحه كنيد.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ أي: يعرض ويقرأ عليهم القرآن ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا [ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ]﴾ يعني:

---

(١) البسيط ١١/ ١٣٤.

(٢) وهو من تفسير الكلبي كما في تنوير المقباس ١٧٠.

المستهزئين، وهم خمسة نفر: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن حنظلة[١].

أهلك الله كل رجل منهم بغير ما أهلك به صاحبه، وقد قالوا لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ائتِ بقرآن غير هذا أو بدِّله، فاجعل مكان آية رحمة آية عذاب، ومكان آية عذاب آية رحمة ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ ما يجوز لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ﴾ لأنه ليس من عندي ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾ من ربي ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ أي: أعلم ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بتبديل كتابه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾ يوم القيامة.

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ لام تأكيد، أي: أعلمكم الله من غير تلاوتي ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ أي: مكثت فيكم أربعين سنة ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓۚ﴾ الوحي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦﴾ أني لم أتقوله، إذ لو تقوَّلته لتقوَّلت في صباي وشبابي.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فجعل له شريكًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ بكتابه ونبيه، ثم ابتدأ وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ١٧﴾ أي: لا يسعدون بالبقاء والظفر.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام، وقيل الملائكة[٢] ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ بزعمهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا

---

(١) وهو قول الكلبي، ولذا لم يخرجه ابن جرير، انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ١٠٧، البسيط ١١/ ١٤٣.

(٢) لا يذكر المفسرون إلا القول الأول، لأن الآية في مشركي العرب، وجمهورهم عبدة أوثان، إنما كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، تعالىٰ الله عن ذلك علوا كبيرا (تفسير أبي الليث ٢/ ١٠٨، الكشف والبيان ١٤/ ١٨٤، زاد المسير ٢/ ٣٢١).

عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ في الآخرة ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ تخبرون الله، وتجعلوه له شريكًا ﴿بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لنفسه شريكًا، وليس ذلك ولا يكون، وهو يعلم أنه لا يكون، وهذا علىٰ وجه الإنكار، معناه: أنتم علمتم لله وأخبرتم له بما لا يعلم لنفسه ذلك.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ تنزيهًا له وبراءة عن الشرك والولد، تعالىٰ: ارتفع عما يقولون له من الشرك.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ علىٰ دين الإسلام يوم الميثاق، وقيل بعد غرق قوم نوح، وقيل علىٰ ملة الكفر في زمن إبراهيم[١].

﴿فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ بعد ذلك وصاروا كافرين ومؤمنين ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: وعد سبق من الله بتأخير العذاب عن هذه الأمة ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ فرغ من هلاكهم ﴿فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩﴾ من أمر الدين.

﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ دلالةً علىٰ نبوته، يد كيد موسىٰ وعصا كعصاته، وريح كريح سليمان ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ أي: غيب نزول الآيات عند الله ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾ لعذابكم.

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ﴾ أي: نعمة ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ أي: شدة أصابتهم ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ يقول: إذا أمطرنا لهم مطرًا بعد القحط والجوع يقول: مطرنا بنوء الثُّريا والدَّبران والهَقْعة وأمثالها[٢]، ولا يقولون: هذا رزق الله، فكان ذلك زيادة في كفرهم ومكرهم.

---

(١) الكشف والبيان ٢/ ١٨٦، زاد المسير ٢/ ٣٢٢.

(٢) البسيط ١١/ ١٥٥، زاد المسير ٢/ ٣٢٣.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ أي: مجازاة على مكركم ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾ أي: الحفظة من الملائكة يكتبون مكركم، مع علمي بذلك، وأراد بالناس الكافرين[1].

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ﴾ أي: ربكم الذي يسيِّركم في البر على الدواب وعلى السفن في البحر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي: ركبتم السفن ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ السفن ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ لا عاصفة ولا قاصفة ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ بالريح الطيبة ﴿جَآءَتۡهَا﴾ يعني إلى الفلك ﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ كاسر للسفينة ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ﴾ أي: هاجم بهم الموج ﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ في البحر ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أيقنوا بالهلاك لأنَّ من أحاط به العدو فقد أشرف على الهلاك[2] ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ لا يشركون به غيره، يقولون: ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الريح والبليَّة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ لنعمائك.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ﴾ من الأهوال ﴿إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ أي بغوا في الأرض، والبغي: طلب الفساد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ﴾ أي: ظلمكم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ لا يرجع وبالها إلا عليكم ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ أي: هي ما تتمتعون بها في ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ أيامًا قلائل ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾ في الآخرة ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ من الشرك ويجازيكم.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ في زينتها وفنائها ﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لم يبق على وجه الأرض؛ فكذا زينة الدنيا، ثم وصف الماء فقال: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ مِن حبوبها ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ من حشيشها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ

---

(١) يعني كفار مكة، وهو رواية الكلبي عن ابن عباس، وقول مقاتل، فيكون هذا من العام المراد به الخصوص، انظر: الكشف والبيان ١٤/ ١٨٩، البسيط ١١/ ١٥٤.

(٢) البسيط ١١/ ١٥٩.

﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ زينتها ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أي: حسنت الأرض وتزيَّنت ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ أي: الحراثون والزراع ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: علىٰ جمعها واقتنائهم منها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ أي: عذابنا بالليل أو بالنهار ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ مستأصلة، فصار ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: كأن لم تكن في المغاني، فقد شبه شباب العبد وكهولته وهرمه وصيرورته إلىٰ حفرته بفصل ربيع واحد، فما بال العاقل يغفل عن أمر آخرته بعد سماع هذا المثل.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيِّن العِبرات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ في أمثال الله.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ السلام: اسم الله وداره الجنة، وقيل: دار السلام دار السلامة عن الآفات والعاهات؛ مثل المرض والهرم والموت[(١)].

عن الزجاج: ومعناه يدعوكم إلىٰ أمر تستوجبون به دار كرامته[(٢)].

﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي: يكرم بالمعرفة من كان أهلاً في سابق علمه، حتىٰ يثبت علىٰ الإسلام وهو الصراط المستقيم ﴿[إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾]﴾.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال أبو موسىٰ الأشعري: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «للذين أحسنوا -وهم أهل لا إله إلا الله- الحُسنىٰ: الجنة، وزيادة النظر إلىٰ وجه الرب جل جلاله»[(٣)].

وهكذا يروىٰ عن أنس عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم[(٤)]، وهكذا كان يفسره أبو بكر رضي الله عنه[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ٥٩، الكشف والبيان ١٤/ ١٩٦.

(٢) لم أجده في مظنته من معاني القرآن ٣/ ١٥.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ١٥/ ٦٥ بإسناد ضعيف.

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٤/ ٢٠٠ بإسناد فيه متهم بالكذب.

(٥) رواه ابن جرير في التفسير ١٥/ ٦٣.

وقال الكلبي: الزيادة جزاؤها بعشرة أمثالها[١].

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ أي: لا يغشىٰ وجوههم ولا يعلوها، قتر: كسوف وسواد، ولا ذلة: أي مذلة؛ بعد نظرهم إلىٰ الله عز وجل ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ في جوار الرحمن ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ لا يموتون ولا يخرجون.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الشرك بالله ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ أي: جزاء الشرك في الدنيا النار في العقبىٰ مكافأة ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: تغشاهم وتعلو وجوههم مذلة وكآبة ﴿مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: مانع من عذاب الله ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ أي: ألبست ﴿قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ أي: سوادًا كقطع الليل في حال ظلمته.

و«قطْعًا» بالجزم معناه القطعة[٢] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ جملة واحدة للعبيد والمعبود ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ قفوا أنتم وآلهتكم علىٰ مكانكم ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ ميِّزنا بين العابد والمعبود حين تبرأ بعضهم من بعض، وقيل للعبدة لم عبدتموها؟ فقالوا: هم أمرونا بذلك.

وقد صح هذا المعنىٰ عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في حديث صهيب، رواه مسلم في الصحيح (١٨١).

(١) وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وقول الحسن وعلقمة بن قيس، رواه عنهم ابن جرير في التفسير ١٥/ ٧٠. وجعل ابن جرير هذين القولين من قبيل التفسير بالمثال، وأنه غير بعيد أن يجمع الله للمؤمنين كل ذلك.

(٢) وهي قراءة ابن كثير ويعقوب والكسائي (النشر ٢/ ٢٨٣). وقول المصنف: معناه القطعة، أي: بعضًا، بينما قراءة الجمهور علىٰ الجمع (الكشف والبيان ٢/ ٢٨٣).

﴿[وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم]﴾ فقالت الأصنام ﴿مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨﴾ أي: نحن لم نشعر بعبادتكم إيانا، ولم تعبدونا بأمرنا ولا علمنا.

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ٢٩﴾ معناه: وقد كُنَّا عن عبادتكم غافلين، وقيل: ما كُنَّا عن عبادتكم إلا غافلين[١].

قال عبد الحميد الحاكمي: ذكر المفسر الكبير في المهذب جحود الأصنام لعبادتهم إيَّاها يحتمل معنيين:

أحدهما: الإهانة بالرد عليهم، أي ما اعتددنا[٢] بعبادتكم.

والثاني: أنه في حال دهش ككذب الصبي[٣].

قلت: وإني رأيت في نسخة من تصانيف أبي محمد القتيبي رحمة الله عليه: أنَّ جحودهم علىٰ تأويل: إنكم ما عبدتم إيانا، ولكنكم عبدتم الشيطان لأن الشيطان كان يدخل في جوف الأصنام فيكلمهم بالوعد والوعيد؛ حتىٰ عبدوها، ولهذا قالوا في ابتداء السؤال: هم أمرونا بذلك، زعموا أن ذلك كلام الأوثان، ولكنه كلام الشيطان[٤].

﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٍ﴾ أي: تُخْتَبَر كل نفس، وقيل: تعلم كل نفس وتجزىٰ[٥] ﴿مَّآ أَسۡلَفَتۡ﴾ أي: قدَّمت من العمل خيرًا كان أو شرًا.

وقرئ: «تتلوا كل نفس» بتاءين[٦]، أي: تقرأ وتتبع.

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ٨٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٦.
(٢) في الأصل: ما اعتدنا.
(٣) في الأصل: لكذب الصبي.
(٤) نحوه في التفسير الكبير ١٧/ ٢٤٥، اللباب لابن عادل ١٠/ ٣١٧.
(٥) البسيط ١١/ ١٨٤.
(٦) وهي قراءة الكوفيين إلا عاصما (النشر ٢/ ٢٨٣).

وجاء في الخبر: أن المؤمن إذا خرج من قبره مُثِّلَ له عمله الصالح في أحسن صورة فيقول له: اتبعني، فيتبعه حتىٰ يدخله الجنة[(١)].

﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلىٰ محاسبته وجزائه رجعوا ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ الحق تابع للمولىٰ في الإعراب، والمولىٰ في محل الخفض، وهنالك: اسم إشارة إلىٰ المكان، كلفظ حين اسم إشارة إلىٰ الزمان، وليس يتمكن فيلحقه الإعراب، كقول: هاهنا وهنا، وموضعه النصب علىٰ الظرف[(٢)].

وقوله ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٣٠﴾ أي: بطل افتراءهم بأن الآلهة تشفع.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ رزق السماء الغيث الذي يحيي به البلاد والعباد، ورزق الأرض النبات والثمار ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: من يقدر أن يخلق لكم السمع لتسمعوا، والأبصار لتبصروا ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾:أي يقدِّر الأمور ويقضيها في الدنيا والآخرة ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ يفعل ذلك، لا الأصنام، فإذا اعترفوا لزمتهم الحجة ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ عبادةَ الأصنام.

---

(١) ذكر ابن جرير نحوه في حق الكفار، دون أن يسوق إسناده (تفسير الطبري ١٥/ ٨١)، وقال: «من وجه وسند غير مرتضىٰ» وعادته في مثل ذلك هو ما يكون من رواية الكلبي وأشباهه.
وعزاه السيوطي إلىٰ ابن مردويه من حديث ابن مسعود (الدر المنثور ٤/ ٣٦٢).
وفي صحيح البخاري (٤٥٨١) ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري: «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقىٰ من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب، إلا يتساقطون في النار» الحديث.

(٢) الدر المصون ٦/ ١٩٢.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذي يفعل هذه الأشياء ﴿رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ وعبادته الحق ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ أي: ليس بعد عبادة الله إلا عبادة الأصنام، وهو ضلال ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ عن الحق إلىٰ الباطل ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾ أي: وجبت ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يعني: عذاب ربك ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾ من الكفرة ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لأنه حقت عليهم كلمت الله وهم في صلب آدم.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أي: معبودكم ﴿مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ في العقبىٰ، وقيل: يبدأ خلقه من نطفة ويصوره ويخرجه من الرحم نسمة، ثم يحييه بعد الموت[1]، فإن أجابوك وإلا فقل: الله يفعل ذلك ﴿[قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ] فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ لأيَّة علة تكذبون.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ أي: يرشد إلىٰ الصواب، فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ وقل لهم: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ أي: يرشد إلىٰ الصواب ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ ويعبد بأمره، وهو الله تعالىٰ ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ والصواب، وهو الصنم لا يهتدي بنفسه ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أي يحمل من مكان إلىٰ مكان[2] ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي شيء لكم في عبادة الأصنام؟ كيف ترضون أن توجبوا ما لا توجبه الحكمة، وهذا استفهام.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما تُعبد الأصنام إلا بالشك ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ﴾ في عبادة الأصنام ﴿لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ لا ينفع عند نزول العذاب، ولا يدفع العذاب عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من عبادة الأصنام.

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ٨٥.

(٢) الكشف والبيان ١٤/ ٢١٣.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس هذا القرآن مما يقدر أحد أن يفتريه ويختلقه لأنه كلام في أعلا طبقات البلاغة، مضمَّن بأجلِّ مراتب الحكمة، دال علىٰ فائدة دينية، تعجز الخلق عن إتيان مثله ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: للكتب الذي قبله من التوراة والإنجيل، وقيل: تصديق لأخبار القيامة[١] ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تبيان الحلال والحرام والنهي والأمر ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٧﴾ أنزله علىٰ سيد المرسلين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ بل: يقولون أن محمدًا افتراه ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي: مثل القرآن ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: ادعوا كل من قدرتم علىٰ الاستعانة منه، وقيل: ادعوا من عبدتم من الأصنام من دون الله واستطعتم دعاءه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ في مقالتكم أن محمدًا اختلقه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ أنكروا وجحدوا ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: لم يحققوا في علمهم أنه كذب ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ ولم يأتهم عاقبة ما يؤول إليه أمرهم من العذاب ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كما كذبك قومك ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٩﴾

﴿وَمِنْهُم﴾ أي: من اليهود، وقيل: من كفار مكة[٢] ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ قال الكلبي: هذه الآية مدنية في هذه السورة، أي: من اليهود من يؤمن به مثل عبد الله

---

(١) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ٢/ ٣٣١، حمل الكلام علىٰ معنىٰ ما تقدم من السورة، والمشهور الأول، وهو قول المفسرين، انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٩٠، تفسير أبي الليث ٢/ ١١٧، البسيط ١١/ ١٩٩.

(٢) اتبع المصنف تفسير الكلبي (تنوير المقباس ١٧٤)، والقول بأن المراد اليهود ضعيف، إذ لم يجر لهم ذكر، ولما قال ذلك الكلبي بنىٰ عليه: أن الآية مدنية، لأن اليهود كانوا بالمدينة، وعن مقاتل نحو قول الكلبي، وعن الكلبي قول آخر ذكره الواحدي: أنه المراد أهل مكة،

بن سلام وأصحابه ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ يثبت على اليهودية ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠﴾ وعالم بعقوبة الكافرين.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ ديني الإسلام ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ دينكم الذي أنتم عليه، نُسِخَ بآية السيف[١] ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ﴾ من ديني ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ من دينكم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني: من الكفرة واليهود، يستمعون حديثك على وجه الاستهزاء ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ أي: تقدر أن تُفقِه الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا۟﴾ جهلة ﴿لَا يَعْقِلُونَ ۝٤٢﴾ الإيمان.

﴿وَمِنْهُم﴾ أي: من كفار مكة ﴿مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ وأنت تقرأ القرآن، نظر استهزاء.

ذكر «ينظر» على الوحدان لأنه يرجع إلى كلمة «مَنْ»، وذكر «يستمعون» على الجمع لأنه راجع إلى قوله «منهم»[٢].

ثم قال: ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ۝٤٣﴾ ومعنى الكلامين: أنهم في الظاهر يسمعون وينظرون، ولكن فيما يرجع إلى الحقيقة كأنهم صُم لا يسمعون؛ وعمى لا يبصرون لشدة عداوتهم لك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينقص من عملهم شيئًا من الشر والخير ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أهل مكة ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٤﴾ بالكفر والشرك.

وهو الموافق لقول المفسرين (انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٩٤، تفسير أبي الليث ٢/ ١١٨، البسيط ١١/ ٢٠٤).

(١) وهو قول مقاتل والكلبي، كما في البسيط ١١/ ٢٠٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٣٤٦.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾[١] يعني: في قبورهم، يعني يظنون مدة البرزخ ساعة قصيرة[٢] ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ التعارف: اعتراف كل واحد لصاحبه، أي: يعرف بعضهم بعضًا[٣] ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ أي: عينَ نفسه وأهله الذين كذبوا ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ البعث بعد الموت ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ۝٤٥﴾ من الضلالة إلىٰ الحق.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ نخوِّفهم في حال حياتك ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ بقبض روحك قبل أن نريك ﴿فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ منقلبهم ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ۝٤٦﴾ معناه: والله شهيد علىٰ فعلهم يعاقبهم عليه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ﴾ فكذَّبوه ﴿قُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ وبين رسولهم ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٤٧﴾ أي: لا ينقص من محاسنهم ولا يزاد علىٰ مساويهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ أي: البعث والعذاب ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٨﴾ بنزوله.

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا﴾ أي: دفع ضر ﴿وَلَا نَفۡعًا﴾ أي: جر نفع ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ أنْ يقويني علىٰ ذلك ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ المسمىٰ عنده، المقدر في اللوح المحفوظ ﴿فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٤٩﴾ قبل الأجل.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ [ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٠]﴾ أي: من العذاب يعني منفعة لمن يستعجل به.

---

(١) كتبها في الأصل: نحشرهم، وهي قراءة القراء إلا حفصا (النشر ٢/ ٢٦٢).

(٢) وهو تفسير الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ٢/ ١١٨، ونسب لابن عباس، ولا يخفىٰ أنه من رواية الكلبي (الكشف والبيان ١٤/ ٢١٩).

(٣) وهو تعارف توبيخ (البسيط ١١/ ٢١١).

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلْـَٰٔنَ﴾ يقول: إذا أنزل بكم العذاب إن صدقتم به ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ﴾ أي: بالعذاب قبل نزوله ﴿تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ به منكرين له.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ عند معاينة العذاب، أي: للكافرين ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: جربوا عذاب الأبد ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ في الدنيا.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ﴾ يستخبرونك ويسألونك: أحق هو؟ أصدق ما تخبر به من العذاب؟ ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ﴾ إي صلة للقسم، أي: نعم وربي ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: فائتين.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ علىٰ نفسها بالكفر ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جميعًا من أنواع الأموال ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها من السفلة ورؤسائهم ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَۖ﴾ وقيل: أظهروا الندامة حين رأوا العذاب(١) ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بين القادة والسفلة بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بالغيب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أن وعد الله حق.

﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم﴾ في القرآن ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ نهيٌ عما أنتم عليه ﴿وَشِفَآءٌ﴾ أي: جلاءٌ ﴿لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ من الرَّيْن والعمىٰ ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي نعمة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

---

(١) البسيط ١١/ ٢٢٤.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام[١] ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ الفضل والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ ويعجبوا ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ من الأموال يعني الكفار.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي: ما أحل الله من الأنعام والحرث، ويحتمل أن يكون ما استفهام[٢] ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ حرامًا على النساء، وحلالاً على الرجال؛ في البحيرة والسائبة وغيرهما ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ على وجه الإنكار، أي: الله أمركم بتحريمها ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ تكذبون.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ ماذا يُفعل بهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ويوم منصوب بـ«ظن»[٣]، والكلام محذوف الجواب[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ الكفار بتأخير العذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ نعمة الله.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ يا محمد من شؤون النبوة وتبليغ الرسالة ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ يبلغه الله عز وجل ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ من عمل أنت وأمتك ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ حفظاء رقباء على أعمالكم، وقيل: حضور عندكم

---

(١) وقيل بالعكس، فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، كذا (تفسير الطبري ١٥/ ١٠٦، الكشف والبيان ١٤/ ٢٢٤).

(٢) هذا الاحتمال هو لازم قول الزجاج (معاني القرآن ٣/ ٢٥، البسيط ١١/ ٢٣٤).

(٣) الدر المصون ٦/ ٢٢٧.

(٤) أي: أأنجيهم من العذاب أم أنتقم منهم (تفسير الطبري ١٥/ ١١٣، تفسير السمعاني ٢/ ٣٩١، الكشاف ٢/ ٣٥٤، الدر المصون ٦/ ٢٢٧، اللباب ١٠/ ٣٦١).

عالمون بكم، أتىٰ بلفظ الجمع وهو من كلام الكبراء ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تخوضون فيه، أفاض في الشيء: إذا دخل فيه، وأفاض عنه إذا رجع عنه[١].

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزن نملة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: أهل السماء والأرض ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أقل من الذر ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾ من الذر.

وقرئ: «أكبرُ» بالرفع عطفًا علىٰ محل المثقال[٢]، قيل مقارنة من ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ يكتبه الحفظة[٣].

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ «ألا» افتتاح كلام وتنبيه، أي: لا يخافون فيما يستقبلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ حين يحزن أهل النار.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله ذنوبه وتجاوز عنه-: بلغنا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «إن من عباد الله ناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله» فقلنا: ما هم؟ وما أعمالهم؟ لعلنا نحبهم بذلك، فقال: «رجلان يتحابان[٤] في الله من غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إنَّ وجوههم لنور، وإنهم لعلىٰ منابر من نور، وما يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزنوا، ثم قرأ هذه الآية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية»[٥].

---

(١) انظر معنىٰ الإفاضة: في البسيط ١١/ ٢٤٢.

(٢) والرفع في أصغر وأكبر قراءة يعقوب وحمزة وخلف (النشر ٢/ ٢٨٥).

(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦.

(٤) في الأصل: يتحابون.

(٥) رواه أبو داود في السنن (٣٥٢٧) وابن جرير في التفسير (١٥/ ١٢١) وإسناده صحيح.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ الشرك والفواحش ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ قيل: بشارة الملائكة عند النزع، وقيل: الرؤيا الصالحة يرها المؤمن لنفسه أو تُرىٰ له[١].

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ نجاة وافر والجنة ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ لا تغيير لوعد الله ولا خلف ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾.

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ يا محمد ولا تكذيبهم ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ القدرة والمنعة ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾ وهذا تسلية للنبي صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ من الخلق مملوك له، وهو مالكهم ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ﴾ معناه: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، وهذا تقبيح فعلهم[٢].

والقول الثاني: بمعنىٰ النفي، أي أنهم لم يتبعوا شركاء في الحقيقة، لأنهم ليسوا بشركاء الله، ولكنهم يتبعون الظن[٣].

وقيل: معناه أن الصدر الأول كانوا يقولون الناس رجلان متبِع ومتبُوع، وهذا القوم ليسوا بمتبعين في اتخاذهم الأصنام شركاء فكانوا متبوعين[٤].

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ لا[٥] يعبدونها إلا بالظن ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٦٦﴾ يكذبون.

---

(١) وقد ورد هذا عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في أحاديث، انظر: مسند أحمد (٧٠٤٤).

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٤٣.

(٣) البسيط ١١/ ٢٥٢.

(٤) البسيط ١١/ ٢٥٣، حيث نقل عن صاحب النظم الجرجاني قولين في الآية.

(٥) في الأصل: ألا، وهو تصحيف.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ أي: تقروا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ مضيئًا، والنهار مبصرًا كما يقال: ليل نائم، أي ينام فيه ويصام فيه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ﴾ علامات ودلائل علىٰ وحدانية الله ﴿لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾ يعقلون أمر الله.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ اختار الله لنفسه ولدًا، يعني: عُزيرًا ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ تنزيهًا له ﴿هُوَ ٱلۡغَنِىُّ﴾ عن ذلك ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ عبيده وإماؤه، إنما يتخذ الولد للحاجة؛ إما الفقر وإما الوحشة وإما الضرورة؛ يدفعها[1] به ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ أي: ما عندكم حجة علىٰ هذا القول ﴿أَتَقُولُونَ﴾ بل تقولون ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨﴾.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ﴾ أي: يختلقون ﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ أنَّ له شريكًا وولدًا ﴿لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ أي: لا ينجون من عذاب الله.

ثم ابتدأ فقال: ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنۡيَا﴾ قليل ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ﴾ الشديد ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾.

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي: خبره حين ﴿قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم﴾ عظم عليكم ﴿مَّقَامِى وَتَذۡكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ أي: عظتي بكتاب الله فعاديتموني وآذيتموني، فعلىٰ الله توكلت ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ أي: اجتمعوا علىٰ أمر واحد وادعوا ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾[2] وقرئ[3]: بالرفع، أي: يجمع

---

(١) في الأصل: يدفعه.

(٢) فصل بين الواو وشركاؤكم بـ:ادعوا.

(٣) تصحفت في الأصل: وفي.

شركاؤكم[١] ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ ملتبسًا عليكم، وقيل: غمًّا عليكم يعني فرِّجوا عن أنفسكم[٢] ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ امضوا إلي وانهضوا إليَّ ﴿وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ أي: لا تؤخرون.

وقرئ: «ثم أفضوا إلي» بالفاء، أي اتجهوا إلي وافعلوا لي ما تريدون مستعدين حتىٰ لو غلبتكم بالحُجة، لا تقولوا: غافصنا[٣].

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن قبول الإيمان ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ [إِنْ أَجْرِيَ]﴾ أي: ثواب وما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ المستقيمين علىٰ الإسلام.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ﴾ من الغرق ﴿وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ سكانًا في الأرض من بعد المُهلكين ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وكفروا ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ الذين خوَّفهم فلم يؤمنوا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ أي: نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ أي: هودًا وصالحًا ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ ليقروا ويصدقوا بالرسل ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ عند أخذ الميثاق، ومن خروجهم من صلب آدم، وقيل: لم يؤمنوا أهل مكة بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية، يعني العذاب النازل[٤].

---

(١) وقد نسبت هذه القراءة للحسن البصري، انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٣، الكشف والبيان ١٤/ ٢٥٤.

(٢) الكشف والبيان ١٤/ ٢٥٥.

(٣) المغافصة: المفاجأة، وانظر هذه القراءة: في معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٤، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩.

(٤) وهو تفسير الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ٢/ ١٢٦.

﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ﴾ أي نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٧٤﴾ المخالفين لله ورسوله مجازاة.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي: أنصاره ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ دلائلنا ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٧٥﴾ مشركين.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ آباؤهم، موسىٰ بالرسالة ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧٦﴾ كذب ظاهر وخداع.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ﴾ أنه سحر، وتمَّ الكلام، ثم ابتدأ وقال ﴿أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧﴾ أي: لا يقوىٰ الساحر بالظفر، وإني أقول بالظفر فكيف يكون سحرًا.

﴿قَالُوٓاْ﴾ لموسىٰ ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ﴾ لتصرفنا عن دين ﴿ءَابَآءَنَا﴾ من عبادة الأصنام ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ العظمة والمُلك والرئاسة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨﴾.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ٧٩﴾ حاذق.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٨٠﴾ من حبالكم وعصيكم.

﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ﴾ طرحوا ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ﴾ أي: ما أتيتم به الخداع وليس بحق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ عند مقابلة الحق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١﴾ أي: لا يرضىٰ عمل السحرة.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: يُظْهِر الله الإسلام ويُنْجِز وعده بنُصرة أنبيائه ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨٢﴾ أي: فرعون وقومه يشق عليهم.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ طائفة من بني إسرائيل قد مات آباؤهم وبقي أولادهم، وقيل: كان آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل[(١)].

قيل: كان يعقوب ركب إلىٰ مصر في اثنين وسبعين إنسانًا، فتوالدوا وصاروا ستمائة ألف[(٢)].

قوله: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ أي: رؤسائهم يعني من قراباتهم ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أن يعذِّبهم أو يقتلهم أو يصرفهم[(٣)] عن موسىٰ ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مخالِف في أرض مصر بالتكبُّر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: المشركين والمسرفين في سفك الدماء.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ قدرتم وصدقتم بوحدانية الله ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ قال ذلك تقوية لقلوبهم.

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: لا تسلطهم علينا، ولا تعذِّبنا بأيديهم فيفتتنوا ويظنوا أنهم علىٰ الحق.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾ أي: اتخذا لهم ﴿بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ ومساجد ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: مصلًّىٰ نحو الكعبة، يعني اجعلوا

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٦٤، تفسير أبي الليث ٢/ ١٢٧، الكشف والبيان ١٤/ ١٦١، والقول الثاني رواية الكلبي عن ابن عباس. ورجح ابن جرير قول مجاهد، وهو: وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذُرِّية من أرسل إليه موسىٰ من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يقرُّوا بنبوته لطول الزمان، فأدركت ذريّتهم، فآمن منهم من ذكر الله بموسىٰ.

(٢) وهي رواية مقاتل عن ابن عباس، تفسير أبي الليث ٢/ ١٢٧، الكشف والبيان ١٤/ ١٦٠.

(٣) في الأصل: يصر، لم يتمها.

فيها محاريب نحو الكعبة[١] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ﴾ سرًا إن خاف قومكم إظهار الصلاة من فرعون وقومه ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بالنجاة.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ أعطيت فرعون ﴿وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ أي: زهرة[٢] ﴿وَأَمۡوَٰلًا﴾ كثيرة ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا﴾ أعطيتهم ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾ والإضلال من الله: ترك العصمة عما نهىٰ عنه، وترك المعونة علىٰ أمر ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ أي: صيِّر دنانيرهم ودراهمهم حجارة حتىٰ يذهب نفعها، وطمس الشيء: إذهاب أثره ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ اجعلها منكوسة وأغلق عليها ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾ علىٰ وجه الدعاء ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ الغرق في البحر.

«فلا يؤمنوا» محله جزم بالنهي، يعني: فلا آمنوا، وهذا بعد ما آيسه الله من إيمانهم[٣].

﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا﴾ علىٰ الدعاء وقيل: علىٰ الإيمان والطاعة، وقيل: اثبُتا علىٰ أداء الرسالة ولا تستعجلا ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ توحيد الله في استعجال ما سألتم.

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ بلا سفينة، أي: عبرنا بهم، وإنما جاز ذلك من الله لأنه معهم في الحفظ ودفع معرة[٤] البحر ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ أي: ساروا خلفه ﴿بَغۡيًا وَعَدۡوًاۖ﴾ أي: ظلمًا واعتداءً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٧٣، تفسير أبي الليث ٢/ ١٢٨، وقد ضعف ابن جرير هذا القول، وصحح القول بأن المراد: اجعلوا بيوتكم مساجد.
(٢) في الأصل: هرة.
(٣) انظر أقوال المعربين في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٥٦، الدر المصون ٦/ ٢٦٠.
(٤) في الأصل: مرة.

ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ المخلصين، قيل: إن جبريل ألقمه الحمأة من قعر البحر، وقال:

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ أي: كفرت ﴿قَبْلُ﴾ هذه الساعة ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ القتّالين في بني إسرائيل، فلم يقبل إيمانه لأنه إيمان عند المعاينة.

﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾: مبني على الفتح، يقال: نحن من الآن نصير إليك، فلا يعمل فيه العامل، لأن الألف واللام للمعهود، والآن لم تعهده قبل الوقت[1].

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي: نُخرِج بدنك من الماء، ونُلقيك على الساحل عريانًا بلا روح ﴿لِتَكُونَ﴾ لتصير ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ عبرة، كيلا يقولوا مثل قولك، وليعلم من خلفك أنك لو تكون بالماء غرقت.

عن ابن عباس: قال كان الملعون طوله ستة أشبار ولحيته قريبًا من قامته[2].

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ ساهون.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ﴾ أنزلناهم منزل ﴿صِدْقٍ﴾ أرضًا كريمة منازل فلسطين والأردن والأرض المقدسة ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الغنائم ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُواْ﴾ أي اليهود في رسول الله ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ في التوراة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ في الآخرة ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ في الدين.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد غيره، معناه: فإن كنت أيها الشاك في شك[3].

---

(١) المفردات ١/ ١٠١.

(٢) الغالب على ما ينقله عن ابن عباس أنه من رواية الكلبي، وهذا لم أقف عليه.

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٥.

﴿مِمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ وأضاف الإنزال إليه كما قال في آية أخرىٰ ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾.

﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾ مؤمني أهل الكتاب.

وقيل: المراد رسول الله، لأنَّ الله تعالىٰ كان أنزل علىٰ رسول الله القصص جملة مختصرة، وكان حريصًا علىٰ أن يسمعها مشبعة، فأذن الله له أن يسمع ويسأل مؤمني أهل الكتاب.

وقيل: إنَّ حرف «إن» بمعنىٰ «ما» النفي، كقوله عز وعلا ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ﴾ أي: ما نقول، ومعناه: ما كنت في شك مما أنزلنا إليك، ولكن سلهم لغيرك[1].

﴿لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ برسالة الرسول ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٩٤﴾ الشاكين.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ في كتمان نعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم كأحبار اليهود ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٩٥﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ﴾ أي: وجبت ﴿عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: عِدةُ ربك بالعذاب ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦﴾ البتة.

﴿وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ أي: علامة ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٩٧﴾ عند النزع.

﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ﴾ عند نزول العذاب، أي: هلا آمنوا عند ذلك ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ ومعناه: أنه لم ينفعهم الإيمان بنزول العذاب ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾

---

(١) ذكره الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٣٣.
وانظر: تفسير الطبري ١٥/ ٢٠٢، البسيط ١١/ ٣١٥، زاد المسير ٢/ ٣٥٠.

فإنه نفعهم إيمانهم ﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ أي: الهوان ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ أي: منتهىٰ آجالهم.

والقصة فيه: أنَّ يونس صلىٰ الله عليه وسلم لما دعا قومه إلىٰ التوحيد أبوا عليه، فخرج من بينهم وأوعدهم بعذاب الله بعد ثلاثة أيام، فمضىٰ يومان وأيقنوا بنزول العذاب، عمدوا الليلة الثالثة إلىٰ الولدان ففرَّقوها من أمهاتها من ذرية آدم والبهائم إلىٰ انفجار الصبح، ثم نظروا فإذا نار نزلت من السماء، فخرجوا إلىٰ الفضاء وعجوا بأجمعهم، وشقوا جيوبهم، وأقاموا علىٰ الرماد، وجعلوا الرماد علىٰ رؤوسهم، وعلت أصوات الولدان من جانب، وأصوات الأمهات من جانب، وارتفعت أصوات البهائم وأولادها، ونزل العذاب فوق رؤوسهم قدر ميل، وغشي دخان النار سطوح بيوتهم، وبلغ حر النار إلىٰ وجوههم، حتىٰ رويت أثر حُمرة النار علىٰ أكتافهم، فلما علم الله منهم الصدق كشف الله عنهم البلاء يوم الجمعة يوم عاشوراء[1].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: لو شاء أكرم جميع أهل الأرض بالمعرفة[2] ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تجبرهم علىٰ التوحيد ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ مصدِّقين.

---

(١) القصة في تفسير أبي الليث ٢/ ١٣٣، الكشف والبيان ١٤/ ٢٩٥.

(٢) تكرر منه تفسير الإيمان بالمعرفة، وفيه قصور، فإن المفسرين يتواردون علىٰ تفسير النداءات مثل: يا أيها الذي آمنوا، ومتصرفات الإيمان بالتصديق بالله ورسوله، وربما اختصروا فقال: التصديق، وهذا هو الصحيح، لموافقته المعروف من لسان العرب، أما الاقتصار علىٰ المعرفة فغير سديد، فإن العباد يعرفون الله بالميثاق الذي أخذه عليهم.
ولذا فقد أحسن ابن جرير -كعادته- فقال في تفسيره هذه الآية: ولو شاء يا محمد ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا بك، فصدَّقوك أنك لي رسول، وأن ما جئتهم به وما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبودة له، حقٌّ، ولكن لا يشاء ذلك، (تفسير الطبري ١٥/ ٢١١).

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بمشيئة الله ﴿وَيَجْعَلُ﴾ الله ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ أي: العذاب، وقيل: الكفر(١) ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أمر الله، أي: يتركهم علىٰ كفرهم.

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟﴾ اعتبروا ﴿مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآيات ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ﴾ أي: لا تنفع الآيات ﴿وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ﴾ أي: الرسل قومًا ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ مضوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ في العقوبة ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ هلاكي ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ هلاككم، أمر بمعنىٰ الوعيد.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا﴾ من العذاب النازل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أيضا ننجيهم ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾: أي ننقذهم من الهلاك.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ﴾ أي: ريب ﴿مِّن دِينِى﴾ وترجون مني الدخول في دينكم ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأصنام ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ﴾ أي: أطيعه ﴿ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ يقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي: أمرت أن أقم وجهك، أي: دينك وأخلص عملك لله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن سائر الأديان ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ لا ينفعك إنْ عبدتَه، ولا يضرك إنْ لم تعبده ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ أي: عبدت غيره ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ الضارين لنفسك.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ١٣٤.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي: ليصبك ببلاء ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ لذلك الضر ﴿إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ لسلامة وغنىً في الرزق وصحة في الجسم ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ أي: لا مانع لما ساق إليك ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يخص بفضله وعطائه من يشاء ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ المتجاوز لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ بعد التوبة.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ يعني الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ أي: مَنْ أجاب داعي الله تكون هدايته لنفسه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان بالكفر ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: عقوبته عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ أي: حفيظ، منسوخ بآية السيف[1].

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ افعل ما تؤمر في القرآن ﴿وَٱصْبِرْ﴾ علىٰ أذىٰ قومك ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ﴾ بفتح مكة أو القتل يوم بدر ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ وولي المتقين، ثم حكم وأمر رسوله بقتالهم.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله ذنوبه-: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد من صدَّق بيونس وكذَّب به، وبعدد من غرق مع فرعون»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) وهو قول الكلبي قالها في هذه والتي قبلها (الكشف والبيان ١٤/ ٣٠٢).

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٤/ ١٥٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٧٦.

سورة هود

مكية إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾[١]، وهي مائة وثلاث وعشرون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ معناه: أنا الله أرى[٣]، هذا كتاب أحكمت آياته بالحلال والحرام والأمر والنهي ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بالثواب والعقاب ﴿مِن لَّدُنْ﴾ عند ﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ عالم.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وهذا تفصيل الآيات ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾ أي: من الله ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ٢﴾.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ اطلبوا المغفرة من ربكم ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ في المستأنف إليه ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ يعيشكم عيشًا بلا عذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت الموت ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ يُعطي كل ذي عمل جزاءه في الآخرة ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن قبولها فقل لهم ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ٣﴾ أي: اعلم ذلك.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ مردُّكم في الآخرة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٤﴾.

---

(١) وقيل: كلها مكية بلا استثناء، انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ١٣٧، الكشف والبيان ١٤/ ٣٠٧، زاد المسير ٢/ ٣٥٥.

(٢) في العد الكوفي، و١٢١ في المدني الأخير والمكي والبصري، ١٢٢ في المدني الأول والشامي، البيان في عد آي القرآن ١٦٥.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ١٣٧.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ يعطفونها على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: يضمرون في قلوبهم أشياء ﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: من الله جهلاً منهم بعلم الله[١].

والصدر موضع السر ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ أي: يغطون رؤوسهم بثيابهم ليخفوا عملهم؛ لا يقدرون إخفاءه، لأن الله ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾ أي: عالِم بما في القلوب.

والآية نزلت في الأخنس بن شريق قال لأصحابه: نغلق الأبواب، ونرخي الستور، ونثني الصدور على عداوة محمد، فكيف يعلم ربه، فأخبر الله رسوله بذلك[٢].

ثم قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: على وجه الأرض ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ والله ضامن لرزقها ﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا﴾ أي: حيث تستقر من وجه الأرض، ومأواها الذي تأوي إليه بالليل ﴿وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ حيث تموت في بطن الأرض، وقيل: المستودع الولد في البطن والنطفة في الصلب[٣].

﴿كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ في اللوح المحفوظ مع علم الله به.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ﴾ قبل ذلك ﴿عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ أي: على الموج المكفوف، والماء على متن الريح[٤].

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٣٥، تفسير أبي الليث ٢/ ١٣٨، الكشف والبيان ١٤/ ٣١٥.

(٢) وهو من رواية الكلبي، ولذا لم يروه ابن جرير، انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ١٣٨، الكشف والبيان ١٤/ ٣١٥.

(٣) تفسير الطبري ١٥/ ٢٤١، الكشف والبيان ١٤/ ٣١٩.

(٤) رواه ابن جرير في التفسير ١٥/ ٢٤٩ من طريق عن ابن عباس.

وخلق العرش في ستة أيام، أولها يوم الأحد، آخرها يوم الجمعة، ولو شاء لخلقها في أقل من قدر لمحة، ولكن فعل ذلك لتعلم الناس أن العجلة غير محمودة، لاسيَّما ممن لا يفوته المراد، وليس بمأمور لغيره.

ثم قال: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ وهو الكلام لاتصاله بالعرش، فقد قيل: إنه متصل بقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ ليبلوكم.

﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ يا معشر قريش ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾ أي: خداع ظاهر.

واتصال البعث بأول الآية: لأنه ذكر ابتداء الخلق، ثم ذكر البعث؛ ليعلم العاقل أنَّ البعث ليس بأعجب من ابتداء الخلق، وأول ما خلق الله العرش، ثم الكرسي، ثم اللوح، ثم القلم، ثم قال للقلم: اكتب ما هو كائن؛ وما أنا خالق؛ وما أنا قاضٍ إلىٰ يوم القيامة، فجرىٰ القلم بما هو كائن إلىٰ قيام الساعة.

قال ابن عباس: خلق الله عرشه من نور، وأنطقه بالتسبيح والتهليل، وإنَّ له لسانًا بعدد اللغات كلها، والعرش يحمله ثمانية صفوف من الملائكة؛ أكثر من الجن والإنس والملائكة والكروبيين بثمانية أضعاف، فالسماوات السبع في جنب الكرسي بمنزلة حلقة في أرض فلاة.

وخلق الجان من ألسنة النار، وخلق الله الملائكة من نهر في السماء يقال له[1]: نهر النور، علىٰ باب الضراح، والضراح: البيت المعمور، يدخله جبريل كل يوم فيغتسل فيه، ثم ينفض فيقطر منه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطره ما كان يدخلون البيت المعمور في اليوم مصلون

---

(١) في الأصل: لها.

فيه[١]، فلا تكون لهم النوبة إلىٰ أن تقوم الساعة[٢].

وخلق الشياطين من دبر إبليس، وذلك أنه يبيض في كل يوم سبعين[٣] ألف بيضة، خلق الله تعالىٰ من كل بيضة شيطانًا، وهم المردة، فهذا معنىٰ قوله: «خلق السماوات والأرض في ستة أيام»[٤].

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ إلىٰ وقت معلوم، سنين معدودة ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ لك ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي: ما الذي يحبس عنّا العذاب ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ اعلموا أنَّ اليوم الذي يأتيهم العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ أي: ليس بممنوع عنهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾ أي: نزل بهم عذاب الاستهزاء وحلَّ بهم.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: الكافر[٥] ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ أي: سعة في الرزق وصحة في الجسم ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾ سلبناها منه ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ أي: آيس من رحمتي ﴿كَفُورٌ ۝٩﴾ بنعمتي، واليؤوس: كثير اليأس من رحمة الله.

---

(١) كذا فيه، وأظن الصواب: يخلق الله من كل قطرة ملائكة يدخلون البيت المعمور في اليوم يصلون فيه..الخ.

(٢) سيأتي ذكره في تفسير سورة الطور، انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٤٥٥، الكشف والبيان ٢٥/ ١١.

(٣) في الأصل: سبعون. وهكذا ثبت هنا، وفي تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٢٠: قال مجاهد: إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات، فهذا أصل ذريته. وقيل: إن الله تعالىٰ خلق له في فخذه اليمنىٰ ذكرا وفي اليسرىٰ فرجا، فهو ينكح هذا بهذا، فيخرج له كل يوم عشر بيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة، فهو يخرج وهو يطير، وأعظمهم عند أبيهم منزلة أعظمهم في بني آدم فتنة، وقال قوم: ليس له أولاد ولا ذرية، وذريته أعوانه من الشياطين.

(٤) لا يخفىٰ أن هذا من الاسرائيليات، وفي جملتها مناكير، والله أعلم.

(٥) وهذا من تفسير الكلبي، وهو يحمل هذه الآية ونظائرها علىٰ أن المراد بها: الكافر، فهو من العام الذي أريد به الخصوص، والمفسرون يقولون هنا بالعموم (تفسير الطبري ١٥/ ٢٥٦).

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ أي: لو أنعمنا عليه بعد شدة وفقر أصابه ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾ أي: زالت الشدائد عني لاستحقاقي ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾ أي: بطر بالمعاصي ويفتخر بطرًا بها[(١)].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ وهم أهل التوحيد ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الفرائض، ليسوا كذلك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ ثواب جزيل.

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ من عيب آلهتهم.

قوله «لعلك»: لفظ شك، ومعناه: النهي عما وقع لفظ الشك عليه[(٢)].

﴿[وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟]﴾ وقد أمر الله نبيه بالثبات على أمره، وألا يضيق صدره بقول الكفار ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ فيزيل فقره ويستغني، أو يقترحون[(٣)]: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ فيؤدي الوحي معه، حتى نعلم صدقه أنه نبي، بهذا الكلام يريدون أن يزلونك، أو يتوهم أن يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر دينك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «[لا] أدع ما أوجبت إلي ولا يضيق صدري على البلاغ وإنْ كُذِّبت أو قُطعت»[(٤)].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ مخوِّف ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٢﴾ حفيظ، وقيل شهيد على رسالتك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد من تلقاء نفسه ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ تفترونه أنتم، مثل سورة البقرة إلى سورة هود.

---

(١) في الأصل: به.

(٢) انظر: البسيط ١١/ ٣٦١، التفسير الكبير ١٧/ ٣٢٤، اللباب ١٠/ ٤٤٦.

(٣) في الأصل: يفترون، وهو تصحيف، صوابه ما أثبت، وهي الكلمة الواردة عند المفسرين في هذا الموضع، انظر مثلا: الكشاف ٢/ ٣٨٢.

(٤) وهذا ليس على أنه حديث، بل تقدير الجواب (انظر: المحرر الوجيز ٣/ ١٥٤).

ولكن فيه شبهة: لأنَّ هذه السورة مكية، وسورة البقرة وأخواتها مدنيات[١].

والصحيح: بعشر سور مثل القرآن في الفصاحة والبلاغة، لأنَّ البلاغة ثلاث طبقات أعلاها معجز، وأوسطها وأدناها ممكن، والقرآن أعلاها.

﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ استعينوا بفصحائكم وشعرائكم ومعبودكم من دون الله ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾ في مقالتكم أن محمدًا افتراه.

﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ إن: لم تجبكم الأصنام والشعراء علىٰ إتيان مثله وعجزتم بأنفسكم ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ وقد علم الله أنه حق ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ يعني: فاعلموا أن لا معبود إلا هو ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾ مخلصون بالتوحيد، استفهام بمعنىٰ الأمر.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ بعمله الذي فرض عليه ﴿وَزِينَتَهَا﴾ ولا ينوي به الآخرة من أهل الإيمان ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾ أي: يوفر جزاء أعمالهم في الدنيا ﴿وَهُمۡ فِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿لَا يُبۡخَسُونَ ١٥﴾ لا ينقص من جزاء أعمالهم.

نزلت في الفجار من المؤمنين، ونظيره في حم عسق ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ إلىٰ آخر الآية[٢].

---

(١) وهذا أصلا قول الكلبي، فإنه قال: يعني: بعشر سور مثله مثل سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة، ويونس. وهود، لأن العاشرة هي سورة هود. نقله أبو الليث في تفسيره ٢/ ١٤١، ثم قال: وقال بعضهم: هذا التفسير لا يصح، لأن سورة هود مكية، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة مدنيات، أنزلت بعد سورة هود بمدة طويلة. ولكن معناه: فأتوا بعشر سور مثل سور القرآن، أي سورة كانت، مفتريات يعني: مختلقات إن كنتم تزعمون أن محمدا صلىٰ الله عليه وسلم يختلقه من ذات نفسه. (وانظر: اللباب لابن عادل ١٠/ ٤٤٩).

(٢) وقيل: إنها في الكفار، وقيل إنها في اليهود والنصارىٰ، وهو أليق، ليكون توطئة لما بعده (تفسير الطبري ١٥/ ٢٦٥، الكشف والبيان ١٤/ ٣٢٨).

قال المفسر الكبير: عندي أنه من صفة المشركين، يعني من أراد الدنيا وهو ينكر العُقبىٰ نعطيه من الدنيا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ أي بطل ثواب ما صنعوا لغير الله ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: بيان من أمر الله تعالىٰ: توحيده، وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ الهاء كناية راجعة إلىٰ القرآن، أي: يقرأ القرآن عليه ﴿شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾ من الله، وهو جبريل عليه السلام[1].

وقيل: يتلوه أي يتبعه أي يتبع محمدًا شاهد من القرآن.

﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يشهد له أيضًا، وكتاب التوراة ﴿إِمَامٗا﴾ يقتدي به ﴿وَرَحۡمَةًۚ﴾ لمن آمن به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ إشارة إلىٰ من لم يتقدم ذكرهم، يعني أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم يؤمنون بكتاب موسىٰ وبمحمد، مثل ابن سلام وأصحابه ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ أي: اليهود والنصارىٰ والصابئين والمجوس والذين أشركوا، وهم أحزاب في المِلَل ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ مصيره ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ أي: في شك من القرآن ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ من أهل مكة ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧﴾ بالقرآن.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ استفهام بمعنىٰ تعجيب، أي: ليس أحد أظلم لنفسه ممن افترىٰ ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن له ولد وشريك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ بالمحاسبة، أي: يوقفون في الموقف الذي يراه العباد أجمع، فكان عَرضًا في المعنىٰ.

---

(١) وهذا قول جمهور المفسرين، الكشف والبيان ١٤/ ٣٣٢.

﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ الأنبياء والملائكة، وقيل: الحفظة[1] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ المشركين.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يصدفون الناس عن دين الله ومتابعة رسوله ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يطلبون غير دين الإسلام دينًا، وبملة الإسلام زيغًا ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾ أي بالبعث.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: لا مهرب لهم من الله ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ تمنعهم من عذاب الله ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ أي للرؤساء، يضاعف العذاب مرة إلىٰ الزقوم، ومرة إلىٰ الضريع، ومرة إلىٰ الغساق، ومرة إلىٰ الحميم[2] ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ من محمد ﴿وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠﴾ الهدىٰ لشدة كُفرهم وعداوتهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بإهلاكهم إياها ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١﴾ علىٰ الله.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا شك حقًا.

والجرم: الباطل، فإذا قال لا جرم أي: لا باطل، فإذا لم يكن باطلاً كان حقًا، كقول النبي عليه السلام: «أنا النبي لا كذب» أي حقًا[3].

﴿أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حيث يعاينون ما كذبوا ﴿هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢﴾ أي: أشد خسرانًا، وقيل: المعنىٰ لا كما يظنون، بل جرَم أي كسب لهم افتراؤهم الخسران في الآخرة.

---

(١) والحفظة من الملائكة (تفسير الطبري ١٥/ ٢٨٢، الكشف والبيان ١٣/ ٣٣٩).

(٢) وذلك لكفرهم ولإضلالهم غيرهم (تفسير أبي الليث ٢/ ١٤٤).

(٣) هذا الذي ذكره هو الراجح، وفي (لا جرم) خلاف، انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٢٨٩، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٥، تفسير أبي الليث ٢/ ١٤٤، البسيط ١١/ ٣٨٤.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ أي: أقبلوا بقلوبهم إلىٰ ربهم خائفين، وقيل: تواضعوا إلىٰ ربهم، مشتق من الخبت وهو الأرض السهل اللين[١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ قال ابن عباس: لا يستوي من أبصر الهدىٰ وسمع الموعظة؛ وهو عمر بن الخطاب، مع من لا يبصر الهدىٰ ولا يسمع الموعظة؛ وهو أبو جهل لعنه الله[٢].

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: تتعظون أيها المؤمنون.

وقيل: مثل الفريقين الكافر والمؤمن، كالأعمىٰ وهو الكافر لا يبصر شيئًا من الهدىٰ، والأصم الذي لا يسمع شيئًا من الوعظ، والبصير والسميع المؤمن، يسمع الخير ويقبل الموعظة، ويبصر الهداية، ولا يستويان في الدنيا فكذلك لا يستويان في الآخرة في المثوبة والعقوبة.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ لام «لقد» لام القسم، لأنها تدخل علىٰ الفعل.

بعث الله نوحًا وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين[٣] سنة، ودعا قومه مائة وعشرين سنة، ومكث بعد هلاك قومه ثلاث مائة وخمسين سنة، وركب الفُلك وهو ابن ستمائة سنة[٤].

وقال وهب: دعا قومه للإسلام ألف سنة إلا خمسين عامًا[٥]. وهو أشبه

---

(١) البسيط ١١/ ٣٨٧.

(٢) لم أجده عن ابن عباس، لكن نقل ابن الجوزي عن بعض المفسرين أنها نزلت مثلا في المؤمنين والكافرين (زاد المسير ٢/ ٣٦٧).

(٣) في الأصل: ثمانون.

(٤) وهذا من الاسرائيليات، ولهذا اختلفوا فيه، انظر: الكشف والبيان ١٤/ ٣٤٥..

(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ١٤٦.

بظاهر القرآن، والله أعلم.

وهذا ابتداء قصص الأنبياء وما لقُوا من تكذيب قومهم، وما أنزل الله بهم في الدنيا من النكال، وفي ذلك تخويفٌ لكفار هذه الأمة، فأول رسول جاء بالشريعة بعد آدم عليه السلام بتحريم الأمهات والأخوات: نوح عليه السلام، فلبث فيهم ما ذكرنا، دعاهم إلىٰ عبادة الله وترك الأنداد، وخوَّفهم بالعذاب إن لم يؤمنوا، فلم يؤمن من قومه في مدة إبلاغه إلا ثمانين نفسًا، فقال لهم ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: أنذرتكم لتوحدوا ولا تعبدوا غيره ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ وهو الغرق، ومعنىٰ الخوف: هو العلم.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ أي: الرؤساء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ﴾ يا نوح ﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أي: سفلتنا وضعفاؤنا ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ أنقصنا في الرأي، قرئ: «بادئ» بالهمزة وغير الهمز، فمعنىٰ الهمز أي: أول الرأي من غير فكرة ورويَّة وتدبير، وبغير الهمز[1]: أي ظاهر الرأي معك في العلانية وفي السريرة معنا[2].

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ مِن مُلك ولا مال ولا شرف ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ولست برسول يا نوح.

﴿قَالَ﴾ نوح ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: بيان وحجة ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ نعمة منه وهي النبوة.

---

(١) في الأصل: وتغير الهم، وهو تصحيف.

(٢) بالهمز قراءة أبي عمرو، وهكذا ضبط الآية في الأصل (النشر ١/ ٤٠٧)، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٧، الكشف والبيان ١٤/ ٣٤٥.

﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾[1] أي: خفتْ عليكم، و«عُمِّيت»: لُبِّست[2] ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أي: نقدر أن نقلِّدكم إياها ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ يعني لا إجبار على المعرفة.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ أي: على التبليغ والتوحيد ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ ما ثوابي إلا على الله ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ أي: لست بالذي أرد[3] إيمان الضعفاء ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ معاينوا ربهم بعد الموت يجزيهم بأعمالهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ أمر الله تعالى.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ يدفع العذاب عني ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ أي: لا أقبل إيمانهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾ تتعظون.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ أي: مفاتيح رزقه ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ متى ينزل العذاب ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ نزلتُ من السماء ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾ أي: تحتقره ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ أي: لم يكرمهم بالمعرفة ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من الإيمان، وليس عليَّ اطلاع على الاعتقاد وعلى تصديق ما يُظهرون، وعلم اليقين والنفاق عند الله ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ إنْ لم أقبل إيمانهم ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: تخوِّفنا ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢﴾.

﴿قَالَ﴾ نوح ﴿إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي: بالعذاب ﴿إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾ فائتين من عذابه.

---

(١) في الأصل: فعَمِيَت، بالتخفيف وهي قراءة من سوى الكوفيين، إلا شعبة، وعليها جاء التفسير، ثم أتبع بالقراءة الأخرى (النشر ٢/ ٢٨٨).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٧، الكشف والبيان ١٤/ ٣٤٦.

(٣) في الأصل: أرادوا.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾ دعائي ونصيحتي ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ يعني: قد أردت أن أنصح لكم وأدعوكم إلىٰ التوحيد ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ كيف ينفعكم نصحي؟ وقيل: إن أراد أن يهلككم مجازاة لفعلكم[1] ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ أولىٰ بكم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يوم القيامة.

فإن قيل: إنَّ نوحًا شاء منهم الإيمان وإبليس شاء منهم الكُفر؛ فكان كما شاء إبليس، ومشيئة إبليس موافقة لمشيئة الله تعالىٰ، ومشيئة نوح مخالفة لمشيئة الله تعالىٰ.

قلنا: لم يكن كذلك، ولكن كلٌّ شاء ما شاء الله، ولم تخالف مشيئته مشيئة الله، كان نوح مأمورًا بأن يشاء[2] لهم الإيمان، وقد شاء الله أن يشاء نوح لهم الإيمان، فشاء نوح كما شاء الله، واستحق المثوبة بامتثال أمر الله تعالىٰ، وشاء الله منهم الكفر وشاء أيضًا أن يشاء إبليس منهم الكفر، فشاء إبليس كما شاء الله، ولكن إبليس كان منهيًا عن هذه المشيئة فاستحق العقوبة بالنهي، فوقع[3] الاتفاق في المشيئة، ولكن الاختلاف في الأمر والنهي والعقوبة والمثوبة، فتأمله فإنه لطيف.

قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ بل: يقولون اختلقه من عنده ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ أي: عقوبة جرمي إن صح ذلك ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: تأثمون فلا أؤاخذ به.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ وهم ثمانون رجلاً أصحاب السفينة ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) انظر: البسيط ١١/ ٤٠٦.
(٢) في الأصل: شاء.
(٣) في الأصل: فوق.

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ أي: بمنظر منا وتعليمنا، لأنه كان لا يحسن صنعة الفُلك، فعلَّمه الله تعالىٰ بالوحي حتىٰ جعلها كرأس الحمامة في جانب الرأس، وذنبها كذنب الديك، طولها ثلاث مائة ذراع في الأرض، وعرضها مائة وخمسون ذراعًا، وطولها في السماء أربعون ذراعًا، ولها ثلاثة أطباق، وكان قبل ذلك لم يرىٰ الناس نهرًا ولا بحرًا، وكانوا يسقون من المطر، فكانوا يسخرون به إذ لم يروا الماء الجاري[1].

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾ أي: تخاصمني ﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ كفروا من أهلك ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ بالطوفان.

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ أي: جماعة من أشراف قومه ﴿سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ استهزؤوا ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا﴾ بفعلنا ﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ عند الغرق ﴿كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ منَّا.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ مَنْ أحق بالسخرية ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ يهلكه ويشقيه ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩﴾ في الآخرة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ أي: وقت الغرق ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي: نبع الماء من التنور من ثقبها، قيل لنوح: آية عذاب قومك أن امرأتك تسجر التنور؛ فنبع الماء من التنور حتىٰ أطفأ الماء نارها؛ فقد جاء العذاب.

فلما رأىٰ نوح ذلك حذَّر قومه حتىٰ ابتلت أقدامهم، ثم حذَّرهم حتىٰ صار الماء موضع النعل، ثم حذَّرهم حتىٰ صار إلىٰ الكعبين، ثم صار إلىٰ نصف الساق، ثم إلىٰ الرُكَب، ثم إلىٰ الحقو، وفي كل ذلك يحذرهم وينذرهم، فلما بلغ

---

(١) انظر الروايات في صفة السفينة في: تفسير الطبري ١٥/ ٣١١، تفسير أبي الليث ٢/ ١٤٩، الكشف والبيان ١٤/ ٣٥٢، تفسير ابن كثير ٤/ ٣١٩. وجل ذلك مأخوذ من الإسرائيليات.

الماء الثُّندُوة[١] أقبل نوح يبكي وينوح، وقال: إنَّا لله، غرق قومي، وسُمِّي نوحًا لأنه ناح على الإسلام حيث لم يقر به قومه فهلكوا.

﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: احمل في السفينة ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ احملهم معك ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ أربعون رجلاً وأربعون امرأة.

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا﴾ إجراؤها ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ أي: استقرارها أي: جريها وقرارها بسم الله تعالى ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١﴾ لمن تاب.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ أي: السفينة تسير بهم ﴿فِى مَوْجٍ﴾ أمواج ﴿كَٱلْجِبَالِ﴾ الرواسي ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كنعان ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ أي: ناحية من الجبل، وقيل: في بُعد من السفينة ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٢﴾ فتغرق.

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ﴾ سألتجئ ﴿إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ يمنعني ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ أي: لا مانع من عذاب الله إلا رحمة الله، وقيل: العاصم أراد به المعصوم[٢] ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾ أي: فرَّق بينهم الموج ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝٤٣﴾ أي: صار منهم.

﴿وَقِيلَ﴾ بعد أشهر سبعة[٣] ﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ بعد ما أمطرت السماء أربعين يومًا، ونبع الماء من الأرض أربعين يومًا؛ أمر الأرض

---

(١) لحم الثدي، وقيل هو للرجل، والثدي للمرأة (تاج العروس ٧/ ٤٧٠) وفي الأصل: الثدوة، تصحيف.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٥٤، تفسير أبي الليث ٢/ ١٥٢.

(٣) ذلك لأنهم يقولون: ركب السفينة في أول رجب، وأرست على الجودي في عاشوراء (تفسير الطبري ١٥/ ٣٣٥).

تنشف ماءها، وأمر السماء بالإقلاع، أي: الكف عن الأمطار ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي: نضب الماء علىٰ وجه الأرض وظهرت الجبال ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: مضىٰ الحكم بغرق الكفار وأهلكوا ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ وهو اسم جبل بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ أي: سُحقًا وهلاكًا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ قبل الغرق ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ وقد وعدتني نجاة أهلي ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ أنت صادق الوعد ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أعدل العادلين.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ أي: سؤالك ودعاؤك فيه غير صالح، وقرئ: «عَمِلَ غيرَ صَالح» أي: ابنك عَملَ غيرَ صالح وهو الشرك(١).

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ وقرئ: «فلا تسألَنِّ»(٢) ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: أنهاك أنْ تكون من الجاهلين بسؤالك بما لا علم لك به.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ أي أمتنع بك ﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ عن سؤال إياك ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي حجة وبرهان ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ تجاوز عني فما سألت ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ تمنُّ علي بالتوبة ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ أي: انزل من السفينة علىٰ الجودي بسلام، أي: أمان منَّا وسلامة من عندنا ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أي: علىٰ

---

(١) وهي قراءة الكسائي ويعقوب (النشر ٢/ ٢٨٩).

(٢) أي بفتح اللام وتشديد النون، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر، وابن كثير وهشام بفتح النون، وللباقين الكسر (النشر ٢/ ٢٨٩).

جميع العالم الذين يكونون من أولادك الثلاثة: سام وحام ويافث، على ملة الإسلام، وأمم كلام منقطع ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ يعني: وأمم من ذريتك تكون كفرة نؤجلهم ونعيشهم في الدنيا أيامًا قلائل ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿تِلْكَ﴾ الأخبار ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ غاب عنه علمه ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ أي: يخبرك جبريل بأمرنا ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ أي: آخر الأمر[١] ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ وقيل: الجنة لهم.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ أرسلنا ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ وكان أخوهم في النسب لأنه منهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي: تكذبون بعبادة الأوثان، لم يأمركم الله بها.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ﴾ أي: خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ أمر الله.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ وحِّدوه ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ من الكفر ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ مطرًا دائمًا ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ عددًا إلى عددكم ونعمة إلى نعمتكم، قيل: إنه حبس عنهم المطر ثلث سنين، وانقطع نسلهم ثلاث مائة وخمسين سنة، ووعدهم الله بزيادة العدد بالنسب والمطر[٢] ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بيان ما تدَّعي ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ وعبادتهم ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ أي: بقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) في الأصل: الأمن، وهو تصحيف، وعلى الصواب في تفسير الكلبي ص١٨٦.

(٢) روي نحوه عن ابن زيد على خلاف في المدة (انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٣٥٩، الكشف والبيان ١٤/ ٣٨٢).

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾ بخبل وجنون أصابك، أي: لا يحوقك إلا تخييل آلهتنا إن لم تمتنع عن عيبها ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ﴾ أنتم يا قوم ﴿أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤﴾.

﴿مِن دُونِهِۦۖ﴾ الله ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ اعملوا أنتم وآلهتكم في هلاكي ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾ أي: لا تمهلوني طرفة عين.

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾ تدبُّ علىٰ الأرض ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ هذه عبارة عن التدليل، أي: الخلق كلها تحت قدرة الله تعالىٰ يحيها ويميتها ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ لا يعدل عنه هارب، ولا يخفىٰ عليه مستتر، ولا يكون لأحد مسلك إلا عليه.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان يا محمد فقل ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ أي: رسالة ربكم ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ أي: بعد هلاككم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ﴾ أي: لا تنقصون من ملكه ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾ لا يغيب عنه شيء[1].

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بالعذاب ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ أي: بسعادة منَّا ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨﴾ ريح باردة تسمىٰ دَبُورا.

﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: هذه قصة قوم هود كفروا بهود، وعصوا رسله؛ هودًا ومَن قبله ومَن بعده ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩﴾ والجبار

(١) كذا وقع عنده أن هذه الآية ليست من صلة حجاج هود مع قومه، بل خوطب بها النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأمر أن يبلغ قومه ذلك، وعلىٰ هذا جرىٰ الثعلبي في الكشف والبيان ١٤/ ٣٨٥، وأما الطبري فجعلها من صلة قول هود، وهو المناسب لسياق القصة (تفسير الطبري ١٥/ ٣٦٥).

الذي يقبل علىٰ غضبه، أي: أطاعوا أمر كل قتَّال متعظِّم مُعْرِض عن طاعة الله، أي: أطاع الأتباع الرؤساء في الطغيان.

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: ألحقوا في هذه الدار بعذاب، وهي الريح العاتية، التي سخَّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يلعنون لعنة أخرىٰ ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ وحدانيته ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي: هلاكًا وخيبة من رحمة الله ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ *﴾.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ أي: أرسلنا إلىٰ ثمود، هي موضع بوادي القرىٰ بين[1] المدينة والشام ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسبة ﴿صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلق إياكم من الأرض ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أي: عمَّركم ﴿فِيهَا﴾ أي: في الأرض، وقيل: جعلكم عمَّارَها ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي: توبوا إليه من الشرك ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ قريب ممن يقرب إليه، مجيب لمن دعاه.

﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ نرجو أن تكون أفضلنا في عبادة الأوثان ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ أي: عن عبادة أوثان يعبدها آباؤنا ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ أي: ذو ريبة.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ أي: علىٰ بيان وبرهان ﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ أي أكرمني بالنبوة ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ بأمركم، أي: من يقدر أن يمنع عذابه عني ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى﴾ عند نزول العذاب إن تركت أمر الله ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ وتتبيب، والتخسير والتتبيب: الخسران[2].

---

(١) في الأصل: من، وهو تصحيف. وانظر: تفسير السمعاني ٢/ ٤٣٨.

(٢) قال السمعاني (في التفسير ٢/ ٤٣٩): وقوله: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ فيه قولان: أحدهما: إن اتبعتكم ما كنت إلا كمن يزداد خسارا وهلاكا، والقول الثاني: فما تزيدونني غير

﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ دالة على صدق نبوتي، أخرجها الله لكم من صخرة ملساء حاملة كما سألتم ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: في أرض الحجر ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ أي: لا تصيبوها بعقر ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤﴾ عاجل، إلى ثلاثة أيام، والعقر: قطع العرق الذي له تأثير في النفس.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ﴾ أي: تلذذوا بالعيش في منازلكم ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ﴾ العذاب ﴿غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥﴾ ولا مردود، اليوم الأول تحمار فيه وجوهكم، واليوم الثاني تصفار، واليوم الثالث تسواد.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ﴾ أي: من عذاب ذلك اليوم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ﴾ بنُصرة أوليائه ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ المنيع في ملك سلطانه.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيحة جبريل من وسط سحابة أقبلت، فخرجت الأرواح بتلك الصيحة من الأبدان ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ﴾ أي: منازلهم وعساكرهم ﴿جَٰثِمِينَ ٦٧﴾ ميتين.

﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ﴾ يعني: كأن لم يكونوا في تلك المنازل، والمنزل: المُقام ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾ أي: هلاكًا وخيبة لهم.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ﴾ أي: جبريل ومعه اثني عشر مَلَكًا، وقيل: معه ملكان، والأول أعرف[1] .

تخسير لكم، وحقيقته: أني أطلب منكم الرشد، وأنتم تعطونني الخسار والهلاك، يعني: لأنفسكم، هذا كله جواب عن سؤال من سأل في هذه الآية: كيف قال ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣﴾ ولم يك صالح في خسار؟.

(١) انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ١٦٠، الكشف والبيان ١١/ ٤٦٦، البسيط ١١/ ٤٦٦، والله أعلم بعددهم فإن هذه الروايات من قبيل الأخبار الإسرائيلية. والقول المروي عن ابن عباس هو من رواية الكلبي.

﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ أي: البشارة بالولد ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: سَلَّمُوا سلامًا ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم ﴿سَلَٰمٌ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ أي: ما أقام بعد السلام ﴿أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩﴾ أي: مشوي نضيج، والحنيذ: الذي اتخذ له حفير في الأرض فيشوى[١].

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ أي: لا يأكلون منها ولا تصل أيديهم إلى الفم ﴿نَكِرَهُمْ﴾ وأنكرهم واحد[٢]، أي: رآهم منكرًا، وخاف منهم أنهم لصوص، لأنَّ من لا يأكل طعام أحد في ذلك الوقت لا يأمن منه ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أضمر وامتلأ رعبًا ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠﴾ بالعذاب لنهلكهم.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ سارة ﴿قَآئِمَةٌ﴾ على رؤوسهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ من عجب من خوف إبراهيم، وقيل: تعجُّبًا من البشارة، قيل ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ فضحكت سرورًا، مقدم ومؤخر[٣]، فبشرناها بإسحاق ولدًا ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١﴾ ولد الولد.

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ تعجُّبًا ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ نصب على الحال، وقيل: نكرة وصف بها معرفة تنصب على القطع[٤].

فكان إبراهيم إذ ذاك ابن تسع وتسعين سنة، وسارة ابنة ثمان وتسعين سنة[٥] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢﴾ ظهور الولد من الشيخين الكبيرين.

---

(١) الكشف والبيان ١٤/ ٣٩٩، البسيط ١١/ ٤٧١.

(٢) يقال: نكرته وأنكرته واستنكرته، البسيط ١١/ ٤٧١.

(٣) الكشف والبيان ١٤/ ٤٠٤.

(٤) معني القرآن للزجاج ٣/ ٦٣، التبيان ٢/ ٧٠٧، الدر المصون ٦/ ٣٥٧.

(٥) تفسير الطبري ١٥/ ٣٩٢، الكشف والبيان ١٤/ ٤٠٨.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قال جبريل ﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ وقدرته ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: هذه البشارة رحمه الله رحمكم بها وبركات الله عليكم ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ حميد: أي قابل لأعمالكم ومثيبكم عليها، مجيد يكرمكم بولد صالح.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ الخوف ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ البشارة ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤﴾ أي: يجادل رسلنا بسبب قوم لوط.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ أي: مخلص وسيد، لأن الحلم خُلُق السادة ﴿أَوَّٰهٞ﴾ ذاكر لربه، يتأوه من خوف النار ﴿مُّنِيبٞ ٧٥﴾ مُقبِل إلىٰ الله تعالىٰ.

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ أي: اترك المجادلة، وجدال إبراهيم بسبب قوم لوط من المؤمنين، ولوط وأولاده ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ لهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ يعني قوم لوط ﴿ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾ غير مصروف.

﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ أي: ساءه مجيئهم إشفاقًا عليهم من قومه ومن فعلهم الخبيث ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ أي: ضاق قلبه بمجيئهم، وقيل: ضاق وسعه، فناب الذرع والذراع عن الوسع، وأصله: من ذرع الدابة، وهو خطوها بقوائمها إذا مشت علىٰ قدر طاقتها، فمتىٰ ضاق ذرعها دل علىٰ نقصان طوقها[1].

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧﴾ شديد شرُّه.

---

(١) الذرع يوضع موضع الطاقة، والأصل فيه أن يذرع البعير بيديه في سيرة ذرعًا علىٰ قدر سعة خطوه، فإذا حمل علىٰ أكثر من طوقه ضاق ذَرْعُهُ عن ذلك فضعف ومد عنقه، فجُعِلَ ضيق الذرع عبارةً عن ضيق الوسع والطاقة، فيقال: ما لي به ذرع ولا ذراع، أي: ما لي به طاقة (تهذيب اللغة ٢/ ١٢٧٨، البسيط ١١/ ٤٩٢).

﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ يسرعون إلىٰ بيته[١] ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي: من قبل مجيء لوط يعملون الفواحش واللواطة ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ أي: أَحلُّ لكم.

وأراد به بنات قومه، لأن كل بني كالأب لقومه، وإنما قال: أطهر لكم وأطيب، يعني بالنكاح[٢].

قيل: عرض عليهم بناته مع كُفرهم لأن تزويج المسلمة للكفار في دينهم جائز، وأراد به نساء قومه[٣].

وقيل: أراد به بنات نفسه وله تسع بنات في قول وهب[٤]، وكلهن يخطبن قبل ذلك، فلم يجب لوط الخواطب، حتىٰ كانت الليلة قال للخواطب -وهم رؤساء القوم-: أزوِّجكم بناتي بشرط أن تخرجوا العامة من داري[٥] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ أي: لا تخجلوني ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾ عاقل بذلكم علىٰ الصواب، والخزي: الفضيحة.

﴿قَالُواْ﴾ ذلك القوم من الخطاب ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ الساعة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩﴾ أي: اللواطة.

---

(١) في الأصل: بلده، وهو تصحيف.

(٢) وهذا الأشهر عند المتقدمين (تفسير الطبري ١٥/ ٤١٤، تفسير أبي الليث ٢/ ١٦٤، الكشف والبيان ١٤/ ٤١٧).

(٣) زاد المسير ٢/ ٣٩٠، الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٧٦.

(٤) وهذا خلاف المشهور.

(٥) في الأصل: الفاغة من للدي. وخبر وهب رواه الطبري في التفسير ١٥/ ٤٢٨، وليس فيه هذه الجملة.

﴿قَالَ﴾ لهم لوط يعني للملائكة ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ فأبطش بكم الساعة وأدفع السوء عنكم ﴿أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ أي: عشيرة منيعة، والركن: الناحية من الجبل، شبه عشيرة الرجل به.

﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ بالسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ ببنتيك زعورا وريثا، وفي قول وهب: بتسع بناتك ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ آخر السحر، وقيل: ربع الليل ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ أي: لا يتخلف ﴿مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ بالنصب: يعني: فأسر بأهلك إلا امرأتك. وبالضم: لا يلتفت أحد إلا امرأتك(١).

﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من العذاب، ثم مسح جبريل وجوه القوم الذي يُهرعون إليه فعميت عيونهم، فخرجوا يجول بعضهم في بعض، ويصيحون: أعميتنا يا لوط ستعلم ما نفعل بك غدًا، ثم قال ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ لأنَّ لوطًا كان يستعجل في العذاب.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بهلاكهم وأراد لوط أن يخرج أولاده وأهله من بينهم وله أغنام، وباب المدينة مسدود، فقال جبريل: إني سأحملك وغنمك وابنتيك وامرأتك حتىٰ أرمي بهم من وراء السور وقت السحر، ففعل وساروا من المدينة فرسخين، وقد أمره أن لا يلتفت عند الوجبة، وقال جبريل: يا لوط إنك تسمع للمدينة وجبةً إذا أنا طرحتها، فاشتمل علىٰ ابنتيك، وأما امرأتك فإنها ستلتفت عند الوجبة فتهلك(٢).

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع التاء، وقرأ الباقون بنصبها (النشر ٢/ ٢٩٠).
ولاختلاف القراءتين اختلف قول المفسرين في امرأته، هل سرت معهم أم لا، والتوجيه الذي ذكره المصنف هو المشهور عند المفسرين، أنظر: تفسير الطبري ١٥/ ٤٢٤، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٧٠، وسبيل الجمع في مثل هذا أن يقال: أسرىٰ بابنتيه فتبعته زوجته من غير أمر منه، فلما هلك قومهم التفتت فهلكت مع الهالكين.

(٢) نحوه في تفسير أبي الليث ٢/ ١٦٤، وهذا من قبيل الإسرائيليات.

وكانت المدائن أربعة: سدوم، وعامورا، وصبوايم، وذاذوما[١]، في كل مدينة مائة ألف مقاتل، فأخذ جبريل المدائن الأربع فاقتلعها من منتهىٰ الماء الأسود، وحملها علىٰ جناحه ثم رفعها حتىٰ سمع أهل سماء الدنيا نباحَ الكلاب وصياحَ الديكة، ثم قلبها فجعل ﴿[جَعَلْنَا] عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا﴾ خلفها بالحجارة علىٰ كل رجل حجرًا، واتبع كل رجل منهم من الغائبين المسافرين حجرًا قتله.

قال وهب رحمه الله: أمطر الله عليهم أولاً الكبريت والنار، ثم بعدها الحجارة، فذلك قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ قال ابن عباس: سجيل فارسي معرب، بمعنىٰ سنك وكل، كأنه: مطبوخ الآجر.

وقيل: سجيل مسجل مكتوب علىٰ كل حجر اسم صاحبه[٢] ﴿مَّنضُودٍ ٨٢﴾ متتابعة.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة بخطوط الحُمرة والسواد ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: من خزائنه التي لا يصرف منها شيء إلا بإذنه ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ٨٣﴾ أي: قريات لوط ليست من كفار مكة ببعيد، ممرهم عليها.

وقيل: الحجارة ليس من ظالمي أمتك ببعيد، أي: كل من عمل عملهم[٣].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أرسلنا إليهم ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ يعني:

---

(١) كذا في الأصل: بذالين معجمتين، وفي الكشف والبيان ١٤/ ٤٢٦: داذوما، وفي تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٢: خمس قريات: صبعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم.

(٢) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري ١٥/ ٤٣٤، تفسير أبي الليث ٢/ ١٦٥، الكشف والبيان ١٤/ ٤٢٧.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ١٦٥.

أتموا الكيل والوزن في المبايعات ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ أي: في سعة ورُخص ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ۝٨٤﴾ يحيط بكم عذابه.

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ أتموها بالعدل ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ أي: لا تنقصوا حقوقهم ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ۝٨٥﴾.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ أي ثواب الله وطاعته ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾ وقيل: توحيد الله خير لكم[1] ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ۝٨٦﴾ أي رقيب أجبركم على الإيمان.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ﴾ أي: كثرة صلواتك[2]، وقيل: دينك ﴿تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ من الأوثان ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ من البخس ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧﴾ قالوا ذلك استهزاءً، يعنون به السفيه الأحمق على الضد، كقوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ يعني الذليل اللئيم، ويجري ذلك في كلام الحذّاق، يقولون للأعمى: بصيرًا وللحبشي: أبو البيضاء، وللأبيض أبو الجون[3].

---

(١) الأصل أن بقية الله: ما أبقاه الله لكم، بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط، فأحلّه لكم، خير لكم من الذي يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان (تفسير الطبري ١٥/ ٤٤٧).

(٢) وذلك لأن شعيبا كان كثير الصلاة (الكشف والبيان ١٤/ ٤٣٥).

(٣) الجون من الاضداد، يطلق على الأبيض والأسود، ولكنهم يريدون هنا السواد (تاج العروس ٣٤/ ٣٨٢). قال ابن السكيت: يقال للأسود أبو البيضاء وللأبيض أو الجون (تاج العروس ١٨/ ٢٦٨).

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ أي: بيان من عبادة ربي ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ أكرمني بالنبوة والإسلام، وأتاني قوتًا حلالاً ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ إلىٰ ما أنهاكم عنه، أي: لا أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أركبه بنفسي، وقيل: دعاكم[1] إلىٰ التوحيد وترك التطفيف وقد ارتضيت ذلك لنفسي.

قال الأزهري: كنت بالبادية أسوق الإبل لأوردها الماء، فاستقبلني بعض العرب فسألته عن: فرطنا، فقال: خالفني، كنت صدرت عن الماء وهو يرد[2].

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ بقدر طوقي ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ في مصالح الأمور ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ أرجع بعملي ونيتي.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾ أي: لا تحملنكم عداوتي علىٰ أن لا تؤمنوا ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾ أي: ليس بينكم وبينهم مدة بعيدة.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ بالتوحيد ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ أي أَقبِلُوا عليه بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾ تودد إلىٰ أوليائه بالمغفرة.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ أي: تدعونا إليه وتأمرنا به، من شدة بغضنا لك ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾ فالضعيف هو الضرير بلغة حمير، وكان شعيب ضريرًا[3]، وقيل: لا قوة لك، معناه ولا حيلة ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ﴾ أي:

---

(١) في الأصل: داكم.

(٢) الأصل في مادة فرط أنها تدل علىٰ السبق والتقدم (تاج العروس ١٩/ ٥٢٧)، وهذه القصة لم أجدها في تهذيب اللغة للأزهري، والله أعلم.

(٣) روي هذا عن بعض السلف، كما في تفسير الطبري ١٥/ ٤٥٧، وقد فسر سفيان الضرارة: بضعف البصر (الكشف والبيان ١٤/ ٤٣٩).

عشيرتك وقرابتك ﴿لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ أي: قتلناك بالحجارة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾ أي: ليس قتلك عندنا بعظيم.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: هم أكرم عندكم ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾ أي: نبذتم أمر الله وراء ظهوركم ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾ عالِم.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ أي: اعملوا في هلاكي في منازلكم.

وقال الضحاك: اعملوا علىٰ جديلتكم، أي: طريقتكم التي أنتم عليها ﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾ علىٰ جديلتي التي أنا عليها ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب ونجونا ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ يهلكه ويشقيه ويهينه ﴿وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ﴾ أيضًا ستعرفون أمره ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ أي: انتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾ منتظر بكم العذاب.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ أي: سعادة منَّا، وقيل: بمنة ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صاح بهم جبريل، خرجت أرواحهم من أجسادهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾ لا يتحركون.

﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ﴾ لم ينزلوا مغانيها ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ﴾ من رحمة الله ﴿كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾ أي: هلكت قوم صالح.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع ﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦﴾ وحجة ظاهرة.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ﴾ أطاعوا قوله ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧﴾ أي: ليست طاعته بصواب.

﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ﴾ يتقدمهم ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ وهم خلفه ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ﴾ أدخلهم ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾ المدخل المدخول.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً﴾ أي: ألحقوا عذابًا وهو الغرق ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ أي: يُتبعون يوم القيامة بلعنة أخرىٰ ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ٩٩﴾ أي: بئس العطاء المعطىٰ، وبئست اللعنة بعد الأمنة.

والرفد في الأصل هو: العون، أي: اللعن الثاني أعان الأول(١).

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَۖ﴾ بوحي جبريل ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ١٠٠﴾ منها قائم ينظُر إليها الناظر، مثل: مدين، وحجر، وبئر معطلة، وقصر مشيد، قام عينها وباد أهلها، ومنها حصيد: هالِك أهلها، دارس أثرها، طامس منارها.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بما فعلنا بهم من العذاب والنكال ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ﴾ بكفرهم بربهم ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ﴾ أي: عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ١٠١﴾ مِن قوله: تبت يداه، أي خسرت.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ يا محمد في الأمم الماضية [﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾] إذا عاقب أهل القرىٰ وهي ظالمة ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ وجيع عظيم.

قال الشيخ أبو سهل الأنماري رحمه الله: ذكر بكلمة «إذا» [في] قوله ﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ وكلمة إذا للمستقبل، ولذلك قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «شيَّبتني سورة هود والواقعة والمرسلات»(٢) وهذه الآية من هذه السورة، شيَّبته لأنه خاف أن ينزل ذلك بأمته كما في الأمم الماضية.

---

(١) البسيط ١١/ ٥٤٤.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٧) من حديث أبي بكر الصديق، ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وروىٰ علي بن صالح، هذا الحديث عن أبي

ومن سورة الواقعة قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ فخاف علىٰ أمته الخروج إلىٰ الحالة الثالثة.

ومن سورة المرسلات ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ فيما يستقبل، فخاف أن ينزل ذلك بأمته حتىٰ شيَّبه الخوف.

وعن بعض الصالحين [أنه] رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في المنام فقال له: يا رسول الله ما شيبك من سورة هود؛ قصص الأنبياء وهلاك أممهم؟ قال: لا، ولكن قوله ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ (١).

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: يجمع فيه الأولون والآخرون ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ يشهده أهل السماوات والأرضين، أي: يحضره.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ نؤجل ذلك اليوم ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ وعيدي لا يعلمه غيري.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ من الفرق ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ والشقي كل الشقي: من شقي بسوء عمله في معصية الرب، والسعيد كل السعيد: من سعد بحُسن طاعته في رضا ربه، فالشقي يساق إلىٰ النار، والسعيد يساق إلىٰ الجنة.

إسحاق، عن أبي جحيفة، نحو هذا، وقد روي عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، شيء من هذا مرسلا.

ورواه الثعلبي في الكشف والبيان من طريقين ١٤/ ٣١٠، وهو حديث مضطرب.

(١) الرائي هو أبو علي السري، انظر: تفسير السمعاني ٢/ ٤٦٣، الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٠٧.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أي: صوت كصوت الحمار وهو أول ما ينهق ﴿وَشَهِيقٌ ۝١٠٦﴾ وهو آخر الصوت، وقيل: الزفير الأنين، والشهيق أشد منه[١].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين في النار ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: سماوات الجنة والنار وأرضيهما[٢]، لأن كل ما علاك فهو سماء وما تحتك فهو أرض، ومعناه: مادامت جنتي وناري.

وقيل: أراد به إياسهم عن الخروج، لأن العرب تضع هذا اللفظ موضع التأبيد الدائم الذي لا انقطاع له[٣].

قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني: لا يشاء ربك أبدًا، كقول الرجل: لا أفعل كذا إلا أن أشاء، وهو يعلم أنه لا يشاء، والفائدة فيه: أنه لو شاء إخراجهم لقدر، ولكنه يعلم أنه لا يشاء ذلك أبدًا[٤].

وقيل: إلا ما شاء ربك من ألوان عذابهم.

وقيل: الاستثناء وقع علىٰ أهل التوحيد يخرجون من النار بعد العذاب[٥].

قال الضحاك رحمه الله: رحلتني آيتان من خراسان إلىٰ المدينة، فلقيت أبا سعيد الخدري وأبا هريرة، قالا لي: يا خراساني ما الذي تطلب؟ قلت: قول الله عز وجل ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ ما هذا الاستثناء؟ قالا: سمعنا رسول

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ٤٨٠، الكشف والبيان ١٤/ ٤٥١.
(٢) وهو قول الضحاك، كما في الكشف والبيان ١٤/ ٤٥١.
(٣) تفسير الطبري ١٥/ ٤٨١.
(٤) وهو قول الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٨، والزجاج في معاني القرآن ٣/ ٧٩.
(٥) تفسير الطبري ١٥/ ٤٨١، وهو قول قتادة والضحاك، ورجحه ابن جرير.

الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «إن لجهنم جوانيًّا وبرانيًّا، فجوانيها الكفار والمنافقين، وبرانيها الذين أوبقتهم الذنوب من هذه الأمة، فيمكثون فيها ما شاء الله، ثم أهل جوانيها يُعَيِّرون أهل برانيها ويقولون: إنكم كنتم توحِّدون الله، فما أغنىٰ عنكم توحيدكم وصرتم معنا في النار، فعند ذلك يجأرون إلىٰ ربهم: يا رب، يا رب، عيَّرنا أهل الشرك بك، فيخرجون من النار، فعند ذلك ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ فيخرجون من النار كما أخرج أهل التوحيد، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وقعت المثنوية عليهم، لأنهم الموحدون شقوا بأعمالهم»[1].

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ إن شاء أدخل أهل التوحيد في النار، وإن شاء لم يدخلهم وأدخلهم الجنة.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ كتبت لهم السعادة ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ وهو عبارة عن التأبيد علىٰ ما قدمنا ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من زيادة النعم والكرامة، وقد مر معناه ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ لا مقطوع

---

(١) لم يسمع الضحاك أحدا من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فينظر في حال الراوي عنه، وقد روىٰ ابن حبان في صحيحه (٧٤٣٢) عن صالح بن أبي طريف أنه سأل سعيد الخدري: أسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول في هذه الآية ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ فقال: نعم سمعته يقول: «يخرج الله أناسا من النار بعدما يأخذ نقمته منهم قال: لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال المشركون: أليس كنتم تزعمون في الدنيا أنكم أولياء، فما لكم معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة، فيتشفع لهم الملائكة والنبيون حتىٰ يخرجوا بإذن الله، فلما أخرجوا قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج من النار، فذلك قول الله جل وعلا: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ قال: فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم، فيقولون: ربنا أذهب عنا هذا الاسم، قال: فيأمرهم فيغتلسون في نهر الجنة فيذهب ذلك منهم».

ولا ممنوع، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، والمحدود بالدال واحد.

قال إبراهيم الخواص: الشقي من اعتمد تدبيره والسعيد من فوض أمره إلىٰ ربه.

قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي: الشك ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ﴾ من بطلان عبادتها، فكان ظاهر الخطاب لرسول الله، والمراد أمته، ومعناه: لا تكونوا أيها الجُهَّال بأمر الله في شك مما يعبد هؤلاء الكفار بأنهم ضلال، وأنهم سيعاقبون بعقابي، ما يعبد هؤلاء إلا الأصنام ﴿إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ وأوائلهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ ونصيبهم: ما قُدِّر لهم في الأزل.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ﴾ آمنت به طائفة وكفرت طائفة ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: الرحمة ثبتت في السابق بتأخير العذاب عنهم ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ﴾ أي: جاءهم العذاب وفُرِغَ من هلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني المختلفين فيه ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أمر موسىٰ ﴿مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ وقيل: في شك من القرآن مريب ظاهر الشك[1].

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ﴾ معناه: وإنَّ كلاً والله ليوفينهم، ومن قرأ: «وإنْ كلاً»[2] بسكون أنْ معناه: ليس كل إلاَّ ليوفينهم ربك ﴿أَعْمَٰلَهُمْۚ﴾ أي: جزاء أعمالهم، وأراد بالكل الفريقين المذكورين الشقي والسعيد ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾.

---

(١) البسيط ١١/ ٥٦٨.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر شعبة بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد (النشر ٢/ ٢٩١).

وقرئ «لمَّا» بالتشديد والتخفيف[١]، ومعناه واحد، كقوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ معناه إلا عليها حافظ[٢].

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ الاستقامة: الاستمرار على جهة واحدة، معناه: امض في جهاد عدوك، وقيل: استقم على التوحيد[٣]، أنت ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ أي: لا تميلوا في النعم يا أمة محمد[٤] ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢﴾.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: لا تميلوا إلى الظالمين، وهذا تفسير الاستقامة، وقال الصادق: لا تركنوا إلى أنفسكم فإنها ظالمة.

﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ يعذِّبكم الله بالنار ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يمنعونكم من عذاب الله إنْ فعلتم ذلك ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝١١٣﴾ أي: لا تمنعون من عذابه.

ثم خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ بشرائطها، قيل: أراد به صلاة الفجر وصلاتي العشي: الظهر والعصر ﴿وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي: ساعات الليل، يعني المغرب والعشاء الآخرة.

والزُلفة: القُربة، يعني الصلاة القريبة من أول الليل، وزلف جمع زلفة[٥].

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ إنَّ هذه الصلوات الخمس تكفر ما

---

(١) قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة بالتشديد في الميم، وقرأ الباقون بالتخفيف (النشر ٢/ ٢٩١).

(٢) قال الزجاج: لما -المخففة- هو الوجه والقياس، وتشديدها: معنى إلا (معاني القرآن ٣/ ٨١، البسيط ١١/ ٥٧٠).

(٣) البسيط ١١/ ٥٧٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ١٧٣.

(٥) البسيط ١١/ ٥٨١.

بينها من الذنوب دون الكبائر ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ أي: موعظة للمتعظين.

﴿وَٱصْبِرْ﴾ يا محمد علىٰ ما أمرت من الاستقامة وترك الركون وإقامة الصلاة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: هلاَّ كان، معناه: لم يكن من القرون الماضية قبل هذه الأمة ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ أي: ذووا عقول، وقيل ذووا جماعة وأصحاب يبقىٰ نسلهم ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الشرك ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ مع الأنبياء من العذاب ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وهم المشركون ﴿مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾ أي: أنعموا فيه من الأموال، وتجبروا فيها عما أمروا من أمر الآخرة[(١)] ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ ومعنىٰ هذه الكلمات: أنهم اشتغلوا بمرضات رؤسائهم لأجل نعيم الدنيا، وأعرضوا عن مرضات ربهم، ومالوا إلىٰ راحة أنفسهم في الدنيا، وتركوا الراحة في العقبىٰ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يكن ربك يهلك أهل القرىٰ بظلمهم علىٰ أنفسهم، وهو إقامتهم علىٰ الشرك إذا كان ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾[(٢)] يتعاطون الحقوق فيما بينهم.

وقيل: لا يعذبهم بالشرك في الدنيا ما لم يعملوا مع الشرك شيئًا آخر، مثل الظلم فيما بينهم، أو أذىٰ الأنبياء أو غيره، لأن الشرك عقوبته النار لا عذاب الدنيا[(٣)].

---

(١) الكشف والبيان ١٤/ ٤٧٠.

(٢) في الأصل: أهلها.

(٣) تفسير الطبري ١٥/ ٥٣٠، تفسير أبي الليث ٢/ ١٧٥، الكشف والبيان ١٤/ ٤٧٠، البسيط ١١/ ٥٨٦.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: جمعهم على ملة الإسلام، ولكن علم أنهم ليسوا بأهل لذلك، وهذه تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ أي: لا يزال أهل الأديان مختلفين في الدين.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فعصمه عن الاختلاف وهم أهل الحق ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يعني: خلق أهل الاختلاف للاختلاف، والآخرين للرحمة، لأنَّ الفريقين خلقهم للشقاوة والسعادة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي: تم قول ربك لأهل الاختلاف والكفار حيث قال ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي كلما تحتاج إليه ﴿مِنْ﴾ أخبار ﴿أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ والأمم نقص عليك، نخبرك ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: يقوي به قلبك ويحفظه لتقتدي بهم في الصبر ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ السورة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الخبر الصدق ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ نهي ووعظ لمن اعتبر ﴿وَذِكْرَىٰ [لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾]﴾ منفعة لمن يذكر من المؤمنين من أمتك.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: في منازلكم بهلاكي، وقيل: على طريقتكم، أمر تهديد ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ على طريقتنا التي نحن عليها.

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ أي: انتظروا هلاكنا إنَّا منتظرون بكم العذاب، وهو القتل ببدر، وعيد خرج على مخرج الأمر.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعلم متى ينزل بكم العذاب، ويعلم ما غاب عن علم العباد ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ أي: أمر العباد يحكم فيهم ما يشاء من الثواب والعقاب، ثم قال لرسوله ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فوِّض أمرك إليه وثق به.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾[1] أي ما يعمل الكفار.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ذنوبه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَن قرأ سورة هود أُعطي من الأجر من صدَّق نوحًا وهودًا وشعيبًا ولوطًا وإبراهيم؛ ومن كذَّبهم؛ عشر حسنات؛ وكان عند الله يوم القيامة من الشهداء»[2].

۞ ۞ ۞

(١) في الأصل يعملون، بالغيبة، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة وحمزة والنسائي وخلف، وعليها جاء التفسير.

وقرأ: ابن عامر وأبو جعفر ونافع ويعقوب وحفص بالتاء، علىٰ الخطاب (النشر ٢/ ٢٦٣).

(٢) حديث موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١١٧٧.

سورة يوسف

مكية، وهي مائة آية وإحدىٰ عشر آية[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ معناه: أنا الله أرىٰ[٢]، وقيل: قَسَمٌ أقسم الله تعالىٰ أنَّ هذه الآيات [هي] تلك الآيات التي وُعدتم بها في التوراة كما قال ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾.

ثم قال ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: بالحلال والحرام.

ويروىٰ أنَّ المسلمين سألوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سورةً، ويتمون أن تنزل عليه سورة ليس فيها أمر ولا نهي ولا أحكام ولا حدود، يتسلون بها، فأنزل الله تعالىٰ سورة يوسف، وقال: تلك الآيات التي سألتم[٣].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: عربي اللغة لا عربي الإضافة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ أي: تفهمون، قوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أراد به الكتاب.

---

(١) الكشف والبيان ١٤/ ٤٧٩، البيان في عد آي القرآن ١٦٧، زاد المسير ٢/ ٤١١.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ١٧٨.

(٣) وهذا معنىٰ مأخوذ من عدة روايات، كقول ابن عباس: قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟: فنزلت ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ رواه ابن جرير في التفسير (١٥/ ٥٥٢) ثم روىٰ عن عون بن عبد الله، قال: ملَّ أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ملَّةً، فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله عز وجل ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [سورة الزمر:٢٣] ثم ملوا ملَّةً أخرىٰ فقالوا: يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، فأرادوا الحديث فدَّلهم علىٰ أحسن الحديث، وأرادوا القصصَ فدلهم علىٰ أحسن القصص..

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ أي: نخبرك ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ وهي قصة يوسف ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي: نخبرك بما أوحينا من القرآن ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ إن كنت لا تعلم قبل نزول القرآن أن نوحي إليك، وقيل كنت لم تعلم بقصة يوسف قبل هذا.

واذكر ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بالكسر: علىٰ الإضافة[1]، وبالنصب[2]: لأنه في معنىٰ يا أبتاه[3].

﴿إِنِّي رَأَيۡتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ نصب أحدَ عشر لأنهما اسمان جُعِلا اسمًا واحدًا، مثل حضرموت وعبد قيس وبخت نصر ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ نزلن من أماكنهن وسجدن لي.

وظاهر الكلام أن يقول: رأيتها لي ساجدات لأنها لا تعقل، ولكن وصفها بصفة ما يعقل لأنه أضاف إليها فعل ما يعقل وهو السجود، والسجود تعبُّدًا أو تحية، وهذان فعل من يعقل، فوصفها بصفة العقلاء، كما قال الله تعالىٰ في قصة إبراهيم: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾ لما أضاف إليها فعل العقلاء وصفها بصفتهم، وقال في قصة سليمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ﴾ لمَّا خاطبها بخطاب العقلاء وصفها بصفة العقلاء[4].

وأما تكرار الرؤية في الكلام بقوله ﴿رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ ثم قال ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ﴾ فمعناه: إني رأيت أحد عشر كوكبًا ورأيت الشمس

---

(١) أي الإضافة إلىٰ نفسه وحذف الياء، لأن ياء الإضافةِ تحذف في النداء (معاني القرآن للزجاج ٣/ ٨٨).

(٢) بالنصب في التاء قرأ أبو جعفر وابن عامر، وقرأ الباقون بالكسر (النشر ٢/ ٢٩٣).

(٣) الكشف والبيان ١٤/ ٤٨٨.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٩١، الكشف والبيان ١٤/ ٤٨٩،

والقمر فحسب، ثم قال: رأيتهم -عن الكواكب- لي ساجدين، ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ فرفع الأبوين علىٰ العرش دليل علىٰ عدم السجود، والسجود كان من الإخوة، لأن السجود اعتذار من الجناية، والجناية منهم لا من الأبوين(١).

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ إن أخبرتهم يحتالوا في هلاكك حيلة ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ ظاهرٌ عداوته يحملهم عليه، أضاف الجناية إلى الشيطان لطفًا منه.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أي: يختارك ويصطفيك كما أراك الله هذه الرؤيا ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ أي: يفهمك ﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ الرؤيا، وإنما علَّم يعقوب ذلك لأنه عبَّر الكواكب الأحد عشر إخوته، وهم أحد عشر، وعبَّر الشمس والقمر بأبويه، يعقوب وراحيل، أو خالته على [illegible]نبين، فالقمر أبوه والشمس أمه، وعلم أنَّ الله اختاره علىٰ إخوته، وإخوته أنبياء الله؛ لأنهم أولاد نبي.

وقيل: هم أنبياء، و[illegible] علىٰ القوم يكون أفضل منهم، فإن كانوا أولياء فيوسف بهذا التأويل نبي، وإن كانوا أنبياء فهو رسول حتىٰ يكون أفضل منهم، ولا يكون نبي إلا وهو عالم بتعبير الرؤيا، لأن أول النبوة هي الرؤيا.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة والإسلام ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ أي: أولاده بالنبوة ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ يعني ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ برؤياك ﴿حَكِيمٌ ۝٦﴾ في إتمام النعمة عليك.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ﴾ أي: في خبر يوسف ﴿وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ أي: عِبَر لكل من سأل عن خبر يوسف، وقيل: علامة لنبوتك(٢).

---

(١) انظر: البسيط ١٢/ ١٩.

(٢) لما ورد من أن الأحبار سمعوا قصة يوسف فوجدوها موافقة لما في التوراة (تفسير أبي الليث ٢/ ١٨٠).

﴿إِذۡ قَالُواْ﴾ حين قالوا ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ بن يامين ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ وأقرب مجلسًا ﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ أي، جماعة، وهم عشرة كاملة، ذووا قوة، نفعنا عنده أكثر من نفعهما ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾ خطأ بيِّن، وإنما نسبوه إلىٰ الضلالة لأنهم ظنوا أنَّ اختياره ليوسف لجماله علىٰ ما يقتضيه طبع البشر، وكان اختياره[١] لما علم من تعبير رؤياه.

﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ بعيدة عن أبيكم ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ حتىٰ يُقْبِل بوجهه إليكم، ويصفوا لكم حبه ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: بعد ذهابه ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ تائبين.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ يعني يهوذا، وقيل: روبيل وهو أكبرهم[٢] ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ الغيابة: ما غاب عنك[٣]، أي: في قعر الجب ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ يعني العير ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠﴾ والسيارة: الذي يسيرون[٤] من بلد إلىٰ بلد، والالتقاط: وجود الشيء من غير أن يحتسب[٥].

ثم اتمروا فيما بينهم، و ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي: لا تعدنا أمناء[٦] علىٰ يوسف ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١﴾ محبون حافظون.

---

(١) في الأصل: واختباره.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ١٨٢.

(٣) البسيط ١٢/ ٣١.

(٤) في الأصل: يشترون، وهو تصحيف.

(٥) البسيط ١٢/ ٣٤.

(٦) في الأصل: أمينا.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ﴾ أي: يتسع في الخصب والملاذِّ ﴿وَيَلْعَبْ﴾ أي: ننشط في الصحراء فيكون أروح لقلبه ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ لا يمسه شر، ونرده سالمًا.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ أي: يسؤوني ذهابكم به، ومع ذلك ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾[1] وقد عرفتم وجدي به ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾ قيل: كان يعقوب رأىٰ في المنام ذئبًا شد علىٰ يوسف، فلهذا اعتلَّ، وتلقف أولاده منه فاعتلوا بعلته[2].

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ حينئذ ﴿لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾ لأنَّا أرباب المواشي، فإذا أخذ الذئب مِنَّا أخانا فكيف لا يأخذ الغنم، فأرسلَهُ معهم يعقوب.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ أي: زعموا أو توافقوا ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ في أسفله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ إلىٰ يوسف في الجب وهو ابن ثمانية عشرة سنة[3] ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي: لتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا يومًا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٥﴾ حينئذ أنت يوسف.

وكان الجب علىٰ ثلاثة فراسخ من كنعان، وقيل: فرسخين[4].

وماؤه إذ ذاك كدرٌ، فلما أُلقي فيها يوسف عذب وحلا الماء، وصفا لونه[5]، وقام يوسف علىٰ صخرة في البئر، ووكَّل الله به ملكًا يحرسه ويطعمه.

---

(١) فصل بين الواو وأخاف، بـ«مع».

(٢) وهذا من تفسير الكلبي كما في النكت والعيون ٣/ ١٣.

(٣) وهو قول الكلبي، كما في البسيط ١٢/ ٤٢، و سيحكي قولا آخر في عمره.

(٤) ويقال أربعة، ذكر ذلك السمرقندي في تفسير أبي الليث ٢/ ١٨٣، وهذا من الإسرائيليات.

(٥) نحوه في الكشف والبيان ١٤/ ٥١٨.

قال ابن عباس: طرحوه في البئر وهو ابن سبع سنين، وكان في الجُب ثلاثة أيام[١].

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ﴾ يعني إخوته ﴿عِشَآءٗ﴾ عند غروب الشمس ﴿يَبۡكُونَ ١٦﴾ وعشاء منصوب على الظرف.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ نتنضل، وقيل: نتصيد، وقيل: نستقي الماء لغنمنا على النوب[٢] ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ﴾ فقال لهم: كذبتم، فقالوا ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ أي: مصدِّق لنا ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ أي: مكذوب، مصدر أقيم مقام المفعول، وقد لطخوا قميصه بدم جدي.

﴿قَالَ﴾ يعقوب: ليس كما تقولون ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ بل: يوجب النفي والإثبات، نفى كلامهم: أكله الذئب، وأثبت التسويل، أي: زيَّنت

---

(١) ومثله روي عن وهب، لكن في سنه لما رأى الرؤيا، كما في الكشف والبيان ١٤/ ٤٩١.
وذكر الثعلبي (في تفسيره ١٤/ ٥١٧)، والسمعاني (في تفسيره ٣/ ١٣)، والقرطبي (في جامع أحكام القرآن ٩/ ١٤٢) أقوالا أخرى.
فعن أبي بكر بن عياش: أنه كان من أبناء اثنتي عشرة سنة، ومكث في الجب ثلاثة أيام، ووصفه السمعاني بأن: هذا هو المعروف.
وفي بعض الروايات أنه ابن ست سنين، حكاه السمعاني، وهو رواية جويبر عن الضحاك (كما في النكت والعيون ٣/ ١٧). وفي بعضها ابن سبع عشرة سنة، وهو قول الحسن البصري.
قلت: ولا نص صحيح في ذلك، والمنقول عن ابن عباس لا يثبت، وهذه الأخبار من قبيل الإسرائيليات، لكن العادة أن الإخوة الكبار لا يغارون من حب أبيهم لأخ صغير في السادسة أو السابعة، فلعله كان في الثانية عشرة أو ما بعدها، لكن مما يرجح كونه صغيرا أنهم ادعوا أن الذئب أكله، وهي دعوى تناسب صغار السن، والله أعلم.
(٢) والأول هو المشهور عند المفسرين، تفسير الطبري ١٥/ ٥٧٧، الكشف والبيان ١٤/ ٥١٣، البسيط ١٢/ ٤٤.

لكم أنفسكم عملاً فصنعتموه(١).

﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ لا جزع فيه، أي: مني صبر جميل، والصبر الجميل: هو حبس النفس [illegible] السخط؛ وإن كان القلب محترقًا؛ والدمع منسكبًا(٢) [illegible] منه الإعانة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ من هلاكه.

وقال يحيىٰ بن معاذ(٣): الصبر الجميل أن يتقلب في البلاء بقلب وجيب، ووجه مستبشر، والحزن في المصائب فلا بأس به؛ إذا لم يكن شق الجيوب، ولا لطم الخدود.

وكان يعقوب يبكي علىٰ يوسف حتىٰ امتنع منه ومن أهل بيته النوم، وكان يبكي وينود، فمن هناك تنود اليهود إذا قرؤوا التوراة(٤).

﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ﴾ والوارد طالب الماء ﴿فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ﴾ أرسلها في البئر، وكان قوم يريدون مصرا فأخطؤوا الطريق، حتىٰ وقعوا بأرض دوثن(٥)، وهي أرض فيها جب يوسف.

---

(١) نحوه في البسيط ١٢/ ٤٨.

(٢) انظر: الكشف والبيان ١٤/ ٥١٧، والبسيط ١٢/ ٤٩.

(٣) هو يحيىٰ بن معاذ الرازي، واعظ مشهور، كان يوصف بحكيم الزمان، توفي سنة ٢٥٨ (تاريخ الإسلام ٦/ ٢٣١).

(٤) ناد ينود نَودًا ونَوَدانا إذا تمايل من النعاس، قال في شرح القاموس (٩/ ٢٤١): " وتنود الغصن وتنوع: إذا تحرك، ومنه نودان اليهود في مدارسهم، وفي الحديث (لا تكونوا مثل اليهود إذا نشروا التوراة نادوا) يقال: ناد ينود، إذا حرك رأسه وأكتافه".

(٥) كذا في الأصل وتفسير الكلبي، وفي كتاب المباني لنظم المعاني ٣/ ٣٨٣: دوثر بين مدين ومصر، ولم تذكر معاجم البلدان دوثر ولا دوثن.

والذي أدلىٰ دلوه هو: مالك بن ذعر بن يويب بن عبابن[(١)] بن مديان بن إبراهيم الخليل[(٢)] عليه السلام، من بلد مدين، ومعه عُوَيْدَة بن مارٍّ، فأدلىٰ مالك دلوه فتعلق يوسف بحبله، فلما نزعه رأىٰ يوسف علىٰ أحسن صورة ﴿قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾[(٣)] أي: يا بشراي[(٤)] أضاف البشرىٰ إلىٰ نفسه وناداها، معناه: يا بشراي أي أنت هذا أوانك.

وقيل: أنَّ بشرىٰ كان اسم غلام له فناداه ثم أخبره بالغلام[(٥)].

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ﴾ أخفوه من العير، وقالوا: استبضعناه من أهل الماء ﴿وَٱللَّهُ

---

(١) كذا في الأصل، إلا أن الباء الأولىٰ غير منقوطة، فتحتمل أنها ياء أو باء أو تاء، وفي تفسير الطبري: ١٥/ ١٨: عفقان، وفي زاد المسير: عيفا.

(٢) هذه رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، كما في تفسير الطبري ١٥/ ١٨، وفي النكت والعيون ٣/ ١٧: أنه مالك بن ذعر بن حجر بن يكه بن لخم، وقول ثالث ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٤٢١: «مجلث بن رعويل، قاله وهب بن منبه» ولا يخفىٰ أن هذا كله من قبيل الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.
تنبيه: في شرح القاموس (٤/ ٤١٧) أنه: مالك بن دعر بالدال المهملة، وأن جده: يوبب بائين، لكن المشهور في كتب التفسير أنه بالذال المعجمة.
وفي تفسير الطبري: بويب كما ضبطه في شرح القاموس، لكن بين الشيخ شاكر أنه في المخطوطة غير منقوط، وفي نسخة هجر ١٣/ ٦١: ثويب، والله أعلم بالصواب.

(٣) في الأصل: يا بشراي، وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين (النشر ٢/ ٢٩٣).

(٤) في الأصل: بشرياي، وهو تصحيف. انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٩٧، الحجة لأبي علي ٤/ ٤١٠.

(٥) وهو قول السدي كما في تفسير الطبري ١٦/ ١، وهو قول شاذ.
قال الزجاج (في معاني القرآن ٣/ ٩٧): ومعنىٰ النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو علىٰ تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصة، إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت: اعجبوا ويا أيها العجب هذا من حينك. وكذلك إذا قال يا بشراي فكأنه قال: أبشروا، وكأنه قال يا أيتها البشرىٰ هذا من إبانك وأوانك.

عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ يعني: إخوته وأهل العير.

والبضاعة: القطعة من المال يتَّجر فيه، فلما قالوا: استبضعنا، قال العير: نحن أحق به من غيرنا، فبيعوه منَّا، فباعوه بعشرين درهمًا.

قال الضحاك: قال ابن عباس: من زعم أن إخوته باعوه فقد كذب، لقد غاب إخوته عنه وأرادوا هلكته، ولهذا لم يذكر رجوع إخوته[١].

وقال الكلبي: رجع إخوة يوسف بعد ثلاثة أيام فلم يجدوه في البئر، ونظروا إلىٰ القوم النزول وأتوهم فإذا هم بيوسف، فقالوا: هذا عبد أبق منَّا، فقال مالك بن ذعر: أنا أشتريه منكم بعشرين درهمًا، وفي ذلك الوقت كلما كان دون الأربعين يعدُّونه ولا يزنونه[٢]، فذلك قوله: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ أي: باعوه بثمن قليل ظلم حرام، لأن بيع الحر حرام ولاسيما بيع الأنبياء ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ عشرين درهمًا.

﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: كانوا إخوة يوسف من الزاهدين في ثمنه، أي: مستغنين إذ لم يكن مرادهم الثمن.

قيل: كانوا في يوسف من الزاهدين يعني مالك بن ذعر ومن معه، لم يرغبوا فيه مع جماله وكماله. وقيل: لم يعرفوا حقه[٣].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ﴾ وهو العزيز[٤] خازن ملك مصر،

---

(١) وهي رواية ضعيفة، وعنه رواية أخرىٰ أنهم قالوا: عبد لنا أبق منا (الكشف والبيان ١٤/ ٥٢٣).

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ١٨٥

(٣) الكشف والبيان ١٤/ ٥٢٧.

(٤) في الأصل: العزيز بن خازن، وهو خطأ.

وهو في فرعون، زمانه واسم العزيز: قطيفيرا، قيل: قطيفيرع[١].

اشتراه بعشرين درهمًا وبردين ونعلين، وقيل: إن مالك بن ذعر باعه بما ذكرنا من رجل، ثم عرض علىٰ البيع في سوق مصر فاشترته زليخا، امرأة العزيز، بوزنه دنانير، وبوزنه دراهم، وبوزنه دُرًّا، وبوزنه مسكًا، وبوزنه حريرًا[٢].

وقيل: اشتراه العزيز ثم سلَّمه إلىٰ امرأته[٣]، وقال ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ أحسِني منزلته وكرامته، وقيل: مشربه وملبسه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في أشغالنا ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ أي: نتبنَّاه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مصر ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ الواو: للتكرار، المعنىٰ: مكنَّاه وعلَّمناه، وقيل: فعلنا ذلك لمكِّنه ولنعلِّمه[٤] ﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ تعبير الرؤيا، سمَّاه أحاديثًا لأنَّ النفس تخرج من الجسد في النوم، فالرؤيا التي يراها النائم يحدثه به مَلك الرؤيا.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ أي: علىٰ أمر يوسف ليتم نعمه عليه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ ثمانية عشر سنة، الشدة: قوة العقل والبدن، وجمعه أشُد، مثل: نِعم وأنْعم، وقيل: الأشد من ثمانية عشر سنة إلىٰ ثلاثين سنة[٥].

﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ أي: حكمة وعلمًا بتأويل الرؤيا، قيل: الحكم

---

(١) كذا، وسيأتي: قوطيفيرع، وفي كتب التفسير: قطفير أو أطفير أو قطيفير أو قنطور (بحر العلوم ٢/ ١٨٦، الكشف والبيان ١٤/ ٥٢٨، تفسير السمعاني ٣/ ١٨، زاد المسير ٢/ ٤٢٤).

(٢) هذا مروي عن وهب، ونحوه في كتاب المباني لنظم المعاني ٣/ ٣٨٤، وتفسير السمعاني ٣/ ١٨ وعندهما من الزيادة: فبلغ أربعمائة رطل وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة.

(٣) وفي اسم امرأته خلاف، ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ١٤/ ٥٣٠.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٧٢٧.

(٥) تفسير الطبري ١٦/ ٢١، الكشف والبيان ١٤/ ٥٣٦

النبوة والعلم الفقه ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ مَن صبر على البلاء كصبر يوسف.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ المعنى: طلبت زليخا إلى يوسف أن يمكِّنها من نفسه، والمراودة: المطالبة ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ على يوسف ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ معناه: هلم لك، أي: أقبل إلى ما أدعوك إليه وهيَّأتُ لك.

و«هيتَ» مصدرٌ لا فعل له من لفظه، قال الشاعر:

أبلغْ أميرَ المؤمنين ... أخَا العِراق إذَا أتَيْتَا

أنَّ العراقَ وأهْلَه ... عَنقٌ إليكَ فَهَيْتَ هَيْتَا(١)

يعني: أقْبل وتعالى، وقوله: عنق أي جمع.

قيل: أن زليخا شغفت بيوسف، وجعلت تصبر نفسها وتلوم، وتقول: يا نفس هل سمعتم بملكة حرة ليس لها في العالمين نظير تعشق عبدها، وتفضح نفسها، فلما ذهب نومها وقرارها، وطعامها وشرابها، حتى طال أمرها؛ فرَّغت بيتًا وزيَّنته بصنوف الفرش والأرائك، والسُّرر(٢) والحجال، وتلبست بثياب الملوك، وتزخرفت بالجواهر واليواقيت، وتعطرت بالمسك والعنبر، وتمشطت واكتحلت، ثم خلت به وغلَّقت الأبواب، وقالت: هيت لك.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: أعوذ بالله، والمعاذ مصدر استعيذ بالله ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ يعني قوطيفيرع مالكي الذي اشتراني ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ أي: أحسن كرامتي،

---

(١) البيتان غير منسوبين، وهما لشاعر يخاطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهما في مجاز القرآن ٢/ ٤٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٠٠، الحجة لأبي علي ٤/ ٤١٧، الكشف والبيان ١٤/ ٥٤٦، البسيط ١٢/ ٦٨.

(٢) في الأصل: والسر.

وبسط يدي، ورفع منزلتي ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ لا يسعد ولا يفوز الزناة في الآخرة.

ثم إنَّ زليخا غلبته بالكلام، وألقىٰ الله علىٰ يوسف شهوة أربعين رجلاً، فذلك قوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ قيل: همَّت به هم القرار، وهمَّ يوسف همَّ الفرار، وهمُّ زليخا همُّ المواقعة، وهمُّ يوسف همُّ المفارقة، وهم زليخا: هو العزم والإرادة، وهم يوسف: هو الفكر وحديث النفس(١).

فلما حدثت نفسه به ﴿[لَوْلَآ أَن] رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قيل: إن برهانه أن رأىٰ صورة يعقوب عاضًا علىٰ أنامله، وقيل: نودي يا يوسف اسمك مكتوب في ديوان الأنبياء، وعملك عمل السفهاء، وقيل: رأىٰ جبريل علىٰ صورة أبيه فضرب يده علىٰ صدره فخرجت شهوته من أنامله، وقيل: نودي يا يوسف لا تزنِ فإن الطير لو زنىٰ تناثر شعره(٢).

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ يعني: هكذا فعلنا لنصرف عنه الزنا ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المعصومين.

---

(١) انظر الأقوال الواردة في ذلك في تفسير الطبري ١٦/ ٣٥، تفسير أبي الليث ٢/ ١٨٨، الكشف والبيان ١٤/ ٥٥١. ثم ختم الثعلبي المبحث بتحرير جيد.

(٢) هذه الأقوال مروية عن بعض أهل التأويل انظر: تفسير الطبري ١٦/ ٣٩، تفسير أبي الليث ٢/ ١٨٨، الكشف والبيان ١٤/ ٥٦٣،

قال ابن جرير: وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن همِّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأىٰ يوسف برهان ربه، وذلك آيةٌ من الله، زجرته عن ركوب ما همَّ به يوسف من الفاحشة، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن علىٰ الزنا، ولا حجة للعذر قاطعة بأيِّ ذلك كان من أيٍّ، والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالىٰ، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلىٰ عالمه.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ أي: تبادرا إلى الباب يوسف والمرأة ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ﴾ أي: شقَّت وخرقت ﴿مِن دُبُرٍ﴾ من خلف [﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾] وكان زوجها جالسًا على الباب مع ابن عم لها ﴿قَالَتْ﴾ زليخا ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ أي: ما عقوبة من أراد بامرأتك فجورًا ﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ يعني يُحْبَس ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ ضرب وجيع، استفهام بمعنى الجحد، أي: ليس جزاؤه إلا هكذا.

ثم قالت: كنت نائمة فدخل علي ودنا مني، وكشف عني ثيابي، فدفعته فراودني عن نفسي[(١)].

فـ﴿قَالَ﴾ يوسف عند ذلك ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ قيل: صبي في المهد، وقيل: ابن عم المرأة اسمه تمليخا، وقد كان سمع صوت يوسف عند الهرب منها قبل أن يفتح الباب، وهو يقول: خرقت قميصي[(٢)]، فقال يمليخا ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: شق من قدام فهي صادقة.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ من خلف ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ﴾ نظر إلى قميصه ﴿قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ شُق من خلف ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ أي: صنيعكن ومكركن، إنَّ مكركن عظيم يغلب الرجال الأقوياء.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ١٨٩.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ١٨٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٧٢ حيث أطال في ذكر الشاهد.

ثم أقبل ابن عمها علىٰ يوسف وقال ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ أي: اكتم هذا الأمر ولا تذكره لأحد، ثم قال لزليخا ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ أي: اعتذري إلىٰ زوجك واستعفيه أن لا يعاقبك ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ المذنبين فيما وضح لنا.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهن أربع: امرأة الساقي وامرأة الخبّاز وامرأة صاحب البواب وامرأة صاحب السجن(١)، قلن ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ أي: دعت عبدها إلىٰ نفسها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ نصب علىٰ التفسير، أي: بلغ حبه إلىٰ شغاف قلبها، وهو داخل القلب، وقيل: سويداء القلب(٢) ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ خطأ بيِّن.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ زليخا ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: بقولهن، سمَّىٰ هذا القول مكرًا لأنَّ زليخا قد أطلعتهن علىٰ سرها واستكتمهنَّ، فمكرن بها وفشين سرها، فسمَّىٰ ذلك مكرًا ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ دعتهن إلىٰ الضيافة ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ هيَّأت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ أي: مكانًا يتكئن عليه، والمَتْكُ(٣) بسكون التاء هو: الأترج ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ﴾ أي: أعطتها ﴿مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ تقطع به اللحم ﴿وَقَالَتِ﴾ ليوسف ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ وإنما قالت عليهنَّ ولم تقل إليهنَّ لأنها أرادت بليتهن، فخرج يوسف وعليه قُرْطَق(٤) من حرير وسراويل معمل وخفان أبيضان، وعمامة من خزٍّ أخضر ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أي: عظَّمنه ودهشن من جماله ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي: خدشن أيديهن حتىٰ يسيل منها الدماء وهن لا يشعرن، وامرأة العزيز تضحك منهن

---

(١) وهو من تفسير الكلبي، تفسير أبي الليث ٩/ ١٧٩، البسيط ١٢/ ٨٧.
(٢) البسيط ١٢/ ٨٩، تفسير السمعاني ٣/ ٢٥.
(٣) حيث قرأ مجاهد بذلك (الكشف والبيان ١٤/ ٥٩٠).
(٤) أي: قَباء، معرب كرته (تاج العروس ٢٦/ ٣٣٧).

﴿وَقُلۡنَ﴾ حينئذ ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي معاذ الله ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أي ببشر، وقيل: حاش لله استثناء معناه من قال هذا عبد فقد أخطأ في قوله، فليستثن، ويستعمل ذلك في التنزيه، وأصله في اللغة: الجانب والناحية، يقال: فلان في حاشا فلان أي ناحيته(١). ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ على ربه.

وقرئ: «ما هذا بِشِرًا» بكسر الشين معناه ليس بعبد مشترى(٢).

وقرئ: «ملِك» بكسر اللام.

﴿قَالَتۡ﴾ زليخا ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾ أي: عذلتنني ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ دعوته إلى نفسي ﴿فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ فامتنع بالعفة عني وتحرز ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ أي: لم يطيعني فيما أدعوه ﴿لَيُسۡجَنَنَّ﴾ في السجن مع السُّرَّاق ﴿وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ الذليلين، وإنه يزعم أن له ربًا يخاف منه، ولا تنام لي عين ولا يهنأ لي طعام ولا شراب من أجله، فأجعله في مكان لا يشبع من الطعام ولا يلذ من الشراب، ولا يجد فراشًا ينام عليه، ويوسف جالس يسمع كلامها، فعند ذلك:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ من الفاحشة ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾ شرهن ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ يعني: أمِل إليهن وأكُن من الجاهلين بنعمك، ومن الزانين.

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أجابه دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾ لدعاء يوسف، ودعوتهن إياه إلى الفساد.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٠٧، البسيط ١٢/ ١٠١.

(٢) وهي قراءة أبي الحويرث، انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٤، المحتسب ١/ ٣٤٢، الكشف والبيان ١٤/ ٦٠٢.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ أي: للعزيز، أي: حضر له ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي العلامات في براءة يوسف؛ من شق القميص من خلف؛ وشهادة الصبي؛ وحكم الشاهد الحكم ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ إلىٰ أن تسكن هذه المقالة عن أفواه الناس.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾ أي: مع يوسف ﴿ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ عبدان من عبيد الملك الأعظم في المصر، وذكر كلمة «مع» لاجتماعهما في السجن وإنْ حبسا بعده بزمان، أحد الغلامين صاحب شراب الملك، والآخر صاحب مطبخه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ أي: رأيت في المنام ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ عنبًا بلغة عمان[1]، وقال: دخلت في كرم وإذا بأصل شجر كرم عليها ثلاث عناقيد عصرتها، وسقيت الملك ﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ ويطرن في الهواء ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ إلىٰ أهل السجن، لأنه كان يعزي حزينهم، ويداوي مرضاهم.

وإحسانه في طاعة معبوده: أنه يصوم بالنهار، ويقوم بالليل، وأهل السجن يرون ذلك منه[2].

وكان سبب سؤالهم: أنَّ يوسف رآهما حزينين فسأل عن حزنهما، فقالا: لأنَّا رأينا رؤيا ولا ندري تأويلها، فقال: ما رأيتما؟ فذكرا رؤياهما، فقال: أنا أعرف تأويل هذه الرؤيا، فقالا: من أين تعرف ولست بعرَّاف ولا كاهن؟

﴿قَالَ﴾ لا، ولكن أنا نبي الله[3] ودلالة ذلك أنه ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا﴾ أي: أخبرتكما بلون هذه الطعام وطعمه وذوقه وحينه ﴿قَبۡلَ أَن

---

(١) زاد المسير ٢/ ٤٣٩.
(٢) الكشف والبيان ١٥/ ١٤، وذكر ابن الجوزي خمسة أوجه من إحسانه (زاد المسير ٢/ ٤٣٩).
(٣) نحوه في تفسير أبي الليث ٢/ ١٩٢.

يَأْتِيَكُمَا﴾ أي: قبل إحضار الطعام، كما كان عيسىٰ عليه السلام يقول: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ وقصده بهذا الكلام دعوتهما إلىٰ التوحيد ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ﴾ أي: بالبعث بعد الموت ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي نعبد غير الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوفيق ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ سائر المؤمنين ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي: لا يقرون بوحدانية الله، دعاهم أولاً إلىٰ الإيمان وهو سُنَّة الأنبياء.

قوله: ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾ بالرسالة لنا إلىٰ خلقه، وعلىٰ الناس جعلنا رسله إليهم.

ثم قال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ أي: عبادة أرباب متفرقة متباينة خير أم عبادة الله الواحد القهار؛ الذي يقهر عباده بربوبيته.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي نتحتموها أنتم وآباؤكم وسميتموها ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: حُجة ولا كتاب ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ما القضاء إلا لله ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ أي: ألا توحدوا ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: لا يصدِّقون، فإذا بين دلالة نبوته ودعاهما إلىٰ التوحيد؛ عبر رؤياهما وقال:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ يعني الساقي يخرج من السجن إلىٰ ثلاثة أيام، ويرجع إلىٰ عمله ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ فَيُصْلَبُ﴾ بعد ثلاثة أيام ﴿فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ ميتا،

فقال الخباز: والله ما رأيتُ شيئًا وإنما كذبتُ، قال يوسف ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ أي: أمضى الحكم فيه، وهو كما قلتُ رأيتما أم لم تريا[١].

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أيقن ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو الساقي ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أي عند سيدك بأني مظلوم ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ قيل: أنسى الشيطان يوسف دعاء ربه أن ينجيه من السجن، فأقره الله في السجن عتابًا حين رجا غيره. وقيل: أنسى الساقي ذكر يوسف عند ربه[٢].

﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ قيل أربع سنين، وقيل خمس سنين. وقال الكلبي: سبع سنين[٣].

والبضع ما بين الثلاثة إلى التسعة، واشتقاقه من: بضعت الشيء أي قطعته، فمعناه القطعة من العدد، وهي ما دون العشرة، لأن العشرة تسمى كاملة[٤].

قال الصادق رحمه الله تعالى: لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك هبط جبريل في السجن وقال: يا طيب الطيبين، العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول: يا يوسف، من حبَّبك إلى أبيك من بين إخوتك؟ فقال يوسف: الله ربي، قال: فمن أنقذك من أيدي إخوتك؟ قال: الله ربي، قال: فمن قيَّض السيارة لك حتى أخرجوك من قعر البئر؟ قال: ربي، قال: فمن طرح في قلب من اشتراك حتى قال لامرأته أكرمي مثواه؟ قال: ربي، قال: فمن صرف عنك وبال المعصية؟ قال: ربي، ثم ضرب جبريل جنحه إلى الأرضين فانفجرت ليوسف

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ١٩٣، الكشف والبيان ١٥/ ٢٠.

(٢) وهذا القول الثاني هو قول ابن إسحاق، وقد تفرد به، وهو شاذ، انظر: تفسير الطبري ١٦/ ١١٣، الكشف والبيان ١٥/ ٢٤.

(٣) الكشف والبيان ١٥/ ٢٥، وقال: أكثر المفسرين عليه.

(٤) تفسير الطبري ١٦/ ١١٤.

حتىٰ نظر يوسف إلىٰ وجه الصخرة التي عليها الأرضون، فقال جبريل: ما ترىٰ علىٰ الصخرة؟ فقال: أرىٰ ذرة، قال: ما ترىٰ في فم الذرة؟ قال: أرىٰ طعامًا، قال: يقول لك العلي الأعلىٰ: أذكر هذه الذرة في هذا الموضع لم أنسها حتىٰ سُقت إليها رزقها، فكيف أنساك وأنت نبي وابن نبي وابن نبي؟ أما استحييت مني استغثت بغيري، وعزتي لتمكث في السجن بضع سنين، ففزع يوسف وقال: أيكون الرب عني راضيًا أم لا؟ قال: بل يكون عنك راضيًا، فخرَّ يوسف ساجدًا وقال: الأمانَ الأمانَ يا سيدي، بحق آبائي عليك إلا رحمتني، فأنزل الله إليه رسولاً أن قُل ليوسف: وأي حق لآبائك عليَّ؟ فقال: يوسف بمنتك القديم وأياديك الكثيرة إليهم وإلي؛ إلا غفرتَ، فقال الله تعالىٰ: الآن يا يوسف، فغفر له وأخرجه من السجن[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ واسم الملك: ريان بن الوليد، قال لقومه: إني أرىٰ في المنام سبع بقرات سمان ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ يعني: أكلت العجافُ السمانَ ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ وسبعًا ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾[2] والتوت اليابسات علىٰ الخضر حتىٰ غلبنهن فنشفن ماءهن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ العرَّافون ﴿أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ هذه ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ وتعرفون عبارته.

﴿قَالُوٓاْ﴾ كلهم ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي: أباطيل الأحلام المختلطة اجتمعت، والضغث في الأصل: حزمة الحشيش[3] ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لأنه لا يتشاكل.

---

(١) نقل الثعلبي نحوه عن كعب الأحبار (الكشف والبيان ١٥/ ٢٨).

(٢) فصل بين الواو وأخر بـ: سبعًا.

(٣) البسيط ١٢/ ١٢٨.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنۡهُمَا﴾ أي: من عبدي الملك ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد حين ومدة، قيل: بعد أربع سنين.

وقرئ: بعد «أمهٍ» أي: نسيان، يقال: أمه يأمه إذا نسي[١]، وهو ساقي الملك ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ أي: أخبركم بتأويل الرؤيا ﴿فَأَرۡسِلُونِ ۝٤٥﴾ إلىٰ السجن، فإن فيه رجلاً، وذكر قصة نفسه ورؤياه وتعبير يوسف، فأرسلوه فجاء إلىٰ يوسف وقال:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ الصادق فيما أخبرتنا ﴿أَفۡتِنَا﴾ أخبرنا ﴿فِى سَبۡعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٌ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ إلىٰ الملك وقومه ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٤٦﴾ تأويل رؤياه.

قال يوسف عليه السلام: أما سبق بقات سمان فهي سبع سنين خصب، وأما السبع العجاف فهي سبع شداد قحط، وأما السنابل الخضر فهي الخصب أيضًا، واليابسات القحط، فقال: كيف نصنع؟ ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ فعل مضارع معناه الأمر، أي: ازرعوا دأبًا دائمًا، والدأب استمرار الشيء علىٰ عادة ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ أي: تركوه في كعابره[٢]، فإنه أبقىٰ له ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ۝٤٧﴾ إلا قدر ما تحتاجون إلىٰ أكله.

﴿ثُمَّ يَأۡتِى مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ الخصب ﴿سَبۡعٌ شِدَادٌ﴾ سنون قحط ﴿يَأۡكُلۡنَ﴾ أي: تأكلون ﴿مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ أي: جمعتم لهن، وهذا إضافة الفعل إلىٰ غير الفاعل، كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾[٣].

---

(١) وهي قراءة شاذة، نسبت لابن عباس وعكرمة والضحاك (تفسير الطبري ١٦/ ١٢٢، المحتسب ١/ ٣٤٤، الكشف والبيان ١٥/ ٣١).

(٢) الكعابر: جمع كُعبُرة، وهي: عقدة أنبوب الزرع والسنبل ونحوه (تاج العروس ١٤/ ٤٨).

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٧، البسيط ١٢/ ١٣٧.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ تدخرون وقيل تبذرون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ يعني: أهل مصر بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ العنب والزيتون.

وقرئ: «يُعْصَرُونَ» على ما لم يسم فاعله، أي يمطرون من المُعصِرات، وهي السحاب[1].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ يعني: إذا جاء الساقي وأخبره بمقالة يوسف أمر بأن يحضر عنده يوسف ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ أي: رسول الملك، وقال: إن الملك يدعوك ﴿قَالَ﴾ له يوسف ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ﴾ قل: ليسأل ويتفحص ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ لرؤيتي حتىٰ يتبين أني مظلوم ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ أي: عالم ما كان منهن، قال: فجمع الملك النسوة وسألهن:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ أي: معاذ الله ما رأينا من سوء، أي: قبيح، فلما رأت زليخا النسوة قد شهدن بالحق ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ وظهر الحق وتبين الحق من الباطل ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: طلبته ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ في قوله.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ أي قال يوسف: إنما قلت سل عن النسوة ليعلم العزيز والملك ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: لم أخن العزيز في حال غيابه عن أهله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: عمل الزُناة[2].

---

(١) وهي قراءة شاذة، نسبت لابن الأعرج، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١١٤، الكشف والبيان ١٥/ ٣٩.

(٢) قال الثعلبي: اتصل قول يوسف بقول امرأة العزيز لمعرفة السامعين (الكشف والبيان ١٥/ ٤٤).

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ أي: لا أبريء قلبي من الهم الذي هممت، وإنما قال ذلك حين قال: لم أخنه بالغيب، فجاءه جبريل وقال: ولا هممت بما هممت؟ فعند ذلك قال: وما أبرئ نفسي عن الهم[(١)] ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: ميَّالة إلىٰ الفواحش ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ يعني: إلا النفس التي رحمها ربي بالعصمة ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ﴾ متجاوز عما همت ﴿رَّحِيمٞ ٥٣﴾ حين عصمني من الزنا.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ وهو ريان بن الوليد ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ أجعله من خواصي دون العزيز ﴿فَلَمَّا﴾ دخل عليه ﴿كَلَّمَهُۥ قَالَ﴾ الملك حين استحسن كلامه وكان ابن ثلاثين سنة ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾ أي: ذو قدر ومنزلة.

﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: اجعل بيدي خراج أهل مصر أربعين فرسخًا في أربعين فرسخًا ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ بتقديره، وقيل: حفيظ لما تحت يدي من المال ﴿عَلِيمٞ ٥٥﴾ بالناس واللغات، علَّمه الله اللغات كلها، لكي يجعله علىٰ خزائن الأرض ويظفر بإخوته، فلبث علىٰ ذلك سنة ونصف، ثم ملك أرض مصر، وقيل: معنىٰ قوله حفيظ عليم حاسب كاسب[(٢)].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: هكذا مكنا يوسف علىٰ أهل مصر بعد ما استعبد وبيع ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ أي: ينزل من ولاية مصر حيث شاء ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا﴾ أي: نخص برحمتنا ﴿مَن نَّشَآءُۖ﴾ ونمكِّنه ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: الآخرة ﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الدنيا ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾ أي: إذا كانوا يتقون الكفر والفواحش.

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ١٤٣، تفسير أبي الليث ٢/ ١٩٧، الكشف والبيان ١٥/ ٤٥.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٥٠.

﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ من كنعان بعد ما أصابهم القحط ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ أي: علىٰ يوسف ﴿[فَعَرَفَهُمۡ] وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾ لا يعرفونه.

قيل: لا يعرفونه لأن الجفوة حجاب عن المعرفة، وكيف يعرفونه وقد ألقوه في الجُب أسيرًا، ولقوه علىٰ السير أميرًا، وعليه طوق من ذهب، وثياب من حرير، ودابة مسرجة مزيَّنة.

فلما كلَّموه بالعبرانية لم يجبهم يوسف، وأراد أن يشبِّه عليهم، وقال لهم بلسان الترجمان: من أين أنتم؟ قالوا: من كنعان، فقال: أنتم عيون بعثكم ملككم إلىٰ مصر تأتونه بالخبر، ثم يأتي ملككم إلينا بالجنود، فقالوا: لا أيها الصديق، ولكنَّا قوم من أرض كنعان، ولنا أبٌ شيخ كبير، وكنا اثني عشر إخوة فهلك واحد منَّا في الغنم، ووجدنا علىٰ قميصه دمًا، وأتينا به أبانا، وهاهنا نحن عشرة إخوة، وخلفنا عند أبينا أخًا من أم الذي قد هلك في الغنم، فسألهم عن الأخ الذي هلك وقميصه والدم الذي عليه، فتشوش كلامهم، فقال يوسف: احبسوهم فإنهم كذبوا وتشوش كلامهم، فتضرَّعوا إليه، فقال: إن كنتم صادقين فأتوا إلي بأخيكم الذي من أبيكم حتىٰ أصدِّقَكُم، ثم أعطىٰ كل واحد منهم وقرًا[١].

﴿[وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ] قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ حتىٰ أعطيكم لأجله وقرا، أي أجرًا ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾ أي: أوفره ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ۝٥٩﴾ المضيقين في المصر.

﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ﴾ علمتُ أنكم كذَّابين ﴿فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾ أي: لا أبيعكم الطعام ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ ۝٦٠﴾ ولا تدخلوا بلادي، وخلفوا عندي بعضكم حتىٰ ترجعوا فأصدقكم، وأبيع لكم الطعام، فاختار عنده شمعون وأطلقهم[٢].

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ١٩٩.

(٢) نحوه في تفسير أبي الليث ٢/ ١٩٩.

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ أي: سنطلبه عن أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١﴾ ضامنون له بذلك.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾ أي: دراهمهم ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾ جواليقهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٦٢﴾ لرد الدراهم عِفةً وورعًا منهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ والميزان في المستقبل إن لم ترسل معنا أخانا ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٦٣﴾ عن الضيعة حتىٰ نرده عليك، وسألهم عن شمعون فقصُّوا عليه القصة، فازداد همه.

﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: بن يامين ﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾ أي: أعطف بعباده.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ أي: دراهمهم دُسَّت في جواليقهم ﴿قَالُواْ﴾ لأبيهم ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ﴾ «ما» في موضع النصب، يعني أي شيء نطلب وقد رُدَّتْ بضاعتنا علينا، قيل: معناه ما نكذب فيما أخبرناك عن حال ملك مصر ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾ تجربة لصِدقنا، فنحن نردُّ الأمانة ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ أي: نجلب لهم الميرة: الأطعمة التي تحمل من بلد إلىٰ بلد ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ بن يامين ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ أي: حمل بعير من الحنطة ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ۝٦٥﴾ أي: يسير أخذه، ولا حس فيه إن كان هو معنا[1].

﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: تعطوني عهدًا تُشهدون الله علىٰ ذلك ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ ولا تضيِّعوه كما ضيَّعتم

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٠١.

أخاه ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ أي: نزل بكم أمر من السماء، ويحال بينكم وبينه بقضاء الله، وقيل: إلا أن تُغلبوا[1] ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾ عهودهم ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦﴾ شهيد علي وعليكم، ثمَّ قبَّله وشم ريحه، ثم سلَّمه إليهم.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾ أي: لا تدخلوا مصر من باب واحد، وهذه وصية شفقة، لأنه خشي عليهم العين، والعين صحيح، [كان] النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين بكلمات، ويقول: «أعيذكما من كل عين لامة»[2] ﴿وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ أي: سكك مختلفة ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾ أي: لا أنفعكم من قضاء الله شيئًا ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ ما الحكم والقضاء إلا لله، إن شاء حفظك وإن شاء لم يحفظكم ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾ وبه وثقت، وإليه لأموري فوَّضت ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ من الأبواب المتفرقة ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾ أي: لم ينفعهم من قضاء الله [من] شيء ﴿إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾ يعني: إلا حاجة إنسانية في نفس يعقوب أظهرها، وهو الخوف من العين أو الحسد ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعقوب ﴿لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ أي: بتعليمنا إياه علم أنه لا يصيبهم إلا ما كتب الله لهم وعليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾ أنَّ الحذر لا ينفع من القدر.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ قيل: حبس إخوته على الباب واستدعى بن يامين حتى دخل عليه، فوثب إليه واعتنقه ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ١٦٣.

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٣٣٧١) من حديث ابن عباس.

وبكىٰ كل واحد منهما بكاءً شديدًا، وقال له ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ أي: لا تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ أي: يعيرونك بيوسف.

ثم أذن للآخرين بالدخول وكلَّمهم ونزلهم منزلاً ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ أي: كال لهم كيلهم وقضىٰ حاجتهم ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾ والسقاية: الصواع الذي يشرب فيه يوسف، أمر بأن يُدَسَّ في رحله، ثم أذن لهم بالرحيل فارتحلوا، حتىٰ نزلوا المنزل فرحين مسرورين بما استفادوا من السلامة.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي نادىٰ منادٍ بأمر يوسف ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾ يا أصحاب العير ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠﴾ وذكر التأنيث لأن العير جماعة، والرحل هاهنا: الوعاء التي تحمل علىٰ الإبل.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله ذنوبه-: سمعت واحدًا من أهل العلم وكان له مجال في التفسير: أن قوله «إنكم لسارقون» علىٰ لفظ الاستفهام والسؤال، كيلا يكون فيه إضافة الكذب إلىٰ يوسف، ولا إلىٰ مَن أمره بذلك[١].

﴿قَالُواْ﴾ أي: إخوة يوسف ﴿وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم﴾ إلىٰ أصحاب يوسف ﴿مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١﴾ أي شيء تطلبون؟

﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ أي: لا نرىٰ صواع الملك علىٰ مكانه، والفقد: هو غيبة الشيء، والتفقد: الطلب، قيل كان الصواع من [فضة][٢] أو كان من

---

(١) وهذا قول شاذ، خلاف إجماع أهل التأويل، وقد ذكره الرازي (التفسير الكبير ١٨/ ٤٨٧) وابن عادل (اللباب ١١/ ١٦١) وانظر في الجواب عن هذا الإشكال: تفسير السمعاني ٣/ ٤٩، زاد المسير ٢/ ٤٥٧.

(٢) سقط من الأصل.

ذهب ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ من الحنطة، قال الذي ينادي: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢﴾ أي كفيل بالحمل لأني اتهمت بالصواع.

﴿قَالُواْ﴾ أي: إخوة يوسف ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم﴾ يا أهل مصر ﴿مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾ أي: ما جئنا لنعمل بالمعاصي والسرقة.

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤﴾ في مقالتكم.

﴿قَالُواْ﴾ أي: إخوة يوسف ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي عقوبته ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ يعني الاستعباد عقوبته، وهو: أن يكون السارق عبدًا له بالسرقة ما عاش السارق والمسروق منه، فن مات المسروق منه عقب السارق عتق السارق، وإن مات السارق قبله فلا شيء عليه[1].

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥﴾ أي: هكذا نعاقب السارقين في حكم يعقوب.

﴿فَبَدَأَ﴾ الباعث ﴿بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾ أي: جواليقهم ﴿قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ بن يامين ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾ يعني السقاية ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ والكيد: اتخاذ الشيء في السر.

يعني: صنعنا ليوسف وأكرمناه بالعلم والفهم والحكمة حتىٰ أخذ أخاه بحكمهم وإقرارهم، وقيل: «كدنا» أي: علمناه جزاء كيدهم الذي فعلوا به من قبل[2].

﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ أي: لم يكن ليوسف أن يأخذ أخاه في ملك مصر، لأن حكم ملك مصر بخلافه، وهو أن يضرب السارق ويغرم ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: في زعم يوسف أن لا يأخذ بحكم ملك كافر، إلا أن يأذن الله

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٠٣.

(٢) والأول هو الذي ذكره ابن جرير في التفسير ١٦/ ١٨٦.

له، ثم شاء الله أن يظهر له في شريعة أبيه ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ أي: فوق كل عالم من هو أعلم منه، حتىٰ ينتهي إلىٰ الله، فلما ظهر ذلك استحيوا ونكسوا رؤوسهم، ولا يدرون ما يقولون، وأقبلوا علىٰ بن يامين بالتوبيخ والتعيير، وقالوا: أما استحييت من الملك قد أدناك وألطفك، أفٍّ لك ولما صنعت.

ثم ﴿قَالُوٓاْ﴾ أيها العزيز قد أحسنتَ إلينا وأكرمتنا، وهذا الصبي قد فعل بلا علم منَّا، وإنه ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ وكان يوسف في حال صباه سرق صنمًا لجده أبي أمه فكسره، وألقاه في الطريق، وقيل: كان صنمًا من ذهب سُرق من أبي أمه بأمر أمه لكي يُسْلِم أبوها إذا فقد الصنم(١).

وقال محمد بن إسحق: خبأت جدته مِنطقة إسحق في ثياب يوسف، لتملكه بالسرقة في دين يعقوب، محبة لمقامه عندها(٢).

فتغير لون يوسف عند ذلك ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ﴾ أي: أسر مقالتهم أو كلمتهم ﴿وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ﴾ أي: لم يظهر، و﴿قَالَ﴾ في نفسه ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾ فيما صنعتم بيوسف مما وصفتم من وصفتم، لأنه سرق الوثن كيلا يعبد، وأنتم بعتم أخاكم رسول الله ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ أي: تتقولون علىٰ يوسف.

﴿قَالُواْ﴾ حينئذ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾ سمُّوه عزيزًا لمكان سلطانه ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ ضعيفًا حزينًا ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ﴾ واحبسه هاهنا ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾ أي: كثيرًا ما أحسنت إلينا.

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ١٩٤، الكشف والبيان ١٥/ ٩٨.

(٢) وهو قول مجاهد كذلك (البسيط ١٢/ ١٩٤).

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعوذ بالله ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ۝٧٩﴾ أي: جائرون.

وظاهر الكلام يقتضي أن لا يكون ظلمًا؛ لأنهم رضوا أن يكون واحد منهم مكانه، فكيف يكون ظلمًا برضاهم؟ ولكن قلنا: إنما ارتفع عنه اسم الظلم في المبايعات، فأما في بدل النفس للاستعباد فلا، لأن الحر لا يسترقُّ برضاه.

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ يعني: آيسوا أن يرد أخاهم خلصوا نجيًا، خلوا واعتزلوا يتناجون بينهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في العقل، وهو يهوذا ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إلا أن يحاط بكم ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ أي: ضيَّعتم عهد أبيكم ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ أرض مصر ولا أزال[1] هنا مقيمًا ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ بالرجوع ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ برد بن يامين ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨٠﴾.

﴿ٱرْجِعُوٓا۟﴾ أنتم ﴿إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ بضم السين وتشديد الراء وكسرها، وهي قراءة الضحاك، وهي جيدة جدًا، أي: رُمِي بالسرقة[2].

﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾ عليه بالسرقة ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ ورأينا الإناء أُخْرِجَ من متاعه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۝٨١﴾ معناه: كنَّا نحفظه مادام معنا، وكان قد غاب عنَّا فلا نحفظه في الغيبة، ولم نسطع ذلك.

---

(١) في الأصل: أراك، وهو تصحيف.

(٢) أي: سُرِّق، أي اتهم بالسرقة، وهي قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري ١٦/ ٢١٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٢٥، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٢، الكشف والبيان ١٥/ ١١٠.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ حين أُخْرِجَ الصاع من رَحْلِه، يعنون قرية عين الشمس من قرىٰ مصر، وقيل: هي قرية عريش(١).

﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: عير كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٨٢﴾ في مقالتنا.

فلما أخبروه بذلك ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أمرت أنفسكم فيه صنيعًا فصنعتموه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: صبري جميل لا جزع فيه.

قال محمد بن علي الحكيم: الصبر الجميل أن يلقي عنانه إلىٰ مولاه، ويسلم نفسه إليه(٢).

وقيل: سولت لكم أنفسكم أي: أعطيتم لأنفسكم سؤلها أي مرادها.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ بيوسف وابن يامين ويهوذا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بمكانهم ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٨٣﴾ في ردهم علي.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم بوجهه باكيًا، وقيل: خرج من بينهم(٣) ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي: واحزنا ويا مصيبتا علىٰ فوت رؤية يوسف، لأن الأسف علىٰ يعقوب، ولم يرد به أسف يوسف ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ والحزن وإن اشتد فلا يؤثر في العين، ولا يورث العمىٰ، ولكن الحزن يورث البكاء، والبكاء يورث العمىٰ ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ ۝٨٤﴾ يردد حزنه في جوفه.

﴿قَالُواْ﴾ يعني بنوه حين رأوا عليه علامة الهلاك ﴿تَٱللَّهِ﴾ أي: والله، وتبدل التاء من الواو في هذا الاسم خاصة، ولا يقال: تالرحمن ولا تالرحيم، وقد تبدل التاء من الواو في كلمات، يقال: تقوىٰ وأصله وقوىٰ، وتجاه وأصله وجاه،

---

(١) قيل: إن المراد بالقرية مصر، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٠٦، البسيط ١٢/ ٢١٠.
(٢) في نوادر الأصول للحكيم الترمذي ٢/ ٢٩١ مبحث عن الصبر الجميل، ولم أجد هذا بنصه.
(٣) البسيط ١٢/ ٢١٢.

وتراث وأصله وراث[١].

﴿تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ أي: لا تزال تذكر يوسف، وقد حذفوا حرف لا وإنه فيه مضمر، وحرف لا يحذف في القسم خاصة، كقول القائل:

فآليت[٢] آسىٰ علىٰ هالك وأسال نائحةً ما لها[٣]

يعني: أقسمت لا آسىٰ علىٰ هالك.

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ مدنَفًا مريضًا، عن الزجاج[٤].

وقيل: حرضًا، أي: يذيبك الهم، والأصل: أحرضني المرض أي اذابني يحرضني إحراضًا، وهو حرض، وهي حرض، وهم حرض، الوحدان والجمع والمذكر والمؤنث فيه سواء[٥].

قال ابن عباس: هو السل[٦].

﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ الميتين.

﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ البث: أشد الحزن، يقول: أشكو أمري الذي أنا فيه إلىٰ الله، لا إليكم، والشكوىٰ: صفة ما يجده من البلوىٰ، وكان شكوىٰ يعقوب علىٰ يوسف خوفًا من أن يُفْتَن عن دين آبائه لا لفقده، قال ذلك التستري[٧].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٥١، الكشف والبيان ١٥/ ٨٧.

(٢) في الأصل: فالليث، وهو تصحف.

(٣) البيت للخنساء كما في ديوانها: ١٢٥، وانظر: البسيط ١٢/ ٢١٨، زاد المسير ٢/ ٤٦٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٢٦، تاج العروس ١٨/ ٢٨٦.

(٥) البسيط ١٢/ ٢١٩.

(٦) لم أجده عند غير المصنف فيما وقفت عليه.

(٧) تفسير التستري ٨٢.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ أي: أعلم من رحمة الله أن يوسف في الإحياء، ويصدق الله رؤياه، ولا تعلمون أنتم ذلك.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ التحسُّس: طلب الشيء بالحاسة، ونظيره التجسس طلبه بالجس[١]، أي: اطلبوا خبر يوسف وأخيه بن يامين ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تقنطوا من رحمة الله ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ﴾ أي: يقنط ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ فذهبوا.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ أي: علىٰ يوسف ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ سُمِّي عزيزًا لأنه عز علىٰ أهل مملكته، أي: غلب عليهم، مسَّنا أي: أصابنا الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ أي: قليلة رديئة، لا تؤخذ إلا بالوكس، والإزجاء: هو الإمضاء، وهو ما يوجد من المعاملات مع إغماض وإزجاء، قيل: كان متاعهم الصنوبر سويق المقل، وقيل: كان صوفًا وسمنًا وجبنا، وقيل: كانت دراهم مزيفة، وقالوا: خذها بالدراهم الجياد[٢].

﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ أعطنا من الطعام كما تعطي من الدراهم الجياد ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ بفضل ما بين الثمنين من الورق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾ أي: يثيبهم، فلمَّا[٣] سأل الصدقة رق عليهم يوسف، ودمعت عيناه، وباح لهم ما كان يكتمه من شأنه.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ۝٨٩﴾ أي: ألقيتم بيوسف في الجب وقصدتم قتله، وشنعتم علىٰ أخيه حين خرجت السقاية فعلموا أنه يوسف.

---

(١) البسيط ١٢/ ٢٢٣.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٣٤، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٠٨، البسيط ١٢/ ٢٢٧.

(٣) في الأصل: فإذا، وهو تصحيف تكرر عنده.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ﴾ نعم ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾ من أمي ﴿قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾ بأن جمع بيننا ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ في الشدة ويخشىٰ، عند المعصية فإنه محسن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ اصطفاك من بيننا ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾ وقد كنَّا لمذنبين فيما جنينا.

﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ أي: لا عيب ولا تعيير ولا لوم.

والتثريب: الإفساد والتبكيت[1].

﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ خبر بمعنىٰ الدعاء ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ معناه: أني رحمتكم مع كثرة جفوتكم.

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾ الذي جاء به جبريل من الجنة إلىٰ الخليل يوم أُلقي في النار، فورثه يعقوب وجعل ذلك في قصبة، وعلقه بعنق يوسف يوم ذهبت به إخوته، فلما[2] أُلقي في الجب نشر جبريل القميص وألبسه إياه[3].

﴿فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾ يعني: إذا شمه رجع بصيرًا ﴿وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣﴾ من كنعان.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ أي: خرجت من عين الشمس وجد يعقوب ريح القميص من مسيرة ثمانية أيام[4] ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٢٤٧، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٢٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٠٩.

(٢) في الأصل: فإذا، وهو تصحيف تكرر عنده.

(٣) وهذا قول وهب بن منبه، وهو من الإسرائيليات، وقد ذكره عنه أبو الليث في تفسيره ٢/ ٢٠٩.

(٤) وهو مروي عن ابن عباس بإسناد صحيح، كما في تفسير الطبري ١٦/ ٢٤٩، وتفسير أبي الليث ٢/ ٢٠٩.

تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ أي: تجهلوني وتسفهوني، والفند: الخرف[١].

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ أي: والله ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ أي: في جهلك القديم حيث ترجو وجود يوسف، ولم تصدِّق بموته، قيل: هذه مقالة ولد ولده لأنَّ أولاده كانوا غيبًا، وكانوا في العير في طريق مصر.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ يهوذا بالقميص ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ بعد عماه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ في تحقيق رؤيا يوسف.

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ أي: سل ربنا أن يغفر لنا ذنوبنا ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ أي: عاصين.

﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ﴾ عند السَّحر في ليلة الجمعة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ لمن تاب.

ثم ارتحلوا من كنعان وتوجهوا إلىٰ مصر ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي: ضمهما ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ قيل: في الآية تقديم وتأخير، يعني: قال ادخلوا مصر ثم آوىٰ إليه أبويه.

وقيل: إنَّ يوسف خرج مستقبِلاً لأبيه مع أهل مملكته، وآوىٰ إليه أبويه يعقوب وراحيل علىٰ قول الحسن وابن إسحاق كانت أمه في الحياة[٢].

وعلىٰ قول الكلبي ومقاتل: قد ماتت أمه، وأبواه: أبوه وخالته وهي زوجة أبيه أيضًا، واسمها لايا[٣].

---

(١) البسيط ١٢/ ٢٤٣.

(٢) ورجحه ابن جرير، لأنه الغالب في استعمال الناس، ولم تأت حجة يجب التسليم لها أنها خالته (تفسير الطبري ١٦/ ٢٧٦).

(٣) نسبه الواحدي لعامة المفسرين (البسيط ١٢/ ٢٤٨).

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ومعه خرُّوا له سُجَّدًا تحية منهم ﴿وَقَالَ﴾ يوسف لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا﴾ السجود ﴿تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ أربعين سنة، وقيل: ثمانون سنة. وقال ابن إسحق: ثماني عشرة سنة(١).

﴿[قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا] وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ أي: وادي كنعان ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي: يصلح الأمور بعد فسادها، وقيل: لطيف بيوسف إذ أخرجه من السجن.

قد ذكر الخروج من السجن ولم يذكر الخروج من الجُب كرمًا علىٰ إخوته لئلا يكون لهم خجلاً فيكون تثريبًا، وابتدأ من نزغ الشيطان عن نفسه حيث قال: بيني وبين إخوتي(٢).

---

(١) وهذه الأقوال مروية في تفسير الطبري ١٦/ ٢٧١، والأول هو المشهور عند السلف.

(٢) قال أبو الليث السمرقندي (في تفسيره ٢/ ٢١١): إنَّ الله تعالىٰ مدح يوسف في هذه السورة، في ثمانية مواضع.

أولها: أن أخوته لما فعلوا به ما فعلوا، صرف العداوة من إخوته إلىٰ الشيطان. فقال: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾.

والثاني: حين راودته المرأة، قال: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ فعرف حرمة سيده، ولم يهتك حرمته.

الثالث: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ فاختار السجن علىٰ الشهوة الحرام.

والرابع: قال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ بعد ما ظهر أن الذنب كان من غيره.

والخامس: لما اعتذر إليه إخوته، قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾.

والسادس: أنه بعث القميص علىٰ يد إخوته كما أدخلوا علىٰ أبيهم الحزن في الابتداء، أراد أنْ يُدخلوا عليه السرور، فقال: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾.

ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بعباده ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ بحكمه.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي: أعطيتني مُلك مصر ثمانين سنة(١).

ذكر بكلمة «مِنْ» في الملك وعلم الرؤيا لأنه أعطي بعض المُلك وبعض العلم بالرؤيا(٢)، لأن المُلك والعلم كله لله.

وقيل: أراد به الإنابة(٣) عن سائر الأجناس كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾(٤).

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي حافظي ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ أي: علىٰ الإسلام ومخلصًا لك بالتوحيد ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠١﴾ بآبائي الثلاثة: إبراهيم وإسحق ويعقوب.

وذلك بعد يعقوب، ومات يعقوب قبل يوسف بسنتين، ودُفِنَ يعقوب وعيص ابنا إسحق بالأرض المقدسة، وخرجا جميعًا من بطن أمهما معًا أيضًا، وكان يعقوب قابضًا علىٰ عقبىٰ أخيه، فمن ثمَّ سمي يعقوب.

فلما أتم الله نعمه علىٰ يوسف وأقرَّ عينه بأبيه فتمنىٰ الموت واشتاق إلىٰ ربه، ولم يتمنَّ نبي الموت إلا يوسف(٥)، فقال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى

والسابع: لما لقي أباه، لم يذكر عنده ما لقي من الشدة، وإنما ذكر المحاسن حيث قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾.

والثامن: لما تمّ أمره، تمنىٰ الموت وترك الدنيا.

(١) وقيل: اثنتان وسبعون سنة (تفسير السمعاني ٣/ ٦٨).

(٢) في الأصل: الرؤيا بالعلم.

(٣) في الأصل: الإيابة.

(٤) البسيط ١٢/ ٢٥٤.

(٥) هذا مروي عن بعض السلف كمجاهد وقتادة، ورواه السدي وابن جريج عن ابن عباس (تفسير الطبري ١٦/ ٢٧٨).

بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ فنودي: لم يأن لك يا يوسف، وسأفعل ذلك فأراهم الله يوسف في روضة خضراء من رياض الجنة، ثم مات يوسف بأرض مصر ودُفِنَ بها، حتىٰ بعث الله موسىٰ فولي إخراج عظامه[1] من مصر ودفنه عند قبر أبيه[2].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: دخل يعقوب وأولاده مصر مع أحفاده وهم ثلاثة وسبعون نفسًا، وخرجوا منها وهم ألف ألف وسبعمائة ألف ونيف[3].

ثم قال لرسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ﴾ يا محمد، من خبر يوسف وإخوته وكان غائبًا عنك ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾ أي: رأيهم في يوسف ﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ في إلقائهم إياه في غيابة الجب.

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ أي: ما أكثر الناس من كفار مكة مؤمنين ولو حرصت علىٰ إيمانهم.

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ﴾ يعني أهل مكة علىٰ ما تدعوهم إلىٰ الإيمان ﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ ما هذا القرآن إلا شرف للجن والإنس.

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ دلالة علىٰ توحيد الله، يمرون عليها ولا يتعظون بها ﴿وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ أي: عن الاعتبار.

---

(١) في الأصل: عظمه عظامه.

(٢) وهو مروي عن السدي وغيره، انظر: تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٢. وفيه خلاف بين العلماء، انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٢١٢، الكشف والبيان ١٥/ ١٧٤، تفسير السمعاني ٣/ ٦٩، معالم التنزيل ٤/ ٢٨٢.

(٣) نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٦٨، وعنده عن وهب بن منبه والربيع روايات أخرىٰ، وفي سفر التكوين أنهم: ٦٦ نفسا سوىٰ النساء.

وقال ابن عباس: الآيات مثل انشقاق القمر، وما يمرون عليها هي الأرض بنباتها وأشجارها وبحارها، والسماء بنجومها ورياحها وأنوارها، والغيم وبروقها وإرعادها وأمطارها[١].

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ أي: يعرفون [أن] الله خلقهم وخلق السماوات والأرض ثم يشركون في عبادة الأصنام وغيرها.

﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾ أي لم يأمنوا ﴿مِّنْ﴾ إتيان ﴿عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ مغافصة فيغشاهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: فجأة، والساعة هاهنا الموت ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٠٧﴾.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠﴾ أي: قل لكفار مكة -للوليد وغيره-: هذه سبيلي في أمر ديني ومنهاج رسل الله قبلي، أدعوكم إلىٰ الله وتوحيده علىٰ بصيرة أي: يقين[٢] أنا، لأن الله أكرمني بوحيه، وجعلني رسولاً إلىٰ كافة خلقه ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ علىٰ ديني ومنهاجي هم علىٰ بصيرة أيضًا.

والبصيرة: المعرفة التي يميز بها الحق من الباطل[٣].

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيه له وبراءة وطهارة مما يشركون ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ في عباد الله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ من الرسل إلىٰ الأمم الخالية ﴿إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾[٤] كما أوحينا إليك ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في

---

(١) وهي رواية الكلبي، كما في تنوير المقباس ٢٠٤.

(٢) لعلها هكذا.

(٣) البسيط ١٢/ ٢٦٢.

(٤) في الأصل: يُوحَىٰ بالياء وفتح الحاء، وهي قراءة من سوىٰ حفص، حيث قرأ بالنون وكسر الحاء (النشر ٢/ ٢٩٦).

تجاراتهم ﴿فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من الأمم المكذِّبة ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٌ﴾ من الدنيا وما فيها ﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الكفر والشرك ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾[1] ثم انتقل فقال:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ معناه: فلما آيس الرسل من إيمان قومهم وانقطع رجاهم ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد[2]:

فمن خفَّف: كان الظن بمعنىٰ الشك، والمراد به الكفار، أي: ظن قوم كل رسول أن رسلهم قد كُذبوا، أي: أُخلفوا فيما وعدوا من النصر فحينئذ ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾.

ومن قرأ بالتشديد: فالظن بمعنىٰ العلم، أي: علم الرسل من قومهم أنهم كَذَّبوا، أي الأنبياء كُذِّبوا بعد التبليغ جاءهم نصرنا[3].

﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ أي: نجينا من شئنا من الرسل ومن معهم من المؤمنين من العذاب ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ أي: لا يدفع عذابنا عن القوم المجرمين.

---

(١) في الأصل: يعقلون، بالياء علىٰ الغيبة، وهي قراءة: ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف ، وقرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب وابن عامر وعاصم: بالتاء علىٰ الخطاب (النشر ٢/ ٢٥٧).

(٢) قرأ أبو جعفر والكوفيون بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد (النشر ٢/ ٢٩٦)، والخلاف بينهم في هذه القراءة من نوع: خلاف التضاد، وهي أشهر الأمثلة علىٰ هذا النوع من الخلاف، ولذا فقد أطلت الحديث عليه في نوع: أنواع الاختلاف بين القراءات، في كتاب: معرفة علوم القراءات.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٥٦، تفسير الطبري ١٦/ ٢٩٦، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٣٢، تفسير أبي الليث ٢/ ٢١٤، البسيط ١٢/ ٢٦٦، معالم التنزيل ٤/ ٢٨٦، الكشاف ٢/ ٥١٠.

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ﴾ أي: قصة يوسف وإخوته ﴿عِبۡرَةٞ﴾ وقيل: في قصص الأنبياء وهلاك قومهم عبرة عظة[١] ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ والعقول ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾ أي: ليس بخبر كذب مختلق ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي: تصديق لما قبله من الكتب من التوراة ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ فيه بيان علم كل شيء ﴿وَهُدٗى﴾ لمن طلب الهدىٰ وآمن به من الضلالة ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ من العذاب ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ أنَّ هذا الوحي من عند الله.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «علِّموا أرقاءكم سورة يوسف، فأيَّما مسلم قرأها وعلَّمها أهله أو ما ملكت يمينه هوَّن الله تعالىٰ عليه سكرات الموت، وأعطاه من القوة أنْ لا يحسد مسلمًا»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) النكت والعيون ٣/ ٩٠، زاد المسير ٢/ ٤٧٨.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٤/ ٤٨٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٧٨.

سورة الرعد

مكية، غير آية واحدة، وهو قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ الآية[١]، وهي ثلاثة وأربعون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ﴾ أنا الله اللطيف الملك الرحيم، تلك آيات الكتاب أي: علامات الكتاب هذه الحروف على أن هذا الكتاب عربي مبين بلسان العرب[٣].

قال الضحاك: عنى بآيات الكتاب التوراة والإنجيل.

﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ القرآن الصدق الذي لا شك فيه ﴿ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ①﴾ أي: لا يصدِّقون بالقرآن أنه منزَّل من عند الله.

ثم ابتدأ فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ﴾ معناه: الذي أشركتم به هو الله الذي رفع السماوات من الأرض في مسيرة خمسمائة عام.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لا عمد لها كما ترون. والثاني: أنه خلقها بعمد لا ترونها، وهي قدرة الله[٤].

---

(١) الكشف والبيان ١٥/ ١٩٩، وقيل إنها مدنية: زاد المسير ٢/ ٤٧٩.

(٢) البيان في عد القرآن ١٦٩.

(٣) وهو مروي عن ابن عباس وبعض تلاميذه، انظر: تفسير الطبري ١٦/ ٣٢٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٢١٥، تفسير السمعاني ٣/ ٧٥، زاد المسير ٢/ ٤٧٩.

(٤) الأول قول قتادة وإياس بن معاوية، والثاني قول ابن عباس وطائفة من أصحابه، ورجحه ابن جرير (تفسير الطبري ١٦/ ٣٢٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٢١٥، البسيط١٢/ ٢٨٢).

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قال ا بن عباس: أمره على عرشه فوق بريته[١]، وقيل: استوى عنده القريب والبعيد ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ أي: ذللهما بقدرته ﴿ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى منتهى ينتهي إليه ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ بحكمته في الليل والنهار ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ ﴾ يبيِّن العلامات الدالة على قدرته ﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ خلقها وبسطها على وجه الماء ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ الجبال الثوابت ﴿ وَأَنْهَٰرًا ﴾ يعني خلق أنهارًا ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ من أنواع الثمار ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ حلوًا وحامضًا، وأبيض وأحمر، ومن كل نوع زوجًا ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ يغطي ظلمة الليل ضوء النهار، وبضوء النهار ظلمة الليل ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ أي فيما ذكر من صُنعه ﴿ لَآيَٰتٍ ﴾ أي: علامات ودلائل على وحدانيته ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ في صنعته.

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ ﴾ أمكنة ﴿ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ أي: متلاصقات، وقيل: متقاربات[٢]، السبخة والطيبة، وقيل: سبخة ردية تحتها أرض طيبة جيدة[٣].

---

(١) لم أجده عن ابن عباس بهذه اللفظ، وما ينقله المصنف عن ابن عباس مما ليس في الأصول يكون غالبا من روايات الكلبي ومقاتل عنه، على أن الذي في تفسير الكلبي (كما في تنوير المقباس ٢٠٥): كان الله على العرش قبل أن رفع السماوات، ويقال استقر، ويقال امتلأ به، ويقال استوى عنده القريب والبعيد على معنى العلم والقدرة.
قال ابن جرير والثعلبي: أي علا عليه (تفسير الطبري ١٦/ ٣٢٥، الكشف والبيان ١٥/ ٢٠٦)، وقد سبق التنبيه على ذلك فيما مضى.

(٢) والمعنى واحد: أي متدانيات متقاربات، يقرب بعضها من بعض بالجوار، وتختلف بالتفاضل، فمنها عذبة ومنها مالحة، ومنها طيبة تنبت ومنها سبخة لا تنبت، الكشف والبيان ١٥/ ٢٠٨.

(٣) تحتها: أي إلى جنبها، وهذا المعنى مذكور في كتب التفسير، انظر: تفسير الطبري ١٦/ ٣٣٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٢١٦، تفسير السمعاني ٣/ ٧٦، زاد المسير ٢/ ٤٨١.

﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾ أي: من الكروم ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ والصنوان: جمع صنو وهي النخل التي تكون أصلها واحد وعليها نخلتان أو أكثر[1] ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾[2] أي: ماء المطر وغيره ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ في الثمر والطعم تزيد حلاوة بعضها علىٰ بعض ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾ أي: علامات ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ أمر الله تعالىٰ.

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ من تكذيبهم إياك مع صدقك وأمانتك ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ من إنكارهم البعث.

والعجب: تغير النفس بما خفي سببه، وذلك العجب منهم أن قالوا ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ نُبعَثُ بعد الموت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ قيل: إن الغل يكون في يمين الكافر مجموعة إلىٰ عنقه، ويده اليسرىٰ تكون من وراء ظهره، وقد صفد ما بين قرنه إلىٰ قدمه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بالعذاب قبل العفو، أي: لا يسألون العفو، نزلت في النضر بن الحارث كان يقول: وددنا أن نرىٰ العذاب الذي تخوفنا يا محمد، عجله لنا[3].

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ أي: مضت العقوبات في الأمم الماضية ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: يتجاوز عنهم مع شركهم إذا تابوا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾ لمن لم يوحده ومات مشركًا.

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٣٣٥، البسيط ١٢/ ٢٨٩.

(٢) في الأصل: تسقىٰ، بالتاء، وهي قراءة من سوىٰ يعقوب وابن عامر وعاصم (النشر ٢/ ٢٩٧).

(٣) وهي رواية مقاتل، كما في تفسيره ٢/ ١٦٨، والكشف والبيان ١٥/ ٢١٦، ٢١/ ٧٧.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي: هلاَّ أنزل عليه ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ علامة لنبوته قل يا محمد ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ مخوف بالنار لمن لا يؤمن بك ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ وداعٍ يدعوهم إلىٰ الهُدىٰ من الأمم السالفة، وهو نبيهم، كما تدعو أنت يا محمد.

ثم قال ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ في رحمها من ذكر أو أنثىٰ ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ الغيض هو ذهاب المائع عن مكانه ونقصانه، قيل: أراد به ما ينقص الأرحام عن تسعة أشهر ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ علىٰ تسعة أشهر في الحمل.

وقيل: الغيض أن ترىٰ المرأة الدم في الحبل فينتقص[1] به الولد، والزيادة إذا لم يهرق دمها في الحبل فتم الولد وعظم[2].

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ من العد[3] والأجل.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الغيب: ما غاب عن العباد، والشهادة: ما علمه العباد ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ فوق كل شيء بقدرته وسلطانه، وعلا عمَّا وصفه الجُهَّال[4].

---

(١) في الأصل: فينتقض، بالضاد المعجمة.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٤٠، النكت والعيون ٣/ ٩٦، زاد المسير ٢/ ٤٨٤. والذي عليه جمهور أهل التأويل -ولا يكادون يختلفون فيه- أن غيض الأرحام من حملها في الأشهر التسعة إرسال دم الحيض، وما تزداد فيحملها علىٰ الأشهر التسعة لتمام ما نقص من الحمل في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض، فالغيض دون التسعة، والزيادة فوقها، ثم قالوا: إن هذا يؤثر علىٰ الولد زيادة ونقصانا، فإذا لم تهرق الدم عظم وتم (تفسير الطبري ١٦/ ٣٦٠، البسيط ١٢/ ٣٠١).

وفي الآية ليل علىٰ أن الحامل قد تحيض، وإليه ذهب الشافعي (الكشف والبيان ١٥/ ٢٢٤).

(٣) في الأصل: العدو.

(٤) تفسير الطبري ١٦/ ٣٦٦، الكشف والبيان ١٥/ ٢٢٩.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: مستوٍ عنده وفي علمه من أسر القول منكم، أي: أضمرها وأخفاها ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ أعلنه ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ أي: مستتر في الظلمات ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ أي: سائر ظاهر معلن.

والمعنىٰ: أن الله يعلم الإنسان في تصرفات أحواله، لا يخفىٰ عليه مستتر[1] ولا يزداد المعلن عنده ظهورًا، فوجب أن يحذر من هذه صفته[2].

ثم قال ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: ملائكة يعقُب بعضهم بعضًا، ملائكة الليل وملائكة النهار يتعاقبان في حفظ بني آدم قدامه ووراءه[3] ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: من الجن والهوام.

وقال مقاتل: في الآية تقديم وتأخير، معناه يحفظونه من بين يديه ومن خلفه بأمر الله تعالىٰ[4].

ذكر المعقبات ثم قال ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل: يحفظنه، والمعقبات مثل المرسلات والنازعات والصافات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من نعمة وأمن ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ترك الشكر فيغير ما بهم من النعمة، والتغيير من جهة العبد بمعاصيه[5].

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾ عذابًا وهلاكًا بما جنوا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ أي: لا راد لقضائه ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾ أي: ليس له من دون الله مانع يمنعهم من العذاب وملجأ يلجؤون إليه.

---

(١) في الأصل: مستقر.

(٢) البسيط ١٢/ ٣٠٤.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٣٦٩، البسيط ١٢/ ٣٠٧.

(٤) لم أجده في تفسيره ٢/ ١٧٠، ونحوه في الكشف والبيان ١٥/ ٢٤٦.

(٥) تفسير الطبري ١٦/ ٣٨٣.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفًا للمسافرين وطمعًا للمقيمين ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ بما فيها من المطر[١].

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ وهو مَلك يسوق السحاب يسبِّح بحمده، بما فيه من الدلالة علىٰ تعظيم الله، وهو القول المختار[٢].

وقيل: إن في الرعد وهوله تنزيهًا لله تعالىٰ عن الشرك وتعظيمًا له.

وقال ابن عباس: أقبلت اليهود إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد، ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من النار، يسوق به السحاب إذا زجره حتىٰ ينتهي إلىٰ حيث أمر، قالوا: صدقت[٣].

وقال أنس بن مالك: البرق والرعد وعيد لأهل الأرض، فإذا رأيتم ذلك فكفوا عن الحديث وعليكم بالاستغفار[٤].

وقوله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ يعني: وتسبح الملائكة لله من خيفته، ميَّز بين الملائكة والرعد كما ميز بين جبريل وميكائيل والملائكة[٥].

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٣٨٧.

(٢) وعليه عُظم أهل التأويل، انظر الروايات عنهم في تفسير الطبري ١/ ٣٤٠.

(٣) رواه أحمد ٢٤٨٣، والترمذي ٣١١٧، والثعلبي في الكشف والبيان ١٥/ ٢٤٩، من طريق بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو حديث منكر، تفرد به بكير، وهو نكرة، فلو كان عند سعيد بن جبير لرواه عنه أصحابه، فإنه مما يحتاج إليه، ولا سيما في التفسير.

(٤) روىٰ مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٢) عامر بن عبد الله بن الزبير، أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته»، ثم يقول: «إن هذا لوعيد لأهل الأرض شديد».
فقد يكون ما وقع في الأصل تصحيف صوابه: روىٰ مالك بن أنس، والله أعلم.

(٥) تفسير الثعلبي ١٥/ ٢٥٣.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ العذاب المهلك، وقيل: نار لا صوت فيها ولا دخان ﴿فَيُصِيبُ بِهَا﴾ أي: بالصاعقة ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيحرقه، كما أحرق بها أربد بن قيس، وكان أربد بن قيس وعامر بن الطفيل العامريين قدما المدينة، وسألا رسول الله: أخبرنا من أي شيء إلٰهك، وهمَّ أربد بقتل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فنزلت نار فأحرقته، وهرب عامر فطعن في خنصره فمات بها[١].

رواية[٢]: ودعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «اللهم اكفني عامرًا واهد بي بني عامر».

وقيل: نزلت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ جوابًا لقولهما، وأخذت الصاعقة أربد وسلَّط الله الطاعون علىٰ عامر في بيت امرأة سلولية، فجعل يقول عند النزع: يا آل عامر، قتيل بغير سلاح، غُدة كغدةِ البعير وموت في بيت سلولية[٣].

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ وجدالهم ما قالوا لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: مِنْ أي شيء إلٰهك؟[٤].

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير ١٦/ ٣٩٣ عن ابن جريج وعبد الرحمن بن زيد، ورواه الثعلبي من طريق الكلبي عن ابن عباس (الكشف والبيان ١٥/ ٢٤١)، وذكره ابن كثير في التفسير ٤/ ٤٤٤ من حديث عطاء بن يسار عن ابن عباس، رواه الطبراني، وفيه علة.

(٢) في الأصل: راوية.

(٣) صدر المصنف عن تفسير مقاتل ٢/ ١٧١، وانظر: الكشف والبيان ١٥/ ٢٤٤. وأصله في صحيح البخاري (٢٨٠١) دون ذكر سبب النزول.

(٤) روىٰ ابن جرير في تفسيره ١٦/ ٣٩٢ : بإسناد فيه ضعيف، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: بعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم مرةً رجلا إلىٰ رجل من فراعنة العرب، أن ادْعُه لي، فقال: يا رسول الله، إنه أعتىٰ من ذلك، قال: اذهب إليه فادعه، قال: فأتاه فقال: رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يدعوك، فقال: مَنْ رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ قال: فأتىٰ الرجل النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه، قال: فأتاه فأعاد عليه وردَّ عليه مثل الجواب الأوَّل، فأتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره،

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾ والمحال: الكيد والمكر والعقوبة، وأصله: الحيلة، يقول الرجل: ماحلتُ فلانًا إذا قاويته ليظهر أيُّنا أقوىٰ[(١)].

وعن الحسن: هو شديد المحال إذا محل أي أهلك[(٢)].

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: دين الحق وكلمة الإخلاص ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ أي: لا يجيبون الكفار بشيء ينفعهم ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ يعني كمادٍّ كفيه إلىٰ الماء فيدعو الماء ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ الماء إلىٰ شفته ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ أي: كما أنَّ الماء لا يبلغ إلىٰ فمه كذلك الصنم لا يجيب داعيه.

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝١٤﴾ أي: ما عبادة الأصنام إلا ضلال بعيد عن الحق.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ أي: يصلي ويطيع ويخضع ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ فأهل السماء من الملائكة طوعًا، وكذلك المؤمنون من أهل الأرض، الذين ولدوا في الإسلام.

وكرها: المنافقون ومن أجبر علىٰ الإسلام فأسلم كرهًا[(٣)].

﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ أي: يسجد ظلالهم ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ أي: من أول النهار إلىٰ انتصاف النهار ﴿وَٱلْآصَالِ ۩ ۝١٥﴾ إذا زالت الشمس إلىٰ غروبها.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإن أجابوك وإلا ﴿قُلِ ٱللَّهُ قُلْ

فقال: ارجع إليه فادعه، قال: فرجع إليه، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما، إذ بعث الله سحابة بحيالِ رأسه فرَعَدت، فوقعت منها صاعقة فذهبت بقِحْفِ رأسه، فأنزل الله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾.

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٤٣، تفسير الطبري ١٦/ ٣٩٧، البسيط ١٢/ ٣١٨.

(٢) رواه الطبري في التفسير ١٦/ ٣٩٦.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٤٠٣.

﴿أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ أربابًا من الأصنام بعد ما عرفتم أنَّ الربوبية لله في الأرض والسماء.

والأصنام ﴿لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ﴾ فكيف يملكون الكفر والإسلام ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أم بمعنىٰ بل جعلوا لله شركاء ﴿خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ﴾ أي: الأصنام، يعني: أخلق الأصنام كخلقي[1] شيئًا ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ فتشابه عليهم خلق الله من خلق غيره، ولا يتميزون بينهما فيعبدوه ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ الذي لا شبيه له ولا شريك.

ثم ضرب للحق والباطل مثلاً[2]، فقال: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ وهو القرآن كإنزال المطر ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ أولو اليقين علىٰ قدر يقينهم، وأولو الشك علىٰ قدر شكهم، والأودية مثلٌ للقلوب ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ﴾ فالسيل الأهواء احتملها القلوب، والزبد الرابي ما علا في وجه الماء علىٰ الأرض، معناه: احتمل السيل في الأودية زبدًا عاليًا طافيًا علىٰ وجه الماء، فإذا نظر في آيات الله وتدبر فيها استبان لهم الحق وذهبت الشكوك، كالماء إذا سكن وضربته الريح يصفو وجه الماء، ويذهب الزبد، فهذا مثل واحد[3].

ثم ذكر مثلاً آخر فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾[4] أي: توقدون علىٰ جواهرها مثل الذهب والفضة.

---

(١) في الأصل: كخلق.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٤٠٨.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٤٠٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٢٢، البسيط ١٢/ ٣٣١.

(٤) في الأصل: توقدون، بالتاء، وهي قراءة الحرميين والبصريين والشاميين وشعبة، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بالياء (٢/ ٢٩٨).

ثم ثلّث في المثل[١] فقال: ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ من جواهر الأرض من الحديد والنحاس والرصاص، له ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ والحلية: ذهب وفضة وخبثه[٢] مثل خبث الماء وزبده[٣].

﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾ أي: يبيِّن الأمثال للحق والباطل، فمثل الحق مثل الماء الصافي والذهب الصافي والرصاص الصافي، والباطل مثله الزبد وخبث الحديد وخبث الرصاص.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ والخبث ﴿فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾ متلاشيًا، لا ينتفع به، كذلك الباطل يذهب ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ وهو الماء الصافي والذهب الصافي ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لينتفع به، كذلك الحق، ثم قال ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ الجنة في الآخرة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ بالتوحيد ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ﴾ اشتروا به أنفسهم ما تُقُبِّل منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: لا تُقْبَل حسناتهم ولا يتجاوز عن سيئاتهم ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾.

﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ إنه الحق مثل عمار بن ياسر ﴿كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾ عن الحق مثل أبي جهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أي: يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾.

ثم وصفهم فقال ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ الإيفاء: هو جعل الشيء على مقدار من غير زيادة ولا نقصان[٤].

---

(١) المثل الثاني: الذهب والفضة، والمثل الثالث: المتاع، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٢٣.

(٢) في الأصل: وحيث مثل حيث.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٤٥، وقال: والذي يوقد عليه في النار ابتغاء حلية: الذَّهَبُ والفِضةُ، والذي يوقد عليه ابتغاء أمْتِعة الحديدُ والصُفْر والنحاس والرصاص.

(٤) المفردات ٢/ ٨٧٨.

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ۝٢٠﴾ الذي أُخذ عليهم في عهد آدم، وقيل: الفرائض الذي فرض عليهم[١].

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ يعني: صلة الأرحام، وقيل: صلة الإيمان بالرسل[٢] ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ بنقض العهد فلا ينقضونها ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ۝٢١﴾ شدة العذاب.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على أداء الفرائض والمصائب واجتناب المحارم ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ طلب مرضاته ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ يدفعون الهجر والأفحاش عن أنفسهم بالعفو، أو حُسن الكلام، وقيل: بكلمة التوحيد الشرك[٣] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢﴾ الجنة في الآخرة.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾ أي آمن من آبائهم ﴿وَأَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ نسائهم ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ أولادهم ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣﴾ بإذنهم مع التحق من الله.

يقولون ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ أي: سلامة لكم وسعادة من الله لكم ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ على أمر الله ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ أي: نعم الدار التي عقبتم بالدار التي هاجرتم منها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ الذي أخذه عليهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ توكيده وتغليظه ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من صلة الإيمان ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعملون فيها بالمعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ العذاب ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ

---

(١) زاد المسير ٢/ ٤٩٢.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٤٢٠.

(٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٤٩٢ خمسة أقوال في ذلك، ترجع كلها إلىٰ أنهم يدفعون بالحسن الجميل السيءَ القبيحَ.

قال ابن زيد: يدفعون الشر بالخير لا يكافئون الشر بالشر (تفسير الطبري ١٦/ ٤٢٢).

ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ وهي النار.

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي يوسع علىٰ من يشاء﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾ وربما يبسط علىٰ الكافر استدراجًا ويقدر علىٰ المؤمن امتحانًا ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: سُروا بالحياة الدنيا وزينتها وزهرتها ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بجنب الآخرة ﴿إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾﴾ منفعة يسيرة.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ عن دينه ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ رجع إليه بالتوبة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: بوعد القرآن ووعيده، وقيل: بما ضمن الله من الرزق[1].

﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ للمؤمنين.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ طوبىٰ: عيش طيب، وقيل: شجرة في الجنة[2].

ومعناه في كلام العرب: بلوغ الأمنية إذا قيل طوبىٰ لفلان أي قد بلغ أمنيته. وحُسن مآب: الجنة.

قال ابن عباس: طوبىٰ شجرة في الجنة ساقها من ذهب، الورقة[3] منها

---

(١) المشهور أن المراد بذكر الله المتبادر المعروف من هذا اللفظ، وهو ذكر الله عز وجل باللسان أو القلب، وعليه المفسرون، قال قتادة: سكنت إلىٰ ذكر الله واستانست به (تفسير الطبري ١٦/ ٤٣٢، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٢٦).

وقال الماوري (في النكت والعيون ٣/ ١١٠): «يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: بطاعة الله. الثاني: بثواب الله. الثالث: بوعد الله تعالىٰ لهم» وهذا الذي ذكره كله من لوازم ذكر الله.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٤٨، النكت والعيون ٣/ ١١٠.

(٣) في الأصل: الورق.

تغطي الدنيا كلها، ليس في الجنة منزل إلا وفيه غصن من أغصانها[١].

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ [فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ]﴾ أي: كما أعددنا النعمة لأهل الجنة في الجنة فكذلك أرسلناك نعمة إلىٰ أمتك بالرسالة ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يقولون: لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾ أي الرحمن ربي ومالكي الذي أعبده ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يستحق الألوهية إلا هو ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وثقت في أمري ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ مرجعي ومصيري[٢].

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ قيل: إن أهل مكة قالوا لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: إن كنت نبيًا فسل ربك أن يسيِّر جبالنا حتىٰ تتباعد عنَّا فلا تؤذينا بحرها وغمها، وإن لم يفعل ربك هذا فسله أن يُحيي به ميتًا من جملة موتانا حتىٰ يخبرنا أن ما جئت به حق، وليكنْ ذلك جبير بن عدي فإنه أصدق البرية عندنا، فنزلت الآية[٣].

ولو أنَّ كتابًا من كتب الله: قرآنًا، سُيِّرت به الجبال عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: قصرت بسببه المسافة البعيدة فيطوي به الطرق ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: أحيي به الموتىٰ حتىٰ تكلم، وهو متروك الجواب، ومعناه: لكان هذا الكتاب[٤].

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٢٦، وهو من تفسير الكلبي (تنوير المقباس ٢٠٨).

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٤٤٦.

(٣) الذي في تفسير مقاتل ٢/ ١٧٧ -وعنه الثعلبي في الكشف والبيان ١٥/ ٢٩٨- أنَّ أبا جهل قال: ابعث لنا قصي بن كلاب فإنه كان صدوقا.
وفي تفسير الطبري ١٦/ ٤٤٧ عن ابن عباس من طريق العوفي وابن جريج نحوه، وعن مجاهد وابن كثير المقرئ.

(٤) تفسير الطبري ١٦/ ٤٤٨، الكشف والبيان ١٥/ ٣٠٠.

وقال الزجاج: معناه: جوابه أنهم لم يؤمنوا[١].

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أي: الحكم كله لله إن شاء فعل ما سألتم، وإن شاء لم يفعل.

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أي: المؤمنون من إيمان هؤلاء أنهم لا يؤمنون[٢].

وقيل: أفلم ييأس الذين آمنوا أي: لم يعلم الذين آمنوا، واليأس بمعنىٰ العلم بلغة حي من نخع[٣].

قال الشاعر:

أَلَمْ يَيأَس الأقوامُ أنِّي أنَا ابنه   وإنْ كنت عن أرض العَشيرةِ نَائيا[٤]

المعنىٰ: ألم يعلموا.

﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ الهدىٰ لجميع خلقه لهداهم ﴿[لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا] وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بمحمد والقرآن ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ أي: عقوبة وعذاب وغارات بسراياك يا محمد ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ أنت يا محمد ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أي: بفنائهم بنفسك مع عسكرك ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ فتح مكة، وقيل: البعث[٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ أي: إنه وعد إظهار دينك علىٰ الأديان ولا يخلف وعده.

---

(١) معاني القرآن ٣/ ١٤٨.
(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٢٧، تفسير السمعاني ٣/ ٩٤.
(٣) وهو قول الكلبي، كما في معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٤، وتفسير الطبري ١٦/ ٤٥١، والكشف والبيان ١٥/ ٣٠٠.
(٤) البيت في تفسير الطبري ١٦/ ٤٥٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٤٩.
(٥) تفسير الطبري ١٦/ ٤٥٧.

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبۡلِكَ﴾ كما يستهزؤون بك ﴿ فَأَمۡلَيۡتُ﴾ أي: أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢﴾ أي: عقوبتي لهم.

﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ أي: قائم بتدبيره، وجزاؤه بما كسبت نفسه حافظ له قادر عليه، وجوابه محذوف معناه: كمن ليس بقائم على هذه الصفة[1].

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ من الأصنام ﴿قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ﴾ أي: صفوا أصنامكم إنهم فعلوا فعلة، أو خلقوا خلقة، أي خلق ذلك ﴿أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ﴾ أي: بما ليس ذلك، لأنكم تجعلون له شريكًا وليس له شريك، وهذا لا يوجِب نفي العلم عن الله تعالىٰ ولكن يوجب نفي المعلوم، كما يقول الرجل: لا أعلم لنفسي شريكًا في داري، هذا يوجب نفي الشركة لا نفي العلم، وحرف «أم» إذا لم يسبقه استفهام كان الميم فيه صلة، كقوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾.

﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ﴾ يعني: بل بباطل من القول، وهو ما يُلقىٰ[2] خلف الظهر ولا يعلم به من الكلام[3].

﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ﴾ أي: شركهم وسوء فعلهم ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ أي: خذلوا وصرفوا عن دين الله ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ ﴾ يخذله عن دينه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٣﴾ أي: مرشد إلىٰ دينه.

﴿لَّهُمۡ عَذَابٌ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ بالقتل يوم بدر ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ في النار ﴿أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم﴾ من عذاب الله ﴿ مِن وَاقٍ ٣٤﴾ أي: دافع[4].

---

(١) البسيط ١٢/ ٣٥٩.

(٢) في الأصل: يلتقي، وهو تصحيف فيما يظهر.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٥، البسيط ١٢/ ٣٦١.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٢٩.

﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: صفة الجنة ﴿ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الموحدون.

قال سيبويه: فيما أقص عليكم مثل الجنة[١]، وقيل: مثل الجنة التي وعد المتقون جنات[٢].

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: تحت أشجارها الأنهار ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ أيضًا دائم، لا شمس فيها ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ أي: آخر منزل المتقين هذه الجنة ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ علم التوراة، عبد الله بن سلام وأصحابه[٣] ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ وهم اليهود والنصارىٰ أنكروا بعث رسول الله، وصفة الإسلام ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ غيره كما أشركتم، إلىٰ الله أدعو الخلق ﴿[إِلَيْهِ أَدْعُوا] وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ أي: مرجعي في الآخرة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني القرآن من اللوح المحفوظ، ووجه التشبيه في الآية: أنه شبه إنزاله ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بإنزاله كتابًا بيِّنًا، إنعامًا ومِنّة.

وقوله ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أي: محكمًا بلغة العرب[٤].

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي: عملت بمرادهم ورجعت إلىٰ دين آبائك ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: البيان أن الحق معك: وهو الإسلام؛ والكعبة قبلة ﴿مَا لَكَ مِنَ﴾ عذاب ﴿ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ أي قريب ينفعك ﴿وَلَا وَاقٍ ٣٧﴾ يقيك من عذاب الله، خاطب رسول الله خطاب الأمة، والله أعلم.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٤٩.

(٢) فعلىٰ هذا هو من المتروك جوابه.

(٣) الكشف والبيان ١٥/ ٣١١.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٣٠.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾ مثل ما أعطيناك أو أكثر ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: الرسول لا يأتي بآية ولكن الله يأتي بها إذا شاء، وذلك أنهم سألوا رسول الله آيةً فنزلت الآية(١).

﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨﴾ أي: لكل كتاب أجل إذا كتب في اللوح المحفوظ.

﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ أن يمحوه ﴿وَيُثۡبِتُۖ﴾ ما يشاء أن يثبته.

قال الضحاك: يمحو الله ما يشاء من أيدي الحفظة، ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب(٢).

وقال سعيد بن جبير: يمحو الله ما يشاء من اللوح إلا السعادة والشقاوة والرزق والأجل(٣).

وقيل: يمحو الله أن ينسخ الله من القرآن ما يشاء ويثبِّت ناسخًا ما يشاء.

وقال الصادق: الكتاب الذي فيه سعادة وشقاوة لا يزاد فيه ولا ينقص، كقوله عز وجل: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾.

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ أي: اللوح المحفوظ.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ نخوِّفهم ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي: نُميتك قبل أن نعذبهم ولا نريك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾ أي: التبليغ وعلينا الحساب الجزاء.

---

(١) وهذا قول الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٢٣٠.

(٢) الكشف والبيان ١٥/ ٣١٦، منسوبا للضحاك وأبي صالح، وهو مروي عن ابن عباس (تفسير الطبري ١٦/ ٤٧٨).

(٣) الكشف والبيان ١٥/ ٣٢٠، وفي تفسير الطبري ١٦/ ٤٧٧ عن سعيد بن جبير من روايته عن ابن عباس.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: يعتبر أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا﴾ أي: نفتحها ﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ونواحيها أرضًا بعد أرض، عربية مرة، وفدك مرة، وخيبر مرة[١].

وقيل: ينقصها بموت علمائها وفقهائها، فلا يخاف أهل الأرض أن يصل النوبة إليهم[٢].

قال الحدادي رحمه الله تعالىٰ: ألا ترىٰ أيها الشيخ أن النقصان قد دخل في أطرافك، وظهر الوهن في أعضائك، أما تخاف أن تصل النوبة إلىٰ روحك.

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ أي: يقضي ولا مبدل لقضائه ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: قبل كفار مكة بأنبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي: إنفاذ المكر ورده بالله، وقيل: عقوبة مكرهم عند الله.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ برة أو فاجرة من خير أو شر ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ أي الجنة.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ يا محمد ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأني رسوله ولا شاهد أكبر منه ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ أي: كفىٰ شهادة من عنده علم الكتاب، التوراة والإنجيل.

وفيهما بعث رسول لله ومخرجه ومولده ومنشأه، وخاتمه، وهجرته، وأمته.

قيل: هو عبد الله بن سلام ويامين بن يامين[٣].

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٤٩٣، الكشف والبيان ١٥/ ٣٢٥.

(٢) وهو رواية عطاء عن ابن عباس ١٦/ ٤٩٧.

(٣) في الأصل مصحف، صورته: ويامنن ريامنن.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الرعد أُعطي من الأجر بوزن كل سحاب مضىٰ وكل سحاب يكون إلىٰ القيامة عشر حسنات، وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل»(١).

❁ ❁ ❁

وروىٰ الطبري ١٦/ ٥٠١ عن عبد الله بن سلام قال: فيَّ نزلت هذه الآية. فيحتمل أن تكون هذه الآية مدنية.

قال الواحدي (في البسيط ١٢/ ٣٨٩): وأنكر سعيد بن جبير أن يكون عبد الله بن سلام من هذه الجملة، لأن السورة مكية، وإسلامه كان بعد هذه السورة.

وأما يامين بن يامين فلا يعرف في الصحابة إلا من رواية الكلبي ومقاتل (تفسير مقاتل ١/ ١٠٩، الإصابة ٦/ ٥٠٢).

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٥/ ٢٠٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٧٩.

سورة إبراهيم عليه السلام

مكية، غير آيتين، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۝٣٠﴾ بالمدينة نزلتا[١]، وهي اثنتان وخمسون آية[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ معناه: أنا الله أرىٰ، كتاب أنزلناه: أي هذا الكتاب، وكتاب مرفوع لأنه خبر ابتداء محذوف، يعني: هذا[٣].

وقوله ﴿الر﴾ هي حروف، وليس للحروف إعراب، وإنَّما الإعراب للكلمات.

قوله: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أنزلنا جبريل به إليك ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ أي لتدعوا الناس ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ يعني الإيمان، سمىٰ الكفر ظلمة لأن الكافر يتحير فيه حتىٰ لا يرىٰ وجه الخروج، كمن بقي في ظلمة.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي بأمره ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾ يعني: إلىٰ دين الرب العزيز بالنقمة[٤] عمن لا يؤمن، المحمود في أفعاله.

---

(١) لم يستثن الثعلبي في الكشف والبيان ١٥/ ٣٤٩، واستثنىٰ الداني في البيان ١٧١، وابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٥٠٣، وذكرا أن الاستثناء في الآيتين مروي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة.

(٢) البيان للداني ١٧١. وفيه: في البصري خمسون آية، وآيتان في الكوفي، وأربع في المدني، وخمس في الشامي.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٥٣.

(٤) في الأصل: بالنعمة، وقد مر علىٰ الصواب.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ الذين لم يصدقوا الكتاب والرسول ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ ينزل بهم في الآخرة.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ أي: يختارون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ وزينتها ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ونعيمها، الباقية ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن دين الله ومتابعة رسوله ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يريدون بالإسلام زيغًا وطريقًا غير مستقيم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الصفة ﴿فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾ أي: خطأ بعيد عن الحق.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي: بلغتهم، وحّدَ للسان وأضافه إلىٰ القوم لأنَّ المراد به اللغة، واللغة اسم جنس(١).

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ الحلال والحرام ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ بخذلانه ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بحكمته ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ أي: عزيز لأن كل الخلق مفتقرون إليه أذلاء، حكيم في جميع أفعاله.

وتلخيص الآية: إنَّا أرسلنا الرسل للإنذار وليس لهم الهداية والإضلال ولكنها من الله عز وجل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع، ولام لقد للقسم ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ أي: قلنا له أخرج قومك ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: من الكفر إلىٰ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي: خوِّفهم بعقوبات الله لمن مضىٰ من الأمم ليحذروا، وقيل: أيام الله ما كان لهم من الشدة والرخاء حين كانوا في عبودة القبط مرة وفي رخاء من نعم الله أخرىٰ(٢).

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٥١٦، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٥٤.

(٢) الذي عليه عظم أهل التأويل أن المراد بأيام الله: نعم الله، وروي ذلك عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم من وجه لا يثبت (تفسير الطبري ١٦/ ٥٢٢).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الأيام ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٥﴾ أي: عبرات لكل من صبر علىٰ طاعة الله وشكر نعمته.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ بني إسرائيل ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ﴾ عبودة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: يكلفونكم، ثم بين ذلك فقال: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ صغارًا ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ أي: يتركون بناتكم للخدمة.

وقيل: ذكر الواو هاهنا وأسقطها في سورة البقرة ليعلم أنَّ ذبح الأبناء واستخدام النساء هاهنا فعل آخر غير ما يسومونهم[1] ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٦﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي: قال ربكم، وقيل: أمر ربكم، وقيل: أسمع ربكم العباد[2] ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي: إن شكرتم نعمتي بالرزق وصحة الجسم لأزيدنكم النعم ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ النعم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧﴾ لمن كفرها.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من سكانها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن إيمانكم ولا ينقص من ملكه شيء ﴿حَمِيدٌ ٨﴾ يقبل اليسير مع غناه.

وأما أهل المعاني والتفسير اللغوي فقالوا: المراد: خوفهم بأيام عاد وثمود وأشباههم بالعذاب (معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٨، البسيط ١٢/ ٤٠٤).

وليس قول أهل المعاني بمعارض لقول أهل التأويل، فإنَّ من ذكَّر بالنعم فقد عرض بالعقوبة، إلا أن ختم الآية يشهد لأهل التأويل، فإنَّ النعم علىٰ بني إسرائيل جاءت بعد صبر، وهي تحتاج لدوامها إلىٰ الشكر، فتأمل تجد أن أهل التأويل أدرىٰ وأعلم.

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٨، البسيط ١٢/ ٤٠٦.

(٢) البسيط ١٢/ ٤٠٧.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: خبرهم وهم قوم نوح كيف فعلنا ﴿وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من سائر الأمم ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لكثرة عددهم ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالأمر والنهي ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: وضعوا أصابعهم علىٰ أفواههم وقالوا للرسول: اسكت لا سكتَّ، وقيل: عضوا علىٰ أناملهم تغيظًا عليهم في دعائهم، وقيل: كناية عن التكذيب(١).

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ من التوحيد ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾ ظاهر الشك أي: شك مع شك ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أي: في توحيده شك، وهو ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ خالقهما، يدعوكم إلىٰ توحيده ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: ذنوبكم، و«مِن» صلة، كقوله ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: منتهىٰ آجالكم ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ آدمي شبهنا ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾ أي: تصرفونا ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ أي: حجة ظاهرة علىٰ دعواكم.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ مجيبين لهم ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ما نحن إلا آدميون كما زعمتم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ فيختاره للرسالة ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ بحجة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ أي: يثق الواثقون المصدِّقون.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: نثق بالله ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ أكرمنا بإرشادنا إلىٰ ديننا ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ من التكذيب ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٥٣٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٣٦، زاد المسير ٢/ ٥٠٥.

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾ فليثق الواثقون.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ الملة والطريقة والسيرة واحدة، يعني: إلاَّ أنْ تعودوا في ديننا ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ١٣﴾ الكافرين.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ﴾ أي: نُنزلنَّكم أرضهم وديارهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعد هلاكهم ﴿ذَلِكَ﴾ الثواب والإسكان ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي: قيامه بين يدي للمحاسبة ﴿وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾ بالنار.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ أي: انتصروا يعني الرسل من الله، وطلبوا الفتح ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ١٥﴾ أي: خسر عند الدعاء كل متكبر جبار معرض عن الإيمان.

الجبار: الذي عتا علىٰ الله، والعنيد: الجائر عن القصد(١).

قال الضحاك: نزلت في كلِّ كفار مكة حيث تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أوصلنا للرحم وأفكَّنا للعاني، وأقرانا للضيف، وأصدقنا، فاستجاب الله دعاءهم بنصر نبيه صلىٰ الله عليه وسلم(٢).

ثم قال ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ قال الضحاك: مِن وراء أبي جهل جهنم مع خيبته من الدعاء في الدنيا(٣).

---

(١) وهو معنىٰ ما روي عن السلف في ذلك، انظر: تفسير الطبري ١٦/ ٥٤٣، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٥٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٣٨، تفسير السمعاني ٣/ ١٠٩، معالم التنزيل ٤/ ٣٤٠.

(٢) وهذا يلزم منه أن الاستفتاح من الكافرين، وهو قول ابن زيد، ويشبه أن يكون شاذا، فإن عظم أهل التأويل علىٰ أن المستفتح هم الأنبياء والمؤمنون (تفسير الطبري ١٦/ ٥٤٦).

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٣٨.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦﴾ عصارة أهل النار منتنة الريح[(١)].

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ أي: ذلك الماء ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ ولا يقدر علىٰ ابتلاعه، ومالك خازن النار يضربه بالمقامع ويقول له: اشرب ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: غمُّ الموت وألمه من كل مكان من جسده، من أطراف شعره.

وقيل: من كل جهة عن يمينه وشماله وفوقه وتحته وقدامه وخلفه، فليست شعره ولا عضو ولا مفصل ولا جلد ولا عِرق إلاَّ وقد لزمه لون من العذاب، يجد فيه ألم الموت من تحت كل شعرة[(٢)].

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ في الحقيقة فيستريح من العذاب ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧﴾.

قال الضحاك: حية تفترسهم أعطىٰ حرها سبعين ضعفًا علىٰ حر النار، فلم يعذب بعذاب أشد منه.

وقال ابن عباس: يلقىٰ عليهم الجرب وأيديهم مغلولة، فتحك أبدانهم الحيات من النار، ويكون حرها أشد من حر جهنم[(٣)].

ويقال: تسلط عليهم كلاب وأُسد تمزقهم، فيأكل الأسد الواحد أربعمائة أمة، لا يعلم عددهم إلا الله.

وقيل: هو الجوع يسلَّط عليهم حتىٰ يأكلوا الضريع والزقوم، ويرسل عليهم سيولاً من نار علىٰ قدر كل يوم وليلة خمس مرات.

---

(١) الكشف والبيان ١٥/ ٣٦٤، معالم التنزيل ٤/ ٣٤١.

(٢) زاد المسير ٢/ ٥٠٨.

(٣) لم أجد قول الضحاك وابن عباس فيما بين يدي من مصادر، ولعله من منقولات الكلبي أو مقاتل.

أعاذنا الله من عذابه بواسع رحمته، وإن كنا نستأهله، ورزقنا من فضله نعيم بجنان وإن كنا لا نستوجبه.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: صفة الذين كفروا أن أعمالهم التي يتقربون إلىٰ الله عز وجل كرماد اشتدت به الريح، فمرت به الريح فطيَّرته ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ شديد الريح ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: بثواب شيء مما عملوا في الدنيا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الكفر والعمل ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ عن الحق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ لبيان الحق، وما خلقهما عبثًا ولا سدًا ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: يهلكهم في نفس وقدم واحد ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ أطوع منكم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي: لا يشق عليه إهلاككم وإبدالكم.

ثم ذكر الخلق عند البعث ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: خرجوا من قبورهم التابع والمتبوع ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ أي: السفلة والأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ أي: تكبروا عن الإيمان وتشرفوا في أنفسهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أطعناكم في الدنيا فيما أمرتمونا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ أي: حاملون عنَّا اليوم ﴿مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ﴾ أي: المتبوع لهم ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ﴾ لو رزقنا الله الهدىٰ لدعوناكم إليه ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ﴾ وعليكم ﴿أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ تضرعنا ألم لم نتضرع ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ أي: منجىٰ ومخلص.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: العذاب، وقيل: حين ينزل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ علىٰ ألسنة الرسل ﴿وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾

---

(١) الكشف والبيان ١٥/ ٣٧٠.

الصدق بالجنة والنار والبعث ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنها ليست بكائنة ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْۖ﴾ وكذبتكم وأجبتموني فيما دعوتكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ غلبة وقهر ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ ووسوستكم ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ﴾ بالطاعة وتركتم طاعة الله ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ بدعوتي إياكم ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ بإجابتكم إياي ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: مغيثكم ومنجيكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي: مغيثيَّ ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ﴾ أي: كفرت بشرككم، وقيل: تبرأت مما أشركتموني في الطاعة مع الله تعالىٰ في الدنيا وقديم الكلام، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم في الدنيا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ في الآخرة.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين فيها لا يبرحون منها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْۖ﴾ أمر ربهم ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي: تحييهم الملائكة بسلام عند تلاقيهم، ويخاطبوهم بالكرامة، ويرسل إليهم ربهم بسلام منه.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ أي: بيَّن الله مثلاً ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: وصف الله الكلمة الطيبة يعني دعوة الإسلام، وهو دين الله الذي جاء به الرسل، وأنزل الله به الكتب كقوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ﴾.

ومعنىٰ: كلمة طيبة: زاكية نامية، تثمر لصاحبها الخير الدائم في دار البقاء[1].

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: عروقها في الأرض ثابتة ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ أغصانها صاعدة، كذلك المعرفة ثابتة في قلب المؤمن وفروعها الشرائع والشهادة صاعدة مع عمله إلىٰ السماء ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾

---

(١) الكشف والبيان ١٥/ ٣٧٤.

أي: تعطي وتُخْرِج ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ قيل: ستة أشهر، وقيل: سنة، كذلك المؤمن يتكلم بتوحيد ربه ويعمل الخير أحيانًا ليلاً ونهارًا، وغدوًا وعشيًا[١].

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ أي: للمؤمنين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يتأملون في أمثال القرآن.

ثم ضرب مثل الكفر والكافر فقال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهي كلمة الشرك، فليس في الكلام شيء أخبث من الشرك ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهي الحنظلة[٢]، فكما أنها ليس في الأشجار شجرة أخبث من الحنظلة فكذلك ليست في النفوس نفس أخبث من نفس الكافر ولا كلمة أخبث من الشرك.

قال أبو سهل: هو عندي الفشاغ[٣]، لأن الحنظلة وإن كانت تقلبها الريح فإن لها أصلاً في الأرض، والفشاغ إذا ارتفع من الأرض ووجد خضرًا تعلق به، وانقطع من أصله فهو يطوف من شجرة إلىٰ شجرة، فذلك قوله: ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ اقْتُلِعَتْ واستؤصلت ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ تدور فوق الأرض.

وقوله: ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ أي: أُخِذَتْ جُثَّتُه بكمالها، كذلك الكافر ليس له كلمة أصل ولا قرار[٤].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٦٠.

(٢) وذلك في قول أكثر المفسرين، كم قال الطبري (في تفسيره ١٦/ ٥٨٣).

(٣) الفشاغ، ويقال له: الفشغة هو اللبلاب، يعلو الشجر ويعتلي عليه، وقالوا: هو قطنة في جوف القصبة، وقالوا: إنه نبات يلتوي عن الأشجار ويعلوها ويفسدها، وكل هذا من وصفه صحيح لأنها مراحل له (انظر: تاج العروس ٢٢/ ٥٥٢) ويسمىٰ هذا: الكَشُوث، أو الكَشُوثىٰ.
وهذا القول معروف في كتب التفسير، انظر: البسيط ١٢/ ٤٦٩، السمعاني في تفسيره ٣/ ١١٤، والبغوي في معالم التنزيل ٤/ ٣٤٩، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٥٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٥١٢.

(٤) نحوه في معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٦١، تفسير الطبري ١٦/ ٥٨٦.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على هذا ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إلىٰ أن يموتوا ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: يثبتهم عليها في القبر إذا ماتوا حتىٰ لو سئلوا عنها يجيبوا ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في القبر، أي: يخذلهم عن الإجابة ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ من التوفيق والخذلان، لأنَّ المؤمن إذا وضع في القبر يُسْأَل: من ربك، وما دينك، ومن نبيك، فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، فقد ثبَّته الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا[1].

وأما الكافر يُسْأل فيقول: لا أدري، فقد خذله الله عن الإجابة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ أي: غيَّروا نعمة الله بترك الشكر، وهم كفار مكة، أنعم الله عليهم بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم فلم يقبلوا ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ أي، منزل الهلاك، وهي بدر، أنزلهم ببدر وأهلكهم، وأُدْخِلُوا ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: يدخلونها بعد القتل ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ أي: المثوىٰ والمأوىٰ؛ النار.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: وصفوه بأشكال والشركاء ﴿لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: يصرفوا الناس عن دينه ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ أمر تهديد، أي: عيشوا في دنياكم وسرورها ﴿فَإِنَّ﴾ ـهُ يضمحل ﴿مَصِيرَكُمْ﴾ أي: مرجعكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: قل لأهل صفوتي من الموحدين يقيموا الصلاة ﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي: ليتصدقوا علىٰ الفقراء مما ملَّكناهم ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ لا فدية فيه، ولا ينفع أحدًا خلة أحد فيصرف العذاب عنه، وهذا في حق الكفار، وأما

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٥٨٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٤٢.

المؤمنون فتنفعهم الشفاعة والخُلة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ أوجدهما من عدم ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وهي المطر، قيل: من نفس السماء، وقيل: من نحو السماء، وقيل: من السحاب لأنَّ ما علاك فهو سماء ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ﴾ بالمطر ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ أي: ذلّله ﴿لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ۝٣٢﴾ ذلّل ماءً لكم يجري علىٰ أراضيكم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ﴾ يجريان علىٰ عادتهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣﴾ يجيئان ويذهبان ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾ أعطاكم ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ﴾ وما لم تسألوه فاكتفىٰ بذكر أحدهما عن الثاني ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ النعمة هاهنا بمعنىٰ النعم، أي: لا تقدرون إحصاءها ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ﴾ علىٰ نفسه بالمعصية ﴿كَفَّارٞ ۝٣٤﴾ بنعمة ربه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: الإنسان هاهنا الكافر لأنَّ المؤمن يشكر ربه[1].

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ يعني: مكة يأمن فيه الخائف، أي: مأمونًا ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ﴾ اعصمني وأولادي وإسماعيل وإسحاق ﴿أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥﴾ فهذا خليل الله يخاف علىٰ نفسه وأولاده فما بالنا لا نخاف.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ أي: ضلَّ كثير من خلق الله بسببهنَّ، وكل مَن ضل بسبب شيء فكأنَّ ذلك الشيء أضله، والأصنام لا تفعل ولا تعقل ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ في ديني ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾ وعلىٰ منهاجي وأنا منه ﴿وَمَنۡ عَصَانِي﴾ وخالف ديني ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣٦﴾ أي: متجاوز عمن تاب رحيم علىٰ من مات علىٰ التوبة.

---

(١) وهو من رواية الكلبي، انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٢٤٥. والآية عامة في كل الناس، لأن الغالب عليهم ذلك.

﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي: أنزلتهم وهو إسماعيل وهاجر ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ﴾ فيه ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ ولم يكن في ذلك الوقت بيت مبني، ولكن في عهد نوح فخرب ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أسكنتهم لإقامة الصلاة وإقامة دينك وطاعتك ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: قلوب الناس ﴿تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ وتريدهم وتشتاق إليهم، ولو لم يقل من الناس لازدحمت عليه الروم والتُرك، وأراد خواص الناس المخلصين ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: ارزق أهل مكة من الثمرات ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ نعماءك.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِى وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ أي: ما نُسرُّ ونُبْدي، وقيل: ما أخفي من وجدي بإسماعيل، وما أظهر من طاعتي لسارة ولم أجد بُدًّا من طاعتها[(١)].

ثم قال: ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىۡءٍ﴾ ذرة ولا أصغر منها ﴿فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلۡكِبَرِ﴾ أعطاني بعد الهرم ﴿إِسۡمَٰعِيلَ﴾ وبعده ﴿وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ ولد له إسحق وهو ابن تسعة وتسعين سنة، وسارة بنت ثمان وتسعين سنة[(٢)].

﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ لمن دعاه بالإخلاص.

---

(١) وهذا القول الثاني غريب، بل هو من الدخيل، وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس، كما في الدر المنثور ٥/ ٤٩، ولم يذكره ابن كثير، وفي نفسي من نسبته إلىٰ ابن أبي حاتم شيء، فإن هذا الخبر من رواية الكلبي ومقاتل، وعهدي بابن أبي حاتم يضرب صفحا عن روايتهما (انظر: تفسير مقاتل٢/ ١٩٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٤٦، الكشف والبيان ١٥/ ٤٠٤، زاد المسير ٢/ ٥١٦).

(٢) وهذه رواية الكلبي، كما في تفسير ابي الليث ٢/ ٢٤٦، وعنده عن الضحاك: ابن ١٢٠، وفي قول ابن جبير: بُشِّر بعد ١١٧ سنة (تفسير الطبري ١٧/ ٢٧).

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي مقيمي الصلاة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ اجعلهم كذلك ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠﴾ بالإجابة.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي﴾ ذنوبي ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ۝٤١﴾ وإنما دعا لأبويه لموعد جرىٰ بينهما، فلما تبين له موتهما علىٰ الشرك تبرأ منهما.

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ أي: لا تَظُنَّنَّ أنه يترك الظالمين هملاً لا يعاقبهم علىٰ ظلمهم، بل أعدَّ لهم العذاب يوم الحشر، فذلك قوله ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ﴾ أي: يؤخر عقوبتهم ليوم ﴿تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٤٢﴾ أي: لا تطرف أعينهم من هول ما يرون، وهؤلاء الظالمون في الآية هم كفار مكة، الذين آذوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكذَّبوه.

ثم قال: ﴿مُهۡطِعِينَ﴾ أي: مسرعين، الإهطاع الإسراع[1].

﴿مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ﴾ رافعي رؤوسهم، والمقنع: هو الرافع رأسه حتىٰ لصق قمحدوته بقفاه ﴿لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ﴾ أي: لا يرجع بصرهم من الهول ولا يغتمضون ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ۝٤٣﴾ نزعت من صدورهم، وارتفعت إلىٰ حلوقهم.

وقال الحسن: مواقع أفئدتهم خالية عن الفؤاد.

وقيل: أفئدتهم تتردد في أجوافهم، لا يستقر علىٰ مكان واحد.

وقيل: يبست قلوبهم لدىٰ الحناجر لا ترجع إلىٰ مكانها، كقوله تعالىٰ: ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ﴾[2].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٦٦.

(٢) ورجح ابن جرير أنها خالية من الخير (تفسير الطبري ١٧/ ٣٤).

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أي: خوِّفهم ﴿يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: كفروا ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ ارددنا إلى الدنيا كما كُنَّا فيها ﴿نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ﴾ إلى التوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾ أي: نؤمن بهم ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ﴾ في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤﴾ أي: انتقال من الدنيا ولا بعث لنا.

﴿وَسَكَنتُمۡ﴾ نزلتم ﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالشرك، مثل قوم نوح وهود ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ﴾ وعذبناهم ﴿وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥﴾ لتعتبروا بها.

﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ﴾ أي: صنعوا صنيعهم ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾ أي: جزاؤهم ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦﴾ فاللام الأولى لام تأكيد، واللام الأخيرة أصيلة ضُمت لفعل المضارع[1].

وقرئ: لِتزولَ، بكسر اللام الأولى وفتح الثانية، معناه: ما كان مكرهم أن تزول به الجبال، ووجه المعنى: أنه لا يبطل دين الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بمكرهم، لأنه ثابت كالجبال[2].

وقيل: إنَّ هذا في قصة نمرود لعنه الله، حين جلس في التابوت وعلق كل قائمة من التابوت على نسر عظيم مثل البخاتي، وعلق فوقه آدميًا أحمر، حتى ظنت النسور أنها لحم فطارت في الهواء، فرفعت التابوت إلى الهواء، حتى غاب شكل الأرض والجبال والبحار من عينه، ونظر إلى السماء، فإذا هي كما كانت، فرمى بالأديم إلى الأرض وانقلبت النسور إلى الأرض بالتابوت، فلما سمعت

---

(١) وهذا على قراءة: لَتزولُ، وهي قراءة الكسائي وحده، وقرأ الباقون كما أثبتُ (النشر ٢/ ٣٠٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٦٧، الدر المصون ٧/ ١٢٦.

الجبال حفيف النسور وحفيف التابوت كادت الجبال [تزول] عن أماكنها، لحلم الرب الكريم، وجرأة العبد اللعين اللئيم[(١)].

قال ابن عباس: التابوت يتجلجل[(٢)] في الأرض كل يوم قامة، واللعين الخبيث وقع من التابوت حيًا، ليريه الله العبر، حيث أراد قتال ربه، فسلَّط الله عليه أضعف خلقه، بعوضة عذَّبه بها أربعين يومًا ثم قتله الله بها، فذلك قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۝٤٦﴾.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ وهو نزول العذاب على الكفار، فأنت يا محمد أشرفهم كيف يخلف وعدك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤٧﴾ من أهل معصيته.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الانتقام منهم عند ذلك، وهو: أن تبدَّل هذه الأرض بأرض تمد كما يمد الأديم العكاظي، أرض بيضاء من فضة لها نور يتلألأ، وقيل: تبديلها أن تسوى الجبال والآكام[(٣)].

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ أي: تبدل السماوات أيضًا، وتذهب شمسها وقمرها ونجومها ﴿وَبَرَزُوا۟﴾ من قبورهم على تلك الأرض ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ أي: لمحاسبة الله تعالى الذي لا شريك له، القهار لكل أحد.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٧/ ٣٩ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بإسناد فيه نظر.

(٢) في الأصل: يتخلخل، وهو تصحيف، والتجلجل السوخ في الأرض (تاج العروس ٢٨/ ٢٢٣).

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٤٦، تفسير ابن ابي حاتم ١٦٦٢٨، تفسير السمعاني ٣/ ١٢٥، معالم التنزيل ٤/ ٣٦٢. والأديم العكاظي منسوب إلى عكاظ، وهو ما حمل إلى عكاظ فبيع فيها (تاج العروس ٢٠/ ٢٣٩).

﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٤٩﴾ القيود والأغلال.

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ﴾ قال ابن عباس: القطران الذي يطلىٰ به البعير أبلغ في الاشتعال[١].

وقرئ: «سرابيلهم من قطرٍ آنٍ»[٢]، علىٰ كلمتين، أي: قُمصهم من صُفر مُذاب يصب من فوق رؤوسهم فيلزق بأبدانهم، فيصير كالقميص لهم.

﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ أي: تعلوها وتحرقها.

﴿لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ﴾ من خير أو شر، واللام لام القسم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٥١﴾ إذا حاسب فحسابه سريع.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾ أي: عظة وعبرة ودلائل، يعني القرآن ﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي: يتيقنوا ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ لا شريك له ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٢﴾ أي: ليتعظ من مواعظ القرآن ذوي اللُّب والحجىٰ، وهم المؤمنون من جملة الناس.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعب أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة إبراهيم أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عَبَدَ الأصنام، وبعدد من لم يعبدها»[٣].

---

(١) وهو رواية الكلبي، وقد ذكره أبو الليث عن عكرمة ٢/ ٢٤٩. وروىٰ ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس أنه قال: النحاس المذاب، زاد في رواية: آن لهم أن يعذبوا به (١٧/ ٥٥).

(٢) وهي شاذة نسبت لبعض الصحابة، كعلي وأبي هريرة وابن عباس والحسن من التابعين، انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٥٥، الكشاف ٢/ ٥٦٧، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٧٧٥، الدر المصون ٧/ ١٣٣.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٥/ ٣٥١، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٨٠.

سورة الحجر

مكية، وهي تسع وتسعون آية(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ تلك كناية إلى السورة، أي: هذه السورة آيات الكتاب، يعني: التوراة والإنجيل قبل نزول القرآن ﴿وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١﴾ أي: آيات قرآن مبين، أي: بيِّن بتحقيق ما في الكتب كلها مِن وحدانية الله تعالى، وذِكر البعث والجنة والنار.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾ قالت طائفة: هذا الوداد عند المعاينة، حين عاين الكافر الموت، يود أن لو كان مسلمًا.

وقيل: إذا رأوا المؤمنين يدخلون الجنة تمنوا أن لو كانوا مسلمين.

وقيل: إذا رأوا أفزاع القيامة(٢).

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ ذلك إذا خرج العصاة من النار وبقي الكفار تمنوا أن لو كانوا مسلمين(٣).

﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ اتركهم في باطلهم ليأكلوا من نعيم الدنيا، وينتفعوا بالأموال والأولاد والنساء ﴿وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُ﴾ أي: ينسيهم طول الأمل

---

(١) الكشف والبيان ١٥/ ٤٢٥، البيان في عد آي القرآن ١٧٣، زاد المسير ٢/ ٥٢٢.

(٢) لخص الأقوال الواردة في ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٥٢٢.

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ١٧/ ٦١ عن أبي موسى وابن عباس وأنس، موقوفا عليهم، واستوعب الحافظ ابن كثير في التفسير ٤/ ٥٢٥ الطرق المرفوعة، فذكر أربعة أحاديث.

من الاستعداد للموت ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ ما يصيرون إليه من عذاب الله، وهذا وعيد من الله لهم.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤﴾ أي: لأَجلها كتاب معلوم لا يسبقها الهلاك ولا يتأخر.

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ طرفة عين ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ مثله.

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ وذلك أنَّ أهل مكة مثل الوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وغيرهما قالوا بأعلىٰ صوتهما -حين صلَّىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في دار الندوة، وقرأ القرآن بأعلىٰ صوته-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ بزعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ إذ تأمرنا بترك عبادة اللات والعُزىٰ[1].

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾ هلاَّ تأتينا ﴿بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ شهداء ليخبرونا بأنك نبي مرسل ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧﴾ في دعواك.

قال الله تعالىٰ ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: ما تَنزل الملائكة علىٰ قوم إلا لهلاكهم، ولو نزل الملائكة ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾[2] أي: مؤجلين طرفة عين.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ أي: القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ عن الشياطين، حتىٰ لا يزيدوا ولا ينقصوا، وقيل: جعلنا معجزًا لا يقدر الخلق علىٰ مثله، والزيادة فيه والنقصان عنه.

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ١٩٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٥١.

(٢) فصل بين الواو وما بـ: نزل.

وقيل: هي كناية عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، أي: إنَّا له حافظون حتىٰ نؤديها إلىٰ الأمة[١].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾ أي: أرسلنا في فرق الأولين رسلاً كما أرسلناك في الآخرين رسولاً.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾ كما استهزأ بك قومك.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ أي: ندخل الكفر والتكذيب ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢﴾ من كفار مكة، الذين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ أي: مضت طريقة الماضين بتكذيب الرسل، وأهلكنا آباءهم بالعذاب.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا﴾ علىٰ كفار مكة ﴿بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤﴾ أي: ظلت الملائكة يصعدون إلىٰ السماء وهم ينظرون.

﴿لَقَالُوٓا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ بالسحر ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ مخدوعون.

وقوله: سُكِّرتْ: قال بعضهم: أخذ من سَكْر النهر[٢]، أي: شدُّهُ وحبْسُه، أي: حبست عن النظر.

وعند البعض: هو من السُّكر، وهو دوران العين وغشيانها، ما يمنع من النظر[٣].

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٦٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٥١.

(٢) في الأصل: النهىٰ، وهو تصحيف. انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٢٥٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٧٥، البسيط ١٢/ ٥٥٨.

﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ البروج: ظهرٌ منزله ممتنعٌ بارتفاعه وتحصنه، وأصله: الظهور[١].

والبروج: هو أماكن الشمس والقمر والنجوم تجري فيها.

﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦﴾ إليها والمعتبرين بها.

والبروج اثنا عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت[٢].

﴿وَحَفِظۡنَٰهَا﴾ يعني السماء بالكواكب ﴿مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧﴾ مرجوم باللعن والطرد، لئلا يستمعوا إلىٰ الوحي ولا يصلوا إلىٰ عجائب الله.

﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ﴾ اختطف قليلاً من كلام الملائكة ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨﴾ لحقه كوكب مُضيء وهو الثاقب.

قال أبو عبيدة: إلا هاهنا في موضع الواو، معناه: ومن استرق السمع[٣].

وقال ابن عباس: الكوكب في مكانه لا يزول، ولكن له شهب نار تتأجج تتبع الشيطان حتىٰ تحرقه[٤].

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ بسطناها مِن تحت الكعبة مسيرة خمسمائة عام ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: خلقنا في الأرض الجبال الثوابت ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩﴾ من الذهب والفضة والحديد والرصاص، تخرج من المعادن، ومنها ما يكال أيضًا، ولكن اكتفىٰ بذكر أحدهما.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل ٢/ ٢٠٠.

(٢) الكشف والبيان ١٩/ ٤٥٣.

(٣) لم أجده في المجاز، وقد يكون من قول أبي عبيد لا من قول أبي عبيدة، فالله أعلم، وانظر: التبيان ٢/ ٧٧٨، الدر المصون ٧/ ١٥٠، فقد ذكر خمسة أوجه ليس منها ما ذكره المصنف.

(٤) وهو من رواية الكلبي.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ مما تعيشون به من النبات ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠﴾ فيعيش به من لم تقدروا علىٰ ترزيقه من البهائم التي لا ترزقونها، وعبيدكم ودوابكم، فالعقلاء إذا اختلطت بغير العقلاء عبر بعبارة العقلاء، لأنَّ كلمة «ما» توضع موضع «من»، و«من» توضع موضع كلمة «ما»، كقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، وقال: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٖ﴾.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ أي: ما من شيء من الرزق إلاَّ مفاتحه بأيدينا وقدرتنا ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعْلُومٖ ٢١﴾ وأراد المطر، ينزله الله بقدر معلوم ووزن معلوم معدود، مع كل قطرة ملك يضعها موضعها.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ أي: ذات لقاح تلقح السحاب، وقيل: جمع لاقحة يحمل السحاب، واللاقح الحامل، يعني السحاب حاملة بالرياح[1].

﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ أي: جعلنا لكم سقيا ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾ أي: مالكين للمطر، لا تملكون خزائنه ومفاتحه.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله ذنوبه-: بلغنا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خلق الله الماء في الريح فتفرغه الريح في السحاب، فتُمرىٰ السحاب كما تُمرىٰ الناقة، فتدر بإذن الله، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤﴾[2].

قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ قال الضحاك: نحيي للبعث ونميت في

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٥٣.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ١٧/ ٨٦ من طريق قيس بن السكن عن ابن مسعود، وفي بعض ألفاظه: ثم تمريه فتدر كما تدر اللقحة. ومري الناقة: مسح ضرعها لتدر، (تاج العروس ٣٩/ ٥٢٢).

الدنيا[١] ﴿وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٢٣﴾ الأرض ومن عليها.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ٢٤﴾ قيل: آدم ومن بعده، وقيل: الصف الأول في الصلاة والصف الآخر، وقيل: القرون الماضية وأمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم[٢].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ﴾ المتقدم والمتأخر ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ بالجزاء علىٰ الأعمال ﴿عَلِيمٌ ٢٥﴾ بمقدار ما يستوجبون من الثواب.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ وهو الطين اليابس، الذي يسمع له عند النقير صلصلة، أي: صوت.

وقيل: هو الخزف الذي يصلصل، والحمأ جمع حمأة، وهو الطين المتغير المنتن الذي يصرف إلىٰ السواد[٣].

والمسنون المتغير المنتن أيضًا، كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ﴾ أي: لم يتغير[٤].

وكان آدم صلوات الله عليه ترابًا، فعجن التراب بالماء فصار طينًا، ومضىٰ زمان علىٰ الطين فصار حمأً مسنونًا، ثم صورَّه فتُرِكَ حتىٰ صار صلصالاً وفخارًا، فمكث كذلك أربعين سنة، ثم نفخ فيه الروح بعد أربعين سنة فصار بشرًا[٥].

﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ﴾ وهو أب الجن أي: من قبل آدم ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ وهي نار صافية، ليس لها دخان، قيل: هي نار بين سماء الدنيا وبين

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٥٤.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٨٩.

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٩٥.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٧٩، البسيط ١٢/ ٥٩١.

(٥) البسيط ١٢/ ٥٩٢.

الحجاب، وهي التي يكون منها الصواعق.

قال ابن عباس: السماء موج مكفوف ودونها حجاب، والنار تكون بين السماء وبين الحجاب، والشمس والقمر والنجوم في ذلك الموج، يدور بها الفلك[١].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي: من طين ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أي: سويت خلقه في الكمال ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ أي: أدخلت فيه روحًا من أرواحي، والأرواح كلها لله عز وجل وصار بشرًا.

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: خرُّوا له على وجوهكم خاضعين.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ توكيد بعد توكيد، يعني الملائكة الذين كانوا سكان الأرض ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ﴾ أي: إلا الذي صار إبليس بإبائه عن السجود ﴿أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: لم يرد أن يكون مع الخاضعين لآدم وإبليس؛ لم يكن من جملة الملائكة، ولكنه من الجن، قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ فهذا استثناء ليس من المذكور، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ ومعناه، ولكن: إبليس أبى[٢].

و﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ معناه: أيُّ شيء لك ينتفع في امتناعك عن سجوده.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ وفيه ثلاث عيوب: الظلمة والسواد والنتن.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من صورة الملائكة، وقيل: من

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٢٠٨٨، الكشف والبيان ٢٦/ ١٩، ٢٧/ ٩٩، الدر المنثور ١/ ١٠٩.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٧٩.

الأرض، وقيل: من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ ملعون مرجوم.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ ثم النار أبد الآبدين.

﴿قَالَ﴾ إبليس ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾ أجِّلني ولا تُمِتْني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وأراد أن لا يموت بنفخة الصعق، فأجابه الله: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ المؤجلين.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ نفخة الصعق فتموت مع من يموت من الملائكة.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أي: بإغوائك إياي وإضلالك، وهذا حلف من اللعين، وقيل: كما خيبتني من رحمتك ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أزيِّن لهم الشهوات واللذات ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ أُضلنهم عن الهدىٰ جميعًا.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ المعصومين فإنه لا سبيل لي عليهم.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ يعني: الدين الإسلام وبيانه، والهداية إليه، وقيل: هذا تهديد إلىٰ ممركم ومرجعكم.

وقرئ: «صراطٌ عليٌّ مستقيمٌ»، يعني: رفيع شريف[1].

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ أي: خواص عبادي ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ حجة ومقدرة علىٰ أن تغويهم ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ أي: أطاعك ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ وسلك طريقك، فإن لك عليهم سبيل بالوسوسة.

ثم ذكر مكان من أطاعه فقال: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: موعد الشيطان ومن اتبعه من الكفار ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ أي: لجهنم سبعة أطباق،

---

(١) وهي قراءة يعقوب وحده (النشر ٢/ ٣٠١).

وسبع دركات أسفل من طبق، يقتسمون الدركات بقدر ما اجترحوا من السيئات، كما يقتسم أهل الجنة الدرجات بالطاعات.

﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: لكل دركة من أهل النار ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي: نصيب من الناس معلوم.

قال معاذ: هي سبع دركات؛ المنافقون واليهود والمشركون في الدرك الأسفل من النار، وهي الهاوية، والنصارىٰ في الدركة التي تليها، وهي الجحيم، والمجوس في الدركة الثالثة، وهي سقر، والصابئون في الدركة الرابعة، وهي الحُطمة، والذين آثروا طاعة المخلوقين علىٰ طاعة الله، وكانت هيبتهم من الملوك أشد من هيبتهم من الله تعالىٰ، الدركة الخامسة، وهي السعير، والفراعنة في الدركة السادسة، وهي لظىٰ، ومن أوبقته الذنوب من أهل التوحيد، الذين يخرجون من النار بعد تعذيبهم، الدركة السابعة وهي أعلا الدركات واسمها جهنم[1].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ أي: الذين يتقون الشرك في جنات وأنهار جارية.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: قيل لهم ادخلوا الجنة مع سلامة من الآفات آمنين من الموت.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أي: ينزع ما في قلوبهم من غش وخيانة، الذي كانوا عليها في الدنيا، فصاروا متحابين ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ متزاورين، وقيل في التفسير: لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: في الجنة تعب ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أبدًا.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٥٧، البسيط ١٢/ ٦١٠، علىٰ خلاف في ذكر الدركات.

﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ﴾ أهل صفوتي ﴿أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ المتجاوز المتحنن على التائبين.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ لمن لا يتوب ﴿هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ قيل: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ بكت الصحابة أيامًا، حتى نزل قوله تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ لمن اعترف، وعذابي أليم على من اقترف(١).

﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ جبريل ومن معه من الملائكة ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ على زي البشر ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ سلمنا سلامًا، نصب على المصدر، فأجابهم: عليكم السلام، قوم منكرون، ثم ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: خائفون، وذلك حين لم يأكلوا من طعامه.

﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ﴾ أي: لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ أي: بولادة غلام ﴿عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾﴾ في صِغره حليم في كبره.

﴿قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ وقد بلغت في حال أيست فيه من الولد ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ بالصدق أم بالمزاح.

﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ لا بالمزاح ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الآيسين.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ الذين لا يعرفون حقيقة قدرته.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ الخطب: الأمر والشأن، أي: هل لكم شأن غير بشارتي ﴿قَالُوٓاْ﴾ نعم ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ إلى قوم لوط

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ١١١، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٥٨.

لنهلكهم، قال إبراهيم: إن فيها لوطًا ابن أخي وابنتيه، فأجابوا وقالوا ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ ابنتاه زعوثا وريثا[١]، وامرأة له أخرىٰ غير الغابرة في الهلاك ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩﴾ من العذاب ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ واعلة[٢] ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾ الباقين في الهلاك.

ثم خرجوا من عند إبراهيم ودخلوا علىٰ لوط، فذلك[٣] قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١﴾ ولم يعرفهم لوط ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢﴾ لا تشبهون السفر ولستم من أهل البلد.

﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٦٣﴾ يشكون وهو العذاب ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالخبر الصدق وهو العذاب الكائن ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٦٤﴾ إنَّ العذاب نازل بهم.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: آخر الليل، وقيل بعد مضي هزيع من الليل، ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ أي: سر أنت خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ حين سمعتم الوجبة ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝٦٥﴾ أي: حيث أمركم الله، يعني إلىٰ الحرم عن الضحاك، وإلىٰ الشام عن مقاتل[٤]، وإلىٰ صُعر[٥] عن الكلبي، وهي قرية من

---

(١) تصحف اسم الابنتين في الأصل إلىٰ: رعونا ورثنا.
وفي تفسير مقاتل ٢/ ١٢٦: ريثا وزعوثا، ولأنه صدر عنه فقد صححته علىٰ ما هو عند مقاتل.
وفي تفسير الطبري (ط هجر: ١٢/ ٤٩٦): الكبرىٰ ريثا، والصغرىٰ زغرتا. وفي الكشف والبيان (١٤/ ٤١٨) وتفسير أبي الليث ٢/ ٢٥٩: زعورا وريثا.

(٢) وقيل: واعلة زوجة نوح وواهلة زوجة لوط (الكشف والبيان ٢٧/ ٥٨).

(٣) في الأصل: فلذلك.

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٢٠٧.

(٥) هكذا بالعين المهملة، ومثله في تنوير المقباس ٢١٩. وهو تصحيف فيما يظهر، الصواب بالغين المعجمة: ففي بعض المصادر: صُغَر بالغين المعجمة، وبعضها: زُغَر (الكشف والبيان ١٥/ ٤٨١، تفسير السمعاني ٣/ ١٤٥، معالم التنزيل ٤/ ٣٨٦، زاد المسير ٢/ ٥٣٧).

قُرياته لم يستعملوا الفاحشة.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: أوحينا إلىٰ لوط بالعذاب النازل ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ ودابر كل شيء أصله، وقيل: دابرهم أي آخرهم، وعقب الرجل دابره ﴿مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ منصوب علىٰ الحال، أي: نهلكهم إلىٰ آخرهم حين أصبحوا.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يفرحون بعملهم القبيح وبأضياف لوط.

﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾ أضيافي ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ بالتعرض لهم، والفضيحة: ظهور السيئة الذي يلزم بها العار.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اخشوه ﴿وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾ أي: لا تخجلون.

﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ من الغرباء ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾ أي: بنات أمتي ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ فتزوجوا بهنَّ وقد تقدم تفسيره.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: بحياتك يا محمد ومدة بقائك: إنهم لفي جهالتهم يترددون ويتحيرون، أقسم الله تعالىٰ بعمر رسوله، وهذه رتبة ومنزلة لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا يبلغها أحد من خلق الله تعالىٰ[1].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ عند طلوع الشمس،

والذي في معجم البلدان ٣/ ٤١١: صُغَر، وقال: هي: زغر، وقال في زُغَر ٣/ ١٤٣: قرية بمشارف الشام، وقيل: اسم ابنت لوط نزلت بهذه القرية فسميت باسمها.

(١) عن ابن عباس قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم علىٰ الله من محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، انظر: تفسير الطبري ١٧/ ١١٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٦٠، البسيط ١٢/ ٦٣٢.

وهو نصب على الحال أي: في تلك الحالة[١].

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي: عالي البنيان أسفل، فما كان في أعلاه صيَّره في أسفله، وما كان أسفل البنيان صار أعلاه ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ أي: على مسافرتهم، ومن شذَّ منهم في البلاد، وقد تقدم تفسير السجيل في سورة هود[٢].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما صنع بهم ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبرات ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ المعتبرين.

﴿وَإِنَّهَا﴾ يعني قُريات لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ أي: يمر عليها أهل مكة إذا سافروا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ وهم قوم شعيب، والأيكة: الشجرة، وقيل الغيضة، لظالمين: أي كافرين.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أهلكناهم بالعذاب ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي: قُريات لوط وأماكن قوم شعيب ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ لبطريق واضح، وقيل: مكتوب في اللوح المحفوظ ما فعل بهما[٣].

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ يعني به قوم صالح، والحجر: موضع بوادي القرى[٤]، كذبوا صالحًا وسائر الأنبياء ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ علاماتنا

---

(١) الدر المصون ٧/ ١٧٦.

(٢) سورة هود آية ٨٢.

(٣) والأول هو المعروف عند أهل التأويل (تفسير الطبري ١٧/ ١٢٣). قال الزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٨٦: والإمام اسم لما يؤتم به فسمي الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لأنها مما يؤتم به.

(٤) في الأصل: قرى.

علىٰ الوحدانية، وقد آتاهم الناقة في زمن صالح ﴿فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٨١﴾ بالجحود بها.

﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ﴾ أي: ينقبون فيها ﴿بُيُوتًا﴾ ومخادع ﴿ءَامِنِينَ ٨٢﴾ أي: تسقط عليهم، وقيل: آمنين من الموت بزعمهم.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ بالعذاب ﴿مُصۡبِحِينَ ٨٣﴾ أي: عند الصبح.

﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾ أي: لم يغن عنهم ولم ينفعهم من العذاب الذي نزل بهم ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤﴾ من الكفر والتكذيب، وقيل: ما يكسبون من الأموال والبنيان في الجبال.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ من الشمس والقمر والنجوم وغيرها ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ أي: لسان الحق وإلزام الحجة علىٰ الخلق ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ﴾ كائنة للجزاء ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ أي: أَعرِض عنهم وتجاوز عنهم بلا شتم ولا ضرب، ولكن تجاوزًا حسنًا جميلاً، نسختها آية السيف.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾ بخلقه من يؤمن ومن لا يؤمن قوله ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ أي: سبع آيات من المثاني، أي: مَا يثنَّىٰ في الصلاة، وهي فاتحة الكتاب.

وقيل: السبع الطوال أولها البقرة، ثم ما بعدها إلىٰ السبع.

وقيل: هي جميع القرآن سُمِّيت مثاني لأنه يثنَّىٰ فيها الأخبار والأمثال والحكم[1].

---

(١) وأولىٰ الأقوال بالصواب عند ابن جرير (في تفسيره ١٧/ ١٣٧) أنها أم الكتاب لأجل الحديث الذي رواه البخاري (٤٤٧٤) (٤٧٠٤) عن أبي سعيد بن المعلىٰ وأبي هريرة: أم القرآن هي السبع المثاني.

ثم قال ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ أي: الشريف العظيم قدره.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تنظرن بعين الرغبة ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾ أي: أعطينا ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ مثلاً في النعم، يعني: لا تنظرن إلىٰ ما أعطيناه للكفار من الأموال فما أعطيناك خير مما أعطيناهم ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: علىٰ كفار قومك إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ لَيِّن جانبك وأحسن خلقك مع ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾.

﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٩﴾ الرسول المخوف ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠﴾ أي: أخوفكم من العذاب كما أنزلنا عليهم، هم قوم اقتسموا أعقاب مكة، وهم ستة عشر رجلاً، علىٰ كل عَقَبة أربعة رجال، حتىٰ إذا جاء أحد يريد الإسلام منعوهن ويقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم: هو شاعر، وبعضهم يقول: كذاب ومجنون، فأنزل الله علىٰ كل رجل نوع عذاب فأهلكه[1].

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ أي: عضوه[2] كما تعضىٰ الجزور.

أي[3]: في فرقوا فيه القول ولم يجتمعوا علىٰ شيء[4]، لأن بعضهم قال: هو سحر، وبعضهم قالوا: أساطير الأولين، وبعضهم قالوا: شعر.

وأصل عضين: عِضة، وجمعه عضين، كما يقال: عزة وجمعها عزين، وثبة وجمعها ثبين، في محل الكسر، وقيل: يراد به السحر، لأنَّ العاضه في كلام العرب الساحر، وقيل للساحرة: العاضهة، والعضيهة: البهتان العظيم[5].

والسحر: العضه بالهاء.

---

(١) البسيط ١٢/ ٦٥٨.

(٢) أي فرقوه، معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٢.

(٣) في الأصل: عضا الجزور أن في قوافيهم القول.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٦٢.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٨٦، البسيط ١٢/ ٦٦٣.

وكان خمسة من المقتسمين: رؤساؤهم: الوليد بن المغيرة في بطن مكة، يقول: هو ساحر، وعقبة بن أبي معيط في عَقبة يقول: هو مجنون، والعاص بن وائل في عَقبة أخرىٰ يقول: هو كاهن، والأسود بن عبد يغوث في عقبة أخرىٰ: يقول هو شاعر، والأسود بن حنظلة علىٰ عَقبة أخرىٰ يقول: هو كذاب، قال الله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ يعني: هؤلاء الخمسة والذين اتبعوهم وأطاعوهم ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ ويقولون علىٰ رسول الله الكذب، ويعرضون عن قول لا إله إلا الله.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أظهِر أمرك بمكة يا محمد، وافرق بين الحق والباطل، وامض علىٰ ما أُمِرْت من تبليغ الرسالة، فلما بلَّغ الرسالة واستقبله كفار مكة بالأذىٰ والتكذيب قال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾ إعراض الإهانة.

﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ أي رفعنا عنك مؤنتهم وأذاهم يا محمد.

أما الوليد بن المغيرة مرَّ علىٰ نبَّال فتعلق سهم بردائه فأراد يقصه فأصاب عرقًا في عقبه فجعل ينزف منه الدم حتىٰ مات، والعاص بن وائل نزل عن ناقته للبول في بعض الأودية فلدغته الحية فانتفخ حتىٰ مات، والأسود بن عبد يغوث قعد تحت شجرة فجاء ملك فجعل يضرب رأسه علىٰ الشجرة حتىٰ تناثر الدماغ من أنفه، وهو يستغيث من عبده، وعبده يقول: ما أرىٰ أحدًا، فعلىٰ من أنصرك؟ حتىٰ قتله الله كذلك، والأسود بن حنظلة أصابه السموم فاسود لونه فهرب إلىٰ منزله عطشًا، فلما بلغ باب داره رأوا إلىٰ سواد وجهه فأنكروه، ولم يفتحوا له الباب، فمات عطشًا، وعقبة بن أبي معيط قتله الله يوم بدر بالسيف، وكان ذلك في يوم واحد، إلا هلاك عقبة، وكلٌّ يقول: قتلني رب محمد(١).

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ١٥٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٦٣، البسيط ١٢/ ٦٧٣.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٩٦﴾ حين ينزل بهم العذاب ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧﴾ ويؤذونك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ بأمر ربك ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾ المصلين ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ﴾ أطِعْهُ ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ وهو الموت، فإنَّ عند الموت يُعايَنُ الخبر[1] اليقين.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الحجر أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم»[2].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل: الخير.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٥/ ٤٢٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٨١.

سورة النحل

مكية بعضها، مدنية بعضها[(١)]، وهي مائة وعشرون وثمان آيات[(٢)].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ أي: دنا أمر الله بعذاب أهل مكة، والأمر: هو العذاب، كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا﴾ وصالحًا وشعيبًا[(٣)].

وقيل: دنا قيام الساعة، وكانوا يستبطئون العذاب وقيام الساعة، فأخبرهم الله أنه بمنزلة ما قد أتىٰ، فلا تستعجلوا في طلبه.

وقيل: أتىٰ أمر الله بالنُصرة والفتح لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم[(٤)].

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ أي: تنزيهًا له وبراءة عن السوء، وهو الاستعجال، من صفات العاجز والخائف ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ أن: يقال له شريك في المُلك.

---

(١) فصل الداني (في البيان ١٧٥)، وابن الجوزي (في زاد المسير ٢/ ٥٤٨) المكي من المدني منها، والحاصل أن الجمهور علىٰ أنها مكية إلا آيات بعينها، قيل ثلاث وقيل خمس وقيل سبع، إلا جابر بن زيد فإنه قال: أربعون آية من أولها مكي والباقي مدني. وكذا قال قتادة، ونقل الداني عن ابن عباس أنها نزلت بين مكة والمدينة، واختار الثعلبي أنها مكية إلا من قوله ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ إلىٰ آخر السورة (الكشف والبيان ١٦/ ٨).

(٢) لا خلاف في عددها (البيان ١٧٥).

(٣) كذا قال، يريد أنها ثلاث آيات.

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ١٦٢، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٦٥، زاد المسير ٢/ ٥٤٩، ورجح ابن جرير أنه تهديد من الله ووعيد للكافرين بقرب العذاب منهم والهلاك.

﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ أي: الوحي من اللوح المحفوظ إلىٰ إسرافيل، ومن إسرافيل إلىٰ جبريل، ومن جبريل إلىٰ الرسل[1]، فذلك قوله: ﴿[مِنۡ أَمۡرِهِۦ] عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾.

قال مجاهد: الروح خلق ليسوا من الملائكة، ولا تراهم الملائكة، والروح النفس الهادئة، أي يحيا بها البدن.

وقيل: بالروح أي بالنبوة[2].

﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ﴾ مَن لم يجبكم بالتوحيد ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ وحدوني وأطيعوني في جميع ما آمركم به.

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ ولم يخلقها باطلاً ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣﴾ مع غيره.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ﴾ قيل: أراد به أبي بن خلف المكذِّب بالبعث ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ [مُّبِينٞ] ۝٤﴾ جدل بالباطل، وذلك أنه أخذ عظمًا باليًا وقال: من يحيي هذا، وقيل: هو في عامة الكفار[3].

ثم ذكر نعمه علىٰ خلقه فقال ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ﴾ أي: لمتاعكم،

---

(١) ذكر إسرافيل قول غريب.

(٢) قد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ستة أقوال في الروح، ليس منها هذا ٢/ ٥٥٠.
والمروي عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح: لا ينزل ملك إلا معه روح (تفسير مجاهد ٤٢٠، تفسير الطبري ١٧/ ١٦٦).
وقال السمعاني: مجاهد عن ابن عباس: أن الروح خلق من خلق الله تعالىٰ علىٰ صور بني آدم، وليسوا بالملائكة، لا ينزل الله ملكا إلا ومعه روح، والقول الثاني: أن الروح هو الوحي؛ لأنه تقع به حياة القلوب، كالروح تقع بها حياة الأبدان، وقيل: إنها النبوة، وقيل: إنها الرحمة

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٦٦.

والأنعام نصب على أنه مفعول بفعل مؤخر وهو الخلق.

﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي: يدفئكم من الحر والبرد ﴿وَمَنَافِعُ﴾ في أوبارها وأصوافها وجلودها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ من لحومها ما قد أباح لكم أكلها.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي: في الأنعام جمال مفخر ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ من الرعي إلى منازلكم بالمساء ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ أي: ترسلونها إلى الرعي أول النهار.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ قيل: أبدانكم، وقيل: أمتعتكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ من البلدان.

قال عكرمة: إلى مكة[١].

﴿لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ لو تكلفتم بلوغه ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ أي: بجهدها في المشقة والتعب ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ بهذه النعم وغيرها.

وقيل: لا تختص بهذه الآية مكة، لأنَّ السورة نزلت بمكة وهم فيها، فلا يحتاجون إلى الأنعام لأجل مكة[٢].

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ أي: خلقها لتركبوها ﴿وَزِينَةً﴾ أي: خلقها منظرًا حسنًا لكم، لأنَّ الراكب أزين من الماشي ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ أي: ما لم يسمه لكم من سائر الخلق.

وقال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى خلق أرضًا بيضاء، مثل الدنيا ثلاثين مرة، مشحونة خلقًا، لا يعلمون أن الله تعالى يعصى في الأرض، قالوا: يا رسول الله، أهم من ولد آدم؟ قال: هم لا يعلمون أن الله تعالى

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير ١٧/ ١٧٠. وهو من قبيل التفسير بالمثال.

(٢) البسيط ١٣/ ١٧.

خلق آدم، قالوا: يا رسول الله، فأين إبليس عنهم؟ قال: لا يعلمون أن الله تعالىٰ خلق إبليس، ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾»[١].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: هداية من اهتدىٰ.

وقيل: علىٰ الله تبين الطريق المستقيم إليه بالحجج والبراهين.

﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ أي: من السبيل ما هو مائل إلىٰ الأديان المختلفة ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وهو المطر ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ينبت منه وكذلك الكلأ ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠﴾ ترعون فيه أنعامكم، والنبت يسمىٰ شجرًا.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿ٱلزَّرْعَ﴾ الحنطة وسائر الحبوب ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ﴾ أي: الكرم ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ينبت الله بالماء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في خلق الأرض والمطر والأشجار ﴿لَأيَةً﴾ أي: عبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ في توحيد الله وعجائبه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ﴾ أي: جعلهن جاريات بأمره إلىٰ أوقاتها.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢﴾ عن الله أمره.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلق فيها ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ أجناسه، نصب علىٰ الحال[٢]، يعني: من بين أبيض وأحمر وأخضر وأصفر ﴿إِنَّ فِى

---

(١) وهو من تفسير الكلبي، ذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٢٦٧. ولمقاتل عن ابن عباس رواية أخرىٰ، ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ١٦/ ٢٤، وكلا الحديثين باطلان.

(٢) التبيان ٢/ ٧٩١.

﴿ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣﴾ يتعظون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ لكم حتىٰ ركبتم ظهوره، مع أهواله وأمواجه ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو ما صِيد من السمك ولَفَظَه البحر ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ أي: يلبسها نساؤكم ويتحلين به من اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ يعني السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ جولتين علىٰ وجه الماء مُقبلة ومُدبرة، والمَخر: الشق، وهو أن تشقَّ السفن الماء بحاجبها، ويقال للسابح: ماخر، لأنه يشق الماء(١).

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: يطلبوا من رزق الله عز وجل بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٤﴾ نَعماء الله تعالىٰ.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ يعني الجبال الثوابت خلقها في الأرض ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: كراهة أن تميد بكم، وقيل: منعها أن تميد بكم، وقيل: أن لا تدور بكم.

والميد: الميل(٢).

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ أي: جعل في الأرض أنهارًا سائلة ﴿وَسُبُلًا﴾ أي: بيَّن فيها طرقًا في السهل والجبل ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥﴾ أي: تعرفون الطرق في أسفاركم إلىٰ مقاصدكم.

وقوله ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ قيل: هو الجبال علامات النهار، والنجوم علامات الليل حتىٰ ﴿[وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ] يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ في الطرق البعيدة بالجبال، وفي البر والبحر بالنجوم، وهو: الفرقدان والشعرىٰ وبنات النَّعش والجَدي، الذي لا

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٩٣، البسيط ١٣/ ٣٢.

(٢) البسيط ١٣/ ٣٤.

يزول عن مكانه، يهتدي به المسافر[١].

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ يعني: من يخلق هذه الأشياء التي وصفها كمن لا يخلق شيئًا، لا أرضًا ولا سماءً ولا برًا ولا بحرًا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ أفلا تتعظون بما تسمعون فتعبدوا من تجب عبادته.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ معناه: إن تريدوا أن تحصوا نِعَم الله عليكم من الأسماع والأبصار وسائر النعم لا تقدروا علىٰ إحصائها، وقيل: لا تحصوها لا تقدروا علىٰ شكرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ متجاوز بتأخير العذاب، رحيم بكم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ أي تضمرون ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ تُظْهِرُون.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: تعبدون من دون الله وهي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: يُنحتون، وقيل: هم مخلَّقون.

﴿أَمْوَٰتٌ﴾ لا روح فيها ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ تأكيد للكلام بإعادة[٢] المعنىٰ بغير اللفظ الأول، كقوله: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾.

وقول المفسرين: أموات لا روح فيها مجاز، لأن الحي لا يكون حيًا بالروح فالروح[٣] في نفسه حي ولا روح فيه، والله عز وجل حي بلا روح، ومعناه: أنه جماد لا يتكلم ولا يعقل ولا يعلم البعث ووقته، والله تعالىٰ مقيم الساعة في لمح البصر، فكيف يكون ذلك العاجز شريكًا لهذا القادر، وهو معنىٰ قوله ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ متىٰ يحشرون مِن قبورهم[٤].

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٦٨.

(٢) في الأصل: بادعائه.

(٣) في الأصل: في الروح، وهو تصحيف.

(٤) يعني الأصنام، وهو المعنىٰ الذي لم يذكر غيره ابن جرير (تفسير الطبري ١٧/ ١٨٨).

وقيل: أراد به المشركين لأنَّ منهم من أنكر البعث، ومنهم من أقرَّ به ولا يعلم وقته ويستعجل به، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾.

والحيُّ: من حييٰ بالعلم، والميت من مات بالجهل، وسمَّىٰ الكفار موتىٰ لجهلهم بأنفسهم وربهم(١).

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ يا أهل مكة ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ وحدانية الله تعالىٰ ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ عن الإيمان.

﴿لَا جَرَمَ﴾ في معنىٰ القسم، أي: معناه حقًا، وقيل: «لا» رد لقولهم(٢)، وجرم: أي وجب، وقيل: لاشك أنه حق(٣).

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: ما يسرون من عداوة رسوله وما يعلنون له من الشتم والأذىٰ.

وقال الشيخ أبو سهل: يعني جرم أي: كسب، يعني لا كسب إثمًا من ادَّعىٰ أن الله واحد يعلم ما يسرون وما يعلنون(٤).

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ عن التوحيد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ وأراد به المقتسمين، كانوا يقولون: ما يقوله محمد أساطير الأولين؛ أباطيلهم وكتبهم.

---

(١) البسيط ١٣/ ٣٩.

(٢) في الأصل: لقومهم. وفي معاني الزجاج: رد لفعلهم.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٩٤، البسيط ١٣/ ٤٠. وقد سبق الكلام عليه في سورة هود آية:٢٢.

(٤) ولا يخفىٰ ما فيه.

﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: يستوجبوا عقوبة أنفسهم ﴿وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ يعني: أوزار من كفر بقولهم بغير علم كان لهم ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ ألا بئس ما يحملون، «ألا» بمعنىٰ: اعلم.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ذنوبه-: بلغنا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «أيُّما داع دعا إلىٰ الهدىٰ فاتُّبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيُّما داع دعا إلىٰ الضلال فاتُّبع فله مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1].

﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: من قبل كفار مكة.

قال مقاتل: هو نمرود[2] بن كنعان الذي بنىٰ الصرح ببابل، طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وخمسون ذراعًا، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع ليتناول -بزعمه لعنه الله- إله السماء[3].

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ أي: خرب الله الصرح من الأساس، لأنَّه أتاه جبريل في صورة شيخ فقال لنمرود: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أصعد إلىٰ السماء فأغلب عليها كما غلبتُ علىٰ الأرض، فقال جبريل: أتدري كم بينك وبين السماء؟ قال: كم؟ قال: هو مسيرة خمسمائة عام، وغلظها كذلك، ثم التي تليها كذلك، وغلظها كذلك إلىٰ السابع، فأبىٰ أن يترك البناء

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (٢٦٧٤) من حديث عن أبي هريرة، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال: «من دعا إلىٰ هدىٰ، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلىٰ ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا».

(٢) يجوز فيه إهمال الدال وإعجامها، كما في شرح القاموس ٩/ ٢٤٠. وفي الأصل يرد هكذا وهكذا.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٢١٨.

وهو يزيده، فصاح جبريل صيحة طار بها رأس الصرح إلىٰ البحر، ووقعت البقية عليهم، وقد قطعه الله من وجه الأساس[١].

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦﴾ لأنهم كانوا آمنين من خراب الصرح.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ أي: يعذبهم ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ أي: يخالفون أنبيائكم لقبلهم، وقيل: يحاربونني بسببهم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم الملائكة وقيل الأنبياء.

﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٧﴾ يعني: العذاب والشدة لهم.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بقبض أرواحهم ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ نصب علىٰ الحال، وسقوط النون للإضافة، وظلمهم: شركهم بربهم ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ يعني: استسلموا للملائكة انقيادًا ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ يعني: يقولون كنَّا من أهل التوحيد ولم نكن من المشركين، فيرد عليهم الملائكة ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨﴾ من الشرك، وهاهنا انقطع الكلام.

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ أي: يقول لهم خزنة النار ادخلوا دركات النار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾ عن توحيد الله تعالىٰ.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ يعني: أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم كانوا علىٰ شعاب مكة لمعارضة المقتسمين، إذا قيل لهم: ماذا أنزل ربكم علىٰ محمد ﴿قَالُوا۟ خَيْرًا﴾ يعني: أنزل كتابًا يأمر فيه بالخير، وينهىٰ عن الشر[٢].

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٢١٩.

(٢) وهذا علىٰ رواية الكلبي أن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم أرسل أصحابه إلىٰ أعقاب مكة ردا علىٰ المقتسمين الذين اقتسموا أعقاب مكة لتنفير الناس عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ولا سيما أيام المواسم (تفسير أبي الليث ٢/ ٢٧٢، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٠٠).

انتصب قوله: «خيرًا» في جواب هذا السؤال، وارتفع قوله: «أساطير الأولين»(١).

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ وحَّدوا ربهم ﴿فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: جنة جزاؤهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أي: الجنة خير مما أعطى المشركين في الدنيا ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ الموحدين الجنة.

ثم وصف دار المتقين فقال ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي: دار الإقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي: يتمنون ويشتهون ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: مثل هذا يثبِّت الله المتقين الموحدين.

ثم نعتهم فقال ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يقبضون أرواحهم ﴿طَيِّبِينَ﴾ أي: طاهرين عن الشرك، نصب على الحال، وهو حال المتوفَّى(٢).

وقيل: طيبين مِن طابت أبدانهم وأرواحهم بملازمة الخدمة وترك الشهوات.

﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾ أي: يقول لهم القهارمة من الملائكة والحفظة عند أبواب الجنة: سلام عليكم على وجه الدعاء، أي: السلامة والسعادة عليكم، وسلمكم الله من الآفات وسلام عليكم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ثم يمشون بين أيديهم إلى منازلهم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: ما ينتظرون هؤلاء الكفرة في كفرهم إلا إتيان الملائكة لقبض أرواحهم: ملك الموت وأعوانه ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ

---

(١) أي في جواب سؤال الكافرين، وقال الزمخشري في الكشاف ٢/ ٦٠٣: نصب هذا ورفع الأول فصلا بين جواب المقر والجاحد (انظر: الدر المصون ٧/ ٢١٤).

(٢) الدر المصون ٧/ ٢١٦.

رَبِّكَۚ﴾ وهو عذاب يوم بدر، أو غيره من الخسف والقذف والغرق ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ تربصوا في ريبهم كما يتربصون فأهلكهم الله ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لعقوبته إياهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣﴾ بالشرك.

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ أي: عقوبات ما اكتسبوا ﴿وَحَاقَ بِهِم [مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ] ٣٤﴾ نزل ودار بهم ووجب عليهم عقوبة استهزائهم برسلهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا نعبد غيره ﴿مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ مثل البحيرة والسائبة وغيرهما، ولكنه شاء وأمرنا به، لم يفرقوا بين الأمر والمشيئة لجهلهم.

وقيل: إنما قالوا ذلك استهزاءً.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ تكذيبًا ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾.

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ لام لقد للقسم، أي: أرسلنا إلىٰ كل أمة رسولاً ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: أمرهم بتوحيد الله ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ اتركوا عبادة الأوثان والكُهان ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إلىٰ دينه ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ بما في كتب اللوح المحفوظ ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: سافروا ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ واعتبروا ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ حتىٰ تعلموا كيف أبادهم الله بكفرهم، وكيف صنعوا وما صنع بهم.

ثم عزىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾ أي: علىٰ إسلام عمك أبي طالب.

والحرص: هو تنازع النفس علىٰ ميل المراد، وقيل: طلب الشيء بالجهد[1].

---

(١) البسيط ١٣/ ٥٦، تفسير السمعاني ٣/ ١٧٢.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ أي: من كتبه الله شقيًا ضالاً لا يهديه أبدًا.

وقرئ: «لا يُهدَىٰ من يُضل» بضم الياء من يهدَىٰ وفتح الدال، وبضم الياء من يضل وكسر الضاد، ومعناه: من أضله الله فلا هادي له ولا يهديه أحد.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ ومن حلف بالله فقد جهد في يمينه، وكان حلفهم أن قالوا: ﴿لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ أي: لا يحييهم بعد الموت، فردَّ الله عليهم كلامهم بقوله: ﴿بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ أي: وعد الله، وذلك وعدًا صدقًا، وأوجب علىٰ نفسه البعث للجزاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ أنهم مبعوثون.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ أي: يبعثُهم لا محالة ليعرِّفهم ﴿ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من الدين ويشكون في البعث ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بعد الموت ﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩﴾ فيما يزعمون أنهم لا يبعثون.

﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ مرة واحدة ﴿فَيَكُونُ ٤٠﴾ أي: فهو يكون، فلهذا رفع، وقد ينصب النون لأنه جواب الأمر بالفاء[1].

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في طاعة الله ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ أي: أُوذوا وعُذِّبُوا بمكة، وهم أسرىٰ أهل مكة، ستة نفر: بلال بن أبي رباح المؤذن، مولىٰ أبي بكر، وعمار بن ياسر، مولىٰ أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وصهيب بن سنان الرومي، مولىٰ عبد الله بن جدعان، وخبَّاب بن الأرتِّ، مولىٰ ثابت بن

---

(١) قرأ ابن عامر بنصب النون من يكون، وقرأ الباقون بالرفع (النشر ٢/ ٢٢٠).
فعلىٰ قراءة الرفع -وهي قراءة الجمهور- تم الكلام علىٰ: كن، فيقف، ثم يستأنف ويقرأ: فيكونُ، وعلىٰ قراءة ابن عامر لا وقف (تفسير ابن جرير ١٧/ ٢٠٥).

أنمار الزهري، وعابس وجبير[١] مولىٰ قريش، كانت قريش وجملة أهل مكة يعذبونهم ليرجعوا عن الإسلام، فثبتوا علىٰ دينهم، وصبروا علىٰ البلاء، وهربوا وهاجروا، فنزلت الآية فيهم، والآية مدنية[٢].

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: لنوفقنّهم علىٰ العمل الصالح والنصر علىٰ العدو، ومن قرأ: «لنثوينهم» معناه: لننزلنهم المدينة[٣].

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي: ثواب الآخرة أكثر وأفضل ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ علىٰ طاعة الله وأذىٰ الكفار ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ نزلت في أبي جهل وأصحابه لعنهم الله، إذ قالوا: هلا بعث الله إلينا ملكًا رسولاً، فأنزل الله الآية.

يعني: ما أرسلنا قبلك إلا مثلك رجالاً يوحىٰ إليهم، آدميًا ولم يكن ملكًا ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ يعني أهل التوراة يا أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ التي أتت بها الأنبياء ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فيما تأتيهم به.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: أشركوا بالله ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خسف بقُريَّات لوط وقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا

---

(١) في الأصل: عائش وجبر، وهو تصحيف، وعلىٰ الصواب في تفسير أبي الليث ٢/ ٢٧٥، وتفسير مقاتل ٢/ ٢٢٣.

(٢) من هنا إلىٰ آخر السورة مدني علىٰ قول قتادة وجابر بن زيد كما أسلفنا.

والآية عامة في كل من هاجر من أهل مكة مظلوما، وما ذكر من الأسماء فهو من قبيل المثال لا الحصر (تفسير الطبري ١٧/ ٢٠٦).

(٣) وهي قراءة شاذة، ذكرها في المحتسب ٢/ ٩، ونسبها لعلي.

يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فجأة ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾ بالبحار في البلاد والأسفار ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ فائتين حينئذ من العذاب ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ أي: تنقُّص وخوف أنْ يهلك بلدة بعد بلدة، أو قرية بعد قرية، فيخوف الباقين بالهلاك، والتخوف في اللغة: التنقص.

كما قال الشاعر:

تخوَّف السيرُ[1] منها تَامِكًا قَرِدًا   كما تخوَّفَ عودَ النَّبعةِ السَّفَنُ[2]

معناه: ينقص السير من الناقة سنامها، وكان متلبدًا سمينًا، كما ينقص العود النبعة، وهو شجر صلب، والسَّفَن: من آلات النجارين ينحت به.

يروىٰ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أدري ما التخوف حتىٰ سمعت هذا البيت[3].

وقيل لرجل من العرب: ما فعلت بدينك؟ قال: قد تخوفته، أي: نقصته.

ومعنىٰ الآية: أنه إذا أخذ قومًا بالعذاب أو الجوع أو الخوف يَخاف به من يليه، فربما تضرعوا إلىٰ الله وتابوا وآمنوا خوفًا من ذلك، فإن لم يفعلوا أهلكهم الله فكان أخذًا علىٰ تخوف.

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ حين رخص بالتوبة للمذنبين.

---

(١) في الأصل: السفن، وهو تصحيف.

(٢) البيت مختلف في نسبته، قيل لابن مقبل وقيل لزهير وقيل لأبي كبير الهذلي، انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٢١٣، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٠٢، الكشف والبيان ١٦/ ٥١، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ٦/ ٤٠٠٥، البسيط ١٣/ ٧١، الكشاف ٢/ ٦٠٨، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١١٠، اللسان ٩/ ١٠١ (تخوف).

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٢١٤.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: لم يعتبروا ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ من الأشياء من الشجر والطير والجبال والوحش ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ أي: تنقلب ظلاله يمنة ويسرة في مشرقها ومغربها ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ وسجودها لله: صلواتها ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: خاضعون ذليلون صاغرون مجبورون[١].

قال الحسن: أما ظلك فيسجد لله، وأما أنت فلا تسجد، فبئس ما صنعت.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: الخلق الذي يدب علىٰ وجه الأرض، عمومٌ أريد به الخصوص ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أيضًا يسجدون ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ عن السجود له.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ قاهرًا عليهم، غالبًا علىٰ أمرهم، بائنًا من مخلوقاته ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ لا يعصون الله طرفة عين.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكر اثنين تأكيدًا، أي: لا تتخذوا اثنين إلـٰهين، لأنَّ الذي يدخل تحت العدد فليس بإلـٰه، والله تعالىٰ واحد لا من جهة العدد، لأنَّ الواحد لا يدخل في جملة العدد، بل هو منقطع عن العدد، والأعداد وإن كانت تبتدِئ من الواحد ولكن الواحد منفرد عن الأعداد، لأنَّ الواحد ليس بعدد في نفسه حتىٰ يصير اثنين، والعدد لا يكون عددًا حتىٰ يكون الواحد معه، فإذا تكرر الواحد خرج عن حد الوحدانية.

والدليل المحسوس أنَّ الواحد منفرد عن العدد أنَّك لو ضربت الواحد في عدد حوسب العدد ولا يحاسب الواحد، فالواحد إذا ضرب في الواحد فهو واحد، وإذا ضرب في اثنين كان اثنين، وفي الثلاث ثلاث، والواحد في العشرة عشرة، فكلما ضربته في العدد انفرد عن العدد، والعدد في العدد بخلافه، فالاثنين

---

(١) الكشف والبيان ١٦/ ٥٥.

في الاثنين أربعة، والثلاث في الثلاث تسعة، فيحاسب العددان، فتأمل فيه فإنه جيد، كي لا تظن وحدانية الله من العدد.

﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٥١﴾ أي: خافون ولا تخافوا غيري.

﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ له الإسلام والتوحيد دائمًا، وقيل: له الطاعة، وإن كان فيه الوصب؛ رضي به العبد أو لم يرض[1] ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾ أي: تخشون وتعبدون.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أعطاكم من صحة جسم وسعة في الرزق وكثرة المال والولد كلها من الله ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ والشدة في البر والبحر ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ تصيحون، رافعًا بها صوتكم بالاستغاثة.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾ أي: رفع عنكم الضر والشدة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٥٤﴾ الأصنام.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ لام الصيرورة العاقبة[2]، يعني: ليكفروا بما أعطينا من الصحة والجسم ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ أيها الكفرة، حوَّل الكلام من المغايبة إلىٰ المخاطبة، ومعناه: قل لهم فتمتعوا في دنياكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٥٥﴾ ما نزل لكم من العذاب.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا﴾ أي: مشاركة ﴿مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الحرث

---

(١) والواصب: الدائم الثابت في قول كل المفسرين (تفسير الطبري ١٧/ ٢٢١، البسيط ١٣/ ٨٤).

(٢) وتحتمل أن تكون لام كي، ويكون المعنىٰ: أنهم أشركوا بالله غيره ليجحدوا نعمته فاللام بيان عما هو بمنزلة العلة التي يقع لأجلها الشرك، وهؤلاء أشركوا بالعبادة ليكفروا النعمة (البسيط ١٣/ ٨٨).

والأنعام يعني للأصنام ﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦﴾ يعني: عن افترائكم على الله، تسألون سؤال توبيخ وتقرير لإكرام الحجة.

﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ﴾ أي: يصفون له البنات بزعمهم وهم الملائكة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له ﴿وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧﴾ يعني البنين، كقوله ﴿أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩﴾.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ﴾ أي: صار وجهه ﴿مُسۡوَدّٗا﴾ متغيرًا من حاله ﴿وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨﴾ يتردد الحزن في قلبه وهو يكتمه.

﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ﴾ يستخفي من أهل ملته ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ أي: من حزن ما أخبر به، يؤامر نفسه ويشاورها ﴿أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ أي: يحفظ ما بُشِّر به على هوان ومشقة، وهو استعمالها في الاحتطاب واسترعاء الأنعام(١).

﴿أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ﴾ أي: يدفنه حيًا ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩﴾ أي: يقضون، الذكر لأنفسهم ولله الأنثى.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ المثل هو الصفة، والمثل السوء: أي جزاء السور وهو النار ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ أي: الصفة العليا، وهو قوله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ ولا مثل له.

وقيل: لهم مثل السوء أي جزاء السوء(٢)، ولله المثل الأعلى(٣): كلمة لا إله إلا الله(٤).

---

(١) البسيط ١٣/ ٩٤.

(٢) مثله في تفسير السمعاني ٣/ ١٨١.

(٣) في الأصل: العليا.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٧٨.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ۝٦٠﴾ حكم أنَّ له المثل الأعلىٰ، ولهم المثل السوء.

﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم﴾ النَّاس: من تقدم ذكره، أي: لو يؤاخذهم بشركهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا﴾ أي: علىٰ وجه الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ لأنَّه إذا أخذهم بظلمهم لم يمهلهم إلىٰ منتهىٰ آجالهم، وإنما دخلت الأرض في هذه الكناية لأن الدابة لا تدب إلا علىٰ وجه الأرض.

وقيل: ذكر الناس عامة وأراد به ظلم جميع الناس، وفيه إشارة أنَّ الناس لهم ظلمة، فيحتمل أنَّ المراد منه أنَّ الظالم إذا ظلم وأعلن بظلمه وسكت عنه من رآه صار شريكًا له في الظلم، وعوقب لأجله، وإلىٰ هذا أشار أبو بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «ألا وإن الناس إذا رأوا ظالمًا فلم يأخذوا علىٰ يديه أو رأوا منكرًا فلم يغيروه عنهم أعمهم الله بعقاب»[١].

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ﴾ انقضاء آجالهم ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٦١﴾ قبل الأجل.

﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾ أي: يصفون لله البنات ويكرهون ذلك لأنفسهم ﴿وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾ أي: يقولون بألسنتِهم الكذبَ.

وقرئ: «ألسنتهم الكُذُبُ» بضم الكاف والذال والباء، وهو صفة الألسنة، كما يقال صبور وصُبُر، ورسول ورُسُل[٢].

﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ يقولون كذبًا أنَّ لهم الحسنىٰ أي: الجنة إن كانت كائنة؛

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥٣ بإسناد صحيح، ورواه أبو داود ٤٣٣٨، والترمذي ٢١٦٨ .

(٢) أي: أنه جمع، وهذه قراءة شاذة، ذكرها الزمخشري في الكشاف ٢/ ٦١٤، وأبو البقاء في التبيان ٢/ ٧٩٩، ونسبها السمين في الدر المصون ٧/ ٢٤٧ لمعاذ.

والذكور من الولد في الدنيا ﴿لَا جَرَمَ [أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ]﴾ قسم بمعنىٰ حقًا، أي: حقًا لهم النار ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ مَتروكون منسيون في النار، وقيل: مُعجَّلون إلىٰ النار(١).

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما أرسلناك إلىٰ هذه الأمة ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: قُبح أعمالهم ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: قرينهم في الدنيا يتولىٰ إضلالهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة.

بيَّن الله تعالىٰ أن كُفر هؤلاء القوم ليس ببدع، ولكن يتبعون سنن الكفار من قبل، ولكلا الفريقين عذاب أليم.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ﴾ أي: لم ننزل عليك القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ يعني لكفار مكة ﴿ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ به.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني مطرًا ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ يعني شقَّها فأحياها بالنبات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المطر والنبات ﴿لَءَايَةً﴾ أي: عبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ يفهمون مواعظه.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ إن اعتبرتم، وطريق العبرة: أنَّا ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ ولم يقل: «مما في بطونها» لأنه كناية إلىٰ النعم، معناه: لكم في الأنعام نِعمًا نسقيكم مما في بطونه، كقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يعني منها حجرًا، ولأنَّ اللبن يكون من البعض لا الكل(٢).

---

(١) وهذا المعنىٰ علىٰ قراءة الفتح في الراء، وعلىٰ قراءة نافع بكسر الراء، فالمعنىٰ: أفرطوا في القول والمعصية (معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٠٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٧٩).

(٢) اختلف النحويون في العلة التي من أجلها ذكر الكناية، انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠٨، تفسير الطبري ١٧/ ٢٣٧، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٠٨، البسيط ١٣/ ١٠٨.

﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ انظروا إلىٰ قدرته، حيث خلصت اللبن من الفرث والدم، ونسقيكم من عجائب قدرتي فيه؛ أنه لم يغير بين الفرث طيب الشراب، ولم يغير حمرة الدم بياض اللبن، ثم قال: لبنًا خالصًا من الفرث والدم سائغًا للشاربين.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ رزقناكم ﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾ ولم يقل منها، ولا منهما، ومعناه: أعطاكم من ثمار الكروم والنخيل ما تتخذون منه سكرًا، قيل: هو الخمر، ونزلت الآية قبل تحريمها بمكة[١].

وقيل: هو النبيذ والعصير.

والرزق الحسن: الزبيب، قيل: الثمار والخل والدبس[٢].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ [لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ] ٦٧﴾ لأني لو تركتها نيًا صار مرًا، طبختها بنار القيظ فصار حلوًا.

﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ الوحي: علىٰ وجوه.

الوحي: الإشارة، كقوله تعالىٰ في قصة زكريا: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾، أي: أشار.

والوحي: التسخير أيضًا، كقوله تعالىٰ في صفة الأرض: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ أي: سخرها، وأشار إليها بالتسخير.

والوحي: هو إلقاء مراد في نفس الحيوان، كوحي النحل وغيرها، وهو قوله: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ أي: ألهمها وألقىٰ في نفسها حتىٰ تمر علىٰ ما طبع عليها.

---

(١) وهو قول ابن عباس رواه ابن جرير في التفسير ١٧/ ٢٤١.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٢٤١، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٨٠، زاد المسير ٢/ ٥٦٨.

ووحي الله إلىٰ الأنبياء كأنه إشارة إلىٰ الرسل بواسطة جبريل(١).

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ مسكنًا ظاهرًا لوضع العسل ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ أي: اتخذي من أجواف الشجر مسكنًا ظاهرًا أيضًا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨﴾ أي: ما يُهيئ لك بنو آدم، ويبني لك من الكُوارات(٢)، أشار إلىٰ هذه الأشياء الثلاثة: الحجر والشجر والعريش؛ لأنها أطهر للعسل وأبقىٰ، لأنَّ التراب يفسده.

وأمرها باتخاذ المسكن قبل الأكل إشارة إلىٰ بني آدم أنْ يطلب لصدقته قبل أدائه موضعًا طاهرًا كيلا تفسد عليه صدقته(٣).

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ من الأنوار والثمار ما يصلح لك ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ ادخلي في طرق الله التي سهلها لك في الجبال، وفي خلل الأشجار مذللة للآدميين(٤).

ذللاً: نصب علىٰ الحال(٥).

ثم رجع من خطاب النحل إلىٰ الحكاية فقال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر وذلك أفضلها ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: في الشراب شفاء لبعض الناس لا كلهم، لأنَّ صاحب البلغم ينفعه،

---

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر ٦٢١، بصائر ذوي التمييز ٥/ ١٧٧.

(٢) كُوارة النحل شيء يتخذ من القضبان والطين وهو ضيق الرأس تعسِّل فيه (تاج العروس ١٤/ ٧٧).

(٣) وهذا من التفسير الإشاري، وهو بعيد الشبه.

(٤) وعلىٰ قول مجاهد فالتذليل للنحل، أي: ذلل الله لها السبل، فلا يتوعر عليها مكان سلكته (تفسير الطبري ١٧/ ٢٤٩)، وانظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠٩.

(٥) التبيان ٢/ ٨٠٢، الدر المصون ٧/ ٢٦٢، وهو إما حال من السبل، أو حال من اسلكي، ولواحد منه ذلول.

ولكن صاحب الصفراء يضره، كقوله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعني به رسول الله وحده.

وقيل: معناه في القرآن شفاء للناس[١].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ في أمر الله.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ في بطون أمهاتكم أطوارًا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ إلىٰ الهرم ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ﴾ أي: لا يعقل بعد عقله شيئًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ علىٰ تحويلهم من حال إلىٰ حال.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ أي: فضَّل المالك علىٰ المملوك في الرزق، أي: في المال والخدم ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي: لا يردُّ المولىٰ علىٰ ما ملكت يمينه مما رُزق حتىٰ يكون المالك والمملوك سواء، وهذا مثل ضربه الله عز وجل؛ لأنَّ المالك لا يجعل مملوكه في ملكه سواء، فكيف تقولون: إنَّ الأصنام شركاء الله عز وجل في الربوبية[٢].

﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ تجوِّزون من الله ما لا تجوِّزون من أنفسكم.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: من جنسكم نساءً لمنافعكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ من نسائكم ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ ولدًا وولد الولد، وقيل: هم الخدم[٣].

---

(١) القولان مشهوران، انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٢٤٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٨١ ورجح الطبري أن عود الضمير علىٰ العسل.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٢٥٢، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٨٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٠٢.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ اللذيذات ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ يعني: بالأصنام، وقيل: بالشيطان يؤمنون ﴿وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ قيل بالطيبات ﴿هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢﴾.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا﴾ أي: لا يقدر أنْ يرزقهم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالمطر، ومن ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾(١) بالنبات ﴿شَيۡـٔٗا﴾ أي: رزقًا، وهذا مصدر جاء على خلاف صدره(٢) ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣﴾ أي: لا يقدرون ذلك.

﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ أي: لا تصفوا لله أشكالاً وأشباهًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ أنه لا شبيه له ولا ولد ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾.

﴿۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا﴾ أي: وصف صفة عبد مملوك ﴿لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ وهو الكافر ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ وهو المؤمن ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ﴾ أي: لا يستوي الذي يشبه المملوك العاجز، [و]المؤمن الذي يقدر على الإنفاق يقدم لنفسه ما شاء(٣) ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ يعني: الحمد على غناه عن خلقه، وقدرته على المنع والإعطاء.

ثم قال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾ وهو الأخرس لا يسمع ولا يعقل ولا ينطق ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾ أي: عِيال على من يتولاه(٤)، هذا مثل ضربه الله للصنم لا يسمعه ولا يبصر ولا ينطق، وهو كلٌّ على عابده، ولا ينفعه ولا يضره.

---

(١) فصل بين الواو والأرض بـ: من.

(٢) البسيط ١٣/ ١٤١.

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٢٦٠.

(٤) البسيط ١٣/ ١٤٦.

﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ أي: يدعوه من ليل أو نهار لدفع ضر أو جر نفع لا ينفعه بشيء ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ وهو الله تعالىٰ، يدعو الخلق إلىٰ توحيده وعبادته ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾ يهدي الخلق إلىٰ دين الإسلام.

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: ما غاب عن أهل السماوات وأهل الأرض.

قال مقاتل: سَأَلَتْ قريش رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم متىٰ الساعة، فنزلت الآية[١].

﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ أي: أمره لقيام الساعة كلمح البصر وهو طرف العين، لا شيء أسرع منه، لأنه: قوله كن فيكون.

﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ بل هو أقرب من طرف البصر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧﴾ من إقامة الساعة والبعث وغيره.

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ صغارًا ﴿لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ فعلّمكم الله بعد الجهل ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ﴾ لتسمعوا ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ لتبصروا ﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ لتفقهوا به، وَ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ الله علىٰ نِعَمه.

ثم زاد في البرهان فقال ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ﴾ أي: في حال سخرتها وطيرانها ﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ ما بين السماء والأرض، وكذلك السُّكاك واللُّوح -برفع اللام- والهواء يجمع الكل[٢].

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٢٣١، ومثله في الكشف والبيان ١٦/ ٩٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢١٤. والسُّكاك: الهواء الذي يلاقي أعنان السماء، واللُوح الهواء بين السماء والأرض، ومن كلام العرب: لا أفعل ذلك ولو نزوت في اللوح (تاج العروس ٧/ ١٠١).

﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ يعني: الطير ما يحفظهنَّ ﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ في حالة القبض والبسط ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ تسكنون منها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ أي: فساطيط وخباء وقبابًا ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ أي: تجدونها خفيفًا ويخف عليكم حملها ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ والظعن الارتحال من بقعة إلىٰ بقعة، ويوم إقامتكم سكونكم، يخفُّ عليكم ذلك في الحالين ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا﴾ أي: أصواف الغنم وأوبار الإبل وأشعار المعز؛ تتخذون ﴿أَثَٰثٗا﴾ لمتاع البيت، قيل: الأثاث جميع المال ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠﴾ أي: وقت غير مؤقت إلىٰ أن تبلىٰ وتفنىٰ.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا﴾ يعني: مِن بيوت المدر والأشجار تستظلون.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ أي: غِيرانًا وأسرابًا[1]، حتىٰ يكنَّكم، ولتسكنوا فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾ يعني: القمص من القطن والكتان ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ وتدفع عنكم البرد، ولكن ذكر الحر دون البرد اكتفاءً بأحدهما عنهما ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ كلُّ ما يُلبس لدفع الأذىٰ قيل له: سرابيل، وأراد به الدرع يتقون بها في الحروب عن العدو[2].

﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ فيما بقي كما فعل من قبل ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١﴾ لكي تخلصوا لله بالتوحيد.

وقيل: تدخلون في السلامة من بأس العدو[3].

---

(١) البسيط ١٣/ ١٥٩.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢١٥، البسيط ١٣/ ١٦٠.

(٣) وكلا القولين مشهوران (انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٢٧٠).

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ بأنها من الله جل جلاله ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإضافتهم ذلك إلىٰ الأصنام بقولهم: إن الأصنام شفعاؤنا.

وقيل: يعرفون نعمة الله يعني محمدًا، ثم ينكرونها يعني ينكرون رسالته.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾ بهذه النعمة ﴿الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ قيل: من كل ألف واحد مؤمن والباقي كافر.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أذكر لمن أنكر هذه النعمة: يوم نحشر من [كل] جماعة نبيًا يشهد عليهم[1] بالبلاغ ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار والرجوع إلىٰ الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي: يسترضون، معناه: لا يكلفون عملاً يرضىٰ به ربهم، والآخرة ليست بدار العمل[2].

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ أي الكفار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: يؤجلون.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ أي: أصنامهم ومعبودهم في الآخرة ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ﴾ أربابًا ونعبدهم، أخبر الله عز جل أنهم كانوا إذا صادفوا الأصنام استراحوا إلىٰ الإحالة عليها، وظنُّوا أنَّ ذلك ينجيهم من العذاب.

﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ يعني: قالت لهم الأصنام: إنكم لكاذبون في اتخاذكم الأصنام إيانا معبودًا ونحن لا نستحق العبادة.

---

(١) في الأصل: عليه. انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٢٨٦.

(٢) استعتب فلان إذا طلب أن يُعتب أي يرضىٰ، واستعتبته أي: إذا طلبت منه أن يرجع إلىٰ رضىٰ صاحبه، (تفسير الطبري ١٧/ ٢٧٤، البسيط ١٣/ ١٦٥).

وقيل: إنكم كاذبون في قولكم؛ لأنَّا لا ندعوكم إلىٰ العبادة، وما شعرنا بعبادتكم إيانا.

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ فحينئذ استسلم العابد والمعبود لله عز وجل، وانقادوا لمعرفة الله بالوحدانية، وأقبلوا إلىٰ العدو وإلىٰ ما صنعوا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بطل عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ من عبادة الأصنام.

ثم ذكر عقوبتهم فقال ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الناس مع كفرهم ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ [بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ] ﴿٨٨﴾﴾.

قال ابن عباس: خمسة أنهار من صفر[1] مذاب يسيل من تحت العرش عليهم، ثلاثة علىٰ مقدار الليل، واثنان علىٰ مقدار النهار[2].

وقد تقدم تفسير زيادة العذاب في سورة إبراهيم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ نبيًا يشهد عليهم من أنفسهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾ أي: مزكيًا ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ علىٰ أمتك الكافر والمؤمن ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: بيانًا إلىٰ كل ما يحتاجون إلىٰ بيانه من الحلال والحرام ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ هدىٰ من الضلالة ورحمة من العذاب وبشرىٰ ﴿لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ المخلصين لله بالتوحيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ قال الضحاك: العدل شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان: الصلاة والصيام والزكاة والحج[3] ﴿وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾

---

(١) في الأصل: صبر، والتصحيح من تفسير مقاتل ٣/ ٣٠٦، حيث صدر المصنف.

(٢) هذا قول الكلبي ومقاتل، فنسبته إلىٰ ابن عباس لوروده من طريقهما (تفسير مقاتل ٣/ ٣٠٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٨٦).

(٣) وهو مروي عن ابن عباس، كما في تفسير الطبري ١٧/ ٢٧٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٨٧.

يعني: صلة القرابة وإن قطعوا ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الفحشاء: المعاصي، والمنكر: ما يتناكر الناس فيما بينهم ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾ هو الظلم.

قال أهل الإشارة: العدل لا يستطيعه أحد سوىٰ الأنبياء، لأن الله تعالىٰ يقول ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فلما لم يستطع أحد العدل بين المرأتين كيف يستطيع العدل في أوامر الله ونواهيه.

والإحسان: هو الاستقامة علىٰ الطاعة إلىٰ الموت علىٰ رؤية المِنَّة من الله، وهو أن تعبد الله كأنك تراه.

والفحشاء: الاستهانة بالشريعة.

والمنكر: الإصرار علىٰ الذنوب بعد الارتكاب.

﴿يَعِظُكُمْ﴾ بألطف أدب، وينهاكم بأحسن تنبيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ تتعظون وتنتهون.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ أتموا الحلف بالوفاء إذا حلفتم ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ وتسديدها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ﴾ علىٰ ما قال الفريقان ﴿كَفِيلًا﴾ أي شهيدًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١﴾ من الخير والشر.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ في نقض العهد ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ قيل: هي المرأة من قريش تسمىٰ رايطة[1]، كانت تغزل الصوف والقطن ثم تجلس فتنقض ما

---

(١) في الأصل: رابطة، وهو تصحيف، ومثله في تنوير المقباس ٢٢٩، وفي تفسير مقاتل ٢/ ٢٣٥، والكشف والبيان ١٦/ ١١٢ عن مقاتل والكلبي: ريطة، وهو صحيح، وفي البسيط ١٣/ ١٧٨: رائطة، وهو صحيح كذلك، ولم يسمها غيرهما من أهل التأويل، إنما يقولون: امرأة حمقاء بمكة معروفة عندهم، وهذا من سمات تفسير الكلبي ومقاتل، أعني تسمية

غزلت[١].

﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ أي: إحكام وفتل ﴿أَنكَٰثٗا﴾ أي: أنقاضًا، واحدها نكث[٢]، وهكذا كان دأبها، وكانت حمقاء، فضربها الله لأهل مكة مثلاً في نقض العهد.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ أي: عهودكم، معناه: لا تكونوا متخذين أيمانكم ﴿دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ أي: غلاً وخيانة ومكرًا، أي: لا تخدعوا الناس بإيمانكم.

والدَّخَل: ما أدخل في الشيء على فساد[٣]، معناه: لا تغدروا.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ﴾ معناه: لا تكون جماعة أزيد من جماعة فتغدروا بهم لكثرتهم[٤] ﴿إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ يختبركم بالوفاء والنقص والقلة والكثرة.

المبهمين في القرآن، ويتفردون في هذا الباب، وعامة ما يذكرونه منكر، وقد أشرت إلىٰ بيان ذلك في كتاب: مشيخة أبي القاسم الحسكاني.

(١) قيل: لحمق فيها، وقيل لوسوسة (البسيط ١٣/ ١٧٩).

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٢٨٥، الكشاف ٢/ ٦٣١.

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٢٨٦.

(٤) في الأصل: فتعذروهم لكثرة، وهو تصحيف أحال المعنىٰ، وأفسد المراد.

قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعزّ، فينقضون حِلْف هؤلاء، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم، فنهوا عن ذلك (تفسير الطبري ١٧/ ٢٨٦).

وقال أبو الليث في تفسيره ٢/ ٢٨٩: «أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ، أي: فريقا منكم، هِيَ أَرْبىٰ مِنْ أُمَّةٍ، أي: هي أكثر وأغنىٰ من أمة. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في كندة ومراد، وذلك أنه كان بينهم قتال حتىٰ كَلَّ الظهر، ثم تواعدوا لستة أشهر حتىٰ يصلح الظهر -أي: الدواب- ولحم الخيل. فلما مضت خمسة أشهر أمر قيس بن معد يكرب بالجهاد إليهم، فقالوا: قد بقي من الأجل شهر، فمكث حتىٰ علم أنه يأتيهم بعد انقضاء الأجل، فقتلوه وهزموا قومه».

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ من أمر البعث والدين.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: على ملة الإسلام ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فينور قلبه للإيمان لمن كان أهلاً ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ في الدنيا من الوفاء والنقض والكفر والإيمان.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ أي: دغلاً وخديعة ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ يخوفهم بانقلاب الأمر والدولة عنهم ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي: العقوبة ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: بصدكم عن وفاء العهد ورددتم الناس(١) عن طاعة الله ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ في الآخرة بنقض العهد الذي عهد به الأنبياء بالإيمان به والبيعة لدينه.

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: لا تختاروا بنقض عهد الله عرضًا يسيرًا ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب للموفين بالعهد ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضل من عرض الدنيا وما فيها للناقضين ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾ وتصدقون بثواب الله.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ أي يفنى ويذهب ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم لا يزول ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ على الوفاء ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ من ترك الغدر.

والآية نزلت في كندة ومراد، وكان بينهم قتال حتى كلَّ الظهر، فلما مضت خمسة أشهر أمر قيس بن معدي كرب قومه بالجهاز إليهم، فقالوا: قد بقي من الأجل شهر، فمكث حتى إذا علم أنه يبلغ إليهم بعد انقضاء الأجل بيوم وسار

---

(١) في الأصل: النا. غير منقوطة.

إليهم، فإذا هو يوم انقضىٰ فيه الأجل، فقتلوه وهزموا قومه، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا﴾ الآية[(١)].

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ يعني: جعلناه قنوعًا بما أوتي من الدنيا وإنْ قلَّ، وقيل: الرزق الحلال، وقيل: الجنة، عن قتادة[(٢)].

﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ﴾ أي: نثبتهم في الآخرة ﴿أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٧﴾ في الدنيا من الإيمان والطاعة، ونعفوا عن سيئاته.

﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ يعني: إذا أردت أن تقرأ القرآن ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ أي: استعذ به وبتوفيقه من شر الشيطان الرجيم الملعون.

﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾ وحجة وقوة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ أي: يفوِّضون أمرهم إلىٰ الله.

﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ أي: يطيعونه لأنَّ من أطاع أحدًا فقد تولاه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ۝١٠٠﴾ أي: يشركون بالله لأجل الكذب.

﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾ معناه: إذا نسخنا آية فيها شدة وصعوبة بآية ألين منها ويكون العمل بها أسهل ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من الناسخ والمنسوخ، وما فيه مصالح العباد ﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني أهل مكة ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾ على الله تأمرنا ثم تنهانا عنه ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٠١﴾ أن الله أنزل ذلك[(٣)].

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٢٣٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩٠.

(٢) رواه عنه الطبري في التفسير ١٧/ ٢٩١، والثاني قول الضحاك، وعن ابن عباس: السعادة.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩١.

﴿قُلۡ﴾ أنت يا محمد ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: جبريل الطاهر نزل جميع القرآن من الله عز وجل ناسخه ومنسوخه بالحق ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: لتطمئن قلوب المؤمنين، ويستيقنوا بما فيه من الثواب والعقاب ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾ أي: القرآن هاديًا ومبشرًا للموحدين.

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ أي: يعلِّمُ محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم بشر: عائش ويسار، وكانا غلامين يهوديين قد أسلما، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يستروح بكلامهما من أذىٰ الكفار، فقال الكافرون: إنما يعلمه عايش ويسار.

وفي رواية: جبر ويسار(١).

ثم قال ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ﴾ أي: لغة جبر ويسار لغة عبرية، أو سرياني، أو رومي ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ لغة تعرفها العرب، فالعربي كيف يتعلم من العجمي مثل هذا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ إلىٰ الحجة، وقيل: إلىٰ دينه ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾ ثم نفىٰ الكذب عن رسوله فقال:

﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ﴾ يعني بالقرآن وبمحمد ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ علىٰ الله لا محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ نزلت في عبد الله بن أبي سرح ارتد بعد الإيمان.

---

(١) وهي رواية الكلبي كما في تنوير المقباس ٢٣٠. وقيل هو واحد: فلم يذكر مقاتل في تفسيره ٢/ ٢٣٨ إلا أبا فكيهة يسارا.

وقيل: اسمه بلعام، وقيل: يعيش، وقيل: جبر (روىٰ ذلك كله الطبري في تفسيره ١٧/ ٢٩٨، وانظر: الكشف والبيان ١٦/ ١٢٧).

وقيل: نزلت في عمار بن ياسر عذَّبه الكفار حتىٰ كفر بالله بلسانه[١].

المعنىٰ: من كفر بالله بعد إيمانه مثل عبد الله بن أبي سرح فعليهم غضب من الله ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ مثل عمار بن ياسر.

وكان جبر رجلاً يهوديًا سمع رسول الله يقرأ سورة يوسف، فأتاه وأسلم، فضربوه حتىٰ عاد إلىٰ اليهودية[٢].

فالله تعالىٰ أطلق الغضب علىٰ المرتدين ثم استثنىٰ مَن كان قلبه ثابتًا علىٰ الإيمان، فقال: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان: خالصًا مقرًا لله بالوحدانية، فإنه خارج من هذه الشريطة، وعلىٰ المرتدين لسانًا وقلبًا.

﴿[وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا] فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟﴾ اختاروا ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: حب حياة الدنيا ﴿عَلَى﴾ حياة ﴿ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ من لم يكن أهلاً.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ عما يراد بهم.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لابد ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ المغبونون.

---

(١) روىٰ الطبري في تفسيره ١٧/ ٣٠٥: عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فعذّبوه حتىٰ باراهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلىٰ النبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم، فقال النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ قال: مطمئنا بالإيمان. قال النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: فإنْ عادُوا فَعُدْ.(وانظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩٣، الكشف والبيان ١٦/ ١٣٥).

(٢) ثم أسلم مولىٰ جبر، وهاجر هو ومولاه، كما في الكشف والبيان ١٦/ ١٣٩.

وقيل: لا جرم حقًا وجب عليهم العذاب.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم [من] مكة إلىٰ المدينة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ أي: عُذِّبُوا علىٰ الإسلام ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾ في سبيل الله ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ علىٰ ما أصابهم لوجه الله ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ هذه الفتنة ﴿لَغَفُورٞ﴾ لما سلف من ذنوبهم ﴿رَّحِيمٞ ١١٠﴾ بهم بعد التوبة.

﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ أي: تخاصم وتدافع وهو يوم القيامة، وقيل: تخاصم مع نفسها ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ﴾ من خير أو شر ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١﴾ بنقصان الحسنات وزيادة من سيئاتهم.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ﴾ أي: مثل أهل قرية ﴿كَانَتۡ ءَامِنَةٗ﴾ وهم أهل مكة آمنون من أعدائهم إن يغيروا عليهم ﴿مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾ من القتل والسبي ﴿يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا﴾ كثيرًا واسعًا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٖ﴾ وناحية ﴿فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ﴾ التي أنعم الله عليهم، وهو القرآن ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ أي: عذَّبهم بدعاء رسول الله سبع سنين؛ بالقحط والخوف من سرايا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(١).

وإنما سمىٰ الجوع لباسًا لأنه شملهم جملة، كما يشمل الثوب من لبسه.

﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ أي: بكفرانهم النعمة، وهذه الآية مدنية.

إنَّ النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم دعا عليهم بعد ما تحول عنهم، فقال: اللهم اشدد وطأتك علىٰ مُضر، واجعل سنيهم كسِني يوسف، فقحطوا حتىٰ أكلوا

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٣٠٩، الكشف والبيان ١٦/ ١٤٧.

الجيف والعظام البالية[١]، ثم بعثوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبا سفيان، وقالوا: يا محمد عاديت الرجال، فما بال النساء والصبيان قد هلكوا، فرحمهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وبعث إليهم الطعام، وأغاثهم الله برحمة رسول الله؛ كما أخذهم بدعائه، فقال[٢]: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ بعدما ذُقتم عذاب الجوع ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بالإيمان بنبيه ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ إن كنتم تريدون بتحريم ما حرمتم رضا الله؛ فإن رضا الله في تحليل ما حلل، وتحريم ما حرم، وأراد به تحليل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

ثم بيَّن المحرمات فقال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ عند الذبيحة ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلىٰ أكل شيء من هذه المحرمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: طالب لها ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: لا يتعدىٰ من سد الحلة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ وقد تقدم تفسيره.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ أي: لما تصفه ألسنتكم

---

(١) وهذا في صحيح البخاري ٨٠٤، ومسلم ٦٧٥ من حديث أبي هريرة، وفيهما: البخاري (٤٨٢١) ومسلم (٢٧٩٨) من حديث عبد الله لأن قريشا لما استعصوا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتىٰ أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلىٰ السماء فيرىٰ ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ فأتي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقيل له: يا رسول الله: استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، قال: «لمضر؟ إنك لجريء» فاستسقىٰ لهم فسقوا، فنزلت: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلىٰ حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ قال: يعني يوم بدر

(٢) في الأصل: فقالوا.

بالكذب ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ من البحيرة وغيرها ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ إنه أمر به ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ أبدًا.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ معيشتهم في الدنيا يسيرة، ومنفعتها قليلة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ في الآخرة.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي: مالوا عن الإسلام ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ من الشحوم وغيرها، وهو في سورة الأنعام[١] في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾[٢].

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالتحريم عليهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ بمعصيتهم ربهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ مع هذا كله ﴿لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ قيل: ركوب الذنب من صاحبه جهالة، علم أنه ذنب أو لم يعلم.

وقال الضحاك: من عمل بمعصية فهو جاهل لا محالة، لأنه خاطر بنفسه فلا يدري أيغفر له أم لا[٣].

﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ توبة نصوحًا ﴿وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ عملهم بالتوبة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ غفور لما سلف من ذنوبهم، رحيم بهم فيما بقي من أعمارهم.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ اجتمع فيه من الخير ما يكون في أمة، وقيل: إمامًا يقتدىٰ به[٤].

---

(١) في الأصل: الأنفال، وهو تصحيف.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام، آية١٤٦

(٣) سبق بيان ذلك في تفسير سورة النساء، آية: ١٧.

(٤) زاد المسير ٢/ ٥٩١.

﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ مطيعًا ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلىٰ الحق مخلصًا ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ أي: ممن يعبد الأصنام.

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ لنعمائه ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اختاره ربه بالخلة ﴿وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝١٢١﴾ إلىٰ الدين والنبوة.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الثناء الحسن ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٢٢﴾ أي: مع المرسلين.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: استقم علىٰ دين إبراهيم حنيفًا تاركًا لكل دين ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٣﴾ أي: لم يكن علىٰ ملة اليهودية والنصرانية ممن أشركوا بالله.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ يعني: اليهود، ألزم عليهم تعظيم السبت وتحريم العمل فيها.

واختلافهم: أنهم أُمروا بالجمعة فقالوا: نريد السبت لأنه آخر يوم فرغ فيه من خلق السماوات والأرض، فكره موسىٰ مخالفتهم، فقال: يا رب إنَّ قومي أبوْا إلا السبت فاجعله عليهم، أي شدد عليهم في ذلك، ثم جاء عيسىٰ قومه بالجمعة، فقالوا: لا نريد ذلك، واختاروا يوم الأحد، فأعطىٰ الله الجمعة لأمة محمد وحُرموا فضيلتها(١).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٢٤﴾ علىٰ أنبياء الله.

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ يعني: ادع الناس إلىٰ دين الله بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ أي: لين من القول ﴿وَجَادِلْهُمْ﴾ أي ناظرهم ﴿بِالَّتِي هِيَ

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٣٢٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩٧، زاد المسير ٢/ ٥٩٢.

أَحۡسَنُۚ﴾ ولا تكن فظًا غليظ القلب ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ﴾ أي: أعرض ﴿عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ وبثوابهم.

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ وذلك أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم لمَّا رأىٰ عمه حمزة قتيلاً وقد مُثِّل [به] بكىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال: والله لئن ظفرت بهم لأمثلنَّ بثلاثين منهم مكانه، وروي: بسبعين، فنزلت: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾[1] أي: جازهم بقدر ما عملوا من الجنابة ولا تجاوزوا ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ﴾ فلم تعاقبوا ﴿لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ بتوفيق الله ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: علىٰ الكفار إن لم يدخلوا في دينك، وقيل: لا تحزن علىٰ الشهداء لأن الله أنزلهم منازلهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ وذكر في موضع آخر: «ولا» تكن بإثبات النون، لأنَّ حذفها وإثباتها قريبتان، لأنَّ النُّون يخفىٰ في الخيشوم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ وحَّدوه وأطاعوا له معينهم وناصرهم، ويدفع عنهم بأس العدو ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ بالعمل فيما بينهم وبين ربهم.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ذنوبه-: بلغنا عن أُبي بن كعب أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة النحل لا يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا، وإن مات في يوم تلاها كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية»[2].

---

(١) وهذا مروي عن الشعبي وعطاء بن يسار وابن جريج، ويلزم من ذلك أن تكون هذه الآيات مدنيات (تفسير الطبري ١٧/ ٣٢٣). وفي الآية أقوال أخرىٰ ذكرها الطبري في تفسيره.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٦/ ٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٨٣.

سورة بني إسرائيل

مكية كلها[١].

وقال ابن عباس: غير قوله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ نزلت بالمدينة[٢].

وهي مائة وإحدىٰ عشرة آيةً في الكوفي، وعشر آيات في المدني والبصري[٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ نصب علىٰ المصدر، معناه: سبَّح له سبحانًا[٤]، والأصح: أنَّه نصب علىٰ التعجب والتهويل كقوله تعالىٰ: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾[٥].

وأصل التسبيح: التعظيم لله وتنزيهه عن ما [لا] يليق بصفته، وبراءة له من السوء.

المعنىٰ: تباعد الله عن السوء وتنزَّه الذي[٦] أسرىٰ بعبده.

﴿لَيْلًا﴾ أي: سيَّر عبده ليلاً ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني مكة، والحرم كله

---

(١) البيان في عد آي القرآن ١٧٧

(٢) وعن مقاتل مثله وزاد آيات أخرىٰ، كما في تفسيره٢/ ٢٤٦، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٧ عن ابن عباس وقتادة.

(٣) البيان في عد آي القرآن ١٧٧.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٢٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٣٢٩، البسيط ١٣/ ٢٤٣.

(٦) في الأصل مكانها: أي، وأراه تصحيفا، ولا معنىٰ له، والصواب ما أثبت.

مسجد ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ بيت المقدس ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بإجراء الأنهار، وإنبات الأشجار، وإخراج الثمرات ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ يعني: البُراق والملائكة والنبيين والجنة والنار وما فيها من العجائب[(١)].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالة قريش حين كذَّبوه ﴿ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ بهم وبعقابهم.

وقصة المعراج طويلة، وذكر عجائبها كثيرة، وعلىٰ الاختصار: ما روت أم هانئ أخت علي ابن أبي طالب قالت: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صلَّىٰ العشاء في بيتي ذات ليلة، وصليت معه، ثم تركته علىٰ مصلاه، ونمت فما انتبهت إلا بتنبيهه إياي وقت الغداة، فقال: قومي فإني رأيت عجبًا، فقلت: يا رسول الله كل أمرك عجب، فما رأيت؟ قال: كنت جالسًا علىٰ مصلاي هذا، إذ جاءني جبريل فقال: اخرجن فخرجت فإذا أنا بملك واقف علىٰ الباب، ومعه دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل، فقال لي: اركب فركبت، فكلما نزلت في وادٍ طالت يداها وقصرت رجلاها، وإذا صعدت جبلاً طالت رجلاها وقصرت يداها، وكان خطوها مد بصرها، حتىٰ ذهبت بي إلىٰ بيت المقدس، فرأيت إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ مع نفر من الأنبياء، فأممتهم وصلوا خلفي، ثم رأيت ما رأيت، وقص القصة، ثم صليت معكِ الغداة، ثم خرج، فقلت: إلىٰ أين يا رسول الله؟ فقال: أخبر قريشًا بما رأيت، فقلت: إذًا يكذبوك يا رسول الله، فقال: لا بد من التبليغ، فخرج وأخبرهم بما رأىٰ، فمن بين مكذِّب، ومن بين واضع يديه علىٰ رأسه، ومن بين حاثي التراب علىٰ وجهه، ثم قالوا: إن لنا في طريق الشام إبلاً فأخبر بخبرهم، فقال: يقدم عليكم العير يوم كذا مع إشراق الشمس، يقدمها جمل أزرق، فخرجوا ذلك اليوم ينتظرون فإذا قائل يقول: طلعت الشمس، والآخر يقول: أقبلت العير يقدمها جمل أزرق، فغلب عليهم الشقاء فلم

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٠، البسيط ١٣/ ٢٤٨.

يؤمنوا[١]. وإنما سُمِّيَ المسجد الأقصىٰ لأنه ليس وراءه إذ ذاك مسجد.

ثم قال ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ معناه: أسرينا بمحمد إلىٰ المعراج، وآتينا موسىٰ الكتاب -يعني: التوراة- جملة واحدة[٢] ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: جعلناه دليلاً وهاديًا من الضلالة ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾ أمرناهم ألا يتخذوا ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ أي: ربًا، وقيل: لا يتوكلوا علىٰ غيري[٣].

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ نصب علىٰ أنه نداء مضاف، يعني: يا ذريةَ من حملنا، فلا تتخذوا من دوني وكيلاً[٤].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ شاكرًا لأنعام الله، يعني نوحًا، كان يشكر حين يأكل ويشرب، ويحمده حين يفرغ، ويذكره حين يقوم ويقعد، وبكل خطوة يخطوها[٥].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أخبرناهم، وبيَّنا إعلامًا.

والقضاء: فصل الأمر علىٰ إحكام، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته، [كـ]قوله تعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ أي: خلقهن تامًا، ومعناه: أعلمناهم بالحجة الظاهرة[٦].

---

(١) قصة الإسراء مخرجة في الصحيحين، وقد أحسن ابن كثير جمع أحاديثها في تفسيره ٥/ ٦.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٠.

(٣) وهما متلازمان، انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٠، وعن مجاهد أن وكيلا هنا بمعنىٰ شريكا (تفسير الطبري ١٧/ ٣٥٣).

(٤) في نصبها خمسة أوجه، هذا أحدها، والمقدم عند الزمخشري: النصب علىٰ الاختصاص (الكشاف ٢/ ٦٤٨، الدر المصون ٧/ ٣١٠).

(٥) تفسير الطبري ١٧/ ٣٥٤.

(٦) وهذا قول ابن عباس والمفسرين (تفسير الطبري ١٧/ ٣٥٥، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٢٧، البسيط ١٣/ ٢٥٣).

﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾ أي: في أرض المقدس تفسدون فسادًا ظاهرًا، وتطغون طغيانًا عظيمًا، وتجبرًا[١] شديدًا، فتهلكون بذلك.

قال مقاتل: كان بين الهلاكين مائتان وعشر سنين[٢].

﴿وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤﴾ أي: عتوًا شديدًا، والعتو: الجرأة على المعصية، وهذا أمر أخبر الله به أنه كائن فيهم لا محالة.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: وعد أولى المرتين وإنزال أول العذابين ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: سلَّطنا عليكم ﴿عِبَادٗا [لَّنَآ]﴾ عبيدًا من عبادنا ﴿أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ ذو قتال وشدة في الحرب، وهو بخت نصَّر وأصحابه، فقتل منهم مائتي ألف وسبعين ألفًا، وسبى اثنين وسبعين ألفًا، وذهب بهم إلى بابل وأحرق التوراة وخرب بيت المقدس، وألقى فيه الجيف، عقوبة لهم بقتلهم يحيى بن زكريا، ونشرهم زكريا بالمنشار[٣].

﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ طافوا خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه، فقال نبيهم أرميا: أي رب، أي القرى تأمن عقوبتك، وأي العباد يأمنون سطوتك، بعد بني إسرائيل، سلطت عليهم أعداءك عبدة النيران، حتى قتلوهم، وخربوا بيتك المعمور، فأوحى الله تعالى إليه: يا أرميا، إن من عصاني فلا يستنكرن نقمتي، إنَّما سلطت عليهم شرار عبادي لهوانهم عليَّ، ثم قال: يا أرميا، إني أشكو إليك بني إسرائيل، كنت لهم كالداعي الشفيق أجنبهم العرة، حتى صاروا كباشًا ينطح بعضهم بعضًا، فياويلهم.

---

(١) في الأصل: تحيرا، وهو تصحيف.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٢٤٩، وفي ذلك خلاف بين العلماء.

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٣٥٧، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٢٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٠.

ثم قال ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ كائنًا موضع الشر[١] في اللوح المحفوظ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الدولة والظهور علىٰ أعدائكم، وذلك أنَّ بخت نصَّر مات وقام ابنه مقامه، وبقي أهل بيت المقدس ببابل ألف شهر، وكان قصة عرير[٢] ظهر بها، فلما مات بخت نصَّر ظهر رجل من أهل همدان، يقال له: كورش وقيل: لورش[٣]، غزاهم وقهرهم وقتل بخت نصَّر، وسكن في الدار، وتزوج امرأة من بني إسرائيل، فسألته المرأة أن يرد قومها إلىٰ أرضهم، فردَّهم إلىٰ المقدس وبنىٰ المسجد بعد خرابه، فذلك قوله: ﴿رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾.

﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ أي: أكثرنا أموالكم وأولادكم ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ أي: عددًا ورجالاً مما كنتم من المرة الأولىٰ.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ يعني: إن أطعتم الله فثوابه لأنفسكم ولا تهلكوا ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ أي: عصيتم ﴿فَلَهَا﴾ أي: مضرتها عليكم، وقيل: لها الخوف والرجاء، ولها رب غفور، وسبيل إلىٰ التوبة[٤].

فعادوا وعصوا ثانية، فسلَّط الله عليهم ططوس بن أطيانوس، فقتلهم كما قتلهم بخت نصَّر، وهو ملك أرض نينوىٰ رئيس الروم[٥].

---

(١) كذا في الأصل، له وجه، وقد يكون الصواب: موضع الشرط، وهو: إذا جاء..

(٢) كذا، ولم يتبين لي صوابه. ويحتمل: فضة عرين ظهر بها، أو: قصة عزير ظهر بها، إذ كن لعزير ذكر في هذا التخريب، فالله أعلم.

(٣) انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠١، في تفسير مقاتل: ٢/ ٢٥٠: كروس بن مزدك الفارسي.

(٤) البسيط ١٣/ ٢٦١.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٢، زاد المسير ٣/ ١١.

وهو قوله ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: وقت آخر الفسادين والهلاكين ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ أي: ليسوءَ مجيؤهم وجوهَكم، أي: يسودها تقبيحًا.

وقرئ: «لنسوءَ وجوهكم» فكان الفعل مضافًا إلىٰ الله، أي: نسوءُ نحن وجوهكم[1].

وقرئ: «ليسوءَ» أي: ليسوءَ هؤلاء القوم وجوهكم[2].

﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ بالتخريب فيخربونها، ففعل بهم العدو[3] كما فعل بخت نصَّر ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ أي: ليُهلكوا ويُفسدوا ويُفرقوا قومكم ﴿مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧﴾ أي: غلبوا، أي في حال علوهم[4].

والتتبير: التفريق والتكسير، يقال لكل شيء متكسر من الذهب والفضة والحديد والزجاج: تبر[5].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ بعد هاتين المرتين، ويردكم إلىٰ أرض المقدسة بعد تفريقكم في البلاد ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ﴾ أي: عُدتم إلىٰ المعصية بعد هاتين المرتين عدنا عليكم بالعذاب.

وقيل: إن عُدتم إلىٰ تكذيب محمد عُدنا عليكم بالكفارات والجلاء والقتل والجزية.

---

(١) وهي قراءة الكسائي، بالنون ونصب الهمزة علىٰ لفظ الجمع (السبعة ٣٧٨، النشر ٢/ ٣٠٦).

(٢) وهي قراءة ابن عامر والكوفيين إلا حفصا (السبعة ٣٧٨، النشر ٢/ ٣٠٦) وهذا المعنىٰ الذي ذكره المصنف ذكره المفسرون في توجيه هذه القراءات، انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٣٧١، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٢٨، البسيط ١٣/ ٢٦٤، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٢٣.

(٣) في الأصل مصحفة، وصورتها أقرب إلىٰ: الندم.

(٤) الكشف والبيان ١٦/ ٢٨٩.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٢٨.

ويقال: المبعوث[١] علىٰ ظلمهم وإهلاكهم في المرة الأولىٰ جالوت، فقتله داود.

وقال سعيد بن جبير: سنحاريب. وقيل: العمالقة[٢].

وقوله ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ﴾ قيل: إنهم عصوا ثالثًا فبعث الله عليهم ططوس بن أسبسيانوس الرومي، فأهلكهم وخرب البيت، فلم يزل خرابًا إلىٰ وقت عمر بن الخطاب، ثم عادوا إلىٰ العصيان في زمن المؤمنين فأذلَّهم الله بالجزية[٣].

﴿وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ٨﴾ محبسًا.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ يعني: إلىٰ الطريقة التي هي أصوب وهو توحيد الله تعالىٰ ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾ ثوابًا عظيمًا، وهي الجنة.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: وبشرهم أن الذين لا يؤمنون من أعدائهم بالآخرة ﴿أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٠﴾ في الآخرة.

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ﴾ وهو النضر بن الحارث كان يدعو علىٰ نفسه بالهلاك واللعنة والخزي، وهو وقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية[٤].

وقيل: يدعو علىٰ نفسه شيئًا يزعم أنه خير، ولكنه شر.

---

(١) في الأصل: البعوث.

(٢) هذه الأقوال مذكورة في المصادر، انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٣٧٢، معالم التنزيل ٥/ ٧٩، زاد المسير ٣/ ١١.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٢.

(٤) وهذا من مرويات الكلبي ومقاتل، ولذا فلم يخرجه الطبري، انظر: تفسير مقاتل ٢/ ٢٥١، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٣، تفسير السمعاني ٣/ ٢٢٢.

وقيل: الآية عامة، لأنَّ الإنسان إذا غضب ربما يدعو علىٰ نفسه وولده بالهلاك[١].

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾ مستعجلاً في الدعاء.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ﴾ يدلان علىٰ أنَّ خالقهما واحد، فلِلَّيْل ظلمة، وللنَّهار ضوء، باختلافهما يعرف الأوقات والآجال، ولو كان ليلاً سرمدًا لم يعرف الشهر والسنة.

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ وهو ما تراه في القمر من السواد[٢]، قيل: ذهب من نوره ثلاثة أجزاء مما كان فيه، وذلك بمسح جبريل بجناحه عليه[٣].

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ مضيئة يبصر بها ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتطلبوا في النهار رزقًا من ربكم بالتجارة وغيرها ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾ أي: حساب الشهور ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ من إتيان الليل والنهار والأيام والساعات وما يحتاجون إليه ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ۝١٢﴾ أي: بيناه تبيينًا.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ﴾ وإنما ذكر الطائر لأنَّ العرب كانت تتشاءم وتتيمن بالطائر، فذكر الله تعالىٰ لفظًا يستعملونه بينهم، والمراد به -والله أعلم-: أنَّ كل إنسان قلدناه أجله ورزقه، وعمله وسعادته وشقاوته، وإنما سُمِّيَ طائرًا لأنه طار لكل إنسان حظه إليه، وألزمه الله تعالىٰ ما قدره له في سابق علمه[٤].

---

(١) وهو الصحيح، انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٣٩٣.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٣٩٥.

(٣) وقصة جبريل من مرويات الكبرىٰ، كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٣.

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ٣٩٧، البسيط ١٣/ ٢٧٤.

﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: نظهر بذلك العمل يومئذ ﴿كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ لا ختم عليه، مكتوب باسمه الذي يعرف به.

﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ أي: قيل له اقرأ كتابك ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾ أي: محاسبًا ومشاهدًا، نصب على التمييز، لأنَّ الله تعالى يختم على أفواه الكفرة فتنطق جوارحهم بما عملوا، فتشهد عليهم بشركه وتكذيبه(١).

﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ أي: من آمن فقد آمن لنفسه وله ثوابه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ أي: كفر ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾ أي: عليه عقوبة كُفره ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾ أي: لا تحمل حاملة خطيئة غيرها، قريبًا كان أو بعيدًا ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أهل قرية ﴿حَتَّىٰ نَبۡعَثَ﴾ إليهم ﴿رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً﴾ أي: أهل قرية ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ بلا مدٍّ، يعني: أمرنا جبابرتها ورؤساءَها بالطاعة ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ أي: عصوا وخرجوا عن أمر الله(٢).

وقرئ: «آمرنا» بالمد(٣)، أي: كثَّرْنا، يقال: آمر الله قومًا فأَمِروا، أي: كثروا(٤).

وقرئ: «أمَّرنا» بالتشديد(٥)، أي: سلَّطنا وجعلناهم أمراء، فخرجوا عن طاعة الله عز وجل(٦).

---

(١) البسيط ١٣/ ٢٨١.

(٢) البسيط ١٣/ ٢٨٤.

(٣) وهي قراءة يعقوب وحده، انظر: النشر ٢/ ٣٠٦.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٩.

(٥) وهي قراءة شاذة، نسبها الثعلبي لأبي عثمان النهدي، وأبي رجاء العطاردي، وأبي العالية الرياحي، والربيع ومجاهد (الكشف والبيان ١٦/ ٣٠٢).

(٦) تفسير الطبري ١٧/ ٤٠٣، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٣٢، الكشف والبيان ١٦/ ٣٠٢.

﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: كلمة العذاب وجبت عليهم بفسقهم ﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾ أي: أهلكناها حينئذ إهلاكًا، وكَّده بالمصدر، والدمار: الهلاك[١].

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾ عالمًا بهم وينفرد بهلاكهم.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ أي: من كان يريد من الفجَّار بعمله عاجل ثواب الدنيا مراءاةً للناس ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا﴾ مِنْ عَرض الدنيا ﴿مَا نَشَآءُ﴾ مقدار ما نشاء ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ أن نعجله ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة، أي: خلقنا وهيَّأنا له ﴿يَصۡلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨﴾ أي: ملومًا مطرودًا مبعدًا من رحمة الله تعالىٰ[٢].

﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ بعمله يعني الجنة وثوابها ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾ أي: عمل للآخرة عملها ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ مصدِّق في إيمانه، مخلص في عمله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ أي: عملهم مقبولاً يثابون عليه.

ثم قال ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ﴾ أي: نعطي ونجعله مددًا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كلا الفريقين، المؤمن والكافر يرزقهما جميعًا ﴿مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾ أي: رزقه ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠﴾ ممنوعًا من البر والفاجر.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ في الدرجات في الدنيا والآخرة ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ﴾ أي: ثواب الآخرة ﴿أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ﴾ من ثواب الدنيا ﴿وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾.

﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخطاب لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والمراد أمته[٣]، وقيل: نزلت حين دُعِيَ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ ملة

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٥.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٤٠٩.

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٤١٢.

آبائه ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ أي: ممقوتًا[١] ﴿مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ متروكًا لا ينصرك أحد.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أمر ربك وأوصىٰ ربك ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ أي: برًا وعطفًا بهما وعليهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ يعني: فمن بقي له والداه أو أحدهما حتىٰ يبلغ حال الكبر والهرم؛ فرض عليه إلطافهما، والخضوع لهما، وتليين القول، وتحسين الكلام، وكل ما فيه معنىٰ[٢] الكرامة والخضوع.

والنون في «يبلغانِّ»[٣] ليست بنون التثنية، ولكن نون التوكيد، ولو كان ذلك للتثنية فمن حقها السقوط، لأنَّه مجزوم بالشرط، وعلامة التثنية هي الألف، فقد جمعهما الله في قوله: «يبلغان».

ثم عطف عليهما قوله: «أحدهما أو كلاهما»، والتأويل فيه: إما يبلغان عندك الكبر أحدهما قبل الآخر، أو كلاهما معًا، لأنَّ بلوغهما الكبر والمرض معًا أثقل من بلوغ أحدهما[٤].

ومن قرأ: «يبلغنَّ» بغير الألف؛ فالمراد أحدهما، والنونُ للتوكيد أيضًا، كقوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾[٥].

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ وفيه ستُّ لغات: بالخفض منونًا وغير منوَّن، وبالرفع منوَّنًا وغير منوَّن، وبالنصب منوَّنًا وغير منوَّن[٦].

---

(١) في الأصل: ممقتا.

(٢) في الأصل: يعني.

(٣) قرأ الكوفيون إلا عاصما: يبلغانِّ، بألف بعد الغين وكسر النون علىٰ التثنية (النشر ٢/ ٣٠٦).

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٢٠، البسيط ١٣/ ٢٩٨.

(٥) تفسير الطبري ١٧/ ٤١٤.

(٦) المتواتر منها ثلاثة: قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب: أفَّ، بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ أبو جعفر ونافع وحفص: أفٍّ، بالكسر مع التنوين، وقرأ الباقون: أفِّ، بكسر الفاء من غير تنوين، وما سوىٰ هذه القراءات فهو شاذ لا يقرأ به (النشر ٢/ ٣٠٧).

وفيه لغة سابعة: أُفِّي[١]، وقيل: أُفْ بالسكون.

ومعناه: لا تقل لهما عند معالجتهما ووجود ما تأذيت منهما كلمة فيها أدنىٰ تبرُّم، أي: لا تقل وَاقذرًا ونتنًا.

والأفُّ: وسخ الظفر، ويقال للشيء الحقير: أف، والتف: وسخ الأذن، والمراد به الاستقذار بالشيء المكروه[٢].

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا تَصِح بهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ وقِّرهما وأكرمهما.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ هذه عبارة عن التواضع ولين الجانب والخضوع، أي: بالغ في التواضع لهما ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ عليهما، وكن رحيمًا بهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ إنْ كانا مسلمين، وإن كانا كافرين قل: رب اهديهما[٣] ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ معناه: ألقي الرحمة في قلبي لهما كما ربياني ورحماني صغيرًا، وغذَّياني طفلاً.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ أي: قلوبكم من الحب والبُغض لهما ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾ بارّين بهما ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ من صلة القرابة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ حقَّه من الصدقة ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ حقه من الضيافة ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ ولا تسرف في الإنفاق.

وقيل: لا تنفق في غير طاعة الله[٤].

---

(١) ضبطها الزجاج بالياء (معاني القرآن ٣/ ٢٣٤، البسيط ١٣/ ٣٠٢).

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٧، تفسير السمعاني ٢/ ٢٣٢، معالم التنزيل ٥/ ٨٦،

(٣) حقه أن يقول: اهدهما.

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ٤٢٩.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ المُنفِقين في غير طاعة الله أعوان الشياطين يفعلون بأمره ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ في نعمه جاحدًا له.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ إنْ أعرضت عن الفقراء، وصل «ما» بكلمة الشرط لتأكيد الشرط ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: انتظار رزق من غنيمة ترجوها، أو قدوم مال غائب تنتظره وأعرضت عنهم في الحال حياءً ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ ولا تجمع عليهم الحرمان والقول المعسور، ولكن عدهم عدة حسنة[1].

ثم علَّم رسول الله وجه الإنفاق ليكون سُنَّة في أمته فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وهذا مثل، ومعناه: النهي عن البُخل، لأنَّ من غُلَّت يداه لا يقدر علىٰ بسطها إلا بالإعطاء، وفي الآية شبهة من جهة اللغة، لأنَّ العرب لا تقول: فلان جعل يده مغلولة ورجله مقيدة، وجعل رأسه متوجًا، ولكن تقول: فلان غلَّ[2] يده، وقيّد رجله، وتوج رأسه.

وهاهنا ذكر بلفظ الجعل، لأنَّ الجعل والفعل يردان في الكلام لدوام الفعل، كقوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: مداومًا عليها، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ أي: يداومون علىٰ إعطاء الزكاة، وقال: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ أي: داموا علىٰ هجره، فهاهنا نهيٌ عن مداومة الإمساك[3].

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٤٣٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٨.

(٢) في الأصل: علىٰ، وهو تصحيف.

(٣) وهذا الإشكال أورده الجرجاني في كتابه: نظم القرآن وأجاب عليه، وقد اختصر المصنف الجواب، وبسطه الواحدي في البسيط ١٣/ ٣١٨ فقال: «قال صاحب النظم: لا تكاد العرب تقول جعلت يدي مغلولة، ولا جعلت رجلي مقيدة، ولا جعلت رأسي معممًا، إنما يقولون: غَلَلتُ يدي، وقيَّدتُ رجلي، وعَمَّمتُ رأسي، والعلة في هذا النظم؛ أن الفعل أقل من النعت، والنعت ألزم وأكثر من الفعل؛ كما قلنا في قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ لأنه قد كان منه، ولا يجوز أن

وفيه دليل أنَّ الإمساك جائز في بعض المواضع، إذا كان في الإعطاء عيلة للمعطي وليس له ما يدفع به حاجته.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ أي: لا تُعطي جميع ما عندك مرة واحدة ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ والمحسور: هو الذي بلغ الغاية[١] في التعب بلومك سائر الفقراء إذا أتوك فلم يجدوا عندك شيئًا، معناه: بقيت ملومًا يلومك الفقراء، محسورًا مقطوعًا عن الإعطاء[٢].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يوسِّع علىٰ من يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يقتر ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ بصلاح[٣] ﴿بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ يعلم الذي يصلح له البسط فيبسط، والذي يصلح له القدر فيقتِّر عليه.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ أي: لا تدفنوا أبناءكم تحت التراب أحياء ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ مخافة الفقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ يعني: أولادكم وإياكم ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ أي: ذنبًا عظيمًا عند الله تعالىٰ.

والخِطأُ[٤]: لا يكون إلا تعمدًا إلىٰ خلاف الصواب.

يقال: آدم عاصٍ غاوٍ؛ لأن هذا نعت لازم، وكانوا يقولون: يد فلان مغلولة، أي أن المنع عادةٌ له، ولا يكادون يقولون: غُلَّت يده؛ لأن هذا فعل غير لازم، والأول لازم، وقد يمنع الإنسان في مواضع المنع ولا يُرْجَع عليه بلوم، فلذلك قال عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، أي: لا تكن ممسكًا عن البذل عادة، ولم يُرِدْ أن لا يمسك عند وقت الإمساك، يدل علىٰ ذلك قوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾؛ ومما يشبه هذا النظم، قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة إبراهيم:٤٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الفرقان:٣٠]».

(١) في الأصل: الغياية.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٣٦.

(٣) فصل بهذه الكلمة بين الباء وعباده.

(٤) وفي هذا الحرف قراءات، فقرأ ابن كثير: خِطَاءًا، وقرأ أبو جعفر وابن ذكوان وهشام بخلف عنه: خَطَأً، وقرأ الباقون: خِطْأً، كما أثبت. (النشر ٢/ ٣٠٧).

و«الخطأ» قد يكون غير عمد[١].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾ أي: الزنا قبيح من الفعل، وإنما قال: ولا تقربوا ولم يقل: ولا تزنوا؛ لأنَّه حذرهم عن القُرب إلىٰ الفعل بمقدمات حقيقة الفعل، وهو: النظر والكلام والتمنِّي والاستمتاع، كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ أي: بئس المسلك الزنا.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ معناه: إلا بالقصاص، أو الردة، أو الزنا وهو ثيب ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ نصب علىٰ الحال[٢]، أي: عمدًا بغير جرم ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ أي: لولي المقتول حجة، فقتل القاتل ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾ خطاب للولي[٣]، أي: لا يقتل غير القاتل، ولا يقتل القاتل بأنواع العذاب.

ومن قرأ: بالياء نهىٰ الغائب.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: ولي المقتول كان معانًا علىٰ قتل قاتل وليه[٤].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهو أنْ يتَّجر فيه للربح له والزيادة عليه، وقيل: بالقرض ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ مبلغ الرجال، ويؤنس منه الرشد.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٣٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٣١٠، وقال الثعلبي: كلها لغات معناها واحد (الكشف والبيان ١٦/ ٣٢٨).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧١.

(٣) وهذا علىٰ قراءة: تسرف، وهذا يدل علىٰ أنها هكذا في الأصل، لكن الناسخ كتبها بالياء، وبالتاء قراءة حمزة والكسائي وخلف (النشر ٢/ ٣٠٧).

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ٤٤٠.

﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ أي: أتموا العهود فيما بينكم وبين الله وبين الناس ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ والعهد لا يُسأل، ولكن ناقض العهد يُسأل عن نقضه، ويُطالب بحقه، والسؤال والطلب من الله عذاب.

﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ﴾ لكم ولغيركم ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾ أي: بالميزان العدل ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ أي: ذلك الوفاء بالعهد وإتمام الكيل والوزن خير من البخس والنقص ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥﴾ أي: مرجعًا وعاقبة.

﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ أي: لا تتبعنَّ لسانك من القول الذي ليس به علم، أي: لا تقل ما لا تعلم، يقال: قفوت الشيء إذا تبعت أثره[١]، والقذف[٢]، يقال: قفاني فلان أي: كذب علي ورماني بالبهتان.

قال مقاتل: يقول الله تعالىٰ: يا ابن آدم لا ترمني بالشرك فإنك ليس لك علم بأن لي شريكًا[٣].

﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ﴾ مهما استمعت إلىٰ شيء أو نظرت إلىٰ شيء أو عزمت علىٰ شيء ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ صاحبه يُسأل عن حسِّ الأذن، وحسِّ العين[٤].

وقيل: إنَّ الفؤاد حسُّ القلب.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٣٩.

(٢) في الأصل أقرب إلىٰ: القرب، وهو تصحيف، والصواب ما أثبت، بدلالة ما بعده، وانظر: تهذيب اللغة ٩/ ٢٤٦.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٢٥٧.

(٤) في الأصل: حسن الأدب، وحسن العين، وهو تصحيف الناسخ.

قال الجرجاني صاحب نظم القرآن: هذه إحساس هذه الأعضاء، التي هي: أذن وعين وقلب، فالسمع حس الأذن، والبصر حس العين، والفؤاد حس القلب (البسيط ١٣/ ٣٣٣).

ثم أمر الخلق بالتواضع فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: بطرًا وتكبرًا ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ ولا تقطعها مثل الملائكة ﴿وَلَن تَبْلُغَ﴾ تحاذي ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ الشوامخ ﴿طُولًا ۝٣٧﴾ وقيل: لن تخرق الأرض: كما خرقها قومٌ[1]، ولن تبلغ الجبال طولاً: كما بلغها عاج بن عنق، أو عوج بن عنق، وقد بلغك ما أصابهم.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾ أي: خطيئة ومعصية وإثمًا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر والنهي، وقيل: القرآن[2] ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ مما فيه صواب القول والعمل ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: لا تصف ولا تدع مع الله إلـٰهًا آخر، فإن فعلت ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝٣٩﴾ أي: مذمومًا مطرودًا مبعدًا من رحمة الله تعالىٰ، هذه كلها خطاب لرسول الله والمراد به غيره.

قال ابن عباس: من قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ إلىٰ هاهنا ثمانية عشر آية في ألواح موسىٰ عشر آيات[3].

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ أي: يختاركم ربكم بالذكور من الأولاد ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ بناتًا لنفسه ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ منكرًا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أي: بيَّنا ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ وكرَّرنا مرة بعد مرة فيه من كل مثل ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ أي: يتعظوا بأمثال القرآن وعجائبه ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤١﴾ وتباعدًا من القرآن والإيمان.

---

(١) كذا في الأصل، وقد حذف القوم، ولعل الصواب: قوم عاد.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٤٥٢، تفسير أبي الليث ٢/ ٣١٢.

(٣) وهو من رواية الكلبي، انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٣٠٦، الكشف والبيان ١٦/ ٣٤١، الكشاف ٢/ ٣٦١.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾[(١)] أي: تزعمون أنَّ الملائكة بنات الله فتكون الملائكة بزعمهم آلهة، لأنَّ ولد كل شيء مثله ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ يعني: لطلبوا إلىٰ خالق العرش طريقًا ليغلبوه ويقهروه، ويكونوا كهيئته فيقصدوا إلىٰ معازَّته[(٢)].

ثم نزَّه نفسه فقال ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ يعني: هو أعلىٰ وأعظم وأنزه من أن يكون له ولد ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ ولم يقل «تعاليًا» كما قال «تعالىٰ»، لأنَّ هذا مصدر جاء علىٰ خلاف الصدر، كقوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ وقوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ ولم يقل: بتقبلٍ حسن[(٣)].

---

(١) في الأصل: تقولون، وهي قراءة الجمهور إلا ابن كثير وحفصا، فقد قرآ: بالياء (النشر ٢/ ٣٠٧).

(٢) وهذا قول مقاتل، كما في تفسيره ٢/ ٢٥٨، وتفسير أبي الليث ٢/ ٣١٢.
ويروىٰ عن سعيد بن جبير وغيره (الكشف والبيان ١٦/ ٣٤٤، البسيط ١٣/ ٣٤٣، زاد المسير ٣/ ٢٦).
والمشهور في تفسير هذه الآية: أن المعنىٰ إذن لابتغت هذه الآلهة المزعومة القربىٰ لدىٰ الله والزلفىٰ إليه (تفسير الطبري ١٧/ ٤٥٤) وهو الذي صححه السمعاني (تفسير السمعاني٣/ ٢٤٣).
وهذه الآية قطعت علائق المشركين بآلهتهم، وألقمتهم حجر الذل والمهانة، وألزمتهم السفه والحمق، فإذا كانت آلهتكم تبتغي القربىٰ إلىٰ الإله الحق المعبود فما ظنكم بأنفسكم، والعجب أن يسمع عربي فصيح عاقل مثل هذه الآية -العالية في مقعد البلاغة والفصاحة مع وضوح الحجة والبرهان- ثم لا يذعن ولا يسلم، والله المستعان، وهذه السورة الجليلة فيها من هذه البراهين ما لا يوجد في سورة سواها، وهذا من جملة فضائلها.
وهكذا في الأصل: معازته، يقال: عزه يعزه عزا، قهره وغلبه في المعازة، أي المحاجة (تاج العروس١٥/ ٢٢١). وفي تفسير السمعاني: بالمفازة، وهو تصحيف عن المعازة، وفي بعض كتب التفسير: إلىٰ معاداته، وهي صحيحة كذلك.

(٣) الدر المصون ٧/ ٣٦٢.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ يعني الأرضون السبع ﴿وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ في السماوات والأرضين؛ من الخلائق من الجن[1] والإنس والطير والهوام والوحوش، أي: تنزه له عن مقالة الكفرة.

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي: ما من شيء إلا يذكر الله عز وجل بتوفيقه وأمره، وقيل: يسبحه[2] ويحمده، لأنَّ الخلق ثلاثة أنواع، فالمخاطبون يسبحون بأمره، وسائر الحيوان يسبح بإلهامه، والجمادات يسبحون بالجبر والاختيار لها، فصرير الباب تسبيح، وصليل السلاح عند الاستعمال تسبيح.

وقوله: «وإن من شيء» أراد به بعض الشيء، لأنَّ الأشياء كلها لا تسبيح لها، لأنَّ الأعراض والصفات لا تسبيح لها، والتسبيح نفسه لا يسبح.

وقال بعض أهل العلم: ما من شيء إلاَّ فيه دليل علىٰ أنَّ الله خالقه، وأنه حكيم، بريء من صفات السوء، فذاك تسبيحه[3].

ثم قال ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ أي: لا تفهمون ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ أي: حليمًا لا يعاقبهم علىٰ إضافة الولد إليه، وغفورًا يغفر لهم إنْ تابوا.

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥﴾ أي: ساترًا وهو الطبع الذي علىٰ قلوبهم، كقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ جمع كنان، وهو ما ستر، أن[4] يفقهوه: أي كراهة أن يفهموه.

---

(١) في الأصل: الحق.

(٢) في الأصل: كرر وقيل: يسبحه مرتين.

(٣) انظر: النكت والعيون ٣/ ٢٥٤، زاد المسير ٣/ ٢٦ .

(٤) في الأصل: أي.

قال ابن عباس: كان أبو جهل وأبو لهب وامرأته أم جميلة وأبو سفيان وحويطب والنضر بن الحارث جالسون، يسمعون كلام رسول الله إذا كلَّم[(١)] أصحابه، فقال النضر ذات يوم: ما أدري ما يقوله محمد، غير أني أرىٰ حركة شفتيه.

وقال أبو سفيان: إني أرىٰ بعض ما يقوله حقًا.

وقال أبو جهل: هو مجنون، قال أبو لهب: هو كاهن، وقال حويطب: هو شاعر، فأنزل الله تعالىٰ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في صلاتك في دار الندوة جعلنا بينك وبين الكفرة حجابًا مستورًا، لا يدركوا ما تأتي به من الحكمة[(٢)].

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ كيلا يسمعوا ولا ينتفعوا بالقرآن لأن به صمم ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ أي بالوحدانية، كقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وأشباهها.

﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ أي: نافرين، يعني رجعوا عن استماع كلامك وإجابتك.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ وهو الوليد بن المغيرة وأصحابه، استمعوا إلىٰ قراءة رسول الله في دار الندوة، ويريدون به الطعن والتكذيب[(٣)] ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ يتناجون فيما بينهم، يقولون: ساحر وكذَّاب ومجنون ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ مسلوب العقل مخدوعا[(٤)].

---

(١) كرر الكلمة في الأصل مرتين.

(٢) وهذا من رواية الكلبي ومقاتل، كما في تفسير مقاتل ٢/ ٢٥٩، الكشف والبيان ١٦/ ٣٥٣، البسيط ١٣/ ٣٤٦.

(٣) روي هذا عن مجاهد وقتادة، كما في تفسير الطبري ١٧/ ٤٦٠.

(٤) في الأصل: مجذوعا، وهو غلط، والصواب ما أثبت، وهو قول مجاهد، كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٣١٤، والسمعاني ٣/ ٢٤٦.

﴿ٱنظُرۡ﴾ يا محمد ﴿كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ وصفوا لك الأشباه من الكلام، يقول بعضهم: ساحر، ويقول بعضهم: شاعر ويقول بعضهم: كاهن ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٤٨﴾ إلىٰ الهدىٰ.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا﴾ بالية ﴿وَرُفَٰتًا﴾ متفرقة كالتراب، والرفات كل شيء رُفت أي: حطم وكسر ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩﴾ أي: مجددًا.

﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠﴾ يعني: لو كنتم بمنزلة الحجارة أو الحديد لمُتُّم ثم أحياكم الله.

﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾ يعني: الموت، الذي هو أكبر في صدوركم، لأماتكم الله ثم أحياكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ﴾ من يحيينا ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ﴾ أي: خلقكم من غير شيء أول مرة ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾ سيحركون رؤوسهم استهزاءً وتعجبًا، والإنغاض: تحريك الرأس[1] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ﴾ أي: متىٰ حينه ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١﴾ لأنَّ كل ما هو آت قريب.

﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ﴾ إسرافيل من قبوركم ﴿فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ﴾.

قال أبو سهل: يجيبونه وله الحمد علىٰ كل حال.

وسعيد بن جبير: يخرجون من قبورهم يسبحون الله ويحمدونه[2].

وقيل: تجيبونه بأمره ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢﴾ تحسبون ما لبثتم في قبوركم إلا قليلاً.

وبعض المتكلمين يبطلون بهذه الآية عذاب القبر، لأنَّ مدة العذاب لا ترىٰ

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٤، البسيط ١٣/ ٣٦٠.

(٢) رواه ابن أبي حاتم ١٣٣٠٧.

قليلاً، وعلىٰ قول عامة(١) العلماء: يرفَّه العذاب عنهم ما بين النفختين، فنسوا العذاب في البرزخ(٢).

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ﴾ أي: يأمروا بما أمر الله وينهوا عما نهىٰ عنه.

وقيل: يقولوا للكفار ألطف القول، ولكنه يخاطب عمر وأصحابه في بدئ الإسلام(٣).

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ يغري بين المؤمنين والكافرين ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ﴾ لابن آدم ﴿عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾ ظاهرًا عداوته ويجري منهم مجرىٰ الدم.

نسخت الآية بآية السيف(٤).

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ﴾ وأعرف بحالكم ﴿إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ﴾ فيدخلكم في الإسلام يا أهل مكة ﴿أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ﴾ فيميتكم علىٰ الشرك ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤﴾ حافظًا، وصارت منسوخة أيضًا.

---

(١) في الأصل: غاية.

(٢) قال أبو الليث: قال الكلبي: وذلك أنه يرفع عنهم العذاب ما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة، فينسون العذاب، فيظنون أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا يسيراً، وروي ذلك عن ابن عباس. وهذا أصح ما قيل فيه، لأن بعض المبتدعين قالوا: إذا وضع الميت في قبره لا يكون عليه العذاب إلىٰ وقت البعث، فيظنون أنهم مكثوا في القبر قليلاً. (تفسير أبي الليث ٢/ ٣١٥).

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٣١٦.

(٤) وهذا علىٰ القول أن المراد: القول للمشركين، وأما علىٰ ما ذكره ابن جرير وغيره من المفسرين من أن المراد: أن يقول بعضهم لبعض حسنا من القول، فلا نسخ (تفسير الطبري ١٧/ ٤٦٩).

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فضل إبراهيم بالخلة، وموسىٰ بالتكليم، ومحمدًا بالاصطفاء والمحبة ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝٥٥﴾ كتابًا: مائة وخمسون سورة، فيها ثناء الله وحمده، ليس فيه حُكم ولا حد[١].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: قل لأهل مكة ادعوا أصنامكم ليكشفوا الضرَّ الذي نزل بكم من القحط ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ أي: دفع القحط عنكم ﴿وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦﴾ نزلت في قوم من خزاعة كانوا يعبدون الملائكة[٢]، قال الله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعني الملائكة ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أي: يطلبون إلىٰ الله القربة بعبادتهم ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ مغفرته ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ وينبغي أن يكون خوف المؤمن ورجاؤه متساويين، لا يرجح أحدهما، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا»[٣].

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ أي: هو مخوف لا يأمن منه أحد، فاحذروا من ذلك واطلبوا الزُّلْفة من الله.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالسيف والزلازل والأمراض ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ الحكم ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾ في اللوح المحفوظ.

---

(١) تفسير السمعاني ٣/ ٢٥٠.

(٢) وهو من رواية الكلبي، كما تفسير أبي الليث ٢/ ٣١٦، وعن ابن عباس من طريق العوفي: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة وعزيرا وهو الذين يدعون (تفسير الطبري ١٧/ ٤٧١).

(٣) ليس هذا بحديث وإنما هو مروي عن بعض السلف، رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٠٨ عن مطرف، و٣/ ٧٦ عن مطر الوراق من قولهما. وهكذا رواه البيهقي في الشعب ٢/ ٣٢٧.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ «أن» الأولىٰ في محل نصب[١]، والثانية في محل الرفع[٢]، وذلك حين قالوا: لولا أنزل عليه آية من ربه، معناهُ: لم يمنعنا عن إرسال الآيات إلا بتكذيب الماضين من الأمم، ووجوب الهلاك عليهم، والله أخَّر عذاب هذه الأمة إلىٰ القيامة، وقد أعطىٰ رسوله من الدلالة ما يكفيهم الاستدلال به.

﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ أي: حجة بينه من الله تبصِّرهم ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ أي جحدوا بأنها من الله ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ۝٥٩﴾ لمن هلك ولمن بقي بعدهم[٣].

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ أي: عَلم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن، وكلهم في قبضته، يفتح عليكم مكة ويمنعك منهم حتىٰ تبلغ رسالات الله[٤].

﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾ ليلة المعراج في اليقظة إلا ابتلاءً لأهل مكة: أبي جهل وأصحابه، حتىٰ كذبوا فيما رأيت، وهذا قول عامة أهل التفسير[٥].

وقال ابن عباس: هي رؤيا نوم رآها رسول الله في المنام أنه سيدخل مكة ويظفر عليهم، كما قال الله تعالىٰ ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾[٦].

---

(١) أي: من أن نرسل (التبيان ٢/ ٨٢٥).

(٢) أي: فاعل منعنا (التبيان ٢/ ٨٢٥).

(٣) وفي تفسير الطبري ١٧/ ٤٧٧: عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحي عنهم الجبال، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن نستأني بهم لعلنا نجتني منهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، فقال: بل نستأني بهم، فأنزل الله هذه الآية.

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ٤٧٩.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٣١٨.

(٦) نسب الواحدي هذه الرواية عن ابن عباس لعلي بن أبي طلحة (البسيط ١٣/ ٣٧٨)، وهذه رواية منكرة، قال الواحدي: هذا القول يضعف من حيث إن هذه الرؤيا كانت بالمدينة، وهذه السورة مكية أهـ، وهذا من النقد باستعمال المكي والمدني، ومعرفة التاريخ.

ثم قال ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ معناه: وما ذكرنا الشجرة في القرآن، وهي شجرة الزقوم[١]، إلا فتنة، ابتلاء للناس، ابتلاء لأهل مكة[٢].

ومن تلك البلية[٣] قول ابن الزبعري: إنَّ محمدًا يخوِّفكم بالزقوم، كثَّر الله في بيوتكم منه، قالوا له: ما هو؟ قال: بلغة بعض أهل اليمن تمر وزبد، فرجع أبو جهل إلىٰ منزله، وقال لجارية له يمانية: زقِّمينا يا جارية، يختبرها في ذلك، فأتت الجارية بتمر وزبد، حتىٰ فشا ذلك في المشركين: إن محمدًا يخوفنا بأكل الزبد والتمر[٤]، فهذه ابتلاؤهم بالزقوم، حتىٰ تمادوا في كُفرهم، فأخبرهم الله أنْ ليس كما ظننتم، ولكنَّ الزقومَ شجرةٌ تخرج من أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين في القُبح، محشوة [بـ]ـالحيات، مملوءة سمًا، فكيف يشبه التمر والزبد.

وقيل: ابتلاؤهم أن قالوا النار تأكل الشجر، فكيف ينبت فيها الشجر، ولكن قيل: الشجرة من جنس النار، ولا تأكلها، كما في الكلاب والحيات والعقارب والزبانية.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ أي: نحذرهم ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ۝٦٠﴾ أي: عتوًا عظيمًا ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ إذ: من حروف الزوائد، ويكون بمعنىٰ: حين، ومتىٰ، ومعناه: وقلنا للملائكة الذين كانوا في الأرض بوحي أو

وروىٰ ابن جرير الطبري في تفسيره ١٧/ ٤٨٠، من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال: هي رؤيا عين، أريها ليلة الإسراء، وليست برؤيا منام، وهذا هو الصحيح الثابت عنه.

(١) وهو قول الجمهور، بل عده ابن جرير إجماعًا من الحُجَّة (تفسير الطبري ١٧/ ٤٨٤).

(٢) البسيط ١٣/ ٣٨٠.

(٣) في الأصل: النابة. غير منقوطة. وفي تفسير أبي الليث نحو ما أثبت.

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ٤٨٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٣١٨، البسيط ١٣/ ٣٨١.

إلهام اسجدوا لآدم ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١﴾ في حال كونه طينًا، استفهام بمعنىٰ الإنكار[١].

﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ﴾ أي: أخبرني كما يقال: أرأيت، والكاف لا معنىٰ له إلا تأكيد الخطاب، معناه أخبرني[٢] عن ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾ وهو محذوف الجواب، ودلالة الحال: لأيِّ شيء فضَّلته عليَّ وقد خلقتَه من طين وخلقتني من نار ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ﴾ أي: أبقيتني ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ أي: لأستولِينَّ علىٰ ذريته وأولاده[٣].

وقال أبو سهل: معناه لأحذر أحناكهم[٤] وأقودنهم إلىٰ المعاصي، إلا قليلاً من المعصومين من عبادك وأوليائك.

﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ ﴿ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ أي: من أطاعك من ذرية آدم في معصيتي ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾ مكافأتكم ﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ٦٣﴾ تامًا.

﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ وهذا أمر التوبيخ، معناه: استدعهم استدعاء يستخفهم إلىٰ إجابتك بصوتك، أي: دعائك، وقيل: صوت المزامير، وذلك أنَّ أولاد هابيل كانوا علىٰ رأس الجبل، وأولاد قابيل أنزلهم آدم في أسفل

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٩، البسيط ١٣/ ٣٨٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٩، البسيط ١٣/ ٣٨٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٩، الكشف والبيان ١٦/ ٣٨٥.

(٤) كذا في الأصل، وأخشىٰ عليه من التصحيف، فإن أصل الحنك الاستئصال، يقال: احتنكت السنة أموالنا أي استأصلتها (تفسير الطبري ١٧/ ٤٨٨، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٩).
وهذا القول هو الذي عليه أهل التأويل، وذكر الراغب الأصفهاني قولا آخر، فقال: يجوز أن يكون من قولهم حنكت الدابة، أصبت حنكها باللجام والرسن، فيكون نحو قولك: لألجمن فلان ولأرسننه (المفردات ٢٦١، وانظر: البسيط ١٣/ ٣٨٦). أما كلام أبي سهل فغير ظاهر.

الجبل، وكانوا حسانًا ذوات[١] جمال، فلم يقدر إبليس الجمع بينهما، فهيأ المزامير وقام في وسط الجبل وضرب بها، فصعد أولاد قابيل من الأسفل، وانحدر أولاد هابيل من الأعلىٰ، فالتقوا، فواقعوا الزنا وكان أول زنا ظهر في الدنيا.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي: اجمع عليهم ما قدرت عليه من مكائدك، أمر وعيد، وجاء في التفسير: أنَّ خيله كل خيل تسعىٰ في معصية الله، ورجله كل ماش في معصية الله.

وأصل الجلبة: شدة الصوت، والرَّجْل: جمع راجل كما يقال مسافر وسَفْر وشارب وشَرْب[٢].

وقوله ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ فمشاركة الأموال: أن يقولوا هذا لله وهذا لشركائنا؛ من البحيرة والسائبة وبعض الزروع وغير ذلك.

ومشاركتهم الأولاد: أن يسموا أولادهم عبد يغوث وعبد مناة وعبد العزىٰ.

وقيل: شركة الأموال مكاسب الحرام، وشركة الأولاد الزنا[٣].

ثم قال ﴿وَعِدْهُمْ﴾ أي: ادعهم إلىٰ طاعتك بمواعيدك الغرور أنْ لا جنَّة ولا نار ولا بعث ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ أي: لا يمنِّيهم بمثل هذه الأماني إلا غرورًا لا حقيقة لها، ولا يقال: كيف يجوز من حكمة الحكيم إطلاق المعصية لإبليس، لأنَّا نقول: الأمر إذا تقدمه نهي أو تأخر عنه وعيد فهو بمعنىٰ التهديد والوعيد.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٥٠، البسيط ١٣/ ٣٩١.

(٣) زاد المسير ٣/ ٣٧. .

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي: أهل صفوتي ليس لك عليهم سلطان، أي: قدرة على الإضلال ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿وَكِيلًا ۝٦٥﴾ أي: ربًا حافظًا ومانعًا(١).

ثم ذكر منّته فقال ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ﴾ أي: يسوق ﴿الْفُلْكَ﴾ يعني السفن ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ لأجلكم ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ من رزقه في التجارات ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٦٦﴾ حيث لم يغرقكم في الماء.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ أي: الشدة في البحر عند تعاصف الرياح وتلاطم الأمواج ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أي: ضلَّ عن ألسنتكم ذكر من تدعونه إلـهًا إلا ذكر الله، فإنكم لا تدعون عند الشدة [إلا] إلـه السماء ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن دعائه خالصًا وتركتم ذلك ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۝٦٧﴾ بالنِعَم، يعني بالإنسان الكافر هاهنا(٢).

ثم خوَّفهم فقال ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ إذا خرجتم من البحر إلى الساحل ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ يعني يغور(٣) بكم إلى أسفل الأرضين ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: حجارة من السماء كما أرسل إلى قوم لوط وأصحاب الفيل ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۝٦٨﴾ يمنعكم من عذابه.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ﴾ من عذاب الله ﴿أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ أي: ريحًا كاسرًا للسفن(٤) ﴿فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بنعمته ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا﴾ بما فعلنا بكم ﴿تَبِيعًا ۝٦٩﴾ يتبعنا وينكر علينا ما

---

(١) في الأصل: ربًّا وحافظًا.
(٢) فسر الكفر هنا بكفر النعم (تفسير الطبري ١٧/ ٤٩٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٢٠).
(٣) في الأصل: يعور.
(٤) والقاصف الكاسر (البسيط ١٣/ ٤٠٠).

فعلنا بكم، أو طالبًا يطلبنا بثأركم، والتبيع: هو الطالب[١].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ قيل: بأكلهم بأيديهم والبهائم تأكل بأفواهها، وقيل: العقل والتمييز، وقيل: بالضحك، وقيل: بكونهم منتصبي القامة والدواب والروابع كلها منكبة، وقيل: بجعل الأنبياء والرسل منهم.

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في البر علىٰ دواب من لحم ودم وأشياء رطبة، وفي البحر علىٰ سفن وهي خشب يابسة.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من لباب كل شيء ومخه، ورزق سائر الحيوان من القشر والتبن ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾ أي: شرَّفناهم وسوَّدناهم ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ نصب علىٰ المصدر[٢].

يعني: علىٰ جميع أهل الأرض وأكثر الملائكة، ويجوز أن يقال في العموم: أن بني آدم أفضل من الملائكة، ولا يجوز أن يقال لكل واحد هو أفضل من جبريل، ويجوز أن يقال محمد أفضل من جبريل.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ﴾ أي: اذكر يوم ندعو كل أناس ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾ قيل: برسولهم الذي كانوا يأتمون به، فتدعىٰ كل أمة بإتباع نبيهم فيعطىٰ كتابهم فيأخذونها بإيمانهم، ثم يدعىٰ بأتباع الشيطان فيقدمون فيعطىٰ كتابهم فيأخذونها بشمائلهم.

وقيل: إمامه كتاب عمله، وقيل: بدينهم الذي كانوا يدينون به، وقيل: بعمله الذي كان يعمله في الدنيا يقال: أين فلان بن فلان المصلي وأين فلان بن فلان المزكي، وفلان ابن فلان الغازي والحاجي، حتىٰ ينتهي إلىٰ النمَّام والفاسق

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٤٩٩، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٥٢.

وفي الأصل: الطلب، علىٰ عادته بإسقاط الألف من اسم الفاعل أحيانًا.

(٢) وفيه معنىٰ التوكيد (إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٩).

والخمَّار والمقامر، فانظر أيها اللبيب إلىٰ نفسك، واختر لها اسمًا لا تفتضح في الجمع الأكبر حين تُدْعَىٰ[١].

﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ ﴾ أي: ما في كتابهم ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ أي: لا تنقص من حسناتهم قدر الفتيل.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ أي: من كان في الدنيا أعمىٰ عن رؤية هذه النعم ولا يعرف أنها من الله ﴿فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي: هو في نعم الآخرة أشدُّ عمىٰ بقلبه ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ وقيل: من ضل في دار الدنيا حتىٰ لم يتفكر في أرضي وسمائي؛ وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والعجائب والجبال والرياح والليل والنهار؛ ولم يستدل بها أن لها ربًّا فهو في الآخرة أعمىٰ، أي: هو عن أمر الآخرة أجهل؛ حيث كذب بالبعث[٢] ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ أَخْطَأُ طريقًا.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ قال الأخفش: إنهم أرادوا فتنتك حتىٰ يصرفوك عن القرآن، جعل إنْ الخفيفة عوضًا عن الثقيلة.

وقال غيره: إنْ بمعنىٰ ما، واللام بمعنىٰ إلا، معناه: ما كادوا إلا ليفتنونك يستزلونَك[٣] عن الذي أوحينا إليك[٤].

---

(١) هذه الأقوال مروية عن بعض المفسرين، (تفسير الطبري ١٧/ ٥٠٢، النكت والعيون ٣/ ٢٥٨، زاد المسير ٣/ ٤٠) وقال ابن جرير: وأولىٰ هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: معنىٰ ذلك: يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمُّون به في الدنيا، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما ائتمّ واقتدي به، وتوجيه معاني كلام الله إلىٰ الأشهر أولىٰ ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها.

(٢) وكلا القولين متلازمان، فالنعم موصلة إلىٰ الحجج، وعرفة آيات المنعم، (انظر القوال في: تفسير الطبري ١٧/ ٥٠٥، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٢٢، زاد المسير ٣/ ٤١).

(٣) مهملة في الأصل: يستربونك.

(٤) وعند الزجاج (في معاني القرآن ٣/ ٢٥٣): إن واللام للتوكيد، والمعنىٰ: كادوا يستزلونك.

يعني: جماعة ثقيف حين أتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقالوا: ندخل في دينك حتىٰ تعطينا خصالاً نفتخر بهنَّ علىٰ العرب، وهي: أن لا نعشر، ولا نحشر، ولا نُجبَّىٰ[١]، وكل ربًا لنا فهو لنا، وكل ربًا علينا فهو موضوع، وأن نتمتع باللات، وكانت اللات في الجاهلية اسمها طاغية الكبرىٰ، إلا المؤن الموقوفة عليها فسألوا التمتُّع بالطاغية والعزىٰ سنة، ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول، وإن وادي الطائف كحرمة وادي مكة، لا[٢] يعضد شجرها ولا ينفر صيدها، فإن سألت قريش: لِمَ فعلت ذلك؟ فقل: أمرني ربي بذلك، وجاءوا بكاتبهم[٣] فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله أنْ لا يحشروا ولا يعشروا ولا يجبوا، فلم يكتب الكاتب.

قيل: إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لهم: أما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه ولا ركوع ولا سجود، وأما[٤] لا تكسر الأصنام بأيديكم فذلك لكم، وأما التمتع بالطاغية لا أمتعكم، ومن المحال أن نعبد في بلده إلٰهين، فألحُّوا عليه، فسكت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ثم قالوا للكاتب: اكتب ولا يجبوا، والكاتب ينظر إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقام عمر وسلَّ

---

(١) كذا في الأصل، وهو الصحيح، وفي بعض كتب التفسير: ولا ننحني، وهو صحيح من حيث المعنىٰ، لكن الظن أنه مصحف، والتجبية: الانحناء، يريدون أن لا يصلوا، وفي شرح القاموس ٣٧/ ٣١٨: وفي حديث وفد ثقيف اشترطوا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن لا يُجبُّوا، فقال صلىٰ الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه، قال شمر: أي لا يركعوا في صلاتهم ولا يسجدوا كما يفعل المسلمون، قال ابن الأثير: ولفظ الحديث يدل علىٰ الركوع والسجود..

(٢) في الأصل: لن، وهو تصحيف.

(٣) في الأصل: بكتابهم.

(٤) في الأصل: أما ما.

سيفه، ثم قال: أسعرتم -يا معشر ثقيف- قلب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أسعر الله قلوبكم نارًا، وقبوركم نارًا، وبيوتكم نارًا، قالوا: يابن الخطاب إنا لسنا أتيناك نكلمك[١]، إنَّا نكلم محمدًا، فأنزل الله هذه الآية[٢]: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ ما لم نقله.

﴿وَإِذًا﴾ لو فعلتَ ما أرادوا ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ مصافيًا محبًا.

ثم ذكر منَّته فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ أي: قررناك علىٰ الصواب، وعصمناك عن الزيغ ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ قال الحسن: قاربت بالهم[٣] بذلك عن غير عزم[٤]، فكان الركون بمعنىٰ الهمِّ، والهمُّ: حديث النفس، والعبد غير مأخوذ بحديث النفس.

---

(١) في الأصل: نكلم.

(٢) السورة مكية ووفد ثقيف وفد إلىٰ المدينة، ولذا فإن هذا القول ضعيف، وهو رواية الكلبي ومقاتل، ومن قال به استثنىٰ هذه الآية من النزول بمكة، ليصح له ذلك.
وقد ذكره مقاتل في تفسيره ٢/ ٢٦٦، وأبو الليث في تفسيره ٢/ ٣٢٢، والثعلبي في الكشف والبيان ١٦/ ٤٠٨، والواحدي في البسيط ١٣/ ٤١٩، من رواية عطاء عنه، وهي منقطعة. ورواه الطبري عن ابن عباس من طريق العوفي ١٧/ ٥٠٧، فهذه طرق منكرة عن ابن عباس، وقد أنكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٤٢.
وأحسن ما في الباب ما روي عن سعيد ومجاهد من محاولة قريش أن يلم الرسول صلىٰ الله عليه وسلم بآلهتهم، وفي سبيل ذلك قال قتادة: فخموه وسودوه وقاربوه، يعني تلطفوا بالقول، فرجىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم إسلامهم، فلعله وقع في نفسه أن ينظر في كلامهم، ولم يفعل شيئا مما أمروه به، حتىٰ يستأمر الوحي -كما سيأتي من قول الحسن- فثبته الله علىٰ المنع والإباء، ونزلت الآية مذكرة بنعمة الله عليه.

(٣) في الأصل: بانتهم، ولعل ما أثبت هو الصواب.

(٤) لم أجده.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ يعني: لو أذنت لهم ما سألوا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، يعني: ضعف عذاب الحياة وضعف حياة الممات، وذلك أن يسلب عنه حلاوة الأُنس في الدنيا، لأنَّ من كان له حلاوة الأُنس فيسلب عنه فهو أشد عقوبة عليه، وأما ضعف عذاب الممات هو القطيعة في العُقبىٰ، لأن القطيعة للموصلين أشد عقوبة من عقوبة من لم يرجُ الوصال[(١)].

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ مانعًا من عذاب نزل بك.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يستخفون بك ويحملوك علىٰ الخفة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ أي: أرض المدينة إلىٰ الشام، وهو أن يهود المدينة قالوا: يا محمد أنت نبي؟ قال: «نعم» قالوا: إن أرض الأنبياء أرض الشام، فإنْ كنت نبيًا فتحول إليه، والله يمنعك الناس إن كنت نبيًا، فخرج رسول الله من المدينة ونزل بذي الحليفة ليجتمع أصحابه، فنزلت الآية[(٢)].

وقيل: الآية مكية، وأراد إخراج أهل مكة إياه من مكة[(٣)].

---

(١) قال القرطبي (في الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٠١): أي لو ركنت لأذقناك مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الآخرة، قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وهذا غاية الوعيد، وكلما كانت الدرجة أعلىٰ كان العذاب عند المخالفة أعظم.

(٢) وهذا لا يصح رواية ولا دراية، قال ابن كثير: وهذا القول ضعيف؛ لأن هذه الآية مكية، وسكنىٰ المدينة بعد ذلك، ثم ذكر الحديث، وضعفه.

(٣) وهو الصحيح. ويدل عليه الواقع، قال ابن كثير (في تفسيره ٥/ ١٠١): وقيل: نزلت في كفار قريش، هموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم، فتوعدهم الله بهذه الآية، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا؛ وكذلك وقع؛ فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم، بعد ما اشتد أذاهم له، إلا سنة ونصف؛ حتىٰ جمعهم الله وإياه ببدر علىٰ غير ميعاد، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم، فقتل أشرافهم وسبىٰ سراتهم ؛ ولهذا قال: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٧٦﴾ مدة يسيرة.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أي: كسُنَّة من قد أرسلنا ﴿قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ إذا فعلت أممهم بهم، يعني: سنتنا فيما خلت من الأنبياء أن قومهم إذا قتلوهم أو أخرجوهم من بين أظهرهم عذبوا قريبًا ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ٧٧﴾ وتبديلاً.

ثم أمر رسوله ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ دلوكها: ميلها عند الزوال، والمراد به: صلاة العشي: الظهر والعصر، وقوله: إلىٰ غسق الليل؛ أي: مع غسق الليل، وهو: المغرب والعشاء، والغسق: الظلمة(١).

﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ وإنما سماه قرآنًا لتخصيصها بطول القراءة، فقد دخل في الآية الصلوات الخمس.

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ٧٨﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، لأنَّ ملائكة النهار تنزل عند الفجر؛ انفجار الصبح، وملائكة الليل ترجع عند الفراغ من صلاة الفجر؛ إذا قرب طلوع الشمس، ثم تمكث ملائكة النهار إلىٰ صلاة العصر.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ أي: اسهر، والتهجد: دفع النوم بالتكلف.

نافلة لك: زيادة وفضيلة، تناجي بها محبوبك في وقت خلواتك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ٧٩﴾ أي: واجب علىٰ ربك أن يبعثك المقام الذي يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة، خص الله تعالىٰ بالنافلة نبيَّه

قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي: هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم: يخرج الرسول من بين أظهرهم: ويأتيهم العذاب، ولولا أنه عليه الصلاة والسلام رسول الرحمة، لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣﴾.

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٥١٢، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٢٤، معالم التنزيل ٥/ ١١٤.

في الليالي ليعطيه محل الشفاعة[١].

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾ أي: أدخلني[٢] مدخل أمن وأخرجني مخرج أمن، حين أخرجتني من مكة وأدخلتني المدينة[٣].

وقيل: أدخلني المدينة علىٰ عزٍّ وشرف برغم اليهود والمنافقين، وإذا أخرجتني من المدينة لفتح مكة فأخرجني مخرج صدق أي شرف وعز علىٰ رغم المشركين[٤].

﴿ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ۝٨٠﴾ حتىٰ نغلب مشارق الأرض، ومغاربها فأجاب الله دعاءه وعصمه وأظهر دينه.

﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾ أي: ظهر الإسلام والقرآن، وبطل الشرك والأصنام ﴿إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ۝٨١﴾ ليس له بقاء عند مقابلة الحق.

قال الكلبي: لما فتح رسول الله مكة دخل البيت وفيه ثلاثة مائة وستون صنمًا مصفوفة، صنم كل فريق بحيالهم، وبيد رسول الله مخصرة، يأتي الصنم فيطعن بمخصرته في عينه أو بطنه ثم يقول: «جاء الحق وزهق الباطل»، فيجعل الصنم ينكب لوجهه، وأهل مكة يتعجبون والكفار يقولون: ما أسحره[٥].

---

(١) في صحيح البخاري (٤٧١٨) أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتىٰ تنتهي الشفاعة إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

(٢) في الأصل: سلوكنا، وهو تصيف.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٢٥.

(٤) وفيه أقوال أخرىٰ، رواها ابن جرير في التفسير ١٧/ ٥٣٤، ثم رجح القول الأول الذي بدأ به المصنف، لمناسبة السياق، وهو جلي لمن تأمله.

(٥) وأصل هذا مخرج في الصحيحين، فلا يحتاج فيه إلىٰ الرواية عن الكلبي ولا عن أمثاله، فقد روىٰ البخاري في الصحيح (٢٤٧٨) ومسلم في الصحيح (١٧٨١) عن عبد الله بن مسعود

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ مِن: زائدة[1]، المعنىٰ: أنزلنا القرآن شفاء لمن آمن به مِن عوارض الشك والشبهة في الدين ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِن الله إذ هداهم به إلىٰ الفوز العظيم ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ المشركين مِن أهل أمثال القرآن وعجائبه ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ أي: غبنًا في الآخرة وهلاكًا.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ أي: وسعنا عليه الرزق ﴿أَعْرَضَ﴾ عن سؤالنا ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ تباعد عن طاعة الله ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفاقة والمشقة ﴿كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ أي: صار يؤوسًا من الفرج، قنوطًا من الرحمة.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ الشاكلة: الطريقة، وفي هذا الموضع الذي يعني: كلٌّ من المؤمنين والكافرين يعمل علىٰ دينه ومذهبه، أشار إلىٰ أنَّ كلاً يعمل علىٰ ما يليق به، فالمؤمن يليق بدينه شكر النعمة، والكافر يليق بطريقته

رضي الله عنه أنه قال: دخل النبي صلىٰ الله عليه وسلم مكة، وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة سبأ:٤٩].

(١) سبق التنبيه علىٰ أنه لا زوائد في القرآن، بل كل لفظ فيه له فائدة معنىٰ، وجمال نظم ووقع، لكن بعض أصحاب المعاني يستعمل مثل هذه الألفاظ لأجل تقريب المعنىٰ، فقد يستغل كلامهم لأجل الطعن في القرآن، وإنما مرادهم الزيادة في الإعراب ونحو ذلك.
قال الواحدي في البسيط ١٣/ ٤٥٢: «مِن: هاهنا ليست للتبعيض بل هو للجنس، كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الحج:٣٠]، والمعنىٰ: وننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن، ما هو شفاء، فجميع القرآن شفاء للمؤمنين. قال قتادة: إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه، فعلىٰ هذا معنىٰ كونه شفاءً: أنه ببيانه يزيل عمىٰ الجهل وحَيْرَة الشك، يُستشفىٰ به من الشبهة، ويهتدىٰ به من الحيرة، فهو شفاء من داء الجهل.
وقال ابن عباس: يريد شفاءً من كل داء ، وعلىٰ هذا، معناه: أنه يُتبَرَّك به؛ فيدفع الله به كثيرًا من المكاره والمضار، ويؤكد هذا الوجه ما روي أن النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم قال: من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله».

كفران النعمة، والله تعالىٰ يليق بفضله الإنعام والرحمة لمن يستحقه.

وطريق ذو شواكل إذا كان له شعب، والواحد منها: شاكلة[١].

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ أي: أصوب دينًا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الذي يحيا به الإنسان ويموت بمفارقته ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: بتدبير ربي يخرج ويدخل في الجسم.

وقال أهل الإعراب: الروح جسم رقيق هوائي، علىٰ بنية حيوانية، في كل جزء منه حياة[٢].

وقال المفسر الكبير: الروح من المتروك الذي لا يصلح النص عليه؛ لأمور من الحكمة تقتضيه، منها أن ليس إلىٰ معرفتها حاجة، فينبغي للعالِم الحاذِق أن يوكل ما في نفسه وعقله من قوة الاستدلال علىٰ معرفة الروح إلىٰ ما فيه من الرياضة علىٰ استخراج الفائدة.

---

(١) معاني القرن للزجاج ٣/ ٢٥٧، البسيط ١٣/ ٤٥٨.

(٢) البسيط ١٣/ ٤٦٦، تفسير السمعاني ٣/ ٢٧٥، قال ابن الجوزي: وقد اختلف الناس في ماهية الروح، ثم اختلفوا هل الروح النفس، أم هما شيئان فلا يحتاج إلىٰ ذكر اختلافهم لأنه لا برهان علىٰ شيء من ذلك وإنما هو شيء أخذوه عن الطب والفلاسفة؟ فأما السلف، فانهم أمسكوا عن ذلك، لقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ (زاد المسير ٣/ ٥١).

قلت: وهذا مما ينبغي عدم الخوض فيه، فإن مباحثه ليست من مباحث الشريعة، بدليل أن اليهود سألوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم سؤال متعنت وممتحن، فقالوا له: أخبرنا عن الروح، فأنزل الله هذه الآية في الجواب عليهم، فكان الانتهاء بالمباحثة عن الروح إلىٰ هذا من أجوبة النبي صلىٰ الله عليه وسلم الدالة علىٰ نبوته، فإنهم أهل كتاب، ولم يكذبوه فيما امتحنوه فيه، فانتهىٰ اليهود عن المباحثة إلىٰ ما انتهىٰ إليه رسول الله ولم يزيدوا، وعليه فلا فائدة في البحث عما وراء ذلك، فأكثره رجم بالغيب.

وقال ابن عباس: في الإنسان روح ونفس، فالنفس التي بها التميز والكلام، والروح هي التي يكون بها الغطيط والنفَس، فإذا نام العبد خرجت نفسه وبقيت روحه، وإذا مات خرجا جميعًا.

وقال معاذ بن جبل: الروح خلق عظيم، لم يخلق الله شيئًا أعظم منه؛ إلا العرش، وهو على صورة الإنسان، له اثنان وسبعون لسانًا في اثنتين وسبعين فَمًا، كل لسان فيه ينطق باثنين وسبعين لغة، يستتر الملائكة بأجنحتها دونه مخافة أن يحترقوا من نوره، ونور ما يسبح الله به، فإذا سبَّح الله وقدس خرج ذلك النور منه، فيخلق من ذلك النور ملائكة يقال لهم: الروحانيون، وهو رئيس الملائكة، فكانت الملائكة يوم القيامة كلها صفًا والروح صفًا[١].

وقيل: الروح هو القرآن، سمي روحًا لأنَّ الروح سبب حياة النفوس، والقرآن سبب لحياة القلوب[٢].

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ والله تعالى لم يعط علم الروح أحدًا من العباد.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ﴾ عزَّى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية؛ حتى يصبر على أذى قومه، معناه: لو شئنا لمحونا[٣] من القلوب والكتب ما أنزلنا

---

(١) لم أجده عن معاذ، لكن رواه الطبري في التفسير ١٧/ ٥٤٤ عن علي بن أبي طالب، بإسناد فيه مجهول.

وهذا الخبر -على نكارته- ليس المقصود منه روح الحيوان، التي هي محل السؤال، بل الروح الذي قرن مع الملائكة في بعض الآيات، فهو من الملائكة، مثل قوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [سورة النبأ:٣٨] وهذا على مذهب من فرق بين الروح والملائكة، وأما من فسر الروح بأنه جبريل، فلا فرق.

(٢) زاد المسير

(٣) كررها في الأصل مرتين.

إليك؛ حتىٰ لا يوجد له أثر، معناه: إني قادر علىٰ أن أمنعك عن حفظ القرآن كما منعتك علم الروح ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ﴾ يرده إليك ﴿عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ أي: ناصرًا ومعينًا.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ معناه: ولكن رحمة من ربك، دبر في أمرك فأعطاك ما تحتاج إليه من القرآن، ومنعك ما لا تحتاج إليه من علم الروح، فاشكر هذه النعمة.

﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ حيث اختارك لرسالته وفضَّلك علىٰ الأولين والآخرين.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ أي: قل لأهل مكة لو اجتمعتما جميعًا وأعان بعضهما بعضًا ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في نظمه وعجائبه ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ أي: لو كان بعض الجن لبعض الإنس أو بعض الإنس لبعض الجن معينًا عليه، لأنه لا مثل له في الاختصار وجمع الكبير من المعاني في القليل من لفظه.

نزلت هذه الآية جوابًا لقول النضر بن الحارث حيث قال: لو نشاء لأتينا بمثل هذا[1].

واتصال الآية بما قبلها: أن لا تحزن إن لم يعلمك الله علم الروح فقد أعطاك القرآن الذي هوَ[2] صفته.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل عجب تخويفًا وتوعيدًا، وتحريمًا وتحليلاً، والأصول المثبتة حتىٰ يستنبط العلماء منها ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ أي: ثباتًا علىٰ الكفر.

---

(١) وهو من رواية الكلبي في ما يظهر، انظر: زاد المسير ٣/ ٥٢.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: هذا.

﴿وَقَالُواْ﴾ يعني قريش ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ أي: لن نصدقك ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ عيونًا جارية ﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١﴾ يعني وسط الجنة ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا [أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا]۝٩٢﴾ بتسكين السين[١]: أي قِطَعًا من العذاب[٢].

وقال عبد الله بن أبي أمية: والذي يحلف به لا أؤمن بك حتىٰ تشيد سُلَّمًا إلىٰ السماء فتصعد إليه ونحن ننظر، فتأتي بأربعة من الملائكة يشهدون لك بأنك رسول الله، وقد أرسلك إلينا، ثم لا أدري بعد ذلك أؤمن بك أم لا، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا﴾ الآية[٣].

﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾ أي من ذهب ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ﴾ إنه بعثك رسولاً إلينا.

﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ أي معاذ الله أن أدَّعي شيئًا مما سألتموني ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٣﴾ يعني: ما كنت إلا بشرًا.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ﴾ أي: لم يمنع أهل مكة عن الإيمان ﴿إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ البيان في القرآن ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ أي: إلا مقالتهم ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٤﴾ فموضع: «أن يؤمنوا» في الإعراب نصب، وموضع «أن قالوا»

---

(١) أي: كسْفًا، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف (النشر ٢/ ٣٠٩).

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٥٥٠.

(٣) وهذا قول سعيد بن جبير، انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٥٥٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٢٨، وروىٰ ابن جرير من طريق ابن إسحاق أنهم جماعة نزلت فيهم هذه الآيات (تفسير الطبري ١٧/ ٥٥٥).

رفع[١]، وحرف: «أن» إذا اتصل بالفعل المستقبل كان بمعنى المصدر، ومعناه: ما منعهم الإيمان إلا قولهم أبعث الله بشرًا رسولاً[٢].

وحقيقة المعنىٰ: أي ليس هناك نقصان في الأدلة والتبيان والحُجج والآيات التي تلزمهم الإيمان بأنه رسول الله؛ إلا هذه مقالتهم لحسد يحسدونه.

وقال الضحاك: ازدروا به لفقره ويُتمه.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ على أقدامهم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ ساكنين في الأرض ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا﴾ من جنسهم ﴿رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأنهم كانوا يقولون: من يشهد أنك رسول الله فأجابهم الله به، ثم قال ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ أي: عالِم بعملهم و جزائهم[٣].

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ أي: على الهُدىٰ والصواب، يعني: من أرشده الله لدينه فهو المرشَد والراشد ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ من يخذله فلا يوفقه لدينه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: أعوانًا يمنعونهم من عذابه ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ عن الحجة ﴿وَبُكْمًا﴾ لا يتكلمون بالحجة ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون خيرًا[٤].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٤.

(٢) أي: ليس لهم حجة سوىٰ القول (تفسير أبي الليث ٢/ ٣٢٩) وفي هذه الآية إزراء بمن يستدل بالأقوال دون الحجج والبراهين.

(٣) في الأصل: يعلمهم، وهو تصحيف فيما يظهر.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٣٠، وهذا لا يمنع من أن يكون حشرهم يوم القيامة عميا وبكما وصما، فلا يبصرون شيئا ولا يسمعون قولا، قال ابن جرير (في التفسير ١٧/ ٥٥٩): «فإن قال قائل: وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عميا وبكما وصما، وقد قال ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ

﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مستقرهم ومثواهم النار ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكن لهب نارها ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ۝٩٧﴾ جددنا لهم وقودًا، وأعدناهم خلقًا جديدا[1] تعمل فيهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ كتابنا ورسولنا ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ أي: ترابًا ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ بعد الموت ﴿خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨﴾ كما يزعم محمد، هذا لا يكون أبدًا، قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ بعجائبها ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ ثانيًا كما خلقهم بادئًا ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ﴾ أي: لهلاكهم في الدنيا ﴿أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ أن عذابهم وموتهم كائن ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝٩٩﴾ وهم أهل مكة، يعني جحودًا[2].

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ أي: مفاتيح رحمة ربي من الرزق

فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [سورة الكهف:٥٣] فأخبر أنهم يرون، وقال: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣﴾ [سورة الفرقان:١٣] فأخبر أنهم يسمعون وينطقون؟

قيل: جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العَمىٰ والبكم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم إلىٰ موقف القيامة، ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال أُخر غير حال الحشر، ويجوز أن يكون ذلك، كما روي عن ابن عباس في قوله ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [سورة الإسراء:٩٧] ثم قال ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾ وقال: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ وقال: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣﴾ أما قوله: عُمْيًا، فلا يرون شيئا يسرُّهم، وقوله: بُكْمًا، لا ينطقون بحجة، وقوله: صُمًّا، لا يسمعون شيئا يسرّهم».

قلت: وفي مثل هذا أجوبة، يقال: إن ذلك باختلاف المنازل والمراحل، ويمكن أن يقال: إن الله يسمعهم إذا شاء ويصمهم إذا شاء، فيسمعهم ما أراد ويصمهم عما لا يريد، وفي هذا زيادة في النكال والعذاب.

(١) في الأصل: حديد.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٥٦٣.

والمطر ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ أي: امتنعتم من النفقة مخافة الفقر ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ علىٰ نفسه وعياله، أي: بخيلاً مخافة الفقر[1].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ اليد والعصىٰ والسنين والطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم، وقيل: التاسع هو الطمس، وقيل: الحجر، وقيل: البحر[2].

﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾ موسىٰ بمصر، قيل: الخطاب لرسول الله، وقيل: سل يا أيها المُنْكِر لرسالة محمد هل كان كذلك؛ لأن رسول الله لم يكن يعرف هذه الآيات قبل نزولها عليه.

﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ أي: ساحرًا مفعول بمعنىٰ الفاعل[3]، وقيل: مخدوعًا.

أجابه موسىٰ و ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الآيات التي أتيتك بها أنزلها الله ﴿بَصَآئِرَ﴾ عِبرًا للخلق ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ﴾ أي: أعلمك ﴿يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ مُهلكًا[4].

وقيل: ملعونًا، والثبور في اللغة هو المنع، يعني: ممنوعًا من الخير[5].

﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يستخفهم من أرض

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٥٦٣، البسيط ١٣/ ٤٨٩.

(٢) اتفقوا علىٰ خمس منها، وهي: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، واختلفوا في أربعة، فقيل: اليد والعصا والأخذ بالسنين ونقص الثمرات، وقيل بدل الأخيرتين: فلق البحر والطمسة (تفسير الطبري ١٧/ ٥٦٤، البسيط ١٣/ ٤٩٤).

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٥٦٨.

(٤) وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٢٦٣.

(٥) وهو قول الطبري في تفسيره ١٧/ ٥٦٩.

أردن وفلسطين ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وقيل: يستزلهم من أرض مصر ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ من مجموعه ﴿جَمِيعٗا ١٠٣ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: بعد هلاك فرعون ﴿لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: أرض المقدسة من الأردن وفلسطين ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ البعث بعد الموت ﴿جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤﴾ مختلطين لا تتعارفون[١]، أي: لا يكلم بعضهم بعضًا، وقيل: لفيفًا جميعًا.

واللفيف: الجماعات من قبائل شتىٰ[٢].

وقال بعض المفسرين: أسكنوا الأرض[٣]: أرض مصر، وإن موسىٰ صلوات الله عيه رجع إلىٰ مصر بعد هلاك فرعون بثلاثة أيام، وبنىٰ قارون بها قصره، وفيها[٤] عبد العجل، وقُتل عاميل[٥]، وكانت التوبة والقتل بمصر، ومنها خرج إلىٰ الجبل فأعطىٰ الألواح، ثم خرجوا بعد ذلك متوجهين إلىٰ الشام، فلمَّا رجعت الجواسيس بأخبار مَن في الأرض المقدسة جبنوا وأبوا دخولها، فحبسهم الله تعالىٰ في تلك المفازة أربعين سنة، حتىٰ مات من كان مدركًا، والآخرون قد أدركوا، ومات فيها هارون ثم بعده موسىٰ، ومضىٰ أمر التيه بعد موت موسىٰ بأربعة أشهر، وخرج بهم من التيه يوشع بن نون، وقد بقي هو وكالوب بن يوفنا من رجال بني إسرائيل، فأول مدينة استقبلتهم من أرض المقدسة فتحها الله عليهم، وأمرهم أن يدخلوا الباب سُجَّدًا فعصوا ودخلوها

---

(١) لا تتعارفون من زيادات المصنف، ولم أجد هذا القيد في كتب التفسير التي وقفت عليها (انظر: البسيط ١٣/ ٥٠١، الكشاف ٢/ ٦٩٨).

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٥٧٢، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٣٢.

(٣) في الأصل: الأردن، وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: وفيه.. ومنه.

(٥) صاحب قصة البقرة.

زحفًا استهزاءً، فأخذهم الرجز، فمات منهم سبعون ألفًا في ثلاثة أيام[١].

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: بالبيان والصدق ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ مبشرًا لمن أجابك بالجنة، ونذيرًا لمن لم يُجِبْك بالنار.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ بالتخفيف[٢]، أي: أنزلناه مفرقًا.

ويعني بالتشديد: بيَّنا فيه الحلال والحرام فرَّقنا بينهما[٣].

﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أي: مهل ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ متفرقًا من أوله إلىٰ آخره في عشرين سنة، وهذا علىٰ قول من يقول: إنَّ الله أوحىٰ إلىٰ رسوله وهو ابن اثنتين وأربعين سنة، وهو في صدر من السنة الثالثة، ومكث بمكة بعد الوحي عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وهذا أصح الأقاويل عند أهل التفسير[٤].

وبعضهم قالوا: أوحىٰ إليه وهو ابن أربعين سنة، فكان مدة الوحي ثلاث وعشرين سنة[٥].

---

(١) في الأرض المرادة ثلاثة أقوال، مصر أحدها، وقيل: الصين وتُبَّت، وهو قول مقاتل (في تفسيره ٢/ ٢٧٥)، وقد سبق في سورة الأعراف، وقيل: الشام (زاد المسير ٣/ ٥٨).
والراجح الشام، بدلالة قوله تعالىٰ في سورة المائدة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وكانت الأرض هي الشام بلا خلاف.

(٢) في الأصل: بالتشديد، وهو خطأ من الناسخ، سيأتي التشديد بعد. وقد قرأ بالتشديد ابن محيصن (اتحاف فضلاء البشر ٣٦٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) الكشف والبيان ١٦/ ٥٠٣، زاد المسير ٣/ ٥٨.

(٤) وهذا رواه عكرمة عن ابن عباس، رواه ابن جرير ١٧/ ٥٧٤، وهو مبني علىٰ جبر الكسور.
وعن الحسن البصري مثله.

(٥) وعن الحسن البصري رواية أخرىٰ: نزل في ثماني عشرة سنة (رواه ابن جرير ١٧/ ٥٧٦).

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ۚ﴾ خرج الكلام على لفظ الإباحة، والمراد: التهديد، معناه: إن آمنتم أو لم تؤمنوا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ من مؤمني أهل التوراة ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ آيات القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ يقعون على وجوههم خاضعين لله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ مما أكرمنا برؤية نبيه والاستماع من آياته، فكم من قوم ماتوا مشتهين للقاء رسوله ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ أي: قد كان وعد ربنا فيما وعد في التوراة والإنجيل بأني باعث رسولاً عربيًا حرميًا تهاميًا راكب الجمل مفعولاً، أي: كائنًا[1].

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ أي: باكين ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ مما سمعوا من القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ وتواضعًا في دينهم لربهم عزَّ ذكره.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ وذلك أنَّ ذكر اسم الرحمن في القرآن كان قليلاً، حتى أسلم ابن سلام وأصحابه ساءهم ذلك لأنَّ ذكر الرحمن في التوراة كثير، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[2].

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ فبأي اسم دعوتموه: الله، الرحمن، الرحيم ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يعني الصفات العليا ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ يعني: لا تجهر بالقرآن في

والمشهور أنه نزل في ثلاث وعشرين سنة، في مكة ثلاث عشرة سنة، وفي المدينة عشر سنوات (الكشف والبيان ١٦/ ٥٠٣).

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٥٧٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٣٢، وقيل: المراد بالكتاب هنا، هو كتابهم، وهذا قول بعيد عن الصواب.

(٢) وهذا قول الكلبي، كما صرح به أبو الليث في تفسيره ٢/ ٣٣٣، وهو يقتضي أن الآية مدنية، وهو ضعيف، فقد صح عن أبي الجوزاء عن ابن عباس. قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو: يا رَحْمَنُ يا رَحيمُ، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدا، وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله الآية، رواه ابن جرير (١٧/ ٥٨٠).

صلاتك لأن الكفار كانوا يؤذونه عند الجهر ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ لأنَّ من خلفك لا يسمع المخافتة ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ أي: اسلك بين الجهر والمخافتة مسلكًا، مقدار ما تُسمع أصحابك[١].

فلما هاجر إلىٰ المدينة نسخت الآية بآية القتال[٢].

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الحمد لله إضافة النعمة إلىٰ موليها، والإقرار له بها، فأُمر رسول الله أن يقول لأمته: إنَّ المُنْعِم علىٰ الخلق هو الله الواحد الذي لم يتخذ ولدًا.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ أي: ليس له ولد يرث ملكه، ولم يكن له في المُلك شريك يعازُّه.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: ليس له ولي من أهل الذل، وهم: اليهود والنصارىٰ.

وقيل: لم يتعزز بأحد من خلقه من ذل أصابه.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ أي: عظِّمه تعظيمًا[٣].

---

(١) روىٰ البخاري (٤٧٢٢) ومسلم (٤٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قال: نزلت ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مختف بمكة، كان إذا صلىٰ بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالىٰ لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم: ولا تجهر بصلاتك: أي بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم، وابتغ بين ذلك سبيلا.

وروىٰ البخاري (٦٣٢٧) عن عائشة أنها قالت: «أنزلت في الدعاء».

(٢) ورواه الضحاك عن ابن عباس (تفسير ابن كثير ٥/ ١٢٩).

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٥٨٩.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة بني إسرائيل فيرق قلبه عند ذكر الوالدين أعطي قنطارين في الجنة، والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية، والأوقية منها خير من الدنيا وما فيها»[1].

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٦/ ١٧٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٨٣.

سورة الكهف

مكية كلها[١]، وهي مائة وخمس آيات في المدني، وأحد عشر آية في البصري[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الشكر والألوهية والثناء لله عز وجل؛ الذي أنزل القرآن من اللوح المحفوظ علىٰ عبده محمد صلىٰ الله عليه وسلم قيمًا مستقيمًا ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ واللام زائدة، ومعناه: لم يجعله عوجًا، ولم يقل: ولم ينزله معوجًا؛ أي: مخالفًا للتوراة والإنجيل، بل هو موافق لهما في التوحيد وبعض الشرائع[٣].

والعوج في الكلام: هو العدول عن طريق الاستقامة، والفساد[٤].

﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي: أنزلنا لينذر محمدٌ الناسَ بأسًا شديدًا، أي: يخوِّفهم بالعذاب الشديد ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يُفرِحْهُم بما وعدهم الله في الآخرة من الثواب، وهم أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم[٥].

---

(١) وهو إجماع من المفسرين (الكشف والبيان ١٧/ ٧، زاد المسير ٣/ ٦٣).

(٢) وست في الشامي وعشر في الكوفي (البيان ١٧٩).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٨.

(٤) كذا، أي هو الفساد، وأخشىٰ أن يكون مصحفا، وصوابه: عن طريق الاستقامة والقصد.

(٥) دخول الصحابة في هذه الآية دخول أولي، ولكن الآية عامة (تفسير الطبري ١٧/ ٥٩٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٣٤).

ثم وصفهم فقال ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الصلاة والصيام ﴿أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنًا ۝٢﴾ يعلمون بأن لهم ثوابًا كريمًا في الجنة ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ أي: دائمين في الآخرة، مقيمين في ثواب عملهم، نصب على الحال[1].

﴿وَيُنذِرَ﴾ بالقرآن ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ عيسى وعزير والملائكة.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ أي: بما قالوا ﴿مِنۡ عِلۡمٍ﴾ أي: بيان وحجة ﴿وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾ الذي مضوا على منهاجهم وهو الشرك ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةً﴾ أي: كبرت تلك الكلمة كلمة ﴿تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾ ذِكْرُ الأفواه تأكيدٌ ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ أي: ما يقولون إلا زورًا.

ثم عزَّى رسوله ليصبر: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ أي: تريد أن تقتل نفسك أسفًا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ أي: بعدهم ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: القرآن، و ﴿أَسَفًا ۝٦﴾ منصوب لأنه مصدر في موضع الحال[2].

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا﴾ أي: خلقنا جميع ما على وجه الأرض من الزخارف زينة[3] وبهجة للأرض.

فلو قيل: أي زينة للأرض في الذباب والحيات وما أشبههما؟ قلنا: هذا لبعض الأشياء لا كلها، وقد يذكر «كل شيء» ويراد بعضه، قال الله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ وقال في قصة بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ والمراد بعضه.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٨، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٣٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٨، التبيان ٢/ ٨٣٨ . والمعنى: حُزنًا وقيل: غضبًا (معالم التنزيل ٥/ ١٤٤).

(٣) في الأصل: وزينة.

ولأنَّ هذا زين في باب الدلائل لا في باب المنظر، لأنَّ إنسانًا لو استدل بما وضع الله في الأفعىٰ من السم في رأسه وذنبه والترياق في متنيه علىٰ تثبت الصانع وتوحيده تزين به مجلسه.

﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ۝٧﴾ أي: أزهد في هذه الزخارف، وقيل: إنهم أكثر شكرًا لنا إذا نظروا إلىٰ صنيعنا[1].

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا﴾ أي علىٰ هذه الأرض من الزهرة ﴿صَعِيدٗا جُرُزًا ۝٨﴾ أي: ترابًا أملس لا نبات فيها[2].

﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ﴾ معناه: أحسبت وظننت أنَّ الفتية من أصحاب الكهف ﴿وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ فاحسبهم كذلك، فإنَّ أمرهم عجب.

وقال الكلبي: هم عجب، وعجائب السماوات والأرض أعجب[3].

وقيل: هم عجب وما أطلعتك عليه من الغيب أعجب.

قال الجنيد: لا تعجب فإن شأنك أعجب من شأنهم؛ حيث أُسريَ بك في ليلة من مضجعك إلىٰ سدرة المنتهىٰ، ثم قاب قوسين أو أدنىٰ، ثم رددتُك إلىٰ مضجعك قبل انقضاء الليلة.

وأما الرقيم: فقيل: هو اسم الوادي، وقيل: الكتاب الذي كتب فيه شأنهم.

وقال سعيد بن جبير: هو اسم كلبهم[4].

---

(١) ويجمع هذا: اسم الاختبار والامتحان (تفسير الطبري ١٧/ ٥٩٩).

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٣٥، تفسير الطبري ١٧/ ٦٠٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٥٦.

(٤) روىٰ ابن جرير في التفسير ١٧/ ٦٠٣، عن سعيد بن جبير أنه قال: الرقيم: لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه علىٰ باب الكهف.

وقيل: اسم الجبل الذي فيه الغار، وقيل: لوح كتب فيه أساميهم ووضع في خزائن الملوك[(١)].

ثم بيَّن القصة فقال: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ أي: صاروا إليه وجعلوه مأوىٰ، والفتية: جمع فتىٰ، قيل: سماهم فتية لأنهم آمنوا بلا واسطة، وقاموا إلىٰ الله بإسقاط العلائق ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أعطنا من تفضلك رحمة تثبتنا علىٰ ديننا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ أي: سبِّب لنا من أمرنا الذي نحن فيه رشدًا وصوابًا مقرب إليك، ويزلف لديك.

وقيل: اجعل لنا من أمرنا مخرجًا.

قال ابن عباس: كان بمدينة الروم ملك ظهر عليها يقال له: دقيانوس، وتسمىٰ أرضهم: أفسوس، فكان يدعوهم إلىٰ عبادة الأوثان، فمن كفر بالله تركه ومن أبىٰ الدخول في دينه قتله، فهدىٰ الله تعالىٰ شابًا من أهل المدينة فكان يدعوهم سرًا إلىٰ الله تعالىٰ حتىٰ تابعه سبعة أغلمة، فأُخبر الملك خبرهم فهربوا منه، ولم يظفر الملك بهم، ومروا بغلام راعي معه كلب، واسم الكلب قطمير، وكان لونه أدعس، وقيل: أدغس، وهو لون بين اللونين، فدعوه إلىٰ أمرهم فتبعهم[(٢)] واتبعه كلبه، حتىٰ أتوا غار الكهف، فبعثوا واحدًا إلىٰ السوق ليشتري لهم طعامًا فرجع وأخبرهم بأن الملك والناس في طلبهم، فأكلوا ما أتاهم ولم يشبعوا، ثم ناموا علىٰ جوعهم ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ بالنوم ثلاثمائة وتسع سنين، فجاء الملك مجموعة ورأوا آثار أقدامهم داخلين، فدخلوا الكهف

وعنه: هو لوح فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم (معالم التنزيل٥/ ١٤٥).

(١) انظر: الأقوال في الرقيم في: تفسير الطبري ١٧/ ٦٠٢، البسيط ١٣/ ٥٣٤، النكت والعيون ٣/ ٢٨٦، زاد المسير ٣/ ٦٦.

(٢) في الأصل: فالبعهم.

فأعمىٰ الله عليهم أبصارهم[١]، وأمر الملك بأن يسدوا عليهم باب الكهف، حتىٰ لو كانوا فيه يموتون[٢].

قال الله تعالىٰ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ﴾ أي أنمناهم فيه ﴿سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ أي: ذات عدد، ومنعناهم عن السمع لأن النائم إذا سمع ينتبه.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم من نومهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: لنميز ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ أي: الفريقين ﴿أَحْصَىٰ﴾ المؤمنين أو الكافرين ﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ أي: لمكثهم في الغار.

وأمدًا: نصب علىٰ التمييز[٣].

وكان في زمنهم رجلان مسلمان يكتمان إيمانهما من دقيانوس، أخذوا لوح رصاص وكتبا فيه اسم الفتية، وأسماء آبائهم وفرارهم من دقيانوس بسبب إيمانهم، وألزقاه داخل الكهف، فلما بعثهم الله استيقظوا علىٰ الجوع الذي كانوا عليه ناموا، فأقبلوا في تدبير الطعام.

قال الله تعالىٰ: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: خبرهم بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ أي: يقينًا وبصيرة من أمر دينهم.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي حفظناهم: علىٰ الإيمان وألهمناهم الصبر ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ في بلدهم يترددون حين خرجوا من عند الملك ﴿فَقَالُواْ﴾ فيما بينهم

---

(١) في الأصل: ابارهم، مهملة.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٣٥، وروىٰ ابن جرير نحوه عن ابن إسحاق وغيره (تفسير الطبري ١٧/ ٦٠٩).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٠، التبيان ٢/ ٨٣٩.

﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فكيف ننظر إلىٰ شيء دونه، ونسكن إلىٰ من سواه ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ غيره، ولو قلنا ذلك أو فعلنا ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ جورًا وكذبًا[1].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ أي: هلا يأتون علىٰ ما يقولون بحجة بيِّنة أنَّ غير الله آلهة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ اختلق علىٰ الله باطلاً.

ثم قال بعضهم لبعض: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ أي: اعتزلتم منهم وعبادة معبودهم ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فلم تعتزلوه، وإنما استثنوا الله تعالىٰ لأنهم ظنوا أنَّ فيهم من يعبد الله كعبادتهم، ولأنَّ الكافر يعبد الله في الضراء إن لم يعبده في السراء، ولكن يشركون معه الأصنام[2].

﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ أي: اجعلوا الكهف مأواكم ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: ينشئ لكم ويوسع عليكم ربكم من رزقه ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ أي: يبيِّن لكم في أمركم الذي ابتليتم به رشدًا ونجاة.

وقيل: شيئًا يرتفقون به[3].

ويجوز فتح الميم وكسره والفاء مفتوحة لا غير[4].

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ بالغداة ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ أي: تمايل.

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٦١٥.

(٢) انظر: البسيط ١٣/ ٥٤٨.

(٣) البسيط ١٣/ ٥٤٩.

(٤) قرأ المدنيان وابن عامر: مَرفِقًا، بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الباقون كما أثبت في الآية (النشر ٢/ ٣١٠).

قال الكلبي: كان باب الغار نحو بنات النعش في أرض الروم، لم تصبهم الشمس إذا طلعت، تمايل عن كهفهم ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ أي: تعدل عنهم وتتركهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ لأنها تطلع عن يمين الغار، وتغرب عن يساره، فلا تؤذيهم بحرها وسمومها[1].

وقال بعض أهل التفسير: ليس فيما ذكر[2] كبير فائدة وكرامة، ولكن معناه: أن الشمس كانت تطلع بحذاء باب الغار، ولا يدخله شعاعها، بل تزوَّر عنها، أي: تميل[3].

قال أهل الإشارة: إنَّ الشمس امتنعت عن أنوارهم، ولو اطلع من نورهم مقدار ذرة أكسفها وذهب بنورها[4].

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: متسع من الغار ينالهم نسيم الريح ويدفع عنهم غمة الغار ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: عجائب صُنعه ولطفه بعباده المؤمنين ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ أرشده ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ يدله على الصواب، وينوِّر قلبه للتوحيد.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤٠.

(٢) أي الكلبي.

(٣) قال ابن عباس: لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم، ولو أنهم لا يقلبون لأكلتهم الأرض، رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٧/ ٦٢٠، ثم قال: وإنما معنى الكلام: وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم، فتطلع عليه من ذات اليمين، لئلا تصيب الفتية، لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم وثيابهم، أو أشحبتهم، وإذا غربت تتركهم بذات الشمال، فلا تصيبهم، يقال منه: قرضت موضع كذا: إذا قطعته فجاوزته، وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة، وأما الكوفيون فإنهم يزعمون أنه المحاذاة، وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قُبُلا ودبرا، وحذوته ذات اليمين والشمال، وقُبلا ودبرا: أي كنت بحذائه، قالوا: والقرض والحذو بمعنى واحد..

(٤) وهذا من الإشارة البعيدة.

﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ﴾ يا محمد لو رأيتهم ﴿أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾ أي: نيام غير منتبهين، وقيل: لكثرة تقلُّبهم يظن من رآهم أيقاظًا.

﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ كيلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ بفناء الباب ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ في ذلك الوقت وقبل النوم ﴿لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾ أي: هربت منهم من هول ما دخلك منهم ﴿وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾ أي: امتلأت ذعرًا.

قال الضحاك: لافتتاح أعينهم والنَفَس الذي يخرج منهم.

وقيل: لأنهم في حالة الوجود وقد أحاط بهم الهيبة من الله[1]، وأهل الدنيا كلهم في حال العدم والفناء، فمن كان في حالة الفناء لا يمكنه الاطلاع علىٰ من كان في حالة الوجود، ولأنَّ الحق أفناهم عنهم وأبقاهم به، فبقوا مع الحق في ميدان عظمته، فمن نظر إليهم من حيث الفناء هرب منهم، ولا يستطيع النظر إليهم.

وقيل: لو اطلعت عليهم فالخطاب له والمراد غيره، معناه: أيها السائل عنهم لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ أي: كما ناموا كذلك أيقظناهم وفيهم بقية الجوع ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ ليتحدثوا فيما بينهم ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ رئيسهم: مكسلمينا[2] ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ﴾ في هذا المكان نيامًا؟ ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ﴾ لأنهم نظروا إلىٰ الشمس وقد قاربت للغروب فلذلك قالوا: بعض يوم، فلما نظروا إلىٰ الباب ووجدوه علىٰ غير الهيئة التي دخلوه ﴿قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ وإنما قال ذلك رئيسهم.

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٦٢٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤١.

(٢) وهو من مرويات الكلبي، كما في تفسيره ٢٤٥ ، وانظر: معالم التنزيل ٥/ ١٥٩.

وقيل: لم يعرفوا الوقت لأنهم كانوا مع المحبوب وقد شغلهم ذكر المحبوب عن ذكر الزمان، لأنَّ ألف سنة مع الحبيب ساعة، وساعة في غيبة الحبيب ألف سنة.

﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قيل: إنَّ أصحاب دقيانوس لما سدوا باب الغار قيض الله رجلاً حتىٰ هدمها، وبنىٰ علىٰ باب الغار حظيرة لغنمه، فقالوا عند ذلك: ربكم أعلم بما لبثتم، ثم بعثوا إلىٰ المدينة بدراهمهم، وكانت الدراهم مثل أخفاف الإبل[1].

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أطيب، أي: أحل ذبيحة لأنَّ أكثرهم كان مجوسًا، وقيل: كانوا يذبحون الخنازير[2] ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: يتوارىٰ في المشي ويرفق في الشراء ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ أي: لا يعلم الرسول أحدًا بمكانكم.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يظفروا بكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ بالحجارة ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾ أي: يرجعوكم في ملتهم الشرك ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ إن رجعتم إلىٰ دينهم لن تسعدوا أبدًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما هم علىٰ حالتهم اطلعنا عليهم الملك المسلم ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: ليعلم الذين يكذبون بالبعث أن البعث حق ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ وذلك أنَّ يمليخا[3] صاحب لهم ذهب بالدراهم إلىٰ خباز ليشتري خبزًا، فقال له الخباز: مِن أين لك هذه الدراهم؟ فقال: بعت أمس شيئًا من مالي، وأخذت هذه الدراهم، فقال: تستهزئ بي،

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤١، حيث نسبه لابن عباس من طريق مجاهد.

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٦٠ .

(٣) وفي بعض الروايات: يمليخ (تفسير الطبري ١٧/ ٦٣٧).

وهذه دراهم ضربت منذ أكثر من ثلاثمائة سنة، في زمن دقيانوس، أنت وجدت كنزًا، فإن جعلت لي فيه نصيبًا وإلا رفعتك إلىٰ الملك، وكان لهم ملك يقال له يستفاد، مسلمًا، وقيل: كان مجوسيًا عادلاً، فأخذه وجرَّه إلىٰ الملك فسأله الملك عن حاله، فأخبره بحاله وحال أصحابه أنهم فروا من دقيانوس، وظنوا أنهم ما مكثوا في الغار إلا بعض اليوم، فأخبر العلماء الملك بما كان من حال الفتية في زمن دقيانوس، وهربهم، فركب الملك في أُناس حتىٰ انتهوا إلىٰ باب الكهف، فقال يمليخا: أنا أسبقكم كيلا يظنوا أن هذا عسكر دقيانوس، فلا يخافون منكم، فدخل عليهم وأخبرهم بحال البلد، وإتيان الملك، فسألوا الله تعالىٰ أن يميتهم من ساعته، وأن يعميهم عن رؤيته، فاستجاب الله دعاءهم(١).

وقيل: إن الملك قد بلغ إليهم وراءهم وكلَّمهم فشكر اللهَ الملكُ علىٰ قوم هلكوا في زمن دقيانوس، ثم أحياهم الله في زمانه، وحسبوا ذلك: فكان ثلاث مائة وتسع سنين.

فلم يبق مع الملك أحد من الكفار إلا أسلم، فبينما هو يحدثهم إذ ماتوا، فبنوا علىٰ باب الكهف مسجدًا، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ القول فيما بينهم ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ أي: كنيسة، وإنما قال ذلك المجوس ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أي: بحالهم وقصتهم ولم يكونوا مجوسًا ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ أي: الملك المسلم مع المسلمين ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ فبنوا علىٰ باب غارهم مسجدًا يصلي فيه، وتم الكلام(٢).

﴿سَيَقُولُونَ﴾ يا محمد في زمانك أي: أهل الكتاب يقولون: هم ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ذكر الكلب مع أوليائه، كما روي في الخبر: أنَّ الملائكة إذا

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٦٣٥.

(٢) اختلف في صاحب هذا القول، أهم المسلمون أم الكافرون (تفسير الطبري ١٧/ ٦٤٠).

رجعوا من مجلس العلم والذكر يقول الله تعالىٰ: «علىٰ ماذا تركتم عبادي؟ قالوا: يسألون الجنة، فقال: أعطيتها لهم، ثم ذكر استعاذتهم عن النار، فقال: اشهدوا أني حرَّمتها عليهم»[١].

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: قالوا قولاً بالظن وليس له حقيقة ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ يعني: تقول الفرقة الثالثة هم سبعة وثامنهم كلبهم، وهم الملكانية[٢].

دخل الواو في الثمانية للتصديق، وقيل: واو الثمانية[٣].

ومعنىٰ الكلام: يقولون سبعة، تم الكلام، ثم قال مبتدئًا: وثامنهم كلبهم، علىٰ أن الحساب قد بلغ منتهاه[٤].

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ﴾ أي: لا يعلم عددهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من الناس، وهو النبي صلىٰ الله عليه وسلم حيث أخبره الله بعددهم، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

ثم قال لرسول الله ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَاهِرًا﴾ أي: لا تناظر ولا تجادل نصارىٰ نجران في عددهم إلاَّ مراء ظاهرًا، أي: أخبرهم بما أخبرناك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: لا تسأل أحدًا من نصارىٰ نجران ولا غيرهم من قصة أصحاب الكهف، فيرتابوا في أمرك.

---

(١) ومحل الشاهد في تتمة الحديث: قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء، إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم، رواه مسلم (٢٦٨٩).

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤٢، الكشف والبيان ١٧/ ٨٣، البسيط ١٣/ ٥٧٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٧، الكشف والبيان ١٧/ ٨٦، البسيط ١٣/ ٥٧٩، معالم التنزيل ٥/ ١٦١.

(٤) وهذا علىٰ قول الجرجاني صاحب نظم القرآن، كما في البسيط ١٣/ ٥٧٥.

وعن ابن عباس: أسماء أصحاب الكهف مَكْسَلْمِينا، ويَمْلِيخَا، ومَرْطُوَيس، ونَوَالِس، وسَاربْيُولُس، وكَفْسُوابَلْط، وتَطْيُونِس سوس.

وفيها روايات مختلفة، وقيل: مَرْطُويس اسم الراعي، والله أعلم(١).

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ معناه: إلا مع: إنْ شاء الله ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ معناه: إذا نسيت ثم ذكرته بعد الكلام، فاذكر ربك، وقل: إن شاء الله(٢).

وقيل: إذا نسيتَ غير الله فاذكره لأنَّ ذكر الله وذكر غيره لا يجتمعان(٣).

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ أي: ينصرني ويرشدني ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ أي: أسرع من هذا الميعاد الذي وعدت.

وذلك أنَّ الكفار سألوا رسول الله عن ذي القرنين، وأصحاب الكهف، والروح، فقال: سأخبركم غدًا، ولم يقل إن شاء الله، فامتنع عنه جبريل ثلاثة أيام، ويُروىٰ خمسة عشر يومًا، ويروىٰ أربعين يومًا، حتىٰ شمتت الكفار بذلك، وقالوا: إن رب محمد قد قلاه، ثم نزل جبريل بقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية، ثم أخبره بالقصة(٤).

﴿وَلَبِثُوا۟ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ [وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا] ﴿٢٥﴾﴾ رقودًا، وأراد

---

(١) وهذه رواية الضحاك عنه، انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤٣، الكشف والبيان ١٧/ ٩٠، معالم التنزيل ٥/ ١٦٢، وفيه اختلاف عما هنا.

(٢) وهذا عليه أكثر الناس، كما قال الواحدي (البسيط ١٣/ ٥٨٢).

(٣) لعله يريد بهذا القول ما ذكره بعضهم: إذا نسيت الشيء فاذكر الله ليذكرك إياه (النكت والعيون ٣/ ٢٩٩، زاد المسير ٣/ ٧٧).

(٤) والقصة مروية عن ابن عباس في تفسير ابن جرير ١٧/ ٥٩٣ من طريق ابن إسحاق عن شيخ مجهول.

بالسنين التفسير، لأنَّ ذلك بالسنين لا بالشهور والأيام[١].

وقيل: هو جمع السنين على العدد الذي في المائة، لأنَّ المائة وإن كان لفظها لفظًا لواحد فإنها مشتملة على أعداد كثيرة، ولذلك جمعه على السنين[٢].

وقيل: نزلت: «ولبثوا في كهفهم ثلاثة مائة» ثم نزلت بعدها «سنين»، لأنهم قالوا: أي ثلاث مائة شهور، أو أيام، أو أعوام، فأزال الشبهة بالسنين.

ثم قالوا: أما الثلاثمائة فقد عرفناها، وأما التسع فلا نعرف، فقال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ منكم، أخبرني بما أخبرتكم[٣].

﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: علم ما غاب فيهما من المخلوقين ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ أي: ما أبصره وما أسمعه بهم وبغيرهم، لأن بعض الجُهَّال يقولون في صفاته لا يسمع ولا يبصر إنما يعلم فقط.

﴿مَا لَهُم﴾ أي لكفار مكة ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ من خلقه.

وقرئ: «ولا تشركْ»[٤]، على النهي، خطاب[٥] للرسول صلى الله عليه وسلم، أي: لا تشرك في عبادته.

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ﴾ أي: اقرأ عليهم ما أُنزِلَ عليك ﴿مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ﴾ واختصك به على أهل مكة ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: لما وعد وأوعد في الدنيا

(١) وهو مروي عن الضحاك، في تفسير الطبري ١٧/ ٦٤٨.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٨، البسيط ١٣/ ٥٩٠.

(٣) والقائل بحسب هذه الرواية هم النصارى، كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤٣.

(٤) وهي قراءة ابن عامر وحده (النشر ٢/ ٣١٠).

(٥) في الأصل: خطا.

والآخرة، كقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ وقيل: لا مغيِّر لما وعدك من النُصرة[١].

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ أي: لن تجد من عذاب الله ملجًا ومحرزًا.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ أي: احبس نفسك مع الذين يصلون الصلوات الخمس ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: يطلبون رضاه ولا يقصدون بعبادتهم إلا إيَّاه، مثل: سلمان وصهيب وعمار وغيرهم من الفقراء، وقد ذكرنا قصتهم في سورة الأنعام[٢].

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تتجاوز بالنظر عنهم إلىٰ غيرهم من أهل مكة ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وزهرتها ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: أخلينا قلبه من التوحيد والتصديق ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ بعبادة الأصنام ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: كان قوله إفراطًا، وقيل: باطلاً، وقيل: ندمًا عليه، وقيل: هلاكًا[٣].

وهو قول عيينة بن حصن: إنَّا رؤوس إن نُسْلِم يُسْلِم الناس[٤].

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٦٥١، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤٤. ونص عبارة الكلبي كما نقلها الواحدي في البسيط ١٣/ ٥٩٨: لا مغير للقرآن.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

(٣) البسيط١٣/ ٦٠٠ .

(٤) والخبر بتمامه -كما ذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٣٤٤: قال ابن عباس: «نزلت الآية في سلمان، وصهيب، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، وعامر بن فهيرة، ونحوهم من الفقراء قالوا: بينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وسلَّم جالس ذات يوم، عنده سلمان علىٰ بساط منسق بالخوص أي منسوج إذ دخل عليه عيينة بن حصن الفزاري، فجعل يدفعه بمرفقه وينحيه، حتىٰ أخرجه من البساط. وكان علىٰ سلمان شملة قد عرق فيها فقال عيينة: إنَّ لنا شرفًا، فإذا دخلنا عليك فأخرج هذا أو اضربه، فو الله إنه ليؤذيني ريحه، أما يؤذيك ريحه؟

فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني الله بالصبر معهم علىٰ ذكره»[(١)].

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: القرآن حق من ربكم، وقيل: التوحيد ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ليس بأمر ولا تخيير، ولكن خرج مخرج الوعيد، يعني: بيَّنا ثواب المؤمن وعقاب الكافر، وليختر المرء لنفسه[(٢)].

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ أي: أعددنا وهيَّأنا لهم نارا ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي: النار صار عليهم مثل السرادق المحيط بهم، وقيل: دخانها[(٣)].

وجاء في الحديث: أنه يخرج من جهنم لسان من نار فيحيط بالكفار فيكونون فيها حتىٰ يفرغ من الحساب، ثم يوجهون إلىٰ جهنم[(٤)].

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟﴾ وذلك أنهم ينادون: العطش، العطش، بعد ما يغلي الزقوم في بطونهم، يغاثوا ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ كُدورته ككدورة الزيت، وحرارته كالصُّفر الذائب، فإذا هوىٰ به إلىٰ فمه ليشربه أنضج جلده وجهه، فسقط في الإناء، فذلك قوله ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ المُهل ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ بئست المتكأ النار، نصب علىٰ التمييز[(٥)].

فإذا خرجنا من عندك، فأدخلهم وأذن لهم بالدخول إن بدا لك أن يدخلوا عليك، أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً، فنزلت .

(١) رواه ابن جرير في التفسير ١٨/ ٦ عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف مرسلا. وانظر: تفسير سورة الأنعام، آية: ٥٢.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ١٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨١، البسيط ١٣/ ٦٠٣، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٢٥.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ١٠، معاني القرآن ٣/ ٢٨٢، زاد المسير ٣/ ٨١. .

(٤) وهو من رواية الكلبي، كما بينه في زاد المسير ٣/ ٨٠. .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٢ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ أي: لا نبطل ثواب إيمانهم.

ثم بيَّن ثوابهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ أي: جنة إقامة في دار الرحمن ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ في يد كل واحد منهم ثلاثين أقلبة من ذهب وفضة ولؤلؤ ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسۡتَبۡرَقٍ﴾ والسُندس ما رقَّ من الديباج: أفخره، والاستبرق: الثخين من الديباج، شوَّق الله إليه العباد ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ أي: نائمين[1] في الجنة ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾ السُرر في الحجال[2] ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الجنة ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ۝٣١﴾ أي: منقلبًا[3] ومصيرًا.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيۡنِ﴾ أي: صف لأهل مكة إذا أنكروا نبوتك صفة رجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما مسلم والآخر كافر، يقال للمسلم: يهوذا، وللكافر: أبو قطروس[4]، ورثا من أبيهما مائة دينار، فقسماه، فأنفق المسلم نصيبه في طاعة الله والصدقة، والكافر اشترىٰ به جنات وغلمان، فذلك قوله: ﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٍ﴾ وكروم ﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٍ﴾ أي: حفظناهما بنخل ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا﴾ أي: الجنتين ﴿زَرۡعًا ۝٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ أي: ثمرها ﴿وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـًٔاۚ﴾ أي: لم ينقص من الثمر شيئًا ﴿وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أي: لأخيه حين أنفق ماله، واحتاج إلىٰ شيء فسأله،

---

(١) في الأصل: ناعمين، وهو تصحيف، ولا معنىٰ له هاهنا، فالاتكاء النوم أو الجلوس كما فسره الكلبي، يريد جلوسا معتمدا علىٰ جهة، البسيط ١٣/ ٦١٧ .

(٢) في الأصل: الخلخال، وهو تصحيف، والصواب ما أثبت موافقا لما عليه أهل التأويل .

(٣) في الأصل: متقلبا، وهو تصحيف.

(٤) في تفسير الكلبي بالفاء بدل القاف، ومثله في الكشف والبيان ١٧/ ١٣٠، وفي تفسير مقاتل ٢/ ٢٨٨: فطرس، وكما ثبت هنا ثبت في تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤٦، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٠.

فقال له ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ أي: يراجعه الكلام: أنت أنفقت علىٰ الفقراء، وأنا اشتريت به ما ينفعني ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾ وهو غلمانه، أي: أكثر تبعًا.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ آخذًا بيد أخيه المسلم ﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ أي: كافر بربه ﴿قَالَ﴾ لأخيه ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥﴾ أي: لا تهلك هذه الجنة أبدًا ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ أي القيامة كائنة كم تزعم أنت ﴿وَلَئِن﴾ كانت كما تقول و ﴿رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي: رب العالمين ﴿لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦﴾ أي خيرًا من هذه الجنة موضعًا.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ أخوه المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يعظه[1] ويراجع الكلام ويجاوبه ﴿أَكَفَرۡتَ﴾ يا أخي ﴿بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ﴾ أي: من آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ قطرة ماء من صلب والدك ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧﴾ أي: سوَّىٰ خلقك مستويًا معتدلاً.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ معناه: لكن أنا[2] أقول: هو الله ربي.

وقرئ: «لكنْ»، ومعناه ظاهر[3].

ومن قرأ: «لكنَّا»[4]، في الأصل: لكن أنا، فطرحت الهمزة، والتقت نونان، فأدغم أحدهما في الآخر.

---

(١) في الأصل: يغيظه، وهو تصحيف.

(٢) وهكذا قرأ أبي بن كعب فيما نُسب إليه (المحتسب ٢/ ٢٩).

(٣) وهي شاذة، نُسبت لعيسىٰ الثقفي، كما في المحتسب ٢/ ٢٩، وانظر: الكشاف ٢/ ٧٢٣.

(٤) كلهم قرؤوا هكذا، إلا أن أبا جعفر وابن عامر ورويس أثبتوا الألف في آخره وصلا ووقفا، والباقون أثبتوها وقفا لا وصلا (النشر ٢/ ٣١١).

وفي «أنَّا» ثلاث لغات: أنَّا بإثبات الألف في الآخر، وهو ضعيف، وأنَّ بغير ألف، وهو جيد، وأنْ بسكون النون، وهو ضعيف أيضًا[١].

واخترنا في هذه الآية: لكنا، بالألف، لأنَّ الهمزة لما سقطت أثبتت في آخرها الألف للوقف[٢].

﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨﴾ من خلقه.

ثم وعظه فقال ﴿وَلَوۡلَآ﴾ أي: هلَّا ﴿إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يقال: أنَّ «ما» في موضع الرفع، معناه: الأمر ما شاء الله.

وقيل: في موضع النصب، معناه: أي شيء شاء الله، وقيل: ما شاء الله كان، وهو محذوف الجواب[٣].

﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ أي: هذه كلها بقوة الله ومشيئته، ولا قوة لأحد على إخراج هذه الأشجار وتثميرها ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩﴾ يعني: إذا رأيتني أقل منك مالاً وولدًا فهلَّا قلتَ: لا قوة إلا بالله.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ﴾ أي: رجوتُ من ربي ﴿أَن يُؤۡتِيَنِ﴾ في الآخرة ﴿خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ هذه ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل: بردًا، وقيل: عذابًا، وقيل: نارًا، والحسبان: ما يرمي به[٤].

﴿فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠﴾ أي: ترابًا زلقًا لا تثبت قدمًا، ولا تنبت شجرًا.

---

(١) التبيان ٢/ ٨٤٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٧.

(٣) كذا في الأصل، وقد صدر عن كتب المعاني، وقوله: وقيل: ما شاء الله كان، هو تقدير للجواب المحذوف إذا كانت في موضع النصب، وانظر: معاني القرآن للفراء ١٤/ ٢٢، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٨، البسيط ١٤/ ٢١.

(٤) تفسير الطبري ١٨/ ٢٥، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٩، البسيط ١٤/ ٢٣ .

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾ غائرًا في الأرض، يقال: ماء غَوْر ومياه غُور ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ۝٤١﴾ أي: لا تقدر أن ترد الماء إلىٰ بستانك بحيلة، لا بالرشاء ولا بالدلاء، فصدَّق الله ظنَّه، وأعطاه مأمولَه.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أهلك ما فيها من الشجر والثمر، وأحاط عذاب الله بها ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾ أي: يصفق إحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ ندمًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: حيطانها قائمة، لا سقوف عليها.

وقيل: سقطت جدرانها وسقط بعد ذلك عرشها، وقيل: خاوية أشجارها من عروقها لأنَّ أرها تزلزلت؛ فتقلعت الأشجار؛ ساقطة أعاليها علىٰ أسافلها(١).

﴿وَيَقُولُ﴾ يعني في الآخرة ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ﴾ أي: جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في عمارة بستانه ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝٤٣﴾ بنفسه.

ويقول يوم القيامة: «يا ليتني»، الآية، وفيها تقديم وتأخير.

﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: السلطان والحكم لله يوم القيامة، لا ينازعه أحد في مُلكه.

والوِلاية بالكسر: الإمارة، والوَلاية بالفتح: النُصرة(٢)، يعني: هناك يتبين نُصرة أولياء الله(٣).

﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا﴾ أي: مثيبًا ﴿وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ۝٤٤﴾ أي: خير من أعقب، من العاقبة.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: صِفْ للكفار وبيِّن لهم شبه الحياة الدنيا وبقاء الخلق فيها ﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو المطر الذي يكثر به النبات

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤٧.
(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتحها (النشر ٢/ ٢٧٧).
(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤٨.

﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: اختلط الماء بالحبوب، فنبتت وحسنت واخضرت، وأخذت الأرض زخرفها، فبعث الله عليها آفة من السماء أو الهواء ﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا﴾ أي: صار النبات مهشومًا يابسًا مكسورًا ﴿تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾ في كل وجه، أي: لفته[1] في كل جانب، فكذلك حال بني آدم يولدون وينشؤون ويشيبون ويهرمون فيموتون، وكذلك حال الدنيا في فنائها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من إنشاء الخلق وفنائهم وبعثهم وإحيائهم ﴿مُّقۡتَدِرًا ۝٤٥﴾[2].

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: حُسنها وغرورها لا بقاء لها كما لا بقاء للنبات ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ وهو ثواب الصلوات الخمس، عن الكلبي.

وثواب: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، عن مقاتل.

وقيل: جميع الطاعات لله تعالىٰ[3].

﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا﴾ من هذه الدنيا الغرَّارة ﴿وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ۝٤٦﴾ أي: خير ما يؤمِّل العبد.

﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾ يعني: اذكر يوم نُزيل الجبال عن وجه الأرض؛ ونسيرها كما يسير السحابَ الريحُ ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ أي: ظاهرة من تحت الجبال، وقيل: خالية من الكنوز والأموال، وقيل: ينكسر كلُّ ما علىٰ وجه الأرض من النبات والشجر، حتىٰ لو وضعت جوزة بالمشرق لرآها الذي بالمغرب، عن ابن عباس[4].

---

(١) كذا في الأصل مجودا، وأظنه تصحيفا، والصواب: ألقته.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٤٨، معالم التنزيل ٥/ ١٧٤.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٣١، النكت والعيون ٣/ ٣١٠، زاد المسير ٣/ ٨٧. .

(٤) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٨٩ قولين فقط: أحدهما: ظاهرة فليس عليها شيء من جبل أو شجر أو بناء، قاله الأكثرون. والثاني: بارزا أهلها من بطنها، قاله الفراء (معاني القرآن

قال ابن عطاء: دلَّ الحق علىٰ إظهار جبروته وتمام قدرته، ليتأهب العبد لذلك الموقف، ويصلح بسره وعلانيته لخطاب ذلك المشهد وجوابه.

ثم قال ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ جميعًا علىٰ تلك الأرض ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾ غير محشور، أي: لم نترك، والغدر: ترك الوفاء[1].

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ قيامًا للمحاسبة، بارزين لله، لا يحجب أحد أحدًا ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أي: نقول لهم: جئتمونا عراة ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ في الدنيا في بطون أمهاتكم ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم﴾ في القيامة ﴿مَّوْعِدًا ۝٤٨﴾ تجتمعون فيه.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني: الكتب توضع في الأيمان والشمائل ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يومئذ ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ أي: في الكتاب عن السيئات ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حينئذ وينوحون ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ يا ندامتنا ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذي فيه أعمالنا ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ لا يدع صغيرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ من أعمالنا ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ علينا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك[2].

٢/ ١٤٦). والذي دل عليه كلام أهل التأويل أنها خالية من الشجر والحجر والجبال وكل شيء يسترها (تفسير الطبري ١٨/ ٣٦) وصححه الواحدي وقال عن قول الفراء: لا يصح إلا عن بعد (البسيط ١٤/ ٣٩).

(١) البسيط ١٤/ ٤٠.

والذي دل عليه كلام أهل التأويل أنها خالية من الشجر والحجر والجبال وكل شيء يسترها (تفسير الطبري ١٨/ ٣٦) وصححه الواحدي وقال عن قول الفراء: لا يصح إلا عن بعد (البسيط ١٤/ ٣٩).

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ١٨/ ٣٨.

قال فضيل: ضجوا[١] من الصغار قبل الكبار.

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾ أي: سيجدون ما عملوا من الخير والشر مكتوبًا في ديوانهم.

قال أهل الإشارة: هذه أشد آية في القرآن؛ لأنهم إنْ نظروا إلىٰ المخالفات كان فيها المهالك، وإن نظروا إلىٰ الموافقات فهي مشوبة بالرياء والسُمعة والشهوات.

﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ أي: لا يعاقبهم بغير جُرم كان منهم.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سجدة التحية ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ كلهم ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ قيل: كان من الجن: من الجان، ولم يكن من الملائكة، ولكن كان رئيسهم، لأن إبليس كان كثيرًا ما يتعبد في الأرض حتىٰ اغترت بطاعته الملائكة الذين كانوا سكان الأرض، فسألوا الله أنْ يجعله منهم ففعل، فحملوه معهم إلىٰ السماء، فكان يتحول من سماء إلىٰ سماء، حتىٰ قتل الجنُّ نبيًا لهم، فبعث الله تعالىٰ إبليس مع الملائكة حتىٰ أجْلوا الجن بن الجان إلىٰ جزائر البحور، وأطراف الأرض، فبقي هو مع الملائكة، فتناوله خطاب الملائكة.

وقيل: كانت ملائكة هم خُزَّان الجنان، ورئيسهم إبليس، هبطوا إلىٰ الأرض فسموا كلهم الجن، واشتق اسمهم من الجنة[٢].

---

(١) في الأصل: صحوا، وقد نقله القرطبي في تفسيره: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٩ بلفظ: كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: يا ويلتاه، ضجوا إلىٰ الله تعالىٰ من الصغائر قبل الكبائر.

(٢) وهو قول ابن عباس وبعض أصحابه، كسعيد وطاوس، تفسير الطبري ١٨/ ٤٠، الكشف والبيان ١٧/ ١٦٩ .

وعن قتادة: يقال له الجن، لأنه جنَّ عن طاعة الله[١].

وقيل: كان من الجن، والجن قبيلة من الملائكة كان إبليس منهم[٢].

قال عبد الحميد الحاكمي -تجاوز الله عن سيئاته-: قد شرطتُ في مقدمة هذا الكتاب أن لا أذكر كلمة من تلقاء نفسي، ولكن في هذه الكلمة تخايل لي حرف دعاني الطبع إلىٰ ذكره، وأستغفر الله عن جميع ما لا يرضىٰ به، وتلك المخايلة أنَّ الله تعالىٰ نسبه إلىٰ الجن، والجن اشتقاقه في اللغة من الاجتنان، والاجتنان هو الاستتار، فيحتمل أنْ يكون لإبليس في ذلك اليوم درجة كان يستتر من الملائكة بحيث يراهم ولا يرونه، كما أن الملائكة يروننا ولا نراهم، فحين ما ورد الخطاب بالسجود وأقبلت الملائكة للسجود فاستتر عنهم إبليس؛ ولم يسجد معهم؛ فسمي جنًّا لاجتنانه حين أبىٰ السجود، فهذا ما تخايل لي والعلم عند الله، ولا نداخل علىٰ أهل التفسير، وقد ذكرنا فيما تقدم أنَّ الروح طائفة من عباد الله، وهم في الإخفاء من الملائكة كاختفاء الملائكة منَّا، فكذلك إبليس لا يبعد أن يكون مثلهم.

وقوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج عن طاعته ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ يا أولاد آدم ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ في معصيتي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ يدعونكم إلىٰ الكفر بالله ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ أي: بئس البدل إبليس عن الله تعالىٰ للظالمين.

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الملائكة، وقيل: إبليس وذريته ما أحضرتهم حين خلقتها مستعينًا بهم[٣].

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤١، الكشف والبيان ١٧/ ١٧٢ .

(٢) روي عن ابن عباس، كما في تفسير الطبري ١٨/ ٤٠، وهو قول مقاتل في تفسيره ٢/ ٢٩١ .

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥١ .

﴿وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ ولا عند خلق أنفسهم لأنهم لم يكونوا شيئًا فكوَّنهم.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ۝٥١﴾ الاعتضاد: التقوي وطلب المعونة[١]، أي: لم أحتج إلىٰ عون الشياطين علىٰ حفظ المملكة، فكيف يتخذونهم أولياء من دوني.

﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾ أي: يقول الله تعالىٰ للمشركين ادعوا شركائي ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾ أنهم لي شركاء ﴿فَدَعَوۡهُمۡ﴾ أي: سيدعونهم شاؤوا أو أبوا ﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ في نفعٍ ولا ضرٍ ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ۝٥٢﴾ أي: بين الكفار ومعبوديهم مهلكًا[٢]، وادٍ في جهنم.

﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ داخلوها ﴿وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ۝٥٣﴾ ينصرفون إليه.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ أي: بيَّنا ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ﴾ من أهل مكة ﴿مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ أي: بيان ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر ﴿أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ۝٥٤﴾ بالباطل، نزلت في أمية بن خلف[٣].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: القرآن علىٰ لسان محمد ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ﴾ أي: ما منعهم أن يستغفروا ربهم ويتوبوا من شركهم ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعني: إلا إتيان سُننا في الأولين الماضين بإهلاكهم، وإنزال العذاب عليهم، فهم ينظرون ذلك ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ۝٥٥﴾ معاينة بالسيف،

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤٥ .

(٢) في الأصل: ملكا، وهو تصحيف، وما أثبته هو الصواب، وهو قول ابن عباس في رواية علي، وروي عن غيره أنه وادٍ في جهنم، فجمع المصنف بين القولين (تفسير الطبري ١٨/ ٤٦).
يقال: وبِق الرجل يوبَق وبقًا، ويقال: يبيق، وبائق، إذا هلك (معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٥).

(٣) وهو قول الكلبي، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥١، البسيط ١٤/ ٥٧..

بالكسر يكون عيانًا[١]، وبالضم مقابلة[٢].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالنار ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بعبادة الأوثان، ولأنهم يقولون للرسل: ما أنتم إلا بشر مثلنا ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ ليبطلوا بجدالهم القرآن والإسلام ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى﴾ أي: كتبي ورسلي ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ من العذاب ﴿هُزُوًا ۝٥٦﴾ سخرية[٣].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ أي: من أظلم علىٰ نفسه وأجرأ علىٰ خالقه ممن وُعظ بالقرآن ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ وكفر بها، يعني بالآيات ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: ذنوبه التي أسلفت يداه ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أي: ظلمات معاصيهم صارت حجبًا علىٰ قلوبهم[٤] ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ كيلا يفقهوا القرآن ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ بسوء أعمالهم، كيلا يسمعوا الوعظ ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ متابعة الإسلام ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ۝٥٧﴾ وهم قوم من المشركين، آيس الله نبيه من إيمانهم، وعلم أنهم يموتون علىٰ الكفر.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب من الشرك ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: صاحب الرحمة بتأخير العذاب عنهم، والتحنُّن عليهم ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ أي يعاقبهم ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ في كفرهم ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أسرع عذابهم في الدنيا ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ أجل لعذابهم وهو القيامة ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ۝٥٨﴾ ملجأً يلجؤون إليه.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ أقاموا علىٰ الشرك ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ أي: لعذابهم.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٧.

(٢) قرأ أبو جعفر والكوفيون بضم القاف، وقرأ الباقون بكسرها (النشر ٢/ ٣١١).

(٣) في الأصل: هزءا، وهي قراءة من سوىٰ حفص (النشر ١/ ٣٩٦).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٧.

وإن قرأتَ: بضم الميم وفتح اللام، يعني: لإهلاكنا إياهم[(١)].

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ يوشع بن نون، يعني لتلميذه ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ عن السير، أي: لا أزال أسير في طلب الخَضِر وأداوم علىٰ المشي ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ أي: مجتمع ماء البحرين؛ بحر فارس والروم ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾ أسير في طلبه سنة كاملةً، بلغة قيس، وقيل: دهرًا[(٢)].

وقال ابن عباس: سبعون سنة[(٣)].

وقيل: ثمانون سنة[(٤)].

قيل: إن موسىٰ لما أعطي التوراة تفكر يومًا في كبر ما أعطاه الله من العلم، وظنَّ أنه ليس أحد أعلم منه، قيل له: إن لله عبدًا يسكن جزائر البحور أعلم منك، هو الخَضِر، فقال موسىٰ: كيف لي بلقائه؟ فأُمر بأن يأخذ حوتًا مالحًا ويجعله في مكتل ليقوت به، وكان جبريل أخبره أنك تجد الخضر في موضع مجمع البحرين، حين يحيي فيه الميت، فلما بلغا مجمع البحرين نام موسىٰ صلوات الله وسلامه عليه، وتنحىٰ يوشع لحاجه البول، فوجد عينًا تسمىٰ عين الحياة، ولم يعرفها، فتوضأ يوشع من تلك العين، ووضع المكتل علىٰ الأرض،

---

(١) أي: مُهلكهم، وهي قراءة الجمهور إلا عاصما، فقد قرأ شعبة: لمَهلكم، وقرأ حفص: لمَهلِكهم (النشر ٢/ ٣١١).
انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٧، وللسمين الحلبي فصل محرر في تأويل هذه القراءات في الدر المصون ٧/ ٥١٤.

(٢) معاني القرآن للفراء٢/ ٤٥٤، تفسير الطبري ١٨/ ٥٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥٤، البسيط ١٤/ ٦٩.

(٣) رواه ابن جرير عن مجاهد ١٨/ ٥٦. .

(٤) رواه ابن جرير ١٨/ ٥٦ عن عبد الله بن عمرو، واختاره الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٢٩٩، وهو قول الكلبي كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥٤.

وقد أكلا بعض الحوت، فانتضح من ماء وضوئه على الحوت فحيي بإذن الله، ثم وثب في الماء فجعل يضرب بذنبه الماء، فلا يضرب بذنبه شيئًا من الماء إلا يبس، فقام يوشع ليخبر موسىٰ فنسي أن يخبره، فمضيا يومهما حتىٰ صليا الظهر من الغد، ثم جاع موسىٰ فطلب من يوشع الغداء، فتذكر يوشع حال الحوت فأخبره، فذلك قوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أضاف النسيان منهما، والنسيان من يوشع، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ أخذ مسلكًا ومذهبًا يسرب فيه، وقيل: جمَّ طريقه في البحر فكان كالسَّرَب ينظر إليه يوشع[1].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ يوشع ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ أي: آتنا بالطعام نتغدىٰ ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ تعبًا ومشقة.

﴿قَالَ﴾ يوشع ﴿أَرَءَيْتَ﴾ يعني: أرأيت أن تصغي إلىٰ كلامي، مخاطبة التلميذ لأستاذه ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ حين انتهينا إلىٰ شاطئ البحر عند الصخرة ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ أي: نسيت أن أذكر قصة الحوت معك ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ لك ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ أي: عجبتُ عجبًا، وقيل: معناه اتخذ سبيله في البحر، تمَّ الكلام، فأجابه موسىٰ وقال: عجبًا، كأنه قال: أعجب عجبًا[2].

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: ذلك الذي نطلبه من العلامة وهو إحياء الميت ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ أي: علىٰ طريقهما الذي جاءا ﴿قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ يقصان الأثر

---

(١) حديث موسىٰ والخضر مخرج في الصحيحين، رواه البخاري ١٢٢، ومسلم ٢٣٨٠، وفي سياق المصنف زيادات ليست في الصحيحين.

(٢) البسيط ١٤/ ٧٧.

ليلاً يعدلان[١] عن الطريق، فإذا بلغا إلىٰ تلك الصخرة ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أعطيناه النبوة تفضُّلاً منَّا ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ يعمل به، وبما كشفنا له من علم الغيب.

واسم الخضر: اليسع بن عاميل، سُمِّي اليسع: لأنه وسع علمه ست سماوات وست أرضين[٢].

وسُمِّي خضرًا: لأنَّه إذا صلىٰ في مكان اخضرَّ ما حوله[٣].

فأتياه من خلفه، وسلَّما عليه، فأنكر الخَضِر السلام بأرضه، فانصرف فرأىٰ موسىٰ فعرفه، فقال: يا نبي بني إسرائيل، فقال موسىٰ: وما يدريك ذلك؟ فقال: أدراني الذي دلَّك عليَّ[٤].

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ ألا أصاحبك ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ أي: ما علمك من خير صواب.

﴿قَالَ﴾ الخضر ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ لأنَّك ترىٰ مني أشياء تنكرها ولا يسع للأنبياء أن يروا منكرًا إلا يغيروه[٥].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ علم ﴿عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ أي: لا تقدر أن تصبر علىٰ شيء لم يحط علمك به، لأنك ترىٰ الأحكام وأنا أرىٰ صاحب الأحكام.

---

(١) في الأصل: يعدلا .

(٢) وهو قول مقاتل كما في تفسيره ٢/ ٢٩٦، وهو قول شاذ لا دليل عليه.

(٣) في صحيح البخاري ٣٤٠٢: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، قال: «إنما سمي الخضر أنه جلس علىٰ فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء».

(٤) رواه مقاتل كما في تفسيره ٢/ ٢٩٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧.

﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ لا أسألك عن شيء حتىٰ تحدثني به ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ۝٦٩﴾ فيما أمرتني به ونهيتني عنه.

﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ﴾ أصنعه ﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ۝٧٠﴾ أي: أخبرك بخبره.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ﴾ أي: ثقبها الخضر فلم يصبر موسىٰ علىٰ ذلك ﴿قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾ أي: أردت بكسر السفينة إغراق أهلها ﴿لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ۝٧١﴾ أي: بأمر منكر، وقيل: عجبًا.

قال قائل: وعد موسىٰ أن يصبر عليه ولا يسأله عن شيء فعله، ولا يعصي أمره، فكيف خالف؟

قلنا: وعد له شيئين، استثنىٰ أحدهما ولم يستثن الآخر، فوفىٰ ما استثناه، ولم يوف ما لم يصله بالاستثناء، لأنه قال: ستجدني إن شاء الله صابرًا، وقد صبر حيث لم يأخذ علىٰ يد الخضر، ثم قال: ولا أعصي لك أمرا، وأمره: قوله: لا تسألني عن شيء، ولم يستثن عليه موسىٰ، فلم يوفق لذلك[1].

﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ۝٧٢﴾ فرأىٰ موسىٰ أن ذلك الخرق لم يضر بالسفينة ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: لا تعاقبني بما غفلت، وقيل: بما تركت من عهدك، وقيل: بما نسيته، وأنه لم ينس ذلك في الحقيقة، وهو من معاريض الكلام، أراد أن يوهمه أنه نسي ﴿وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرًا ۝٧٣﴾ أي: لا تكلفني عسرًا من أمري، والإرهاق والتعب والشدة[2]، يقول: عاملني باليُسر لا بالعُسر.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧.

(٢) يعني واحد، أو يكون في الأصل: الإرهاق: التعب..الخ.

والإرهاق: الإغشاء في التعجيل[١].

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ أي: فتىً بالغًا يسمىٰ: خشنود[٢]، بين قريتين، وأبوه من عظماء أهلهما، فقتله الخضر بالحجر، عن مقاتل[٣].

فلم يصبر موسىٰ علىٰ ذلك المنكر ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾[٤] طاهرة من الذنب ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي بغير إن استوْجب القصاص ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ﴾ له الخضر ثانيًا ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ﴾ موسىٰ ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾ من المصاحبة.

---

(١) جمع بين المعنيين المذكورين للإرهاق: يقال أرهقني أي غشيني، ويقال أرهقني: أي عجلني، معاني القرآن للفراء ٢/ ١٥٥، تفسير الطبري ١٨/ ٧٤، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٢، البسيط ١٤/ ٨٩.

(٢) وقيل: جيسور، وقيل: حشرد، وقيل: خوش نوذ (تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥٦، الكشف والبيان ١٧/ ٢٠٩، فتح الباري ٨/ ٤٥). ولا يخفىٰ أن هذا من قبيل الإسرائيليات التي لا ينفع معرفتها ولا يضر جهلها.

(٣) وفي تفسير مقاتل ٢/ ٢٩٧ ان اسمه: حسين بن كازري، واسم امه: سهوي، وأن الخضر قتله بحجر أسود. وحكىٰ الثعلبي الخلاف في كيفية قتله (في الكشف والبيان ١٧/ ٢١٠).
والذي في حديث أبي بن كعب الطويل المخرج في الصحيحين: فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه. قال الحافظ في فتح الباري (٨/ ٤١٩): في رواية عن ابن جريج عند عبد بن حميد: غلاما وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين، وفي رواية سفيان: فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله، وفي روايته في الباب الذي يليه: فقطعه، ويجمع بينهما بأنه ذبحه، ثم اقتلع رأسه، وفي رواية أخرىٰ عند الطبري: فأخذ صخرة فثلغ رأسه، وهي بمثلثة ثم معجمة، والأول أصح، ويمكن أن يكون ضرب رأسه بالصخرة ثم ذبحه وقطع رأسه.

(٤) في الأصل: زاكية، وهي قراءة المدنيين وابن كثير وأبي عمرو ورويس عن يعقوب، وقرأ الباقون وهم الموفيون وابن عامر وروح: زاكية بالألف (النشر ٢/ ٣١٣).

و«لا تَصحَبَنِّي»[١]: أي لا تستتبعني ولا تصحبني [إياك][٢].

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ۝٧٦﴾ أي: صرت عندي حينئذ معذورًا، وبالغت في إبداء العذر، لأنه[٣] أبدى العذر[٤] ثلاث مرات.

ولدن: من الأصل ساكنة النون، فإذا أضفتها إلىٰ نفسك زدت نونًا أخرىٰ، وأدغمت إحداهما في الأخرىٰ، حتىٰ يسلم سكون النون الأصلية، كما تقول: عن زيد بسكون النون، فإذا أضفت إلىٰ نفسك: عنِّي مشددة ليسلم لك السكون في النون الأصلية[٥].

وقرئ: «من لَدُني» بالتخفيف[٦].

ولا يقال: عني بالتخفيف أبدًا، لأنَّ لدن ثلاثة أحرف وليس بناقص، وعن ناقصة لأنها حرفان[٧].

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ وهي أنطاكية عن الكلبي، وأيلة عن قتادة[٨].

---

(١) وهي رواية روح عن يعقوب من طريق المعدل، تابع روحا: زيد فيما ذكر الثعلبي (الكشف والبيان ١٧/ ٢١٤، النشر ٢/ ٣١٣، إتحاف فضلاء البشر ٣٧٠).

(٢) في الأصل: ولا تصحبني علمك، وهذا لا معنىٰ له، والصحيح ما اثبته، فبه يتم المعنىٰ والتوجيه، انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٣، الكشف والبيان ١٧/ ٢١٤، الكشاف ٢/ ٧٣٦.

(٣) في الأصل: لأن.

(٤) في الأصل: العد، وهو تصحيف وإسقاط لحرف.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٣، وقد أطال الواحدي البحث فيها في البسيط ١٤/ ٩٤.

(٦) قرأ أبو جعفر ونافع: بضم الدال وتخفيف النون، ومثله عن أبي بكر شعبة لكن بإشمام الضم أو اختلاسه في الدال (النشر ٢/ ٣١٤).

(٧) انظر: البسيط ١٤/ ٩٤.

(٨) وابن سيرين كما في تفسير الطبري ١٨/ ٧٨.

وباجروان عن الضحاك[١].

﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ طلبا طعامًا يأكلانه ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ أي: يطعموهما، أو يؤووهما.

قيل: له يسألا منهم طعامًا، ولكن نزلا فيهم كما ينزل أبناء السبيل، لم يشتريا طعامًا، ولم يرهما القوم أكلا وشربا، ولم يكن معهما طعام، فلما أصبحا خرجا جائعين ﴿فَوَجَدَا [فِيهَا]﴾ في القرية ﴿جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ﴾ والإرادة من مجاز الكلام، معناه: قرب أن ينكسر فمسحه الخضر بيده فاستقام الجدار، فـ ﴿قَالَ﴾ له موسىٰ ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾ أي: أخذت علىٰ إصلاح هذا الجدار طعامًا نأكله، فعملت مجانًا لقومٍ أبوا ضيافتنا.

﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ أي: هذا وقت الفراق ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨﴾ أي: سكوتًا، والتأويل: ما يؤول إليه معناه في العاقبة.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ التي خرقتها ﴿فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: الفقراء موقوفة عليهم، يؤاجرون بها ويعملون بها ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ وينتفعون بغلتها ﴿[فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا] وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾ يعني قدامهم ملك اسمه: الجلندا[٢].

﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصۡبٗا ٧٩﴾ فاردت أن أعيبها كيلا يأخذ، فلما جاوز الملك عنهم أن يركب ولم يرغب في السفينة المعيبة أصلحها الخضر.

---

(١) ومقاتل، وباجروان في أرمينية، انظر: تفسير مقاتل ٢/ ٢٩٨، تفسير الطبري ١٨/ ٧٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥٧، الكشف والبيان ١٧/ ٢١٥، البسيط ١٤/ ١٠٢، النكت والعيون ٣/ ٣٣٠.

(٢) الكشف والبيان ١٧/ ٢٣١ وحكىٰ في اسمه أقوالا أخرىٰ.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ صالحين ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ قيل: «خشينا» قول الخضر، والخشية من الله تعالىٰ الكراهة، ومن العباد الخوف، أن يرهقهما أي يحملهما علىٰ الباطل ويكلفهما[1] ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠﴾ أي: تكبرًا وكُفرًا، قيل: كان الغلام لصًا عاتيًا يقتل ويسرق ويجبي بسرقته إلىٰ أبويه، فإذا جاء الطلب كاد أبواه يحلفان أنه لم يفعل من ذلك شيئًا ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ الله ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ أي أتقىٰ وأورع وأبين صلاحًا، والزكاة هي الصلاح ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١﴾ وأوصل رحمًا منه، والرُّحم والرَّحم: القرابة[2].

قال الكلبي: فولدت أم الغلام المقتول جارية، فتزوجها نبي من الأنبياء، فولدت نبيًا، فهدىٰ الله علىٰ يديه أمة من الأمم[3].

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ في هذه البلدة، اسم أحدهما: أصرم، والآخر: صريم ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ﴾ أي: تحت الجدار ﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾ وهو صحف علم ليس بفضة ولا ذهب، عن ابن عباس[4].

الحسن: كان لوحًا من ذهب فيها حِكَم[5].

قتادة وعكرمة: كنز مال[6].

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٨٥ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٥. .

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥٨ .

(٤) رواه ابن جرير من طريق العوفي وسعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول سعيد بن جبير (تفسير الطبري ١٨/ ٨٨).

(٥) وفي تتمة الخبر أن من هذه الحكم: بسم الله الرحمن الرحيم: عجبت لمن يؤمن كيف يحزن، وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها، كيف يطمئنّ إليها، لا إله إلا الله، محمد رسول الله (تفسير الطبري ١٨/ ٨٩).

(٦) تفسير الطبري ١٨/ ٩٠.

أنس بن مالك، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «كان تحت الجدار لوحًا من ذهب مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت من أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت من أيقن بزوال الدنيا وتقلُّبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله أحمد رسول الله»(١).

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ ممن كان يصحبني، ابن عباس: كان موحدًا ذا أمانة واسمه كاشح(٢) ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ أي: مبلغ الرجال والجدار علىٰ حاله ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: أمرت أن أفعل ما فعلت رحمة من ربك ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ أي: لم أفعل ذلك برأي مني ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أخبرتك ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ أي: لم تصبر عن المسألة فيه.

قال في قصة السفينة: أردتُ أن أعيبها، وفي قتل الغلام: فأردنا أن يبدلهما، وفي إقامة الجدار: فأراد ربك أن يبلغا، لأنَّ كسر السفينة عيب، أضاف العيب إلىٰ نفسه، وفي قتل الغلام أضاف إرادة القتل إلىٰ نفسه، وإرادة التبديل إلىٰ الله تعالىٰ، كقوله ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾، وفي بلوغ الأشد أضاف إلىٰ الله تعالىٰ خاصة، لأنه إحسان كله.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن عبد الله بن سلام أنه قال: أوصىٰ الخضر موسىٰ عند مفارقته وقال: يا صاحب العلم إن المحدِّثَ أقلُّ ملالة من المستمع، فإذا حدثت فلا تملَّ جليسَك، واعلم بأنك لا تكون عالمًا

---

(١) رواه أبو الليث بإسناد لم يذكره، (تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥٨)، وروىٰ مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٤٨ عن ابن عباس نحوه، روىٰ ابن جرير نحوه عن جعفر بن محمد (١٨/ ٨٨).

(٢) وهو من تفسير الكلبي، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥٨، الكشف والبيان ١٧/ ٢٤١. والمروي عن ابن عباس بإسناد صحيح أنه قال: كان أبوهما صالحا ولم يذكر عنهما صلاحا (تفسير الطبري ١٨/ ٩١).

حتىٰ تكون متواضعًا للناس، وتذِلَّ لربك، وتعلم أن العلم قد يكون عند من هو دونك، واعلم أن ما نفعك مما كرهت خير مما أحببت وضرك، فاحذر الجاهل فيما علمت فإنك لن تنال العلم بما جهلت(١).

والسر الإشارة في هذه القصة: أراد الله تعالىٰ أنْ ينبِّه موسىٰ علىٰ ذكر ثلاثة أشياء من غير تصريح ولا رسالة، ليكون التعريض في التنبيه علىٰ ذكرها أحسن، وهو أنه كانت لله لديه كرامة غفل عنها موسىٰ، وعن معرفتها، وكانت له زلة قد نسيها، وكانت له عند الله طاعة ويدًا لم يعمل علىٰ توفيقها إياه شكرًا كما ينبغي، فنبهه الله علىٰ ذكر هذه الخصال بطريق الإشارة بفعل الخضر:

أولها: أنَّ الله تعالىٰ حفظه في حال طفولته وضعفه في ذلك التابوت في الماء؛ الذي ألقته فيه أمه، ولم يغرق، فلما قصد الخضر خرق السفينة خاف موسىٰ هلاك نفسه، واعترض علىٰ الخضر، أشار الخضر إليه أنَّ الذي حفظك طفلاً صغيرًا في التابوت في البحر أليس بقادر علىٰ حفظك في هذه السفينة؛ وفيها الملّاحون والسبَّاحون.

ولمَّا قتل موسىٰ رجلاً من القبط ثم قتل الخضرُ الغلام فأنكر عليه موسىٰ، وقال: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ أشار إليه الخضر أنَّ قتل هذا الغلام ليس بأعظم من قتل القبطي بغير جُرم.

ولمَّا سوَّىٰ الخضر الجدار قال له موسىٰ: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ أشار إليه الخضر، وقال: إنك لم تأخذ أجرًا من بنتي شعيب حين سقيتهما، وكنتَ جائعًا، فكيف آخذ أنا الأجر.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٦٩٠٨، وابن أبي حاتم في العلل: رقم: ١٨٣٤، من حديث عمر بن الخطاب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فذكره، قال ابن أبي حاتم: قال أبي (أبو حاتم الرازي): حديث باطل كذب، وقال ابن الجنيد: هو موضوع.

وقال أيضًا: إنَّ السفينة إشارة إلىٰ القلب، وهو قلب العارف، لأنَّ الله تعالىٰ يجر قلوب العارفين إلىٰ نفسه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾، وقال الخضر: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩﴾ يعني: سفينة صالحة، يعني يسلب الحق قلوب أوليائه ويحميها، ثم نقب السفينة ليعلم أن القلب إذا لم يكن خالصًا لله تعالىٰ طاهرًا عن العيوب، خاليًا عن الغل والغش، وحب الشهوات، لا يصلح لله تعالىٰ، كالسفينة المعيوبة لا تصلح للملك.

وقيل: إنه كنىٰ بالملك عن إبليس، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩﴾ يعني: إبليس يأخذ رصدًا للقلوب، فإذا وجد قلبًا فيه همُّ الدنيا والحرص والأمل غصبه واستولىٰ عليه، فوجب أن تكسر هذه السفينة بخلوها عن اللذات والشهوات؛ كيلا يستعمل في حب الدنيا ولا يطمع فيها إبليس، فتبقىٰ خالصة لله تعالىٰ، يقول الله عز وجل: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»[1].

وأما الغلام الذي قُتِل فهو الهوىٰ، ينبغي أن يقتل الهوىٰ قبل أن يصير عاتيًا، ويجعل صاحبه عاصيًا، وكان أبواه مؤمنين: أشار إلىٰ الروح والعقل، يدعوان العبد إلىٰ الطاعة لا محالة، فحين ما أفرط العبد في المعصية صار الروح والعقل مغلوبين، كما أشار إليه الخضر: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠﴾.

وأما الجدار الذي سوَّاه الخضر؛ إشارة إلىٰ النفس، فإذا مالت النفس إلىٰ الهوىٰ قربت للسقوط والهلاك، فوجب علىٰ العاقل أن يسويها، لأن تحت هذا الجدار كنز للغلامين اليتيمين، وذلك الكنز هو المعرفة، والغلامان يتيمان

---

(١) وذلك في خبر إسرائيلي: أن موسىٰ قال: أين أجدك يا رب، فذكره، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٦٤ عن مالك بن دينار، وَ٤/ ٣١ وهب بن منبه، وَ عمران القصير ٦/ ١٧٧ وهذا الخبر جعله بعضهم حديثا، ولا أصل له عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

الروح والعقل، لأنهما نزلا في النفس نزول الغريبين اليتيمين المنقطعين عن الأبوين؛ لأنهما من الجواهر العلوية، وليست النفس من جنسهما، فإذا مالت النفس إلىٰ الشهوات سقطت وطمع الشيطان فيه حتىٰ يأخذ كنزه، فوجب أن يسوَّىٰ حتىٰ يحال بين الشيطان وبين كنزه[1].

وقوله ﴿رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ بغير ألف، ثم قال ﴿لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ بالفاء، ثم قال ﴿أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ بغير الفاء، وذكر «حتىٰ إذا» في الكلمات الثلاث:

قيل: لأنَّ خرق السفينة والاستطعام لم يكن للمجازاة فعل ماض ولا مستقبل، فلم يجب فيه التروي والانتظار، وأما قتل الغلام لمجازاة فعل منتظر، وهو قوله: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا﴾ فوجب التروي في المجازاة، والله أعلم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِ﴾ سألته قريش لمساورة ذي القرنين، واسمه: اسكندر بن قيصر[2]، وسمي بذلك: لأنه قد أتىٰ قرني الشمس في المشرق والمغرب.

وقيل: لأنه كان في رأسه مثل القرنين، وقيل: كان علىٰ رأسه ذؤابتان من الشعر، فكان ذلك قرناه[3].

﴿قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣﴾ ثم بيَّن وقال: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مكنَّاه مشارق الأرض ومغاربها ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبًا ٨٤﴾ أي: علمًا

---

(١) هذه المعاني التي ذكرها -وإن كانت صحيحة في نفسها- إلا أن الآيات البينات لم تردها، ومن هنا يدخل الخلل علىٰ التفسير الإشاري، ويكون المذكور علىٰ هيئة التفسير الباطني.

(٢) وقال مقاتل في تفسيره ٢/ ٢٩٩: الإسكندر قيصر.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٩٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٥٩.

يوصله إلىٰ حيث يريد في أقطار الأرض، وكل شيء يوصل العبد إلىٰ مراده وحاجته يقال له: سبب[١].

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾ أي: أخذ طريقًا يسلك فيه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي[٢]: في عين الماء، والحمئة: فَعِلَة من الحمأة، وهو الطين الأسود المنتن[٣].

وقرئ: «حامية»، أي: عين حارة[٤].

﴿وَوَجَدَ [عِندَهَا]﴾ عند عين[٥] الماء، التي تغرب فيها الشمس ﴿قَوْمًا﴾ مؤمنين وكافرين ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ ألهمناه، عن الكلبي. وأوحينا إليه، عن مقاتل[٦]، واختلفوا في نبوته ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٦﴾ أي: افعل أحد الأمرين، إن شئت قتلت الكفار، وإن شئت مننت عليهم ولا تقتلهم.

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي كفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ عذابًا عاجلاً ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي يرجع إلىٰ ربه ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨٧﴾ شديدًا.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة في الآخرة، مَنْ قرأ: «جزاءً» منوَّنًا[٧].

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٩٤، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٨، البسيط ١٤/ ١٣٠.

(٢) أسقط الياء في الأصل.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٥٨، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٨، الكشف والبيان ١٧/ ٢٥٢.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص: حمئة، وقرأ الباقون: حامية (النشر ٢/ ٣١٤).

(٥) في الأصل: العين الماء.

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٠٠.

(٧) قرأ يعقوب وحمزة والكوفيون إلا شعبة: جزاءً، وقرأ الباقون: جزاءُ (النشر ٢/ ٣١٥).

ومن قرأ: علىٰ الإضافة، معناه: ثواب الأحسن، وأضاف الجزاء إلىٰ الحُسنىٰ[١].

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ أي: أعده خيرًا عن الله تعالىٰ، وأبشره في معاده بالتحف منه.

قال الضحاك: سار ذو القرنين إلىٰ مغرب الشمس ووجد مدينة يقال لها: «جابَلْسَا»، لها ألف ألف باب، علىٰ كل باب ألف ألف حرس، فإذا انتهت الشمس إلىٰ جابلسا عن مغيبها، والعين التي تغيب فيها تصايحوا فرقًا منها، فتغيب في تلك العين، نادىٰ منادي من السماء: يا ذا القرنين إما أن تعذِّب وإما أن تتخذ فيهم حُسنًا، فلم يرد الإجابة أربعين يومًا متفكرًا، ثم أجاب فقال: أما من ظلم فسوف نعذبه.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ أخذ طريقًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ مدينة «جابَلْقا» لها ألف ألف باب، علىٰ كل باب ألف ألف حارس، ليس بينهم وبين الشمس ستر، وهو قوله ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ أي: ليس[٢] بها شجر ولا جبل ولا بناء، لأنَّ أرضهم لم يثبت عليها بناء، فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في الماء وفي الأسراب، وإذا غربت تصرفوا، يقال لهم: تأْريس وتاويل ومَنْسِك[٣].

وروي في بعض الحديث: أنَّ رجلاً أتاهم فلما طلعت الشمس سمع صلصلةً فغشي عليه فَرَقًا منها، فأفاق وهم يمسحونه بدهن، فلما طلعت الشمس

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٩، البسيط ١٤/ ١٣٦ .

(٢) في الأصل: لم .

(٣) وهو تفسير الكلبي، كما في الكشف والبيان ١٧/ ٢٦٢ .

إذا هي علىٰ الماء كهيئة الزيت، وإذا طرف الماء كهيئة الفسطاط، وأنهم كانوا يصطادون السمك فيطرحونه علىٰ الصخر فينضج[١].

فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس، وقيل: بلغ إلىٰ مطلع الشمس كما بلغ إلىٰ مغربها[٢].

﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ أي: علمًا بما عنده من حاضر أمره وغائبه، وسره وجهره.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ أخذ طريقًا ثالثا[٣].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ يعني: الموضع الذي فيه السدان اليوم.

قيل: ما كان خلقَة فهو «سُد» بالضم، مثل الجبال، وما كان من عمل الناس: «سَد» بالفتح[٤].

وقيل: هما لغتان[٥].

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: دون السدين ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ أي: لا يفهمون كلامًا غير كلامهم ولسانهم.

---

(١) يريد بالحديث أي مطلق الخبر، لا أنه مروي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وهذا القصة رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٧/ ٢٦٣ عن عمرو بن مالك بن أمية، عن رجل وجده بسمرقند يحدث بهذا، وقد ذكره الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٠١. وهذه الرواية في ميزان النقد لا شيء.

(٢) البسيط ١٤/ ١٣٨.

(٣) في الأصل: بالبا، وهو تصحيف، والصواب ما أثبت، ومثله في البسيط ١٤/ ١٣٩.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بالفتح في السين، وقرأ الباقون بضمها (النشر ٢/ ٣١٥).

(٥) تفسير الطبري ١٨/ ١٠١، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٦١.

﴿قَالُواْ﴾ علىٰ لسان الترجمان ﴿يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾ يعنون أولادهما، ويأجوج ومأجوج أخوانِ من أولاد يافث بن نوح.

قال كعب الأحبار: هم من صلب آدم، لأنه صلىٰ الله عليه وسلم نام فاحتلم ثم استيقظ وقد اهتم، لأجل نطفته التي ضاعت، فخلق الله منها ولدين يأجوج ومأجوج[١].

﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يخرجون أيام الربيع ولا يدعون شيئًا من الخضر إلا أكلوه، ولا وجدوا شيئًا يابسًا إلا حملوه وأدخلوه أرضهم، ويقتلون المسلمين[٢] ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ هل نعطيك مالاً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾ أي: ملكني الله، وقد أعطاني من المال خيرًا مما تعطونني من الجعل.

وقيل: ما يمكنني الله من الثواب علىٰ ما عملت خير مما تعدونني؛ لأن الأجر علىٰ عمل الله خير باق، والجعل في الدنيا مال فان[٣].

---

(١) البسيط ١٤/ ١٤٣، وقد حكاه النووي، ونقله عنه ابن كثير في التفسير ٥/ ١٩٥، ثم قال: وهذا قول غريب جدًا، لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا علىٰ ما يحيكه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة.

وصدق ابن كثير فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري صحيح البخاري ٦٥٣٠، وصحيح مسلم ٢٢٢: إن الله تعالىٰ يقول: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: ابعث بعث النار. فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار، وواحد إلىٰ الجنة؟ فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، فيقال: إن فيكم أمتين، ما كانتا في شيء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٦٢.

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٤٢، زاد المسير ٣/ ١٠٩.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي: رجال ذوي عدد وآلة السد ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ سدًا، والردم: أشد الحجاب[١].

ثم فسر الآلة فقال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أي: قِطَع الحديد ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أي: ناحيتي الجبل، أي: جانباه ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ عليه.

قيل: إنه وضع الحطب بين الجبلين ثم شبح عليه الحديد، ثم شبح الحطب علىٰ الحديد، ثم الحديد علىٰ الحطب، هكذا، حتىٰ إذا ساوىٰ بين الصدفين، ثم أمر بالنار فأرسلت عليه، ونفخ فيها ﴿[حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا]﴾ حتىٰ صارت كلها نارًا ثم ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ وهو النحاس المُذاب، فجعلت النار تأكل الحطب، ويجري القطر فيأخذ مكان الحطب، حتىٰ لزق الحديد بالنحاس فصار سدًا[٢].

قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي: ما قدروا أن يعلوا فوق السد من ارتفاعه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ من أسفله، وهم أكثر من أهل الأرض أضعافًا مضاعفة، وهذا السد من قرىٰ بحر الروم، وارتفاعه مقدار مائتي ذراع، وعرضه خمسون ذراعًا كلها من حديد ونحاس.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ لخروجهم عند اقتراب الساعة ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي: دكَّه دكًا، نصب علىٰ المصدر[٣]، وقرئ: «دكاء»: مستوية[٤].

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ لخروجهم وغلبتهم أهل الأرض ولا خلف لوعده.

---

(١) وهو تفسير ابن عباس من رواية العوفي، انظر: تفسير الطبري ١٨/ ١١٣، البسيط ١٤/ ١٤٧.
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ١١٤، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١١، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٦٢.
(٣) الدر المصون ٧/ ٥٥١، ولم يذكر هذا الوجه.
(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالمد والهمز (النشر ٢/ ٢٧١).

﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ﴾ قيل: لا يموت الرجل حتىٰ يولد من صلبه ألف رجل ذكر، فإذا جاء وعد خروجهم عند اقتراب الساعة خرجوا، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يمرون ببحيرة طبرية فيشربها أولهم، ثم يمر عليها آخرهم فيقولون: قد كان هاهنا يومًا ماء، فيكثرون حتىٰ تميلن الأرض منهم، ويمرون بالبحور فيأكلون ما في جوفها[1]، وتيبس لهم البحور، ويأكلون ما في الأرض من كل شيء، وتهرب الناس منهم، ولا يقدرون علىٰ المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد طور سيناء، ولا يرون علىٰ الأرض غيرهم ظاهرًا، فيقولون: قتلنا أهل الأرض، وبقي أهل السماء، فيرمون بسهامهم نحو السماء فتصيب سهامهم الطير فترجع مخضبة بالدماء، ويقولون: قد قتلنا أهل السماء، ثم يبعث الله عليهم دودة تسمىٰ النغف تدخل آذانهم فتقتلهم، فتنتن الأرض من جيفهم، ثم يرسل الله عليهم السماء أربعين يومًا حتىٰ يحتمل السيل جيفهم فيردهم إلىٰ البحر، ويعود البحر كما كان[2].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ لا نغادر منهم أحدًا.

﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠﴾ أي: كشفنا الغطاء عنهم حتىٰ يروا جهنم قبل دخولهم فيها.

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ أي: عين قلوبهم في غطاء عن توحيدي ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾ أي: استماع كلام محمد لبعضهم إياه.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ يعني: لا تحسبن الكافرين أن أوليائي يعبدون معي شيئًا؛ لأن الكفار كانوا يدعونهم إلىٰ الشرك.

---

(١) في الأصل: جوفه.

(٢) خبر يأجوج ومأجوج الطويل مخرج في صحيح مسلم ٢٩٣٧ من حديث النواس بن سمعان.

وقيل: أفيظن الكافرون أن ينفعهم اتخاذهم عبادي أولياء من دوني، وكيف يطمعون في نصرة من أهلكه[(١)].

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢﴾ أي: منزلاً.

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣﴾ يعني: الخاسرين في عملهم.

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: بطلب أعمالهم فيها ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ في عبادتهم واجتهادهم، وظنهم كاذب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ بمحمد ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ البعث بعد الموت ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ التي يرجون ثوابها ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ أي: ميزانًا، لأنه لا وزن لعملهم.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ أي: القرآن ﴿وَرُسُلِي﴾ محمدًا وغيره ﴿هُزُوًا ١٠٦﴾ يهزؤون بهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ والفردوس: البستان بالرومية[(٢)]، وقيل بالعربية[(٣)]، ونُزلاً: منزلاً.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ أي: لا يطلبون عنها الانزيال[(٤)] والخروج.

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ وذلك حين قالت اليهود عند نزول هذه الآية ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا

(١) زاد المسير ٣/ ١١١.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٥، وهو اختياره، وأطال في تقريره.
(٣) وهو اختيار الفراء، وفي الأصل: والقيل بالعربية، وهو تصحيف.
(٤) كذا في الأصل، لكنها مهملة، والظن أنها مصحفة، فليس في المعاجم الانزيال من زال.

﴿٨٥﴾ وقوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ قالوا: يا محمد، إن كتابك ينقض بعضه بعضًا، فنزلت الآية تكذيبًا لهم.

لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي: أي عِلم ربي، لنفد البحر: أي نشف البحر قبل نفاد علم ربي[(١)] ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ أي: مثل هذه البحور السبعة مددًا، نصب على التمييز[(٢)].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: آدمي مثلكم ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ من الله عز وجل ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له فوحدوه ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: يخاف معاقبة ربه عند الحساب في الآخرة ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ خالصًا ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ أي: لا يرائي بعمله أحدًا.

قال ابن المبارك: من أراد النظر إلى الله تعالى فليعمل عملاً صالحًا ولا يخبر به أحدًا.

وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المرائي ينسب يوم القيامة إلى أربعة أسماء: يا غادر، يا فاجر، يا كافر، يا منافق، بطل عملك وحبط أجرك»[(٣)].

---

(١) عن ابن عباس: كلمات ربي مواعظ ربي، وهذا يقضي أن الكلمات غير العلم، فالكلمات كلام الله عز وجل، وكلامه لا غاية له ولا منتهى، (انظر: معالم التنزيل ٥/ ٢١٢، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٩).

(٢) التبيان ٢/ ٨٦٤ .

(٣) رواه أحمد بن منيع في مسنده ، كما في إتحاف الخيرة المهرة ١/ ٢٦٠، وإسناده ضعيف لأنه من رواية فرج بن فضالة.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من حفظ من سورة الكهف عشر آيات مِنْ أولها ومِنْ[١] آخرها لم تضره فتنة الدجال إن أدركه»[٢].

«ومن قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون، فإن خرج الدجال في تلك الثمانية أيام عصمه الله تعالىٰ من فتنته»[٣].

(١) كذا، ولعل الصواب: أو.

(٢) رواه مسلم في الصحيح ٨٠٩ من حديث أبي الدرداء بلفظ: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال.

(٣) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١١٨٤.

سورة مريم

مكية[١]، وهي ثمان وتسعون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ قيل: خمسة أسماء من أسماء الله جليلة عظيمة، الكاف: كافي لخلقه، والهاء: هادي لهم، الياء: يحيي ويميت، العين: عالِم ببريَّته، الصاد: صادق بما وعدهم[٣].

وقال أبو سهل الأنماري رحمه الله: معناه بسم الله الرحمن الرحيم الكافي الهادي الأمين العليم الصادق، كلها في موضع الخفض نسقًا علىٰ الاسم السابق.

وقيل: إنه قسم وجوابه: ما كان الله أن يتخذ من ولد، كأنه أقسم بكفايته وهدايته ويمنِّه وعلوه وصدقه[٤].

ومعنىٰ قوله: «يا» أي يد الله معك، ويحتمل أن يكون من اسم الله، وهو الحي القيوم.

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ١٧/ ٣٢١، البيان في عد آي القرآن ١٨١، زاد المسير ٣/ ١١٦، وشذ مقاتل فزعم أن سجدتها مدنية، وأنكر عليه هذا.

(٢) البيان في عد آي القرآن ١٨١، وهي تسع وتسعون في المدني الأخير والمكي، وثمان في الباقين.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ١٣٧، ومعنىٰ هذا القول: أن الحروف تدل علىٰ الكلمات، وهو مروي عن ابن عباس وأصحابه.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٦٧، زاد المسير ٣/ ١١٦.

وعن محمد بن الحنفية سأله عبد الرحمن بن مسعود العبدي عن تفسير: كهيعص، فقال: لو أخبرتك بتفسيره لمشيت على الماء ولم يوار قدميك[١].

وقيل: إنها اسم الله الأعظم.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ أي: هذا الذي نتلوا عليك ذكر رحمة ربك عبده ﴿زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ بالرحمة.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ أي: دعاء أسمع أذنه ولم يسمع غيره، مخافة قول الناس: انظروا إلىٰ هذا الشيخ يطلب ولدًا وقد كبر[٢].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ أي: يا سيدي كبرتُ وضعفت عظامي بعد قوتها ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي: غلب البياض السواد، وشيبًا: نصب علىٰ التمييز[٣]، ولم يذكر شعر اللحية لأنه من الرأس.

﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ أي: كنتُ مستجاب الدعوة إذا دعوتك، فأجب دعائي هذا.

ومعنىٰ شقيًا: أي خائبًا، وقيل: لم أكن بترك دعائك شقيًا؛ لأنَّ من ترك قرع بابه خاب وشقي[٤].

﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ والخوف بمعنىٰ العلم، معناه: علمت من ورثتي وبني أعمامي أن لا يصلحوا لمكاني، ووراثة علمي[٥].

---

(١) في الأصل: جوار قدمتك، وهو تصحيف، وعلىٰ الصواب ذكره في البحر المحيط ١/ ٥٩.
(٢) ولأنه علم أن دعاء السر أسمع (تفسير أبي الليث ٢/ ٣٦٨، تفسير السمعاني ٣/ ٢٧٧).
(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٩، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٨٦٦.
(٤) تفسير الطبري ١٨/ ١٤٣.
(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٦٨.

والموالي: العصبة، لأنَّ الأنبياء لا يورثون، وقيل: حمله علىٰ ذلك طبع البشرية كيلا يرثه غير ولده[١].

وقرئ: «إني خَفَّتِ الموالي من ورائي»: أي ذهبت وقلَّت[٢].

﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ أي: صارت عاقرًا لا تلد ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥﴾ أي: ولدًا، لأن مثلي لا يكون له ولد إلا أن تهبه برحمتك.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾ قرئ: بالجزم[٣] علىٰ معنىٰ جواب الأمر، وبالرفع: لأنه صفة للمولىٰ، معناه: وليًّا الذي يرثني[٤].

قال مجاهد: يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة، وإنما سأل ولدًا صالحًا لأنه سمَّاه وليًا، وغير الصالح لا يكون وليًا للأنبياء.

﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦﴾ تأكيد لسؤال الصلاحية، يعني: اجعله مطيعًا.

فجاءه جبريل وهو قائم في المحراب وقال: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ أي: بولادة غلام ﴿ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ لأنه: يحيي به رحم أمه ﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧﴾ أي: لم يسم أحد من الناس ولده بهذا الاسم قبله[٥].

﴿قَالَ﴾ زكريا ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ لا تحمل، ولم يقل: عاقرة؛ لأنه أراد شخصًا عاقرًا، ولأنَّ العقر يستوي فيه الذكر والأنثىٰ، يقال: رجل عاقر وامرأة عاقر[٦].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٩، الكشاف ٣/ ٤.

(٢) القراءة شاذة منسوبة لزين العابدين وغيره، وهي وتوجيهها في المحتسب ٢/ ٣٧، والكشف والبيان ١٧/ ٣٣٠، الكشاف ٣/ ٤، الدر المصون ٧/ ٥٦٦.

(٣) أي: يرثْني ويرثْ، وهي قراءة أبي عمرو والكسائي (النشر ٢/ ٣١٧).

(٤) الكشف والبيان ١٧/ ٣٣٢.

(٥) تفسير الطبري ١٨/ ١٤٨.

(٦) البسيط ١٤/ ١٩٩.

﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ أي: يبسًا، وأصله: العتو، وهو المبالغة والحد في الكبر والكفر والفساد، والعتي والعتو مصدران[١].

وكان هذا القول منه علىٰ وجه تعظيم قدرة الله.

وقال الحسن: علىٰ وجه الاستخبار، أي: في هذه الحالة يكون أم تصيرني شابًا، من هذه المرأة أو من امرأة أخرىٰ؟[٢].

﴿قَالَ﴾ له جبريل ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما قلت ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ يكون لك ذلك في حال الكبر ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ سهلٌ ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ موجودًا.

﴿قَالَ﴾ زكريا ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: بيِّن لي علامة أعرف بها إذ اشتملت علىٰ حمل ﴿قَالَ﴾ له جبريل [﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾] علامة ذلك أنك تقرب امرأتك في طُهر وحبلت فإنك تصبح ولا تطيق الكلام ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾ نصب علىٰ الحال[٣]، يعني: أنت سوي صحيح ما بك خرس.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ يومًا متغير اللون، فقالوا: مالك يا زكريا؟ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار بعينه أو بيده ﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ أي: صلُّوا لله صلاة الغداة والظهر والعصر، وعرف آية الولد[٤].

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ معناه: وهبنا له يحيىٰ ثم قلنا له بعد البلوغ: خذ التوراة بجد وقوة النفس وقوة القلب، وواظب عليها، واعمل بما فيها، ثم

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٠، البسيط ١٤/ ٢٠٠.

(٢) المسألة مذكورة في: تفسير الطبري ١٨/ ١٤٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٦٩، تفسير السمعاني ٣/ ٢٨٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢١، التبيان ٢/ ٨٦٧.

(٤) تفسير الطبري ١٨/ ١٥٤.

أثنىٰ عليه فقال ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ أعطيناه النبوة والكتاب صغيرًا، عن الكلبي[١].

وقيل: العلم والفهم وهو ابن ثلاث سنين، ومن حكمته أنَّ الصبيان دعوه إلىٰ اللعب فقال: ما للَّعب خُلِقْنا[٢].

﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: رحمة وعطفًا رحمنا به أبويه ﴿وَزَكَوٰةٗۖ﴾ أي: صدقة تصدَّق الله عليهما ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣﴾ مطيعًا مسلمًا.

﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ أي: بارًّا بهما مطيعًا لهما ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤﴾ متكبرًا علىٰ عباد الله عاصيًا في الله.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ ثناء من الله تعالىٰ علىٰ يحيىٰ ﴿يَوۡمَ وُلِدَ﴾ من بطن أمه ﴿وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾ أي: تنحَّت ﴿مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ وانفردت، أي: جلست نبذة، أي: ناحية[٣] ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ مما يلي المشرق من دارهم.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ أي: سترًا لتغتسل فيه عن الحيض ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ جبريل، فدخل عليها، وقيل: قوله روحنا أي: روح عيسىٰ[٤] ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ لم ينتقص.

قيل: تمثل جبريل لمريم علىٰ صورة شاب أمرد جعد[٥]، فلما رأته حسبته

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧٠، البسيط ١٤/ ٢٠٦.

(٢) رواه الطبري في التفسير ١٨/ ١٥٥ عن معمر من قوله ولم يذكره عن أحد.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ١٦١، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٢.

(٤) وهذا قول شاذ، والمفسرون علىٰ أن المراد هو جبريل، ولم يذكر الطبري قولا غيره (تفسير الطبري ١٨/ ١٦٣، البسيط ١٤/ ٢١٤).

(٥) ذكره السمعاني في التفسير ٣/ ٢٨٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٢٤، وهو من تفسير الكلبي، والمشهور عند المفسرين: تام الخلقة.

آدميًّا ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ أي من شرك ﴿إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ مطيعًا مخلصًا لله تعالىٰ، لأن خلوة النساء الأجنبيات مع الأتقياء حرام، والتقي يُخَوَّف بالله لا بغيره.

وقيل: التقي اسم رجل في زمانها ظنَّت أنه هو[(١)].

﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أرسلني إليك ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ أي: أكون سببًا فيما يريد الله من هبة غلام لك، أي: ليهب الله لك ﴿غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ طاهرًا من العيب.

﴿قَالَتۡ﴾ مريم ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ أي: كيف يكون لي ولد ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ أي: لم يقربني آدمي ولم يكن لي زوج يباشرني ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾ زانية.

﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أنك تلدين غلامًا من غير فحل، وقال ربك: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ عبرة لبني إسرائيل ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ كون عيسىٰ من غير أب ﴿أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ مكتوبًا في اللوح، وسابقًا في علم الله.

وقيل: معلومًا لمن قرأ الكتب[(٢)]. فلانت لجبريل، فنفخ فيها فحملت بعيسىٰ. قال مقاتل: حملته مريم في ساعة، وصُوِّر في ساعة، ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من ذلك اليوم، وكانت بنت ثلاث عشرة سنة، وقد حاضت حيضتين[(٣)].

---

(١) وهذا القول من بدع التفاسير، ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٦٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٢٤، وهو منسوب لابن عباس من رواية الكلبي.
(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧١، معالم التنزيل ٥/ ٢٢٤.
(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣١٠، وعنه الثعلبي في الكشف والبيان ١٧/ ٣٥٦.

وقال الضحاك: حملته كما تحمل النساء في المشيمة والرحم[١]، ووضعته كما تضع النساء، وكان مولده بغوطة[٢].

وقال الكلبي: دنا منها جبريل فمد جيبها بأصبعه، ونفخ في الجيب ووصلت تلك النفخة إلىٰ بطنها فحملت، فلما استبان حملها تنحَّت لولادتها إلىٰ مكان قَصي، حيث لا يعلم بها زكريا حياء منه، وخوفًا من الناس.

وقيل: حملته بفيها، ووضعته بفيها[٣]، وقيل: وضعته بثمانية أشهر ولا يعيش المولود بثمانية أشهر[٤].

قيل: كان يوسف بن يعقوب ابن ماثان ابن عمها، وكانت مريم سميت له، فأتاها واحتملها وهرب من الملك وقد أراد قتلها، فلما أخرجها إلىٰ الصحراء أراد أن يقتلها حميَّة، فتمثَّل له جبريل وقال: يا يوسف لا تقتلها، فإن هذا الولد من رُوح القُدُس[٥]، فذلك قوله ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾

---

(١) في الأصل: والروح، وهو تصحيف.

(٢) لم يثبت في مدة حملها حديث عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وعامة المروي من ذلك من الاجتهادات أو الإسرائيليات، والله أعلم أي ذلك كان، وقد روىٰ الطبري في تفسيره ١٨/ ١٧٠ عن ابن عباس: ما هو إلا أن حملت فوضعت، وهو من رواية المغيرة بن عثمان عنه، وهو مجهول.
وقد ذكر الخلاف في ذلك الثعلبي في الكشف والبيان ١٧/ ٣٥٦، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٢٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٢٥، حيث ذكر سبعة أقوال في ذلك.

(٣) وهذا القول غريب، بل هو من بدع التفاسير.

(٤) قالوا: وتلك آية أنه لا يعيش أحد لثمانية أشهر (تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧١).

(٥) وهذا من تتمة كلام الكلبي، وهو خبر إسرائيلي، وظاهر النظم القرآني يبطله لمن تدبر (الكشف والبيان ١٧/ ٣٥٥)، وعن وهب نحوه، رواه الطبري في تفسيره ١٨/ ١٦٩، وهو منكر إسنادا ومتنا.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ﴾ أي: جاء[١] بها الطلق ﴿إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ ابن عباس: كانت نخلة ليس عليها سعف[٢]، وكان تحتها النزال[٣]، فلما اشتدت عليها الولادة ﴿قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ اليوم حياء من الناس، ومعناه: لو خُيِّرَتْ بين الموت وبين هذا الحال لاختارت الموت ﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ والنسي في كلام العرب: كل شيء مطروح لقلة قيمته وحقارته، فيُنسىٰ أي: يُترك[٤].

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ أي: مِن أسفل الجبل، فيكون المنادي جبريل إذا قرئ بكسر «مِن».

وإن قرئ: بفتح الميم «مَنْ تحتَها» فيكون المنادي عيسىٰ[٥].

ومما ينبغي أن يعلم أنه لا يوجد ذكر ليوسف ابن عم مريم في أثر صحيح عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ولا إشارة له في القرآن، بل الوارد فيه كله من قبيل الإسرائيليات، وهي من الإسرائيليات التي لا تصدق، ويزعم أهل الكتاب أن يوسف هو مربي المسيح، وأنه كان معه ومع أمه، وهذا فيه طعن بالصديقة الطاهرة، زوجة نبينا في الآخرة، إذ كيف تكون معه وهي لا تحل له، وقد أخبرنا القرآن أن الله آوىٰ مريم وابنها إلىٰ ربوة، فقال: ﴿وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ٥٠﴾ [سورة المؤمنون:٥٠] ولو كان معهم أحد يقوم علىٰ شأنه لقال: وآويناهم، والله تعالىٰ أعلم.

(١) كذا في الأصل، قال أهل اللغة: جاءها وأجاءها واحد (تفسير السمعاني ٣/ ٢٨٥).وأكثر المفسرين علىٰ أن المعنىٰ: فألجأها (البسيط ١٤/ ٢١٩).

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧٢، الكشف والبيان ١٧/ ٣٥٨، البسيط ١٤/ ٢٢٠، والمفسرون مطبقون علىٰ ذلك.

(٣) كذا، ولم أتبين هذه الكلمة.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٤.

(٥) قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وخلف وحفص: مِن تحتِها، كما أثبت، وقرأ الباقون: مَنْ تَحتَها (النشر ٢/ ٣١٨).

﴿أَلَّا تَحۡزَنِي﴾ وذلك حين تمنَّت الموت ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ يعني ولدًا سريًّا وهو عيسىٰ، عن الحسن[١].

وقيل: السري النهر الصغير[٢].

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ أي: حرِّكي أصل النخلة ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ كأنه مجني باليد.

وقال مقاتل: يعني بالجني ما ترطب من البسر، وكانت شجرة يابسة فاخضرت وهي تنظر، ثم حملت الرطب ونضحت وهي تنظر[٣].

﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي [وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ]﴾ طيبي نفسًا بولدكِ الطاهر ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا﴾ كُسِرَت الياء علامة للمؤنث، ولو كان للمذكر لكان: ترينَّ، بنصب الياء كما أنك لو قلت: لتضربَنَّ للمذكر، قلت للمؤنث: تضرِبِنَّ، وكان في الأصل: فإما ترْأَينَّ فطرحت الهمزة، وحولت حركتها إلىٰ الراء، وكُسِرَت الياء لاجتماع الساكنين، وهما الياء والنون[٤].

﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ أي: أشيري إلىٰ ذلك، وصومًا يعني: صمتًا[٥] ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ آدميًّا.

﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ﴾ يعني: تحمل عيسىٰ إلىٰ قومها بني إسرائيل في حجرها، ملفوف في الخرق، بعد ما تعالَّت من نفاسها، فاستقبلها رهطها باكين ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧﴾ أي: منكرًا عظيمًا.

---

(١) رواه الطبري في التفسير ١٨/ ١٧٧، لكنه لما روجع تراجع عنه.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ١٧٥، وهو قول الجمهور، ورجحه ابن جرير.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣١٠.

(٤) معني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٦، البسيط ١٤/ ٢٣٣.

(٥) تفسير الطبري ١٨/ ١٨٢، وهو قول عامة السلف.

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ يا شبه هارون في الخير، وهارون كان رجلاً صالحًا في بني إسرائيل، وكان معروفًا بالزهد حتىٰ يسمي الناس أبناءهم باسمه، فإذا مات صلىٰ عليه أربعون ألف رجل يسمَّىٰ هارون، فنسبوها إليه لورعها[١].

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ﴾ أي: زانٍ ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ فاجرة، فبمن اقتديت؟

﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ﴾ إلىٰ عيسىٰ في حِجرها، أي: كلِّموه حتىٰ يخبركم بحاله ﴿قَالُواْ﴾ لها ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾ أي: هو صبي رضيع في الحِجر، وكلمة: كان لغو[٢] في الكلام، كقوله ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾، وقال ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧٣.
والصحيح أنه أخوها ابن أمها وأبيها، لما ثبت في صحيح مسلم (٢١٣٥): عن المغيرة بن شعبة، قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون يا أخت هارون، وموسىٰ قبل عيسىٰ بكذا وكذا، فلما قدمت علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم».
ومعنىٰ الحديث كما قال أبو الليث السمرقندي: إن أخا مريم سمي باسم هارون النبي (تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧٣).

(٢) سبق التنبيه علىٰ مثل هذه الكلمة، وأنه لا يجوز أن يقال ذلك في القرآن، وهذا إنما يقوله النحاة والمعربون، علىٰ معنىٰ أن كان زائدة إذ المعنىٰ يتم بدونها، أو أنها زائدة بمعنىٰ لا تعمل في الاسم، وهي عبارة أبي عبيدة ويتابعه عليها الزجاج، ومن هنا دخلت علىٰ المفسر الكبير (انظر: مجاز القرآن ٢/ ٧، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٨).
علىٰ أن الزجاج ذكر معنيين يفيدهما ذكر كان، فقال: وقال قوم: إنَّ كان في معنىٰ وقع وحَدَثَ، المعنىٰ علىٰ قول هؤلاء: كيف نكلم صَبيًّا قد خلق في المهْدِ، وأجود الأقوال أن يكون مَن في معنىٰ الشرط والجزاء فيكون المعنىٰ: من يكن في المهد صَبيًّا - ويكون صَبيًّا حالاً - فكيف نكلمه؛ كما تقول من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه.

قيل: نهض عيسىٰ علىٰ مرفقه الأيسر، ورفع بسبابته اليمنىٰ يشير بها إلىٰ السماء، و﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ فأول كلمة قالها رد علىٰ النصارىٰ ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في بطن أمي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠﴾ بعد خروجي من بطن أمي.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ معلِّمًا للخير ومؤدبًا وذا بركة ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ من أرض الله وبلاده، وقيل: وصف نفسه بالبركة لأنَّ ولد الزنا شؤم، فقال: نسبت بولد الزنا لأني مبارك ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾ في الدنيا، والزكاة أراد به طهارة نفسه بالصلاح لأنه لم يجب عليه الزكاة.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾ أي: جعلني بارًا لطيفًا بها لا عاقًّا ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾ أي: سفَّاكًا للدم ولا خائبًا من الخير.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ أي: السلامة من الله لي يوم وُلِدْتُ ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ للحساب والجزاء السلام، والسلامة: التخلص من الآفات، أي: سلَّمني الله من الآفات ومن كل سوء حيًّا وميتًا[١].

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أي: ذلك الذي قال: إني عبد الله؛ عيسىٰ بن مريم ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: خبر[٢] عيسىٰ الذي قال إني عبد الله خبر صدق، وإضافة القول إلىٰ الحق بمنزلة قوله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾.

﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾ يشكون في أمره، يعني: النصارىٰ يقولون إنَّ المسيح ابن الله أو شريكه.

وسبقه إلىٰ بيان ذلك الطبري، فإنه قال في تفسيره ١٨/ ١٨٨: كان معناها التمام لا التي تقتضي الخبر، بمعنىٰ: وقد صار أو وجد (انظر: التبيان ٢/ ٨٧٣، تفسير القرطبي ١١/ ١٠١، الدر المصون ٧/ ٥٩٤).

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٩.

(٢) في الأصل: خير، في الموضعين.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ أي: ما جاز له أن يتخذ ولدًا، وكلمة «من» لتأكيد النفي[١] ﴿سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد إمضاء أمر يكون في علمه كونُهُ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ كما أراد كون عيسىٰ بلا أبٍ فكان.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ معناه: لأنَّ[٢] الله ربي وربكم خالِقي وخالقكم.

وقرئ: بالكسر: «وإنَّ الله ربي وربكم» معطوف علىٰ قول عيسىٰ: «إني عبد الله، وإن الله ربي وربكم»[٣].

ثم سكت عيسىٰ الذي تكلم ولم يتكلم حتىٰ بلغ المبلغ الذي يتكلم فيه الصبيان، قوله: ﴿فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ أي هذا الإسلام طريق واضح ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾ اختلف النصارىٰ في الدين فيما بينهم، سُمُّوا أحزابًا لأنهم تحزبوا في عيسىٰ: أي تفرقوا.

قال ابن عباس: لما رُفِعَ عيسىٰ إلىٰ السماء اختارت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم، فقالوا: ما تقولون في عيسىٰ؟

فقال الأول منهم: هو الله نزل من السماء، وخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صعد إلىٰ السماء، فاتبعه قومٌ من الماريعقوبية.

وقال الثاني: هو ابن الله صعد إلىٰ السماء، واتبعه علىٰ ذلك قوم من النسطورية.

وقال الثالث: أنا أقول الله إلـٰه، وعيسىٰ إلـٰه، وأمه إلـٰه، واتبعه علىٰ ذلك قوم من الملكانية.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢٩.
(٢) وهذا علىٰ قراءة الفتح: وأنَّ، وهكذا ثبتت في الأصل، وهي قراءة المدنيين وابن كثير والبصريين، وبالكسر قرأ الباقون (النشر ٢/ ٣١٨).
(٣) البسيط ١٤/ ٢٤٧.

وقالوا للرابع: قل، فقال: هو عبد الله ورسوله، واتبعه علىٰ ذلك المؤمنون، ثم قال هذا العالِم للثلاثة: أنشدكم بالله، هل كان عيسىٰ يطعم؟ فقالوا: نعم، فقال: إن الله لا يطعم، ثم قال: هل كان ينام؟ فقالوا: نعم، فقال: إن الله لا ينام، فظهرت حجة أهل الحق علىٰ أهل الباطل، ثم قاتلهم أهل الباطل، فقتلوا المؤمنين، وظهرت اليعقوبية في ذلك الوقت(١).

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في عيسىٰ ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ حين ما تبرأ منهم عيسىٰ.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ أي: ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة أنَّ عيسىٰ لم يكن علىٰ ما وصفوه ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي: القيامة ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي: خطأ بيِّن في الدنيا وهم اليهود والنصارىٰ(٢).

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ أي: خوِّفهم بيوم الندامة حين تزفر جهنم زفرة، وعلقت القلوب بالحناجر، ويُذْبَح الموت بين الجنة والنار ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بالبعث ولا بالله وبأنبيائه.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: نقهر الخلائق بالموت، وتبقىٰ الأرض ميراثًا، لأن ما بقي عن الميت فهو ميراث ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ بعد الموت.

---

(١) وقد روي عن قتادة وابن جريج نحوه، انظر: تفسير الطبري ١٨/ ١٩٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧٤، تفسير السمعاني ٣/ ٢٩٢.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧٥. والمفسرون يحملون الآية علىٰ العموم في كل كافر (تفسير الطبري ١٨/ ١٩٩).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ الصدِّيق: هو المبالغ في الصدق، أي: موحدًا لله مخبرًا عن دلائل وحدانيته، وقيل: صدِّيقًا قبل الوحي، نبيًّا بعد الوحي(١).

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ﴾ دعاءك ﴿وَلَا يُبۡصِرُ﴾ عبادتك ﴿وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ لا يدفع ما نزل بك من البلاء.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾ يعني: الوحي من الله عز وجل ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ أجبني إلىٰ ما أدعوك ﴿أَهۡدِكَ﴾ أي: أعرِّفك وأُرْشِدْكَ ﴿صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ مستويًا.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ أي: لا تطعه في معصية الرحمن ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ حين أبىٰ عن السجود لآدم.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بعبادتك الأصنام ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ شريكًا في العذاب.

﴿قَالَ﴾ أبوه ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ﴾ أتارك أنت عبادة آلهتي ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ أي: إنْ لم تمتنع عن مقالتك لأَسُبنَّك وأَرْمِينَّكَ بالعيب، عن الضحاك(٢).

وبالحجارة عن الحسن(٣).

---

(١) وقيل: صديقا لأنه كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره، فهو فعِّيل من الصدق، أراد به الوصف لا الدرجة التي هي الصديقية (تفسير الطبري ١٨/ ٢٠٢، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣١، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧٥).

(٢) رواه الطبري في التفسير ١٨/ ٢٠٥، وهو قول الجمهور.

(٣) لم يرو الطبري هذا القول، ولا ذكره في تفسيره، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٧٤ للحسن، وهو قول ضعيف.

﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ مدة مديدة[١].

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾ وَدَعْتُك، وقيل: هداك الله للإسلام وسلَّمك ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ أي: أشفع لك إلىٰ ربي بالدعاء حتىٰ يتوب عليك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ بارًا لطيفًا عودني الإجابة إذا دعوته[٢].

﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ﴾ أي: أهجركم ﴿وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ أي: أوحده ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ خائبًا.

﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ جانبهم ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: جانب أصنامهم ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ﴾ من إسحق ﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾ أكرمناهم بالنبوة.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ أي نعمتنا: المال والولد ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾ أكرمناهم بالثناء الحسن، رفيعًا ذكرهم إلىٰ يوم القيامة[٣].

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ أخلص لله بالعمل[٤].

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ من يمين موسىٰ، أي: أسمعناه النداء بذلك المكان ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ أي: كلَّمناه من قريب، وقيل: قرَّبناه تقريبًا[٥].

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣﴾ حتىٰ كان شريكًا في نبوَّته، وزيرًا له،

---

(١) أي دهرا طويلا (النكت والعيون ٣/ ٣٧٤).

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٢٠٧.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٢٠٨.

(٤) وهذا المعنىٰ علىٰ قراءة: مخلِصا، بكسر اللام، وهكذا ضبطها في الأصل، وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين (النشر ٢/ ٣٩٥).

(٥) تفسير الطبري ١٨/ ٢١٠.

لأنه سأل الله تعالىٰ حيث قال: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ فأجابه الله تعالىٰ إلىٰ ذلك، فسمَّاه هبة.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ موفيًا بالعهد، منجزا للوعد إذا وعد، وذلك أنه جلس علىٰ رأس طريق سنة منتظرًا لرجل وعده أن يمكث له[١].

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ مخبرًا عن الله عز وجل.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ أي: قومه ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي بإتمام الصلاة وإيتاء[٢] ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ أي: صالحًا زكيًّا، قيل: هو إسماعيل بن إبراهيم، وقيل: هو إسماعيل بن هَلْقَاثا[٣].

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ لأمتك خبر ﴿إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ في المقال والفِعال ﴿نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ ينبئ عن الله عز وجل.

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ في السماء الرابعة، عن مجاهد[٤].

---

(١) وهذا قول الكلبي، وربما نسب لابن عباس، وقول مقاتل: انتظره ثلاثة أيام، وروىٰ الطبري عن سهل بن عقيل: أنه انتظره ليلة (تفسير الطبري ١٨/ ٢١١، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٧٧، زاد المسير ٣/ ١٣٥).

(٢) فصل بين الواو والزكاة، بإيتاء.

(٣) وهذا قول غريب لا يعول عليه، بل هو من بدع التفاسير، قال الماوردي (في النكت والعيون ٣/ ٣٧٧): وهو علىٰ قوله الجمهور: إسماعيل بن إبراهيم، وزعم بعض المفسرين: أنه ليس بإسماعيل بن إبراهيم؛ لأن إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإنَّ هذا هو إسماعيل بن حزقيل، بعثه الله إلىٰ قومه فسلخوا جلدة رأسه، فخيره الله تعالىٰ فيما شاء من عذابهم، فاستعفاه ورضي بثوابه، وفوض أمرهم إليه في عفوه أو عقوبته (وذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٤).

ولشذوذه أهمله ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٣٥، مع أنه يكثر من الاعتماد علىٰ الماوردي.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١٨/ ٢١٣.

والجنة، عن زيد بن أسلم. وفيه قصة طويلة لا يحتمل الكتاب ذكرها.

وقيل: هو في السماء السابعة يعرض عليه أرواح الصدِّيقين.

وقيل: قوله «رفعناه مكانًا عليًّا» في القدر والمنزلة وهو ميت تصلي عليه الملائكة، عن الضحاك[١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني إبراهيم وموسىٰ وإسماعيل وإدريس وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بالرسالة والنبوة، الذين خلقهم من ذرية آدم، وهو إدريس ونوح ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: من ذريته، لأنَّ جميع العالم من أولاده الثلاثة ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يعني: ولده إسحق، وولد لإسحق يعقوب، وولد ليعقوب الأسباط، فذلك قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي: عرَّفناهم ديننا وعبادتنا ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ اخترناهم للنبوة ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ كلام الله ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ أي: ساجدين باكين، نصب على الحال[٢].

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي بقي بعد الأنبياء بقيات رذال، يقال في الرداءة: خَلْفٌ وفي الصلاح: خَلَف صدق[٣]، يعني: به أولاد سوء ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخمس وأخَّروها عن وقتها، وقيل: تركوها ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ يعني الخمر والزنا، وقيل: استحلوا نكاح الأخوات من الأب، وقيل: بالبناء المشيد، وركوب الذلول، واللباس المشهور، والنوم على الميثور[٤]، وهم فسقة هذه

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٨٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٥، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٥.

(٣) الكشف والبيان ١٧/ ٤٠٤، الكشاف ٣/ ٢٦.

(٤) في الأصل: اليوم على الميثور، وهو تصحيف، والميثور يريد به المياثر، جلود السباع، والله أعلم.

الأمة[1].

﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ وادي في جهنم وقيل مجازاة الغي[2].

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بعد التوبة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾ أي: لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئًا ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ نصب علىٰ البدل من قوله: يدخلون[3] ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ علىٰ ألسنة الرسل ﴿عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ عنهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١﴾ أي: آتيًا جائيًا، مفعول بمعنىٰ الفاعل[4].

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ أي: خلفًا وباطلاً ﴿إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ ما يسلم بعضهم علىٰ بعض، وهو[5]: اسم جامع لكل خير.

وقيل: يقول بعضهم لبعض: اسلم من الآفات، وقيل: هو استثناء علىٰ تكرير الفعل الأول، معناه: لا يسمعون فيها لغوًا ولا يسمعون إلا سلامًا تسلِّم الملائكة عليهم أو بعضهم بعضًا[6].

﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝٦٢﴾ أي: علىٰ مقدار البكرة والعشي، لأنه ليس هناك بكرة وعشي، ولكن خوطبوا بما عقلوا.

وفي الكشف والبيان ١٧/ ٤٠٨، والكشاف ٣/ ٢٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٢٥: وقال علي بن أبي طالب: هذا إذا بني المشيد، وركب المنظور، ولبس المشهور .

(١) زاد المسير ٣/ ١٣٧.

(٢) البسيط ١٤/ ٢٧٣ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٧٧. .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٦.

(٥) في الأصل: وهل، وهو تصحيف. وانظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٣٧ حيث صدر عنه.

(٦) البسيط ١٤/ ٢٧٥.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: نُنزل فيها من عبيدنا ﴿مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ من الشرك والكبائر والفواحش، وقيل: من كان موحدًا[١].

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ رُوي أنَّ جبريل احتُبس من النبي صلىٰ الله عليه وسلم أربعين يومًا، حين ترك الاستثناء، حتىٰ قالت اليهود: إنَّ محمدًا قد أطفأ الله نوره، فلما هبط جبريل قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ما حبسك عني يا جبريل؟ فقال جبريل: وما نتنزل إلا بأمر ربك» أي: ما ننزل بالوحي إليك إلا بأمر ربك[٢].

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من أمر الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من الآخرة ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين النفختين[٣] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ أي: ما نسيك ربك كما زعمت قريش، ولكن تأخر الوحي.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ خالقهما وخالق ما فيهما من الخلق وخالق ما بينهما ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ احبس نفسك علىٰ طاعته ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ أي: ليس أحد يسمىٰ الله سواه، وقيل: معناه لا مثل له[٤].

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المكذِّب بالبعث: أُبي بن خلف، عن ابن عباس[٥] ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ أي: إذا مت، وما زائدة ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ من القبر.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٨١.

(٢) روىٰ البخاري في الصحيح ٣٢١٨ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا، قال: فنزلت الآية. وهذا السياق يخالف السياق الذي ذكره المصنف.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٨١.

(٤) تفسير الطبري ١٨/ ٢٢٦.

(٥) وهذا من تفسير الكلبي، ولذا فقد خلا منه تفسير الطبري، انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٣٨٢.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: لا يتفكر الكافر ابتداء خلقه ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ ثم أقسم بنفسه:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ علىٰ رغمهم ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: نحشر الشياطين الذين أغووهم ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ جميعًا، عن الكلبي.

وقيل: جُثاةً علىٰ رُكبهم[١].

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي: لنخرجن بالنداء من كل جماعة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ كُفرًا وتكبُّرًا، فكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «أعتا أهل مكة: أبو جهل، وهو أول من يساق من أهل مكة إلىٰ النار»[٢].

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ أي: دخولاً، وهم القادة في الكُفر.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: ما منكم أحدًا إلا داخلها: المؤمن والكافر.

والشبهة في هذه الآية أنَّ الله تعالىٰ قال في آية أخرىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ وذكر الورود هاهنا عامًا.

قيل: أراد به الكفار، لأن الكاف والميم للخطاب، والخطاب للكافر.

وقيل: إن العالم كلهم يردونها، ولكن أهل الطاعات لا يشعرون بورودها[٣].

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٢٢٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٨٢.

(٢) غريب بهذا اللفظ، ولعله من مرويات الكلبي.

(٣) لأنهم يمرون عليها وهي خامدة، أو جامدة، كما قاله خالد بن معدان (تفسير الطبري ١٨/ ١٣٠).

وقيل: أراد به الممر على الصراط، والممر تعبير عن الورود، والورود عن الممر كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: مرَّ عليه، والأنبياء وأولياء الله لا يدخلون النار، لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ وهو قول الحسن وقتادة[١].

قال الأزهري: الورود الإشراف على الشيء من غير دخول، قال زهير:

فلمَّا وَرَدنَا الماءَ زرقًا جِمَامُه ... وضعنَ عِصيَّ الحاضر المتخيِّمِ[٢]

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ أي: واجبًا قضاه في اللوح المحفوظ.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ الذين وحَّدوا الله ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ جميعًا.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ بالأمر والنهي ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ النضر بن الحارث وغيره ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ من الصحابة ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن أم أنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ أي: منزلاً ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ أي: مجلسًا.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أهل زمان ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ متاعًا ﴿وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ منظرًا، والري: الارتواء من النعمة أيضًا، بلا همزة[٣].

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ في الجهالة والحيرة ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ في ضلالته، لام الأمر دخل في الكلام للتأكيد، كأنه يأمر نفسه[٤]،

---

(١) وروي هذا المعنى عن ابن عباس، رواه الطبري في التفسير ١٨/ ٢٣٠.

(٢) تهذيب اللغة ١٤/ ١١٧، تاج العروس ٩/ ٢٨٩ .

وانظر في هذه المسألة تفسير السمعاني ٣/ ٣٠٧، البسيط ١٤/ ٢٩٤، معالم التنزيل ٥/ ٢٤٦، زاد المسير ٣/ ١٤٣، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣٦، تفسير ابن كثير ٥/ ٢٥٢.

(٣) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٢، ونحوه في البسيط ١٤/ ٣٠٥.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٣، البسيط ١٤/ ٣٠٦.

ومعناه: مدَّ له الرحمن مدًا، وينبغي أن يكون ذلك، ونظيره قوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ القتل ببدر ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ القيامة ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ يعني: شر منزلة ﴿وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥﴾ هم أم المؤمنون؟

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ يعني: أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم زادهم بصيرة، وقيل: يزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدىٰ بالناسخ[(١)].

﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ يعني: الصلاة والصيام والحج والجهاد وغيرها ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ من مساكن أهل مكة وأموالهم التي يفتخروا بها[(٢)] ﴿ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ٧٦﴾ أي: عاقبة وقد فسرناه في سورة الكهف.

﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ نزلت في العاص بن وائل، وكان خباب بن الأرت قينًا[(٣)] في الجاهلية، وكان يعمل للعاص ويؤخر أجرته إلىٰ الموسم، فلما أسلم تقاضاه فقال له العاص: ما عندي ما أقضي دينك، وقال خباب: لا أفارقك حتىٰ تعطيني ديني، فقال العاص: ألستم تزعمون أن في الجنة ذهبًا؟ فقال: نعم، قال: فأخرني حتىٰ أقضيك هناك، والله لو كان كما تقولون فأنا أفضل منك حظًّا فيها، فأنزل الله تعالىٰ ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعني: القرآن وما فيه من الثواب والعقاب[(٤)].

﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧﴾ في الجنة.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ١٤٤، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٨٥.

(٢) البسيط ١٤/ ٣٠٩.

(٣) في الأصل: قيفا، وهو تصحيف.

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٢٠٩١)، ومسلم في الصحيح (٢٧٩٥) من حديث خباب.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: نظر في اللوح المحفوظ ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ﴾ بما قال ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ وقيل: أم اعتقد بالتوحيد عند الله عهدًا يجب وفاؤه[1].

﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه، أي: لا اتخاذ عهد ولا اطلاع غيب ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ من الكذب، أي[2]: يكتبه الملائكة الحفظة بعلمي ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩﴾ أي: نزيد له من العذاب زيادة.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ قال أبو سهل: نحوي ماله فنخرجه منه عند الممات ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾ ليس معه من ماله قليل ولا كثير.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١﴾ أنصارًا وشفعاء وأعوانًا.

﴿كَلَّا﴾ أي: لا يشفعون ولا ينصرون ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ الأصنام يتبرؤون منهم، والملائكة وعزير وعيسىٰ كذلك ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ أي: عونًا علىٰ هلاكهم[3].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: خليناهم وإياهم، والإرسال: التسليط أيضًا ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝٨٣﴾ أي: تزعجهم إلىٰ المعاصي إزعاجًا، وتغريهم إغراءً علىٰ المعاصي[4].

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بالعقوبة يا محمد ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝٨٤﴾ أي: نعد عليهم الليالي والأيام، وقيل: نعد أنفاسهم إلىٰ مماتهم[5].

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٨٦.

(٢) في الأصل: أن، وهو تصحيف.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٥.

(٤) وهو معنىٰ الأز، كما في تفسير الطبري ١٨/ ٢٥١.

(٥) وهو مروي عن ابن عباس وغيره (تفسير الطبري ١٨/ ٢٥٣).

﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ من الشرك والكبائر ﴿إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾﴾ أيك ركبانًا مكرمين، يُؤتون بنوق عليها رحال من ذهب، وأزمَّتُها الزبرجد منظوم بالدر والياقوت، فيحملون عليها، فتطير بهم إلىٰ الجنة[١].

وفدًا: نصب علىٰ الحال[٢].

﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾﴾ أي: عطاشًا ولا يروون أبدًا[٣].

﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ وهذا جواب قوله ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾﴾ يشفع لهم، يعني: الملائكة والنبيون لا يملكون أن يشفعوا لأحد.

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾﴾ يقول لا إله إلا الله، وقيل: إلا من قدَّم عملاً صالحًا.

﴿وَقَالُواْ﴾ يعني: اليهود والنصارىٰ قالوا ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾﴾ عزيرًا وعيسىٰ.

﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾﴾ أي: قل لهم أتيتم بشيء عظيم منكر[٤].

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾[٥] أي: من عِظم ما قلتم ﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: تتشقق ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ أي: تسقط الجبال كسرًا ﴿أَن دَعَوۡاْ

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٢٥٤، تفسير أبي الليث ٢/ ٣٨٧، تفسير السمعاني ٣/ ٣١٤.

(٢) التبيان ٢/ ٨٨٢.

(٣) وهو قول كافة المفسرين (تفسير الطبري ١٨/ ٢٥٥)، وقيل: مشاةً (الكشف والبيان ١٧/ ٤٦٠، تفسير السمعاني ٣/ ٣١٤).

(٤) وهو مروي عن ابن عباس (تفسير الطبري ١٨/ ٢٥٧).

(٥) ضبطها في الأصل: ينفطرن، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب وابن عامر وحمزة وشعبة وخلف، وقرأ الباقون: يتفطرن (النشر ٢/ ٣١٩).

﴿لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ أي: لقُبح هذا القول وفساده.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من قرأ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ إلىٰ آخر الآية، استغفرت له السماوات والأرض والجبال كما كادت تنفطر من قبح قولهم: «اتخذ الله ولدًا»(١).

وروي: أنَّه لم يكن في الأرض نبت إلا ولابن آدم فيه نفع، حتىٰ قالوا: لله ولد، اقشعرت الأرض وشاك الشجر(٢).

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ لأنَّ اتخاذ الولد للتكثُّر والانتصار، والله تعالىٰ مُستغنٍ عن ذلك، واتخاذ الخليل لا يدل علىٰ اتخاذ الولد، لأنَّ أحدنا لو قال: «إني أحب فرسي» لا نستنكر عليه، ولو قال: اتخذتُ فرسي ولدًا، يستدعي(٣) الجنسية.

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ أي: يقرون له بالعبودية، ولله بالوحدانية يومئذ.

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ أي: عَلِمَهُم، وقيل: سماهم في اللوح المحفوظ ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ أي: عرف عددهم(٤).

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ أي: كل أهل السماوات والأرض يأتونه يوم القيامة فردًا، ليس معهم شيء من دنياهم.

---

(١) ذكر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٤٥ عن عبد الحميد بن واصل مرسلا نحوه، وذلك في آخر سورة الإسراء.

(٢) في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٧ روايات قريبة من هذا.

(٣) في الأصل: يستدي، وهو تصحيف.

(٤) تفسير الطبري ١٨/ ٢٦١.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ أي: يجعل محبتهم في قلوب المؤمنين ليحبوهم، وقيل: يحبهم ويحببهم إلىٰ عباده[1].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني: هونًا القرآن علىٰ لسانك حتىٰ قرأته وحفظته ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك والفواحش ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ﴾ أي: تخوف بالقرآن ﴿قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ أي: أشداء[2] الخصومة بالباطل[3].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ بالعذاب ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: هل ترىٰ وتعلم منهم أحدًا، والإحساس: الرؤية والعلم ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ أي: صوتًا، والركز: الصوت الخفي، عن الزجاج[4].

قال عبد الحميد الحاكمي عفا الله عنه: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة مريم أعطي من الأجر بعدد من صدق بزكريا ويحيىٰ ومريم وعيسىٰ وموسىٰ وهارون وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وإدريس، وبعدد من كذب بهم، وبعدد من دعا لله ولدًا، وبعدد من وحَّد الله عز وجل»[5].

---

(١) زاد المسير ٣/ ١٤٨.

(٢) في الأصل: أرشدنا، وهو تصحيف.

(٣) البسيط ١٤/ ٣٤٢

(٤) معاني القرآن ٣/ ٣٤٧.

(٥) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٧/ ٣٢٢، ورواه المستغفري في فضائل القرآن ١١٨٦.

سورة طه

مكية كلها[1]، وهي مائة وخمس وثلاثون آية في الكوفي، وأربع في المدني، وآيتان في البصري[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿طه ①﴾ اختلفوا في تفسيره:

في الخبر أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يجهد نفسه في طاعة الله؛ حتىٰ كان يعلِّق رجليه في الصلاة[3]، فكان يقوم علىٰ صدور قدميه، ويروىٰ أنه كان يقوم بإحدىٰ رجليه، فأنزل الله تعالىٰ: طه، أي يا رجل، في لغة نبطية عُرِّبَتْ[4].

ومن قرأ: طأْهَا[5] فهو من الوطء، أي: طء الأرض علىٰ قدميك[6].

---

(١) الكشف والبيان ١٧/ ٤٨١، البيان في عد آي القرآن ١٨٣ .

(٢) وأربعون في الشامي (البيان في عد آي القرآن ١٨٣).

(٣) روي عن مجاهد من قوله (كما في تفسير الطبري ١٨/ ٢٦٩) ، وروي عن ابن عباس من تفسير الكلبي (تفسير أبي الليث ٢/ ٣٨٩، الكشف والبيان ١٧/ ٤٩٦).

(٤) روي عن ابن عباس من طرق، وعن سعيد بن جبير وعكرمة وغيرهم (تفسير الطبري ١٨/ ٢٦٦)، وقيل: سريانية (البسيط ١٤/ ٣٤٧، النكت والعيون ٣/ ٣٩٢) .

(٥) قرأ ابن كثير وحفص بالفتح في الحرفين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة بالإمالة في الحرفين، وقرأ أبو عمرو بفتح الطاء وإمالة الهاء، وعن نافع التقليل (السبعة ٤١٦، إتحاف فضلاء البشر ٣٨١) . قال الثعلبي: وكلها لغات صحيحة (الكشف والبيان ١٧/ ٤٨٧، وانظر: الحجة للفارسي ٥/ ٢١٨).

(٦) أي: طا فعل أمر، وأصله بالهمز، ولكن أبدل من الهمزة ألفا، وها ضمير للأرض (التبيان ٢/ ٨٨٤). والمصنف لخص ما في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٩، وزاد عليه.

وقيل: طَهْ من الوطء، لأنَّ الأمر منه حرف واحد، كما يؤمر من وفى يفي: فِ، فيوصل الهاء به للوقف، فيصير: طه، كما يقال من الوفاء: فه.

وقيل: إنَّ طه بنصب الحرفين معناه يا رجل، وقال الشاعر:

إنَّ السفاهةَ طهَ مِن خَلائقكم لا قدَّسَ الله أرواحَ الملاعين(١)

وقيل: قسمٌ أقسم باسمين: الطاهر والهادي، قيل: اسمان لله تعالىٰ، وقيل: للنبي صلىٰ الله عليه وسلم(٢)، والله أعلم بسر كلامه.

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ أي: لتتعب ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ يعني: نزلناه تذكيرًا ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ الله فيوحدوه.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أنزلناه تنزيلاً ممن خلق الأرض ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ فالعليا والعُلىٰ مثل الكُبرىٰ والكُبَر، وقيل الكُبَر: جمع كبرىٰ، والعُلىٰ جمع عليا.

قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ قال: كان العرب يقولون لا نعرف الرحمن، فقال الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ يعني: اسمه علىٰ العرش فكيف لا تعرفونه.

---

(١) البيت ليزيد بن مهلهل، انظر: تفسير الطبري ١٨/ ٢٦٩، الكشف والبيان ١٧/ ٤٩١، البسيط ١٤/ ٣٤٨، النكت والعيون ٣/ ٣٩٢، الدر المصون ٨/ ٦.
ورجح ابن جرير هذ القول، لروايته عن من روي عنه، ولشهرته في بعض قبائل العرب (تفسير الطبري ١٨/ ٢٦٨). ورده الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٠، ورده عليه أبو حيان والسمين (الدر المصون ٨/ ٦).

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٢٦٨ ، الكشف والبيان ١٧/ ٤٨٨، وهو اختيار الجرجاني صاحب النظم (البسيط ١٤/ ٣٤٨).

ثم قال: استوىٰ ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: استوت عظمته علىٰ بريَّته[١].

وقيل: استوىٰ علىٰ العرش أي عَلَا وقَهَر واستولىٰ، وهو فوق العرش بالعلية بائنًا عن مخلوقاته بلا كيف[٢].

وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإقرار به واجب، والسؤال عنه بدعة[٣].

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ أي: تحت الأرضين السفلىٰ.

---

(١) هذا القول غريب جدا، ليس له وجه من الاعتبار، فقد قطع أوصال الآية علىٰ غير دليل، فإن المسلمين مجمعون أن فاعل الاستواء هو الله عز وجل، ثم اختلفوا بعد ذلك، فالسلف والأئمة الأربعة يثبتون الاستواء بمعنىٰ العلو علىٰ العرش، وأهل الكلام سلكوا مسلك التأويل، واختلفوا في هذا المسلك.

وأما علىٰ هذا القول: فاسم الرحمن علىٰ العرش، وتم الكلام هنا، ثم استأنف: استوىٰ له ما في السماوات، وهذا من بدع التفاسير.

(٢) والصحيح أنه استوىٰ بمعنىٰ علا وارتفع، كما قال الطبري في تفسيره ١٨/ ٢٧٠، وهو مذهب السلف، وأما ذكر القهر فهذا لا خصوصية للعرش به، فهو قاهر لعباده كلهم، فلا وجه لتخصيص العرش بالقهر، وأما الاستيلاء فقد قدمنا أنه تأويل المعتزلة الذين يشنع عليهم المصنف، وتابعهم عليه بعض الأشاعرة والماتريدية، وأنكره أهل اللغة وأهل التفسير علىٰ حد سواء، وقد سبقت المسألة (انظر: تفسير السمعاني ٣/ ٣٢٠).

(٣) قد سبق له تأويل الاستواء، وهذا -كما نبهنا- أنَّ المفسرين يتبعون مواردهم ومصادرهم، دون أن يكون لهم تحقيق تام في كل ما يوردونه، فربما أَوَّل في موضع بحسب مصدره فيه، وربما ذكر مذهب السلف في موضع آخر، وذلك بحسب ما اعتمد عليه من مصادر، والمعروف أنَّ المفسر الكبير -الذي اعتمد عليه المصنف كثيرا- لم يكن مؤولا، فالله أعلم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بُسطت الأرض علىٰ الماء، والماء علىٰ الحوت، والحوت علىٰ الصخرة، والصخرة بين قرني الثور، والثور علىٰ الثرىٰ، ولا يعلم تحته إلا الله عز وجل[١].

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي تعلن به ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ أي: ما أسره الإنسان إلىٰ غيره، وما أخفاه من ضميره، وقيل: يعلم ما تعمل وما أنت عامل[٢].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ أي: هو الذي يتألَّه إليه العباد، له الأسماء الحسان، وإنما: قال الحسنىٰ لأنه تأنيث الأحسن[٣].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ أي: قد بلغك قصة موسىٰ ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ من بعيد وهو نور ظنَّه نارا ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ أقيموا هاهنا ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أي: أبصرتها ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ أي: شعلة من النار في رأس الحطب ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ أي: هاديًا[٤]، ناب الهُدىٰ عن الهادي؛ كما ناب الكذب عن المكذوب في قوله: ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي مكذوب.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أي: قرب من النار ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ قال الكلبي: رأىٰ نارًا بيضاء تتوقد من شجرة خضراء، من أسفلها إلىٰ أعلاها،

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٩٠، الكشف والبيان ١٧/ ٤٩٩، وتفسير السمعاني ٣/ ٣٢١، معالم التنزيل ٥/ ٢٦٣. وهذا من رواية الكلبي، فلا يلتفت إليه، وإنما يعرف هذا عمن يأخذ الإسرائيليات ويرويها، كالسدي، فتلقفه الكلبي ونسبه لابن عباس، وهو منه براء.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٢٧٢.

(٣) البسيط ١٤/ ٣٦١، وزاد: ووحدت الحسنىٰ والأسماء جمع؛ لأنها مؤنثه والجماعة توصف بصفة المؤنث الواحد كقوله: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [سورة النمل:٦٠] ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾ [سورة طه:١٨] كأنها اسم واحد للجميع.

(٤) وهو قول جلِّ أهل التفسير قاطبة (تفسير الطبري ١٨/ ٢٧٧).

وسمع تسبيح الملائكة، جعل يتعجب منها، فنودي من العرش: يا موسىٰ إني أنا ربك خالقك ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ وطءِ الأرض بقدميك تواضعًا لربك(١).

قيل: أمر بخلع النعلين لتصل بركة الوادي المقدس إلىٰ قدميه، عن الحسن وابن جريج(٢). وقيل: كان نعلاه من جلد حمار ميت، عن الكلبي(٣).

﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ أي: المطهر، واسمه طوىٰ، وقيل: طوىٰ اسم الوادي.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ اصطفيتُك للنبوة من بين خلقي ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ إليك، أي: اعمل بما تُؤمر وتُنهىٰ.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ توكيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ وحِّدني وأطِعْني ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ قيل: معناه بذكري وتسبيحي وتمجيدي، وقيل: أَقِم الصلاة لأذكرك(٤)، وقيل: إذا نسيت الصلاة ثم تذكرتها(٥) فأقِمها(٦).

---

(١) وهو في تفسير أبي الليث منسوبا لابن عباس، أي من رواية الكلبي كما صرح هنا (تفسير أبي الليث ٢/ ٣٩٠).

(٢) رواه الطبري عنهم في تفسيره ١٨/ ٢٧٩، ورجحه.

(٣) ونسبه أبو الليث لعامة المفسرين (٢/ ٣٩١)، وقد رواه الطبري في التفسير ١٨/ ٢٧٨، عن جماعة، فلا ينبغي الاقتصار علىٰ ذكر الكلبي. ولم يستصوبه الطبري لبعده عن الظاهر، وضعف إسناد الرواية الواردة في ذلك.

(٤) وهذا القول غريب، وإن كان معناه صحيحا، فإن من ذكر الله ذكره الله، إلا أن أهل التفسير لا يذكرونه في معنىٰ هذه الآية، وقد ذكر الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٩٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٥٤ عدة أقوال ليس هذا منها.

والقول المذكور بدل هذا القول في كتب التفسير: أقم الصلاة لتذكرني، والله أعلم.

(٥) في الأصل: تذكرها.

(٦) تفسير الطبري ١٨/ ٢٨٤، وشاهده الحديث المتفق عليه (رواه البخاري ٥٩٧، ومسلم ٦٨٤) عن أنس: عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ أي أكتمها.

قال ابن الأنباري[١]: أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها، وهو قول أُبي بن كعب وسعيد بن جبير ومجاهد[٢].

وهو لفظ[٣] قراءة أُبي بن كعب ذكره القتيبي[٤] في مشكله، تأويله: أريد أخفيها مِن قِبَلي، كقوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ أي: غيبي وقِبَلي، ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ في غَيبك وقِبَلك[٥].

وقرئ: «أكاد أَخفيها» بفتح الألف، أي أظهرها لكثرة ما ذكرت من صفتها[٦].

فيقول قائل: الساعة مخفية، فما معنىٰ قوله ﴿أُخۡفِيهَا﴾؟

فيقال: معناه أخفيتها علىٰ من مضىٰ فأخفيها علىٰ من بقي[٧]، وقيل: أكاد

كفارة لها إلا ذلك ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ قال موسىٰ -أحد رواة الحديث- : قال همام: سمعته يقول: بعد: «وأقم الصلاة للذكرىٰ»، لفظ البخاري.

(١) النقل عن ابن الأنباري في هذا الموضع في البسيط ١٤/ ٣٧٣، المحرر الوجيز ١٠/ ١٥، زاد المسير ٣/ ١٥٤، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨٣.

(٢) رواه عنهم ابن جرير الطبري في التفسير ١٨/ ٢٨٥، وهي رواية علي بن أبي طلحة والعوفي وسعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) في الأصل: اللفظ، وهو تصحيف.

(٤) تأويل مشكل القرآن ٢٤.

في الأصل: العيني، وهو تصحيف.

(٥) راجع تفسير سورة المائدة، آية١١٦.

(٦) رواه ابن جرير في التفسير ١٨/ ٢٨٦، عن سعيد بن جبير ، ورده، وبين أن المحفوظ عن سعيد مثل العامة .

(٧) وهذا علىٰ أن كاد علىٰ معناها الأصلي، وهو المقاربة، وهو الصحيح عند المفسرين، ولابن جرير كلام محرر في بيان صحة هذا الأسلوب العربي العالي في البلاغة فراجعه في تفسيره ١٨/ ٢٨٨.

مطروحٌ، والمعنى: أخفيها أصلاً ولا أظهرها أبدًا، كقوله ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ معناه لم يرها[(١)].

﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ يعمل في الدنيا.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا﴾ أي: لا يصرفك عن الإيمان بالساعة ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا﴾ أي: بقيامها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾ أي: تهلك إنْ فعلت ذلك في النار.

﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ قيل: هذا سؤال إيناس وإذهاب وحشة؛ لأن الله عز وجل عالِم بها[(٢)].

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا﴾ أي: أعتمد عليها إذا أعييت ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ أي: أضرب بها أغصان الشجر لتتناثر ورقها فترعاها غنمي ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ أي: حوائج أخرى، وذلك أنه كان يأخذ الغنم بالمحجن الذي كان على رأسها، وإذا قصر رشاؤه تعلق رشاؤه في ذلك المحجن، وكان في أسفلها عكازة يضرب بها السباع، وتارة يلقى عليها كساءه فيستظل بها[(٣)].

﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠﴾ تمشي وترفع رأسها، وتأخذ الحجارة والشجر فتقذفه في جوفها، ففزع موسى منها، فقال الله تعالى: ﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١﴾ ومعناه: سنحوِّلها عصى كما كانت، والسيرة: الهيئة[(٤)].

---

(١) هذا أحد مسالكهم في تأويل هذه الآية، وهو طرح كاد، ومسلك آخر لهم في حمل كاد على معنى أريد (البسيط ١٤/ ٣٧٤) وكلا القولين ينتهكان قانون التفسير بالمأثور، فإن أهل التأويل لم يخرجوا عن أن كاد هنا للمقاربة، فهو إجماع.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٣٩٢.

(٣) البسيط ١٤/ ٣٨١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٥.

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ﴾ اليمنىٰ ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ الأيسر، والجناح: الإبط ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ من غير برَص، لها شعاع كشعاع الشمس يضيء بها الوادي ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ۝٢٣﴾ أي: العظمىٰ، وآياته كلها كبيرة.

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤﴾ يعني: اذهب إليه برسالتي، إنَّه كفر وتكبر وعلا بادعاء الربوبية.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥﴾ وسع لي قلبي كيلا أخاف فرعون، وكان في قلبه منه هيبة من حال صغره، وقيل: كي اجترئ علىٰ عدوك[١].

﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦﴾ أي: سهل عليَّ هذا الأمر الذي بعثتني إليك.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧﴾ وكان في لسانه رُتَّة[٢]، لمَّا وضع النار علىٰ لسانه في صغره، حين أخذ لحية فرعون، وهو مشهور[٣].

﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨﴾ أي: يفهموا ما أقول لهم ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١﴾ أي: قوِّ به ظهري ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢﴾ أي: في النبوة، وقرئ: «أَشدد» بنصب الألف[٤]، خبرًا من نفسه[٥].

﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤﴾ أي: نصلي لك آناء الليل والنهار ونذكرك باللسان ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ۝٣٥﴾ أي: كنتَ في الأزل عالِمًا بضعفنا وقوة عدوك.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٢٩٩.

(٢) الرُّتة عجلة في الكلام وقلة أناة، وقيل: من عيوب اللسان (تاج العروس ٤/ ٥٢٤).

(٣) الخبر في تفسير الطبري ١٨/ ٢٩٩، وتفسير أبي الليث ٢/ ٣٩٣، تفسير السمعاني ٣/ ٣٢٨.

(٤) أي بهمزة قطع، وهي قراءة ابن عامر (النشر ٢/ ٣٢٠).

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٦.

فأجاب الله تعالىٰ دعوته وأعطاه ما طلب: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦﴾ أي: ما سألت لنفسك ولأخيك ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝٣٧﴾ أي: أكرمناك بكرامة لم تسألها منَّا.

ثم بيَّن ذلك فقال: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨﴾ أي: ألهمناها إلهامًا، وقوله: يوحىٰ لترتيب رأس الآية ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ في نيل مصر ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أخرج الكلام مخرج الأمر، ومعناه الجزاء، كقوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ ومعناه: ليُلقِه اليم علىٰ شاطئ البحر[1].

فذهبت أمه إلىٰ الرجل المؤمن من آل فرعون، وهو خربيل[2] النجار فنجر لها تابوتًا، وألقته في التابوت في الماء.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ أي: لموسىٰ وهو فرعون ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ في قلوب عبادي، فلم يرك أحد في صباك إلا أحبَّكَ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ أي: لتربَّىٰ بمنظر مني، فانطلق الماء به إلىٰ فرضة[3] آل فرعون، وكانت الجواري يستقين، فأُخبرت آسية بإتيان تابوت في الماء، فأتت وأمرت بأخذها، فرأت الصبي وحُسنه وأوقع الله في قلبها حبه، فقالت لفرعون: لا تقتله حتىٰ نربيه، فيكون لنا ولدًا، فلا يدري أحد إلا أنَّا ولدناه، فتركه فرعون.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٩، إعراب القران للنحاس ٣/ ٢٧.

(٢) وهو قول مقاتل، كما في تفسيره (٢/ ٣٢٩)، ونصه: المؤمن الذي صنع التابوت اسمه خربيل بن صابوث، وليس فيه أنه مؤمن آل فرعون، وعن مقاتل: نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩٥ وتصحف عنده.

(٣) في الأصل: فرصة، وهو تصحيف، والفرضة في النهر الثلمة تكون فيه، يستقىٰ منها، والثلمة من البحر محط السفن (الكشف والبيان ١١/ ٥، تاج العروس ١٨/ ٤٨٤).

طلبوا له ظئرا فلم يقبل ثدي أحد حتىٰ دخلت عليهم، فذلك قوله: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ أي: امرأة ترضعه وقد قتل ولدها، وإنها تحب أن ترضع ولدًا، قالوا: نعم، فانطلقت وأتت بأم موسىٰ، فأعطته الثدي فقبلها، وهو قوله: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بطيب نفسها برجوعك إليها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ لفراقك ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ من القبط وغمك قتله مخافة القصاص ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ أي: خلَّصناك من كل بليَّة إخلاصًا، وقيل: ابتليناك بلاء بعد بلاء[1].

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهو عشر سنين عند أحبابك ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أي: وافق مجيئك في هذه الليلة تكليمي إياك في علمي، وقيل: جئت علىٰ موعد وقضاء قضيته في الأزل.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ اخترتُكَ لرسالتي واتخذْتُكَ وليًّا من بين عبادي ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي﴾ باليد والعصا ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾ أي: لا تضعفا ولا تفترا عن ذكري[2].

---

(١) ومن المشهور عند المحدثين حديث الفتون، وهو حديث طويل يرويه القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، رواه النسائي في كتاب التفسير من السنن الكبرىٰ (١١٢٦٣)، وفيه فوائد، لكن القاسم قد تفرد به عن سعيد، وهو موقوف علىٰ ابن عباس، قال ابن كثير -بعد أن ساقه في صفحات-: هكذا رواه الإمام النسائي في السنن الكبرىٰ، وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما، كلهم من حديث يزيد بن هارون به، وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس، رضي الله عنه مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره، والله أعلم، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضا (تفسير ابن كثير ٥/ ٢٩٣).

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٣١٣.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ أي: عصىٰ الله تعالىٰ وعلا وتكبّر ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي: مراه بوحدانية الله تعالىٰ، وهو قوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

وقال أبو سهل: كنياه وقولا أيها الملك أبو الوليد[١].

﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ لعلَّ حرف ترجِّي وطمع، اذهبا علىٰ رجائكما وطمعكما، وعلم الله من وراء ذلك[٢].

وقال أبو معاذ النحوي: لعلَّ هاهنا علىٰ الوجوب، ووالله ما خرج من الدنيا حتىٰ تذكر وخشي حين لم تنفعه التذكرة والخشية[٣].

قال يحيىٰ بن معاذ: هذا لطفك بمن يقول أنا إلٰه فكيف لطفك بمن يقول أنت إلٰه[٤].

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أي: يعجل علينا بالعذاب أو القتل قبل أداء الرسالة[٥] ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ يتكبر ولا يستمع كلامنا.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾ واحدًا من الأمرين ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ بالعون ودفع بأس العدو ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ أسمع ما يقول لكما، وأرىٰ ما يصنع بكما.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ فإن أجبتَ إلىٰ ما ندعوك إليه وإلاَّ ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لنذهب بهم إلىٰ أرض المقدسة ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: لا

---

(١) وهو مروي عن بعض السلف، انظر: تفسير الطبري ١٨/ ٣١٣، البسيط ١٤/ ٤٠٨، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠٠.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٧، البسيط ١٤/ ٤١٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠١ دون نسبة.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠١.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠١.

تستعملهم استعمال العبيد ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ فصدقنا، والآية العصا واليد، فإن لم تصدقنا فيما نقول لك ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ أي: السلامة لمن أطاع الله ورغب في الإسلام، يعني: من أطاع الله فقد سلم من العذاب[1].

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أي: كذب الرسل وأعرض عن الإيمان بالله ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ خاطب الواحد بلفظ الاثنين، لأنَّ العرب تستغني بالواحد عن ذكر الاثنين، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ يعني: الحر والبرد، ولأنَّ الواحد يخاطب خطاب الاثنين كقوله لمالك: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ وقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾[2].

﴿قَالَ﴾ له موسىٰ ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ يعني: أعطىٰ كل شيء شكله لأنه جعل زوج كل واحد من جنسه ﴿ثُمَّ [هَدَىٰ] ﴿٥٠﴾﴾ هداه إلىٰ إتيانه ليتم النفع، وينتشر النسل.

وقيل: أعطىٰ كل شيء صورته ثم هداه إلىٰ معيشته[3].

فأجابه فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ الذين ماتوا قبلنا وسلكوا طريقنا، فرد موسىٰ علم ذلك إلىٰ الله تعالىٰ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ﴾ وإنه مع ذلك مكتوب في الكتاب كقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ [وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ]﴾[4].

---

(١) ولا يراد به التحية، لأن الكافر لا يبتدأ بالتحية (معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٨).

(٢) البسيط ١٤/ ٤١٣.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٠١.

(٤) أخطأ في كتابة الآية.

ثم قال: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ يعني: يعلمه الله، وهو مكتوب أيضًا.

﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ قيل: لا يخفى على ربي موضع الكتاب.

وقال السدي: لا يغفل ربي عن شيء ولا ينساه(١).

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ أي: فراشًا ومنامًا ﴿وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ أي: بيَّن لكم فيها طرقًا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ هاهنا وقف(٢)، ثم استأنف الكلام بالإخبار عن نفسه: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ٥٣﴾ أي: أصنافًا من النبات الأصفر والأبيض والأحمر والأخضر ﴿كُلُواْ﴾ من نبات الأرض من لبابها وحبوبها ﴿وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ﴾ من كلإ الأرض وقشورها، لفظ أمر معناه الخبر، أي: تأكلون وتزرعون(٣) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ وعبرات ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ٥٤﴾ ذوي العقول من أهل التوحيد(٤).

﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ لأنَّ آدم خلق من أديم الأرض ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ بعد الموت ﴿وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ﴾ أي: فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني الآيات التسع في مدة مديدة ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ٥٦﴾ أن يصدق بها.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا﴾ أرض مصر ﴿بِسِحۡرِكَ﴾ وخداعك ﴿يَٰمُوسَىٰ ٥٧ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ أي: مثل ما جئتنا به ﴿فَٱجۡعَلۡ

---

(١) نقله أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٠٢، بلفظ: لا يغفل لا يترك، وهو قول عامة المفسرين، تفسير الطبري ١٨/ ٣١٩.

(٢) لأن هاهنا تم الإخبار والحكاية عن موسى (البسيط ١٤/ ٤٢٠).

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٠٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٩.

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ بيِّن لنا وقتًا ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨﴾ مكان عدل وإنصاف، لا نجاوزه[١] مكانًا سوىٰ المكان الموعود[٢].

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ قيل: هو يوم عيد لهم في كل سنة مرة. الضحاك: يوم السبت[٣]. ابن عباس: يوم عاشوراء[٤].

﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩﴾ للموعد.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ عن الحق، وقيل: رجع إلىٰ أهله ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾ للموعد، وكيده: سحرته، فلما حضروا ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ أي: للسحرة ﴿وَيْلَكُمْ﴾ نصب علىٰ الدعاء، أي: ألزمكم الله الويل ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بدأهم بالموعظة ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ أي: يهلككم[٥] ﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١﴾ أي: خسر وهلك من اختلَق علىٰ الله.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: تشاوروا السحرة فيما بينهم ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ۝٦٢﴾ وقالوا فيما بينهم: إن غلبنا موسىٰ آمنَّا به، عن ابن عباس[٦].

وقال الضحاك: نجواهم فيما كانوا فيه من السحر.

وقيل: لما تشاوروا فيما بينهم فطن لذلك فرعون فصاح بهم: ماذا تقولون ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ يعني موسىٰ وهارون.

---

(١) في الأصل: لا نجاوز.

(٢) مثله في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٠٣.

(٣) انظر أقوالهم في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٠٣، الكشف والبيان ١٧/ ٥٥٢.

(٤) وهو جزء من حديث الفتون، الذي مر ذكره.

(٥) من سحت وأسحت، أي أهلك يقال: سحت الدهر وأسحت مال فلان (تفسير الطبري ١٨/ ٣٢٥).

(٦) من رواية الكلبي، وهو قول قتادة، انظرك تفسير الطبري ١٨/ ٣٢٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٠٣، البسيط ١٤/ ٤٣٧

و«هذان»[١]: حقها من الإعراب النصب بكلمة «إنَّ»، لكن هذا علىٰ لغة بني الحارث بن كعب والخثعم[٢]، وقال الشاعر:

أي قلوص راكب تراها طاروا علاهنَّ فطر علاها[٣]

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها[٤]

ويقال: أنَّ «إنَّ» بمعنىٰ نعم، وقال الشاعر:

ويقلن شيبٌ قد علا ك وقد كبرت فقلت إنَّه[٥]

أي: نعم، ودخل الهاء للسكوت والتنفس.

فمعنىٰ الكلام: نعم، هذان ساحران، وهو قول الزجاج[٦].

ويروىٰ أن أعرابيًا سأل عبد الله بن الزبير فلم يعطه، فقال: لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال ابن الزبير: إنَّ وصاحبها، أي: نعم[٧].

---

(١) كتب الآية في الأصل: إنَّ هذان، وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير وحفص: إنْ -بالتخفيف- هذان، وقرأ أبو عمرو: إنَّ هذين (النشر ٢/ ٣٢١) ولا إشكال علىٰ قراءة أبي عمرو من حيث المشهور من الإعراب.

(٢) وزادوا كذلك: كنانة واليمن، معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٤، تفسير الطبري ١٨/ ٣٢٨، ٣٣١، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٤، الثعلبي في الكشف والبيان ١٨/ ١٧، البسيط ١٤/ ٤٣٨.

(٣) تصحف البيت في الأصل، وأقمته من المصادر. والبيت لأبي النجم العجلي، انظر: الكشف والبيان ١٨/ ١٩، البسيط ١٤/ ٤٤٠، ومحل الشاهد فيه: أنه أراد عليهن، وعليها.

(٤) الكشف والبيان ١٨/ ١٩،

(٥) البيت لعبد الله بن قيس الرقيات، وهو في ديوانه ص٦٦، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٣، الكشف والبيان ١٨/ ٢٠، البسيط ١٤/ ٤٤١.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٣.

(٧) الكشف والبيان ١٨/ ٢٠.

وقرئ: «إنَّ هذين لساحران»(١).

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ وخداعهما ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ۝٦٣﴾ العدل، والطريقة: يراد بها الدين، وقد يراد بها الرجال أيضًا، يقال: هؤلاء طريقة قومهم، ونظيرة قومهم، ونظورة قومهم، أي: أشرافهم(٢).

وقال بعضهم: إنَّما اختاروا «هذان» بالألف لأنَّ كلمة هذا اسم ضعيف، لأنه قائم علىٰ حرفين: الذال والألف الذي هو حرف العلة، وأما الهاء فحرف نداء وليس من الاسم في شيء، فلا يمكن في حال التثنية إسقاط الألف الأصلية، فأسقطوا ألف التثنية وجعلوا النون عوضًا عنه، إذ لا يمكن الجمع بين الألفين الهوائيين، فكأن(٣) النون هاهنا علمًا للتثنية في هذا الاسم خاصة، ولا يقاس عليه غيره، ولهذا لا تسقط في حال الإضافة، قال الله تعالىٰ: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ أثبت النون مع الإضافة، ولو لم تكن النون علمًا للتثنية لحذفها، كقوله تعالىٰ: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وقال: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ ولو حذفوها لوقع الاشتباه بين التثنية والواحد، ولا يثنَّىٰ بالياء في النصب والجر، لأنَّ الياء تعاقب الألف في التثنية ولا تعاقب النون، وهذا الألف ليس يعلم للرفع حتىٰ يسقط، فإذا لم يكن الألف علمًا للرفع لم تكن الياء علمًا للنصب والجر، فتركوا التثنية في جميع الوجوه بالألف كما تركوا علىٰ حالها كلمة «الذين» بالياء في جميع الوجوه، والله أعلم(٤).

---

(١) وهي قراءة أبي عمرو كما سبق ذكره.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٠٤.

(٣) في الأصل: فكان، ولذا ضبطتها: فكأن، وقد يكون الصواب: فكانت، ولكنه أسقط التاء.

(٤) أشار إليه الفراء في معاني القرآن ٢/ ١٨٤، وقد بسط العاصمي القول علىٰ هذه الآية في مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني، وهو مطبوع بتحقيقي، والحمد لله.

﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾ يقول: اعزموا علىٰ كيدكم مجمعين ولا تختلفوا ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ أي: الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم صافِّين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ أي: غلب صاحبه.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ يعني السحرة قالوا لموسىٰ ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ أنت تلقي أم نحن أولاً؟

﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿بَلْ أَلْقُواْ﴾ أنتم حتىٰ أنظر إلىٰ ماذا يصير سحركم، فألقوها ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ﴾ أي: يُخيَّل إلىٰ موسىٰ ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ حين رأىٰ الجبال والعصي تسعىٰ، ولم تسع في الحقيقة.

﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ أي: وجد خوفًا في نفسه حين رأىٰ الحبال والعِصي تسعىٰ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ أي: أنت الغالب لهم، قال: إنما خاف موسىٰ لأن الحبال والعصي يُخيَّل إليه أنها تسعىٰ ولها نفخ كنفخ الأفاعي ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ أي: عصاك ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ أي: تلتقم ما صنعوا وتبتلع كل العصي والحبال لقمة، فألقاها والتقمت جميع ذلك بلقمة في طرفة عين، ورفعت رأسها فوق رؤوس الناس مائلة رأسها، فازدحم الناس فرقًا منها، فقتل يومئذ خمس وعشرون ألف رجل، وقيل: ماتوا فرقًا[1].

﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ أي: عمل ساحر[2] ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ أي: لا ينجو ولا يظفر ولا يسعد.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ إذ رأوا كرامة الله لموسىٰ وبطلان سحرهم سجدوا لله،

---

(١) سبق في تفسير سورة الأعراف.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٣٣٧.

وكانوا خمسة عشر ألفًا، ومن سرعة سجودهم سمى[١] فعلهم: إلقاءً، كأنهم دفعوا في أقفيتهم.

وقيل: كانوا سبعين ألفًا، فأخذ موسىٰ عصاه فصارت إلىٰ حالها عصا.

و﴿قَالُوٓاْ﴾ السحرة ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠ قَالَ﴾ لهم فرعون ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ بالإيمان ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ أي: رئيسكم ومعلِّمكم ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ كما يُفعل بقطَّاع الطريق ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي: علىٰ جذوعها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ علىٰ وجه التهديد ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١﴾ أي: أدوم عذابًا أنا أم رب موسىٰ.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: لم نختر طاعتك علىٰ طاعة الله بعدما رأينا الحجة ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ أقسموا بربهم عز وجل ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ اصنع ما أنت صانع ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝٧٢﴾ انتصب الحياة بسقوط حرف الصفة، وهي: في[٢].

يعنون: الدنيا فانية منقضية، أي: لا سلطان لك علينا بعد القتل والموت، وعذاب الآخرة باقية ونعيمها دائمة.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ إنه واحد لا شريك له ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا﴾ ربنا ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ أي: شركنا ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ أي: يغفر ما أكرهتنا عليه ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ لنا منك ﴿وَأَبْقَىٰٓ ۝٧٣﴾ عذابًا ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ أي: مشركًا ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤﴾ أي: لا يموت فيستريح ولا يحيىٰ حياة يستلذ بها ﴿وَمَن

---

(١) في الأصل: سميت.

(٢) المعربون علىٰ أن الحياة الدنيا مفعول به علىٰ الاتساع (التبيان ٢/ ٨٩٧، الدر المصون ٨/ ٧٩).

يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مع إيمانهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ المراتب في الجنان الرفيعة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ دار مقامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من غير أخدود ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ أي: هذا ثواب من آمن وصدَّق بالرسل، كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ اذهب بهم ليلاً وأدلج من أرض مصر ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ﴾ أي: بيِّن لهم ﴿طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي: ذا يبس نعته بالمصدر(١) ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ الغرق.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ أي: أتباعه ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ أصابهم من اليم ما أصابهم، وقيل: علاهم ما علاهم ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ أي: دعاهم إلىٰ الضلال وقد وعدهم الإرشاد، حيث قال: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ وما هداهم، وقيل: عرضهم علىٰ الغرق وما هداهم سبيل النجاة(٢).

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون وقومه ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ يعني به السبعين الذين اختارهم موسىٰ للطور لإعطاء التوراة، والأيمن: يمين موسىٰ عن مقاتل، ويمين الجبل عن الكلبي(٣).

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾ في التيه وتقدم تفسيرهما.

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي: قلنا لكم كلوا ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ﴾ أي: لا تعصوا بأن ترفعوا للغد ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أي: ينزل عليكم سخطي ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ أي: من وجب عليه عذابي ﴿فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ أي: هلك.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٩، التبيان ٢/ ٨٩٨.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٠٧.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٠٧، البسيط ١٤/ ٤٨٠.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ من الصلوات والصيام ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ أي: عرف أن لها ثوابًا، وقيل: اهتدىٰ استقام علىٰ السُنَّة[١].

فلما سار موسىٰ بالسبعين إلىٰ الجبل عجَّل شوقًا إلىٰ ربه، وخلف السبعين، وأمرهم أن يتبعوه، خاطبه ربه فقال: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ أي: ما حملك علىٰ قدومك قبلهم ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ يأتون بعدي ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ أي: سبقت إليك لشدة اشتياقي إلىٰ تُحفك وكراماتك لترضىٰ ما نويته وقصدت إليه، وقيل: سبقت إليك لتزداد عني رِضَىٰ[٢].

﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ فيه قولان:

الأول: أهلكنا قومك بعبادة العجل وألزمناهم الآثام.

والثاني: أهلكناهم مجازاة لقولهم ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، والمعنىٰ: ابتليناهم بعد انطلاقك إلىٰ الجبل[٣].

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ أغواهم لأنه كان سببًا لضلالتهم.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ أي: حزينًا جزعًا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي: صدقًا وهو: أربعون يومًا لإعطاء التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أفجاوز الأجل فصنعتم ما صنعتم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ

---

(١) أي لزم الطريق، وقيل: لم يشك، تفسير الطبري ١٨/ ٣٤٧، وهاهنا نقل القرطبي عن الكلبي تفسيره السردي، وقل ما فعل ذلك فقال: عن الكلبي: وإني لغفار لمن تاب: من الذنب، وآمن: من الشرك، وعمل صالحًا: أدىٰ ما افترضت عليه، ثم اهتدىٰ: عرف مثيبه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٠٨، زاد المسير ٣/ ١٧١.

(٣) زاد المسير ٣/ ١٧١.

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: يجب عليكم عذاب ربكم فصنعتم ذلك ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ الذي قلتُ لكم: لا تحدثوا بعدي حدثًا حتىٰ أرجع إليكم.

﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ وعدك إنْ قرئ بالضم[١]؛ والملك: بالكسر ما حوته اليد[٢] ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: أحمالاً من حلي القوم يعني آل فرعون ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ طرحناها في النار، وكان ذلك الحلي أخذوا من آل فرعون حين طرحهم الماء إلىٰ الساحل، وقيل: سماها أوزارًا لأن الغنيمة حرام عليهم وهو جمع وزر[٣] ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ القبضة التي أخذها من أثر الرسول كما ألقينا، فإذا خلص الذهب صورة السامري وألقىٰ عليه القبضة في أنف العجل -وقيل في فِيه ودبره- حيي وخار، فذلك قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾[٤].

وقال مجاهد: كان العجل مشبكًا وكان الخوار حفيف الريح[٥].

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ من النار ﴿عِجْلًا﴾ صغيرًا ﴿جَسَدًا﴾ أي: مجسدًا ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم: بفتح الميم من: بملكنا، كما أثبت، وقرأ حمزة والكسائي بضمها: بمُلكنا، وقرأ الباقون بكسرها: بمِلكنا (النشر ٢/ ٣٢٢).

(٢) بالكسر: أي ما تعمدنا ذلك، والضم: أي ما فعلناه بسلطان ولا قدرة، وبالكسر: ما حوته اليد (تفسير الطبري ١٨/ ٣٥١، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧١، تفسير أبي الليث ٢/٤٠٨، البسيط ١٤/ ٤٩١، الكشاف ٣/ ٨٢).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٢.

(٤) تفسير الطبري ١٨/ ٣٥٥، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٢.

(٥) لم أجد أول قول مجاهد، في وصفه العل أنه مشبك، إنما نقلوا عنه وصف الخوار (معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٢، البسيط ١٤/ ٤٩٩)، وقوله مشبك: أي فيه خروق، كما في الرواية التي نقلها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣٥.

وقيل: إن العجل لما ألقىٰ عليه من أثر فرس جبريل صار عجلا من لحم ودم، والله أعلم.

وليس فيه روح ﴿فَقَالُواْ﴾ السامري[(١)] ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ فعبدوه.

وكان من غاية جهلهم عبدوه؛ لأنه ليس في خوار العجل المجعول من ذهب ما يوجب العبادة، لأن العجاجيل التي تخور أكثر من أن تُحْصَىٰ.

قوله ﴿فَنَسِيَ ۝٨٨﴾ قيل: هذا قول السامري[(٢)]، أي: هو إلٰه موسىٰ فنسي أي: أخطأ الطريق، فوقع موسىٰ في طريق[(٣)] وإلٰهه في طريق آخر[(٤)].

وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: معنىٰ قوله فنسي أي فكفر السامري، وهذا قول الله، وقال: نسيان السامري كُفر، ونسيان آدم ترك، ونسيان يوشع أمر الحوت نسيان[(٥)].

وقيل: نسي ما كان عليه من الإيمان فنافق[(٦)].

﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ قرئ: يرجعُ بالضم ومعناه[(٧)]: أنه لا يرجع[(٨)]، وقرئ بالنصب بكلمة[(٩)] أنْ، ومعناه: لا يرد عليهم كلامًا[(١٠)].

---

(١) في الأصل: فقال السامري، كتبها بالحمرة علىٰ أنها قرآن.
(٢) وهو قول الجمهور، تفسير مقاتل ٢/ ٣٣٨، تفسير الطبري ١٨/ ٣٥٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٠٩، وقيل: إن هذا من خبر الله عن السامري، رواه ابن جرير في تفسيره ١٨/ ٣٥٦، عن ابن عباس بسند ضعيف.
(٣) في الأصل: الطريق.
(٤) الكشف والبيان ١٨/ ٤٦.
(٥) لم أجده بهذه الصياغة.
(٦) أي السامري.
(٧) كررها في الأصل مرتين.
(٨) وتكون أن في قوله: «أن لا» المخففة من الثقيلة (الكشاف ٣/ ٨٣).
(٩) في الأصل: لكلمة.
(١٠) القراءة بالرفع، وأما قراءة النصب فشاذة، ذكرها في الكشاف ٣/ ٨٣، التبيان ٢/ ٩٠١، الدر المصون ٨/ ٩١، نسبها السمين لأبان وأبي حيوة والشافعي.

[﴿وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ۝٨٩﴾].

﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ﴾ قدوم موسىٰ ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾ أي: ابتُليتم بخوار العجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الذي رحمكم ونجاكم من سحرة فرعون ومن الغرق ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ اسلكوا طريقي ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝٩٠﴾ واتركوا عبادة العجل ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ أي: لا نزال نعبده مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ فإن تركنا عليه عبدناه، وإن نهانا انتهينا، فلما رجع موسىٰ ورآهم علىٰ عبادة العجل غضب وألقىٰ الألواح، وانكسرت، وصعدت عامة الكلام التي فيها إلىٰ السماء، ثم أعيدت في لوحين من زبرجدة، وقيل: من ياقوتة حمراء عشرة أذرع علىٰ طول قامة موسىٰ.

و﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢﴾ بعبادة العجل ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾ أي: ما دعاك إلىٰ أن لا تتبعني ﴿أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝٩٣﴾ تركت وصيتي، لأنه أوصاه: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ الآية، فأخذ موسىٰ ضلالة الدين وتحير في محبة الله وبغض عبادة غيره، حتىٰ صار كالسكران(١)، وأخذ بلحية هارون ورأسه يجره إليه ليلقيه علىٰ الأرض فيخبطه(٢).

فـ ﴿قَالَ﴾ له هارون ﴿يَبۡنَؤُمَّ﴾ إنما رفقه بهذه الكلمة ليتخلص عن بطشه، عن ابن عباس.

---

(١) ما كان يجوز له أن يشبه حال كليم الله بما شبهه به، وإن كان المقصود منها المبالغة، فمقام أنبياء الله أعظم من أن يشبه بمقام سوء، وأي بيان يريد عن حاله بعد بيان الله له، حين وصفه: غضبان أسفا!.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٤١٠.

وقوله: «يا ابن أم» بالكسر على الإضافة، وبالنصب[١] على أنهما اسمان صيرا اسمًا واحدًا[٢].

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ أن تركت مناجزتهم ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أن يتفرقوا أحزابًا فيقتل بعضهم بعضًا فـ ﴿[أَن] تَقُولَ﴾ أنت ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعد اجتماعهم ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۝٩٤﴾ لم تحفظ وصيتي.

وقيل: لم تقبل وصيتي[٣].

فترك موسىٰ هارون وأقبل علىٰ السامري و﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥﴾ أي: شيء حملك علىٰ ما صنعت ﴿قَالَ﴾ السامري ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ يعني: أثر جبريل من البصر، وقيل: علمت بما لم تعلموا به من البصارة، يقال: بصر الرجل إذا علم[٤] ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ أي: كفًا من التراب ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: أثر حافر فرس جبريل. القبضة: ملء الكف والقبصة -بالصاد-[٥]: ما يؤخذ من أطراف الأصابع ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ في العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۝٩٦﴾ أي: زيَّنت وألقىٰ في فكري حين سمعت قومك إذ عبروا البحر وأتوا علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم: اجعل لنا إلـٰهًا كما لهم آلهة، فلا تلمني ولُمهم.

﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ما عشت ﴿أَن تَقُولَ لَا

---

(١) فقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر شعبة بكسر الميم، وقرأ الباقون بفتحهما فيهما (النشر ٢/ ٢٧٢).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٣.

(٣) زاد المسير ٣/ ١٧٣.

(٤) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٤.

(٥) معني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٤، الكشاف ٣/ ٨٤. وبالصاد قراءة شاذة نسبت لبعض السلف، تفسير أبي الليث ٢/ ٤١٠. وفي الأصل كتبها بالضاد، وهو تصحيف.

﴿مِسَاسَ﴾ وحرم مخالطة السامري عقوبة له، لأنه في الخبر: أنه كان يدور ويهيم في البرية مع الوحش ويصيح ويقول: لا مساس.

وقيل: إن موسىٰ قصد قتله فزجره جبريل عن ذلك، لأنه كان رجلاً سخيًا مضيافًا مُنْفِقًا علىٰ الناس[١]، وخاف موسىٰ أن لو تركه يضل بني إسرائيل مرة أخرىٰ، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: إني أبتليه بوساوس لا يخالط الناس ولا يخالطونه، فابتلي بالوسواس، وأصل الوسواس قيل من ذلك الوقت[٢].

وقيل: بقيت منهم بقية يشبهون اليهود ويسبتون السبت ويقرؤون التوراة، يبغضهم اليهود وهم يبغضون اليهود، ويقولون: لا مساس، وراثة عن السامري، وموطنهم الأردن وفلسطين.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ وهو النار في الآخرة، لا يخلف الله وعده ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ معبودك ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ وأصله: ظللت، ولكن حذف اللام لثقل التضعيف والكسر، لأن الكسر أصل الحركات، وبقيت الظاء علىٰ فتحها[٣]، ومعناه: أقمت علىٰ عبادته ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار مرة بعد مرة.

وقرئ: «لَنَحرُقنه»[٤] بنصب النون ورفع الراء: لنبردنَّه بالمِبرد[٥].

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ لنذرينه في البحر ذروًا، جاء في الخبر أن موسىٰ حرق العجل ونسفه في البحر، وأمرهم أن يشربوا من ماء البحر، فمن عبد العجل اسودَّتْ شفتُه ومن لم يعبد لم يضره.

---

(١) وهذا من الإسرائيليات، انظر: الكشف والبيان ١٨/ ٥٢، البسيط ١٤/ ٥٠٩.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٤١٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٥.

(٤) وهي قراءة أبي جعفر وابن محيصن والعقيلي (الكشف والبيان ١٨/ ٥٤، النشر ٢/ ٣٢٢).

(٥) الكشف والبيان ١٨/ ٥٤، البسيط ١٤/ ٥١٤..

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ أي: يعلم كل شيء وأحاط علمه به، وهذه لفظة عجيبة في الفصاحة، وقد انتهت قصة بني إسرائيل.

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ﴾ من الأمم السالفة كما قصصنا هذا عليك يا محمد ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ أي: علمًا، وقيل: شرفًا(١).

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ أي: كفر بالقرآن ولم يشكره ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ أي: يستوجب إثمًا ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ﴾ أي: في الوزر وعذابه ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ علىٰ أعناقهم.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ﴾ نفخ القيام والبعث ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ مزرقة العيون، سود الوجوه، وقيل: زرقًا أي: عطاشًا، لأنَّ سواد أعينهم يتغير من شدة العطش، وقيل: عميًا(٢).

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يتسارون بينهم كلامًا خفيًا في الموقف ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ والكل كذبوا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ وإنما سأله وفد ثقيف: كيف تكون الجبال يوم القيامة(٣)؟.

﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ أي: يصير الجبال كالهباء المنثور، يذريها

---

(١) وهو القرآن الكريم كما في تفسير الطبري ١٨/ ٣٦٨.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٣٦٩.

(٣) وهو قول مقاتل، كما في تفسيره ٢/ ٣٤١، ونقله أبو الليث في التفسير ٢/ ٤١٢، وهو ضعيف، فالسورة مكية.

الرب تذرية، وقيل: يقلعها قلعًا من أماكنها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ يعني الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ مستويًا ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ لا خفضًا ولا رفعًا، والنسف: القلع، يقال: نسف البعير النبت إذا قلعه بأصله(١).

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ أي: يجيبون إسرافيل حين ينفخ في الصور من صخرة بيت المقدس ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا يقدرون أن يتعوجوا عن سمت الداعي، ولا يميلون يمينًا ولا شمالاً ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: ذلت وسكنت لهيبته الأصوات ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ يعني: كلامًا خفيًا، وقيل: نفس الأفواه ووطء الأقدام(٢).

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ﴾ أي: أمر ﴿لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بالشفاعة لمن شاء من الآدميين والأنبياء والملائكة والصالحين ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ أي: لا يشفعون إلا لمن رضي الله قوله، وهو قول: لا إله إلا الله مخلصًا.

ثم ذكر ضعف الملائكة حين قال الكفار: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قبل خلقهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يكون وما كان بعد خلقهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ أي: الملائكة لا يحيطون بشيء من علم الله فيما مضىٰ، وما بقي، ومتىٰ قيام الساعة.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ أي: خضعت واستسلمت خضوع الأسير في يد المالك القاهر، ويقال للأسير: عانٍ، وقيل: هو وضع الجبهة والأنف علىٰ الأرض في السجود(٣).

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤١٢، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٧، الكشف والبيان ١٨/ ٥٩،
(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٤١٢.
(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٣٧٦، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤١٣.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ أي: خسر من حملا شركًا، وقيل: خسر من حمل ذنب غيره بما ظلمه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني الصالحات، و«مِنْ» زيادة وصِلَة[1] ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالتوحيد ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا [وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾]﴾ في الآخرة، والظلم: هو الزيادة في السيئات على ما عمله، والهضم: النقصان من الحسنات[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾ أي بيَّنا ﴿مِنَ﴾ الأخبار و ﴿ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ الوعيد ﴿ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ يذكرون العذاب فينزجرون عن المعاصي.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تعظم الله عن الشريك والولد من أن يظلم أحدًا ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: لا تسأل إنزاله من قبل أن يأتيك وحيه، وقيل: كان جبريل إذا فرغ من الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ رأس الآية قبل أن ينتهي جبريل [إلى] آخرها مخافة النسيان، فنهاه الله عز وجل عن ذلك[3].

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ أي: فهمًا وحفظًا للقرآن.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾ وفي الجنة بأن لا يأكل الشجرة ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: ترك عهدنا، فلا تكن أنت يا محمد مثله ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ والعزم:

---

(١) «من» هذه من رحمة الله على عباده، فإن من فائدة ذكرها أن الصالحات أنواع كثيرة، وأجناس متعددة، وقد لا يستطيع المرء أن يأتي بها كلها، فأفادت من أن من اقتصر على بعضها يدخل الجنة، وهذه هي الحكمة من تعدد شعب الإيمان، فمن لم يستطع على شعبة الصدقة أخذ بشعبة الجهاد، ومن لم يستطع على هذه أخذ بغيرها، وهكذا حتى يدخل الجنة.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٧.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤١٣، وهو قول الكلبي، كما في البسيط ١٤/ ٥٤٠.

الإرادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل[١]، أي: لم نجد له على ذلك صريمة وجزمًا، ولكن لم يكن له بد من الأكل لأنه مخلوق للأرض.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ عن السجود ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: لا يحملنكما على عمل تستوجبان الإخراج من الجنة ﴿فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ أي: تتعب بعمل كَفَّيْك، ولا تأكل إلا كداً بعد نِعَم الجنة[٢].

قال ابن عباس: لما أخرج آدم من الجنة أوحى الله إلى الأرض: حرام عليكِ أن تطعمي آدم من نباتك إلا برشح الجبين[٣].

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ أي: في الجنة، ولا تعرى من اللباس.

قيل: كيف وقد عري من لباس الجنة بعد أكل الشجرة، والله تعالى نفى عنه العُري في الجنة؟.

والجواب: إنَّ حقيقة العُري بدو العورة في عين الناظر، وقد بدت عورتهما في عينهما لا في عين غيرهما، قال الله تعالى: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ ولم ير عورتهما غيرهما.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟﴾ أي: لا تعطش ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ أي: لا يصيبك حر الشمس وضررها لأنك في ظل الجنة.

---

(١) البسيط ١٤/ ٥٤٣.

(٢) مثله في تفسير أبي الليث ٢/ ٤١٥، وفي الأصل كرر إلا مرتين.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٣٨٥، تفسير أبي الليث ٢/ ٤١٥.

﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ في أكل الشجرة ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾ إذا أكلت منها بقيت في الجنة مخلدًا ﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾ أي: لا يبدو ولا ينقطع.

﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا﴾ آدم وحواء ﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ رأىٰ كل واحد منهما عورة صاحبه ﴿وَطَفِقَا﴾ أي: عمدا ﴿يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا﴾ أي: يلزقان عليهما ﴿مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ أي: ترك أمر الله ولم يصب ما أراد، وخاب عما طلب وهو الخلود.

قال الواسطي: أظهر خلافًا ثم أدركه الاجتبائية، ليعلم أن العصيان لا يؤثر في الاجتبائية، فزال عنه مذلة العصيان بالاجتبائية.

قوله: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اختاره لرسالته ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ من ذنبه ﴿[وَهَدَىٰ ١٢٢]﴾ وهداه للتوبة.

﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢا﴾ انزلا من الجنة: آدم وحوىٰ ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ أي: مهما يأتينكم مني كتاب أو رسول يا ذرية آدم ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ أي: آمن بكتابي ورسلي ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ في الآخرة.

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ أي: من أعرض عن كتابي ورسولي فلم يؤمن؛ جعلت له معيشته [ضنكا]، والضنك: هو الضيق[1].

قال ابن عباس: يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي إليها[2].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٨.

(٢) لم أجده، وفي المعيشة الضنك أقوال، ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٣١).

وقيل: هو عذاب القبر[١].

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ عن الحجة، لا حجة له عند الله تعالىٰ[٢].

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ ضالاً بلا حجة ﴿وَقَدْ كُنتُ﴾ [في] الدنيا ﴿بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ في محاورتي واحتجاجي.

وقيل: يخرج الكافر من القبر بصيرًا فإذا سيق إلىٰ المحشر عمي، قال: رب لما حشرتني أعمىٰ وقد كنت بصيرًا عند خروجي من القبر.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ كتبنا ورسلنا فلم تأتمر[٣] بها ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ أي: تركتها ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ أي: تُتْرَك في النار[٤].

وقيل: الآية نزلت فيمن تعلَّم القرآن ثم تركه حتىٰ نسي ولم يعمل به.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾ أي نعاقب ﴿مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي أشرك بالله ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ وأدوم من عذاب الدنيا.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أفلم نبين لقومك ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ يمرون في منازلهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في هلاكهم ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ ليحذروا من مثل عقوباتهم.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٨/ ٣٩٢، عن أبي سعيد الخدري وطائفة (تفسير أبي الليث ٢/ ٤١٦، البسيط ١٤/ ٥٥١). وهو الذي رجحه ابن جرير.

(٢) زاد المسير ٣/ ٤٣١.

(٣) في الأصل: تامر.

(٤) البسيط ١٤/ ٥٥٣.

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عن أمتك إلىٰ أجل مسمىٰ وهو القيامة ﴿لَكَانَ لِزَامٗا﴾ أي: العذاب كان لازمًا لهم [﴿وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾] علىٰ التقديم والتأخير لموافقة أواخر الآيات(١).

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيك من التكذيب والتسخير ويرمونك بالجنون ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ بأمر ربك وتوفيقه ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ صلاة الفجر ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ الظهر والعصر ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحۡ﴾ له وهو المغرب والعشاء ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ قال أبو سهل: أراد صلاة التطوع ركعتين، أو أربعًا، أو ستًا، وتمامها: اثنتا عشرة ركعة، ومن صلَّاها بنىٰ له بيت في الجنة أوسع من الدنيا(٢).

قال المفسر الكبير: لم يقرن الله تعالىٰ التطوع بالفريضة في موضع من القرآن إلا هاهنا.

﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ أي: لتصير في الآخرة راضيًا بما تُعطَىٰ من الشفاعة والكرامة في الجنة.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ أي: لا تنظر بعينيك ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: أعطينا من المال رجالاً منهم، يعني أهل مكة ﴿زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أنها من زهرة الدنيا وغرورها، والزهرة: الزينة ﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ أي: منحناهم(٣) لنختبرهم به ﴿وَرِزۡقُ رَبِّكَ﴾ في الآخرة ﴿خَيۡرٞ﴾ وأفضل ﴿وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾ وأدوم مما أعطينا كفار مكة.

---

(١) والتقدير: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمىٰ لكان لزاما، قال الواحدي: هذا قول الجميع (البسيط ١٤/ ٥٥٥).

(٢) يشير إلىٰ حديث أم حبيبة في صحيح مسلم (٧٢٨): «من صلىٰ اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بني له بهن بيت في الجنة».

(٣) في الأصل: منعناهم، وهو تصحيف أحال المعنىٰ.

﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أمتك بالصلوات الخمس ﴿وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ على أدائها بتمامها ﴿لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ﴾ أي: لا نأمرك أن تكتسب وتنفق على عيالك ونفسك ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾ وعيالك ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ أي: الجنة للمتقين، أقام الفعل مقام الفاعل.

﴿وَقَالُواْ﴾ يعني الكفار ﴿لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾ علامة لنبوته ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣﴾ أي: بيان ما في التوراة والإنجيل من بعثه وصفته.

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ﴾ في الدنيا ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: نزول القرآن وإرسال محمد ﴿لَقَالُواْ﴾ عند نزول العذاب ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤﴾ قال الضحاك: من قبل أن نُقتل ببدر ونعذب يوم القيامة، والآن قد أتاهم الرسول والكتاب وذهبت حجتهم.

﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ﴾ أي: كلا الفريقين منتظر لهلاك أصحابه ﴿فَتَرَبَّصُواْۖ﴾ أنتم بهلاكنا ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ إذا نزل العذاب بكم ﴿مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ أي: الدين المرضي نحن أم أنتم، وهذا مختصر من ضل عن الطريق ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥﴾ أي: خرج من الضلالة.

قال عبد الحميد الحاكمي رحمه الله: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار»[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١١٨٧.

الفهرس

سورة الأعراف ٥
سورة الأنفال.. ٦٩
سورة التوبة ٩٩
السورة التي ذكر فيها يونس ١٤٧
سورة هود ١٧٩
سورة يوسف ٢١٥
سورة الرعد ٢٥٥
سورة إبراهيم عليه السلام ٢٧٥
سورة الحجر ٢٩١
سورة النحل ٣٠٩
سورة بني إسرائيل ٣٤٧
سورة الكهف ٣٩٥
سورة مريم ٤٤١
سورة طه ٤٦٧

تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

تأليف

عبد الحميد بن عبد المجيد الحالمي

(ت: بعد ٥١٤هـ) رحمه الله

تحقيق

أ. د. أحمد بن فارس السلوم

عفا الله عنه

دار ابن حزم

تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

تأليف

عبد الحميد بن عبد المجيد الحالمي

(ت: بعد ٥١٤هـ) رحمه الله

تحقيق

أ. د. أحمد بن فارس السلوم

عفا الله عنه

المجلد الثالث

(سورة الأنبياء - سورة فصلت)

دار ابن حزم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

9 789959 859426

ISBN: 978-9959-859-42-6

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

سورة الأنبياء

مكية[(١)]، وهي مائة واثنتا عشرة آية في الكوفي، وأحد عشر في المدني والبصري[(٢)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ يعني: دنا لأهل مكة مجازاة أعمالهم، وهو يوم القيامة[(٣)]، والحساب: إظهار ما للعبد وما عليه ليجازىٰ به من الثواب والعقاب.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: سهو وجهالة عن أمر آخرتهم ﴿مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ عن الحق تاركون له.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ إتيانه[(٤)]، والذكر: هو الوعظ، وإنما سمَّاه محدثًا لأنَّ الوعظ تبليغ الرسالة، وهو مخلوق[(٥)].

وإنَّما قال: من ربهم؛ لأنَّه أتىٰ من الرسول، والرسول من الله.

وقيل: ما يأتيهم من ذكر عز وشرف، سمَّىٰ الشرف ذكرًا لانَّ الشريف

---

(١) الكشف والبيان ١٨/ ٩٣، البيان ١٨٧.

(٢) والشامي أيضا كالجمهور، البيان ١٨٧.

(٣) البسيط ١٥/ ٨.

(٤) محدث نعت لِـ: ذكر (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥، الدر المصون ٨/ ١٣٠).

(٥) المعنىٰ: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه وهو يلعبون (تفسير الطبري ١٨/ ٤٠٩) فالمحدث هو التنزيل لا القرآن، كما زعمت المعتزلة (تفسير السمعاني ٣/ ٣٦٧).

يذكر، يدلُّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي عزكم وشرفكم، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أي: عز وشرف.

﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ بآذانهم لا بقلوبهم ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ أي: لاعبون ضاحكون هازئون.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: غافلة قلوبهم عنه، انتصبت: لاهية بقوله: يلعبون لاهية ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني: أسروا الذين ظلموا النجوىٰ ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يعني: آدمي لا يفضلكم بشيء ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ أي: تقبلون السحر وتصدقونه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ تعلمون أنَّه سحر.

﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ السر ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾ بسرهم ومجازاتهم.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي: قالوا القرآن وآياته أباطيل، أحلام كاذبة مختلطة رآها محمد في المنام، قاله النضر بن الحارث.

﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: اختلقه محمد من تلقاء نفسه، وهو قول طائفة أخرىٰ(١).

﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ وهو قول طائفة ثالثة، ومعنىٰ: بل للإعراض عمَّا حكىٰ عنهم ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ كيد موسىٰ وعصاه ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ من الأنبياء بالآيات إلىٰ قومهم(٢).

قال الله تعالىٰ لنبيه: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ أي: ما صدقت بالآيات أهل قرية قبل كفار مكة عند نزولها أهلكناهم، وقيل: ما آمنت

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٨٤، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٠، الجامع لأحكام للقرآن ١١/ ٢٧٠.

(٢) في الأصل: قولهم، وهو تصحيف.

قبلهم من قرية استوجبنا هلاكها[١].

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ وقد أوجبنا إهلاكهم يوم بدر بالسيف، أي: هو لا يؤمنون إن نزلت الآيات التي يقترحونها، يعني لا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا أولئك.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ كما أوحي إليك يا محمد، هذا جواب للكفار عن قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: مؤمني أهل التوراة هل كانت رسلهم إلا رجالاً منهم ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ شيئًا مما أنزل الله.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾ وهذا جواب لقولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، يعني الأنبياء لم يخلقوا ذوي[٢] أجساد لا يأكلون الطعام، وما كانوا خالدين: ووحَّد الجسد لأن أصله المصدر، وما كانوا خالدين لأنَّ من يحتاج إلىٰ الطعام لابد وأن يذوق الموت[٣].

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ أي: أنجزنا لهم وما وعدناهم من النصر ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ من العذاب النازل ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ يعني الأنبياء مع من آمن بهم، وذكر لفظ المستقبل ليشترك فيه من بقي ممن يؤمن بالرسل ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾ أي: المشركين.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: عزكم وشرفكم إن آمنتم به ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤١٣.

(٢) في الأصل: لا يخلقوا ذوا، وما أثبته هو الصحيح، ومثله في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٠.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٤١٤.

﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾ علىٰ نفسها كافرة بربها ﴿وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا﴾ أي: بعد هلاكها ﴿قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾ سكنوا ديارهم وورثوا أموالهم.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ رأوا عذابنا ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢﴾ يهربون، والركض: العدو بشدة الوطء[(١)].

﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾ أي: قالت لهم الملائكة: لا تركضوا، أي: لا تهربوا ﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ﴾ أي: خولتم ﴿فِيهِ﴾ من دنياكم ﴿وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣﴾ عن الإيمان بنبيكم.

وقيل: عن دنياكم، وقيل: عن قتل نبيكم الذي قتلتموه، قيل: المراد بالآية أهل قرية باليمن يقال لها حضوراء[(٢)]، بعث الله إليهم نبيًا اسمه: زيغم[(٣)] فكذبوا وقتلوه، فسلَّط الله عليهم جنود بخت نصر، فهزمهم الله من جنوده، واتبعهم بخت نصر فقتلهم، فمروا في هربهم علىٰ ديارهم التي فيها أهلوهم فلم يأووا عليهم، فذلك قوله ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢﴾[(٤)] أي من القرية.

قوله: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤﴾ بقتل نبينا والشرك بربنا.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٨٦.
(٢) في الأصل: بالصاد المعجمة، والتصحيح من المصادر.
(٣) لم أقف عليه عند غير المصنف، والزيغم في اللغة المالح، يقال: للعَيْن العَذْبَة عين عَيْهم، وللمالحة عين زَيْغم (تاج العروس ٣٢/ ٣١٩).
(٤) عن مجاهد: هي قرية في اليمن، وقال الكلبي: هي حصون بني أزد، (انظر: تفسير الطبري ١٨/ ٤١٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢١، تفسير السمعاني ٣/ ٣٧١، معالم التنزيل ٥/ ٣١٢).
وفي تفسير مقاتل ٢/ ٣٥٣، الكشف والبيان ١٨/ ١٠٧، والبسيط ١٥/ ٢٨: حضوراء، بالضاد المعجمة، وفي الكشاف ٣/ ١٠٥: حضور.
وهكذا ذكرها الحموي في معجم البلدان ٢/ ٢٧٢: حَضُور، ثم نقل عن السهيلي أنه سماها: حضوراء، قلت وهكذا وردت في كتب التفسير، والله أعلم.

﴿فَمَا زَالَت﴾ الكلمة ﴿تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي: مقالتهم وهجيراهم ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ [حَصِيدًا]﴾ محصودين بالسيف كالزرع يحصد بالمنجل ﴿خَامِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ بالموت، والخمود: الانطفاء للنار، يعني ميتين(١).

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي: عابثين(٢) لغير شيء، بل خلقناهما لأمر كائن.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ كما زعمت النصارىٰ من أهل نجران أنَّ عيسىٰ ابن الله ﴿لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ يعني من الملائكة، لو جاز ذلك؛ لأنهم أطيب وأطهر.

واللهو: الولد(٣) بلغة حضر موت، لأنَّ الوالد يلهوا به، وقيل: أراد الزوجة ﴿إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي: ما كُنَّا فاعلين.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ أراد بالحق التوحيد وبالباطل الشرك ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي: يدمغ حقنا باطلهم، يعني: يكسره ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ذاهب باطل ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾ في الآخرة ﴿مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ بألسنتكم علىٰ ربكم بإضافة البنين والبنات إليه.

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي عبيده ﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾ من الملائكة ﴿لَا

---

(١) البسيط ١٥/ ٣٤.

(٢) في الأصل: عانتين، وما أثبته موافق لما ذكره أهل التأويل، ولتفسير مقاتل حيث صدر عنه (تفسير مقاتل ٢/ ٣٥٣، تفسير الطبري ١٨/ ٤١٩، البسيط ١٥/ ٣٥).

(٣) تصحفت في الأصل إلىٰ : الموت، وعليها علامة التصحيح. وهذا قول الكلبي وغيره (تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٢، البسيط ١٥/ ٣٦).

ومن أسرار هذه الآية: أنها نزلت في نصارىٰ نجران، فوافق أن تكون الآية نزلت بلغة اليمن، والله تعالىٰ أعلم.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ أي: لا يستنكفون عن توحيده ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٩﴾ أي: لا يَعْيُون، يقال: خسر واستحسر إذا أعيا[١].

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ينزهون الله آناء الليل والنهار ﴿لَا يَفْتُرُونَ ٢٠﴾ لأنَّ التسبيح للملائكة بمنزلة النفس لابن آدم.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ أي: كفار مكة ﴿ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الأصنام التي اتخذوها من الأرض ﴿هُمْ يُنشِرُونَ ٢١﴾ يعني: أَلَهم المقدرة على نشر الخلق وبعثهم بعد الموت، استفهام بمعنى التوبيخ[٢].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾ لو جاز أن يكون في السماوات والأرض آلهة كما زعموا ﴿إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ولا تقوما طرفة عين، وقيل: خربتا بالتعاون والتعادي ويهلك أهلهما ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ من الولد والشريك.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ بعباده في الدنيا والآخرة من الإحياء والإماتة والرزق والأجل ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ عن أعمالهم.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا أنَّ أبا أيوب الأنصاري سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، العبد يذنب الذنب قد قضاه الله عليه وكتبه، ثم يعذبه قال: «يا أبا أيوب أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ لأنهم مملوكون»[٣].

ومعنى قوله ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾ معناه: لا يسأل سؤال استفهام لأنَّ الله تعالى عالم بأفعالهم، ولكن يسألهم إيجابًا للحجة عليهم وتقريرًا لفعلهم.

---

(١) البسيط ١٥/ ٤٣.

(٢) وقيل: معناه الجحد والإنكار (البسيط ١٥/ ٤٦، تفسير السمعاني ٣/ ٣٧٤).

(٣) غريب، ولم أجده بهذا اللفظ، وفي الدر المنثور ٥/ ٦٢٣ روايات إسرائيلية نحو هذا.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ﴾ بل اتخذ أهل مكة دون الله أصنامًا ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ حجَّتكم فيما زعمتم، وقيل: كتابكم الذي فيه عذركم[١] ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: القرآن خبر من آمن بي ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ﴾ من الأمم السالفة ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ الحق والتوحيد ﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾ عن الحق معاندون له.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلىٰ الأمم ﴿إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾[٢] بالتوحيد كما يوحىٰ إليك، ثم بين الوحي فقال ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ أي: وحِّدوني.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ من الملائكة وعيسىٰ وعزير ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۚ﴾ طهارة وتنزيهًا له عما يقولون ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ بل الملائكة عبيد مكرمون مختارون طهروا من الآثام.

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: لا تسبق الملائكة الرب بالأمر لم يوح إليهم ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ إذا أمرهم.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أمر الدنيا، وقيل: ما كان قبل خلق الملائكة وما يكون بعدهم[٣] ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ أي أحب الله أن يشفعوا له، وهم أهل التوحيد ﴿وَهُم﴾ يعني الملائكة ﴿مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ خائفون.

﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾[٤] ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤٢٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٤.

(٢) في الأصل: يُوحَىٰ، وهي قراءة الكل سوىٰ حفص (النشر ٢/ ٢٩٦).

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٤.

(٤) في الأصل: من دون الله. فلعله كانت تفسيرا، وسقط علىٰ الناسخ نص الآية.

جَهَنَّمَۚ﴾ ولم يقلها أحد من الملائكة إلا إبليس الخبيث لعنه الله ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ أي: نعاقب المشركين.

﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: لم يخبروا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ ملتزقًا بعضها ببعض، ورتقًا مصدر أقيم مقام الفاعل ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ أي: فصلنا بينهما، قال: فتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات. وقيل: فتق السماوات أن جعل بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام[1].

﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ أي: جعلنا بقاء النبات وحياة كل حي بالماء، وقيل: أراد به النطفة، وقيل: لأنه ليس شيء فيه الروح إلا حياته بالماء[2] ﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ بما يرون من الآيات الدالة علىٰ توحيدي.

﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ الجبال الثوابت، واحدتها راسية ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ كيلا تتحرك الأرض تحتهم ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا﴾ أي: طرقًا في الجبال إلىٰ السهل، وإلىٰ الجبال من السهل، والفجاج الأودية أيضًا، مثل المنخرق بين الجبلين ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١﴾ يعرفون الطرق.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ من الشياطين، وقيل: من السقوط[3] ﴿وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢﴾ أي: من آيات شمسها وقمرها ونجومها جاحدون، لا يتفكرون فيها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ في دوران يجرون، لما ذكر منها فعل العقلاء أجراها مجرىٰ العقلاء[4]، وذلك أنَّ

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤٣٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٤.
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٤٣٤، النكت والعيون ٣/ ٤٤٤، زاد المسير ٣/ ١٨٩.
(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٤٣٦، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩١.
(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٩١.

الشمس والقمر يدخلان من قِبل المغرب تحت الأرض، ويجريان تحت الأرض حتىٰ يخرجا من قِبل المشرق، ثم يجريان في السماء إلىٰ المغرب. وقال: الفلك طاحونة كهيئة فَلَكة المغزل، لأنه اسم لشيء دائر(١).

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ نزلت في أُناس من المنافقين قالوا: لو مات محمد نرجع إلىٰ ديننا، فنزلت الآية. يعني: مات قبلك آدم ونوح والرسل قبلك فلم يُخلَّد أحد(٢).

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾ معناه: إن مت أنت أفهم الخالدون؟ لا، بل يموتون وأعذبهم بما جحدوا من آياتك.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: كل نفس منفوسة تذوق الموت لا محالة ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ أي: نختبركم بالشدة لتصبروا، وبالخير يعني الرخاء لتشكروا. فتنة: يعني بلية ابتلاكم الله بها ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧﴾ في الآخرة للمجازاة(٣).

قال الضحاك: الشر: الفقر والمرض، والخير: الغِنىٰ والصحة(٤).

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ النضر بن الحارث وعقبة عن الضحاك(٥) ﴿إِن

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٥، وسميت فلكة المغزل بذلك لاستدارتها، تاج العروس ٢٧/ ٣٠٤.

(٢) في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٥: ناس من المشركين، ولم يقل المنافقين، وهو أنسب، لأن السورة مكية، والنفاق كان في المدينة، وهذا الخبر من تفسير الكلبي فيما يظهر.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٤٤٠.

(٤) وهو مروي عن ابن عباس من طريق ابن جريج وعلي (تفسير الطبري ١٨/ ٤٤٠، البسيط ١٥/ ٧١).

(٥) وقيل: أبو جهل، عن السدي (البسيط ١٥/ ٧١)، وقيل أبو سفيان، ذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٢٦.

﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يهزؤون بك ويقولون ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يعيب اللات والعُزىٰ ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ يعني: بوحي الرحمن، وقيل: بتوحيده، وقالوا: لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب[١].

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: خلقت العجلة في الإنسان، وهذا الغاية: العجلة في الإنسان، كقولك للرجل اللعوب: خلق فلان من لعب[٢].

وقيل: العجل الطين، أي خلق آدم من طين، قال الشاعر:

النَّبعُ ينبتُ في الأحجار ضَاحية والنَّخل ينبتُ بينَ الماء والعَجَل[٣]

يعني: الماء والطين.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ أي: عذابي وهو القتل يوم بدر ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ فإنه كائن.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي يعدنا بأنَّا نُبْعثُ ونُعذَّبُ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ في قولكم[٤].

قال الله تعالىٰ: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ أي: لا

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٢.

(٣) البيت في النكت والعيون ٣/ ٤٤٨، الكشف والبيان ١٨/ ١٢٨، البسيط ١٥/ ٧٧، معالم التنزيل ٥/ ٣١٩، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٨٨ ، تاج العروس ٢٩/ ٤٣٥، وأكثرهم رواه: والنبع في الصخة الصماء منبته..
وهذا القول شاذ في التفسير، وقد شكك فيه بعض أهل اللغة (تهذيب اللغة ١/ ٢٣٧، الدر المصون ٨/ ١٥٧).

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٦.

يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ أي: لا يقدرون دفع العذاب عن أنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ يعني: ولا هم منصورون، متروك الجواب، معناه: لو علموا ذلك ما استعجلوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تفجأهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: يؤجلون.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزئ [بك] ﴿فَصَبَرُوا۟﴾ علىٰ ذلك ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي: عقوبة استهزائهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ يعني يحفظكم ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: من عذابه لو أراد عذابكم ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ تاركون.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ أي: عذابنا، وهم استفهام بمعنىٰ الجحد ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: الآلهة، لا يقدرون دفع ضرب الفؤوس عن أنفسهم عند النحت، فكيف يمنعون العذاب عنهم ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: يُجارون، يقال: أصحبت فلانًا إذا أعطيته الأمان(١).

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ يعني الحياة في الدنيا ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ يعني من حوالي مكة، يعني: بموت أشرافها ورؤسائها، وقيل: يستولي محمد صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أرض بعد أرض، وهذا أصح(٢).

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤٤٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٧، البسيط ١٨/ ٨٧.

(٢) وهو قول الكلبي والسدي (البسيط ١٥/ ٨٩).

﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٤٤﴾ لمحمد والإسلام.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ بالقرآن ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥﴾ أي: الكفرة صُمٌّ بأذان قلوبهم.

وقرئ: «تُسمعُ» بالتاء، و«الصمَّ» بالفتح، خطاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(١).

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ أي: طرف ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ بالمسخ أو الخسف أو الغرق أو السيف ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ عند معاينة العذاب ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ أي: يا هلاكنا(٢) الذي نزل بنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٤٦﴾ لأنفسنا بالشرك.

ثم ذكر عدله في القيامة: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ معناه: ونضع أعمال بني آدم في الميزان، عن مقاتل(٣).

فكأنَّ الموازين جمع موزون، كالمواريث جمع موروث.

وقيل: الموازين العدل الذي لا جور فيه، عن الضحاك وقتادة(٤).

وقال الحسن: له كفتان ولسان، جعلها الله للعباد يعرفون بها مقادير الاستحقاق(٥).

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينقص حينئذ من حسنات أحد ولا يزاد علىٰ سيئاته ﴿وَإِن كَانَ﴾ عمل العبد ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ في الوزن خيرًا

---

(١) وهي قراءة ابن عامر (النشر ٢/ ٣٢٣).

(٢) في الأصل: يا يلانا. وهو تصحيف، ولعل الذي أثبته هو الصحيح، (انظر: تفسير السمعاني ٣/ ٣٨٣).

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣٦٠.

(٤) البسيط ١٥/ ٩٤.

(٥) البسيط ١٥/ ٩٤، معالم التنزيل ٦/ ٣٢١.

كان أو شرًا ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ ميزانه، وجازينا صاحبه ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ۝٤٧﴾ مجازين[١].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ بين الحلال والحرام ﴿وَضِيَآءً﴾ بيانًا من الضلالة ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾ أي: عظمة للموحدين الذين يتقون الشرك.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ في الدنيا وأطاعوه ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: قيامها ﴿مُشْفِقُونَ ۝٤٩﴾ خائفون. ابن عباس: من آمن بالله بأنه واحد لا شريك له وبالجنة والنار والبعث والحساب والميزان فقد خشي بالغيب[٢].

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ يعني: القرآن فيه سعادة لمن آمن به ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على محمد ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ أي: تستطيعون إنكاره مع بدائع نظمه، وعجائب ما فيه؟

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: أكرمناه بالمعرفة قبل النبوة، وقيل: قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾ إنه أهل للرشد[٣].

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الصور والأصنام ﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ أي: عابدون مقيمون عليها ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣﴾ فنحن نقتدي بهم ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤﴾ خطأ بيِّن ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ تقول ذلك جدًا ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥﴾ لاعب مازح ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٨.

(٢) لم أقف عليه، ويظهر أنه من تفسير الكلبي.

(٣)تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٩. وفي الأصل: الرشد.

ذَٰلِكُمْ﴾ علىٰ ما قلت لكم ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾ أنه خالقكم وخالق السماوات والأرض، ثم قال في نفسه ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ أي: لأمكرنَّ بها بالكسر عند مغيبكم ذاهبين إلىٰ عيدكم، فلما خرجوا إلىٰ عيدهم قالوا لإبراهيم: اخرج معنا، فقال: إني سقيم، فتركوه ثم دخل علىٰ أصنامهم ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ بالرفع: مثل حطام ورفات، ولا واحد له من لفظه، وبالكسر: جمع جذيذ ومعناه: قِطعًان وقيل: كسرًا(١).

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ يعني: كبير الأصنام لم يكسره، ووضع الفأس علىٰ عاتقه وخرج ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ إلىٰ الصنم الكبير، وقيل: إلىٰ إبراهيم ليحتج عليهم إنه لما لم يدفع الشر عن نفسه فكيف يدفع عنهم، فلما رجعوا من عيدهم ورأوها مكسورة ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ لها حين كسرها، قيل: هذا استفهام، وقيل: خير ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ وإنما قال ذلك رجل منهم ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: مشهد من الناس علىٰ رأس الملأ ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١﴾ عليه عند حضوره، فكره الكفار أن يأخذوه من غير بيِّنة، وقيل: يشهدون عقوبته(٢).

فلما أوتي به قال له نمروذ ﴿[قَالُوٓا۟] ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢﴾ من الكسر ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾ معناه: إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم، وإن لم يقدروا عل الكلام فأنا فعلت، وهذا من معاريض الكلام، وقد جاء في الخبر: «إن في المعاريض بمندوحة عن الكذب»(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٦، الكشف والبيان ١٨/ ١٤٢.
وقد قرأ الكسائي بكسر الجيم، وقرأ الباقون بضمها (النشر ٢/ ٣٢٤).
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٤٦٠.
(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٩٩ عن عمر بن الخطاب وعمران موقوفا.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ باللوم يلوم بعضهم بعضًا ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤﴾ بمناداة من لا يتكلم ولا يستطيع دفع الباس[1] عن نفسه، فكيف يستطيع دفع البأس عنكم ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أي: رجعوا إلىٰ شركهم الأول، وقيل: أطرقوا خجلاً، وقالوا ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾ يا إبراهيم ﴿مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـًٔا﴾ إن عبدتموه ﴿وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦﴾ إن لم تعبدوه ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾ أي: نتنًا وقذرًا منكم ﴿وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ولا منفعة فيها ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ أنه: لا بيان لها ولا حركة ولا نفع ولا ضر.

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ يعني: قال نمروذ: انتقموا لآلهتكم ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨﴾ به عقوبة، فبنوا له البنيان، ونقلوا الحطب أربعين يومًا، ثم أوقدوا النار في الحطب حتىٰ أججوها، ثم رموا[2] إبراهيم فيها بالمنجنيق[3].

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي -عفا الله عنه-: بلغنا أن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لمَّا أوثق قوائمه حتىٰ يرمىٰ إلىٰ النار قال: لا إله إلا أنت رب العالمين، لك الحمد ولك المُلك لا شريك لك، قال الله تعالىٰ: ﴿[قُلۡنَا] يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ أي: كوني بردًا من حرِّك، وسلامة من بردك، فألقوه فيها ولم يحترق من إبراهيم غير وثاقه[4].

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ أي: شرًا ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ مغبونين حيث لم يتألم إبراهيم بعقوبتهم.

---

(١) في الأصل: الناس، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: ارموا. وهو تصحيف.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٣١.

(٤) تفسير الطبري ١٨/ ٤٦٥، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٣٢.

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ يعني: بيت المقدس.

ولوط كان ابن أخيه، وأخوه هارون بن آزر، وقد هاجر إبراهيم بعد ما خرج من النار مع لوط إلىٰ بيت المقدس.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾ أي: زيادة علىٰ ما سأل، لأنَّه سأل الولد ولم يسأل الحافد فرزق كلاهما[1] ﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾ مُرْسلين.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ قادة يدعون الناس إلىٰ التوحيد بإذننا ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أن افعلوا الطاعات من الصيام والصلاة ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾ موحدين مخلصين.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ لوطًا آتيناه: منصوب بفعل مضمر، يعني: آتينا لوطًا حكمًا وعلمًا نبوة وفهمًا، وقيل: علمًا بصحف إبراهيم[2].

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ﴾ يعني: لوطًا ﴿مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ﴾ يعني: اللواطة ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ٧٤﴾ عاصين، وقريتهم سَدُوم.

﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ﴾ يعني: في رسالتنا ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ من المرسلين.

﴿وَنُوحًا﴾ يعني: اذكر نوحًا ﴿إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ﴾ إذ دعا ربه من قبل إبراهيم ولوط، ونداؤه: إني مغلوب فانتصر ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ﴾ كل من آمن به ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦﴾ الغم الشديد، وهو الغرق.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤٥٧.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٤٧٢.

﴿وَنَصَرۡنَٰهُ﴾ بنزول العذاب ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾ يعني: علىٰ القوم، وقيل: منعنا عنه أذىٰ قومه، نصره ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ﴾ أي: كفارًا ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٧٧﴾ صغيرهم وكبيرهم، وقيل: نصرناه من القوم أي: نجيناه.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾ اذكر داود وسليمان ﴿إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾ أي: الزرع وقيل: في الكرم ﴿إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ النفش: بالليل، والهمل بالنهار(١).

قيل: كانت غنم قوم وقعت في كرم رجل ليلاً، بعد ما خرجت عناقيده وأفسدها، فجاء صاحب الكرم وخاصم أصحاب الغنم، فقضىٰ داود بالغنم لصاحب الكرم، لأنَّ قيمة الغنم ما فسد من الكرم سواء، فخرجوا من عنده ومرُّوا علىٰ سليمان، فسألهم: كيف قضىٰ نبي الله؟ فأخبروه به، فقال: نِعْمَ ما قضىٰ، وغير ذلك كان أرفق بالفريقين، فرجعوا إلىٰ داود وأخبروه بذلك، فدعا داود سليمان فقال: تدفع الغنم إلىٰ أصحاب الكرم لينتفعوا بألبانها وأصوافها، وأصحاب الغنم يعملون في الكرم حتىٰ يصير كهيئته، ثم يرد الغنم إلىٰ صاحبها والكرم إلىٰ صاحبها، فرضي داود بحُكمه، فرضي الله بحكمهما، فذلك قوله ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾ ذكر التثنية بلفظ الجماعة علىٰ عادة العرب(٢).

وهذا الحكم اليوم عند الفقهاء بخلاف ذلك، فعند فقهاء العراق لا يجب علىٰ صاحب الغنم شيء ليلاً كان أو نهارًا؛ إلا أن أرسلها عمدًا، وعند فقهاء الحجاز: إذا وقع بالليل وجب الضمان، وبالنهار لا يجب(٣).

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٩.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٤٧٥، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣١٤.

﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ أي: ألهمناها الحكومة بالصلح ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ أي: داود وسليمان النبوة والفهم بالقضاء ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾ معه إذا سبَّح ﴿وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ قال ابن عباس: كان للجبال حنين كحنين البعير، والطير كانت تسبح معه إذا رفع صوته، وصوته كصوت المزامير، وهو قارئ أهل الجنة في الجنة(١).

﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ﴾ هو أول من اتخذ الدروع ﴿لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾ ليمنعكم من سلاح عدوكم ﴿فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠﴾ لله بهذه النعمة.

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي: سخرنا له الريح ﴿عَاصِفَةٗ﴾ منصرف على الحال، تمر به حيث أراد ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ أي تسير به وبجلسائه بإذنه ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾ للعالمين بالماء والشجر، يقال: فلسطين ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ مما أعطينا داود وسليمان ﴿عَٰلِمِينَ ٨١﴾.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي: لسليمان في البحر، يأتوا إليه من قعر البحر بأصداف فيها اللؤلؤ ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ سوى الغوص من البناء والمحاريب والتماثيل وغير ذلك ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾ أي: للشياطين من أن يهيجوا أحدًا في زمانه، وقيل: في سُخرة(٢) سليمان ما دام حيًا(٣).

﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ يعني: اذكر أيوب إذ نادى ربه حين دعا ربه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ المرض والبلاء في الجسد ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ أعطف العاطفين، لنحاج طلبة(٤) الطالبين، عرَّض في السؤال ولم يصرح، قال الله

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٣٤.
(٢) في الأصل: في سحره.
(٣) زاد المسير ٣/ ٢٠٤.
(٤) في الأصل: طبه.

عز وجل: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرࣲّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةࣰ مِّنۡ عِندِنَا﴾ نرحم بها من نشاء ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ موعظة للموحدين.

قيل: مكث أيوب في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات، والدود ما بين الجلد واللحم منه، وكان الجلد واللحم يتناثر عن العظم، فقال عند ما باعت امرأته قُرون رأسها لشهوة اشتهىٰ أيوب: إلٰهي إنك تعلم أني لم أكن أشبع حتىٰ أُشبع اليتيم والجار وابن السبيل، ولم أكن أكتسي حتىٰ أكسوهم، ابتليتني يا رب بذهاب المال والولد، ثم البلاء في جسدي، ثم صيَّرتني أعيش بشعر حليلتي، مسني الضر فارض عني، وإن كان هذا رضًا عني فأنت أرحم الراحمين(١).

---

(١) عقد ابن الجوزي فصلا لسرد قصته في زاد المسير ٣/ ٢٠٥. وأطال الطبري في تفسيره ١٨/ ٤٨٤ برواية خبر إسرائيلي عن وهب بن منبه في شأنه. وفي سياق ما ذكروه عن أيوب ما يستنكر، وأحسن ما روي في شأنه حديث أنس بن مالك، رواه ابن حبان في صحيحه (٢٨٩٨) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: إن أيوب نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم لبث في بلائه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتىٰ ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمر علىٰ الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلىٰ بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال: وكان يخرج إلىٰ حاجته، فإذا قضىٰ حاجته أمسكت امرأته بيده، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، فأوحىٰ الله إلىٰ أيوب في كتابه ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدࣱ وَشَرَابࣱ ۝٤٢﴾ [سورة ص:٤٢] فاستبطأته، فبلغته فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، فهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلىٰ؟ والله علىٰ ذلك ما رأيت أحدا كان أشبه به منك إذ كان صحيحا، قال: فإني أنا هو، وكان له أندران، أندر

قال مقاتل: كانت امرأة أيوب ولدت قبل البلاء سبع بنين وثلاث بنات، فماتوا، وأحياهم الله بعد البلاء، وولدت بعد زوال البلاء سبع بنينن وثلاث بنات أخرىٰ، بعد ما صار أيوب شابًا وامرأته شابة، وهو قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[(١)].

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ واذكر إسماعيل ﴿وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ علىٰ أمر الله وقضائه، حتىٰ بلغوا ما أرسلوا به، فاصبر أنت يا محمد صبرهم.

وأما ذا الكفل: فإنه سمي بذلك لأنه كفل ملكًا من الملوك إنْ هو تخلىٰ للملك؛ وتخلع عن جميع مملكته؛ بالجنة، وحياة الأبد، ونعيم بلا انقطاع، وكتب له علىٰ ذلك كتابًا، فلما مات الملك أمر أن يدرج ذلك في كفنه، فلما دفن جيء بالكتاب إلىٰ ذي الكفل: بأن الله يقرئك السلام ويقول: قد وفيت للملك ما وعدته، وألزمته في عنقه، فأنت اليوم بريء من العهدة[(٢)].

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: المرسلين.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ وهو يونس[(٣)] عليه الصلاة والسلام ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ أي: خرج غضبانًا من قومه من غير أن يؤمر به، حتىٰ أتىٰ بحر الروم، فوجد قومًا

القمح وأندر الشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما علىٰ أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتىٰ فاضت، وأفرغت الأخرىٰ علىٰ أندر الشعير الورق، حتىٰ فاضت.

وهذا الخبر غريب تفرد به نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس، رواه شيخا التفسير: ابن جرير وابن أبي حاتم، ورواه الحاكم في المستدرك٢/ ٥٨٠، وصححه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٧٤.

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٦٧.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٥٠٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٣٨.

(٣) في الأصل: إدريس، وهو سبق قلم من الناسخ.

شحنوا سفينتهم، فقال لهم: احملوني معكم، فعرفوه وحملوه، فلما سارت السفينة في البحر تكفَّأت بهم وغرقت في الماء، فقال الملاحون: يا هؤلاء إن فيكم رجلاً عاصيًا، لأنَّ السفينة لا تفعل هذا من غير ريح، وقال التجار: قد جربنا السفينة مرارًا، فإذا رأيناه كذلك اقترعنا، فمن خرجت قرعته غرقناه، ولأن يغرق رجل واحد خير من أن يغرق أهل السفينة، فاقترعوا فخرجت قرعة يونس، فقالوا: هو نبي الله ونحن أولىٰ بالمعصية من نبي الله، فأقرعوا ثانيًا وثالثًا، فخرج سهم يونس في كل مرة، فقال يونس: أنا والله العاصي، فتلفف في كسائه وقام علىٰ رأس السفينة، وألقىٰ نفسه في البحر، فالتقمه الحوت، ثم أخذ في البحر، فسبح بيونس حتىٰ أخرجته إلىٰ بحر النيل نيل مصر، ثم إلىٰ بحر فارس، ثم دخل به البطائح، حتىٰ أدخله دجلة، وكان شاطئ دجلة يسد جنبيه، ثم رمىٰ به بنصيبين بعراء من الأرض، وقد مكث في بطن الحوت أربعين يومًا، وهو يقول ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾.

فنبذه الحوت بالعراء كهيئة الفرخ المنتوف، ليس عليه شعر ولا لحم، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فاستظل بظلها، وأكل من ثمرها، حتىٰ قوي، فبينما هو كذلك إذ هبّت ريح فنبشت[1] الشجرة، فجزع به يونس، فقيل له: أتجزع علىٰ شجرة تنبت من ساعة وتنبش في ساعة، ولا تحزن علىٰ عبادي الذين هم في أيدي الكفرة.

وقيل: كان هذا بعدما دعاهم إلىٰ الإسلام وأبوا، وواعدهم يونس بالعذاب إلىٰ ثلاثة أيام وخرج من بينهم، فلما نزل العذاب تضرعوا إلىٰ الله بالدعاء، فكشف الله عنهم، فأنف يونس أن يرجع إليهم مخافة التكذيب أو

---

(١) كذا في الأصل، في الموضعين، والمعنىٰ: اقتلعتها بأصولها، والأنبوش والمنبوش: الشجر المقتلع بأصوله (تاج العروس ١٧/ ٣٩٩) وقد يكون الصواب: فيبست.

التعبير[١] فمضىٰ ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي: لم نقض عليه البلاء ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت ﴿[أَن] لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ لا مفرِّج للمغمومين سواك سبحانك ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ لنفسي ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ أي: بطن الحوت، وقيل: غم الذنب[٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ من دعاني بهذا الدعاء نجيته من الشدائد؛ كما نجينا يونس، وروي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من دعا دعوة يونس عليه السلام استجيب له»[٣].

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ يعني: اذكره حين قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ وحيدًا بغير ولد ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ لأن الخلائق يموتون وأنت لا تموت، وقيل: خير الوارثين أي: الواهبين[٤].

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ فتق رحمها حتىٰ حبلت ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ﴾ أي: زكريا ومَن قبله من الأنبياء الذين تقدمت أسماؤهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ الطاعات والأعمال الزاكية ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ أي: رغبة في ثوابنا، ورهبة: أي خوفًا من عذابنا ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ أي: متواضعين خائفين غير بطرين ولا أشرين.

---

(١) في الأصل: التغيير.

(٢) في الأصل: غم الداب، وهو تصحيف، وعلىٰ الصواب في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٠.

(٣) رواه أحمد في المسند ١٤٦٢ ، والترمذي ٣٥٠٥ عن سعد قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له» وإسناده صحيح.

(٤) المعروف الأول (تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٠، زاد المسير٣/ ٢١١).

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ يعني: اذكر مريم حفظت فرجها من الفواحش. والإحصان: إحراز الشيء من الفساد[(١)] ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ قيل: أخذ جبريل بطرف جيبها ونفخ فيه، وقال: ليكن في بطنك ولد من غير أب بإذن الله تعالىٰ ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ أي: عبرة لعالمي زمانهما، ولم يقل: آيتين، لأنَّ الآية فيهما آية واحدة، وهي الولادة بدون الفحل، ولأنَّ الآية ليست نفسهما ولكن شأنهما، وذلك واحد[(٢)].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: مِلَّتكم ملة واحدة وهو الإسلام، وقيل: دينكم دين واحد ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ أطيعون.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ يعني: تقطعوا بأمرهم، انتصب لنزع الخافض، أي: فرَّقوا دينهم فصاروا أممًا، ولم يجتمعوا علىٰ الحق حتىٰ كانوا أمة واحدة، وهم: النسطورية، والماريعقوبية، والملكانية، والمرقوسية، واليهود أيضًا فرق ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣﴾ يعني الفِرَق، الكل راجعون إلينا لمجازاتنا بعد الموت، كل أمة نيّف وسبعون فرقة.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ أي: لا بطلان لثواب عمله بل نجازيه عليه ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤﴾ تكتبه الحفظة بأمرنا.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾ أي: أهل قرية ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ بموت أو عذاب ﴿أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥﴾ إلىٰ الدنيا، وقيل: لا يرجعون أي لا يتوبون، يعني: أهل كل قرية كتبنا عليهم الهلاك حرام عليهم التوبة، من الحرمان لا من التحريم[(٣)].

---

(١) البسيط ١٥/ ١٨٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٤، البسيط ١٥/ ١٨٥.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٢٥، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٤.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ وكلمة حتىٰ يبتدأ بها كما يبتدأ بكلمة إذا، ومعناها هاهنا معنىٰ لما، الفتح: انفتاح[١] الشيء عن غيره.

ويأجوج ومأجوج أخوان لأب من نسل يافث بن نوح، يعني: يرسلون من الردم عند اقتراب الساعة جاء، في الحديث: «الناس سواهم جزء من ألف جزء»[٢].

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ يخرجون، والحدب: ارتفاع من الأرض[٣].

وقيل: ينسلون يسرعون من النسلان، ويحشرون إلىٰ الموقف[٤].

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ الأجل الصدق يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ يعني: الأبصار ﴿شَٰخِصَةٌ﴾ والكناية ربما تقدمت علىٰ الاسم، كقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ وقال ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾.

﴿أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حين عاينوا ما كذبوا به ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ أي: يقولون يا ويلنا ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ مشركين في الدنيا.

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ قيل: لما قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية شقَّ علىٰ الكفار، فأتاهم عبد الله بن الزبعرىٰ وقال: لو كنت هاهنا لخصمته، ثم أتىٰ

---

(١) أظنه في الأصل الذي نقل عنه الناسخ: انفراج.

(٢) وهو حديث بعث النار، وقد سبق في تفسير خواتيم سورة الكهف.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٥، البسيط ١٥/ ١٩٩.

(٤) والنسلان مشية الذئب إذا أسرع (البسيط ١٥/ ١٩٩).

رسول الله فقال: أرأيت ما قلت لقومك آنفًا، خاص أو عام؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: بل عام كل من عبد دون الله، فهو وعابده في النار، فقال اللعين: أرأيت عيسىٰ يعبده النصارىٰ، وعزير يعبده اليهود، وبنو مليح يعبدون الملائكة، فهؤلاء في النار؟ فسكت رسول الله، فأنزل الله عليه قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾[(١)].

وقيل: للآية وجه صحيح من غير هذا التأويل، لأنه ذكر بكلمة «ما تعبدون» وكلمة «ما» للجماد لا للعقلاء، ويستعمل في العقلاء كلمة «من»[(٢)].

وقوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي: وقود جهنم، وقرئ: حضب، بالضاد، وهو ما يهيج به النار[(٣)].

أنتم لها واردون: أي فيها داخلون، العابد والمعبود.

وقيل: إنما دخلت اللام في الكلام لأنَّ المفعول إذا تقدم علىٰ الفعل يدخله اللام، كقوله ﴿وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧﴾.

---

(١) وهذه رواية الكلبي كما في البسيط ١٥/ ٢١٠، وروىٰ ابن جرير في التفسير ١٨/ ٥٣٩ عن ابن إسحاق نحوه.

(٢) واستدل بعضهم بهذا علىٰ ضعف القصة، قال أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٤٢: ويقال: إن هذه القصة لا تصح، لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وسلَّم كان أفصح العرب، وأنطقهم لسانًا، وأحضرهم جوابًا كما وصف نفسه: «أنَا أفْصَحُ العَرَبِ» فلا يجوز أن يسكت علىٰ مثل هذا السؤال، ولم يكن السؤال لازمًا، ويقال: كان سكوته للاستخفاف، لأنه سئل سؤالاً محالاً، لأنه قال: إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ولم يقل ومن تعبدون، و«ما» لا يقع علىٰ النواطق، و«من» تقع علىٰ النواطق..

(٣) قال الزجاج (في معاني القرآن ٣/ ٤٠٦): قرئت علىٰ ثلاثة أوجه، حَصَبُ جهَنمَ، وحطب جهَنَّمَ، وحَضَبُ جَهنمَ ، فمن قرأ: حصَبُ، فمعناها كل ما يرمىٰ به في جهنم، ومن قال: حطب، فمعناه ما توقد به جهنم ، ومن قال: حَضب، فمعناه ما تهيجُ به النارُ وتُذكىٰ به، والحَضْبُ الحيَّةُ أهـ قلت: وهاتان قراءتان شاذتان.

﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأصنام ﴿ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ أي: دخلوها ﴿وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩﴾ العابد والمعبود.

﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ﴾ أي: شهيق وضجيج ﴿وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ لأنَّ حسيس النار غلب على أسماعهم، وقيل: صُمَّت آذانهم فلا يسمعون(١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ أي: جرى في علمنا السابق الإحسان لهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا﴾ أي: عن النار ﴿مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ صوتها ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي: تمنت وتلذذت أعينهم ﴿خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ عند ذبح الموت، وتطبيق النار، وقيل: نداء القطيعة ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند باب الجنة مبشرين لهم ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ في دار الدنيا.

﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ والسجل: الصحيفة التي فيها الكتاب، وقيل: هو ملك يقال له السجل(٢).

انتصب يوم للظرف، أي: هذه الأهوال كلها في يوم تطوى السماء، وقيل: السجل رجل كان كاتب رسول الله(٣).

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٣، وروى ابن جرير في التفسير ١٨/ ٥٣٧ عن ابن مسعود قال: إذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى فيها مسامير من نار، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذّب غيره، ثم قرأ الآية.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٥٤٣، ورجح ابن جرير أنه الصحيفة.

(٣) وهو قول ضعيف، ولا يعرف ذلك في كتبة الوحي، وروي عن ابن عباس بإسناد ضعيف جدا (تفسير الطبري ١٨/ ٥٤٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٣).

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ أي: قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء، معناه: نفنيه كما لم يكن في أول الخلق فابتدأناه، وقيل: ننشئه في الآخرة كما أنشأناه في الدنيا، وهذا الكلام جرىٰ في الخلق كلهم لا في السماء.

وقوله ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ تم الكلام، وابتدأ بقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾[١].

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآۚ﴾ حقًا علينا، والوعد من الله تعالىٰ بمنزلة القسم ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ أي: قادرين علىٰ ما نشاء من الفعل.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ قرئ: «الزُّبور» بالضم[٢]، يعني الكتب المتقدمة، من بعد الذكر: أي اللوح المحفوظ.

وقيل: في زَبور داود إذا قُرئ بالنَّصب، من بعد التوراة[٣].

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أي الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ المؤمنون.

وقيل: أرض المقدسة، يرثها أي: ينزلها الصالحون من بني إسرائيل.

وقيل: أرض الشام يرثها أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم[٤].

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا [لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ]۝١٠٦﴾ ما يبلغ إلىٰ البُغْية، وقيل: البلاغ سبب الوصول إلىٰ الحق، وقيل: بلاغًا أي عبرة للموحدين، وقيل: في القرآن كفاية من الأمر والنهي للمتعبدين[٥].

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٤.

(٢) وهي قراءة حمزة (النشر ٢/ ٢٥٣).

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٤٧، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٤.

(٤) هذا القول في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٥، وقيل: أرض الجنة (تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٠).

(٥) البسيط ١٥/ ٢٢٩.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ لكافة الخلق، هو رحمة للمؤمنين: لأنه أخرجهم من الظلمات إلىٰ النار، ورحمة للكافرين: إذ لم يعذبوا ورسول الله فيهم.

﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾ ألم يأن وقت الإخلاص لله بالتوحيد، بمعنىٰ الأمر.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان بعد البيان ﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ﴾ أي: أعلمتكم حتىٰ[1] صرتم علىٰ أمر بيِّن، وقيل: أعلمتكم بالوحي لتستووا في الإيمان[2].

﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ من العذاب، يعني: ما أدري قُربه وبُعده.

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: العلانية من أقوالكم ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠﴾ فيها.

﴿وَإِنۡ أَدۡرِي﴾ ما أدري ﴿لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾ أي: تأخير العذاب بليّة لكم، واختبار ليظهر ما هو كائن منكم؛ فتستحقون الجزاء علىٰ العمل ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾ أي: منفعة لكم إلىٰ منتهىٰ آجالكم، وقيل: إلىٰ يوم بدر[3].

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ ادع يا محمد[4]: اقض بيننا وبين كفار مكة بالعدل، وهو هلاكهم ونجاتنا.

---

(١) في الأصل: حين، وقد تكرر منه تصحيف حتىٰ إلىٰ حين.

(٢) وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٤٠٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٦، البسيط ١٥/ ٢٣٣.

(٤) كتبها في الأصل: قل، وهي قراءة من سوىٰ حفص (النشر ٢/ ٣٢٥).

وقل[١] ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ أي: نسأل منه العون ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ من تكذيبكم بالعذاب علىٰ مخالفتكم الرسول وإنكاركم الرحمن.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي رضي الله عنه: بلغنا عن أُبي بن كعب عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الأنبياء حاسبه الله تعالىٰ حسابًا يسيرًا، وصافحته الأنبياء عليهم السلام، وسلَّم عليه كل نبي ذُكِرَ اسمه في القرآن»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) فصل بين الواو وربنا بقل.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٨/ ٩٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٨٨.

سورة الحج

مكية عند البعض، ومدنية عند البعض، وقيل: بعضها مكية وبعضها مدنية[١]، وهي ثمانٍ وسبعون آية في الكوفي[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ يعني: يا أهل مكة وحِّدوا ربكم، وقيل: اخشوه وأطيعوه فيما أمر ونهىٰ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١﴾ هائل فظيع، وقيل: هذه الزلزلة تكون والناس علىٰ ظهرها ثم يموتوا، وقيل: بعد طلوع الشمس من مغربها[٣].

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ أي تشتغل ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ أي: عن ولدها اشتغالاً بنفسها ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ وهذا يدل علىٰ أنَّ الزلزلة قبل يوم القيامة، وقيل: هو علىٰ وجه المثل[٤].

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ أيها الرائي، يعني: كسكارىٰ من ذهاب عقولهم ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾ فتحيروا.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: يخاصم في وحدانيته، وقيل:

---

(١) مكية عند مقاتل إلا عشر آيات (كما في تفسيره ٢/ ١٩٨)، وعند الثعلبي مكية غير ست (الكشف والبيان ١٨/ ٢٨٩) وعند الداني مكية غير أربع، وهي آيات المبارزة (البيان ١٨٩).

(٢) وأربع وسبعون في الشامي وخمس في البصري وست في المدني وسبع في المكي (البيان للداني ١٨٩).

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٧.

(٤) البسيط ١٥/ ٢٤٠.

كان يجادل في الملائكة وقال: هم بنات الله بغير حجة ولا برهان[1] ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ أي: يطيع كل شيطان متمرد في معصية الله.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ أي: قضىٰ علىٰ الشيطان المريد ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أطاعه في عبادة الأوثان ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ أي: يخطئه ويجهله ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ أي: يدعوه إلىٰ الكفر وعمل أهل النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ تأملوا في أول خلقكم ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني: من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: ماء الصُّلب ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم عبيط ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ قطعة لحم ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ مصوَّرة وغير مصوَّرة، وقيل: تامة وغير تامة[2] ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ نظهر لكم بدأ خلقكم وتحويلكم من خلق إلىٰ خلق حتىٰ سويناكم ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو خروجه من بطن الأم ما بين ستة أشهر إلىٰ سنتين ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ من الأرحام، والطفل يقع علىٰ الواحد والجمع ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم وتمييزكم، ما بين الثلاثين إلىٰ الأربعين، عن الزجاج[3].

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ من قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ يبلغ إلىٰ حال الخَرف والضَّعف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ أي لا يعقل بعدما كان عاقلاً.

ثم قال ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ جافة ميتة لا خضرة فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ يعني: المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ استبشرت بالماء واهتزازها تحركها وإنباتها

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٤٩.

(٢) وهو قول طائفة من السلف، كما في تفسير الطبري ١٨/ ٥٦٨.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤١٣.

﴿وَرَبَتۡ﴾ انتفخت للنبات، وهو من ربا يربو إذا زاد ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ أي: من كل صنف مبهج لمن يراه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ما وصف لكم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ لا شريك له في وحدانيته ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ في الآخرة، كما أحيا في الدنيا الإنسان والحيوان والأرض ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ من البعث وغيره.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ﴾ أي: لتعلموا أن القيامة كائنة ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في دين الله ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أي: بالباطل ﴿وَلَا هُدٗى﴾[١] أي: لا دليل له ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾ أي: مضيء حجته، وهو النضر بن الحارث[٢].

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ ملتوٍ عنقه من التكبر، ومُعرِضٌ عما دعي إليه.

وثاني: نصب على الحال، ومعناه التنوين[٣]. وعِطفَا الإنسان: جانباه، وقيل: العِطْف اسم لناحية الإنسان من قرنه إلىٰ قدمه[٤].

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: يزيل الناس عن دين الله ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ القتل ببدر ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي: يقال له وهو في النار: هذا العذاب بما أسلفت في كفرك، واعلم[٥] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠﴾ حتىٰ يعذِّبهم بغير جُرم.

---

(١) في الأصل: كتب هنا ولا كتاب، وهو سبق قلم.

(٢) كما في تفسير الطبري ١٨/ ٥٧٤.

(٣) وهو نص الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٤١٤، أي: ثانيا عطفه.

(٤) البسيط ١٥/ ٢٧٨.

(٥) فصل بين الواو وأن بـ: اعلم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ أي: علىٰ شك، وقيل: علىٰ ضعف في اليقين، كالقائم علىٰ حرف، والحرف: هو طرف الشيء.

وقيل: علىٰ انتظار رزق[١].

﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ في الإيمان، يعني: إذا أصابه خصب وسعة[٢] في العيش ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ أي: بلاء وشدة وضيق في العيش ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ رجع إلىٰ كُفره، وقال: بئس الدين هذا ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ ذهب ماله في الدنيا، وفات عنه الخير والثواب في الآخرة ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾.

وقيل: خسران الدنيا ترك الطاعات، وخسران الآخرة كثرة الخصوم والتبعات[٣].

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ أي: لا يضره في معاش إن عصاه، ولا ينفعه في الآخرة إن عبده ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢﴾ الخطأ البعيد عن الحق.

﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ معناه: يدعو من ضره[٤] أقرب، واللام لام التأخير، لأنه علىٰ التقديم والتأخير[٥].

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٥٧٥، وهم أعراب كانوا يقدمون علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مهاجرين من باديتهم فإن نالهم خصب ورخاء أقاموا علىٰ الإسلام وإلا ارتدوا علىٰ أعقابهم.

(٢) كررها في الأصل مرتين.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٧٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٥١.

(٤) في الأصل: نصره، وهو تصحيف، أحال المعنىٰ. وعلىٰ الصواب وردت في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٧.

(٥) حكاه الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٤١٥.

وقيل: إن قوله: «يدعو» معه هاء مضمرة، المعنىٰ: ذلك هو الضلال البعيد يدعوه، أي: في حال دعائه إياه، ويكون: «لمن ضره» مستأنفًا في موضع الرفع بالابتداء، وخبره: ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾ أي: بئس الولي الصنم، وبئس الخليط والصاحب(١).

فإن قيل: نفع الصنم وضرره منفيان في أول الآية، ثم أثبت الضرر في الآية الثانية؟

فالجواب -والله أعلم-: أنَّ معناه يدعو لمن الضرر من أجله إذا عبده أقرب من النفع لأجله، لأنه إذا عبده فضرره دخول النار، وهذا الضرر لم يصبه الصنم، ولكنه أصابه بفعله من الله مجازاة بسببه(٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ يحكم في خلقه ما يشاء من السعادة والشقاوة.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: من كان يظن من المنافقين أن الله لا ينصر نبيه بالغلبة في الدنيا والعز في الآخرة ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: يرسل بحبل من سقف بيته ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ أي: يختنق بنفسه حتىٰ يموت في غيظه، وقيل: فليمدد بسبب إلىٰ السماء أي يصعد علىٰ السماء إن استطاع، كقوله ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠﴾، ثم ليقطع الوحي من السماء(٣).

﴿فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾ أي: حيلته وصنيعه ما يغيظ أمر محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٥٧٨، البسيط ١٥/ ٢٨٩.
(٢) وقيل: إنما قال هذا علىٰ عادتهم، (تفسير أبي الليث ٢/ ٤٥١، تفسير السمعاني ٣/ ٤٢٥).
(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٥٨٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٥٢، وهذا القول هو الذي رجحه ابن جرير.

وقيل: إنَّ الآية نزلت في الحريص على الرزق الذي يشك في وصوله إليه، إنْ ظنَّ أن لن ينصره الله أي لا يرزقه؛ فليمدد بسبب إلى السماء، على ما مرَّ تفسيره، والنصرة تعبير عن الرزق، تقول العرب: نُصرت الأرض إذا مُطرت، والمعنى: أن العبد لا يصل بجهده إلى ما كتب الله له[1].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ فيه الأمر والنهي ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ برُشْدِه من يريد رشدَه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بحكمه وقضائه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: عالم بهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المؤمنين من الجن ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ بتركهم السجود لله عز وجل من كفار الجن والإنس ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ أي[2]: يخذله ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ليس له من يوفقه ويسعده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ من الإكرام والإهانة.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي: الفريقان من المؤمنين والكفار ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: في دين ربهم يوم بدر.

وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب وصاحبيه حمزة وعبيدة بن الحارث، وفي ثلاثة من الكفار: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قال علي وصاحباه

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد، (تفسير الطبري ١٨/ ٥٨٣، تفسير السمعاني ٣/ ٤٢٦) وبين القولين تلازم، ولا سيما أن السياق فيمن آمن على حرف، فإن الرزق من أسباب النصر، والله تعالى أعلم.

(٢) تصحفت في الأصل إلى: أن.

حين بارزوهم: هلموا إلىٰ الله وإلىٰ رسوله، فقال شيبة وصاحباه: صدق اللات والعزىٰ، فهذه خصومتهم(١).

وإنما قال: خصمان، ثم قال: اختصموا؛ لأنهما جمعان، ويجوز في اللغة أن يسمىٰ الاثنين باسم الجمع، كقوله في عائشة وحفصة: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ولم يقل: قلباكما(٢).

ثم ذكر جزاء كل فريق فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي: قُدِّرَت لهم قُمص من نار.

قال أبو سهل: سبحان من لم يدعهم في النار عراة.

﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩﴾ الماء الحار الذي انتهىٰ حرُّه.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾ أي: يذاب بذلك الحميم ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠﴾ من الشحوم والأحشاء والجلود، وينضج بما سال عليهم منه خارجًا من جلودهم(٣).

وقال الضحاك: يشرب من الحميم شربة ينسلخ منها جلده، ويتناثر لحمه، وسقطت أنيابه وأضراسه، وينضج صدره، ويخرج أحشاؤه من دبره.

﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١﴾ أي: لتعذيبهم مقامع في أيدي الزبانية، والنار تفور بأهلها كما تفور القدر، فإذا رفعهم لهبها ردتهم الزبانية بمقامعها، فذلك

---

(١) في صحيح البخاري: ٣٩٦٥، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة» وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة ، وفي صحيح البخاري ٣٩٦٦ ومسلم ٣٠٣٣ عن أبي ذر نحوه.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤١٩، البسيط ١٥/ ٣٢٩.

(٣) الكشف والبيان ١٨/ ٣٢٣

قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ بالمقامع، فهذا جزاء أحد الخصمين المذكورين في الآية.

وقال في الخصم الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ أقلبة من ذهب ﴿وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾ على رقة شقائق النعمان، يأتيه بها خادمه بين أصبعيه.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ وفقوا إلى القول الطيب في الدنيا: كلمة لا إله إلا الله ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ إلى دين الله، المحمود في فعاله. والصراط: هو الإسلام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دين الله ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ عطف المستقبل على الماضي، لأنَّ الكفر كان منهم سابقًا، والصدَّ منهم دائمًا، عن أبي سهل(١).

والمسجد الحرام: أي الكافرون هم الذين يصدون عن المسجد الحرام عام الحديبيَّة، وقوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ كافة، تمَّ الكلام(٢)، ثم ابتدأ فقال: ﴿سَوَآءٌ ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾(٣) أي: مستوٍ فيه المقيم في الحرم والغريب في تعظيمه وحرمته.

---

(١) نحوه عن الكسائي، كما في البسيط ١٥/ ٣٤٠، والزجاج كما في معاني القرآن له ٣/ ٤٢٠.

(٢) وهذا التمام عن الزجاج، في معاني القرآن ٣/ ٤٥٠، وغيره، إلا أنه تمام على قراءة: سواءٌ بتنوين الرفع، وهي قراءة الجمهور سوى حفص، فقد تفرد بتنوين النصب (النشر ٢/ ٣٢٦)، وذكر الثعلبي في الكشف والبيان ١٨/ ٣٢٧ أن روحا تابعه بذلك عن يعقوب.

فعلى قراءة هذين لا وقف، لأنه مفعول الجعل، والجعل يتعدى إلى مفعولين.

(٣) ضبط القراءة في الأصل: سواءٌ، كما سبق التنبيه عليه في التعليقة السابقة.

وقيل: سواء في أمنه، وقيل: في النزول في الدور سواء في أيام الموسم[١].

وعند أبي حنيفة بيع دور مكة لا يجوز خلافًا لصاحبيه[٢].

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ أي: يرد الإلحاد والظلم، وقيل: مَنْ إرادتُه فيه بأنْ يلحدَ بِظلم[٣].

وكان عبد الله بن أنس بن خطل[٤] القرشي قتل رجلاً من الأنصار، ثم هرب إلىٰ مكة مرتدًا، فلما كان يوم الفتح قيل: يا رسول الله، إنَّ ابن خطل تعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه، فقتلوه، والآية مدنية.

وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي سرح، ومِقيس، ارتدا [ولحقا][٥] بمكة فنزلت الآية.

قوله: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ يعني القتل.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ منزلاً له، والمبوأ: المنزل[٦].

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري ١٨/ ٥٩٥، الكشف والبيان ٣٢٨.

(٢) والعمل علىٰ قول الصاحبين عند جمهور العلماء، كما قال القرطبي (الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٣٢).

(٣) زاد المسير ٣/ ٢٣١.

(٤) في الأصل: حنظل في الموضعين، وهو تصحيف.

وفي الصحيحين (صحيح البخاري ١٨٤٦، وصحيح مسلم ١٣٥٧): عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، دخل عام الفتح، وعلىٰ رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال «اقتلوه».

وليس في الحديث أن ذلك سبب نزول الآية، والذي جعل القصة سبب نزول الآية هو مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٨٠.

(٥) في الأصل: وفحا.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٢.

وقيل: علَّمْنا إبراهيم مكان البيت، وذلك أنَّه أَنزل سحابةً تظل قدر حد البيت، فبنىٰ عليها إبراهيم، وقيل: هبَّتْ ريح يقال له الخجوج فكنست مكان البيت، فبناه إبراهيم علىٰ حده، ثم طاف به أسبوعًا[1]، فأوحىٰ الله إليه ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ الذي بنيته ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ من الغرباء ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ المقيمين بمكة[2] ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ من أهل الصلوات في الآفاق.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أي: ناد في الناس بالحج.

قيل: صعد أبا قبيس ونادىٰ، وقيل: قام علىٰ المقام وعلا صوته، وقيل: صعد فوق الكعبة وأدخل إصبعيه في أذنيه ثم نادىٰ: أيها الناس، إن الله عز وجل بنىٰ لكم بيتًا وأمركم أن تحجوه، فبلَّغ الله صوته من الشرق إلىٰ الغرب، وأجابه الخلق في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، فمن حج إليه اليوم فهو ممن أجابه يوم النداء[3].

---

(١) وهذا من تفسير الكلبي، كما صرح به الواحدي في تفسيره البسيط ١٥/ ٣٥٦، وانظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٤٥٦، تفسير السمعاني ٣/ ٤٣٣.

(٢) المشهور في تفسير القائمين: أنهم القائمون في صلواتهم، ولم يذكر الطبري عن أهل التأويل قولا سواه (تفسير الطبري ١٨/ ٦٠٤، الكشف والبيان ١٨/ ٣٤١، البسيط ١٥/ ٣٥٧).
وقد نسب هذا القول الذي حكاه المصنف إلىٰ قتادة، نسبه إليه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٣٢، واختاره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٥٦.
وقد روىٰ ابن جرير ١٨/ ٦٠٤، بإسناد صحيح عن قتادة أنه قال: والقائمين: القائمون المصلون. فنسبته إلىٰ قتادة خطأ، والصواب: أنه قول الكلبي، كما في تفسيره تنوير المقباس ٢٧٩، وقول مقاتل كما في تفسيره ٢/ ٣٨١، فهذا القول علىٰ التحقيق من الدخيل في التفسير المأثور، والله أعلم.

(٣) روي هذا من طرق عن ابن عباس، تفسير الطبري ١٨/ ٦٠٥، الكشف والبيان ١٨/ ٣٤١.
ومثل هذا لا يقال إنه من قبيل الإسرائيليات، لأنه من المعلوم أن اليهود والنصارىٰ لا يعظمون البيت ولا يحجونه.

﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ أي: مُشاةً علىٰ أرجلهم ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ من الإبل وغيرها أي: مهزول ﴿يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ أي: طريق بعيد، وهو العميق في البُعد لا في الغور[(١)].

﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ أي: ليحضروا متاجرهم، وقيل: المنافع المغفرة لذنوبهم لأنهم صَدروا عن عرفات بلا ذنب، وقيل: المنافع قضاء المناسك[(٢)].

﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ أيام العشر، وإنما يكون الحج في اليوم التاسع، ولكنه من أيام العشر، فأضاف إلىٰ الكل والمراد به البعض، كما يقال: فعلت كذا يوم كذا، وإنما فعل في بعض اليوم لا في كله، وهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ وأراد به سماء الدنيا، وأضاف إلىٰ السماوات[(٣)].

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ أي: يكبروا علىٰ أُضحيتهم ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ عدل عن المغايبة إلىٰ الخطاب، أي: كلوا من لحومها ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨﴾ الذي أصابه البؤس، أي: الشدة[(٤)].

وقيل: هو الزَّمِن المحتاج والفقير الذي ليس له شيء[(٥)].

---

(١) الكشف والبيان ١٨/ ٣٤٣.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٠٩، وقال: وأولىٰ الأقوال بالصواب قول من قال: عنىٰ بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عمّ لهم منافع جميع ما يَشْهَد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئًا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك علىٰ العموم في المنافع التي وصفت.

(٣) وهذا قول أكثر المفسرين كما في الكشف والبيان ١٨/ ٣٤٥، وقيل: المراد أيام التشريق، انظر: البسيط ١٥/ ٣٦٤.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٥٧.

(٥) وهي رواية العوفي عن ابن عباس ١٨/ ٦١١.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: يلقوا ما ركبهم من الوسخ؛ ووجب عليهم تنظيفهم بعد قضاء المناسك؛ وهو: حلق الرأس، وتقليم الأظفار، والأخذ من الشارب، وحلق العانة، ونتف الإبط، للخروج عن الإحرام(١).

والتفث: إذهاب الشعث(٢).

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ أي: ما نذروا من الهدي وغيره ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ يعني: العتيق من أيدي الجبابرة الذين قصدوه ولم يظفروا عليه، وقيل: أعتقه الله من الغرق حين رُفع إلىٰ السماء يوم الطوفان، وقيل: قديم(٣).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هو كذلك(٤)، ثم ابتدأ فقال ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ التي حرمها في الحج والعمرة ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ أي: ثواب له ومغفرة ﴿عِندَ رَبِّهِ﴾ وقيل: الحرمات أراد به ترك الجدال والفسوق ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ الإبل والبقروالغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في سورة المائدة ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ أي: النتن، أي: اتقوا الأوثان فإنها رجس ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ أي: الكذب والباطل.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ منصوب علىٰ الحال(٥)، أي: كونوا مخلصين لله بالتلبية ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: هو في البعد من الله كأنه

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٦١٢.

(٢) البسيط ١٥/ ٣٦٩.

(٣) وكل هذه الأقوال لها وجه صحيح، كما قرره ابن جرير في تفسيره ١٨/ ٦١٥، والزجاج في المعاني ٣/ ٤٢٤، فهي أقوال مؤتلفة وليست مختلفة، وصحيحة من صفة البيت شرَّفه الله وعظَّمه (الكشف والبيان ١٨/ ٣٤٩).

(٤) أو: الأمر ذلك (معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٤).

(٥) وكذا: غير مشركين به، حال (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٨).

سقط في السماء ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ اختلسه النسور ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ العاصف ﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١﴾ بعيد، معناه: لا ينال رحمة الله أبدًا، والكلام على وجه المثل(١).

﴿ذَٰلِكَۖ﴾ أي: ما أمر من اجتناب الأوثان هكذا(٢)، ثم ابتدأ وقال: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ۝٣٢﴾ يعني: يقصد إلى البدن أعظمها وأسمنها فإنها من إخلاص القلوب وصفاوتها ﴿لَكُمۡ فِيهَا﴾ أي: في البدن ﴿مَنَٰفِعُ﴾ من ركوبها وشرب ألبانها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ إلى أنْ يقلَّد ويسمَّى هديًا(٣) ﴿ثُمَّ

---

(١) وهذا قول أصحاب المعاني، وهو مروي عن قتادة وغيره، انظر: تفسير الطبري ١٨/ ٦٢٠، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٥، الكشف والبيان ١٨/ ٣٢٥٦.
وفيه أثر هو أولى أن يفسر به، فإنه يوسع المعنى فيحمله على الحقيقة لا على المثل فقط، وهذا من فوائد المأثور.
وهو حديث عذاب القبر الطويل، ففيه: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [سورة الأعراف:٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١﴾ فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري..»، الحديث، رواه أحمد (١٨٥٣٤).
(٢) وعليه فالوقف تام.
(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٦٢٣.

﴿مَحِلُّهَآ﴾ أي: منحرها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٣٣﴾ الكعبة إن كان ذلك للعمرة، وإن كان ذلك للحج فمنىٰ، ومِنىٰ وقد يعبَّر عنها بالبيت؛ لأنها من مكة، وقيل: الحرم كله محل[١].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ مذبحًا يذبحون فيه، قرئ: بالنصب والكسر[٢]، وقيل: جعلنا لهم عيدًا يتقربون فيه إلىٰ الله بذبح ذبائحهم[٣] ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عند الذبح ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فلا تذكروا عند الذبائح غير اسمه ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ أي: أخلصوا بالتسمية والتلبية، لأنَّ الكفار يذكرون الأصنام عند الذبائح والتلبية ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤﴾ المجتهدين في العبادة المتواضعين.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت قلوبهم، قيل: المخبت الذي سكن لهب شهوته، وخبت نار حدَّته، فهو بين يدي ربه في احتمال ما حمَّله ربه كالميت في أهله.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من المصائب والرزايا[٤] ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بشرائطها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾ يتصدقون، فهذه صفات المخبتين.

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ يعني الإبل البدنة بالسمن ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم﴾ أي: سخرناها لكم ﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: هي من علامات الحج ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ أي: ثواب، أي: في نحرها منفعة في الدنيا وثواب في الآخرة ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ معقولة

---

(١) وقيل: محل هذه الشعائر كلها حتىٰ تطوفوا بالبيت العتيق (التفسير الطبري ١٨/ ٥٢٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر السين، وقرأ الباقون بفتح السين (النشر ٢/ ٣٢٦).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٦.

(٤) تصحف في الأصل إلىٰ: والبرايا.

علىٰ ثلاثة قوائم مستقبل القبلة ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: وقعت لنحرها علىٰ الأرض ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أي: من لحمها ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ القانع: السائل، والمعتر: الذي يتعرض للمسألة ولا يسأل، وقيل علىٰ عكسه(١).

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا﴾(٢) أي: ذللناها ﴿لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ربكم بهذه النعمة.

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ أي: لا يصل إلىٰ الله من لحومها ومن دمائها ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ﴾ يصل إلىٰ الله ﴿التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ والإخلاص، قيل: كانوا إذا نحروا لطخوا البيت بالدم، وعلقوا به اللحم، فهمَّ المسلمون ذلك، فنزلت الآية(٣).

واعلم أن الله تعالىٰ إنما يصل إليه التقوىٰ والطاعة لا اللحم والدم.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ أي: ذللها ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أي: تعظِّموه علىٰ ما أرشدكم معالم دينه، وقيل: لتقولوا: الله أكبر علىٰ ما هدانا لدينه والحمد لله علىٰ ذلك(٤). ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ المحسنين لله بالجنة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: يدفع بأس كفار مكة عنهم، وقيل: إذا فعلتم هذا وخالفتم المشركين فإن الله يدفع عنكم بأسهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ لأمانة الله ﴿كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ بربه.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٦٣٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٦٠، البسيط ١٥/ ٤١٤.

(٢) في الأصل: فصل بين سخرنا وَ: ها؛ بالتفسير.

(٣) وهو من تفسير الكلبي كما في البسيط ١٥/ ٤١٩، وذكره في الكشف والبيان ١٨/ ٣٦٩ دون نسبة.

(٤) قيل: إنه عنىٰ بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم (تفسير الطبري ١٨/ ٦٤٢).

ثم أذن لهم بالقتال بعد الهجرة، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ أي[١]: أذن الله للمؤمنين بقتال المشركين بسبب[٢] ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ﴾ وقرئ: أَذِن للذين يقاتلون، بفتح الألف والتاء[٣].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ أي: على نصر المظلومين قادر.

ثم نعتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ﴾ الذين: في موضع الخفض، أي: أذن للذين أخرجوا ﴿مِن دِيَٰرِهِم [بِغَيْرِ حَقٍّ]﴾ بالظلم ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ أي: لم يخرجوهم من ديارهم إلاَّ لأجل توحيدهم ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ البعض الأول هم الكفار، والبعض الثاني هم الغزاة المسلمون ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ الرهابين ﴿وَبِيَعٌ﴾ النصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ اليهود أي: كنائسهم ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ المسلمين التي ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ﴾ لله تعالى ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾ أي: ليظفرن الله بالنُصرة على من خالف دينه الإسلام لِمَن ينصر دينه ويقوم بحقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على نُصرة من نصر دينه ﴿عَزِيزٌ ٤٠﴾ بالانتقام عن أعدائه.

والواو في: «ولينصرن الله»؛ للاستئناف واللام للتأكيد.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض المدينة، وهم المؤمنون ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ﴾ أي: الشرك والمعصية ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ٤١﴾ في الآخرة، إليه مرجع الكل فيجزيهم بأعمالهم.

---

(١) ضبطها في الأصل: يقاتِلون، بكسر التاء، وهي قراءة

(٢) فصل بين الباء وَ أنهم بكملة: سبب.

(٣) بالضم -كما أثبت- قراءة أبي جعفر ونافع وأبي عمرو ويعقوب وعاصم، وإدريس عن خلف بخلف، وقرأ الباقون: أَذِنَ (النشر ٢ / ٣٢٦).

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ خاطب رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ويعزيه، معناه: إن كذبك قومك بما تعدهم من العذاب ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٌ﴾ هودًا ﴿وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾﴾ صالحًا ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ﴾ إبراهيم ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾ لوطًا ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ شعيبًا ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كذَّبه القبط[1] ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ أي: كيف كان تغييري النعمة عليهم[2].

إن قال قائل: قد قال الله تعالىٰ في آية أخرىٰ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ وذكر هاهنا: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾؟

فالجواب: قالوا: لأنَّ الكفار يقولون له: محمد الصادق، ويقولون: هو صدوق اللهجة، لا يقولون هو كذوب، ولكن ينكرون ما معه من القرآن، ومعنىٰ قوله: «يُكذبوك» أي: يجحدون ما معك من القرآن.

ومعنىٰ قوله: «فقد كَذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود» فذكر قوم كل نبي، فإذا انتهىٰ الكلام إلىٰ موسىٰ قال: «وكُذِّب موسىٰ» ولم يقل: كذَّبه قومه، قيل: لأنَّ نوحًا أرسل لم يكن من قومه أحد مؤمن فكذَّبوه حتىٰ آمن معه قليل بعد ذلك، وكذلك كل نبي، وأما موسىٰ صلوات الله وسلامه عليه كان قومه بنو إسرائيل، وبنو إسرائيل كانوا مؤمنين استعبدهم فرعون، وأُرسل موسىٰ إلىٰ القبط فكذَّبوه، ولم يكذِّبه قومه وهم بنو إسرائيل، فهذا معناه، والله أعلم[3].

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾[4] بالعذاب ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ لأنفسها كافرة بربها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: ساقطة جدرانها علىٰ سقوفها ﴿وَبِئْرٍ

---

(١) في الأصل: القبطة.

(٢) البسيط ١٥/ ٤٣٧.

(٣) البسيط ١٥/ ٤٣٧.

(٤) في الأصل: أهلكتها، بالتاء، وهي قراءة

﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: كم بئر عطلت عن سكانها وأربابها، ليس عليها ساقٍ ولا مستقٍ، بعد ما كان عيشهم في الماء ﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾ وكم من قصر مشيد، مرفوع بالشيد، أي: الجص[1].

وأمَّا المُشَيَّد: بضم الميم ونصب الشين وتشديد الياء، فهو المطوَّل.

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني به أهل مكة، ألم يسافروا فيها بالتجارة ﴿فَتَكُونَ لَهُمۡ﴾ بعد السير والنظر والتأمل ﴿قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ المواعظ، حيث مروا بالحِجر وقُريات لوط ورأوا آثارها ﴿أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ﴾ الموعظة والتخويف ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي: أبصار الرؤوس لا تعمىٰ عن النظر ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي﴾ مسكنها ﴿فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ عن الاتعاظ.

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ وهو النضر وأصحابه ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ﴾ بإنزال العذاب ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ في الآخرة ﴿كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ في الدنيا.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا﴾ في مدتها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٞ﴾ لأنفسها كافرة ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُهَا﴾ بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٨﴾ المرجع إلىٰ مجازاتي.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٤٩﴾ بأنَّ العذاب نازل بكم إن لم تؤمنوا، وبينتكم بالغة تعرفونها.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ في الدنيا ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٥٠﴾ في الجنة.

---

(١) تفسير السمعاني ٣/ ٤٤٤. وعلىٰ هذا فليس المراد قرية بعينها، بل هو تذكير من الله بالقرىٰ التي أهلكها لكفر أهلها، وقيل: إنه أراد قرية حاصورا، وذكر الثعلبي قصتهم في الكشف والبيان ١٨/ ٣٨١.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: خاضوا في القرآن معاندين، وقيل: ظانين أنهم يعجزوننا(١).

وقرئ: معجِّزين، أي مثبِّطين لأنهم يثبطون الناس عن الإيمان به(٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥١﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ أي: إذا قرأ ألقىٰ الشيطان في قراءته كما ألقىٰ في قراءتك يا محمد، والقصة فيه معروفة، إن الشيطان ألقىٰ في قراءة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سورة النجم: «تلك الغرانيق العلا، ومنها الشفاعة ترجىٰ».

وقيل: إنَّ رسول الله لم يقرأ ذلك ولكن الشيطان قرأ عند وقف رسول الله علىٰ رأس الآية، بصوت كان يشبه صوت رسول الله، فلما أخبره الأصحاب بذلك حزن رسول الله، فجاء جبريل بهذه الآية تطييبًا لقلب(٣).

---

(١) كلا القولين في تفسير الطبري ١٨/ ٦٦١، والكشف والبيان ١٨/ ٣٨٦.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو : معجِّزين، بدون ألف، وقرأ الباقون: معاجزين (النشر ٢/ ٣٢٧).

(٣) وهذه القصة مشهورة عند أهل التفسير، وهي مروية عن طائفة من السلف، كمحمد القرظي ومحمد بن قيس وأبي العالية وسعيد بن جبير والضحاك وابن عباس من رواية العوفي، أخرج هذه الروايات كلها ابن جرير في التفسير ١٨/ ٦٦٦، وليس معنىٰ هذه الروايات أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قرأ بلسانه: وإنها الغرانيق العلىٰ وإن شفاعتهن لترتجىٰ، بل ألقاها الشيطان في مسامع كفار قريش بصوت يشبه صوته، فظنوا أن ذلك من قراءة رسول الله، ولا محظور في ذلك، فالآية تقول: إن سنة الله في المرسلين أن يلقي الشيطان شيئا في قراءتهم؛ ابتلاء وامتحانا منه سبحانه وتعالىٰ، لكن المحظور أن يُزعم أن ذلك جرىٰ بلسان النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فهذا ما لم يكن، والآية ترده وتحكي ما حصل، وهو قوله: «ألقىٰ الشيطان في أمنيته»، فنسب الإلقاء إلىٰ الشيطان لا إلىٰ الرسول. والتمني هنا هو التلاوة لا غير، حتىٰ يمكن الإلقاء فيها، والله أعلم.

فالرسول: المرسل، والنبي: الذي حُدث نومًا أو إلهامًا، والرسول قد كان نبيًا، مثل رسول الله، والنبي لا يكون رسولاً.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ على ألسنتهم أي[1]: يوقعه على تلك الحالة ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يثبت آياته المنزلة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يلقي الشيطان ﴿حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ برفع ما ألقاه إحكام آياته.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ على لسان محمد ﴿فِتْنَةً﴾ بلية ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: فتنة أيضًا لليابسة قلوبهم عن التوحيد ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ اختلاف بعيد عن الحق.

ثم ذكر المخلصين ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أكرموا بالتوحيد ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ تخلص له قلوبهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤﴾ أي: دينه الإسلام.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: كفار مكة ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في شك ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾ يوم بدر، وقيل: يوم القيامة، سماه عقيمًا لأنه لا خير لهم فيه ولا راحة[2].

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين المؤمنين والكافرين ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦﴾ يتنعمون فيها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد الله ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥٧﴾ يهانون فيه.

---

(١) في الأصل: أن.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٧٢، الكشف والبيان ١٨/ ٣٩٥.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وتركوا ديارهم وأموالهم ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ في المعركة ﴿أَوْ مَاتُواْ﴾ على فراشهم بعد الهجرة ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ في الجنة، وقيل: يؤتون من تحف الجنة على الموت وخروج الأرواح ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨﴾ حين رزقهم السعادة في سبيله، الجنة في الآخرة.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ﴾ يفرحون به حيث بذلوا دماءهم لله حين قتلوا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بما نووا في الهجرة ﴿حَلِيمٌ ٥٩﴾ عن الكفار إذ لم يعجل بعقوبتهم.

﴿ذَٰلِكَۖ﴾ أي: الأمر كما قصصنا عليكم ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ أي: من اقتصَّ من الجارح بمثل ما جرح به أو قَتل بمثل ما قُتل به حميمه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظلم عليه بما أخذ من القصاص ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ والبغي عليه: أن [يحمي][1] أولياء القتيل الثاني فيقتلوا أولياء القتيل الأول، أو يظلموا عليهم بأخذ الدية وغيرها[2]؛ فلينتظر المظلوم نصرة الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ٦٠﴾ أي: عفوًا لم يعجِّل بعقوبته، غفور: يقبل توبتهم إن تابوا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر لكم من لطفه ونظره للعباد لتعلموا[3] ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ فلمَّا قدر على إيلاج[4] أحدهما في الآخر[5] قدَر على نصرة المؤمنين وإظفارهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾

---

(١) صورتها في الأصل: نحني.

(٢) في الأصل: وغيره.

(٣) وذلك هنا ليس الوقف عليها بتام، لارتباطها بما بعدها، فهي تختلف عن ذلك التي سبقت في هذه السورة الكريمة.

(٤) في الأصل: الإيلاج.

(٥) في الأصل: أخرهما في الأجر، وهو تصحيف عجيب.

بمقالة العباد ﴿بَصِيرٌ ۝٦١﴾ بأعمالهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ لاشك فيه ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ في ارتفاعه أعلىٰ من كل شيء ﴿ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ لا شيء أكبر منه ولا يعجزه شيء.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ رفع «فتصبح» لأنَّ قوله: «ألم تر» استفهام بمعنىٰ التنبيه والواجب بمعنىٰ الخبر[١]، معناه: اعلم أنَّ الله ينزل من السماء ماءً فتصبح فتكون الكلمتان علىٰ الاستقبال.

وقيل: قوله «فتصبح» معناه: فأصبحت، فتكون الكلمتان علىٰ الماضي والمستقبل، إذا كان بمعنىٰ الماضي يكون رفعًا كقوله تعالىٰ: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ علىٰ مذهب من قرأ بالرفع[٢]، معناه: حتىٰ قال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝٦٣﴾ أي: لطيف باستخراج النبات، خبير عالِم بمكانها في الأرض، وقيل: باستخراج الخفيات في أوقاتها، واللطيف: المختص بدقائق التدبير الذي لا يخفىٰ عليه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: قد رأيت ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: سخر الفُلك في حال جريها في البحر بأمره ﴿وَيُمْسِكُ

---

(١) وهذا قول الخليل، قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ فقال هذا واجبٌ ومعناه التنبيه كأنَّه قال: أَتَسْمَعُ؟ أَنْزَلَ الله من السماء ماء، فكان كذا وكذا.

قال الزجاج: وقال غيره مثل قوله، قال: مجاز هذا الكلام مجاز الخبر كأنه قال: الله ينزل من السماء ماء، فتصبح الأرضِ مخضرةً. (معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٩، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٣٦، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٤).

(٢) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب (النشر ٢/ ٢٢٧).

﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ في الهواء ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ إلا أنْ يأذن لها[١] بالوقوع يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ يزينهم في النعمة، ويرحمهم في الآخرة إن وحَّدوه في الدنيا، ثم زاد في ذكر المنَّة فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ من النُطف ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الناسي الجاهل ﴿لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ بربه ونعمه.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: لأهل كل ملة ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ عيدًا ينسكون فيه ضحاياهم ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ أي: ذابحون له ومستنون به ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: لا يغلِبُنَّك في المنازعة.

ومنازعتهم: أن قالوا: ما قتله الله أولىٰ بالأكل [من] ما قتلتم[٢].

وقال قائل: لِمَ قال لا ينازعنَّك، وهم قد نازعوه؟

نقول: إنَّ المعنىٰ أن الرسول نُهيَ عن منازعتهم، ومثل هذا يكون جائزًا في فعل يكون بين اثنين، لأنَّ فعل الاثنين لا يتم إلا بهما، فإذا انتهىٰ أحدهما امتنع الفعل، والمراد من المنازعة هي المجادلة، وذلك فعل الاثنين، ومثل هذا النهي لا يجيء في قوله: لا يضربنَّك فلان، لأنه فعل الواحد، إلا إذا قال: لا يضاربنَّك فلان.

[وقرئ: فلا ينزِعُنَّك][٣]، أي لا يغلبنَّك، يقال: نازعته فنزعته[٤].

---

(١) في الأصل: يأذنها.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٨٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٦٩، الكشف والبيان ١٨/ ٤٠٣، البسيط ١٥/ ٤٩٠.

(٣) مكانه في الأصل: "ومن هذا فلا ينازعنك" وهو تصحيف شنيع، يفسد السياق، والمصنف قد صدر عن معاني القرآن للزجاج، ومنه أقمت النص، وعليه يصح السياق، وما ذكره من تضعيف القراءة.

(٤) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٣٧، وانظر: البسيط ١٥/ ٤٩٠.

وهذه القراءة لم يرض بها بعض أهل العلم[(١)].

﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ أي: إلىٰ توحيده ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾ لعلىٰ دين قائم، لأن كل دين غير الإسلام باطل.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ في الدين والذبيحة ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨﴾ فيعاقبكم علىٰ ذلك.

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾ في الدين، نسختها آية السيف.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ معناه أعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ وهو اللوح المحفوظ، مع علم الله عز وجل به ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ أي: علم الله من غير الكتابة عليه ولكن ذكر الكتابة لتأكيد الحال.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ أي: بعبادته كتابًا وحُجّة ﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٌۗ﴾ أي: يعبدون أصنامًا بالجهل ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١﴾ يمنع العذاب عنهم.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ يعني القرآن ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ وهو إنكار القرآن أنه من الله ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ﴾ بالشدة والسطوة ﴿بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ﴾ أي: قل لهم: إن أنكرتم نزول القرآن ونبوة محمد صلىٰ الله عليه وسلم؛ أفلا أنبئكم بشر مما أنكرتم؟ فقالوا: ما هو؟ قال ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٢﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ﴾ أي: يا أهل مكة شُبِّه لأصنامكم مثل

---

(١) نقد القراءة من زيادات المصنف، وهي قراءة شاذة، ذكرها أبو البقاء في التبيان ٢/ ٩٤٨، والسمين في الدر المصون ٨/ ٣٠٤، ونسبها لأبي مجلز.

﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام آلهة ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ ولا يستطيعوا علىٰ ذلك ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ أي: لو اجتمعوا كلهم لخلق الذباب، ثم ذكر أمارة ضعفهم فقال: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ وذلك أنهم كانوا يلطخون الأصنام بالعسل، ويضعون الطعام بين أيديهم، فتأكل الذباب من ذلك ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ أي: عجز الكافر العباد، والصنم المعبود[1].

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته، وما وصفوه حق صفته، وما عظَّموه حق عظمته، حين أشركوا به من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ ومعبودهم ضعيف ﴿عَزِيزٌ ٧٤﴾ في مُلكه وسلطانه، معبودهم ذليل، ليس للأصنام قوة ولا منعة[2].

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ أي: جبريل وميكائيل ﴿رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ لرسالته حين اختارهم لذلك وبعثهم إلىٰ خلقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لأقوال العباد ﴿بَصِيرٞ ٧٥﴾ بأعمالهم.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ﴾ أي: الملائكة والرسل، وإن كانوا من جملة المصطفَين، وإن كانوا لا يعلمون شيئًا إلا بتعليم الله لأنهم محدَّثون ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦﴾ أي: له الملك آخرًا كما له المُلك أولاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ وحده ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ في كل وقت وقدموه لأنفسكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ لكي تكونوا علىٰ رجاء رباح وسعادة.

---

(١) الكشف والبيان ١٨/ ٤٠٦.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٨٦.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ أي: جاهدوا أنفسكم وأهواءكم في مخالفتها في ذات الله عز وجل، ومعنىٰ: حق جهاده؛ أي: حق ما يجب عليكم من الجهد في أمره، بقدر طاقتكم، وقيل: هي كلمة حق عند سلطان جائر[١].

ثم مدح المؤمنين فقال: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ اصطفاكم واختاركم لدينه؛ قبل أن تكونوا ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ أي: ضيق، ولا يكلفكم ما لا تطيقون، رخَّص لكم الإفطار في السفر، والقصر في الصلاة، والقعود عند العجز عن القيام.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ أي: اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم[٢] ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ أي: الله سمَّاكم المسلمين[٣] ﴿مِن قَبۡلُ﴾ نزول القرآن في التوراة والإنجيل ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ يعني: في القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ مزكيا[٤] لهم بالتصديق ﴿وَتَكُونُواْ﴾ يا [أمة][٥] محمد ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ أي: علىٰ الأمم الماضية، تشهدون للرسل بالرسالة عند جحود قومهم.

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخمس ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ تمسكوا بدينه الإسلام وتوكلوا عليه ﴿هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ أي: وليكم وناصركم ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ مولاكم عند العصمة به ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ الناصر في الدنيا والآخرة لمن أراد نصره.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٦٨٨.

(٢) وقيل نصبت بنزع الخافض، تفسير الطبري ١٨/ ٦٩١، معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٤٠.

(٣) وقيل: الضمير كناية عن إبراهيم، أي: إبراهيم سماكم المسلمين، وهذا قول ابن زيد، ورده ابن جرير و قال: لا وجه له (تفسير الطبري ١٨/ ٦٩٢).

(٤) في الأصل: مركنا، وهو تصحيف.

(٥) سقطت من الأصل، ولا بد منها لتصحيح السياق.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي رضي الله عنه: بلغنا عن أُبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج أو اعتمر فيما مضىٰ وفيما بقي»[1].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٨/ ٢٩٠، فضائل القرآن للمستغفري ١١٨٩، ووقع في الأصل تصحيف، أقمته من المصدرين.

سورة المؤمنين

(١)مكية كلها(٢)، وهي مائة آية وثمان عشرة آية في الكوفي، وتسع عشرة في البصري وفي المدني(٣).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ قال ابن عباس: سعد الموحدون وفازوا ونجوا(٤).

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ متواضعين لا يعرفون من علىٰ يمينهم ولا من عن شمائلهم، هكذا روي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(٥).

وقال الحسن: الخاشعون الذين لا يرفعون أيديهم إلا عند تكبيرة الافتتاح(٦).

---

(١) للمفسرين في إضافة هذه السورة ونحوها مذهبان، منهم من يجري عليها قواعد النحو، فيقول كما قال المصنف: سورة المؤمنين، سورة المنافقين، ومنهم من يحكيها فيلزمها الواو، فيقول: سورة المؤمنون، والأمر في ذلك هين.

(٢) الكشف والبيان ١٨/ ٤٢١، البيان في عد آي القرآن ١٩١، وقد ثبت أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأها في صلاة الفجر بمكة (صحيح مسلم ٤٥٥).

(٣) والشامي كذلك، البيان في عد آي القرآن ١٩١.

(٤) وهو من تفسير الكلبي فيما يظهر، لذكره في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٣، وروي كذلك في سؤالات ابن الأزرق عن (الدر المنثور ٦/ ٨٣).

(٥) وهذا مروي عن الزهري من قوله، كذا ذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٧٣ .

(٦) غريب لم أقف عليه في كتب التفسير التي بين يدي، وروىٰ الطبري ي تفسيره ١٩/ ٨ عنه أنه قال: كان خشوعهم في قلبهم، فغضوا بذلك البصر، وخفضوا الجناح. وقال: خاشعون: خائفون.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ اللغو: هو الشتم والأذىٰ، إذا سمعوا من كفار مكة أعرضوا، واللغو علىٰ ثلاثة أوجه:

أحدها: الزور والبُهتان والكذب.

والثاني: الغناء والغزل.

والثالث: أحاديث الدنيا ما لا يعنيه الخوض فيها[(١)].

وقيل: هم الذين للحلف بالباطل والكذب تاركون، إذا اطلع الحق علىٰ سرائرهم خشعت له أبدانهم، وتواضعت لعظمته أركانهم، شغلتهم صلاتهم عن من دونه، واستأسرهم عن أنفسهم فأعرضوا عن من سوىٰ الله.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾ أي: مؤدون أداء الصدقة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ﴾ عن الفواحش ﴿حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ أي: من أزواجهم الأربع[(٢)] ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ من الإماء ما شاء غير معدود ﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦﴾ في مباضعتهنَّ ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد نسائه الأربع وولائده، أي: جواريه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧﴾ المعتدون الجائرون.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨﴾ أي: يرعون حق الأمانات التي اؤتمنوا عليها وحق العهود.

---

(١) ويجمع ذلك كله أن اللغو هو الباطل، وبذلك جاء التفسير عن السلف (تفسير الطبري ١٩/ ١٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٣، الكشف والبيان ١٨/ ٤٤٢) وهذا اسم يشمل كل ما ذكر، فالمعاصي من الباطل، والغناء منه، والكذب منه، زكثيرمن أحاديث الدنيا منه.

(٢) تفسير علىٰ بـ: من قول أصحاب المعاني، انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣١، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦، البسيط ١٥/ ٥٢٤ ، وهو معنىٰ قول أهل التأويل من السلف (انظر أقوالهم: في تفسير الطبري ١٩/ ١١).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ ومحافظتها: أداؤها في وقتها.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي عفا الله عنه: بلغنا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «ما من عبد إلا وبينه وبين الله عهد ما أقام الصلاة في وقتها، وآثرها علىٰ غيرها، معرفة لحقها، فإن هو آثرها[١] استخفافًا لحقها، وآثر غيرها عليها؛ برئ الله تعالىٰ إليه من عهده ذلك، ثم كان في مشيئة الله إما أن يعذِّبه وإما أن يرحمه»[٢].

﴿أُولَٰئِكَ﴾ أهل هذه الصفة ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠﴾ أي: ورثوا الجنة من الكفرة بتصديقهم، وصلاتهم، وخشوعهم، وإعراضهم عن اللغو، وأداء الأمانات، وحفظ الفروج، وهذا حُسن ثناء من الله عز وجل.

ثم بيَّن الميراث ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ وهو البستان بلغة الروم، عن الكلبي[٣]. وهي أدنىٰ الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ دائمون ولا يخرجون.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ يعني: الكافر المكذِّب بالبعث ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾ وهو المني ينسلُّ من عَجب الذنب، ومن عروق الصُّلب، فلا شيء أسرع منه إلىٰ الرحم. والسلالة: ما كان الولد منه[٤].

---

(١) كذا في الأصل، ولعله: تركها.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وهو معنىٰ أحاديث مشهورة، مثل حديث بريدة: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» رواه أحمد (٢٢٩٣٧)، وحديث عبادة بن الصامت: «خمس صلوات كتبهن الله علىٰ العباد من أتىٰ بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له» رواه أحمد (٢٢٦٩٣).

(٣) الكشف والبيان ١٨/ ٤٥٢.

(٤) قال الطبري: السلالة المستلة من كل تربة، وكذا كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض (تفسير الطبري ١٨/ ١٤).

عن الضحاك: من سلالة ﴿مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ يعني من مني خرج من آدم[١].

وقال مقاتل: يعني بالإنسان آدم، خلقه من سلالة وهو ما انسل من بين الأصابع إذا عصر الطين[٢].

والأول أعجب لأنَّ الولد يسمىٰ سليلاً، فما يكون الولد منه سلالة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ أي: قطرة ماء ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣﴾ في حرز حريز، وهو الرحم.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أي: حوَّلنا النطفة الممشوجة بالنطفة الصفراء من ماء المرأة: علقة حمراء ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحم لا عظم فيه ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ لطافًا هيّن المكسر ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ أي: غطَّيناه به ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ ذكرًا وأنثىٰ، وقيل: هو نبت الشعر، وقيل: نفخ الروح[٣] ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ أي: تعالىٰ الله واستحق التعظيم لأنه لم يزل ولا يزال أحسن الخالقين، أي: أحكم المقدرين وأحسن المصورين، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ ثم قال في الآخرة ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾.

وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب هذه الآية لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فلمَّا انتهىٰ إلىٰ قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عجب من تفصيل خلق الإنسان، فجرىٰ علىٰ لسانه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: اكتب فإنه وحي هكذا أنزل، فشكَّ عدو الله وكفر، وقال: لئن كان محمدًا صادقًا فيما يقول ليوحىٰ إليَّ كما يوحىٰ إليه، وإنْ كان

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٥.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٩٣.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١٧، ورجح أنه نفخ الروح.

كاذبًا فقد قلت مثل ما قال، فرجع إلىٰ مكة كافرًا[١].

وذكر محمد بن شحمة الهروي في تفسيره: أنَّ هذه القصة كلها لا تصح، لأن هذه السورة كلها نزلت بمكة، وعبد الله بن سعد أسلم بالمدينة بعد الهجرة، وارتد ورجع إلىٰ مكة كافرًا[٢].

﴿ثُمَّ إِنَّكُم﴾ يا بني آدم ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ التخليق ﴿لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ إذا انقضت آجالكم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ الجزاء.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ﴾ أي: فوق رؤوسكم ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سبع سماوات، كل سماء طريقة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ۝١٧﴾ ساهين عن حفظهم.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرًا ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي مقدار.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزلت قطرة من السماء إلا بقدر معلوم، مع كل قطرة ملك يضعها موضعها[٣].

﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أدخلناه في الأرض في جِنانكم وأنهاركم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ۝١٨﴾ أي: نقدر علىٰ إذهابه من الأرض حتىٰ يغور فيها.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم﴾ أي: أنبتنا بالمطر ﴿جَنَّاتٍ﴾ يعني الخضرة ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ بعد النخيل والأعناب ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: من الجنان

---

(١) هذا الخبر من رواية الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٩، الكشف والبيان ١٨/ ٤٦٨، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١١٠. وفيه النقد الآتي.

(٢) وهذا من النقد العالي، وبمثل هذا النقد ردوا حديث معاذ أنه وافق النبي صلىٰ الله عليه وسلم في ختم هذه الآية، وقد روي أن عمر وافقه في لفظها، وكل ذلك لا يصح (انظر: تفسير ابن كثير ٥/ ٤٦٩).

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ١٧/ ٨٤ عن الحكم بن عتيبة، ولم أقف عليه من قول ابن عباس.

﴿تَأْكُلُونَ ۝١٩ وَشَجَرَةً﴾ نصب عطفًا على أنشأنا ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ قيل: هو كل جبل ذي شجر.

وقال مجاهد: الطور الجبل، والسيناء هي الحجارة(١).

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ أي: تنبت ومعه الدهن(٢) ﴿وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ ۝٢٠﴾ إدام لهم.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ أي: معتبرًا للجاحدين بالتوحيد ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ من اللبن الصافي ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ سوى شرب ألبانها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٢١﴾ من لحومها.

﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: على الإبل خاصة ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ تسيرون.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٢٣﴾ توحدون الله.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يتطوَّل عليكم بادِّعاء النبوة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ مختصر معناه: ولو شاء الله أن يرسل رسولاً إلينا لأرسل ملائكة من السماء ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي يقول نوح ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: انتظروا به ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ۝٢٥﴾ أي: حتى يموت فتنقطع مقالته، وقيل: إلى أن يتبين صدقه(٣).

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٧. وعنه قول آخر رواه ابين أبي نجيح وابن جريج، وهو: طور سيناء: المبارك (تفسير الطبري ١٩/ ٢١).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٠.

(٣) حتى حين: أي إلى وقتٍ ما، ولم يعنوا بذلك وقتا معلوما، إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم ما (تفسير الطبري ١٩/ ٢٦).

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِى﴾ بالانتقام عنهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦﴾ أي: بتكذيبهم إياي.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ بجبريل ﴿أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ بمنظر منا ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أي: أمرنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ أي: عذابنا ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي: نبع الماء من أسفل التنور ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾ أدخل في الفُلك، والهاء راجعة إلىٰ السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي: من كل حيوان صنفين ذكرًا وأنثىٰ ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ أي: أَدْخِل أهلك فيها ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ﴾ أي: وجب عليهم السخطة بالعذاب، وهو ابنه كنعان، وزوجته المنافقة ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: لا تراجعني بالدعاء في الذين كفروا ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾ بالطوفان.

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي: استقررت أنت ومن آمن معك في السفينة ﴿فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨﴾ الكافرين ولم يغرقنا معهم(١).

﴿وَقُل﴾(٢) حين تخرج من السفينة وتنزل منها ﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِى مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩﴾ أي: مكانًا ذا بركة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ أي: في هلاك قومه لآيات لمن بعده ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠﴾ أي: قد كُنَّا لمختبرين الخلق بالطاعة والمعصية، وقيل: كُنَّا مانِّين علىٰ نوح بالنجاة(٣).

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١﴾ وهم قوم هود ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ وهو هود ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢﴾ أي: اتقوه.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٩.

(٢) في الأصل: وقيل، وهو تصحيف، ظنه قولا آخر.

(٣) والقول الثاني غريب، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٢٨، الكشف والبيان ١٨/ ٤٩٠

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وهو البعث ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: نعَّمناهم، والإتراف: التنعُّم في ضروب اللذات[١] ﴿مَا هَٰذَآ﴾ يعنون هودًا ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما دعاكم إليه ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ مغبونون ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أحياء من القبور ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ بُعدًا بُعدًا[٢]، أي: بعيد هذا الذي يقول ولا يكون أبدًا.

وقرئ: هيهاه هيهاه[٣]، وقف بالهاء، وأصله من: [هيهيات][٤]، ومعناه بعْد الأجر جدًا.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: تموت الأحياء وتحيا الأبناء ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ كما يزعم هود.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حيث زعم أنه رسول الله ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ هود ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾ أي: أعنِّي بالعذاب بتكذيبهم إياي[٥].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٢٩، الكشف والبيان ١٨/ ٤٩١.

(٢) وهو تفسير ابن عباس في رواية علي عنه، قول قتادة، ولا خلاف بين المفسرين في ذلك (تفسير الطبري ١٩/ ٣٠، البسيط ١٥/ ٥٨٧٢).

(٣) ذكره أبو البقاء في التبيان ٢/ ٩٥٥، وهي قراءة شاذة، وكل القراء على فتح التاء فيهما سوى أبي جعفر فبالكسر (النشر ٢/ ٣٢٨)، وأما الوقف: فوقف الكسائي والبزي وقنبل بخلف بالهاء، والباقون بالتاء (النشر ٢/ ١٣٢).

(٤) في الأصل: ها هي يها هي، وهو تصحيف، وما أثبته من المحتسب لأبي الفتح بن جني ٢/ ٩١، ومنهم من يقول: هايهات بزيادة الألف (تاج العروس٣٦/ ٥٥٧).

(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٣٢.

﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ ﴿عَمَّا قَلِيلٖ﴾ أي: بعد أيام ﴿لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾ علىٰ كُفرهم ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني صوت جبريل، وقيل: الريح العقيم[١] ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ﴾ وهو الشيء البالي من نبات الأرض[٢]، يحمله السيل، وأراد به المتلاشي ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾ الكافرين.

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ۝٤٢﴾ أي: قرنًا بعد قرن، أمة بعد أمة ﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٤٣﴾ بعد أجلها طرفة عين.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ﴾ مردفين بعضهم علىٰ إثر بعض، وأصله: وترىٰ قلبت الواو لكراهتهم الواو، وزنه: مثل شكوىٰ، والواو تبدل بالتاء في كلام العرب، كما قالوا في: تراث، وأصله: وراث، وتجاه أصله: وُجاه[٣].

وقيل: تترىٰ معناه: منقطعة متفاوتة، وأصله الوتر وهو الفرد عن الجميع[٤].

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ﴾ كما كذَّبوك قومك يا محمد ﴿فَأَتۡبَعۡنَا

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٠، الكشف والبيان ١٩/ ٣٢.

(٢) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٣. وانظر: تفسير الطبري ١٩/ ٣٣، البسيط ١٥/ ٥٨٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٠٦، البسيط ١٥/ ٥٨٩.

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٦٣: وقرأت علىٰ شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ومما تضعه العامة غير موضعه قولهم: تواترت كتبي إليك، يعنون: اتصلت من غير انقطاع، فيضعون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط، إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه، وهو التفاعل من الوتر، وهو الفرد، يقال: واترت الخبر، أتبعت بعضه بعضا، وبين الخبرين هنيهة، قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ﴾ أصلها «وترىٰ» من المواترة فأبدلت التاء من الواو، ومعناه منقطعة متفاوتة، لأن بين كل نبيين دهرا طويلا، وقال أبو هريرة: لا بأس بقضاء رمضان تترىٰ، أي: منقطعا، فإذا قيل: واتر فلان كتبه، فالمعنىٰ: تابعها، وبين كل كتابين فترة.

﴿بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ بالهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ عبرًا لِمن بعدهم يتحدثون بحديثهم ﴿فَبُعْدًا﴾ بالعقوبة ﴿لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ بالله ورسوله.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ حجة ظاهرة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ من القبط ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ طاغين متكبرين.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ موسىٰ وهارون ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ مسخَّرون ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ المغرقين في اليم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ من الضلالة.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ واحدة ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ بعد ما فرَّ بهما يوسف بن يعقوب بن ماثان[1] من المَلِك.

﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ من الأرض أي: مكان مرتفع ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ ذات مستقر وماء جارٍ ظاهرٍ علىٰ وجه الأرض، يعني: الأرض المقدسة، وأنه كبد الأرض.

---

(١) المعروف بيوسف النجار، وذكره في القصة من قبيل الإسرائيليات، ولم يذكر القرآن يوسف النجار هذا، ولا السنة المطهرة، بل ذكره في قصة مريم وكفالته للمسيح يخالف ما عندنا من الكتاب، من جهة أن مريم البتول لم تتزوج، وهي زوجة نبينا في الآخرة، وقد اختلف اليهود والنصارىٰ في شأن يوسف، فاليهود يقذفون مريم البتول به، والنصارىٰ يسمونه مربي المسيح، وقد يمكن أنهم لا ينكرون أنه تزوج من مريم، فإن بعض طوائفهم يحتفلون بعيد الأب في يوم تذكار القديس يوسف، مما يدل علىٰ اعتقادهم أنه والد المسيح.
وما ورد في التفسير من شأن يوسف النجار، فقد رواه بعض من عرف بأخذ التفسير عن الأحبار، أو مَن هو متروك في باب الرواية، كالكلبي ومقاتل وابن إسحاق، ولم أره من وجه صحيح عن ابن عباس ولا عن أحد من الصحابة، والله تعالىٰ أعلم (انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٤٤).

وقال الضحاك: غوطه دمشق من أرض الشام[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ يعني: النبي صلىٰ الله عليه وسلم وحده[٢]، ذكره بلفظ الجمع تعظيمًا له[٣] ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات من الرزق ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ من الصلاة والصيام، فالطيب: ما عري عن الخصومات، والصالح: ما عري عن المراءات.

﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١﴾ أجازيكم عليه.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ منصوب علىٰ الحال، أي: في حال اجتماعهم علىٰ الحق، ومعناه: ملَّتُكم ملة واحدة عليها كان الأنبياء والمؤمنون ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ أي: وحِّدوني.

---

(١) قول الضحاك في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ١٨/ ٥٠٤، ورواه كذلك عن عبد الله بن سلام، وهو قول سعيد بن المسيب، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٣٨، ونسبه ابن الجوزي إلىٰ ابن عباس من طريق عكرمة، كما في زاد المسير ٣/ ٢٦٤.

(٢) وقيل: المراد عيسىٰ عليه السلام، أي قلنا لعيسىٰ، وهذا الذي لم يذكر الطبري والثعلبي سواه (تفسير الطبري ١٩/ ٤٠، الكشف والبيان ١٨/ ٥٠٩).
لكن حكىٰ السمعاني عن مجاهد وقتادة والسدي وجماعة أن المراد من قوله: يا أيها الرسل هو محمد صلىٰ الله عليه وسلم (تفسير السمعاني ٣/ ٤٧٨).
وهذه الأقوال لم أجدها، ولا ذكرها السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٢، بل ذكر أن ابن المنذر روىٰ عن مجاهد قوله: هذه للرسل.
ونقل السيوطي عن حفص بن أبي جبلة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مرسلا أنه قال: ذاكم عيسىٰ، وروي عن حفص مقطوعا عليه.
ومما يدل علىٰ أن المراد رسل الله كلهم حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم (١٠١٥) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.. الحديث.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٢.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: دينهم فيما بينهم فصاروا أحزابًا في الدين ﴿زُبُرٗاۖ﴾ بضم الباء والزاي المعجمة: جمع زبورًا، أي: جعلوا دينهم كتبًا مختلفة، وزبرًا: بنصب الراء: قِطعًا وأحزابًا، كقوله: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ أي: قطع الحديد.

﴿كُلُّ حِزۡبِۭ﴾ وأهل دين ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ معجبون، وقيل راضون[1].

﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ يا محمد ﴿فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾ أي: سهوهم وغفلتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤﴾ انقضاء آجالهم.

﴿أَيَحۡسَبُونَ﴾ أيظنون يعني أهل الأديان ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥﴾ أي: يزيدهم من مال وبنين في الدنيا، محذوف الجواب، أي: يظنون أنه نجاة لهم.

﴿نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ۝٥٦﴾ أنها ليست كذلك، بل هي فتنة واستدراج، والخيرات: المال والولد.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه بفضله: بلغنا عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالىٰ: يحزن عبدي المؤمن إذا أقترت عليه، وذلك أقرب له مني، ويفرح إذا بسطتُ إليه شيئًا، وذلك أبعد له مني»، ثم تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ۝٥٦﴾[2].

ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧﴾ أي: خائفون وجلون من العرض علىٰ ربهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ

---

(١) وهما بمعنىٰ (تفسير الطبري ١٩/ ٤٢، الكشف والبيان ١٨/ ٥١٥).

(٢) ذكره في مسند الفردوس ٨٠٨٨ عن أنس من غير إسناد.

وقد ذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٨٣ خبرا دون أن يسنده إلىٰ أحد، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٠١ عن الفضيل بن عياض، فهو خبر من جملة الأخبار، وليس بحديث.

رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ يعني القرآن ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ الأوثان ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ بالمد، أي: ينفقون جميع ما ينفقون من صدقة أو زكاة، ومعناه: يعطون ما أعطوا من الصدقة، ويعملون ما عملوا من الخير ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة من العرض على الله؛ ورؤية التقصير، لأنَّ الكريم يستصغر إحسانه وإن جل، فهو صغير في جنب ما يستحقه الحق ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يبادرون في الطاعات ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ لأجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنة.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: قدر طاقتها ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ﴾ وهو اللوح المحفوظ يشهد ﴿بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ بنقصان حسناتهم.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الكفر ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أي: لتلك الأعمال الخبيثة.

ثم ابتدأ ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾ أي: جبابرتهم ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ عند معاينة العذاب، يعني به: القحط الذي أصاب أهل مكة، وقيل: القتل ببدر[1].

يقال لهم حينئذ ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ أي: لا تتضرعوا ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أي: لا تمنعون.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾ القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقرأ عليكم نبي الله ﴿فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ أي: ترجعون إلى الشرك ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ أي: بالبيت الحرام لأجل أنَّه في جواركم ﴿سَامِرًا﴾ سُمَّارًا ﴿تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: تتكلمون بالقبيح من القول وتهزؤون، والسامر: الجماعة يتحدثون ليلاً، واحدها: سَمَر[2].

---

(١) الكشف والبيان ١٨/ ٥٢٧، زاد المسير ٣/ ٢٦٦.

(٢) وهذا كالجامل واحدها جمل، قال الأزهري: وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهي جمع عن العرب، فمنها الجامل والسامر والباقر والحاضر، فالجامل: الإبل فيها الذكور والإناث.

والسمر: ظل القمر أيضًا(١).

وكانوا يجتمعون في ظل البيت ليلاً يتحدثون بالهذيان، يقال للعليل(٢) إذا هذىٰ قد هَجَر.

وقرئ: «تُهجرون» من الهجر(٣)، وهو الفخر، وكانوا يسبون النبي صلىٰ الله عليه وسلم فضَّ الله فاهم ولعنهم(٤).

﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ ألم يتفكروا في القرآن وما يخوفهم الله عز وجل ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ قال ابن عباس: بل جاءهم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ما لم يأت إلىٰ آبائهم الأولين(٥)، لأنهم ماتوا في الفترة فلم يسمعوا بمثل القرآن.

وقيل: هو علىٰ التوبيخ علىٰ إنكارهم، معناه: قد جاءهم محمد بمثل ما جاءت الرسل إلىٰ الأمم الماضية.

﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ﴾ صلىٰ الله عليه وسلم بوجهه ونسبه ﴿فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾ لا يعرفون، جاء علىٰ التوبيخ.

والسامر: جماعة الحي يسمرون ليلا. والحاضر: الحي النزول علىٰ الماء. والباقر: البقر فيها الفحول والإناث (تهذيب اللغة ١٢/ ٢٩١).

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨، وقد خولف الزجاج في بعض ما قال، انظر: البسيط ١٦/ ٢٤.

(٢) في الأصل: للتعليل، وهو تصحيف.

(٣) قرأ نافع بالضم في التاء، والكسر في الجيم (النشر ٢/ ٣٢٩).

(٤) الكشف والبيان ١٨/ ٥٣٣، البسيط ١٦/ ٣٠.

(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٥٦، من طريق عكرمة عن ابن عباس، بلفظ: لعمري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوَّلين، ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأوَّلين.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون ﴿بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ أي: جنون، قاله عقبة بن أبي معيط، وهاهنا وقف، ثم قال الله عز وجل: ﴿بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ بالتوحيد ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ [لِلۡحَقِّ]﴾ للتوحيد ﴿ كَٰرِهُونَ ۝٧٠﴾ مكذِّبون.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ والحق هو الله، معناه: لو فعل الله ما يشتهون بأن يأذن لهم بالشرك، ويمنع الوحي عن رسوله(١).

وقيل: الحق القرآن، معناه لو نزل القرآن بمرادهم(٢).

﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ لأنَّ مرادهم أن يكون مع الله إلـٰهًا آخر، ولو كان ذلك لفسدت السماوات يعني الملأ في السماء، والخلق في الأرض.

وقيل: هلكت السماوات والأرض وأهلهما(٣).

﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ أي: شرفهم، أي: بشرف وعزٍ للعرب، لأنَّ الرسول منهم والقرآن بلغتهم ﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم﴾ أي: عزهم وشرفهم ﴿مُّعۡرِضُونَ ۝٧١﴾ بالكفر.

ثم قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ يا محمد ﴿خَرۡجٗا﴾ أي: أجرًا(٤) علىٰ الرسالة، وخرجًا: أي جعلاً(٥) ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ﴾ أي: ثواب ربك في

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٦، الكشف والبيان ١٨/ ٥٣٦.

(٢) وهما بمعنىٰ، لأن القرآن كلام الحق سبحانه وتعالىٰ، وهذا قول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ١٩.

(٣) الهلاك من قبيل التفسير باللازم، قال ابن جرير: ولو عمل الربّ تعالىٰ ذكره بما يهوىٰ هؤلاء المشركون وأجرىٰ التدبير علىٰ مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفاسد، فلو كانت الأمور جارية علىٰ مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل علىٰ الحقِّ، لم تقر السموات والأرض ومن فيهن من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق.

(٤) في الأصل: أجزاء. وهو تصحيف.

(٥) الكشف والبيان ١٨/ ٥٣٧.

الآخرة خير من جعلهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢﴾ لا يمن ولا يكذب.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ﴾ دين الإسلام وهو ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٧٣﴾(١) فلا يجيبونك.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: دين الإسلام ﴿لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾ مائلون.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ﴾ يعني: أهل مكة ﴿وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ من قحط وجوع ﴿لَّلَجُّواْ﴾ أي: تمادوا ومضوا ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ في كفرهم ﴿يَعْمَهُونَ ٧٥﴾ يترددون، والعمه: التحير(٢).

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: الجوع ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ أي لم يذلُّوا لله بالطاعة ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾ بالدعاء والإنابة إليه، والاستكانة افتعال من السكون(٣)، ومدت فتحته بالألف الساكنة، قال عنترة:

ينباع من ذِفْري غضوب جَسْرةٍ ....

يعني: ينبع العرق من أسافل أذنىٰ المعطىٰ، فمد الباء بالألف(٤).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يعني الجوع، قيل: فتح مكة ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٧﴾ آيسون من كل خير ورزق، والمبلس: الساكت

---

(١) في الأصل: الصراط المستقيم.

(٢) الكشاف ٣/ ١٩٧.

(٣) قال الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٩٧، استفعل من الكون: أي انتقل من كون إلىٰ كون، كما قيل: استحال إذا انتقل من حال إلىٰ حال، ويجوز أن يكون افتعل من السكون، أشبعت حركته.

(٤) البيت من معلقة عنترة المشهورة، تكملته: زيافةٍ مثل الفنيق المكدم، قال الأزهري: أي ينبع، فمدت فتحة الباء بالألف، وقال: فما استكانوا أي ما خضعوا، كان في الأصل فما استكنوا، فمدت فتحت الكاف بألف (تهذيب اللغة ١٠/ ٤١).

المتحير[١]، وقوله: «حتىٰ إذا فتحنا» معناه: فلَفتحنا[٢].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ كي تسمعوا وتبصروا وتعقلوا ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ هذه النِعَم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: خلقكم من آدم وآدم من الأرض ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ في الآخرة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: يحيي الأموات ويميت الأحياء ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ليس لهما مدبر سواه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ أنْ ليس معه شريك.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾ بل قالت: قريش بأنك ساحر كاهن كما قال الأولون من الأمم لرسلهم ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ تعجبًا ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ أي: خوِّفنا بهذه المقالة كما خُوف آباؤنا وما نرىٰ لذلك تحقيقًا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم.

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أجيبوني ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: تتعظون بما تقولون هذه لله، ولا اختلاف بين القرَّاء في هذه الكلمة، واللتان بعدها تقرأ: «سيقولون الله» ويقرأ: «لله»[٣] وهو جيد في الحالين، لأنَّ من يسأل: مَن صاحب هذه الدار؟ فأجيب: زيد، كان جوابًا علىٰ لفظ السؤال، ولو أجيب وقيل: لزيد

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠.

(٢) في الأصل: فلا فتحنا.

(٣) في الأصل: ولله، وهو تصحيف.

وقد قرأ أبو عمرو ويعقوب: الله الله، برفع الهاء، في الموضعين، وقرأ الباقون: لله لله، بخفض الهاء (النشر ٢/ ٣٢٩). وفي الأصل في الموضعين القادمين: الله.

جاز[١].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: يقرون بأن الله خالقهما وخالق من فيهما وخالق العرش العظيم ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧﴾ الشرك، وتوحدون هذا الرب بعدما أقررتم بأنَّه خالق الأشياء.

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يعني: خزائن كل شيء، عن الكلبي.

والملكوت: الملك زيد فيه التاء[٢]، كما يقال: رهبوت خير من رحموت[٣].

﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ أي: يُأَمِّنُ من العذاب لمن آمن به ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ لا يقدر أحد أن يحفظ أحدًا من عذابه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨﴾ الذي يفعل ذلك.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ فأخبروني ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ فكيف تخدعون وتصرفون عن الحق.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالتوحيد والقرآن ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠﴾ فيما يدعون من الآلهة.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ كما زعمتم من الملائكة وغيرهم ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ أي: لا شريك له في خلق هذه الأشياء، ولو كان كذلك ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: استولىٰ كل خالق علىٰ ما خلق دون صاحبه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: قهر بعضهم بعضًا كفعل ملوك الأرض، ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ له من الشريك.

---

(١) صدر عن معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠، وانظر: تفسير الطبري ١٩/ ٦٣، البسيط ١٦/ ٤٤.

(٢) في الأصل: الفاء، وهو تصحيف.

(٣) قال الزجاج: الملكُوت بمنزلة الملك، إلا أن الملكوت أبلغ في اللغة من الملك، لأن الواو والتاءَ تزادان للمبالغة، ومثل الملكوت: الرغبُوت، والرهبُوت، وَوَزْنه من الفعل: فَعَلُوت، وفي المثل: رَهَبُوتي خير مِنْ رَغبُوتي.. (معاني القرآن ٢/ ٢٥٦)

﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: ما غاب علمه عن العباد ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما علمه العباد ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ في ارتفاعه أي: تكبَّر وتعظَّم ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٩٢﴾ من الشريك.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣﴾ «إن» و«ما» حرفا شرط جُمعا للتأكيد، والنون المشددة للتأكيد، وقيل: ما للصلة، معناه: إن أريتني[1] ما يوعدون أي: عذابهم فأخرجني من بينهم[2].

﴿رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٤﴾ أي: لا تعاقبني معهم.

قال الكلبي: هذا ما كان وعد الله للنبي صلىٰ الله عليه وسلم من إلقاء الفتنة بين أصحابه، ولم يخبره متىٰ يكون، فلم يرَ بعده متبسمًا، ولم يرها النبي صلىٰ الله عليه وسلم[3].

وقيل: هو ما وعد الله المشركين بيوم بدر، وأراها رسوله عليه السلام وفتح عليه مكة[4].

---

(١) في الأصل: رأيتني.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢١. وهذا المعنىٰ لا خلاف فيه (تفسير الطبري ١٩/ ٦٧، الكشف والبيان ١٨/ ٥٥٠).

(٣) هذه نزعة رافضية من الكلبي أبت إلا أن تظهر في فلتات لسانه، فالخطاب السابق واللاحق في المشركين، وفي تخويفهم والتشديد عليهم، فاستقطع من بين السياقين آية توبخهم فجعلها في أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وقول الكلبي هذا نقله أبو الليث كذلك في تفسيره ٢/ ٤٨٩، والواحدي في البسيط ١٦/ ٥٢، وقد نسباه للكلبي، فيعرف طالب العلم أنه ليس بشيء، بمجرد نسبته إلىٰ الكلبي وتفرده به، ولكن الرزية في ذكر الرازي إياه قولا في تفسيره (مفاتيح الغيب ٢٣/ ٢٩١) دون نسبة للكلبي، فأوهم أنه من أقوال أهل التأويل، وهكذا يدخل الدخيل البغيض في التفسير.

(٤) وهذا هو الصحيح في التفسير، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٦٧.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ٩٥﴾ إن شئنا أريناك ذلك، ثم عزاه ليصبر فقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أي: ادفع الفحش والكلام عن نفسك بالخصلة التي هي أحسن، وقيل: بالسلام ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ لي من البنين والبنات.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧﴾ أي: نزغاته ووساوسه، يعني: إذا استقبلك أحد بسوء؛ والشيطان يغريك علىٰ مكافأته بالسوء؛ فعليك أن تستعصم بالله من إغوائه، وأصل الهمزة: شدة الدفع إلىٰ شيء، أي: يدفعه الشيطان إلىٰ معصية الله.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ٩٨﴾ عند غضبي فيغلبوني(١).

ثم ابتدأ فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: عاين ملك الموت وأعوانه ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ٩٩﴾ إلىٰ الدنيا، خطاب تعظيم، كقوله في قصة موسىٰ ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ﴾.

﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ أي: أؤمن فيما كذبت ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا يكون ذلك، وحقًا إنه لا يرجع إلىٰ الدنيا.

ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ أي الرجعة كلمة ﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ ويتكلم بها لا محالة، ولا يسمعها بنو آدم ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: قدامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز بين الموت والرجوع، والبرزخ: كل فرجة وفصل بين الشيئين.

---

(١) وهذا من قبيل التفسير بالمثال، ومثله قول أبي الليث: قيل عند تلاوة القرآن، وقيل: عند الموت، وقيل عند الصلاة (تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٩).
والمفسرون حملوه علىٰ العموم، فقالوا: في شيء من أمري (تفسير الطبري ١٩/ ٦٨، الكشف والبيان ١٨/ ٥٥٣).

وقال قتادة: بقية بقاء الدنيا[١]، وهو بين موت الميت وبعثه، عن الأزهري[٢].

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ أي: يحشرون من قبورهم.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ نفخة البعث ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي لا افتخار بينهم بالأنساب ﴿يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ عن النسب.

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالتوحيد والأعمال الصالحة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢﴾ الناجون من النار.

﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ فلم يكن له التوحيد واسود وجهه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بترك التوحيد وذهاب الجنة ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ دائمون.

﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تضرب فتحرق وجوههم وتأكلها، واللفح: أعظم تأثيرًا من النفخ، وقال في آية أخرىٰ: ﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ﴾.

﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ الكالح: الذي تقلصت شفتاه عن أسنانه فلا تغطيها، فتكون الشفىٰ يومئذ قالصة الشفاه خارجة الأنياب من فِيه[٣]، بين شفتيه أربعون ذراعًا بذراع الرجل الطويل، وقيل: كل ناب مثل جبل أُحُد، والله أعلم.

﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾ أنها ليست من الله تعالىٰ ﴿قَالُواْ﴾ عند ذلك ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ أي: سوء جدنا التي قضيتها علينا، و«شَقْوتنا» و«شقاوتنا» لغتان جيدتان[٤].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٧١.

(٢) وهو قول طائفة من المفسرين، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٧١.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٧٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٩٠، الكشف والبيان ١٨/ ٥٦٢.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف: شقاوتنا، وقرأ الباقون: شِقوتنا (النشر ٢/ ٣٢٩)، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٣، الكشف والبيان ١٨/ ٥٦٥..

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۝١٠٦﴾ عن الهدى ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من النار مرة واحدة ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى الشرك ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧﴾ لأنفسنا.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ اصغروا في النار، ابعدوا عن رحمتي، وهو تباعد سخط لا مكان.

يقال: خسأتُ الكلب إذا زجرته ليتباعد[1] ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ لا تسألوني الخروج، فحينئذ صار الكلام حرام عليهم، فبعد ذلك لهم نباح كنباح الكلب، ونهيق كنهيق الحمار.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بأنك واحد ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ما كان منَّا ﴿وَٱرْحَمْنَا﴾ ولا تعذبنا ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٠٩﴾ أرحم الرحماء.

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: سخرتم بهم واستهزأتم[2] ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ حتى كان تشاغلكم بالسخرية بهم سببًا لترك ذكري، والذكر: الإيمان، أو القرآن.

أضاف الإنساء إليهم لأن الاشتغال بالاستهزاء سبب النسيان، فأضيف النسيان إليهم توسعًا، ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ والأوثان ما أضلوا لأنهم جماد، وقال في قصة الخليل ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أضاف الإضلال إليهم توسُّعًا لا حقيقة.

﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۝١١٠﴾ يا معشر الكفار كنتم تضحكون من الفقراء.

﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾ على استهزائهم حُسن الثواب وحُسن المنقلب ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝١١١﴾ الناجون من العذاب الباقون في الجنة.

---

(١) عن معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤.

(٢) وهذا على قراءة الكسر في السين، أما الضم فيها فعلى معنى التسخير (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤).

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾ إذ بعتم آخرتكم بدنيا غيركم ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ أي: طول مقامنا في الدنيا يوم، ثم شكوا فيه فقالوا: أو بعض يوم، ثم اشتبه عليهم الأمر فقالوا: لا ندري ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾ أي: الحفظة.

وقال مقاتل: يُسألون كم كان مكثكم في القبور بعد الموت من السنين والشهور والأيام، فنسوا طول مكثهم في البرزخ، حين استراحوا ما بين النفختين، إذا رفع عنهم العذاب(١).

﴿قَٰلَ﴾ الله تعالىٰ: ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ أي: ما لبثتم إلا قليلاً ﴿لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤﴾ لأنَّ تلك المدة لها انقطاع، وما له انقطاع فهو قليل وإن كان كثيرًا عندكم، ولكن كنتم لا تعرفون أنَّ الدنيا فانية، والقيامة قائمة.

﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ أفظننتم يا أهل مكة أنما خلقناكم لعبًا ونترككم سُدىٰ ﴿وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ للجزاء علىٰ الأعمال، ولا تعاقبون بفعلكم.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ أي: تعظم الله وارتفع في جلاله، الملك الحق هو البريء عن الشروك والولد(٢) ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود غيره، ولا مجازي سواه ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ ربُّ السرير الحسن الشريف.

﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ من الأوثان وغيرها ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي: لا بينة له ولا حجة من كتاب ناطق، وخبر صادق، والبراهين كلها لمن لا يشرك بالله شيئًا ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ﴾ أي: جزاء الكافر عند ربه، وقيل: عذابه

---

(١) في الأصل: الوالد. والص ليس في تفسير مقاتل ٢/ ٤٠٦.

(٢) الكشف والبيان ١٨/ ٥٨٤.

وعقوبته عند ربه في الآخرة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ أي: لا ينجو من عذاب الله الكفار.

ثم قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ﴾ أي: ادع يا محمد لنفسك ولأمتك، حتىٰ كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يدعو ويقول: اللهم اغفر لي، ولمن شهد لي بالبلاغ والرسالة، وارحمني وارحم من شهد لي بالبلاغ والرسالة، ولك بالربوبية والتوحيد، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ حيث لم نعبد غيرك بتوفيقك، قال الله تعالىٰ جوابًا: قد رحمناك وغفرنا لك.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعب عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة المؤمنين بشَّره الملائكة بالروح والريحان، وما تقرُّ به عينه عند نزول ملك الموت»[1].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٨/ ٤٢٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٠.

سورة النور

كلها مدنية[١]، وهي ستون وأربع آيات في الكوفي والبصري، وآيتان في المدني[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ أي: هذه السورة أنزلناها بجبريل علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم، سميت هذه سورة لشرفها ولعظم شأنها، تقول العرب: له سورة في المجد، أي: شرف.

﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ بيَّنا فيها الحدود والفرائض والأمر والنهي ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات من الأمر والنهي ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١﴾ تتعظون بما نزل من الأمر والنهي.

ثم ابتدأ فقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ إذا لم يحصنا، يجلد الرجل وعليه إزاره، وتُجلَد المرأة جالسة عليها درعها ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي: رقة في حكم الله، هو نهي غائب[٣]، المعنىٰ: لا ترحموهما فتدفعوا حكم الله عنهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ أي: يحضر جلدهما ﴿طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢﴾ قال ابن عباس: اثنان فما فوقهما[٤].

---

(١) إجماعا (الكشف والبيان ١٩/ ٧، زاد المسير ٣/ ٢٧٥).

(٢) والشامي كالجمهور (البيان في عد آي القرآن ١٩٣).

(٣) في الأصل: عايب.

(٤) قيل: الواحد فما فوقه طائفة، وقيل اثنان، وقيل أكثر من ثلاثة، وكل هذا مروي عن السلف (تفسير الطبري ١٩/ ٩٤، الكشف والبيان ١٩/ ٢٣).

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ﴾ القراءة: برفع الفعل[١]، ولو كان نهيًا لكان جزمًا، والرفع يكون على الخبر، والخبر عن الله لا يكون كذبًا، ونحنُ نرى الزاني ناكحًا غير زانية والزانية قد ينكحها من ليس بزانٍ.

قال ابن عباس: نزول الآية في رجل استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يتزوج امرأة من أصحاب الرايات، ممن كانت تسافح من اليهود، والراية العلامة، ولهن علامات يُعْرَفْنَ بها، وكن مخصبَات الرحال[٢]، فقصد فقراء المؤمنين أن يتزوجوا بعضهم بعضًا منهن رغبة في منازلهن[٣] وطعامهن، ليسكنوا معهن، وينتفعوا بهن، ويمنعوهن عن السفاح، فلما[٤] استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، نزلت الآية[٥].

وقال أبو سهل: وجه الكلام عندي على تقبيح[٦] الفعل، والمعنى: إذا كان الرجل زانيًا لا يليقُ به إلا زانية، ولا ينبغي له إلا مثلها، ثم وكَّد الكلام في آخره فقال: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ يعني حُرِّمَ الزنا على المؤمنين[٧].

---

(١) أي: ينكحُ، وليس: ينكحْ.

(٢) في الأصل: الرجال، وهو تصحيف، والمعنى: أنهن ذوات خصب ويسار، وفي بعض الألفاظ: أخصب أهل المدينة (تفسير أبي الليث ٢/ ٤٩٦).

(٣) في الأصل: منازلهم.

(٤) في الأصل: فإذا، وهو تصحيف، وقد تكرر منه.

(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٩٦، الكشف والبيان ١٩/ ٣٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٩٦، البسيط ١٦/ ١٠٣.

(٦) في الأصل: تفتيح. وهو تصحيف.

(٧) وقيل اللفظ على الخبر والمعنى الأمر (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٠)، ونسبه الثعلبي للجمهور (الكشف والبيان ١٩/ ٣٤).

وذكر المفسر الكبير في كتابه المهذب أنَّ هذه الآية معطلة.

وذكر محمد بن شحمة الهروي في هذه الآية كثيرًا من الأقاويل، ثم بيَّن فساد كل قول عقيبها، حتىٰ ذكر نسخها بقول السدي، ثم رده بقوله: إنَّ الخبر لا ينسخ[1]، وهذا ما اتضح لي من المعنىٰ، والله أعلم[2].

وقيل: معنىٰ قوله ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ يعني: اختيار الزانية علىٰ العفيفة، وللمرأة اختيار الرجل الزاني علىٰ العفيف حرام، لأنَّ في ذلك خطر فساد الدين، وربما يكون الولد شبيهًا بأمه أو أبيه.

وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إياكم وخضراء الدمن، قيل: وما خضراء الدمن[3]؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء»[4].

وفي حديث آخر: «تخيروا لنُطفكم فإنَّ العرق دساس»[5].

وقيل: إن كلمة «أو» قائمة مقام الواو، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤﴾ معناه: وكفورًا، وقال ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾

---

(١) لكن إذا كان اللفظ علىٰ الخبر والمراد الأمر فيدخله حينئذ النسخ، وبالنسخ قال سعيد بن المسيب (كما في تفسير الطبري ١٩/ ١٠١).
وذكر الواحدي آثارا تدعم هذا القول، فيها جواز تزويج الزانية (البسيط ١٦/ ١٠٦).

(٢) وقد قيل: إن النكاح هنا بمعنىٰ الجماع، أي لا يزني الزاني إلا بزانية مثله، حكاه الطبري عن ابن عباس وسعيد وعكرمة (تفسير الطبري ١٩/ ١٠٠، الكشف والبيان ١٩/ ٤١) واختاره ابن جرير، ورده الزجاج بأن النكاح في القرآن هو التزويج لا الوطء (معاني القرآن ٤/ ٣٠) وما رده به ليس بقوي، لأن من فوائد التفسير المأثور إخراج النظير عن نظيره.

(٣) في الأصل: الدين. في الموضعين، وهو تصحيف.

(٤) رواه القضاعي في مسند الشهاب ٩٥٧، وإسناده ضعيف. وخضراء الدمن الشجرة التي تنبت في المزبلة، فتكون ناعمة نضرة، ولكن منبتها خبيث (النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٢).

(٥) رواه ابن ماجه ١٩٦٨، والحاكم في المستدرك ٢٦٨٧، وضعفه الذهبي.

معناه: ويزيدون، فيكون المعنىٰ: الزاني لا ينكح إلا زانية ومشركة، والزانية كذلك.

ثم الواو إذا ثبتت[١] فقد يذكر الواو ويراد به طرحها، كقوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ معناه: كالأعمىٰ الأصم، والبصير السميع، قالوا: واو زائدة، فكان المعنىٰ: الزاني لا ينكح إلا زانية مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان مشرك.

ثم النعت قد يذكر في أحد الفريقين المذكورين، والمراد ذكره فيهما جميعًا، كقوله عز وجل: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ معناه: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، وتقول العرب: ضربت وضربني زيد، معناه: ضربت زيدًا وضربني، فاقتصر علىٰ أحدهما، فيكون تأويل الآية علىٰ هذه الوجوه المذكورة: الزاني المشرك لا ينكح إلا زانية مشركة، والزانية المشركة لا ينكحها إلا زان مشرك، وحرم ذلك علىٰ المؤمنين، والله أعلم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي: يقذفون العفائف من النساء الحرائر المسلمات ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟﴾ إلىٰ الحكام ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ أحرار بالغين مسلمين علىٰ صدق قولهم ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ ضربًا بين الضربين[٢] وعليهم ثيابهم ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ ما داموا أحياء، وتم الكلام في الشهادة عند أكثر الفقهاء، وعليه أبو حنيفة رضي الله عنه وأصحابه، ثم قال: ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ فالتوبة ترفع عنهم اسم الفسق ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ العمل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ أي: غفور لما كان منهم، رحيم لهم حيث رخَّص لهم بالتوبة.

---

(١) في الأصل: ثبت.

(٢) في الأصل: الصرينة، وهو تصحيف.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ نزلت في هلال بن أمية، حيث جاء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأخبره أنه رأىٰ شريك بن سمحاء علىٰ بطن امرأته خولة، فلما[1] دعاها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسألها فأنكرت، وقالت: إنه كان يدخل علينا يتعلم السُنن والقرآن وكثيرًا ما تركه عندي وخرج من البيت ولا ينكر ذلك عليه، فربما أدركته الغيرة اليوم أو بخل علىٰ طعام كان يأكلـ[ـه]، وهلال يحلف أنه رآه علىٰ بطنها، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[2]، الذين يقذفون نساءهم ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي: لا يقدر علىٰ إحضار الشهود غير نفسه، وهو بانفراده غير شاهد ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ﴾ وهو الزوج أن يشهد ﴿أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦﴾ أي: يحلف أربع مرات بالله يقول: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أني صادق فيما رميتها به من الزنا ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ فيما رماها به من الزنا.

فأقام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هلالاً وعرض عليه الأيمان أربعة، واللعن في المرة الخامسة، فلما قال: لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «آمين»، وقال القوم: آمين، ثم أقبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ خولة وأقامها، وقال: «إن كنتِ ألممتِ بذنب فاعترفي فإن الرجم أهون من غضب الله» فقالت: كذب علي يا رسول الله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ أي: الحاكم يدرأ عنها الرجم[3] ﴿أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ﴾ يعني الزوج ﴿لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٨﴾ فيما رماها به من الزنا ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ﴾ زوجها ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾

---

(١) في الأصل: فإذا، وهو تصحيف.
(٢) قصة هلال رواه البخاري في الصحيح ٢٦٧١، ومسلم ١٤٩٦.
(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٩٨.

فلما قالت ذلك، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «آمين»، وقال القوم: آمين، ثم فرَّق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بينهما[١].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ فضله الإسلام، ورحمته القرآن ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ حكم علىٰ نفسه قبول توبة التائب، متروك الجواب، وجوابه: لبيَّن الكاذب ولكن ستره بفضله[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ أي: جاؤوا بالكذب في أمر عائشة الصدِّيقة بنت الصدِّيق رضي الله عنهما، وتلك العصبة: عبد الله بن أُبي، وزيد بن رفاعة، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وحسان بن ثابت الشاعر[٣].

وتلخيص الآية: ﴿ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ أي: الذين قالوا الكذب علىٰ عائشة وصفوان ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أي: لا تحسبوا الإفك الذين قالوه عليهما ﴿شَرًّا لَّكُم﴾ عند الله، يخاطب عائشة وصفوان ومن همَّهم أمرهما ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾ من أهل الإفك ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ بقدر ما خاض فيه، لأن بعضهم تكلم، وبعضهم ضحك، وبعضهم سكت ووافق ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ فأفضح به وأعظم المقالة منهم، أي: من جملتهم، وهو: عبد الله بن أبي بن سلول ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ في الآخرة، مع الجلد في الدنيا، لأنه أول من أشاعه.

ثم وعظ المؤمنين الذين خاضوا فيه، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ قذف عائشة وصفوان ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: بأمثالهم من المؤمنين مثل صفوان؛ والمؤمنات مثل عائشة ﴿خَيْرًا﴾ أي: عفة وصلاحًا ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ يعني: هلا قالوا هذا كذب ظاهر، كما قال أبو أيوب الأنصاري

---

(١) الكشف والبيان ١٩/ ٧٠.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ١١٥، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٩٩.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١١٦.

لامرأته: لو كنتِ أنتِ بمنزلة عائشة مع صفوان في الخلوة أكنتِ تفعليه؟ فقالت: معاذ الله، فقال أبو أيوب: فعائشة خير منك وأطوع لله عز وجل[(١)].

ثم وبَّخ القَذَفة فقال: ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ﴾ أي على القذف ﴿بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ﴾ يشهدون أنهم رأوا ذلك منهما ﴿فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ الأربعة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣﴾ فيما رموهما.

ثم ذكر منّته فقال ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بتأخير العذاب ﴿لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ﴾ أي: دفعتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ أي: يأخذه بعضكم من بعض، ويروي بعضكم عن بعض، وقراءة عائشة: «إذْ تَلِقُونَه»، أي: تسرعون في الكذب[(٢)].

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم﴾ بألسنتكم بالجهل ﴿مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ ذنبًا سهلاً ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ١٥﴾ جرمه.

ثم وعظ المخلصين فقال: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أي: لا يجوز لنا ذلك ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦﴾ يعني: هذا القول كذب عظيم، والبهتان: الكذب الذي يبهت صاحبه إذا سمعه.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ينهاكم ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ﴾ إلىٰ مثل هذا القول ﴿أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧﴾ مصدِّقين.

---

(١) رواه الطبري في التفسير ١٩/ ١٢٩.

(٢) وهي شاذة، من الوَلق، وهو الكذب، وكذا الألق، والليق، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ١٣١، الكشف والبيان ١٩/ ١٠٤.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أمره ونهيه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ١٨﴾ في حكمه حكم على القاذف.

ثم ذكر المنافقين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي: يظهر الزنا ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صفوان وعائشة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ في الدنيا بالجلد، وفي الآخرة بالنار، وهو عبد الله بن أُبي وزيد بن رفاعة جلدهما النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين ثمانين، عن مقاتل(١).

وقيل: عذاب الدنيا الجلد، وفي الآخرة عذاب القبر، عن الضحاك(٢).

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ براءتهما ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٩﴾ أنهما فعلا ما قلتم.

ثم ذكر منَّته فقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بما قذفتم عائشة وصفوان، متروك الجواب، يعني: لعاقبكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٢٠﴾ لم يعجِّل بالعقوبة لكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: حسان بن ثابت وأصحابه ﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ آثاره في قذف عائشة وصفوان، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر، أي: يأمر بالقول الفحش والفعل المنكر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يعني: بالإسلام والقرآن ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صلح أحد في الدين.

و«من» زائدة دخلت لتأكيد النفي ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ يصلحه بالتوبة ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم في عائشة ﴿عَلِيمٌ ٢١﴾ بعقابهم.

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٤١٣، البسيط ١٦/ ١٦٩.

(٢) البسيط ١٦/ ١٦٩.

فلما نزل عذر عائشة قال لها رسول الله: «أبشري يا حميراء» فقالت عائشة: بحمد الله لا بحمدك[١]، وكانت عائشة تقول: نزلت فيَّ ست عشرة آية، لولا الوحي الذي أنزل الله كادت الأمة تهلك في سببي، فقرأ رسول الله هذه الآيات علىٰ المنبر، وكان مِسطح في نفقة أبي بكر، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه بعده، وكان فقيرًا، فنزلت[٢]: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾.

معناه: ولا يحلف[٣]، وقرئ: «ولا يتألَّ»[٤].

﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ أي: ذوي الغِنىٰ منكم ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في الرزق وهو أبو بكر ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ أي: لا يعطوا ولا ينفقوا علىٰ ﴿أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: ذوي القرابة، وكان مسطح ابن خالة أبي بكر ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكانت هذه الخصال الثلاثة: القرابة والمسكنة والهجرة اجتمعت في مسطح[٥].

ثم قال ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ أي ليتركوا ما كان منه، وليتجاوزا عن ذكر مسطح، ثم واجه أبا بكر فقال: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ألا: تشتهون أن يتجاوز الله عنكم بصبركم وعفوكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن عفىٰ من عباده ﴿رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ بهم.

وقيل: غفور ولما سلف من ذنب مسطح، رحيم به، رخَّص له بالتوبة.

فلما سمع أبو بكر هذه الآية فقال: غضِبت علىٰ ذوي قرابتي في الله وتجاوزت عنهم لله، فأنفق عليهم بعد ذلك[٦].

---

(١) الحديث في صحيح البخاري ٣٣٨٨، وليس فيه: يا حميراء.

(٢) رواه البخاري ٢٦٦١، ومسلم ٢٧٧٠.

(٣) وهو قول المفسرين، يقال للحلف: الأليَّة، والأُلوة، والأَلوة، والإلوة (البسيط ١٦/ ١٧٢).

(٤) وهي قراءة أبي جعفر (النشر ٢/ ٣٣١).

(٥) الكشف والبيان ١٩/ ١١٣.

(٦) والقصة في الصحيحين، صحيح البخاري ٦٦٧٦، صحيح مسلم ٢٧٧٠.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ يعني: بالمحصنات العفائف الغافلات عن الزنا والفواحش ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ يعني: عائشة بالقذف ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بالجلد ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ فجلدهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فأمَّا حَمنة ومِسطح وحَسَّان فتابوا، وأما الستة الآخرين فكانوا[١] منافقين وماتوا علىٰ نفاقهم، ثم بيَّن حالهم يوم القيامة:

﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ في الدنيا ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يوفر عليهم جزاؤهم الواجب، وقيل: جزاء ﴿دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ يعني العدل ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾ ظاهر عدله، محق في أفعاله، يبين لهم ما أشكل عليهم يومئذ.

ثم قال: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ يعني: الخبيثات من الكلام يعني للخبيثين من الرجال، يعني: عبد الله بن أُبي وأصحابه، عن الحسن والضحاك ومجاهد[٢].

وقيل: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والمعنىٰ أنَّ امرأة عبد الله بن أُبي خبيثة[٣] فهي للزوج الخبيث[٤].

---

(١) في الأصل: الأخرىٰ كانوا.

(٢) وهو رواية العوفي عن ابن عباس، تفسير الطبري ١٩/ ١٤٢، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٦، الكشف والبيان ١٩/ ١١٩.

(٣) في الأصل: خيثمة، وهو تصحيف.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ١٤٤، وهو قول ابن زيد، قال الطبري: وأولىٰ هذه الأقوال في تأويل الآية قول من قال: عنىٰ بالخبيثات: الخبيثات من القول -وذلك قبيحه وسيئه- للخبيثين من الرجال والنساء، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، هم بها أولىٰ؛ لأنهم أهلها، والطيبات من القول -وذلك حسنه وجميله- للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول؛ لأنهم أهلها وأحقُّ بها. وإنما قلنا هذا القول أولىٰ بتأويل الآية؛ لأن

ثم قال: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ [وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ]﴾ أي: العفائف من النساء للأعفاء من الرجال، والأعفاء من الرجال للعفائف من النساء، ومحمد صلىٰ الله عليه وسلم عفيف وعائشة عفيفة(١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: عائشة ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ أي: طاهرون مما يقول المنافقون ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ في الدنيا لذنوبهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾ أي: حسن في الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ [حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ]﴾ كان الناس في الجاهلية وأول الإسلام يدخل بيتًا غير بيته صباحًا، ويقول: حييتم صباحًا، وفي المساء يقول: حييتم مساء، وربما يصيب الرجلُ الرجلَ مع امرأته تحت لحاف واحد، فنزلت الآية(٢)، ونهاهم عن ذلك، وأمرهم بالسلام والاستئذان.

والاستئناس: الاستئذان، والأصل فيه: الاستبصار، يقال: آنست كذا أي أبصرت(٣).

وقال مجاهد: حتىٰ تنحنحوا(٤).

﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ﴾ الاستئذان ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ منْ أنْ تدخلوا من غير إذن ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾ تتعظون.

الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات، وإخبارهم ما خصهم به علىٰ إفكهم، فكان ختم الخبر عن أولىٰ الفريقين بالإفك من الرامي والمرمي به، أشبه من الخبر عن غيرهم أهـ.

قلت: والآية تتسع للقولين معـًا، والله تعالىٰ أعلم.

(١) علىٰ قول ابن زيد السابق.

(٢) وقيل إنه جواب سؤال امرأة، كما في تفسير الطبري ١٩/ ١٤٧، وتفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٧، الكشف والبيان ١٩/ ١٢٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٩.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ١٤٧. وفي بعض الألفاظ عن مجاهد: حتىٰ تجرسوا.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ ساكنًا ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ بغير إذن ﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ بدخولها ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا﴾ فليس هذا بوقت إذن ﴿فَارْجِعُوا﴾ ولا تدخلوا(١) ولا تقعدوا علىٰ أبواب الناس ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي: هو أمثل بكم في الإنسانية، وأصلح من الإلحاح والقعود علىٰ الباب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨﴾ من الاستئذان وغيره.

ثم رخص في الحانات والبيوت التي علىٰ الطريق؛ مثل الرباطات، فقال ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي: ليس لها ساكن، يعني استئذان ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ أي: منفعة من الحر والبرد(٢) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ من طاعة أو معصية ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٢٩﴾ فيما أمركم ونهاكم.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ قال الضحاك: جاء رجل لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وبجبهته شجة، فسأله: ما هذه الشجة؟ فقال: كانت امرأة في الجاهلية كنت أصبت منها، فلقينها بعد إسلامها وأنا مسلم، فكلَّمتني، فلما أدبرت اتبعتها ببصري، فأصابني الجدار فشجني، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إذا أراد الله بعبد خيرًا عجَّل عقوبته في الدنيا»(٣).

معناه: قل للذين آمنوا يكفوا أبصارهم، و«من» زائدة.

وقيل: ذكر التبعيض لأن المراد كف النظر عن المحرمات لا المحلَّلات.

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ لم يذكر «مِنْ» تشديدًا وتغليظًا ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي: أصلح ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ من المعاصي.

---

(١) في الأصل: ولا تخلوا.

(٢) والمقصود أي منفعة، حتىٰ نقل عنهم ذكر الخلاء والبول، أي الحمامات (تفسير الطبري ١٩/ ١٥٢، الكشف والبيان ١٩/ ١٤٠).

(٣) ورواه ابن مردويه عن علي، ولعله من رواية الضحاك عنه (الدر المنثور ٦/ ١٧٦).

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ عما حرم عليهن ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عن الزنا ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ نحرها وشعرها ومعصمها وقدميها وساقيها، إلا للزوج ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: الوجه والعينين والكفين والأصابع[1].

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يسدلن ويرخين بخمرهن على الصدور والنحور، حتىٰ لا يرىٰ منها شيء.

والخمار: المقنعة، يعني تسترن القلائد بها والأوشحة[2] حتىٰ يكون أستر.

ثم أعاد الكلام فقال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: مواضع زينتهنَّ، وهو الصدر والساق والساعد والرأس، لأنَّ الصدر موضع الوشاح، والساق موضع الخلخال، والساعد موضع السوار، والرأس موضع الإكليل.

وإنما استثنينا هذه المواضع للضرورة في إظهارها عند البيع والشراء والشهادة وغير ذلك[3].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ١٥٥، زاد المسير ٣/ ٢٩٠، والصحيح عند الإمام أحمد أن الظاهر هو الثياب، وقال: الزينة الظاهرة الثياب، وكل شي منها عورة حتىٰ الظفر، كذا نقل ابن الجوزي. واختار ابن جرير أن الزينة الظاهرة: الوجه والكفان.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٨، الكشف والبيان ١٩/ ١٥٢.

(٣) قال أبو الليث: والنظر إلىٰ النساء علىٰ أربع مراتب: في وجه: يجوز النظر إلىٰ جميع أعضائها، وهي النظر إلىٰ زوجته وأمته. وفي وجه: يجوز النظر إلىٰ الوجه والكفين، وهو النظر إلىٰ المرأة التي لا يكون محرمًا لها، ويأمن كل واحد منهما علىٰ نفسه، فلا بأس بالنظر عند الحاجة. وفي وجه: يجوز النظر إلىٰ الصدر والساق والرأس والساعد، وهو النظر إلىٰ امرأة ذي رحم أو ذات رحم محرم، مثل الأخت والأم والعمة والخالة وأولاد الأخ والأخت وامرأة الأب وامرأة الابن وأم المرأة سواء كان من قبل الرضاع أو من قبل النسب، وفي وجه: لا يجوز النظر إلىٰ شيء، وهو أن يخاف أن يقع في الإثم إذا نظر (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٩).

ثم استثنىٰ من أحلَّ له النظر إلىٰ زينتهنَّ فقال: ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ وهم: أصهارهنَّ أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن من غيرهن ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ من النسب والرضاع ﴿أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ من النسب والرضاع.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: لا يبدين زينتهن إلا لنساء أهل ملتهنَّ، بخلاف اليهوديات والنصرانيات(١).

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قال ابن عباس: من الولائد.

وقال ابن المسيب والشعبي: لا تغرنَّكم هذه الآية فإنها نزلت في الإماء، ولا ينبغي لامرأة أن ينظر عبدُها إلىٰ شعرها أو إلىٰ شيء من محاسنها(٢).

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ قيل: هو الشيخ الكبير الذي يتبعك ليصيب من طعامك ولا حاجة له في أمر النساء، وقيل: هو [الصغير](٣) أو الطفل، وقيل: هو العنِّين والخصي والمجبوب(٤).

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لم يطلعوا عليها ولا يعلمون لأي شيء يخلو الرجال بالنساء.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ إذا مشين، يردن قرع

---

(١) وهذا مما يغفل عنه كثير من المسلمات، فحكم المرأة الكتابية كالرجل (انظر: تفسير الطبري ١٩/ ١٦٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٩، الكشف والبيان ١٩/ ١٥٤).

(٢) وفيه خلاف، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ١٦٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٠٩، الكشف والبيان ١٩/ ١٥٥.

(٣) في الأصل: المعير، ولعل الصواب كما أثبت، فهي من عبارات المفسرين (النكت والعيون ٤/ ٩٥، تفسير السمعاني ٣/ ٣٢٥).

(٤) الكشف والبيان ١٩/ ١٥٧.

الخلخال ليخرج صوته، ليعلم أنها متخلخلة، كُنَّ النساء تُسمعن للرجال قعقعة الخلخال فنهىٰ الله عن ذلك.

وقد أجمعوا أنَّ الوجه والكفين ليسا بعورة، لجواز إظهارها في الصلاة.

ثم أمر الكل بالتوبة فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ الرجال والنساء يعني من أخلاق الجاهلية ﴿أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ لكي تسعدوا بالثواب وتنجوا من العقاب.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ والأيِّم: مَن لا زوج له من النساء والرجال، وجمعه: الأيامىٰ، والمعنىٰ: زوِّجوا البنين والبنات من النساء والرجال.

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ يعني: أنكحوا الأتقىٰ[1] من العبيد والإماء ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ أي: يرزقهم بالنكاح من عطائه وماله، ولا يمنعه خفة ذات يده من قبول المهر، فإنَّ الله يغنيه بفضله.

وقد روي عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من تزوج امرأة وهو لا يريد أن يوفر عليها مهرها لقي الله تعالىٰ زانيًا، ومن استدان دينًا وهو لا يريد أن يُعطيه لقي الله تعالىٰ سارقًا»[2].

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢﴾ أي: واسع بالعطية لخلقه عليم بأرزاقهم.

﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ﴾ أي: ليحفظ نفسه عن الحرام ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: سعة النكاح من المهر والنفقة، كما يقال: لِحاف لما يلتحف به، ولِباس لما يلبس.

---

(١) في الأصل: الأعفىٰ، وهو تصحيف فيما يظهر.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٠٤٤٥ من حديث صهيب بإسناد فيه مبهم، ورواه البزار ٨٧٢١، ٩٩٩٦من حديث أبي هريرة من طريقين عنه.

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: رزقه ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي: يطلبون المكاتبة ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أمر إباحة[١] ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: يسارًا، عن مقاتل. وصدقًا وأمانة، عن قتادة. وخيرًا، عن يحيىٰ بن أكثم[٢].

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: ضعوا عنهم شيئًا مما لزمهم في الكتاب، أمر إباحة، وقيل: آتوهم سهمهم من الصدقات[٣].

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ﴾ أي: إماءكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ أي: الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ أي: تعفُّفًا، وذلك لا يقتصر علىٰ إرادة العفاف منهنَّ، بل لا يجوز إكراههن أردن التعفُّف أم لا.

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لتأخذوا من أجورهنَّ.

وكان لعبد الله بن أُبي جارية ذات جمال، فأمرها بالزنا لتكتسب له من ذلك الوجه، فأبت، فضربها وأكرهها، فوقف علىٰ ذلك رجل من الأنصار، فأخبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فنزلت الآية[٤].

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾ علىٰ الزنا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ والوزر علىٰ المُكْرِه لا عليها.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بالأمر والنهي والحلال والحرام ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ في التوراة والإنجيل، أي: خبر مَن كان قبلكم من تحريم الزنا وإقامة الحدود ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ الموحدين من هذه الأمة.

---

(١) وفيه خلاف حكاه الطبري في تفسيره ١٩/ ١٦٧، واختار الوجوب لظاهر الآية.

(٢) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ١٧٨، تفسير أبي الليث ٢/ ٥١١.

(٣) تفسير السمعاني ٣/ ٥٢٨، زاد المسير ٣/ ٢٩٣.

(٤) روي هذا عن جابر وابن عباس ومجاهد وآخرين، تفسير الطبري ١٩/ ١٧٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٥١١.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ هادي أهل السماوات والأرض[1]، وقيل: منور السماوات والأرض بشمسها وقمرها ونجومها، وقيل: منور قلوب أهل السماوات من الملائكة، وقلوب أهل الأرض من المؤمنين؛ بالمعرفة والتوحيد[2].

وقيل: النور ما يكون ظاهرًا لا يخفىٰ، معناه: هو الظاهر لأسرار أوليائه من أهل السماوات والأرض، ليس بينه وبينهم حجاب.

وقيل: النور ما يعرف ضرورة، والكل من العباد يعرفون ضرورة أنَّ الله إلٰـههم[3].

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ أي: مثل النور -الذي زين به قلوب المؤمنين- في قلوبهم كمشكاة، خص هذا النور وأضافه إلىٰ نفسه دون سائر الأنوار عزًا وكرامةً.

وقيل: مثل نوره يعني نور المؤمن في قلبه كمشكاة[4].

﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ أي: كمصباح في مشكاة، يعني: كمصباح وضع في زجاجة، أي: قنديل، شبَّه نفس المؤمن بالمشكاة.

---

(١) فهم بنوره إلىٰ الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون، وهو رواية علي عن ابن عباس، واختاره الطبري (تفسير الطبري ١٩/ ١١٧).

(٢) قال الضحاك والقرظي: منور السماوات والأرض ومن فيهن (الكشف والبيان ١٩/ ٢٣٧).

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٥١٢.

(٤) وهذا مبني علىٰ الخلاف في عود الضمير، في نوره، فقيل للمؤمن، وهو قول أبي بن كعب، وقيل لمحمد وقيل للقرآن (تفسير الطبري ١٩/ ١٧٨، الكشف والبيان ١٩/ ٢٤٢). ولعل المروي عن أبي هو الراجح في هذه الآية، والله أعلم.

والمشكاة: كوة غير نافذة(١)، كما أنَّ المصباح داخل القنديل، والقنديل داخل المشكاة؛ كذلك المعرفة داخل القلب، والقلب داخل النفس، وكما أنَّ المصباح يضيء من داخل القنديل كذلك نور المعرفة يضيء من داخل القلب.

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ﴾ قال أهل التحقيق: شبَّه قلب المؤمن بالكوكب لصفائه، ولا تقع المشابهة بينهما في الحقيقة، لأنَّه لو ألقىٰ من نور قلب المؤمن ذرة علىٰ جميع الكواكب والشمس والقمر لانخسفت.

ثم قال: ﴿دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾(٢) قيل: أراد بالشجرة إبراهيم لأنَّ نور المعرفة اتصل من إبراهيم إلىٰ هذه الأمة، وهم علىٰ ملته.

وقيل: الشجرة محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

وقيل: الشجرة شجرة المعرفة(٣).

فمن قال هو إبراهيم؛ فيقول: هذه الملة ملته، ومن قال محمد؛ فيقول: الأمة أمته، ومن قال شجرة المعرفة؛ قال: المصباح منها توقَّدَ لأنَّ النور نور المعرفة.

ثم قال: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ إنَّما مثَّلها بالزيتونة لأنها أصفىٰ الأدهان ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: هذه الشجرة لا شرقية تمسها الشمس في جانب المغرب، ولا غربية

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ١٨٠.

(٢) في الأصل: دِرِّيء، توقَّدُ، فقرأ أبو عمرو والكسائي: دِريءٌ، بكسر الدال مع المد المتصل والهمز، وقرأ حمزة وشعبة مثلهم لكن بضم الدال، وقرأ الباقون كما أثبت .
وقرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب: توقَّدَ، وقرأ نافع وابن عامر وحفص كما أثبت: يُوقَدُ، وقرأ الباقون مثلهم لكن بالتاء (النشر ٢/ ٣٣٢).

(٣) هذه الأقوال التي حكاها في الشجرة غريبة، وسيرتب عليها ما بعدها، وفيها تفسير إشاري، غير ظاهر (انظر: زاد المسير ٣/ ٢٩٦).

تمسها الشمس من جانب المشرق، وهي شرقية غربية، تمسها الشمس من الوجهين.

فمن قال: إن الشجرة إبراهيم؛ يقول: لم يكن إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا، ولكن كان حنيفًا مسلمًا.

ومن قال: الشجرة محمد؛ يقول: إنَّ محمدًا لم يكن من المشرق ولا من المغرب، بل كان من مكة بين المشرق والمغرب.

ومن قال: هي شجرة المعرفة؛ فقوله: لا شرقية ولا غربية أي: ليست هذه الشجرة دنياوية ولا عقباوية، بل هي ربانية رحمانية، فهذه الشجرة عروقها المعرفة، وجذوعها الطاعة، وفروعها كلمة الإخلاص، وماؤها القرآن، وثمرتها فوائد الحِكَم.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ أي: يكاد صفاوة قلب المؤمن يضيء بنور المعرفة؛ وإن لم يتكلم بكلمة الإخلاص[1].

---

(١) وعلىٰ تفسير أُبيِّ بن كعب قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ﴾ قال: مثل المؤمن، قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة، قال: المشكاة: صدره فيها مصباح، قال: والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره، ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ﴾ قال: والزجاجة: قلبه ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ قال: فمثله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب درّيّ، يقول: مضيء ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ والشجرة المباركة أصله المباركة الإخلاص لله وحده وعبادته، لا شريك له ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: فمثله مثل شجرة التفّ بها الشجر، فهي خضراء ناعمة، لا تصيبها الشمس علىٰ أيّ حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت، وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغير، وقد ابتلي بها فثبته الله فيها، فهو بين أربع خلال: إن أعطىٰ شكر، وإن ابتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، فهو في سائر الناس كالرجل الحيّ يمشي في قبور الأموات، قال: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ﴾ فهو يتقلَّب في خمسة من النور:

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ﴾ يعني: نور المعرفة نور، ونور القلب نور، والنفس من بين هذه الأنوار نور، والطاعة لله تعالىٰ نور، فهو نور علىٰ نور.

﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ أضاف النور المذكور الموصوف ثانيًا إلىٰ نفسه، وهو دليل علىٰ [أنَّ] النور له في الأزل.

والمراد من الآخر هو الأول، أي: يوفق الله لطلب هذه الزيادة من هذا النور الذي يقربه لديه مَن يشاء من عباده، فله الاختبار، وعلىٰ العبد الاعتبار، ثم الاضطرار فيما ترجوا من إتمام النعمة عليهم، والشكر بقدر ما وصل إليه، فإن قام بشكر ما أولاه من النِعَم لم يمنعه الزيادة.

﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ﴾ لأفعالهم وأقوالهم ليعرفوا مقاديرها، ويقفوا علىٰ قدر جزائها وثوابها ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ أي: من أمر العباد ومصالحهم، ومجازيهم بأعمالهم.

ثم قال ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ أي: هذه المصابيح في بيوت أمر الله أن ترفع، يعني: المساجد ﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ بالوحدانية والأذان والإقامة ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ أي: يصلي له في المساجد ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ﴾ بالغدو والآصال بالتقديم والتأخير، رجال ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تشغلهم عن ذكر الله التجارات والبياعات، لأنَّ الذكر باللسان ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إذا حان ونودي بها، ويؤدوها بشرائطها ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ المفروضة ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا﴾ أي: خائفين من يوم ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ تكون القلوب لدىٰ الحناجر، والأبصار تدور حدقها في العيون، لا تطرف من هول يوم القيامة.

فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلىٰ النور يوم القيامة في الجنة (تفسير الطبري ١٩/ ١٨١).

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لام القسم[(١)] ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ أي: بأكثر مما استوجبوا من النوال ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ بالواحد عشرًا و ومائة وسبع مائة، إلىٰ ما شاء الله من الأضعاف ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي: إفراغًا وكثرة، وقيل: لا يحاسب علىٰ أجر إن زاد فيه أو نقص.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ السراب: شعاع ينحل كالماء الجاري علىٰ وجه الأرض حين يشتد حر النهار[(٢)].

والقيعة: جمع قاع، وهو المنبسط الواسع[(٣)].

شبَّهَ أعمال الكفار بالسراب في البراري الذي لا أصل له ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ يعني العطشان حين يراه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: جاء العطشان إلىٰ السراب فلم يجده شيئًا، فكذلك أعمال الكفار تصير يوم القيامة هباءً منثورًا ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: عند عمله بالمرصاد مستعدًا لعذابه مجازيًا له ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي: يوفر عليه مكافأة كفره ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ إذا حاسب، وشديد العقاب إذا عاقب.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عميق، يعني: مثل الكافر كمثل مَن هُو في ظلمات البحر في ليلة مظلمة، ذات غيم ومطر ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ أي: يغشىٰ البحر موج ﴿مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ أي: من بعده موجُ آخر ﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة البحر، وظلمة الأمواج، فهلك أي: الكافر، قلبه مظلم، في صدر مظلم، في جسد مظلم، لا يبصر نور الإيمان.

---

(١) وقيل: لام الصيرورة، التبيان لأبي البقاء العكبري ٢/ ٩٧١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٤، تفسير الطبري ١٩/ ١٩٥، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٧، البسيط ١٦/ ٣٠١.

(٣) البسيط ١٦/ ٣٠٢.

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ أي: إذا أخرج يده من السفينة لم يرها، كذلك الكافر لا يبصر الحق في هذه الظلمات[١].

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ في قلبه بالإيمان ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾ أي: ليس له نور وهُدًىٰ علىٰ الصراط.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الرؤية: العلم والخبر، أي: يصلي لله تعالىٰ، وقيل: يذكره بالوحدانية[٢].

﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ﴾ في الهواء يسبحن أيضًا، باسطات الأجنحة، نصب علىٰ الحال[٣].

﴿كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾ أي: كل واحد من المصلين يعلم كيف يصلي، فصلاة الشجر سجود ظله عن اليمين والشمال عند طلوع الشمس وغروبها، وهو تسبيحه أيضًا، وقيل: كلٌّ قد أُلْهِمَ صلاة نفسه وتسبيحه[٤].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١﴾ يعني: بتسبيح الطير والأشياء كلها.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٤٢﴾ في الآخرة يجزي كلاً بما عمل.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا﴾ يسوقه علىٰ الهواء، والسحاب: جمع سحابة ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ﴾ أي: يجمع ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا﴾ يركب بعضه بعضًا ليصير مراكمًا متصلاً بعدما كان منقطعًا[٥] ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ يعني: يخرج المطر

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٥١٦.
(٢) تفسير الطبري ١٩/ ١٩٩.
(٣) التبيان ٢/ ٩٧٤.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٩، زاد المسير ٣/ ٣٠٠.
(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٢٠١، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٩.

من وسطه ونتوئه وصدوعه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ مِن: صلة، يعني فيها برد.

قال ابن عباس: خلق الله تعالىٰ ثلاثة أجبل في السماء الدنيا من برد، جبلان منها قد فنيا، وبقي جبل إلىٰ يوم القيامة[١].

وقال ابن عمر: جبال السماء أكثر من جبال الأرض[٢].

﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: البرد ﴿مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ فيضره ويصرفه عن من يشاء فلا يضره ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ أي: يدنو سنا برقه وهو ضوؤه ولمعانه ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ يذهب بأبصار العباد.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما أخبرتك من السحاب والبرد والبرق ﴿لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ في أمر الله تعالىٰ.

ثم زاد في البرهان فقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ﴾ أي: ماء النطفة؛ كما خلق بني آدم منها ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ مثل الحوت والحية ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ﴾ مثل بني آدم ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ﴾ قوائم، مثل: الخيل والبغال والجمال.

والدابة: اسم يقع علىٰ المُمَيِّز وغير المُمَيِّز، فلذلك ذكر «منهم» ولم يقل «منها» لأنَّ الآدمي فيه داخل، فغلَّب ما يعقل علىٰ ما لا يعقل ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٥﴾.

﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾ مفصَّلات بالأمر والنهي، وواضحات بما ذكر الله من عجائبه[٣].

---

(١) لم أجده، ولعله من بعض مرويات الكلبي، وفي تفسير السمعاني ٣/ ٣٥٨، روايات أخرىٰ عنه.

(٢) وهو من مرويات مقاتل كما في تفسير أبي الليث ٢/ ٥١٧، وعنده: عن عمر، وليس ابن عمر.

(٣) في الأصل: مبيَّنات، علىٰ اسم المفعول، والتفسير عليها، وهي قراءة ابن كثير وشعبة والبصريين والمدنيين (النشر ٢/ ٢٤٩).

﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ أي: يرشد لمن تفكر في هذه العجائب.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦﴾ الذي لا عوج فيه.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ بأنَّه واحد ﴿وَبِٱلرَّسُولِ﴾ أنَّه مرسل ﴿وَأَطَعۡنَا﴾ أمره ونهيه ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ أي: بعد إقرارهم بذلك ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ نفى الله عنهم تصديق الإيمان.

قال الكلبي: كان عثمان بن عفان اشترىٰ من علي ابن أبي طالب أرضًا فندَّمَه قومه، وقالوا: ردها عليه، فلم يزالوا به حتىٰ قال لعلي: خذ أرضك، فإنها لا ينالها الماء، وقال علي: اشتريتَها ورضيتَ بها، فقال عثمان: بيني وبينك رسول الله، فقال قوم عثمان: لا تخاصمه إلىٰ رسول الله فإنه ابن عمه، يقضي له عليك، فنزلت الآية فيهم[1].

قيل: هذا في بعض أقرباء عثمان لا في كلهم، والله أعلم.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: دُعوا إلىٰ كتاب الله ورسوله، إلىٰ حكم رسوله ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨﴾ عن طاعة الله تعالىٰ وحكم رسوله.

---

(١) مبعث هذه الرواية كوامن الرفض في الكلبي، وقد ذكرت في غير موضع أنَّ الكلبيَّ متروكٌ في باب الرواية، متهم بالكذب، وأشد ما تكون روايته منكرةً في باب أسباب النزول، وقد اعتبرت رواياته في هذا الباب فوجدتها كذلك، وهو كمقاتل، أو مقاتل خير منه، وضربت لذلك أمثلة كثيرة في كتابي مشيخة الحافظ أبي القاسم الحسكاني، فليراجعه طالب الاستزادة.
ورواية الكلبي هذه (في تنوير المقباس ٢٩٧) وذكرها أبو الليث في تفسيره ٢/ ٥١٩، وأبو بكر الفارسي في أحكام القرآن (كما نقل عنه السمعاني في تفسيره ٣/ ٥٤١).
وقد ضرب عنها صفحا كثير ممن يعتمد علىٰ الكلبي وينقل أقواله، كالثعلبي في الكشف والبيان والواحدي في البسيط وابن الجوزي في زاد المسير فلم يذكروها.
فإن هذه الآيات نازلة في شأن المنافقين، كما ذكر ذلك من روي عنه تأويلها من أهل التأويل، كالحسن وقتادة ومقاتل، والله تعالىٰ أعلم.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: لعثمان على قول الكلبي، وللمغيرة على علي حيث خاصمه في ماء وأرض، وهو قول الضحاك ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ إلى رسول الله ﴿مُذۡعِنِينَ ۝٤٩﴾ خاضعين مسرعين.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ بل في قلوبهم شك، بل شكوا في الله ورسوله بعد الإقرار، حيث اتهموه في قضيته ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ أي: يحكم لهم الرسول بخلاف ما يحكم لغيرهم ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠﴾ الكافرون الضارون بأنفسهم.

ثم نعت الصديقين فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وإجابتهم ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ الرسول ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا﴾ قول ربنا ﴿وَأَطَعۡنَاۚ﴾ أمر نبينا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١﴾.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ﴾ فيما سلف من ذنوبه ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾ فيما بقي من عمره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ بالجنة.

ثم ذكر المنافقين وحلفهم بالباطل ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ﴾ لأنهم قالوا: يا رسول الله، لو أمرتنا بالخروج إلى الغزو لنخرجن، وقيل: إنْ أمرتنا بالخروج مِن أموالنا وديارنا لنخرجن، وحلفوا[1].

﴿قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ﴾ لا تَحلِفوا ﴿طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ﴾ خير من قسمكم، وقيل: قولكم هذا طاعة حسنة جميلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٥٣﴾ في السر والعلانية.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/٢٠٦، وبنى أبو الليث في تفسيره ٢/ ٥٢٠ على قصة نزولها في عثمان فحمل الطاعة المعروفة على الصادقة، ولا يخفى ما فيه، وهو القول الثاني الذي ذكره المصنف.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ أي على الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من أثقال النبوة وتبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ أي: كلفتم من الطاعة ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ ترشدوا ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني: أمة محمد، عن الكلبي[1] ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يجعلهم خلفاء الأرض حتى يعملوا بالعدل ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم السالفة، حيث عملوا بالحق وعدلوا به، فهذه عِدةٌ من الله تعالى لا يخلف الله وعده.

وقال أبو سهل: يعني به عليًا يستخلفه كما استخلف الذين من قبلهم: أبا بكر وعمر وعثمان[2].

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ أي: اختار لهم، أي[3]: أن يكونوا غالبين على من خالفهم فتصفو لهم البلاد والعباد.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ مَنْ عاداهم ﴿أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ وقال الضحاك: وليبدلنهم من بعد خوفهم من الله عز وجل في دار الدنيا أمنًا في الآخرة؛ حيث عملوا بالطاعة؛ يعبدونني لا يشركون بي شيئًا[4].

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ التمكين في الأرض ولم يعمل بطاعة الله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الخارجون عن الطاعة.

---

(١) وهذا الوعد عام للأمة (تفسير الطبري ١٩/ ٢١٠).

(٢) مستند أبي سهل رواية باطلة وردت عن علي في ذلك، وقد رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (٥٧٠)، وهو حديث تفرد به حسين الأشقر، قال أبو معمر الهذلي: كذاب (ميزان الاعتدال ١/ ٥٣١) رواه عن صباح بن يحي، كذاب كذلك (لسان الميزان ٤/ ٣٠٣).

(٣) في الأصل: الى.

(٤) وهذا قول شاذ، بل الأمن المراد هو في الدنيا، كما دلت عليه الروايات.

ثم خاطب جميع المؤمنين فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما يأمر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ولا تعذبون.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سابقين وهاربين فيها من الله تعالىٰ وعذابه ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ لمن صار إليها، قرناؤهم الشياطين مقرنين في السلاسل والأغلال، معذبين بألوان العذاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ هذه الآية موجبة للأدب الذي تركه عامة الناس، يقول: ليستأذنكم عبيدكم وإماؤكم ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ أي: صغار أولادكم ممن يعقل شيئًا ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ أي: في ثلاثة أوقات من الليل والنهار:

أولها: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ وهو وقت القيام من المضاجع.

والثانية: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي: تنزعونها[1] وقت الهواجر، وهو نصف النهار للقيلولة.

والثالث[2]: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ عند إفضاء بعضكم إلىٰ بعض[3].

هذه الساعات ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ يعني، وقت كشف عوراتكم ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ﴾ أي: علىٰ ما ملكت أيمانكم بعد هذه الساعات حرج، يدخلون عليكم بغير إذن ﴿بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يدخلون في الخدمة، الآية في الإماء والعبيد، عن ابن عباس[4].

---

(١) في الأصل: بيرغوابها. وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: فصل بين الواو وَمن بـ: الثالث.

(٣) نحوه في تفسير أبي الليث ٢/ ٥٢٢.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٢١٤.

وعن ابن عمر: هي في الرجال خاصة[١].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ كما بيَّن أمر الاستئذان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن يأتمر وبمن يتهاون بالأمر ﴿حَكِيمٌ ۝٥٨﴾ حكم الاستئذان في هذه الأوقات بحكمته.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ أي: وقت الحلم، وهو البلوغ ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في كل وقته ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من العبيد البالغين والأولاد الكبار، فليس عليهم أن يدخلوا علىٰ أمهاتهم إلا بإذن.

واعلم أنَّ المذكورين في الآية صنفان: البالغ، وغير البالغ، فالبالغون من الأحرار والعبيد ليس لهم الدخول في حالٍ إلا بإذن، وغير البالغين منهم يستأذنون في الأوقات الثلاثة.

وأمَّا الإماء فحكمهنَّ حكم الصغار من الأحرار والعبيد، وينبغي أن يتعرف هذا الفرق فإنه غلط فيه كثير من الناس.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أمره ونهيه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩﴾ حكم ما هو أصلح لهم.

ثم قال: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وهي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والولد[٢] ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أي: لا يشتهون تزويجًا ولا مباضعة ﴿فَلَيْسَ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ص٣١٠، والطبري ١٩/ ٢١١. والراجح عنده عموم الرجال والنساء. ووجه قول ابن عمر أن الاستئذان لأجل العورات، والجارية لا عورة بينها وبين سيدها، لأنهما يحلان لبعضهما البعض، فيجوز له أن ينظر إلىٰ عورتها ويجوز لها أن تنظر إلىٰ عورته، فلم يكن للاستئذان معنىٰ، وهو وجيه، والآية وإن كانت عامة إلا أن قول مثل ابن عمر -ولا سيما في تنزيل المعنىٰ- يصلح أن يخصصها، والله أعلم.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢١٦.

﴿عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ﴾ أي: حرج ﴿أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ جلابيبهن ويمشين في درع وخمار وإزار ﴿غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ﴾ المتبرجة: التي تظهر محاسنها وزينتها(١)، أي: غير كاشفات شعرها أو نحرها أو معصمها أو قدميها(٢).

﴿وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ﴾ أي: يتعففن ﴿خَيۡرٌ لَّهُنَّۗ﴾ من وضعهن الجلباب ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقول خلقه لهنَّ حين يبرزن ﴿عَلِيمٞ ٦٠﴾ بما ينوين بوضع الأردية.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ هو متروك الجواب، وقيل: معناه ليس على الأعمى حرج في ترك الجهاد ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ﴾ والأعرج: المُقعَد الذي لا يستطيع القتال، وكذلك الأعمى فإنه لا يبصر العدو ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ والحرج: الضيق، وفي الدين: الإثم(٣).

وقيل: كانوا يتنزهون عن مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض تعففًا لأنهم ضعفاء، فخافوا أن يكون منهم عليهم حيف في زيادة الأكل، فنزلت الآية(٤).

وقيل: كان الناس إذا خرجوا إلى الغزو يسلمون المفاتيح لأبوابهم إلى العميان والعرج والمرضى، لأنهم لا يخرجون، وكانوا يقولون لهم: كلوا من بيوتنا ما يكفيكم، فكان العميان والعرج والمرضى يتعففون عن الأكل من طعامهم، فنزلت الآية(٥).

---

(١) البسيط ١٦/ ٣٦٧.

(٢) وعن بعض السلف كأبي قلابة الرخصة لها في ظهور شيء من شعرها، وعن الحسن أن تمشي في درع وخمار وتصلي فيهما، وهذا مذهب فيه توسيع على القواعد لا ينبغي أن يترك، فهن في أمس الحاجة إلى الرخصة (البسيط ١٦/ ٣٦٦).

(٣) معاني القرآن للفراء ٤/ ٥٣.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٢١٩، الكشف والبيان ١٩/ ٣٢٥.

(٥) وهو قول الزهري، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٠.

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مأثم ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: من أموال عيالكم وأزواجكم، وقيل: بيوت أولادكم ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ [بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ](١) أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ معناه: بيوت عبيدكم وإمائكم، عن الكلبي.

وقيل: بيت الوكيل ومن جرىٰ مجراه(٢).

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ إذا كان غائبًا.

وكانوا يأكلون وحدانًا لا جمعًا، ويعدون الجمع ذنبًا، فقال الله تعالىٰ(٣): ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أي: مجتمعين [أو] متوحدين، نصب علىٰ الحال(٤).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ قال الحسن: يسلِّم بعضكم علىٰ بعض(٥).

وقيل: إذا لم يكن فيه أحد فقل: السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين(٦).

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: تسليمًا وكرامة من الله أكرمهم بها ﴿مُبَٰرَكَةً﴾ فيها

---

(١) في الأصل: كتب الآية، ولم يتمها لطولها.

(٢) وكلا القولين مؤتلفان، لأن المملوك مما يجري للسيد التصرف فيه، فشابه حال الوكيل (تفسير الطبري ١٩/ ٢٢١، الكشف والبيان ١٩/ ٣٢٩).

(٣) روي هذا عن ابن زيد وقتادة وغيرهم، وقيل هؤلاء العرب هم الأنصار، كانوا لا يأكلون حتىٰ يأكل الضيف، تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٣ .

(٥) رواه الطبري ١٩/ ٢٢٦.

(٦) روي عن عمرو بن دينار كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٢٥ .

بركة وأجر جزيل ﴿طَيِّبَةً﴾ أي: حسنة، وهو المغفرة من الله تعالىٰ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ عن الله أمره.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ قد جمعهم ذلك على قضائه، كنحو صلاة الجمعة وحفر الخندق والغزو ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ أي: لم يفارقوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ في الرجوع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في الذهاب من عندك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: المخلصون في ذلك ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ نزلت في عمر رضي الله عنه، استأذن رسول الله في الرجوع من غزوة تبوك، فقال: أذنت لك يا عمر، فوالله ما أنت بمنافق، أراد أنْ يسمع المنافقين(١).

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا أذن أحدًا من أصحابه يقول: أذنت لك غفر الله لك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ رخَّص لهم في الاستئذان بعدما شدد عليهم.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ يعني: احذروا دعاءه إذا أسخطتموه، فإن دعاءه موجب، ليس كدعاء غيره(٢).

وقيل: لا تقولوا له: يا محمد، كما يقول بعضكم لبعض، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وادعوه بالتعظيم(٣).

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ يعني: خلافًا(٤)، أي:

---

(١) كذا وقع عنده: عمر، وفي تفسير مقاتل ٢/ ٤٢٧، وفي تفسير أبي الليث ٢/ ٥٢٦ عن مقاتل: عثمان، وهذا القول ليس بصحيح.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢٣٠، وهو الراجح عند الطبري، لدلالة السياق.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٢٧.

(٤) وهو قول مجاهد، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٣١.

يخرجون من بين ظهرانيكم، وهم المنافقون خلافًا من قوله: لاوذت لِواذًا إذا خَالفت، ولاذ لِياذًا إذا التجأ[(١)].

وقيل: يخرجون من بينكم من المسجد يلوذ بعضهم ببعض، أو بسارية المسجد، كي لا يراهم أحد.

ثم قال ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: أمر الله تعالىٰ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بليَّة يبتلون بها، قيل: الفتنة الكفر ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ القتل في الدنيا.

قال أبو سعيد الخراز: الفتنة إسباغ النِعَم مع الاستدراج مِن حيث لا يعلم العبد.

وقيل: الفتنة للعوام، والبلاء للخواص.

قال ابن عباس في معنىٰ الآية: أنَّ رسول الله إذا خطب يوم الجمعة يعيب المنافقين، وسمَّاهم رجسًا، فإذا سمعوا ذلك نظروا يمينًا وشمالاً، إن لم يبصرهم أحد يتسللون من المسجد، ولم يصلوا الجمعة، فنزلت الآية، والله أعلم[(٢)].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ في الآخرة للمحاسبة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من خير أو شر.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ من أفعال العباد ويجزيهم بها.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي رضي الله عنه: بلغنا أن شقيق بن سلمة

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٦.

(٢) وهو من رواية الكلبي كما في البسيط ١٦/ ٣٨٨.

قال: شهدت ابن عباس ولي الموسم، وقرأ سورة النور علىٰ المنبر وفسرها، فلو سمعتها الروم لأسلمت[١].

قال: وبلغنا عن أبي ابن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة النور أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضىٰ وفيما بقي»[٢] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) رواه الطبري في التفسير ١/ ٨١، وفي بعض الروايات: سورة البقرة.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان١٩/ ٩، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩١.

سورة الفرقان

مكية(١)، وهي سبعون وسبع آيات(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ تبارك: أصله من بروك البعير، وبروك الطير علىٰ وجه الماء، وهو: مداومته عليه.

ومعناه: تبارك أي هو ثابت أزلي لم يزل ولا يزال موصوفًا بالعظمة والقدرة والكبرياء، وهو ذو بركات بخلقه، والبركة: هو اسم كل فضل وبر، أي: به ينال كل شرف وفضل(٣).

وقيل: معناه تبرَّك الخلق باسمه وطاعته في كل أمر(٤).

وقوله: تبارك؛ تفاعل من البركة، ولا يقال فيه: يتبارك ولا متبارك، بل هي لفظة مخصوصة، والمعنىٰ: أنَّ الذي نزل الفرقان -يعني القرآن- علىٰ عبده محمد ذو بركات وفضائل بخلقه، ليكون القرآن للعالمين نذيرًا مخوِّفًا(٥).

وقيل: ليكون النبي صلىٰ الله عليه وسلم نذيرًا(٦).

---

(١) الكشف والبيان ١٩/ ٣٥٣، واستثني منها آيات من آخرها، زاد المسير ٣/ ٣١١ .

(٢) لا خلاف بين علماء العدد في ذلك، البيان ١٩٤ . وفي الأصل: تسعون، وهو تصحيف.

(٣) البسيط ١٦/ ٤٠٠.

(٤) سبق تفسيره في سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٧ .

(٦) وأجاز بعضهم ان يكون النذير هو القرآن (البسيط ١٦/ ٤٠٣).

والنذير: الداعي إلىٰ الرشد الصارف عن الغي، ومعناه: المنذر.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ مثل عيسىٰ وعزير ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ فيعازُّه في عظمته ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ مِن المخلوقين علىٰ إرادته ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ بحكمته.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ من الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ ولا يستطيعون ذلك ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: يُنحتون، وقيل: خَلقُ الله عز وجل ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: الأصنام لا يقدرون دفع الضر عن أنفسهم، ولا جرَّ نفع إلىٰ أنفسهم ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: إماتة أحد ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾ أي: إحياء أحد، كيلا يموت ﴿وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ أي: إحياء شيء بعد الموت.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: كفار مكة ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: كذبٌ اختلقَه، يعنون القرآن ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ أي: علىٰ اختلاقه، عدَّاس مولىٰ حويطب، ويسار غلام عامر الحضرمي، وجبر مولىٰ عامر الحضرمي، وهؤلاء الثلاثة كانوا من أهل الكتاب، قرؤوا بعض التوراة[١]، فلما أسلموا كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يتعاهدهم[٢].

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ أي: شركًا وكذبًا، حيث قالوا: إن محمدًا اختلقه.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أباطيلهم وترهاتهم اكتتبها ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي: كتبها محمد من هؤلاء الثلاثة ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ أي: أملوه عليه غدوًا وعشيًا[٣].

---

(١) الكشف والبيان ١٩/ ٣٥٨، البسيط ١٦/ ٤٠٦.

(٢) في الأصل: يعاهدهم. وهو تصحيف.

(٣) وهو مقولة النضر بن الحارث، فقتله الله يوم بدر (تفسير الطبري ١٩/ ٢٣٨).

﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: يعلم القول الخفي من أهل السماوات والأرض، وقيل: يعلم عملهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب من الشرك قبل أن يخلقهم ﴿رَّحِيمًا ۝٦﴾ حيث رخص لهم بالتوبة وستر على المذنبين.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ ما: منفصلة عن الكلام، يعني: أي شيء له؟ وما باله؟[1] ﴿يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ كما يأكله غيره ﴿وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ وهو طرق مكة ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ﴾ إنْ كان رسولاً كما يزعم، والملك يريدون به جبريل ﴿فَيَكُونَ﴾ جبريل ﴿مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ﴾ هلاَّ يكون له كنز ينفق منه ﴿أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ﴾ أي: بستان من نخيل وأعناب ﴿يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ﴾ ويتفرغ لتبليغ الرسالة ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨﴾ مخدوعًا، مغلوب العقل، وقيل: علم السحر[2].

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ﴾ أي: كيف وصفوا الأشباه حيث شبهوك بالمسحور ﴿فَضَلُّواْ﴾ عن الهدى، وأخطؤوا في القول وتاهوا وتجبروا ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٩﴾ أي: لا يجدون حيلة ولا مخرجًا عن مقالتهم، لتناقض كلامهم.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذين يقولون: لولا أنزل عليه كنزًا ويكون له جنة، يعني ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ لا جنة واحدة ﴿وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ۝١٠﴾ لا قصرًا واحدًا.

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾ ابتدأ بكلمة بل، ومعناه: قد كذبوا بقيام ﴿بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا﴾

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٨.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٣٠، والقول الأخير غريب.

أي: هيَّأنا ﴿لِمَن كَذَّبَ﴾ بقيام[١] ﴿بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ١١﴾ نارًا وقودًا.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وهي مسيرة مائة عام ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ١٢﴾ مثل: زفير الحمار، تقول: إليَّ أهلي إليَّ أهلي.

﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا﴾ أي: طرحوا منها ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بمنزلة الزج في الرمح ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي: مسلسلين مع الشياطين ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ١٣﴾ يعني: ينادون يا ويلاه يا هلاكاه.

﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ تجيبهم الخزنة بهذا: لا تصيحوا علىٰ أنفسكم بويل واحد ﴿وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ١٤﴾ أي: نوحوا علىٰ أنفسكم نَوْحًا كثيرًا.

والثبور: مصدر لذلك لم يجمعه[٢].

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ الذي وُصف من جزاء الكافرين خير ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ١٥﴾ يصيرون إليها.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ ويشتهون ﴿خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ١٦﴾ في الدنيا.

قال مقاتل: يُسأل المتقون في الآخرة ما وعد لهم من الجنة في الدنيا، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[٣].

قال الزجاج: هو قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾[٤].

---

(١) في الأصل: فرق بين الباء والساعة بـ:قيام.

(٢) فهو للقليل والكثير علىٰ لفظ الواحد (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٩).

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٣٢.

(٤) معاني القرآن ٤/ ٦٠ ولفظه: مسؤول ذلك قول الملائكة..الخ.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1] الأصنام، ثم نأذنُ لها في الكلام ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أنتم صرفتموهم عن التوحيد ﴿أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ۝١٧﴾ أخطؤوا الطريق.

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾ تبرأت الآلهة مِن ذلك، ويقلن: أنت أجل من ذلك يا ربنا ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي: لا يصلح لنا أن نتخذ غيرك وليًا، فكيف ندعو أحدًا إلىٰ عبادتنا ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ﴾ أي: عيشتهم ﴿وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ أي: تركوا التوحيد ﴿وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ۝١٨﴾ هلكىٰ فاسدة القلوب.

﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ يعني: الأصنام ومَنْ عبدتموهم كذبوكم يا أهل مكة في ما قلتم ﴿ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ ﴾ لا العابد ولا المعبود في ذلك اليوم ﴿صَرۡفٗا﴾ العذاب عنكم ﴿وَلَا نَصۡرٗاۚ﴾ أي: منعًا للعذاب عن أنفسهم ﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ﴾ أي: يشرك منكم يا أهل مكة وأدام[2] علىٰ شركه ﴿نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ۝١٩﴾ فظيعًا لا انقطاع له.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ وهذا جواب لقولهم ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ الآية، يعني: الرسل كانوا يأكلون كما تأكل[3] ﴿وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ كما تمشي لطلب العيش، ثم قال ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ أي: ابتلينا الغني بالفقير، والرؤساء بالموالي.

---

(١) في الأصل: نحشرهم، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة الجمهور، وقرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب وحفص بالياء (النشر ٢/ ٣٣٣).

(٢) كذا في الأصل، ويمكن أن تكون: وأقام.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦٠.

وهذا جواب كلام غير مذكور، وذلك لأنه لما أسلم الموالي والفقراء همَّ الرؤساء أن يسلموا، فوسوس لهم الشيطان أنْ قد سبقكم الفقراء والموالي، فإنْ أسلمتم بعدهم يكونوا أوفر حظًا منكم، فامتنعوا من الإسلام، فنزلت الآية(١).

أي: جعلنا السابقين من المسلمين فتنة للرؤساء من أهل مكة وبلية.

﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ أيها الرؤساء علىٰ فضيلة السابقين من الفقراء فادخلوا في الإسلام ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ بمن يؤمن ومن لا يؤمن ومن سبق ويبطئ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون حسابنا وجزاءنا ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ حتىٰ نراهم بأجنحتهم ويخبرونا أنه رسول الله ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ فيخبرنا أنَّ محمدًا رسولي ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بما تمنوا رؤية ربهم ﴿وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾ إذ رتبوا هذه الرتبة لأنفسهم.

﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ عند نزع الأرواح من الأجساد وعند النشر من القبور ﴿لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بل البشارة تكون للمؤمنين ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لهم الملائكة ﴿حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢﴾ أي: حرامًا محرمًا، يعني: البشارة حرام لكم(٢).

وقيل: حرامًا محرمًا دخولكم الجنة(٣).

﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ﴾ أي: عمدنا إلىٰ ما عملوا لغير وجه الله تعالىٰ ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ أي: جعلناه كالغبار يسطع من حوافر الدواب تهب به الريح.

---

(١) وهو قول مقاتل والكلبي، انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٢٣٠، الكشف والبيان ١٩/ ٣٨٥، البسيط ١٦/ ٤٤٧.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢٥٤.

(٣) وهو مندرج في القول السابق، لأن دخول الجنة أعظم بشرىٰ.

وقيل: كالذي يدخل في شعاع الشمس في كُوَّة البيت، ترىٰ الذر ولا يستطيع أن يمسَّ.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ مِن مستقر أهل النار ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ من مقيلهم.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ أي: عن الغمام، و«الباء» و«علىٰ» و«عن» تأتي كلها بمعنىٰ، كما يقال: رميت بالقوس وعن القوس وعلىٰ القوس[1].

معناه: تصدع السماء عن الغمام، والغمام مثل سحاب أبيض فوق سبع سماوات، كما روي في الخبر: «أنَّ دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام»[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تشقق سماء الدنيا فتصير بمنزلة الغمام الأبيض، وهو الضباب الذي يضمحل أسرع شيء، ثم ينزل سكانها فيحيطون بالعالم، ثم تشقق السماء الثانية، فينزل سكانها فيحيطون بالعالم صفًا آخر، ثم كذلك كل سماء بعد سماء، حتىٰ يصير ملائكة سبع سماوات صفوفًا حول العالم، فذلك قوله: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾[3].

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ يعني: الملكُ الحق يومئذ للرحمن ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ غير يسير.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ يعني: الكافر حين عاين ما كذب به، وهو القيامة، يأكل أنامل نفسه جزعًا ولا يشعر[4].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٢٦٠، الكشف والبيان ١٩/ ٣٩٣.

(٢) رواه أحمد في المسند ٨٠٤٣، والترمذي ٢٥٢٦، وابن ماجه ١٧٥٢، وفيه ضعف.

(٣) وهو من رواية الكلبي فيما يظهر، وقد ذكره أبو الليث في سياق مختلف ٢/ ٥٣٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٣٦، البسيط ١٦/ ٤٧٤.

قيل: إن الآية نزلت في عقبة بن أبي معيط حين صنع طعامًا ودعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فامتنع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من أكل طعامه، فقال: إيش تريد؟ فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فقال: كل يا ابن أخي، فقال: لا حتىٰ تشهد، فشهد عقبة بذلك، فأكل من طعامه، فسمع بذلك أُبي بن خلف الجمحي، وكان من أخلاء عقبه، فقال له: صبأت يا عقبة، فقال عقبة: لا والله، ولكن أبىٰ رجل أن يأكل من طعامي فاستحييت أن يخرج من قبل أن يطعم فشهدت له، فقال له أُبي بن خلف: والله لا أرضىٰ عنك أبدًا حتىٰ تأتيه وتبزق في وجهه، وتطأ علىٰ عنقه، وتلطم وجهه، فأجابه إلىٰ ذلك، فذهب ووجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ساجدًا، فوطئ علىٰ عنقه وقفاه حتىٰ ألزق الحصىٰ جبهة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فرفع رسول الله رأسه وقال: لله إن أصبتك خارجًا من الحرم لأقتلنك، فقال اللعين: يا ابن أبي كبشة كيف تصيبني خارجًا من الحرم، وكيف تستطيع قتلي؟ فأمكن الله رسوله من عقبة يوم بدر، فقال لعلي: يا علي خذ السيف واقتله، فقال: يا محمد تقتلني من دون قريش، فقال: نعم يا خبيث، تذكر يوم آليت بالله علىٰ ما صنعت بي، اضرب عنقه يا علي، فقال: وإلي ما الصبية يا محمد؟ فقال: إلىٰ النار، فقتله الله علىٰ يد رسوله يوم بدر، فأدركته الندامة حين عاين القتل، فقال ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧﴾ أي: سلكت معه طريق الإسلام ولم أرتد[1].

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ نداء توجُّع وتفجع، أسقطت هاؤه وبقيت الألف، معناه: يا ليتني لم أتخذ أُبي بن خلف خليلاً مصافيًا.

---

(١) هذا السياق الطويل هو من سياقات الكلبي، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٣٦، الكشف والبيان ١٩/ ٣٩٥. وقد رواه الطبري مختصرا عن جماعة من المفسرين، كابن عباس من رواية عطاء الخراساني -وهي ضعيفة- والشعبي ومقسم ومجاهد.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: جهلني عن الإيمان والقرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ وقبلته وتكلمت به ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ يعني الكافر ﴿خَذُولًا ۝٢٩﴾ يتبرأ منه عند الحاجة، وهو يوم القيامة.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ أي: متروكًا وهذيانًا(١).

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ كما جعلنا أبا جهل لك عدوًا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ لهم على الأعداء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة واليهود ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كما أنزلت التوراة جملة واحدة بمرة، وكان المعنى في تفريقه أنَّ فيه الناسخ والمنسوخ لمصلحة العباد، ولأن التوراة نزلت مكتوبة، بخلاف القرآن، ولأنَّ بعض القرآن جواب سؤالهم.

فقال الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنزلت ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: تحفظه بقلبك ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾ بيّناه تبيينًا، والترتيل: التبيين(٢).

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: لا يخاصمونك بمثل من أمثالهم التي ضربوها لك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: أمثال القرآن ﴿وَأَحْسَنَ [تَفْسِيرًا] ۝٣٣﴾ مما أتوا به.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي: يساقون على وجوههم إلى جهنم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ في الآخرة ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤﴾ في الدنيا من الذين آمنوا.

سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يُحْشَر الكافر على وجهه؟

---

(١) جمع بذلك القولين الواردين في معنى الهجر، انظر: البسيط ١٦/ ٤٨٣.

(٢) وهو قول ابن زيد، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٦٦.

فقال: «إنَّ الذي أمشاه علىٰ رجليه[١] قادر أن يمشيه علىٰ وجهه»[٢].

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له ذنوبه: بلغنا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ الناس يوم القيامة علىٰ ثلاثة أثلاث: ثلث علىٰ الدواب، وثُلث علىٰ أقدامهم ينسلون، وثُلث علىٰ وجوههم»[٣].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ معينًا له ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعني: القبط، باليد والعصا، ثم قال ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ مختصر، أي: ذهبا وبلغا، فلم يقبلوهما فأهلكناهم، والتدمير: الإهلاك بأمر عجب[٤].

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ يعني: نوحًا وحده، ومن كذب نبيه فقد كذب الرسل ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ أي: عبرة لمن بعدهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ من الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ أهلكناهم أيضًا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ كان قوم نزولاً علىٰ بئر يعبدون الأوثان، ولا يظفرون بأحد يخالف دينهم إلا قتلوه ورسُّوه فيها، أي: ألقوه. وقيل: هم قوم شعيب[٥].

---

(١) في الأصل: رجله.

(٢) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخاري ٤٧٦٠، ومسلم ٢٨٠٦.

(٣) رواه ابن راهويه في مسنده ١٢٨، وابن أبي داود في البعث ٢٢، والبزار في مسنده ٩٥٨٠. وقد رواه ابن جرير ١٩/ ٢٦٨ والترمذي ٣١٤٢ موقوفا علىٰ أبي هريرة، ومدار الحديث علىٰ علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وله شاهد عند الترمذي ٣١٤٣ من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

(٤) انظر: البسيط ١٦/ ٥٠٠.

(٥) وقيل من قرىٰ قوم ثمود، وقيل: هي الفلج باليمامة، وقيل: أنطاكية، وهو قوم ياسين.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ لم نسمهم لك أهلكناهم.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ من الأيام الصالحة للمطيعين، والأيام المردية للعاصين ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ أهلكناهم إهلاكًا.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ يعني: أهل مكة، سافروا إلىٰ الشام ومروا علىٰ قُريات لوط التي أُمْطرت عليهم الحجارة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ فيعتبروا بها ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ لا يخافون البعث.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: لا يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ سخريًا، ويقولون ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ أما وجد رسولاً غير يتيم أبي طالب.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ أي: يستزلُّنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ وعبادتنا ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أجمل طريقًا هم أم محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ قال مقاتل: كان الحارث بن قيس إذا هوىٰ شيئا عبده، فنزلت الآية فيه(١).

يعني: أرأيت من هواه إلٰهه يطيعه فيما يأمر(٢).

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ أي: لست بحافظ لهم حتىٰ تمنعهم عن عبادة آلهتهم ولا تُسأل عن أعمالهم.

(انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٢٧٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٣٩، تفسير السمعاني ٤/ ٢٠، زاد المسير ٣/ ٣٢١) وأما هذا القول الذي ذكره المصنف فهو قول غريب.

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٤٣٨.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٢٧٤.

﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ أي: لا تحسب ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ فينتفعون بما يسمعون وما يعقلون ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ أي: ما هم إلا كالبهائم في قلة التمييز، وقيل: همُّهم همَّ الدواب وهو الأكل والشُّرب ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ لأنَّ الأنعام تَعرف ربها وتسبِّح وتصلي وتسجد، وهم لا يعرفون ربهم، ومع ذلك ينسبون إليه الولد والشريك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني: ألم تعلم، وهو من رؤية القلب، ومعناه: ألم ترَ إلىٰ صنيع ربك ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ كيف بسطه في المشرق والمغرب، وإمداده بعد طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس عند أهل التفسير؛ مثل مجاهد والضحاك[1].

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: دائمًا لا شمس معه، كما في صفة أهل الجنة: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ حيث ما يكون الشمس يظهر الظل، وتعرف الأشياء بأضدادها، ولو لم تكن الشمس ما عرف الظل، ولولا النور ما عُرفت الظلمة.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ يعني الظل بعد غروب الشمس، وقيل: قبضًا يسيرًا أي: قليلاً قليلاً إلىٰ الزوال، بارتفاع الشمس، لأنَّ الظل بعد طلوع الشمس لا يذهب بدفعة واحدة، وإنما يذهب قليلاً قليلاً.

وقبضًا يسيرًا: أي خفيًا لا يطلع عليه أحد[2].

قال الواسطي: خاطب العامة بقوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ وأثبت للخاصة نفسه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

---

(١) وهو قول المفسرين قاطبة، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٧٥.

(٢) وقيل: سهلا، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٠، البسيط ١٦/ ٥٢٤.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: سكنًا تسكنون فيه ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي: راحة لأبدانكم ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ أي للنشور، تنشرون فيه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾[١] إحياء، تنشر السحاب الذي به المطر الذي فيه حياة كل شيء.

وقرئ: نُشرًا، جمع نشور، مثل: رسول ورسل، وقرئ: بشرًا بالباء مبشرة[٢].

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ ينشر السحاب بين يدي المطر ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ طاهرًا تشربون منه وتتوضؤون به ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ﴾ أي: بالماء ﴿بَلْدَةً﴾ أرضًا ﴿مَّيْتًا﴾ بالنبات، ولم يقل: ميتة؛ لأنَّ البلدة أراد بها البلد، والبلد والبلدة واحد ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ﴾ أي: من جملة مخلوقاتنا ﴿أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ جمع إنسي، وقيل: جمع إنسان، وأصله: أناسين مثل سراحين[٣].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: المطر بين الناس عامًا بعد عام، وفي بلد دون بلد ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ ويتفكروا ويعرفوا منشئها ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ أي: أبوا عن التفكُّر يعني كفار مكة.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ يعني رسولاً، ولكن لم نشأ وبعثناك إلىٰ كافة الناس.

---

(١) في الأصل: نشرا، وعليها جاء التفسير، فقرأ ابن عامر: نُشْرا، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: نَشْرا، وقرأ عاصم كما أثبت، وقرأ الباقون: نُشُرا (السبعة ٤٦٥، النشر ٢/ ٢٧٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧١.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إذا دعوك إلىٰ دينهم، وذلك حين عرضوا عليه الأموال والنساء للتزويج ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ يعني: جاهدهم بالقرآن لأنه لم يؤمر بعدُ بالقتال.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي: أرسل ماء البحرين العذب والمالح، وخلىٰ بينهما، يقال: مرجت الدابة إذا خليتها ترعىٰ(١).

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزًا، فهما في رأي العين مختلطان، وفي قدرة الله منفصلان ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ أي: ممنوعًا كيلا يختلطا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ أي: من النطفة إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾ أي: جعل منه الولد والعم والخال والجد ﴿وَصِهْرًا﴾ والأصهار هم الأختان ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤﴾ حيث أراد أن ينشئهم أنشأهم ثانيًا كما خلقهم باديًا.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ إنْ عبدوه ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوا عبادته ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ﴾ يعني أبا جهل وغيره ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي على الكفر بربه ﴿ظَهِيرًا ۝٥٥﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦﴾ أي: مبشرًا بالجنة ونذيرًا بالنار.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ علىٰ الرسالة من جعل ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٥٧﴾ لكن من أراد أن يتخذ ما ينفق علىٰ الفقراء إلىٰ ربه سبيلاً ليكون له عنده قدم صدق.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٢٨١.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ أي: ثق واتكل على الله وفوّض أمرك إليه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: بحمد ربك يعني احمده منزهًا له عما لا يجوز في صفته ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ أي: هو عالم بذنوب عباده.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي: الذي خلق السماوات والأرض هو الرحمن الذي أنكره قومك ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ أي: سل عن الله أهل العلم يخبروك.

وقال الضحاك: فادع به خبيرًا بأعمال خلقه[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لأهل مكة ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ اخضعوا وصلوا ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ يا محمد، وقرئ: يأمرنا بالياء، يعني: يأمرنا الرحمن الذي زعمت أنت ولا نعرفه[2].

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝٦٠﴾ أي: زادهم سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم تباعدًا عن الحق.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر برجًا، وجعل فيها ثمانية وعشرين منزلاً، وثلاث مائة وستين درجة ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي في السماء ﴿سِرَٰجًا﴾ أي: شمسًا تقطع في كل شهر برجًا ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾ أي: مضيئًا يقطع كل برج في يومين وثلث يوم[3].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ يخلف كل واحد صاحبه، يجيء أحدهما ويذهب الآخر، وقيل: خلفة أي: مختلفًا، أحدهما أبيض والآخر أسود[4].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٢٨٧.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالياء، وقرأ الباقون بالتاء (النشر ٢/ ٣٣٤).

(٣) انظر تفسير سورة النساء، آية ٧٨.

(٤) وكلاهما مروي عن مجاهد، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٢٩٠.

﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي: يتعظ باختلافهما ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ لربه بالطاعة وترك المعصية.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذين استخلصهم لنفسه وهم خواصه ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ قال مجاهد: بالسكينة والتواضع(١)، وقيل: علماء حلماء أبرار أتقياء لا يجهلون إن جهل عليهم، عن الحسن(٢).

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ بالقبيح ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ أي: سدادًا من القول وسكتوا، وقيل: كان هذا بمكة ثم نسخت بآية السيف(٣).

وقيل: يقولون قولاً يسلمون من المعصية.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ علىٰ أقدامهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ ادفع عنَّا عذاب النار ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥﴾ أي: بلاء وشقاء علىٰ أهلها لازمًا.

﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾ منصوبان علىٰ التمييز(٤)، معناه: إنها ساءت في المستقر والمقام.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ﴾ فينفقوا في معصية الله ﴿وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ لم يُمسكوا عن مواضع الحق، وكان إنفاقهم بين الإسراف وإقتار ﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ قصدًا وعدلاً.

---

(١) رواه الطبري في التفسير ١٩/ ٢٩٣.

(٢) نحوه في تفسير الطبري ١٩/ ١٩٤.

(٣) وهو قول الكلبي، وتعقبه أبو الليث في تفسيره ٢/ ٥٤٤، بقوله: هذا خطأ لأن هذا ليس بأمر، ولكنه خبر عن حالهم، والنسخ يجري في الأمر والنهي.

(٤) التبيان ٢/ ٩٩١.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أنفق في حقٍّ مائة ألف فليس بسرف ولو أنفق درهمًا في غير حق كان سرفًا[١].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعني هم خواص الرحمن، والذين[٢] ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني النفس بالنفس، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذا التفسير[٣].

﴿وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي: زنا أو إشراك ﴿يَلۡقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ جبلاً في النار، وقيل: أثامًا جزاء الإثم.

قال الشاعر:

جزىٰ الله ابنَ عُروة حيث أمسَىٰ ... عُقُوقًا والعقوقُ لهُ أثام[٤]

أي: جزاء.

وقيل: هو وادٍ في النار أو جُبٌّ في النار[٥].

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فقوله: «يلق أثامًا» جزم علىٰ الشرط،

---

(١) هذه رواية الضحاك عن ابن عباس، كما في البسيط ١٦/ ٥٨٦.
(٢) ي الأصل: فصل بين الواو وَلا بـ:الذين.
(٣) روىٰ البخاري في الصحيح ٤٧٦١: عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت - أو سئل - رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أي الذنب عند الله أكبر، قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك» قال: ونزلت هذه الآية تصديقا لقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾.
(٤) البيت لبلعاء الكناني، وقيل شافع الليثي، انظر: مجاز القرآن ٢/ ٨١، تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٤٥، الكشف والبيان ١٩/ ٤٨٧، البسيط ١٦/ ٥٩١.
(٥) وهو قول ابن عمرو ومجاهد وعكرمة، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٨، وزاد المسير ٣/ ٣٢٩.

ويضاعف: مجزوم، لأنه لقي الآثام.

﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩﴾ لا يموت ولا يكرم، وتضعيف العذاب هو أن يكون مرة إلىٰ الزقوم، ومرة إلىٰ الضريع، ومرة إلىٰ الآثام.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ عن شِركه ﴿وَءَامَنَ﴾ بعد كفره ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ في الإيمان لربه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [ليس] أنَّ[1] السيئة تصير حسنة، ولكن التأويل أن السيئة تُمْحَىٰ بالتوبة، والكافر يُحْبِط الله عمله، وتثبتُ عليه السيئات، فالمؤمنون يكون لهم مكان الشرك توبة، ومكان الكفر إيمانًا، ومكان الفواحش عفافًا[2].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ بعد التوبة.

هذه الآية نزلت بمكة، فلما هاجر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المدينة كتب الوحشي إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم: هل لي من توبة، وقد أشركت، وقتلت وزنيت؟ فأنزل الله تعالىٰ بعد ثمان سنين[3]:

﴿وَمَن تَابَ﴾[4] من الشرك وآمن وصدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ في التوحيد ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝٧١﴾ توبة خالصة[5].

---

(١) في الأصل: لأن، وهو تصحيف، والتصحيح من المصدر.

(٢) خلصه من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٤.

(٣) وهذه المدة مروية عن الضحاك كما في تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٧، أي أن آية النساء [٩٣] متأخرة وهي: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ عن آية الفرقان، وقيل: بل ستة أشهر (تفسير الطبري ٩/ ٦٨، البسيط ١٦/ ٥٩٦). وهذا معنىٰ قولهم: نزلت الغليظة بعد اللينة.

(٤) تشابه علىٰ الناسخ فكتب أول الآية السابقة.

(٥) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناسا، من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدا صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه

وقيل: متابًا مناصحًا نفسه.

فأمر رسول الله وحشيًا أن يخرب مسجد المنافقين، وقتل مسيلمة الكذاب علىٰ عهد أبي بكر، فلما قبل الله توبة الوحشي قال كفار مكة: كلنا عَمِل عَمَل الوحشي وقد قبل الله توبته، فلم ينزل فينا شيء، فنزلت ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[1].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: الذين لا يحضرون مجلس[2] الذين يكذبون علىٰ الله ورسوله فيه، وقيل: مجالس الغناء[3].

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ﴾ أي: بالباطل ومجالس اللهو ﴿مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ حلماء مُعْرِضين عن فعلهم.

واللغو: كل ما لم تأت به الشريعة ويجب طرحه وتركه[4].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ وُعظوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ بالقرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ أي: لم يقعوا عندها كالأصم الذي لا يسمع، والأعمىٰ الذي لا يبصر، بل سمعوا سماع قبول واتعاظ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ أي: خواص الرحمن هم الذين يقولون ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي: نسائنا ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ في الدنيا، يعني: اجعلهم مطيعين

لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الزمر:٥٣] متفق عليه، رواه البخاري ٤٨١٠، ومسلم ١٢٢.

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٤٦.

(٢) في الأصل: المجلس.

(٣) وهو قول مجاهد، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٣١٣.

(٤) البسيط ١٦/ ٦٠٣.

لك حتىٰ تقر به أعيننا، عن الكلبي[١].

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ أي: اجعلنا صالحين يُقْتَدىٰ بنا في الخير، يعني: اجعلنا قادة وهُداة في الخير يُقتدىٰ بنا بعد موتنا.

ثم أخبر الله تعالىٰ عن مجازاتهم فقال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ الدرجة العالية الرفيعة فوق الأعمدة من اليواقيت والزمرد ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ علىٰ أداء الفرائض واجتناب المحارم ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ بالتخفيف: أي يَرون، وبالتشديد يُقابلون[٢] ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥﴾ أي: تحية من الملائكة وسلامًا من الله عز وجل.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ﴾ الغرفة ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ أي: موضع قرار ﴿وَمُقَامًا ۝٧٦﴾ موضع إقامة.

﴿قُلْ﴾ لأهل مكة ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى﴾ أي: ما يفعل لكم ربي، وأيُّ وزن لكم وقدر عند الله ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ أي: توحيدكم إياه.

والعبءُ في اللغة هو الثقل، ومنه عبأتُ المتاع إذا جعلت بعضه فوق بعض[٣].

وقال أبو سهل: لماذا يعذبكم ربي لولا دعاؤكم الشرك وعبادتكم الأوثان[٤].

---

(١) البسيط ١٦/ ٦١٢.

(٢) التخفيف: يَلْقَون، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف وأبي بكر شعبة، وقرأ الباقون بالتشديد (النشر ٢/ ٣٣٥).

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٢١، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٨، البسيط ١٦/ ٦١٩.

(٤) وهو يوافق قول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٤٣٨، ولكن هذا القول يخالف قول أهل التفسير ويحتاج إلىٰ تقدير مضمر، (النكت والعيون ٤/ ١٦٢، زاد المسير ٣/ ٣٣٣).

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والكتاب ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ أي: ملازمًا، واللزام ما لزمك[١].

قال ابن عباس: اللزام يوم بدر[٢].

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الفرقان بُعِثَ يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، ودخل الجنة بغير حساب»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) البسيط ١٦/ ٦٢٤.

(٢) وهو قول جماعة من التفسير، البسيط ١٦/ ٦٢٤، زاد المسير ٣/ ٣٣٣.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٩/ ٣٥٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٢ .

سورة الشعراء

مكية كلها.

وقال الكلبي: الآيات التي يذكر فيها الشعراء وهي خمس آيات مدنية[١].

وهي مائتان [وسبع] وعشرون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ قال قتادة: اسم من أسماء القرآن[٣].

وقال ابن عباس: هي من أسماء عَميَ علىٰ العلماء علمها[٤].

وقال الأنماري: تقديره بسم الله الرحمن الرحيم الظاهر الطالع علىٰ الغيوب، السميع الساتر للعيوب، المجيد بإعطاء السيوب.

وقيل: الطاء طَوله، والسين سناؤه، والميم ملكه، فمعناه: بطولي وبسنائي وملكي[٥].

---

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ٧، زاد المسير ٣/ ٣٣٤، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٨٧.

(٢) كذا في الأصل، سقط عليه الآحاد، وهذا في عد الكوفيين والشاميين والمدني الأول، وفي عد الباقين ست وعشرون (البيان في عد آي القرآن ١٩٦).

(٣) ومثله قال أبو روق، تفسير الطبري ١٩/ ٣٢٦، الكشف والبيان ٢٠/ ١٤، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٨٨.

(٤) الكشف والبيان ٢٠/ ١٤ من رواية عكرمة عنه. وفي رواية علي عنه أنه قسم، وهو من أسمائه (تفسير الطبري ١٩/ ٣٢٦) لا يريد أن الكلمة كلها اسم من أسمائها، بل تدل علىٰ أسمائه، علىٰ نحو قول الأنماري الآتي.

(٥) الكشف والبيان ٢٠/ ١٥ .

وقيل: الطاء شجرة طوبىٰ، والسين سدرة المنتهىٰ، والميم محمد المصطفىٰ[١].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ يعني: هذه آيات القرآن الذي وعدتم علىٰ لسان موسىٰ، ثم خاطب رسوله صلىٰ الله عليه وسلم فقال:

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: قاتل نفسك ومهلكها بالتأسُّف ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ بما جئتهم من الآيات.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ أي: علامة ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ ذليلين. وظلت: معناه تظلُّ، لأنَّ الجزاء يقع الماضي فيه بمعنىٰ المستقبل[٢].

وقيل: أعناقهم هو كبراؤهم[٣].

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ أي: كلما نزل شيءٌ من القرآن بعدَ شيءٍ؛ فهو أحدث من الأول نزولاً، والكلام في الذكر قد تقدم[٤].

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾ بالجحود، وهم أهل مكة.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ أي: بالقرآن والرسول صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ أي: سيأتيهم ﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾ أي: نبأ ذلك وعلمه في القيامة.

وقيل: هو القتل ببدر[٥].

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٤٩، وهذا التفسير يخالف الأول.

(٢) وهو معنىٰ ما ذكره الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٨٢، وعنه الواحد في البسيط ١٧/ ١٢، وقيل: معناه فصارت (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٤٩).

(٣) ذكره في تفسير الطبري ١٩/ ٣٣١.

(٤) تفسير سورة الأنبياء، آية ٢.

(٥) والثاني قول الكلبي، كما في البسيط ١٧/ ٢٢. قال الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٨٣: المعنىٰ فسيعلمون نبأ ذلك يوم القيامة، وجائز أن يعجل لهم بعض ذلك في الدنيا نحو ما نالهم يوم بدر.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ استفهام[١] بمعنىٰ التعجب ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ أي: من كل زوج حسن ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ودليلاً علىٰ وحدانيته ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ أي: مصدِّقين بالتوحيد.

وقيل: الكريم المحمود من كل شيء، يقال: نخلة كريمة إذا طاب حملها وكبر، وشاة كريمة أي غزيرة اللبن[٢].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنيع في سلطانه المنتقم ممن لم يوحده ﴿الرَّحِيمُ ۝٩﴾ بالمؤمنين لمن تاب منهم عن الشرك.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ واذكر إذ أمر ربك موسىٰ ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠﴾ الكافرين، وهم القبط ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾ أي: قل لهم اتقوا الله وأطيعوه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢﴾ أي: اعلم أنَّ فرعون وقومه يكذبون.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ أي: أخاف أن يضيق صدري عن البلاغ ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ أي: لا يستمر لساني علىٰ الكلام عندهم، لأنهم ربوني وليدًا، وقيل: من مهابته ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۝١٣﴾ ليعينني علىٰ أمري.

وقال مقاتل: أرسل إلىٰ هارون، أي: معي هارون، كقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم[٣].

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ أي: جنابة كانت مني، وهي: قتل القبطي ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤﴾ مكانه.

﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ ﴿كَلَّا﴾ هو زجر وردع، معناه: لا تكن علىٰ هذا الظن وثق

---

(١) في الأصل: كررها مرتين.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٣٣٥، معاني القرآن ٤/ ٨٣، البسيط ١٧/ ٢٣، تفسير السمعاني ٤/ ٣٩.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٤٦، البسيط ١٧/ ٢٨.

بالله[١].

﴿فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾ سامعون لقولكما وقولهم.

﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ إليك، يعني: موسىٰ وحده رسوله.

وقال الزجاج: معناه إنَّا ذَوَا رسالة رب العالمين[٢].

﴿أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٧﴾ أي: خل بسبيل بني إسرائيل من العبودية.

فلما جاء موسىٰ وهارون باب فرعون اللعين؛ ضرب موسىٰ الباب، فإذا مساميره قد وقعت، وإذا كل حجرة في القصر قد خربت، وكل باب فيه قد وقع، وفرعون قد وقع من سريره بضربة موسىٰ بابه، فلما دخل موسىٰ وأقبل إليه مال فرعون بيده اليمنىٰ فوضعها علىٰ حاجبيه؛ لأنه أتت عليه أكثر من أربعمائة سنة وثلاثين سنة[٣].

وقال لموسىٰ: ألست موسىٰ؟ قال: نعم، ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ أي صغيرًا حين وُلِدْت.

قيل: ليس من المروءة تذكار الصنائع، وفرعون ذكر صنيعه فليس فيه فتوة[٤].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٥.

(٢) كذا علىٰ التثنية، أي موسىٰ وهارون، وفي معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٥: ذوو.

(٣) وهذا من قبيل الإسرائيليات التي يغلب علىٰ القلب بطلانها، وانظر بعض الإسرائيليات في تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٢.

(٤) نحوه قول أبي الليث: أول ما بدأ فرعون بكلام السفلة، ومن علىٰ نبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه أطعمه (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٢).

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨﴾ يعني: ثلاثين سنة لا تدعي شيئًا من ذلك[١].

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ مِن قتل القبطي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩﴾ لشكر تربيتي إياك.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي: قتل القبطي ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ التائهين يومئذ من النبوة، عن الضحاك[٢].

ومن الجاهلين، عن مقاتل[٣].

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أنْ تقتلوني ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علمًا وفهمًا ونبوة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢١﴾ إليكم.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٢﴾ معناه: أو تلك نعمة تمنها بعد استعبادك بني إسرائيل؟[٤].

وقيل: معناه أتذكر إحسانك إليَّ؛ وتدع إساءتك إلىٰ بني إسرائيل في الاستعباد، فلئن ربيت واحدًا لقد قتلت واستعبدت الآخرين[٥].

---

(١) وهو قول مقاتل، تفسير مقاتل ٢/ ٤٤٧.

(٢) ذكره أبو الليث في التفسير ٢/ ٥٥٢، والثعلبي دون نسبة في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٦.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٤٧. وهو قول الجمهورن ونسبه الثعلبي لأكثر المفسرين (الكشف والبيان ٢٠/ ٣٦). وهذا والذي قبله بمعنىٰ واحد، لأن المراد من التائهين الجاهلين بتحريم هذا لأنه لم يوح إلي بعد (تفسير الطبري ١٩/ ٣٤١). ولأهل المعاني أقوال أخرىٰ تخالف قانون التفسير بالمأثور، ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٧.

(٤) وهو قول قتادة حيث حمل الآية علىٰ الاستفهام (تفسير الطبري ١٩/ ٣٤٣)، ويكون معنىٰ الاستفهام هو الإنكار (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٦، الكشف والبيان ٢٠/ ٣٨).

(٥) وهذا القول أحسن من سابقه، وهو قول الفراء والطبري (معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٩، تفسير الطبري ١٩/ ٣٤٢).

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ حينئذ ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣﴾ و«ما»: حرف استفهام عن غير المميزين، معناه: أي شيء هو؟.

فأجابه موسىٰ بما هو دليل علىٰ أنَّ الله تعالىٰ فعل ما يعجز المخلوقين عن مثله ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾ من خلق ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾ فلم يعرض فرعون لجواب موسىٰ، وعدلَ عنه لأنه يحير، فـ ﴿قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥﴾ أوهم أنه لا يدري ما هو من الناطقين أو من الموات[(١)]، فزاد موسىٰ في البيان ﴿قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦﴾ فعجز اللعين عن جوابه، فـ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧﴾ لأني أسأله عن الماهية فيجيبني عن الملك، وأسأله عن الجنس فيجيبني عن الملك[(٢)].

﴿قَالَ﴾ موسىٰ لستُ بمجنون ولكن أدعوكم إلىٰ ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨﴾ يعني: إن أنت تعقل يا خبيث، فتحيَّر فرعون و﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي﴾ في مصر ﴿لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩﴾ حتىٰ ترجع إلىٰ عبادتي، وترجع عن دعواك إني رسول رب العالمين.

قال الكلبي: كان سجنه أشد من قتله، لأنه كان يطرح الرجل في مكان يهوي به [في] الأرض فريدًا وحيدًا، لا يسمع شيئًا ولا يبصر شيئًا[(٣)].

---

(١) من قوله: أوهم من زياداته علىٰ معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٧، فقد صدر عنه، وليست هذه الجملة فيه، وإذا لم تكن مصحفة فالمعنىٰ: أوهم فرعون أنه لم يفهم مراد موسىٰ، بسبب أن الناطقين وهما موسىٰ وهارون لم يبينا، أو من الموات: أي الإغفال، والله أعلم بالصواب.

(٢) قال ابن كثير: ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم؛ أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط؛ فإنه لم يكن مقرًا بالصانع حتىٰ يسأل عن الماهية، بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه (تفسير ابن كثير ٦/ ١٣٨). ونقل الواحدي عن ابن الأنباري جوابًا طويلا (البسيط ١٧/ ٤٣).

(٣) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٣، البسيط ١٧/ ٤٦. ونسب في بعض التفاسير إلىٰ ابن عباس، فهو من رواية الكلبي عنه (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٣).

﴿قَالَ﴾ له ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ من الآيات ظاهرًا أنه من الله عز وجل تجعلني من المسجونين ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ وكان في يد موسىٰ عصا من شجر الآس، فقال لفرعون: ما في يدي؟ قال: هذه عصا، ثم إنَّ موسىٰ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ من يده ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ حيَّة ذكر صفراء عظيم، لها عُرف، ولها اثنتان وسبعون قائمة، واثنان وسبعون ضرسًا، قامت علىٰ ذنبها قد ملأت الدار، فأهوت إلىٰ فرعون لتأخذه فهرب اللعين منها، فوقع من وراء سريره من الفَرق، فقال: خذها عني يا موسىٰ، وخاف أن تبتلعه، فأخذه موسىٰ فصارت عصا.

فقال فرعون: هل من آية أخرىٰ، قال: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أبرزها، وقال لفرعون: ما هذه؟ قال فرعون: هذه يدك، فأدخلها في جيب مدرعة له من صوف ثم أخرجها ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ لها شعاع كشعاع الشمس(١).

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ لأشراف قومه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ حاذق بالسحر.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ وخداعه ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ تشيرون علي.

﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: الأشراف ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ احبسهما ولا تقتلهما حتىٰ تنظر ما أمرهما ﴿وَٱبْعَثْ﴾ أي: أرسل ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: في القرىٰ حول مصر من الشرط.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ أشار أعداء الله إلىٰ ما أحب الله تعالىٰ، لأنه أحب أن يستنقذ السحرة من عبادة فرعون، ويُدخلهم دين الحق، ويجازيهم

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٣، وقد سبق تفسير ذلك في سورة الأعراف.

الجنة، فأشاروا إليه، فحبسهما فرعون[١].

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨﴾ يوم السبت.

وكان عدد السحرة ثلاثمائة وستين[٢]، عدد أيام السنة، وقيل: كان يوم عيدهم.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩﴾ أمر مناديه بأن ينادي ليجتمعوا، وقال: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠﴾ على موسىٰ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ للميعاد ﴿قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ من المال ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١﴾ لموسىٰ وهارون ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٢﴾ يكون لكم عندي منزلة بعد إعطاء المال.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٤٣﴾ حتىٰ أنظر إليه.

وظاهر الكلام أمر، ومعناه التهديد، يقول: متىٰ ألقيتم بين يدي سحركم ترون عجزكم وضعفكم، كقوله تعالىٰ لإبليس: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾.

﴿فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ﴾ بأجمعهم ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ﴾ أي: بعِظَم فرعون وقيل: بقوة فرعون ﴿إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤﴾ لموسىٰ وهارون.

﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ من يده ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ٤٥﴾ صارت

---

(١) إنما ذكر القرآن الإرجاء بمعنىٰ التأخير، ولم يذكر الحبس، فلعله أراد حبسهما يعني في مصر، لا يريد السجن، وهذا الذي ذكره ابن جرير في تفسيره ١٩/ ٣٤٦، والسمعاني ٤/ ٤٤، وقد ذكر أبو الليث نحو ما ذكر المصنف، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٤ .

(٢) سبق في سورة الأعراف أنْ ذكر أقوالا أخرىٰ في عددهم تخالف ما ذكره هنا، وهذا من الإسرائيليات.

العصا ثعبانًا، وفتحت فاها؛ فالتقمت الحبال والعصي في طرفة عين، ثم مالت برأسها فقتلت خمسًا وعشرين ألفًا في الزحمة، فلما عاين موسىٰ ذلك سجد شكرًا لله تعالىٰ، وسجد هارون معه.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝٤٦﴾ فسجدت السحرة معهما و﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ وإنما: قالوا برب العالمين لأنهم سمعوا أنه قال: أنا رسول رب العالمين، فقال لهم فرعون: إياي تعنون؟ فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝٤٨ قَالَ﴾ للسحرة علىٰ التوعد ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ أي: لموسىٰ بما يدعي من الرسالة ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ بالإيمان ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ أي: عالمكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ماذا نفعل[1] بكم، ثم بيَّن الوعيد فقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٩﴾ في جذوع النخل اللاتي علىٰ شاطئ نهر مصر.

﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا بأس ولا ضرار علينا بما تفعل بنا ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠﴾ نرجع بعد القتل إلىٰ ثواب ربنا ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ أي: شركنا وسحرنا ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾ من أهل مصر، فأمر الخبيث فقطعهم وصلبهم، فكانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ أي: ببني إسرائيل إلىٰ البحر ليلاً ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢﴾ يتبعكم فرعون بجنوده.

فاستعاروا من القبط دوابهم وحليهم، وساروا من ليلتهم قِبَل البحر، هارون علىٰ المقدمة، وموسىٰ علىٰ السَّاقة، وكانت ليلة السبت، فأصبح فرعون يوم الأحد، وجمع الجنود، وساروا يوم الاثنين عند الصباح في طلب موسىٰ وقومه، وهامان علىٰ مقدمة فرعون في ألفي ألف مقاتلة علىٰ الخيل

---

(١) في الأصل تصحفت إلىٰ: نقول.

الحصين[١]، ليست فيها رمكة[٢]، وفرعون في أكثر من خمسة آلاف ألف مقاتلة[٣]، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣﴾ يجمعون الناس في طلب موسىٰ وبني إسرائيل.

وقال فرعون: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝٥٤﴾ والشرذمة: القطعة من كل شيء من الناس والدواب والثياب وغيرها[٤].

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥﴾ أي: مبغضون[٥]؛ لأنهم استعاروا متاعنا لزينة السبت ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦﴾[٦] شاكون في السلاح، وقرئ: حاذرون، متيقظون[٧].

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧﴾ أي: بساتين وأنهار جارية ﴿وَكُنُوزٍ﴾ من أموال ظاهرة من الذهب والفضة، سمي كنوزًا لأنهم لا يعطون حق الله منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ مساكن طيبة في القصور التي اتخذوها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: ترك كذلك مُعدًّا مهيَّأً.

---

(١) في تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٥: ومعه ألف ألف ومأتي ألف، وفي الكشف والبيان ٢٠/ ٤٨: ألف ألف وخمسمائة ألف.

(٢) الرمكة: هي الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل (لسان العرب: رمك).

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٥٢، ونحوه في تفسير الطبري ١٩/ ٣٥١ عن قيس بن عباد.

(٤) وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا (تفسير الطبري ١٩/ ٣٥١، الكشف والبيان ٢٠/ ٥٠).

(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٥.

(٦) في الأصل: حذرون، وعليها جاء التفسير، وهي قراء أبي جعفر ونافع وابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهشام بخلف عنه، وقرأ الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٣٣٥).

(٧) وقال ابن جرير في التفسير ١٩/ ٣٥٣: حَاذِرُونَ: بمعنىٰ: أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوّة وسلاح، وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة: «وأنا لجميع حذرون» بغير ألف، وكان الفرّاء يقول: كأن الحاذر الذي يحذرك الآن، وكأن الحذر المخلوق حذرا لا تلقاه إلا حذرا .

وقيل: كذلك أفعل بمن يعصيني[١].

﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ لأنَّه رد بني إسرائيل إلىٰ مصر بعد ما أغرق فرعون وقومه[٢].

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠﴾ لحقهم فرعون وجنوده عند شروق الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع فرعون وموسىٰ عاين بعضهم بعضًا ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾ يا موسىٰ أهلكتنا بأيديهم، فليت أنَّك تركتنا في أرض مصر يستعبدوننا، فالآن أدركونا وقدَّامنا البحر، ووراءنا العدو، وليس معنا سلاح.

﴿قَالَ﴾ لهم موسىٰ ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ سيعينني وينصرني.

فبعث الله ضبابة علىٰ قوم فرعون حتىٰ صار نهارهم كالليل، وقوم موسىٰ في نهار مشرقين، فنظر فرعون إلىٰ البحر ونظر إلىٰ أمر عظيم، وبعث الله تعالىٰ ثلاثة وثلاثين ملكًا يضربون دواب القبط ليلتئموا جميعًا، وجبريل علىٰ رمكة بلقاء قدام فرعون، وفرعون علىٰ ظهر الحصان، فلم يتمالك عنانه حتىٰ قذف نفسه إلىٰ فرس جبريل، وهامان عن يمينه، حلف بعزة فرعون إنما انفلق البحر لرؤيتك، ألا ترىٰ أنهم كانوا وقوفًا ولم ينفلق لهم، فاسلك بنا مسلك بني إسرائيل نأخذهم، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾ أي: فضرب فانفلق وصار اثني عشر طريقًا يبسًا، كل طريق طوله فرسخان، وذلك يوم عاشوراء يوم الاثنين[٣] ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٤﴾ أي: قرَّبنا وجمعنا قوم فرعون علىٰ مسلك بني إسرائيل ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ من الغرق ﴿أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٦﴾ فرعون

---

(١) القولان في تفسير أبي الليث ٢/ ٥٥٥.

(٢) علىٰ قول من قال إن بني إسرائيل عادوا إلىٰ مصر بعد غرق فرعون، والله أعلم بصحة ذلك.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٥٢.

وقومه، في سبع ساعات من النهار[١].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي: في هلاك فرعون وقومه ونجاة موسىٰ وقومه، لآية لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: أكثر أهل مصر مصدِّقين بتوحيد الله تعالىٰ، ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا في الدنيا.

قال الكلبي: لم يؤمن من قوم فرعون إلا امرأته آسية، وابن عمه خربيل، ومريم بنت ماموس التي دلت علىٰ عظام يوسف[٢].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بالرحمة من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ بأوليائه حين أنجاهم من الغرق.

قال مقاتل: مكث موسىٰ بمصر ثلاثين سنة، ثم قتل القبطي وهرب، وأقام بمدين عشر سنين، وبعثه الله تعالىٰ نبيًا وهو ابن أربعين سنة، ثم دعا فرعون وقومه ثلاثين سنة، ثم قطع البحر فعاش بعد ذلك خمسين سنة، ثم مات وهو ابن مائة وعشرين سنة[٣].

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ يعني: علىٰ أهل مكة خبر إبراهيم لأنهم من نسله، وهم يتقلدون بالآباء في عبادة الأصنام.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أي شيء تعبدون؟

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ نقيم عليها عابدين.

---

(١) انظر بعض الروايات في ذلك في تفسير الطبري ١٩/ ٣٥٥، الكشف والبيان ٢٠/ ٥٧

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٥٨، البسيط ١٧/ ٦١، تفسير السمعاني ٤/ ٥٢، وهو مروي عن مقاتل كما في تفسيره ٢/ ٤٥٣، وعنده: مريم بنت ناموثية، وعنده: حزقيل بدل خربيل.
وفي الكشف والبيان ٢٠/ ٥٨: حزبيل، ومريم بنت ناموسا.
وفي الأصل: ومنهم بيت ماموس، وهو تصحيف.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٥٣.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يعني: هل يجيبونكم إذ تدعونهم ﴿أَوْ﴾ هل ﴿يَنفَعُونَكُمْ﴾ في العبادة ﴿أَوْ﴾ هل ﴿يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ في ترك العبادة.

﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ كما نفعل ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم﴾ معناه: اعلموا أنَّ ﴿مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ الأسبقون ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ أي: جميع ما عبدتم عدو لي إلا رب العالمين.

ويحتمل أنهم كانوا يعبدون الله مع الأصنام، حتىٰ استثنىٰ الله تعالىٰ، وإنما ذكر الأصنام علىٰ الذكور لأنهم أقاموها مقام المعبود[1].

وقوله: عدو لي؛ يعني: وأنا عدو لهم أيضًا؛ لأن العداوة لا تكون إلا من اثنين.

ثم عدَّ إبراهيم نِعَم ربه فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ يرشدني الذي خلقني في بطن أمي من ماء مهين، طُرحت الياء في يهدين لرأس الآية.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ وأصنامكم لا تفعل من ذلك شيئًا ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ للبعث[2].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ أي: ذنبي ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ أي: يوم الجزاء.

قال ابن عباس: الخطيئة التي طمع في مغفرتها قوله لسارة: هذه أختي، وقال لها إذا سألك فرعون حرَّان: من هذا الرجل معك؟ فقولي: هذا أخي، وقوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾[3].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٣.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٣٦٣.

(٣) وعلىٰ هذا أهل التأويل، انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٣٦٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٧٢.

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾ أي: بآبائي المرسلين ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ فيمن بعدي، أي: ثناءً حسنًا، فليس أهل دين إلا يتولونه ويقرون بنبوته.

ثم قال ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾ ممَّن يرث الجنة في الآخرة ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ﴾ أي: تجاوز عنه وتب عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦﴾ الجاهلين.

قيل: كان هذا الدعاء من إبراهيم في حياة أبيه، فلما أخبره جبريل أنه مات على الشرك تبرأ منه، وكان قد وعده بالاستغفار حيث قال: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾[(١)].

﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧﴾ أي: لا تعذبني يوم القيامة ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨﴾ من العذاب ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ خالص من الشرك.

قيل: سلامة القلوب من أربع، أولها من الشرك، والثاني من الأهواء المضلة، والثالث من الرياء والعجب، والرابع من ذكر كل شيء سوى الله.

وقال أبو بكر الوراق: سلامة القلب الرضى بمجاري المقدور من المحبوب والمكروه[(٢)].

﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠﴾ أي: أُظهرت وقُرِّبت، وتأويله -والله أعلم-: قرب دخولهم الجنة ونظرهم إليها[(٣)].

وأمَّا المتقون في الآية فهم الموحدون، يتقون الشرك.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١﴾ الضالين المضلين.

---

(١) انظر تفسير سورة التوبة، آية: ١١٤.

(٢) انظر بعض أقوالهم في تفسير الطبري ١٩/ ٣٦٥، الكشف والبيان ٢٠/ ٧٨.

(٣) لخصه من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٤، في الأصل: إياها وهو تصحيف، والتصحيح من المصدر.

قال ابن عباس: يجاء بها من تحت الأرضين السابعة السفلىٰ، لها سبعون ألف زمام، يتعلق بكل زمام سبعون ألف ملك، حتىٰ إذا كانت من الخلائق مسيرة عام زفرت زفرة لا يبقىٰ مَلَك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثىٰ لركبتيه، يقول: رب، نفسي نفسي، غير محمد صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «أمتي أمتي»، حتىٰ توضع علىٰ يسار العرش، مفتحة أبوابها وأطباقها، مستعدة زبانيتها بمقامعها وسلاسلها[١].

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ من عذاب الله ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ يمتنعون من العذاب ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ قال الأخفش: كبُّوا وقُلِبُوا علىٰ وجوههم، وأصل: كبكبوا كُبِّبُوا بالتشديد، فالكاف واحدة، والباء ثلاثة، فقلبت إحدىٰ الباءات كافًا، كما يقال: صرصر الريح، ولجلج، ووسوس[٢].

﴿هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾ يعني: الشياطين، فليس أحد يدخل النار إلا وشيطانه معه في سلسلة ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [رؤساؤهم][٣] مع الشياطين ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ أي: قد كنا في الدنيا في خطأ بيِّن وجهل وحيرة ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ معشر الشياطين ﴿ بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ يعني الشياطين، عن الضحاك[٤].

وقيل: رؤساء وهم الذين اقتدوا بهم في الضلالة.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ يشفعون لنا ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ بيننا وبينه قرابة

---

(١) ثبت في صحيح مسلم (٢٨٤٢) عن عبد الله مرفوعا: يؤتىٰ بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها .

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٧٩، البسيط ١٧/ ٧٨.

(٣) في الأصل غير محررة، ويدل عليها ما سيذكره لاحقا، وقد استأنست بتفسير الكلبي.

(٤) وهو قول مقاتل (الكشف والبيان ٢٠/ ٨٠).

يهتم بأمرنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلىٰ الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ بتوحيد رب العالمين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في هلاك قوم إبراهيم ﴿لَأَيَةً﴾ وقيل: فيما ذكر الله من حال الكفار وتمني رجوعهم عبرة لمن سمع.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ في الدنيا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ يعني نوحًا وحده ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ أي: أخوهم في النسب لا في الدين ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: توحدون ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ علىٰ وحي الله تعالىٰ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما أمركم بمعنىٰ أطيعوه ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ فيما دعوتكم.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ علىٰ ما جئتكم من الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: جُعل كما يَطلب رسل المَلِك ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ أي: ما أجري وثوابي فيما دعوتكم وبلَّغتكم من الرسالة ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ فيما أدعوكم إليه.

﴿قَالُوٓاْ﴾ له ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ نصدقك فيما تقول ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ وهم السفلة منَّا ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ أي: كنت لم أعلم أن الله تعالىٰ يهديهم للإيمان من بينكم ويخذلكم ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ أي: ما حسابهم وجزاؤهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ أنَّ الله عالِم الغيب، وأنا لا أعلم، فسألوه أن يطرد الضعفاء من بين يديه فقال ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ أنذركم بالحجة الظاهرة.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عن مقالتك بأنك رسول إلينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ بالحجارة ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي: احكم بيننا بالفصل الذي فيه نجاتنا، وهلاك عدونا ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ من الغرق ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ المملوء

الموقر من الناس وسائر الحيوان ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي: بعد ركوب نوح ﴿ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ من قومه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في هلاك قوم نوح ونجاة نوح ﴿لَأٓيَةًۖ﴾ لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في النسب ﴿هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ وقد ذكر تفسيره إلىٰ قوله: رب العالمين.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ قيل: كانت علامات وأعلام يرفعونها علىٰ الطرق ليضل بها(١) السابلة لاشتباه الأعلام عليهم(٢).

وقيل: كانوا يهيئون مواضع علىٰ أفواه الأزقة والأسواق يقعدون فيها ويسخرون ويستهزؤون [من] الناس.

والريع: ما ارتفع من الأرض، وقيل: هو فج أي طريق واسع(٣).

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ حصونًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ في الدنيا، يعني لعلكم تُخَلَّدُون، وقيل: المصنعة الحوض، وجمعه المصانع، أي: تشيدونها ولا تتفكرون في الموت(٤).

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ يعني: أخذتم أخذ الجبارين بالقهر

---

(١) في الأصل: به.

(٢) نحوه في البسيط ١٧/ ٩٤. وفي الأصل أهمل كلمة: السابلة، وفي البسيط: السائلة وهو تصحيف.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٧٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٩٣.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٣٧٥، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٦٢، الكشف والبيان ٢٠/ ٩٤.

والغضب، والجبار: العالي علىٰ غيره، لعظيم سلطانه، وهو مدح في صفة الله تعالىٰ، وذمٌّ في صفة العباد.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٣١ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾ أعطاكم من الخير ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢﴾ ثم بيَّن ذلك فقال ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝١٣٣﴾ أي: زادكم من الأنعام والأولاد ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٣٤﴾ أنهار جارية لم تكن لقوم نوح ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣٥﴾ وهو القيامة ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ۝١٣٦﴾ نهيتنا أو لم تنه ﴿إِنْ هَٰذَا﴾ الذي تأمرنا به ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣٧﴾ أي: عادة أمم الماضين لأنهم كانوا يحيون ثم يموتون.

وقرئ: «خَلْق الأولين»، أي: اختلاقهم الكذب(١).

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨ فَكَذَّبُوهُ﴾ بالرسالة والعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بالريح العقيم، فكذلك قومك نهلكهم بتكذيبهم إياك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝١٤٠﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۝١٤١﴾ أي: قوم صالح صالحًا ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في النسب ﴿صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٤٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٤٤ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٤٥ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا﴾ أي في شِرْككم ﴿آمِنِينَ ۝١٤٦﴾ ولا تعذبون كما عُذِّب الأمم من قبلكم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝١٤٨﴾ ثمرها لين لطيف، ما دام في كُفرَّاه، فإذا خرج من الكُفُرَّىٰ فليس بهضيم(٢).

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ﴾ أي فيها ﴿بُيُوتًا﴾ صفوفًا ومخادع

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر وابن كثير (النشر ٢/ ٣٣٥).

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٩٩، والكفرىٰ سبق تعريفه، وهو وعاء الطلع.

﴿فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[1] أي: مرحين أشرين بطرين، وقرئ: «فارهين»؛ أي: حاذقين أنتم في فعله[2].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ المشركين، وهم التسعة الذين ذكرهم الله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾.

﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ أجابه قومه: و﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ قيل: المخلوقين، وقيل: ممن سُحِر مرة بعد مرة[3].

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ خلقك كخلقنا، فإنْ أوتيت الرسالة من بيننا ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ لنبوتك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ وقد خرجوا إلىٰ عيدهم فقال لهم صالح: ما تشاؤون من الآية؟ قالوا -علىٰ وجه الاستهزاء-: تسأل ربك أن يخرج لنا من هذه الصخرة الصمَّاء الملساء ناقة عشراء وبراء، فصلَّىٰ صالح ركعتين ودعا ربه ذلك، فإذا الصخرة تفلقت عن الناقة، تمخض عن ولدها، وهم ينظرون[4].

﴿قَالَ﴾ صالح ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ الله أخرجها لكم من الصخرة كما سألتم ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ أي: قِسم من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ يومًا لها ويومًا لكم، تسقيكم من اللبن في يومها حتىٰ يروىٰ الصغير والكبير ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ بعقْر وقتل ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ في هذه الدنيا ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ علىٰ عقرها، قيل: ندموا حين نزل العذاب، وقد مرت قصتها في سورة هود.

---

(١) في الأصل: فرهين، وعليها التفسير، وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين وابن عامر (النشر ٢/ ٣٣٦).

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٣٨٢، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٦، الكشف والبيان ٢٠/ ١٠٢.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٨٤، وصحح القول الأول.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٣٨٦، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٦٤.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ صيحة جبريل فماتوا أجمعين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي في قصة قوم نوح وهود وصالح لآية لأهل مكة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾.

ثم قال ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ يعني عملهم الخبيث ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ كناية عن فروجهنَّ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ من الحلال إلىٰ الحرام.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن قولك هذا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ من سدوم ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ أي: المبغضين ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ ابنتيه ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ وهي امرأته وكانت منافقة ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ بقيت في القرية للهلاك ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ بعد خروج لوط من بينهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ علىٰ شذَّاذهم ممن كان خارج القرية ﴿مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ يعني: قوم لوط الذين أنذروا بالعذاب فلم يؤمنوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ الأيكة: الغيضة، وهو الشجر الملتف، يقال: كان شجرهم الدوم، وهو شجر المقل(١).

كذبوا شعيبًا وحده، وهو شعيب بن نُويب بن مدين بن إبراهيم.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٦٥. والمقل هو الكندر الذي يتبخر به اليهود، وهو صمغ شجرة شائكة، والدوم: المقل المكي (تاج العروس ٣٠/ ٤١٤).

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ولم يكن شعيب من نسلهم فلذلك لم يقل أخوهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ الوزن ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾﴾ منهما، وكانوا تجارًا ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ يعني العدل، وقيل: القبان ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ حقوقهم ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تسعوا فيها ﴿مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ يعني: خلق الأمم الماضين.

قال ابن عباس: الجبلة الواحدة عشرة آلاف[1].

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ لا تفضلنا بشيء فكيف نتبعك ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ بسكون السين، أي: جانبًا، وبفتح السين: قطعًا[2]، لنهلك وتنجوا منها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ﴾ شعيب ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ من خير أو شر ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالرسالة وبما أوعدهم ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ألقىٰ في غيظتهم شدة الحر، فكانوا يلهثون من الحر لهث الكلاب، فعذبهم الله بالحر سبعة أيام، فبينما هم كذلك إذ نشأت سحابة سوداء فيها ريح باردة، فخرجوا إليها ليستظلوا تحتها، فأصابتهم منها نار فاحترقوا[3].

﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾.

---

(١) انظر: البسيط ١٧/ ١١٩.

(٢) انظر: سورة الإسراء، آية: ٩٢.

(٣) مثله في الكشف والبيان ١٧/ ١١٩.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢﴾ أي مُنْزَل من الله، وهو سيد الخلائق أجمعين ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يعني: حتىٰ حفظته بقلبك ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ لقومك كما أنذر الرسل قبلك ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٩٦﴾ قيل: نعتك ونعت أمتك في كتب الأولين، ويحتمل: أنَّ القرآن كان مكتوبًا في كتب الأولين(١).

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ أي: لم يكن لأهل مكة آية لنبوة محمد ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٩٧﴾ وذلك أنَّ أهل مكة بعثوا إلىٰ أهل الكتاب يستخبرونهم عن محمد وما يدَّعي من الرسالة، فأخبروهم أن ذكره في كتابنا، وأنه مبعوث من أرضكم، وهو نبي فهذا دليل كافٍ علىٰ رسالته(٢).

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ۝١٩٨﴾ أي: علىٰ رجل ليس بعربي اللسان ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي: علىٰ كفار مكة لقالوا: لا نفقه كلامك، و﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ۝١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ يعني الكفر ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٢٠٠﴾ يعني: أدخلنا التكذيب في قلوبهم كما أدخلنا التصديق في قلوب المؤمنين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٢٠١﴾ يوم بدر، وقيل: عند الموت.

﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٠٢﴾ بنزولها ﴿فَيَقُولُوا۟﴾ عند نزول العذاب ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ۝٢٠٣﴾ مؤجلون حتىٰ نتوب.

قال الضحاك: يقولون حين عاينوا ملك الموت(٣).

---

(١) وعن أكثر المفسرين أن المقصود: ذكر القرآن، كذا قال الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ١١٥.

(٢) وهذه رواية الكلبي عن ابن عباس (الكشف والبيان ٢٠/ ١١٦، البسيط ١٧/ ١٢٥)، وروىٰ ابن جرير نحوه مختصرا عن مجاهد وابن جريج، تفسير الطبري ١٩/ ٣٩٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٦٨.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ وهو قولهم متىٰ العذاب ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ يا محمد ﴿إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم﴾ من العذاب ﴿مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ في الدنيا ﴿مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ يخوفونهم بعذابنا ﴿ذِكْرَىٰ﴾ أي: يذكرونهم ذكرىٰ ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ بإهلاكهم.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ لأنهم كانوا يقولون: تأتيه الشياطين بالقرآن، وهم يسمعون من الملائكة، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾.

﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ﴾ ما هم بأهل لذلك ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ ذلك، لأنهم ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ أي استماع خبر السماء ﴿لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ أي: ممنوعون، لأنَّ السماء حُرِسَتْ بالشهب التي ترمىٰ إليهم ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ فإنه لا شريك له ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ يجوز أنْ يكون الخطاب للرسول والمراد غيره.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ أي: خوِّفهم بالقرآن، وابتدأ بهم الأقرب فالأقرب، فبدأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بفاطمة، وقال: «يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أُغْنِي عنكِ من الله شيئًا غير أن رحمًا سأبلها ببلالها»(١).

---

(١)عن أبي هريرة، قال: لما أنزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، دعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قريشا، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: «يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها» رواه البخاري ٢٧٥٣، ومسلم ٢٠٤، واللفظ له.

ثم قال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ أي: لين جانبك وتواضع لهم ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ من الكفر والشرك ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ أي: فوِّض أمرك إلىٰ الله فإنه منيع في انتقامه ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ وحدك إلىٰ الصلاة، وقيل: تقوم من منامك(١).

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ يعني: تبين صلاتك وركوعك وسجودك مع المصلين في الجماعة، وهذا دليل تفضيل الجماعة(٢).

وقال ابن عمر ومعاذ: الذي يراك حين تقوم بالليل، وتقلبك في أصلاب الآباء من الأنبياء والمرسلين، مثل آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام(٣).

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالة قريش: تنزلت به الشياطين ﴿ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ بعقابهم.

وقيل: سميع لدعاء عباده، عليم بوجوه مصالحهم.

قل لكفار مكة ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾ ثم بيَّن ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾﴾ أي: فاجر كذَّاب، منهم مسيلمة وكعب بن الأشرف، وقيل: هم الشعراء والكُهَّان، ليس من كاهن إلا ومعه شيطان، وليس من شاعر يقول خنًا إلا ومعه شيطان يلقنه(٤).

ثم قال ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ يعني الشياطين يسترقون كلام الملائكة ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ حين يخبرون الكهنة أنَّه يكون في الأرض كذا وكذا.

---

(١) أي إلىٰ الصلاة، وكان مجاهد يقول: أينما كنت (تفسير الطبري ١٩/ ٤١١).
(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٤١٢، الكشف والبيان ٢٠/ ١٣٢.
(٣) لم أجده عنهما، لكن رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ١٣٦ من طريق عكرمة عن ابن عباس.
(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٤١٤، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧١.

ثم وصف شعراء الجاهلية فقال: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ يعني الشياطين يلقنونهم ذلك، وقيل: الغاوون الرواة من الشعراء[١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ أي: في كل من أودية الكلام يتكلمون، وفي كل من الحق والباطل يهجون ويمدحون.

والهائم: المخالف للقصد، عن الأخفش[٢].

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ ما لا يمكنهم فعله، لأنَّ الشاعر لا يأتي علىٰ ما يتصلف[٣].

ثم استثنىٰ شعراء المسلمين: حسان بن ثابت، وابن رواحة، وكعب بن مالك، ممن يمدحون الله ورسوله في شعرهم فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في أشعارهم بالثناء علىٰ الله، والمدح لرسوله، وأما هجاء شعراء المشركين رسول الله فقال هؤلاء الثلاثة: ائذن[٤] لنا يا رسول الله فلننتصر لك، فقال: إنَّ الله لم يأمرني بذلك، فنزلت[٥].

﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ أي: انتصفوا من المشركين وهجوهم من بعدما صاروا مظلومين، من جهة الكفار، فقال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه

---

(١) أي رواة الشعر الذي فيه مذمة، وهو قول بن عباس، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٤١٥، البسيط ١٧/ ١٤٧.

(٢) وأبي عبيدة، انظر: مجاز القرآن ٢/ ٩١، الكشف والبيان ٢٠/ ١٤٥.

(٣) كذا، والمعنىٰ: أن الشعراء يقولون قد فعلنا كذا وكذا، وقلنا كذا، فيمدحون بذلك أنفسهم وهم كذبة (تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧١).

(٤) صورتها في الأصل: انذر.

(٥) لم أجده هكذا، وفي تفسير مقاتل ٢/ ٤٦٧ وتفسير الطبري ١٩/ ٤١٨، والكشف والبيان ٢٠/ ١٤٧ نحوه.

وسلم: «انتصروا ولا تقولوا خنا، ولا تذكروا الآباء والأمهات»[١].

ثم أوعد شعراء المشركين فقال ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أي: أشركوا وآذوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ أي: مكان يرجعون في الآخرة.

وقال ابن عطاء: سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منّا[٢].

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدَّق بنوح وكذَّب به، وبهود وشعيب وصالح ولوط وإسحاق ويعقوب وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام، وبعدد من صدَّق بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم وكذَّب»[٣]. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٥٣ مرسلا عن أبي حسن البراد (ووقع في التفسير: المبرد، وهو تصحيف) وحديث أبي حسن البراد رواه الطبري في تفسيره ١٩/ ٤١٩، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٢٨٣٦، ولكن لم يخرجا هذه اللفظ فيه.

(٢) قال الزمخشري: ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول، ولا أنكىٰ لقلوب المتأملين، ولا أصدع لأكباد المتدبرين، وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ، وقوله الذين ظلموا وإطلاقه، وقوله أي منقلب ينقلبون وإبهامه، وقد تلاها أبو بكر لعمر رضىٰ الله عنهما حين عهد إليه، وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها (الكشاف ٣/ ٣٤٥).

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ١٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٣.

سورة النمل

مكية[1]، وهي تسعون[2] وخمس آيات في المدني، وأربع في البصري، وثلاث في الكوفي[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ طس: اسم مِن أسماء الله تعالىٰ أقسم به، ثم ابتدأ فقال: تلك آيات القرآن، أي: هٰذه السورة تلك الآيات التي وُعدتم بها والكتاب المبين.

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ نُصب علىٰ الحال[4]، أي: هذه الآيات هادية ومبشرة بالجنة لمن أجاب محمدًا ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ يصدقون أنها كائنة البشارة لمن هذه صفته[5].

ثم نفر[6] الكفار فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بشركهم ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤﴾ يترددون في ضلالتهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥﴾ المغبونون بما فاتهم من الجنة، ويستوجبون من الدركات في النار.

---

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ١٥٧، الدر المنثور ٦/ ٣٤٠.

(٢) في الأصل: سبعون، وهو تصحيف شائع.

(٣) والشامي كالبصري، والمكي كالمدني (البيان في عد آي القرآن ١٩٩).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٥.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧٢.

(٦) كذا في الأصل، لكن مهملة، ولعل الصواب: نعت.

ثم خاطب رسوله فقال ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: تلقن القرآن ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ في أمره ﴿عَلِيمٍ ۝٦﴾ بخلقه، وبما كان قبل كونه.

ثم ابتدأ بخبر موسىٰ فقال ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ امرأته حين رأىٰ النار عند رجوعه من عند أختانه ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ رأيتها من بعيد فامكثوا أنتم ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ من عند النار يعني بخبر الطريق ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بشعلة نار في رأس حطب ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ بها وتدَّفِئون من شدة البرد.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ يعني: النار، خرج الكلام علىٰ لفظ النار وإن لم تكن نارًا لما قد سبق لفظها ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني: مَن عند النار، وهو موسىٰ، ومن حولها: يعني الملائكة(١).

وقيل: «من في النار» أي: من في طلب النار، وهو موسىٰ.

وقيل: «من» بمعنىٰ «ما»، و«ما» صلة في الكلام، معناه: بورك في النار وما حولها من الأمكنة، لأنه قال في آية أخرىٰ ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾(٢).

قال قتادة رحمه الله: أمَّا النار فيزعمون أنه نور رب العالمين(٣).

وقال ابن عباس: تبارك من في النور(٤)، وأنار الله به موسىٰ لأنه حيث انتهىٰ

---

(١) حكاه أبو الليث في تفسيره ٢/ ٥٧٣، وهو غريب، لأن في لا تفسر بعند.

(٢) اختلف أهل التأويل في المعني بقوله: من في النار، قيل: عنىٰ جل جلاله نفسه بذلك، وهو قول ابن عباس في رواية العوفي، وقول سعيد بن جبير.

وقيل: بوركت النار، وهو قول مجاهد، ونسبه لابن عباس، واختلفوا في النار، فقيل كانت نورا لا نارا، وقيل بل كانت نارا، روىٰ هذه الأقوال ابن جرير في التفسير ١٩/ ٤٢٩.

(٣) رواه الطبري في التفسير ١٩/ ٤٢٨.

(٤) أي أنه نوره سبحانه، ولا يسأل كيف كان ذلك، لأن هذا لا تدرك كيفيته، فهو كتجليه للجبل، وكباقي صفاته التي نؤمن بها، نعرف معانيها ولا ندرك كيفيتها.

إلىٰ الشجرة صار في النور.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ تنزيه نفسه، دليل علىٰ أن ما قاله بعض أهل التأويل من التشبيه باطل.

ثم قال ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾ يعني: الذي يناديك أنا الله المنتقم ممن عصاني، الحكيم: حكمت أن لا شريك لي.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ التي في يدك فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾ علىٰ الأرض ﴿تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ هاربًا من الفَرَق، لأنه رآها بقوائمها لها عُرف كعُرف الفرس، تأخذ الحجارة فتقضمها، وسمع موسىٰ صرير أضراسها، ولَّىٰ مدبرًا ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع، ولم يلتفت[١].

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠﴾ دوني[٢]، لأنه مقام تكريم لا مقام إهانة وتعذيب.

ثم استثنىٰ وقال: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ تم الكلام، ثم ابتدأ[٣] ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾.

وقيل: إلاَّ من ظلم: أراد به موسىٰ لما فرط منه بقتل القبطي، ثم بدَّل حُسنًا بعد سوء: وهو التوبة بعد الذنب[٤].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤٣١.

(٢) كذا في الأصل، ويحتمل أن يكون الصواب: لدي، كما في تفسير الكلبي ٣١٦، والبسيط ١٧/ ١٧٣ . ولو قال: عندي، كما في تفسير الطبري ١٩/ ٤٣١، لكان حسنا.

(٣) وهذا بعيد، لأن الاستثناء إما أن يكون متصلا فيقبح الوقف، فضلا عن أن يكون تاما، وإما منقطعا، فيقبح الوقف بين المعطوفين.

والمذكور في كتب الوقف: أن التمام علىٰ راس الآية: المرسلون (المكتفىٰ ١٥٢).

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٤٣١، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧٤.

﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ لا أعاقبه.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ في مدرعتك، فأدخلها مما يلي صدره ثم أخرجها، فإذا لها شعاع كشعاع الشمس ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: برص ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ أي: هاتان الآيتان في تسع آيات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ أي: مرسل إلىٰ فرعون وقومه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ خارجين عن الطاعة.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ جاءهم موسىٰ بآياتنا التسع مبصرة ظاهرة ينظرون إليها بأعينهم: العصا مرة، واليد مرة، والطوفان مرة ﴿قَالُوا۟﴾ عند ذلك ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ خداع بيِّن.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ كفروا بالآيات، وقيل: جحدوا بألسنتهم ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أيقنوا بعلومهم أنها من الله وليست بسحر ﴿ظُلْمًا﴾ لأنفسهم ﴿وَعُلُوًّا﴾ عتوًا وتكبرًا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ فرعون وقومه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ بالقضاء، وقيل: فهمًا ونبوَّة ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بالنبوة والكتاب وتسخير ونطق الطير ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ المقرين بوحدانيته.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ يعني: علمه ومُلكه والنبوة ومجلس القضاء ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ من تسخير الجن والإنس والريح وغيرها ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ لنا من الله تعالىٰ.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ أي: جمع.

وذلك في مسيره من بيت المقدس إلىٰ اصطخر فارس، وكان جنوده يومئذ أربعمائة ألف؛ عن يمينه مائتي ألف كرسي للإنس، وعن يساره مائتي ألف كرسي للجن، فكان الإنس والجن علىٰ الكراسي، والأحبار علىٰ المنابر؛ عن يمين الكرسي خمسة وثلاثين منبر لأحبار الإنس، وعن يساره مثله للجن،

والشياطين تخدُّ له الأرض خدًّا، والريح تحمله، والطير تظله، والأحبار علىٰ المنابر يتكلمون، والجن والإنس علىٰ الكراسي يستمعون العلم، وسليمان جالس فوق عرشه(١).

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي: يساقون، وقيل: يُحبس أولهم علىٰ آخرهم كي لا يفوت بعضهم بعضًا(٢).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ قيل: هو واد بالشام(٣)، وكان سليمان قال للريح: لا يتكلمن أحد في بر أو بحر من طير أو إنسان أو حيوان إلاَّ هبَّبْتِ بكلامه وألقيتها في سمعي.

﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ﴾ وكانت قائمة في صخرة ملساء ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ أي: لا يكسرنكم بأقدام دوابهم ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ بهلاككم.

أجرىٰ النملة مجرىٰ الآدميين في الكلام لأنه نطق كما ينطق الآدمي، وإلا فالواجب أن يقال: ادخلنُ مساكنكن لا يحطمنكن سليمان.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ للطافته في القول، وحُسن الرعاية في الأهل، ووصف سليمان وجنوده بالعدل: إنهم لو شعروا لا يحطمونهم.

ثم إنَّ سليمان حمد الله علىٰ ما أنعم عليه بتعليم نطق البهائم ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ أمهِلني، وفي اللغة: كفني إلا عَنْ شكر نعمتك ووفقني عليه(٤).

---

(١) هاهنا روايات إسرائيلية طويلة في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٢٠/ ١٩٦ فيها نحو الذي ذكره المصنف.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٤٣٨ .

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧٦.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١١٢.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ داود وبتشايع[1] من قبل.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ ألهمني أنْ أعمل ما ترضىٰ ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾ بنعمتك ومنّتك عليَّ: النبوة ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ مع آبائي المرسلين الجنة.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ في مسيره ذلك، وهو الهدهد، والتفقُّد: طلب الشيء في حال غيبته، وإنما تفقده لأنَّه كان عرَّافًا بالماء، وكان يرىٰ الماء في الأرض كما يرىٰ الماء في الزجاجة، فلما[2] غاب الهدهد عن مركزه ووقعت[3] الشمس في مكانه علىٰ سليمان[4] ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ من بين الطيور ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ وحرف «أم» إذا لم يسبقه استفهام كانت[5] الميم صلة، كقوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ معناه: أيقولون، يعني: أكان من الغائبين[6].

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وإنما قال ذلك لأنَّ العُقاب كان ملك الطيور، فقال: ما أرسلتُه إلىٰ أمر من أمورك، فغضب سليمان.

قال ابن عباس: عذابه نتفه وتشميسه[7].

---

(١) كذا في الأصل، والمشهور أنها: ايشا، وفي بعض المصادر: آيسا (تفسير السمعاني ٤/ ٨٧). وقيل إن أمه هي امرأة أوريا التي امتحن بها داود، كما في الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٧٦، وكل هذا من الإسرائيليات، وقيل: إن المراد بالوالدين إبراهيم وأبنائه الأنبياء (معالم التنزيل ٦/ ١٥٢).

(٢) في الأصل: فإذا، وهذا كثير عنده، يكتب فإذا في موضع فلما.

(٣) في الأصل: ووقع.

(٤) البسيط ١٧/ ١٩٦.

(٥) في الأصل: كان.

(٦) وهو قول مقاتل والكسائي (البسيط ١٧/ ١٩٧).

(٧) الكشف والبيان ٢٠/ ٢٠٩.

﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ لأقتلنه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ بعذرٍ بيِّن لغيبته.

قال الضحاك: إنَّ هدهد سليمان لقي هدهدًا آخر من ناحية سبأ، فقال هدهد سليمان: إنَّ في أرضنا ملكة يقال لها بلقيس، لها ثلاثمائة وستون جاثليق، كل جاثليق أمير علىٰ عشرة آلاف، ووصف سرير ملكها وما فيه من الدر والياقوت والذهب والفضة، قال هدهد سليمان: إن لنا ملكًا تحمله الريح بين السماء والأرض، وتعمل له الشياطين ووصف حاله وشأنه كما كان، فافتخرا، فحمل ذلك الهدهد هدهد سليمان حتىٰ بُصَر سريرها، ووقف علىٰ أمر عظيم، فأقبل مسرعًا حتىٰ انتهىٰ إلىٰ سليمان، فخرَّ ساجدًا بين يديه يضرب بجناحيه(١)، وهو قوله ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ثم حضر ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: علمت ما لم تعلم يا نبي الله ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ لا شك فيه.

﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ واسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ﴾ أي: أعطيت ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ باليمن للملوك من المال والجنود والسلطان والزينة ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ سرير لا يشبه سريرك، لأنَّ سريرها مائة وعشرون خدعًا، طوله في السماء ستون ذراعًا مكلل بالجوهر وقوائمه اللؤلؤ والياقوت، والمرأة اسمها بلقيس وهي أبوها من الإنس وأمها من الجن(٢).

﴿وَجَدتُّهَا﴾ يا نبي الله ﴿وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ شركهم وسجودهم للشمس ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: ردَّهم وصرفهم الشيطان عن عبادة الله تعالىٰ ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ لا يبصرون الدين.

---

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ٢١٥، وزعم في هذه الرواية أن اسم هدد سليمان يعفور، واسم هدد اليمن: عنفير، وهذا من الإسرائيليات.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٧٣، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٧٨، البسيط ١٧/ ٢٠٨، تفسير السمعاني ٤/ ٩٠، معالم التنزيل ٦/ ١٥٦.

﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾ يعني: قال سليمان: يسجدون للشمس ولا يسجدوا لله.

وقرئ: «ألاَ يسجدوا لله»، بالتخفيف، علىٰ الأمر، معناه: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله الذي يخرج الخبء[(١)].

ويحتمل أنَّ هذا قول الهدهد، يعني: قلت لهم: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله[(٢)].

﴿ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ القطر ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والنبات ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ﴾ في أنفسهم[(٣)] ﴿وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بألسنتهم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾

﴿قَالَ﴾ سليمان له ﴿سَنَنظُرُ﴾ في أمرك ﴿أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾ إلىٰ مدينتهم ﴿فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: إلىٰ بلقيس ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ ارجع من عندهم واجلس ناحية تراهم وتسمع حديثهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: ماذا يقولون فيما بينهم.

فذهب الهدهد بكتاب سليمان طائرًا فوجدها جالسة علىٰ عرشها، فألقىٰ الكتاب في حجرها، ففزعت وظنت أن الكتاب من السماء، عن الضحاك[(٤)].

---

(١) قرأ أبو جعفر والكسائي ورويس: ألاَ -مخففة- ووقفوا في الابتداء: ألا يا، وابتدؤوا: أُسجدوا بهمزة مضمومة علىٰ الأمر (النشر ٢/ ٣٣٧).

(٢) توجيه هذه القراءة نقله الفراء عن الكسائي، فقال في معاني القرآن ٢/ ٢٩٠: حدثني بعض المشيخة، وهو الكسائي، عن عيسىٰ الهمداني قال: ما كنتُ أسمع المشيخة يقرؤونها إلا بالتخفيف علىٰ نية الأمر، وهي في قراءة عبد الله: «هلاَّ تسجدون لله» بالتاء فهذه حجة لمن خفف. وفي قراءة أبي: «ألا تسجدون لله الذي يعلم سركم وما تعلنون» وهو وجه الكلام، لأنها سجدة، ومن قرأ: «ألاَّ يسجدوا» فشدد فلا ينبغي لها أن تكون سجدة، لأن المعنىٰ: زين لهم الشيطان ألا يسجدوا والله أعلم بذلك.

(٣) في الأصل: يخفون، يعلنون، بالياء، وهي قراءة

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٤٧٦، الكشف والبيان ٢٠/ ٢٣٧.

فـ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ حسن شريف بأنه من الله، فقال: وقيل كرمه ختمه.

فعُنوان الكتاب: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ وداخل الكتاب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ أي: لا تتكبروا عن طاعتي ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ مصالحين منقادين.

فلما قرأت على بطارقتها قالت حينئذ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ الأشراف من قومي ﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ أي: شاوروني ﴿مَا كُنتُ﴾ فيما مضى من الزمان ﴿قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ وحكمًا محكمًا ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ حتى تحضروني وتشاوروني.

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ عدد من الرجال والسلاح ﴿وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ في القتال ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أي: الحكم والتدبير بعدُ إليك ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ لنا فنتبعك.

فنطقت بعلم وحكم و﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ يعني إذا دخلوا مدينة عنوة خربوها بالغارة والقتل ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ بالقهر والغلبة ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ هؤلاء بنا إنْ غلبونا.

وقال: الضحاك كذلك يفعلون من قول الله تعالى، كأنَّه قال: صدقت بلقيس كذلك يفعلون[١].

﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ﴾ فمنتظرة ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بالجواب من عنده، فإن كان صاحب الدنيا يرضى بالمال، وإن كان صاحب النبوة كما يدَّعي لا ينظر فيه، قالوا عند ذلك: رأيت رأيًا حسنًا.

---

(١) وهو رواية ابن جريج عن ابن عباس (تفسير الطبري ١٩/ ٤٥٥).

وقوله: «بم» حرف الجر مع «ما»، في الاستفهام يحذف منها الألف فرقًا بين الخبر والاستفهام.

قيل: بعثت إلىٰ سليمان من الجواري والغلمان كثيرًا، وقيل من كل صنف ألفًا علىٰ زي واحد ولباس متشابه، وحقة فيها جواهر، وقالت: إنْ ميَّز بين الغلام والجارية وأخبر بما في الحقة وردها علينا كلها فهو نبي، وإن لم يميِّز وقبل فهو ملك يرضىٰ بالمال، وعندنا ما يرضيه(١).

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ فميَّز سليمان بين الجواري والغلمان بالوضوء، لأن الغلمان كانوا يصبون الماء علىٰ ظاهر سواعدهم، والجواري علىٰ باطن سواعدهن، فميز بينهم بذلك، وأخبر بما في الحقة وردَّها، و﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ أتعطونني المال وأنا أكثر خلق الله مالاً ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ أي: أعطاني ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ مما أعطاكم، يعني: النبوة والمُلك والإسلام خير من هديتكم ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ إن رددتما إليكم ﴿تَفْرَحُونَ ٣٦﴾ وأمَّا أنا فلا [أقبلُ] منكم إلا الإسلام.

ثم قال لوفدهم: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بالهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ﴾ أي: جموع من الجن والإنس ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بقتالها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً﴾ مذللين مغللة أيديهم إلىٰ أعناقهم ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ إن لم يؤمنوا.

فلمَّا رجع الهدهد إلىٰ سليمان وأخبره أنَّهم عزموا الخروج إليه مسلمين قال سليمان حينئذ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ بسرير بلقيس ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ٣٨﴾ وقال مقاتل: إنما عَلِمَ سليمان أنها تسلم بوحي الله إليه(٢).

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤٥٥، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٨١، تفسير السمعاني ٤/ ٩٦، معالم التنزيل ٦/ ١٦١.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٧٧.

﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ مارد منهم وشديد[١]، الأزهري: العفريت [النافذ في الأمر المبالغ فيه][٢] مع خبث ودهاء.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ أي: عن مجلسك ﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾ على ما فيه من الجواهر.

فقال نبي الله: أريد أعجل من ذلك ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهو آصف بن برخيا بن شمعيا كاتب سليمان[٣]، وكان يعلم اسم الله الأعظم ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ قيل: قبل أن يأتيك الذي تراه من بعيد، فارتد طرف نظرك إليك من نظره، وقيل: تمد بصرك حتى تحسر، وقيل: هو أن تبعث رسولاً إلى منتهى بصرك فلا يرجع إليك بصرك حتى يؤتى به[٤].

وقال الزجاج: بقدر ما تفتح عينيك ثم تطرف[٥].

فدعا باسم الله الأعظم، وقد قال له سليمان: أسرعت إن فعلت، فدعا آصف: يا حي يا قيوم، وقيل: يا ذا الجلال والإكرام، فخرج العرش من تحت كرسي سليمان[٦].

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ سليمان ﴿مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾ أي: من عطاء ربي هذا السرير، وكانت بلقيس قد أقبلت إلى سليمان، وتركت العرش في اليمن

---

(١) في الأصل: والشديد.

(٢) في الأصل بدل ما بين الحاصرتين: كلمة مصحفة صورتها: القعنى. لكن مهملة، وما أثبته من تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ٢١٢).

(٣) الكشف والبيان ٢٠/ ٢٦٨.

(٤) النكت والعيون ٤/ ٢١٤.

(٥) معاني القرآن ٤/ ١٢١.

(٦) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٨٣.

في سبعة أبيات بعضها فوق بعض، أبوابها مقفلة بقفل عظيم، ومفاتيح الأقفال معها.

﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ نعمه، وقال: أأشكر حيث يكون في مملكتي من يدعو فيستجاب له في الحال، أم أجحد هذه النعمة.

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ ومنفعة شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ يعني: غني عن شكره، وكريم إن شكره زاده.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ وهو: أن يزاد فيه وينقص، وقيل: أمر بجعل أعلىٰ العرش أسفلاً، وأسفله أعلىٰ(١).

﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ ثم قال لها إذا حضرت ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ قيل: كانت الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان، فقالت: إنَّ في عقل بلقيس لممًا، وإن رجلها كرجل الحمار، فأمر سليمان [بتغيير](٢) عرشها، وقيل [يغيره] يوسعه، وأمر الماء بأن يجري من تحت الصرح وفيه السمك، فلما جاءت بلقيس قيل: أهكذا عرشك؟ تجربةً لعقلها، فعرفت عرشها وأنكرت، فلم تقل هو هو ولا ليس هو، ولكن ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ ثم رفعت ثوبها عن ساقها، ظنت أنه مسلك لجة، فنظر سليمان إلىٰ أحسن ساق(٣).

ثم قال سليمان: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ يعني أُعطينا علم مملكتها من قبل مجيئها، لأنَّه أخبره الهدهد عن قصتها ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ مخلصين لله بالتوحيد، حمد الله علىٰ نعمه.

---

(١) البسيط ١٧/ ٢٤٧.

(٢) في الأصل: كلمة مصحفة، ويشبه أن يكون الصواب ما أثبت.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٤٧٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٢٧٦.

وقيل: هذا من كلام بلقيس، يعني: نحن أعطينا العلم بنبوة سليمان، وإنما أُتيَ إليه بعرشي ليكون دليلاً ومعجزةً علىٰ نبوته، وصرنا مسلمين منقادين.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وردها سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله، يعني: عبادة الشمس ﴿إِنَّهَا كَانَتْ﴾ قبل صد سليمان ﴿مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ وذلك أنَّ بلقيس كانت أمها من الجن، فقال الآدميون لسليمان: لعل أنَّ لبلقيس حافر كحافر الحمار، نازعة إلىٰ أمها، فغضب الجن بذلك، وقالوا لسليمان: إنا نصنع شيئًا تنظر إلىٰ ساقها ورجلها، فإن لم يكن لها حافر تزوجتها، فقال: نعم، فجعلوا الصرح، والصرح: القصر.

وقيل: إنَّ الجن وصفوها بهذه الصفة خوفًا أن يكون لسليمان منها ولد يستخدمون الجن، فأمر سليمان بالصرح وهو صحن القصر، وأجرىٰ فيه الماء، وجعل فوق الماء حاجبًا من الزجاج، والسمك كانت تلعب في الماء، وكرسي سليمان من قِبَل ذلك النهر، فكلما قصد إلىٰ سليمان ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ يعني القوارير ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ فكان قدماها كقدم الآدميين، ولكن ساقها شعراء، فمقتها بذلك سليمان، فأمر سليمان الجن بأن يحتالوا لذلك شيئًا، فاتخذوا النورة، فأصل الزجاج والنورة من يومئذ[1].

فلما رأت بلقيس مُلك سليمان علمت أنَّ مُلكها جنب مُلك سليمان ليس بشيء ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادة الشمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: علىٰ يديه ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

فتزوجها سليمان، وولدت له ولدًا يسمىٰ داود بن سليمان[2]، ووقع عند

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤٧٤.

(٢) أي علىٰ اسم جده.

سليمان عينًا[١]، واتخذت الجن الحمامات لأجلها[٢].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ يعني قومه ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ في دين الله، وخصومتهم مذكورة في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ إلى آخر الآيتين.

﴿قَالَ﴾ لهم صالح ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بالعذاب ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ العافية ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ مِن شرككم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ولا تعذبون.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ وقد أصابنا قحط وشدائد، وليس ذلك إلاَّ بشؤمك وشؤم أصحابك ﴿قَالَ﴾ صالح ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أصابكم من القحط مكتوب لازم من عند الله وبقضائه يكون ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: تبتلون بالشر والخير.

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: في أرض الحجر تسعة نفر ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يعملون بالمعاصي من شرب الخمر والزنا وأنواع الفسق، ولا يصلحون أن يعملوا بالطاعة، ولا يقرون بوحدانية الله عز ذكره.

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ يعني: تحالفوا به، وذلك حين قتلوا الناقة، فأوعدهم

---

(١) كذا، ومعناه: أن الغلام وقع موقعا عظيما عند سليمان، والله أعلم، وفي تفسير مقاتل -وهو من مصادر المصنف-: فولدت له داود بن سليمان، عليهم السلام، وأمر لها بقرية من الشام يجئ لها خراجها، وكانت عذراء فاتخذت الحمامات من أجلها.

(٢) وهذا أحد قولين، فقد قيل إنه نكحها الملك ذو تبع، والله أعلم، تفسير مقاتل ٢/ ٤٧٨، الكشف والبيان ٢٠/ ٢٨١.

صالح بالعذاب إلىٰ ثلاثة أيام، ونزوله في الرابع.

قالوا ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾ أي نقتل صالحًا وأهله في الليل، وأهله: مَن كان في دينه ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ لعصبته ﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾ أي: ما حضرنا قتل صالح، ولا ندري مَن قتله ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٤٩﴾ فيما نقول.

وقرئ: «لتبيتُنه»، و«لتقولُنَّ» بمعنىٰ[1]، وبالنون علىٰ الحكاية.

و«مَهلَك»: بفتح الميم واللام، موضع الهلاك.

و«مَهلِك»: بفتح الميم وكسر اللام، بمعنىٰ الإهلاك.

و«مُهلَك أهله»: بضم الميم وفتح اللام، إهلاك أهله، إهلاك صالح[2].

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠﴾ كيف يصير أمرهم، قصدوا قتل صالح وكان صالح يتعبد، فخرجوا إليه ليقتلوه، فجلسوا في غار وكمنوا له في غار، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ ذلك الجبل فانهار عليهم، فصار الغار قبرًا لهم إلىٰ يوم القيامة، وعظامهم فيه إلىٰ اليوم[3].

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ بالعذاب، وهو الاستئصال في الغار ﴿وَقَوۡمَهُمۡ﴾ بعدهم ﴿أَجۡمَعِينَ ٥١﴾ بصيحة جبريل.

﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ﴾ أي: مساكن ثمود ﴿خَاوِيَةَۢ﴾ خربة ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ من شركهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ هلاك قوم صالح ﴿لَأٓيَةٗ﴾ لعبرة ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢﴾ وهم أهل التوحيد.

---

(١) كذا في الأصل، وأظن الصواب: بالتاء. وهي قراءة حمزة والكسائي (النشر ٢/ ٣٣٨).

(٢) الفتح فيهما قراءة شعبة، والفتح ثم الكسر قراءة صاحبه حفص، والباقون بالضم ثم الفتح، والخلاف هنا كالخلاف في سورة الكهف سواء (النشر ٢/ ٣١١).

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٤٧٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٨٧.

﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالح ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾ الشرك ومخالفة صالح.

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ﴾ يعني: أرسلنا، وقيل: اذكر لوطًا إذ قال لقومه ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٥٤﴾ أنها فاحشة، ثم فسرها فقال ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ۝٥٥﴾ عن الله أمره.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ﴾ يعني: لوطًا وأهله من قريتكم: سَدوم ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾ يتنزهون عن صنيعنا.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ يعني ابنتيه من العذاب النازل ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ المنافقة ﴿قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ جعلناها من الباقين في العذاب.

﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ۝٥٨﴾ الذين أنذروا بالعذاب فلم يؤمنوا.

﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ يا محمد على إهلاك الكفرة من الأمم الخالية ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ اختارهم لدينه وبعثهم لأداء رسالته، ثم قال ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ﴾ يعني عبادة الله خير ﴿أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩﴾ من الآلهة أيها الكفار.

﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ يعني: الأصنام خير أم من خلق السماوات والأرض ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾ أي: الماء ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ ذات نبت حسن ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ﴾ لا طاقة لكم ﴿أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ من الأرض ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ يفعل فعله، أو يعينه على صنيعه ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ

﴿يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ به أصنامهم بعد ما يقرون أنه خالقهم وخالق أصنامهم[1].

ثم زاد في البيان فقال ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ مبني على الكلام الأول، وقرارا: مستقرًا للخلق على ظهرها، وللأموات في بطنها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ بينها ﴿أَنْهَٰرًا﴾ من الماء ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: الجبال الثوابت تمسكها أنْ تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ الملح والعذب، لا يُفسد أحدهما الآخر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ ما يلزمهم بفعلهم.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: ليس أحد يجيب المضطر غيره ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يرفع عنكم الضر ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ أي: سكانها بعد قوم تفانوا ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي: ما أقل ما تنتفعون بما ترون من عجائب صنعي.

المضطرُّ: بمنزلة رجل وقع في بئر وسُدَّ عليه رأس البئر، فلا يجد ثقبًا يخرج منه، ولا حبلاً يتعلق به، فرفع يده إلى الله، فلم يجد له عند الله حسنة فاستحيا من الله، ثم لما نظر إلى عمله فوجده معيوبًا، وإلى نفسه وجدها عاجزة، وإلى كافة الخلق وجدهم أعجز منه، فانقطع من الكل إلى مَن له الكل، فيدعو الله باضطراره فلا يجيبه إلا هو.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ﴾ أي: ينشر السحاب بين يدي المطر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أي: هو أعلى من أن يكون له شريك.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ بني آدم من النطفة، أي: عبادة الأصنام خير أم عبادة من يبدأُ الخلق ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: يبعثه بعد الموت في الآخرة ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

(١) أي يميلون عن الحق ويجورون (تفسير الطبري ١٩/ ٤٨٤).

﴿وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ يفعل ذلك كفعل الله ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ أي: حجتكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ في مقالتكم أنَّ لله تعالىٰ شريكًا.

﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ يعني: قيام الساعة ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ أي: وقت يبعثون.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ قال أبو سهل: كان أهل مكة أصنافًا ثلاثة، فالصنف الأول: منهم عبدة الأوثان، يقولون: إن الساعة كائنة، وإن الملائكة والآلهة تشفع لهم.

والصنف الثاني: هم الشاكَّة، يقولون مرة إنها كائنة، ومرة يقولون غير كائنة.

والصنف الثالث: منهم الزنادقة، أنكروها رأسًا، وقالوا: من مات فقد قامت قيامته.

فذكرهم الله تعالىٰ في هذه الآية بـ«بل» و«بل» و«بل»، لأنَّ بل لتدارك الغلط والرجوع وإثبات كلام مبتدأ: بل. وهو معنىٰ قول محمد بن السائب الكلبي(١).

وقال الزجاج: ادَّارك علمهم بالتشديد، معناه: تدارك وتكامل يوم القيامة؛ إذ عملوا أنه حق كان(٢).

ثم قال: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾ جهلة لا يعرفون ذلك اليوم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: أُبي بن خلف وغيره ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧﴾ أحياء من القبر(٣) كما يعدنا محمد.

---

(١) في هذه الآية كلام طويل لأهل العلم، وهذا الذي ذكره أبو سهل تحكم لا دليل عليه، انظر للاستزادة: تفسير الطبري ١٩/ ٤٨٧، البسيط ١٧/ ٢٨٥ فقد أحسن وأجاد.

(٢) معاني القرآن ٤/ ١٢٧.

(٣) في الأصل: حيا من العين، وهو تصحيف.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا﴾ خُوفنا ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ وعيدك فلم نر من ذلك شيئًا ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ ليس هذا ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ من الأمم الماضين، كذلك يصيب قومك مثل ما أصاب الأولين.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على كفار مكة إن لم يؤمنوا ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ أي: غمٍّ، والضَّيق: بفتح الضاد ما يدخل على الإنسان من الغم فيضيق به قلبه[1].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي: الوعد الذي تخوفنا به، وقِّتْ لذلك وقتًا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ أي: دنا منكم دنو الرديف من المردف ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ من العذاب، يعني: القتل ببدر، عن مقاتل[2]. وسائر العذاب في الآخرة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ببعث الرسل؛ ليحذروهم وينذروهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ الله فيوحدوه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما يضمرون في قلوبهم من عداوتك ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾ بألسنتهم التكذيب لك.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ما غاب عن العباد علمه من نزول العذاب وأمر البعث وأسرار العباد ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ يعني: مثبت في اللوح المحفوظ مع علم الله بها.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: بيَّن ليهود المدينة ﴿أَكْثَرَ

---

(١) البسيط ١٧/ ٢٨٨.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٨٤.

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ من الأحكام.

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ يعني: بيان ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ بين اليهود يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ الحق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨﴾ بخلقه.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ثق بالله ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ أي: على الدين المستقيم.

ثم ضرب لكفار مكة مثلاً بالأموات فقال ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: لا تفهم الموعظة بقلوبهم ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ أي: الدعوة إلى التوحيد(١) ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝٨٠﴾ مكذِّبين، وهو كقول الأصم.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ إلى الإيمان، أي: لا تقدر أن تهدي من عميت بصائرُ قلبه عن الإيمان ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: ما يفهم، وقيل: لا يفهم الإيمان إلا من يصدق بالقرآن وعجائبه ويعلم أنه من الله(٢) ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝٨١﴾ أي: مخلصون بالتوحيد.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ إذا وجب العذاب والسخط على الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ﴾ حينئذ ﴿دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ معها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتختم وجه المؤمن بالخاتم فيبيض وجهه، وتسم وجه الكافر بالعصا فيسود وجهه، وترفع الأسماء من الخلق؛ فيقال: يا مؤمن، ويا كافر، ولها ثلاث خرجات، أول خروجها(٣) ما بين الصفا والمروة(٤).

---

(١) في الأصل: التهديد، وهو تصحيف.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٤٩٥، البسيط ١٧/ ٣٠١.

(٣) في الأصل: خرجها.

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٤٩٧.

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ تقول ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بخروجنا ﴿لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ حتىٰ خرجنا.

قيل: تخرج ولها أربع قوائم وريش وجناح، فيبلغ رأسها السحاب، فيرىٰ أهل المشرق والمغرب رأسها وعنقها، وهي قائمة في مكانها، فإذا رآها الخلق كلها عادت إلىٰ مكانها من حيث خرجت[1].

وتزلزلت الأرض في ذلك اليوم ساعات، وأمسىٰ الناس خائفين، فإذا أصبحوا جاءهم الصارخ أنَّ الدجال قد خرج، فيفر المؤمنون كلهم إلىٰ بيت المقدس، والدجال يدَّعي الربوبية، ومعه جبل من خضرة وجبل من دخان، فيقول: من يتبعني أدخلته جنتي، ومن عصاني أدخلته ناري، فيتبعه سبعون ألفًا من اليهود، عليهم ثياب الساج، قيل: يا رسول الله، وما الساج؟ قال: ألبسة من طيالس خُضر، ويسير في الأرض كلها أربعين يومًا، فيريد مكة فيرده الملائكة يضربون وجهه، وكذلك المدينة.

فيأتي بيت المقدس فينزل عيسىٰ ومعه راية الغلبة، يعني الحربة، فيطعنه بحربته طعنة واحدة فيقتله، ثم يكون بعد ذلك مقتلة عظيمة، حتىٰ ينادي الشجر والحجر: يا مؤمن هلم إلىٰ هذا الكافر ورائي فاقتله، ثم بلغ عيسىٰ عليه السلام وقد أغاروا علىٰ البيت، فيبعث عيسىٰ برسوله إلىٰ مكة، فرجع الرسول وقد توفي عيسىٰ عليه السلام، وصلىٰ عليه رجل من هذه الأمة، ويدفن في البيت الذي دُفِنَ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

ثم يخرج يأجوج ومأجوج فيغلبون علىٰ كل شيء، ثم تطلع الشمس والقمر من مغربهما، فإذا توسطا السماء عادا إلىٰ مكانهما، وعند غلبة يأجوج

---

(١) وفي ذلك رواية في تفسير الطبري ١٩/ ٤٩٨.

ومأجوج انطلق المؤمنون إلىٰ بيت المقدس، ثم يبعث الله تعالىٰ ريحًا حمراء يمانية؛ فتقبض أرواح المؤمنين، ثم يبقىٰ شرار الناس، فيمكثون مائة ساعة، ثم تقوم الساعة عليهم[(١)].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أبو جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، من أهل مكة، ومن كل أمة قائدهم: قادتهم، وهم ممن يُكَذِّب بالقيامة وخروج دابة الأرض وغيره ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: يحبس أولهم علىٰ آخرهم ثم يُقْذَفُونَ في النار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ لهم ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ في الكفر ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ أي: وجب الغضب والعذاب عليهم بشِركهم ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: لا يتكلمون بحجة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعني كفار مكة عجائب قدرته، ثم بيَّن ذلك فقال: ﴿أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ أي: يستقروا في الليل المظلم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئًا ليلتمسوا فيه من رزقه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بالرب والبعث.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ وهي النفخة الأولىٰ.

روىٰ الضحاك عن ابن عباس: أنها ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين، فهذه نفخة الفزع، نفخ إسرافيل في الصور،

---

(١) عقد الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٢٤ فصلا لأخبار الدابة، فليراجعه من أراد الاستزادة، وأخبارها مذكورة في كتب أشراط الساعة.

ويبعثه الله علىٰ شرار خلقه(١).

﴿فَفَزِعَ﴾ به ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فماتوا كلهم ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ قال ابن عباس: وقع الاستثناء علىٰ الشهداء لأنهم أحياء في الجنة(٢).

وقيل: هو جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل، ثم يموتون بعد ذلك.

وقيل: هم خدم الجنة لا يموتون(٣).

﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾ البر والفاجر أذلاء صاغرين.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ يومئذ ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي: ثابتة في رأي العين ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ في الهواء، حتىٰ تصير هباءً منثورًا ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ نصب علىٰ المصدر، كأنَّه قال: صنع الله صُنعًا ﴿ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ أحسن وأحكم خلق كل شيء ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ﴾ عالِم ﴿بِمَا تَفْعَلُونَ ۝٨٨﴾ من خير أو شر.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قال الضحاك: بالتوحيد يوم القيامة(٤) ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ أي: بها ينجوا من النار ويفوز بالجنة ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩﴾ لا يموتون في الجنة أبدًا.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: بالشرك، ولا يزكو عملٌ مع الشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: كبُّوا علىٰ وجوههم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠﴾ استفهام بمعنىٰ الحجة.

---

(١) لا خلاف بينهم أن المراد هو النفخة الأولىٰ، تفسير الطبري ١٩/ ٥٠٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٣٤٤، البسيط ١٧/ ٣١١.

(٢) وهو قول الجمهور، تفسير الطبري ١٩/ ٥٠٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٣٥٤.

(٣) نقل القولين الأخيرين أبو الليث في تفسيره ٢/ ٥٩٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٥٩٥.

﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ يعني مكة ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حرامًا، وقرئ: «التي حرمها»، يعني الله عز وجل(١).

﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ في السماء والأرض، وهو خالقهم وهم عبيده ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾ المخلصين لله بالتوحيد.

﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: أمرت أنْ أتلوا القرآن عليكم يا أهل مكة ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ أبصر عند تلاوة القرآن ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي﴾ أبصر ﴿لِنَفۡسِهِۦ وَمَن ضَلَّ﴾ أي: جهل وتاه وتحيَّر عن القرآن ﴿فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢﴾ لمن لا يؤمن بتلاوة القرآن.

﴿وَقُلِ﴾ لهم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ يعني المحامد ﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ كلها لله ﴿فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ بتحقيق ما كذبتم بعد الإنكار والجحود، عن مقاتل(٢). وهو الدخان وانشقاق القمر، عن الكلبي(٣)، وما يجيء بعد ذلك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ حين جحدوا القرآن.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة النمل كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من كذَّب وصدَّق بموسىٰ وهود وشعيب وصالح ولوط وإبراهيم وإسحق ويعقوب وسليمان، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»(٤).

تمت سورة النمل بحمد الله تعالىٰ وعونه.

---

(١) في الأصل: الذي، وهو تصحيف، وهذه القراءة شاذة، تنسب لابن عباس، كما في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٦٧.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٨٧.

(٣) نقله الواحدي في البسيط ١٧/ ٣٢٤.

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والباين ٢٠/ ١٥٩، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٤.

سورة القصص

وهي ثمانون وثمان آيات[١]، مكية، غير آية واحدة وهي ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ إلىٰ آخرها[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ تقدم تفسيره[٣].

﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾ أي: يقرأ عليك جبريل بأَمْرنا خبر موسىٰ ﴿وَفِرۡعَوۡنَ﴾ وما جرىٰ بينهما ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالصدق ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣﴾ بالقرآن.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: تعظَّم وطغىٰ في أرض مصر، لأنَّ ملكه لم يعد أرض مصر[٤] ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ يعني: بني إسرائيل فرقًا ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ يستخدمهم ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ وقد تقدم تفسيره[٥] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤﴾ في أرض مصر.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بإرسال موسىٰ وهلاك فرعون ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ أي: أردنا أن نجعلهم أئمة قادة في الخير يُقْتَدىٰ بهم

---

(١) باتفاق الجميع (البيان في عد آي القرآن ٢٠١).

(٢) فنزلت هذه الآية في الجحفة، مهاجره إلىٰ المدينة، الكشف والبيان ٢٠/ ٣٧١، البيان ٢٠١، زاد المسير ٣/ ٣٧٤.

(٣) آية(١) من سورة الشعراء.

(٤) أي أن الأرض هنا عام أريد به الخصوص.

(٥) آية (٤٩) من سورة البقرة.

﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ أي: وارثي أهل مصر ومملكة فرعون.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ننزلهم في أرض مصر ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ القبط ﴿مِنۡهُم﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾ من ذهاب المُلك.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ واسمها: يوخابذ بنت لاوي[١] بن يعقوب ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ يعني: ألهمناها بإرضاعه.

وقال مقاتل: أمرها جبريل بذلك، وكانت أرضعته ثلاثة أشهر، وخافت أنه يبكي من قلة اللبن فيسمع الجيران بكاء الصبي، فيقع الخبر إلىٰ فرعون[٢].

﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ﴾ أن يصيح ﴿فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ وهو نهر النيل، اجعليه في التابوت ثم اقذفيه في البحر، وإني أوكِّل ملكًا علىٰ تابوته ليحفظه، فصنعت التابوت وقيَّرته، ثم وضعت فيه موسىٰ، ثم ألقته في البحر، فذهب به الماء هاهنا وهنا حتىٰ استمسك التابوت إلىٰ شجرة مما يلي قصر فرعون، فلما ظفروا به أراد فرعون قتله، فأعطت آسية للكُهَّان مالاً عظيمًا حتىٰ لا يعينوا علىٰ قتله، فسألهم فرعون عن حال الصبي، فقالوا: مضت تلك الليلة التي قلنا يولد فيها غلام يكون كذا وكذا، فتركه فرعون ووهبه لآسية.

قوله ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ علىٰ القتل والغرق ﴿وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ﴾ عليه من فراقك منه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧﴾ قيل: في هذه الآية أمران، ونهيان، وبشارتان، واسمان.

---

(١) كذا في الأصل مجودة، ومثله في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٧٩، وزاد المسير ٣/ ٣٧٥، وفي تفسير مقاتل٢/ ٤٨٩: يوكاند من ولد لاوي بن يعقوب، وفي تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٥٠ أقوال أخرىٰ.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٩٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٥٩٩.

﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ﴾ الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب(١)، وآل فرعون: جواريه، وقيل: آسية بنت مزاحم.

﴿لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا﴾ أي: عدوًا في الهلاك ﴿وَحَزَنًاۗ﴾ يقتل الأكابر، وما أخذوه ليكون لهم عدوًا وحزنًا، ولكن في العاقبة صار كذلك، وهذه اللام لام الصيرورة.

وقيل: لام العاقبة، ومعناهما قريب(٢).

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ مشركين.

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ﴾ خاطبته بلفظ كما يخاطب الملوك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في صنيعتنا إذا كبر فنستعين به علىٰ أمر دنيانا ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ إذ(٣) لم يولد لك ولا لي، فيكون هو بمنزلة الولد ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾ أنَّ هلاك فرعون علىٰ يديه.

﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ﴾ من كل همٍّ وذكرٍ إلا همَّ موسىٰ وذكره(٤).

وقيل: فرغ قلبها إلا من ذكر الله للثقة منها بوعده، لأن الله تعالىٰ وعدها بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾.

﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ﴾ أي: قد كادت لتبدي به، أي: لتُظهر أنه ابني لشدة الجزع، بعدما ألقته في البحر وهي تلطم وجهها وتجزع، كادت تقول: يا

---

(١) تهذيب اللغة ١٦/ ٢٤٩، البسيط ١٧/ ٣٣٦.

(٢) وقيل: لام التعليل، انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٣٣، البسيط ١٧/ ٣٣٦، الكشاف ٣/ ٣٩٤، الدر المصون ٨/ ٦٥١.

(٣) في الأصل: إذا.

(٤) وهو قول ابن عباس (تفسير الطبري ١٩/ ٥٢٧). ونسبه الثعلبي لأكثر المفسرين (الكشف والبيان ٢٠/ ٣٩٢).

بنيَّاه، أو تقول بعد ما أخذوه: هذا ابني[١].

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠﴾ معناه: لولا أنْ شددنا قلبها بالصبر لتكون من المصدِّقين بوعدنا.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ أي: اتبعي أثره، واسمها مريم بنت عمران[٢] ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: بُعد ولا توهم أنَّها ترىٰ التابوت ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾ أنَّها تقص التابوت.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: منعناه لأنَّ التحريم لا يثبت في حق الأطفال؛ كانت المراضع تأتي إليه أفواجًا وأخته حاضرة تنظر، وهو لا يقبل ثدي أحد.

﴿فَقَالَتْ﴾ أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ أي: يقبلون منكم إرضاعه ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾ قال هامان حينئذ: خذوها حتىٰ تقول لنا قصة هذا الصبي، ومَن له ناصحون مَنْ هم؟ وما منزلة هذا الغلام منهم؟ فألهمها الله تعالىٰ إلىٰ أن قالت: إنما قلت لنصيحة الملك، فقال: دعوها، فقد صدقت، ائتنا يا صبيَّة بما تقولين[٣]، فأقبلت أم موسىٰ، فلما شمَّ ريحها أقبل علىٰ الثدي، فقال لها فرعون: إنك أمه، قالت: لا، قال: فكيف قَبِلَ ثديك؟ قالت: أيها الملك إني امرأة طيبة الريح حلوة اللبن، ما شم ريحي صبي إلا قبل ثديي، فدفعوا إليها موسىٰ، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ ببُعده.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٥٢٩، الكشف والبيان ٢٠/ ٣٩٥.

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٣٩٧، فهي مريم بنت عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٠، الكشف والبيان ٢٠/ ٤٠٠.

﴿وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: إنَّا رادوه إليها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ من القبط ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ ما يُراد بهم.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قوته ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ أي: اعتدل في القوة والشباب: أربعين سنة(١) ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ أي: فهمًا وعلمًا بالتوراة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي: نثيب الموحدين المطيعين من الرسل.

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾ أي: مدينة عين شمس من مدائن مصر ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ عند انتصاف النهار، وقيل: بعد العشاءين(٢) ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ﴾ يتنازعان ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾ أحدهما إسرائيلي، والآخر قبطي ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: استنصر من موسىٰ الإسرائيلي ﴿عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ القبطي، لأنَّ القبطي أراد أن يسخِّر الإسرائيلي في عمله فامتنع عليه، فأراد موسىٰ أن يحجز بينهما، فلم يحل عنه القبطي، فغضب موسىٰ ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضرب القبطي ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ أي: قضىٰ الله عليه الموت، فلما نظر إليه موسىٰ ميتًا ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ نفخ فيَّ حتىٰ غضبت ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لبني آدم ﴿مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ قيل: في معنىٰ الآية تقديم وتأخير، وبين قتل موسىٰ القبطي وبين مغفرة الله تعالىٰ له عشر سنين، لأن مغفرته عند الشجرة حين قال الله تعالىٰ: ﴿لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ إلىٰ قوله ﴿فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾﴾، وظاهر الآية متصل.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ بالمغفرة ولم تعاقبني ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال أبو سهل الأنماري: فاعصمني حتىٰ لا أكون عونًا

---

(١) وهو قول مجاهد (تفسير الطبري ١٩/ ٥٣٥) وعنه وعن قتادة: ثلاثا وثلاثين سنة.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٥٣٨.

للمشركين.

قيل: وعد أن لا يكون ظهيرًا لهم، ولم يستثن، فابتلاه الله تعالىٰ من الغد(١).

وقيل: معناه القسم، يعني بإنعامك علي لا أكون ظهيرًا للمجرمين.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ كي لا يؤخذ فيُقْتل ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يستغيث به علىٰ قبطي آخر يسخره، فلما رآه موسىٰ؛ أي ﴿قَالَ﴾ للإسرائيلي ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ١٨﴾ أي: ضال بيِّن الضلالة، ثم قصد إعانته علىٰ القبطي بعد تغليظ القول ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ أي: يأخذ ﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ وهو القبطي، ظنَّ الإسرائيلي أنه قصدَ قصده، وأراد أخذه بما سبق من القول ﴿قَالَ﴾ يا موسىٰ ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقتل في الغضب ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٩﴾ بين المتشاجرين.

وجاء في التفسير أنَّ الإسرائيلي كان السامري، فلما سمع القبطي ذلك ترك الجدال وذهب إلىٰ فرعون وأخبره أنَّ القاتل للقبطي موسىٰ، فجاء خِربيل بن يوخابيل ابن عم فرعون وأخبر موسىٰ خبر القوم، وما تشاوروا في أمره بقتله(٢): ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ أسفلها ﴿يَسْعَىٰ﴾ أي: يعدو ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ

---

(١) نحوه في تفسير السمعاني ٤/ ١٢٨.

(٢) كذا في الأصل: خربيل، مجودا، وقد تكرر في هذا الكتاب، مما يدل علىٰ أنه هكذا هو في أصله. ومثله في تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٢، وهو تصحيف من المحقق، ففي النسخ الخطية: حزقيل.

وفي بعض المصادر: حزقيل بن صبورا، وقيل: شمعون، وقيل: شمعان، وقيل: طالوت، وهو مؤمن آل فرعون في قول الأكثر، انظر: الكشف والبيان ٢٠/ ٤٢٠، البسيط ١٧/ ٣٦٣، تفسير السمعاني ٤/ ١٢٩، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٦٦.

﴿يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ﴾ أي: قوم فرعون يتشاورون في قتلك لقتلك القبطي ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا﴾ أي: فخرج من القرية ﴿خَآئِفٗا﴾ أن يؤخذ فيُقتل ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ الطلب ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢١﴾ من شر القبط.

قال مقاتل: أتاه جبريل وأمره بأن يسير تلقاء مدين، وأعطاه العصا فسار من مصر إلىٰ مدين عشرة أيام.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾ بغير دليل وهو يخشىٰ أن يضل الطريق ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٢﴾ أي: يُبصرني عَدل الطريق.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ أي: أشرف عليه ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ﴾ أي: جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ أنعامهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: بِقُرب الناس ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ﴾ جاريتين ﴿تَذُودَانِۖ﴾ أي: تحبسان أغنامهما كي لا تخالط غنم القوم ﴿قَالَ﴾ لهما موسىٰ ﴿مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾ أي: ما بالكما.

قال الزجاج: ما تخطُبان؟ أي: ما تريدان بذود الغنم عن الماء؟(١).

﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي﴾ أي: لا نقدر علىٰ سقي الغنم ﴿حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ شياههم عن الماء، ونحن ننتظر فضول الماء في الحوض ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ۝٢٣﴾ لا يقدر علىٰ معونتنا.

قال الضحاك: هما ابنتا شعيب النبي صلىٰ الله عليه وسلم، اسم أكبرهما صفورا واسم الأخرىٰ عبرا، وكانتا توأمين(٢).

قال الكلبي: هما ابنتا بثرون ابن أخي شعيب، وشعيب قد مات قبل ذلك

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٣٩.

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٢٧. وهكذا ثبت اسمهما في الأصل، وفي زاد المسير ٣/ ٣٧٩: صبورا بالباء بدل الفاء، وهو تصحيف، وانظر الخلاف في ذلك في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٤٣، والله أعلم

بعد ما عمي، فدُفِنَ بين الحجر والمقام(١).

فأتىٰ موسىٰ أهل الماء وسألهم أن يهبوا له دلوًا من ماء، فقالوا: إن شئت أتيناك بالدلو فاستقيت أنت، وكان يجتمع علىٰ الدلو نفر منهم، أربعون رجلاً حتىٰ يخرجوا الدلو من البئر، فأدخل موسىٰ الدلو وحده، واستقىٰ وحده، وصبَّ في الحوض ودعا بالبركة، ثم قرب غنمهما حتَّىٰ شربت ورويت، فذلك قوله تبارك وتعالىٰ(٢) ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي: ظل شجرة من حر الشمس، وهو يمسح العرق ويقول ﴿[فَقَالَ] رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

قال الضحاك: يعني بالخير هاهنا الخبز، يعني: إني فقير إلىٰ ما كنت تعطيني من خبز، لأنه مضىٰ سبعة أيام لم يذُق إلا بقلة الأرض.

فرجعت الجاريتان إلىٰ أبيهما وأخبرتاه بالقصة، وبما دعا موسىٰ في الظل، قال شعيب: ما أحسب الرجل إلا جائعًا، يا صفورا ادعيه حتىٰ نُشْبِعُهُ، فأقبلت إليه صفورا وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ كمشي العذارىٰ، وقيل: مستترة بكُم درعها(٣).

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ﴾ ليكافئك علىٰ ﴿مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾ وبين شعيب وبين موسىٰ ثلاثة أميال، فشق ذلك علىٰ موسىٰ، ولكن ذهب لِوَحشته(٤)، فقام ومشىٰ معها، فهبَّت الريح وألصقت ثوبها ببدنها وكانت عجزاء، فقال لها موسىٰ: يا أمة الله امشي خلفي ودليني الطريق، ففعلت به ذلك، حتىٰ

---

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٢٧. وفي الأصل: بئرون مهملة غيرة منقوطة، وهكذا ضبطها في تفسير الثعلبي، وفي موضع آخر منه ٢٠/ ٤٣٧ عن الكلبي: يثرون، فالله تعالىٰ أعلم.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٥٥٥.

(٣) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٣١.

(٤) يعني: كان مستوحشا ولذا تبعها (تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٤).

بلغا المنزل[1].

فدخل موسىٰ علىٰ شعيب، فقال له شعيب: من أنت يا عبد الله؟ فقال: أنا موسىٰ بن عمران بن قهاث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام[2]، قال: إنك من أولاد الأنبياء، فأخبره بخبر ولادته وتربيته وقتله القبطي، وهربه إلىٰ يومه، فقال شعيب عند ذلك: لا تخف، وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ يعني: فرعون وقومه ولا سلطان له في أرضنا.

﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ وهي صفورا ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ وله قوة وأمانة، قال شعيب: هذه قوته قد حدثتني به، فما أمانته؟ فقصَّت عليه ما كان منه في الطريق، فـ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ أيتهما شئت أزوِّجها ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ أي: سنين ترعىٰ غنمي، فيكون ذلك إعطاء مهرها، وعليَّ إعطاء مهرها بعد ذلك ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ أي: يكون تطوعًا من عندك، ليس هو من شرط لازم، فإن فعلتَ ذلك معروفًا علىٰ كِبَر سني وضعفي فأنت مأجور ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ في تكليفك ما لا طاقة لك به إن لم تطب نفسك بذلك ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ يعني: من الرافقين بك من كل معروف أقدر عليه.

﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الشرط ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾ كما ذكرت ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ﴾ من الثمان أو العشر ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ أي: لا سبيل لك عليَّ من طلب

---

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٣٢.

(٢) كذا في الأصل: قهاث، ويقال فيه: قاهث. وفي تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٢٠/ ٤٨٩: موسىٰ بن عمران بن فاهث. وهو تصحيف، سيأتي التنبيه عليه في ذكر قارون.

الزيادة ومنع الأهل مني ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝٢٨﴾ شاهد وحافظ.

وقد رُوي عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنَّه سُئل: أي مدة عمل موسىٰ؟ قال: أوفاه، يعني العشرة[1].

وجاء في التفسير: أنَّ شعيبًا قال له في السنة الثامنة: كل شاة ولدت أنثىٰ في هذه السنة فالولد لك، فولدت كلها أنثىٰ، وفي السنة التاسعة قال: كل شاة ولدت ذكرًا في هذه السنة فالولد لك، فولدت كلها ذكرًا.

ثم قال له في السنة العاشرة: كل حمل جاء أبرق فهو لك، فجاءت كلها أبرق، فاجتمع عند موسىٰ نتاج ثلاث سنين، فأخذ وهمَّ بالرجوع إلىٰ مصر، ليخرج أمه وأخته من استخدام آل فرعون إلىٰ الشام[2].

قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ من عند شعيب أخذ في قفة مائلاً عن الطريق في ليلة باردة، وقد ضل الطريق وذلك ليلة الجمعة ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ أي: من ناحية الجبل عن يمينه بأرض المقدسة نارًا ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ [إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا]﴾ مكانكم فإني رأيت لمع النار ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي: استخبر صاحب النار عن الطريق ﴿أَوْ﴾ آخذ ﴿جَذْوَةٍ﴾ أي قطعة[3] ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ علىٰ رأس العود ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩﴾ بها من البرد.

---

(١) روىٰ البخاري في الصحيح ٢٦٨٤ عن سعيد بن جبير، قال: سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضىٰ موسىٰ، قلت: لا أدري، حتىٰ أقدم علىٰ حبر العرب فأسأله، فقدمت، فسألت ابن عباس، فقال: «قضىٰ أكثرهما وأطيبهما، إنَّ رسول الله إذا قال فعل».

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٣٨، وهاهنا قد ذكر الثعلبي قصصا إسرائيلية، منها ما يشهد القلب ببطلانه، ومنها ما لا يعلم صحته من كذبه.

(٣) في الأصل: قبضة، وهو تصحيف، والتصحيح من كتب التفسير، ولا سيما الكلبي فإنه قال: قطعة، ومقاتل، فإنه قال: شعلة (تفسير مقاتل ٢/ ٤٩٥، الكشف والبيان ٢٠/ ٤٤٤).

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أي: موضع الصَّلاء[١].

﴿نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ وإنما سمع الصوت من الشجرة في زعمه[٢]، والنداء كان من فوق العرش[٣]، ناداه يا موسىٰ ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ أنا الذي أسمعتك كلامي. قال ابن عباس: وكان موسىٰ رأىٰ في الشجر نورًا، فظنه نارًا، فأخذ من حشيش الأرض ليقتبس منها فخرج منها نور ولسان فوق رأس موسىٰ ذاهبًا في السماء، فألقىٰ موسىٰ ما في يده من الحشيش، فأقبل هاربًا في الأرض إذ رأىٰ تلك العجيبة، فنودي أن يا موسىٰ: إنه أنا الله رب العالمين، فرجع يصطك كل شيء منه فرقًا، وهذا أول كلام الله تعالىٰ لموسىٰ[٤].

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ في الخفَّة مع عظم الثعبان ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ خوفًا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يلتفت، فنودي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ۝٣١﴾ منها.

وَ ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ اليمنىٰ ﴿فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برص ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ أي: يدك من الخوف، إذا هالك أمر ضم يدك إليه لتسكن[٥].

---

(١) كذا في الأصل، وهو صحيح، والصلاء النار (تاج العروس ٣٨/ ٤٣٥).

(٢) أي بحسب ما سمع موسىٰ وظن.

(٣) وقد سبق له أن نقل تأويل الاستواء علىٰ العرش بالاستيلاء، وهنا يثبت النداء من فوق العرش، علىٰ معنىٰ: علا علىٰ العرش.

(٤) يشبه أن يكون من رواية الكلبي، فإني لم أجده في مصادر المأثور.

(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٥٧٥، معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٤٣، الكشف والبيان ٢٠/ ٤٤٨، وهذا هو المشهور في تفسير هذه الآية.

وقيل: الرهب هو الكم، وتأويله: اضمم إليك جناحك في كُمك[١].

وقيل: أحْضِر قلبك معك من خوفك كي لا تخاف[٢].

﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: حجتان وآيتان، قد أعطاكهما لتذهب بهما ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ وهو القبطي ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ مكانه ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ أي: عونًا ﴿يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ إني: أخاف أن لا يصدقني فرعون بما أرسلتني إليه.

قال الله تعالىٰ ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ سنقوي ظهرك ﴿بِأَخِيكَ﴾ هارون ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ حججًا.

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: إلىٰ قتلكما، وقف تام[٣].

ثم قال: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: بآياتنا التسع غلبتما

---

(١) وهو قول بعض أهل المعاني، وذلك فيما زعموا علىٰ لغة حمير (الكشف والبيان ٢٠/ ٤٥٠) وعده الزمخشري من بدع التفسير، فقال (في الكشاف ٣/ ٤٠٩): ومن بدع التفاسير: أن الرهب: الكم، بلغة حمير وأنهم يقولون: أعطني مما في رهبك، وليت شعري كيف صحته في اللغة؟ وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضي عربيتهم؟ ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية؟ وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل؟ علىٰ أن موسىٰ عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كمىٰ لها.

(٢) وهذا تخريج علىٰ المجاز، وهو بعيد.

(٣) وهو قول الأخفش وابن جرير، وجوزه المهدوي والقرطبي (انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٥٧٩، المكتفىٰ في الوقف والابتدا ١٥٧، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٨٧).
قال الداني: المعنىٰ عندهم: أنتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا، وهذا لا يصح إن قدر «بآياتنا» صلة لقوله «الغالبون»؛ من حيث لا يجوز أن يفرق بين الصلة والموصول، ويصح إن قدر تبيينًا مثل قوله ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأعراف:٢١].

من خالفكما[١].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ اليد والعصا ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾ افتراه موسىٰ ﴿وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ الذي تقوله ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٦﴾.

﴿وَقَالَ﴾ له ﴿مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ﴾ في الرسالة والتوحيد ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ﴾ يعني: أعلم بمن تكون له ﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ النصر علىٰ عدوه في الدنيا والجنة في الآخرة؛ لنا يكون أولكم.

ثم ابتدأ فقال ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٣٧﴾ أي: فرعون وقومه[٢].

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ لأهل مصر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ﴾ أي: الأشراف من قومي ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ أي[٣]: لا تطيعوا موسىٰ في ترك عبادتي[٤] ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا﴾ اصنع لي قصرًا عاليًا، هو أول من طبخ الآجر، عن الضحاك[٥].

حتىٰ أشرف علىٰ ذلك القصر ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أصعد إلىٰ السماء وأنظر إليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعني موسىٰ ﴿مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣٨﴾ وأنه ليس في السماء إله[٦].

---

(١) جوز الزجاج الوجهين، أي: أن تكون آياتنا من صلة يصلون، والمعنىٰ: لا يصلون إليكما تمنعان منهم بآياتنا، وأن تكون آياتنا متصلة بنجعل لكما سلطانا بآياتنا، أي حجة تدل علىٰ النبوة بآياتنا (معاني القرآن ٤/ ١٤٤).

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٨.

(٣) في الأصل أقرب إلىٰ: كي، وهو تصحيف.

(٤) وهذه إحدىٰ كلمتيه التي أخذه الله بهما (تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٨).

(٥) وهو قول مقاتل ومجاهد وابن زيد (تفسير الطبري ١٩/ ٥٨٠، تفسير أبي الليث ٢/ ٦٠٨، الكشف والبيان ٢/ ٦٠٨).

(٦) تفسير الطبري ١٩/ ٥٨١.

قال الله تعالىٰ ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ﴾ أي: فرعون ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾ عن الإيمان ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: أرض مصر ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالباطل ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ إذا ماتوا.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ﴾ أغرقناهم في البحر ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الكافرين.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ أي: قادة في الشرك يدعون الخلق إلىٰ الكُفر ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ من عذاب الله تعالىٰ.

﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ﴾ يعني الغرق ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ مُسودة أوجههم، مُزرقة أعينهم.

وقيل: من المقبوحين يعني الهالكين، والعرب تقول: قبَّحه الله أي أهلكه[1].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ بيانًا لبني إسرائيل؛ لمن آمن منهم ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة؛ لمن عمل به ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ من العذاب لمن اتبعها ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فينتفعون به.

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ بجانب الجبل حين تغرب الشمس ﴿إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾ أوحينا إليه بالرسالة إلىٰ فرعون ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لذلك.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا﴾ أُممًا بعده ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾ فنسُوا ما كان من خبر موسىٰ، فجددنا علىٰ لسانك لتخبرَهُم بذلك؛ فيدل علىٰ نبوتك ﴿وَمَا

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٠٦، البسيط ١٧/ ٤٠٢.

كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مُقيمًا ﴿فِىٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ عند أختان موسىٰ ﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ إليك أخباره؛ لتخبرهم بذلك؛ يعني: أهل مكة.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ أي: كلَّمنا موسىٰ.

وذكر في التفاسير: أنَّ موسىٰ عليه السلام قال: يا رب هل خلقت أمة أفضل من أُمتي؟ قال: نعم، أُمة أحمد، أتريد أن أسمعك كلامهم؟ قال: نعم، فناداهم: يا أُمة أحمد، فقالوا كلهم في الأصلاب والأرحام: لبيك اللهم لبيك، قال الله تعالىٰ: أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، سبقت رحمتي عليكم غضبي، هذا النداء بجانب الطور(١).

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «كتب الله تعالىٰ كتابًا قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، ثم وضعه الله تعالىٰ علىٰ العرش، وفيه: يا أُمة محمد قد أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، ومن لقيني يشهد أن لا إله إلا أنا وأن محمدًا عبدي ورسولي مخلصًا بها دخل الجنة»(٢).

---

(١) وهو من الأخبار الإسرائيلية من رواية وهب بن منبه، كما في الكشف والبيان ٢٠/ ٤٦٢.

(٢) رواه الطبري في التفسير ١٩/ ٥٨٥، الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ٤٦٣ عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير مقطوعا عليه من قوله. وإسناده صحيح.

هكذا رواه سفيان ويحيىٰ بن عيسىٰ عن الأعمش، ورواه حمزة بن حبيب الزيات عن الأعمش فوصله بذكر أبي هريرة ، رواه النسائي في السنن الكبرىٰ ١١٣١٨، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٤٣، وذكر أبي هريرة فيه شاذ.

ورواه حرملة بن قيس عن أبي زرعة فوصله بذكر أبي هريرة، رواه الطبري. وفيه ابن وكيع ضعيف.

وله شاهد عند الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ٤٦٤ من حديث سهل بن سعد ، وفي إسناده كذاب.

فهذا ما جرىٰ من ذكر محمد وأُمته مع موسىٰ عليهما السلام.

﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني العرب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يتعظون.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ معناه: لولا أن يصيب قومَك قريشًا عذاب يوم القيامة بما اكتسبوا في كفرهم ﴿فَيَقُولُوا۟﴾ عند نزول العذاب ﴿[رَبَّنَا لَوْلَآ]﴾ هلاَّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ مع الكتاب ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ ونعمل بكتابك ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ برسولك، أي: لولا ذلك لم يُحْتج إلىٰ إرسال الرسول ومواترة الاحتجاج، فأرسلناك يا محمد رسولاً كي لا يقولوا يوم القيامة: «إنا كنا عن هذا غافلين».

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ يعني الإسلام ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الآيات ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾ يعني أجدادهم ﴿بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾[١] وهو موسىٰ وهارون تعاونا، وقيل: موسىٰ ومحمد تعاونا[٢] ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ بموسىٰ وبمحمد، وهو قول أهل مكة.

وقيل: قول أهل مصر في زمن موسىٰ وهارون[٣].

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾

وآخر عند أبي نعيم في الحلية ٧/ ٣١٣ عن حذيفة، تفرد به أبو مسلم عبد الرحمن بن واقد عن ابن عيينة، وهو منكر. والحديث حديث أبي زرعة بن عمرو بن جرير، والله أعلم.

(١) في الأصل: ساحران، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة الجمهور سوىٰ الكوفيين (النشر ٢/ ٣٤١).

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٥٨٨.

(٣) وهو قول مجاهد كما في تفسير الطبري ١٩/ ٥٨٩.

وأما من قرأ: سِحران، أراد التوراة والإنجيل (الكشف والباين ٢٠/ ٤٦٧).

يعني: أرشد وأثوب في القرآن، فـ ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ بأنهما ساحران.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ علىٰ ما تدعوهم إليه من التوحيد، وقيل: إن لم يأتوا بمثل القرآن والتوراة[1] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولا حُجة لهم بكفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ أي: بيان ﴿مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ لدينه الإسلام ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ بيّنا لهم في الوعظ وخبر الأُمم السابقة، وقيل: أتبعنا الكتب علىٰ أثر الكتب والرسل علىٰ أثر الرسل[2].

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ ينتبهون من رقدة الغفلة.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ يعني: الإنجيل من قبل القرآن، وهم مؤمنوا أهل الكتاب، أربعون رجلاً، اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهابين أهل الشام[3].

﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: بالقرآن.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ آياتنا بينات[4]، يعني: القرآن.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٥٩٢.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٦١٢، الكشف والبيان ٢٠/ ٤٦٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٦١٢. وعن قتادة قال: كنا نُحدَّث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا علىٰ شريعة من الحقّ، يأخذون بها، وينتهون إليها، حتىٰ بعث الله محمدا صلىٰ الله عليه وسلم، فآمنوا به، وصدّقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين، بصبرهم علىٰ الكتاب الأوّل، واتباعهم محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم، وصبرهم علىٰ ذلك، وذكر أن منهم سلمان، وعبد الله بن سلام (تفسير الطبري ١٩/ ٥٩٥).

(٤) كتب هاتين الكلمتين بالحمرة علىٰ أنهما من الآية، فيحتمل أنها تفسير، أو أنها من خطأ الناسخ.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ صدقنا بـ: ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا﴾ من قبل هذا القرآن ﴿مُسۡلِمِينَ ٥٣﴾ لله بالتوحيد، عن مقاتل.

وقيل: من قبل رسول الله آمنا بأنه يكون نبيًا(١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ ضعفين ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على دينهم وتمسكهم بالإسلام ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ لأنَّ كفار مكة كانوا يشتمونهم على متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصفحوا عنهم وردوا معروفًا، يعني: يدفعون الأذى بالقول الجميل.

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤﴾ في طاعة الله.

ثم لقنهم فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ﴾ أي: الشتم ﴿أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾ أي: تمسَّكوا عنه، عن الجواب وسكتوا ﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا﴾ أي: ديننا ﴿وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ دينكم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ أكرمنا الله بالإسلام ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾ لا نطلب مجادلة الجاهلين.

﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ قيل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على إيمان عمه أبي طالب لتربيته له في صباه، وذبّه عنه عند تبليغ الرسالة(٢).

---

(١) وهو قول الضحاك فيما حكى عنه الطبري في تفسيره ١٩/ ٥٩٦.

(٢) روى البخاري في صحيحه ٣٨٨٤، ومسلم في صحيحه ٢٤، عن ابن المسيب، عن أبيه، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل، فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا

وليس معنىٰ الكلام: إنك لا تهدي من تحبه، معاذ الله أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يحب كافرًا، لأنَّ الكافر عدو الله، فكيف يحبُّه رسوله وحبيبه؟.

ولكن المرادُ: إنَّك لا تهدي من أحببت هدىٰ الله [له]، ورسول الله كان يحب هداية الكفار رحمة[١].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ يرشدهم إلىٰ دينه ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ أي: عالم بمن قدَّر له الهدىٰ.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ يعني: قريشًا ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ﴾ والتَّخطُّف: أخذ الشيء علىٰ وجه الاستلاب[٢].

نزلت الآية في الحارث بن عامر بن نوفل القرشي، قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: إنا نعلم أنَّ الذي تقوله حق، ولكن يمنعنا عن الإيمان مخافة أن تخطفنا العرب من أرضنا، فأكذبه الله تعالىٰ[٣]؛ فقال: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ نسكنهم فيه آمنًا من أن يهاج فيه ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ يُحمل إلىٰ الحرم من ألوان الـ ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ في حال كفرهم، فكيف نسلط عليهم غيرهم إن آمنوا.

تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [سورة التوبة:١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾.

وروىٰ مسلم في الصحيح ٢٥ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعمه عند الموت: «قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، فأبىٰ ، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ الآية ».

(١) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٧١.

(٢) تهذيب اللغة ٧/ ٢٤١، البسيط ١٧/ ٤٢٤.

(٣) الكشف والبيان ٢٠/ ٤٧٥، البسيط ١٧/ ٤٢٣، ونسبه للكلبي ومقاتل والمفسرين.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ أهل مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٧﴾ توحيد الله ولا يشكرونه.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ﴾ فيما خلا ﴿بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ نصب على الظرف[١]، أي: طغوا في نعمة الله وكفروا به كما فعل أهل مكة فأهلكناهم بالعذاب ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ﴾ منازلهم ﴿لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ من المسافرين، وقليلاً: نصب على المصدر، معناه: سُكنًا قليلاً[٢].

﴿وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥٨﴾ الأرض ومَنْ عليها ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: مُعذِّب أهل القرى ﴿حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا﴾ أي: في أعظم مدينتها، والأم: هاهنا أراد مكة ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ الرسول ﴿ءَايَٰتِنَاۚ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ مُذنبون مع شركهم.

وقد قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ۝١١٧﴾ لأنَّه أراد بالظلم في تلك الآية هو الكفر، ولا يعذب الله قومًا في الدنيا بكفرهم لأنَّه أعدَّ للكفار دار الجزاء، وهي الآخرة، فإنما يُهلكهم بإظهار المنكرات والقبائح فيما بينهم، وفي هذه الآية بيَّن أنه يأخذهم بالظلم، فاستوى المعنيان.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾ تتمتعون أيامًا معدودةً، وعن قليل يعود إلى فناء ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ﴾ مما أعطيتم من الدنيا ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٠﴾ أنَّ الباقي أفضل من الفاني.

﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا﴾ يعني: الجنة في الآخرة والنصرة في الدنيا، يعني به

---

(١) وقيل: على التفسير (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٦٤).

(٢) أي: القليل منها سُكن (الدر المصون ٨/ ٦٨٧).

النبي صلىٰ الله عليه وسلم وعدناه ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ لا مُحالة ﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: منفعة الحياة الدنيا ثم يضمحل ذلك، وهو أبو جهل لعنه الله[١].

﴿ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ۝٦١﴾ في النار معاقبًا بها، أي: ليس هذا وذاك سواء، أي: ليس حال من متَّعه الله متاع الغرور كمن أكرمه بالنبوة في الدنيا، ونهاية الشفاعة في العقبىٰ[٢].

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ يعني: ينادي كفار مكة ﴿فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ۝٦٢﴾ يعني تعبدونه، وتزعمون أنه شريك لي في تلبيتكم، تقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، ادعوهم ليستجيبوا لكم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ وجب عليهم العذاب ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾ أضللنا ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: أضللناهم كما ضللنا عن الهدىٰ بأنفسنا[٣] ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ﴾ أي: تبرَّأنا منهم وأقبلنا إليك ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ۝٦٣﴾ أي: لم يطيعونا بأمرنا إنما اتبعوا أهواءهم.

﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ أصنامكم ﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ بدفع العذاب ﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ القادة والسفلة ﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ۝٦٤﴾ في الدنيا لم يروا العذاب في الآخرة.

وهذا الجواب محذوف، والكلام[٤] مختصر.

وقيل: معناه رأوا العذاب في الدنيا كما أبصروه في الآخرة لو كانوا مهتدين

---

(١) وهو قول مجاهد وابن جريج (تفسير الطبري ١٩/ ٦٠٥، الكشف والبيان ٢٠/ ٤٨٠).
(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٦١٥.
(٣) في الأصل: أنفسنا هم.
(٤) في الأصل: عن الكلام.

بالإسلام؛ لأنه ثبت بالقرآن وبإخبار رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إياهم، فهو بمنزلة المشاهد[١].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ﴾ يعني: ينادي الرب عزَّت قدرته لكفار مكة، ويقول: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ يسأل لأهل الشرك، أي: ما ذا أجبتُم رسلكم.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ أي: تاهوا عن الحجج ﴿يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضًا عن الحجج، وذلك حين انقطع الكلام وكلَّت الألسن، وقد كانوا يتساءلون في الدنيا.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ وصدَّق بتوحيد الله عزَّ وجل ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يعني: أدَّىٰ الفرائض ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧﴾ في الآخرة.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ يعني: الشقي والسعيد، ويختار لدينه ونبوته من يشاء كما اختار محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم.

وهذا جواب قول الكفار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي: ليس لهم اختيار النبوة، ثم نزَّه نفسه قال ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ من الأصنام.

والاعتقاد فيه: أنَّ الله تعالىٰ شاء منْ كلٍّ علىٰ ما علم أنه يكون منه، وكذلك يختار، وكذلك يقضي، وكذلك كتب علىٰ العبد ما علم أنه يكون منه، إذ لا يجوز أن يكون شيءٌ بخلاف ما علم، لأنَّ فيه الجهل بالعاقبة أو العجز، وكلاهما منفيَّان من صفات الرب عزَّت قدرته.

---

(١) في الأصل: الشاهد، والصواب ما أثبته، أي العذاب الغيبي كأنه مشاهد بخبر القرآن والسنة عند المؤمنين.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تُسِرُّ قلوبهم وما يضمرون في صدورهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩﴾ بألسنتهم، يعني: السر والعلانية.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني: يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الجنة إذا دخلوها ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يعني: القضاء بين خلقه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ في الآخرة.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: قل لأهل مكة، ما تقولون إنْ جعل الله عليكم الليل سرمدًا إلىٰ يوم القيامة، فتبْقَوْن في ظُلمة ولا نهار معه ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: مَنْ معبودٌ سوىٰ الله ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١﴾ الموعظة والحُجَّة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا ليل معه ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ وتستريحون من الإعياء ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢﴾ قدرة الله عزَّ وجل.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ والنهار: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ تطلبُوا من رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ ربكم.

واللامات كلها خاص لا عام، لأنَّه لو جعل الليل للسكون لا غير ما تحرَّك فيه متحرِّك، ولو جعل النهار للابتغاء ما استراح ولا نام فيه أحدٌ(١).

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٧٤ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: اخترنا وميَّزنا من كل أُمةٍ شهيدًا عليهم بالبلاغ، وهم الأنبياء يشهدون علىٰ تبليغ رسالات الله إليهم ﴿فَقُلْنَا﴾ للكفار حينئذٍ ﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: حُجتكم في تكذيبكم إيَّاهم ﴿فَعَلِمُوٓاْ﴾ حينئذٍ ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾

---

(١) البسيط ١٧/ ٤٤٤.

أي: الوحدانية والحُجَّة ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أي: بطل افتراؤهم.

ثم ذكر قصة قارون فقال: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تَطوَّل عليهم بكثرة المال.

وكان هو من بني إسرائيل، ابن عم موسىٰ[(١)].

وقيل: كان من العلماء يُعلِّم التوراة، فقال ذات يومٍ: إن لموسىٰ النبوة، ولهارون الحبورة، وليس لي شيء من ذلك، فردَّ نبوَّة موسىٰ، وبغي عليهم، والبغي: طلب العلو بلا حقٍ[(٢)].

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ المال المجموع بعضًا علىٰ بعضٍ، هذه لغة.

ومعنىٰ الكنز في الشريعة: كل ما لم يُعْطَ منه حق الله.

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ هو جمع مِفتح[(٣)]، وقيل: جمع مَفتح[(٤)] وهو الكنز[(٥)].

﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ أي: تُنقَل بالجماعة من الناس ﴿أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ قيل في

---

(١) واسمه: قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وموسىٰ بن عمران بن قاهث، علىٰ ما ذكر الطبري ١٩/ ٦١٥، والواحدي في البسيط ١٧/ ٤٤٦، وغيرهم، ووقع عند الثعلبي في (الكشف والبيان ٢٠/ ٤٨٩): فاهث، بالفاء، وهو تصحيف.

(٢) وهو المال (تفسير الطبري ١٩/ ٦١٦)، وقيل: كان عاملا لفرعون علىٰ بني إسرائيل فبغىٰ وظلم (الكشف والبيان ٢٠/ ٤٩٠، زاد المسير ٣/ ٣٩٢).

(٣) أي ما يفتح به، والمراد علىٰ هذا أنه المفتاح (الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣١٢).

(٤) في الأصل: جع يفتح، وهو تصحيف.

(٥) أي علىٰ هذا القول: المراد الخزائن، والكنز نفسه، لا المفتاح الذي يفتح به، وهو قول عامة المفسرين، والتفريق بالفتح والكسر معروف عندهم (الكشف والبيان ٢٠/ ٤٩٣، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٦٦، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣١٢).

التفسير: كان يحمل مفاتيح خزائنه سبعون نفرًا، وقيل: أربعون[١].

والنوء: النهوض بالثقال، يُقال: نُؤت بالحِمْل وأناءني الحِمْل؛ إذا أثقلك[٢].

وكان أبو عبيدة يقول: ما إنَّ العصبة لتنوء به، على القلب[٣].

وقد قيل: إن المفاتح جمع مفتاح، فحذف حرف واحد[٤].

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾ قال ذلك زهاد قومه، أي: لا تمرح ولا تَبْطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ البَطِرين المَرِحين الأشرين.

وفي الخبر عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبغض الفرحين البذخين المرحين، ويحب كل قلب حزين، ويبغض أهل البيت اللَحْميين، ويبغض كل حَبْرٍ سمين» فقالوا: يا رسول الله، وما أهل بيت اللَحميين؟ قال: «الذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة» قيل: فما الحَبْرُ السَّمين قال: «المُتجبِّر بعلمه الذي لا يُخبر الناس»[٥].

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من سعة المال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعني: الجنَّة ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: أحسن إلى نفسك لأن نصيبك من الآخرة لا يمنعك عن نصيبك في الدنيا، واعمل في الدنيا بطاعة الله ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ يعني: أحسن الشكر لله كما أحسنَ إليك في الإنعام.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٦١٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٥.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١١٠، تفسير السمعاني ٤/ ١٥٥.

(٤) البسيط ١٧/ ٤٤٩، ونسبه لمجاهد وقتادة وخيثمة.

(٥) رواه الديلمي ١/ ٢/ ٢٤٣، كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٣١١٧، وقال: موضوع. لأن في إسناده إسماعيل الشامي متهم بالوضع.

وقيل: أحسِن إلىٰ الفقراء كما أحسن الله إليك[١].

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالبَطر والخُيلاء والجُحود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ قارون الخبيث لعنه الله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أعطِيْتُ المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي لعلمٍ عندي من صنعة الذهب والفضة، ليس لأحدٍ عليَّ فيه مِنَّة، عن الضحاك[٢].

وقال مقاتل: أُعطيت المالَ علىٰ خير[٣] علم الله تعالىٰ أني أصلح له[٤].

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الماضية ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، منهم نمرود بن كنعان الجبَّار، وشداد بن عاد ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ سؤال استعلام بل يُسألون سؤال توبيخ.

وقال الكلبي: يُسأل الكافر عن دينه ولا يُسأل عن ذنبه[٥].

وقيل: هذا في وقتٍ دون وقتٍ[٦].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ علىٰ بغلةٍ شهباء عليها سرج من ذهبٍ، ومعه ألف جارية، علىٰ بغالٍ شُهْب وسروج من ذهب، عليهن ثياب أرجوان، ومعه

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢٠.

(٢) وهي صنعة الكيمياء، في زعم الكلبي وأصحابه (الكشف والبيان ٢٠/ ٥٠١)، ورده العلماء (معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٦، البسيط ١٧/ ٤٦٠).

(٣) في الأصل: غير، وهو تصحيف.

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٥٠٦.

(٥) البسيط ١٧/ ٤٦١.

(٦) انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٦٢٧، البسيط ١٧/ ٤٦٢.

أربعة آلاف فارس، بلباس الأرجوان والخِفاف البيض[١]، وقد نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن الثياب الحمر والأرجوان؛ لأنه زيَّ قارون[٢].

فلما رأَوْهُ علىٰ تلك الحال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ويطلبون زينتها ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ وافرٍ من المال.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهو يُوشَع بن نون، ونفرٌ معه ممن أُعطي علم الزهد والتوكل الراغبين ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ معناه: الويل لزمكم ثواب الله لأهل الطاعة خيرٌ لمن آمن وعمل صالحًا مما أوتي قارون ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: هذه الفعلة أو هذه الكلمة.

وقيل: ولا يلقىٰ الجنة لأنَّ ثواب الله الجنة ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ علىٰ أمر الله تعالىٰ.

قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ قال الحسن البصري: لما بَنَىٰ قارون دارًا مرتفعًا مُشرفًا، وفرغ منها، صنع طعامًا وجمع فيه الناس وأطعمهم، ودعا بامرأةٍ جميلةٍ أجمل أهل زمانه، وهي بِغيَّة، وجعل لها جُعْلاً عظيمًا أنْ تقول علىٰ موسىٰ كذبًا، وهو أن تقول: راودني موسىٰ إلىٰ نفسه، فأجابت المرأة، ووعد لها

---

(١) تفسير الطبري الكشف ١٩/ ٥٢٧، والبيان ٢٠/ ٥٠٥، البسيط ١٧/ ٤٦٣.

(٢) عن علي نُهيَ عن مياثر الأرجوان ولبس القسي وخاتم الحرير، رواه أحمد ٩٨١ بسند صحيح.

قال ابن الأثير (في النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ١٥٠): «أنه نهىٰ عن ميثرة الأرجوان» الميثرة بالكسر: مفعلة، من الوثارة. يقال: وثر وثارة فهو وثير: أي وطيء لين. وأصلها: موثرة، فقلبت الواو ياء لكسرة الميم. وهي من مراكب العجم، تعمل من حرير أو ديباج.

والأرجوان: صبغ أحمر، ويتخذ كالفراش الصغير ويحشىٰ بقطن أو صوف، يجعلها الراكب تحته علىٰ الرحال فوق الجمال. ويدخل فيه مياثر السروج، لأن النهي يشمل كل ميثرة حمراء، سواء كانت علىٰ رحل أو سرج.

أنك تجيء غدًا عند اجتماع الناس في داري وتشكوا من موسىٰ، فلما أصبح وارتفع النهار وامتلأت الدار من الناس؛ لم تحضر المرأة، فأُرسِلَ[١] إليها رسولاً وإلىٰ موسىٰ رسولاً فحضرا جميعًا، وأقامهما بين يديه، وقال: يا موسىٰ إن هذه تشكو منك فمالها؟ فقال موسىٰ: لا أدري بيني وبينها شيء، ثم سألها موسىٰ: مَالَكِ يا هذه؟ فقالت: إن قارون أمرني بكذا وكذا، وجعل لي من الجُعل كذا وكذا، حتىٰ أقول فيك كذا وكذا، فغضب موسىٰ غضبًا شديدًا، وقال: يا عدو الله أنكرت ربوبية الله، وبلغ جرأتك علىٰ الله حتىٰ قلتَ فيَّ ما قلت، فخرج من عنده وشكا إلىٰ الله، فقال: يا رب إلىٰ كم تُنظره، أنكر ألوهيتك، ورمىٰ رسولك، فأوحىٰ الله إليه: يا موسىٰ جعلتُ الأرض مطيعةً لك، فمُرْها كيف شئت، فدخل موسىٰ علىٰ قارون غضبانًا وقال: يا عدو الله، كذَّبتني وجحدتَ ربوبية الله، وعبدتَ دونه، أما تخاف الله، فغضب قارون فقام وهَمَّ به، وعنده جماعة من أشراف قومه، فقال موسىٰ: يا أرض خُذيهم، وكان قارون علىٰ فراش مبسوط علىٰ سريرٍ مرتفعٍ، فأخذت الأرض بأقدامهم وغاب فرشه في الأرض، وأخذت الأرض بقدميه، وأخذ من الحاضرين مثل ما أخذ من قارون، وكان موسىٰ قائمًا يُوَبِّخهم ويُشدِّد عليهم، فتضرعوا إليه: يا موسىٰ ارحمنا وكُفَّ عنا، فجعلوا يتضرعون ولا يزداد موسىٰ إلا غضبًا، حتىٰ أخذت الأرض بأنفسهم، لم يبق علىٰ الأرض إلا رؤوسهم، وكانوا يطمعون في عفو موسىٰ، فقال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم واستوت الأرض بهم، فقال الله تعالىٰ: يا موسىٰ تضرَّع إليك عبادي ولم ترحمهم، فوعزتي لو أنهم دعوني واستجاروا بي لأنجيتهم، فلما خسفت الأرض قارون تكلَّم بنو إسرائيل، وقالوا: إن موسىٰ فعل بقارون كذا حتىٰ يرث ماله، فسأل موسىٰ ربه وقال: يا رب إن عبادك اتهموني، فاجعل

---

(١) في الأصل: فأرسلت.

الأرض مُطيعة لي، فجعلها له مُطيعة، فقال موسىٰ: يا أرض خُذي دار قارون بما فيها، وكان بعد هلاك قارون بثلاثة أيامٍ، فانخسفت الدار والخزائن والغلمان والجواري والدواب كلها في الأرض[(١)].

ثم قال: ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يمنعونه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ بنفسه.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: منزله وما فيه من الزينة ﴿يَقُولُونَ﴾ بعضهم لبعضٍ ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ قال قتادة: أولا ترىٰ أن الله[(٢)].

وقال الضحاك: ولكن الله[(٣)].

وقيل: معناه يا رحمة لك[(٤)].

وقال الخليل بن أحمد: «وَيْ» مفصولة مِنْ «كأن» وتستعمل كلمة «وَيْ» في الندم علىٰ ما سلف، فكأن القوم تنبَّهوا وقالوا: وَيْ نادمين علىٰ ما فرط منهم[(٥)].

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ علىٰ مَنْ يشاء ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أنعم الله علينا إذ لم يعطنا كما أعطىٰ قارون ﴿لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ويُقال فيه: أليس أن القول وما اشتق منه لا يجيء بعده أنَّ فكيف جاء «يقولون ويكأن الله»؟.

---

(١) الخبر رواه الطبري عن ابن عباس (تفسير الطبري ١٩/ ٦٣٠) بإسناد فيه المنهال بن عمرو، وقد رواه غيره فجعله عن عبد الله بن الحارث لم يذكر ابن عباس، وهو الصحيح.

(٢) رواه الطبري في التفسير ١٩/ ٦٣٤، وعنه قول آخر: أو لا يعلم.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢١.

(٤) وهو غريب.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٢، معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٧، تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢١.

قلنا: كلمة ويكأن كلمتان، فصارتا كلمة واحدة كما في حضرموت وبختنصر.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ وما فيها من النعيم ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: عتوًا وتكبرًا ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ أي: لا يريدون عملاً بالمعاصي ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المتواضعين الموحِّدين.

قال الصادق: الكِبر من نظر إلىٰ نفسه، والفساد مَنْ نظر إلىٰ الدنيا.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: المعرفة بتوحيد الله ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ معناه: فله منها خيرٌ يعني يحصل الخير بالتوحيد، وهو الجنة والثواب والنجاة من النار.

وقيل: ثواب الله خيرٌ له من عَمَلِهِ.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: بالشرك ﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إلا جزاء شركهم.

وظاهر الآية يقتضي أنَّ ثواب الحسنة يكون أكثر من العمل، وثواب السيئة لا يكون إلا واحدًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ نزلت الآية بالجُحْفَة، وذلك أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما خرج من الغار ليلة الهجرة وأخذ سمت المدينة حتىٰ بلغ الجُحفة، فرأىٰ الطريق التي تؤدي إلىٰ مكة، فاشتاق إليها، وذكر مولده، فنزل جبريل بهذه الآية[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يعني بتبليغ الرسالة، وقيل فرض عليك العمل بالقرآن[٢].

---

(١) وهو مروي عن مقاتل والضحاك والكلبي تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢٢، البسيط ١٧/ ٤٧٤، الكشف والبيان ٢٠/ ٥١٨، تفسير ابن كثير ٦/ ٢٦٠.

(٢) وهما بمعنىٰ.

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ يعني: إلىٰ مكة، وقيل: إلىٰ الجنة[(١)].

﴿قُل﴾ لأهل مكة ﴿رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ بالتوحيد وطريق الصواب من عنده، وأنا الذي جئت به ﴿وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥﴾ أي: ربي أعلم بمن كان في خطأ بيِّن وذلك أنتم أيها المشركون.

وقيل: قل يا محمد: ربي أعلم مَنْ جاء بالهدىٰ أم أنتم؟.

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أن يُوحىٰ إليك القرآن ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ﴾ نصب علىٰ الخروج من أول الكلام[(٢)]، معناه: إلا أن الله رحمك رحمةً ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا﴾ أعوانًا ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: يصرفك عن آيات الله، أي: الوحي ﴿بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ﴾ وذلك حين دعاه الكفار ليُزَوِّجوه أحسن نسائهم، ويُقاسموه بشطر أموالهم؛ ليترُك مقالته ودعوته إلىٰ الإيمان، فأنزل الله هذه الآية[(٣)].

﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ إلىٰ توحيد ربك ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ﴾ فإنه واحد لا شريك له، الخطاب لرسول الله والمُراد أُمَّته ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ كل شيءٍ من الحيوان ميِّت إلا الله جل جلاله، وتعالىٰ عن صفات المحدثين.

---

(١) والقول الثاني قول ابن عباس وأصحابه وأبي سعيد الخدري (تفسير الطبري ١٩/ ٦٣٩) وعن ابن عباس: لرادك إلىٰ الموت، وكذا قال سعيد بن جبير، وعنه قول ثالث: مكة، ومال ابن جرير إلىٰ تصحيح ذلك كله، لأن المعاد من العود.

(٢) قال السمين الحلبي (في الدر المصون ٨/ ٧٠٠): فيه وجهان، أحدهما: هو منقطع أي لكن رحمك رحمة، والثاني: أنه متصل. قال الزمخشري: «هذا كلام محمول علىٰ المعنىٰ، كأنه قيل: وما ألقىٰ إليك الكتاب إلا رحمة» فيكون استثناء من الأحوال أو من المفعول له.

(٣) وهو قول مقاتل (البسيط ١٧/ ٤٧٨).

إلا وجهه: منصوب على الاستثناء، ويحتمل كل شيء هالكٌ إلا وجهه يعني إلا مَنْ عمل لله، أو عُمل لله، فإنه يبقىٰ لا يفنىٰ[١].

﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ أي: له القضاء والتقدير.

وقيل: له الحكم في قبول الأعمال وردَّها.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٨﴾ في الآخرة يجزيكم بأعمالكم.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة القصص كان له من الأجر بكل حرفٍ عشر حسنات، ولم يبق مَلكٌ في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقًا»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٦٤٣.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٠/ ٣٧٣، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٥.

سورة العنكبوت

مكيَّة، إلا عشر آيات من أوَّلها كأنها مدنيات، علىٰ قول ابن عباس[(١)].

وهي ستون وتسع آيات[(٢)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ الكلام في «الم» قد مرَّ فيما تقدَّم[(٣)].

والحسبان والظنُّ بمعنىٰ واحدٍ.

قال مقاتل: نزلت في مهجع بن عبد الله وفي أبيه وأُمِّه، ومهجع أول قتيل من المسلمين ببدر، وهو أول من يُدعا من شهداء هذه الأُمة إلىٰ الجنة، فجزع عليه أبواه جزعًا، فنزلت الآية بيانًا لأبويه ولغيرهما أنه لابُدَّ للمسلم من البلاء في ذات الله تعالىٰ[(٤)]، وقال: أحسب الناس ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾.

وقيل: نزلت في المنافقين، تكلَّموا بكلمة الشهادة ظاهرًا وهم مع الكفرة باطنًا، فلما طُولبوا بإقامة الطاعات ثقل ذلك عليهم، فنزلت الآية فيهم: أحسب

---

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٧، زاد المسير ٣/ ٣٩٨، الدر المنثور ٦/ ٤٤٩.

(٢) بالاتفاق، البيان في عد آي القرآن ٢٠٣.

(٣) سورة البقرة، آية (١).

(٤) وهذا يقتضي أنها مدنية، وهو قول مقاتل. وفي رواية عطاء عن ابن عباس وقول الشعبي أنه لما نزلت آية الهجرة كتب به المسلمون إلىٰ إخوانهم في مكة، والناس هم: سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعياش بن أبي ربيعة وعمار بن ياسر (تفسير الطبري ١٩/ ٩، تفسير أبي الليث ٢/ ٤٢٤، الكشف والبيان ٢١/ ١٠، البسيط ١٧/ ٤٨٥).

الناس أن يتكلموا بكلمة الإسلام فيُتْرَكون ولا يُفتنون، أي: لا يبتلون بالأعمال من شرائع الدِّين[١].

وقال ابن عطاء: أَظَنَّ الخلق أنهم يتركون مع دعاوي المحبة، ولا يطالبون بحقائقها، وحقائق المحبة هو صَبّ البلوىٰ علىٰ المُحبِّ وتلذُّذه بالبلاء.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ﴾ من أهل الإيمان، بعضهم صُلِبَ، وبعضهم أُلقي في النار، وبعضهم أُغْلِيَ به القِدْر ورُمي فيه.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم، معناه: ليرين الله المخلَصين في إيمانهم عند استعمالهم الشرائع التي كُلِّفوا إقامتها.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ أي: ليرين الكاذبين في نيَّاتهم، فعلامة الإخلاص: اتِّباع ما أمر به والانتهاء عما نهىٰ عنه.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: كفروا بالله تعالىٰ ويعبدون الأصنام ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ بشركهم وخُبث أفعالهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾ بئس ما يقصون لأنفسهم؛ بأن يفوتونا ولا نجزيهم بأعمالهم الخبيثة.

قيل: نزلت في أبي جهل[٢].

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي: ثواب الله، أي: تأمَّلَ جزاء الله فليفرح ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ﴾ فإن البعث لكائن، وإن ثواب الله لواجب، وفيه إضمار: يعني ليعمل العبد للغاية فإنَّ أجله لآتٍ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ لمقالتهم، العليم بنيَّاتهم.

---

(١) وهو قول غريب.

(٢) وعن الكلبي: في الذين بارزوا يوم بدر (تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢٥).

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ يعني: ثواب جهاده لنفسه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ أي: من الجن والإنس وسائر الخلق، لا يُنقص من مُلكه عصيانهم جناح بعوضة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ السيئة: الخِصلة التي تسوء صاحبَها عاقبتُها، والتكفير: إبطال السيئة بالحسنة، والإحباط: إبطال الحسنة بالسيئة، لنكفرن عنهم سيئاتهم: لنمحونها.

﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٧﴾ أي: نجازيهم بإحسانهم ولا نجازيهم بمساوئهم.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾ قيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وذلك أنَّ أُمَّهُ حمنة[1] نذرت أن لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل من حرٍّ ولا بردٍ؛ حتىٰ يكفُرَ سعد بمحمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني سعدًا ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ مالك وحمنة بنت أبي سفيان ﴿حُسۡنٗاۖ﴾ أي: بِرًّا لهما وعطفًا عليهما[2].

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ أي: قاتلاك في المثَل ﴿لِتُشۡرِكَ بِي﴾ الأصنام وتكفر بي ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ أي: لا علم لك أن لي شريكًا ولا شركاء ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾ يا سعد فيما دعواك إليه فإن ذلك ليس من البرِّ والإحسان ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ أي: مرجع الوالدين والولد ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾ في الدنيا من الخير والشر والكفر والإيمان.

---

(١) هي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية، انظر: تنوير المقباس ٣٣٢، تفسير السمعاني ٤/ ١٦٨، معالم التنزيل ٦/ ٢٣٣.

(٢) رواه الطبري عن قتادة (تفسير الطبري ٢٠/ ١٢).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝٩﴾ لنُنْزِلهم في الجنان مع الأنبياء، ويُقال: الصالحون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين(١).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أي: عُذِّب بسبب دين الله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ بالضرب والسياط ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ في النار لمن كفر به ورجع عن دينه.

نزلت في: عياش بن أبي ربيعة، أسلم وعذَّبه أبو جهل والحارث بن هشام، وأجبراه على الكفر فكفر(٢).

---

(١) المعنىٰ: في مدخل الصالحين، وهي الجنة، ولا شك أن الخلفاء الأربعة من سادة الصالحين، لكن الآية عامة.

(٢) وهذا قول الكلبي ومقاتل، وهو باطل، فلو كان عياش قد ارتد لما كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يدعو له في القنوت، كما لا يخفىٰ، وقد ذكره من يعتمد علىٰ الكلبي ومقاتل، كأبي الليث في تفسيره ٢/ ٦٢٦، والبسيط ١٧/ ٤٩٧، وقد نسب إلىٰ ابن عباس، أي من رواية الكلبي.

والصحيح في ذلك ما رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ١٣عن ابن عباس بإسناد صحيح: قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بإسلامهم، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم وقتل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا، فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾ [سورة النساء:٩٧] إلىٰ آخر الآية، قال: فكتب إلىٰ من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم، فخرجوا، فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم هذه الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾إلىٰ آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كلّ خير، ثم نزلت فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١٠﴾[سورة النحل:١١٠] فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجا، فخرجوا، فأدركهم المشركون، فقاتلوهم، حتىٰ نجا من نجا، وقُتل من قُتل.

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾ يعني: عياش ومَنْ كان في مِثل حاله ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ علىٰ دِينكم ولم نرتد عن الإسلام.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ من الطمأنينة علىٰ الإيمان، والانشراح بالكفر، ثم أسلم عياش بعد ذلك وحَسُنَ إسلامه.

قال أبو معاذ النحوي: من عجيب كلام العرب وسعته أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ولم يقل: آمنت بالله، أخرجه علىٰ الجمع، ثم قال: ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾ أخرجه علىٰ الواحد، ثم قال: ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ علىٰ الواحد، ثم قال: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ أخرجه علىٰ الجمع.

[﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من الفقراء ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ ارجعوا إلىٰ ديننا ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ لفظه الأمر، وتأويله الشرط والجزاء، معناه: إن تتبعوا خطاياكم في الآخرة؛ إن كان لكم فيه إثم، فأعلم الله كذبهم فقال: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ﴾ قليل ولا كثير ﴿إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾ في مقالتهم.

﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ أي: ليستوجبُنَّ عقوبة آثامهم التي اكتسبوها في كفرهم ﴿وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ آثامًا مع آثام مَنْ أضلوهم من غير أن ينقص من آثام مَنْ تبعهم ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣﴾ أنهم يحملون أوزار غيرهم.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ ليدعوهم إلىٰ الله ويحذِّرهم من عقابه ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ يدعوهم، فأبوا أن يجيبوا فكان أطول منك لبثًا يا محمد ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ بتكذيبهم رسولهم ﴿وَهُمۡ

ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ لأنفسهم، كافرون بربهم، سُمي طوفانًا لأنه طاف بهم وأحاطهم بالهلاك، وسُمي القتل الفزيع[١] والموت الجارف: طوفان، لما يشمل كثيرًا من الناس.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي: الذين معه في السفينة ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ أي: سفينة نوحٍ ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي: عِبرة لمن بعد نوح من العالمين، لأنَّ خشبها كانت ملقية على جبل الجودي إلى قريبٍ من هذه الأعوام[٢].

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: أرسلنا إبراهيم.

وروي عن أبي حنيفة والنخعي أنهما كانا يقرآن: وإبراهيمُ، بالرفع على الابتداء[٣].

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه واخشَوْه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: توحيده ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من عبادة الأوثان التي نحتتم بأيديكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي: تتخذون الأصنام بأيديكم ثم تزعمون أنها آلهة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقكم بل الله رازقكم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ لأنَّ الرزق من عنده ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي: إلى مجازاته في الآخرة.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ يا أهل مكة محمدًا ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ بالرسل ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ [ٱلْمُبِينُ] ﴿١٨﴾﴾ أي الإنذار من الله عزَّ وجل إن لم يؤمنوا.

---

(١) في الأصل: الفزريع.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٦٤.

(٣) أي: ومن المرسلين إبراهيم (الكشاف ٣/ ٤٤٧).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ألم يعلموا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ من النُطف والعَلق وغيره ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ في الآخرة من التراب ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: إعادة الخلق ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ لتعتبروا في أمر البعث ﴿فَانظُرُوا﴾ بعد السَّيْر ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ يعني: خلق السماوات والأرض وما بينهما.

وقيل: يعني اقرؤوا القرآن واعتبروا من أخبار الأُمم الماضية.

وقيل: سافروا حتىٰ تَرَوْا بيوتهم خاوية[1].

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ وقدرتي في الآخرة كقدرتي في الدنيا.

«النشأة» و«النشاءة»: بالمد والقصر لغتان[2].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من إنشاء الخلق والليل والنهار ﴿قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ بعد الموت والبعث ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ مَنْ كان أهلاً ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ ترجعون.

﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: هاربين وفائتين من عذابه ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ يعني: ولا من السماء بمعجزٍ ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا [نَصِيرٍ] ﴿٢٢﴾﴾ ينفعكم وناصر ينصركم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بمحمدٍ والقرآن ﴿وَلِقَائِهِ﴾ البعث ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ أي: جنتي ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٢٩، زاد المسير ٣/ ٤٠٤.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمر: النَّشاءة، وقرأ الباقون: النشأة (النشر ٢/ ٣٤٣).

ثم رجع إلىٰ ذكر إبراهيم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ حين دعاهم إلىٰ التوحيد ﴿ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار، فألقوه في النار فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وهو في روضةٍ خضراءٍ، عن يمينه جبريل وعن يساره الملائكة المُقرَّبون يُحدِّثونه، ويضحكون علىٰ فعلة الكفرة، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ النار التي لم تحرق إبراهيم ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ أي: عبراتٍ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ يعني: لتتوادوا بها في الدنيا ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ حتىٰ تتبرأ القادة من الأتباع، ويلعن الأتباع، لأنهم زينوا للأتباع الكفر(١).

وقوله: «مودةً بينكم» نصبه علىٰ أنه مفعول: «إنما اتخذتم»، وبالرفع علىٰ الخبر(٢).

ثم قال: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: مصيركم النار، للعابد والمعبود والقادة والسَّفلة ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ من عذاب الله.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ وصدَّقه، وهو أول من صدَّق بإبراهيم حين رأىٰ أنه لم تضره النار ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ﴾ أي: إلىٰ رضا ربي.

وقيل: مهاجر من هذه الأرض إلىٰ أرض لربي أعبده فيها، هاجر من أرضه ومعه لوط وسارة أخت لوط إلىٰ حرَّان(٣).

---

(١) تفسير أبي الليث ٢/ ٦٣٠.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس بالرفع من غير تنوين، ويلزم منه خفض بينكم: مودةُ بينِكم، وكذا قرأ حمزة وحفص وروح إلا أنهم نصبوا مودة: مودةَ بينِكم، وقرأ الباقون: مودةً بينَكم (النشر ٢/ ٣٤٣).

(٣) وعلىٰ هذا القول فلوط ابن عمه وليس ابن أخيه، وهذا قول شاذ.

وقيل: إلىٰ أرض المقدَّسة، وهو ابن خمس وستين سنة[١].

فلما خرج سلَّط الله البعوضة علىٰ نمرود حتىٰ أهلكه، فأراه الله في الدنيا حقارة نفسه إذ لم يقدر علىٰ أن يدفع عن نفسه أضعف خلقٍ لربه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بالانتقام من أعدائه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ حكم له في الهجرة صلاحًا.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ بعد الهجرة ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولد الولد ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ﴾ إبراهيم ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة والإنجيل والزبور، وكان ذلك في ولد إسحاق، إلىٰ أنْ بَعث الله تعالىٰ محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم فتحوَّلت النبوة والكتاب إلىٰ ولد إسماعيل.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وفائدة هذا الكلام كيلا يظن أحدٌ أنه لما آتاه أجره في الدنيا بطل في الآخرة. هو الثناء الحسن، وقيل: كون الأنبياء من ولده[٢].

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ مع آبائه المرسلين في الجنة.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ يعني: وأرسلنا لوطًا، واذكر لوطًا إذ قال لقومه ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ المعصية وهي ما تلتمسونها من أدبار الرجال والنساء ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ فيمن مضىٰ، و«مِن» ههنا زائدة، يعني أحدًا من العالمين[٣].

---

(١) كذا في الأصل، ولعله هكذا في مصادره، ولكنه غير صحيح أو هو تصحيف، والصحيح: ابن خمس وسبعين سنة، كذا في المصادر، وهو منقول عن مقاتل (انظر: الكشف والبيان ٢١/ ٣٥، تفسير السمعاني ٤/ ١٧٦، معالم التنزيل ٦/ ٢٣٨، الكشاف ٣/ ٤٥١).

(٢) زاد المسير ٣/ ٤٠٥.

(٣) سبق التنبيه علىٰ كلمة زائدة، ومثل هذا لا ينبغي إطلاقه في حق القرآن الكريم، لكن العذر لهم أن المفسرين ينظرون للمعنىٰ، فعدوها زائدة، وأما الناظر في أسرار القرآن وبلاغته فيجد لها فائدة.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي سبيل الولد.

وقيل: معناه قطع الطريق السابلة، لأنهم يطلبون السابلة ويأخذونهم لعملهم الخبيث، وكانوا إذا ظفروا بابن السبيل نكحوه وشجُّوه وغرَّموه ثلاثة دراهم، وكان لهم قاضٍ يقضي بذلك(١).

﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ قيل: كانوا يضرطون في مجالسهم ويصفعون ويبزقون في وجوه بعضهم بعضًا، ويخذفون كلَّ من مرَّ بهم، ولهم خصال عشرٌ كلها مذمومة مع اللواطة(٢).

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ بأن العذاب نازلٌ بنا.

﴿قَالَ﴾ لوطٌ ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بشَّروه بإسحاق ﴿قَالُوٓا۟﴾ لإبراهيم ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يعنون قُريات لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ مشركين.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ابن أخي ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ العجوز ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ في المدينة للهلاك، ثم مضوا من عنده إلىٰ سَدُوم.

---

(١) انظر: الكشف والبيان ٢١/ ٣٩.

(٢) وهي كما وردت عن مكحول: مضغ العلك، وتطويق الأصابع بالحناء، وحل الإزار، وتنقيض الأصابع، والعمامة التي يلف بها الرأس، والسلنية، ورمي الجلاهق، والصفير، والخذف، واللوطية. (الكشف والبيان ٢١/ ٤٢، معالم التنزيل ٦/ ٢٤٠).
وفي تفسير أبي الليث ٢/ ٦٣١: هي الرمي بالبندق والصّفير، والحذف، ومضغ العلك، وحل إزار القباء، واللعب بالحمام، وشرب الخمر، وضرب العود والمزامير، واللوطية.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ أي: ساءه مجيئهم خوفًا من قومه ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ﴾ أي: اغتمَّ بسبب مجيئهم اغتمامًا، وسطعت امرأة لوط النار في مخبزها، فلا يمر بها أحدٌ إلا قالت: بغيتكم عندنا، حتىٰ امتلأت منهم دار لوط، واغتمَّ به لوط فنشر جبريل جناحه ﴿وَقَالُواْ﴾ إنا رسل ربك فـ ﴿لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾ يعني: ابنتيك زعوتا وريثا(١) ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣﴾ أي: تكون.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا﴾ أي: حجارة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ﴾ أي: الحجارة المنضودة والماء الأسود في موضع القرية ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾ عن الله أمره.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ واخشوا البعث ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦﴾ بنقصان المكيل والموزون بعد الشرك.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالنبوة ونزول العذاب ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الصيحة والزلزلة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧﴾ ميِّتين كجثوم الطَّير.

﴿وَعَادٗا﴾ أي: أهلك عادًا قوم هود ﴿وَثَمُودَاْ﴾ قوم صالح ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ يعني: آثارهم باقية عند مروركم ببلادهم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الطريق الواضح وهو الإسلام ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾ يظنون أنهم علىٰ الحق.

وقيل: معجبين بضلالتهم(٢).

---

(١) سبق ذكر ذلك في تفسير سورة الأعراف، آية: ٨٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٦٩، زاد المسير ٣/ ٤٠٧.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ۝٣٩﴾ فائتين بأعمالهم الخبيثة.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ أي: عذَّبناهم بشركهم وكفرهم ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم قوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل قوم صالح وشعيب ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ وهم قوم لوط وقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ قوم نوح وموسىٰ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بتعذيبهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ بشركهم.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ من الأصنام، وهم أهل مكة شبَّههم ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ أي: نسجت لنفسها مسكنًا لا ينفعها في دفع قرٍّ ولا حرٍّ، وكذلك الكافرون يعبدون شيئًا لا يضرهم ولا ينفعهم، ومنفعة بيت العنكبوت أكثر من منفعة الأصنام مع هذا، لأن بيتها يحبس عليها الذباب فتصيده، والوثن لا ينفع عابده شيئًا بل يضرُّه.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لأن الرِّيح يَهُبُّ به من وهنه وضُعْفه، فكذلك الوثن أضعف الأولياء لعابديها.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ أي: يهتدون المَثَل المضروب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ يعني الأوثان ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بالانتقام ممن عبَدَ دونه ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٤٢﴾ في أمره حكم بتخليدهم في النار إذا ماتوا علىٰ الكفر.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ كما بيَّنا من صفة العنكبوت وبيته مع الوثن وعابده ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ الموحِّدون، الذين يعقلون عن الله أمره.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ آية خلقها للحق، وطلب الحق من الخلق.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني القرآن على أهل مكة ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بشرائطها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخمس ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الفحشاء: المعاصي، والمُنكر: ما لا يُعرف حقًا في الشريعة، ويجوز أن يكون معناه: إذا تفكَّر في ما يقرأ من القرآن نهاه ذلك عن الفحشاء والمنكر(١).

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: ذكر الله إياكم بمغفرته أكبر من ذِكركم إيَّاه بطاعته في صلواتكم.

وقيل: ذكر الله بالتوفيق أكبر من ذكر العبد بالطاعة، ويحتمل أن يكون شديدٌ على الإنسان لمخالفة الهوى، كقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وقيل: ولذكر الله أكبر من أن يؤديه العبد كما يستحقه.

وقيل: ذكر الله أكبر من ذكر العبد لأن الله تعالىٰ إذا ذكر العبد ألقىٰ ذكره في الملكوت، والعبد لو ذكر الله جميع عُمره لا يزيد في ملكه قدر ذرَّة(٢).

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ في السرِّ والعلانية.

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث ٢/ ٦٣٥، وقال ابن جرير: فإن قال قائل: وكيف تنهىٰ الصلاة عن الفحشاء والمنكر إن لم يكن معنيا بها ما يتلىٰ فيها؟ قيل: تنهىٰ من كان فيها، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش، لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر، ولذلك قال ابن مسعود: من لم يطع صلاته لم يزدد من الله إلا بعدا. وذلك أن طاعته لها إقامته إياها بحدودها، وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر (تفسير الطبري ٢٠/ ٤٢).

(٢) حاصل ذلك أن لأهل التأويل قولين: الأول: ذكر الله لكم أفضل من ذكركم، والثاني: ذكر الله أفضل من كل شيء (تفسير الطبري ٢٠/ ٤٥، البسيط ١٧/ ٥٣٤، زاد المسير ٣/ ٤٠٩).

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الخطاب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم وحده، وأهل الكتاب: أراد به عبد الله بن سلام وأصحابه من المؤمنين، ثم استثنىٰ كفار اليهود فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ مشركوهم.

يعني: جادلهم باللتي هي أحسن، يعني عظهم بالقرآن.

وقيل: لا تجادلوا أهل الكتاب: يعني مؤمنيهم ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1].

ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ وهم كفرتهم، أقبلوا عليهم وجادلوهم، ثم ذكر في التقديم: ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لمؤمنيهم ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ من القرآن والتوراة ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ أي: كما أخبرناك في الكتاب جادلهم، ثم مدح مؤمنيهم فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ علم التوراة ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ أيضا ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي: لا يُنكرها بعدما يعرفها ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧﴾ من اليهود، بنعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: من قبل القرآن ﴿مِن كِتَٰبٖ﴾ و«مِن» زائدة ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾ أي: لم تكتب كتابًا بيمينك، لأنَّ نعتك في التوراة: أحمد عربي حَرمي أُمِّيٌ، ولو كنت تكتب لارتاب المبطلون، أي: شكَّ فيك كفار مكة واليهود.

فإن قال قائل: قد شكُّوا فيه وإن لم يكتب، فأيُّ فائدة وإن لم يكتب؟

قلنا: لأنهم شكُّوا في رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، والشك فيه نوع من العلم، والشك في الشيء ليس بجهل به، ولا الشَّاك جاهل بالمشكوك فيه، فإذا صار الشكُّ رَيْبًا لم يبق فيه نوعٌ من العلم.

---

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٧٠، البسيط ١٧/ ٥٣٨.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ أي: صار شكَّهم رَيْبًا فازداد جهلهم، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا يكتب لِعِظم قَدْرِهِ، وذاك أعجب لمعجزته، وأبعد من توجُّه الظنَّة عليه؛ كيلا[1] يظن به ظانٌّ أنه يكتب القرآن من غيره[2].

﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ يعني القرآن ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ وهم يعرفونها، يعني: مؤمني أهل الكتاب.

وقد تعلَّقت المعتزلة أنَّ القرآن مخلوق بهذه الآية، لأنَّ الصدور بائنة من الله تعالىٰ.

وجوابهم: أنَّه ليس المعنىٰ في صدور الذين أوتوا العلم أي ثابتة فيها، ولكن: معلوم فيها، لأن الصدور موضع العلم[3].

قوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي: نَعْتك ونعت دِينك ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩﴾ كعب بن الأشرف وغيره.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ كما كانت الأنبياء تجيء بها، مثل شق البحر وعصىٰ موسىٰ وغيره.

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ إن شاء أنزلها وإن شاء لم ينزل ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ﴾ مُخوِّف ﴿مُّبِينٌ ٥٠﴾ بلغةٍ تعرفونها.

---

(١) في الأصل: كما، والصحيح ما أثبت.

(٢) البسيط ١٧/ ٥٤٠.

(٣) وهذا علىٰ القول أن الآيات هي القرآن، وعلىٰ القول: أن المقصود ورود محمد صلىٰ الله عليه وسلم ونعته في كتبهم فلا إشكال، تفسير الطبري ٢٠/ ٥١، معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٧١، الكشف والبيان ٢١/ ٧٥.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ من الآيات ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به وعمل بما فيه ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ أي: منفعة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بأنِّي رسوله ﴿يَعْلَمُ[مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ]﴾ سر أهل السماوات وسر أهل الأرض ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ باليهودية[1] ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ وبدينه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: مُحْرَمون من الثواب ويستوجبون من العذاب.

قال أهل مكة عند ذلك: إن لم تأتنا يا محمد بالآيات فأتنا بالعذاب الذي تَعِدُنا، فنزل[2]: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ ويطلبون منك العذاب مُعجَّلاً ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: مُدةٌ مضروبةٌ ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ مُعجَّلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ فجأةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ بنزوله.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ يسألونه ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ أي: يجمعهم جميعًا وتحيط بهم.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ يأخذهم ويعلوهم من فوق رؤوسهم ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ﴾ لأهل النار ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي: جزاء أعمالكم.

﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ يا أهل التوحيد من ضعفاء أهل مكة؛ إن كنتم في ضيقٍ بمكةٍ من إظهار الإيمان ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ بالمدينة آمنة من العدو

---

(١) قول أهل التأويل أن الباطل هنا هو الشرك (تفسير الطبري ٢٠/ ٥٤، البسيط ١٧/ ٥٤٤)، وتخصيصه باليهودية فيه نظر.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٤، وفي الكشف والبيان ٢١/ ٧٧، تخصيصه بالنضر بن الحارث.

﴿فَإِيَّـٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ أي: وحِّدوني بالمدينة علانيةً، واتركوا مكة.

وربما كان بعضهم يكره مفارقة الوطن وترك الأموال والأولاد فنزل قوله[1]: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ أي: لابد من مفارقة الكل بالموت ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧﴾ للمجازاة.

ثم ذكر ثواب المهاجرين حتىٰ رغبوا فيه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ﴾ بعد الهجرة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا﴾ مساكن من الخيام والقصور ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: تحت غرفها الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨﴾ أي: ثواب الموحِّدين والمطيعين.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ علىٰ مضض الهجرة والفقر وأداء الفرائض ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾ يثقون به في الرزق وكفاية الأمر أينما كانوا.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ والدَّابة: كل ما يَدُبّ علىٰ وجه الأرض، لا تحمل رزقها أي: لا تجمع ولا تخبئ، وبعضها لا تطيق حمل رزقها ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ إن هاجرتم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠﴾ السميع لقولكم، حين قلتم: مَنْ يطعمنا بالمدينة وليس لنا هناك مالٌ وأقارب؟ العليم بأرزاقكم، مِن أين يرزقكم؟

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ لأنهم لا يستطيعون أن يجحدوا صُنعه ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٦١﴾ يُصْرَفون من خالق السماوات والأرض إلىٰ عبادة الأصنام.

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ أي: يقتر علىٰ مَن يشاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٦٢﴾ من إصلاح عباده في البسط والتقتير.

---

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٨١.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: مطرًا ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أي: يُبْسها وقحطها ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ فعَلَ ذلك ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارهم بأن الخالق هو الله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ بأن الحمد لله.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وباطلٌ، يعني: كلهوٍ ولعبٍ في سرعة فنائه وانقضائه، ولأنها فانية والآخرة باقية ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: دار الحيوان ولا موت فيها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ذلك، والحيوان لا نظير له من الكلام[1].

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني كفار مكة ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ حين اضطربت بهم الأمواج وخافوا على أنفسهم الهلاك ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ من أهوالها ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ حين أَمِنُوا من الغرق.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يعني: يشركون ليكفروا نعمة التنجية ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ لكي[2] يعيشوا في كفرهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ إذا نزل بهم العذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يأمنون فيها من القتل والإغارة ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يُقْتَلون ويُسْبَوْنَ وهم في الحرم آمنون، يأكلون ويشربون، ويعبدون غيري ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: الأصنام ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ إذ مُكِّن لهم في الحرم، وأطعمهم من الجوع، وآمنهم من الخوف.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأنَّ له شريكًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي:

---

(١) البسيط ١٧/ ٥٥٦.

(٢) في الأصل: لكن، وهو تصحيف.

مَنْ أظلم ممن كذَّب بالحق، يعني: الإسلام والقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ أي: جاء به محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ أي: منزل ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ أي: حاربوا الكفرة بسبب دِيننا الإسلام، وهو النبي صلىٰ الله عليه وأصحابه.

وقال أبو سهل: جاهدوا أهواءهم من أجل ديننا(١).

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لنُعرِّفنَّهم سبيل الحق الذي إذا أخذوا فيها أورثتُهم الجنَّة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ بالعون لهم والدَّفع عنهم.

قال بعض أهل التحقيق: الطريق إلىٰ الله واضحٌ، والوصول إليه بالمجاهدة، والمجاهدة: فَصْل النفس عن الشهوات، ونزع القلوب عن الأماني والشبهات، وخُلو السرِّ عن النظر إلىٰ الخلق، والرجوع إلىٰ رب السماوات، فحينئذٍ صحَّ لك المجاهدة.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة العنكبوت كان له عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومنافق»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) وهو معنىٰ قول أبي الليث في تفسيره ٢/ ٦٤١ .وهو قول مذكور في معنىٰ الجهاد هنا كما في الكشف والبيان ٢١/ ٩٥.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٦.

سورة الرُّوم

مكيَّة[١]، وهي ستون آية في المدني والكوفي والبصري[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿الٓمٓ﴾ تقدَّم تفسيره، ومعناه: أنا الله أعلم[٣].

ثم قال: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: أهل فارس غلبوا علىٰ بعض أطراف أرض الروم من ناحية الشام، فأخبر بذلك أهل مكة، فسروا بذلك، وقالوا لأصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم: كما غلب عبدة النيران علىٰ أهل الكتاب كذلك نغلب عليكم، فأنزل الله: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾[٤].

أنا الله أعلم أنَّ الروم غُلبت وقُهرت في أدنىٰ الأرض مما يلي أرض فارس.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أي: الرُّوم من بعد ما غُلبوا ﴿سَيَغْلِبُونَ ۝٣ [فِي بِضْعِ سِنِينَ]﴾ فارس، والغلْب والغلَبة لغتان[٥].

فسمع أهل مكة ذلك وأنكروا، فخَاطَر أبو بكر أُبيَّ بن خلف علىٰ أن الرُّوم تغلب فارس إلىٰ ثلاث سنين بثلاث ذَودٍ من الإبل، فجاء أبو بكر وأخبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بما فعل، فقال: «يا أبا بكر زد في الخطَر وأبعد في

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢١/ ٩٩، زاد المسير ٣/ ٤١٥.

(٢) وكذا في الشامي، وخمسون وتسع في المدني الأخير والمكي (البيان ٢٠٥).

(٣) سورة البقرة آية (١).

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٦٨، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ١٠٤ مطولا.

(٥) وهما مصدر غلبتُ (معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٧٧، البسيط ١٨/ ٩).

الأجل»، فرجع أبو بكر إلىٰ أُبي بن خلف وقال: هل لك أن تزيد في الخطر وتُبعد في الأجل؟ فقال: نعم، فخاطره علىٰ عشرٍ من الإبل إلىٰ سبع سنين، فلما قصد أبو بكر الخروج إلىٰ المدينة مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لزمه أُبي بن خَلَف وقال: أعطني كفيلاً، فكفَّله أبو بكر ابنه عبد الله، وذهب.

فلمَّا قصد أُبي بن خلفٍ الخروج إلىٰ أُحدٍ لزمه عبد الله بن أبي بكر وطلب منه كفيلاً، وقال: والله لا أدعُك حتىٰ تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً وذهب، فجُرح جراحًا بعريش أُحُد، ورجع إلىٰ مكة ومات بتلك الجراحة، وغلبَ الرُّوم علىٰ فارس عام الحُديبية عند رأس سبع سنين من مخاطرة أبي بكر رضي الله عنه[1].

والبِضْع: ما بين الثلاث إلىٰ التسع.

ثم قال الله تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: الحُكم والقضاء والمشيئة ﴿مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ وقبلُ وبعدُ مرفوعان علىٰ الغاية، لأنَّه حرف من الكلمة ما يتوهم به تمام المعنىٰ، واختصر عليه، فصارت غايةً لما بعدها، لأنَّ تمام المعنىٰ إنما يكون بإضافة الكلمة إلىٰ المُراد[2].

ومعناه: لله الأمر قبل أنْ تغلب الروم ومن بعد ما غلبت الروم.

فإذا سقطتْ الإضافة سُمِّي ذلك غاية، وإنما اختصَّا بالضمِّ دون النصب والكسر؛ لأنَّ إعرابهما في الإضافة النصب والكسر، فعُدِلا عن ذلك، وحُرِّكا بعض الحركتين اللتين كانتا تدخلان بحق الإعراب، والله أعلم[3].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٦٨ عن ابن عباس. وعنده عن عكرمة نحوه، وانظر: تفسير السمعاني ٤/ ١٩٧ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٠٣٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤.

وقيل: لله الأمر من قبل كل شيءٍ له قبلٌ، ومِنْ بعد كل شيءٍ له بَعْدٌ، كقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ أي: أولُ ما له أول، وآخرٌ ما له آخر[١].

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾ عند ظهور الروم علىٰ فارس يفرحون بتصديق وعد الله تعالىٰ علىٰ لسان رسوله وتكذيب الكفار ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ كما نصر أهل الكتاب علىٰ المجوس ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بالنقمة من أبي جهل وأصحابه يوم بدر ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم.

وقيل: ظهور أهل الروم علىٰ فارس يوم بدر، وكان ذلك موعودًا لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فلهذا فرح المؤمنون[٢].

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ﴾ نصب لأنَّه مصدرٌ بمنزلة قوله: وَعَدَ الله وعدًا[٣].

﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ لنبيِّه بالنصرة والدَّوْلة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ما كان من أمر الدنيا والمعاش والمكاسب ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: أمر الآخرة والبعث والثواب والعقاب ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ وهم الثانية بدل هم الأول، وهو للتأكيد لغفلتهم، كما يُقال: رأيته إياه[٤].

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ﴾ وَقَفَ تام، ثم ابتدأ فقال: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ليُحِقَّ قضاءه فيهم، ويُبيِّن علمه منهم، الذي قد علمهُ أنه كائنٌ.

---

(١) زاد المسير ٣/ ٤١٦.

(٢) وهو قول السدي، كما في معالم التنزيل ٦/ ٢٦١. وقول أبي سعيد الخدري من رواية عطية عنه، رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٧٣.

(٣) أي مصدر مؤكد (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٠).

(٤) والأولىٰ ابتداء، والثانية ابتداء ثانٍ، وجملته خبر الأولىٰ (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٠).

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجل البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ يعني مشركي العرب ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ⁽⁸⁾﴾ يعني البعث.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا﴾ بعد السَّير ويتفكروا، وقيل: ألم يقرؤوا القرآن فيعتبروا به[1].

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ أي: صار آخر أمر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كانوا أقوى منهم بالأبدان ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ قَلبوها للعمارة والحَرْث ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ بَنَوْا عليها ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ يعني: أكثر من عمارة أهل مكة ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي فلم يؤمنوا فأهلكهم الله ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بالهلاك ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ⁽⁹⁾﴾ بالكفر.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ﴾ أي: صار عاقبة الذين كفروا النار في الآخرة ﴿أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ⁽¹⁰⁾﴾ يسخرون بالآيات.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ من النُّطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يُحِييه بعد الموت ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ⁽¹¹⁾﴾ إلىٰ مجازاته.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ⁽¹²⁾﴾ المشركون، المُبْلَس: السَّاكت المتحيِّر[2] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ﴾ آلهتهم ﴿شُفَعَاءُ﴾ سمَّاهم شركاء لأنهم كانوا يشركونها في بعض أموالهم وحُرُوثهم ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ⁽¹³⁾﴾ أي: كان المعبودون -نحو الملائكة والأصنام- بشركائهم ومَنْ عبَدَهم كافرين، كما قال في سورة مريم: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾.

---

(١) وهذا غريب، لأن السير في الأرض لا يكنىٰ به عن القراءة إلا علىٰ بعد شديد، وهو خلاف الظاهر وقول أهل التأويل.

(٢) المنقطع الحجة (معاني القرآن ٤/ ١٧٩).

ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ بعد الحساب إلىٰ الجنة والنار، فلا يجتمعون أبدًا، ونظيره: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ يُكرمون ويُنعمون، وقيل: يُسرُّون والسرور الحُبْرَة، ويُقال: كل حبرة تتبعها عَبرة، وقيل هو السماع في الجنة(١).

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي: مُشْهدون حاضروا العذاب.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ بمعنىٰ الأمر، أي: صلُّوا لله صلاة المغرب والعشاء الآخرة ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ صلاة الفجر.

ثم قال في التقديم: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ صلاة الظهر ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾]﴾ يحمده الملائكة والمؤمنون فيهما، وهذه الآية تجمع الصلوات الخمس(٢).

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يُبْسها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ من قبوركم، مبعوثون للحساب والجزاء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدَّالة علىٰ توحيده ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ معجون بالماء، أي: آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: صرتم بشرًا تنشرون في الأرض.

---

(١) ويجمع ذلك كله: أصناف النعيم (تفسير الطبري ٢٠/ ٨٢).

(٢) عن أبي رزين قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن، قال: نعم، فقرأ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال: صلاة المغرب ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ قال: صلاة الصبح ﴿وَعَشِيًّا﴾ قال: صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ صلاة الظهر، ثم قرأ: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ [سورة النور:٥٨] وعن مجاهد نحوه (تفسير الطبري ٢٠/ ٨٤).

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أجناسًا من النساء ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ مودةً بالتزويج ورحمة أن تَلِدَ له فيعطف عليها وعليه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ لَعِبْرَةً ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ في صُنع الله.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في الهواء ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ علىٰ وجه الماء ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ لغاتكم، وألوان وجوهكم، وصُوَركم[1] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إنَّ في اختلاف الألوان والصور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ دالة علىٰ وحدانية رب العالمين، من الجن والإنس.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: طلب الرزق بالنهار ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الموعظة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفًا للمسافر وطمعًا للمُقيم ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ جمودها وخمود نباتها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن الله أمره.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ علىٰ أمكنتهما فلا يزولان ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بدعوة إسرافيل ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من بطن الأرض بدعوته.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ خاضعون مُطيعون.

ومعنىٰ الطَّاعة ههنا: هو أن خلق السماوات والأرض مخلوقون بإرادة[2]

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٨٧.

(٢) في الأصل: كإرادة، وهو تصحيف فيما يظهر.

الله لا يقدِر أحدٌ علىٰ تغيير الخِلْقة منهم، فدلَّ ذلك علىٰ أن الطاعة يُراد طاعة المشيئة، لا طاعة العباد(١).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ من النطف ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يجعله بشرًا سميعًا بصيرًا وقيل يعيده للنشأة الأخرىٰ ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: هيِّن عليه الإعادة.

وقيل: أيسر عليكم يا معشر الكفار، لأنَّ الإعادة في طبعكم وعقلكم أيسر من خلق الشيء من لا شيء.

ومعنىٰ الأول أوضح، لأن أفعل يذكر ويُراد به الفاعل، قال الشاعر:

تمنَّىٰ رجالٌ أنْ أموتَ وإنْ أمُتْ فتلكَ سبيلٌ لست فيها بأوْحدِ(٢)

يعني بواحد(٣).

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا بالقدرة، وقيل: الصفة العليا بأن لا مثل له ولا شبيه له، لا إله إلا هو له الصفات الشريفة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ حكم أن لا مثل له.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يا معشر الكفار لأنَّ أنفسكم أقرب منكم ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ من عبيدكم وإمائكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ و«من» زائدة أي: شركاء ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ حتىٰ كنتم أنتم ومماليككم في الأموال سواء ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾

---

(١) أي: المشيئة القدرية الكونية، لا المشيئة الشرعية، فهم لا يخرجون عن ما قدره عليهم، وعن ابن عباس: الطاعة هنا مخصوصة في الحياة والموت والنشور، وهو معنىٰ ما ذكره المصنف في الإرادة الكونية القدرية، وهذا الذي رجحه ابن جرير في التفسير ٢٠/ ٩١، البسيط ١٨/ ٤١.

(٢) البيت لمالك بن القين الأنصاري، وقد ذكره في تفسير الطبري ٢٠/ ٩٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٩٢، وتلخيص الواحدي لهذه الأقوال في البسيط١٨/ ٤١ فقد أجاد.

أي: هل يخاف بعضكم عبده المملوك كما يخاف بعضكم من بعضٍ، يعني: إذا لم ترضوا لأنفسكم أن يكون عبيدكم شركاءكم في أموالكم؛ فلماذا ترضون لربكم أن تجعلوا معه شركاء في ملكه[1].

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يفهمون.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ في الشرك أن له شريكًا ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي: مَنْ يقدر أن يُرْشِدَ إلىٰ التوحيد لمن قد أضله الله ﴿وَمَا لَهُم﴾ أي: للكافرين ﴿مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ﴾ أي: أخلِص أنتَ يا محمد لله في دِينه وعبادته واستقم علىٰ الإسلام ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ منصوب بمعنىٰ: اتبع[2] ﴿ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ إقرارهم بالتوحيد يوم الميثاق ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لدين الله الذي خلق العباد عليه، نفي بمعنىٰ النهي، أي: لا تتبدلوا ولا تغيِّروا[3].

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ الحق المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[4].

﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾ أي: أقيموا وجوهكم منيبين، نصب علىٰ الحال[5]، أي: راجعين إليه بالتوحيد من الكفر.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٥. وقال ابن جرير: نصبت علىٰ المصدر (تفسير ابن كثير ٢٠/ ٩٧).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨٥.

(٤) قال ابن جرير: ذلك الدين القيم: أي إقامتك وجهك للدين حنيفا، غير مغير ولا مبدل، هو الدين القيم، المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلىٰ اليهودية والنصرانية وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة (تفسير الطبري ٢٠/ ٩٩).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٥.

﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ أطيعوه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١﴾ أي: لا تكونوا بمنزلة أهل الشرك ولا منزلة أهل الكتاب.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فِرقًا وأحزابًا ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ يعني: بما عندهم من الدِّين معجبون مسرورون؛ لأنهم يَرَوْن أنهم علىٰ الحق.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ شدة وبلاء، وهو الجوع الذي كانوا فيه سبع سنين ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ مُقبلين ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ أعطاهم من عنده رخاءً وخصبًا ومطرًا ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ بالله الأصنام.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يعني: لكي يكفروا النعمة من ذهاب الضر، ثم ابتدأ فقال: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ يا أهل مكة في الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٤﴾ إذا نزل بكم العذاب.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ أي: هل أنزلنا علىٰ أهل مكة كتابًا أو حُجَّةً ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ۝٣٥﴾ أي: يتكلَّم ويشهد أن الله أمرهم بذلك الشرك، يعني: ليس لهم عذر ولا حجة في شركهم.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي: كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطرًا أو نعمةً وخصبًا ﴿فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قحطٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الشرك ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝٣٦﴾ من رحمة الله.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يوسع المال والخير علىٰ مَنْ يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يُقتر علىٰ من يشاء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣٧﴾ بالله وبمحمدٍ عليه الصلاة والسلام.

﴿فَـَٔاتِ﴾ أي: أَعْطِ ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في الرَّحِمِ ﴿حَقَّهُۥ﴾ وهو صلة الرحم ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: مارَّ الطريق، فأعط حقهما من الكسوة والطعام

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكر من الإعطاء ﴿خَيْرٌ﴾ من الإمساك ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ رضا الله لا مراءاة الناس ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ المُصيبون من الخير.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ يُقرأ: «آتيتم» بالمَدِّ والقصر، فالمد: معناه أعطيتُم، والقصر: معناه فعلتم[1].

﴿مِّن رِّبًا﴾ أي: هدِيَّة وعطيَّة ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: لتكثر أموالكم من أموال الناس، «في» بمعنىٰ «من»، تقدير الآية: ما تُهْدُوا إلىٰ إخوانكم لِيُهْدُوا لكم أكثر من ذلك[2] ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يقبله منكم، ولا يُثيب عليه؛ لأنه ليس ذلك لله.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي: صدَقةٍ تريدون وجه الله، أي: رضا الله لا مكافأة الناس ولا مراءاتِهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ عُدُولٌ عن المخاطبة إلىٰ المغايبة، أي: المضعفون في صدقاتهم ونفقاتهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ إلىٰ انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء المُدَّة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد البعث ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أي: آلهتكم ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ من الخلق والرِّزق والإحياء ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ أي: تنزيهًا وطهارةً وعُلوًّا له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يكون رجوعًا عن المخاطبة إلىٰ المغايبة.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ البر: المفاوز، والبحر: القرىٰ إذا كان علىٰ شط الماء[3].

---

(١) قرأ ابن كثير بالقصر: أتيتم، والتأويل: من المجي، وقرأ الباقون بالمد (النشر ٢/ ٢٢٨).

(٢) وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك، الكشف والبيان ٢١/ ١٦٢.

(٣) والعرب تسمي الأمصار بحرا، تفسير الطبري ٢٠/ ١٠٨.

وقيل: أول فساد في البر قتل قابيل أخاه هابيل، وفي البحر: أخذ جلندا كل سفينة صالحة غصبا (تفسير الطبري ٢٠/ ١٠٩، تفسير أبي الليث ٣/ ١٥).

وقيل: البر الجاهل والبحر العالم(١).

وقيل: أهلك العباد في البرِّ: مثل قوم لوط وعاد، وفي البحر: مثل قُريات لوط.

وقيل: ظهر الفساد في البرِّ بالجدوبة وقحط المطر، والبحر بنقصان الثمر في الزهاء(٢).

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بكفر أهل مكة وسائر الكفار ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: عقوبة بعض ما عملوا في الدنيا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ يتوبون إلىٰ الله.

وقيل: نهلك البعض لعل مَنْ بقي منهم يرجع عن ذلك(٣).

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافروا في البلدان ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾ اعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فعذَّبناهم، فكذلك أنتم يا أهل مكة.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ أي: أخْلِصْ دينك الإسلام المستقيم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي: لا يقدر أحد ردَّ ذلك اليوم دون الله ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يتفرَّقون، فريق في الجنة وفريق في السَّعير.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ﴾ أي: عقوبة كفره ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ووحَّده ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يفرشون(٤)، ويجمعون الثواب والكرامة في الجنَّة.

---

(١) وهو غريب، وأقرب إلىٰ الإشارة منه إلىٰ التفسير.

(٢) الكشف والبيان ٢١/ ١٦٤، البسيط ١٨/ ٧١.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ١١٠.

(٤) وهو تفسير الكلبي، كما في البسيط ١٨/ ٧٤.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ﴾ هي لام القسم، أي: ليجزيهم من فضله وثوابه في الجنَّة أبدًا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: لا يرضىٰ عمل المشركين.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ لخلقه بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ يصيبكم ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ بالمطر ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ علىٰ وجه الماء ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ بركوبكم السُّفن ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ربكم لنعمه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كما أرسلناك إلىٰ قومك ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ العلامات والأمر والنهي؛ فلم يؤمنوا ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ﴾ بالعذاب ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ مع الرسل بنجاتهم وهلاك أعدائهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ إن شاء طبق ما بين المشرق والمغرب، وإن شاء لم يجاوزه علىٰ بلدةٍ ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ بجزم السِّين، قراءة أبي عمرو(١). وكِسَفًا: بنصب السِّين قراءة الباقين، أي قطعًا(٢).

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦۖ﴾ الودق: المطر الكثير من خلال السحاب ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يفرحون بالمطر ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ آيسين.

وفائدة تكرار «من قبل» أي: من قبل أن ينزل عليهم من السماء، ومن قبل وصوله إلىٰ الأرض(٣).

---

(١) النشر ٢/ ٣٠٩.

(٢) الكشف والبيان ٢١/ ١٧٢، البسيط ١٨/ ٧٦، وانظر: تفسير سورة الإسراء، آية: ٩٢.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ١١٥، معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨٩، والبسيط ١٨/ ٧٧، الدر المصون ٩/ ٥١.

وقيل: إنَّ قَبْلَ الأولىٰ لتنزيل القرآن، وقبل الثانية لتنزيل المطر.

وقيل: يكرر للتأكيد[١].

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ انظر يا محمد إلىٰ أثر المطر الذي هو رحمة الله علىٰ عباده ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ حين اخضرَّت الأرض بعد ما كانت مُغبارَّة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي فعل هذا ﴿لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ وباعثهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٥٠﴾ من البعث والموت.

﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا﴾ حارَّة أو باردة مهلكة ﴿فَرَأَوۡهُ﴾ يعني: الزرع ﴿مُصۡفَرّٗا﴾ بعد خُضْرَته قد تغيَّر ويبس ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: صاروا من بعد اصفرار الخُضرة ﴿يَكۡفُرُونَ ۝٥١﴾ يعني: يقيمون علىٰ الكفر، أو يتكلَّمون بكلمة الكفر ولا يعتبرون[٢].

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ بقلوبهم، أي: لا تُفقه مَنْ كان قلبه ميتًا ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ أي: الدعوة إلىٰ الهُدىٰ ﴿إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٢﴾ أعرضوا عن الحق هاربين، وعنك مكذِّبين.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ﴾ كفرهم وتجبُّرهم وعماهم ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بكتبنا ورسلنا، أي: لا تقدر أن تفهم كلامك إلاَّ للمؤمنين خاصة ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ ۝٥٣﴾ مخلصون لله بالتوحيد والعبادة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ أي: من نطفة ضعيفة، خلقًا ضعيفًا، أسير جوعه، وضريع شبعه، ورهين شهوته، ولا ينفك منها إلا المعصومون[٣].

---

(١) وهو قول الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٦٥٨، واختاره ابن جرير.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ١١٦، الكشف والبيان ٢١/ ١٧٥.

(٣) الكشف والبيان ٢١/ ١٧٥.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ أي: قوَّاكم في حال الشبيبة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ هرمًا ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ أي: يحوِّل ما يشاء من حالٍ إلىٰ حالٍ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ يعلم بخلقه ويقدر علىٰ تحويلهم.

وقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ فهي بنصب الضاد وضمِّها، وهما لغتان[1]، والضعف مصدر أقيم مقام الصفة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ أي للمتقين[2].

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ يحلف الكافرون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ في قبورهم ﴿غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ وقيل: ما لبثوا في نعيم الدنيا غير ساعة[3].

﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥﴾ أي: مثل هذا الكذب كانوا يكذبون في دار الدنيا أن لا قيامة ولا بعث.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي: البينات من عند الله بالعلم، والتصديق بالبعث بأنه كائنٌ ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: فيما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ من آجالكم ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ﴾ منذ خُلقتم إلىٰ أن بُعثتم.

وقيل: مُقَدَّمٌ مُؤخرٌ، أي: قال: الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان، أي: أوتوا الإيمان، لقد لبثتم إلىٰ يوم البعث[4].

---

(١) قرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد، وقرأ الباقون بضمها، وعن حفص اختيار الضم مخالفة لروايته عن عاصم (النشر ٢/ ٣٤٥).

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٥٠.

(٣) والأول ذكره ابن جرير في التفسير ٢٠/ ١١٩، وأبو الليث ٣/ ١٨، والثاني قول مقاتل والكلبي (الكشف والبيان ٢١/ ١٧٨، البسيط ١٨/ ٨٤).

(٤) وهو مروي عن قتادة والكلبي (تفسير الطبري ٢٠/ ١١٩، البسيط ١٨/ ٨٦). ويقول قتادة عن التقديم والتأخير: هذا من مقاديم الكلام، ومن لم يفهم عبارته هذه يحمل كلامه علىٰ الغلط،

وقيل: لقد لبثتم في كتاب الله أي علم الله إلىٰ يوم البعث(١).

﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ إذ كنتم في الدنيا وكنتم لا تُصدِّقون الرسل.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ حين اعتذروا وسألوا الرَّجعة إلىٰ الدنيا ليؤمنوا، وذلك حين قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ الآية.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: لا يُقبل عُذرهم ولا يُعتبون.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ لأهل مكة ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: كل عجيب من الأمثال والعِبَر والدلائل ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ كما سألوها ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ من أهل مكة ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ما أنتم إلا كاذبون مُفترون(٢).

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي: يختم بالكفر قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله؛ حتىٰ لا يعرفوا ما يُقال لهم.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يا محمد في إظهار دينك ونصرتك عليهم، وثبِّت يقينك عليه، فإنه لا شك فيه ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ أي: لا يستفزنك عن دينك الذين هم في ضلالٍ شاكون.

فقد رأيت بعض المحققين يعلق علىٰ مقولته هذه بأنها خطأ، مع إقراره أن في الآية تقديما وتأخيرا، فليتنبه لمصطلحات الأئمة.

(١) وهو قول الزجاج في المعاني ٤/ ١٩٢.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ١٩.

قال مقاتل: وذلك أنَّ النضر بن الحارث دعا وقال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾، الآية[١]، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ بالعذاب، فإني أُعذِّبهم في وقتهم، فقُتِلَ اللعين يوم بدرٍ صبراً، ضرب علي بن أبي طالب عُنقه بحضرة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وسيقتْ[٢] روحه إلىٰ النار.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل مَلَكٍ يُسبِّح لله تعالىٰ في السماوات والأرض وأقيل ما صنع من يومه وليلته تلك»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ١٧.

(٢) في الأصل: وسيق.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ١٠٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٧.

سورة لقمان

مكيَّة، غير آية واحدة: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ﴾ الآية، مدنية[١].

وهي أربع وثلاثون آية[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿الم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ قد تقدَّم ما وجب في حروف الهجاء.

وتلك: إشارة إلى الآيات، والآيات مضافة إلى الكتاب، والحكيم: هو المُحْكَم من الخلل والتناقض والعيب[٣].

﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ لمن أقرَّ به من الموحِّدين.

ثم نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ [أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾]﴾.

قال شاه الكرماني[٤]: ثلاثة من علامات الهُدىٰ: الاسترجاع عند المصيبة، والاستكانة عند النعمة، ونفي الامتنان عند العطيَّة.

---

(١) الكشف والبيان ٢١/ ١٨٣.

(٢) ثلاث وثلاثون آية في المدني والمكي، وأربع للباقين (البيان في عد آي القرآن ٢٠٦).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠.

(٤) شاه بن شجاع الكرماني، أبو الفوارس، من أبناء الملوك، زاهد، صحب أبا تراب النخشبي، وتوفي قبل سنة ٣٠٠، له رسائل وكتب (تاريخ الإسلام ٦/ ٩٥١).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ وكان النضر بن الحارث الداري[(١)] قد اشترىٰ قينةً مغنيةً، ووقرَ بغلٍ من كتب الأعاجم، فكان لا يظفر بأحدٍ ممن يريد الإسلام إلا انطلق به إلىٰ منزله، ويجلس قينته ويقول لها: أطعميه واسقيه وغنِّيه.

وكان يقرأ بنفسه من كتب الأعاجم ويقول: إن محمدًا يُحدِّث حديث عاد وثمود وأنا أُحدِّث حديث رستم وأسفنديار، وهو يأمر بالصوم والصلاة، وإنِّي أطعم الطعام وأسقي الشراب وأُسمع الغناء، هذا أحسن أم ذاك[(٢)].

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ أي: يصرف الناس عن دين الله ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ أي: يتخذ القرآن سخرية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ يهانون فيه.

ثم أخبر عن كِبْرِه فقال: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾ أي: صممًا ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧﴾ وهو القتل يوم بدر[(٣)].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ يتنعَّمون فيها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ لا خُلْفَ لوعده فيما بشَّر لنضر من العذاب، وفيما وَعَدَ المؤمنين من الثواب الجزيل ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في مُلْكه بالانتقام ممن

---

(١) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كندة بن عبد الدار بن قصي، فلذا قال في نسبه: الداري (الكشف والبيان ٢١/ ١٨٦).

(٢) وهو قول الكلبي ومقاتل (تفسير أبي الليث ٣/ ٢١، الكشف والبيان ٢١/ ١٨٦).
والسلف فسروا اللهو هنا بالغناء والاستماع له، قال الزجاج: أكثر ما جاء في التفسير أن لهو الحديث هو الغناء، لأنه يلهي عن ذكر الله، وقال الواحدي: وأكثر المفسرين علىٰ أن المراد بلهو الحديث هو الغناء (تفسير الطبري ٢٠/ ١٢٨، معاني القرآن للزجاج ١٨/ ٩٥، البسيط ١٨/ ٩٤).

(٣) وهو من تتمة قول الكلبي ومقاتل، ومن لم يقل بذلك من عامة المفسرين فقد حملوا الآية علىٰ العذاب المنتظر في الآجل، وهو يوم القيامة (تفسير الطبري ٢٠/ ١٣١).

كَفَرَ به ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾ للمؤمنين بالجنَّة.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٖ تَرَوْنَهَاۖ﴾ أي: لا عمد لها تحتها، ولا علاقة فوقها ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ أي: الجبال الثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ تتحرَّك بكم من تحتكم ﴿[وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ] وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أي: في الأرض ﴿مِن كُلِّ زَوْجٖ كَرِيمٍ ۝١٠﴾ من كل صنفٍ من النبات حسن مُبهجٍ سَارٍّ للقلوب.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي: ما ذكر من السماء والأرض والجبال وغيرها، خَلْق الله، أي: مخلوق الله، ذكر المصدر وأراد به المفعول، كالصَّيْد يُذكر ويُراد به المصيد(١).

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: الأصنام التي تعبدونها من دونه، ثم قال: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من أهل مكة ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝١١﴾ أي: في جهالةٍ وتيهٍ وخُسران بيِّن.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال ابن عباس: لم يكن نبيًا ولا ملكًا، ولكن كان رجلاً راعيًا أسود، رزقه الله العتق، ورضي وصيته لابنه، فقصَّ أمرَهُ في كتابه(٢).

الحكمة: الفهم والعلم وإصابة القول مع العمل(٣).

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ﴾ أي: كن لله مُطيعًا بما أكرمك من الحكمة.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢.

(٢) وأكثر المفسرين على ذلك، إلا رواية عن عكرمة بإسناد ضعيف، أنه كان نبيا (تفسير الطبري ٢٠/ ١٣٥، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣، الكشف والبيان ٢١/ ١٩٧، تفسير ابن كثير٦/ ٣٣٣).

(٣) وهو مروي عن بعض السلف، كمجاهد (تفسير الطبري ٢٠/ ١٣٥).

وقيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لربِّ الخلائق.

﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾ لِنِعَمِ الله ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ وله منفعة ذلك ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله فلم يوحِّده ولم يشكر نعمه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ أي: غنيٌ عن حمد الحامدين، حميدٌ في أفعاله.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ أي: ذنب عظيم لا شيء أعظم منه.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ قيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وكان اسم أبيه مالك، وأُمُّه حَمنة بنت أبي سفيان[1] ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: شدةً بعد شدةً، وقيل: ضعفًا علىٰ ضعفٍ ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ أي: فطامه ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾ بالتوحيد والطاعة ﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ بالتربية ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ أي: مصيرك ومصير والديك إليّ.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ أي: أكرهاك ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بأن لي شريكًا ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ بالبرِّ والإحسان ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ أي: دِين مَنْ أقبل إليَّ بالطاعة، وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: إلىٰ مجازاتي رجوعكم ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ من خيرٍ أو شرٍ.

وهذا كلام معترض بين قصَّة لقمان، ثم رجع إلىٰ قصَّة لقمان فقال[2]:

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ١٣٨، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣١.

(٢) قال الطبري: «فإن قال لنا قائل: ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه؟. قيل: ذلك أيضـًا -وإن كان خبرا من الله تعالىٰ ذكره عن وصيته عباده به- وأنه إنما أوصىٰ به لقمان ابنه، فكان معنىٰ الكلام: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ ولا تطع في الشرك به والديك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ فإن

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ قال مقاتل: قال ابن لقمان: يا أبتاه، إن عَمِلْتُ بالخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمها الله؟.

فأجابه[1]: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: وزن حبَّة خردل، وصفها بغاية الصغر، لأنَّ ما دونها لم يكن وزن مُقَدَّر في موازيننا.

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ [أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ]﴾ من الصخور الصُّمِّ التي لا مدخل فيها لأحدٍ، وإنما ذكر الصخرة والسماوات والأرض لأنَّ أستر الأشياء وأخفاها على الأرض ما كان في جوف صخرة، لا سبيل للبصر إليه.

أو يكون في أرضٍ واسعةٍ لا يوصل إليه [و] لا يُمكن.

[وَ] لو ضيَّعت حبَّة خردل في البادية مع طولها وعرضها وعمقها لم يطمع أن يظفر بها أحدٌ بالطلب، فكيف ما كان في السماوات السبع والأرضين السبع.

ومعنى الآية: أن الله عالمٌ بأعمال العباد حتى لو أنَّ مثقال حبة من خردل من أعمالهم وأوزارهم في أسدِّ مكانٍ وأوسع فضاءٍ لا يخفى على الله مكانه، ولم يتعذَّر عليه إحضاره وتحصيله[2].

وقيل: هي الصخرة التي تحت الأرضين[3]، والله أعلم.

الله وصَّى بهما، فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله، وفيه هذا المعنى، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته» تفسير الطبري ٢٠/ ١٤٠.

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٢١. وسمى ابن لقمان: أنعم.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ١٤٠.

(٣) وهو قول السدي، ورواه عن ابن عباس بإسناده الضعيف، رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ١٤١، ولفظه: خلق الله الأرض على حوت، والحوت هو النون الذي ذكر الله في القرآن ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [سورة القلم:١] والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ ١٦﴾ بمكانها.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بشرائطها ﴿وَأۡمُرۡ﴾ عباد الله ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي: التوحيد ﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ أي: الشِّرْكِ والمعاصي ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ من الأذىٰ بسبب المعروف والمنكر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر علىٰ الأذىٰ ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ وحزمها.

وهو مما أوجب الله علىٰ العباد العمل بها[1].

﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تُعرض عن الناس تكبُّرًا ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ أي: مختالاً متكبرًا فإنما أنت خُلِقْتَ من الأرض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾ في مشيه ﴿فَخُورٖ ١٨﴾ بنعم الله علىٰ خلقه[2].

ملك، والملك علىٰ صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء، ولا في الأرض.

والسدي يشابه الكلبي ومقاتل من حيث إن له أقوالا ينسبها إلىٰ ابن عباس بإسناده المطروق، وغالب ذلك يكون من قبيل الإسرائيليات، وهو خير منهما بكثير.

قال ابن كثير (في تفسيره ٦/ ٣٣٨): ذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة إن صح ذلك، ويروىٰ هذا عن عطية العوفي، وأبي مالك، والثوري، والمنهال بن عمرو، وغيرهم. وهذا والله أعلم، كأنه متلقىٰ من الإسرائيليات التي لا تصدق، ولا تكذب، والظاهر -والله أعلم -أن المراد: أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه.

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٢٠٩.

وقال أبو الليث (في تفسيره ٣/ ٢٦): وصارت هذه الآية بيانـًا لهذه الأمة، وإذنـًا لهم، أن من أمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر ينبغي أن يصبر علىٰ ما يصيبه في ذلك، إذا كان أمره ونهيه لوجه الله تعالىٰ، لأنه قد أصاب ذلك في ذات الله عز وجل.

(٢) معاني القرن للزجاج ٤/ ١٩٨.

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ أي: امش مشيًا بين مشيين، لا في غاية السُّرعة، لأنه يؤدي إلىٰ الخفَّة والحُمْق، ولا في غاية التَّأَنِّي لأنه يؤدي إلىٰ التكبُّر.

والقصد: مشي بين المشيين(١).

﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ أي: اخفض صوتك ولا تكن صيَّاحًا سليطًا علىٰ الناس فتؤذيهم بلسانك، فيكون عندهم كالحمار النَّاهق ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾.

ثم ذكر آلاءه ونعماءه فقال: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: بعض ما في السماوات وما في الأرض، فالمُسخَّر في السماوات ما يرونهم بالعَيْن، لأنَّ بعض المسخرات يُرىٰ، فالشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمطر والملائكة، كلها مُسخَّرة للآدميين.

وتسخيرها: ما سببَّ فيها من منافعهم والاهتداء بالنجوم وفي الأرض من البحار والجبال والمفاوز، وما فيها من الأنعام والوحش والسَّمَك في الماء، ليأكلوا بعضها ويركبوا، وينتفعوا بجلود بعضها فذلك تسخيرها للآدميين.

﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾:

قال ابن عباس: سألتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن النعمة الظاهرة والباطنة، فقال: «أمَّا ما ظهر منها هو الإسلام، وما سَوَّىٰ من خلقك، وما أسبغ عليك من الرزق، وأما ما بَطَنَ فما سَتَرَ من مساوئ عملك فلم يفضحك بها»(٢).

---

(١) البسيط ١٨/ ١١٥.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٢٣٥، من حديث جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وهذا إسناد باطل عند أهل العلم، فجويبر منكر الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس، وهذا الحديث ليس له أصل في المرفوع عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

قال أبو سهل: الظاهرة الخلَق الحسن، والباطنة العافية في البدن(١).

وقيل: الظاهرة توفيق الطاعة والباطنة قبولها(٢).

قال أبو بكر الورَّاق: الظاهرة استواء الخلق والباطنة حُسن الخُلق، ولهذا دعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال: «اللهم فكما أحسنت خَلقي فأحسن خُلقي»(٣).

وقيل: الظاهرة ما أعطىٰ الله العبد من نعيم الدنيا، والباطنة ما منع عنه نعيم الدنيا كيلا يُشغله عن الله، لأنَّ المنع من الله إعطاء(٤).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ أي: يجادل في كتاب الله بالجحود له بغير علمٍ آتاه الله ﴿وَلَا هُدًى﴾ من الله ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ أنار حُجته وبرهانه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لأهل مكة ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ آمنوا بكتابه واعملوا بما فيه ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي: نسلُك طريق آبائنا ونتبع مناهجهم ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ لفظ استفهام بمعنىٰ التوبيخ(٥).

---

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٢٣٤، البسيط ١٨/ ١٢٠.

(٢) وكل هذا من قبيل التفسير بالمثال، والجامع لذلك: أن النعم الظاهرة التي تُرىٰ أو يراها الناس، والباطنة التي لا ترىٰ ولكنها تدرك وتعقل.

(٣) حديث صحيح رواه أحمد عن ابن مسعود ٣٨٢٣، وعائشة ٢٤٣٩٢.

(٤) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٢٤٠ نحوا من ثلاثين قولا في النعمة الظاهرة والخفية.

(٥) وقال الأخفش: بمعنىٰ التقرير ، أي: الشيطان يدعوهم لذلك (الكشف والبيان ٢١/ ٢٤٢).

المعنىٰ: لو كان الشيطان يدعو آباءهم إلىٰ عذاب السعير ويتبعونه فهؤلاء يتبعون آباءهم، والمعنىٰ: كيف يتبعون آباءهم وآباؤهم تبعٌ للشياطين ضُلال غير مهتدين[١].

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يخلص عمله لله فيوجِّهه إلىٰ الله علىٰ أيدي الكتبة ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مخلصٌ مُوحِّدٌ ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فقد تمسَّك بالعروة الوثيقة: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقيل: وهو محسنٌ، أي: مُؤدٍ للفرائض موقنٌ بالقدر، فقد تمسك بالعروة الوثقىٰ، ومَن وحَّد الله ولم يؤمن بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضًا لتوحيده، فالتوحيد والقدر منظومان في السِّلْكِ بمنزلة الرأس من الجسد.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: مصير العباد إليه فيجزيهم لأعمالهم.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ وعذابهُ علينا هيِّن ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ من الخير والشر.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ من الدنيا وسرورها ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ لا ينقطع أبدًا ولا يفنىٰ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي: هؤلاء الكفار ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ علىٰ إقرارهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ توحيد الله.

ثم عظَّم نفسه فقال: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عبادة خلقه، المحمود في فعاله ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ١٤٩.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ [وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ]﴾ معنىٰ الآية -والله أعلم-: لو أن أشجار جميع الأرض صارت أقلامًا والبحر يصير مِدادًا، والأبحر السبعة صارت للبحر مددًا، كما قال في آيةٍ أخرىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ وصار الخلق كلهم كتبة علىٰ اعتبار البحور والأشجار ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وعجائبه، وانكسرت الأقلام، ونفد ماء البحور السبعة[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في سلطانه ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ في كلامه، يجمع الكثير من معانيه في قليل من لفظه.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ مختصرٌ، معناه: كخلق نفس واحدة، وكبعث نفس واحدة، يناديهم إسرافيل: أن قوموا فيقوموا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم في إنكار البعث ﴿بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ بأخبائهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ يجزيهم بتكذيبهم البعث مع إخبار الله بذلك.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: بيَّن صنعه ليعلموا أنه الحق لا شريك له ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ من الآلهة ﴿ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ القاهر فوق خلقه بالعُلوّ ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ لا شيء أكبر منه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالرياح ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: منّتِه ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ وعجائبه في إجراء السفن علىٰ وجه الماء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ كلها

(١) فكلمات الله لا تدرك، وكلمات الله هي كلامه سبحانه وتعالىٰ (تفسير الطبري ٢٠/ ١٥١، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩، الكشف والبيان ٢١/ ٢٤٦، معالم التنزيل ٦/ ٢٩٢).

﴿لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ علىٰ أمر الله ﴿شَكُورٖ ٣١﴾ بتوحيد الله.

وقيل: صبَّار علىٰ البلاء في البحر، شكور لنعم الله إذا أنجاه من أهوال البحر[1].

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾ الموج: جمع موجة.

والظُّلل: الجبال، وقيل: كالسحاب[2].

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ قال ابن عباس: وحَّدوه[3].

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ عند رؤية أهوال البحر ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ﴾ الله ﴿إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ﴾ عدل بوفاء العهد، وهما قسمان؛ اكتفىٰ بذكر أحدهما عن الآخر، المعنىٰ: فمنهم مقتصد ومنهم جاحد.

﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ القرآن، وقيل: العهد[4] ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ﴾ غدَّار بالعهد ﴿كَفُورٖ ٣٢﴾ لله بنعمه، والختر أقبح الغدر[5].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ الخطاب لجميع العالم، يعني: وحِّدوه وأطيعوه فيما أمركم ونهاكم.

﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ أي: يُغن عن والده ﴿شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ أي: البعث كائنٌ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ وما فيها من زهرتها ونعيمها مِن الاستعداد لأمر الآخرة ﴿وَلَا

---

(١) وهو من تفسير مقاتل (انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٢٤، البسيط ١٨/ ١٢٤).

(٢) القولان في البسيط ١٨/ ١٢٥.

(٣) الكشف والبيان ٢١/ ٢٤٩.

(٤) وقال ابن جرير: وما يكفر بأدلتنا وحججنا.

(٥) تفسير الطبري ٢٠/ ١٥٧، الكشف والبيان ٢١/ ٢٥٠.

﴿يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٣٣﴾ وهو الشيطان[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ قال مقاتل: إنَّ رجلاً اسمه وارث بن عمرو جاء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال: أخبرني يا رسول الله عن القيامة، متىٰ تكون؟ وأخبرني عن السماء، متىٰ تُمطر؟ فإني ألقيتُ حبًّا في الأرض وأنا أتمنَّىٰ المطر، وأخبرني أن امرأتي قد استثقلت ما في بطنها، أَذَكَرٌ في بطنها أم أنثىٰ؟ وهذا مولدي قد عرفت فأخبرني أين أموت؟ وإنِّي قد عملتُ الأمس واليوم كذا وكذا عن الغد ما أنا فاعلٌ فيه؟ فأنزل الله تعالىٰ[2]:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ لم يطلع عليه ملكًا مقربًا لا نبيًا مرسلاً ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ ولا يُعْلِمُ متىٰ يُنْزِل المطر وفي أي أرضٍ يقلّ وفي أرضٍ يكثُر؛ حتىٰ يوحي الله إلىٰ الخازن أن غَرْبِلْ كذا وكذا قطرةً فلا يجاوزه.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ عند امتشاج الماءَيْن ذكرًا أو أنثىٰ، تمامًا أو غير تمام، شقيًا أو سعيدًا، هذا مخزون عن العباد.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خيرٍ أو شرٍّ ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في سَهْلٍ أو جبلٍ، أو برٍّ أو بحرٍ، كل هذا مخزونٌ لا يعلمه إلا الله، فمن انتحله فهو كاذبٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿خَبِيرٌ ٣٤﴾ بعلم هذه الأشياء متىٰ تكون، فلمَّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أين السائل عن الساعة؟»

---

(١) وهو قول أهل التأويل من السلف، انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ١٥٩، الكشف والبيان ٢١/ ٢٥١.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٢٥، وروىٰ ابن جرير نحوه مختصرا عن مجاهد وعمرو بن شعيب (تفسير الطبري ٢٠/ ١٦٠).

فقال المحاربي: ها أنا ذا يا رسول الله، فقرأ النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم عليه هذه الآية[(١)].

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه وتجاوز عن سيئاته: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ هذه السورة كان لقمان له رفيقًا مُصافيًا، وأُعطي من الأجر بعدد كل مَن عمل بالمعروف وعمل بالمُنكر عشر حسنات»[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) الكشف والبيان ٢١/ ٢٥٣.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ١٨٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٨.

سورة السجدة

مكيَّة عند مقاتل.

وقال غيره: إلا ثلاث آياتٍ نزلت في علي رضي الله عنه وفي الوليد بن عقبة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ إلىٰ قوله ﴿تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾[١].

وهي ثلاثون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ مُقدَّمٌ مؤخرٌ، يعني: تنزيل الكتاب من رب العالمين لا ريب أنه من رب العالمين عند المخلِصين.

ثم ابتدأ فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ بل يقولون، أهل مكة، افتراه محمد من تلقاء نفسه، قال الله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ بالوحي أي: تخوِّف ﴿قَوْمًا﴾ يعني: أهل مكة ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: لم يأتهم رسولٌ مخوِّف قبلك، و«من» زائدة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾ كي يهتدوا من الضلالة مَنْ أراد الله هُداه.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من السحاب والرياح والشمس والقمر والنجوم وما في الأرض من الجبال والبحار والمياه ﴿فِى سِتَّةِ

---

(١) القولان في تفسير مقاتل ٣/ ٢٦، وزاد المسير ٣/ ٤٣٧، ولم يستثن الثعلبي ولا آية (الكشف والبيان ٢١/ ٢٥٩).

(٢) وفي البصري عشرون وتسع (البيان في عد آي القرآن ٢٠٧).

﴿أَيَّامٍ﴾ ولم يقل: بستة أيامٍ، لأنه خلقها بطرفة عين وأقل، ولكن أوقع المخلوقات في هذه الأيام.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ أي: استوىٰ عنده كل شيء مما خلقه، ليس شيء أقرب منه من شيءٍ، ولا شيء أبعد منه من شيءٍ.

وقوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو فوق العرش عُلوًّا ومقدرةً لا مكانًا، وأنه فوق العرش بائنٌ عن مخلوقاته بلا كيفٍ(١).

وكلمة: «ثم» دخل في الكلام لترادف الأخبار لا لتعقيب الفعل.

﴿مَا لَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يهمه أمركم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم من الملائكة وغيرهم كما زعمتم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ فيما بيَّن من عجائب صُنعه.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: يرسل المَلَك بالوحي من السماء إلىٰ الأرض فيقضي ما أمره به ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾(٢) لمسيركم ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ في حسابكم، خمسمائة سنة للإقبال وخمسمائة سنة للإدبار(٣).

﴿ذَٰلِكَ﴾ بتقدير أمره وقضائه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ قال الأخفش: بسكون اللام أجود، معناه أَحْسَنَ خَلْقَ كل شيء، ويؤيد ذلك: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧﴾(٤).

---

(١) سبق التنبيه علىٰ تفسير الاستواء فيما مضىٰ.

(٢) في الأصل: يكون مقدراه.

(٣) أي للصعود والنزول، وهذا من أدلة أهل السنة الله في العلو مستو علىٰ العرش، تفسير الطبري ٢٠/ ١٦٧، الكشف والبيان ٢١/ ٢٦٣.

(٤) أي: أتقن الخلق، وعلىٰ هذا جاء قول ابن عباس: أما إن است القرد ليست بحسنة، ولكن أحكم خلقها (تفسير الطبري ٢٠/ ١٧٠). وهذا القول هو المرجح عند ابن جرير.

وقيل: أحسن كل شيء خلقه، أي: ألهمهم ما يحتاجون إليه وعلَّمهم، وبدأ خلق آدم من طينٍ[(١)].

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ أي: ذريته من نطفة تنسل من الصلب، وهو سلالة آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ ضعيفٍ.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ والآية على التقديم والتأخير، معناه: وبدأ خلق الإنسان من طينٍ ثم سوَّاه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ ثم جعل نسله من سلالةٍ من ماءٍ مهينٍ.

ثم خاطب الكل، قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ أي: جعل لكم السمع لكي تسمعوا بها الحق، والأبصار لتبصروا بها الحق، والأفئدة لكي تفهموا بها الحق ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ أي: شكركم بما صنع قليل، بل لا تشكرون الله البتَّة، ويحتمل: قليلاً ما تشكرون من نعمه.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني بُلينا وذهبت الجلود والعروق واللحوم وبليت الأجساد والعظام وصرنا ترابًا ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ بعد الموت ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾ منكرون بالبعث.

﴿قُلْ﴾ لمنكري البعث يا محمد ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ يقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم: ملك الموت ﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ سُلِّط على قبض أرواحكم واسمه عزرائيل.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا من صفة عزرائيل أنَّ له أربعة أجنحة، جناحٌ بالمشرق، وجناحٌ بالمغرب، وجناحٌ في أقصى العالم من حيث يجيء ريح الدَّبور، وجناح في أقصى العالم من حيث يجيء ريح الصبا، ورِجلٌ

---

(١) وهو مفهوم قول مجاهد، لأنه ناظر هذه الآية بقوله ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [سورة طه:٥٠] (تفسير الطبري ٢٠/ ١٧١).

له بالمشرق وأخرىٰ بالمغرب، والخلق كلهم بين رجليه، ورأسه فوق السماء العليا، وجسده كما بين السماء والأرض، ووجهه عند ستر الحجاب[١].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ إلىٰ مجازاته، وإنما: قيل للرجوع إلىٰ الجزاء رجوعًا إلىٰ الله تعالىٰ لأنه أفخم للجزاء، إذ المضاف يُعَظَّمُ شأنه بحسب ما أُضيف إليه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ من أهل مكة، إذا بُعثوا وعاينوا ما كذَّبوا ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾ من الخزي ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قائلين ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ ما عمينا عن رؤيته، وسمعنا كلام محمد في الدنيا، فكذَّبنا به وعايناه ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلىٰ الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ ونؤمن بما كذَّبنا ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾ مُصدِّقون.

قال الله تعالىٰ جوابًا لهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ لو أردنا أن نهديهم جميعًا لأعطينا كل نفس تقواها، ولكن الله لم يشأ ذلك ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ وجب الوعد منِّي أنَّ هؤلاء قد خلقتهم للنار؛ وبعمل أهل النار يعملون ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣﴾ أي: من كفار الإنس والجن.

﴿فَذُوقُواْ﴾ أي: قالت لهم الخزنة: ذوقوا العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ أي: بما تركتم الإيمان بالبعث ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم في العذاب جزاء ترككم الإيمان في الدنيا ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدَّائم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ من الكفر.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾ أي: وُعظوا بها وبما فيها من الوعد والوعيد ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ علىٰ وجوههم وركبهم ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ

---

(١) هذا البلاغ هو قول مقاتل والكلبي (كما في الكشف والبيان ٢١/ ٢٧٤).

﴿رَبِّهِمْ﴾ صَلَّوْا لربهم بأمره وتوفيقه ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ كما استكبر أهل مكة.

ثم نعتهم فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي تتباعد.

نزلت الآية في الأنصار الذين كانت منازلهم بعيدة من المسجد بالمدينة، فكانوا يُصَلُّون المغرب ولا يرجعون إلىٰ منازلهم، يخافون فَوْت العشاء، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يُؤَخِّر العشاء الآخرة[1].

وقيل: نزلت في صلاة الليل، والمعنىٰ: ترتفع جنوبهم عن مواضع النوم والفرش[2].

---

(١) رواه أبو داود في السنن ١٣٢١ ، والترمذي في السنن ٣١٩٦، عن أنس، وفي إسناده الحارث الراسبي ضعيف.

(٢) ويشهد له حديث معاذ مرفوعا: قيام العبد في الليل، رواه أحمد ٢٢٠٢٢ بإسناد ضعيف.

قال ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا، وذلك نبوّ جنوبهم عن المضاجع ليلاً؛ لأن المعروف من وصف الواصف رجلاً بأنَّ جنبه نبا عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك، يدلُّ علىٰ ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه في صفة نبيِّ الله صلىٰ الله عليه وسلم:

يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ ... إذا اسْتَثْقَلَت بالمُشْرِكِينَ المَضاجِعُ

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالىٰ ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالاً ووقتًا دون حال ووقت، كان واجبًا أنْ يكون ذلك علىٰ كلِّ آناء الليل وأوقاته.

وإذا كان كذلك كان من صلىٰ ما بين المغرب والعشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام الليل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات الليل، أو صلىٰ العتمة ممن دخل في ظاهر قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ لأنَّ جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائما صلىٰ أو ذكر الله، أو قاعدًا بعد أن لا يكون مضطجعًا، وهو علىٰ القيام أو القعود قادر، غير أن

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ يعبدونه ﴿خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ يتصدقون ويؤدون الزكاة.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ أُعدَّ لهم وادَّخر لهم في الجنة ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ما تقر به أعينهم، وقيل: حور العين ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ صلَّىٰ ما بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مرة، حفظ الله نفسه ودينه وأهله وآخرته ودُنياه»(١).

وفي خبر آخر عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مَنْ عقَّب بين المغرب والعشاء بالصلاة؛ بُني له قصران مسيرة ما بينهما مائة عام، بينهما(٢) من الشجر ما لو نزل به أهل المشرق والمغرب لأوحلتهم(٣) -يعني أوسعتهم-

---

الأمر وإن كان كذلك، فإن توجيه الكلام إلىٰ أنه معني به قيام الليل أعجب إليَّ؛ لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب علىٰ ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم» (تفسير الطبري ٢٠/ ١٨١).

(١) فيه حديثان: الأول: رواه ابن ماجه ١٣٧١ عن عائشة بلفظ: من صلىٰ بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنىٰ الله له بيتا في الجنة، وفي إسناده يعقوب بن الوليد ، قال أحمد: من الكذابين الكبار. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٦٧ حيث ذكره وذكر بعض الأحاديث القريبة منه.
الثاني: من صلىٰ بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد، وقل هو الله أحد بنىٰ الله له في الجنة قصرين لا فصل فيهما ولا وَصْم. رواه ابن عدي في الكامل ٥/ ١٤٩ وهو موضوع كذلك، فيه عمرو بن جرير البجلي منكر الحديث، وقد تفرد به عن الثوري (لسان الميزان ٦/ ١٩٥).

(٢) في بعض المصادر: فيهما.

(٣) كذا في الأصل، وفي بعض نسخ تفسير الثعلبي: لأرحلتهم، بالراء، وفي بعضها: لأدخلنهم، وفي بعضها: لأوسعتهم.

وهي صلاة الأوابين في غفلة الناس، وإنَّ مِنَ الدعاء المستجاب الذي لا يُردُّ دعاء ما بين المغرب والعشاء»[(١)].

قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝١٨﴾ نزلت في عليٍّ رضي الله عنه والوليد بن عقبة، وذلك أنَّ الوليد بن عقبة قال لعلي رضي الله عنه: أنا أشبُّ منك شبابًا، وأجلد منك جلادة، وأحد منك سنانًا، وأفصح منك لسانًا، فقال له عليٌّ: كذبت يا خبيث، اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله تعالىٰ تصديقًا لقول علي: «أفمن كان مؤمنًا» أي: مُقرًّا بوحدانية ربه، ومصدِّقًا بقلبه، وهو علي، «كمن كان فاسقًا»: منافقًا خارجًا عن طاعة الله، وهو الوليد، «لا يستوون» وإنما قال بلفظ الجمع ليدخل فيه كل مؤمن ومنافق، وصالح وفاسق إلىٰ يوم القيامة[(٢)].

ثم بيَّن منزلتهما فقال: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني عَليًّا ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾ ثوابًا ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٩﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ خرجوا عن طاعة الله مثل الوليد ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ يعني: مرجعهم ومصيرهم إليها ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ لأنَّ جهنم بنارها تموج فتُلقيهم إلىٰ أعالي الأبواب، فطمعوا في الخروج، فتضربهم خزنة النار بالمقامع، فيهوي أحدهم بتلك الضربة إلىٰ قعرها[(٣)].

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ بأنَّه غير كائنٌ.

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٢٨٦، من حديث ابن عمر، وهو حديث منكر، في إسناده النضر بن حميد عن سعد، وكلاهما منكر الحيث.

(٢) رواه الطبري في التفسير ٢٠/ ١٨٧ عن عطاء بن يسار، وهو قول السدي، ورواية الكلبي وعطاء عن ابن عباس، الكشف والبيان ٢١/ ٢٩٨، البسيط ١٨/ ١٥٣.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨.

وإنما قال: «الذي» وَ«به» مع أنه النار مؤنثة لأنَّه رجع الكلام إلىٰ معنىٰ العذاب، والله أعلم(١).

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ قال الضحَّاك: يعني الجوع الذي أصابهم سبع سنين؛ حتىٰ أكلوا فيها الكلاب والجيف، دون العذاب الأكبر: القتل ببدر(٢).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ لكي يتوبوا فيما بين العذابين.

وقيل: الأدنىٰ هو القتل ببدر، والأكبر النار في الآخرة(٣).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ يعني [لا] أحد أكفر وأظلم ممن وُعظ بالقرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ تكذيبًا لها ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بالعذاب.

نزلت في المُطعمين ببدرٍ، انتقم الله منهم بضرب أعناقهم(٤).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ قبل ما أعطيناك القرآن ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي: لا تشكنَّ في لقائك موسىٰ ليلة المعراج، فإنك ستلقاه، فلقيه رسول الله مرَّة بالمقدس، ومرَّة في السماء(٥).

وقيل: لقيه قائمًا في قبره يُصلِّي، عن الضحاك(٦).

---

(١) نحوه في تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠٨، الكشف والبيان ٢١/ ٢٩٩.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ١٨٨، ١٩١.

(٤) وقيل: أراد بهم المنكرين للقدر (تفسير الطبري ٢٠/ ١٩٣، الكشف والبيان ٢١/ ٣٠٠).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩.

(٦) في صحيح البخاري ٣٣٩٤، ومسلم ١٦٨: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ليلة أسري بي رأيت موسىٰ: وإذا هو رجل ضرب رجل، كأنه من

﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ قائدًا لبني إسرائيل.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةً﴾ قادةً في الخبر ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يدعون أُممهم الهدىٰ ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ﴾ أي: الصبر علىٰ الأذىٰ ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ بأنها من الله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ يقضي بين الأنبياء وأُممهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ في أمر الدين.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ [كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ]﴾ ألم يتبين لأهل مكة ما فعلنا بالأُمم قبلهم، وإهلاكنا إياهم، وهم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ﴾ يمرُّون علىٰ مدائنهم، حين خرجوا إلىٰ الشام يمرُّون علىٰ الحِجْر، وقُريات لوط، فيَرْوْن آثارهم باقية، وأجسادهم خاوية.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍۚ﴾ وعِبَر ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ التي ليس فيها شيءٌ من النبات[1] ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ أي: بالماء وهو المطر ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ﴾ من كلإٍ ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من حبوبها ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ذلك ليتيقَّنوا بالبعث.

رجال شنوءة، ورأيت عيسىٰ، فإذا هو رجل ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس، وأنا أشبه ولد إبراهيم صلىٰ الله عليه وسلم به، ثم أتيت بإناءين: في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل: أخذت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك .

وفي صحيح مسلم ٢٣٧٥: عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: أتيت - وفي رواية مررت - علىٰ موسىٰ ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره.

(١) أرض جزر أي جدب لا نبت فيها، فهي ناعمة ملساء (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢١١، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٠).

﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني: كفار مكة ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ يعني: به العذاب الذي تخوِّفونا به متىٰ هو.

وقيل: يعنون به فتح مكة؛ لأنَّ أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كانوا يتذاكرون بمكة أنَّ الله سيفتح لهم مكة، فكان أناسٌ من بني خزيمة وبني كنانة يسمعون ذلك ويهزؤون بهم، ويقولون: متىٰ هذا الفتح(١).

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٨ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ [وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ] ۝٢٩﴾ من القتل، وإن كانوا مخلصين، وإن كان ينفعهم في الآخرة.

وذلك أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما فتح مكة بعث خالد بن الوليد إلىٰ أسفل مكة، فخرج جماعة من بني خزيمة من مكة وتحصَّنوا بجبلٍ من وراء الحرم، وكانوا ممن يهزؤون بأصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال لهم خالد: انزلوا، فقالوا: نحن مسلمون، فقال خالد: إن كنتم مسلمين فانزلوا، فنزلوا، فوضع فيهم السيف حتىٰ قتل منهم كثيرًا، فسمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: «اللهم إني أتبرأ مما فعل خالد اللهم إني لم أَرْضَ به»، ثم بعث دِيَّة المقتولين من غنائم خيبر، فلم ينفعهم إيمانهم من القتل(٢).

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أمر رسوله بالصفح، وهذا منسوخٌ بآية السيف ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ يا محمد بهم العذاب، أي: القتل ببدر ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾ هلاكهم.

---

(١) وهو ورواية الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٤٠، ونحوه روي عن أهل التأويل، انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ١٩٨، الكشف والبيان ٢١/ ٣٠٧.

(٢) نقله أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤١. وعنده: أبرأ بدل: أتبرأ.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ هذه السورة فكأنما أحيا ليلة القدر، وكُتبت له سبعون حسنةً وحُطَّت عنه سبعون سيئة، ورُفعت له سبعون درجة»[1].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٢٦٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٩٩.

سورة الأحزاب

مدنية[١]، وهي سبعون وثلاث آيات[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾ جاء في التفسير أنَّ [أبا] سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السُلمي حضروا المدينة بعد صلح الحُديبية، ونزلوا علىٰ عبد الله بن أُبي وسائر المنافقين، وتشاوروا في هُدنة تكون بين قريش وبين النبي صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم يترك بعض الشدة، وراء الانحناء[٣]، ويساعد الكفار في بعض الشرائع فرفعوا ذلك إلىٰ[٤] رسول الله فكره منهم ذلك، وهمَّ بقتلهم، فنزلت[٥].

يا أيها النبي اتق الله: في نقض العهد، ولا تطع الكافرين والمنافقين: في مُسامحة المشركين[٦].

---

(١) إجماعا، ويدل علىٰ ذلك اسمها، فالأحزاب هي غزوة الخندق، انظر: الكشف والبيان ٢١/ ٣١١، زاد المسير ٣/ ٤٤٦.

(٢) باتفاهم، البيان في عد آي القرآن ٢٠٦.

(٣) كذا في الأصل، والظن أنه مصحف، والمراد: أن يذكر آلهتم بخير.

(٤) في الأصل: علىٰ، وهو تصحيف.

(٥) هذا من مرويات مقاتل والكلبي، فإذا رأيته منسوبا لابن عباس فاعلم أنه من طريق أحدهما، انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٣٣، تنوير المقباس ٣٥٠، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٢، وقد ذكره الثعلبي والواحدي ومن بنىٰ عليهما من غير إسناد.

(٦) والصحيح أن هذا توطئة لما في السورة من أحكام، ولما جرىٰ بين النبي صلىٰ الله عليه وسلم وبين المشركين من مفاوضات ومباحثات، وليس علىٰ اختصاص حادثة بعينها، والله أعلم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا ۝١﴾ حكم فيما خلقهُ قبل خَلْقِه.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: اعمل بالقرآن الذي أُنزل عليك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ من خيرٍ وشرٍّ، راجع الخطاب إلىٰ الأُمَّة في آخر الآية.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ثِقْ بالله في جميع ما ينوبك في أمر دينك ودُنياك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ أي: كفاك الله ربًّا وحرزًا ومانعًا.

والوكيل: القائم بالتدبير لغيره، وحكمة الله تدعو إلىٰ أن الله قائم بالتدبير لعباده، وهو وكيلٌ عليهم من أوكد الوجوه وأعلاها.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ قيل: كان معمر بن لبيد من أهل مكة، وكان من أحفظ العرب لأخبار العرب، حتىٰ قالت قريش: له قلبان قلبٌ يسمع وقلبٌ يحفظ، ولولا ذلك لما بَلَغَ حفظُه ما بلغ، حتىٰ انهزم معمر من حرب بدر، وكانت[1] إحدىٰ نعليه في رجله والأخرىٰ في يده، وهو يعدو، فتلقَّاه أبو سفيان في الطريق، قال له: ما فعل الناس؟ قال: انهزموا، قال: ما بالُ نعلك في يدك والأخرىٰ في رجلك؟ فقال: والله ما شَعُرتُ إلا أنهما جميعًا في رجلي، فعلموا حينئذٍ أن لو كان له قلبان ما نسي النعل في يده، ونزلت هذه الآية، لم يجعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه فكيف يكون ذلك لمعمر؟[2].

---

(١) في الأصل: وكان.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ٢٠/ ٢٠٥ عن بعض التابعين، ولكن روىٰ قبل ذلك بإسناد جيد عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية فقال: قام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوما فصلىٰ فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين، قلبا معكم، وقلبا معهم، فأنزل الله الآية، وهذا أصح في سبب النزول، فإن قصة جميل بن معمر الجمحي التي ذكرها بعضهم

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ والمظاهَرة أن يشبه امرأته بظهر الأم أو ظهرها أو فرجها، بهذه الأعضاء من أُمِّه[١].

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أي: ليس زيد بن حارثة ابنًا لرسول الله، لأنهم كانوا قالوا: إن محمدًا تزوَّج امرأة ابنه، وهو نهانا عن ذلك.

وكان رسول الله اتخذ زيدًا بمكان الولَد، فالله تعالىٰ بيَّن وقال: كما لا يكون في جوف الرجل قلبان ولا تكون المرأة لزوجها المظاهِر منها أُمًّا؛ فلا يكون زيد لمحمدٍ ابنًا[٢].

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ تذكرونه بألسنتكم: زيدًا ابن محمد، وهو كذِب علىٰ نبيكم ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ ويأمرنا بالعدل ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ للعباد.

ثم علَّمهم فقال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ انسبوا زيدًا إلىٰ أبيه حارثة ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وأصوب من نسبته إلىٰ محمد ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ لتنسبوهم إليهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ عبد الله وعبد الرحمن ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ أي: قولوا فلان مولىٰ فلان ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ وقلتم زيد بن محمد ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فعليكم الإثم به إذا نسبتم الولد إلىٰ غير أبيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾.

كانت في بدر، وهذه السورة نزلت في السنة الخامسة، فهي متأخرة عن القصة، لو كانت وقعت، والله أعلم.

(١) وستأتي أحكام الظهار في سورة المجادلة إن شاء الله.

(٢) في صحيح البخاري ٤٧٨٢، ومسلم ٢٤٢٥: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن زيد بن حارثة، مولىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتىٰ نزل القرآن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾».

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ في السَّمع والطَّاعة.

وقيل: بالوراثة، ثم نسخ بآية القسمة[١].

وقيل: محبة النبي أوجب على المؤمنين من محبتهم أنفسهم[٢].

﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ يعني: أزواج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ المؤمنين في الحق والحُرْمة كأمهاتهم.

فلما نزلت هذه الآية زاد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شفقة علىٰ أمته، فقال: «أنا أولىٰ بالمؤمنين، مَنْ تَرَكَ مالاً فلورثته، ومَنْ تَرَكَ دَيْنًا فقضاؤه عليَّ، ومَنْ ترك كلاً فإليَّ»[٣].

ثم قال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ﴾ أي: القرابات وإنْ بَعدوا أولىٰ بالميراث من الأجنبي.

وكان في بدء الإسلام يتوارثون بالهجرة لا بالقرابة، فصارت هذه الآية ناسخة لما كانوا يتوارثون بالهجرة[٤].

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: القرآن، وقيل: اللوح المحفوظ[٥].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٥.

(٢) انظر الأقوال الواردة في ذلك في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٢١/ ٣٢٤، ويجمع ذلك كله: أن النبي أحق بالمؤمنين من أنفسهم بأنفسهم، فإنه بمثابة الوالد لهم، يدلهم علىٰ كل خير، ويحذرهم من كل شر، فمن هنا لا يعترض علىٰ حكمه، ويسمع لقوله، ويلتزم بسنته، ويلزمه من الحقوق علىٰ المسلمين أعظم مما يلزم كل واحد لنفسه ولأقرب الخلق إليه، بأبي هو وأمي صلىٰ الله عليه وسلم.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري ٢٢٩٨ ، ومسلم ١٦١٩ عن أبي هريرة.

(٤) وهذا متفق عليه بين أهل التأويل، تفسير الطبري ٢٠/ ٢١٠، الكشف والبيان ٢١/ ٣٢٩.

(٥) الكشف والبيان ٢١/ ٣٣١، ومن الغريب قول القرظي: المقصود في التوراة.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الواو زائدة يعني المؤمنين المهاجرين ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ يعني ترضخوا لأصدقائكم وصيَّة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ الاصطناع بالمعروف وصلة الرحم ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ يعني في اللوح المحفوظ مكتوبًا[١].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ وهم في صلب آدم ولهم نورٌ يتلألأ، عن الضحَّاك.

والميثاق: أن يُبَلِّغُوا الرسالة إلىٰ أُمَّتهم[٢].

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ في التقديم والتأخير ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ قال الضحَّاك: لم يكن عيسىٰ نطفة في صلب آدم، فأخذ ميثاقه من نور عرشه، وجميع الأنبياء غير عيسىٰ كانوا نطفًا في صلب آدم[٣].

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم﴾ أي: من الأنبياء ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ أنْ يعبدوه ويدعوا الخلق إلىٰ عبادته وأن يُصَدِّق بعضهم بعضًا.

وقال الكلبي: أخذ علىٰ مَنْ تقدَّم أن يبشر بمن تأخَّر منه، فبشَّر نوحٌ بإبراهيم، وإبراهيم بموسىٰ، وموسىٰ بعيسىٰ، وعيسىٰ بمحمدٍ عليهم الصلاة والسلام[٤].

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ أي: أخذ الميثاق ليسأل المرسلين المبلِّغين عن صدقهم فيما بلَّغوا، هل أدَّيتم رسالاتي وماذا أُجبتم فيها.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٢١٢.

(٢) البسيط ١٨/ ١٨٢.

(٣) غريب، لم أقف عليه.

(٤) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤٦ دون نسبة، واختصره الواحدي في البسيط ١٨/ ١٨٢.

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ الجاحدين بنبوة رسوله ونِعَمه وآياته ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وهو دفع بأس عدوكم عنكم بغير القتال ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من المشركين؛ أبو سفيان ومَن مَعه ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا﴾ من الملائكة ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ والقصة في ذلك: أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما قَدِمَ المدينة صالح يهود بني قريظة وبني نضير، علىٰ أن لا يكون معه ولا عليه، فنقضوا عهدهم، وسيِّدهم: حيي بن أحطب، ركب إلىٰ مكة وحثَّ [أبا] سفيان بن حرب علىٰ قتال رسول الله مع كنانة وغطفان، فاجتمعوا خمسة عشر ألفًا، وأقبلوا إلىٰ المدينة، وشق بنو قريظة ونضير صحيفة العهد، وأقبل الأحزاب إلىٰ المدينة، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خَندقَ حول المدينة باستشارة سلمان، وجاء الأحزاب ونزلوا وراء الخندق، ومكثوا شهرًا، وشاقوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يُعطيهم تمر المدينة سنة حتىٰ يرجعوا، فأبىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقالوا: نصفها، فرضي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأراد أن يكتب به كتابًا، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، أَقَدْ أُوحي إليك في هذا شيءٌ؟ فقال: «لا، ولكن رأيتُ العرب كلهم رَمَتْكم عن قوسٍ واحدةٍ، فأردُّ بهذا البعض، وأقاتل البعض» فقال: نحن في الجاهلية لا يقدرون أن يأخذوا منَّا تمرة واحدة، إلا بشراءٍ أو قِرىٰ، فحين أكرمنا الله بك نعطيهم الدنيَّة، والله لا نعطيهم إلا السَّيف، فشقَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الكتاب، وقال لرسولهم : «نعطيكم السَّيْف» فأرسل أبو سفيان إلىٰ حيي بن أحطب أن أخرُج غدًا للقتال مع قومك، وكان يوم الجمعة، فقال حُيي بن أحطب: غدًا يوم السبت ولا نقاتل فيه، فقال أبو سفيان: نؤخِّرُ القتال إلىٰ الأحد، ولكن أعطونا رهنًا من أبنائكم تطمئنَّ به قلوبنا، فقال حيي بن أحطب: لا يدخل علينا الليلة أحدٌ ولا يخرج من عندنا، فخاف أبو سفيان المكر، وهَمَّ بالرجوع

إلىٰ مكة، فأرسل الله عليهم ريحًا قلعت[١] الأوتاد، وأطفأت النيران، وجالت الخيول بعضها في بعضٍ، وكبَّرت الملائكة في جانب العسكر، فهُزم أعداء الدِّين بلا قتالٍ، فذلك قوله: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ يعني: الملائكة[٢].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ في أمر الخندق.

﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ أي: فوق الوادي من قِبَل المشرق[٣]: مالك بن عوف، وعيينة بن حصن[٤]، وبنو غطفان مع يهود بني قريظة[٥].

﴿وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ مِن بطن الوادي من قبل المغرب: أبو سفيان وأهل مكة مع قريش[٦].

﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ مالت وتحيَّرت من كثرة عددهم ﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ أي: قلوبكم، والألف واللام يدلان علىٰ الإضافة، كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١﴾، يعني: اشتد الخوف وانتفخت الرِّئات.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠﴾ وأيستم من النصرة[٧].

﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ اختبُروا للقتال ﴿وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١﴾ أُجهدوا وحُرِّكوا تحريكًا شديدًا[٨].

---

(١) في الأصل: قلع.. أطفأ.

(٢) لخص المصنف قصة الخندق، وهي مطولة في تفسير الطبري ٢٠/ ٢١٥، والكشف والبيان ٢١/ ٣٣٣، والبسيط ١٨/ ١٨٤.

(٣) في الأصل: الشرق، والتصحيح من المصادر، ومن مقابلته بعد قليل بالمغرب.

(٤) في الأصل: نصر، وهو تصحيف، والتصحيح من المصادر.

(٥) الكشف والبيان ٢١/ ٣٤١.

(٦) تفسير الطبري ٢٠/ ٢١٧، الكشف والبيان ٢١/ ٣٤١.

(٧) وهو ظن بعضهم لا كلهم (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٢١).

(٨) في معاني القرآن للزجاج: ٤/ ٢١٩: أزعجوا إزعاجا شديدا وحركوا.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ وذلك أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين ابتدأ في الخندق ضرب بيده مِعْولاً علىٰ الأرض، فتلألأ منه نورٌ، فكبَّر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال: «إن الله فتح عليَّ اليمن»، وضرب ثانيًا فخرج أضوأ منه، فقال: «فتح الله عليَّ الشام والمغرب»، ثم ضرب ثالثًا فتلألأ نور أضوأُ منهما، فكبَّر وقال: «فتح الله عليَّ المشرق».

فقال مُعتب بن قُشير: إن أحدنا يريد أن يقضي حاجتَه فما يقدر أنْ يتباعد من الفَرق، فكيف نملك الشام واليمن والروم[١]، هذا غرورٌ بيِّن فنزلت الآية، ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ وهو مُعتب بن قشير، الآية.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: المنافقين ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ أي: المدينة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ لا وجه لكم بالإقامة كلكم بالخندق مع محمد عليه السلام ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلىٰ منازلكم بالمدينة، حتىٰ لو كانت هزيمة أخذتم[٢] حذركم، وإن كان الظفر كنتم مع محمد ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ خالية، يعني: بني سلمة وبني حارثة من الأنصار[٣] ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي: ليست بخاليةٍ كما زعموا ولا يخافون السَّرق[٤] ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ من القتال.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ أي: علىٰ المنافقين ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: أقطار المدينة ونواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: دُعوا إلىٰ الشرك ﴿لَأَتَوْهَا﴾ أي: جاؤوها

---

(١) رواه الطبري في التفسير ٢٠/ ٢٢٢ عن مجاهد مختصرا، وابن زيد مطولا.

(٢) في الأصل: أحدكم، أهو تصحيف.

(٣) في الكشف والبيان ٢١/ ٣٦٢: بنو حارثة بن الحارث. وهو مروي عن ابن عباس من طريق العوفي، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٢٢٦.

(٤) وهو مروي قتادة، تفسير الطبري ٢٠/ ٢٢٦.

بالقصر، وبالمد: لأعطوها[1].

وقيل: لو دُعوا إلىٰ الشرك أجابوا إليه ﴿[وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ]﴾وما مكثوا بعد الإجابة بالمدينة ﴿إِلَّا يَسِيرًا ١٤﴾.

﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ يعني: يوم أُحد قبل الخندق، لمَّا نزل في الفارِّين ما نزل ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ﴾ أي: لا يفرُّون ﴿وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ﴾ الذي عاهدوه ﴿مَسۡـُٔولٗا ١٥﴾ عنه يوم القيامة.

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ﴾ ولا بُدَّ لكم من الموت ﴿وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ إنْ فررتم [﴿إِلَّا قَلِيلٗا ١٦﴾] إلا مُدةً يسيرة إلىٰ منتهىٰ آجالكم.

﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يمنعكم من عذاب الله ﴿إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا﴾ مصيبةً أو هزيمةً ﴿أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ﴾ دولةً ونصرةً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم﴾ لأنفسهم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧﴾ مانعًا عن الهزيمة.

﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ﴾ المانعين بما يأمرونهم بالرجوع إلىٰ المدينة، المخوِّفين لهم[2] ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ في المنافقين، وكانت اليهود دعوا إلىٰ أنفسهم وقالوا: ﴿هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ﴾ دعوا محمدًا[3]، ثم قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾ أي: لا يأتون الحرب إلا رياءً وسُمعةً من غير احتساب.

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن ذكوان بخلف: بالقصر، أي: لأتوها، وقرأ الباقون بالمد، أي: لآتوها (النشر ٢/ ٣٤٨). وانظر في تأويل القراءتين: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٢٠.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٢.

(٣) وقال قتادة وغيره: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٣٠، الكشف والبيان ٢١/ ٣٦٦).

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ نصب على الحال[١]، أي: يأتون الحرب بخلاً عليكم بالظفر والغنيمة[٢] ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ وذهب للقتال[٣] ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين من الجُبْنِ ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في الجفون ﴿كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ تضطرب حدقاتهم في الحماليق[٤]، كمن هو في غشيان الموت ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾ أي: آذوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ يقول: إن خاطبوكم في المال فهم من أشح الخلق على أموال الغنيمة ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جهادهم ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ من الخوف فيهم ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ إلى المدينة ثانيًا ﴿يَوَدُّوا﴾ يعني: المنافقين ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ يكونوا من أهل البادية ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾ ما فعل محمد وأصحابه ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾ عند القتال ﴿مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ رياءً وسُمعةً.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ يا معشر المنافقين ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ اقتداء صالح حيث باشر القتال بنفسه، والاقتداء بالرسول: اتباع سُننه وترك مخالفته ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يخاف الله ويخاف مخالفته ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ بالقلب واللسان.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ الجنود يوم الخندق مُقبلين ﴿قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه: «إنَّ الأحزاب

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١١.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٢٣١.

(٣) في الأصل: وذهب القتال، وهو يحيل المعنىٰ.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٣.

خرجوا إليكم وهم سائرون إليكم إلىٰ عشرة أيامٍ»[١].

﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ﴾ حضور الأحزاب ﴿إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢﴾ انقيادًا لقضاء الله.

ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ﴾ أي: وَفُوا ﴿مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ إذ نذروا ليلة العقبة: أن نقاتل ولا نَفِرَّ إذا لاقينا ﴿فَمِنۡهُم﴾ أي: المخلصين ﴿مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ وفىٰ نذره، فقاتل حتىٰ قُتل يوم أُحد، وهو حمزة عَمُّ رسول الله وأصحابه[٢] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ أجله والوفاء للعهد ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ كتبديل المنافقين.

﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ في وفاء العهد ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ بنقض العهد ﴿إِن شَآءَ﴾ إذ شاء ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ إن تابوا من النفاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا﴾ لمن تاب منهم ﴿رَّحِيمٗا ٢٤﴾ به بعد التوبة.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يوم الأحزاب ﴿بِغَيۡظِهِمۡ﴾ أي: بغمِّهم ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾ لم يروا سُرورًا وظفرًا ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ بالملائكة والريح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ بنُصرة المؤمنين ﴿عَزِيزٗا ٢٥﴾ بالنقمة علىٰ الكافرين.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: عاونوهم ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: بني قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾ أي: حصونهم، والصياصي كل ما يُعَدُّ للامتناع[٣].

يُقال لقرن الثور: صِيصَة، ولشوكة الديك صِيصة، لأنَّه للامتناع[٤].

---

(١) وهو قول الكلبي، حيث نقله أبو الليث في تفسيره ٣/ ٥٣ ، والسمعاني في تفسيره ٤/ ٢٧٠، دون نسبة. ونقله الواحدي في البسيط ١٨/ ٢١٦ مصرحا باسمه.

(٢) وفي تفسير الطبري روايات عن بعض من قضىٰ نحبه (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٤٠).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٢٣.

(٤) البسيط ١٨/ ٢٢٣.

وذلك: أنه لما رجع أبو سفيان إلىٰ مكة؛ وأجلىٰ رسول الله بني النضير من ديارهم إلىٰ الشام قبل ذلك بسنتين، فإذا انهزم الأحزاب خافت بنو قريظة من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فتحصَّنوا في حصنهم، وكان حيي بن أحطب من بني النضير، وقد وعد الأحزاب أنْ يُخرج إليهم بني قريظة، لأنَّه من الأشراف فيهم، فلما فرغ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من حزب الأحزاب جاء جبريل، وقام عند منبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وعليه عصابة صفراء، والغبار علىٰ وجهه، لأنَّه كان في أدبار جيش أبي سفيان وغطفان، وكانت عائشة تغسل رأس رسول صلىٰ الله عليه وسلم من الغبار، فقال له جبريل عليه السلام: يا محمد إن أهل السماء ما وضعوا سلاحهم وقد وضعتم سلاحكم، اخرُج إلىٰ بني قريظة، فقال: «يا جبريل كيف أصنع وهم في حصنهم؟»، فقال: اخرج إليهم والله لأدُقَّنَّهم بالخيل والرجال؛ كما تُدَقُّ البيضة علىٰ الصفا، ولأخرجنَّهم من حصنهم، فنادىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالخروج، وأتاهم وحاصرهم عشرين ليلةً، حتىٰ نزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ، وكان سعد رمي يوم الخندق في أكحله، فسأل الله عز وجل أن لا يُميته به حتىٰ يشفيَه من بني قريظة لمظاهرتهم الأحزاب، فأبقاه الله حتىٰ حكَّموه يومئذٍ، فحكم فيهم أن يُقتل مقاتليهم، وتُسْبَىٰ ذراريهم، ففعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كما حكم سعد، وكان ذراريهم تسعمائة وخمسين، فقسمها بين المهاجرين، وقتل حيي بن أخطب مع المقاتلين كلهم، فذلك قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾[1].

---

(١) روىٰ البخاري ٣٠٤٣ ومسلم ١٧٦٨ عن أبي سعيد قال: لما نزلت بنو قريظة علىٰ حكم سعد هو ابن معاذ، بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكان قريبا منه، فجاء علىٰ حمار، فلما دنا قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «قوموا إلىٰ سيدكم» فجاء، فجلس إلىٰ رسول الله صلىٰ

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿تَقْتُلُونَ﴾ أربعمائة وخمسون رجلاً ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ تسعمائة وخمسين رابيًا من ذراريهم(١).

ثم قال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ من المزارع والحيطان ﴿وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ ومتاعهم ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ أي: لم تملكوها بعد، يعني: خيبر سيجعلها الله لكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ يتم هذه النعمة عليكم.

الله عليه وسلم، فقال له: إن هؤلاء نزلوا علىٰ حكمك، قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبىٰ الذرية، قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك».

وروىٰ البخاري ٤١٢٢، ومسلم ١٧٦٩ : عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش، يقال له حبان بن العرقة وهو حبان بن قيس، من بني معيص بن عامر بن لؤي رماه في الأكحل، فضرب النبي صلىٰ الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعته، اخرج إليهم، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: فأين؟ فأشار إلىٰ بني قريظة، فأتاهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فنزلوا علىٰ حكمه، فرد الحكم إلىٰ سعد، قال: فإني أحكم فيهم: أن تقتل المقاتلة، وأن تسبىٰ النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم قال هشام، فأخبرني أبي، عن عائشة: أن سعدا قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك، من قوم كذَّبوا رسولك صلىٰ الله عليه وسلم وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له، حتىٰ أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتتي فيها، فانفجرت من لبته فلم يرعهم، وفي المسجد خيمة من بني غفار، إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دما، فمات منها رضي الله عنه .

(١) كذا في الأصل، وفي البسيط ١٨/ ٢٢٤: سبعمائة وخمسين. وفي تفسير أبي الليث ٣/ ٥٧: قتل أربعمائة وخمسون، وسبىٰ من النساء والصبيان ستمائة وخمسون، وفي رواية الكلبي كانوا سبعمائة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي: تخترن بقاء الدنيا وزهرتها ﴿فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ متعة الطلاق كما يمتع الرجل امرأته إذا طلَّقها سِوىٰ المهر ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ أي: طلاقًا بالسُنة من غير ضرارٍ، فعرض رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أغيار علىٰ نسائه، فقُلْنَ: بل نختار الله ورسوله، فأمسكهنَّ[1].

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ ثوابها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ المُطيعات الصالحات منكن ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ ثوابًا وافرًا.

فلما اخترن الله ورسوله أنزل الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ الآية.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ بعد التخيير.

قال الضحَّاك: الفاحشة منهن النشوز[2].

وقال الكلبي: أراد به الزنا الظاهر[3].

مقاتل: العصيان البيِّن[4].

﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ ضعفي ما علىٰ غيرها: الجلد والرَّجم[5]، لأنَّ كرامتهن بشرف رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أكبر فعقوبتهن بالجُرم أبلغ ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ أي: عذابهن هيِّنٌ.

﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: تُطِعْ ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ من الطاعات

---

(١) وهذا مروي في صحيح البخاري ٢٤٦٨، ومسلم ١٤٧٥.

(٢) وهو مروي عن ابن عباس (البسيط ١٨/ ٢٢٨).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٨. وهو اختيار الطبري في تفسيره ٢٠/ ٢٥٥.

(٤) البسيط ١٨/ ٢٢٨.

(٥) هذا علىٰ أن المضاعفة في الدنيا، وقيل في الآخرة (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٥٥).

﴿نُؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ ثوابها ضعفين، مكان كل حسنة عشرين.

وفي الآية دليلٌ علىٰ أنَّ أجر العالم العامل أفضل كما فُضِّلْنَ، وعقوبة ذنب العالم أعظم كما ضوعف لهن العذاب[١].

﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ۝٣١﴾ في الجنة.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يعني: لستن كسائر النساء في القَدْر والمنزلة.

وإنما قال: أحد ولم يقل: واحدة؛ لأنَّ أحد مع حرف النفي عام يتناول المُذكَّر والمؤنث والواحد والجمع، ويقع علىٰ بني آدم والبهائم، يُقال: ما في الدار أحد؛ يُنبئ عن خلوِّ الدار من أجناس الخلق؛ لأن أحدًا لا يُنبئ عن العدد.

ولو قال: ما في الدار واحد يتوهم أن يكون فيها اثنين أو ثلاثة؛ لأنَّه عدد، ولأنه: لا يُقال أحد اثنان ثلاثة، ولكن يُقال: واحد اثنان ثلاثة، فإذا زاد علىٰ العشرة يُقال: أحد عشر، ولا يُقال واحد عشر، لأنَّ واحد عشر يتوهم فيه أنْ يكون واحد من العشرة، وليس هذا في أحد عشر، فاعرفه[٢].

﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ﴾ يعني: كنتنَّ متقيات مطيعات لله ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ وهو اللِّين من الكلام ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ يعني: حُب الزنا ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٣٢﴾ لا فُحش فيه ولا هجر.

﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الأصل فيه: اقررن، من قولك: قررتُ بالمكان فخفُّف وأسقط أحد الرائين، ونقلت حركة الراء إلىٰ القاف[٣].

---

(١) وقال ابن عيينة: يغفر للجاهل سبعون، مالا يغفر للعالم واحد (تفسير أبي الليث ٣/ ٥٩).

(٢) وسيأتي في تفسير سورة الإخلاص.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٢٥، البسيط ١٨/ ٢٣٤.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرُّج: التبختر مع إظهار الزينة وما يستدعي شهوة الرَّجُل ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وهو زمن نمرود الجبار الذي وُلِدَ فيه خليلُ الله، كنَّ النساء يتخذن الدُّروع من اللؤلؤ فتلبَس وتمشي وسط الطريق لا شيء عليها غيره[١].

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما أمركن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: يرفع عنكم أقذار الجاهلية يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾.

ويتناول أهل البيت: كل مَن اتصل برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من جهة نسبٍ أو سببٍ علىٰ العموم[٢].

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ من الذنوب.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ أي:

---

(١) وهو قول الكلبي كما في البسيط ١٨/ ٢٣٧. وقيل: ما بين عيسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وقيل: ما بين نوح وإدريس، وهاهنا يذكرون خبر الزنا الأول، فقد روىٰ ابن جرير بإسناد حسن عن ابن عباس: تلا هذه الآية ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال: كان فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحا، وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحا، وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتىٰ رجلا من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، وكان يخدمه، واتخذ إبليس شيئا مثل ذلك الذي يزمر فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله، فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوهم يسمعون إليه، واتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج الرجال للنساء، قال: ويتزين النساء للرجال، وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأىٰ النساء، فأتي أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحولوا إليهن، فنزلوا معهن، فظهرت الفاحشة فيهن (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٦١).

(٢) وهذا تلخيص حسن.

احفظن القرآن بحلاله وحرامه وأمره ونهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ عالمًا بكنَّ وأعمالكن.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ يعني: الموحِّدين من الرجال والموحدات من النساء ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ والإيمان: التصديق ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ والقنوت: الطاعة مع الخضوع ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ والصِّدق: الإخلاص في العمل بلا رياءٍ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ علىٰ المصائب والمرازي، وعن الفواحش والمعاصي ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ والخشوع: التواضع لله ورسوله ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ من أموالهم علىٰ الفقراء والمساكين ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ قيل: شهر رمضان، وقيل من كل شهر ثلاثة أيام(١).

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ من الزنا والفواحش ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بالقلب واللسان ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ بهذه الخصال ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ في الآخرة.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ له ﴿أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أي: الاختيار بخلاف اختيار الله ورسوله.

نزلت في عبد الله بن جحش وزينب بنت جحش أخته، حيث قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعبد الله بن جحش: إني رضيتُ لأختك زيدًا فزوَّجها إيَّاه، فقال: حتىٰ استأمرها يا رسول الله، فاستأمرها فأبت، فأخبر رسول الله بإبائها، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لزينب: «زوِّجي نفسك زيدًا» فقالت: يا رسول الله لا يكون ذلك أبدًا، مولىٰ يتزوجني، وما من امرأة أوسمُ ولا أجهل منِّي، وكان عبد الله بن جحش وأخته زينبُ ابنا عمة رسول الله آمنة بنت عبد المطلب،

(١) وهو قول مقاتل (تفسير أبي الليث ٣/ ٦١).

فنزلت الآية[١].

وما كان لمؤمن: عبد الله، ولا مؤمنة: زينب، إذا قضىٰ الله ورسوله، الآية.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ أي: أخطأ خطًا بيِّنًا، فحينئذٍ قالت زينب: أمري بيدك يا رسول الله، فأنكحها زيدًا.

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالتوفيق للإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالتحرير، يعني: زيدًا ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ ولا تُطلِّقها ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في فراقها، لعلها لا تريد فراقك ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ أي: تضمر في قلبك ما الله مظهره، وهو حبك فراقه إياها.

وذلك أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أتىٰ زيدًا يزوره فوجده غائبًا عن المنزل، وكانت زينب تدقُّ طيبًا لها، فاطلع عليها رسول الله فجأةً فغطَّت وجهها بيدها، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لباقةً وحُسنًا: «يا زينب، سبحان مقلب القلوب» مرَّتين ورجع.

فلما أقبل زيد أخبرته زينب بذلك، وقالت: استأذنه في طلاقي فاستأذن زيد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وشكا من زينب، وقال: إنها تؤذيني بلسانها، وتعصيني في أمري، وتتكبَّر عليَّ.

فقال رسول الله: «أمسك عليك زوجك» وهكذا في اليوم الثاني والثالث، فنزلت الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[٢].

---

(١) رواه الطبري عن ابن عباس من طريق العوفي، ومن طريق ابن لهيعة، وعن مجاهد وقتادة من قولهما، (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٧١). وعن ابن زيد أنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

(٢) رواه الطبري ٢٠/ ٢٧٤ عن ابن زيد من قوله، وذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٦٢، عن ابن عباس، أي من رواية الكلبي.

قال علي بن الحسين: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد أخبره الله أنَّ زينب تكون امرأة له في الدنيا والآخرة، فهذا كان يخفيه(١).

ولو قيل: إنَّ قلبه صلىٰ الله عليه وسلم مال إليه، ويُخفي، لا يُعاب به علىٰ الرسول صلىٰ الله عليه وسلم لأنه آدميٌّ شهوانيٌّ، ورجوليته أشد من سائر الرجال(٢).

روي عن قتادة قوله: وكان يخفي في نفسه ود أن زيدا طلقها، هكذا قال قتادة، ولم يزد علىٰ ذلك، وقال مثله الكلبي وزاد: إرادة تزوجها (البسيط١٨/ ٢٥١)، ومثله قال مقاتل في تفسيره ٣/ ٤٨.

فهذا المروي في أن الذي أخفاه في نفسه هو الإعجاب بها والرغبة بزواجها وهي في عصمة زيد، لم يطلقها بعد، لا يثبت منه شيء في ميزان النقد، بل هو باطل رواية ودراية.

فهذه الروايات مما يجب أن تنزه عنه كتب التفسير، كما فعل ابن كثير في تفسيره ٦/ ٤٢٦، وابن حجر في فتح الباري ٨/ ٥٢٤.

(١) رواه الطبري في التفسير ٢٠/ ٢٧٤ وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، ضعيف الحديث.
وعن السدي نحوه، رواه ابن أبي حاتم، كما في فتح الباري ٨/ ٥٢٣.

(٢) حاشا لله أن يكون الأمر لأجل الشهوة، وهو الذي عُرض عليه أجمل النساء من قريش وغيرها فلم يأبه لهن، وزينب بنت عمته، وهو يعرفها، فلو كان الأمر لأجل شهوة لخطبها قبل أن يزوجها زيدا، وكيف يقال في حق المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم مثل هذا الكلام، وهو وإن كان قصده بوصف: شهواني جنس بني آدم، إلا أنه ما كان ينبغي له أن يقوله في سياق ذكر النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

ولكن هذا من الدخيل في التفسير، فلما رووه تكلفوا له المخارج.

فأما هذه الرواية فقد بينا ما فيها.

وأما التفسير، فقد بين الله ما الذي كان يخفيه رسوله في نفسه في آخر الآية، وذلك أن الله عز وجل لما أبطل التبني في أول السورة، وكان إبطاله عن طريق الأمر، أراد سبحانه أن يبطله بالفعل، وذلك لأنه حرم علىٰ الرجل نكاح مطلقة ابنه، فلما لم يكن زيد ابنا لرسول الله، أمره الله بنكاح زينب، وهذا الذي كان يخشاه، وكان يأمر زيدا بإمساكها لأجله، خشي أن يؤمر بنكاحها لتحقيق هذه الحكمة التشريعية فيتقول الناس من المنافقين والمشركين واليهود،

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوَّج محمد امرأة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ في ترك طاعته ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ قيل: الوطر كناية عن الطلاق، يعني: إذا طلَّقها وانقضت عدَّتها أحللناكها بالتزويج[١].

قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لو كتمتُ شيئًا من القرآن كتمتُ هذه الآية»[٢].

ويقولون: محمد ينهىٰ عن نكاح زوجة الابن وقد نكح زوجة ابنه، إذ كان الابن بالتبني عندهم بمنزلة الابن للصلب، فأما المؤمنون فما زادهم هذا الفعل إلا تقريرًا للحكم وتثبيتًا للأمر.

وجائز أن يكون الأمر كما قال السدي وعلي بن الحسين أن الله أعلمه بمآل ذلك، فكان يخشىٰ قالة الناس.

فإن قيل: هل كان التبني بهذه المنزلة من الحاجة إلىٰ أن يقلع من المجتمع بالأمر والفعل معًا، فالجواب نعم، فقد كان من الأمور الذائعة الشائعة، وقلَّ بيت إلا وفيه من هذا القبيل، ثم لك أن تتوهم عظم هذا الأمر المعتاد بينهم، كيف أنَّ الرجل منهم إذا تبنوه يدخل علىٰ نسائهم، ويرث من أبيهم، ويكون كأنه واحد منهم، ثم تنزل آية واحدة فتبطل ذلك كله، فتحتجب النساء منه، بمن فيهن التي كانت بالأمس أمه، بل ويحل له أن ينكح من كن بالأمس أخوات لهن، ولذا وجدت بعض الحالات القليلة التي جلَّت فيها الرزية فاستثناها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ وجه معين، كالمرأة التي أمرها رسول الله أن ترضع سالما، وكان رجلا.

فلما كان الأمر بهذه المنزلة قلع الله هذه العادة من قلوبهم قولا وفعلا، كي لا يرج الناس للحكم تخفيفا، ولا له ناسخا، ولكي يسلكوا الجادة المستجدة، والحالة الدائمة، والله تعالىٰ أعلم.

(١) البسيط ١٨/ ٢٥٦.

(٢) لا يعرف ذلك من قوله صلىٰ الله عليه وسلم، بل في صحيح البخاري ٧٤٢٠ عن أنس قال: لو كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كاتما شيئا لكتم هذه الآية، وفي صحيح مسلم ١٧٧ عن عائشة مثله.

ثم قال: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ﴾ أي: إثم ﴿فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾ أي: في تزوُّج نساء مَنْ تبنوهم ﴿إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ أي: بعد انقضاء عدَّتهن بموتٍ أو طلاقٍ ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ في تزوُّج رسول الله زينب ﴿مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ كائنًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

فلما انقضت عِدَّتها بعث رسول الله زيدًا إليها ليخطبها علىٰ رسول الله، فقال لها زيد: جزاكِ الله خيرًا، قد علمتُ أنك تطيعيني أمري وتبرِّين قسمي، فبكت زينب، ثم قال لها: إنَّ رسول الله يخطبك بعثني إليك لأخطبك عليه، فضحكت وفرحت[1].

ثم قال الله عز وجل: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ﴾ أي: كتب الله له من أمر النساء ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ نصب علىٰ المصدر، يعني: كثرة النكاح سُنة الله[2] ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ﴾ محمد من الأنبياء، كداود وسليمان، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم له ثلاثة عشر زوجة، ومات عن تسعٍ ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي: رُخصته للأنبياء بالتزويج ﴿قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨﴾ قدَّر لهم ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من الرسل، وقيل: أراد به رسول الله خاصةً ﴿وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ في تبليغ الرسالة عنه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾

---

(١) في صحيح مسلم ١٤٢٨ من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لزيد: «فاذكرها علي»، قال: فانطلق زيد حتىٰ أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتىٰ ما أستطيع أن أنظر إليها، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذكرها، فوليتها ظهري، ونكصت علىٰ عقبي، فقلت: يا زينب: أرسل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتىٰ أوامر ربي، فقامت إلىٰ مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فدخل عليها بغير إذن.. الحديث. وهذا حديث غريب بهذه السياقة..

(٢) وفيه ثلاثة أقوال ذكرها الواحدي في البسيط ١٨/ ٢٥٨.

أي: شهيدًا علىٰ الرُسل.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ حيث قلتم زيد بن محمد ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ ولكنْ محمد رسول الله.

يعني: لم يكن أبا أحدٍ لم يلده، لأنه وُلِدَ له ذكورٌ: إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبُ المؤمنين عن طريق التبجيل والتعظيم.

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ لا نبي بعده، ولو كان له ابن يكون نبيًا بعده(١).

وقيل: لم يكن أبا أحد من رجالكم لأنَّ أولاده ماتوا قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال(٢).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالكم وأقوالكم ﴿عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ يجزيكم بها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ بالقلب واللسان.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ صلُّوا لله عز وجل غدوةً وعشيًا.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ أي: يغفر لكم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ يستغفرون لكم.

وصلوات الله علىٰ العباد: البركة في أعمالهم، والصلاح في معايشهم، والمغفرة لذنوبهم(٣).

---

(١) رویٰ البخاري ٦١٩٤ عن ابن أبي أوفیٰ أنه قال: لو كان بعد النبي صلىٰ الله عليه وسلم نبي لكان إبراهيم، وروىٰ أحمد في المسند ١٢٣٥٨ عن أنس موقوفا: لو عاش إبراهيم ابن النبي لكان صديقا نبيا، وإسناده حسن.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٩٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٦٥.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ مَنْ ظلمات الكفر إلىٰ نور الإيمان، ومن شبهات الدنيا إلىٰ نور الطاعات ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ حيث أخرجهم في الأُمَّة المرحومة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ أي: يقول الله لهم: السلام عليكم مرحبًا بعبادي المؤمنين الذين رضوا في الدنيا بإتباع أمري ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ في الجنة مع التحية ﴿أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ مساكن طيبة حسنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ علىٰ أُمَّتك بالبلاغ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم بالجنة لمن أطاعني ﴿وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ مُخوِّفًا لمن كفر بالنار.

﴿وَدَاعِيًا﴾ لخلقه إلىٰ دينه وطاعته ﴿[إِلَى ٱللَّهِ] بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ نورًا ساطعًا مُضيئًا، يعني: ذا سراج منير وهو القرآن(١).

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فرّح قلوبهم بالبشرىٰ ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ ثوابًا جسيمًا في الجنة.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ من أهل المدينة ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي: تجاوز عنهم فأنا أكافئهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ اكتف بالله وكيلاً حافظًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: تزوَّجتم ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ﴾ المسيس ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ لها أن تتزوَّج بآخر في الحال، ثم قال: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ وهو إن لم يُسَمِّ لها مهرًا؛ وعقد عقدة النكاح ثم طلَّقها قبل المسيس، فتجب المُتعة علىٰ قدر يسار الرجُل وإعساره، وإن دخل

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٣١.

بها يجب لها مهر نسائها من جانب الأب، لا وكس ولا شطط[١].

وأما المتعة: ثلاثة أثواب درعٌ وخمارٌ وجلبابٌ[٢].

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ أي: طلاقًا بالسُّنةِ من غير إضرارٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ أي: نساءك ﴿ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ أي: أحللنا لك ولائدك، مثل مارية القبطية أم إبراهيم، وريحانة، وقيل: جويرية[٣].

﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾ أي: فتح الله عليك من الغنائم، أحلَّ لك بدون عقد النكاح ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ حلَّ لك نكاحها عقدًا ﴿وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ مِن بني عبد المطلب ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ من بني زهرة.

ثم شرط الهجرة وقال: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ من مكة إلىٰ المدينة، فإن لم تهاجر معك فلا تحل لك نكاحها[٤].

قيل: إنَّ هذا الحكم نُسِخَ.

﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً﴾ وهي أم شَريك بنت جابر العامري، وكانت تُسمَّىٰ أم المساكين، وقيل: هي زينب بنت خُزيمة[٥] ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ بالكسر

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٢٨٣، البسيط ١٨/ ٢٦٩.

(٢) سبق تفسير المتعة في سورة البقرة، آية: ٢٣٦.

(٣) وجويرية بنت الحارث زوجة علىٰ الصحيح (تفسير أبي الليث ٣/ ٦٨).

(٤) فيه قولان، قيل: المسلمات، وقيل: المهاجرات (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٨٦، الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٠٧).

(٥) قيل لم يكن عنده صلىٰ الله عليه وسلم من الواهبات، وهو قول ابن عباس، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٢٨٨، وفي صحيح البخاري ٥١١٣ أن خولة بنت حكيم من الواهبات، وقيل:

علىٰ المستقبل وبالنصب علىٰ الماضي(١).

﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ يتزوَّجها من غير صداقٍ ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ لأنَّ المؤمنين إذا قبلوا ذلك لزمهم المهر بالدخول [أ]والموت.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ [فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ]﴾ أي: علىٰ الرجال أن لا يتزوَّجوا فوق الأربع ولا يتزوَّجوا إلا بشهودٍ ومهورٍ.

﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ أحللنا لهم وطء ولائدهم بغير عددٍ ﴿لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ﴾ في الهِبَة بغير مهرٍ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٠﴾.

﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ أي: تؤخِّر نكاح من تشاء من بنات العمِّ والعمَّة وغيرهما ﴿وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ تضمها إليك بنكاحٍ.

وقال الكلبي: «ترجئ من تشاء» أي: توقف لها فلا تأتيها بلا طلاقٍ تطلقها، مثل سودة وجويرية وصفية وميمونة، وتضم إليك من تشاء: فتأتيها، مثل عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة وحبيبة(٢).

﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾ أي: آثرت ﴿مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ عن الإتيان إليهن.

وقيل: مَنْ تزوَّجت ممن تركتها ورددتها إلىٰ نكاحك(٣).

منهن أم شريك، وقيل: ميمونة بنت الحارث، وقيل: زينب بنت خزيمة، انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٢٨٨، تفسير أبي الليث ٣/ ٦٧، الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٠٨.

(١) قرأ الحسن: أن، بالفتح، وهي قراءة شاذة (الكشف والبيان ٢١/ ٤٩٣).

(٢) وهو قول طائفة من المسرين، كأبي رزين وقتادة، وقالوا: إن الإرجاء هنا بمعنىٰ التأخير، فلا تقسم، والإيواء بمعنىٰ الضم، فتقسم، وهذه آيةُ إسقاط القسم عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وهي من خصوصياته (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٩١، الكشف والبيان ٢١/ ٤٩٨، البسيط ١٨/ ٢٧٧).

(٣) وهذا علىٰ أن الإرجاء بمعنىٰ: ترك النكاح، والإيواء بمعنىٰ النكاح، وهو قول الحسن (تفسير الطبري ٢٠/ ٢٩٢).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أي: لا إثم عليك ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أجدر أنْ تقرَّ أعين نساء رسول الله ﴿وَلَا يَحْزَنَّ﴾ مخافة الطلاق ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ يعني يرضين في القَسْم، إذا علمن أنك تفعل بأمر الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ من الحُبِّ والبُغضِ والرِّضا والسخط ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما يكون منكم ﴿حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ لا يؤاخذكم عاجلاً.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ التخيير، إذا اخترنك واخترن الدار الآخرة ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: اشترطنا على رسول الله أن لا يختار علينا إذا اخترنا الله ورسوله[1].

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ يعني: جمالهن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الولائد، يعني: مارية وصفية[2].

وقيل: جميع الولائد ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ حافظًا وشهيدًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ فإذا أُذِنَ لكم فادخلوا ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ يعني: منتظرين بلوغه ونضجه فتستأذنون في ذلك الوقت فعل المُتطفِّل ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ﴾ إلى الضيافة ﴿فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ أي: تفرَّقوا ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ لا تجلسوا للكلام، والاستئناس: طلب الأُنس بالكلام ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ الدخول بغير إذنٍ وطول الجلوس لأجل الكلام ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ عند العائلة ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ أن

---

(١) غريب، ولم أجده، لكن قال بعض التابعين: إنه صلى الله عليه وسلم حظر عليه أن يتزوج على نسائه لأنهن اخترنه (الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٢٠).

(٢) الصحيح: أن صفية زوجة، فقد أعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل مهرها عتقها، كما في صحيح البخاري ٣٧١، ومسلم ١٣٦٥.

يقول: اخرجوا ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: لا يمنعه الحياء أن يُبيِّن الحق ويُؤدِّبكم ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ﴾ يعني: أزواج رسول الله ﴿مَتَٰعٗا﴾ أي: آلة من آلات البيت؛ كالقصعة أو الرَّكوة أو الدَّلو أو غيره ﴿فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ لا تنظروا إليهنَّ ولا ينظرن إليكم ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ﴾ من الرِّيبة ﴿وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ منها ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ في حياته بالنظر إلىٰ أزواجه، والكلام معهنَّ ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾[1] موته ﴿أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ﴾ إنْ تمنيتم تزويج نسائه بعده ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ قيل: كان طلحة بن عبيد الله تمنَّىٰ ذلك، فلما نزل القرآن تاب وأعتق رقبة، وحملَ علىٰ عشرة أبعرة في سبيل الله، وحجَّ ماشيًا توبةً من كلمته[2]، والله أعلم.

﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ في قلوبكم: لأتزوجنَّ عائشة بعد موته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤﴾ بسركم وعلانيتكم.

ثم رخَّص بالدخول لأهل القرابة والرَّحم عليهنَّ فقال: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ إلىٰ آخر الآية من الرِّضاع والنسب.

وقوله: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: لا حرج علىٰ نساء أهل دينهنَّ بالدخول عليهنَّ والنظر إلىٰ مواضع زينتهنَّ، فأما اليهوديات والنصرانيات فلا ينبغي لمؤمنة أنْ تكشف لهن زينتها، لأنَّه لا أمانة لهنَّ، فتصفها عند زوجها[3].

---

(١) في الأصل: من بعد موته.

(٢) وهذا قول مقاتل، كما في تفسيره ٣/ ٥٣، وربما ذكره بعضهم دون نسبة (تفسير أبي الليث ٣/ ٧١، البسيط ١٨/ ٢٨٦)، وهو ضعيف، ولذا قال بعضم: نزلت في رجل قال ذلك، ولم يسمىٰ هذا الجل، فتسميته بطلحة قول ضعيف، وهو بعيد كذلك، لما علم من تبجيله لرسول الله.

(٣) انظر تفسير سورة النور، آية: ٣١.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ أي: لا جناح عليهن في كشف زينتها للإماء المسلمات ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فلا تعصينه فيما أمركُنَّ به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٥٥﴾ لا يغيب عنه شيءٌ من أعمالكم.

ثم ذكر رُتبة رسول الله فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ يعني: يثني الله علىٰ نبيِّكم، وأمر ملائكته بالاستغفار له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ في خُطبكم وصلواتكم الخمس ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ يعني: انقادوا لأمره انقيادًا، ألطف الله تعالىٰ في هذا الأمر وقال: إني أُصلِّي علىٰ محمد وأنا منه مستغني فكيف لا تُصلُّون عليه وأنتم محتاجون إلىٰ شفاعته.

قال مقاتل: لما نزلت هذه الآية قالوا: هنيئًا لك يا رسول الله، هذا لك فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يؤذون الله، وقالوا: إن الله فقيرٌ؛ ويد الله مغلولةٌ؛ وله شريكٌ وولد، ويؤذون رسوله بقولهم: ساحرٌ كذَّابٌ شاعرٌ كاهنٌ، ورَمَوْا عائشة بصفوان ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ في الدنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنار ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعني عائشة وصفوان[2] ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ﴾ من غير جنايةٍ جنَوْها ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا﴾ عقوبة استوجبوها ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ ذنبًا ظاهرًا.

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٥٤.

(٢) وهو قول السدي (تفسير أبي الليث ٣/ ٧٢)، وقال مقاتل (في تفسيره ٣/ ٥٤): بل نزلت في علي، وليس كذلك، فالآية عامة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ أي: يَسْدُلْنَ بالجلباب فوق الخِمار، يُغطين به نحورهنَّ وآذانهنَّ وأشعارهنَّ(١).

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أمر بالجلباب ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾ وأحرىٰ ﴿أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ بالحُرِّيَّة ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾.

وكنَّ نساء المدينة في الابتداء يخرجن بالليالي لحاجتهنَّ استحياءً من الرجال، وكان فُسَّاق المدينة ترصدن الطُرق، ويُلاعبون الولائد والإماء، وربما لا يعرفون الحُرَّة من الأَمة، فكانوا يؤذون الحرائر، فأمَرَ الله تعالىٰ بالجلباب للحرائر حتىٰ يُعْرَفْن فلا يؤذين(٢).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا ٥٩﴾ رخَّص لهم في التوبة.

ثم حذَّر المنافقين فقال: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ عن المكر والخيانة ومَساءة المخلصين ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: الزُّناة والواو زائدة ﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ الطَّالبون لعيوب المؤمنين ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾ لنسلطنَّك عليهم حتىٰ تقتل منهم مَنْ أحببت ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا ٦٠﴾ بعد النهي، ثم تفانوا كلهم.

﴿مَّلۡعُونِينَۖ﴾ نصب علىٰ الشتم ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ وُجدوا أُسروا ﴿وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلًا ٦١﴾ مرَّةً بعد مرةٍ.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٢٤.

(٢) وهو قول الكلبي عن أبي صالح، رواه عنه الطبري فأبهمه (تفسير الطبري ٢٠/ ٣٢٥).

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ أن يُقتل المرجفون ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ إذا أراد بقومٍ خزيًا.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ وهم[1] أهل مكة ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ متىٰ تكون ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ أي: قيامها يكون سريعًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة بجحودهم وإنكارهم البعث ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ﴾ لأنفسهم ﴿وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ يحفظهم أو يمنعهم من عذاب الله.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ من جهةٍ إلىٰ جهةٍ، مرةً علىٰ وجوههم، ومرةً علىٰ ظهورهم، ومرةً علىٰ بطونهم، فتمنوا فيها: ﴿يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ آمنًا به وصدَّقناه.

ثم قالت السَّفلة منهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ أشرافنا في معصيتك ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ أدخل فيها الألف واللام لوفق رؤوس الآي في الوقف[2].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: ضعفي ما علينا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ عذِّبهم عذابًا عظيمًا[3].

---

(١) في الأصل: وهو.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٣٧.

(٣) وقد ترك القرآن هنا ذكر تتمة المحاورة بين السفلة والرؤساء، لأنه ذكرها قبل في سورة الأعراف، ولأن القصد هنا تخويف المنافقين وتحذيرهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾ وكان جُهَّال بني إسرائيل رَمَوْا موسىٰ بالأُدْرة[١]، فدخل ذات يومٍ عينًا ليغتسل، ووضع ثوبه علىٰ صخرةٍ، فأمر الله تعالىٰ تلك الصخرة حتىٰ ذهبت بثوبه إلىٰ محلة بني إسرائيل، وكان موسىٰ يتبعها في ضجرٍ وشدةٍ، حتىٰ وافىٰ علىٰ المحلة، ورأوه أحسن خلق الله، فبرَّأه مما قالوا[٢]، فكذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم آذوه أنه تزوَّج امرأة ابنه فبرَّأه الله بقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.

﴿وَكَانَ﴾ موسىٰ ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ ويُروَىٰ أنهم اتَّهموا موسىٰ بقتل هارون حتىٰ جاءت الملائكة به ميِّتًا علىٰ سرير ميناء، فأيقنوا بموته[٣].

وكان وجيهًا: رفيع المنزلة موصيًا بالعمل الصالح[٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ عدلاً صدقًا في محمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم وزيد بن حارثة[٥].

---

(١) في الأصل: الأبرة، وهو تصحيف، والأدرة -بالضم- مرض تنتفخ منه الخصيتان ويكبران جدا؛ لانطباق مادة أو ريح فيهما (تاج العروس ١٠/ ٤٠).

(٢) روىٰ البخاري ٢٧٨، ومسلم ٣٣٩: عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلىٰ بعض، وكان موسىٰ صلىٰ الله عليه وسلم يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسىٰ أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه علىٰ حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسىٰ في إثره، يقول: ثوبي يا حجر، حتىٰ نظرت بنو إسرائيل إلىٰ موسىٰ، فقالوا: والله ما بموسىٰ من بأس، وأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربا، فقال أبو هريرة: والله إنه لندب بالحجر، ستة أو سبعة، ضربا بالحجر.

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ٢٠/ ٣٣٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٧٦، الكشف والبيان ٢١/ ٥٧٤.

(٥) وهذا قول مقاتل بن حيان، والسديد: الصواب، وقد فسر بشهادة التوحيد -كما سيأتي- وهو الصحيح (الكشف والبيان ٢١/ ٥٨١، البسيط ١٨/ ٣٠٢).

مقاتل: هو شهادة أن لا إله إلا الله[١].

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ أي: يعلي[٢] طاعاتكم بالتوحيد والقول السديد ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ في الفرائض ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ في السُنن ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ أي: سَعِدَ سعادةً لا شقاوة بعدها.

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ قال ابن عباس: الأمانة الفرائض التي افترض الله علىٰ عباده، فقلن: وما لنا فيها؟ فقيل: إن أحسنتنَّ جوزيتنَّ، وإنْ أسأتُنَّ عُوقبتنَّ.

﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾ علىٰ هذه الشريطة، وقلن: نحن نُطيعك يا رب ولا نحمل الأمانة بالشرط[٣].

﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ قَبلها لِمَا رأىٰ في الجنة من النعيم والعافية، لأنَّ الله تعالىٰ عرض الأمانة وجعل لوفائها جزاء وهي الجنة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه حتىٰ عصىٰ ربه وأُخرج من الجنة ﴿جَهُولًا ٧٢﴾ بالعاقبة والثواب والعقاب علىٰ الأمانة.

وقيل: ذكر السماوات والأرض والمُراد أهلها من الملائكة، وهم أهل السماء والجِن وسائر خلائق الأرض[٤].

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٥٧.
(٢) لعلها هكذا، فإنها أشبه بـ: علي، وفي المصادر التي يعتمد عليها: يقبل.
(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٧٦.
(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٧٦.

وقيل: جاء الكلام علىٰ وجه المثل، يعني: لو جعلنا السماء والأرض مميِّزة مع صلابتها وشدَّتها؛ وعرضنا الأمانة عليها؛ أبت إباء الاستغفار لا إباء الاستكبار.

وإنما خصَّ الجبال بعد ذكر الأرض لأنَّ الجبال أصلب وأشد، كقوله ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ خصَّهما بالذكر بعد ذكر الجُملة.

قال عبد الحميد الحكمي: بلغنا أنَّ آدم عليه السلام لما قَبِلَ الأمانة؛ قال الله تعالىٰ: يا آدم أمَّا إذا حملتَ هذه الأمانة فإني موصيك بوصيةٍ؛ إن أنت حفظتها وُقيت بها شر ما حُمِّلْتَ، إني قد جعلت لك في رأسك بصرًا وسمعًا ولسانًا، فأما سمعك فكنهُ عن كل كلام لا يوافق فيه محبتي، وأما عيناك فإني جعلت لهما طبقتين، فأطبقهما علىٰ محارمي، وأما لسانك فكنه بأسنانك وأضراسك وشفتيك، فلا تتكلَّم إلا بتقديسي، وأما جسدك فإني جعلتُ لك فَرْجًا وجعلتُ لك سِترًا من الثياب، فلا تكشفه إلا علىٰ ما أحللتُ لك[١].

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ أي: عَرض الأمانة ليُطهِّر المؤمن المُخلص والمنافق والمشرك، فيعذب المشرك والمنافق بترك الإيمان ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ برحمته، فيعصمهم من ترك الوفاء، ويتوب عليهم بالندم علىٰ ما فرَّط منهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للتائبين من المؤمنين ﴿رَّحِيمَۢا ٧٣﴾ بهم بعد التوبة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٣٤٠، عن أبي حازم، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٥٨٥ معزوا للمفسرين.

قال التستري: مَنْ وفَّقه الله لصالح الأعمال دلَّ علىٰ أنه مغفور له ذنوبه، لقوله تعالىٰ: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ فقال أبو عثمان: ما مِنْ عضو إلا وله أمانة للقلب والعين واللسان واليد والرجل، فمن لم يرع الأمانات كلها خاب سعيه.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة الأحزاب وعلَّمها أهله وما ملكت يمينه أُعْطِيَ الأمان من عذاب القبر»[1].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢١/ ٣١٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٠.

سورة سبأ

وهي مكيَّة[١]، خمسون وأربع آيات[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الحمد: الوصف الجميل على جهة التعظيم، وضدَّه: الذَّمُّ، الوصف القبيح على جهة التحقير[٣].

﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ أي: له المنزلة على أهل الجنة بإدخالهم الجنة، وقيل: لأنَّ أهل الجنة يحمدونه في الجنة ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١﴾ العالم بشأن العباد.

﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من المياه والأموات[٤] ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ من المياه والنبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من القَطْر والملائكة ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ أي: يصعد عليها الملائكة بأعمال العباد بني آدم[٥] ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين ﴿ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ بتأخير العذاب عنهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ ولتبعثُنَّ لا محالة، وهو ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٍ﴾ أي: لا يغيب عنه وزن نملة

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٢/ ٧، زاد المسير ٣/ ٤٨٩.

(٢) في عدد الكل إلا الشاميين، فهي في عددهم خمس (البيان في عد آي القرآن ٢٠٩).

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٤٦، انظر: تفسير سورة الفاتحة، آية (٢).

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٧٨.

(٥) زاد المسير ٣/ ٤٨٩.

صغيرة من أعمال العباد ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣﴾ أي: في اللوح المحفوظ.

﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ﴾ أي: يُثيبهم، وهي[1] لام القسم سقط نونها[2].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ في الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ خاضوا بالتكذيب في القرآن وشأن محمد.

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ سابقين لأنَّ عندهم أنهم يعجزوننا ويسبقوننا[3].

«ومُعَجِّزين»[4]: أي يُعَجِّزون من آمن بها، ويكون بمعنىٰ مثبطين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٞ ۝٥﴾ والرِّجْز هو العذاب الشديد[5].

وقُرِئ: أليمٌ، بالرفع، صفة العذاب[6].

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: لكن يرىٰ الذين أوتوا العلم بالتوراة: ابن سلام وأصحابه[7] ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ أي: يَرَوْن أنَّ القرآن حقٌّ من الله ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ أي يدل علىٰ دين الله العزيز بالنقمة، الحميد الحامد لمن وحَّدَهُ.

---

(١) في الأصل: وهو.

(٢) وقيل: للمجازاة (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤٠، الدر المصون ٩/ ١٥١).

(٣) انظر تفسير سورة الحج، آية: ٥١.

(٤) وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو (النشر ٢/ ٣٢٧).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٧٩.

(٦) في الأصل: بتنوين الكسر، صفة للرجز، وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص كما أثبت (النشر ٢/ ٣٤٩)، وانظر: تفسير أبي الليث ٣/ ٧٩.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤١، الكشف والبيان ٣/ ٨٠.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مثل أبي سفيان وأصحابه لسفلتهم ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ﴾ يا معشر قريش بأنكم ﴿إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ إذا فُرِّقتم في الأرض كل تفريق ﴿إِنَّكُمۡ﴾ تبعثون ﴿لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧﴾ يُنفخ فيكم الروح بعد الموت.

﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ألف استفهام دخلت على ألف اللينة، ذهبت حركتها لاتصالها بما قبلها ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ أي: جنون؟.

قال الله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ جحودًا يكونون ﴿فِي ٱلۡعَذَابِ﴾ في الآخرة ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨﴾ في الدنيا.

﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أراد به جميع الجهات، يمينًا وشمالاً، وفوق وتحت، ليروا كيف أحاط بهم سماء الله وأرضه، كقوله: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ أقام الشمائل مقابل قدام وخلف، واقتصر على البعض من الكل فهذا كذلك[1].

﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: نغور بهم الأرض ﴿أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ قطعًا، فلا يستطيعون الخروج عن عذابي ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٩﴾ مُقبل بقلبه إلىٰ ربه بالإخلاص.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ﴾ أعطينا داود بتفضل منَّا ملكًا ونبوة، وقلنا: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾ سبِّحي ﴿مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ وأصل التأويب: رفع الصوت بالدعاء، وقيل: الترجيع، يعني: يا جبال رجعي القول معه بالتسبيح أنتِ.

و«الطير»: بفتح الراء قراءة العامة، معطوف علىٰ قوله: وأتيناه فضلاً

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٥٥، البسيط ١٨/ ٣٢٠.

وسخرنا له الطير[١].

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾ حتىٰ صار عنده بمنزلة العجين وقلنا ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي: الدروع الدلاص الواسعة[٢].

﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: في النسج، أي: لا تجعل المسامير دقيقة فيتقلقل الدرع بها ولا غليظة فيتشقق[٣].

﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ خاطبه خطاب الجماعة لأنَّه رأس القوم ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١﴾ فأجازيكم.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي: سخرنا له الريح، وقُرِئ: بالرفع، أي: انقادت له الريح[٤].

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي: تسير الريح بسليمان مسيرة شهر قبل القائلة، وتروح به مسيرة شهر قبل هجوم الليل.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ كان الصفر يجري له ثلاثة أيام كجري الماء بأرض اليمن، عن مقاتل[٥].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤٣، الكشف والبيان ٢٢/ ٢٠، البسيط ١٨/ ٣٢٢.
وقرأ يعقوب -في بعض الطرق عن روح- : والطيرُ، بالرفع ردا علىٰ الجبال، أي أوبي أنت والطير (الكشف والباين ٢٢/ ٢٥).

(٢) الدِّلاص: ملساء لينة براقة (تاج العروس ١٧/ ٥٨٦).

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٥٩، الكشف والبيان ٢٢/ ٢٧.

(٤) وهي رواية المفضل عن عاصم (الكشف والبيان ٢٢/ ٢٩).

(٥) قول مقاتل في تفسيره ٣/ ٦١، وهو قول كافة المفسرين أن القطر هو الصفر أي النحاس (تفسير الطبري ٢٠/ ٣٦٤، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٦).

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ كلمة «من» موضعه للنصب، معطوف علىٰ قوله: سخرنا[١].

كانت الجن تعمل له القصور والبنيان ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي: من يعص سليمان في أمره ونهيه ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ يضربه ملك الموت بصوتٍ من نار.

وذكر محمد بن شحمة الهروي: أنَّ كل شيطان نظر في وجه سليمان طار إليه من وجه سليمان لهب فاحترق به[٢].

ثم ذكر الجن في العمل، فقال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ يعني: المساجد.

وقيل: المحراب أشرف موضع في الدار[٣].

﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ أي: صور الملائكة والأنبياء والعباد لينظروا إليهم، ويعبدوا الله علىٰ منازلهم، والتصوير كان مباحًا في وقته[٤].

﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ أي: قصاع، كحياض الإبل لا تحرك.

قال الضحاك: كان حرسه أربعمائة ألف تغديهم وتعشيهم من تلك الجفان[٥].

---

(١) وهو قول النحاس في إعراب القرآن ٢/ ١٠٦٥، وانظر الدر المصون ٩/ ١٦١.

(٢) وفي تفسير أبي الليث ٣/ ٨٢ والكشف والبيان ٢٢/ ٣٨: أن الله وكل بالجن ملكا بيده سوط من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته. وهو خبر إسرائيلي.

(٣) وقيل: أنه بنيان دون القصور (تفسير الطبري ٢٠/ ٣٦٥).

(٤) نحوه في تفسير أبي الليث ٣/ ٨٣، الكشف والبيان ٢٢/ ٥٣. والصحيح: أنها الصور، وتكون من زجاج ورخام وقِطر وحديد وما شاء، وأما تحديد الصور بالأنبياء أو الملائكة فمن الإسرائيليات.

(٥) الكشف والبيان ٢٢/ ٥٥.

﴿وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ﴾ عِظام ثابتات لا ترفع، يأكل منها القوم كلهم مع كثرتهم ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ علىٰ ما أعطيتكم من الخير والفضل، فاعملوا طاعة شاكرين.

وقال الفضيل بن عياض: ارحموا أهل البلاء وسلوا العافية.

﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ لأنَّ الشاكرين وإن كثروا فهم قليل في جنب من لم يشكر.

قيل: لما أمرهم الله بالشكر اقتسموا لياليهم للقيام، ونهارهم للصيام، فما من ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وفيها لله تعالىٰ من آل داود قائم وصائم(١).

ثم ذكر موت سليمان فقال: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ﴾ وهي الأَرَضة.

قيل في التفسير: إنَّ سليمان صلوات الله عليه كلما نبتَ نبتٌ يسأله: لأي شيءٍ أنت؟ فكان يجيبه النبت: كذا وكذا، حتىٰ نبت خرنوب الشامي، فسأله: لأي شيء أنت؟ فقال: لخراب مسجدك، فعلم سليمان أنَّ خراب مسجده بموته، فلما قرب موته أوصىٰ إلىٰ خواصه أن يُغسِّلوه بعد الموت ويُكفِّنوه ولا يدفنوه، ولكن يقيموه علىٰ عصاه في محرابه، ولا يبكوا عليه، ولا يخبروا أحدًا بموته سنةً، لأن الشياطين كانوا في عمارة المسجد، وقد بقي لتمام العمارة سنةٌ.

فأراد سليمان أن لا يتفرَّق الشياطين حتىٰ يفرغوا من عمارة المسجد، وكان سليمان صلوات الله عليه يُصلي صلوات طويلة، والشياطين لم يقدروا النظر إليه إلا من بعيدٍ، فكلما رأوه قائمًا في المحراب ظنُّوا أنَّه في الصلاة.

---

(١) روي هذا عن ثابت (الكشف والبيان ٢٢/ ٥٧).

وكانوا يعملون حتىٰ تم البناء، فأرسل الله تعالىٰ الأرضة حتىٰ أكلت عصاه، فخرَّ سليمان علىٰ الأرض، فهربت الجن[1].

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ أي: علمت ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ أي: في التعب الشديد.

لأنَّ عوام الجن كانوا يظنون أنَّ خواصهم يعلمون الغيب، فتبيَّن لهم بهذا أنهم لا يعلمون الغيب.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾[2] أي: لأهل سبأ.

فمن قرأه مهموزًا منصوبًا ولم يصرفه؛ فهو اسم القبيلة، ومَنْ صرفه جعله اسم رجل تُنسب القرية إليه.

ومساكنهم: بالجمع، ومسكَنهم بالنصب، ومسكِنهم بالكسر، كالمطلَع والمطلِع، وهما لغتان جيدتان[3].

ثم فسَّر الآية وقال: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ والطريق بينهما، يمر الناس بين الجنتين، وكانت المرأة تمشي في الطريق وعلىٰ رأسها مكتل فترجع وقد امتلأ المكتل من الثمار من غير أن تمس منها شيئًا[4].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٣٧٢ بإسناد منكر عن ابن عباس مرفوعا، ورواه السدي بإسناده المطروق الضعيف عنه،

وذكره في الكشف والبيان ٢٢/ ٥٩، من غير نسبة، وهو خبر إسرائيلي، الله أعلم بصحته.

(٢) في الأصل: في منازلهم آية، وهو غلط في الآية، فلعله أراد التفسير فسقط علىٰ الناسخ شيء.

(٣) قرأ الكسائي وخلف: مسكِنهم، وقرأ حمزة وحفص -كما أثبت-: مسكَنهم، وقرأ الباقون: مساكنهم (النشر ٢/ ٣٥٠).

(٤) روي عن قتادة (تفسير الطبري ٢٠/ ٣٦٧).

وكان لهم مسناة[١]، وهو الموضع الذي ينبع الماء من الأعالي وينحدر، فجعلوا لمائهم سدًا يجتمع فيه، ثم جعلوا للسد ثلاثة أبواب أو منافذ، أعلىٰ وأوسط وأسفل، فكانوا يفتحون الأبواب علىٰ قدر كثرة الماء ونقصانه، الأعلىٰ ثم الأوسط ثم الأسفل، وكان لهم ثلاثة عشر قرية، أرسل الله لكل قرية نبيًا، أتبع بعضهم بعضًا، حتىٰ اجتمعت الرُسل إلىٰ سبأ، فذكَّروهم نِعم الله، وأنذروهم عقابه، فقالوا: ما نعرف لله علينا حقًا ونعمة، إنْ كان له عندنا نعمة فليحبسها إن استطاع، فلما كذَّبوا الرسل انتقضت مُسناتهم، وانحدرَ الماء ودخل جنتهم فغرَّقها ويبست الأشجار، وندَّت الأنعام، وأخذ كل إنسان بيد ولده وزوجته وصعد الجبل، وبُدِّلوا بجنتهم جنتين أُخريين «ذواتي أُكُل خَمْطٍ» الآية[٢].

فلما جاءتهم الرسل وذكَّروهم نِعم الله وقالوا: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ حيث جعل ميرة الناس من بلادكم فوَحِّدوه ولا تشركوا به ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ كثيرة النِعم غير سبخةٍ ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ لمن تاب من الشرك.

﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ عن الإيمان، وأنكروا نعم الرحمن ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ والعَرِم: اسم الوادي، وقيل: اسم المسناة، وقيل: اسم السَكْر، قيل: أرسل الله إلىٰ سكرهم دِرْصًا[٣] وهو الجُرذ، فنقب الردم.

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ والخَمْط: ثمر الأراك ﴿وَأَثْلٍ﴾ وهو الطَّرْفاء ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ والسِّدْر هو السَّمر، يعني شيء

---

(١) في الأصل: مستوىٰ، وهو تصحيف.

(٢) وعن ابن إسحاق ووهب أن عدد الرسل المرسلين إليهم ثلاثة عشر رسولا (تفسير الطبري ٢٠/ ٣٧٨، الكشف والبيان ٢٢/ ٧٠).

(٣) الدرص ولد القنفذ والفأر ونحوها، (تاج العروس ١٧/ ٥٧٨)، وفي الأصل: درصبا، وهو تصحيف.

قليل من سدر، والسدر أيضًا شيءٌ يُغسل به الموتىٰ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ﴾ أي: بكفرهم بالله عز وجل ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ وهل يُعاقَب(١) مثل هذه العقوبة إلا الكافر بالله تعالىٰ.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين أهل سبأ ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر يعني: الأردن وفلسطين ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ متصلة ينظر بعضها إلىٰ بعضٍ، كان الرجل يسير من اليمن إلىٰ الشام لا يحمل زادًا ولا سلاحًا، ولا يخاف عدوًّا، فكُلَّما غدا من منزلٍ يقيل(٢) ويروح إلىٰ قريةٍ يُصيب فيها الماء والطعام والثمار، حتىٰ يبلغ إلىٰ الشام.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ﴾ علىٰ قَدْرِ المقيل والمبيت ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ أي: قلنا لهم بالوحي سافروا فيها ﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ من الجوع والعطش والقتل، فلم يشكروا نِعم الله.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ أي: اجعلها بعيدةً قد مللنا ما نحن فيه ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ حيث أشركوا بربهم؛ وسألوا تبعيد الأسفار، ففعل الله ذلك ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم، حتىٰ يتحدثوا من شأنهم ليعتبروا بهم ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ أي: فرَّقناهم في كل وجه، وكان مَلِكُهُمْ يُسمَّىٰ سبأ، وله بنون: قُضاعة والأسد(٣) ولخم وجذام وطسمٌ وغسَّان والأوس والخزرج.

فوقع الأسد بالبحرين(٤)، وخزاعة نزلت بمكة، وغسَّان نزل الشام، والأسد

---

(١) في الأصل: يجازىٰ، وعليها التفسير، وهي قراءة

(٢) في الأصل: يقبل، وهو تصحيف.

(٣) وهم الأزد.

(٤) لعلها هكذا، فإنها في الأصل موصولة الراء بما بعدها، وفي كتب التفسير: عمان، فلعله سماها البحرين هنا لقربها من بلاد عمان. انظر: تفسير أبي الليث ٤/ ٣٢٩، معالم التنزيل ٦/ ٣٩٦.

نزل اليمن، والأوس والخزرج نزلا المدينة، ومنهم الأنصار.

وكذلك كل طائفة تفرَّقوا في البلاد حتىٰ تمثَّل العرب بهم في التفريق، وقالوا: تفرَّقوا أيدي سبأ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في تفريقهم في البلاد ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ والصبَّار: الذي يستلذ علىٰ البلاء فيَعُدُ البلاء نعمةً.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ يعني: علىٰ آل سبأ، لأنَّ إبليس ظن بهم أنه يستفزهم ويطيعوه في مخالفة الله.

وقيل: يعني به جميع ذرية آدم الآية، قال -بالظن-: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾[1].

﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ الذين أجابوا الرسل من أهل سبأ، وقيل: من سائر الناس.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ يعني: علىٰ أهل سبأ، وقيل: علىٰ بني آدم ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ يعني: مَكنَّاة منهم لنعلم ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ﴾ لا يؤمن بالآخرة ومَنْ ﴿هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ حتىٰ يؤاخذه بشركه، ولا يؤاخذه بما يعلم منه في الأزل، لأنَّ المثوبة والعقوبة لا يَجبَان إلا بسعي بني آدم ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ عالمٌ بهم وبجُرمهم[2].

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ من الملائكة أنها آلهة.

وكان بنو مليح يعبدون الجن، ويقولون: هم الملائكة، يعني: قل لهم ادعوا لكشف الضر، وهو الجوع وقحط السنين ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٩١.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٨٨.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فكيف يملكون كشف الضر عنكم ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ يعني: في السماوات والأرض من مشاركة ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ أي: لله تعالىٰ ﴿مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ أي: عونٌ علىٰ شيءٍ.

ثم ذكر ضعفهم وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ أي: شفاعة الملائكة عند الله ﴿إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ في الشفاعة وهم أهل التوحيد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: نُزِعَ الفزع عن قلوبهم.

وقصَّة ذلك: أنَّ الله تعالىٰ إذا تكلَّم بالوحي سَمِعَ أهل السماوات صوتًا كصوت الحديد إذا وقع علىٰ الصفا، وضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعانًا لقوله، ثم يخرون له سجدًا، فلما سمع سائر الملائكة الصوت ظنوا أنَّ القيامة قد قامت فصُعقوا، وكان بين عيسىٰ ورسولنا زمان فترةٍ، وهي طويلة فلم تسمع الملائكة في تلك المدة صوت الوحي، فلما سمعوا صعقوا، فلما انحدر جبريل جعل يمرُّ بأهل كل سماءٍ، فيكشط عنهم ما بهم، فيرفعون رؤوسهم، وقال بعضهم لبعضٍ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ فلم يدروا ولكن ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ وقال حينئذٍ: سألوا جبريل: ماذا قال ربكم؟ قال جبريل: الحق، أي: الوحي أرسل الله إلىٰ رسوله ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ العلي في ارتفاعه الكبير في مُلْكِهِ وسلطانه(١).

---

(١) في صحيح البخاري ٤٧٠١: عن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: إذا قضىٰ الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كالسلسلة علىٰ صفوان - قال علي: وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك - فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر - ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنىٰ، نصبها بعضها فوق بعض - فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلىٰ صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتىٰ يرمي بها إلىٰ الذي يليه، إلىٰ الذي هو أسفل منه، حتىٰ يلقوها إلىٰ الأرض - وربما قال سفيان: حتىٰ تنتهي إلىٰ الأرض - فتلقىٰ علىٰ فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ من المطر والنبات، فإن أجابوك وإلا فقل ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ معناه: إنَّا علىٰ هدىً أو إياكم في ضلالٍ مبينٍ، وَ «أو» بمعنىٰ واو العطف، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ [(١)].

وقيل: معناه لو كُنَّا علىٰ هُدىً أو في ضلالٍ مبينٍ؛ وأنتم لو كنتم علىٰ هُدىً أو في ضلالٍ مبينٍ؛ فنحن وأنتم في الرزق سواء، والسؤال وقع عن الرزق.

وقيل: هذا إلطافٌ في الكلام، تقريبًا واستدراجًا، لأنَّ في التصريح نُفُورهم، كما يقول الرجل لرجلٍ آخر: إنَّ أحدنا كاذبٌ، وهو يعلم أنه بنفسه صادق، فنسب الكذب إليه بوجهٍ ألطف[(٢)].

﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا﴾ يا أهل مكة في طعننا آلهتكم بزعمكم ﴿وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥﴾ من الشرك.

﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا﴾ يعني: الله يجمع بيننا يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: يقضي ﴿وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦﴾ القاضي بين الخلق بالعدل عليمٌ بهم.

﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ﴾ في العبادة ﴿كَلَّاۚ﴾ أي: ارتدعوا عن مقالكم ﴿بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ﴾ الذي ليس كمثله شيءٌ ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ بالانتقام ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ حكم بأن لا شريك له.

فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا، فوجدناه حقا؟ للكلمة التي سمعت من السماء.

وهذا الحديث من غرر الأحاديث، وقد رواه عكرمة عن أبي هريرة سماعا.

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٠٢، وهو اختيار الجرجاني صاحب النظم، كما في البسيط ١٨/ ٣٦٢.

(٢) تفسير ابن جرير ٢٠/ ٤٠٣، وهو اختياره، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥٣.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ يعني: لم نرسلك إلا إلىٰ الناس كافةً، يعني: لتكف الناس عن الكفر، يعني كافًا لهم عن ذلك، دخل الهاء للمبالغة في الوصف كعلامة ونسَّابة(١).

﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ للخلق من جابَلْقا إلىٰ جابَلْسا، جنِّهم وإنسِهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ من أهل مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٨﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٩﴾ الذي تزعم أنه كائنٌ، وَقِّتْهُ لنا وقتًا إن أنت صادق.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ﴾ إذا جاء وقته ﴿وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٠﴾ قبل مجيئه يعني القيامة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ يعني: القيامة، وقيل: كتب الأولين ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ متروك الجواب ﴿يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾ يعني: الجواب؛ يَردُّ السَّفلة إلىٰ الرؤساء والرؤساء إلىٰ السفلة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ من السفلة ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ يعني: ساداتهم ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ۝٣١﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ﴾ من الأتباع ﴿أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: صرفناكم عن البيان والبرهان ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُم﴾ محمد بالقرآن ﴿بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ۝٣٢﴾ كافرين بنِعَم الله.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ ليس كما تزعمون ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: كان خِداعكم إيانا في سواد الليل وبياض النهار ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ

---

(١) البسيط ١٨/ ٣٦٧.

أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾ أعدالاً وأشكالاً، ثم قال: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ﴾ يعني الرؤساء أسروا الندامة من السفلة.

وقيل: أظهروا الندامة التابع والمتبوع، عن الضحاك[١].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ أي: نشدّ أيديهم إلىٰ أعناقهم جميعًا ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ من خبيث الأعمال.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾ أي: مدينةٍ ﴿مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ جبابرتها لرسلهم ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ كما يقول قومك لك يا محمد، فلست ببدَع، يُعَزِّيه لكي يصبر علىٰ أذىٰ قومه.

﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ كما زعمتم ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ ويضيّق علىٰ مَنْ يشاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ من الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أنَّ البسط والقتر من الله وحده.

ثم علَّم رسوله كيف يجيبهم فقال: قل لهم ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ ذكر بالتي ولم يقل باللتين.

ومعناه: أموالكم التي ولا أولادكم التي، والزُّلفىٰ: القُرْبَة[٢].

ثم استثنىٰ المؤمنين فقال: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يعني لا تُقرِّب الأموال والأولاد إلا لمن آمن وعمل في طاعة الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ يعني: العشرة بالواحد لمن اتقىٰ الله مخلصًا ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ والغُرفات: العلالي فوق الأعمدة، آمنون من عذاب أهل النار[٣].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٩٢.

(٢) البسيط ١٨/ ٣٧٢.

(٣) البسيط ١٨/ ٣٧٥.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: يُكذِّبون بمحمدٍ والقرآن مُثبَّطين عن الإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨﴾.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ قليل أو كثير ﴿فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾ في الدنيا، وفي الآخرة التضعيف علىٰ قَدْرِ النيَّة ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ أفضل المُعْطين.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ العابد والمعبود ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠﴾ أي: بأمركم عبدتكم بنو خزاعة، أجابوا و ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾ مِنْ أين يكون لك شريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ﴾ أي: أنت ناصرنا دونهم، وقيل: عالم بنا وبافترائهم علينا وكذبهم ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ﴾ أي: أطاعوا الشياطين في عبادتهم إيانا ونحن لم نأمرهم بذلك.

قال السدي: كانوا يعبدون الجنَّ يَرَوْنَ أنهم الملائكة(١).

﴿أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾ أهل مكة مقرُّون بعبادة الجن.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾ يعني: لا يقدر الملائكة والجن إيصال النفع إلىٰ عابديهم ولا دفع الضرّ عنهم ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: تقول الخزنة لهم بأمرنا ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢﴾.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ﴾ يمنعكم ﴿عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ الذي يقرأ علينا محمد ﴿إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ﴾ كذب مختلق ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ به محمد، وهو القرآن، وقيل: الإسلام ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٤٣﴾ كذبٌ بيِّنٌ.

﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ﴾ يعني: لم يأت أهل مكة قبل القرآن من

---

(١) انظر: تفسير السمعاني ٤/ ٣٣٨.

الكتب ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ﴾ يا محمد ﴿مِن نَّذِيرٖ ٤٤﴾ يُنذرهم عقابنا.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ رسلهم كما كذَّبك قومُك ﴿وَمَا بَلَغُواْ﴾ هؤلاء في المال والقوة ﴿مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: عُشْرَ ما أعطيناهم من المال والعُمر والقوة، فأهلكناهم بما: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾ انظر كيف كان عاقبة إنذاري إياهم.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ أي: آمركم بذكر كلمة واحدة وهو الإخلاص.

وقيل: بخصلةٍ[1]، وهو ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ أي: وُحْدانًا ومثنىٰ ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ إيش رأيتم علىٰ محمد من علامة الجنون والكهانة والسِحر والشِعر ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾ إنْ عصيتم لقيتم ذلك.

﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾ يعني: لم أسألكم علىٰ أداء الرسالة شيئًا من الدنيا ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ مِنْ دعوتي وإجابتكم ﴿شَهِيدٞ ٤٧﴾.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: يرسل بالوحي إلىٰ الرسل ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٤٨﴾ في الأرض والسماء يعلم مَنْ يُجيب الرسل ومَنْ لا يُجيب.

﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: ظهر الإسلام وكثر أهله ﴿وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩﴾ في الباطل قولان: قيل: الصَّنَم، وقيل: إبليس[2].

وفي كلمة «ما» قولان: أحدهما: الاستفهام معناه: أي شيء يخلق الصنم أو الشيطان، وأي شيء يُعيد بعد الموت.

والقول الثاني: ما للنفي، أي: لا يخلقُ الصنم شيئًا ولا الشيطان ولا يُعيده.

---

(١) القولان في تفسير أبي الليث ٣/ ٩٥.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٩٥، الكشف والبيان ٢٢/ ١٣١.

قال الضحَّاك: لما فتح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة أخذ مِخصرةً، وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل ينكت من المخصرة صنمًا صنمًا، ويقول: «جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد»[(١)].

وقد قال لهم كفار مكة: قد ضل محمد حين ترك دين آبائه، فأنزل الله تعالىٰ[(٢)]: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾ الطريق إلىٰ الله ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ بالنبوة والقرآن ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لمَنْ دعاه ﴿قَرِيبٌ ۝﴾ بالإجابة.

وقيل: سميعٌ لردِّكم قريبٌ بإجابة دعائي.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ الفزع: انزعاج النفس بتوقع المكروه، وأراد به فزعهم عند البعث حين لا فوت من عذاب الله، وهو متروك الجواب، يعني: لو رأيت ذاك رأيت ما يعتبر به[(٣)].

﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝﴾ من بطن الأرض إلىٰ ظهرها.

وقال الضحَّاك: معنىٰ قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ الآية، يعني خسف البيداء، وذلك أنَّ السفياني يبعث جيشًا وهم ثلاثون ألف رجل إلىٰ الحرَم يريد خراب الكعبة، فلما بلغوا نادىٰ منادٍ: يا بيداء بيدي بهم، فلا ينجو منهم إلا بشير ونذير، البشير ينتهي إلىٰ مكةٍ يُبشِّرهم بهلاكهم، والنذير يرجع إلىٰ الشام قد جُعلت عيناه في قفاه،

---

(١) وقد رواه البخاري في الصحيح ٤٧٢٠ عن ابن مسعود.

(٢) ومن طرف ما ذكر أبو الليث في تفسيره ٣/ ٩٦: قيل للنابغة حين أسلم: أصبوت؟ يعني: آمنت بمحمد صلّىٰ الله عليه وسلم. قال: بلىٰ، هو غلبني بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل، فأردت أن أقول ثلاثة أبيات من الشعر علىٰ قافيتها، فلما سمعت هذه الآيات فعييت فيها ولم أطق، فعلمت أنه ليس من كلام البشر، وهي هذه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝﴾ إلىٰ آخر ثلاث آيات.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٢١، تفسير أبي الليث ٣/ ٩٦.

اسمه: ناجية، يمشي قهقري على عقبيه، حتى ينتهي إلى السفياني الخبيث، وإنما يملك تسعة أشهر، ثم خسف بهم الأرض بالبيداء، ولا مهرب لأحدٍ من الهلاك، فذلك قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١﴾[1].

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ يعني بالبيت، وقيل: بالعذب وقيل: بالله عند مُعاينة الهلاك ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ أي: تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ لأن المكان الذي يُقبَل فيه الإيمان بَعُدَ عنهم، وقد ضيَّعوا عُمرهم في الجحود.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ أي: بالله وبالعذاب من قبل حين توجَّهوا لخراب الكعبة ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يرضون بالشكِّ ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ أي بغير حُجَّة.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ بالبيداء بالخسف ﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من خراب البيت، وقيل: من قبول الإيمان﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ من الأمم الخالية ﴿مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ۝٥٤﴾ بالبعث.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقًا وصاحبًا»[2].

۞ ۞ ۞

---

(١) وروي عن سعيد بن جبير كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٤٢٢، وهذا الوجه ضعيف في تفسير هذه الآية، وقد بنى عليه المصنف باقي الآيات.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠١.

سورة الملائكة

مكيَّة[١]، وهي خمسٌ وأربعون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: الشكر والأُلوهية لله الذي هو خالق السماوات والأرض، والفاطر: الذي يُبدئ الشيء ولم يكن شيئًا.

﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ أي: يُرسل الملائكة بالوحي إلىٰ الأنبياء، وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ورضوان، وفي بعض التفْسير: الرعد والحفظة.

﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ أي: ذوي أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع، لبعضهم جناحان، وللبعض ثلاثة، وللبعض أربعة.

مثنىٰ وثلاث ورباع: في موضع خفض، ولكن نُصبت لعلَّتين، العدل، والتكرير في العدل، ومع العدل إنه معدول عن الثلاث والأربع والثاني: أنه نكرة فلا ينصرف[٣].

---

(١) وتسمىٰ سورة فاطر، وهي مكية بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٢/ ١٤٥، زاد المسير ٣/ ٥٠٥.

(٢) وفي المدني الأخير والشامي: أربعون وست (البيان في عد آي القرآن ٢١٠).

(٣) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٦١ حيث قال: معدول عن ثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، واثنين اثنين، فهذه علة، والعلة الثانية: أن عدوله وقع في حال النكرة. وانظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٤٣٤ فقد زاده بيانا.

﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ أي: يزيد في خلق الأجنحة بعد الأربعة ما يشاء من الجمال والدمامة[١].

وقيل: في الطول والعرض.

وقيل: الملاحة في العينين، ومعنىٰ قوله: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي: ملاحةً كانت في عينيه، فمن رآه أحبه.

وقيل: الأصوات والنغمات، وقيل: الشعر الحسن والخُلق الحسن[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ①﴾ من الزيادة والنقصان.

﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾ أي: ما يعطي الله عباده من عافيةٍ ورزقٍ ومطرٍ، وقيل: النبوة[٣] ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ ولا مانع ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ﴾ الله ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ②﴾ في جميع ما أرسل ومنع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ بإرسال رسولي إليكم وإدرار الرزق عليكم ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم﴾ يُمطر الماء من السماء، ويُنبت النَّبات من الأرض ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ يفعل ذلك ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ③﴾ كيف تجعلون له شريكًا بعد هذا البيان.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد بما جئتهم من البرهان ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ④﴾ يَجْزِ كلاً بعمله المؤمن بالإيمان والكافر بالكفر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ في البعث حقٌ كائنٌ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ

---

(١) وهذا هو المشهور عند العلماء، انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٤٣٦،

(٢) ذكر هذه الأقوال: أبو الليث في تفسيره ٣/ ٩٩، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ١٥١، والواحدي في البسيط ١٨/ ٤٠٠، وهي من غرائب الأقوال، والمعول علىٰ الأول.

(٣) والأول هو قول المفسرين كما قال الواحدي في البسيط ١٨/ ٤٠١.

﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ وبقاؤكم في زهرتها وغرورها عن الاستعداد للآخرة ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥﴾ يعني الشيطان وأباطيل الدنيا.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ يا بني آدم، يُحرِّضكم على المعصية حتى تستوجبوا النار ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ أمر فريضة من الله عزَّ وجل ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ أي: شيعته من أهل الكفر ﴿لِيَكُونُواْ﴾ معه في الآخرة ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ قالت رابعة البصرية: أجلّ آية في كتاب الله هذه الآية، لأنه قال: «إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوًا»، كأنه قال: أنا حبيبكم فاتخذوني حبيبًا[1].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ۝٧﴾ أي: ثوابٌ وافرٌ في الجنَّة.

ثم ذكر حال المطيع والعاصي فقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، معناه: مَنْ حَسُن في عينه؛ وحُبِّب في قلبه؛ قبح كفره ورآه حسنًا؛ أذهبت نفسك يا محمد عليهم حسرات[2] ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات بالحزن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يخذل من يشاء فلا يوفقه للإيمان ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ مَنْ كان أهلاً ﴿[فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ] إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨﴾ في كفرهم.

ثم دلَّهم على صُنعه فقال: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ وهي ريح الجنوب التي تلقح الشجر، وتُنزل المطر من السحاب بعد ما تنشئ السحاب

---

(١) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣٢٣: وكان الفضيل بن عياض يقول: يا كذاب يا مفتر، اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر. وقال ابن السماك: يا عجبًا لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه، وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ١٠١.

﴿فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ أي: يسوق المطر إلىٰ أرضٍ ميتةٍ ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ وقحطها وحولان الحول عليها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ بعد الموت.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ معناه: مَنْ كان يريد القوة والمنعة في الدنيا والآخرة فليتبع أمر الله، فللَّه العزَّة جميعًا حتىٰ يُعِزَّه الله في الدَّارين.

وقيل: مَنْ كان يريد أن يعلمَ أنَّ العِزَّة لِمَنْ هي فليعلم بأنَّ العزة لله جميعًا .

وفي آيةٍ أخرىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ نقول: وهذا ليس بتناقض، لأنَّ الله يُؤتي العِزَّة لرسوله ولأُمته.

ثم بيَّن عِزَّه فقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني: شهادة أن لا إله إلا الله ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ قيل: العمل الصالح يرفعه التوحيد لأنه لا يزكو عملٌ إلاَّ بالتوحيد.

وقيل: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب لأنه لا يُقبل قولٌ إلا بعملٍ. وقيل: معنىٰ قوله أي: الله تعالىٰ يرفعه[1].

﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: يكفرون بالله ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ في الآخرة، وقيل: هو مراءاة الناس[2].

﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ أي: فعلهم يَكْسُدُ عليهم لأنه كان لغير الله.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ﴾ ذكورًا وإناثًا ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ﴾ من امرأةٍ بولدٍ ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ ما في بطنها ﴿إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ يعلم الله مقدار مكثه ومُدة وضعه ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ لأنَّ الله تعالىٰ كتب لكل شيء عُمرًا ينتهي إليه، فكلَّما مضىٰ عليه ليلٌ أو نهارٌ

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٠١، تفسير السمعاني ٤/ ٣٤٩.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ١٠١.

نقص ذلك من عُمره، حتىٰ تبلغ أجلها، فالقليل والكثير من العُمر مكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ[١].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: حفظ ذلك يعني كتابه ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ﴾ العَذْب والمِلْح ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ طيِّبٌ شربه، ذكر الفرات بعد العذب للمبالغة في صفة العذوبة ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وهو المنتن الشديد المرارة ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ من العذب والملح، يعني السمكة ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ من اللؤلؤ والمرجان ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ وهو من الملح خاصة.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ مُقبِلَة ومُدْبرة، بريح واحدةٍ، والمخرُ: خَرْقها الماء [في جريها][٢]، والفُلك جمع فَلَك كالأُسد والأَسَد.

﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢﴾ أي: توحِّدون ربكم شُكرًا لنعمه.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى﴾ يعني: الشمس والقمر ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقتٌ معلومٌ ومنازلُ معروفةٌ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ والخزائن ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ أي: قَدْر قشر النواة الأبيض الذي فيه النواة[٣].

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٤٨.

(٢) هاهنا كلمة مصحفة، صورته: مجر حرها، وما أثبته من تفسير أبي الليث ٣/ ١٠٣، وفي كتب المعاني: المخر خرق الماء إذا مرت فيه (معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٨، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٦٦).

(٣) وهي اللفافة (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٦٦).

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ لدفع ضَرٍّ و جَرِّ نفع ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ مثلاً ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ من بغضهم إياكم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: عبادتكم، ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ بها، يعني الله عزَّ وجلَّ.

ثم عظَّم نفسه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلىٰ مغفرته ورزقه في الدنيا وجنَّته في الآخرة ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ هو الغني عن توحيدكم المحمود في فعاله.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلككم بعذابه ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ أطوع لله تعالىٰ منكم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك والإبدال ﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ شديدٍ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ يوم القيامة.

قال الضحَّاك: تقول الوالدة لولدها: يا بُني، حملتُك في بطني، وأرضعتك من ثديي، وربَّيتك صغيرًا في حجري، فيقول: يا أُمَّاه، ما الذي تريدين؟ فتقول: تحمل عنِّي وزري، فقد أثقلني وأكربني، فيقول: يا أُمَّاه إن عندي ما يُشغلني عنكِ، فذلك قوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(١).

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ مما حملت من الوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ يعني: لو كان المَدْعُوّ ذا قرابة أو ولدٍ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ينفع إنذارُك الذين يخافون البعث ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخمس ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: وحَّد الله ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: منفعة توحيده وصلاحه له يُجزَىٰ به في الجنة ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ في الآخرة.

---

(١) ونحوه عن عكرمة في تفسير أبي الليث ٣/ ١٠٤، وفي الكشف والبيان ٢٢/ ١٧٧ عن الفضيل مثله.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ١٩﴾ يعني: الكافر والمؤمن.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠﴾ أي: الكفر والإيمان.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ٢١﴾ الجنة والنار(١).

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ المؤمنين والكافرين في الطاعة والكرامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُفهمه الإيمان، مَنْ كان أهلاً ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ٢٢﴾ أي: كما أنك لا تسمع الأموات في القبور لا تُسْمِعُ الأحياء من الكفار(٢).

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣﴾ رسولٌ مُخوِّفٌ، وليس إليك الهداية والضلالة.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالإسلام ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٣) بالنار ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ [إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ] ٢٤﴾ أي: ما من جماعة من الأُمم الخالية إلا جاءهم رسولٌ مُنذرٌ.

ومَن مات في الفترة فالشمس والقمر والليل والنهار والمطر والسحاب والصيف والشتاء والموت والحياة كلها نذيرٌ له، إذا قال يوم القيامة: لم أبْصِرْ منك رسولاً؛ فيحتجَّ الله عليه بهذه الأشياء.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ في النبوة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ﴾ أي: كتب الأولين ومواعظهم ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ٢٥﴾ المُضيء.

---

(١) الكشف والبيان ٢٢/ ١٧٨، البسيط ١٨/ ٤١٥.

(٢) وفيه تشبيه الكفار بالأموات (الكشف والبيان ٢٢/ ١٧٩، البسيط ١٨/ ٤١٦).

(٣) في الأصل: مبشرا ومنذرا، والآية كما أثبت.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ أي: عذابي وانتقامي.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أيها الناظر في قدرة الله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي: بالمطر من الأرض ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ﴾ مَن بين أصفر وأخضر وأحمر وأبيض ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾ الجُدَد: الخطوط والطرائق التي تكون في الجبال[١]، بيض ﴿وَحُمْرٌ﴾ أي: بعضها بيض وبعضها حمر ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ ومنها جبالٌ، سودٌ واحدها: غربيب أسود وهو شديد السواد[٢].

﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ مُقدَّمٌ ومؤخرٌ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ﴾ كاختلاف الجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ﴾ وخشية الله رأس كل علم، فمن لم يخش الله فليس بعالمٍ[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في انتقامه ممن لم يُوَحِّدوه ولم يخشه ﴿غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ لمن خشيه. قال ابن مسعود: كفىٰ بخشية الله علمًا[٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ القرآن آناء الليل والنهار ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخمس ﴿وَأَنفَقُوا۟﴾ علىٰ الفقراء ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ﴾ بهذه العبادات ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: لن تكسُد.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ يعني: ليُكمل الله ثوابهم في الجنة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ الشفاعة، عن الضحَّاك قال: ليس مؤمنٌ إلا وله عند الله شفاعة.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٩، البسيط ١٨/ ٤١٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٦٢.

(٣) قال قتادة: كفىٰ بالرهبة علما (تفسير الطبري ٢٠/ ٤٦٣).

(٤) البسيط ١٨/ ٤٢١.

﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ للذنوب العِظام ﴿شَكُورٌ ٣٠﴾ للحسنة اليسيرة ومُجازي عليها.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الصِّدق من ربك ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ من الكتب المتقدِّمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ بمن يؤمن ومن لا يؤمن.

﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ ثم: كلمة عطف يُعطف بها علىٰ ما سبق ذكره.

سُئل الثوري: علىٰ ماذا عطف ثم؟ قال: عطفه علىٰ الإرادة الأزلية، والأمر المقضي.

وقوله: أورثنا الكتاب: أخَّرناه حتىٰ أكرمناهم به وبحفظه، الذين اصطفينا من عبادنا: وهم الأنبياء لا غير، فالظالم مثل آدم ويونس وموسىٰ، والمُقتصد مثل إبراهيم ويعقوب وإسحاق، والسابق بالخيرات مثل عيسىٰ ويحيىٰ ومحمد عليهم الصلاة السلام أجمعين(١).

وقال الصادق: بدأ الله بذكر الظالمين بعد الاصطفاء ليُعلم أن الظلم لا يُؤثر في الاصطفائية، ثم ثنىٰ بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحدٌ مكره، وأوجب الجنة للكل بحُرمة كلمة الإخلاص.

وروي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «ألا إن سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفورٌ له»(٢).

---

(١) علىٰ كثرة الأقوال الواردة في هذه الآية إلا إن هذا القول هو أضعفها، وكيف يكون من الأنبياء من هو ظالم، وقد اصفاهم الله وطهرهم، وإذا كان خير البرية إبراهيم مقتصد فما حال غيره، وهذا القول يعلم بطلانه بداهة ، وقد ذكه السمعاني في تفسيره ٤/ ٣٥٩ مختصرا.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٠٥ عن عمر بن الخطاب، وفي إسناده عمرو بن الحصين متروك، والحديث منكر.

وكان عمر رضي الله عنه كلما قرأ هذه الآية يقول: دخلوا الجنة عن آخرهم ورب الكعبة.

قال عبد الحميد غفر الله له: قد أكثروا في هذه الآية من الأقاويل ما لو استوفيناها كلها خرج الكلام عن شرط هذا الكتاب، ولكن لابد من ذكر ما هو الألطف والأعقل منها، وإن كان أكثر الأصول التي التقطتُ منها تقاصَرَ عنها.

قيل: الظالم الذي ارتكب الكبائر، والمقتصد الذي ارتكب الصغائر، والسابق الذي ترك الكبائر والصغائر.

وقيل: الظالم الذي ارتكب الذنوب ولم يتب، والمقتصد الذي ركبها وتاب، والسابق الذي لم يرتكب ولم يعص.

وقيل: الظالم جاهل غير عالم بأنه جاهل، والمقتصد جاهلٌ عالمٌ بأنه جاهلٌ، والسابق عالمٌ وعالمٌ بأنه عالم.

وقيل: الظالم مُريد الدنيا، والمقتصد مُريد العُقبىٰ، والسابق مُريد المولىٰ.

وقيل: الظالم علىٰ باب المولىٰ قارع، والمقتصد في داره جائع، والسابق في بيته قاعد.

وقيل: الظالم مقتولٌ بسيف القطيعة، والمقتصد مضروبٌ بسوط العقوبة، والسابق مُقيَّدٌ بقيد الوُصلة.

وقيل: الظالم غافل عن الله، والمقتصد طالب من الله، والسابق واجدٌ لله(١).

---

(١) انظر هذه الأقوال وزيادة في: تفسير أبي الليث ٣/ ١٠٧، الكشف والبيان ٢٢/ ١٩٩، البسيط ١٨/ ٤٢٥، تفسير السمعاني ٤/ ٣٥٨، زاد المسير ٣/ ٥١١.

ثم قال: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: ورثوا الكتاب بأمر الله وقضائه ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاصطفاء ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ من الله عزَّ وجل.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ جميعًا برحمة الله لا بأعمالهم ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ والأساور: الأقلبة ﴿وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾ غير مغزول ولا منسوج، بل هي أوراق أشجار علىٰ الصنعة التي يشتهونها.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ يعني: حَزن الموت، وذلك حين يُذبح الموت بين الجنة والنار، وقيل: حزن المعاش وهموم الدنيا، وقال الصادق: حزن الفراق والقطيعة(١).

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾ غفورٌ لذنوبنا شكورٌ لقبول اليسير من أعمالنا.

﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ أي: دار الدوام التي لا ظعن عنها ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ وإحسانه ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾ تعبٌ ومشقةٌ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾ وهو الإعياء من الطلب.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً لكفرهم ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾ في النار ليستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦﴾ بنعم الله تعالىٰ.

﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يُنادون: يا رب يا رب.

ولقد أحسن أبو بكر الوراق كل الإحسان حيث قال: رتب الله هذه الأمة علىٰ ثلاث طبقات؛ لأن أحوالهم علىٰ ثلاث: معصية ثم توبة ثم قربة، فإذا عصىٰ العبد كان ظالمًا لنفسه، ثم إذا تاب صار مقتصدًا، فإذا ثبت علىٰ التوبة دخل في السابقين.

(١) الأقوال في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٠٩، البسيط ١٨/ ٤٢٩.

قال ابن عباس: مقدار الدنيا من أول يوم خُلِقَتْ إلىٰ يوم أُفنيت، يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا﴾ من النار إلىٰ دار الدنيا حتىٰ ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ ونُودوا ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ في الدنيا مقدار ما يتَّعِظ به مَنْ أراد الاتعاظ، قيل: هو ستون سنة[1] ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ أي: الرسول فقالوا: بلىٰ، قيل لهم ﴿فَذُوقُواْ﴾ هذا العذاب أبدًا ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ مانع من عذاب الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: جميع ما غاب عن العباد علمُه، وذلك العِلم أنهم لو رُدُّوا إلىٰ الدنيا لعادوا إلىٰ كفرهم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾ أي: ضمائر القلوب من الخير والشر.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: سكانها بعد هلاك أهلها ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ التوحيد ﴿فَعَلَيۡهِ﴾ غدًا ﴿كُفۡرُهُۥۖ﴾ وعقوبته ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ﴾ بُغضًا.

وقوله: ﴿[وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا] خَسَارٗا ٣٩﴾ غبنًا بذهاب رؤوس أموالهم.

﴿قُلۡ﴾ لأهل مكة ﴿أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ﴾ ما تقولون لشركائكم ﴿ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأصنام ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ﴾ أي: مشاركة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وخلقها مع الله، يعني: هل لهم شركٌ مع الله إنْ كانوا آلهة كما تزعمون ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ﴾ بما تدعون فهم علىٰ بيانٍ مِن ذلك الكتاب بأنَّ مع الله شريكًا ﴿بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: ما يعد الظالمون ﴿بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠﴾ وباطلاً بذلك الكفر والجحود.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ لكيلا تزولا ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ

---

(١) الكشف والبيان ٢٢/ ٢١٥.

﴿أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي: بعد زواله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ حين قالت اليهود: عُزير ابن الله، وقالت النصارىٰ: المسيح ابن الله، وقول المشركين: الملائكة بناتُ الله، أمسك السماء عنده كيلا تتفطَّر، غفورًا متجاوزًا بتأخير العذاب[(١)].

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وجهد الأيمان: يمينٌ مؤكدٌ بالله، حلفوا أنَّه لو جاءهم نذيرٌ: أي رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ وهم اليهود والنصارىٰ، أي: يكونون أصوب دينًا وأسرع إجابةً منهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد عليه الصلاة والسلام، وقيل: هو انشقاق القمر، عن ابن عباس[(٢)].

﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيء الرسول والآية ﴿إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الهدىٰ والإيمان ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ احتياله في إهلاك محمد صلىٰ الله عليه وسلم في دار الندوة ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ أي: لا يرجع المكر السيئ إلا بالماكر، وهم الذين قُتلوا ببدرٍ فرجع المكرُ إليهم[(٣)].

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما ينتظر أهل مكة إلا العذاب، مثل عذاب الأُمم الماضية ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: تغييرًا ﴿وَلَن تَجِدَ [لِسُنَّتِ ٱللَّهِ]﴾ لها ﴿تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ عن الكفار، فعُذِّبوا بضرب الملائكة يوم بدر.

ثم وعظهم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كيف صار آخر أمرهم بعد تكذيبهم الرسل ﴿وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ بالبدن والمال، وهم عاد وثمود ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يسبقه ولا يفوته أحد من خلق أهل السماء والأرض، لكنه آخذ

---

(١) وهو قول الكلبي في تفسيره (تنوير المقباس ٣٦٨) وقد مضىٰ في خواتيم سورة مريم.

(٢) والأول قول قتادة، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٤٨٣، ولم يذكر سواه.

(٣) الكشف والبيان ٢٢/ ٢٢٤.

بناصيتهم، يميتهم ثم يحييهم ليوم القضاء ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ أي: عليهما بخلقه مقتدرًا عليهم.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ لو أراد الله أن يُعاقب الإنس والجن ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ من الشرك والمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي: ظهر الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: أحدٍ يدب على وجه الأرض ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في اللوح المحفوظ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ وقت هلاكهم بالعذاب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ لم يزل ولا يزال ﴿بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ بمن يهلك وبمن ينجو، وبمن هو صالحٌ أو طالحٌ.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة الملائكة دعتُه يوم القيامة أبواب الجنة يدخل من أي أبواب الجنة شاء»(١).

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ١٤٥، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٢.

سورة يس

مكيَّة إلا آية، وهي: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾[١].

وهي ثمانون وثلاث آيات في الكوفي، وآيتان[٢] في البصري والمدني[٣].

وعدَّ الكوفي ﴿يسٓ ۝١﴾ آيةً[٤].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿يسٓ ۝١﴾ ابن عباس: يعني يا إنسان بلغة طيء[٥].

وقيل: قَسَمٌ، أقسم بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم إنَّ القرآن من عند الله نزل[٦]، وهو بلغة الحبشة الحكيم الذي أُحْكِمَتْ آياته عن التناقض.

---

(١) كذا وقع عنده، وهو غلط أو تداخل، لأن هذه الآية من سياق قصة صاحب يس.
والآية المستثناة علىٰ قول هي: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢﴾ قيل: إنها نزلت في بني سلمة من الأنصار، كما سيأتي، كذا في أسباب النزول للواحدي ٣٨٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ١٤.
وقيل: بل هي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٤٧﴾، حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٥١٦.
ولم يستثن الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٣٣، ولا الداني في البيان ٢١١.

(٢) في الأصل: اثنان، وهو تصحيف.

(٣) وكذا الشامي (البيان ٢١١).

(٤) دون سائر أصحاب العدد (البيان ٢١١).

(٥) رواه الطبري في التفسير ٢٠/ ٤٨٨، لكن وقع عنده: بالحبشية، وهذا الصحيح عنه، لأنه من رواية عكرمة، وذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ١١٥، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٤٦ كما ثبت هنا، وهو من تفسير الكلبي.

(٦) وهو رواية علي عن ابن عباس، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٤٨٨.

وقيل: الحكيم بمعنىٰ الحاكم، يعني حَكَمَ علىٰ جميع الكتب بالنسخ.

وعن الحسن: معنىٰ يس: يا رجل[١].

وقال أبو سهل: إن الياء والسين مأخوذ من صفات الله عزَّ وجل في موضع الخفض، كأنه قال: بسم الله الرحمن الرحيم الأمين السميع.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ والحكيم: الذي يظهر الحكمة لما أنكر كفار مكة رسالة محمد صلىٰ الله عليه وسلم أقسم الله بالقرآن إنَّك لمن المرسلين إلىٰ الخلق أجمعين.

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ دين الإسلام، لأنَّ الأديان سوىٰ الإسلام غير مستقيمة ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ أي: القرآن منزلٌ من الرب المنيع في سُلطانه، الرحيم بالمؤمنين بغفر ذنوبهم.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ بالقرآن ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي: لم ينذر آباؤهم ولم يأتهم رسولٌ قبلك ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ عن الإنذار.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ [فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] ۝٧﴾ أي: وجبت السخطة علىٰ أكثرهم بقوله لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾.

ثم قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ قال مقاتل: كان أبو جهل حَلَفَ إن رأىٰ محمدًا ليدمغنَّه[٢] بالحجارة، فأتاه وهو يُصلِّي ومعه حَجَرٌ، فرفع الحَجَر علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيبست يده إلىٰ عنقه، والتزق الحَجَرَ في يده، فلما رجع إلىٰ أصحابه قال رجلٌ آخر: أنا أقتله، فلم أخذ الحجر وذهب طمس الله بصره، فكان يسمع قراءة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولا يراه،

---

(١) زاد المسير ٣/ ٥١٦.

(٢) في الأصل: ليدمغه.

فرجع إلىٰ أصحابه فلم يرهم حتىٰ نادوه، فعرف مكانهم، فذلك قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾(١) أي: أيمانهم في أعناقهم(٢).

﴿فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ يعني الأيدي إلىٰ الأذقان؛ لأنَّ الغلَّ يجمع اليد مما يلي الذقن والعُنق ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ المُقمح: الرَّافعُ رأسه، الغاضُّ بصره، وهذه صفة أبي جهل لعنه الله(٣).

ثم ذكر حال صاحبه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ حتىٰ لا يُبصروا(٤) رسول الله.

وقيل: جعلنا من بين أيديهم سدًا من أمر الآخرة ومن خلفهم سدًا من أمر الدنيا(٥).

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ عمَيْنَا أبصارهم ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ النور علىٰ الصراط.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ علىٰ أبي جهل وأصحابه ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بالقرآن وما فيه من شأن البعث ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ فقتلوا ببدر ولم يؤمنوا.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: ينفع إنذارك لمن آمن بالقرآن وعمل به، مثل أبي بكر وعُمر ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: خاف الله في الدنيا عند غيبة

---

(١) وهو قول الكلبي ومقاتل كما في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٤٨، البسيط ١٨/ ٤٥٤ ، والسياق الذي ساقه المصنف هو سياقهما، ووراه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٤٩٥، عن عكرمة مختصرا.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٧، وقد صدر في هذه الآية عنه.

(٣) وهو أن يحدر الذقن حتىٰ يصير في الصدر ثم يرفع رأسه في قول البصريين، وفي قول الكوفيين: الغاض بصره بعد رفع رأسه (تفسير الطبري ٢٠/ ٤٩٣).

(٤) في الأصل: لا يبصرون.

(٥) فتكون الآية علىٰ المثل، كما قال أبو عبيد: منعناهم عن الإيمان (الكشف والبيان ٢٢/ ٢٤٩).

القيامة ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبه ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ ثواب حسن في الجنة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ من كفار مكة وغيرهم ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ تكتب الحفظة بأمرنا ما أسلفوا وسنُّوا؛ سُنَّة خير أو شر يُقتدىٰ بهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم الصالح والسيئ ﴿أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ أي: حفظناه وبيَّناه في اللوح المحفوظ[1].

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ أي: مثِّل لهم مثلاً، يُقال: هذه الأشياء علىٰ ضربٍ واحدٍ، أي: مثالٍ واحدٍ، وفي يد فلان من هذا الضرب كثير، أي: هذا المثل.

يقول: مثِّل لأهل مكة مثل ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ وهم أهل أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝١٣﴾ وهم رُسل عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، وكانوا ثلاثة ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ رسولين اسم أحدهما: تَوْبَان، والآخر تالوس[2].

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ يعني: أهل أنطاكية بالرسالة ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوّينا الرسولين بثالثٍ اسمه شمعون، وقال شمعون: ﴿[فَقَالُوا] إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤﴾ أرسلنا إليكم ربكم الذي في السماء مُلكه، فقال مَلِكُهُم لشمعون: أرنا علامةً علىٰ رسالتكم، وكان للمَلِكِ ابنةٌ قد ماتت في تلك الأيام، فقال شمعون:

---

(١) روىٰ ابن جرير في التفسير ٢٠/ ٤٩٨ عن ابن عباس -من طريق عكرمة- قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا إلىٰ المسجد، فنزلت ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ فقالوا: نثبت في مكاننا اهـ وروىٰ ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري نحوه (كما في تفسير ابن كثير ٦/ ٥٦٦) وهذا مستند من استثنىٰ هذه الآية، وقال: إنها مدنية، وعقب الشيخ ابن كثير: فيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكمالها مكية.

(٢) كذا سماهم، وقيل: قاروص وماروص، وقيل: يحيىٰ وبولس، وقيل: تومن وكاروص (كما في تفسير أبي الليث ٣/ ١١٨، الكشف والبيان ٢٢/ ٢٦٤) وقيل: هم صادق وصدوق وشلوم (تفسير ابن كثير ٦/ ٥٦٨) وهذا كله من الأخبار الإسرائيلية.

علامة ذلك أن أُحيي لك ابنتك، ثم جاء بالملك إلىٰ قبرها، وضرب برجله علىٰ قبرها، وقال: قومي بإذن الله وأخبريهم أنا رُسُلُ الله، فخرجت من القبر وقالت: يا أهل القرية، آمنوا بهؤلاء الرسل، يغفر الله ذنوبكم ويُدخلكم الجنة، وإنْ كذَّبتم عُذبتم بالنار، ثم قالت: يا شمعون، رُدَّني إلىٰ مكاني، فإن القوم لن يصدقوكم، فوضع شمعون قبضة من ترابٍ وألقاه علىٰ رأسها، وقالك عُودي إلىٰ مكانك، فاستوت الأرض عليها، ولم يؤمن منهم إلا حبيب بن أُوريَا النجَّار، وكان من بني إسرائيل، وكذبوهم جميعًا غيره(١).

وَ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ من السماء من حياةٍ ولا بعثٍ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥﴾ ما أنتم إلا كاذبون.

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦﴾ فإن أنتم كذَّبتمونا (٢)﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧﴾ وهو الإعلام عن الله.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تشاءمنا بمجيئكم بنُقصان ثمارنا وانقطاع الأمطار عنَّا ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾ عن مقالتكم ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨﴾ وهو القتل.

﴿قَالُوا۟﴾ يعني الرسل ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ قحطكم وشؤمكم مكتوبٌ عليكم لازم.

قوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ مختصرٌ، معناه: أن دعوناكم إلىٰ الله ووعظناكم، أو: دعوناكم إلىٰ التوحيد تطيَّرتم بنا ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩﴾ مشركون.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١١٨.

(٢) في الأصل: فما علينا.

﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ وهو حبيبٌ الذي أسلم، وقال للقوم: هل يسألونكم على ما دعوكم إليه من أجرٍ؟ فقالوا: لا، فـ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ أي: جُعْلاً على ما فعلوا ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٢١﴾ على دين الأنبياء.

فقالوا له: أتركت ديننا واتَّبعت دينهم؟ فقال: نعم ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢﴾ للمجازاة ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ بأمركم ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ بشدةٍ أو مرضٍ أو فقرٍ ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ في كشف الضُرّ عني ﴿وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣﴾ أي: لا يُنجوني مما أنا فيه ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ خسرانٌ بيِّنٌ إن فعلت ذلك بأمركم ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥﴾ وجعل إصبعيه في أذنيه، ونادى بالإيمان، فأخذوا القدوم من يده ونجروا به وجهه ورأسه حتى مات، ونادى المَلِك: لا يبقى أحدٌ منكم إلاَّ يضربه بآلته لعمله، إنْ كان قصَّارًا فبالمدقَّة، وإنْ كان قصَّابًا فبالشفرة، وإنْ كان إسكافًا فبقالب الأساكفة حتى يموت(١).

[﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾] فلما ذهبت روحه إلى الجنة، وعاين ما فيها من النعيم ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أي: ليت شِعري علم أهل أنطاكية بأي شيءٍ غفر لي ربي، يعني: التوحيد ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾ بالشهادة والجنَّة.

قيل: ينبغي للمؤمن أن يكون ناصحًا ربه في دينه، مشفقًا على عباده، رحم الله حبيبًا قتلوه ونجروه، فلما دخل الجنة نصحهم بهذه النصيحة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لم

---

(١) الكشف والبيان ٢٢/ ٢٦٧.

نَنزل علىٰ أهل أنطاكية بعد قتل حبيب جُندًا من الملائكة لإهلاكهم وتعذيبهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨﴾ قبلهم أيضًا، عن مقاتل.

يعني: لم ننزل جندًا من الملائكة إلىٰ شيءٍ من الأُمم لتعذيبهم ولم يحتج إليه[1].

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ من جبريل ليس لها مثنويَّة، أخذ بعضادتي باب مدينتهم ثم صاح بهم صيحة ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ۝٢٩﴾ ميِّتون كالرماد الخامد[2].

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ من أهل أنطاكية، منصوبٌ لأنه منادىٰ مُنكَّر موصوف، كما يُقال: يا راكبًا علىٰ الفرس، ويا رجُلاً في الدار.

معناه: يا حسرةً علىٰ العباد أقبلي[3]، فإنه أوانك[4].

والحسرة منهم عليهم، ومثله: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ﴾ و﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾، والحسرة: هو أن يلحق الإنسان شدَّة ندَم لا نهاية بعده، حتىٰ يبقىٰ حسيرًا[5].

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٣٠﴾ [6].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٢١.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٧٣.

(٣) في الأصل: أقبل.

(٤) التبيان ٢/ ١٠٨١. والمعنىٰ: يا حسرة علىٰ العباد من أنفسها (تفسير الطبري ٢٠/ ٥١١) فالمتحسرون هم العباد المهلكون.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٥، البسيط ١٨/ ٤٧٤.

(٦) هذا السياق الذي ذكره المصنف في قصة صاحب يس في مدينة أنطاكية عليه مؤاخذات، ذكرها الحافظ ابن كثير فقال (في تفسيره ٦/ ٥٧٣): وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه

القرية هي أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح، عليه السلام، كما نص عليه قتادة وغيره، وهو الذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره، وفي ذلك نظر من وجوه:

أحدها: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل، لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ إلى أن قالوا: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله أعلم.

ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا!.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح؛ ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بتاركة، وهن القدس لأنها بلد المسيح، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والإسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين؛ ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأطده.

ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البترك من رومية إليها، كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين، فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت، فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم، فالله أعلم.

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف: أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن العظيم قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا.

أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا الحسين بن أبي السري العسقلاني، حدثنا حسين الأشقر، حدثنا ابن عيينة، عن ابن أبي

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ بالعذاب، مثل قوم نوح وقوم هود وصالح ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٣١﴾ أبدًا بعد الهلاك فيتوبوا، أو يرجعوا إلىٰ الحق، وقد قيل: إن القرن ثمانون سنةً.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٣٢﴾ أي: ما كلٌّ إلا سيحضرون لدينا في الآخرة.

ولَمَّا: بمعنىٰ إلاَّ بالتشديد، وإن قُرئ: بالتخفيف فما صلة وزائدة[1].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ أي: هي علامة البعث ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣﴾ أي: من الحبِّ يأكلون وبه يعيشون، فكذلك يكون بعثهم بماء الحيوان.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ أي: في الجِنان ﴿مِنَ الْعُيُونِ ۝٣٤﴾ علىٰ وجه الأرض.

﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾ أي: ثمر الجنان، لأنَّ جمع المؤنث يُذكَّر، وقيل: من ثمر المذكور، فالكناية ترجع إلىٰ المذكور[2]. وقيل: ثمر الماء[3]، والله أعلم.

نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «السبق ثلاثة: فالسابق إلىٰ موسىٰ يوشع بن نون، والسابق إلىٰ عيسىٰ صاحب يس، والسابق إلىٰ محمد علي بن أبي طالب»، فإنه حديث منكر، لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر، وهو شيعي متروك، والله أعلم.

(١) قرأ بالتشديد: ابن عامر وعاصم وحمزة وابن جماز: لـمَّا، وقرأ الباقون بالتخفيف: لـمَا (النشر ٢/ ٢٩١)، وقد صدر المصنف عن معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٦.

(٢) وهما بمعنىٰ، لأن المذكور أشجار الجنات، وهذا القول الذي حكاه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٥١٥، وأبو الليث في تفسيره ٣/ ١٢٢.

(٣) وهو غريب.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قيل: ما بمعنى الجحد، يعني: لم تعمله أيديهم ولكن جعلناها لهم[١].

وقيل: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم[٢].

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هذه النعم.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ الأصناف من النبات والحيوان ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من ذكرٍ وأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من مخلوقات الله في السماء والأرض، ومن سكان البر والبحر.

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ﴾ المُظلم ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ المُضيء، أي: ننزع من الليل النهار عند انفلاق الصبح ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ داخلون في الظلام، الباقون[٣] في الظُلمة؛ لأنَّ الله تعالىٰ خلق الظُلمة قبل النور، ثم خلق النور، فالأصل هي الظُلمة، وعند انصداع الصبح يزيد الضياء قليلاً قليلاً، كأن النهار يخرج من الظلمة[٤]، ولهذا قال ذو الرِّمَّة بيت شِعر:

فغلَّستْ وعمودُ الصبح منصدعٌ   عنها[٥] وسائره بالليل محتجبُ[٦]

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: مجراها ومنازلها من حيث تطلُع إلىٰ حيث تغرُب.

(١) زاد المسير ٣/ ٥٢٣.

(٢) أي أن ما موصولة.

(٣) كذا، وأظن الصواب: أي باقون، ولكن تصحفت عليه.

(٤) البسيط ١٨/ ٤٨٢.

(٥) في الأصل: منها، وهو تصحيف، والتصحيح من الديوان.

(٦) ديوان ذي الرمة ١٤.

أبو سهل: إلىٰ أقصىٰ منازلها من الصيف والشتاء، ثم تعود إلىٰ أول منازلها، ويجوز ذلك وإن لم يكن لها مستقر، كالمسافر مرَّ علىٰ المنزل ولم ينزل، لا يزول عن المنزل اسم المنزل.

وقيل: مستقرها الموضع الذي لا تُجاوزه ثم تعود(١).

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ العزيز المنيع في قدرته، العليم بمصالح العباد والبلاد.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ أي: قدَّرنا له ﴿مَنَازِلَ﴾ لكل ليلة منزل، إلىٰ مائة وعشرين ليلة، ثم يستسرُّ ليلتين إن تمَّ الشهر، وإن نقص فليلةٌ، فللشمس مائة وثمانون منزلاً للبدْأ والعود مثلها، فذلك ثلاثمائة وستون منزلاً، وخمسة أيام وربع يومٍ كسور ساعات، فيما بين ذلك لتَتِمّ السنة الشمسية ثلاثمائة وخمس وستون يومًا وربع يوم، علىٰ حساب أهل الروم، وعلىٰ حساب أهل فارس: سُدُس يوم.

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩﴾ يعني القمر صار في تقوُّسه كأصل العذق من النخلة، وهو من الموضع الذي يُقطع عنه الشماريخ(٢).

والقديم: الذي يبُس، شبَّهه به لأنَّه لا يوجد إلا متقوسًا، والعُرجون فعلون من الانعراج.

---

(١) وفي صحيح البخاري ٣١٩٩، وصحيح مسلم ١٥٩: عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتىٰ تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾».

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٨، البسيط ١٨/ ٤٨٥.

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ معناه: لا الشمس تطلُع قبل أن ينفضَّ سلطان القمر، وسلطان القمر هو الليل، أي: لا ينبغي للشمس أن تجري في الليل الذي هو سلطان القمر ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ أي: لا يُدرك سوادُ الليل ضوءَ النهار، ولا يطلع في سُلطانه، ولأنَّ القمر أصله النور- ونور القمر في النهار لا يكون، ولا يُقال: يومٌ أَقْمَرْ، كما يُقال: ليلة قمراء ومقمرة، والليل إذا تراكم فيه السحاب حتىٰ غطَّىٰ القمر لا يُقال: ليلة قمراء؛ وإن كان القمر فيه طالعٌ- عُلِمَ أنَّ معنىٰ القمر هو النور، فلا تغلب الشمس نور القمر في سُلطانه وهو الليل، ولا الليل يغلب سُلطان الشمس وهو النهار[1].

وقيل: معنىٰ قوله: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ أي: لا ينبغي للشمس أن تُدرك نقصان القمر فتراه ناقصًا، وذلك أنَّ الله تعالىٰ لما قبض نور القمر سأله القمر أنْ لا ترىٰ الشمسُ نقصانَه، فقضىٰ الله تعالىٰ أن يدور مع الشمس دورانه، فكلما طالعته الشمس وقابلته أقبل القمر عليها بالجانب الذي لم ينتقص نوره، كيلا ترىٰ الشمس نقصانه.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ ولم يقل يَسْبَحَان، لأنه تطلُع وتغرب معهما كواكب.

والسَّبْحُ: هو الجري مع الانبساط كجري السابح في الماء[2].

قال مقاتل: يدخلان تحت الأرض من جانب المغرب، ثم يخرجان من تحت الأرض بجانب المشرق، فيجريان في السماء ثم يغربان في الأرض، فهذا دأبهما إلىٰ القيامة[3].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٢٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٨.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٨٧.

قيل: في الشمس والقمر آية البعث وآية الوحدانية.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(١) مع آبائهم في السفينة، والذرية في كلام العرب تقع على الآباء والأولاد والنساء، لأنها مأخوذة من ذرأ الله الخلق(٢).

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يعني: سُفنًا، مثل سفينة نوح، يعني به الإبل وأنها سفن البر.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ عند الإغراق ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا﴾ ولمتاعٍ ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ منفعة إلى انقضاء الأجل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من أمر الآخرة واستعدوا لها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ أي: ما بقي من آجالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ولا تُعذَّبون.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ مثل انشقاق القمر وغيره ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ مكذِّبين بها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ على الفقراء المحتاجين من أموالكم، قال الكافرون للمؤمنين: أليس الله أعطانا المال -بزعمكم- وحرَمَهم، فقالوا: نعم، فـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ فكيف تأمروننا في إطعام من لم يطعمه الله، وهو أرحم الراحمين ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ فيما تأمروننا بالإنفاق على الفقراء.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ بكوْنِه، وقِّتوه لنا.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ من صيحات إسرافيل لا مثنوية لها ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ تقبض أرواحهم، وهم يتبايعون في أسواقهم ويتنازعون.

---

(١) في الأصل: ذرياتهم، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب (النشر ٢/ ٢٧٣).
(٢) البسيط ١٨/ ٤٨٨.

وأصل الكلمة: يختصمون، فوقعت حركة التاء على الخاء، وأُدغمت التاء في الصاد[١].

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ [تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ] ﴿٥٠﴾﴾ مَنْ كان منهم في المنزل لا يستطيع الوصية، ومَنْ كان في السُّوق لا يستطيع الرجوع إلىٰ المنزل.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ أي: من القبور إلىٰ الموقف يُسرعون، حينئذٍ ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ لأنه رُفِع عنهم العذاب بين النفختين، فلما عاينوا القيامة وأهوالها دعوا بالويل[٢].

والمرقد: هو موضع النوم[٣].

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وهذا قول المؤمنين، وقيل: هذا قول الملائكة للمكذبين.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ ليس لها ثانية ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ للحساب، لم نغادر منهم أحدًا، المعنىٰ: أنَّ إهلاكهم بصيحةٍ وإحياءهم بصيحةٍ[٤].

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من عملها ولا تُنتقص ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ [إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾]﴾ النار إلا الكفرة الذي عمله[٥].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٠، البسيط ١٨/ ٤٩٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٣١، البسيط ١٨/ ٥٠٠.

(٣) قال أبي بن كعب: ناموا نومة قبل البعث (تفسير الطبري ٢٠/ ٥٣٢).

(٤) في هامش الأصل: فإن قلت: إن الكافر لا قرب له عند الله، ما معنىٰ حضور الكافر عند الله؟ قلنا: المراد في القرب قرب الحساب لا قرب الكرامة.

(٥) كذا في الأصل، وفيه خلل، صوابه: ولا يجزىٰ النار إلا الكفرة جزاء الذي عملوه.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وقُرئ: «فَكِهون»[١]، ومعناهما الفرح وطيب النفس[٢].

قال مقاتل: اشتغلوا عن أهل النار بافتضاض الأبكار[٣]، فاكهون مُعجبون بما هم فيه.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ وهو جمع ظلٍّ، ومَنْ قرأ: «في ظُلل»[٤]، جمع ظُلَّة في الخيام والأشجار ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ مع الحور العين[٥].

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ من ألوان الثمار ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يتمنَّوْن ويسألون.

﴿سَلَٰمٌ﴾ أي: لهم سلامٌ ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ عاطف عليهم، وقيل: سلامٌ بدلٌ عمَّا يدَّعون، أي: يتمنون سلام الله فوجدوا مُنيتهم.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ فإن أصحاب الجنة اليوم في شغلٍ فاكهون.

ثم قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ علىٰ ألسنة الرُّسل وبعثهم إليكم ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ أي: لا تطيعوه بعبادة الأوثان ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ وألم أوصيكم بأن: وَحِّدوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ هذا الذي أوصيكم به طريقٌ مستقيمٌ، وغيره من الأديان مائلٌ.

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر (النشر ٢/ ٣٥٥).

(٢) وهما لغتان، كالفاره والفره، الكشف والبيان ٢٢/ ٢٨٩.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٨٩، وروي عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٥٣٥، والمراد التمثيل علىٰ النعيم.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف (النشر ٢/ ٣٥٥).

(٥) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٣٨.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ﴾ عن الهدىٰ ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ من الأمم السالفة قبلكم، يعني: قرونًا، عن الكلبي(١).

وجموعًا، عن قتادة(٢).

وقال الضحاك: الجُبُل عشرة آلاف أقله، وأكثره لا يُحصيه إلا الله(٣).

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ۝٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ تقول لهم الخزنة: هذه جهنم ﴿ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤﴾ جزاءً بما كنتم تكفرون نِعم الله.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ بعد ما جحدت ألسنتهم ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ بما مسَّت ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ بما مشت إليه، وهو قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطَّمْس: هو محيُ الشيء حتىٰ يذهب أثره(٤)، والاستباق: هو طلب السَّبْق إلىٰ طريق النجاة، ولا بصر لهم(٥).

﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۝٦٦﴾ وقيل: استبقوا الصراط إلىٰ منازلهم فلا يهتدوا.

وقيل: لو نشاء لطمسنا أعين ضلالتهم حتىٰ اهتدوا، واستبقوا الصراط، يعني الإسلام، فأنَّىٰ يُبصرون: أي كيف يبصرون ولَمْ نشاء ذلك.

---

(١) الذي في تنوير المقباس عنه: خلقا.

(٢) وعن مجاهد: خلقا (تفسير الطبري ٢٠/ ٥٤٣).

(٣) تفسير السمعاني ٤/ ٣٨٥.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٣، الكشاف ٤/ ٢٤.

(٥) البسيط ١٨/ ٥١٢، الكشاف ٤/ ٢٥.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ أي: جعلناهم قِردة وخنازير في منازلهم[١].

وقيل: جعلناهم كُسْحًا يترددون، والأكسح هو المقعد[٢].

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يعني: مشيًا قدامهم ولا رجوعًا خلفهم.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ [فِى ٱلْخَلْقِ]﴾ يعني: مَنْ نُطَوِّل عُمره فصار بدل قوَّته ضعفًا، وبدل شبابه هرَمًا لكيلا يعقل بعدما كان عاقلاً ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ هذه العبرة، فيُوِّحدون هذا الرب الذي يُعقل هداه.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ جواب أهل مكة حين قالوا: إنَّ محمدًا شاعرٌ كذَّابٌ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ الشِعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو الذي يأتيكم به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ [وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ] ﴿٦٩﴾﴾ للعالمين يعظهم به.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: عاقلاً عن الكلبي[٣]، ومَنْ كان مهتديًا في علم الله، عن مقاتل[٤].

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أي العذاب في الآخرة ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ معناه: لم نكل خلقها إلىٰ غيرنا، فمنزلتها في الخلق كمنزلة ما عمله العباد بأيديهم.

---

(١) والمسخ تحويل الصورة (الكشف والبيان ٢٢/ ٢٩٩).

(٢) وهو معنىٰ قول الحسن (زاد المسير ٣/ ٥٣٠).

(٣) وهو قول الضحاك، كما في تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٠.

(٤) البسيط ١٨/ ٥٢١، زاد المسير ٣/ ٥٣١. وهو معنىٰ قول قتادة: حي القلب حي البصر (تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٠).

واليد معناها على أربعة أوجهٍ: الجارحة، والقوة، والنعمة، وبمعنى تحقيق الإضافة، كما يُقال: لفلانٍ عندي يدٌ بيضاء، أي نعمة وكرامة.

والمعنى: عملناها بقدرتنا نعمةً لهم منا(١).

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ يعني: الأنعام ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ يركبون البعض ويأكلون البعض.

﴿وَلَهُمْ﴾ في الأنعام ﴿فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ سوى الركوب والأكل، ينتفعون بأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ يشربون ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ هذه النِّعم.

﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ يعني كفار مكة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤﴾ رجاء الشفاعة في الآخرة، ولكن الأصنام ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ مَنْعهم من العذاب ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾ يعني: أهل مكة للأصنام ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝٧٥﴾ خدمٌ يخدمونها ويتعصبون عنها.

ثم عزَّى رسوله فقال: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تكذيبهم إياك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦﴾ من عداوتك وتكذيبك.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أولم يعلم الكافر أنا خلقناه من نطفةٍ ضعيفة في الرحم، لا مخلص لأبيه ولا لأُمِّه إلى تسوية خلقه، خلقناه سويًا في ظلماتٍ ثلاث ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ جدِلٌ بالباطل، مُبينٌ ظاهر الجدل في الله عز وجل، لأجل وثنه.

---

(١) أي: مما تولينا خلقه وإبداعه بأيدينا (السمعاني ٤/ ٣٨٧) واليد غير القدرة، وتفسيرها بالقدرة تأويل لهذه الصفة.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ وذلك أنَّ أُبي بن خلف أخذ عظمًا باليًا ففتَّه بيده، وذرَّاه في الريح، وقال: عجبًا من محمد، يزعم أنَّ ربه يُحيي هذا العظم الرَّميم ويُعيد فيه الروح، فنزلت الآية: «وضرب لنا مثلاً» بالعَظْم البالي «ونسي خلقه» حين ابتُدِئ من ماءٍ مهينٍ(١).

﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ ولم يقل رميمة، لأنَّه فعيل بمعنىٰ مفعول.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ في الآية دليلٌ علىٰ صحة القياس، لأنَّ الله تعالىٰ أقام الحُجَّة عليهم، وأراهم قياس النشأة الثانية علىٰ النشأة الأولىٰ، وأنه تكرَّم علىٰ مَنْ أقرَّ بالأولىٰ أن يُقِرَّ بالثانية، لأنَّ الثانية ليست بأعجب من الأولىٰ، ثم زاد في البيان فقال:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ فالشجر: معناه الجمع، لأنَّ واحده الشجرة، ولكن لفظه ليس بلفظ الجمع، فذكر بعثه علىٰ لفظه، ثم قال بعد ذلك: ﴿مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾ وقال في سورة النحل: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠﴾ ثم قال في سورة الواقعة: ﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٥٣﴾ أنث الشجر ههنا لمعنىٰ الجمع، كما قال في موضعٍ آخر ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ وتارة ذكره باعتبار اللفظ ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠﴾.

ومعنىٰ الآية: أنَّ أهل مكة إذا سافروا حملوا مع أنفسهم قطعتين من خشب المَرْخ والعُفَار؛ فإذا نزلوا منزلاً واحتاجوا إلىٰ النار، مسحوا إحداهما علىٰ

---

(١) وممن قال إن هذه الآية نزلت في أبي بن خلف: مجاهد وقتادة، رواه الطبري ٢٠/ ٥٥٣.
وقيل: بل: نزلت في العاص بن وائل، وهو قول سعيد بن جبير، وشذ العوفي فروىٰ عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن أبي فصارت الآية مدنية في زعمه، ولأجل ذلك لا يعتمد الناس علىٰ رواية العوفي عن ابن عباس.

الأخرىٰ، فخرجت النار منهما، قال الله تعالىٰ: لمَّا قدرتُ أنْ أجمع بين ثلاثة أضداد، الماء والنار والخشب، لأنَّ خضرة الشجر بالماء، وفيه نارٌ وهو خشب، فلا النار تحرق الخشب، ولا الماء يطفئ النار، فكيف لا أقدر علىٰ إحيائكم بعد موتكم(١).

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ خلقًا بعد خلقٍ ﴿بَلَىٰ﴾ يخلقهم للبعث بعد البلىٰ ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ يعني الباعث العالم بالخلق.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ يعني أراد كون شيءٍ من الخلق والبعث وغيره ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ كما أراد في طرف العَيْن، ولا شيء أعجل منه، ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من البعث وغيره.

وقال الكلبي: خزائن كل شيءٍ.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله أنه قال: «مَنْ قرأ سورة يس يلتمس بذلك بركتها إيمانًا واحتسابًا إن كان جائعًا أشبعه الله، وإن كان ظمآنًا سقاه الله، أو عاريًا كساه الله، أو خائفًا أمَّنه الله، أو وحشيًّا آنسه الله، أو مديونًا قضىٰ الله تعالىٰ دَيْنه»(٢).

وبلغنا عن أبي بكر الصديق أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «إن سورة يس تُدعىٰ في التوراة المُعِمَّة» قيل: وما المُعِمَّة؟ قال: «يَعُمّ صاحبها بخير

---

(١) انظر: الكشف والبيان ٢٢/ ٣١١، البسيط ١٨/ ٥٢٨، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٥٩.

(٢) هذا جزء من حديث أبي بن كعب الطويل في فضائل سور القرآن، لكن صياغته مختلفة عما في المصادر، وأقرب الألفاظ له، لفظ المستغفري في فضائل القرآن ٨٨٠، وهو حديث موضوع.

الدنيا والآخرة، ويُكابد عليه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتُدعا المُدافِعَة القاضية، تدفع عن صاحبها كل سوءٍ، ويُقضىٰ له كل حاجة، ومَنْ قرأها عدلت له عشرون حِجَّة، ومَنْ سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومَنْ كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواءٍ، وألف نور، وألف يقين، وألف بركة، وألف رحمة، ونزعت كل غلٍّ وداءٍ»(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٢٣٦، والمستغفري في فضائل القرآن ٨٧٥، وهو حديث موضوع ، فيه الجدعاني متروك الحديث.

سورة الصافات

مكيَّة[١]، وهي مائة واثنتان وثمانون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾ هم الملائكة تصُفُّ بأجنحتها في الهواء واقفة فيها حتىٰ يأمرها الله بما يُريد.

وقيل: صفوف الملائكة في الصلاة[٣].

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢﴾ مَلَكٌ اسمه الرَّعد، يزجر السحاب بصوته ليسوقه إلىٰ البلدة التي أُمر أن يمطر بها، والبرق: مِخْراقٌ من نارٍ يسوق به السحاب[٤].

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ جبريل وغيره من الملائكة يتلون كلام الله علىٰ الأنبياء.

وقيل: الصَّافات هم صَف الغُزاة يحاربون في مقابلة العدو، والزَّاجرات زجرًا: يزجرونهم عن الكفر بالمقاتلة معهم، والتاليات ذكرًا: يُكبِّرون الله في صفوف القتال[٥].

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤﴾ هذا موضع القسم لأنَّ أهلَ مكة كانوا يقولون: أجعل الآلهة إلـٰهًا واحدًا، فأقسم الله بها: إنَّ إلهكم لواحدٍ[٦].

---

(١) اتفاقا، الكشف والبيان ٢٢/ ٣١٥، البيان ٢١٢، زاد المسير ٣/ ٥٣٥.

(٢) وفي عد البصري وأبي جعفر آية (البيان ٢١٢).

(٣) لم يختلفوا أن الصافات هي الملائكة تصف لربها (تفسير الطبري ٢١/ ٧).

(٤) انظر: تفسير سورة الرعد.

(٥) وهذا بعض قول قتادة كما في تفسير الطبري ٢١/ ٩، وانظر: تفسير أبي الليث ٣/ ١٣٥.

(٦) الكشف والبيان ٢٢/ ٣١٩، البسيط ١٩/ ١٢، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٦٢.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا﴾ أي: جعلنا الكواكب حفظًا، وحفظنا السماء حفظًا ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ والمارد: المتجرد عن الخير شديد الفساد، وسُمِّي الأمرد أمردا لتجرُّد وجهه عن الشَّعْر.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ من الملائكة من تدبير السماء ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ بالرَّجم ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ [دُحُورًا]﴾ طردًا، ترجمهم الملائكة بالكواكب، وتُبعدهم عن استراق ما يكون من الوحي، أو ما يصيب أهل الأرض من خَصْب أو قحط، أو وباءٍ أو سلامة، ويحجبونهم عن ذلك بالكواكب الثواقب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ أي: للشياطين الذين يستمعون ذلك، وهم الذين خرجوا من دُبُر إبليس.

عذاب واصب: دائم، وصبَ على الأمر ووظب بمعنى، وقيل: واصب موجعٌ من الوصب وهو الوجع[(١)].

ثم قال: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ [فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ]۝١٠﴾ وفيه تقديمٌ، معناه: لا يسمعون إلى الملأ الأعلى إلا من خطف الخطفة فأتبعه، أي: على إثره.

والشهاب: كل عودٍ أُشعل فيه النار، والثاقب الوقَّاد المضيء[(٢)].

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: سلهم يا محمد ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي: بعثًا في الآخرة بعد الموت ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ من الملائكة والسماء والأرض، كما سألهم في سورة النازعات: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧﴾، ثم أخبر عن خلق الإنسان فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ لاصق، يعني: آدم، وجعلنا منه ذرية مثلهم،

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٩.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ١٨.

فالثاني ليس بأعجب من الأول[١].

﴿بَلۡ عَجِبۡتَ﴾ يا محمد من نزول الوحي وتكذيب قومك إياك ﴿وَيَسۡخَرُونَ ١٢﴾ منك حين تذكِّرهم البعث.

وقُرئ: «بل عجبتُ»[٢]، والعجب من الله تعالىٰ هو إنكارٌ لفعل العباد، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ﴾، ومعنىٰ العجب من الله تعالىٰ أن يقول: عظم حلمي وإنكاري عليهم ومهلتي إياهم عند تكذيبهم إياك[٣].

وقيل: وقع تكذيبهم إياك في البعث عندي موقعًا لو وقع من مخلوقٍ لعجب.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣﴾ أي: وُعظوا لا يتَّعظون ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ﴾ مثل انشقاق القمر وغره ﴿يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤﴾ أي: يستهزئون.

وقُرئ في الشاذ: «يستسحرون»، أي يَعُدُّونه سِحرًا[٤].

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ﴾ ما هذا ﴿إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥﴾ يعني: انشقاق القمر سِحرٌ ظاهرٌ[٥].

﴿أَءِذَا مِتۡنَا﴾ وصرنا ﴿وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا﴾ أي: صارت العظام نخرةً، واللحوم ترابًا ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦﴾ يُبعث[٦] ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧﴾ قالوا ذلك تعجبًا.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢٠، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٢٧.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء (النشر ٢/ ٣٥٦).

(٣) وهو معنىٰ قول الطبري في تفسيره ٢١/ ٢٣، والزجاج في معاني القرآن ٤/ ٣٠٠، ونحوه في تفسير السمعاني ٤/ ٣٩٤.

(٤) القراءة في اللباب لابن عادل غير منسوبة ١٦/ ٢٨٦.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ١٣٨.

(٦) في الأصل: فصل بين أو وَ آباؤنا بـ: يبعث.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ۝١٨﴾ يعني: تُبعثون صاغرين ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني: صيحة واحدة من إسرافيل ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩﴾ إلىٰ ما كذَّبوا به.

﴿وَقَالُوا﴾ حينئذٍ ﴿يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ۝٢٠﴾ أخبرنا به محمد، فأجابهم الحفظة وقالوا: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ أي: القضاء ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾.

يقول الله تعالىٰ للملائكة: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: المشركين من بني آدم ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قُرناءهم الذين أضلوهم، وقيل: أتباعهم[1].

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام وغيرها ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ دُلُّوهم إلىٰ النار، وسُوقوهم إليها.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤﴾ احبسوهم قبل السَّوْق إلىٰ النار للسؤال، والسؤال من الله تعالىٰ أخذ، والأخذ منه عذاب.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥﴾ يقول لهم مالك النار: كيف لا يمنع بعضكم بعضًا من عذاب الله ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦﴾ منقادون لأمر الله، العابد والمعبود.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٧﴾ أقبل الآدميون علىٰ الشياطين يخاصمونهم وَ ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝٢٨﴾ أي: من قبل الحق والدِّين، حتىٰ شبهتموه علينا، وزيَّنتم ضلالتنا.

فقال الشيطان عند ذلك[2]: ليس كما قلتم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٢٩﴾ بما جاءت به الرسل ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ أي: مُلكٍ ولا حُجة تكرهكم علىٰ متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ۝٣٠﴾ تاركين للحق ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أي: وجب علينا وعليكم معشر الأشقياء عذاب ربنا ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ ۝٣١﴾ جميعًا العذاب

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢٧.

(٢) وقيل القادة للسفلة (تفسير أبي الليث ٣/ ١٣٩).

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ أي: دعوناكم إلىٰ الغواية فأجبتم ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ قبلكم ﴿غَٰوِينَ ٣٢﴾.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ٣٣﴾ الكفار والشياطين والتابع والمتبوع ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ٣٤﴾ في العذاب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ في الدنيا ﴿يَسْتَكْبِرُونَ ٣٥﴾ عن التوحيد ﴿وَيَقُولُونَ﴾ فيما بينهم ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا﴾ أي: عبادتها ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ٣٦﴾ يعنون رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

ثم ابتدأ فقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٣٧﴾ فيما جاء به وهو الإسلام ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ٣٨﴾ بما تكبَّرتم عن التوحيد.

والعذاب الأليم: يحتمل القتل ببدر ويحتمل نار الجحيم.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٩﴾ في الدنيا، ثم استثنىٰ المؤمنين فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ٤٠﴾ الذين استخلصهم الله لنفسه اصطفاءً بالتوحيد ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ٤١﴾ يؤتون به في الغداة والعشي، قَدْرَ ما يحبون أن يُؤتىٰ به.

ثم فسَّر الرزق فقال: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ جمع فاكهة ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ٤٢﴾ بالثواب ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣﴾ التي يتنعمون فيها ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤﴾ عند الزيارة ينظر بعضهم إلىٰ بعضٍ، ويُحدِّث بعضهم بعضًا، يسمعون الأحاديث من بعيدٍ كما يسمعون من قريبٍ.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ٤٥﴾ أي: بخمر بيضاء تجري كما يجري الماء علىٰ وجه الأرض.

قال ابن عباس: كل كأس في القرآن فهو خمرٌ[1]، وسُمِّي مَعينًا لأنها تراها

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢١/ ٣٦ عن الضحاك والسدي وقتادة.

العين وهي تجري ولا تنقطع.

﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦﴾ أي: ذات لذَّة ليست بمنتنة ولا مُرَّة كخمر الدنيا ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ﴾ من غوائل خمر الدنيا أي: لا يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ٤٧﴾ يُسكرون.

والنَّزيف: السَّكران[1]، وقُرئ: «ينزِفون»، بكسر الزاي[2]، أي: لا ينفد شرابهم[3].

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ حابسات النظر عن غير أزواجهنَّ، قصرت أطرافهن عن غير أزواجهن ﴿عِينٞ ٤٨﴾ أي: حسان الأعين عظامها ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ شبَّه بياضها ببياض البَيْض لاختلاط الصُّفرة مع البياض، وقيل: شبَّه رِقَّة بشرتهن بالقشر الذي في داخل البَيْض قبل أن تمسه الأيدي[4].

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠﴾ يعني: أهل الجنة يتحدَّثون بأحوال الدنيا ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ٥١﴾ في دار الدنيا أي: أخٌ.

قيل: هو أبو سلمة بن عبد الأسد، وأخوه أسود كان منكرًا للبعث[5].

﴿يَقُولُ﴾ لي ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ٥٢﴾ بالتخفيف من التصديق[6]، وقُرئ:

---

(١) لأنها تنزف عقوله (تفسير الطبري ٢١/ ٣٩).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف (النشر ٢/ ٣٥٧).

(٣) الكشف والبيان ٢٢/ ٣٤٥.

(٤) البسيط ١٩/ ٥٠.

(٥) وهذا القول غريب، وقيل: هما اللذان قص الله قصتهما في سورة الكهف (تفسير أبي الليث ٣/ ١٤١، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٤٧، تفسير السمعاني ٤/ ٣٩٩). وقيل: كانا شريكين (تفسير الطبري ٢١/ ٤٥).

(٦) وهي القراءة المتواترة، وأما المصَّدِّقين فمن التصدق بالأموال (الكشاف ٤/ ٤٤).

بالتشديد، يعني المتصدِّقين بالمال، وهذه القصة مثل القصة المذكورة في سورة الكهف.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ مُحاسبون.

﴿قَالَ﴾ يعني: قال الأخ المؤمن في الجنة لأهل الجنة، يقول ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤﴾ إلىٰ أهل النار كيف منزلة أخي فيها؟ فينظرون كلهم ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ الأخ المؤمن في الجنة علىٰ أخيه في النار ﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥﴾ في وسط النار أسود الوجه أزرق العينين، مقرون بشيطان في سلسلةٍ.

فـ ﴿قَالَ﴾ المؤمن: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦﴾ والله أردت أن تغويني، وما أردت إلا أنْ تهلكني ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ معك في النار.

ثم أقبل المؤمن علىٰ أصحابه وقال: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: سوىٰ الموت الذي ذُقناه في الدنيا، قيل له: لا تموت أبدًا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩﴾ بعد دخول الجنة، فقال حينئذٍ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠﴾ النجاة الوافرة، فزنا بالجنة ونجونا من النار.

قال الله تعالىٰ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ الذي نِلتُمْ ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ أي: فليجتهد المجتهدون.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢﴾ لأهل النار ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣﴾ لمشركي مكَّة، أبي جهل والملأ من قريش ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤﴾ أي: تنبت فيها ثم ترتفع حتىٰ تتفرَّق أغصانها في كلِّ دركةٍ من دركات النار ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ لأنَّ الشيءَ إذا استُقبح يُشبَّه له بالشيطان، وإن لم يروا له، وقيل: رؤوس الشياطين يعني رؤوس الحيَّات.

وقيل: كرؤوس الشياطين في القُبح، محشوٌ بالحيَّات فإذا عَضَّ علىٰ ثمرها

تفتَّق عن رؤوس الحيَّات؛ فتفلقت شفتاه ولسانه وحلقه[١].

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ على الجوع ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧﴾ أي: خَلطًا ومَزَاجًا من ماءٍ حارٍ.

والحميم: بمعنى المحموم، فعيلٌ بمعنى مفعول[٢].

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ بعد الأكل والشُرب ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨﴾والجحيم، الجمر المتوقِّد بعد سكون اللَّهب والدُّخان.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝٦٩﴾ بمعنى التقريع ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝٧٠﴾ يسرعون.

---

(١) شبه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين، في قبحه وسماجته، قال الطبري: فإن قال قائل: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين في القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رؤوس الشياطين، وإنما يمثَّل الشيء بالشيء تعريفا من المُمَثِّل له قُرب اشتباه الممثَّل أحدهما بصاحبه مع معرفة المُمَثَّل له الشيئين كليهما، أو أحدهما، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين، لم يكونوا عارفين شَجَرة الزقوم، ولا برؤوس الشياطين، ولا كانوا رأوهما، ولا واحدا منهما؟.
قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالىٰ ذكره لهم وبينها حتىٰ عرفوها ما هي وما صفتها...، وأما في تمثيله طلعها برؤوس الشياطين، فأقول لكل منها وجه مفهوم:
أحدها: أن يكون مثَّل ذلك برؤوس الشياطين علىٰ نحو ما قد جرىٰ به استعمال المخاطبين بالآية بينهم، وذلك أن استعمال الناس قد جرىٰ بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال.
والثاني: أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمىٰ شيطانا، وهي حية لها عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر..
والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برؤوس الشياطين ذُكِر أنه قبيح الرأس.. (تفسير الطبري ٢١/ ٥٤).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٠٧.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قبل كفار مكة ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٧١﴾ من الأمم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢﴾ من الأنبياء ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٧٣﴾ أي: جزاء من أنذرهم الرسل، ثم استثنىٰ فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٧٤﴾ المعصومين من الكفر والشرك لم يهلكوا بالعذاب.

والمخلِصين: بكسر اللام الموحِّدين[1].

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥﴾ ودعا علىٰ قومه فأجبناه ولنعم المجيبون ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: بَنِيه الثلاثة، والنجَّارين الثمانية، ومَن آمن به، فكلهم ثمانون نفسًا ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦﴾ وهو الغرق ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ﴾ من البنين الثلاثة ﴿هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ وهم: سامٌ وحامٌ ويافثُ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨﴾ أبقينا علىٰ نوح الثناء الحسن فيمن بعده إلىٰ يوم القيامة، فلا يذكر نوح[2] إلا بخيرٍ.

ثم قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩﴾ أي: سلامٌ عليه أن يُذكر بشرٍّ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠﴾ المخلِصين ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١﴾ المصدِّقين في الإيمان ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٨٢﴾ الذين لم يركبوا السفينة.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣﴾ أي: من أهل مِلَّة نوح: إبراهيم الخليل ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾ مخلص بالتوحيد ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥﴾ أي: ما هذا الذي تعبدون؟ ولأية علىٰ تعبدون الأصنام؟ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً﴾ أي: آلهةً كذبًا ﴿دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦﴾ عبادتها.

﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ يا قوم ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ إذا لقيتموه، أيرضىٰ به أم يسخط به

---

(١) بالكسر قرأ: ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (النشر ٢/ ٢٩٥).

(٢) في الأصل: فلا يذكر نوحا، فلعلها: فلا نذكر نوحا.

عليكم[١].

﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ [فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ]۝٨٩﴾ لأن قومه كانوا أصحاب تنجيم، فطلع نجمٌ، فنظر إليه فقال: إني مطعون، وكانوا يهربون من الطاعون ويسمُّون المطعون سقيمًا، فتركوه في بيت آلهتهم خوفًا عن إعداء الطاعون[٢].

ولا يضاف الكذب إلىٰ إبراهيم، لأنَّ معنىٰ قوله: سقيم، يعني: سأسقم، لأنَّ مَنْ كان قصاراه الموت فلابد له من السَّقم[٣].

﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ۝٩٠﴾ هاربين من الطاعون ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ﴾ أي: مال إلىٰ أصنامهم ﴿فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٩١﴾ الطعام، استهزاءً بهم، لأنهم كانوا يضعون الطعام كثيرًا بين يديها، يُرمىٰ عندهم[٤]، فإذا لم يرجع إليه الجواب قال: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ۝٩٣﴾ قال مقاتل: بالفأس بيده اليمنىٰ ضربها حتىٰ كسَّرها.

وقيل: اليمين القوة، وقيل: معنىٰ قوله: باليمين، يعني بالحَلِفِ الذي حَلَفَ: «وتالله لأكيدن أصنامكم»[٥].

﴿فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ۝٩٤﴾ يُسرعون مشيًا ليأخذوه، وزفيف النعام: عَدْوُهُ[٦].

---

(١) وهذا توبيخ (البسيط ١٩/ ٦٩).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٦٣، تفسير أبي الليث ٣/ ١٤٥، البسيط ١٩/ ٧١.

(٣) فهذا من معاريض الكلام علىٰ هذا القول، تفسير الطبري ٢١/ ٦٥، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٦١. وقد رده الطبري وتابعه الثعلبي.

(٤) في الأصل: يرم.

(٥) وهذان قولان شاذان، نسبا لبعض أهل اللغة ، انظر: تفسير الطبري ٢١/ ٦٧، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٦٤.

(٦) تفسير الطبري ٢١/ ٦٧.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ بأيديكم ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ لأنَّ الله تعالىٰ أنبت الشجر الذي يُنحت منه الأصنام، وكذلك الحَجر وغيره[١].

﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ قال نمرود لقومه: اجعلوا له بيتًا من الحطب، وأوقدوا فيه النار، وألقوه فيها نُصرةً لآلهتكم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ شرًا، وهو أن يحرقوه ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ الأخسرين.

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم بعد ما خرج من النار صحيح الجسم من غير ألمٍ، وبعد سبعة أيام للوطٍ: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي: مهاجر لرضا ربي إلىٰ الأرض المُقدَّسة، والذهاب إلىٰ الله: الانقطاع من غير الله، والاتكال علىٰ الله، والاعتماد علىٰ فضل الله.

﴿سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ لدينه، ويُنجيني من عدوه.

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ سأل ربه الولد بعدما هاجر، يعني: أكرمْني بولدٍ من جُملة الصالحين ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ في كِبره، عليم في صغره، وهو إسحاق، عن الكلبي وقتادة[٢].

وإسماعيل، عن الكلبي ومجاهد[٣].

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ وهو العمل، وكان يُعين إياه في بناء البيت، وقيل: عمل العبادة، فحجَّا وفرغا عنه ورجعا إلىٰ منىٰ، أغفىٰ إبراهيم عليه السلام فرأىٰ في منامه أن يذبح ولدَهُ فانتبه فزعًا، وَ ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾

---

(١) فعلىٰ هذا: ما هنا موصولة، بمعنىٰ الذي، أي: الله خلقكم وخلق الذي تعملون من الأصنام.
(٢) وعكرمة (تفسير الطبري ٢١/ ٧٢، الكشف والبيان ٢١/ ٧٣).
(٣) الكشف والبيان ٢١/ ٧٣. والمسألة مشهورة.

أي: كأني أؤمر بذبحك ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ من الرأي، وتُرِي: بالضم أي تُشير[١].

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ رؤيا الأنبياء صدقٌ، قد أُمرت بذبحي ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ علىٰ الذبح.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ أي: أسلم الولدُ نفسَه، وأسلم الوالدُ ولدَه، واستسلما لأمر الله، وأخرج إبراهيم عن قلبه محبة ولده، وأخرج الولد عن قلبه محبة الحياة ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ أي: صرعه علىٰ أحد جنبيه، كما يُفعل بالشاة عند الذبح، والتلُّ هو: الصرع[٢].

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ أي: وفَّيْت بما أُمِرْت.

قال الفرَّاء: الواو في قوله «وناديناه» زائدة[٣].

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ الاختبار البيِّن ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ بكبش عظيم.

قيل: قُرِّب من جُرْم القتل وهو الكبش الذي قرَّبه هابيل، رتع في رياض الجنة من زمن آدم إلىٰ زمن إبراهيم[٤].

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ﴾ أي: علىٰ إبراهيم الثناء الحسن ﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨﴾ إلىٰ يوم القيامة ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ آمنه الله أن يذكره أحدٌ إلا بخيرٍ ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف: تُرِي، بضم التاء وراء مكسورة وياء بعدها (النشر ٢/ ٣٥٧).
(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٧٦، البسيط ١٩/ ٩٠.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٠، وقال هو والطبري: أدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [سورة الزمر:٧٣] وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما، وحتىٰ وإذا تلقيها (تفسير الطبري ٢١/ ٧٨).
(٤) الكشف والبيان ٢٢/ ٣٩٦، البسيط ١٩/ ٩٣.

﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾ بالقول والفعل، يعني الثناء الحسن، ثم شهد الله له بالإيمان فقال: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١﴾ المُصدِّقين ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾ ابن عباس: كلتا البشارتين بإسحاق، أحداهما بولادته، والثانية بنبوته[1].

﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ﴾ أي: مسلم ﴿وَظَالِمٞ [لِّنَفۡسِهِۦ]﴾ كافرٌ بربه ﴿مُبِينٞ ١١٣﴾ بيِّن كفره.

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤﴾ بالرسالة والنبوة ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ١١٥﴾ الهَوْل الشديد وهو الغرق.

﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ﴾ علىٰ عدوهم ﴿فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦﴾ بإغراق العدو والنجاة بأنفسهم ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧﴾ البيِّن، استبان الشيء إذا بان وتبيَّن[2].

﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١١٨﴾ الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو دين الله.

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩﴾ الثناء الحسن.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٢﴾.

﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾ ألا تُوحِّدون ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾ وهو اسم صنم، تدعونه ربًّا[3] ﴿وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾

---

(١) في تفسير الطبري ٢١/ ٩٢ من طريق عكرمة عنه: بشره به نبيا حين فداه بالذبح، ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٩٤.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٩٦.

تتركون عبادة الله، أحكم المصورين.

قيل: إنَّ إلياس هو إدريس النبي عليه السلام[1].

وفي قراءة ابن مسعود: «وإن إدريس لمن المرسلين سلام علىٰ إدراسين»[2].

قيل: إلياس هو الخضر، وقيل: إلياس صاحب البراري، والخضر صاحب الجزائر، يجتمعان في كل عامٍ بعرفاتٍ[3].

وإلياس من سبط يُوشَع بن نون، بعثه الله إلىٰ بعلبك فكذَّبوه، فأهلكهم الله بالقحط، وقال الله تعالىٰ: سلني أعطيك، فسأل الله، فجعله أرضيًا سمائيًا، إنسيًا ملكيًا، يطير مع الملائكة[4].

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما دعاهم إليه ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ العذاب ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ فإنهم غير محضرين ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ وقُرِئ: «إل ياسين».

فمَنْ قرأ: آل ياسين يعني به آل محمد عليه الصلاة والسلام، ومَنْ قرأ: إلياسين فجمعه مع قومه[5].

---

(١) وهذا قول قتادة وعكرمة، والقول الثاني أنه من ذرية هارون أخي موسىٰ (تفسير الطبري ٢١/ ٩٥، والكشف والبيان ٢٢/ ٤٠٠).

(٢) ذكرها الطبري في التفسير ٢١/ ١٠٣، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٤٠١.

(٣) وهذا قول لا دليل عليه صحيح، وقد ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٤١٧.

(٤) وهذا من الإسرائيليات، وقد طول الثعلبي في الكشف والبيان في ذكر قصته ٢٢/ ٤٠١.

(٥) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب: آل ياسين، علىٰ كلمتين، وقرأ الباقون: إلْياسين علىٰ كلمة واحدة (النشر ٢/ ٣٦٠).

وقيل: ليس بجمع، ولكن زيادة على الاسم، وقد يُزاد في أسماء الأعجمية، كما يُقال: ميكائل وميكائيل وميكايين.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ يعني بنتيه، ومَنْ آمن معه ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ الباقين مع الهالكين ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ أهلكنا الباقين ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ أي: وقت الصباح ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾ في أسفاركم إلى الشام، فترون الماء الأسود وهو ماء العذاب ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ فتعتبرون.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ يدعو قومه أهل نينوى إلى الإسلام، فكذَّبوه فأعرض عنهم من خوف العذاب ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ المملوء من الناس والدواب ﴿فَسَاهَمَ﴾ أي: قارع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ المغلوبين، حيث وقعت القُرعة عليه، إذ قرعوا مَنِ المُذنب منهم فيُلقوه في الماء، وقد مرَّت القصة على حسب ما يحتمله الكتاب، فسجنه الله في بطن الحوت ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ أي: أتى ما يُلام عليه، واستحقَّ اللَّوم، يُقال: أَلام الرجل إذا فعل ما يُلام عليه[1].

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ أي: المُصلِّين قبل التقام الحوت.

وقيل: تسبيحه أنه نادى في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ والله تعالى قادرٌ على إبقاء يونس والحوت حَيَّيْنِ إلى يوم القيامة، ولكن أخرجه من بطنه بعد ما لم يبق له لحمٌ

---

(١) البسيط ١٩/١٠٦.

ولا شعرٌ ولا ظفرٌ، فكان كالفرخ المنتوف.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ بالعراء الصحراء الخالي، وهو سقيم مِن حرارة بطن الحوت، وكان بجانب الموصل[1].

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ يفعيل من قَطَنَ بالمكان إذا أقام به، يعني يقطن على الأرض فلا يقوم ساقه حتى يتباعد عن الأرض[2].

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ عشرون ألفًا[3].

﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ انقضاء آجالهم.

ثم قال: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾ يعني: أهل مكة الذين يزعمون أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ وهذه مسألة التوبيخ.

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ حاضرون حين خُلقوا.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ في قولهم.

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ استفهامٌ سقط ألف الوصل منه، والأصل فيه: أاصطفى[4].

﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام آخر ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ استفهام آخر معناه: ما شأنكم؟ كيف تحكمون بالجَوْر؟.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٥٢.

(٢) صدر عن معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣١٤، وهو القرع في قول الجمهور، وقال سعيد بن جبير: شجرة سماها الله يقطينا أظلته، وليس بالقرع (تفسير الطبري ٢١/ ١١٥) وهذا غريب.

(٣) أي أن: أو بمعنى بل، أو: الواو، وهو مروي عن ابن عباس، وفي مقدار الزيادة أقوال غير التي ذكرها المصنف (تفسير الطبري ٢١/ ١١٥).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣١٤.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ حُجةٌ بيِّن من كتاب الله ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ الذي فيه عُذْركم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾.

﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ نزلت في بني سلمة وخزاعة وجُهينة، زعموا أنَّ بين الله وبين الملائكة نسبًا وأنهم بناته[(١)].

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ أي: مَنْ عبدهم لمحضرون للحساب، وقيل: ميتون، عن الكلبي.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ لا يحضرون النار لأنه أخلصهم لرحمته[(٢)].

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾﴾ يا أهل مكة ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ أي: لستم أنتم علىٰ ما عبدتم أحدًا بمُضلِّين[(٣)] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ في قضائي وقدري فإني أضللته.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ قال ذلك جبريل لنبينا صلىٰ الله عليه وسلم، أي: ليس أحدٌ منَّا من الملائكة إلا له مقامٌ معروف في السماوات، نعبد الله فيه، ترعد فرائضنا، وتضطرب أجنحتنا، وتجري دموعنا فَرَقًا من ربنا[(٤)].

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ في الصلوات في السماوات، منَّا الرَّاكد علىٰ قدميه، ومنا الراكع، ومنا الساجد، لا يعرف واحدٌ منا الذي عن يمينه، ولا الذي عن يساره من الخوف، فما أجرأ بنوا آدم حيث زعموا أنَّا بناته.

---

(١) وقال مجاهد: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله، فسأل أبو بكر: مَنْ أمهاتهنَّ؟ فقالوا: بنات سَرَوات الجنّ، يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه إبليس (تفسير الطبري ٢١/ ١٢١).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ١٢٢.

(٣) البسيط ١٩/ ١٢٣.

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ١٢٦، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٣٨، البسيط ١٩/ ١٢٤.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ المُنزِّهون لربنا عن تقوُّل بني آدم.

قال الصادق رضي الله عنه: «الخلق من الله تعالىٰ علىٰ مقاماتٍ شتَّىٰ، من تجاوز حدَّه يهلك، للأنبياء مقام مشاهدة، وللرسل مقام العيان، وللملائكة مقام الهيبة، وللمؤمنين مقام الدُّنُوِّ والخِدْمة، وللعُصاة مقام التوبة، وللكفار مقام الطَّرْد والغفلة، وهو معنىٰ قوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾».

﴿وَإِن كَانُوا۟﴾ أهل مكة ﴿لَيَقُولُونَ ١٦٧﴾ أي: قد كانوا يقولون قبل مجيء محمد عليه الصلاة والسلام ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦٨﴾ أي: كتابًا من كتب الأولين ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٩﴾ وقيل: لو كان لنا نبيٌّ كما كان لليهود والنصارىٰ لآمنا به[1].

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ يعني إذ جاءهم محمد كفروا به ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧٠﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧١﴾ أي: مضت عِدَتُنا بنصرهم ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ﴾ تأكيد بعد تأكيد ﴿ٱلْمَنصُورُونَ ١٧٢﴾ المظَفَّرون علىٰ الأعداء ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ الرسل والمؤمنون ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ لام تأكيد، والكلمة التي سبقت قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٤﴾ ينقضي أجلهم، منسوخ بآية السَّيْف، وقيل إلىٰ فتح مكة[2].

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أعلمهم بنزول العذاب إنْ لم يؤمنوا ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٥﴾ يعلمون إذا نزل العذاب.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٥٥.

(٢) وهو قول الكلبي، كما في تفسير أبي الليث ٣/ ١٥٦، والنسخ قول مقاتل كما في الكشف والبيان ٥/ ٤٣٩، وهي جادة مطروقة لكل ما فيه أمر بالإعراض عن الكافرين في السور المكية خاصة، والناسخ آية السيف.

وقيل: معناه انظر إليهم إذا عُذِّبوا فسوف يبصرون ما أنكروا.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي: بفنائهم وقريبًا منهم.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ بئس الصباح الذي أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ إذا نزل العذاب، وقيل: انتظر هلاكهم فإنهم ينتظرون هلاكك.

ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ عن الولد والشريك.

ثم أثنىٰ علىٰ رسله فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ بما بلغوا من الرسالة ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ علىٰ اختصاصه الرسل بالرسالة والنجاة من الأعداء بعد هلاك الأعداء وقبل ذلك.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ خالق الخلق أجمعين.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الصافات أُعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد كل جِنِّي وشيطانٍ، وتباعدت منه مردة الشياطين، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنَّه كانَ مؤمنًا بالمرسلين»[1].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٣١٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٤.

سورة ص

مكيَّة[١]، وهي ثمان وثمانون آية في الكوفي، وثمانون وست آيات في المدني، وخمس آيات في البصري[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿صٓ﴾ ابن عباس: هو اسمٌ من أسماء الله تعالىٰ، وهو الصادق فيما وعد وأوعد.

وقيل: معناه صدق الله[٣].

وعن علي: قال هو اسم بحرٍ في السماء[٤].

وقيل: هو من صفة الله الصمد، تقديره: لبسم الله الرحمن الرحيم الصمد[٥].

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ وهو قسمٌ.

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٥١، زاد المسير ٣/ ٥٥٧، وتسمىٰ سورة داود.

(٢) والمكي والشامي كالمدني، البيان في عد آي القرآن ٢١٤.

(٣) وهو قول الضحاك كما في تفسير الطبري ٢١/ ١٣٨، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٥٢.

(٤) وعن سعيد بن جبير مثله، وتتمته: بحر يحيي الله به الموتىٰ بين النفختين (الكشف والبيان ٢٢/ ٤٥٢).

(٥) وهذا كالقول الأول الذي صدر به، من حيث إنه يدل علىٰ اسم أو صفة، وممن قال به القرظي (الكشف والبيان ٢٢/ ٤٥٣). وبقي قول الحسن لم يذكره المصنف، وقد استفتح به الطبري في تفسيره ٢١/ ١٣٧، وهو: من المصاداة، من صاديت فلانا، أي صاد القرآن بعملك أي عارضه، ولفظه عن الحسن: حادِث القرآن، عارضه بعملك.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ هذا موضع القسم لأنَّ فيه نفيا وإثباتا، معناه: ص والقرآن ما الأمر كما يقولون، بل الذين كفروا في عزةٍ، أي: تكبُّر وحَمِيَّةٍ، وشقاق: أي خلافٍ وعداوةٍ للنبي صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا [مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ]﴾ بالعذاب من قبل أهل مكة وقريش من القرون الخالية ﴿فَنَادَوا۟﴾ حين رأوا العذاب ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ ليس وقت منجا.

والنَّوص: الفِرار بلغة اليمن(١).

ولات: في الأصل لاة، وهي هاء التأنيث أو الوقف، فعند التحرُّك تصير تاء، مثل: ثُمَّة معه هاء التأنيث(٢)، والوقف تصير تاءً، إذا قلتَ: رأيتُ زيدًا ثمت عمرو، كذلك كلَّمه ربَّة، معها هاء التأنيث، والوقف فتصير تاء إذا وصلت بكلامٍ آخر(٣).

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ أي: وصف آلهتنا بالبطلان وقال: الإله واحدٌ، وهو إله السماء ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ أي: عجيبٌ، وهي لغة أزْد، كقولهم: طويل وطوال(٤).

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ انصرف الأشراف من أهل مكة من عند محمد صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ عبادة أصنامهم، وقالوا لأتباعهم: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ أي: يريدون أن يَسْتَعْلُوا علينا بهذا الكلام.

---

(١) وفي لغة غيرهم كذلك، تفسير الطبري ٢١/ ١٤٢.
(٢) وفي ذلك خلاف بين النحويين، بينه في البسيط ١٩/ ١٤٥.
(٣) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٠. وانظر: تفسير الطبري ٢١/ ١٤٦.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢١.

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ مِلة أهل الكتابين[١]، وقيل: مِلة قريش، وقيل: مِلة النصرانية لأنها آخر مِلة بعد المِلل[٢].

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾ تقوُّل تَقَوَّلَهُ محمد ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ ونحن أكبر سِنًّا منه، وأعظم شرفًا[٣]، والذِّكر: أراد به النبوة.

﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ يعني القرآن ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾ أي: لم يذوقوا عذابي بعد، فإذا ذاقوا علموا ما هم فيه.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ﴾ أي: مفاتيح رزق ربك، وقيل: خزائن النبوة، نظيره: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾ يعني: النبوة، أي: ليس ذلك عندهم حتىٰ يضعوها حيث شاؤوا ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩﴾ المنيع في مُلْكِهِ، وهَّاب النبوة لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾ من السحاب والرياح والكواكب ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠﴾ أي: طُرق السماوات وأبوابها؛ إنْ كانوا يدَّعون مُلك السماء فليصعدوا عليها إن قَدِرُوا، فإذا لم يقدروا فليقبلوا حكم الله ووحيه.

﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ﴾ أي: هم جند هنالك ببدر ﴿مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١﴾ أي: من الكفار المهزومين، و«ما» زائدة وصلَة[٤].

وقال الضحاك: أخبر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بهزيمة كفار مكة ببدر

---

(١) الأقوال في تفسير الطبري ٢١/ ١٥٢.

(٢) في الأصل: لأنه آخر الملة.

(٣) في الأصل: شرعا، وهو تصحيف.

(٤) التعبير بالزائدة واللغو من مصطلحات الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٣٢٣، وأما الطبري فيقول: صلة (تفسير الطبري ٢١/ ١٥٧).

قبل أن يكون[1].

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٞ﴾ هودًا ﴿وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢﴾ وقوله: ذو الأوتاد: ابن عباس: كانت له ملاعب وأرسان يُلعب له عليها مع الأوتاد[2].

وقيل: أوتاد يُعذِّب المسلمين بأربعة أوتاد[3].

وقيل: ذو الأوتاد ذو البُنيان.

﴿وَثَمُودُ﴾ قوم صالح صالحًا ﴿وَقَوۡمُ لُوطٖ﴾ لوطًا ﴿وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ﴾ قوم شُعيب شعيبًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣﴾ الذين تحزَّبوا علىٰ أنبيائهم، فهُزِمُوا بعد تكذيبهم.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤﴾ أي: وجب عذابي ونكالي.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أهل مكة ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ من صيحات إسرافيل، وهي النفخة الأولىٰ، عن مقاتل للهلاك، والثانية عن الكلبي للبعث[4].

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾ أي: ليس لها مرجعٌ وتزداد، والضم والنصب: في الفواق لغتان[5]، وقيل: بالضم الانتظار، وبالفتح الراحة.

وأصله: فواق الناقة، وهو رجوع اللبن إلىٰ منافذ الضرع بين الحَلْبَتين[6].

---

(١) وهو قول قتادة وغيره (تفسير الطبري ٢١/ ١٥٨، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٦٥).

(٢) رواه الطبري في التفسير ٢١/ ١٥٨.

(٣) الكشف والبيان ٢٢/ ٤٦٦، تفسير الطبري ٢١/ ١٥٩.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ١٦٠.

(٥) قرأ حمزة والمسائي وخلف: فُواق، بالضم (النشر ٢/ ٣٦١).

(٦) تفسير الطبري ٢١/ ١٦٢، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٣.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: كتابنا، لأنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «يُعطىٰ الكفار كتابهم بشمائلهم» فقالوا علىٰ وجه الاستهزاء: عجِّل لنا قطَّنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ وقيل: القِطُّ هو النصيب، يعني نصيبًا من العذاب(١).

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي تكذيبهم إياك ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ يعني: القوة في العبادة ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ راجعٌ إلىٰ طاعة الله.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ أي: أمرنا الجبال بأن تَذلَّ له وتُسبِّح معه ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ﴾ إذا زالت الشمس ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ إذا أشرقت الشمس، وكان من مطلعها قدر رمح إلىٰ انتصاف النهار، عن الضحاك(٢).

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ نصب معطوف علىٰ الجبال، محشورة أي: مجموعة ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ أي: لله رجَّاع بالتسبيح(٣).

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قيل: كان يَحْرُس محراب داود كل ليلة ثلاث وثلاثون ألفًا(٤).

وعن ابن عباس: أنَّ رجلاً من بني إسرائيل استعدىٰ علىٰ خصم له من العظماء، فاجتمعا، فادَّعىٰ المستعدي أنَّ هذا قد اغتصبه بقرًا، وأنكر خصمُه، ولم يكن للمُدَّعي بيِّنة، فقال داود: حتىٰ أتفكَّر في أمركما، فأراه الله في المنام أن

---

(١) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ١٦٠، وهو قول الكلبي وأبو العالية كما في الكشف والبيان ٢٢/ ٤٧٢.

وقيل: إن قائل ذلك هو أبو جهل (تفسير الطبري ٢١/ ١٦٥).

(٢) وهو وقت الضحىٰ، كما في تفسير الطبري ٢١/ ١٦٨.

(٣) وقيل: مطيع (الكشف والبيان ٢٢/ ٤٧٩).

(٤) هذه رواية الكلبي عن ابن عباس، انظر: الكشف والبيان ٢٢/ ٤٨٠، وفي تفسير الطبري ٢١/ ١٧٠: عن السدي: يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف أربعة آلاف.

يَقتُلَ الرجل المستعدي، فلما انتبه عجب من ذلك، وقال: هذا حقٌ، ولكن لا أعجل حتىٰ أتثبت فيه، فأراه الله ثانيًا ولم يقتله، فأراه الله ثالثًا، وقال: إن لم تقتله حَلَّ بك عذاب الله، فلما أصبح دعا بالرجل المستعدي وأخبره أن الله تعالىٰ أمره بقتله، فقال الرجل: تقتلني بغير بيِّنة قامت عليَّ، فقال: وأي بينة أعدل من قول الله، فلما أيقن الرجل بالقتل فقال: يا نبي الله لا تعجل بقتلي حتىٰ أخبرك، إني ما أُخِذْتُ بهذا ظلمًا، ولكني كنتُ اغتلت والد هذا فقتلته، فأمر الله بقتلي قصاصًا به، ففرح داود بذلك، وقتله، وذهب صيته في بني إسرائيل واشتدت هيبته[(١)].

وقيل: شددنا ملكه حتىٰ حكم بالسلسلة زمانًا.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة، وقيل: الزبور ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾ فصل القضاء بين الناس بالإصابة والفهم.

وقيل: بالبينة علىٰ المُدَّعِي واليمين علىٰ المُنكر[(٢)].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ والخَصْم المُنازع، يقع علىٰ الواحد وعلىٰ الاثنين وعلىٰ الجماعة ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١﴾ دخلوا فيه من غير باب، والمحراب: أشرف موضع في البيت، وهو هاهنا الغُرفة.

التسوُّر: الدخول من قِبَلِ السور لا من قِبل الباب[(٣)].

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لدخولهم من غير الباب، وقيل: لدخولهم من غير الإذن[(٤)].

---

(١) إسناده حسن، رواه الطبري في تفسيره ٢١/ ١٧٠، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٤٨١.

(٢) وهو قول طائفة من السلف ٢١/ ١٧٣.

(٣)معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٥.

(٤) وقيل: لدخولهم عليه ليلا (تفسير الطبري ٢١/ ١٧٥).

﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ﴾ أي: نحن خصمان ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ قيل: يحتمل أن الجماعة دخلوا عليه ولكن المتخاصمين اثنان، لأنَّه جمعهم ثم ثنَّىٰ، وكانا مَلَكيْن ولم يكن للملكين خصومةٌ ولا بغيٌ، وإنما قالا ذلك علىٰ وجه المثل.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ أي: لا تَجُرْ، ويجوز: ولا تشطط تقول العرب: شطَّ وأشطَّ أي: جار، وشطَّت الدار أي: بَعُدَت[1].

﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢﴾ أي: طريق الحق.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾[2] كني بالنعجة عن المرأة ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ اجعلني كافلها، يعني: أعطنيها فأكفلها وأتركها حتىٰ أتزوَّجها ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾ والكلام، لأنَّه كان أقدر علىٰ الحِجاج مني[3].

فقال داود: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ أي: سؤاله نعجتك، فأسقط الهاء، كقوله: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ يعني: من دعائه الخير[4].

وقوله: إلىٰ نعاجه، أي: بأخذ الواحدة التي لك إلىٰ التسع والتسعين التي له.

﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ أي بظلم بعضهم بعضًا ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنهم لا يظلمون أحدًا ﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ «ما»: صلة، أي: قليلٌ هم.

فلما قضىٰ بينهما نظر أحدهما إلىٰ صاحبه وضحك، ثم صعد إلىٰ السماء حيال وجهه ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ يعني: علم ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾ يعني: ابتليناه

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ١٧٦، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٦.

(٢) تصحفت: واحدة، علىٰ وهذه.

(٣) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٧.

(٤) ملخص من معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٤، وتفسير الطبري ٢١/ ١٧٩.

﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ أي: خرَّ ساجدًا، أقام الركوع مقام السجود، لأن كل واحد منهما تَخَشَّعٌ.

قال الكلبي: سجد أربعين يومًا حتىٰ سقط جلدةُ وجهه، ونبت العشب من دموعه، لا يقوم من سجوده ذلك إلا لصلواته أو لقضاء حاجته، فصار ذلك سُنَّةً لكل ساهي إذا علم(١).

وقوله: وأناب، رجع إلىٰ ربه بالتوبة؛ فكان يبكي في سجوده أربعين يومًا، وكان يقول: خطيئتي يا رب خطيئتي علي أُورِيَا(٢)، فبكىٰ حتىٰ بكىٰ معه الطيور والسِباع والوحوش والحِيتان، وكل شيء سمع بكاءه أربعين يومًا، ثم أتاه

---

(١) وذلك من القصص الإسرائيلي، وقد نقله بعضهم، وأفاض المفسرون بذكر هذه القصة مع السجدة الطويل (تفسير أبي الليث ٣/ ١٦٣، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٨٦).

(٢) وذلك أنهم يزعمون أنه تزوج امرأة أوريا بعد أن أرسل زوجها علىٰ جيش إلىٰ جهة علم أنه يقتل فيها، وذلك بعد أن رآها تغتسل فهواها ووقعت في قلبه، كذا قال جماعة من المفسرين، كالسدي والحسن والكلبي ووهب بن منبه وغيرهم، وهذا خبر إسرائيلي، يرد ولا يلتفت إليه، ولا يعتبر به، لما فيه من طعن في سادة البشر، وهم الأنبياء.
ولا يعرف هذا الخبر عن ابن عباس، وإن نسبته إليه بعض المصادر، فإنه إنما يروىٰ عنه من طرق يعلم قطعا ضعفها، كطريق العوفي، والكلبي.
نعم، رواه الطبري في تفسيره عن أنس مرفوعا، من طريق موضوعة، فيها يزيد الرقاشي، وهو متروك، وكل ما يرويه عن أنس مما تفرد به فلا أصل له.
(انظر: تفسير الطبري ٢١/ ١٨٤، تفسير أبي الليث ٣/ ١٦٤، الكشف والبيان ٢٢/ ٤٨٦).
وأحسن ما قيل في ذلك قول أبي الليث رحمه الله: وقال بعضهم: هذه القصة لا تصح لأنه لا يظن بالنبي مثل داود أنه يفعل مثل ذلك، ولكن كانت خطيئته أنه لما اختصما إليه، فقال للمدعي: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلىٰ نعاجه، فنسبه إلىٰ الظلم بقول المدعي. فكان ذلك منه زلة، فاستغفر ربه عن زلته أهـ.
قلت: وهذا الذي يشهد ظاهر القرآن له، فما زاد عن ذلك فهو عائد إلىٰ أخبار الأحبار، وهي في هذا الباب من نوع: الذي يكذب ولا يصدق.

جبريل عليه السلام وقال: ارفع رأسك فقد غفر الله لك ذنبك، وأقال عثرتك، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ الذنب ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي: رُتبةً ومنزلةً ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥﴾ مرجعٌ في الآخرة.

قيل: سأل داود ربه وقال: يا رب كيف غفرت لي خطيئتي: فقال الله تعالىٰ: يتعلَّق بك أُوريا فيُخاصمك، فأقضي له عليك وأستوهبك من عبدي فيهبك لي، وأُعوِّضه من ذلك بجنتي، فقال: يا رب أفلا ترضيه عني من غير أن يراني، قال: يا داود لابد أن يتعلَّق بك علىٰ رؤوس الخلائق.

ثم أوحىٰ الله تعالىٰ إليه: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: لا تُميلن قلبك أن يفلج أحد الخصمين علىٰ صاحبه، فلا تكونن خليفتي ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يتبعون الهوىٰ في غير حقٍ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦﴾ أي: تركوا العمل ليوم الحساب.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ﴾ أي: جزافًا لاعبًا، بل خلقناهما لأمرٍ كائنٍ ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ أنَّ الله خلقهما باطلاً ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشرك ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك والفواحش في الدرجة والثواب ﴿كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾.

قال المُفسِّر الكبير رحمه الله: عندي أن الميم ههنا صلة، والألف للاستفهام(١).

---

(١) تفسير السمعاني ٤/٤٣٨، وعند الزمخشري أنها منقطعة، والاستفهام للإنكار (الكشاف ٤/ ٩٠).

﴿كِتَٰبٌ﴾ أي: هذا كتابٌ ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مُبَٰرَكٌ﴾ لمن آمن به ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يتفكَّروا في عجائبه وينتفعوا بالقرآن وأمثاله ودلائله وأحكامه ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ يتَّعظ به ذووا العقول من الناس.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ مُطيعٌ لله، وقيل: مُسبِّحٌ كثير الصلاة ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ﴾ بعد صلاة الظهر ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ الخيل السراع[١].

قال الضحاك: هي خيلٌ أُخرِجَتْ لسليمان من البحر ذوات أجنحة[٢].

وقيل: هو ألف فرس[٣].

﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: آثرت حب المال وعَرْض الخيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ وهي صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ وما صليت.

وكلمة: «عن» مقام كلمة «على» وهما يتعاقبان، قال الشاعر:

إذا رضيتْ عليَّ بنو قُشير لعمرُ الله أعجبني رضاها[٤]

معناه: رضيت عنِّي.

﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ﴾ أي: قال سليمان: رُدُّوا الخيل عليَّ، فردوها عليه ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ يضربها بالسيف استهانة للدنيا، وعليه أكثر أهل التفسير.

---

(١) هذا أحد قولي مجاهد، وقال هو وغيره من المفسرين: صفونها: قيامها وبسطها قوائمها، وصفون الفرس رفع إحدىٰ يديه حتىٰ يكون علىٰ طرف الحافر (تفسير الطبري ٢١/ ١٩٢).

(٢) وهو قول ابن زيد كذلك (تفسير الطبري ٢١/ ١٩٢).

(٣) وهو قول الكلبي كما في الكشف والبيان ٢٢/ ٥٢٦.

(٤) البيت للعقيف العقيلي، وهو في تفسير الطبري ١/ ١٩٩، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١، جمهرة اللغة ٣/ ١٣١٤، لسان العرب ١٤/ ٣٢٣.

وقالوا: ليس هذا بفسادٍ، ولكن تزهُّدًا في الدنيا، وليس هذا بأعجب من قطع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم النخيل والأشجار لبني نضير[١].

ويحتمل أنه قصد ذبحها لينتفع بها أهل الحاجة، وربما كان الذبح مُباحًا له علىٰ أيِّ وجهٍ شاء.

وقيل: معنىٰ قوله «مسحًا بالسوق والأعناق»: أي: يمسح بيده علىٰ عاتقها وعُرفها وعراقيبها، حُبًّا لها، وعليه جماعة من أهل التفسير، وذلك بعد أنْ دعا الله تعالىٰ حتىٰ ردَّ الشمس إلىٰ مكانها من صلاة العصر، حتىٰ صلَّىٰ العصر[٢].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ وكانت سبب فتنته أنْ أمره أنْ لا يتزوَّج إلا من بني إسرائيل، فتزوَّج من غير بني إسرائيل، لأنه أغار علىٰ جزائر البحور وقتل ملكهم، وكانت له ابنة فاتخذها لنفسه، فابتلاه الله بذلك، فدخل الخلاء وأعطىٰ خاتم المِلك لامرأته، وكانت تُسمَّىٰ صُبْنَة، فجاء الشيطان علىٰ صورة سليمان وأخذ خاتمه، وجلس علىٰ سريره، فانقاد له الخلق، وخرج سليمان من مُلكه أربعين يومًا، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤﴾ أي: شيطانًا، ثم أناب، أي: رجع إلىٰ مُلْكِهِ وقد ملك قبل ذلك عشرين سنةً، وبعده عشرين سنة، وذهب مُلْكه أربعين يومًا ذو القعدة وعشرٌ من ذي الحجة[٣].

---

(١) وهو قول قتادة والسدي والحسن (تفسير الطبري ٢١/ ١٩٦).

(٢) وهو قول ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة والعوفي، (تفسير الطبري ٢١/ ١٩٦، الكشف والبيان ٢٢/ ٥٣١).

(٣) وهذا أيضا من الأخبار الإسرائيلية، التي لا تصدق ولا كرامة، بل تكذب، ويعلم في شريعتنا بطلانها، وقد أطال بعض المفسرين برواياتها كالطبري في تفسيره ٢١/ ١٩٩، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٢/ ٥٣٨، ومن ثم اختلفوا في فتنته، وكثرت أقاويلهم فيها، لأنها من أباطيل أهل الكتاب، والباطل لا يروىٰ علىٰ وجه واحد.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ أي: هب لي مُلكًا لا تسلبه فيما بقي، كما سلبته عني فيما مضىٰ، عن سعيد بن جُبير وقتادة[١].

وقال الضحاك: يعني به مُلكًا يملك الجن والإنس والشياطين والريح، فوهبه الله تعالىٰ ذلك، ولا يكون لأحدٍ بعده إلىٰ يوم القيامة.

وقيل: أخرج ورثته من الملك شفقة عليهم، لاحتمال أنهم لا يعملون فيه عمله، عن أبي سهل، وليس هذا بحسدٍ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ وقال الجُنيد: هب لي مُلْكًا علىٰ نفسي، لأني لو ملكتُ الدنيا ولم أملك نفسي أكونُ عاجزًا[٢].

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: بأمر سليمان، وقيل: بأمر ربه.

قال أبو الليث (في تفسيره ٣/ ١٦٧): وقال بعضهم: هذا التفسير الذي قاله هؤلاء الذين ذكروا أنه شيطان لا يصح، لأنه لا يجوز من الحكيم أن يسلط شيطانًا من الشياطين علىٰ أحكام المسلمين، ويجلسه علىٰ كرسي نبي من الأنبياء- عليهم السلام- ولكن تأويل الآية والله أعلم: أن سليمان كان له ابن، فجاء ملك الموت يومًا زائرًا لسليمان، فرآه ابنه فخافه، وتغيّر لونه، ومرض من هيبته، فأمر سليمان- عليه السلام- الريح بأن تحمل ابنه فوق السحاب ليزول ذلك عنه، فلما رفعته الريح فوق السحاب، ودنا أجله، فقبض ابنه، وألقي علىٰ كرسيه أهـ.

قلت: ومن أحسن ما تفسر به الآية: حديث أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «قال سليمان بن داود نبي الله: لأطوفن الليلة علىٰ سبعين امرأة، كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله، فقال له صاحبه - أو الملك -: قل: إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ولو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركا له في حاجته»، رواه البخاري ٢٨١٩، ومسلم ١٦٥٤، واللفظ له. فلعله الذي ألقي علىٰ الكرسي هو هذا الشق، فإنه يناسب وصف الآية، والله أعلم.

(١) تفسير الطبري ٢١/ ١٩٩.

(٢) وهذه إشارة بعيدة، ومعنىٰ ضعيف لا تحتمله الآية، بدلالة ما بعدها.

﴿رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦﴾ رخاءً: لينةً طيبةً غير عاصفة[١].

حيث أصاب: أي: حيث أراد أن يصيب ويقصد، وذلك أنه لما عرقب الخيل وغضب عليها لله؛ عوَّضه الله مركب الريح، فكان يغدو من إيلياء فيقيل بقزوين، ويروح[٢] من قزوين فيمسِّي بكابل.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧﴾ من قعر البحر يطلب الجواهر ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾ أي: مُصفدين مسلسلين، والأصفاد القيود، وهم المردة.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ﴾ علىٰ مَن شئت منهم، أي: من الشياطين فخل سبيله ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ احبس في الغُل بلا تبعةٍ عليك مَنْ شئت[٣].

وقال الفرَّاء: هذا عطاؤنا بغير حسابٍ مُقدَّمٌ ومؤخرٌ[٤].

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ أي: قُربةً ومنزلةً ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾ مرجع في الآخرة.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾ أي: أصابني الشيطان بضرٍ في نفسي، وعذاب في مالي وأهلي.

وذلك أنَّ أيوب كان كثير العبادة، فحسده الشيطان لعنه الله، وقال: يا رب أنعمت علىٰ أيوب بنعم الأموال والأولاد ما لو أخذته منه لترك طاعتك، فقال الله تعالىٰ: كلا، إنه يطيعني في جميع الأحوال، فسأل الشيطانُ أن يُسلِّطه عليه، فسلَّطه الله عليه إلا روحه، فأهلك جميع مواشيه من الإبل والبقر والغنم، فلم

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢٠٢.

(٢) تصحف في الأصل إلىٰ: وتزوج، وهو تصحيف قد يظنه الظان صحيحا، وليس كذلك.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٢٠٧.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٤٠٥.

يحزن، ثم أهلك أولاده: اثني عشر نفسًا جالسين علىٰ طعامٍ، فهدم عليهم البيت فلم يحزن به أيوب، فجاء اللعين ونفخ من قرنه إلىٰ قدمه حتىٰ سقط لحمه من جسده[١].

وقيل: وقع الدود في جسده وبقي فيه سبع سنين وسبعة أشهر وسبع ساعات، وأخرجه الناس من العمران، فاشتهىٰ يومًا الخبز مع اللبن، فطلبت امرأته ذلك فلم يُجبها أحدٌ إليه، حتىٰ باعت قرني رأسها بذلك، وأتت إلىٰ أيوب بشهوته، وأخبرته بذلك، فجزع من ذلك أيوب، وقال: يا رب ابتليتني حتىٰ آكل من شعر حليلتي فعند ذلك أتاه جبريل وبشَّره بأن الله تعالىٰ أنجاه من البلاء[٢].

وقال: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ الركض: التحريك علىٰ جهة الإسراع، أمره بركض الرجل حتىٰ ينبع هناك عين[٣]، فلما فعل قال له: ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ فاغتسل منها فصحَّ بإذن الله.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ﴾ أحييناهم بعد الموت كلهم ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ وُلد له ثلاثة عشر ولدًا آخر ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣﴾ أي: عظةً وعِبرةً لأولي الألباب.

---

(١) في هامش الأصل: «والصحيح أن سبب بلاء أيوب ثلاثة أشياء:
الأول: وهو تفاخر وتكبُّر يومًا في الأيام بكثرة المال والأولاد والأغنام وغيرها.
والثاني: وهو كان يأخذ المظلوم عن الظالم، ويدفع شر الظالم عن المظلوم دائمًا، فيومًا في الأيام أهمل ولم يأخذ المظلوم عن يد الظالم، ولم يدفع شره منه: وقال كي فعلتُ ذلك.
والثالث: كان في هذه الناحية ملكًا كافرًا، وحيوانات ومواشي أيوب عليه السلام كان ترتع وتشرب في أراضيه ومملكته، بسبب ذلك ترك أيوب عليه السلام الغزاء إلىٰ ذلك الملك.
وما عدا الكلام في حق سبب بلاء أيوب مشهور وإسرائيليات».

(٢) انظر: تفسير سورة الأنبياء، آية :٨٣.

(٣) أي: دوسها (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣٤).

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ والضغث: حزمة من الحطب والحشيش، ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ﴾ امرأتك ﴿وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾.

وسبب ذلك: أنه أتت امرأته يومًا بشربة خمرٍ وقالت: اشرب، لأنَّه قيل إن فيه شفاءك، فأبىٰ أيوب عن الشرب، فقالت: إن لم تشرب لم أقم معك لأنَّ سقمك قد طال، فآلىٰ أيوب أن يضربها إذا برأ من مرضه، فأخذ بأصل غصنٍ عليها تسعة وتسعون غصنًا، ومع الأصل مائة كاملة، فضربها به ضربةً واحدةً حتىٰ لا يحنث، أكرمه الله بهذه الكرامة إخراجًا عن الحِنث[1].

﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ﴾ علىٰ ما ابتُلي به ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝٤٤﴾ مُقبلٌ علىٰ طاعة الله تعالىٰ، سبحان من أفرغ عليه الصبر بعدما ابتلاه بالبلاء، ثم قبل عنه صبره بالشكر، ثم مدحه علىٰ ما مَنَّ عليه، وهو توفيق الصبر، وهي نعمة منه مبدأها وبه تمامها.

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ يعني: اذكر لأُمَّتك صبر إبراهيم حين أُلقي في النار، وصبر إسحاق عند الذبح، وصبر يعقوب من ذهاب البصر.

﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥﴾ ذوي[2] القوة في العبادة والبصيرة في العلم والدِّين ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ أي: جعلناهم خالصين لنا واصطفيناهم ﴿بِخَالِصَةٖ﴾ ثم فسَّر الخالصة وقال: ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ أي: كانوا يُكثرون ذكر الآخرة، فبه أخلصناهم. والخالصة: اسمٌ وُضع موضع المصدر كقوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾.

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧﴾ بالنبوة والإسلام.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢١١.

(٢) في الأصل: ذي، وهو تصحيف.

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ قيل: كان لبني إسرائيل أربعمائة نبيٍّ فقتلوا ثلاثمائة في يومٍ واحدٍ، وانفلت منهم مائة، فكفلهم ذو الكفل وخبَّأهم وأطعمهم وسقاهم[1].

﴿وَكُلٌّ﴾ هؤلاء ﴿مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٨﴾.

﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ﴾أي: الذي ذكرناه في القرآن شرفٌ لهم وذكرٌ إلىٰ يوم القيامة ﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩﴾ أي: حسن مرجعٍ في الجنة.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ نصب علىٰ البدل ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ قبل مجيئهم.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١﴾ أي: يتمنون ذلك ويُؤتَونَ ألوان الفاكهة وأجناس الأشربة.

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢﴾ أي: حابسات العين عن غير أزواجهن، مستويات في السِّنِّ في غاية الشباب.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ علىٰ ألسنة الرسل في الدنيا ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣﴾ أي: القيامة.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ أي: فناءٌ وانقطاعٌ.

ثم قال: ﴿هَٰذَاۚ﴾ وهو مختصر، يعني: الثواب في الجنة والنعيم للمتقين هذا. وقيل: هذا أي: هكذا.

ثم ذكر الكفار فقال: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥﴾ يعني: الذين طغوا في الكفر وتركوا الإيمان، شر مرجع، ثم فسَّر المرجع فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا [فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ] ۝٥٦﴾ يدخلونها وبئس المنام[2].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء، آية: ٨٥.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ١٧١.

﴿هَٰذَا [فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾] يعني: هذا حميم وغساق فليذوقوه، الحميم: الذي انتهىٰ حَرُّه.

والغسَّاق -بالتشديد-: ما يغسَق من جلود أهل النار، أي: يسيل، يُقال غسقت عينه إذا سالت.

والغسَاق -بالتخفيف-: هو البارد الذي يحرق برده[(١)].

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ أي: عذاب آخر مثل العذاب الأول، والأزواج: بمعنىٰ الأنواع[(٢)].

وقُرئ: «وأُخَرُ» بلفظ الجمع[(٣)].

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ قيل: كان الرؤساء من الكفار يدخلون جهنم قبل الأتباع، ثم يدخل الأتباع عليهم، فيقول لهما خزنة النار: هذا فوجٌ، أي: طائفةٌ، مقتحمٌ معكم: أيها الطاغون.

والاقتحام: الدخول في الشدة والعنف[(٤)].

فيقول الرؤساء والقادة: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي: لا سعة لهم في المكان ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝٥٩﴾ كما صلينا، أي: داخلوها كما دخلنا.

أجابهم الأتباع وَ ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ ضيَّق الله عليكم المكان ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ يعني: أنتم سننتم سُنة الكفر فاقتدينا بكم ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝٦٠﴾ لنا ولكم.

---

(١) قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان وابن عامر وشعبة بالتخفيف (النشر ٢/ ٣٦١).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٢٢٨، الكشف والبيان ٢٢/ ٥٦٥.

(٣) قرأ البصريان: وأُخرُ (النشر ٢/ ٣٦١).

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ٢٣٠.

ثم دعت الأتباع وَ ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ يعني: الكفر ثم اتَّبعناه ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١﴾ أي: ضعفي ما علينا.

قيل: أراد به إبليس وقابيل، وقيل: هو عامٌّ[1].

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ۝٦٢﴾ قيل: هو قول أبي جهلٍ والوليد وذويهم، يقولون ذلك لصهيب وعمَّار وغيرهما من الفقراء.

وقيل: هو عامٌّ في جميع المؤمنين، يقول الكافرون ذلك.

﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٦٣﴾ يعني: أظننا أنهم علىٰ غير شيءٍ فسخرنا بهم، وصاروا إلىٰ الجنة، أم هم في النار ولا نراهم.

ومَنْ قرأ: «اِتَّخَذْنَاهم»[2] من غير استفهام فمعناه: بل زاغت عنهم الأبصار، أي: حارت وصاروا إلىٰ الجنة ونحن في النار[3].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي وصفناه ﴿لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤﴾.

ثم علَّم رسوله فقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞ﴾ لكم من عذاب الله ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٦٥﴾ الغالب علىٰ خلقه ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ أي: القرآن عظيمٌ وكلامٌ شريفٌ ﴿أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ۝٦٨﴾ لا تؤمنون به ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ بخصومة

---

(١) أي في كل القادة، وهو الذي يذكره المفسرون.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو ويعقوب وخلف بوصل الهمزة، والابتداء بالكسر، والباقون علىٰ ما أثبت (النشر ٢/ ٣٦٢).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٤٠، الكشف والبيان ٢٢/ ٥٦٧.

الملائكة في الملأ الأعلىٰ ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ۝٦٩﴾ يناظرون، وإنما علمت ذلك بوحي الله.

قال مقاتل: اختصامهم سؤال الملائكة ربهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1].

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾ وقل[2]: ما علمت هذه الأقاصيص إلا بوحي الله.

ثم بيَّن خصومة الملائكة[3] فقال: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين كانوا سكان الأرض ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١﴾ سَمَّىٰ نفسه خالقًا قبل أن يخلقه ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ بشرًا ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يصير لحمًا ودمًا وعظمًا وعصبًا وعروقًا، وأحمله علىٰ السرير ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ أي: خروا بين يديه طائعين خاضعين.

﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ﴾ لآدم ﴿أَجۡمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ﴾ عن السجود ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ ممن كتب الله عليه الكفر.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ بقوتي وقدرتي وصنعي.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن الشيخ أبي منصور الماتريدي أنه قال: تكلَّم أهل التأويل في إضافة اليد إلىٰ الله تعالىٰ، فمنهم من قال: اليد القوة، ومن قال: هي القدرة، وغرضهم من ذلك أن لا ينسبوا الجارحة إلىٰ الرب تعالىٰ عن ذلك، وهذا كله تكلُّفٌ وفضلٌ من الكلام، لأنه يجوز إضافة

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ١٢٤.

(٢) في الأصل: وقيل، وهو تصحيف.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٢٣٨.

اليد إلىٰ من يتصور منه الجارحة، قال الله تعالىٰ في صفة القرآن: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ليس المُراد تقديم اليد حقيقة.

والتثنية للتأكيد، والمعنىٰ: خلقته أنا بلا معونةٍ من جهة أحدٍ[1].

---

(١) كلام أبي منصور في تفسيره تأويلات أهل السنة ٨/ ٤٦٧.
وما استعان الرب سبحانه وتعالىٰ في خلق غير آدم بمعونة أحد، ولا في خلق السماوات والأرض التي هي أعظم وأشد من خلق الإنسان، ومع ذلك لم يشرفها بأن خلقها بيديه كما شرف آدم، ولكن الله أثبت يدين له، فنؤمن بأن لربنا يدين، ولا نحتاج إلىٰ تأويل أبي منصور، ولا تأويل غيره، وكما أن ذاته الشريفة تخالف ذوات المخلوقين فكذلك يده الكريمة تخالف يد المخلوقين، وإنما يصير إلىٰ التأويل من اعتقد التشبيه في أول أمره، ولو أن أبا منصور أخذ بما قرر من أن إضافة الصفة بحسب المضاف إليه لأثبت لله يدا تليق بكماله وجلاله، تخالف يد المخلوقين، فإذا كانت الأيدي بين المخلوقين متفاوتة، فكيف بين المخلوق والخالق، ولذا كانت عبارة أهل السنة علىٰ إثبات اليد لله عز وجل بما يليق بجلاله دون تأويل، كقول ابن عمر: خلق الله أربعة بيده، العرش وعدن والقلم وآدم، وقال الطبري: لما خلقت بيدي: لخلق يدي، يخبر تعالىٰ ذكره أنه خلق آدم بيده (تفسير الطبري ٢١/ ٢٣٩).
وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري (في كتاب الإبانة ١٢٥): قد سئلنا أتقولون إن لله يدين؟
قيل: نقول ذلك بلا كيف، فذكر الآية ثم قال: فنثبت اليد بلا كيف، وقال: وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهومًا في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة؛ بطل أن يكون معنىٰ قوله تعالىٰ: «بيدي» النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: لي عليه يدي، بمعنىٰ: لي عليه نعمتي، ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلىٰ أهل اللسان فيها دوفع عن أن تكون اليد بمعنىٰ النعمة؛ إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها، وأن لا يثبت اليد نعمة من قبلها؛ لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالىٰ: «بيدي» نعمتي فليس المسلمون علىٰ ما ادعىٰ متفقين، وإن

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ استفهام توبيخ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥﴾ المتكبرين، والعالي والمستكبر واحدٌ، ولكن ذكرهما هنا لاختلاف اللفظين تأكيدًا.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ وهي نور ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦﴾ وهو ظلمة، كأنه قال: لست بحكيم إذ فضَّلت النور على الظلمة، فكفر.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الأرض إلىٰ جزائر البحور، وقيل: من صورة الملائكة، وقيل: من الجنة.

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٧٧﴾ ملعون ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨﴾ وسخطي إلىٰ يوم الحساب.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩﴾ أراد أنْ لا يذوق الموت.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠﴾ المؤجَّلين ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٨١﴾ وهي النفخة الأولىٰ.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ بمنعتك وعظمتك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ المعصومين.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ﴾ أي: الحقَّ ﴿أَقُولُ ۝٨٤﴾ والحقَّ أي: حقًا لأملأن جهنم، وقُرئ: «فالحقُّ»[1] أي: أنا الحقُّ والحقَّ أقول[2].

روجع إلىٰ اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: بيدي يعني نعمتي، وإن لجأ إلىٰ وجه ثالث سألناه عنه، ولن يجد له سبيلا. إلىٰ آخر ما قال..

(١) قرأ عاصم وحمزة وخلف: فالحقُّ، بالرفع، كما أثبت، وقرأ الباقون في النصب فيهما (النشر ٢/ ٣٦٢).

(٢) واختلف العلماء في وجه نصب الاثنين، فقيل: الأول علىٰ الإغراء والثاني بإيقاع القول عليه (الكشف والبيان ٢٢/ ٥٧٥).

﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥﴾.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ أي: على التوحيد والقرآن، مِنْ رزقٍ وجُعِلٍ، وما أنا من المتكلِّفين، أي: المتقوِّلين المتخرِّصين للقرآن من تلقاء نفسي، إلا بوحيٍ من الله تعالىٰ.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ أي: القرآن شرفٌ لمن آمن به من الجن والإنس ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ يا أهل مكة أي: خبر القرآن ﴿بَعۡدَ حِينِۭ ٨٨﴾ بعد انقضاء زمان الدنيا.

وقال الكلبي: غير مؤقت، فمنهم من علم في حياته، ومن مات فيعلمه بعد مماته(١).

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة ص أُعطي من الأجر بوزن كل جبلٍ سخَّره الله لداود عشر حسنات، وعصمه الله عزَّ وجل من أن يُصر علىٰ ذنبٍ كبيرٍ أو صغيرٍ»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٧٥، الكشف والبيان ٢٢/ ٥٨٣.

(٢) رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٥.

تنبيه: سقط حديث فضائل سورة ص من كتاب الثعلبي: الكشف والبيان ٢٢/ ٤٥١، وهو في الطبعة القديمة ٨/ ١٧٥، ومما يدل أنه سقط علىٰ المحقق أو علىٰ الناسخ أن الزيلعي عزاه إليه في تخريج أحاديث الكشاف ٣/ ١٩٥.

سورة الزمر

وهي تُسمَّىٰ سورة الغُرف[١].

مكيَّة، إلا ثلاث آيات من لدن قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾ فهي مدنيةٌ[٢].

وهي خمسٌ وسبعون[٣] آية في الكوفي، وآية في البصري والمدني[٤].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال وهبٌ: من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة الغُرف، وهي تنزيل الزمر[٥].

ومعنىٰ الآية: إرسال الكتاب من الله تكليمٌ ووحيٌ.

وقيل: هذا تنزيل الكتاب من الله فاستمعوا له واعملوا به[٦].

وقيل: تنزيل والكتاب اسمان للقرآن، أُضيف أحدهما إلىٰ الآخر كقوله: ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾.

﴿[مِنَ ٱللَّهِ] ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾.

---

(١) زاد المسير ٤/ ٧.

(٢) نحوه في الكشف والبيان ٢٣/ ٧، زاد المسير ٤/ ٧.

(٣) في الأصل: تسعون، وهو تصحيف.

(٤) وثلاث في الشامي (البيان في عد آي القرآن ٢١٦)، وعنده: في البصري والمدني: آيتان.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٣٢.

(٦) في الأصل: واعلموا وهو تصحيف.

ثم قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: القرآن ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ قيل: للحق ولم ننزله باطلاً﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ مُوحِّدًا لا تُشرك به شيئًا، خاطب الرسول ويعني به الجُهَّال.

ثم نبهه فقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ الذي لا يشوبه شركٌ، وقيل: الدِّين الخالص الذي لا يطلبُ ولا يُريد عليه صاحبه عِوضًا في الدَّارين[1].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ محذوف الخبر، يعني: يقولون ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ مقاتل: هم كفار العرب عبدوا الملائكة وقالوا: هم شفعاؤنا[2].

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ وحُكمه تبارك وتعالىٰ ما حكىٰ عنهم: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ۝٤٨﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ أي: لا يرشد ولا يُوفّق من يقول: ما نعبدهم إلا ليقرِّبونا إلىٰ الله زُلفىٰ.

وقيل: كاذبٌ كفارٌ يفتري علىٰ الله أن له ولدًا[3].

ثم قال: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ وهم الملائكة، لأنهم أطهر وأطيب من عيسىٰ وعُزير، ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ تنزيهًا له عن السوء، وبراءةً له عن الولد والشريك ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾ الغالب علىٰ خلقه بالموت.

---

(١) قال قتادة: هو شهادة أن لا إله إلا الله (تفسير الطبري ٢١/ ٢٥١).

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ١٢٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ١٧٧.

ثم دلَّ علىٰ وحدانيته عبادَه، ووصف نفسه، لأنه لا تُدركه الأبصار في الدنيا، ولا يشبه الناس، ولا يُمس بالحواس، فيُستدل علىٰ وحدانيته بأفعاله فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ وما خلقهما باطلاً عبثًا ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ قال الضحَّاك: يُدخل هذا في ذاك، وذاك في هذا، فيغلب سواد الليل بياضَ النهار وبياضُ النهار سوادَ الليل[1].

قال أبو سهل: التكوير اللَّف، مأخوذٌ من تكوير العِمَامة، يلفُّ بعضها علىٰ البعض، أي: يلفُّ سواد الليل علىٰ ضوء النهار، وضوء النهار علىٰ سواد الليل[2].

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ يسيران ذائبين ﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ فأجل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، في ثمانية وعشرين يومًا، وأجل الشمس مائة وثمانون منزلاً، تقطعها في ستة أشهر، ثم ترجع ستة أشهر أخرىٰ، تعود إلىٰ مستقرها، فذلك ثلاث مائة وستون منزلاً ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ خلقها من ضلعه[3] اليُسرىٰ القصيرىٰ، وفي الآية تقديم وتأخير.

[﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ﴾][4].

---

(١) نقله القرطبي عن الضحاك بلفظ: يلقي هذا علىٰ هذا وهذا علىٰ هذا (الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٣٤).

وعن مجاهد: يدهوره، والتكوير هنا هو التغشية الواردة في قوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ﴾ [سورة الرعد:٣] والمعنىٰ: يأتي بهما في أوقاتهما، ويدخل هذا علىٰ هذا (تفسير الطبري ٢١/ ٢٥٤، زاد المسير ٤/ ٨).

(٢) ومثله قال ابن قتيبة، (الكشف والبيان ٢٣/ ١٢، زاد المسير ٤/ ٨).

(٣) في الأصل: ضلعها، وهو تصحيف.

(٤) أخر تفسيرها آخر الآية.

ثم قال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ يُحوِّلكم حالاً بعد حالٍ، نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظمًا، ثم ينفخ فيه الروح ذكرًا أو أنثىٰ.

﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ لا يخلص إليه يدُ لامسٍ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لا خالق غير الله ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ القدرة بكمالها في الدَّارين ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾ أي: كيف تخدعون عن هذا البيان ومعرفة الرب.

وقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كلامٌ اعترض فيما بين قصة خلق الإنسان، ولما أنزل الله آدم من الجنة أنزل معه ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ من الأنعام، من الإبل اثنين ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين، فهذه كلها ثمانية، وقد سمَّىٰ الله لكل واحدٍ من الذكر والأنثىٰ زوجًا، فصار ثمانية أزواج.

﴿إِن تَكْفُرُواْ﴾ يا أهل مكة توحيد الله ونعمه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ قال قتادة: ما رضي لعباده الضلالة، ولا أمرهم بها، ولا دعاهم إليها، ولكن رضي بطاعته، وأمر به، ونهىٰ عن معصيته، ومنع عنه بالخطاب[1].

وقيل: لا يرضىٰ لعباده الكفر لا يقبل لأنه ليس من دِينه[2].

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ﴾ نعمه ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يقبله منكم لأجلكم لا لأجله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمل نفسٌ خطيئة نفسٍ غيرِه، وإن كان قريبًا أو ولدًا ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ بعد الحشر ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ أي: بما في القلوب من الخير والشر.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ أي: مرضٌ وفقرٌ وبلاءٌ في بدنه ﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا

---

(١) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٧/ ٢١٣، دون قوله: ومنع عنه بالخطاب.

(٢) والأول هو الصحيح في تفسير الآية، وفيه تفريق بين الرضىٰ والإرادة، (تفسير السمعاني ٤/ ٤٦٠).

﴿إِلَيۡهِ﴾ راجعًا من شركه وذنبه إلى الله ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ أكرمه بتفضُّله وصحح له جسمه ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ أي: ترك الإخلاص وأشرك بربه.

وقيل: نسي الله الذي كان يتضرَّع إليه من قبل[1].

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ من الأصنام ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ مَنِ اتبعه، قال الضحاك: نزلت في النضر بن الحارث[2].

﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا﴾ من الأيام، لفظه أمرٌ ومعناه التهديد ﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨﴾ في الآخرة.

﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا﴾ قال الضحاك: نزلت في عُمر وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر[3].

وقيل: في عثمان بن عفان[4].

والمعنى: أمَّن هو مطيعٌ لله لا يكفر نعمه ويشكره آناء الليل والنهار، أي: ساعاتهما.

﴿سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذاب النار ﴿وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ واتصال الآية بما قبلها: إنك من أصحاب النار أمَّن هو قانتٌ.

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ توحيد الله مثل أبي جهل والنضر بن الحارث ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ يعني ذوي العقول من الناس.

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾ أطيعوا ربكم في الأمر والنهي

---

(١) يعني الأصنام (تفسير السمعاني ٤/ ٤٦٠).

(٢) وقيل في أبي حذيفة بن المغيرة (تفسير السمعاني ٤/ ٤٦٠).

(٣) الكشف والبيان ٢٣/ ١٩.

(٤) تفسير السمعاني ٤/ ٤٦١، زاد المسير ٤/ ١٠.

وهاجروا من مكة إلىٰ المدينة، ثم بيَّن ثواب المهاجرين ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ في العقبىٰ، وهي الجنة، وقيل: راحة من أيدي الأعداء(١).

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ آمنة من العدو، يعني: أرض المدينة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ علىٰ أوامر الله ونواهيه، وقيل: علىٰ مضض الهجرة وفراق الأهل والوطن.

﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ لا عدَّ فيه ولا كيل ولا وزن.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ بلا شركٍ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ في زماني وشريعتي، وأدعوكم إليه.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ أي: أُوَحِّدُه وأُخْلِص له طاعتي ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أمر تهديدٍ بعد ظهور الحجَّة وقيام دليل التوحيد.

وهو منسوخٌ بآية السيف(٢).

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهو الخُسران بالحُور وبشائر نعيم الجنة ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ يعني: يكونون بين أطباق النار تلتهب النار عليهم من فوقهم، ومن تحتهم، كقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ من أهل التوحيد ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦﴾ أي: وَحِّدوني وأطيعوني في أمري ونهيي.

---

(١) وقيل: الصحة والعافية (كما في تفسير الطبري ٢١/ ٢٦٩) وهذا دليل علىٰ أن الطاعة تورث الصحة.

(٢) الكشف والبيان ٢٣/ ٢٦.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ أي: تركوا عبادة الأصنام والشياطين وخالفوا أمرهم ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ أي: البشارة ﴿فَبَشِّرۡ﴾ يا محمد ﴿عِبَادِ ١٧﴾ من أهل التوحيد[1].

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ أحسن القول: القرآن، يتّبعون مُحكمه ويتركون منسوخه.

وقيل: إذا جلسوا مجلسًا وسمعوا كلمات يتبعون من ذلك الكلام أحسن ما يسمعون فيعملون به[2].

مثال: أنْ يسمعوا القصاص والعفو تركوا القصاص وأخذوا العفو، وسمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ يؤثرون الصبر ويتركون العقوبة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أرشدهم لدينه ووفقهم الصواب ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ قيل: نزلت في رجل له سبعة أعبد، فلما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣﴾ أعتق كلهم فنزلت الآية[3].

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ وكلمة العذاب قوله: «خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»[4] ﴿أَفَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ أي: تُخلِّص من جرىٰ ذكره من أهل النار؛ وتُصَيِّره من أهل الجنة، ليس لك ذلك،

---

(١) وعن ابن زيد عن أبيه: أنها نزلت في الحنفاء الذين كانوا في الجاهلية، زيد بن عمرو أبي ذر وسلمان (تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٤).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٤، تفسير أبي الليث ٣/ ١٨١، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٨.

(٣) هو رواية جويبر عن جابر، كما في الدر المنثور ٧/ ٢١٨.

(٤) رواه أحمد في المسند ٣١٠.

ولكنَّما أنت داع وبشير ونذير، فمن أجابك فاحمد الله، ومن لم يُجبك فلا تَذْهَب نفسك عليهم حسرات.

﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ وحَّدوه وأطاعوه ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ﴾ أي: علاليّ في الجنة ﴿مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ أخرىٰ ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ أي: من تحت العلالي أنهارٌ علىٰ جنادل الدُّرِّ والياقوت، تجري من غير أخدود ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ يعني: ألم تخبر به ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ أي: جعله ينابيع ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: أدخله في الأرض ثم جعل منه عيونًا وركايا ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ من بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: يجف ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾ بعد الخُضرة ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ﴾ مُتفتتةً، والحطام: ما تفتَّتَ وتكسَّر، وهو جمعٌ لا واحد له من لفظه، فهذه جملة أحوال الدنيا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المطر والنبات ﴿لَذِكۡرَىٰ﴾ أي: عظة ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾ مَنْ له عقلٌ يتزوَّد من الدنيا للآخرة[1].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ أفمن وسَّع الله قلبه للتوحيد ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ﴾ هدىً ﴿مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ يعني الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ وهو أبو جهل لعنه الله، ليسا بسواءٍ.

قيل: علامة من شرح الله صدره: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلىٰ دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله.

وقيل: إذا شرح الله قلب العبد انفسح؛ حتىٰ لو أنَّ الكونين وُضعتا فيه لم يعرف أن فيه شيء، لأنه علىٰ نورٍ من ربه أي هدىً منه[2].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥٠.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٧.

ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ [أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ]﴾ وهذا الكلام لا يُوافق قوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾.

ونظمه: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن قسا قلبه فلا يسعه الإسلام والإيمان، فهذا جوابٌ متروكٌ في لفظ القرآن، ثم قال: فويلٌ للقاسية قلوبهم فأشار في الجواب إلىٰ المعنىٰ الذي يؤدِّي به الكلام(١).

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أحكمه ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ يُشبه بعضه بعضًا في الحكمة والفصل، لا تناقض فيه ﴿مَّثَانِىَ﴾ يعني الأنباء والقصص مُكررة فيها.

وقال الضحاك: مثاني أي: يُكرر فلا تنقطع عجائبه، ولا يخْلُق عن كثرة الرد(٢).

وكتابًا: منصوب علىٰ البدل من قوله: أحسن(٣).

وقيل: سُمِّي مثاني لأنَّ كل فصل مثنىٰ مثنىٰ: أمرٌ ونهيٌ، وعدٌ ووعيدٌ، وناسخٌ ومنسوخٌ(٤).

﴿تَقْشَعِرُّ﴾ قيل: ترتعد من تلاوة القرآن ﴿مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ حين سمعوا ذلك وصدَّقوا به.

---

(١) قال الطبري: وترك ذكر الذي أقسىٰ الله قلبه وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين (تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٧) وهذه من سنن نظم القرآن وأساليبه. وانظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥١، الكشف والبيان ٢٣/ ٣٧، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٤٧.

(٢) أي تكرر فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج، وهو قول عامة المفسرين (تفسير الطبري ٢١/ ٢٧٩، الكشف والبيان ٢٣/ ٤٣).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥١.

(٤) وهو مندرج تحت القول السابق من وجه، وقد ذكر الماوردي سبعة أوجه مؤتلفة في تفسير المثاني ليس منها هذا (النكت والعيون ٥/ ١٢٣). وانظر: تفسير السمعاني ٤/ ٤٦٦، وزاد المسير ٤/ ١٤..

وقال أبو سهل: تتقلص جلودهم، وتقف شعورهم، وترعد أعضاؤهم، إذا مروا منه بآية عذاب.

ثم ﴿تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ بعد القشعريرة، الاقشعرار، وتسكن أعضاؤهم إلىٰ ذكر الله حين يذكرون رحمته، وحُسن عائدته علىٰ عباده الأوّابين إليه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ نوره ﴿يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ من خلقه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن دينه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعني: يدفع العذابَ عن نفسه بوجهه، وهو الكافر في النار، أصاب النار يده فجمع يده إلىٰ عنقه كيلا يصيبها نار؛ فأصاب النار وجهه.

وجواب الكلام محذوف، وجوابه: مَن كان علىٰ هذه الصفة كمن يُكرم وجهه بطاعة الله كيلا تمسه نار[١].

﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: وبال ما كسبتم وعقوبة كُفركم.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل قومك رسلهم كما كذَّبوك هؤلاء ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ﴾ العذاب ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ بيّنا لأهل مكة ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من الأمر والنهي ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ غير مخالف للكتب المتقدمة في التوحيد وفي بعض الشرائع، وقيل: غير ذي لحن فيُقَوِّمه الناس[٢].

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢٨٢، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥٢.

(٢) وهذا قول بكر بن عبد الله، وعن مجاهد: غير ذي لبس (تفسير الطبري ٢١/ ٢٨٣) وانظر أقوالهم في الكشف والبيان ٢٣/ ٥١.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ أي: يوحِّدون.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ في الآية تقديم وتأخير، معناه: ضرب الله رجلاً فيه شركاء متشاكسون ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[(١)] مَثَلاً يعني به الكافر والمؤمن، فمثل المؤمن مثل السالم لرجل لا يشركه فيه غيره، ومثل الكافر مثل الذي فيه شركاء مختلفون الذين لا يتفقون.

والشركاء المتشاكسون المتخاصمون: الأصنام والشياطين، فإرضاء الواحد أسهل من إرضاء الجماعة، لاسيما إذا كانوا متشاكسين.

وقرئ: «سَالِمًا» و«سَلَمًا»، فالسَّالم: الخالص، والسَّلَم: مصدر سَلِم يسلَم سَلَمًا، معناه رجلاً ذا سلم[(٢)].

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ يعني: هل يستوي [من] يعبد آلهة شتىٰ مع الذي يعبد الله وحده.

ثم حَمِدَ نفسه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ علىٰ تفضيله من اختاره علىٰ من اشتغل بما دونه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩﴾ أمثال القرآن.

ثم قال لرسوله عليه الصلاة والسلام ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ يعني ستموت ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ أي: من كفر بك سيموتون لا محالة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ تتكلمون بالحُجَّة، يعني: رسول الله مع كفار قريش.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وجعل له شريكًا وولدًا وهو يتصرف في

---

(١) في الأصل: «سالما» وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب، وقرا الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٣٦٢).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٢٨٤، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥٢.

نِعَم الله وإحسانه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ أي: بالقرآن والتوحيد ﴿إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ يعني: حسبهم ذلك.

ثم وصف أهل الحق فقال ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ قال مقاتل: هو رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جاء بالتوحيد، وصدَّق به المؤمنون[(١)].

وقيل: جاء بالصدق جبريل وصدَّق به محمد صلىٰ الله عليه وسلم[(٢)].

وقال علي رضي الله عنه: جاء بالصدق: يعني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يعني بالتوحيد، وصدَّق به أبو بكر[(٣)].

وقال الزجاج: الذي والذين ههنا بمعنىٰ واحد، ومعناه: من جاء بالصدق وصدَّق به معطوف علىٰ الأول، وهو الجنس[(٤)].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ بدل عن الجماعة ﴿ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ الشرك والفواحش.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ أي: ما يتمنون في الجنة عند الله ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾ ثواب الموحِّدين.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ في الدنيا من شرك يمحق التوحيد ﴿وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم﴾ في الآخرة ﴿بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٥﴾ في الدنيا، وقيل: يجزيهم بالمحاسن ولا يكافئهم بالمساوئ[(٥)].

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ وهذا جواب قولهم: يا محمد، لا تذكر آلهتنا

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ١٣٣.
(٢) وهو قول السدي (الكشف والبيان ٢٣/ ٦١).
(٣) رواه الطبري في تفسيره ٢١/ ٢٩٠
(٤) معاني القرآن ٤/ ٣٥٤.
(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ١٨٦.

كيلا يصيبك منهم الخبل، فنزلت الآية[١].

أي: الله يكفيك شرَّ أعدائه.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهُدىٰ ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ يصرفه عن هُداه ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ۝٣٧﴾ من أهل معصيته.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يعني: أهل مكة ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ خلقهما ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي: فقر أو بلاء ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ أي: بلاءه مني ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ وسعة من العيش وصحَّة في الجسم ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾[٢] هل: تقدر آلهتكم أن يحبسوا عني رحمته، فسألهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فسكتوا ولم يجيبوا، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٣٨﴾ أي: به يثق الواثقون، وهو قادر علىٰ ما يشاء، ومن توكل علىٰ مَن دُونه خذله عند الحاجة إليه.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أمر توبيخ، يعني: اعملوا علىٰ طريقتكم[٣].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٨٦، الكشف والبيان ٢٣/ ٦٦. وعن قتادة قال: بعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلىٰ شعب سقام ليكسر العزىٰ فقال سادنها: يا خالد أنا أحذركها، إن لها شدة، لا يقوم إليها شيء، فمشىٰ إليها خالد بالفأس فهشم أنفها. تفسير الطبري ٢١/ ٢٩٤.

(٢) في الأصل: «كاشفاتٌ ضرَّه» «ممسكاتٌ رحمتَه» وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٣٦٣).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥٥.

وقال الكلبي: في منازلكم بهلاكي[١].

فـ ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على طريقتي التي أمرني بها ربي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ عن قريب إذا نزل بكم العذاب ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ مِنْ: للاستفهام، يعني: أيُّنا يأتيه عذاب يفضحه، لأنَّ جواب الشرط مجزوم وهذا غير مجزوم ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ أي: ومن يجب عليه عذاب دائم لا يزول عنه.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: آمن بالقرآن ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ثوابه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: على نفسها عقوبة الكفر ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ وصارت هذه منسوخة بآية السيف.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي: يقبض أرواحها عند انقضاء آجالها ﴿وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يتوفى الأنفس في النوم أيضًا.

قال الزجاج رحمه الله: أي[٢]: يتوفَّى عند الموت نفس الحياة والحركة، وهي الروح، وما يُتوفَّى في النوم نفس التمييز والعقل، لا نفس الحياة، لأنَّ نفس الحياة إذا زالت زال معها النَفَس والحركة، والنائم يتنفس ويتحرك، فالحاصل أنَّ النفس نفسان، نفس الحياة وهي التي تُقبض عن الحي عند الموت، ونفس التمييز والنطق وهي التي تُقبض عند النوم والجسم حي[٣].

---

(١) تنوير المقباس ٣٨٩.

(٢) في الأصل: التي، وهو تصحيف، والتصحيح من المصدر.

(٣) نحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٥٦.

وقال الطبري (في تفسيره ٢١/ ٢٩٨): ومن الدلالة على أن الألوهية لله الواحد القهار خالصة دون كلِّ ما سواه، أنه يميت ويحيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه، فجعل ذلك خبرًا نبههم به على عظيم قُدرته، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فيقبضها عند

ثم قال: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ ولا يردها إلىٰ الجسد يعني نفس الحياة ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ أي: نفس النطق والتمييز ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو تمام عمره ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في رد النفس بعد القبض ﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ أي: عبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ ميم زائدة، وهو ألف الاستفهام، عن أبي سهل(١).

وقال الضحاك: بل اتخذوا، أي: عبدوا دون الله أصنامًا، وزعموا أنَّها ستشفع لهم عند الله.

﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ﴾ معناه وإن كانوا ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فتعبدونهم.

فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها، ويتوفىٰ أيضًا التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ ذُكر أنَّ أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلىٰ أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتىٰ ترجع إلىٰ أجسادها إلىٰ أجل مسمىٰ وذلك إلىٰ انقضاء مدة حياتها، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. أهـ.

ولوفاة النوم أثر في الرؤيا، فقد وروىٰ ابن أبي حاتم عن سليم بن عامر أن عمر بن الخطاب قال: العجب من رؤيا الرجل إنه يبيت فيرىٰ الشيء لم يخطر له علىٰ باله، فتكون رؤيا كأخذ باليد، ويرىٰ الرجل الرؤيا فلا تكون رؤياه شيئًا! فقال علي بن أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ يقول الله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فالله يتوفىٰ الأنفس كلها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلىٰ أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل فكذبت فيها فعجب عمر من قوله.

(١) مثله في تفسير أبي الليث ٣/ ١٨٨.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ لا يقدر ملك مقرَّب ولا نبي مرسل على الشفاعة إلا بإذن الله ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾ بعد الموت.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ [وَحۡدَهُ]﴾ بالوحدانية ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أي: نفرت قلوبهم، وقالوا: أجعل الآلهة إلـٰهًا واحدًا ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ يعني: بذكر اللات والعُزىٰ(١).

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يا ﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي ما غاب عن علم العباد وما علموه ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦﴾ في الدين.

ثم ذكر حال المشركين فقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ يوم القيامة ﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ أي: مثل ما في الأرض معهم ﴿لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ﴾ أي: بجميعه أنفسهم ﴿مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ أي: شدة العذاب ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: سيظهر لهم يوم القيامة من الله، أي: من عذاب الله ﴿مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧﴾ أي: يظنون في دار الدنيا.

﴿وَبَدَا لَهُمۡ﴾ أي: سيبدو لهم ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ من الشرك حين نطقت الجوارح بما كتمته الألسُن ﴿وَحَاقَ بِهِم [مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ] ٤٨﴾ أي: دار ونزل بهم عقوبة استهزائهم بالرسول والكتاب.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ﴾ أي: الكافر شدة وفقر ومرض ﴿دَعَانَا﴾ مخلصًا ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ﴾ أي: ملَّكناه ﴿نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ﴾ أي: جَلَدٍ وحيلة في التجارات ﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ﴾ وبليَّة أعطاه الله اختبارًا يشكر أم يكفر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٩﴾ ذلك.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٨٩.

قيل: نزلت في النضر بن الحارث، وقيل في أبي حذيفة بن المغيرة[١].

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قارون، قال: «أُوتيته علىٰ علم عندي» ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٥٠﴾ عند الهلاك.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي عقوباته ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥١﴾ أي: بسابقي الله في الأرض هربًا.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يُضيق علىٰ من يشاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ بسط الرزق والضيق ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالذنوب من القتل والزنا وغيره ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ لا تيأسوا من مغفرة الله، إنه غفور رحيم لا يتعاظمه ذنب ندم عليه صاحبه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ صغيرها وكبيرها، سرها وعلانيتها، إذا تاب صاحبها ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ المتجاوز الرحيم بعد التوبة.

الضحاك: نزلت في الوحشي قاتل حمزة[٢].

وقوله: لا تقنطوا من رحمة الله، لأنَّ قنوطكم من الرحمة أفظع من معصيتكم وجنايتكم علىٰ أنفسكم، وإن أوردتم أنفسكم في المهالك.

وقال علي بن أبي طالب: هي أرجىٰ آية في كتاب الله تعالىٰ.

لأنَّه عز وجل أمهل عباده تفضُّلاً منه وتكرُّمًا إلىٰ آخر نفَس، وقال: لا

---

(١) سبق ذكر ذلك. وهو قول مقاتل (تفسير مقاتل ٣/ ١٣٦).

(٢) وهي رواية عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس (الكشف والبيان ٢٣/ ٧٧)، وقول كثير من المفسرين (تفسير الطبري ٢١/ ٣٠٧).

تيأسوا فإنكم لو رجعتم إلىٰ بابي في آخر النَفَس لقبلتكم. وهو قول سهل[١].

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي: أخلصوا له الطاعة ولا تشركوا فيها غيره، وأطيعوا أمره ونهيه ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ علىٰ الكفر ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤﴾ من عذابه.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ اعملوا بالقرآن وأحلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً﴾ فجأة يأخذكم علىٰ الشرك ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٥٥﴾.

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٌ﴾ أي: مِن قبل أن تقول، وقيل: حذار أن تقول نفس[٢] ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: قصَّرت وضيَّعت، ويا ندامتي علىٰ ذلك ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في جوار الله وقُربه، وقيل: طاعة الله وحقه وأمره ونهيه، وقيل: في ذات الله[٣].

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦﴾ وقد كنت في دار الدنيا من المستهزئين بمن دعا إلىٰ الله.

﴿أَوۡ تَقُولَ﴾ أي: من قبل أن تقول ﴿لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ عرَّفني وبصَّرني بدينه ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٥٧﴾ الموحدين.

﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ﴾ مِن قبل أن تقول ﴿لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ أي: رجعة إلىٰ الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨﴾ جواب التمنِّي بالفاء نصبٌ[٤].

---

(١) رواه الطبري عن علي بلفظ: أوسع آية، وهي بمعنىٰ، وروىٰ عن ابن مسعود باللفظ الذي ذكره المصنف: أرجىٰ (تفسير الطبري ٢١/ ٣٠٨).

(٢) أي: لئلا تقول (تفسير الطبري ٢١/ ٣١٣).

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٣١٤.

(٤) الدر المصون ٩/ ٤٣٦.

ثم قال ﴿بَلَىٰ﴾ وبلىٰ جواب النفي، وليس في الكلام نفي ظاهر، ولكن: لو أن الله هداني؛ هو نفي للهداية، معناه: ما هداني الله، فأجابه ببلَىٰ.

﴿قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ كتابي ورسولي ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾ بعدما دُعيت لها ﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ عن توحيد الله

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بنجاتهم[1]، وهو إيمانهم وإحسانهم وطاعتهم، والمفازة: مكان الفوز.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ الشدة والعذاب في الجنة، ابن عباس: أنه لما بعث المؤمن من قبره تأتيه أعماله الصالحة صورةَ حسن الوجه، نقي الثياب، طيّب الرائحة، فيجلس إلىٰ جنبه، فلا يرىٰ ما يهوله من انفطار السماوات، وتشقق الأرض، أو كسْف الجبال، أو زفرة جهنم؛ إلا هوَّنته عليه هذه الصورة، وقال: أبشر يا وليَّ الله، ولا يهولنَّك، هذا يوم وعدك الله بكرمه، فيقول العبد: من أنت جزاك الله خيرًا؟ فيقول: إني عملك الصالح، اركبني فطال ما ركبتك علىٰ المكاره، فيركبه فينجيه من المكاره، ويجوزه عنها، فذلك قوله: بمفازتهم، ومفازتهم: لا يصيبهم عذاب ولا حزن[2].

وقال الصادق: مفازاتهم سعادتهم القديمة، لأنَّ التقوىٰ تظهر من تلك السعادة.

---

(١) في الأصل: هيجانهم، وهو تصحيف لا معنىٰ له. وما أثبته من كتب التفسير، انظر: زاد المسير ٤/ ٢٤.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٣١٩، الكشف والبيان ٢٣/ ١٠٢.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ ليس معه شريك، أي: مُوجد الأشياء من العدم.

قيل: هذا عام في معنىٰ الخاص؛ لأنَّ الله تعالىٰ شيء، وصفاته أشياء، وجوابه: أنه شيء لا كالأشياء، ولأنَّ المخاطِب لا يدخل في خطابه.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾ حفيظ، وقيل: كفيل بأرزاق العباد.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ مفاتيح خزائن السماوات والأرض بالمطر والنبات[١].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: أهل مكة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾ في الآخرة.

﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ يعني: أتأمرونني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بآياته.

وذلك أنهم قالوا: استلم بعض[٢] آلهتنا ونؤمن بإلٰهك فنزلت الآية[٣].

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ من الأنبياء والأمم الخالية ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ والخطاب لكل واحد بالوحدان.

﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ بالعقوبة.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ والفاء للمجازاة، والمعنىٰ: تبيَّنْتَ فاعبد الله ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ لنعم ربك.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ ما عرفوه حق معرفته.

---

(١) واحد المقاليد: مقلاد، وهي الخزائن (الكشف والبيان ٢٣/ ١٠٣).

(٢) في الأصل: نقص، وهو تصحيف فيما يظهر.

(٣) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/ ١٣٨.

نزلت الآية في اليهود، أتوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقالوا: صِف لنا ربك وما طوله وما عرضه، فارتعد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن سؤالهم فَرَقًا، ووضع صلىٰ الله عليه وسلم إصبعيه في أذنيه، فأنزل الله تعالىٰ الآية[1].

والمعنىٰ: كيف يستطيع هؤلاء الفسقة أن يحدُّوا لي حدًّا.

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ [يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ]﴾ أي: في قدرته[2].

وقيل: الأرض قبضته حين حُملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، وحين رُجَّت الأرض رجًّا، وبُسَّت الجبال بسًّا، فكانت هباء منبثًا، ثم بعد ذلك تطوي السماء كطي السجل للكتب، فتكون السماوات مطويات بيمينه.

والمراد به: الملك، كقوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ وليس الملك لليمين دون الشمال، ولكن المراد من اليمين القدرة والقوة، يعني به الملك والوِلاية،

---

(١) روي نحوه عن سعيد بن جبير (تفسير الطبري ٢١/ ٣٢٨).
والوارد في شأن اليهودي في هذه الآية ما رواه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦)، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد: أن الله يجعل السماوات علىٰ إصبع والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلائق علىٰ إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧﴾.
ورواه ابن جرير في التفسير من طرق ٢١/ ٣٢٨.

(٢) وهذا تأويل بعيد، حمله عليه الفرار من إثبات صفة اليد لله، وقد تكاثرت الروايات علىٰ إثبات صفة اليد لله، وأنها غير القدرة، وبذلك جاء تفسير السلف (تفسير الطبري ٢١/ ٣٢٤).

كما يقال: خراسان في يد فلان، وعراق في يد أخيه، أريد به الوِلاية[1].

ثم نزَّه نفسه فقال ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ أي: عما يصفه اليهود الجُهَّال.

(١) كفىٰ برد هذا القول أنه يخالف التفسير المأثور، فكلام السلف جاء علىٰ إثبات يد لله، كقول ابن عباس: قبض الأرضين والسماوت بيمينه، وإنما يستعين بشماله المشغولة يمينه.
ثم انظر إلىٰ التمثيل حين قال: ما السماوات السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم، هل يصلح أن يكون المعنىٰ: في قدرة الله!
وقال ربيعة الجرشي -فقيه الشام ومفتيه في زمن معاوية-: ويده الأخرىٰ خلو ليس فيها شيء، هل قدرته الأخرىٰ لا شيء فيها!
وفي حديث عبد الله بن عمر، أنه رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ المنبر يخطب الناس، فمر بهذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: يأخذ السماوات والأرضين السبع فيجعلها في كفه، ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة: أنا الله الواحد، أنا الله العزيز، حتىٰ لقد رأينا المنبر وإنه ليكاد أن يسقط به.
وفي لفظ: «يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيديه، وقبض رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يديه، وجعل يقبضهما ويبسطهما، قال: ثم يقول: أنا الرحمن أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون، وتمايل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن يمينه، وعن شماله، حتىٰ نظرت إلىٰ المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتىٰ إني لأقول: أساقط هو برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؟». روىٰ ذلك كله ابن جرير في تفسيره ٢١/ ٣٢٩، ثم حكىٰ عن بعض علماء العربية من البصريين مثل قول المصنف فقال: وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾يقول: في قدرته، نحو قوله: «وما ملكت أيمانكم» أي: وما كانت لكم عليه قدرة، وليس الملك لليمين دون سائر الجسد، قال: وقوله «قبضته» نحو قولك للرجل: هذا في يدك وفي قبضتك.
ثم علق ابن جرير بسطر واحد فقال: «والأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وعن أصحابه وغيرهم، تشهد علىٰ بطول هذا القول».

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مات من شدة الصوت والفزع، يعني به النفخة الأولىٰ ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعني: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل صاحب الصور، ثم أمر ملك الموت أن يقبض أرواحهم، فيبقىٰ ملك الموت وإسرافيل، ثم يأمر العرش أن يأخذ الصور من يده، فيأمر بقبض روح إسرافيل، ثم يقول لملك الموت: مت أنت، فيموت، وهو آخر الخلق موتًا، فيبقىٰ الجبَّار فردًا أحدًا صمدًا إلىٰ أربعين سنة، ثم يحيي الله إسرافيل فينفخ في الصور، فيؤتىٰ بأرواح الخلق مثل طيران النحل، فهي أهدىٰ إلىٰ أبدانها من انصراف أحدكم من الجمعة إلىٰ رَحْلِه، والأرواح يومئذ بيض وسود، للمؤمن والكافر، فذلك قوله[1] ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: أضاءت أرض القيامة بعدل ربها[2] ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ في الأرض بعد ما كان في السماء.

وقيل: وُضِعَ الكتاب في الأيمان والشمائل[3].

---

(١) روىٰ ابن جرير في التفسير ٢١/ ٣٣١ نحوه مرفوعا من حديث أنس، وفيه يزيد الرقاشي، متروك الحديث.
وانظر تفسير سورة النمل، آية ٨٧.

(٢) القول بأن النور هنا هو العدل مروي عن السدي، وعن الضحاك: بحكم ربها (الكشف والبيان ٢٣/ ١٣٤). وهذا شاذ، فإن أكثر المفسرين -كما قال الثعلبي- قالوا: بضوء ربها.
وهو الذي لم يذكر الطبري سواه، والمعنىٰ: نور الله يشرق علىٰ الأرض حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه (تفسير الطبري ٢١/ ٣٣٥).
وروىٰ الطبري عن قتادة، قوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ قال: فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه.

(٣) أي كتب أعمالهم (تفسير الطبري ٢١/ ٣٣٥).

﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ وهم الحفظة من الملائكة ليشهدوا على الأعمال ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين الأنبياء وأممهم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩﴾ لا يُنقصون من أعمالهم شيئًا.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ من خير أو شر ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠﴾ من الحفظة.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ في القيامة بعد الحساب من سرادقات النار ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جمع زُمرة وهو الفوج ﴿حَتَّىٰٓ﴾ إذا بلغوا أبواب جهنَّم ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ دركاتها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ يعني: الزبانية ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: الأنبياء ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ كُتبه ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ الذي استقبلكم ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أتونا ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧١﴾ أي: كُنَّا أشقياء فلم نقدر أن نعمل بعمل أهل السعادة.

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا تموتون ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾ عن الإيمان أي: منزلهم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ أي: زُمرة بعد زُمرة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ بلغوها ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ قيل: إنَّ الواو مُسقَط، لأنه جواب، والجواب لا يُوصَل بواو العطف، وعلى هذا التأويل لم تكن الأبواب مفتحة قبل مجيئهم[١].

وقال الخليل: الواو دخلت في الكلام على معنى تكرير الفعل، وتقديره: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٣٤٠، الكشف والبيان ٢١/ ٣٣٥.

وقال أبو حاتم وأبو سهل: قال في صفة أهل النار: جاءوها فتحت أبوابها، كأنها فتحت بعد ما جاؤوها، وفي صفة أهل الجنة جاءوها وفتحت أبوابها، كأنهم جاءوها ووجدوها مفتحة[(١)].

وقيل: هو واو الثمانية، ودليل على أن أبواب الجنة ثمانية كقوله: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ۝٥﴾، ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وقال: ﴿سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ﴾[(٢)].

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾ أي: كنتم في الدنيا طيبين عن الخبائث والكبائر.

وقيل: وقعتم إلىٰ طيب العيش[(٣)].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٦٤.

(٢) قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي (في زاد المسير ٤/ ٢٧): وفي هذه الواو ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها زائدة، روي عن جماعة من اللغويين منهم الفراء.
والثاني: أنها واو الحال، فالمعنىٰ: جاؤوها وقد فتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم.
ووجه الحكمة في ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أهل الجنة جاؤوها وقد فتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة، وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرها، ذكره أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا.
والثاني: أن الوقوف علىٰ الباب المغلق نوع ذل، فصين أهل الجنة عنه، وجعل في حق أهل النار، ذكره لي بعض مشايخنا.
والثالث: أنه لو وجد أهل الجنة بابها مغلقا لأثر انتظار فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلق باب النار إلىٰ حين مجيء أهلها، لأن الكريم يعجل المثوبة، ويؤخر العقوبة..، وهذا وجه خطر لي.
والقول الثالث: أن الواو زيدت، لأن أبواب الجنة ثمانية.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ١٩٦.

﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ لأنَّ من عادة الملوك إذا أكرموا أحدًا يبعثون إليه الخدم يتلقونه بالسلام ويُدخلونه.

﴿وَقَالُواْ﴾ أي: أهل الجنَّة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ في الدنيا في كتبه وعلىٰ ألسنة رسله ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ يعني: الجنة أبدلنا بأعمالنا الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ بحبوحة الجنة ﴿حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ نشتهي ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾.

﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بعد سكون أهل الجنَّة في الجنة ﴿حَآفِّينَ﴾ مُحْدِقين ﴿حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ [بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ]﴾ بأمر ربهم أبد الآبدين، يثنون علىٰ ربهم حين قضىٰ بين خلقه بالعدل، ويقولون: سبوح قدوس يا إلٰهنا ما أعدلك في قضائك بين خلقك.

﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: قضىٰ بين الرسل وأممهم بالعدل الذي ليس فيه ظلم ﴿وَقِيلَ﴾ يعني: بعد الفراغ والطمأنينة بالمكان ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾.

قال مقاتل: افتتح الخلق بالحمد حيث قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ ، وختم إفناء الخلق بالحمد، حيث قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥﴾، وأقرَّ أهل الجنة في الجنة حتىٰ قيل: الحمد لله رب العالمين(١).

وقد ذكرنا فضيلة السورة عند افتتاح تفسيرها(٢).

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ١٩٦.

(٢) لم يذكر شيئا، فلعله سقط علىٰ الناسخ، أو أنه وهم، والله أعلم.

والحديث الذي اعتاد علىٰ ذكره هو الحديث الموضوع علىٰ أبي: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا ، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٦.

سورة المؤمن

كلها مكية(١)، وهي ثمانون وخمس آيات في الكوفي، وأربع في المدني، وآيتان في البصري(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿ حمٓ ۝١ ﴾:

روي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مثل الحواميم في القرآن مثل الحبرات في الثياب»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود: الحواميم ديباج القرآن(٤).

وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لكل شيء ثمرة، وثمرة القرآن حواميم، وهي روضات حسنات مخصبات متجاورات، فمن أراد أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم»(٥).

---

(١) وهي سورة غافر، مكية بإجماعهم، وهي أول الحواميم: أي السور التي تبدأ بـ: حم (الكشف والبيان ٢٣/ ١٤٩، زاد المسير ٣/ ١٩٧).

(٢) والمكي كالمدني، وفي الشامي ست (البيان في عد آي القرآن ٢١٨).

(٣) غريب، وقد ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ١٥٥ من دون إسناد، ولم يوقف له علىٰ إسناد، فهو من الأحاديث المشهورة في التفسير التي لا أصل لها، ولعله أخذ من قول عبد الله الآتي.

(٤) رواه المستغفري في فضائل القرآن ٨٨٥، بإسناد منقطع، وانظر تخريجه فيه.

(٥) رواه ابن الضريس في فضائله ٢٢٣، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: بلغنا أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «إن لكل شجر ثمرًا، وإن ثمر القرآن ذوات حم هن روضات مخصبات معشبات متجاورات، فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم، ومن قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له»، وهذا مرسل ضعيف، وذكره الثعلبي في الكشف

وعن أبي الدرداء: كُنَّا نسمي الحواميم العرائس[١].

قال ابن عباس: فيه ثلاثة أوجه: قسم، واسم الأعظم، وحروف مقطعة من أسماء الله تعالىٰ [و] تقدس: بسم الله الرحمن الرحيم الحليم المجيد[٢].

والمعنىٰ: آلر، وحم، ونون، إذا اجتمعت صارت اسم الرحمن.

أبو سهل: الحرفان مأخوذان[٣] من أسماء الله تعالىٰ.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ العزيز بسلطانه العليم بخلقه.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ يعني: الشرك لمن تاب، وقيل: ساتر العيوب[٤] ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ يعني: التوبة، وقيل: مصدر أقيم مقام الاسم[٥].

﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن لا يتوب ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي: ذي المنِّ والفضل.

والطَّوْل: الإنعام الذي طالت مدَّته علىٰ صاحبه[٦].

والبيان ٢٣/ ١٥٥ من دون إسناد. ورواه المستغفري في فضائل القرآن ٨٨٩ من وجه آخر عنه وبلفظ آخر.

(١) يعني: عرائس القرآن، لحسنهن وبهائهن، وهذا الكلام مروي عن سعد بن إبراهيم الزهري بإسناد حسن، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ١٥٥.

(٢) لا يكون مثل هذا الكلام من قول ابن عباس قطعا، إذ ليس من منهجه في التفسير أن يذكر في الآية أوجها، فإذا عزي إليه مثل هذا عرف أنه من رواية الكلبي أو مقاتل.

وروىٰ الوالبي عنه: أنه قسم واسم من أسماء الله، وروىٰ عكرمة عنه أنه حروف مقطة مجموعها الرحمن (تفسير الطبري ٢١/ ٣٤٥، الكشف والبيان ٢٣/ ١٥٩).

(٣) في الأصل: مأخوذتان.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ١٩٧.

(٥) تفسير الطبري ٢١/ ٣٥٠، وذكر وجها آخر، وهو: قد يكون جمع توبة، كما يجمع الدومة دوما.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٨.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: لا معبود يستحق الكمال في الأوصاف، ويكون له حال[1] الأمر والحُكم إلا هو.

﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ إليه المنقلب في الآخرة، لمن قال لا إله إلا الله؛ ومَن لم يقل.

قال الضحاك: انتهىٰ الوليد بن المغيرة إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في دار الندوة وهو يقرأ هذه الآية، فأنصت لها ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يكررها حتىٰ حفظها الوليد، ثم إنَّه أتىٰ نادي قريش فقال: يا معشر قريش، أتيتكم من عند محمد، لقد سمعتُه يمدح ربه مدحًا لم تسمع الآذان مثله، والله إن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر، وإنَّ عليه لطلاوة وحلاوة، وإنَّ إلٰهه ليعلو ولا يُعلا، فقالت قريش: صبأ أبو المغيرة[2].

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ومن ينكر وحدانيَّة الله ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ﴾ وسلامتهم ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾ وللتجارات والأرباح، فإن عاقبة أمرهم الهلاك والعذاب.

ثم ذكر حال الأمم الخالية فقال: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ﴾ أي: أرادت ﴿كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ ويقتلوه ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ وقالوا: ما أنتم إلا بشر مثلنا فهلَّا أرسل الله إلينا ملائكة ﴿لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: بالجدال الإسلام[3].

﴿فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾ انظر كيف كان عذابي.

---

(١) في الأصل: كحال، ولا معنىٰ لهذه الكاف.

(٢) المشهور أنه قرأ عليه سورة فصلت، كما سيأتي.

(٣) ليدحضوا به الحق: أي ليدفعوا به الحق، أي يبطلوه (تفسير الطبري ٢١/ ٣٥٣، معاني القرآن ٤/ ٣٦٦).

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: مثل ذلك وجب عذاب ربك ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالله ورسله ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ⁦٦⁩﴾ نجزت القصة.

ثم ابتدأ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وهم الروحانيُّون والكروبيون، ينزِّهون الله بأمره، وقيل: يصلُّون بأمره[1] ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقولون ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: رحمتك أوسع من كل شيء ﴿فَٱغْفِرْ﴾ يا رب ﴿لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ لزموا دينك ﴿وَقِهِمْ﴾ بتوحيدك ﴿عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ⁦٧⁩ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ علىٰ ألسنة رسلك ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ أدخلهم الجنة نعيم ﴿إِنَّكَ أَنتَ [ٱلْعَزِيزُ]﴾ المنتقم من أعدائك ﴿ٱلْحَكِيمُ ⁦٨⁩﴾ في أمرك وقضائك ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعني: الشرك ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مجزوم علىٰ الشرط ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ والجزاء في الفاء ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ⁦٩⁩﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وذلك لأنَّ إبليس يُقْرن بالكافر في جهنَّم، فيقول الخُزَّان للكافر: هذا إبليس الذي أطعته وكفرت إلٰهك بأمره، فيمقتون أنفسهم في النار، فقال الخُزَّان عند ذلك[2]: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ [إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ⁦١٠⁩]﴾ لأنكم كنتم تدَّعون [إلىٰ] الإيمان فتكفرون فحينئذ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾.

---

(١) أطال الثعلبي في ذكر صفة الملائكة حملة العرش وفي ذكر صفة العرش (الكشف والبيان ٢٣/ ١٧١).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ١٩٩.

قال الضحاك: خلقتنا أمواتًا أي: نطفًا، ثم أحييتنا، ثم أمتنا، ثم أحييتنا، فهاتان الحياتان والموتان، وتصديقه قوله ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾(١).

وقال أبو سهل: أحياهم حين أخرجهم من صلب آدم، وأماتهم حين ردَّهم إلىٰ أصلاب الآباء، ثم أحياهم في بطون الأمهات، ويخرجهم حيًا، ثم يميتهم عند انقضاء الآجال، فهما موتان وحياتان(٢).

وقيل: الموتة الأولىٰ عند انقضاء الأجل، والحياة الأولىٰ في القبر، لسؤال مُنكر ونكير، ثم الموت بعده في القبر، ثم الحياة الثانية البعث(٣).

وهذا أظهر لأنَّ الكفار قالوا: «أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» فيكون جميع ذلك بعد كُفره، حين يذوق شدة الموت مرَّتين، وأمَّا أهل الجنة فقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وذلك عند انقضاء آجالهم، لأنَّ موتهم في القبر ليس له شدة الموت، ولكنه نومة العروس.

ثم قالوا: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ فيجاب لهم: لا إذن لكم بالخروج أبدًا، فيقولون: لماذا، وقد اعترفنا بذنوبنا؟ فيقال لهم: ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ اللات والعزَّىٰ ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾ تقروا بهما وغيرهما ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ العلي الرفيع في مُلكه وسلطانه الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من خلق السماوات والأرض وعجائبهما

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٣٦٠، الكشف والبيان ٢٣/ ١٨٥، وهو قول قتادة وابن عباس

(٢) وهو قول ابن زيد، تفسير الطبري ٢١/ ٣٦١، تفسير أبي الليث ٣/ ١٩٩.

(٣) وهو قول السدي، كما في تفسير الطبري ٢١/ ٣٦١.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ مطرًا ولا يتفكر في عجائب قدرته ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣﴾ المُقْبِل علىٰ طاعته.

﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ بالطاعة ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ توحيدكم.

ثم مدح نفسه فقال ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: يرفع منازل العباد بالتوحيد كما قال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ﴾[1].

ذو العرش: أي: هو رب العرش.

﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾ أي: يرسل جبريل ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾[2] لرسالته ﴿لِيُنذِرَ﴾ الرسول عباده ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥﴾ يلتقي فيه أهل السماوات والأرض، وقيل: يلتقي الظالم والمظلوم والعابد والمعبود[3].

﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ من الأمكنة الخفيَّة علىٰ ظهر الأرض، في صعيد واحد مستوٍ، بعد ما استوت الأرض، وصارت بحال لو وضعت جوزة بالمشرق لرآها أهل المغرب.

﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ مما عملوا في الدنيا ولا علىٰ أنفسهم ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ الكلبي: إذا هلك أهل السماء والأرض ولم يبق أحد إلا الله، يقول

---

(١) فعلىٰ هذا: رفيع فعيل بمعنىٰ فاعل، فالله عز وجل رفيع الدرجات أي رافع طبقات الثواب للأنبياء والمؤمنين في الجنة (الكشف والبيان ٢٣/ ١٨٧).
وقال مقاتل: رفيع الدرجات أي عظيم الصفات (تفسير السمعاني ٥/ ١٠).

(٢) في الأصل: بأمره، وقد كتبها بالحمرة علىٰ أنها قرآن، فلعله كان في الأصل تفسيرا، أي: من أمره: بأمره، والله تعالىٰ أعلم.

(٣) الكشف والبيان ٢٣/ ١٨٩، تفسير ابن كثير ٧/ ١٣٥.

الرب عزَّت قدرته: أين الملوك والجبابرة؟ وأين الذين أشركوا في مُلكي وسلطاني؟ فليس أحد يجيبه، فيرُدُّ الجواب على نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ الذي قهر أهل السماء والأرض بقدرته وجبروته[1].

﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ﴾ برّة أو فاجرة ﴿بِمَا كَسَبَتۡۚ﴾ في الدنيا خيرًا وشرًّا ﴿لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ﴾ من الله على أحد من خلقه، أي: لا تنقص من حسنات أحد ولا يزيد في سيئات أحد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾ أي: المجازاة.

﴿وَأَنذِرۡهُمۡ﴾ أي: خوِّف أهل مكة ﴿يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ يعني: الدانية، وهي قريبة عند الله وإنْ استبعدها الناس ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ﴾ أي: الحلقوم لانتفاخ السحر[2]، لأنَّ جهنَّم تزفر فطارت القلوب عن أماكنها، وتعلَّقت بالحلقوم، فلا يُؤذن لها بالرجوع ﴿كَٰظِمِينَۚ﴾ مكروبين محزونين ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿مِنۡ حَمِيمٖ﴾ يمنعهم من عذاب الله ﴿وَلَا شَفِيعٖ﴾ من الملائكة والرُسل والمؤمنين ﴿يُطَاعُ ١٨﴾ في شفاعته، أي: شفيع مُطاع، وهو صفة الشفيع.

ثم قال ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ وهي نظرة خيانة، نظر إلى ما لا يحل له، فالله تعالى يعلم خيانته في قلبه ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ وما في صدر الناظر، وإن لم يتكلم به.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ ويأمر به ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾[3] من الأصنام ﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ لأنهم لا يسمعون ولا يبصرون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقول خلقه وما أسرُّوا ﴿ٱلۡبَصِيرُ ٢٠﴾ بأعمالهم وعقابهم.

---

(١) الكشف والبيان ٢٣/ ١٩٠.

(٢) السَّحر: الرئة، وفي الأصل: الشجر، وهو تصحيف.

(٣) في الأصل: تدعون، وهي قراءة نافع وهشام وابن ذكوان بخلف عنه (النشر ٢/ ٣٦٥).

﴿۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: أهل مكة ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ في قُريَّات لوط وحِجر ويتفكروا ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ وبطشًا ﴿وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عمارة لها، وتموُّلاً فيها ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بشركهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١﴾ أي: مانع.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأخذ والعقاب ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ﴾ بما جاءت به الرسل ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أي: كُفرهم ﴿إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٢﴾ أي: قوي في نقمته ممن عصاه، وشديد العقاب لمن عاقبه.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣﴾ حجَّة ظاهرة[1].

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤ فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ موسىٰ ﴿بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا﴾ وآمن به بنو إسرائيل بعد ظهور المعجزة ﴿قَالُواْ﴾ أي: قال فرعون: عودوا عليهم القتل كمما كنتم تقتلونهم ﴿ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من بني إسرائيل ﴿وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ أي: اتركوا بناتهم لخدمتكم ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥﴾ أي: ما عمل فرعون وقومه إلا في ضلال.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ لخاصته ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ﴾ حتىٰ يخلِّصه عني ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾[2] إنْ لم يبدِّل دينكم، وذلك الفساد: أن يقتل أبناء القبط كما قتلت القبط أبناء بني إسرائيل.

---

(١) تفسير السمعاني ٥/ ١٤.

(٢) في الأصل: وأن يظهر، وهي قراءة من سوىٰ الكوفيين ويعقوب (النشر ٢/ ٣٦٥).

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ ﴾ لبني إسرائيل حين هدَّده فرعون بالقتل ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ يا بني إسرائيل ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ أي: من شر فرعون ومن لا يؤمن بيوم الحساب يوم الجزاء.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وهو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ منه، واسمه: خربيل[١] ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ومع ذلك ﴿ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ﴾ وزر كذبه ولا يضرُّكم كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ﴾ قال أهل التفسير: كل الذي يعدكم لأنَّ البعض يُذكر ويُراد به الكلّ، ولو كان المراد به البعض معناه: وفي ذلك البعض هلاككم[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ [لَا يَهْدِى]﴾ لا يرشد إلىٰ الهُدىٰ والصواب ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨﴾ للرسل.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ بمصر ﴿ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ غالبين قاهرين علىٰ أهلها ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ﴾ بسبب قتل موسىٰ وتكذيبه.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: لا أشير عليكم ولا آمركم إلا بما أرىٰ من الصواب بقتل موسىٰ ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ في تكذيب موسىٰ ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠﴾ ثم بيَّن الأحزاب فقال: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ حين أُغْرِقُوا

---

(١) سبق ذكره في سورة الشعراء، آية ٦٧، وسورة القصص آية: ٢٠. وعند الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٣٧١ أن اسمه: سمعان أو حبيب.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٧٢، وقد ذكر السمعاني عدة أوجه في الجواب علىٰ هذا، تفسير السمعاني ٥/ ١٦.

﴿وَعَادٍ﴾ حين أُهْلِكُوا بالريح العقيم ﴿وَثَمُودَ﴾ حين ماتوا بالصيحة ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾ فيعذِّبهم بغير جُرم.

قال ابن عباس: رحمك الله يا خربيل ما أشبه كلامك بكلام الأنبياء.

ثم قال ﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ ﴾ قيل: سُمِّي بهذا الاسم لأنَّ أهل الجنَّة يُنادُون أهل النار: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ الآية، وأما أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾[1] .

﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ لأنهم إذا عاينوا النار ولَّوْا هاربين مدبرين ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ أي: مانع من عذابه ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ يُخْذِله ويمنع عنه العصمة ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾ يهديه.

ثم قال ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: من قبل موسىٰ، بالبينات: تعبير الرؤيا وشق القميص، عن الضحاك.

وقيل: القحط والخصب[2].

﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ﴾ يوسف ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ إلىٰ القبط ﴿ رَسُولٗاۚ ﴾ وكان فرعون موسىٰ هو فرعون الذي كان في زمن يوسف، وبعث إليه يوسف، وعُمِّر فرعون إلىٰ زمن موسىٰ[3].

وقال أبو معاذ: كأنَّهم تلهفوا بعد يوسف علىٰ ما فاتهم من الإيمان به فذكر خربيل تلهُّفهم بعد يوسف.

ثم قال ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾ مشرك ﴿مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ في شِركه.

---

(١) تفسير السمعاني ٥/ ١٨.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٥.

(٣) وهذا قول غريب.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ﴾ أي: حجة ظهرت لهم ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ أي: كبر جدالهم بُغضًا عند الله وعند المؤمنين ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ بالإضافة من غير تنوين القلب: أغلف[(١)]، لأن التكبُّر للإنسان لا للقلب.

وتنوين القلب قراءة أبي عمرو وحمزة لا غير[(٢)].

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ أي: قصرًا مدورًا على هيئة المنارة، والصرح: كل بناء عظيم. ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والسبب في اللغة هو: ما يُوصِّل إلى الشيء.

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ﴾ برفع العين: قراءة العامة، عطفًا على قوله: ﴿أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾.

وفي قراءة حفص: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾، بنصب العين[(٣)]، لأنه جواب: لعلَّ بالفاء، وهو بعيد[(٤)].

﴿وَإِنِّي [لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ]﴾ لأظن موسى كاذبًا، وأنا شاك في قوله، وإنما قال أطلع إلى إلهه على زعمه لا بيقين منه.

---

(١) في الأصل: أغفل، وهو تصحيف.

(٢) كذا، والمعروف أن أبا عمرو وابن عامر بخلف عنه قرءا: قلبٍ، بتنوين الخفض، وقرأ الباقون: قلبِ، على الإضافة (النشر ٢/ ٣٦٥).

(٣) النشر ٢/ ٣٦٥.

(٤) لا بعد فيه، قال أبو علي: «ومن نصب جعله جوابا بالفاء لكلام غير موجب، كالأمر، والنهي، ونحوهما ممّا لا يكون إيجابا، والمعنى: إنّني إذا بلغت اطّلعت، ومثله: ألا تقع الماء فتسبح، أي ألّا تقع، وألا تسبح، وإذا نصب كان المعنى: إنّك إذا وقعت سبحت» (الحجة للقراء السبعة ٦/ ١١١).

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ وقرئ: صدَّ[١].

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ أي: صنيعه ﴿إِلَّا فِى تَبَابٍ ۝٣٧﴾ أي: خُسران.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨﴾ وهو: الطريق الصواب دين موسىٰ، فحينئذ أظهر إيمانه، ثم زهَّدهم في الدنيا فقال:

﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ قليل تزول وتضمحل ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩﴾ ولا تزول.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ من الشرك ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ﴾ من العقوبة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ من النار بالتوحيد ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾ أي: الشرك ثم فسَّره، فقال ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بأنَّ له شريكًا ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝٤٢ لَا جَرَمَ﴾ قال مقاتل: حقًّا.

وقال الخليل: لا ردَّ، وجرم أي: حق ووجب أنَّ لهم النار.

وقيل: جرم كسب، معناه: كسب دعواه له ولشيعته دخول النار، وقد قدَّمنا ذِكره في سورة النحل[٢].

﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ أي: إلىٰ عبادته ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ أي: شفاعة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بعد الموت ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين إذا بُعِثُوا ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ إذا

---

(١) قرأ الكوفيون ويعقوب بضم الصاد، وقرأ الباقون بفتحها (النشر ٢/ ٢٩٨) وكان في الأصل: ضبط الآية بالفتح، والقراءة بالضم، فهو يضبط القرآن علىٰ حرف أبي عمرو.

(٢) تفسير سورة النحل، آية: ٢٣.

نزل العذاب ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أترك تدبير أمري إلىٰ مدَّبري، وأترك اختياري لنفسي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ أي: دفع عن خربيل غائلة مكرهم.

وذلك أنَّ فرعون قصد قتله، فهرب، فبعث في طلبه قريبًا من ألف رجل، فمنهم من أكلته السباع، ومنهم من رجع إلىٰ فرعون فصلبه[١].

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ أي: أحاط بهم شدة العذاب، وهو الغرق.

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قال مقاتل: أرواح آل فرعون، وروح سائر الكفار، تعرض علىٰ النار كل يوم مرتين غُدُوًّا وعشيًّا ما دامت الدنيا، فإذا قامت القيامة فهم في النار ومأواهم النار[٢].

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقال لخزنة جهنم ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ وقرئ: «اُدخلوا» علىٰ الأمر، و«آل» نصب علىٰ النداء[٣].

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ واذكر حين يتخاصمون في النار ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾ السفلة ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ من الرؤساء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في الدنيا أطعناكم فيما تأمروننا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون وحاملون ﴿عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ أي: جزءًا وبعضًا منها.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٧، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٠٩.

وقال قتادة: نجا مع موسىٰ، وكان قبطيا (تفسير الطبري ٢١/ ٣٩٤).

(٢) وفي ذلك دليل علىٰ عذاب القبر (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٧، الكشف والبيان ٢٣/ ٢١٠).

(٣) وهذه قراءة: ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ الباقون كما أثبت الآية، وإذا بدأ ابن كثير ومن معه بدأ بهمزة مضمومة (النشر ٢/ ٣٦٥).

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ نحن وأنتم في النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨﴾ بين المؤمن والكافر والتابع والمتبوع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾ إذا اشتدَّ عليهم العذاب ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ يعني: الزبانية ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ أي: فيه يوم من أيام الدنيا.

فأجابوهم بعد مدة طويلة ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالحُجج والآيات ﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ جاءتنا ﴿قَالُواْ﴾ يعني: خزنة النار ﴿فَٱدۡعُواْۗ﴾ أنتم إذ[1] اعترفتم بذلك، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾ أي: خُسران، أي: يضل عنهم ما كانوا أحوج إليه، وهو الجواب، ولكن قيل لهم: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالحُجَّة والغلبة ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ يعني: الأنبياء من قبورهم، وقيل: الحَفَظة وهو جمع شهيد، كشريف وأشراف، وقيل: جمع شاهد كصاحب وأصحاب[2].

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ وهي النار.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ التوراة ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣﴾ وما فيه ﴿هُدٗى وَذِكۡرَىٰ﴾ عظة ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٤﴾.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ وهو الهلاك لهم والنُصرة لك[3].

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ قيل: لذنب أمتك، وقيل: لتقصير شُكر ما أنعم الله

---

(١) في الأصل: إذا، وما أثبته أصح.
(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٤٠٢.
(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٠.

عليك[١] ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صَلِّ بأمره وتوفيقه ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٥٥﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يخاصمون في دفع آيات الله القرآن ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ [أَتَىٰهُمْ]﴾ أي: حُجَّة وعذر لهم في التوبة، وهم اليهود.

وذلك أنَّ اليهود أتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقالوا: هل للدجال عندك من ذِكر؟ قال: «نعم» قالوا: فهو الذي يرد مُلكنا، إنَّ الدجال رأسه في الغمام، وماء البحر علىٰ ركبته، يصيح فيسمع صوته أهل المشرق والمغرب[٢]، فنزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بأنّ الدَّجَّال يردُّ عليهم ملكهم، وقالوا: بأنَّ الدجَّال من آيات الله يعني حُجَّة لهم.

﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: ما في صدورهم إلا كبر عن الإيمان وتعظُّم علىٰ رسول الله بخروج الدجَّال ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ أي: لا يبلغون إلىٰ ذلك، ثم أمر رسول الله وقال: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من الكِبر.

وقال الضحاك: من فتنة الدجال.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالة اليهود ﴿ٱلْبَصِيرُ ۝٥٦﴾ بأعمالهم وعقوبتهم.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له ذنوبه، وأعاذه الله وأولاده من فتنة الدجال: بلغنا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّه ذكر الدجَّال وخروجه، فقال: يكون خروجه في وقت يأتي قبل خروجه ثلاث سنين، يهلك فيها كل ذي حافر، تمنع السماء في السنة الأولىٰ ثُلث قَطرها، وفي السنة الثانية ثُلثي قطرها، وفي السنة الثالثة جميع قطرها، وتمنع الأرض نباتها، فينزل بالناس جوع شديد، ثم

---

(١) وقيل: لذنب أمتك (تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٠).

(٢) وهو قول الكلبي ومقاتل، كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٠. والصحيح أن المراد عموم المجادلين من أصناف المشركين (تفسير الطبري ٢١/ ٤٠٤).

يخرج الدجال علىٰ حمار أقمر، وهو مطموس العين، مكتوب بين عينيه: كافر بالله، يقرأه كل أُمي وقارئ، فيطأ كلَّ مسجد إلا المسجد الحرام، والمدينة، وبيت المقدس، وأكثر تبعه الأعراب والنساء واليهود والنصارىٰ، فيقول للناس يومًا: مَنْ تعبدون؟ قالوا: الذي يُرسل علينا قطرًا مدرارًا، فيوحي الله إلىٰ السماء أن أطيعيه، فتمطر ما شاء الله، فيقول: من ربكم؟ فيقولون: الذي يحيي لنا الأرض، فيوحي الله إلىٰ الأرض أن أطيعيه، فتصبح الأرض مخضرَّة بأمره، فيقول: مَن ربُّكم؟ فيقولون: الذي يُحيي لنا الموتىٰ، فيسلّطه الله علىٰ نفس فيقتلها، ثم يبعثها، فتنة للناس، فبكىٰ أصحابه كلهم، ثم قال لهم: أبشروا، فإنْ خرج وأنا فيكم فالله ورسوله كافيكم، وإن خرج بعدي فالله خليفتي علىٰ كل مسلم، ثم قال: يُعمِّر أربعين سنة، فأوَّل سنة كالشهر، والثانية كالجمعة، والثالثة كيوم، وسائرها كالساعة، ثم ينزل عيسىٰ فيذوب كما يذوب الرصاص، قالوا: فما معيشة المؤمن؟ قال: التسبيح والتقديس والتهليل، قالوا: فما علامة خروجه؟ قال: يشربون الخمر في الأسواق، ويطفِّفون المكيال والميزان، ولا يعرف معروف ولا يُنكَر مُنْكَر، فهذا علامة خروجه(١).

وقوله ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ قال مقاتل: الناس هاهنا الدجال(٢).

يقول: من يقدر علىٰ خلق السماوات والأرض أعظم من الدجال لقادر علىٰ أن يمنع شرَّ الدجَّال وغلبته علىٰ المسلمين، فيرسل عيسىٰ ليغلبه ﴿وَلَٰكِنَّ

---

(١) هذا جزء من حيث روي عن أسماء بنت يزيد بن السكن، قال الراوي: وهي بنت عم معاذ، كذا في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٢٣/ ٢١٧. وفي إسناده ضعف.

وانظر حديث فتنة الدجال في صحيح البخاري ٧١٢٢، وصحيح مسلم ٢٩٣٨.

(٢) وهذا بناء علىٰ سبب النزول، وقد بينا أنه ليس بصحيح، فلا يصح أن يبنىٰ عليه.

﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ من اليهود وغيرهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي: لا يستوي المؤمن والكافر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ يعني: المؤمن المخلص، والكافر والمسيء ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ عند من يؤمن بها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ بالبعث.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾ لأهل الإيمان ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: وحِّدوني أغفر لكم[١].

وقال الضحاك: أستجب لكم في عاجل دنياكم وآخرتكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ أي: عن توحيدي وطاعتي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ أي: صاغرين ذليلين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ لتسكنوا في سواد الليل ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾[٢] أي: تطلبوا المعيشة والرزق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بخلق الليل والنهار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ ممن جحد النعمة ﴿لَا يَشْكُرُونَ ۝٦١﴾ ربهم، ولا يوحِّدونه، ومعناه: قوله ادعوني استغيثوا بي إذا نزل بكم الضرَّ أستجيب لكم دعاءكم، أي غَوْثُكم.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يعني: خلق الليل والنهار والأرض والسماء ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٦٢﴾ أي: تُصرفون عن الحق.

---

(١) نسبه الثعلبي لأكثر المفسرين (الكشف والبيان ٢٣/ ٢٢٦).

(٢) في الأصل: مبصرا لتبتغوا من فضله، وليست هذه آية سورة المؤمن.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعني: كما أفكتم ﴿يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يعني بالقرآن وبمحمد.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ تحت أقدامكم ﴿قَرَارًا﴾ أي: منزلاً ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفًا مرفوعًا فوق رؤوسكم ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ في أرحام أمهاتكم ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي: لم يصوركم على صورة البهائم ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قبل ثج[1] كل شيء، وقيل: الحلالات ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الذي فعل ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ سيد الخلائق أجمعين ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾ فاعرفوه بالتوحيد ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ثم حمد نفسه فقال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأصنام ﴿لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى﴾ بأني رسوله ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أُخلص له التوحيد، وذلك حين دعوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الرجوع إلىٰ دين آبائه.

ثم دلَّهم علىٰ وحدانيته فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي: من آدم وآدم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ من بطون أمهاتكم ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ مُنتهىٰ الشباب ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ الأشُدّ ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ عن الله أمره.

ثم قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ الحياة أو الموت أو الرحمة أو العذاب ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ أي: يخاصمون ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وينكرونها

---

(١) كذا في الأصل.

وهو القرآن ﴿أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ۝٦٩﴾ من أين يعدلون عنه إلىٰ غيره.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ﴾ قبل محمد ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٧٠﴾ كيف يكون حالهم.

ثم بيَّن وقال: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ۝٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾ في المياه الحارَّة مرةً، وعلىٰ جمر جهنم ظهرًا لبطن مرَّةً، وإلىٰ الزقوم مرَّةً، وإلىٰ الضريع مرَّةً، وإلىٰ الغِسلين مرَّةً ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ۝٧٢﴾ يُحرقون.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ من الأصنام حتىٰ يمنعونكم من العذاب ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي: اشتغلوا بأنفسهم عنَّا ثم أنكروا عبادتهم، وقالوا: ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ في الدنيا ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ أي: يخذلهم.

وقيل: معنىٰ قولهم: لم نكن ندعو من قبل شيئًا، أي: كانوا لا يسمعون ولا يبصرون في الدنيا فلم يكونوا شيئًا[1].

﴿ذَٰلِكُم﴾ السلاسل ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي تتكبرون فيها بعبادتكم الأصنام ﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ۝٧٥﴾ قال الضحاك: الفرح والمرح هاهنا الشرك، والأصل فيه البطر والأشر[2].

فـ ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦﴾ عن الإيمان.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٤.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٤١٧، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٤٠.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ﴾ يا محمد ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ من العذاب في حياتك ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل: أن نُنزل العذاب بهم ﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧﴾ فنجزيهم بأعمالهم.

قال الضحاك: أرىٰ الله رسولَه عذابَ أعدائه يوم بدر.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾ إلىٰ أممهم ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾ قصتهم في القرآن ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ ومن سمَّاهم الله في القرآن ثمانية عشر نبيًّا.

الأزهري: جاء في التفسير أن الله تعالىٰ بعث ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الأمم[(١)].

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ إلىٰ قومه ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: بأمره ومشيئته ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وهو وعده لرسله من عقاب ﴿قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بين الكفار بالعدل، أي: لم يظلموا حين عُذِّبوا ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ عند نزول العذاب بهم ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨﴾ الجاحدون بما جاءت به الرسل.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا﴾ مثل الإبل خاصة، عن الأزهري[(٢)] ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩﴾ من لحومها.

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ في ركوبها وشرب ألبانها والانتفاع بأصوافها ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ﴾ أي: علىٰ ظهرها من بلد إلىٰ بلد ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٨٠﴾ في البر علىٰ الإبل وفي البحر علىٰ السُّفن.

---

(١) وفيه حديث رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٣٣٠: «بعثت علىٰ إثر ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل» وهو حديث منقطع الإسناد، وتفرد به مسلم بن خالد الزنجي ضعيف.

(٢) فمعنىٰ: منها أي: بعضها (تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٥).

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل وحدانيته، وعجائب صُنعه؛ من الليل والنهار والبر والبحر والجبل والسهل ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ٨١﴾ أي: تجحدون أنها ليست من الله.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: المجادلين ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عددًا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ وبطشًا ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من البنين والمصانع ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٨٢﴾ من عذاب الله.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: العلامات والأمر والنهي ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أشروا وبطروا بما كانوا عليه من الشرك ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: نزل بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٨٣﴾ بالرسل.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ أي: عذابنا ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ لا شريك له ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ٨٤﴾ من الأوثان.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ تصديقهم الرسل ﴿لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ عاينوا عذابنا ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر، أي: سنَّ الله هذه السُنَّة[1] ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ لمن جحد الرسل ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ عند نزول ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ يخوِّف به كفار مكة.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة المؤمن لم تبق روح نبي وغيرهم ولا صديق ولا شهيد إلا صلُّوا عليه واستغفروا له»[2].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ١٥٧، المستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٧.

سورة [حم] السجدة

مكية[١]، وهي خمس وخمسون آية كوفيَّة، وثلاث مدنيَّة، وآيتان بصريَّة[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حمٓ ۝١﴾ قال قتادة: هو اسم من أسماء كتاب الله تعالىٰ[٣]، قيل: هذه الحروف والكتاب.

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بُيِّنت عجائبه بالحلال والحرام والفرائض والحدود ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوبان على الفعل[٤] ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ العربيَّة.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: من اتَّبعه فله البُشرىٰ في الدنيا والآخرة، ومن كفر به فالنار مثواه ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ أكثر أهل مكة ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾ أي: لا يفهمون الهُدىٰ.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ أي: في أغطية مِن التوحيد ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ﴾ أي: صمم، معناه: نحن في ترك القبول منك بمنزلة من لا يسمع قولك.

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٤٧، زاد المسير ٤/ ٤٥.
وهكذا سماها في الأصل: سورة السجدة، وهو صحيح، وتسمىٰ كذلك: حم السجدة، ولذا أضفت حم تمييزا لها عن السجدة الأولىٰ، التي تسمىٰ: ألم تنزيل السجدة، وتمسىٰ هذه السورة كذلك: سورة فصلت، وسورة المصابيح، والأقوات.

(٢) والشامي كالبصري، والمكي كالمدني (البيان في عد آي القرآن ٢٢٠).

(٣) هاهنا زيادة: كآية. ولا معنىٰ لها.

(٤) أي: فصلت كذلك، وهو قول الكسائي (إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤)، وقيل: حال، وقيل: منصوب على المدح (التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٢٣، الدر المصون ٩/ ٥٠٥).

﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ حاجز في المذهب والدين ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ أي: اعمل على دينك فإنَّا عاملون على ديننا.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ كتاب الله، وأنا أفهم، وأنتم تزعمون أن قلوبكم في أكنَّة، وفي آذانكم وقر، لا عذر لكم في ذلك، وإنما يحجبكم من الإيمان كفركم وطغيانكم، فاتركوا ما أنتم عليه، حتى تفهموا ما دُعيتم إليه.

﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ إلى التوحيد، وقيل: امضوا إلى الله بالتوحيد(١).

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ لما مضى من ذنوبكم ثم أوعدهم فقال ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: لا يُقرُّون بالصدقة(٢).

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ أي: بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ﴾ في الآخرة ﴿غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨﴾ أي: مقطوع.

﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ استفهام خرج مخرج التوبيخ والتقريع، يعني: لكفار مكة ليس لكم أن تجحدوا بالذي خلق الأرض في يومين من أيام الدنيا.

وقيل: من أيام الآخرة(٣).

ولو أراد أن يخلق السماوات والأرض في لحظة عين لقدر عليه، ولكنَّه

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٩.

(٢) تفسير السمعاني ٥/ ٣٧.

(٣) وهو قول غريب، والأول هو الصحيح المعروف، وقد ورد تسمية الأيام بأسمائها (الكشف والبيان ٢٣/ ٢٥٥).

أحبَّ [أن] يبصر الخلقُ وجوه الأناة، وقد جاء في الخبر: «أنَّ الله تعالىٰ خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والشجر والماء والعمران والخراب يوم الأربعاء، فتلك أربعة أيام، وخلق السماء يوم الخميس، وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة»[١].

﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾ أشباهًا وشركاء ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي هذا صُنعه ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩﴾ فكيف يكون له أندادًا.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ لئلا تميل بأهلها ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بالماء والشجر والنبات ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أقوات كل محتاج إلىٰ القوت ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ أي: عدلاً لمن[٢] سأل الرزق من السائلين.

وقال الكلبي: لمن سأل عن أمرهما في كم خُلِقَت السماوات والأرض، فجوابه هكذا خلقهما سواءً، لا زيادة ولا نُقصان[٣].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عمد إلىٰ خلق السماء ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أي: بُخار قد ارتفع من الماء حين سلَّط النار علىٰ الماء ﴿فَقَالَ لَهَا﴾ أي: لذلك الدخان: كن سبع سموات غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل

---

(١) رواه الطبري في تفسيره من طرق عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢١/ ٤٣٢). وروىٰ مسلم في صحيحه ٢٧٨٩عن أبي هريرة حديث التربة، وهو: أخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بيدي فقال: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلىٰ الليل».

(٢) في الأصل: فمن، وهو تصحيف، والصواب ما أثبت، ويدل عليه ما بعده. وهو قول مقاتل كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٢١٩.

(٣) الكشف والبيان ٢٣/ ٢٥٨.

سماء مثله، ثم قال: لها ﴿وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ افعلا: ما أمرتكما طائعين طوعًا، أو كارهين كرهًا.

وقيل: أخرجا ما فيكما من المياه والأشجار والأمطار(١).

﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ ولم يقل: طائعات؛ لأنهنَّ أجرين مجرىٰ ما يعقل كقوله: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أي: خلقهنَّ ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ في يومين الخميس والجمعة ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ أي: في كل سماء أهلها بأمر، وجعل في كل سماء من الملائكة ما ليس في غيرها ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي: سُرُج من الكواكب ﴿وَحِفْظًا﴾ وحفظناها أي: السماء من كل شيطان رجيم واستماعهم.

وقيل: حفظًا من أن تزول عن مكانها(٢).

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ القوي علىٰ أمره، العليم بما يكون كيف يكون.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ المعنىٰ: فإن تولَّوا عن قبول رسالتك فقل خوَّفتكم بالقرآن ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ يعني: عذابهم.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ما بين أيديهم إلىٰ آبائهم، ومن خلفهم: أي إليهم من بعد آبائهم.

---

(١) وهو قول مجاهد (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢٠) وروي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢١/ ٤٣٩) وهذا يعني أن قوله: ائتيا بمعنىٰ أعطيا.

(٢) والأول الذي يذكره أكثر المفسرين، وهو الصحيح بدلالة ذكر التزيين (تفسير الطبري ٢١/ ٤٤٢، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٦٢).

وقيل: من بين أيديهم من بلادهم يرونه، ومن خلفهم: من بلاد أُخر لا يرونه، وقد بلغت إليهم دعوته[(١)].

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ إليه من عنده ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤﴾ بأنها من عند الله.

ثم قصَّ وقال: ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ عن الإيمان بهُود صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ لأنه كانَ أطولهم مائة ذراع، وأقصرهم اثني عشر ذراعًا، وكان الرجل منهم ينزع قطعة من الجبل.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ﴾ وسلطانًا ومَنَعة ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥﴾ أي: بما أتاهم نبيهم به.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ باردة، وهي ريح الدَّبور ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ مشؤومات، بكسر الحاء وجزمها[(٢)].

وذلك من الأربعاء إلىٰ الأربعاء ثمانية أيام.

﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ أي: الهوان ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ أبلغ في الفضيحة ﴿وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ بيَّنا لهم طريق الهُدىٰ من الضلالة ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ اختاروا الضلالة ﴿فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ﴾ وهو الخزي الذي أهانهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧﴾ من الشرك.

---

(١) والأول هو المعروف (تفسير الطبري ٢١/ ٤٤٣).

(٢) قرأ أبو جعفر وابن عامر والكوفيون بكسر الحاء، وقرأ الباقون بسكونها (النشر ٢/ ٣٦٦).
والمعنىٰ: ذات نحس عليهم، وقيل: متتابعات، وقيل: النحسات الشر، وقيل: شدائد (تفسير الطبري ٢١/ ٤٤٦).

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بصالح النبي عليه الصلاة والسلام ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝١٨﴾ الشرك من عذابنا، قيل: آمنوا بصالح مائة وعشرة أنْفُس[١].

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ أي: يُساق الكفرة إلىٰ جهنم زُمرًا ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩﴾ يُردُّ أولهم علىٰ آخرهم، وقيل: يحبس أولهم علىٰ آخرهم ليتداركوا جميعًا، وهو: من وزعتُه أي: كففتُه[٢].

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ ما: صلة، أي: حضروها وعاينوا ما فيها ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ عند المحاسبة بما كان منهم.

قال الكلبي: الجلود عبارة عن الفرج[٣].

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ بعد ما رُدَّ إليهم نُطقهم ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ وعملتم في هلاكنا بعد إنكارنا ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فنطقنا بإنطاقه إيَّانا كما أُنطِقتُم أولَ مرة في دار الدنيا وخلقكم ناطقين فيها ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١﴾ أي: رجعتم إليه.

وقيل: قد ذكر الله لكم في كتابه: «وإليه ترجعون».

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ أي: تحسبون، وقيل: تستيقنون[٤].

---

(١) وهاهنا يذكر المفسرون قصة عتبة بن ربيعة مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم وسماعه منه أوائل هذه السورة، وهي القصة التي أوردها المصنف في تفسير السورة السابقة (انظر: تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢١، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٦٥، الكشاف ٤/ ١٩٢).

(٢) انظر تفسير سورة النمل، آية: ١٧.

(٣) وأنكره ابن جرير، وقال: هذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه في معنىٰ الجلود، وإن كان معنىٰ يحتمله التأويل، فليس بالأغلب علىٰ معنىٰ الجلود ولا بالأشهر، وغير جائز نقل معنىٰ ذلك المعروف علىٰ الشيء الأقرب إلىٰ غيره إلا بحجة يجب التسليم لها (تفسير الطبري ٢١/ ٤٥١).

(٤) وقيل: تستخفون وقيل: تتقون (الكشف والبيان ٢٣/ ٢٧٤).

﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ هذه مقالة الملائكة لهم ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ في الدنيا.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: أهلككم وأغواكم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ المغبونين بذهاب حظوظكم من الجنَّة.

ثم أخبر عن حالهم وقال: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أبدًا ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ يعتذروا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المعذورين.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ أي: سلَّطنا على الكفرة قُرناء من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة بأنها غير كائنة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا، حتىٰ يجمعوها، مِن حلٍّ أو حرام، وينفقونها في باطل ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: وجبت عليهم السخطة والعذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: يكونوا مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ مغبونين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بعضهم لبعض ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ من محمد ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ واللغو: كل كلام ليس له حقيقة ولا فائدة ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ برفع أصواتكم قِراءته فتختلط عليه.

قيل: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن في الصلاة قام عن يمينه رجلان من بني عبد الدار، ورجلان عن يساره، ويرفعون أصواتهم

وروىٰ الطبري في تفسيره ٢١/ ٤٥٦ عن ابن مسعود أنه قال: إني لمستتر بأستار الكعبة، إذ دخل ثلاثة نفر، ثقفي وختناه قرشيان، قليل فقه قلوبهما، كثير شحوم بطونهما، فتحدثوا بينهم بحديث، فقال أحدهم: أترىٰ الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إنه يسمع إذا رفعنا، ولا يسمع إذا خفضنا، وقال الآخر: إذا كان يسمع منه شيئًا فهو يسمعه كله، قال: فأتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له، فنزلت هذه الآية..، متفق عليه، رواه البخاري ٤٨١٦، ومسلم ٢٧٧٥، فهذا يؤيد قول أكثر المفسرين أن المعنىٰ: تستخفون.

بالأشعار والأرجاز، حتىٰ يخلطوا قراءة رسول الله، فأنزل الله تعالىٰ[١]: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يعني هؤلاء النفر.

قال مقاتل: العذاب الشديد هو القتل ببدر[٢].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يعني: جزاء شركهم وإيذائهم رسول الله.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ ثم فسَّر الجزاء وقال ﴿ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ لا يموتون في النار أبدًا ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ بكتبنا ورسلنا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ في دار الدنيا ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ وسنَّا لنا الكفر، وهو إبليس رأس الكفرة من الجن، وقابيل بن آدم من الإنس[٣] ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ تحتنا.

ابن عباس: أول من يُساق إلىٰ النار إبليس، وعليه جُبَّة من نار، وعلىٰ رأسه تاج من نار، وملك يسحبه فيلتفت ويقول: وعزَّتك إني كنت عبدًا لك أعرفك، أما تنفعني المعرفة اليوم، فيسحبه الملك فيقول للملك: أما ترحمني، أَقِرْني حتىٰ أدعوا إلٰهي، وتعرف أنّي كنتُ عبدًا له أعرفه، فيُكَبْكَب في النار.

ثم يُجاء بقابيل فيُصنع به كما يُصنع بإبليس، ثم يُدْعَىٰ برؤوس الضلالة: نمرود وفرعون وأشياعهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده، عرفوه بالوحدانية ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ علىٰ المعرفة.

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ١٦٥، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢٥، الكشف والبيان ٢٣/ ٢٨١.

(٢) لم يذكره في هذه الآية في تفسيره ٣/ ١٦٥.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢٥.

قال رسول الله: «هم أمتي ورب الكعبة، مرتين أو ثلاثة، آمنوا ولم يشركوا»(١).

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند فراق الأحبَّة وقبض أرواحهم بالبشارة ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ علىٰ ألسنة الرُسل.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في الحياة لأنَّ البشارة علىٰ لسان الملائكة الذين هم حفظة المؤمنين، فقالوا: نحن أولياؤكم، أي: نحفظكم وننصركم في الدنيا، ونحن أولياؤكم وأنصاركم في القبر، وفي القيامة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنَّة ﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١﴾ أي: تتمنون وتسألون.

﴿نُزُلًا﴾ أي: كرامة ورزقًا في الجنَّة ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ الغفران يكون للمذنب، ثبت أن الخطاب لعامة المسلمين من المخلِصين.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: محمد دعا إلىٰ الله الخلقَ ليوحِّدوه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فيما بينه وبين الله تعالىٰ ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ وقيل: نزلت في المؤذِّنين، عن عائشة رضي الله عنها(٢).

وقال الضحاك: في بلال المؤذِّن(٣)، والدعاء إلىٰ الله: قوله «حي علي الصلاة حي علي الفلاح».

---

(١) غريب، ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٢٨٩ من غير إسناد.

(٢) رواه الثعلبي عنها في الكشف والبيان ٢٣/ ٢٩٨، ورواه الطبري عن قيس بن أبي حازم (تفسير الطبري ٢١/ ٤٦٩) وهو قول عكرمة كما في الكشف والبيان ٢٣/ ٢٩٧.

(٣) وهو معنىٰ القول السابق.

وعمل صالحًا: صلَّىٰ بين الأذان والإقامة ركعتين[١].

وقال إنني من المسلمين: قوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

وقيل: الآية عامَّة في كل مَنْ يأمر بمعروف أو ينهىٰ عن منكر[٢].

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ قال الكلبي: الحسنة: التوحيد، والسيئة: الشِرك، وقيل: الحلم والفُحش، عن الضحاك[٣].

وقيل: إنَّ أبا جهل كان يؤذي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأمره الله بالصفح عنه فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: اصرف الفُحش عن نفسك بالخِصلة الجميلة، وقيل: بالسلام[٤].

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ وهو أبو جهل إذا فعلت ذلك ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ أي: ناصر لك، مِن أخصِّ أقربائك.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ أي: لا يوفَّق بالعفو والصفح عند سماع السيئة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ علىٰ الأذىٰ، ومضض ما سمعوا، وكظموا الغيظ ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ نصيب وافر في الجنَّة.

وقيل: سهم من العقل وافر.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ النزغ: هو التحريك للشيء والدعاء إليه[٥]، والمعنىٰ: إما يصيبنَّك من الشيطان خفة ووسواس ومكافأة عدوك

---

(١) وهو قول قيس بن أبي حازم كما في تفسير الطبري ٢١/ ٤٦٩.

(٢) وهو أولىٰ الأقوال.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٢٧.

(٤) وقيل نزلت في أبي سفيان (الكشف والبيان ٢٣/ ٣٠٠).

(٥) انظر: تفسير سورة الأعراف، آية: ٢٠٠.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شر وسوسته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعاء المستعيذين ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ بإجابتهم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ وخَلْقِه إياهما وما فيهما من المنافع ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لأنهما مخلوقان ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ يعني: إن أردتم بعبادة الأصنام عبادتي، فارغبوا في عبادتي دونهم.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن السجود لله والطاعة له ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: يصلُّون ويذكرون ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ أي: لا يملُّون ولا يفترون.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ الدَّالة على توحيده ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ مغبَّرة يابسة، وخشوعها: يُبسها وذهاب نباتها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ استبشرت ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت، وقرئ: و«ربأت»[1]، أي: ارتفعت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ يوم البعث ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ من إنبات النبات وإحياء الموتىٰ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: يميلون عن الإيمان بآياتنا ورسلنا ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ أي: لا تعمىٰ علينا ضمائرهم وظواهرهم ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾ منكوسًا أبو جهل وأصحابه[2] ﴿خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ من عذاب الله وهو النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ أيها الكفار، توعُّدٌ خرج مخرج الأمر ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الخير والشر ﴿بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ عليم أجازيكم.

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر (النشر ٢/ ٣٢٥).

(٢) الكشف والبيان ٢٣/ ٣٠٣.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾ وهو القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡۖ﴾ الرسول به، متروك الجواب، وجوابه: خسروا ولهم عذاب أليم(١).

ثم مدح الكتاب فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾﴾ كريم علىٰ الله ومنيع لا يُرام، ولا يقدر عليه لِمَا فيه من الإعجاز(٢).

﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ لا يأتيه الباطل من بين يديه، يعني: من التوراة والإنجيل والزبور، ولا من خلفه: أي: لا ينسخه كتاب آخر ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ أي: حكيم فيما أمر، حميد في فعاله، وقيل: معناه حامد لمن عمل بطاعته.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ أي: لا يؤمرُ لك من دعوة الخلق إلىٰ التوحيد، والزجر عن الكُفر، إلاَّ مثل ما أمر به الرسل قبلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ﴾ لمن أجابك إلىٰ التوحيد ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾ لمن خالف أمرك.

وقيل: معناه ما يُقال لك من التكذيب والتسخير والنسبة إلىٰ الكهانة؛ إلا ما قد قيل للرسل من قبلك، فصبروا علىٰ ذلك، فاصبر أنت كصبرهم، إن ربك لذو مغفرة لمن تاب عن الشرك، وذو عقاب أليم لمن أصرَّ علىٰ الكُفر(٣).

---

(١) قال الفراء: «يقال: أين جواب إن؟ فإن شئت جعلته «أولئك ينادون من مكان بعيد»، وإن شئت كان في قوله: «وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل» ، فيكون جوابه معلوما فيترك، وكأنه أعرب الوجهين وأشبهه بما جاء في القرآن» (معاني القرآن ٣/ ١٩).

(٢) قال أبو إسحاق: فيه وجهان: أحدهما أن الكتب التي تقدمت لا تبطله وَلَا يأتي بعده كتابُ يُبْطِلُه. والوجه الثاني أنه محفوظ من أن يَنقُصَ منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٨٨).

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٤٨١، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٠ ، الكشف والبيان ٢/ ٣٠٥.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ وبُيِّنَتْ بالعربيَّة حتىٰ نفهمها، فإذا أنزلناه بلغتهم التي يعرفونها كفروا، ولو جعلناه أعجميًّا لقالوا: ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ أي: رسول عربي وكتاب أعجمي ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ لما في الصدور وجلاء للرَّين ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ ﴾ أي: قفل وصمم عن سماعه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: ظُلمة وشُبهة علىٰ المعاندين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ لا يسمعون نداء القرآن، وهذا مَثَل.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أي: اختلف فيه قوم موسىٰ من بعده بخمسمائة سنة، كما اختلف قومك في كتابك، منهم من صدَّق ومنهم من كذَّب ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عن هؤلاء الكفَّار ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرغ عن هلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَفِى شَكٍّ [مِّنْهُ]﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ ظاهر الشك.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ثوابه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾ أشرك وأذنب ﴿فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ ولا يعاقبهم بغير جُرم.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: ينتهي إلىٰ الله علم قيام الساعة، وذلك العلم عند الله كما أنَّ علم الثمار في الأكمام عنده ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي: كُفُرَّاها.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: لا يكون الحمل والوضع إلا بعلمه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ وهم في النار ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك

وأخبرناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝٤٧﴾ أي: ليس منَّا من يشهد أنَّ لك شريكا[١].

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بطل عنهم، وقيل: اشتغل عنهم ما كانوا يدعونه في الدنيا إلـٰهًا.

﴿وَظَنُّواْ﴾ يعني: أيقنوا[٢] ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٤٨﴾ منجىً ولا مخلص.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: لا يملُّ من سؤال الصحة والنفع والأمن لنفسه ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الشدة والفقر ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ۝٤٩﴾ آيِس من رحمة الله، قنوط شديد اليأس.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ﴾ أعطيناه ﴿رَحْمَةً﴾ أي: نعمة وعافية ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ من بعد فقر أصابه ﴿لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ استحققت هذا بجهدي وقوتي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ بعد الموت علىٰ زعم محمد ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة، كما أن لي في الدنيا منه الحُسنىٰ.

نزلت في عُتبة بن ربيعة وأصحابه[٣].

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ نجازيهم علىٰ أعمالهم الخبيثة ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾ شديد في القيامة.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ الكافر بالمال والولد ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ عن الإيمان ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: الفقر وما يكره ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾ أي: كثير لا يفتر.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٤٨٨.

(٢) فالظن هنا بمعنىٰ اليقن (تفسير الطبري ٢١/ ٤٨٩).

(٣) هكذا قال النقاش في تفسيره، نقله السمعاني في تفسيره٥/ ٦٠، وقال الضحاك: نزلت في شأن النضر بن الحارث (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٢).

يقال في هذا: أنه ذُكر قبل هذه الآية: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾، وفي هذه الآية: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾.

فقد قيل: إنَّ الأول نزل في أبي جهل، والآخر في أبي حذيفة[1].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ﴾ يعني: القرآن ﴿كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ متروك الجواب، وجوابه: فما حجتكم عند الله؟.

﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ أي: خلاف بعيد عن الحق.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: دلالة وحدانيته وربوبيته في الآفاق: باختلاف الأزمان، وتغيير العالَم، ومجاري الشمس والقمر، واختلاف الليل والنهار، والقحط والخصب، وهلاك الأمم، وفي أنفسهم: من الأمراض والأوجاع، والصِغر والكِبَر، والشباب والهرم[2].

والسين في: «سنُريهم» سين وعد، أي: سوف نريهم.

قيل: أراد بالآفاق فتوح البلاد، وفي أنفسهم: فتح مكة خاصة[3].

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ رسول من الله، وقيل: الهاء تعود إلىٰ الله، أي: أنه إلـٰه حق ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ يقول: أولم يكف بشهادة ربك أنه عليم بكل شيء.

---

(١) ونحوه في تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٣

(٢) قال عطاء وابن زيد: في الآفاق يعني أقطار الأرض والسماء، من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والجبال والأنهار والبحار والأمطار، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، وسبيل الغائط والبول، حتىٰ إن الرجل ليأكل ويشرب من مكان واحد، ويخرج ما يأكل ويشرب من مكانين (الكشف والبيان ٢٣/ ٣١٧).

(٣) وهو قول السدي، كما في تفسير الطبري ٢١/ ٤٩٣، الكشف والبيان ٢٣/ ٣١٧.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ أي: في شك من البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ عليم، أحاط علمه بجميع المعلومات.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعب أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة حم السجدة أُعطي من الأجر بعدد كل حرف منها عشر حسنات»[١].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٢٤٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٨.

الفهرس

سورة الأنبياء ٥
سورة الحج ٣٥
سورة المؤمنين ٦٣
سورة النور ٨٧
سورة الفرقان ١٢١
سورة الشعراء ١٤٣
سورة النمل ١٦٩
سورة القصص ١٩٣
سورة العنكبوت ٢٢٥
سورة الرُّوم ٢٤٥
سورة لقمان ٢٦١
سورة السجدة ٢٧٥
سورة الأحزاب ٢٨٧
سورة سبأ ٣٢١
سورة الملائكة ٣٣٩
سورة يس ٣٥٣
سورة الصافات ٣٧٥
سورة ص ٣٩٥
سورة الزمر ٤١٧
سورة المؤمن ٤٤٣
سورة [حم] السجدة ٤٦٥

تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

تأليف

عبد الحميد بن عبد المجيد الحالمي

(ت: بعد ٥١٤هـ) رحمه الله

تحقيق

أ. د. أحمد بن فارس السلوم

عفا الله عنه

دار ابن حزم

تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

٤

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

9 789959 859426

ISBN: 978-9959-859-42-6

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

تفسير الحاكمي

المسمى

تخليص الدرر

تأليف

عبد الحميد بن عبد المجيد الحاكمي

(ت: بعد ٥١٤هـ) رحمه الله

تحقيق

أ. د. أحمد بن فارس السلوم

عفا الله عنه

المجلد الرابع

(سورة الشورى - سورة الناس)

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة عسق

[مكية][(١)] وهي خمسون وثلاث آيات في الكوفي، وآية في البصري[(٢)].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ ابن عباس رضي الله عنه: هو ثناء أثنىٰ الله علىٰ نفسه، ح: حلمه وم: مُلكه، وع: علمه، وس: سناؤه، وق: قدرته علىٰ خلقه[(٣)].

أبو سهل: معناه بسم الله الرحمن الرحيم الحليم المجيد العليم السميع القدير.

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ حم عسق كما أوحي ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ ابن عباس: ليس نبي إلا قد أُوحي إليه بحم عسق، كما أُوحِي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم[(٤)].

﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ عزيز في سلطانه حكيم في قضائه.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ الرفيع فوق خلقه بالعُلا والقدرة ﴿ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾ في برهانه.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ يتشققن من فوقها من السكّان ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ يُنزِّهون الله من مقالة الآدميين بأمر الله وتوفيقه.

---

(١) أسقط الناسخ التنزل، وسورة الشورىٰ مكية كسائر ذات حم، انظر: الكشف والبيان ٢٣/ ٣٢١، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٥٨ أن منها ما هو مدني.

(٢) في البيان للداني ٢٢١ خمسون وثلاث في الكوفي، وخمسون في عد الباقين.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٥، تفسير السمعاني ٥/ ٦٢، زاد المسير ٤/ ٥٨.

(٤) وهي رواية الكلبي، كما في زاد المسير ٤/ ٥٩.

﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ قيل: عموم بمعنىٰ الخصوص، يعني: للمؤمنين خاصة[١].

وعن الضحاك: أنَّ الملائكة قالوا: عجبًا من بني آدم، فُضِّلوا وأُكْرِمُوا فيذنبون ويعصون، ويغفر الله لهم، ويُدخلهم الجنة، ثم نكون خولاً لهم في الآخرة، ونحن لا نعصي طرفة عين.

فأوحىٰ الله إليهم أني سمعت مقالتكم، وإني مبتليكم بالبليّة التي ركَّبتها في صدورهم، فميِّزوا مائةً من أفاضلكم، ففعلوا، ثم قال: ميِّزوا تسعين من هؤلاء، ففعلوا، وهكذا حتىٰ صارت المختارون منهم ثلاثة، فقال لهم: أهبطوا إلىٰ الأرض فقد ركَّبْتُ فيكم ما ركَّبت في الآدميين؛ من شهوة الجماع والطعام والشراب، فلمَّا نزلوا إلىٰ الأرض صغت أنفسهم إلىٰ الشهوات، فكانوا لا ينظرون إلىٰ امرأة إلا اشتهوا أن يواقعوها، وقصَّتهم إلىٰ آخره، فلما نظرت الملائكة إلىٰ ما ابتُليت به الثلاثة، قالت الملائكة بعضهم لبعض: هلُمُّوا فلنستغفر لمن في الأرض، فاستغفروا لهم، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليهم أنَّ استغفاركم هذا في أرض لعبادي، وإن منهم من لا يوحِّدوني، فنهاهم أن يستغفروا للمشركين، فنُسخت هذه الآية بالآية التي في حم المؤمن: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾، فصار استغفارهم للمؤمنين خاصة.

ثم قال ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ من الأصنام والملائكة ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ شهيد ورقيب ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم﴾ يا محمد ﴿بِوَكِيلٖ ۝٦﴾ حفيظ ولا مُسلَّط.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٥٠٢.

وهذه الحرف منسوخ بآية السيف(١).

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ ليفهموه ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ مكة، وأمُّ الشيء: أصله، والأرض جميعًا دُحِيَتْ من مكة فسُمِّيَتْ أمًّا ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ ولتنذر بالقرآن سائر الخلق ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ أي: نخوِّفهم بالقيامة يجتمع فيه الأولون والآخرون ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ عند من آمن به ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ في الجنَّة السعداء وفي السعير الأشقياء.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ مجمعين علىٰ الإسلام، ولكن لم يشأ ذلك لأنَّه علم أنه لو فوَّض الأمر إلىٰ اختيارهم لا يختارون ذلك، بل يختارون ضده ﴿وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أخبر أن من أعطاه الله ذلك أعطاه بفضله ورحمته ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من المشركين وغيرهم ﴿مَا لَهُم﴾ في الأرض ﴿مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ﴾ معناه: بل عبدوا من دون الله أربابًا من الملائكة والأصنام رجاء أن يشفعوا لهم ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ الرب لهم ﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ لا الأصنام ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ﴾ أي: في الدِّين ﴿مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ﴾ أي: بيانه ﴿إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ وعلمه عند الله وفي كتابه، كقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلىٰ كتابه(٢).

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ ربكم لا شريك له ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ به وثقت ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ أرجع إليه في الآخرة.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٧.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٥٠٦

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾ ذكرًا وأنثىٰ ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ يكثركم بالتزويج[١].

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ الكاف: زائدة لأنه ليس له مثل، عن الزجاج وأبي سهل[٢].

وقيل: معناه ليس كهو شيء، والعرب تقيم المثل مقام النفس، يقولون: لا يقال هذا المثلي يريدون به أنفسهم[٣].

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالة خلقه ﴿ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ العالِم بأعمالهم

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ يعني: مفاتيح الرزق: المطر والنبات والثمار.

---

(١) وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٣٩٥، وفي تفسير الطبري ٢١/ ٥٠٨ أن بعض المفسرين قال: يخلقكم فيه، وبعضهم قال: يعيشكم فيه، ثم قال ابن جرير: وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما إلىٰ معنىٰ واحد، وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه، أراد بقوله ذلك: يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه إياه، ونفخه الروح فيه حتىٰ يعيش حيا.

(٢) نص عبارة الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٣٩٥: هذه الكاف مؤكدة والمعنىٰ: ليس مثله شيء. وهذا هو الوجه الثاني في الآية عند ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١/ ٥٠٩، وقال: أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام، كقول الراجز: «وصاليات ككما يؤثفين» فأدخل علىٰ الكاف كافًا توكيدا للتشبيه.. (وجوز الزمخشري هذا الوجه في الكشاف ٤/ ٢١٣).

(٣) ويكون المثل هنا توكيدا، وهو الوجه الأول عند ابن جرير في تفسيره ٢١/ ٥٠٩ حيث قال: أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدا للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنىٰ واحد، كما قيل: «ما إن نديت بشيء أنت تكرهه» فأدخل علىٰ: ما؛ وهي حرف جحد: إن، وهي أيضا حرف جحد، لاختلاف اللفظ بهما، وإن اتفق معناهما توكيدا للكلام.. (وانظر: الكشف والبيان ٢٣/ ٣٣٥، الكشاف ٤/ ٢١٣).

وقيل: مفاتيح خزائن السماوات والأرض، واحد المقاليد: مِقْلاد[1].

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يُوسِّع علىٰ من يشاء ويقترّ علىٰ من يشاء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من البسط والتقتير ﴿عَلِيمٌ ١٢﴾

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا [وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ]﴾ والدِّين: اسم لما يعتقد به، وأراد به دين الإسلام ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الخليل ﴿وَمُوسَىٰ﴾ الكليم ﴿وَعِيسَىٰٓ﴾ النجي ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ استقيموا علىٰ الإسلام ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ أي: عليكم أن تأتلفوا ولا تختلفوا ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: عَظُم علىٰ مشركي مكة دعوتك إياهم إلىٰ التوحيد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يستخلص لدينه الإسلام بمشيئته وعلمه الأزلي مَنْ كان أهلاً لذلك ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ أي: يُرشد إلىٰ الإسلام بمشيئته من يرجع إلىٰ التوبة عن الشرك.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي: علم الإسلام في كتابهم ونعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يعني به اليهود ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: حسدًا بينهم ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلىٰ انقضاء آجالهم ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بما سألوا من العذاب ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد أنبيائهم ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ١٤﴾ من أمر محمد يعني به أهل الكتاب.

قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ يعني: إلىٰ ذلك الكتاب والدِّين فادع المتفرقين ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ علىٰ الدين ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أن تترك دعاءهم إلىٰ التوحيد ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ عليَّ وعلىٰ الأنبياء قبلي

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٣٩.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ بالدعوة إلىٰ الإسلام ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ لنا الإسلام ولكم الكفر، كما في آية أخرىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لا يؤاخذ أحد بعمل صاحبه(١).

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: لا احتجاج ولا خصومة بيننا يوم القيامة، وقيل: لم يبق حُجَّة علىٰ ما دعوتكم إليه إلا وقد أقمتها(٢).

﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في الآخرة للمجازاة ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ١٥﴾ فيجزينا بأعمالنا.

ثم قال ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ والمُحاجَّة: المنازعة والمخالفة.

أراد به اليهود نازعوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقالوا: إنَّ ديننا أقدم، وكتابنا أكثر، من بعد ما استجاب له بعض الناس إلىٰ التوحيد(٣).

وقيل: بعدما أقرُّوا به يوم الميثاق(٤).

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: خصومتهم في دين الله باطلة ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ١٦﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ وأنزل الميزان للعدل فيما بينه وبين خلقه، وقيل: الميزان الذي يُوزَن به(٥).

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٤٠.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٥١٧.

(٣) وهي رواية العوفي عن ابن عباس، كما في تفسير الطبري ٢١/ ٥١٨، وروىٰ عن مجاهد أنه قال: طمع رجال بأن تعود الجاهلية.

(٤) المعروف أن المعنىٰ: من بعد ما استجاب له الناس (الكشف والبيان ٢٣/ ٣٣٩).

(٥) تفسير الطبري ٢١/ ٥٢٠.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: ما تدري يا محمد ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ١٧﴾.

ولم يقل: قريبة؛ لأنَّ تأنيث الساعة ليس بحقيقي، لأنَّ المراد منه البعث(١).

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي: لا يُقرُّون ولا يستيقنون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أي: خائفون منها لما يعلمون من أهوالها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ أي: الصدق ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ في البعث ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ١٨﴾ أي: في جهل وحيرة أبدًا.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ اللطيف: الرفيق بعباده رفقًا لا يُحاط بوصفه، إذ كلَّف عباده دون الطاقة، ورزقهم فوق الكفاية، عن المفسِّر الكبير(٢).

وقيل: اللطيف الذي يُنْصِف ولا ينتصف.

وقيل: اللطيف الذي ينشُر المناقب، ويظهرها، ويستُر المثالب، ويكتمها(٣)، وهو معنىٰ قول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «يا من أظهر الجميل وستر علىٰ القبيح»(٤).

---

(١) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٩٧، ونص عبارته: وهو بمعىٰ لعل البعث قريب ويجوز أن يكون علىٰ معنىٰ لعل مجيء الساعة قريب.

(٢) نقل الثعلبي عن ابن عباس قال: حفي بهم، وعن عكرمة: بار بهم، وعن السدي: رفيق بهم، (الكشف والبيان ٢٣/ ٣٤٠).

(٣) الكشف والبيان ٢٣/ ٣٤١.

(٤) روي من حديث أبي بن كعب، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل فقال: يا محمد، أتيتك بكلمات لم آت بها أحدًا قبلك، قل: يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، ولم يأخذ بالجريرة، ولم يهتك الستر، ويا عظيم العفو، ويا كريم المن، ويا عظيم الصفح، ويا صاحب كل نجوىٰ، ويا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها، ويا منتهىٰ كل شكوىٰ، ويا رباه، ويا سيداه، ويا مناه، ويا غاية رغبتاه، أسالك أن لا تشوه وجهي بالنار.

وقيل: اللطيف هو العالِم بمصلحة العباد، من عَلِمَ أن صلاحه في فقره أفقره، ومن كان صلاحه في غناه أغناه، ومن كان صلاحه في سقمه أسقمه، ومن كان صلاحه في صحة جسمه صحَّحَه.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ كيف يشاء ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ القوي علىٰ ترزيق العباد، العزيز بالانتقام عمَّن خالفه.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ أي: مَن أراد بطاعته ثواب الآخرة نزد له بالواحد عشرة إلىٰ سبع مائة إلىٰ الألف.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهم الفُجَّار، يريد بعمله رياء الناس ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ما قدر له من وفق مراده في الدنيا ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي: حظ وثواب.

ثم ذكر أهل الشرك فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ أي: سنُّوا وبيَّنوا ﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وليس كذلك ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ الذي سبقت بتأخير العذاب عن هذه الأمة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: أهلكهم بالعذاب كما عذَّب غيرهم ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في الآخرة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

ثم بيَّن حالهم فقال ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ أي: خائفين من جزاء كفرهم في الآخرة ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ واجب عليهم ولازم لهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من أداء الفرائض ﴿فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾

رواه العقيلي في الضعفاء ٢/ ٩٢، وفيه زهدم بن الحارث تفرد فيه، وهو متكلم فيه، قال العقيلي: لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به.

وقد توبع عند البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ١٤٥ لكن من جهة شديدة الضعف.

ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٧٢٩ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفيه أحمد الصنعاني اتهمه الذهبي بهذا الحديث (ميزان الاعتدال ١/ ١٣٦).

مجتمع الماء في المكان المطمئن، الذي ينبت فيه أنواع الكلأ والعُشب، وفي الجنة: أمكنة مونِقة معجبة ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ من التُّحف ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢ ذَٰلِكَ﴾ الفضل ﴿ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ يُفرِّحهم في الدنيا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ علىٰ ما دعوتكم ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ إلاَّ أنْ تنصروني وتعضدوني بقرابتي منكم، حتىٰ أبلغ رسالات ربي، ثم نسختها قوله: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾ من النُصرة والحياطة أي: لا أطالبكم به[1].

وقال الحسن: إلا أن تَودُّوا أقاربي من أجلي، ولا تؤذهم، فقالوا: لا تؤذوا أقاربه، ثم جعل يعيب آلهتهم، فقالوا: سألنا أنْ لا نؤذي أقاربه ففعلنا، ثم هو الآن يعيب آلهتنا، فنزلت: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾[2].

﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ﴾ يكتسب طاعة لوجه الله ﴿نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ أي: إحسانًا بالواحد عشرة إلىٰ ما شاء الله من الأضعاف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لذنوب العباد ﴿شَكُورٌ ٢٣﴾ قابلٌ لحسناتهم.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ﴾ يعني: القرآن، وليس من الله، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ حتىٰ لا تدخله المشقة من تكذيبهم إياك ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ المشقَّة من قلبك.

وقيل: فإن يشأ الله تعالىٰ يُنسيك القرآن حتىٰ لا تحفظ ولكن لم يشأ الله ذلك[3].

---

(١) لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وبينهم قرابة، فقال لهم: يا قوم إذ أبيتم اتباعي فاحفظوا قرابتي فيكم (تفسير الطبري ٢١/ ٥٢٥).

(٢) وممن قال بهذا القول سعيد بن جبير (تفسير الطبري ٢١/ ٥٢٨). وهذا الذي نقله عن الحسن لم أجده، لكن نقله ابن الجوزي دون نسبة للحسن بل لبعض التفاسير: زاد المسير ٥/ ٧٤.

(٣) وهو قول قتادة (تفسير الطبري ٢١/ ٥٣٢، زاد المسير ٥/ ٧٥).

﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ أي: يُظهر أهل الحق على أهل الباطل بظفره ويقر الدين بآياته ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ بما في قلبك من الحزن.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالتوبة ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: يجيبهم الله إذا دعوه ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أكثر مما سألوه وأمّلوه ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: طغوْا على الله فيها ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ كيف يشاء ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ بمصالحهم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ أي: المطر من السماء ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ من المطر ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ على عباده ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ لمن أطاعه ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ في فِعَاله.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ وهو الملائكة وبني آدم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ في الآخرة بعد البلَىٰ ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قال الضحاك: ما حفظ رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ونسيان القرآن من أعظم المصائب(١).

وروي عن علي رضي الله عنه، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «ليس من التواء عرق، ولا نكتة حجر، ولا عثرة قدم، ولا خدشة عود، إلا بذنب»(٢) وهو معنىٰ الآية، ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي: ما يعفو الله أكثر.

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٣٨٣.

(٢) بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف، رواه الثعلبي عن الحسن البصري مرسلا (الكشف والبيان ٢٣/ ٣٧٧). وروىٰ الثعلبي حديثا عن علي بن أبي طالب معناه قريب ولفظه مختلف، وإسناده ضعيف.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: لستم يا أهل مكة بفائتين الله هربًا في الأرض ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١﴾.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢﴾ أي: من علامات توحيده: السفن تجري في البحر علىٰ وجه الماء، كالجبال، والأعلام: الجبال[1].

﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ التي تجري بها السفن ﴿فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ﴾ سواكن علىٰ ظهره، والظلول: البقاء علىٰ حالة واحدة نهارًا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ السفن إذا ركدن وجرين ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ علىٰ طاعة الله ﴿شَكُورٍ ٣٣﴾ لنعمة الله.

﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ يعني: وإن يشاء يهلك أهل السفينة بكسبهم، أي: بمعصيتهم ﴿وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ٣٤﴾ من كسبهم الخبيث ولا يجازيهم به.

﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ قال أبو سهل: نصب علىٰ ضمير اللام، معناه: وليعلم الذين يجادلون[2].

وقيل: هو نصب علىٰ الصرف، لأنَّه صرف الكلام من حال الجزم إلىٰ النصب كراهةً لتوالي الجزمات، والأفعال الأولىٰ كلها مجزومة، نسقًا علىٰ قوله ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ﴾[3].

وقرئ: «ويعلمُ»، بالرفع، معطوف علىٰ قوله: «ويعفُ»[4].

ثم قال ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥﴾ أي: منجىٰ ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ أُعطيتم يا أهل

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٥٤٠.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٢٧، وانتقد هذا الوجه. ويرىٰ الزجاج أنه نصب علىٰ إضمار أن لأن قبلها جزاء (معاني القرآن ٤/ ٣٩٩).

(٣) الدر المصون ٩/ ٥٥٩ ونسبه للزجاج.

(٤) وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر (النشر ٢/ ٣٦٧).

مكة ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ مما يفنىٰ ولا يبقىٰ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ وأدوم ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ أي: عظائم الذنوب والفواحش.

قيل: ما دون الكبائر، وقيل: الكبائر الشرك، والفواحش ما دونه(١).

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾ أي: سخطوا ﴿هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾ أي: يعفون لمن ظلمهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ بالتوحيد ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: لا يستبدُّون برأيهم إلا بوحي من الله.

وقيل: إلا المشاورة فيما بينهم في الأمور الواقعة(٢).

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾ في طاعة الله.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ ينتصفون بالقصاص لا بالمكابرة.

ابن عباس: نزلت في الجراحات خاصَّة(٣).

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ مكافأة للجارح قصاص المجروح: سنًّا بسنٍّ، وعينًا بعين، وأُذنًا بأُذن، ولو كسر العظم فلأنَّه(٤) ليس لها حد ﴿فَمَنۡ عَفَا﴾ الجارح ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ العمل، لأن العفو من العمل الصالح ﴿فَأَجۡرُهُۥ﴾ أي: ثواب عفوه ﴿عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ المعتدين في الجراحات.

---

(١) وقيل: الفواحش: الزنىٰ (تفسير الطبري ٢١/ ٥٤٥).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٤٦.

(٣) وهو من رواية مقاتل فيما يظهر، الكشف والبيان ٢٣/ ٣٨٨، والكلبي كما في تنوير المقباس ٤١٠.

(٤) لعلها هكذا فإنها غير واضحة.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «يُنادي مُنادٍ يوم القيامة لا يقوم أحد إلا من له عند الله يد، فتقول الخلائق: سبحانك، بل لك اليد، فيقول ذلك مرارًا، فيقول الله تعالىٰ: بل من عفا في الدنيا بعد القدرة»(١).

ثم قال: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي: انتصف من ظالمه بعد مظلمته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ أي: حُجَّة، وقيل: مأثم(٢).

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ الإثم في العقوبة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يستطيلون علىٰ عباد الله بالباطل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ﴾ علىٰ ظلم العباد ﴿وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ أي خير الأمور. قال الكلبي: هذه الآيات الأربع مدنيَّات(٣).

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ أي: ومن يخذله الله ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: ما للمخذول من قريب بعد خذلان الله إيَّاه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين في الآخرة ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ هل من رجوع في الدنيا فنصدِّق بما كذَّبنا.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: علىٰ النار، وهذا قبل دخول الكفار النار وهم علىٰ الصراط ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ والخزي الذي نزل بهم ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ يعني: مسارقة النظر.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان٧٩٧٧ ، وهو حديث منكر، تفرد به عمر بن راشد، منكر الحديث (لسان الميزان ٦/ ٩٧). وله شاهد عن ابن عباس عند الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٣٩١ بإسناد حسن.

(٢) زاد المسير ٤/ ٦٨.

(٣) وزعم أن عمرو بن غزية الأنصاري شتم أبا بكر فنزلت (تنوير المقباس ٤١٠).

وقيل: هو النظر بالقلب لأنهم يُحشرون علىٰ وجوههم عُميًا وبُكمًا وصُمًّا.

وقيل: إذا سمعوا حسًّا وقفوا عادة العُميان في الاستماع والنظر[1].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ حيث صاروا إلىٰ النار وحُرِموا الجنة ﴿وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ أي: خسروا أهليهم وخدمهم من الجنَّة ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين في الآخرة ﴿فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: للمشركين أعوان تمنعهم من عذاب الله ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ له في الدنيا ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ٤٦﴾ إلىٰ الهُدىٰ.

﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ بالتوحيد[2] ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: قبل قيام الساعة، لا مانع له إذا جاءنا من الله ﴿مَا لَكُم﴾ أيها الكفار ﴿مِّن مَّلۡجَإٖ﴾ أي: حرز ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ تلجئون إليه ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧﴾ أي: مالكم من قدرة علىٰ إنكار ما حلَّ بكم.

ثم قال لرسوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ عن الإجابة إلىٰ الهُدىٰ، أي: التوحيد والتصديق ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ﴾ أي: رقيبًا.

وهذا الحرف منسوخ بآية السيف[3].

---

(١) الكشف والبيان ٢٣/ ٣٩١.

(٢) في الأصل تصحيف وغلط في كتابة الآية، ففيه: استجيبوا إلىٰ ربكم: وقرئ لربكم بالتوحيد، وهذا غلط في الآية ثم صحف إلىٰ كلمة: وقرئ، وليس في هذا الحرف قراءة. وهذا الذي اثبته يطبق عليه المفسرون.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٤٩.

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ عن الله والإنذار من عذابه ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ فقر ومرض ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ۝٤٨﴾ لنِعَم الله.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ في الرحم، كيف يشاء، ذكرًا أو أنثىٰ، والخلق منه: إحداث شيء وإيجاد عينه.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ بناتًا ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩﴾ البنين.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ يخلطهم ذُكرانًا وإناثًا، بنين وبنات، وكل شيء يقرن فقد ازدوج وصار زوجًا[١].

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ لا يلد ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد ﴿قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ علىٰ الهبة والإمساك.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ أي: ليس لآدمي أن يكلِّمه الله إلا وحيًا في المنام، أو من وراء حجاب كما كلَّم موسىٰ ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ أي: جبريل إليه ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ أي: بأمره ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ بإرسال الرسل ومواترة الكُتب.

قال الضحاك: كلَّم الله تعالىٰ محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم من وراء حجابين، حجاب من فراش ذهب، وفراش من لؤلؤ، ما بين الحجاب إلىٰ الحجاب مسيرة سبعين سنة[٢].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٠٢.

(٢) لم أجده، وفي الدر المنثور عن الزهري قال: نزلت هذه الآية تعم من أوحىٰ الله إليه من النبيين، فالكلام كلام الله الذي كلم به موسىٰ من وراء حجاب، والوحي ما يوحي الله به إلىٰ نبي من أنبيائه، فيثبت الله ما أراد من وحيه في قلب النبي، فيتكلم به النبي ويعيه، وهو كلام الله ووحيه، ومنه ما يكون بين الله ورسله، لا يكلم به أحدا من الأنبياء ولكنه سر غيب بين الله

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي: وصفنا لك إليك ﴿رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ أي: ملكًا بأمرنا حتىٰ أدَّىٰ إليك رسالتنا.

قيل: الروح النبوَّة والكتاب، عن الكلبي(١).

﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾ قبل الوحي ﴿وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ أي: لم تكن تدري عبارة الإيمان قبل الوحي، وإن كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مؤمنًا قبل الوحي.

وقيل: «ولا الإيمان»، أي: ما كنت تدري كيف تدعو الخلق إلىٰ الإيمان، وعلىٰ أي لفظ ولغة تدعوهم.

وقيل: إنَّه أراد في صغره(٢).

﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا﴾ ولم يقل: جعلناهما، كقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ لأن الآية فيهما واحدة، وهاهنا النور منهما واحد.

ويحتمل: أنه أراد محمدًا، يعني: جعلنا محمدًا نورًا، والقرآن نورًا ﴿نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ نُرشِدُ ونوفِّق بالقرآن والكتاب من نشاء من عبادنا، مَن كان أهلاً ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ يا محمد يعني الإسلام.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ خفض علىٰ البدل(٣) ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ

ورسله، ومنه ما يتكلم به الأنبياء عليهم السلام ولا يكتبونه لأحد، ولا يأمرون بكتابته، ولكنهم يحدثون به الناس حديثًا، ويبينون لهم أن الله أمرهم أن يبينوه للناس، ويبلغوهم ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء من اصطفىٰ من ملائكته فيكلمون أنبياءه، ومن الوحي ما يرسل به إلىٰ من يشاء فيوحون به وحيا في قلوب من يشاء من رسله.

(١) وفي تنوير المقباس ٤١١: الروح جبريل، والكتاب القرآن.

(٢) حكاه السمعاني في تفسيره ٥/ ٨٨، وهو بعيد.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٣٦.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ لأنه مبتدأ كل شيء، وإليه منتهىٰ كل شيء.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الشريعة كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له»[١].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٣٢٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٠٩.

سورة الزخرف

مكيَّة[١]، وهي ثمانون وتسع آيات[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ أقسم الله به وبالكتاب المبين، وهو القرآن الذي أبان طريق الهُدىٰ من الضلالة، أنه جعل القرآن عربيًّا، أي: بلغة العرب علىٰ قوم يفهمونه.

﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ أي: تفهمون.

﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، والأمُّ: هو الأصل[٣] ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ رفيع شريف، محكم بالحلال والحرام.

المعنىٰ: وإنه لعلي حكيم في أم الكتاب لدينا.

قال ابن عباس: خلق الله اللوح المحفوظ من درة بيضاء، مسيرة خمسمائة عام، وعلَّقه بحجاب النور، وأنزل القرآن منه علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في عشرين سنة، وأول ما بُدئ به في شهر ربيع الأول، وفيه وُلِدَ، وفيه توفي صلىٰ الله عليه وسلم[٤].

﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ وهذا الكلام من فصاحة القرآن، تقول العرب: ضرب الذكر عن فلان صفحًا؛ إذا أعرض عنه وتركه، وهذه علىٰ وجه

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٣/ ٤٠٣، زاد المسير ٤/ ٧٢.

(٢) وثمان آيات في الشامي، البيان في عد آي القرآن ٢٢٣.

(٣) معاني القرآن ٤/ ٤٠٥.

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ١٨٨ بإسناد منكر. وهو من تفسير مقاتل ٣/ ٣٢٥.

الاستفهام، والمعنىٰ: أفنترككم مُهملاً بلا أمر ولا نهي.

وقال الزجاج: أفنمهلكم ونهملكم ولا نعرِّفكم ما يجب عليكم معرفته[١].

وصفحًا: مصدر جاء علىٰ خلاف صدره، واختصاره: أفنعرض عنكم إعراضًا[٢].

﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ بالكسر والفتح جميعًا[٣]، يعني: إسرافكم لا يوجب الإعراض عن تذكيركم.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦﴾ في الأمم الماضية ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧﴾ كاستهزاء قومك ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: أشدَّ من أهل مكة.

وبطشًا: نصب علىٰ التمييز[٤].

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ أي: جرت سُنَّة الله بالعذاب عند تكذيبهم الرسل.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ لأنهم كانوا يقرُّون بحدوث العالَم.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ ومعناه: نعم خلقهما الله الذي جعل ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾[٥] فراشًا وقرارًا ومنامًا.

---

(١) معاني القرآن ٤/ ٤٠٦.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٣٧.

(٣) قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وخلف: إن، بكسر الهزة، وقأ الباقون بفتحها (النشر ٢/ ٣٦٨).

(٤) التبيان ٢/ ١١٣٧.

(٥) في الأصل: مهادا، وهي قراءة الجمهور سوىٰ الكوفيين، فإنهم قرؤوا كما أثبت (النشر ٢/ ٣٢٠).

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ بالسُّبُل إلىٰ مقاصدكم.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ وزن معلوم وعدد معلوم ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ﴾ أحيينا بالمطر ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي: مكانًا يابسًا لا نبات فيه ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾ من قبوركم بماء الحيوان[1].

قال الضحاك: إذا أراد الله تعالىٰ إحياء الموتىٰ أوحىٰ إلىٰ بحر السماء العُليا؛ فتمطر علىٰ الأرض؛ فتُنبِتُ الأموات من ذلك كنبات الأرض بالمطر.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ الأصناف ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: سخَّر لكم.

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ الأنعام، ولم يقل: ظهورها، لأنَّه ردَّه إلىٰ الجنس، والجنس مذكَّر، ولم يقل: ظهره؛ لأنَّ كل جنس بمعناه جمع[2].

وقيل: الهاء راجع إلىٰ كلمة «ما» في قوله: «من [الفلك و] الأنعام ما تركبون»[3].

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: علىٰ الظهر ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ أي: ذلَّل لنا ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي: مطيقين، يقال: فلان لفلان مقرن، أي: يطيق عليه، أقرن الرجل إذا صار ذا قرن في الحرب[4].

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي: راجعون فيجزينا بأعمالنا.

---

(١) الكشف والبيان ٢٣/ ٤١٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٥٢.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٥٧٥.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٠٦.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «ما من أحد من أمتي استوىٰ علىٰ ظهر دابته، فيقول كما أمره الله إلا غفر الله له، وينبغي للرجل إذا ركب دابته أن يقول: الحمد لله الذي حملنا في البر والبحر، ورزقنا من الطيبات، وفضَّلنا علىٰ كثير من خلقه تفضيلاً، ومنَّ علينا بالإيمان والقرآن، ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾»[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًا﴾ وجزء الشيء بعضه، يعني: يقولون للملائكة بنات الله بعد إقرارهم أنَّه خالق السماوات والأرض.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ جاحد لوحدانية ربه، ظاهر الجحود.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ استفهام بمعنىٰ الإنكار ﴿وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ۝١٦﴾ أي: خصَّكم بالأبناء.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ أي: أُخبرَ ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا﴾ أي: وصف له من البنات ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ﴾ أي: صار وجهه ﴿مُسۡوَدّٗا﴾ عليه الكآبة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧﴾ محزون تردد الحزن في قلبه.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ يُربَّىٰ ويُغذَّىٰ في حلي الذهب والفضة، يعني: الجارية ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ۝١٨﴾ لأنَّ الأنثىٰ لا تكاد تقدر علىٰ إقامة حُجَّتها لضعف عقلها[٢].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ٢٦٩٧ من حديث علي.

(٢) وقيل: المقصود الأصنام التي كانوا يعبدون، وهو قول ابن زيد، ورجح الطبري قول الجمهور (تفسير الطبري ٢١/ ٥٧٩).

وإنَّما قال: «هو» ولم يقل: «هي» لأنَّه يرجع إلىٰ كلمة «مَنْ»، والمعنىٰ: جعلتم لله البنات اللاتي تتربين في الحلي، ولأنفسكم البنين[١].

﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ أي: حضروا، وقرئ: «أأُشهدوا»، علىٰ ما لم يُسَمَّ فاعله[٢].

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ١٩﴾ ثم يُجازَون بها.

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ يعني: إنْ شاء الله أن لا نعبد الأصنام ما عبدناهم، وإنما عبدناهم بمشيئته وأمرنا بذلك.

﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بما يقولون ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ٢٠﴾ يكذبون.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ٢١﴾ عاملون بما فيه، ملتزمون له ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ليس لهم حُجَّة ولا كتاب، فنحن فاعلون ما فعلوا، وقائلون ما قالوا.

والأمة هي الملة، والإمة: الطريقة بالكسر[٣].

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ٢٣﴾ والاقتداء طلب الثاني لمتابعة الأول في فِعله.

﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ﴾ أي: بأصوب ﴿مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ أتقبلون ذلك مني؟ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ رجع إلىٰ ذكر الأمم الماضية ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٥٤.
(٢) قرأ أبو جعفر ونافع: أأُشهدوا، بهمزتين الأولىٰ مفتوحة والثانية مضمومة (النشر ٢/ ٣٦٨).
(٣) وبالكسر قرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد، وهي قراءة شاذة (الكشف والبيان ٢٣/ ٤٢٣).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: ذو براء منهم، أُقيم مقام الفاعل، وقيل: هو اسم لا يُثنَّىٰ ولا يُجْمَع، يقال: رجل براء ورجلان براء ورجال براء، ورجل بريء أيضًا، وقوم براء[١].

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ الصواب، ويحفظني علىٰ دينه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ أي: كلمة التوحيد، وقيل: كلمة البراءة من قومه ﴿بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ يعني: إبراهيم أوصىٰ بها أولاده ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: رجاء أن يرجعوا عن كفرهم، يعني به العرب لأنهم من أولاده.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أهل مكة ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ من قبلهم ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: القرآن والإسلام ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: الكتاب ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ جاحدون.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ أي: علىٰ رجل عظيم من القريتين مكة والطائف، والقائل: هو الوليد بن المغيرة المخزومي، عنىٰ به نفسه وعُروة بن مسعود الثقفي من الطائف[٢].

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أي: نبوَّة ربك فيعطون من شاؤوا ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ أي: ما يعيشون به ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ مراتب في الرزق، ولا حظر للأرزاق عندي، فكيف يقسمون النبوَّة من عندهم.

وقوله ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ فيما فُضِّلُوا من الرزق يتخذ بعضهم

---

(١) البسيط ٢٠/ ٣٠.

(٢) وقيل: بدل عروة: حبيب بن عمرو الثقفي، روي ذلك عن ابن عباس من طريق العوفي، وفيه أقوال أخرىٰ (تفسير الطبري ٢١/ ٥٩٣، الكشف والبيان ٢٣/ ٤٢٨، البسيط ٢٠/ ٣٣).

بعضًا خدمًا وعبيدًا، ويستعملونهم لأجل الرزق ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٣٢﴾ أي: النبوَّة والإسلام خير مما يجمعون من الأموال.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ معناه: لولا أنْ يجتمع الخلق على الكفر ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ لهوان الدنيا على الله ﴿وَمَعَارِجَ﴾ أي: سلاليم ومدارج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝٣٣﴾ يصعدون.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ﴾ أبوابًا من فضة ﴿وَسُرُرًا﴾ من فضة على السُّرُر ﴿يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤﴾ يجلسون وينامون.

﴿وَزُخْرُفًا﴾ يعني: الذهب، أي: جعلنا هذه الأشياء فضة وذهبًا، وقيل: الزخرف هو متاع البيت وهي الزينة في اللغة(١).

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ﴾ أي: كل ذلك إلا(٢) متاع الحياة الدنيا ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٣٥﴾ يعني: الجنَّة للموحدين.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: يُعْرِض عن ذكر الرحمن فلا يقبله.

وقيل: يعمىٰ بصره عن القرآن، نزلت في أبي جهل لعنه الله(٣).

﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ أي: نُسلِّط عليه شيطانًا لعينًا ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾ يُزيِّن له الضلالة.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: الشياطين يمنعونهم عن اتِّباع الدين

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٦٠٢.

(٢) ضبطها في الأصل: لما بالتخفيف، وبالتخفيف بمعنىٰ: إلا، وهي قراءة الجمهور، إلا عاصما وحمزة وابن جماز، فقد قرؤوا بالتشديد (النشر ٢/ ٢٩١).

(٣) وأصل العشو: النظر بغير ثبت لعلة في العين، يقال منه: عشا فلان يعشو عشوا وعشوا: إذا ضعف بصره، وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة (تفسير الطبري ٢١/ ٦٠٣).

المستقيم ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ يعني: الكفار يظنون ﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ إلى الصواب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ يعني: الكافر.

وقرئ: «جاءانا»، على التثنية، وهو الكافر والشيطان[1].

﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ قيل: مشرق الشتاء والصيف، وقيل: بُعد ما بين المشرق إلى المغرب، فغلَّب المشرق على المغرب، كما يقال: عدل العُمَرَيْن؛ يُراد أبو بكر وعمر، والقمران؛ يُراد الشمس والقمر[2]، قال الشاعر:

.... لنا قمراها والنجوم الطوالع[3]

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ والصاحب أنت يا شيطان.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أشركتم في الدنيا.

﴿أَنَّكُمْ﴾ اليوم ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿أَفَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ الذي قد فقد سمع القبول ﴿أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ الذين فقدوا البصائر ولا يبصرون الطريق ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ أي: خطأ بيِّن، وفي علم الله أنهم يموتون على الضلالة.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ أي: نُميتنك ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ لجحودهم، من بعد ذهابك.

---

(١) وعلى التثنية قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وشعبة (النشر ٢/ ٣٦٩).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٦٠٦، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٢، وعنه صدر، الكشف والبيان ٢٣/ ٤٤١، البسيط ٢٠/ ٤٦.

(٣) البيت للفرزدق كما في ديوانه ٥١٩، وأوله: أخذنا بآفاق السماء عليكم.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ من العذاب في حياتك ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝٤٢﴾ قادرون.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي: تمسَّك بالقرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣﴾ أي: طريق قيِّم.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ أي: شرف لك ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ إن آمنوا، وقيل: لأمتك ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤﴾ عن جحودكم لنبيكم، وقيل: تسألون عن هذا الشرف أدَّيتم شُكره أم لا.

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ قال الكلبي: سَلْ من أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا وهم مؤمنو أهل الكتاب(١).

﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ هل جاءهم نبي يدعوهم إلىٰ عبادة الأصنام، فكيف يعبدونها هؤلاء، الخطاب لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، والمراد به جُهَّال مكة.

وقيل: سل يا محمد ليلة المعراج من الرسل هل دعا نبي إلىٰ عبادة الأصنام، ولم يشك رسول الله في ذلك، ولم يسأل، ولكن يراد به سؤال تقرير لا

---

(١) الكشف والبيان ٢٣/ ٤٥٣، وفيه قول آخر، وهو: هم الأنبياء الذين جمعوا له في الإسراء. ورجح ابن جرير الأول، وقال: فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يقال: سل الرسل، فيكون معناه: سل المؤمنين بهم وبكتابهم؟ قيل: جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم، فالخبر عنهم وعما جاءوا به من ربهم إذا صح بمعنىٰ خبرهم، والمسألة عما جاءوا به بمعنىٰ مسألتهم إذا كان المسئول من أهل العلم بهم والصدق عليهم، وذلك نظير أمر الله جل ثناؤه إيانا برد ما تنازعنا فيه إلىٰ الله وإلىٰ الرسول، يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [سورة النساء:٥٩] ومعلوم أن معنىٰ ذلك: فردوه إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله، لأن الرد إلىٰ ذلك رد إلىٰ الله والرسول..

سؤال استعلام، كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ .

وقيل: معناه سلنا مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رسلنا نخبرك بأسمائهم وسيرهم، ثم ابتدأ فقال: أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعْبدُون.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ﴾ لهم ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ وقالوا: يا موسىٰ أما[1] وجد ربك في كسائك وعباءتك غيرك، يستهزئون بها ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من الآيات التسع ﴿إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ التي أريناهم من قبل ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾]﴾ يعني: الجوع، إذ سلَّط الله عليهم الجراد حتىٰ أكلت زرعهم، فلما اشتدَّ عليهم البلاء أي اشتد عليهم الأمر بعذاب الله، والأمر بالعذاب قالوا لموسىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ علىٰ وجه التعظيم، لأنَّ الساحر كان في زمانهم كالعالِم يُعظم في زماننا ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يعني: لأجلنا ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ ليكشف عنَّا العذاب ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي: إن كشف العذاب عنَّا نؤمن بك.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ صرفنا ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ينقضون العهد.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾ فقال ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ أربعين فرسخًا في أربعين فرسخ ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ في مملكتي وبين يديَّ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ قيل: بل أنا خير.

وقيل: الميم زائدة، معناه: أأنا خير من هذا الذي هو مهين أم لا، فترك أم لا

---

(١) في الأصل: إنما، وهو تصحيف.

لعلم السامع بمعناه[١].

وقيل: معطوف علىٰ قوله الأول، يعني: أفلا تبصرون، أم تبصرون أنا خير من هذا الذي هو مهين[٢].

والمهين: الحقير الضعيف، وقيل: الفقير[٣].

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾ أي: لا يكاد لا يقدر أن يبيِّن كلامه، ويقيم حُجَّته، للُثغةٍ أو رُتَّة في لسانه[٤].

وهذا كذب، كذب عليه فرعون لأن موسىٰ صلوات الله عليه سأل ربه حل العُقدة من لسانه، وأجابه ربه إلىٰ ذلك، حيث قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦﴾، ولكن العدو لا يقول في العدو إلا عيبًا، لاسيما إذا كان غير متديِّن.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ استفهام، لأنَّ الرجل إذا كان رفيعًا عندهم يُسوَّر[٥] ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝٥٣﴾ متعاونين يعينونه علىٰ الأمر الذي بُعِثَ له[٦].

قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ أي: استزلهم واستفزَّهم، يعني: عمل فيهم كلامه لفسقهم فأطاعوه في الكُفر ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٤﴾.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٦١٨.

(٢) وهو قول سيبويه والخليل (معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٥).

(٣) وبينهما تلازم لأنه ضعيف لقلة ماله (تفسير الطبري ٢١/ ٦١٨).

(٤) اللثغة -بضم اللام- تحويل بعض الحروف إلىٰ بعض، من السين إلىٰ الثاء، أو من الراء إلىٰ الغين (تاج العروس ٢٢/ ٥٥٧).

الرُّتة -بضم الراء- عجلة في الكلام وقلة أناة، وقيل: أن يقلب اللام ياء (تاج العروس ٤/ ٥٢٤).

(٥) روي هذا عن مجاهد (الكشف والبيان ٢٣/ ٤٦٠).

(٦) أي: أن هذا من صلة كلام فرعون، والمراد به موسىٰ (تفسير الطبري ٢١/ ٦١٩).

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ قال الكلبي: أغضبونا[١].

والإيساف: فعل يقع على خلاف المحبَّة، فإن كان ممَّن فوقه إلى من دونه -ولا يمكنه ردُّه- فهو: حزن.

وإن كان ممَّن دونه إلى مَنْ فوقه ويمكن ردُّه، فهو غضب.

﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ في البحر ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ جمع سالف، بمعنى: متقدمين لمن استنَّ سُنتهم السيئة[٢] ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ أي: عبرة لمن بعدهم.

وقرئ: «سُلُفًا»[٣]، بضم السين واللام، جمع سليف، وقُرئ: «سُلَفًا»[٤]، بضم السين وفتح اللام، جمع سِلفة أي فرقة[٥].

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ بكسر الصاد[٦]: يضجون فرحًا، بأنَّ النصارى عبدوا عيسى كما هم عبدوا الأوثان.

وذلك حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ فقال عبد الله بن الزبعرى: هذا عيسى تعبده النصارى، وعُزير تعبده اليهود، رضينا أن نكون معهما في النار، وضجُّوا بذلك فرحًا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم

---

(١) وهو قول عامة أهل التفسير (تفسير الطبري ٢١/ ٦٢٢).

(٢) أي: إلى النار (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٦١).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون كما أثبت في الآية (النشر ٢/ ٣٦٩).

(٤) وهي شاذة، تنسب لعلي وابن مسعود (الكشف والبيان ٢٣/ ٤٦٣).

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٦.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وعاصم بكسر الصاد، وقرأ الباقون بالضم فيها (النشر ٢/ ٣٦٩).

مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية، أي: الملائكة وعيسىٰ وعزير من النار مُبْعَدُون[١].

وقرئ: «يصُدون»، بضم الصاد، أي: يعرضون[٢].

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعني: آلهتنا خير من عيسىٰ عندك، قال الله تعالىٰ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا [بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ]﴿٥٨﴾﴾ أي: ما ضربوا لك هذا المثل إلا ليجادلوك بالباطل، لأنَّ عيسىٰ وعُزير هما مخاطبان مجازيان بأعمالهما، لا بفعل الغير، والأصنام لا حساب لها ولا جزاء، فتُلقىٰ في النار رغمًا لعابديها، واستهانةً بها، فأين الشبه هاهنا سوىٰ الجدال بالباطل[٣].

ثم مدح عيسىٰ فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ أي: عبرةً ليعتبروا به إنْ أرادوا الزُّهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ أي: بدلاً منكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بعد هلاككم.

ثم رجع إلىٰ ذكر عيسىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ إذا نزل دلَّ بنزوله قيام الساعة[٤].

وقُرئ: «عَلَمٌ للساعة»[٥]، ينزل عيسىٰ علىٰ صخرة بيت المقدس، ويكون إمامًا عدلاً، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، وتكون السجدة لرب العالمين،

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٤٢٤، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٦١.

(٢) الكشف والبيان ٢٣/ ٤٦٦ حيث ذكر أقوالا أخرىٰ.

(٣) البسيط ٢٠/ ٦٨.

(٤) الكشف والبيان ٢٣/ ٤٧١، البسيط ٢٠/ ٧٠.

(٥) وهي قراءة شاذة نسبت لجماعة من المتقدمين (الكشف والبيان ٢٣/ ٤٧٢).

ولا يبقىٰ بيت شعر ولا مَدر إلاَّ دخله شهادة: أن لا إله إلا الله بعزٍّ أو بذُلٍّ، فنزوله من أشراط الساعة.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: لا تشكُنَّ في أمر القيامة، وقيل: في تلك الآية[1].

﴿وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦١﴾ يعني الإسلام.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ عن عبادة الرحمن ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٢﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ من إحياء الموتىٰ وغيره ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي: الموعظة، وقيل: النبوَّة، وقيل: بالإنجيل، عن مقاتل[2].

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم﴾ بالحكمة التي أنزلت عليَّ ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من الحلال والحرام ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣﴾ فيما آمركم به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦٤ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أي: اختلف كفار النصارىٰ فيما بينهم من الدِّين بعد عيسىٰ بثلاثمائة سنة، فصاروا ثلاث فِرَق: النسطورية والماريعقوبية والملكانية.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ من هؤلاء الفِرق ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ٦٥﴾ في يوم، وليس الأليم في صفة اليوم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: لا ينظرون في كفرهم إلا قيام الساعة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٦٦﴾ بقيامها.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ٦٧﴾ الموحِّدين.

---

(١) والأول هو المذكور (تفسير الطبري ٢١/ ٦٣٣).

(٢) البسيط ٢٠/ ٧١.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: بلغنا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «الأخلاء أربعة، مؤمنان وكافران، مات أحد المؤمنَيْن فسُئل عن خليله، فقال: ما علمتُه إلا أمَّارًا بالمعروف، نهَّاءً عن المنكر، اللهم اهده كما هديتني وأمِتْهُ علىٰ ما أمتَّني، وسئل الكافر عن خليله فقال: ما أعرفه إلا أمَّارًا بالمنكر، نهَّاءً عن المعروف، اللهم أضلله كما أضللتني، وأمِتْهُ علىٰ ما أمتَّني، فإذا كان يوم القيامة أثنىٰ كل واحد منهما -أي الكافِرَيْن- علىٰ صاحبه شرًّا إلا المتقين»(١).

﴿يَٰعِبَادِ﴾ يقول الله تعالىٰ يوم القيامة: يا عبيدي المؤمنين ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ ممَّا يخاف أهل النار ﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨﴾ حزنهم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الذين في موضع النصب، لأنه صفة عبادي، و«يا عبادي» نداء مضاف(٢).

قال مقاتل: لما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ﴾ رفعوا كلهم رؤوسهم، فلما قال ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: بمحمد والقرآن، نكَّس الكفار رؤوسهم، ورفع المقرون رؤوسَهم، فلما قال: ﴿وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩﴾ مخلصين، نكَّس أهل الكبائر رؤوسهم غير المخلصين(٣).

وقيل: إذا نودي الذين آمنوا بآياتنا وكانوا يتقون المعاصي؛ لا يبقىٰ صاحب كبيرة إلا نكَّس رأسه.

ثم قال لأهل التوحيد ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ تُكْرَمُون وتنعَّمُون بالتحف.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢١/ ٦٣٨، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٤٧٦، عن علي موقوفًا، وإسناده حسن.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤١٩.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ١٩٦. وهو قول عامة أهل التفسير (تفسير الطبري ٢١/ ٦٣٩).

وقال الأخفش: تحبرون تُسرُّون بالسماع والجنَّة.

والحبرة: السرور، وقيل: كل حبرة تتبعها عَبْرة[١].

﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ﴾ يعني: بقصاع من ذهب ﴿وَأَكۡوَابٖۖ﴾ كيزان لا عُرىٰ لها، ولا خراطيم، تطاف عليهم بأيدي الغِلمان، اكتفىٰ بذكر الصحَّاف والأكواب عن ذِكر الطعام والشراب.

قال ابن عباس: يُطاف بسبعين ألف ألف صحيفة من ذهب، في كل صحيفة سبعون ألف لون، كل لون له طعم آخر، وهذا لأسفلهم درجة، ومن كان أعلا في الجنة يؤتىٰ بسبعمائة ألف صحفة[٢].

﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ﴾ من فنون الملاذ والنِعَم ﴿وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ أي: ما تستلذه الأعين من المناظر البهيَّة.

وقيل: وتلذ الأعين بالنظر إلىٰ الله عز وجل[٣].

ثم خاطب وقال ﴿وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾ دائمون.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ أي: جعلتها ميراثًا لكم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾ في الدنيا من الأعمال الصالحة.

﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣﴾ وهي غير مقطوعة عنكم ولا

---

(١) تفسير السمعاني ٥/ ١١٦.

(٢) نقل أبو الليث في تفسيره ٣/ ٢٦٤ عن كعب نحوه مختصرا.

(٣) قال أبو الفرج ابن الجوزي: يقال: لذذت الشيء، واستلذذته، والمعنىٰ: ما من شيء اشتهته نفس أو استلذته عين إلا وهو في الجنة، وقد جمع الله تعالىٰ جميع نعيم الجنة في هذين الوصفين، فإنه ما من نعمة إلا وهي نصيب النفس أو العين، وتمام النعيم الخلود، لأنه لو انقطع لم تطب (زاد المسير ٤/ ٨٣).

ممنوعة.

قيل: إنَّ الرجل من أهل الجنَّة يجتني ثمرة فيشتهي أن يكون غيره، فيقلبه الله في يده ما أراد وتمنَّاه، ولو وضع في فيه فيتمنىٰ أن يكون غيره يقلبه الله في فِيه إلىٰ ذلك الذي تمنَّاه.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ أي: لا يخفف عنهم العذاب ساعة ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ آيسون من الفرج. والمُبلَس: الآيس والقانط[(١)].

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ في الخلود ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ بشركهم ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي: ليُمِتْنَا.

قيل: إنهم ينادون مالكًا ألف سنة حتىٰ يجيبهم، ويقول: ما الذي تريدون يا معشر الأشقياء؟ فيقولون: ليقض علينا ربك، أي: ادعُ لنا ربك ليُمِتْنَا حتىٰ نستريح، قال مالك: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ دائمون أبدًا، وهذا دعاء أهل النار، ثم أيسُوا من الخروج[(٢)].

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: أنزلنا إليكم جبريل بالقرآن ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ جاحدون.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أم أحكموا أمرهم في شرهم وكيدهم لينجيهم من عذابنا؛ فإنَّا مبرمون أمرهم في التعذيب ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ فالسر ما أسرُّوا في أنفسهم، والنجوىٰ فيما تناجوا فيما بينهم، وقيل: هما واحد[(٣)].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٩.

(٢) وهو مروي عن اب نعباس وغيره، وقيل: يناونه مائة سنة (تفسير الطبري ٢١/ ٦٤٥).

(٣) البسيط ٢٠/ ٧٩.

﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ سرَّهم ونجواهم.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ علىٰ زعمكم ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ وذلك لأنَّ النضر بن الحارث قال: الملائكة بنات الله، فلما نزلت الآية قال النضر: إن محمدًا صدَّقني، فقال له الوليد: بل كذَّبك[(١)].

وقيل: معنىٰ قوله أنا أول العابدين أي الآنفين[(٢)]، مِنْ: عَبِد يعبَد إذا أنف، وقال الشاعر:

أولئكَ أَقوامي فَجئني بمثْلِهم وأعبَدُ أنْ تُهجىٰ تميمٌ بدارمِ[(٣)]

ويحتمل: أنَّ معناه: قل إنْ كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين من جملتكم، فلو كان له ولد لكنتُ علمتُه، فكيف تزعمون ذلك وأنتم لم تعبدوه[(٤)].

ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومن فيهما ولا شريك له في مُلكه ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ أي: يخوضوا في الباطل ويستهزئوا ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أضاف اليوم إليهم لأنه يوم تعذيبهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ قال الشيخ أبو سهل: وهو الذي

---

(١) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/ ١٩٨، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٦٥.

(٢) وهو قول الكلبي وأصحاب المعاني (تفسير الطبري ٢١/ ٦٥٠، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٦٥، الكشف والبيان ٢٣/ ٤٩١، البسيط ٢٠/ ٨٢).

(٣) البيت للفرزدق، وهو علىٰ روايات مختلفة، انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٢٠.

(٤) أي: أول الموحدين، وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٤٢٠. وعامة أهل التأويل علىٰ أن المعنىٰ: فأنا أول الموحدين المؤمنين بالله الجاحدين لقولكم، وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد (تفسير الطبري ٢١/ ٦٤٨، الكشف والبيان ٢٣/ ٤٩٠).

في دعاء أهل السماء إلٰه، وفي دعاء أهل الأرض إلٰه، لأنَّهم جميعًا يدعون إلـهًا ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمره ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٨٤﴾ بخلقه[1].

ثم مجَّد نفسه فقال ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ ولم يطَّلع عليه مَلَك مقرَّب ولا نبي مرسل ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٥﴾ في الآخرة.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لأنفسهم ولا لغيرهم ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لا يقدرون أن يشفعوا لأجل أحد إلا من شهد بالتوحيد من بني آدم.

وقيل: لا يملك الذين تدعون من دونه إلـهًا أن يشفعوا لأحد؛ إلاَّ من شهد بالحق؛ وهم الملائكة وعيسىٰ وعُزير[2].

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ أنَّ الله تعالىٰ واحد لا شريك له.

ثم قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يعني: كفَّار مكة ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧﴾ أي: من أين تكذبون وأنتم مقرُّون بأن الله خالق هذه الأشياء وخالقكم.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ كان رسول الله دعا وقال: «يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا»، فسمع الله مقالته وأنزل: «وقيله يا رب».

وفيه ثلاث قراءات: بالنصب والرفع والخفض[3].

---

(١) أي: هو المعبود في السماء والأرض (تفسير الطبري ٢١/ ٦٥٢).

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٦٥٤.

(٣) قرأ حمزة وعاصم بالخفض، كما أثبت الآية، وقرأ الباقون: بنصب اللام وضم الهاء: وقيلَهُ (النشر ٢/ ٣٧٠).

فالنصب له وجهان:

أحدهما: أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرَّهم ونجواهم وقيله يا رب.

والثاني: علىٰ تقدير: قال قيلَه يا رب[١].

والرفع: أن يقول وقيله يا رب، كما يقال: نداؤه أن هذه الكلمة وكلامه هذه اللفظ[٢].

وأمَّا الكسر فمبني علىٰ قوله: وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وعِلم قيله يا رب[٣].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ بالقرآن أنَّه من عند الله، ولا بالرسول أنه رسول الله.

ثم قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ أعرض عنهم وعن مجازاتهم وادعهم إلىٰ التوحيد ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ عليكم.

وقيل: عليكم مضمر فيه، وسلام رُفع علىٰ الحكاية[٤].

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾ إذا نزل العذاب بهم ببدر، وقيل في القيامة، والآية نسخت بآية السيف[٥].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢١، الكشاف ٤/ ٢٦٨.

(٢) القراءة بالرفع شاذة، وقد ذكرها أبو الليث في تفسيره ٣/ ٢٦٦، ونسبها الثعلبي للأعرج (الكشف والبيان ٢٣/ ٤٩٥).

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٦٥٦، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٤٢، الدر المصون ٩/ ٦١١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٨، ورده النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٨٢.

(٥) الكشف والبيان ٢٣/ ٤٩٦.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أُبي بن كعب أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الزخرف كان ممَّن يُقال له في القيامة: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨﴾، إلىٰ قوله: ﴿تُحۡبَرُونَ ۝٧٠﴾ »[1].

❁ ❁ ❁

(١)موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٤٠٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٠.

سورة الدخان

مكيَّة[١]، وهي خمسون وسبع[٢] آيات في البصري، وست في المدني[٣].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ وقد سبق تفسيره.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ والضمير راجع إلىٰ الكتاب، والليلة المباركة هي ليلة القدر، وهي في شهر رمضان.

وقد قال في آية أخرىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾، وهذا الكلام يدلُّ علىٰ أن سُنَّة الله تعالىٰ جدُّه إنزال الكتب علىٰ الأنبياء في هذه الليلة في شهر رمضان، لأنَّه قال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ للعباد علىٰ ألسنة الرسل.

والإنذار: هو الإخبار بالمكروه، كما أن الإبشار وهو الإخبار بالمحبوب.

﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ يعني: في هذه الليلة في هذا الشهر يُفْرَق، والفرق والفصل والإظهار واحد[٤].

والأمر الحكيم: هو ما يأمر الله به، ولا شيء أحكم من دين شرعه، وكتاب أنزله، ونبي إلىٰ عباده يرسله.

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٣/ ٥٠١، زاد المسير ٤/ ٨٧.

(٢) في الأصل: تسع، وهو تصحيف، والتصويب من المصادر.

(٣) وتسع في الكوفي، والباقون كالمدني (البيان في عد آي القرآن ٢٢٥).

(٤) البسيط ٢٠/ ٩٥.

وقيل: يُفْرَق أي يُقْضىٰ(١).

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ وَ«رحمةً من ربك» هما منصوبان علىٰ الحال، عن الأخفش(٢)، المعنىٰ: إنَّا أنزلناه آمرين أمرًا وراحمين رحمة.

وقيل: نصب علىٰ المصدر، وعلىٰ المدح، وعلىٰ التعظيم(٣).

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ إلىٰ العباد.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾ أي: سميع لأقوال بني آدم عليم بخلقه.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ إنْ أردتم اليقين من الأمر ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود للخلق سواه ﴿يُحْيِۦ﴾ للبعث ﴿وَيُمِيتُ﴾ في الدنيا.

﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ خالقكم وخالق الأمم الماضية.

ثم قال لرسوله ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ من أمر البعث يشتغلون بما لا فائدة فيه، لاهون.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ يعني: القحط الذي نزل بهم بدعاء رسول الله حين دعا علىٰ مُضَر: «اللهم اشدُد وطأتك عليهم، واجعل سنيِّهم كسِنِّي يوسف»، فأمسك المطر، ووقع الجدب، حتىٰ أكلوا الجيف، وكانوا يرون الدخان ينزل عليهم من السماء، ولا يُبصر أحدهم سقف بيته من الجوع، فذهب [أبو] سفيان إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ونفرٌ من أهل

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٦٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢٤.

(٣) الدر المصون ٩/ ٦١٦.

مكة- وقالوا: عاديت الرجال فما بال الأطفال والنساء، فصلَّىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ركعتين ودعا: «اللهم اسقنا غيثًا»، إلىٰ آخره[(١)].

وقيل: إنَّ الدخان من أشراط الساعة، يدخل في مسامع الكفار والمنافقين فتنتفخ أجوافهم ووجوههم[(٢)].

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ ويقولون عند ذلك: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ وقيل: إنهم عاهدوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يؤمنوا بعد كشف العذاب، فكشفَ فأبَوْا عن الإيمان.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ مفقهٌ فكفروا به ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ يُعلِّمه أبو فكيهة وجبر ويسار[(٣)].

وقال قوم آخر: مجنون.

﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أي: صارفوا الجوع عنكم أيامًا يسيرة ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إلىٰ كفركم وضلالتكم، فكشف القحط، ورجعوا إلىٰ الكفر، فأهلكهم الله ببدر.

وقيل: إنكم عائدون إلىٰ عذاب الآخرة.

---

(١) رواه البخاري ١٠٠٧، ومسلم ٢٩٧٨.

(٢) دليله حديث مسلم ٢٩٠١ عن حذيفة بن أسيد، قال: كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا، فقال: ما تذكرون؟ قلنا: الساعة، قال: إن الساعة لا تكون حتىٰ تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس.
ورجح ابن جرير القول الأول.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٠، الكشف والبيان ٢٣/ ٥١٨.

﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ يعني الآخِذَة بشدة، قيل: هو قتل يوم بدر، وقيل: عذاب القيامة[١].

﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ بما صنعتم برسولنا.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾ أي: قبل كفار مكة قوم فرعون ﴿وَجَآءَهُمۡ رَسُولٌ كَرِيمٌ ١٧﴾ على ربه شريف عنده.

﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾ قال موسى ذلك: سلِّموا إليَّ بني إسرائيل ولا تستعبدوهم فإنهم أحرار ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٨﴾ على الرسالة ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: لا ترفعوا على الله ولا تستكبروا، أي: جئتكم[٢] بأن لا تتكبروا على وحدانية الله ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٩﴾ بحُجَّة واضحة على صدق نبوَّتي.

﴿وَإِنِّي عُذۡتُ﴾ أي: لُذۡتُ ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ٢٠﴾ أن تقتلوني رجمًا ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي﴾ أي: لم تؤمنوا بي ﴿فَٱعۡتَزِلُونِ ٢١﴾ يعني: لا تكونوا لي ولا عليَّ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ٢٢﴾ أي: مشركون ﴿فَأَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ أي: أمرناه بالوحي: أسر بعبادي ﴿لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣﴾ يتبعكم فرعون بجنوده.

والفاء في قوله «فأسر» موضع الجواب، لأنه قال: فدعا ربه فأجيب به[٣].

﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ أي: ساكنًا وقيل: يابسًا[٤].

﴿إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤﴾ في البحر.

---

(١) الكشف والبيان ٢٣/ ٥١٨، البسيط ٢٠/ ١٠١.

(٢) في الأصل: إني جئتكم، وهو تصحيف.

(٣) البسيط ٢٠/ ١٠٥.

(٤) وقيل: منفرجا وقيل: سهلا (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٠، الكشف والبيان ٢٣/ ٥٢٢).

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ استفهام بمعنىٰ الكثرة، أي: ما أكثر ما تركوا من جنَّات وعيون ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ والمقام الكريم الذي يُعْطي اللذة ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: ناعمين معجبين فرحين به، والنَّعمة: بفتح النون التنعُّم، وبكسره اليد والمِنَّة[1].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك، وهو خبر مبتدأ محذوف ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: بني إسرائيل.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ علىٰ فرعون وقومه.

قال ابن عباس: أنَّ المؤمن إذا مات بكىٰ عليه مُصلَّاه، وبابه من السماء الذي يصعد إليه عمله، وبابه الذي منه رزقه، والكافر لا يبكي عليه موضع[2].

ولأن العرب إذا أرادت تعظيم مُهلَك رجل عظيم الشأن يقولون: أظلمت له الشمس، وبكت عليه الريح، وما في نحوه، وهذا إخبار عن قله خطرهم وحقارتهم.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ مؤجَّلين بتأخير العذاب.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾ أي: أبعدناهم عن الهوان

---

(١) البسيط ٢٠/ ١٠٩.

(٢) رواه الطبري في التفسير ٢٢/ ٣٤. ولفظه: عن سعيد بن جبير، قال: أتىٰ ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالىٰ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فهل تبكي السماء والأرض علىٰ أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكىٰ عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلىٰ السماء منهم خير، قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض.

والاستخدام، لأنهم كانوا يستعملونهم إلىٰ نصف النهار، ثم يقولون لهم اذهبوا واكتسبوا ما تأكلون.

﴿مِن فِرْعَوْنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: مترفِّعًا عن الحق وكان من المشركين.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي: اصطفيناهم أي بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منَّا فيهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: عالِمي زمانهم ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: العلامات ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ اختبار ظاهر في كل واحد، نحو: الجراد والقُمَّل وغير ذلك.

وقيل: بلاء نعمة حسنة؛ من تضليل الغمام وإنزال المن والسلوىٰ وفلق البحر.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ فحسب ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: مبعوثين ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ الذي ماتوا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ كان مَلِكًا يسمَّىٰ تُبَّع، لكثرة تبعه، واسمه: أسعد بن مَلْكي كَرَب[1]، وإنما خصهم بالذكر لأنهم كانوا أقرب إلىٰ كفَّار مكة، ووقت هلاكهم كان أقرب، وكانوا من أشراف حِمْير[2].

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْۖ﴾ أي: عذَّبناهم عند التكذيب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ مشركين.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ مبطلين.

---

(١) وهذه تسمية الكلبي ومقاتل (البسيط ٢٠/ ١١٥، زاد المسير ٤/ ٩٣).

(٢) اخبار تبع في: تفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٢، الكشف والبيان ٢٣/ ٥٣٢، البسيط ٢٠/ ١١٥، زاد المسير ٤/ ٩٣.

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: للحق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٩﴾ يعني أهل مكة.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ٤٠﴾ يعني الأولين والآخرين ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ أي: ذو قرابة عن قريبه ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤١﴾ يُمنعون من عذاب الله ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ من المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٤٢﴾ بالمؤمنين.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ٤٤﴾ أي: طعام الفاجر، قيل: يعني به الوليد بن المغيرة[1].

﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى﴾ أي: كدُرْدِيِّ الزيت، وقيل: كالنحاس المُذاب[2].

﴿فِى ٱلْبُطُونِ ٤٥﴾ بالتاء: راجع إلىٰ الشجرة، وبالياء: راجع إلىٰ الزقوم[3].

﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ٤٦﴾ الماء الحار في حال الغليان، وقيل له: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ ادفعوه بعُنف ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ٤٧﴾ أي: وسطها ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ٤٨﴾ قيل: إن الكافر إذا دخل النار يضرب المَلَك رأسه بمقمعة، فيسيل دماغه علىٰ جسده، ثم يصبُّ فوق رأسه الحميم، فيقع في بطنه.

ثم يقول له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ٤٩﴾ المتعزِّز المتكرِّم في نفسك، وذلك أنَّ أبا جهل قال للنبي عليه السلام: ما بالأبطح رجلٌ أعزُّ ولا أكرم منِّي، فلا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئًا، فسمَّاه الله العزيز الكريم بزعمه، كما قال الكفار لرسول الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ

---

(١) في قول الكلبي (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٣، البسيط ٢٠/ ١١٧).

(٢) البسيط ٢٠/ ١١٨.

(٣) قرأ ابن كثير وحفص: يغلي، والباقون: تغلي (النشر ٢/ ٣٧١).

لَمَجۡنُونٞ ۝٦﴾ وقالوا لشعيب ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧﴾[١].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني جهنم ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠﴾ تشكُّون، ثم تقول لهم الملائكة ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١﴾ الذي يتقون الشرك والكبائر والفواحش ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾ وهو الديباج الرقيق، عن سعيد بن جبير[٢].

والاستبرق: الغليظ، فارسي معرب يعني اشتبرة.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣﴾ في الزيادة والمحبَّة، غير متدابرين بالغلظة والأحقاد ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٥٤﴾ يحار فيه الأبصار، والحور البيض، عن الضحاك[٣].

والعِين: جمع عيناء، وهي بلغة أزد.

﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾ من الانقطاع والموت وممَّا يلقىٰ أهل النار ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ قيل: كيف يستثنىٰ من الجنة موت كان في الدنيا، فإنَّ الاستثناء لو صح يجب أن يُوجَد الموت في الجنة، وإن كان منقطعًا فيجب أن يكون بدله في الجنة، كقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠﴾، معناه: إنما يبتغي وجه ربه الأعلىٰ، فكان الابتغاء في الحال موجودًا، وقال: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ فالسلام في الحال موجود، والموت في الجنة لا يُوجَد، فكيف يجوز استثناؤه؟.

---

(١) وهو من رواية الكلبي، الكشف والبيان ٢٣/ ٥٤٢، البسيط ٢٠/ ١٢٠.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٥١، الكشف والبيان ٢٣/ ٥٤٣.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٢.

والجواب عنه: أنَّ الله تعالىٰ ذكر هذا الاستثناء[١] مِنْ قصة أخرىٰ، والموتة الأولىٰ في القصة مذكورة لأنه تعالىٰ ذكر عن بعض أهل الجنة يقول: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ ذكر الموت هاهنا، ثم ذكر القصة واطلاع أهل الجنة علىٰ أهل النار، ثم يقول ذلك الرجل علىٰ وجه التعجب بأمنِه من الموت: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ التي جرىٰ ذكرها في أول القصة، فالله تعالىٰ أَمَّنَ أهل الجنة من الموت، وأجابَ ذلك السائل في كلام واحد[٢].

وقيل: معنىٰ قوله ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ أي: في الآخرة، والموتة الأولىٰ في الآخرة، لأنَّ الموت من أحوال الآخرة، فصح الاستثناء، والله أعلم.

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦﴾ أي: دفع عنهم ذلك.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧﴾ النجاة الوافرة.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ أي: هوَّنَّا عليك قراءة القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ أي: يتعظون به.

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ انتظرْ هلاكهم يوم بدر إنهم منتظرون هلاكك، فأهلكهم الله يوم بدر.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أُبي بن كعب أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر الله تعالىٰ له»[٣].

---

(١) في الأصل: هذه الأشياء، وهو تصحيف يفسد المعنىٰ.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢٨، البسيط ٢٠/ ١٢٦، تفسير السمعاني ٥/ ١٣٢.

(٣) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢١١. وروي بأسانيد أصح من حديث أبي، رواه المستغفري في فضائل القرآن من حديث أبي هريرة وأنس (٨٩٢)(٨٩٣).

سورة الجاثية

مكية[١]، وهي ثلاثون وسبع آيات، وعند الكوفي آية واحدة[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ حم مبتدأ وتنزيل خبره.

قال معاذ بن جبل: بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جيشًا، وقال لهم: «ليكن شعاركم حم تُنْصَرُون، فإنَّ حم اسم من أسماء الله تعالىٰ»[٣].

ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في تخليقهما ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ أي: عبرة ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ بتوحيد الله.

﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ علىٰ اختلاف ألوانكم، وفيما:[٤] ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: يفرّق في البلاد من الدواب لمنافع الخلائق ﴿[ءَايَٰتٞ] لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ أنه واحد.

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ﴾ وهو المطر ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ [مَوۡتِهَا]﴾ قحطها ويُبسها؛ فتنبت ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾

---

(١) الكشف والبيان ٢٤/ ٧، زاد المسير ٤/ ٩٦.

(٢) كذا في الأصل، وهو تصحف، والذي في البيان للداني ص٢٢٦: ثلاثون وسبع آيات في الكوفي وست في عدد الباقين.

(٣) كذا في الأصل: حم تنصرون، ولم أجده من حديث معاذ، والمشهور في هذا الباب حديث المهلب بن أبي صفرة، قال: أخبرني من سمع النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «إنْ بُيِّتم فليكن شعاركم حم لا ينصرون» رواه أبو داود ٢٥٩٧، والترمذي ١٦٨٢، وقال: وروي عن المهلب مرسلا. وللحديث طرق ذكرها السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٢٧٠.

(٤) فصل بين الواو وَ ما بـ: فيما، ولا يتهيأ مثل هذا في برنامج مصحف المدينة.

مرة رحمةً ومرة عذابًا، مرَّة جنوبًا ومرَّة شمالاً، ودبورًا وقبولاً وهي الصَّبا ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥﴾ أنَّ لهم ربًّا.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ يعني: القرآن ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعد كتاب الله ﴿وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾.

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧﴾ أي: كذَّاب فاجر، وهو النضر بن الحارث ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ أي: تُعْرض عليه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ علىٰ الشرك ﴿مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ متعظِّمًا عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨﴾ فقُتِل يوم بدر صبراً[1].

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾ وكان يعارض القرآن بقصَّة الأعاجم، ويقول: هو مثله، ويسخر بالقرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩﴾ له ولأصحابه.

﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ﴾ وكل ما توارىٰ عنك فهو وراءك ﴿وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا﴾ أي: ما جمعوا من المال ﴿[وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ] وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾ لون بعد لون، أوعده بثلاثة ألوان العذب: بعذاب أليم عند الموت، ومهين في القبر، وعظيم في الآخرة في جهنَّم.

﴿هَٰذَا هُدٗىۖ﴾ يعني القرآن بيان أمر أمِنَ به من الضلالة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ القرآن ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ۝١١﴾ أي: عذاب من عذاب أليم من رجز.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ أي: ذلك لتجري السفن فيه بأمره ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ بركوبكم السُفن، أي: رزقه بالنجاة والمكسب ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢﴾ النعمة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ يعني جميع ما سخر لكم هو من الله، بقوله: كن فكان ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣﴾

---

(١) في قول الكلبي ومقاتل، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٦، البسيط ٢٠/ ١٣٥.

ويستدلون بالآيات أنها مصنوعة.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ الآية نزلت في عمر بن الخطاب، وكان ينازع المشركين قبل الهجرة، ويضربهم ويقتلهم قبل أن يؤذن بالقتال، وكان رجل من بني عفان[١] شتمه، فهمَّ عمر أن يبطش به، فأمره الله بتركه[٢].

قوله: لا يرجون أيام الله، أي: لا يخافون عذاب الله، وقيل: لا يرجون ثواب الله والبعث[٣].

﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ في الدنيا ببدر، وفي الآخرة بالنار.

قال قتادة: إنَّ الله تعالىٰ أمرنا بالصفح والتجاوز عن الكفار، وهم شر قوم وأخبثهم، فكيف لا نتجاوز عن المؤمنين وهم إخواننا[٤].

وقوله: «يغفروا» لفظه حكاية ومعناه أمر، أي: اغفروا[٥].

﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ سبق تفسيره.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ يعني: العلم والنبوة، فكان منهم أنبياء ﴿وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ الحلالات، وقيل: المن والسلوىٰ في التيه[٦]

---

(١) كذا في الأصل: عفان، وفي تفسير الثعلبي: الكشف والبيان ٢٤/ ١٤: من بني غفار، والله أعلم بالصواب.

(٢) وهو قول مقاتل والكلبي (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٧).

(٣) وهما بمعنىٰ، لأن من لا يخاف عذاب الله لا يرجو ثوابه.

(٤) وقال كذلك: ثم نسختها آية القتال (تفسير الطبري ٢٢/ ٦٧، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٧).

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٥.

(٦) الكشف والبيان ٢٤/ ١٧.

﴿[وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ]١٦﴾.

﴿[وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ] فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بأنَّ القرآن من عند الله، ومحمد رسول الله ﴿بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: حسدًا.

وقيل: اختلفوا في دينهم بعدما جاءهم العلم والبيان في كتابهم، من بعد يوشع بن نون، فآمن بعضهم وكفر الآخرون، حسدًا فيما بينهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٧﴾ في الدين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ واستقم عليها ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٨﴾ توحيد الله.

وذلك حين دعا أهل مكة رسول الله إلىٰ دينهم، إلىٰ دين آبائهم، ليجعلوا له شطرًا من مالهم(١).

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لن يدفعوا عنك عذاب الله قليلاً ولا كثيرًا ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ يعني: المشركين ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩﴾ ناصرهم.

وقوله: ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: مِنهاج مَنْ كان قبلك من الأنبياء، لأنهم كانوا علىٰ منهاج الهُدَىٰ.

والشريعة: وهو الشارع الممتد إلىٰ طريق النجاة(٢).

وقوله: ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنَّ مَن استغنىٰ بغير الله

---

(١) الكشف والبيان ٢٤/ ١٧.

(٢) وعرفها ابن جرير بقوله: الفرائض والحدود والأمر والنهي (تفسير الطبري ٢٢/ ٧٠).

فبغناه افتقر، ومَنْ تعزَّز بغيره فبعزّه ذلّ، ألا تراه كيف يقول ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

قوله ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ أي: بيان للمؤمنين المصدِّقين بالقرآن ومحمد صلىٰ الله عليه وسلم، وهو[1] ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ بالقرآن.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ معناه: أحسِبَ، والميم زائدة، الذين كسبوا الشرك ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ في الثواب ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ والآية نزلت في ستة نفر، ثلاثة من المسلمين، مثل: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، بارزهم ثلاثة من الكفار، مثل: عُتبة وشيبة والوليد بن عتبة، فاقتتلوا، فقال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية إلىٰ قوله: ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾[2].

يعني: أن الكافر يعيش كافرًا، ويموت كافرًا، ويُبْعَثُ من القبر كافرًا، والمؤمن يعيش مؤمنًا، ويموت مؤمنًا، ويُبْعَثُ من القبر مؤمنًا، فأنَّىٰ يستوي محياهم ومماتهم.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ لم يخلقهما باطلاً ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ في دار الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) فصل بين الواو وَ هدىٰ بـ: هو.

(٢) وهذا قول الكلبي (تنوير المقباس ٤٢١، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٩).
وفيه نظر شديد، لأن السورة مكية -كما ذكر المصنف وغيره- وغزوة بدر مدنية، ولذا ذهب أهل التأويل إلىٰ أنَّ المراد عموم المؤمنين والكافرين، لا مؤمنًا بعينه ولا كافرًا بعينه، قال مجاهد والليث وغيرهما: المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن، والكافر في الدنيا والآخرة كافر (رواه الطبري في التفسير ٢٢/ ٧٣، ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ١٩: للمفسرين).

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ والآية نزلت في الحارث بن نوفل، كان يتّجر نحو الشام، بذهب[١] من مكة، وكلما رأىٰ في بلاد الشام من حجر الرُخام حجرًا حسنًا يشتريه ويحمله إلىٰ مكة فيعبده، ثم إذا رجع ووجد حجرًا آخر أحسن منه يأتي به ويعبده، فكان ينتقل من عبادة حجر إلىٰ حجر آخر، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[٢]: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ فكلما يهواه يعبده.

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ به أنه مستحق الضلالة إذ[٣] كان في صُلب آدم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ فلا يسمع الهُدىٰ ﴿وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يعقل الهُدىٰ ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ أي: غطاءً لا يُبْصِر الهُدىٰ ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ إذا أضلَّه الله ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ في صُنع الله.

ثم حكىٰ عن الدهرية مقالهم ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: نحيىٰ ونموت بعده ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ لا يميتنا إلا طول العمر، وممرَّ الأيامن وحوادث الدهر، الذي يصيبنا بقوارعه.

قال الله تعالىٰ ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ ويقين ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: يقولون بالشك غير مستيقنين.

قال ابن عباس: كل ظن من الكافر فهو شكٌّ، وكل ظن من المؤمن فهو يقين.

---

(١) في الأصل: اهمل الحرف الأول، فاحتمل أن يكون: بذهب، أو: يذهب.

(٢) وهذا من تتمة كلام الكلبي والضحاك ومقاتل (كما في تفسير مقاتل ٣/ ٢١٤، والنكت والعيون ٥/ ٢٦٥)، والمفسرون علىٰ أن المراد به جنس المشركين، قال ابن جرير: معنىٰ ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحقّ الذي له الألوهة من كلّ شيء (تفسير الطبري ٢٢/ ٧٦، الكشف والبيان ٢٤/ ٢٣).

(٣) في الأصل : إذا، وهو تصحيف.

والآية نزلت في بني عبد الدار.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ بالأمر والنهي ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ كما كان عيسىٰ يحيي الأموات ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: هو الذي أحياكم بعدما كنتم نُطَفًا، نفخ فيكم الروح ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ في البرزخ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ عند المؤمنين ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ من المنكرين للبعث ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

ثم قال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وجميع ما فيهما عبيد له ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: في ذلك اليوم يتبيَّن خسران المبطلين.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ علىٰ الرُّكَب، أي: جالسة مستوفزة علىٰ ركبها ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي: قراءة كتابها التي فيه حسناتها وسيئاتها.

قال الضحاك: كل أمة جاثية مع نبيها علىٰ الرُّكَب، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بين يدي أمته بحذاء بطنان العرش، ينتظرون فصل القضاء، فيشفع لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فيقضي الله بينهم، فأول مَنْ يُدْعىٰ: أين النبي العربي الحرمي التِّهامي، وأين أمته الغُرَّ المحجَّلون، فيقضي الله بينهم، ثم يُدْعىٰ بنبي نبي، وبأمَّة أمَّة، حتىٰ يفرُغ من الحساب، فالمؤمن يُعطىٰ كتابه بيمينه [والكافر يعطىٰ كتابه][1] من شماله ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ في الدنيا من خير أو شر.

(١) سقط هذا علىٰ الناسخ، ولا بد منه لتصحيح الخبر، ولم أجده فيما بين يدي من مصادر التفسير المأثور، ونحوه جاء عن الكلبي (تنوير المقباس ٤٢٢).

وقال سهل: وترىٰ كل أمة جاثية علىٰ رُكَبها ،تجادل عن نفسها، الصادق يجتهد في تحقيق صدقه، والجاحد يجتهد في الدفع عن نفسه، وكل محكوم عليه بالكتاب الذي أملاه، مداده ريقه، وقلمه أسنانه، وقرطاسه جوارحه[١].

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: يشهد بالصدق ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ﴾ في دار الدنيا ونستكتب الحَفَظَة ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾ وقال الزجاج: الاستنساخ هو أن يُنسخ كتاب من كتاب[٢]، قيل: إنه يُكتب من ما يَكتبه الحفظة ويثبت ذلك عند الله عز وجل.

وقال ابن عباس: إنما النسخة من اللوح المحفوظ، وذلك أن الملكين أُهْبِطَا إلىٰ العبد نهارًا، أُلْقِي إليهما كتاب مختوم، لا يؤذَن لهما في فض الخاتم حتىٰ يُمْسِي العبد، فإذا أمسىٰ قال صاحب اليمين -وهو أمين علىٰ صاحب الشمال-: فُك الكتاب حتىٰ ننظر ما فيه، فإذا فيه ما عمل ابن آدم في ذلك اليوم، لم يخطئ فيه لام ولا ميم ولا حرف آخر، ثم أهبط ملكا الليل وصعدا ملكا النهار، ورمي إليهما كتاب مختوم كذلك، ولم يُؤذَن لهما بفكِّه، فإذا أصبحا فكَّا[٣] ختمه، فاطَّلعا فيه علىٰ جميع ما عمله العبد بالليل، من خير أو شر، فذلك قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾[٤].

ثم قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي: جنَّته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾ فازوا بالجنة، ونجوا من النار.

---

(١) في الأصل: جوارسه.

(٢) نحوه في معاني القرآن ٤/ ٤٣٥.

(٣) كذا في الأصل، وكتب فوقه: لعله فضًا.

(٤) لم أجده، وفي تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٧٥ نحوه، وهذه الروايات الغريبة مما يغلب علىٰ الظن أنها من رواية الكلبي أو مقاتل ونحوهما.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالبعث ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: يقال لهم: ألم يُقرأ القرآن عليكم ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ عن الإيمان ﴿وَكُنتُمۡ﴾ في دار الدنيا ﴿قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي: إذا قال لهم الرسول ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ وهو البعث ﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ﴾ فيها ﴿إِلَّا ظَنّٗا﴾ لا نستيقن بوجودها، ولكن ربما نظن لكثرة ما سمعنا منكم، يقولون ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾ أنها كائنة.

﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ في الدنيا من الشرك حين تشهد عليهم الجوارح ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: أحاط ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣﴾ بالرسل والكُتب، يعني: جزاؤها.

﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ﴾ هذه مقالة خزَنة النار للمشركين، أي: نترككم في النار كما تركتم الإيمان ﴿كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ الذي استقبلكم ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: مسكنكم ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤﴾ ينجونكم من العذاب.

﴿ذَٰلِكُم﴾ أي: هذا العذاب الذي لكم ﴿بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ أي: اغتررتم بها وبزهرتها ونعيمها عن الاستعداد لحياة الآخرة، ثم ترك الخطاب، وقال: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٣٥﴾ أي: لا يطلب منهم العُتبىٰ، وهو الإرضاء، والاستعتاب الاسترضاء[1].

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: له الحمد والشكر والثناء، لأنه خالق الكونين، ومُوجِد العالمين، وهو أصناف الخلائق أجمعين.

﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: له العلو والعِظَم والسلطان والقدرة علىٰ أهل السماوات والأرض ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ المنيع في سلطانه وعظمته

---

(١) البسيط ٢٠/١٥٦.

ومُلكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ في أمره، مَن اعتصم به أيَّده بحوله وقوَّته، ومن اعتمد علىٰ نفسه وكَلَه إليها.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الجاثية أُعطي من الأجر بعدد كل رمل[١] في الدنيا عشر حسنات»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) في الأصل: رجل، وهو تصحيف.

(٢) هكذا ورد عنده حديث الجاثية، وهو انتقال نظر منه، فإن هذا الحديث ورد في الأحقاف، وسيعيده في سورة الأحقاف، والوارد في سورة الجاثية: «من قرأ سورة حم الجاثية سكن الله روعته وستر عورته» وهو حديث موضوع كما نبهنا مرارا، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٨/٢٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٢.

سورة الأحقاف

مكيَّة، إلا قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ إلىٰ قوله: ﴿خَٰسِرِينَ ١٨﴾ فإنها مدنيَّات[1]، وهي خمس وثلاثون آية في الكوفي وأربع في البصري[2].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ هذا قَسَمٌ أقسم الله تعالىٰ به.

وقال: ﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ من الخلق والعجائب ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: لإقامة الحق والعدل، لأنَّ إنشاء السماوات والأرض حكمة وليس بعبث ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ يوم القيامة، وقيل: أجل مسمًّىٰ للسماوات والأرض والخلائق، لكل منها أجل معلوم[3].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ يعني: من وحي القرآن.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم﴾ ما تقولون أيها الكفار ﴿مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام: هل خلقوا شيئًا؟ ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ من نباته أو دوابه ليستحقُّوا به العبادة ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾ فيه ذكر الأمم، وذكر الأنبياء، مِن قَبْل هذا القرآن ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ﴾ يعني: رواية ﴿مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ تأثرونها عن بعض الأنبياء ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤﴾ بأنَّ اللات والعُزىٰ شركاء الله.

---

(١) الكشف والبيان ٢٤/ ٥٥، زاد المسير ٤/ ١٠٢.

(٢) والباقون كالبصري (البيان في عد آي القرآن ٢٢٧).

(٣) زاد المسير ٤/ ١٠٢.

﴿وَمَنۡ أَضَلُّ﴾ يعني: أكفر ﴿مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ أي: لا يجيب دعاءه البتة في خير أو شر ﴿وَهُمۡ﴾ يعني: الأصنام ﴿عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ ولم يقل: هُنَّ، ولا: غافلات؛ لأنَّ الكفَّار جعلوها بمنزلة مَن يميِّز، فخوطبوا علىٰ ما تعارفوا[١].

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ أي: كانت الأصنام أعداء لعابديها، وقيل: يعني به الملائكة ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ أي: تبرأت الأصنام والملائكة من عبادتهم إيَّاهم.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ أي: مبيّنات بالحلال والحرام ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لِلۡحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ علىٰ لسان محمد ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ۝٧﴾.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ الميم زائدة، معناه: أيقولون تقوَّله محمد، في معنىٰ التعظيم والتفخيم ﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ﴾ أي: لا تقدرون علىٰ صرف عذاب الله ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ أي: تتحاورونه بينكم من التكذيب، وَ ﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾ أي: بالله ﴿شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ﴾ بأني رسوله ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ لمن تاب من الشرك ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾ حيث رخَّص بالتوبة[٢].

﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: لست بأوَّل رسول بُعِث ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ أي: لا أدري أيرحمني ربي وإياكم أو يعذِّبنا، ثم صارت منسوخة بقوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٩.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٨٥.

(٣) وهو رواية الوالبي عن ابن عباس، وقول عكرمة والحسن وقتادة، (تفسير الطبري ٢٢/ ٩٩).

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ يعني ما أؤمر به ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٩﴾ مُفقِّه لكم بلغة تعرفونها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ أيها المشركون وأهل الكتاب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني: يامين بن يامين على مثل شهادة، فآمن يامين واستكبرتم يا معشر اليهود(١).

وقيل: شاهد من بني إسرائيل: عبد الله بن سلام.

﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي: مثل شهادة بن يامين، لأن يامين بن يامين أسلم قبل عبد الله بن سلام.

وقيل: الشاهد الأصلي هو عبد الله بن سلام.

﴿فَـَٔامَنَ﴾ هو ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ وكفرتم أنتم(٢).

---

(١) ذكر يامين بن يامين من أخبار مقاتل، وقد كرره كثيرا مقارنة مع عبد الله بن سلام، وذلك في تفسيره (تفسير مقاتل ٣/ ٢٢١)، ولعله لا يعرف من غير طريق مقاتل والكلبي، وقد تفردا بذكر بعض مؤمني أهل الكتاب، ولا يعرفون إلا من خلالهم (انظر: ترجمة سلمة بن سلام الإسرائيلي من الإصابة ٣/ ١٢٤)والله أعلم.

(٢) وقد أنكر بعض المفسرين ذلك لأن السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة، وأن الآية على المحاجة، وأن الشاهد هو موسى بن عمران النبي، قال مسروق: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما أنزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة، ولكنها خصومة خاصم محمد صلى الله عليه وسلم بها قومه، قال: فنزلت ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ قال: فالتوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم، فآمنوا بالتوراة وبرسولهم، وكفرتم (تفسير الطبري ٢٢/ ١٠٣).

إلا أن البخاري روى في صحيحه (٣٨١٢) عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ ورواه مسلم في الصحيح ٢٤٨٣.

وهو محذوف الجواب، وجوابه: فمن أضل منكم.

ثم قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ إلىٰ الإسلام.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ﴾ يعني: قال كفار مكة: لو كان دين محمد حقًّا لم يسبق هؤلاء الفقراء رؤساءهم، يعنون: بلالاً وصهيبا وسلمان وعمَّارا وغيرهم(١).

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ كما اهتدىٰ سلمان وصهيب وبلال وعمَّار ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أي: كذب قديم، لأنهم كانوا ينكرون جمع الأنبياء.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ وقال الكلبي: هاتان الآيتان مدنيَّتان، نزلت في إسلام جُهَيْنَة وغِفار وأسلم، وإنما عيَّرهم بنو عامر وأسد وغطفان(٢).

ثم قال: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ﴾ يعني: أنزلناه قبل

قال ابن جرير بعد أن رواه: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل، لأن قوله ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾في سياق توبيخ الله تعالىٰ ذكره مشركي قريش، واحتجاجًا عليهم لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلىٰ أنها فيهم نزلت، ولا دل علىٰ انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنىٰ، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بأن ذلك عنىٰ به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك: وشهد عبد الله بن سلام -وهو الشاهد من بني إسرائيل- علىٰ مثله، يعني علىٰ مثل القرآن، وهو التوراة، وذلك شهادته أن محمدًا مكتوب في التوراة أنه نبي تجده اليهود مكتوبًا عندهم في التوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبي.

(١) البسيط ٢٠/ ١٧١.

(٢) قال الكلبي ذلك في الآية السابقة، كما في البسيط ٢٠/ ١٧١.

القرآن، يعني: إمامًا لمن يقتدي به ورحمة لمن آمن به ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لما بين يديه ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حتىٰ يعقلونه، وذكر لسانًا توكيدًا؛ كما يقال: جاءني زيد رجلاً صالحًا.

﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: كفروا ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ أي: هو بشرىٰ للموحدين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ علىٰ التوحيد والمعرفة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب ﴿وَلَا [هُمْ] يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ من الموت.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ يعني: جزاء توحيدهم.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ نزلت في أبي بكر الصدِّيق، عن الضحاك والكلبي ومقاتل(١).

يعني: أمرناه بأن يُحْسِن إليها، وأبوه أبو قحافة، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن عمرو بن تيم بن مرَّة(٢).

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا [وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا]﴾ أي: علىٰ مشقة ووضعته علىٰ مشقة.

﴿وَحَمْلُهُۥ﴾ يعني: حمل أبي بكر وفطامه من اللبن كلها ثلاثون شهرًا.

قال ابن عباس: حملته أمه ستة أشهر، وأرضعته سنتين(٣).

وقيل: حملته تسعة أشهر، وأرضعته إحدىٰ وعشرين شهرًا، والله أعلم.

---

(١) الكشف والبيان ٢٤/ ٨٢، البسيط ٢٠/ ١٧٨، وهو قول ضعيف.

(٢) تأخرت وفاة والديه بعده، وقد أسلما وحسن إسلامهما.

(٣) وهذا من تتمة رواة الكلبي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ قال الكلبي: الأشدُّ ثماني عشرة سنة إلىٰ ثلاثين(١).

وبلغ أربعين سنة: أي تكامل في شبابه، دعا ربه وقال: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ وفِّقني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ بالإسلام ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ ألْهمني أن أُصلِّي وأصوم، وأؤدِّي الفرائض، فأسلم أبو بكر وهو ابن ثمانٍ وثلاثين سنة، وأسلم أبوه وجميع أولاده إلاَّ عبد الرحمن، بقي كافرًا إلىٰ قريب من فتح مكة(٢).

ثم قال ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾ اجعلهم مؤمنين ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ من الشرك ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ من الخيرات ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ التي سلفت في الشرك ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ أي: مع أصحاب الجنة ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ أي: وعدًا صدقًا من الله، لا يخلف الله وعده الذي كانوا يوعدون علىٰ ألسنة الرسل.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر وأم رومان، حين دعياه إلىٰ الإسلام وأوعداه بالبعث والقيامة(٣).

---

(١) وعن ابن عباس: أشده ثلاث وثلاثون سنة، واستواؤه أربعون سنة، والعذر الذي أعذر الله فيه إلىٰ ابن آدم ستون (تفسير الطبري ٢٢/ ١١٣).

(٢) وأسلم قبل الفتح.

(٣) وهو رواية العوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٢/ ١١٨). وأنكرت عائشة أن يكون نزل في آل أبي بكر شيء سوىٰ براءتها (صحيح البخاري: ٤٨٢٧).

وقائل هذه المقولة -أن هذه الآية أنزلت في عبد الرحمن والتي قبلها أنزلت في أبي بكر- قد تناقض، لأن في الآية التي نزلت في أبي بكر أن الله تقبل دعاءه، وفي هذه إصرار الابن علىٰ الكفر، وقد نبه الزجاج إلىٰ هذا في معاني القرآن ٤/ ٤٤٣.

﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ قال ابن عباس: معناه ما أقذر كلامكما.

والأُف: في الأصل هو الوسخ الذي يكون في الأظفار[١].

وقال الأخفش: معناه ما غلُظ من الكلام وقبح.

﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ أتخوفانني أن أُبعث من قبري حيًّا ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ وما بُعِث منهم أحد ﴿وَهُمَا﴾ أبواه ﴿يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أي: يتضرعان إلىٰ الله، ويقولان له ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ﴾ يعني: الابن ﴿مَا هَٰذَآ﴾ الذي قلتم ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾ ما سطروه في كتبهم غرورًا، وكذب الأمم الماضين.

ثم قال: وإن كنتما صادقين فيما تقولان فابعثا أحدًا من أجدادي، حتىٰ يخبرني بما تقولان، وليكن من يُبْعَث جُدعان بن عمرو، فإنه كان شيخًا صدوقًا[٢].

قال الله تعالىٰ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ يطلبهم عبد الرحمن ﴿حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ وجب عليهم العذاب ﴿فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ من كفار الجن والإنس ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨﴾ بترك الإيمان واختيار الكفر.

والآية نزلت في الكافر العاق[٣].

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ مع الشرك ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي لأهل الجنة فضائل بما عملوا، ولأهل الشرك عذاب بما عملوا، أي لكلا الفريقين للمؤمن

---

(١) انظر: تفسير سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٢) الكشف والبيان ٢٤/ ٨٧ من رواية الكلبي.

(٣) وهذا القول هو الصحيح، لا ما قدمه في شأن عبد الرحمن بن أبي بكر.

درجات وللكافر دَرَكات ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾ أي: لا يُنقص من حسنات المؤمن ولا يُزاد في سيئات الكافرين.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: يكشف الغطاء عنهم فينظرون إلىٰ النار، خوَّفهم الله بذلك اليوم، إذ قيل لهم: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾ وأفنيتم ﴿طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعني: نشاطكم وصحتكم وفراغكم في الدنيا، وأنفقتموها في الشهوات وطلبها ﴿وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ وانتفعتم بها في الدنيا، وتركتم الآخرة ﴿فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ عن الإيمان ﴿[فِي ٱلۡأَرۡضِ] بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ في فرحكم وفراغكم ﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾ تخرجون من الطاعة.

قال أبو سهل: نزلت فيمن زنا ولاط وأنفق ماله في هاتين[1] المعصيتين.

وقيل: هو في اتِّباع الهوىٰ بأي وجه كان، حتىٰ: قيل إنَّ من ركب هذه المراكب فقد ركب الإعراض عن الله عز وجل.

﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ أي: هود النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ وهو منزلهم الذي كانوا به نزولاً، وهو جمع حقف، وهو الرمل العظيم الذي لا يبلغ جبلا[2].

قيل: رمل ما بين عمان وحضرموت[3].

﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ آدم وشيث ونوح ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ صالح وإبراهيم ولوط ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١﴾ أي: كل

---

(١) في الأصل: هذين.

(٢) وهو قول ابن زيد، كما في تفسير الطبري ٢٢/ ٢٥.
في الأصل: حبلا، وهو تصحيف. وانظر: تاج العروس ٢٣/ ١٥٨ فقد أحسن في ذكر الأقوال والجمع بينها.

(٣) وهو قول ابن إسحاق وجماعة، تفسير الطبري ٢٢/ ١٢٣، الكشف والبيان ٢٤/ ١٠٦.

واحد من هؤلاء قال ذلك لقومه.

﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني: قوم هود ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾ أي: لتصرفنا عن آلهتنا ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢﴾ في وعدك.

قال هود: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: علم نزول العذاب عند الله، أنزله إذا شاء ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ يعني: الوحي بأني رسوله، والعذاب نازل بالجاحدين ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣﴾ عن الله أمره.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا﴾ يعني: رأوا العذاب كهيئة العارض، وهو السحاب، ﴿مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ﴾ وكانت السحابة إذا جاءت من قبل ذلك الوادي مُطِرُوا ﴿قَالُواْ﴾ يا هود ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ أي: ممطر إيَّانا فيكون صفة النكرة بلفظ المعرفة، ويحتمل أنهم ذكروا لفظ المعرفة لأنهما رأوا في ذلك الوادي سُحبًا ممطرة، أجابهم هود.

وقيل: ناداهم مَلَك من السحاب ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ أي: تهلك كل شيء بإذن ربها ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ أي: لم يبق منهم إلا آثار دُورِهم ومنازلهم ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥﴾ يعني: أهل مكة(١).

﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ﴾ يعني: قوم هود وهم عاد ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ يعني: فيما لم نمكِّنكم فيه ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ﴾ فلم يستعملوها في حق ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾ لأنهم لم يُعْمِلُوها في طاعة ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦﴾ أي: نزلت بهم عقوبة كفرهم حتىٰ هلكوا.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ وهم: قوم هود وصالح ولوط، وإنها

---

(١) انظر قصتهم في الكشف والبيان ٢٤/ ١١٢.

بين المدينة ومكة والشام، وقوم هود كانوا باليمن(١).

﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾ مع كل نبي إلىٰ أمته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ من الكُفر فلم يتوبوا فأهلكناهم وأنجينا المؤمنين.

﴿فَلَوْلَا﴾ يعني فهلّا ﴿نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأوثان ﴿قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ مقدَّم ومؤخَّر، يعني: اتخذوا آلهة يتقرَّبون به، فأين نصرتهم.

﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ أي: عن الآلهة في الآخرة ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أي: كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يعني: افتراؤهم علىٰ الله بأن عبادتنا إياهم تقرِّبنا إلىٰ الله(٢).

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ واذكر حين وجَّهنا إليك نفرًا من جنِّ نَصِيبين، الذين بعثهم إبليس في طلب خبر(٣) الأرض، حين مُنِعَت الشياطين من السماء بالشُهب الثواقب، فعلم أنَّه كان لحادثة، فوقع جماعة من الجن إلىٰ بطن نخلة، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان منصرفًا من عكاظ، وهو يصلي الفجر بأصحابه، ويقرأ القرآن، وجماعة الجن سبعة، وقيل: تسعة(٤).

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وكانوا مقرين بالتورية ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ لقراءته كي نفهمها ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ أي: فرغ النبي عن القراءة ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: رجعوا إليهم يخوِّفونهم علىٰ ما هم عليه، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لم يعلم بهم، ولم يرجعوا إلىٰ إبليس(٥).

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٢.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٢.

(٣) في الأصل: حفر، وهو تصحيف.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٤، تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٣، الكشف والبيان ٢٤/ ١٢١.

(٥) الكشف والبيان ٢٤/ ١٣٦، البسيط ٢٠/ ٢٠٠ حيث سماهم ابن جريج بأسمائهم وهذا من العجائب.

و﴿قَالُواْ﴾ لقومهم ﴿يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ يرشد من اتبعه إلىٰ طريق الحق، أي: الصواب ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾ أي: دين الحق.

﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ محمدًا وصدِّقوه، فإنه ببطن نخلة يدعو إلىٰ الله ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ من زائدة ﴿وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١﴾ يؤمنكم من عذاب مؤلم.

﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمدًا بالإيمان به ﴿فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: لا يسبق الله ولا يفوته هربًا ﴿وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُ﴾ أي: أقرباء يمنعونه من عقابه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لم يجيبوا داعي الله ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٣٢﴾ هذا كله كلام الجن.

ثم قال الله تعالىٰ ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ ألم يُخبَروا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ﴾[1] أي: لم يشرك في خلقهما أحدًا ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ﴾ في الآخرة، ثم قال لنفسه: ﴿بَلَىٰٓۚ﴾ يقدر علىٰ ذلك ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٣٣﴾.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يُكشف عنهم الغطاء فيرونها؛ قبل أنْ يدخلوها، يقال لهم ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ ولم يقل: هذه، لأنَّه قصد إلىٰ الشيء المشار لا حقيقة النار، ويحتمل: أنه راجع إلىٰ العذاب[2].

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ أقرُّوا وأقسموا، ﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٤﴾ بالعذاب أنه غير كائن.

ثم قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ

---

(١) وقع في الأصل خلل، فكتب: أن الله خالق السماوات والأرض ولم يعي..

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٤.

﴿ٱلرُّسُلِ﴾ وأولي العزم هم: إبراهيم وموسىٰ وأيوب ويوسف وداود وسليمان وعيسىٰ، وهو قول الضحاك.

وقال الزجاج وعطاء الخراساني: هم نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد عليهم السلام[١].

وقال مقاتل: إبراهيم صبر علىٰ النار، وإسحق علىٰ الذبح، ويعقوب صبر علىٰ فقد يوسف، ويوسف صبر في السجن، وأيوب صبر علىٰ ضرِّه، ونوح صبر علىٰ أذىٰ قومه[٢].

وقيل: يونس ليس فيهم لأن الله تعالىٰ قال: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾.

قال مقاتل: نزلت الآية يوم أُحد، وأمره أن يصبر علىٰ قتل عمه وكسر رباعيته، ولا يدعو علىٰ قومه[٣].

وقيل: هم اثنا عشر نبيًّا، أوحىٰ الله تعالىٰ إليهم أني منتقم من بني إسرائيل بما صنعوا بيوسف، فإن شئتم أن تختاروا أن أُنْزِل تلك النقمة بكم وأنجيت بقية بني إسرائيل، وإن كرهتم أنزلتُ تلك العقوبة بهم وأنجيتكم، فاجتمع رأيهم علىٰ أن تنزل بهم العقوبة وينجو قومهم، فسلَّط الله عليهم ملوك أهل الأرض، فمنهم من نُشِرَ بالمنشار، ومنهم من شدخ رأسه، ومنهم من صُلِب، ومنهم من أُحرق بالنار، فأمر الله نبيَّه أن يصبر صبرهم[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٥، معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤٧، الكشف والبيان ٢٤/ ١٤٧.

(٢) الكشف والبيان ٢٤/ ١٥١.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٢٣١.

(٤) وهو قول ابن حبش المقرئ، رواه عن بعض أهل العلم، رواه عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ١٥٠.

ثم قال: ﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ أي: لا تستبطئنَّ نصرنا وعذابهم ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ﴾ أي[١]: ذلك بلاغ، يعني: مدة اللبث، وهو رفع لمعنىٰ الاستئناف[٢].

والبلاغ: البلغة والكفاية، وقيل: هو لذة ساعة[٣].

﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ الخارجون عن الطاعة، يعني: لا يُهلك غيرهم.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن أُبي بن كعب أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الأحقاف أُعطي من الأجر بعدد كل رمل[٤] في الدنيا عشر حسنات»[٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) في الأصل: أو، وهو تصحيف.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤٨، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١١٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٥، البسيط ٢٠/ ٢٠، زاد المسير ٤/ ١١٤.

(٤) في الأصل: رجل، وهو تصحيف.

(٥)موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ٥٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٣.

سورة محمد عليه السلام

مدنية[١]، وهي أربعون آية في البصري، وتسع وثلاثون آية في المدني، وثمان وثلاثون في الكوفي[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: منعوا عنها، وسبيل الله: كل ما يُقصد به طاعته، والمعنىٰ: الذين كفروا بتوحيد الله ومنعوا الناس عن دينه[٣].

﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾ يعني: أضلَّ الله أعمالهم أبطلها، يعني به: أبا جهل وأخاه الحارث[٤].

ثم ذكر المؤمنين وثوابهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من أداء الفرائض ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ لاشك فيه ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ محاها ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ أمرهم وشأنهم بتكفير السيئات، وقيل: بالنصرة علىٰ الأعداء والتمكُّن في الأرض.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: إبطال أعمال الذين كفروا وإصلاح أحوال المؤمنين ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ﴾ عبادة الشياطين، والكفر بالرحمن ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟

---

(١) الكشف والبيان ٢٤/ ١٦٣، زاد المسير، وشذ الضحاك والسدي فقالوا: مدنية.

(٢) والمكي والشامي كالمدني (البيان ٢٢٨).

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ١٥١.

(٤) وهو قول الكلبي، لأنهما كانا من المطعمين في بدر (تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٦) وهو عام في كل كافر.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ القرآن ودين محمد ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ③﴾ أي: يصف أمثالهم من إبطال أعمال الشرك، وكفَّارة ذنوب المؤمنين بالتصديق.

ثم علَّمهم جُرْأة[1] الكفار فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أمر خرج مخرج المصدر[2]، والمعنىٰ: اضربوا رقابهم[3].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي: قهرتموهم وأسرتموهم ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ للمأسورين ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ أي: بعد الأسر كان الاختيار إليكم، أن تمنُّوا عليهم وترسلوهم بلا فداء وتعتقوهم ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ تأخذونه منهم ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يعني: حتىٰ يترك أهل الشرك الشرك ويوحِّدوا الله عز وجل.

قال سعيد بن جبير: يعني به نزول عيسىٰ ينزل من السماء فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يبقىٰ بين الاثنين عداوة[4].

ثم نسخت بآية السيف[5].

﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: أهلك المشركين جميعًا ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ لكنَّه أراد أن يبلوَ بعضكم ببعض، يأمر المؤمنين بحرب الكفار ليختبرهم، يعني: المؤمن بالمشرك، فهذا الابتلاء لتمحيص ذنوب المؤمنين، ومحق الكافرين، فالمؤمن بين حسنتين؛ إن عاش في الدنيا نُصِرَ علىٰ عدوه، وإن

---

(١) كذا في الأصل، والمعنىٰ عليه: أنه علمهم أن يتجرؤوا علىٰ الكفار، وعبارة الكلبي: ثم حرض المؤمنين علىٰ القتال (تنوير المقباس ٤٢٧).

(٢) في الأصل: هم المصدر، ولا معنىٰ لكلمة هم.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦، البسيط ٢٠/ ٢١٥.

(٤) تفسير السمعاني ٥/ ١٦٩.

(٥) ينظر في بحث النسخ: الكشف والبيان ٢٤/ ١٦٧ فقد أطال في ذلك.

مات صار إلىٰ أمر ربه في الجنة، والكافر إنْ عاش غُلب وأهلك، وإن قُتِل يصير إلىٰ السعير، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وقرئ: «قُتِّلُوا» بالتشديد، و«قاتلوا» بالألف[1].

﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤﴾ أي: لن يبطل الله أعمالهم وثوابهم في الجهاد.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ أي: يوفِّقهم في الدنيا للطاعات ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ طابت لهم الجنة وطابوا لها.

وقيل: يعرف الواحد منزله كما يرجع المرء من الجمعة في الدنيا إلىٰ منزله[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ إنْ تنصروا رسول الله ينصركم الله، ويثبِّت أقدامكم بالجُرَاءة التي خلقها في قلوبكم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ دخلت الفاء علىٰ معنىٰ جواب الشرط[3]، ثم إنَّ الرجل إذا قال: الذي يأتيني فله درهم، كلام حسن.

أتعسهم: والتعس الخيبة[4].

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الحق ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾ ثم قال في كفار مكة:

---

(١) قرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص كما أثبت في رسم الآية، وقرأ الباقون: قاتلوا (النشر ٢/ ٣٧٤). وقرأ الحسن: قُتِّلوا بالتشديد، وهي قراءة شاذة (الكشف والبيان ٢٤/ ١٧٤).

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ١٦٠ حيث روىٰ هذا المعنىٰ عن طائفة من السلف.

(٣) وهو قول صاحب النظم، وقال: لأنه منسوق علىٰ قوله: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ أهـ من البسيط ٢٠/٢٢٨، وقيل: دخول الفاء للتنبيه علىٰ الخبر، معاني القرآن للزجاج ٥/٨، الكشاف ٤/٣١٨، التبيان ٢/ ١١٦٢.

(٤) البسيط ٢٠/٢٢٦.

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ﴾ بعد السير ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي: أهلكهم الله ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ۝١٠﴾ من العذاب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الدمار للكفار والنُصرة للأبرار ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ناصرهم ووليهم ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١﴾ ولا مُعين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لا نصيب لهم من الجنة، بل هم ﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ أي: يعيشون في الدنيا ﴿وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ۝١٢﴾ مُنْزِلهم.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أي: مدينة فيما خلا ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ منها، يعني: أهل مكة ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ بالعذاب حين كذَّبوا الرسل ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ۝١٣﴾ مِن العذاب الذي نزل بهمن كذلك نفعل بهؤلاء الكفار.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ بيان وبرهان من الله، وهو رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿كَمَن زُيِّنَ﴾ أي: حَسُنَ له في عينه قُبح كُفره، يعني: أبا جهل وغيره ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ۝١٤﴾ عبادة الأصنام ومخالفة رسول الله.

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ الموحِّدون، أي: صفتها أنَّ فيها ﴿أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ أي: صافٍ ليس فيها كدر ولا نتن، والآسن: المتغيِّر الريح[1] ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ أي: ليس بقارص[2] ولا حامض، ولم يخرج من ضروع الماشية[3].

---

(١) البسيط ٢٠/ ٢٣٤.

(٢) القارص: الحامض من ألبان الإبل خاصة (لسان العرب ٧/ ٧٨).

(٣) البسيط ٢٠/ ٢٣٤.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾ أي: لذيذ، يقال طعام لذٌّ ولذيذٌ كما يقال: رجل طبٌّ وطبيب، ومعنىٰ اللذة: أي لا يُسْكِر ولا يُصْدِع ولا مرارة فيها ولا ملوحة.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ من الشمع وغيره مما يشوبه في الدنيا، وهذه الأنهار الأربعة تفجَّر من الكوثر(١).

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قبل دخولها ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ أفمن كان حاله في الجنة كما وصفنا كمن هو دائم في النار ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ يُصْهَر به ما في بطونهم ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ وهي مجاري الطعام والشراب من المعدة، واحدتها: مِعىٰ مقصور(٢)، أي: ليسا بسواء.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ أي: إلىٰ قراءتك، وهم المنافقون.

مقاتل: هو رفاعة بن زيد والحارث بن عمرو، قيل: خطب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الجمعة علىٰ المنبر وقال: من المنافقين، فلما خرجوا من المسجد ﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهو عبد الله بن مسعود ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي: الساعة، فإنَّا لم نفهم(٣).

والآنف: الوقت الذي أنت فيه(٤).

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ختم الله ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ يعني النفاق.

ثم ذكر حال المخلِصين ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ من الضلالة إلىٰ الإسلام، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ أي: بصيرة ويقينًا.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٢٣٧.

(٤) الكشف والبيان ٢٤/ ١٨٤.

وقيل: معناه والذين اهتدوا بالمنسوخ زادهم هُدًىٰ بالناسخ(١).

﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾ أي: ألهمهم توحيدهم، كقوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

ثم خوَّف أهل مكة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: لا ينتظرون في كفرهم إلا القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ مقاتل: هو خروج رسول الله وانشقاق القمر والدخان(٢).

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝١٨﴾ أي: مِن أين لهم الموعظة إذا جاءتهم.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال مجاهد: اعلم أنَّ ألطف الذكر وأفضله وأعلاه لا إله إلا الله.

أبو سهل: هذا خطاب للمنافقين، يعني: اترُك أيها المنافق نفاقك واعلم أنه لا إله إلا الله.

قال الواسطي: من قال لا إله إلا الله علىٰ العادة فهو أحمق، ومن قالها تعجُّبًا فهو مصروف عن الحق، ومن قالها علىٰ الحقيقة والإخلاص فقد تبتَّل عن الشواهد.

ثم قال ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ابن عباس: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يستغفر لنفسه ثم للمؤمنين وللمؤمنات، وقال: «لا أدع الاستغفار لأمتي في كل يوم خمسًا وعشرين مرة»(٣).

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ أي: منتشركم بالنهار ومأواكم بالليل.

---

(١) وهو رواية العوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٢/ ١٧١).
(٢) تفسير مقاتل ١/ ٣٧١.
(٣) غريب، ولعله من رواية الكلبي.

ابن عباس: متقلبكم في أصلاب الآباء، ومثواكم حيث تأوون إليه(١).

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من المخلِصين ﴿لَوۡلَا﴾ أي: هلَّا ﴿نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ﴾ اشتياقًا منهم إلىٰ الوحي ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ ناسخة غير منسوخة ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾ أي: فُرِضَ الجهاد فيها ﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ أي: نفاق ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ أي: حالهم كحال من هو في غشيان الموت، يكره ذلك كما يكره الموت.

﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ قال الزجاج: هو وعيد وتهديد، المعنىٰ: وليهم المكروه، أي: العذاب(٢).

ثم ابتدأ فقال ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾ يخاطب المؤمنين، أي: الذي يجب عليكم طاعة وقول معروف(٣).

وقيل: إنَّ هذا الكلام متصل بالأول، معناه: طاعة وقول معروف أمثل لهم، وهو قول الخليل وسيبويه(٤).

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي: جدَّ الأمر، محذوف الجواب، وجوابه: كرهوا ذلك.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ١٩٢ عن عكرمة.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٢.

(٣) وهذا مروي عن ابن عباس من طريق الكلبي، قال ابن جرير: وروي عن ابن عباس بإسناد غير مرتضىٰ أنه قال: قال الله تعالىٰ ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ ثم قال للذين آمنوا منهم ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾ فعلىٰ هذا القول تمام الوعيد فأولىٰ، ثم يستأنف بعد، فيقال: لهم طاعة وقول معروف، فتكون الطاعة مرفوعة بقوله: لهم.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٣. وهذا القول هو الصواب.

ثم ابتدأ فقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ دِينًا ودُنيا من الكذب.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ معناه: لعلكم إنْ توليتم من هذه الأمم، وهم فخذ من قريش ﴿أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ نزلت في المنافقين[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المنافقون والفاسقون الذين يتولون عن طاعة الله وطاعة رسوله هم ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: طردهم عن رؤية الحق حقًا ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ عن سماع الحق ورؤية الحق.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يتفكرون ليعرفوا الحق من الباطل ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ بل على قلوب أقفالها، وهو ظلمات معاصيهم.

ثم ذكر اليهود فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ أي: نكصوا على أعقابهم بعد معرفتهم رسول الله بنعته وصفته أنه خاتم الأنبياء[2] ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زيَّن لهم ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ أي: أبعد لهم في الأمل.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الارتداد والعذاب ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ وهم اليهود، وإنما قال لهم أهل النفاق ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في السر ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ مع اليهود.

---

(١) والسياق مستمر معهم، وقيل: في أمراء الجور (تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٣).

(٢) وهو قول قتادة، وقيل: السياق مستمر مع المنافقين (تفسير الطبري ٢٢/ ١٨٠)، وهو الذي استظهره ابن جرير لأن المذكور من صفات المنافقين أشبه منها بصفة أهل الكتاب.

﴿فَكَيْفَ﴾ يحتالون ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند قبض أرواحهم، يعني: ملك الموت بقبض أرواحهم وسائر الملائكة ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ بالمقامع.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ من الكفر برسول الله ﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي: تركوا الإيمان ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ التي عملوا في غير إيمان.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ في القرآن ونبوَّة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ أي: لن يظهر الله الحقد الذي في قلوبهم للذين آمنوا؛ حتىٰ يعرفهم المؤمنون.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ أي: لأعلمناكهم، يقول: سأريك ما أصنع بك أي أُبيِّن لك وأظهر.

قال الضحاك: أعلم الله رسوله بهم(١).

ثم قال: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ قيل: إن الله تعالىٰ جعل لهم علامة في جباههم كهيئة الوشم، ينظر رسول الله إليها(٢)، ولا يعلم أحد غيره إلا حذيفة بن اليمان، كان يعرف المنافقين.

وسبب ذلك -والله أعلم- يقال: بأنَّ جبريل أتىٰ رسول الله يومًا وقال: يا محمد، اخرج إلىٰ وادي كذا، فخرج رسول الله وحذيفة خلفه، بحيث لم يعلم به

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ١٨٤.

(٢) في الأصل: إليه، والضمير للعلامة. وقد ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ٢٠٥ أنهم ناموا فأصبحوا وعلىٰ جبهة كل واحد منهم مكتوب: هذا منافق، وهذا القول غريب، ولا يعرف له إسناد، وقد ذكه الزمخشري والقرطبي علىٰ نحو ما ذكره الثعلبي، والآية تأباه، فإن العلامة التي وضعها الله له هي لحن القول، وسيماهم الخبيث.

رسول الله، وإنما تبعه لما يخاف عليه من قصد اليهود والمنافقين، فلما بلغ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ ذلك الوادي إذا قد اجتمع فيه المنافقون كلهم، لحديث كان لهم، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: المنافقون ورب الكعبة، فرآهم وعرفهم، ثم ذهب رسول الله، ثم أتاهم حذيفة وكلَّمهم وجلس فيما بينهم، وكتب أسماءهم، قال حذيفة: ثم أتيتُ رسول الله وعرضتُ عليه أساميهم، فقال: نعم(١).

ثم قال ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ يعني: الفضاضة في الكلام والرد لما جاء به محمد ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠﴾ من الخير والشر فيجزيكم بها.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾ أي: نبلونكم بالقتال مع الكفار حتىٰ نعلم المجاهدين منكم يا معشر المؤمنين، والصابرين علىٰ أمر الله.

﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ بالفعال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ [وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ]﴾ ومنعوا الناس عن دين الله ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ خالفوه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أنه رسول الله ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ بكفرهم ﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾ التي عملوها في اليهوديَّة(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ بالمعصية لله ولرسوله، وقيل: بالسُّمعة والرياء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دينه والحج والطواف حول الكعبة ﴿ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤﴾ شركهم أبدًا.

---

(١) غريب بهذا السياق، ولم أجده بهذا اللفظ، والمشهور أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أسر إليه بأسماء المنافقين (انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٤).

(٢) بناء علىٰ ما ذكره من أن الآيات نزلت في اليهود، وإلا فإن المراد العموم.

ثم حثهم على الجهاد فقال: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي: لا تضعفوا وتُبدوا الصلح والمُوادعة ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي: غالبون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالتصبُّر ودفع بأس العدو ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ أي: لا يبطل ثواب جهادكم.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ باطل واشتغال عن طاعة الله ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟﴾ فيما وعدكم ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ مخالفته ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ثواب طاعاتكم ولا ينقصكم شيئًا ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ كلها في الصدقة.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾ كلها ﴿فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾ أي: يلحُّ عليكم تبخلوا بالصدقة ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ أي: بُخلكم، وقيل: يُخرج ذلك البُخل أضغانكم، أي: عداوتكم الكامنة في صدوركم(١).

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ كلتاهما تنبيه ﴿تُدْعَوْنَ﴾ أي: تؤمرون ﴿لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لكي تتصدقوا في طاعة الله وسبيل الخير ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ﴾ بالصدقة ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ بثوابها، ويبخس عن حق نفسه ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن صدقاتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إلى الله في طلب الرزق والمغفرة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ عن النفقة والإيمان ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فتولَّوْا واستبدل الله قومًا غيرهم من كندة(٢)، والذين تولوا: حنظلة وأسد وغطفان وبنو حنيفة(٣).

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ يعني: المستبْدَلين لا يكونوا أمثالكم، بل يكونوا أطوع منكم.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ١٩١.

(٢) وهم أهل اليمن، كما روى ذلك ابن جرير عن بعض المفسرين (تفسير الطبري ٢٢/ ١٩٤).

(٣) زاد المسير ٤/ ١٢٤.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين إن تولينا يُستَبْدَلُوا بنا، وكان عنده سلمان، فوضع عليه يده وقال: لو كان الدِّين مُعلَّقًا بالثُريَّا لتناوله رجال من فارس[١].

قال: وبلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة محمد صلىٰ الله عليه وسلم كان حقًّا علىٰ الله أن يسقيه من أنهار الجنة»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) رواه الطبري في التفسير ٢٢/ ١٩٤ من حديث أبي هريرة.
(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ١٦٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٤.

سورة الفتح

مدنيَّة[١]، وهي تسع وعشرون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾ قال مجاهد وقتادة: هو فتح خيبر[٣]، وذلك لما صده المشركون عن دخول الحرم، فبشَّره الله بفتح خيبر.

وقيل: بشارة بفتح مكة بعد ما رجع من الحديبية[٤].

وقيل: أراد به صلح الحديبية، لأنَّه كان سببًا لفتح مكة وفتح خيبر.

ومعناه: إنا قضينا لك قضاء بيِّنًا، وهو الرجوع من الحديبية، سميَ الحاكم والقاضي فتَّاحًا، والفتح المبين: ما كان من غير قتال[٥].

﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ قبل الوحي ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بعد الوحي.

وقيل: قبل الفتح وبعده.

وقد يقال: بأنَّ الفتح من فعل الله تعالىٰ، فكيف يستحق الرسول به المغفرة؟

قيل: معناه فتحنا لك فتحًا مبينًا لتشكر الله علىٰ ما أنعم عليك وتحمده

---

(١) إجماعا، الكشف والبيان ٢٤/ ٢١٩، زاد المسير ٤/ ١٢٥.

(٢) بلا خلاف (البيان ٢٢٩).

(٣) الكشف والبيان ٢٤/ ٢٢٤.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ١٩٧.

(٥) وهو قول الكلبي، كما في البسيط ٢٠/ ٢٧٩.

وتستغفره، فيغفر ذنوبك، ومصداقه قول الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ أمره بالاستغفار عند فتح مكة، ثم وعد له الغفران في هذه الآية بحرف اللام، يعني: استغفره ليغفر لك[1].

وفيه دليل على جواز الصغائر على الأنبياء، لأنَّ الأمر بالاستغفار للذنوب مُحالٌ إذا لم يكن ذنب، وقد صرَّح بالذنب في آية أخرىٰ، قال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ .

ثم قال ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ لإظهار دينك على الأديان ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢﴾ يُثبِّتك على الإسلام.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ منيعًا بلا ذُلٍّ.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يوم الحديبية.

وذلك أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خرج إلىٰ مكة معتمرًا، وسمعت قريش، فبعثوا خالد بن الوليد ليأخذ الطريق علىٰ رسول الله، فأخذ رسول الله من طريق آخر حتىٰ نزل بالحديبية، فسمعت قريش بذلك، وفزعوا منه، فبعثوا عروة بن مسعود مستخبراً عن حال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فسمع من العُمَّار خبره، ورجع وأخبرهم بذلك، فلم يُصدِّقوه، ثم بعثوا بُديل بن ورقاء مع نفر، فجاءوا وسمعوا أصوات التلبية، ورأوا القلائد والهَدْي، فرجعوا إلىٰ قريش وأخبروهم، ورسول الله قد بعث عثمان بن عفان إليهم رسولاً، بإجارة سعيد بن عاصم ليخبرهم أنه يأتي للعمرة لا للحرب، فبعث أهل مكة سهيل بن عمرو، ليوادع رسول الله علىٰ أن يرجع هذه السنة، ويأتي السنة القابلة، حتىٰ يخلوا له

---

(١) البسيط ٢٠/ ٢٨١.

مكة ثلاث ليال ليعتمر، فكتبوا علىٰ ذلك كتابًا، وشرطوا في الكتاب أنَّ من لحق من المؤمنين بالكفار لا يردُّونه إلىٰ المؤمنين، ومن لحق من الكفار بأصحاب رسول الله يردُّونه إليهم، فشقَّ هذا الشرط علىٰ المسلمين، وقالوا: يا رسول الله، كيف نعطيهم الدنية، فقال رسول الله: «من لحق منَّا إليهم فأبعده الله، ومن لحق منهم بنا فنردُّه عليهم، وسيجعل الله له مخرجًا» فاطمأنوا بذلك، وهي السكينة[1].

وكما قيل: إنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رأىٰ رؤيا في دخول مكة بعد ذلك، وقصَّ الرؤيا مع أصحابه، فسكنوا، وهو قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية.

وقوله: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ أي: علمًا وتصديقًا ويقينًا مع إيمانهم بالله ورسوله، ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يُسلِّط جنوده علىٰ من يشاء من عباده وأعدائه، وينصر بهم دينه ونبيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما يصنع بك من الفتح والمغفرة والنُصرة ﴿حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ فيما صنع.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يعني: فتحنا لك فتحًا ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يُغطِّيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: إدخال المؤمنين الجنة وتكفير ذنوبهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ نجاةً وافرةً.

ثم ذكر حال المنافقين والمشركين ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ وذلك

---

(١) انظر حديث الحديبية الطويل في صحيح البخاري ٢٧٣١، حيث ساقه البخاري من حديث الزهري عن عروة عن المسور ومروان، وهو سياق تام.

أنَّ أسد وغطفان ظنُّوا أن لا يرجع رسول الله من الحديبية إلا أن يُهزَم أو يُقْتَل[١]، قال الله تعالىٰ: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ وهو الفساد والهلاك يقع بهم، ويدور عليهم ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ بمقالتهم ﴿وَلَعَنَهُمۡ﴾ واللعنة هاهنا العذاب ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ۝٦﴾ بئس القرار.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ من الملائكة والجن والإنس ينتقم بهم من أعدائه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾ فيما أمر ونهىٰ.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ لأُمتك بالبلاغ، وقيل: مُزكيًّا لهم حين شهدوا للرسل بالبلاغ علىٰ أممهم ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ بالجنَّة لمن أجابك ﴿وَنَذِيرٗا ۝٨﴾ مخوِّفًا لمن لا يجيبك بالنار.

﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ابن كثير وأبو عمرو: بالياء[٢] ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾[٣] يعينوه وينصروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُۚ﴾ يُعظِّموه.

والتعزير والتوقير لرسول الله: أنْ يحموه ويكونوا له لا عليه، والعزر: هو المنع[٤].

وهذه كلها بالياء علىٰ الحكاية عندهما، وعند الباقين بالتاء علىٰ المخاطبة[٥].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣١٢.

(٢) الأفعال الأربعة: لتؤمنوا، وتعزروه، وتوقوره، وتسبحوه، قرأها ابن كثير وأبو عمرو بالغيبة، أي: الياء، وهكذا ضبطها في الأصل، وقرأ الباقون بالخطاب، أي: بالتاء(النشر ٢/ ٣٧٥).

(٣) في الأصل بالياء، وعليه جاء التفسير، وكذا فيما بعده.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١.

(٥) الكشف والبيان ٢٤/ ٢٣٧، البسيط ٢٠/ ٢٨٩.

ثم ذكر المخاطبة الجامعة بين رسول الله وأمته، وهو قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ بالغداة والعشي.

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ تحت الشجرة، علىٰ أن ينصروا دين الله، وهي بيعة الرضوان ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ يعني: كانت بيعتهم لله عز وجل ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بالوفاء لهم ما وعدهم من الخير.

وقيل: فيه معنىٰ التحذير والتبشير:

أمَّا التحذير: فمعناه احذروا عن مناقضة هذه البيعة، فإنها مع الله، وإن نقضتم نقضتم عهد الله.

ومعنىٰ التبشير: أيها الموحدون، إذا بايعتم فاعلموا أني مبايعكم، قال لهم ذلك ليفرحوا ويقيموا علىٰ وفاء البيعة.

قال عبد الله بن عمر: بايعنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ السمع والطاعة، في العُسر واليُسر، والمَنْشَط والمَكْره، وأنْ لا نُنازع الأمر أهله، وأن نقوم بالحق حيث ما كان، وأن لا نخاف في الله لومة لائم.

وكانوا ألف وسبعمائة رجل، وقيل: ألف وخمسمائة، بايعوا رسول الله، وإنما بايعوا لأنَّ رسول الله أخبره بعض الناس أنَّ أهل مكة قتلوا عثمان بن عفان، فبايعوه علىٰ أن ينصروه ويعينوه[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ لأنهم عاهدوا أن ينْصروا رسول الله، والله تعالىٰ عاهدهم أن يدخلهم الجنة، فيد الله بالمنَّة في إدخال الجنة فوق

---

(١) في حديث جابر المتفق عليه: كنا ألفا وأربعمائة (صحيح البخاري ٤١٥٤، صحيح مسلم ١٨٥٦). وفي حديث البراء: كانوا ألفا وأربعمائة أو أكثر (رواه البخاري ٤١٥١). وفي حديث ابن أبي أوفىٰ (في صحيح البخاري ٤١٥٥، ومسلم ١٨٥٧): ألفا وثلاثمائة.

أيديهم بطاعة الله وطاعة رسوله[١].

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ يعني: جنىٰ بنقض العهد علىٰ نفسه ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي: أتمَّ العهد ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ في الآخرة، أي:ثوابًا وافرًا.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لرجل من الأنصار: «أوصيك بثلاث، وأنهاك عن ثلاث، أكثر ذكر الموت فإنه يسليك عن أمر الدنيا، وأكثر من الدعاء فإنك لا تدري متىٰ يُستجاب لك، وعليك بالشكر، فإنَّ الله تعالىٰ يقول ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وإيَّاك والمكر، فإنَّ الله يقول ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وإياك والبغي لأنَّ الله يقول ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ وإياك والنكث فإنَّ الله يقول ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾»[٢].

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ وهم الذين تخلَّفوا عن غزوة الحديبية، سوف يقولون لك: يا محمد عند ما رأوا علة[٣] بالباطل حين خذلوك، فلما وعدك الله فتح خيبر طمعوا في الغنيمة، يقولون لك ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج، وخفنا علىٰ دورنا وأهالينا من العدو، ولو اتبعناك لتُسبىٰ

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٢١٠، تفسير السمعاني ٥/ ١٩٤.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي من قوله (تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٨٧)، وعن الزهري مرسلا ببعضه.

ورواه ابن مردويه عن عبد الله بن نفيل الكناني عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نحوه، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٢).

ويروىٰ هذا الكلام عن رجاء بن حيوة ومكحول، وهو بمواعظم أشبه به من حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (الدر المنثور ٤/ ٣٥٣).

(٣) كذا في الأصل.

ذرارينا، وهم: مُزَيَّنَة وجُهَيْنَة وأسلم وغطفان، وكانت منازلهم بين مكة والمدينة[(١)].

﴿فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ﴾ بتخلُّفنا عن اتِّباعك، ثم أخبر الله تعالىٰ أنهم ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ تصديق ذلك العذر ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ أي: من يقدر علىٰ رد قضاء الله ﴿إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا﴾ أي: عذابًا ﴿أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ﴾ يعني: هداية، وقيل: عافية ونُصرة ﴿بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ﴾ وهو ردٌّ لكلامهم واعتذارهم ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ١١﴾ مِن تخلُّفكم وكذبكم.

ثم أعلم الله تعالىٰ ما الذي منعهم عن الخروج فقال: ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ من غزوة الحديبية ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ أنه لا يرجع محمد صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المدينة ﴿وَظَنَنتُمۡ﴾ به ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ أن يُهزَم أو يُقتَل ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٢﴾ صِرتم هالكين بما أسررتم في قلوبكم من النفاق، وأظهرتم الانقياد.

﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ صدقًا من قلبه ﴿فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ١٣﴾ نارًا.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ خزائنه وما فيها من الخلق والعجائب ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ لمن تاب من الشرك واستوجب المغفرة ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ من أقام علىٰ الشرك ويستوجب العقوبة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ لم يزل ولا يزال ﴿غَفُورٗا﴾ لمن تاب إليه من معاصيه ﴿رَّحِيمٗا ١٤﴾ إذ جعل لهم سبيلاً إلىٰ التوبة.

﴿سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا﴾ وهم الذين تخلَّفوا عن غزوة الحديبية، فإذا خرجتم إلىٰ خيبر ووعدكم الله في تلك الغزوة

---

(١) الكشف والبيان ٢٤/ ٢٤٣.

مغانم سوف يقولون: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ﴾ ونخرج معكم إلىٰ الغزوة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ لأنَّ الله تعالىٰ جدُّه وعد نبيه أنَّ مغانم خيبر لأهل الحديبية خاصة، لا يشركهم في الغنيمة أحد، ولا يذهب معهم إلىٰ القتال أحد؛ إلا متبرّعًا لا يطلب الغنيمة(١).

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلىٰ خيبر ﴿كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ﴾ غزوة خيبر ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين لم يقل الله ذلك ﴿بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ﴾ في أخذ الغنيمة معكم ﴿بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥﴾ وهم الذين لم ينافقوا.

وقيل: القليل راجع إلىٰ الفقه، يعني قليلاً من هذا يفقهون، كما يقال: فلان قليل العقل وقليل الفهم(٢).

﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ مخافة القتل عن غزوة الحديبية ﴿سَتُدۡعَوۡنَ﴾ إلىٰ قتال ﴿إِلَىٰ قَوۡمٍ﴾ بعد وفاة رسول الله في زمن أبي بكر ﴿أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ قيل: هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذّاب، أهل اليمامة، وهم أربعة آلاف رجل مقاتل(٣).

﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾ ويرجعون عن الكُفر ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ الولي حينئذ، وهو أبو بكر، وتخرجون إلىٰ القتال بأمره ﴿يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ﴾ ثوابًا جزيلاً في الآخرة، وهو الجنَّة والغنيمة في الدنيا ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ عن القتال وتخالفوا الولي ﴿كَمَا تَوَلَّيۡتُم﴾ عن طاعة رسول الله ﴿مِّن قَبۡلُ﴾ حين لم يخرجوا إلىٰ الحديبيَّة ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦﴾ في الآية دلالة علىٰ خلافة أبي بكر رضي الله عنه(٤).

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٢١٦.

(٢) وهذا الذي ذكره الطبري في تفسيره ٢٢/ ٢١٨، وأبو الليث في تفسيره ٣/ ٣١٦.

(٣) وقيل: فارس والروم (تفسير أبي الليث ٣/ ٣١٦، الكشف والبيان ٢٤/ ٢٤٧).

(٤) لأن أبا بكر هو من قاتلهم.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ أن لا يغزو، لأنه لا يُبْصِر مَن يقاتل ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ﴾ وهو المُقْعَد، لأنه لا يستطيع المشي ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ﴾ لأنه لا يطيق الجهاد ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في باب الجهاد ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن الجهاد ﴿يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٧﴾ ثم أثنىٰ علىٰ الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة فقال:

﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وهي شجرة السمرة في الحديبية، لصدقهم وإخلاصهم ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ من الصدق والكراهة ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ والطمأنينة والرحمة ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ أي: جازاهم علىٰ الصبر والإخلاص فتح خيبر.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ﴾ سِوىٰ فيء خيبر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٩﴾ حكم بالقتل والسبي علىٰ أهل خيبر.

ثم قال ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا﴾ يا أصحاب محمد في حياة النبي صلىٰ الله عليه وسلم وبعده ﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ﴾ يعني به أهل مكة في غزوة الحديبية، عن الضحاك(١).

وقيل: إن بني أسد وغطفان جاءوا لنُصرة أهل خيبر، فوقع في قلوبهم الرعب، فانصرفوا بلا قتال بمنَّة الله ومشيئته(٢).

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: عبرة، وهي فتح خيبر علىٰ أيديهم وقد وعد الله لهم ذلك قبل الفتح ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢٠﴾ وليزدادوا تصديقًا

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٣١.

(٢) وعن قتادة: كف أيدي الناس عن بيوتهم وعيالهم بالمدينة، حين ساروا إلىٰ الحديبية وخيبر، وكانت خيبر في ذلك الوجه، ورجحه ابن جرير (تفسير الطبري ٢٢/ ٢٣١).

بالإسلام لمَّا رأوا إنجاز وعد الله تعالىٰ.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ أي: غنائم بعد غنيمة خيبر وعدكم أيضًا، لم تقدروا عليها، أي: لم يظفروا بها بعد، ولكن أحاط الله بها بأنها ستكون.

ابن عباس: هي رومية وعمورية وقسنطنطية ومدائن فارس ومدائن الشام(١).

وقال الضحاك: هي مكة(٢).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من فتح المدائن وغيرها ﴿قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عام الحديبية أو بعده ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ منهزمين، يعني: أسد أو غطفان، وقيل: أهل مكة(٣) ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ﴾ لأنفسهم ﴿وَلِيًّا﴾ بعد توليهم ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾ ينصرهم من القتل والعذاب.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ نصب على المصدر، أي: سنَّ الله سُنَّة هزيمة الكفار ونُصرة الأنبياء علىٰ الأعداء، إلا ما شاء الله(٤) ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ وتغييرًا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالأبطح في طريق المدينة، يعني الحديبية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ لأنَّ أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أخذوا جماعة من أهل الحرم في عام الحديبية، فمنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عليهم وأرسلهم.

---

(١) رواه الطبري ٢٢/ ٢٣٢.

(٢) وهو قول قتادة، كما في تفسير الطبري ٢٢/ ٢٣٢، ورجحه علىٰ سائر الأقوال.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣١٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦.

وعن قتادة: أنَّ رجلاً من المسلمين اطلع علىٰ ثنية الحديبية فرماه المشركون وقتلوه، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فرسانًا حتىٰ أخذوا منهم اثني عشر رجلاً، ثم أرسلهم رسول الله[١].

وقيل: كانوا خرجوا إلىٰ قتال رسول الله فهزمهم المؤمنون بالنبل حتىٰ أدخلوهم بيوت مكة.

ثم بيَّن الله تعالىٰ السَّبب الذي كفَّ أيدي المؤمنين عن الكافرين بعد التمكين منهم، بقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ الآية.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من الصلح وغيره ﴿بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

ثم قال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن تطوفوا به ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي: صدُّوا الهَدْي أن يبلغ مذبحه، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أهدىٰ في تلك العمرة في ذي القعدة مائة بدنة، فمنعوه أن يبلغ امذبح، فنحرهنَّ بالحديبية، وبيَّن الله علةً في تجويزه الصلح معهم فقال: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ بمكة، كانوا يكتمون إيمانهم من كفار مكة ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي: لم تعرفوهم، وفي الآية تقديم وتأخير، المعنىٰ: ولولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات لم تعلموهم فتطؤوهم بغير علم، أي: تقتلوهم، وجوابه محذوف، معناه: لنصرناكم، وقيل: لأدخلناكم بغير علم[٢].

﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: دية بسبب قتلهم[٣].

---

(١) انظر الروايات في ذلك في تفسير الطبري ٢٢/ ٢٣٦، والكشف والبيان ٢٤/ ٢٧٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥٨٢٧.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣١٨، الكشف والبيان ٢٤/ ١٠٣.

وقيل: تعيير الكفار، لأنهم يقولون: قتلوا أهل دينهم وغير أهل دينهم[(١)].

والمسلمون بمكة كثير، وأشهرهم: الوليد بن الوليد، ومسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، وأبو جندل بن سهل، وأسلم من أهل مكة إلىٰ العام القابل اثنان وسبعون نفسًا؛ من بين رجل وامرأة، فذلك قوله: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ أي: في دينه إلىٰ العام المقبل.

ثم قال: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ معناه: لو تميَّز المؤمنون منهم؛ ولم يكونوا مختلطين ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ منهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥﴾ يعني السيف.

﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ﴾ يعني: الكِبر ﴿حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ يعني: حميَّة الجهلاء لا حميَّة العقلاء، وهو منع رسول الله عن دخول مكة؛ لأنهم قالوا: إنْ دخل محمد مكة عنوة يكون لنا سُبَّة[(٢)].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ حتىٰ اطمأنوا بها ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ ألهمهم كلمة أن لا إله إلا الله ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ في اللوح المحفوظ.

وقيل: هو بسم الله الرحمن الرحيم، لأنَّه اختص به هذه الأمَّة، فكانوا أحق بها وأهلها[(٣)].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ من أمور العباد ومصالحهم ﴿عَلِيمًا ٢٦﴾.

---

(١) حكاه ابن الجوزي نقلا عن جماعة من المفسرين (زاد المسير ٤/ ١٣٦).

(٢) وقيل: حميتهم أنهم لم يقروا بسم الله الرحمن الرحيم، وطلبوا أن يكتب: بسمك اللهم (تفسير الطبري ٢٢/ ٢٥٢).

(٣) وهو قول الزهري (تفسير الطبري ٢٢/ ٢٥٥)، والأكثر علىٰ أن كلمة التقوىٰ هي كلمة التوحيد.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: لقد حقق الله رسوله رؤياه التي رآها بالمدينة حقًّا، لأنَّه رأىٰ في المنام أنه دخل مكة مع أصحابه مقصِّرين ومُحلِّقين، ففرحوا برؤياه، فلما مُنع عن دخول مكة قالوا: يا رسول الله، ألم تخبرنا أنك رأيت في المنام كذا وكذا؟ فقال: نعم، ولكن ما قلتُ لكم في هذا العام، إن لم يكن في هذا العام يكون في عام آخر[1]، فكانوا ينتظرون ذلك، والمنافقون يرتابون، والمؤمنون دخل في نفسهم شيء أيضًا، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ [مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ]﴾ مِن القتل تسكينًا لقلوب المؤمنين.

فلما كان العام القابل ذهب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ عمرة القضاء، وأخلىٰ أهل مكة دُورَهم ومنازلهم ثلاثة أيام، وفتحوا البيت لهم، فدخلوا مكة وطافوا بالبيت محلِّقين رؤوسهم ومقصِّرين، لا يخافون أحدًا من المشركين.

وقوله ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ أي: علم الله ما لم تعلموا لأنكم جادلتم الرسول في رؤياه، ولم تعلموا أنه متىٰ يكون ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ أي: قبل عمرة القضاء فتحًا قريبًا، وهو فتح خيبر، وقد مكث رسول الله

---

(١) في حديث المسور ومروان الطويل: قال عمر: «أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلىٰ، فأخبرتك أنا نأتيه العام»، قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلىٰ، قلت: ألسنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل؟ قال: بلىٰ، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه علىٰ الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلىٰ، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به» (لفظ البخاري في صحيحه ٢٧٣١).

صلىٰ الله عليه وسلم بعد رجوعه من الحديبية خمسة عشر ليلة، ثم سار إلىٰ خيبر.

وقوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﴿بِٱلۡهُدَىٰ﴾ التوحيد ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ يعني: الإسلام، لأنَّ كل دين غير الإسلام باطل ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾ بالبرهان، والذي جاء معه من الله عز وجل، لأنَّ الله تعالىٰ قضىٰ له أن يكون غالبًا علىٰ مَنْ خالفه.

وقال مجاهد: هذا عند نزول عيسىٰ، لأنه لم يبق هناك في الأرض دين سوىٰ دين الإسلام.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾ علىٰ ذلك، ولا شاهد أفضل.

ثم قال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ فمحمد مبتدأ ورسول الله نعت له، والذين معه: معطوف علىٰ محمد ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ خبر المبتدأ، فجعل نبيه وأصحابه كلهم أشدَّاء علىٰ الكفار، فيهم الغلظة والعُنف في أمر الكفار.

﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: متوادين فيما بينهم، يدعو الصالح علىٰ الفاسق والفاسق علىٰ الصالح ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ في أداء الصلاة الخمس ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ أي: يطلبون برأفتهم بعضهم علىٰ بعض، وغلظتهم علىٰ الكفار؛ رضا الله وطلب ثوابه يوم الجزاء ﴿سِيمَاهُمۡ﴾ أي: علامتهم ﴿فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ ابن عباس: هو الحِلم والعفاف، واللين في الكلام، وحُسن السمت من كثرة الصلاة بالليل.

إذا رأيتهم يا محمد عرفت أنهم من أهل الصلاة، وهذا كما قال رسول الله

صلىٰ الله عليه وسلم: «من كثرت صلاته بالليل حَسُنَ وجهه بالنهار»[١].

وقيل: يُرىٰ أثر السجود والعلامة في وجوههم يوم القيامة[٢].

وقال عكرمة: سيماهم في وجوههم أنهم غُرٌّ محجَّلون في القيامة[٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر حليتهم وَ ﴿مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ وهاهنا وقف تام، ثم ابتدأ وقال: ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ﴾ أي: كمثل زرع ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ أي: سُنبله.

وقيل: هو فراخ الزرع، فكان الزرع أول ما يخرج دقيقًا ضعيفًا، ثم يتقوَّىٰ بفراخه، ويغلظ ساقه، فكذلك محمد صلىٰ الله عليه وسلم خرج فريدًا، ثم لحق به الرجل والرجلان والثلاثة، حتىٰ صاروا جيشًا، يُفتتح بهم البلاد، وكان بمثل الزرع يخرج ضعيفًا دقيقًا.

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: أعانه وقوَّاه بالشطأ الذي يخرج من جوانبه[٤].

وقيل: شاطئ الوادي أي جوانبه[٥].

﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ والسُوق: جمع ساق، أي: علىٰ قضيبه، وهو قضيب الزرع.

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن١٣٣٣، وهو حديث لا أصل له، إنما هو من قول شريك قاله لثابت بن موسىٰ الزاهد لما دخل عليه، فظنه حديثا فرواه، وقد بين ذلك أبو عبد الله الحاكم في المدخل إلىٰ معرفة كتاب الإكليل، وهو مطبوع بتحقيقنا، والحمد لله.

(٢) الكشف والبيان ٢٤/ ٣١٧.

(٣) هذا مروي عن ابن عباس و غيره كما في تفسير الطبري، والذي رواه ابن جرير عن عكرمة: قال هو أثر التراب (تفسير الطبري ٢٢/ ٢٦٤).

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٦٥.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩.

﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ يُفرّح الحُرَّاث حين رآه قائمًا علىٰ ساقه، كذلك محمد وأمته كانوا قليلاً فكثَّرهم الله، فإذا نظر إليهم محمد يفرح بهم.

ثم قال ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ إذا رأوهم مجتمعين في الدنيا، ثم قال ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وأدُّوا الطاعات المفروضات ﴿مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ أي: ثوابًا جزيلاً، وهي الجنة في الآخرة.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الفتح كان ممَّن بايع محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم تحت الشجرة»(١).

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢١٥.

سورة الحجرات

مدنيَّة(١)، وهي ثمان عشرة آية(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ معنىٰ التقديم بين يدي الله ورسوله: العمل بغير أمر الله في شيء من أمر الدين قبل أن يأتي أمر من الله تعالىٰ(٣).

وقال الأخفش سعيد بن مسعدة: يقال فلان تقدَّم بين يدي الأمير إذا تعجَّل بالأمر والنهي دونه، وتقدير الآية: لا تفعلوا فعلاً قبل أن يأمركم الله ورسوله به(٤).

قال الحسن: سبب نزول الآية أنَّ قومًا ذبحوا يوم الأضحىٰ فأُمِرُوا بالإعادة(٥).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ بأقوالكم ﴿عَلِيمٞ ١﴾ بأعمالكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ قال مقاتل: نزلت في

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٤/ ٣٣٣، زاد المسير ٤/ ١٤١.

(٢) بإجماعهم (البيان ٢٣٠).

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٧٢، وقال: يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله، محكي عن العرب فلان يقدم بين يدي إمامه، بمعنىٰ يعجل بالأمر والنهي دونه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه.

(٤) البسيط ٢٠/ ٣٣٩.

(٥) وهو مروي عن جابر بن عبد الله كذلك (الكشف والبيان ٢٤/ ٣٣٦).

ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقرًا، وكان إذا تكلَّم عند رسول الله رفع صوته، فنهاه الله عن ذلك(١).

﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ لا تدعوه باسمه يا محمد ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ كما يدعوا الرجل منكم غيره باسمه: يا فلان، ويا فلان، ولكن عظِّموه ووقِّروه، وسمُّوه باسم النبوَّة، وقولوا: يا نبيَّ الله، ويا رسول الله(٢) ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ معناه: أنْ لا يحبط أعمالكم وحسناتكم بجهركم له القول ورفع الصوت عنده

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٢٥٨.

والصحيح أنه ليس سبب النزول، لكن حصلت له قصة بعد النزول، فروىٰ الطبري في تفسيره ٢٢/ ٢٧٨: عن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن شماس، عن أبيه، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ قال: قعد ثابت في الطريق يبكي، قال: فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: لهذه الآية، أتخوف أن تكون نزلت في، وأنا صيت رفيع الصوت قال: فمضىٰ عاصم بن عدي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال: وغلبه البكاء، قال: فأتىٰ امرأته جميلة بنة عبد الله بن أبي بن سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي، فشدي علىٰ الضبة بمسمار، فضربته بمسمار حتىٰ إذا خرج عطفه وقال: لا أخرج حتىٰ يتوفاني الله، أو يرضىٰ عني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم; قال: وأتىٰ عاصم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره خبره، فقال: اذهب فادعه لي، فجاء عاصم إلىٰ المكان، فلم يجده، فجاء إلىٰ أهله، فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يدعوك، فقال: اكسر الضبة، قال: فخرجا فأتيا نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: أنا صيت، وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أما ترضىٰ أن تعيش حميدا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة؟ فقال: رضيت ببشرىٰ الله ورسوله، لا أرفع صوتي أبدا علىٰ رسول الله، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ الآية.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٧٧.

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ ببطلانها، هذا خطاب المنافقين كما قال في آية أخرىٰ ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ﴾ الآية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قال الكلبي: لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ بكىٰ ثابت بن قيس، وقال: يا رسول الله، لا أخاطبك إلاَّ سرًّا، فمدحه الله تعالىٰ وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ في الكلام.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ﴾ أي: أخلص الله ﴿قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ للطاعة ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ في الدنيا ﴿وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ ثواب وافر في الجنة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ نزلت في بني العنبر[1]، من خزاعة[2] وقد بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سريَّة، أميرهم عيينة بن حصن[3] بن بدر الفزاري، فانهزم بنو العنبر، وأخذت السريَّة ذراريهم وعيالاتهم وحملوهم إلىٰ المدينة، فأتىٰ رجالهم المدينة ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في وقت الهاجرة في القيلولة، فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات، أي: خلف الحجرات: يا محمد اخرج إلينا، وفادنا عيالاتنا، فانتبه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وخرج إليهم، وهو يمسح عينيه، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤﴾ لا يفهمون عن الله نهيه.

---

(١) في الأصل: بني العزىٰ، وهو تصحيف، وسيأتي علىٰ الصواب.

(٢) كذا في الأصل، وهو تفسير الكلبي، وأن بني العنبر من خزاعة (تنوير المقباس ٤٣٥). والعجب منه مع علمه في الأنساب، فإن بني العنبر المرادين هنا هم من تميم (تفسير أبي الليث ٣/ ٣٢٤).

(٣) في الأصل: حصين، وهو تصحيف.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ ولم ينبهوك عن النوم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قيل: معناه أعتقتهم كلهم ولم تفادوا منهم شيئًا، ففادىٰ نصفهم وأعتق نصفهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ أي: يغفر لهم لما فعلوا جهلاً لأنهم أعراب، ورحمهم حين لم يعجِّل بعقوبتهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ نزلت في الوليد بن عقبة، بعثه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ بني المصطلق مصدِّقًا، وهم حي من خزاعة، فسار إليهم وسمع في الطريق أنهم خرجوا إليه ليقتلوه، فخاف، ورجع لعداوة كانت بينه وبينهم في الجاهلية، وأتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأخبره أنهم منعوا الزكاة، وقصدوا قتلي، فغضب رسول الله غضبًا شديدًا، وهمَّ أن يغزوهم، فبينا هم كذلك إذ قدموا وقالوا: يا رسول الله، سمعنا بإتيان الوليد إلينا فخرجنا نتلقاه، فبلغنا أنه رجع، ولا نعرف له سببًا، فخشينا أن رجوعه لغضب غضبت علينا يا رسول الله، فنعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ولم يُصدِّقهم، فنزلت الآية(١).

﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ أي: خبر عن قوم فتبينوا، أي: تعرَّفوا وتوقفوا ولا تعجلوا بتصديق خبره.

﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ كيلا تُهلكوا قومًا بجهل منكم ﴿فَتُصْبِحُوا۟﴾ أي: تصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ مِن قتلهم.

---

(١) رواه ابن جرير من عدة طرق (تفسير الطبري ٢٢/ ٢٨٦)، وقال الشيخ ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ صدقات بني المصطلق. وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق، وهو الحارث بن ضرار، والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ حين حرَّضتموه علىٰ قتال بني المصطلق ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ أي: أثمتم، والعنت الفساد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: في هذه الآية وجوه شبهة وإشكال:

إحداها: أنه قال: ﴿فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ فالرسول هو المُطَاع، فكيف يكون مُطيعًا لأمَّته؟.

والثانية: أنَّه أضاف العنت إليهم، والعنت الإثم، فكيف يأثمون بفعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وظاهر الحكم أنَّ الفاعل أولىٰ بالإثم من الآمر إذا لم يكن مجبراً.

والثالثة: أنَّه قال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ فكيف يستقيم نظام هذا الكلام مع الكلام الأول، فهذه شُبَهٌ.

وقد تأملت فيها طويلاً، وطلبتُ لدرك معناها مخرجًا وسبيلاً، وشاهدت الأصول، وطالعتُ الفصول، فلم ينكشف لي معنىٰ الآية علىٰ أوجز العبارة ما يطمئن قلبي عليه، وقد اتضح لي مقدار ما أوردته، وصدري مع ذلك متخلج، ونوع من الشبهة كأنها باقية.

أمَّا مطاوعة الرسول لأمته [فـ]ـهو الإجابة إلىٰ ملتمسهم، علىٰ سبيل التواضع وحُسن الخلق، الذي هو من صفة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم.

وإضافة العنت إليهم بفعل رسول الله لأنَّ ذلك الفعل بناء علىٰ سبب تحقق من جهتهم، ولم يعلم رسول الله بتحقيق ذلك السبب وعدمه قطعًا، لأنَّ الوليد بن عقبة أخبره بعصيان بني المصطلق، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عليه قصد غزوهم بناء علىٰ خبَره، ولم يكن ذلك الخبر صدقًا.

ووجه توقيع الآية بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ ومعناه: لو يطيعكم في كثير من الأمر الذي تلتمسون منه لعنتم وأثمتم ووقعتم في الفساد؛ فلا تطلبوا منه ذلك، ولكنَّ الله حبَّب إليكم الإيمان وأعزَّكم بالإسلام.

﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ لكي تطيعوا أنتم الرسول، ولكن: زائدة في الكلام، وأصله: لا النفي، وكاف الخطاب، وإنَّ المشدَّدة في آخره، وهو ابتداء جيد، لا ليطيعكم رسول الله[1].

ثم قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ انتقال من المخاطبة إلىٰ المغايبة، وقد مرَّ مثله من قريب.

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ أي: ذلك كان بفضل الله وبنعمته، فكان نصبًا علىٰ الظرف أو علىٰ نزع الخافض ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ في اختيار مَن اختاره، وخذلان مَن خذله.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قيل: إنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ركب حماره يومًا فمرَّ علىٰ عبد الله بن أُبي المنافق، فوقف عنده، فراث حماره، فأخذ عبد الله بن أُبي المنافق أنفه، وقال: عليك بحمارك عن وجه الريح فقد أذاني، فقال عبد الله بن رواحة: ألِحمار رسول الله تقول هذا، والله إنَّ حمار رسول الله أطيب منك عَرْفًا وعرضًا، فاستبَّا بهذا السبب واقتتلا، وحضر رهط كل واحد منهم للاقتتال، وهما الأوس والخزرج، وهمَّ رسول الله أن يحجز بينهم، فلم يقدر، فنزلت الآية[2]، وأمر بالصلح، فإنْ أبوا عن الصلح وبغىٰ أحدهما علىٰ الآخر ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: ترجع إلىٰ أمر الله وهو الصلح

---

(١) وهذا غريب، انظر: البسيط ٢٠/ ٣٣٥٠، الدر المصون ١٠/ ٨.

(٢) رواه البخاري ٢٦٩١ ومسلم ١٧٩٩ عن أنس.

﴿فَإِن فَآءَتۡ﴾ الباغية إلىٰ الصلح ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ أي: أقسطوا واعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾ وكان قوم عبد الله بن رواحة هم الأوس، وقوم عبد الله بن أُبي هم الخزرج.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ يعني: عبد الله بن أُبي وعبد الله بن رواحة، وإنما سمَّاهما أخوين وإن كان أحدهما منافقًا لأنَّ المنافق في الظاهر متحلٍّ بحُليِّ أهل الإيمان، وكانت الصحابة لا يُسمُّون المنافق مشركًا لحُرمة الشهادة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما نهاكم، وائتمروا بما أمركم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠﴾ ولا تُعذَّبون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ نزلت في ثابت بن قيس، دخل علىٰ قوم فوسَّعوا له في المجلس، إلا رجل واحد، فعيَّره ثابت بأمه بشيء ذكره(١).

وقوله: ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾ قيل: نزلت في عائشة هزأت بأم سلمة من قصرها(٢).

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ يعني المُسخرَات خيرًا من الساخرات، وكذا في الرجال.

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ لا تعيبوا إخوانكم المؤمنين، لأنكم كنفس واحدة.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٢٧، والكشف والبيان ٢٤/ ٣٧٤، وهو من رواية الكلبي عن ابن عباس فيما يظهر.

(٢) الكشف والبيان ٢٤/ ٣٧٦، وهو كسابقه.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ أي: لا يُلقِّب بعضكم بعضًا بالاسم المعيَّب المنكر، وقيل: لا يُعيِّر بعضكم بعضًا بالملَّة التي كانت له قبل الإسلام(١).

﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ أن يقال لليهودي الذي أسلم: يا يهودي، أو النصراني الذي أسلم: يا نصراني(٢) ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ يعني جميعه.

وقيل: كثيرًا من الظن أي ظن السوء(٣).

﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ فيه دليل علىٰ أنه أراد ظن السوء ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ أي: لا تبحثوا من الأمور في عيوب إخوانكم ما غاب عنكم علمه ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ وهو: أن تذكر من أخيك في غيبته ما لو سمعه يكرهـ[ـه].

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ يعني: كما كرهتم ذلك فاكرهوا الغيبة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ أي: انتهوا عما نهاكم وتوبوا إلىٰ الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾ أي: رؤوس القبائل مثل مضر وربيعة وتميم، وقبائل أي: للأفخاذ مثل بني سعد وبني عامر ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ أي: ليعرف بعضكم بعضًا ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ يعني أخوفكم من الله وأطوعكم.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٩٩.

(٢) وهو قول عامة المفسرين، كما في تفسير الطبري ٢٢/ ٣٠٢، البسيط ٢٠/ ٣٥٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٢٨، وفيه: وقال سفيان الثوري: الظن ظنان: ظن فيه إثم، وظن لا إثم فيه؛ فالظن الذي فيه إثم، أن يظن ويتكلم به؛ وأما الظن الذي لا إثم فيه، فهو أن يظن، ولا يتكلم به، لأنه قال: «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» ولم يقل: جميع الظن إثم.

قيل: نزلت في بلال، عَيَّرَهُ جماعة من قريش حين أذَّن علىٰ ظهر الكعبة يوم الفتح، والآية نزلت بعد الهجرة بمكة، وهي مدنية(١).

وقيل: نزلت في ثابت بن قيس حين عيَّر ذلك الرجل بأُمِّه(٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ بما يفسد ذات بينهم فتولَّىٰ إرشادهم.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ قال مقاتل: نزلت في أعاريب جُهينة ومُزَينة وأسلم وغفار، كانت منازلهم بين مكة والمدينة، فإذا مرَّت بهم سَرِيَّة من سرايا رسول الله قالوا: نحن آمنا، ليأمنوا علىٰ دمائهم وأموالهم، قال الله تعالىٰ: قالت الأعراب مِن هؤلاء: آمنا وأقررنا بالإيمان والصلاة والزكاة.

﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ بقلوبكم ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا﴾ لنصيب من رزقكم، ونتحرَّم بحرمتكم ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وهذه الآية تدل علىٰ التفرقة بين المسلم والمؤمن، لأنَّ الإسلام: إظهار الخضوع، وقبول ما أتىٰ به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، وبذلك يُحقن الدم، فإن كان مع ذلك اعتقادٌ وتصديقٌ بالقلب فهو إيمانٌ.

ثم قال: ﴿وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما فرض الله عليه وسنَّ رسوله عليكم ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينقصكم من أعمالكم شيئًا، وقُرِئ: «لا يلتكم» من لات يليت، وهما لغتان(٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب من نفاقه ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ بهم بعد الإخلاص.

---

(١) وهي رواية مقاتل (تفسير أبي الليث ٣/ ٣٢٩).

(٢) وهي رواية الكلبي (تفسير أبي الليث ٣/ ٣٢٩).

(٣) ضبط الآية في الأصل: يألتكم، بالهمز، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون كما أثبت، والتفسير الأول علىٰ قراءة البصريين (النشر ٢/ ٣٦٧).

ثم نعت المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ الكفار ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعزاز دينه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الأعراب من جهينة ومزينة، وقيل: من بني الحلاَّف ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي: تخبرونه بما في ضمائركم واعتقادكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الغيب ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ من سر أهل السماوات والأرض، وأديان العباد.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ﴾ بإسلامكم، إنَّما هو مغفرة لذنوبكم ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾ وعرَّفكم[1] ﴿لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ في إيمانكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: غيب ما يكون بين الملائكة، وغيب ما يكون بين الآدميين من التصديق والتكذيب ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ من خيرٍ أو شرٍ يجزيكم بها.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الحجرات أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله وبعدد من عصاه»[2].

---

(١) في الأصل: وعرفكم الإيمان.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ٣٣٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٦.

سورة ق

مكيَّة[١]، وهي خمس وأربعون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قٓ [وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ] ①﴾ قال ابن عباس: ق جبل أخضر محدق بالدنيا، من زبرجدة خضراء، محيط بالعالم، ليس في الأرض بلدة ولا مدينة إلا وفيها عِرق من عروقه، ومَلَكٌ موكَّلٌ واضعٌ كفه عليه، فإذا أراد الله بقومٍ هُلكة أوحىٰ الله إلىٰ ذلك الملك أنْ يقبض عِرقًا منه فخسف بهم[٣].

---

(١) الكشف والبيان ٢٤/ ٤١٧، زاد المسير ٤/ ١٥٦.

(٢) بلا خلاف بينهم (البيان ٢٣١).

(٣) وهو مما لا تصح روايته عن ابن عباس، لأنه أشبه برواية الكلبي ومقاتل عنه، وقد رواه ابن أبي حاتم بإسناد منقطع في أوله، وفي آخره رواية ليث عن مجاهد عن ابن عباس، وهذا إسناد منكر، والظن أن ليثا تلقفه من رواية الكبي ومقاتل، فرواه عن مجاهد، فقد كان ليث ضعيف الحديث، وهذا الخبر رواه الكلبي عن ابن عباس والضحاك (انظر: تفسير أبي الليث ٣/ ٣٣١، زاد المسير ٤/ ١٥٧).
وقد تقدم مذهب ابن عباس في الحروف المقطعة، وروىٰ عنه الطبري من طريق ابن أبي طلحة أنه قال: ق وَ ن قسم واسم (تفسير الطبري ٢٢/ ٣٢٥).
وساق ابن كثير (في تفسيره ٤/ ٣٩٤) حديث ابن أبي حاتم بإسناده، ثم قال: وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأىٰ من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أنَّ هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به علىٰ الناس أمر دينهم، كما افتري في هذه الأمة -مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها- أحاديث عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وما بالعهد مِنْ قِدَم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدىٰ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله:

وقال الزجاج: معنىٰ «ق» قُضي الأمر، كما قيل في «حم»: حُمَّ؛ أي: قُدِّر الأمر، وجواب القسم محذوف، ومعناه: ق والقرآن المجيد لتُبعثن، عن الزجاج[١].

وقال علي بن الحسين بن واقد: جوابه أن محمدًا رسول الله[٢].

وقيل: أقسم الله بقوته وقدرته.

ثم ابتدأ فقال: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: عجبتْ قريش أنْ جاءهم رسولٌ من العرب يخوفهم ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ الذي تخوفنا من البعث ﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ بعد الموت نُبعث ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ أي: رَدٌّ غير كائنٌ.

قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: تأكل من لحومهم كل يوم ﴿وَعِندَنَا﴾ مع علمنا بذلك ﴿كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤﴾ من الشياطين، وهو اللوح المحفوظ[٣].

«وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم عليه بالبطلان، ويغلب علىٰ الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل ، وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلىٰ أخبارهم، ولله الحمد والمنة، حتىٰ إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، رحمه الله، أورد هاهنا أثرا غريبا لا يصح سنده عن ابن عباس -ثم ساق خبر ابن أبي حاتم- ثم قال: فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع، والذي رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: «ق» قال: هو اسم من أسماء الله عز وجل، والذي ثبت عن مجاهد: أنه حرف من حروف الهجاء، كقوله: (ص، ن، حم، طس، الم) ونحو ذلك. فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس.

(١) ملخص من معاني القرآن له ٥/ ٤١، ونحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٥.

(٢) ذكر الثعلبي عدة أجوبة ليس منها هذا (انظر: الكشف والبيان ٢٤/ ٤٢٤، البسيط ٢٠/ ٣٧٨).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٣٢.

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ أي: لم يُقرُّوا بل كذَّبوا بمحمدٍ والقرآن ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾ مختلط ملتبس عليهم، مرة يقولون: هذا ساحرٌ، ومرةً يقولون شاعرٌ وكاهنٌ ومجنون.

ثم دلَّهم بقدرته على البعث[1] فقال: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ خلقناها ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾ أي: صدوع وخلَل ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ أي: بسطناها على وجه الماء ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ بعدما كانت تنكفِئ بأهلها كالسفينة تتكفؤ بركبانها، فصارت الجبال بثقلها أوتادها، أثبتها الله في الأرض كيلا تميد بهم ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧﴾ أي: من كل لونٍ حسن مبهج سار حسن في العيون.

﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾ نصب على الفعل[2]، والمعنى: أنبتنا عبرة للعباد، وذكرى، أي: عظةً ﴿لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ إلى الله تعالى.

﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾ فيه بركات لأن منه حياة كل شيء ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾ بالمطر ﴿جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩﴾ هما اسمان أُضيف أحدهما إلى الآخر، مثل: حبل الوريد، وحق اليقين.

وحب الحصيد معناه: حب الزرع الحصيد، أي[3] الحبوب التي تُحصَد، وهو جميع[4] ما يُقتات به[5].

---

(١) في الأصل: النعت، وهو تصحيف.

(٢) وهو مصدر، أي: فعلنا ذلك لنبصركم (معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٣، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٧).

(٣) في الأصل: أيضا، وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: جمع.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٦، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٧، البسيط ٢٠/ ٣٨٥.

﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ أنبتنا بالمطر النخيلَ الطوال، وبُسُوقها طولها[١].

﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠﴾ أي: ثمر منضود متراكب بعضها على بعضٍ، مادام في غلافه[٢]، فإذا خرج فليس بمنضودٍ.

﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾ أي: خلقنا ذلك لرزق العباد ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾ يابسًا لا نبات فيه ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١﴾ أي: كما خلقنا هذه الأشياء كذلك خروجكم من القبور يوم النشور.

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ كما كذَّبك قومك ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ قيل: الرَّس بئرٌ دون اليمامة، وكان نبيهم حنظلة بن صفوان[٣].

وقيل: قوم شعيب، وقد سبق تفسيره.

﴿وَثَمُودُ ۝١٢﴾ قوم صالح.

﴿وَعَادٞ﴾ قوم هود ﴿وَفِرۡعَوۡنُ﴾ وأهله قوم موسىٰ ﴿وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ۝١٣﴾ قُريَّاته.

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ قوم شعيب ﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ﴾ بن شراحبيل الحميري، وكان مسلمًا مَلِكًا، واسمه أسعد، سُمي تُبَّعًا لكثرة تبعه علىٰ عادة ملوك اليمن، أسلم حين غزىٰ المدينة علىٰ يدي فتيان من فَدْك، وهم ستة نفر أبناء حَبْر أخبروه بأنَّ يثرب مهاجر نبي آخر الزمان، وقصد مكة، فأخبروه أنَّها مولدهن فرجع إلىٰ حمير بعد ما أسلم، وخرج عليه جيشه وقصدوا قتل هؤلاء الفتيان، فجاءت نارٌ فأحرقتهم، فأظهر تُبَّع إسلامه[٤].

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٣٤.

(٢) وغلافه هو الكُفُرىٰ (تفسير الطبري ٢٢/ ٣٣٦).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٣٤، الكشف والبيان ٢٤/ ٤٣٩، وانظر تفسير سورة الفرقان، آية: ٣٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٣٧، تفسير أبي الليث ٣/ ٣٣٤، الكشف والبيان ٢٤/ ٤٤٠، وفي هذا الموضع يذكر المفسرون -في الغالب- الخلاف في تبع، وهل كان نبيًّا أم لا، وانظر: تفسير سورة الدخان، آية:٣٧.

ثم قال: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤﴾ أي: وجب عذابي ونزل بهم.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ وهو جوابٌ لقولهم: أإذا متنا وكنا ترابًا نُبعث؟ معناه: لم نعجز عن خلق آدم، ولم يك شيئًا، فكيف نعجز عن الخلق الثاني، وهو البعث، ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي: شكٍ وجهلٍ ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١٥﴾ وهو البعث، وقيل: الخلق الأول في الأرحام، والآخر البعثُ[1].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ في بطن أُمِّه طورًا بعد طور ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ أي: تُحدِّثه به نفسه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ١٦﴾ وحبل الوريد: عِرقٌ يجري فيه النفس ولا يجري فيه الدم[2]، وهو مستبطن الصلب تحت العِلْبَاوَيْن[3]، ويقابلهما: الوَدَجَان[4]، وهما عن يمين نُقْرَة النَّحْر ويسارهن يجري فيهما الدم، ولو أصابهما أدنىٰ شيءٍ يهلك الإنسان، وبعض العروق جداول: كالأكحل والأبجل والصافن، وهي التي تفصد، والأبجل في الفخذ، والصافن في الساق، والأُسيلم[5] في ظهر الكف[6]، والباسِليق والقِيفال فهو لأكحلها[7] جداول[8].

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٤٠.

(٢) البسيط ٢٠/ ٣٩١.

(٣) العلباوان مثنىٰ العلباء، وهو عصب العنق، وهما علباوان يمينا وشمالا، وبينهما منبت العنق (لسان العرب ١/ ٦٢٧).

(٤) الودجان مثنىٰ ودَج، وهما عرقان متصلان من الرأس إلىٰ السحر، والوريدان بجنب الودجين، فالودجان من الجداول التي تجري فيها الدماء، والوريدان النبض والنفس (لسان العرب ٢/ ٣٩٧).

(٥) في الأصل: الإسليم، وهو تصحيف، انظر: الجمهرة لابن دريد ٢/ ٨٥٩، ولم يأت إلا مصغرا، كما في لسان العرب ١٢/ ٢٩٩، تاج العروس ٢٣/ ٣٨٧.

(٦) الإسيلم والباسليق والقيفال كلها معربة، كما في مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٨١، ١٨٢.

(٧) في الأصل: لآكلها، وهو تصحيف. والأكحل هو نهر البدن (تفسير السمعاني ٥/ ٢٣٩).

(٨) تهذيب اللغة ١١/ ٧٠، لسان العرب ٣/ ٤٥٩.

والمعنىٰ: نحن أقرب إليه في المثل من بعض جسده، فلم يغب عنَّا ظاهره ولا باطنه(١).

ثم وصف الملكين فقال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ قال الزجاج: التَّلَقِّي هو أخذ الكلام من قائله، كقوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، يقول: يأخذ الملكان الكلام من صاحبه ويكتبانه(٢).

ثم وصف قربهما فقال: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾ ولم يقل قعيدان، لأن ذكر اليمين والشمال دليل علىٰ أنَّ أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال، فاكتفىٰ بذكر أحدهما عن الثاني لوضوح المعنىٰ(٣).

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ أي: لا يتكلم بلفظٍ إلا وعنده رقيبٌ عتيدٌ حاضرٌ، مأخوذٌ من اعتد يعتد إذا استعد، وهي والعتيد بمعنىٰ المُعْتَد،

---

(١) تفسير السمعاني ٥/ ٢٣٩. وفسر الثعلبي والبغوي القرب بالعلم والقدرة، أي نحن أعلم به وأقد عليه (الكشف والبيان ٧/ ٣٩٨، معالم التنزيل ٧/ ٣٥٨).

قال الشيخ ابن كثير (في تفسيره ٧/ ٣٩٨): يعني: ملائكته تعالىٰ أقرب إلىٰ الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله علىٰ العلم فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالىٰ الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: «وأنا أقرب إليه من حبل الوريد»، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ [سورة الواقعة:٨٥] يعني ملائكته. وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]، فالملائكة نزلت بالذكر -وهو القرآن- بإذن الله عز وجل، وكذلك الملائكة أقرب إلىٰ الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله لهم علىٰ ذلك، فللملَك لمة في الإنسان كما أن للشيطان لمة وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾ أي: مترصد.

(٢) معاني القرآن ٥/ ٤٥، وليس فيه تعريف التلقي.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٧، تفسير الطبري ٢٢/ ٣٤٢، الكشف والبيان ٢٤/ ٤٥٣.

كالحكيم بمعنىٰ المُحْكَم[١].

ثم خوَّف العباد بالموت فقال: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: كأنها قد جاءت شدَّته، لأنه شيء كائن ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ أي: تَفِرّ وتحذر منه.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ أي: سَيُنْفخ ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾ بمعنىٰ الموعود ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ أي: سائق يسوقها إلىٰ الموقف، وشهيد يشهد عليها بعملها، وقيل: سائق من الملائكة وشهيد من الأيدي والأرجل[٢].

﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ اليوم في الدنيا ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ أي: رفعنا عن عينك العمىٰ، وأزلنا عنك الشك ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ أي: علمك اليوم نافذ، وليس هذا من بصر العَيْن، كما يُقال: فلان بصير بالفقه والنحو، أريد به العلم[٣].

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي كاتبه: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾ أي: هذا عندي من عمله حاضر أثبته بقول الله تعالىٰ.

﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤﴾ معاندن وهو المُعجب بما عنده، المقيم عليهن المُعْرِض عن الحق.

قيل: هذا خطاب لمالك [خازن] النار، علىٰ عادة العرب، خطاب التثنية للواحد[٤].

وقيل: خطاب للملكين الموكَّلين علىٰ ابن آدم، وهو قول الزجاج[٥].

---

(١) الكشف والبيان ٢٤/ ٤٦١.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٤٨، البسيط ٢٠/ ٣٩٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٥.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٥٣، البسيط ٢٠/ ٣٩٩.

(٥) معاني القرآن ٥/ ٤٥.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: مناعٍ عن الإسلام، يعني به: الوليد بن المغيرة[١]، وقيل: منَّاع المال الذي آتاه الله عن الفقير[٢] ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظلوم علىٰ من قدر علىٰ ظلمه ﴿مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ ذي ريبة وشك.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعني الأصنام ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾.

ثم أخبر عن احتجاج بني آدم وبني إبليس ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ وهو الشيطان الذي يُزَيِّن له عمله ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي: ما أجبرته علىٰ الكفر ﴿وَلَٰكِن﴾ دعوته فأطاعني ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ عن الحق، وهذا كما قال في آيةٍ أخرىٰ حكاية عن إبليس ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ بعد الفراغ من الحساب ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ علىٰ ألسنة الرسل.

وقد قيل: قوله ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ هذا لأهل الشرك، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ لأهل الإيمان.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ قد قضيت ما أنا قاض ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ ولا أعاقب أحد بغير جرم.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ أي: هذه المخاصمة في هذا اليوم، نصب علىٰ الظرف[٣]، والله تعالىٰ قد وعد جهنم أنْ يملأها بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ فسألها: هل امتلأت كما وعدتك؟ ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ قال مقاتل: معناه: ليس فيَّ مِنْ مزيد ولا فيَّ من سعةٍ[٤].

---

(١) وهو قول مقاتل، والآية عامة لا خاصة (تفسير أبي الليث ٣/ ٣٣٦).
(٢) الكشف والبيان ٢٤/ ٤٧١.
(٣) وذكر الزمخشري وجوها أخرىٰ في انتصاب يوم (الكشاف ٤/ ٣٨٨).
(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٢٧٢. في الأصل: فتقول. والآية بالواو ولست بالفاء.

وقيل: إنَّها تطلب زيادة[١].

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قُرِّبت الجنة من الموحِّدين لينظروا إليها قبل دخولها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾ توكيد للأول، كقوله: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾.

ثم قال: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢﴾ الأوَّاب: من يذكر الله في الخلوة، وقيل: هو الذي يُذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب[٢].

والحفيظ: الحافظ لحدود الله، وقيل: هو الذي لا يقوم من مجلس حتىٰ يستغفر الله خيرًا كان أو شرًا[٣].

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ في السر حين غاب عن أعين الناس ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ مُخبتٍ، وقيل: راجع إلىٰ الله عن المعاصي.

يُقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ سلمتم من العذاب الأليم، وغنمتم الفوز العظيم ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤﴾ أي: يوم البقاء إذا دخلوها خلدوا.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ ما يتمنون علينا ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ يستقبلهم ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

قيل: إنَّ الله ينشئ سحابًا يُمطر عليهم الحور العين، فيقلن: نحن ما وعدك الله في الدنيا: «ولدينا مزيد»[٤].

وقال جماعة من أهل التفسير: هو النظر إلىٰ الله عزَّ وجلَّ[٥].

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٨٩.

(٢) وكلاهما مروي عن السلف (تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٤).

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٥، الكشف والبيان ٢٤/ ٤٨٤.

(٤) الكشف والبيان ٢٤/ ٤٨٨.

(٥) وهو قول أنس (تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٧).

ثم رجع إلىٰ ترهيب أهل مكة، فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أُمَّة ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: قوةً ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ سافروا فيها، وطوفوا للتجارات، وقرئ[١]: «فنقِّبوا» علىٰ معنىٰ الأمر[٢].

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ أي: هل نجا من تلك الأُمم أحد.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: عبرة لمن كان له قلب، لمن كان له لُبٌّ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ وإلقاء السمع هو الإصغاء إلىٰ الشيء، ووعيه وفهمه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ أي: حاضر الفهم لا يغيب قلبه[٣].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي: التعب والإعياء.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ لك بأنك شاعر كاهن كذَّاب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: عظِّمه وبجِّله لعرفان نعمته، وقيل: صَلِّ بأمر ربك[٤].

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعني: المغرب والعشاء ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ يعني: ركعتين بعد المغرب، وقيل: دُبُر كل صلاة[٥].

قرأ نافع وابن كثير: «إدبار»، بكسر الألف علىٰ المصدر، والباقون بفتحها علىٰ الجمع[٦].

---

(١) في الأصل: وقيل، وهو تصحيف.
(٢) وهي قراءة السلمي ويحيىٰ بن يعمر، كما في الكشف والبيان ٢٤/ ٤٩٠
(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٧٣.
(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٧٧.
(٥) الكشف والبيان ٢٤/ ٤٩٥.
(٦) قرأ المدنيان وابن كثير وحمزة وخلف: وإدبار، وقرأ الباقون: وأدبار (النشر ٢/ ٣٧٦).

﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾ استمع صفة ذلك اليوم، وأراد بالمنادي: نفخ الصور ﴿مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾﴾ إلىٰ السماء، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب إلىٰ السماء بثمانية عشر ميلاً[1].

ثم بيَّن متىٰ يكون فقال: ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ النفخة الثانية بالصدق ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ من القبور.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ [عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ]﴾ أي: تتصدع عنهم فيخرجون سراعًا ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾﴾ وليس كما زعم الكفار أنَّ ذلك رجعٌ بعيدٌ.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ من إنكار البعث ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ أي: مسلَّط لتُكْرههم علىٰ الإيمان، وإنَّما نزلت السورة بمكة في وقت كان المؤمنون يهربون من الكفار في الغيران، ثم أمر الله بعد ذلك بقتلهم.

﴿فَذَكِّرۡ﴾ أي: عِظْ ﴿بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ أي: انتقامي من الأعداء.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة ق هوَّن الله عليه سكرات الموت»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) روي ذلك عن كعب الأحبار وابن بريدة وقتادة (تفسير الطبري ٢٢/ ٣٨٢، الكشف والبيان ٢٤/ ٥٠٠)

(٢)موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ٤١٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٧.

سورة الذاريات

مكيَّة[١]، وهي ستون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ هي الرياح، عن علي رضي الله عنه[٣].

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ هو السحاب ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾ هو الفُلك ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ هو الملائكة[٤].

وإنما دخل الفاءات في هذه الأشياء للترتيب، لأنَّ الأول يكون الرياح، ثم السحاب الحامل، ثم جريان الماء والسفينة، ثم ما تقسمه الملائكة للعباد من مقادير الماء والبرد.

وهو كلها مجرور بالقسم، كأنه قال: ورب الرياح الذاريات، ورب السحب الحاملات، ورب السفن الجاريات، ورب الملائكة المقسِّمات[٥].

وهو جبريل يقسم الوحي والقرآن علىٰ ما أُمر به، وميكائيل يقسم الرزق، وإسرافيل علىٰ صُوَر الخلق يقسم الصور كيف شاء بأمر ربه، ويقسم النسخ من اللوح المحفوظ، وعزرائيل علىٰ قبض الأرواح، يقسم الموت، فهذه كلها قسم، وجواب القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥﴾ يعني الثواب والعقاب.

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٤/ ٥٠٧، زاد المسير ٤/ ١٦٧.

(٢) إجماعا، البيان في عد آي القرآن ٢٣٢.

(٣) رواه الطبري ٢٢/ ٣٨٦، الكشف والبيان ٢٢/ ٣٨٦، ولا خلاف بينهم في ذلك.

(٤) البسيط ٢٠/ ٤٢٥، زاد المسير ٤/ ١٦٧.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥١.

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ الحساب والجزاء على الأعمال ﴿لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ أي: نازل كائن.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ أي: ذات البناء المحكم، والخلق الحسن، كحبك الماء والرمل إذا أصابتها الرياح، ومثل حبك الشَّعْر الجَعد وحبك الزرع؛ ولكنها لا تُرىٰ لبُعْدها منَّا[١]، وهذا قسمٌ ثان.

وجوابه: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ في محمد، ترمونه بالسحر والشِعر والكَهَانة ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ [مَنْ أُفِكَ]۝٩﴾ أي: يُصرف عن محمد، وقيل: عن القرآن مَنْ صُرِف في علم الله عزَّ وجلَّ[٢].

وقيل: يُكَذب عنه من قد كُذب[٣].

لأنَّ أشراف العرب يبعثون الرسل إلىٰ كفار قريش، ويسألون عن حال محمد، فكانوا يقولون: ساحر كذاب كاهن؛ إنْ لم تروه خيرٌ لكم، فترجع الرسل الذين أرسلوهم فيخبرونهم بما كُذِبوا كَذِبًا عن كَذِب[٤].

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ يعني: الكذَّابون والمرتابون، والخرص: الكذب[٥].

والقتل في اللغة هو: القهر، ولا قهر أعلىٰ وأشد من لعنة الله ولعنة رسوله[٦].

---

(١) الكشف والبيان ٢٤/ ٥١٢، البسيط ٢٠/ ٤٢٨.

(٢) وهو الذي رواه الطبري عن طائفة من السلف، تفسير الطبري ٢٢/ ٣٩٩، البسيط ٢٠/ ٤٣١.

(٣) وهي رواية الكلبي عن ابن عباس، كما في البسيط ٢٠/ ٤٣١.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٤١.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٢.

(٦) صدر المصنف غالبًا عن تهذيب اللغة، ولم يذكر هذا الأزهري في تهذيب اللغة لا في مادة قتل، ولا مادة قهر ٩/ ٦٤، ٥/ ٢٥٧، ولا يكون القتل بمعنىٰ القهر إلا علىٰ بُعد. كقول ابن فارس: القتل أصل صحيح يدل علىٰ إذلال وإماتة (معجم المقاييس ٥/ ٥٦).

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١﴾ أي: في جهالةٍ غافلون عمَّا هو نازلٌ بهم.

﴿يَسۡـَٔلُونَ﴾ محمدًا والمؤمنين ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢﴾ استهزاء وسخرية ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣﴾ أي: يُحرقون وينضجون[١].

ويقول لهم خزنة النار: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ ذوقوا عذابكم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤﴾ إنكارًا له.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ﴾ أي: قابلين ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ﴾ ما أعطاهم الله من الكرامة في الجنة[٢].

وقيل: كانوا عاملين ما أمرهم ربهم من الفرائض[٣].

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦﴾ عاملين بالفرائض والنوافل.

﴿كَانُواْ قَلِيلٗا﴾ أي: مثل هذا العباد كانوا قليلاً، وهاهنا وقف عند جماعة من القراء، ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧﴾ أي: ما كانوا ينامون بالليل، فكان القليل من صفتهم[٤].

وقيل: القليل صفة الليل، كانوا قليلاً من الليل أي: قلَّتْ ليلة ناموا فيها إلىٰ الصباح[٥].

---

(١) في الأصل: وينصحون، وهو تصحيف.

(٢) وهو قول ابن عباس والمفسرين، علىٰ ما قال الواحدي في البسيط ٢٠/ ٤٣٥، وفيه نظر.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٢/ ٤٠٦ عن ابن عباس، وذكره الثعلبي عن سعيد بن جبير في الكشف والبيان ٢٤/ ٥٢٠، ولم يذكرا سواه.

(٤) وتكون ما علىٰ معنىٰ الجحد، وهو قول الضحاك، قال: إن المحسنين كانوا قليلا، ثم ابتدء..، وقد تفرد الضحاك بهذا القول، وهو إلىٰ الشذوذ ما هو (تفسير الطبري ٢٢/ ٤١١) وهذا التمام هو وقف يعقوب البصري (المكتفىٰ في الوقف والابتداء ٢٠٤).

(٥) وتكون ما للجحد أيضا، وعليه الجمهور، أنس وابن عباس وأصحابه، والمراد نفي كثرة النوم عنهم لاشتغالهم إما بصلاة العشاء أو قيام الليل أو الصلاة بين العشائين (تفسير الطبري ٢٢/ ٤٠٧، الكشف والبيان ٢٢/ ٤١١).

﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ للذنوب، وقيل: يُصلُّون، عن الكلبي ومجاهد[١].

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ﴾ أي: حظٌ ونصيبٌ ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ والمحروم: الذي ذهب ماله فحرم بعد الغناء.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ يعني: البحار، والأثمار على الأشجار، والثلوج والأمطار ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ يعني: خلقكم من النطف، ثم خروجكم من بطن الأم طفلاً، ثم صبيًان ثم شابًا، ثم شيخًا، أفلا يدل ذلك على قدرة الله على البعث.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ رزقكم المطر، وما توعدون الثواب لمن آمن، والعقاب لمن كفر.

ثم وكّد هذا الحكم بغاية التأكيد، وهو القسم، فقال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ أي: البعث والثواب والعقاب حقٌ كائنٌ ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ بقول لا إله إلا الله[٢].

وقيل -وهو قولٌ عجيبٌ بديعٌ-: إنه لحقٌّ مثل ما إنكم تنطقون، يعني: مثل ما إنكم ناطقون؛ لأنه ليس على وجه الأرض خلق ناطق إلا بنو آدم، والمعنى فيه: أن الله تعالى يقول: إن لي عليكم التوحيد، ولكم عليَّ الرزق، عملتم أو لم تعملوا، طلبتم أو لم تطلبوا[٣].

---

(١) وابن عمر والضحاك (تفسير الطبري ٢٢/ ٤١٢). وقيل: هو الاستغفار من الذنوب.
(٢) وغيره، وهذا هو المعروف عند المفسرين، كما في تفسير الطبري ٢٢/ ٤٢٢، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٤.
(٣) البسيط ٢٠/ ٤٤٨.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ ولم يأته خبره إلا بإخبار الله تعالىٰ في القرآن، وقيل: قد آتاك، يعني في سورة هود.

والضيف: أراد به الأضياف، وهو لفظ يقع علىٰ الواحد والجماعة، وقيل: الضيف مصدر من ضاف يضيف ضيفًا، فلهذا وحَّده.

وسمَّاهم: مُكرمين؛ لكرامة العِجْل الحنيذ، وقيامهم إبراهيم علىٰ رأسهم.

﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ﴾ وهم كانوا اثني عشر من الملائكة ﴿قَالَ سَلَٰمٞ﴾ وقُرئ: «سِلمٌ»(١) أنا لكم سِلْمٌ(٢).

﴿قَوۡمٞ [مُّنكَرُونَ] ٢٥﴾ لا أعرفكم، ولا تشبهون السفر، ولستم من أهل البلدة.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ أي: إلىٰ سارة، والرَّوغ: المَيْل والعدول عن القوم بحيث لا يعلمون به(٣).

﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦﴾ قد شواه ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ فلم يأكلوا منه فـ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧﴾ من طعامي، قالوا: لا ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ﴾ أضمر في نفسه خوفًا، وظنهم لصوصًا ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ﴾ منا فنحن ملائكة الله ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨﴾ أي: بولادة ولد عليم في صغره، حليم في كبره.

فلمَّا سمعت امرأة إبراهيم بالبشارة ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ﴾ أي: أخذت في صيحة كصرير الباب علىٰ عادة النساء إذا تعجَّبن من شيءٍ ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾ أي: جمعت أصابعها الأربع وضربت علىٰ وجهها، قيل: علىٰ وجنتها، وقيل:

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي (التيسير ١٢٥، النشر ٢/ ٢٩٠).
(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٤.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٤.

تعجبًا علىٰ عادة النساء[١].

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ كيف تلد؟ أجابتها الملائكة: ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ﴾ أنك تلدي بعدما كنت عقيمًا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ حكم بولادتك ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ بما هو كائنٌ منكما، فلا تنكري قدرة الله[٢].

﴿قَالَ﴾ إبراهيم لهم بعد ذلك ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ سوىٰ بشارتي، وهل لكم أمرٌ آخر ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ ابن عباس: هو الآجر[٣]، والعرب تُسمِّي الطين المطبوخ حجرًا.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ مُعلَّمة ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ علىٰ كل حجر اسم مَن به هلاكه، وقيل: معلمة بالسواد والحمرة[٤].

﴿لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ المشركين، وقيل: إسرافهم وضع الماء في غير محله موضعه[٥].

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ نجيناهم من العذاب ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا﴾ من أهل التوحيد ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ أي: أهل بيت ﴿مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ والإيمان والإسلام هنا واحد[٦].

---

(١) البسيط ٢٠/ ٥٤٢.

(٢) الكشاف ٤/ ٤٠٢.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٤٥، الكشف والبيان ٢٤/ ٥٥١.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٤٢٩.

(٥) كناية عن إتيان الأدبار.

(٦) تفسير السمعاني ٥/ ٢٥٨

﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ﴾ أي: في مدائن لوط عبرة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٣٧﴾ حتىٰ ينتهون عن مثل عملهم.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾ هو معطوف علىٰ قوله ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾، والسلطان المبين: الحُجَّة الظاهرة، وهو الآيات التسع.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ أعرض بنفسه وجموعه، وقيل: برهطه، وقيل بجانبه وناحيته عن الإيمان بموسىٰ[١].

﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩﴾ وهذا الكلام من غاية حمق فرعون، لأنَّ السحر لا يشبه الجنون، لأنَّ نهاية السحر الفطنة والكياسة، ونهاية الجنون فَقْد العقل، فكيف يتشابهان.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ رميناهم في البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠﴾ مستحق للملامة.

﴿وَفِي عَادٍ﴾ قوم هود ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾ التي ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ﴾ لا تحمل شيئًا[٢] ﴿أَتَتۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: جرت عليه من الأنفس والأنعام ﴿إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢﴾ والرميم: الورق اليابس المُتحطم.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ﴾ يعني: قوم صالح ﴿تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣﴾ انتفعوا بحياتكم بأرض حجر بعد عقر الناقة ثلاثة أيام، حتىٰ يأتيكم العذاب ﴿فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ يوم الرابع، يعني: صيحة جبريل ﴿وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤﴾ إليها، ولم يكونوا نيامًا كقوم لوط.

---

(١) الأقوال في البسيط ٢٠/ ٤٥٥.

(٢) في الأصل: لا تحمل شيء، ولا أدري هل كلمة تحمل صحيحة أم مصحفة.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ لعذاب الله حين غشيهم، ولم يقدروا على ردِّه ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ قُرئ بالنصب، ومعناه: أهلكنا قوم نوح، أو: اذكر قوم نوح[١].

وقُرئ بالكسر، معناه: وفي قوم نوحٍ معطوف، على ما سبق[٢].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ عُتاة ظالمين.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ يعني: من الآيات التي أقمتُها بناء السماء، وقيل: هو مفعول مُقدَّم على الفعل ﴿بِأَيْي۟دٍ﴾ أي: قوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ الرزق على العباد، لا يشق علينا ما نريد، والوسع في صفة الله الغناء، وقيل: لموسعون السماء[٣].

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ على وجه الماء ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ والفرش والمَهْد والبَسْط واحدٌ[٤].

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ كالليل والنهار، والبر والبحر، والشتاء والصيف، والحر والبرد، والسهل والجبل، والظلمة والنور، ومثله كثير ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أنه واحد لا شريك له.

---

(١) بالنصب قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم، وبالكسر قراءة أبي عرو وحمزة والكسائي وخلف (النشر ٢/ ٣٧٧).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٧، الكشف والبيان ١٤/ ٥٥٩.

(٣) وقال ابن جرير: لذو سعة بخلقها وخلق ما شئنا أن نخلقه وقدره عليه (تفسير الطبري ٢٢/ ٤٣٨). وعن مجاهد: تسع قدرتنا أن تخلق سماء مثلها (تفسير السمعاني ٥/ ٢٦٢).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٧.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ إذا خفتم سوىٰ الله، وقيل: فرُّوا من الله إلىٰ الله، أي: من معصية الله إلىٰ التوبة، ومن طاعة الشيطان إلىٰ طاعة الرحمن(١).

﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ﴾ أي: من الله رسول ﴿نَذِيرٞ [مُّبِينٞ] ٥٠﴾ أنذركم عمَّا نزل بالأُمم قبلكم.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ كَذَٰلِكَ﴾ يعني: كما يقول لك قومك ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ من الأُمم ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ [أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ]﴾ استفهام بمعنىٰ التوبيخ، والمعنىٰ: أأوصىٰ أولهم آخرهم بذلك، وذلك أنَّ آخرهم سلك طريق أوَّلهم في الكفر.

ثم قال: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣﴾ عالون متكبِّرون.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ يا محمد، قد أنذرت وأعذرت ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤﴾ بعد أداء الرسالة، وهذا منسوخٌ بآية السيف.

﴿وَذَكِّرۡ﴾ أي: عظهم فلم ننهك عن الموعظة ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾ إن لم ينتفع بها الكفار.

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ يقول المعتزلة لعنهم الله: إنَّ الله تعالىٰ ما خلق العباد إلا لعبادته، وهم يعبدون غيره، بخلاف إرادته، وهم الكفار، وظاهر الآية يشهد علىٰ صحة ما قالوا، ولكنه تلبيسٌ منهم وجهل.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله له: إنَّ الله تعالىٰ ذكر في هذه الآية ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ وفي آيةٍ أخرىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ فلابد من التوفيق بين الآيتين(٢)، فنقول وبالله التوفيق:

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٤٤٠.

(٢) في الأصل: الاثنين، وهو تصحيف.

اختلف المفسرون في معنىٰ الآية المذكورة هاهنا، وهو قوله: «إلا ليعبدون» واتفقوا: أنَّه ليس المُراد من هذه العبادة عبادة الأركان حقيقة، لأنَّ فيه مخالفة إرادة الله تعالىٰ بإرادة العبد، كما قالت المعتزلة، وأيضًا فيه مناقضة لآية أخرىٰ، وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ الآية.

قال الزجاج رحمه الله: معنىٰ الآية ما خلقت الجن والإنس إلا لأدعوهم إلىٰ عبادتي وآمرهم بها، كقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وفي آيةٍ أخرىٰ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾[١].

وعن ابن عباس: ما خلقت الجن والإنس إلا ليقروا بعبادتي طوعًا أو كرهًا[٢].

والكفار كلهم يقرُّون بعبادته، منهم طوعًا ومنهم كرهًا عند البأس، وفي الآخرة كلهم يقرُّون.

وقيل: الآية محمولة علىٰ أهل السعادة لا علىٰ أهل الشقاوة، عن الشعبي والضحاك، ويقولان: لفظ الآية عام ومعناها خاصٌ[٣]، ومثله كثيرٌ في القرآن.

وقال بعض المفسرين: قوله ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ ليكونوا عبيدًا لي، وليس المُراد من الكلام أن يكونوا عُبَّادًا لي، ولكن لينزلوا منزلة العبودية، يُقال: عبُد يعبُد عبودية إذا كان عبدًا، مثل: عظُم يعظُم وظرُف يظرُف، والكفار كلهم عبيده شاؤوا أو أَبَوْا، وقد يجوز إضافة الفعل إلىٰ الفاعل كقوله ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم﴾ فسجدة الظلال ليس بالاختيار، وقال في آيةٍ

---

(١) معاني القرآن ٥/ ٥٨.

(٢) من رواية علي بن أبي طلحة، تفسير الطبري ٢٢/ ٤٤٤.

(٣) وهو قول زيد بن أسلم وسفيان (تفسير الطبري ٢٢/ ٤٤٤).

أخرىٰ ﴿وَإِن مِّن شَىۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾، وكل عاقل يعرف أن الحجر والمدر والجبال والشجر ليس لها اختيار في التسبيح، ولكن الله أضاف التسبيح إليهم، فهذا ما يخرب مذهب المعتزلة لعنهم الله لعنًا كثيرًا.

وقال الواسطي: إنَّ الله تعالىٰ خلق الدنيا إظهارًا لقدرته، وخلق الآخرة جزاءً لخلقه، ورفع السماء تبيانًا لمُلكه، ونصب الجبال تعظيمًا لجبروته، ومدَّ الأرض إعلامًا لبطشه، وأجرىٰ الأنهار إخبارًا لرأفته، وخلق الجنة لأوليائه بيانًا لفضله، وخلق النار لأعدائه إظهارًا لعدله، وأرسل الأنبياء تأكيدًا لحُجته، وخلق ما في الدنيا إظهارًا لبرِّه ولُطفه، واستشهادًا لربوبيته، فذلك قوله ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾[1].

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ [وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ] ۝٥٧﴾ أي: لا أُطالبهم بأن يرزقوا أنفسهم، ولا أُكلِّفهم بأنْ يرزقوا عبادي، لأنَّ الخلق كلهم عيال الله، فمن أطعم عيال الرجل فكأنما أطعمه، يقول: لا أطلبُ منهم المعونة في رزق العباد[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ المُطعِم خلقه، علىٰ المبالغة والكثرة ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ ذُو الاقتدار المتين.

قُرئ: بالرفع من صفة الله ذي القوة، وبالكسر: نعتًا للقوة[3].

---

(١) وهذا الإشكال قديم، وقد أوره شيخ المفسرين ابن جرير وأجاب عليه، وقال: فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم، لأن قضاءه جار عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه (تفسير الطبري ٢٢/ ٤٤٥، وانظر: الكشف والبيان ٢٤/ ٥٦٧، تفسير السمعاني ٥/ ٢٦٤).

(٢) تفسير السمعاني ٥/ ٢٦٤.

(٣) أي في المتين، وقراءة الجمهور الرفع، وقرأ يحيىٰ والأعمش وإبراهيم بالخفض (تفسير الطبري ٢٢/ ٤٤٥، الكشف والبيان ٢٤/ ٥٦٩، التبيان ٢/ ١١٨٥).

وينبغي أن يكون ذو القوة المتينة، لأنَّ المُذكَّر لا يكون نعتًا للمؤنث، ولكن قيل: إنَّه رجع معناه إلىٰ الاقتدار وهو مُذكَّرٌ، وقيل: ذي القوة ولكن خفض للمجاورة، كما يُقال: جُحْر ضب خرب(١).

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أشركوا ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ أي: نصيبًا من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا علىٰ الشرك، والأصل: في الذَّنُوب هو الدَّلو، وكانوا يقتسمون الماء بالدَّلو عند الازدحام، فسُمِّي النصيب ذنوبًا لأجله علىٰ المجاز(٢).

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ سؤال العذاب تكذيبًا به.

ثم أوعدهم فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي غفر الله ذنوبه: بلغنا عن حاتمٍ الأصَمِّ رحمة الله عليه أنه قيل له: علىٰ ماذا أسست زهدك؟ قال: علىٰ أربعة أشياء، علمتُ أنْ لا أخلو من نظر الرب طرفة عين فاستحييتُ أنْ أعصيَه، وعلمتُ أنَّ لي رزقًا قد ضمن لي الرَّازق ولا يجاوزني فوثقت به، وفرغت عن طلبه، وعلمتُ أنَّ عليَّ فرضًا لا يؤدِّيه غيري فاشتغلت به، وعلمتُ أنَّ لي أجلاً يُبادرني فبادرته.

قال: وبلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة والذاريات أُعطي من الأجر عشر حسنات بكل ريحٍ يهُبُّ في الدنيا»(٣).

---

(١) معاني القرآن لفراء ٣/ ٩٠،

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٩، البسيط ٢٠/ ٤٧٠.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٤/ ٥٠٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٨.

سورة الطور

مكيَّة[١]، أربعون وتسع آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ أقسم الله تعالىٰ بالطور الذي كلَّم عليه موسىٰ، واسمه زَبيرٌ، وكل جبلٍ طور[٣].

وكتابٍ مسطور: سُطر فيه أعمال بني آدم، وهو اللوح المحفوظ[٤].

﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ وهو شيء لائح، وقيل: في نور مكتوب، وقيل: أراد به القرآن المكتوب في المصحف أو في اللوح[٥].

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ المَزُور، سُميت العُمرة عُمرة لأجل الزوَّار.

قيل: هو بيت في السماء السابعة حيال[٦] الكعبة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه أبدًا[٧].

وقيل: هي الكعبة المعمورة بالزيارة[٨].

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٥/ ٧، زاد المسير ٤/ ١٧٥.

(٢) كذا في الشامي والكوفي، وثمان في البصري، وسبع في المدنيين والمكي (البيان في عد آي القرآن ٢٣٣).

(٣) الكشف والبيان ٤/ ١٧٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٥٠.

(٥) البسيط ٢٠/ ٤٧٧.

(٦) في الأصل: جبال، وهو تصحيف.

(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٤٥٥، تفسير أبي الليث ٣/ ٣٥١، الكشف والبيان ٢٥/ ١١.

(٨) وينسب للحسن البصري، وهو قول شاذ (النكت والعيون ٥/ ٣٧٨).

﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾ هو السماء فوق الأرض مسيرة خمسمائة عام.

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾ المملوء من الماء، وهو بحرٌ في السماء مكفوف به(١).

قال عليٌّ: هو بحر الحيوان تحت العرش، يُحيي الله به الخلائق يوم القيامة(٢).

وقيل: المسجور الساكن(٣).

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ وهذا موضع القسم ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ ولا مانع.

﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩﴾ تدور كدوران الرَّحىٰ(٤)، وتموج الخلائق بعضهم علىٰ بعضٍ من الهَوْلِ.

﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠﴾ في الهواء كسير السحاب ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ بالبعث والرسل ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ۝١٢﴾ أي: في باطل يلهون ويخوضون ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ﴾ يُدفعون ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾ إزعاجًا عنيفًا.

قيل: تجعل الأغلال في أيديهم إلىٰ أعناقهم، وتُجمع أقدامهم إلىٰ نواصيهم، ثم يُرمون في النار، وتقول لهم خزنة النار: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾ في الدنيا أنها غير كائنة.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٤٥٩، والكشف والبيان ٢٥/ ١٥.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ١٩، بإسناد موضوع.

(٣) غريب لم أجده، وقد ذكروا عدة معان ليس هذا منها (النكت والعيون ٥/ ٣٧٩، زاد المسير ٤/ ١٧٦).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦١.

﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾ استفهام بمعنى التوبيخ[١]، لأنهم كانوا يقولون لآيات الرسل ومعجزاتهم: سحرًا، فيُقال لهم: أفسحرٌ هذا؟.

﴿أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥﴾ أم هذا مموه، يُخيل إليكم ولا حقيقة له.

﴿ٱصۡلَوۡهَا﴾ ادخلوا في النار ﴿فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾ صبرتم أو جزعتم فهي مأواكم ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ الصبر والجزع ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦﴾.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ﴾ ناعمين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ من الكرامة ﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ أي: دفع عنهم ﴿عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ أي: قيل لهم كلوا من ثمار الجنة واشربوا من أنهارها[٢] ﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾ أي: هُنِّئْتم، والهَنِيُّ الذي لا داء فيه ولا يشوب لذته ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ﴾ جالسين من غير تعبٍ ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ صُفَّت بعضها إلىٰ بعضٍ ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾ أي: استخلفتهم أولادهم الصِّغار ﴿بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ أي: سنلحق بهم أولادهم إذا كان الآباء أرفع درجة من الأولاد ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ أي: ما نقصنا من عمل الآباء شيئًا بإلحاق الذرية بهم.

﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ أي: مرهون، يعني: كل كافر مرهون عملِه في الآخرة[٣].

ثم رجع إلىٰ ذِكر المؤمنين فقال: ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢﴾ أي: كلما أكل ثمرة عادت مكانها أخرىٰ، فهذا معنىٰ الإمداد[٤].

---

(١) الكشف والبيان ٢٥/ ٢٥.

(٢) في الأصل: أنهار.

(٣) تفسير السمعاني ٥/ ٢٧٤.

(٤) البسيط ٢٠/ ٤٩٢.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ يتعاطون ويديرون فيما بينهم في الجنة ﴿كَأۡسٗا﴾ والكأس قدح الخمر.

وقيل: يتنازعون يعني يزدحمون، كما كانوا يحبون الازدحام عليه في دار الدنيا.

﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا﴾ أي: لا خلة[1] فيها ﴿وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾ أي: لا يأثمون بشربها وهي حلالٌ في الجنة ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ﴾ صغارٌ لا يكبرون أبدًا ﴿كَأَنَّهُمۡ [لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ] ٢٤﴾ في الحُسن والبياض مثل اللؤلؤ المكنون، المصون في الصدف.

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ بالزيارة ﴿يَتَسَآءَلُونَ ٢٥﴾ من أمر الدنيا، وقيل: يتساءلون كيف نجوت من أهوال يوم القيامة حتىٰ وصلت إلىٰ مستقرِّك في الجنة؟ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾ خائفين من هول هذا اليوم ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بالعفو ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ الحر الشديد في النار ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ﴾ في الدنيا ليُنقذنا من عذاب النار ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ والبرُّ: الصادق الوعد.

﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩﴾ أي: بحمد ربك، وقيل: بمِنَّةِ ربك، أي: لست بكاهنٍ ولا مجنون ولله الحمد والمِنة، والكاهن: الذي يُخبر عما في غدٍ من غير حجةٍ وبرهانٍ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول بالوحي، أمر الله نبيه بالتذكير، وبرَّأه من قول المشركين بقوله: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾.

---

(١) كذا في الأصل، ولعله يريد: لا خلل فيها، بمعنىٰ أنه لا باطل فيها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ يعني: الموت، ورَيْب المنون: حوادث الدهر ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ قيل في التفسير: إنَّ الذين قالوا ذلك هلكوا كلهم قبل رسول الله(١).

وقوله: «أم يقولون شاعر» معناه: بل يقولون شاعر.

ثم قال: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ الذين يقولون ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ بل هم قومٌ متكبِّرون عن الانقياد للحق ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ يعني: محمد يقول القرآن من تلقاء نفسه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: لا يريدون الإيمان ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ أي: مِثل القرآن بنظمه، وعجيب تأليفه ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ أنَّ محمدًا اختلقه.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ قال الكلبي: أَخلقوا من غير ربٍ(٢).

﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ لأنفسهم، وقيل: من غير شيءٍ أي: من غير أمرٍ ولا نهيٍ فيكونوا سُدىً(٣).

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فيدَّعوا مِلكها.

قال الزجاج: هذه الآية أصعب ما في هذه السورة، ومعناه: أني خلقتُ السماوات والأرض بلا شيءٍ، وخلقتُ أنفسهم من شيءٍ، وهو آدم، وخلقتُ آدم من تراب، فلما قدرتُ علىٰ خلق السماوات والأرض بلا شيءٍ؛ أفلا أقدر علىٰ بعثهم وهم من شيءٍ(٤).

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٠/ ٥٠٢، الكشف والبيان ٢٥/ ٤٦.

(٢) كذا في الأصل مجودًا، وفي المصادر: من غير أب، كذا في الكشف والبيان ٢٥/ ٣٥، البسيط ٢٠/ ٥٠٤. وفي تنوير المقباس ٤٤٥ جمع بين الاثنين.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٤٨١.

(٤) وتكملة كلامه: وقيل فيها قولٌ آخر: «أَمْ خُلِقوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ»: أَمْ خُلِقُوا لِغَيْرِ شَيْءٍ، أي خلقوا باطِلًا لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا يَنْهَوْنَ (معاي القرآن ٥/ ٦٥).

﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ توحيد الله.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ مفاتيح المطر والرزق، وقال مقاتل: أم بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤوا[١].

وهذا جواب قولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾.

ثم قال: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ المسلَّطون على الناس، بالصاد والسين[٢].

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ سبيل وسبب إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يصعدون عليه ويستمعون الوحي ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ كما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بحُجته.

ثم سفَّه أحلامهم بما نسبوا إلى الله من البنات فقال: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۝٣٩﴾ فله ما تكرهون أنتم لأنفسكم ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَجْرًا﴾ على ما دعوتهم إليه ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠﴾ عن إجابتك ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ والميم ههنا زائدة، يعني: أعندهم[٣] الغيب بأنَّ الله لا يبعثهم ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١﴾ ذلك ليخاصموك به.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بل يريدون كيدًا، أي: يهمُّون أن يهلكوك لأنهم مكروا به في دار الندوة ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۝٤٢﴾ وينقلب عليهم كيدهم، فقتلهم الله ببدر[٤].

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٢٨٦.

(٢) النشر ٢/ ٣٧٨.

(٣) في الأصل: أم عندهم، وهو سبق قلم.

(٤) الكشف والبيان ٢٥/ ٥٣.

﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ﴾ استفهام بمعنىٰ التوبيخ[١].

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣﴾ سبحان الله كلمة نزَّه الله بها نفسه، وأحب أن يقولها خلقه، عن علي رضي الله عنه.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا﴾ أي: قطعًا من العذاب ﴿يَقُولُواْ﴾ لشدة طغيانهم ﴿سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤﴾ وليس بعذابٍ ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥﴾ أي: يموتون.

ثم وصف ذلك اليوم فقال: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون عذاب الآخرة، وهو القتل ببدر، وقيل: عذاب القبر[٢].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٧﴾ أن العذاب نازلٌ بهم.

﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد لقضاء ربك علىٰ إيذاء قومك، وعلىٰ ما آمُرك من احتمال المشقة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ في حفظنا ورعايتنا، لا يخفىٰ علينا شيء مما تفعل ويُفعل بك.

وقيل: إنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، فلا يصلون إلىٰ مكروهك[٣].

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي: صَلِّ بأمره ﴿حِينَ تَقُومُ ٤٨﴾ وقيل اذكر ربك باللسان حين تقوم من نومك، إلىٰ أن تدخل في صلاتك.

---

(١) قال الخليل: كل ما في سورة الطور من ذكر: أم فكله استفهام وليس بعطف (الكشف والبيان ٢٥/ ٥٤).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٥٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٤٨٨، تفسير السمعاني ٥/ ٢٨١.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾ قيل: هي ركعتا الفجر، وقيل: صلاة الفجر[(١)].

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الطور كان حقًا علىٰ الله أن يؤمِّنه من عذابه، وأن يتنعَّم في جنته»[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٤٩٠.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢١٩.

سورة النجم

مكيَّة[١]، وهي اثنتان وستون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ قيل: هو القرآن يأتي نجمًا نجمًا، وقيل: هو سقوط الثريا مع الفجر، وقيل: هو تناثر النجوم يوم القيامة، ذكر النجم علىٰ الجنس[٣].

قيل: لما نزلت هذه الآية وسمع بها عُتبة بن أبي لهب، فقال: بلِّغوا محمدًا أني كافرٌ بنجوم القرآن، فأخبر به رسول الله، فقال: «اللهم سلِّط عليه كلبًا من كلابك» ثم خرج إلىٰ سفرٍ، فأخذه أسدٌ من بين أصحابه وذهب به غير بعيد، ودَقَّهُ من قرنه إلىٰ قدمه، ولم يَذُقه لنجاسته[٤].

ثم قال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ وهذا موضع القسم.

أي: لم يضل نبيكم عن القصد، وما كذب وما خاب. وقيل: الغواية والضلالة واحد، إلا أنه ذكر الضلالة والغواية لموافقة رؤوس الآي.

---

(١) قال الثعلبي: وقيل: مدنية، والصحيح أنها مكية، الكشف والبيان ٢٥/ ٦٥، بينما قال ابن الجوزي: مكية بإجماعهم إلا ما حكي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: إلا آية منها، وهي ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ وكذلك قال مقاتل، قال: وهذه أول سورة أعلنها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بمكة (زاد المسير ٤/ ١٨٣).

(٢) في الكوفي، وفي عد الباقين: آية (البيان في عد آي القرآن ٢٣٤).

(٣) الكشف والبيان ٢٥/ ٦٧، زاد المسير ٤/ ١٨٣.

(٤) الكشف والبيان ٢٥/ ٧٣.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾ أي: عن مُراد نفسه.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ ما القرآن الذي أوتي به محمد إلا وحي من عند الله يأتي به جبريل.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾ يعني: الشديد القوي من نفسه، وهو جبريل عليه السلام.

﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ أي: ذو قوةٍ في العبادة، وأصل المِرَّة الفتل، وأُريد بها القوة ﴿فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦﴾ أي: رجع جبريل إلىٰ السماء بعد أداء الرسالة، وقيل: قام علىٰ صورته كما هو ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧﴾ فوق سبع سماوات[1].

«والنجم»: قسمٌ، وجميع أنواع القسم في القرآن ستة:

أحدها: للتفضيل كقوله: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾.

والثاني: للعجائب، كقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾ أقسم بعجائب قدرته في السماء.

والثالث: الامتحان، كقوله «ألم» و«المص» و«المر» و«حم» و«طس» و«ق» و«ن» وجميع الحروف المقطعة، امتحنهم الله تعالىٰ فيه.

والرابع: الاعتبار، كقوله: «والنجم» «والمرسلات» «والذاريات» لكي يعتبروا.

والخامس: الهيبة، كقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾، ليعلم الخلائق تهويله إذا أقسم به الرب.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٠١.

والسادس: الإنعام، كقوله «والضحىٰ» «والليل» «والشمس» «والتين والزيتون» بين إنعامه وإحسانه.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ أي: قرب وزاد في القرب، يعني: دنوُّ جبريل في الأفق الأعلىٰ إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم[١]، وقيل: دنَا محمد من محاذاة العرش، وقيل: دنا محمد من ربه عزَّ وجلَّ[٢]، والله أعلم.

قيل: هو مقدم مؤخر، معناه: تدلىٰ فدنىٰ بالسجود أي: قرب، لأنَّ التدلي سابق علىٰ الدنو، كقوله ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ معناه: انشق القمر واقتربت الساعة، لأن انشقاق القمر علامة الساعة[٣].

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ قال قائلٌ: «أو» كلمة شك في الأصل، فإن كان هذا للشك فهو محال، وإن كان المُراد منه «بلْ» قال: فكان أدنىٰ[٤] من قاب قوسين، فكان صحيحًا في العبارة، فالجواب فيه:

أنهم خوطبوا بلغتهم؛ وعلىٰ مقدار ما يفهمونه ويستعملونه؛ ولا مجال فيه لقياسنا، وقوله: «قاب قوسين» معناه: قدر قوسين، يعني: دنا جبريل إلىٰ رسول الله قدر قوسين، إذا قرب حتىٰ أوحىٰ إلىٰ عبد الله ما أوحىٰ الله إليه[٥].

وقاب قوسين أيضًا عادة العرب، لأنهم إذا أرادوا أن يصالحوا بين اثنين؛ أو يحدثوا مودة بينهما؛ وضعا قوسيهما، أحدهما بجنب الآخر، ثم يقولون ليس

---

(١) وهو قول الحسن وقتادة رواه الطبري في تفسيره ٢٢/ ٥٠١.

(٢) وهو المروي عن ابن عباس وفيه الحديث المرفوع عن أنس في قصة المعراج، رواه الطبري في تفسيره ٢٢/ ٥٠١. وأصل حديث أنس في صحيح البخاري.

(٣) البسيط ٢١/ ١٦.

(٤) في الأصل: أو أدنىٰ،وهو تصحيف، والتصحيح من المصدر.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧١، البسيط ٢١/ ٢١.

بينهما من البعد إلا قاب قوسين، فخوطبوا علىٰ مثله.

ولأنَّ كل قوم يقدرون المقادير بالآلات التي يستعملونها، والعرب يقدرون المسافة حزرًابالرماح والقسي ومواقع النبل، كأهل السوق يقدرون بالأذرع والأشبار، وأهل الحراثة يُقدِّرون المسافة بالجُرْبَان والمظروف بالصيعان، وهذه كلها صفة جبريل.

وإنْ حمل علىٰ صفة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم قيل: تدلَّىٰ الدنو فدنىٰ[1] بالسجود، فكان قربه في السجود قاب قوسين أو أدنىٰ.

قطع الله طمع المتوهمين، وعلوم العالمين، بذكر شيء لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، بقوله: «أو أدنىٰ» يُفهم من ذلك أنَّه بلغ نهاية المكان، وجاوز عن المكان، حتىٰ قيل: إنَّه جاوز سرادقات العرش، وحُجب العظمة، حتىٰ وضع قدمه علىٰ مكان لا ينطلق عليه اسم المكان، وعلىٰ شيءٍ لا يقع عليه اسم شيء، فكان قائمًا بقدرة الرب عزَّت قدرته، من غير أن يقومَ علىٰ مقام ومكان[2].

﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾ هو سرٌّ بين الله تعالىٰ وبين محمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم، لم يُرد أن يطلع علىٰ ذلك السر أحدٌ، وهذا من المبهم المسكوت.

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ أي: ما كانت رؤيته ربه بقلبه خيالاً.

وقُرِئ: «ما كذَّب» بالتشديد، أي: لم يكذِّب قلبه ما رأت عيناه[3].

وقيل: ما كذَب الفؤاد ما رأىٰ أي: لم يخالف فؤادُه عينَه، كأنَّه جمع بين

---

(١) هكذا العبارة، وفيها شيء، ولعل الصواب: تدلىٰ النبي فدنا بالسجود، لأن غرضه البناء علىٰ التشبيه.

(٢) الكشف والبيان ٢٥/ ٨٩.

(٣) قرأ أبو جعفر وهشام بتشديد الذال (النشر ٢/ ٣٧٩).

رؤية القلب ورؤية العين؛ حين نظر إلىٰ الحق بعينه وقلبه، وهذا فصل اختلف فيه الصحابة.

قال ابن عباس: رأىٰ ربه بعينه[١].

وقالت عائشة: رآه بقلبه، وعن عائشة قالت: مَنْ زعم أنَّ محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم رأىٰ ربه فقد أعظم الفِرْيَة علىٰ الله[٢].

وكان ابن عباس بين الصحابة يومًا فقال: أتعجبون أن لإبراهيم خُلَة ربه، ولموسىٰ كلام ربه، ولمحمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم رؤية ربه، فكبَّر الصحابة تكبيرًا جهيرًا فرحًا[٣] بقول ابن عباس.

وسُئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال صلىٰ الله عليه وسلم: «رأيته بقلبي ولم أره بعيني»[٤].

وقيل: خلق الله في قلبه بصرًا رأىٰ ربه بها، حتىٰ اشتغل عن رؤية غيره، لأنَّ مَنْ نظر إلىٰ الحق كان له الحق، وفنيَ عن غير الحق، فيكون كله للحق.

وطريق عائشة أسلم وأولىٰ بالقبول.

وفي اختلاف الصحابة ردَّ مذهب المعتزلة لعنهم الله، لأنهم اختلفوا في رؤية محمد صلىٰ الله عليه وسلم، فكان اختلافهم في رؤية رسول الله دليلاً علىٰ جواز الرؤية في الجملة[٥]، والله أعلم.

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٢/ ٥٠٧ ، والثعلبي في الكشف والبيان.

(٢) رواه مسلم في الصحيح ١٧٧ .

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرىٰ ١١٥٣٩ ، وإسناده جيد.

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ٩٨، بإسناد ضعيف، وانظر: تفسير ابن كثير ٧/ ٤٤٩.

(٥) في الأصل: فبالجملة.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ وذلك أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما أخبر قريشًا عن خبر المعراج كذَّبوه، فنزل: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ أفتمارونه فيما رأىٰ ربه بقلبه، أو رأىٰ من آيات ربه[١].

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ يعني: محمد [رأىٰ] جبريل عند رجوعه من عند ربه مرةً أخرىٰ ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ قيل: هي شجرة في السماء السابعة عن يمين العرش، إليها ينتهي علم كل شيء، لا يجاوزها، ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالىٰ، كل ورقة منها تظل أُمةً، علىٰ كل ورقةٍ منها مَلكٌ يذكر الله تعالىٰ، لو أنَّ ورقة منها وُضعت علىٰ الأرض لأضاءت الأرض بنورها[٢].

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ سُمِّيت جنة المأوىٰ لأنه تأوي إليها أرواح الشهداء ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ أي: ركب الشجرة ما ركب من الملائكة علىٰ صورة الفراش[٣].

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ أي: ما مال بصر محمد صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ غيرهم تعجبًا منهم، وما طغىٰ: أي ما جاوز الحَدَّ الذي حدَّ له.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ تلك الليلة ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ أي: رأىٰ العِظَمَ من آيات ربه.

قال مقاتل: رأىٰ رفرفًا أخضر قد غطَّىٰ الأُفق[٤].

وقيل: الجنة والنار.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٥١٠.

(٢) الكشف والبيان ٢٥/ ١٠٦.

(٣) الوارد في الأثر: فراش من ذهب، ولا يلزم من ذلك أن تكون ملائكة (تفسير الطبري ٢٢/ ٥١٩)، وقيل: يغشاها الملائكة (الكشف والبيان ٢٥/ ١١١).

(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٢٩٠.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ متروك الجواب، ومعناه: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها، هل لها من هذه المقدرة شيء[١].

وقيل: اللات صخرة كانت بالطائف يعبدونها، حولها أحجار أخذت من الصفا والمروة، جعلوها كالصفا والمروة تعظيمًا[٢].

وقيل: سُمِّي لاتًّا لأنه أضيف إلىٰ رجلٍ كان يلتُّ السَّويق حين قصدوا الحج[٣]. وقيل: حجر يُكتُّ عليه السويق فعُبِد.

والعُزَّىٰ: شجرة تعبدها غطفان[٤].

﴿وَمَنَوٰةَ﴾ صنمٌ كان لأهل مكة وهذيل وخزاعة[٥].

فلما أظهر الله الإسلام وأهله بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلىٰ غطفان، فقطع العُزىٰ، فكان خالد يضربها بالفأس ويقول رجزًا:

يا عُزىٰ كُفْرَانَكِ لا سبحانك … إني رأيتُ الله قد أهَانك[٦]

قيل: خرجت امرأة من جوف الشجرة حين قطعها خالد، فقتلها، وأخبر به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: «هي العُزىٰ لن تعبد أبدًا»[٧].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٢٣.

(٣) ولذا كان يقرأ ابن عباس وبعض أصحابه: اللاتَّ اسم فاعل من لت يلت (تفسير الطبري ٢٢/ ٥٢٣).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٣. وقيل: كانت حجرا كما في تفسير الطبري ٢٢/ ٥٢٤.

(٥) بالمشلل من قديد (تفسير الطبري ٢٢/ ٥١٤).

(٦) معاين معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٨، الكشف والبيان ٢٥/ ١١٩.

(٧) رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، كما في معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٩، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ١٢٠، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٤٢٣.

وقيل: هي ثلاثة أصنام لأهل مكة، والله أعلم.

وقوله: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ٢٠﴾ والعرب لا تقول للثالثة أخرىٰ؛ لأنَّ الأخرىٰ من صفات الثانية.

قيل: هو مُقدَّم مؤخرٌ، والمعنىٰ: أفرأيتم اللات الأولىٰ، والعُّزَّىٰ الأخرىٰ، ومناة الثالثة، ولكن أُخِّرَ الأخرىٰ إلىٰ الثالثة لفواصل الآيات، لأنَّ فواصل الآيات مرعية في القرآن أجمع.

وقيل: مناة الثالثة الأخرىٰ من العُزىٰ.

ومن رعاية فواصل الآيات قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ١٢٩﴾ وقوله: «وأجلٌ مسمىٰ» هو مُقدَّم علىٰ قوله: «وكان لزامًا» في المعنىٰ، ولكن أُخِّرَ للفواصل.

وقال الشيخ أبو سهل الأنماري: كان المشركون إذا حزبهم أمرٌ عظيمٌ رفعوه إلىٰ اللات وسدنتها، ثم إلىٰ العزىٰ ثانيًا، ثم إلىٰ مناة ثالثًا، ولو حزبهم أمرٌ دون أمرٍ رفعوه إلىٰ اللات وسدنتها أولاً، ثم إلىٰ مناة وسدنتها، فكانت مناة في المهمات العظمىٰ ثالثة، وفي الوسطىٰ أخرىٰ، فجمعها الله بين الاسمين.

قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ٢١﴾ إذ قلتم أنَّ الملائكة بنات الله ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾ ذات جور، يُقال: ضاز يضيز إذا جار.

وضيزىٰ أصله: ضُوزىٰ، لأنه نعت المؤنث، والنعوت تأتي علىٰ الفتح والضم، دون الكسر، وهو اسمٌ وليس بنعتٍ، كالشعرىٰ والذِّفرىٰ[1].

وروىٰ النسائي في الكبرىٰ ١١٤٨٣ عن أبي الطفيل نحوه. وانظر: تفسير السمعاني ٥/ ٢٩٣ فقد شرح هذه الأصنام.

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٨.

ثبت أنَّ أصله ضوزىٰ، ولكن كسر أولها لأنَّ أصل الكلمة بالياء: ضاز يضيز، فلو أبقيناه[١] علىٰ أصل فُعلىٰ لصارت[٢] الياء واوًا، فأجرينا علىٰ الياء الأصلية، وانخفضت الضاد لمجاورة الياء، كقولنا: بِيض، وعِين، وأصله: بُوض وعُون، لأنه نعتٌ، ولكن أصله الياء: أبيض وأعين فخفض العين والياء لمجاورة الياء[٣]، والله أعلم[٤].

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ من قبل ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ كتاب ولا حُجة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: ما تعبدون الأصنام إلا بالظن أنها تشفع ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: يتبعون ما تهوىٰ أنفسهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ وهو القرآن علىٰ لسان النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ نزلت في عتبة بن ربيعة، قال: لنا نعيم الآخرة كما لنا نعيم الدنيا[٥].

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ يحكم كما يشاء، يأمرهم في الدنيا بالعبادة؛ فإن أبوا فيعاقبهم في العقبىٰ.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ لو أرادوا أن يشفعوا مثلاً ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ عمله.

الذِّفرىٰ: من الناس ومن جميع الحيوان من لدن أصول الأذنيين إلىٰ نصف القذال (تاج العروس ١١/ ٣٧٤).

(١) في الأصل: بقيناه.

(٢) في الأصل: لصار.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٨، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٢، البسيط ٢١/ ٤٧.

(٤) قد شرح هذا الفصل شرحا مسهبا أبو علي الفارسي انظر: الحجة للقراء ٦/ ٢٣٤، وعنه البسيط ٢١/ ٤٧.

(٥) وقيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل في النضر بن الحارث (الكشف والبيان ٢١/ ٤٩).

وهو جواب قولهم: نعبد الملائكة ليشفعوا لنا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بثواب الله وعقابه في الآخرة ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧﴾ باسم البنات ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾ فيما يزعمون ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨﴾ أي: اتباعهم الظن لا يُسقط عنهم أداء الحق الذي لزمهم، ولا تصير الملائكة إناثًا بزعمهم: بظنهم.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ أي: توحيدنا ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ أي: ذلك غاية علمهم لا يعلمون إلا أمر الدنيا، فهم بأمرها حاذقون، وعن غيرها غافلون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دينه الإسلام ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾ أي: رجع عن الكفر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾ أي: أشركوا ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ في شركهم فيجازيهم بالنار ﴿وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ الذين وحَّدُوا بالجنة.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ واللمم من قولهم: ألَمَّ بالذنب إلمامًا، إذا صنع الشيء بعد الشيء، بدون الكبائر، ولا يدوم عليه، فمن فعل ذلك واستغفر الله فـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ يغفر لصاحبها، ولصاحب الكبائر والفواحش إن شاء.

وقال الأخفش: لم يأذن الله باللمم، وليس اللمم من الفواحش، ولا من الكبائر، ولكن إنَّما هو خطرات القلوب، ونظرات العيون، وغمز الحواجب[1].

﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ﴾ أي: بما يكون منكم ﴿إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: من آدم، وآدم من الأرض.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٣٧، الكشف والبيان ٢٥/ ١٣٦، البسيط ٢١/ ٥٥.

قال الصادق: هو أعلم بكم لأنه خلقكم وقدَّر عليكم السعادة والشقاوة، وقضىٰ أن لا تستجلب الطاعات سعادة، ولا المخالفات شقاوة، ولكن سابق المقدور الذي بُدئ به يُختم عليه.

﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي: عالمٌ بكم حين كنتم جنينًا، وقبل كونكم ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تبرؤوا لها من العيوب التي[1] فيكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ لأنه عَلِمَ بكم قبل خلقكم.

قال أهل التحقيق: من علم مِن أين هو، وإلىٰ أين هو، وما هو[2] في الوقت، علم أنه ليس بمحل للتزكية.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة حين نزل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية، فقال وليد: إن كان محمد قاله فنعم ما قال، وإن كان رب محمد قاله فنعم ما قال، ثم أعرض ولم يُسلم، فنزلت الآية[3].

أي: أعطىٰ قليلاً من الخير بلسانه.

وقيل: نزلت في عثمان رضي الله عنه، كان كثير الصدقة، فقال له يومًا عبد الله بن أبي سرح: هذا الذي تصنع، إني أخاف أن لا يبقىٰ لك مال، ويوشك أن تبقىٰ فقيرًا، فقال عثمان: إن لي ذنوبًا وخطايا وأنا منها مُشفق، فقال له الخبيث: أعطيني بعيرك هذا وخطامه، وأنا ضامنٌ لك لخطاياك، ففعل ذلك عثمان، ثم أقصر عن الصدقة، فنزلت الآية[4].

---

(١) في الأصل: الذي.
(٢) في الأصل: وها هو، وهو تصحيف.
(٣) أصله في تفسير الطبري ٢٢/ ٥٤١.
(٤) الكشف والبيان ٢٥/ ١٤٥.

أفرأيت الذي تولَّىٰ عن الصدقة، وأعطىٰ قليلاً: يعني راحلته، وأكدىٰ: أي ترك الإعطاء، وأصله الحافر [إذا بلغ في][1] الحفر الكديد[2]، وهي الأرض التي لا تعمل عليها المعول، فرجع وترك[3].

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥﴾ أنه يرفع عنه جناياته.

وقيل: أعند الوليد علم الغيب حتىٰ يرىٰ ما يدعو إليه محمد حقًا ثم تركه.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ بما تعبَّدَه الله من ذبح ابن، والختان بعد الكبر، والصبر علىٰ إيذاء قومه، وبالهجرة إلىٰ أرض الشام.

وفي كتاب إبراهيم وموسىٰ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ٣٨﴾ أن لا تحمل حاملة حمل أخرىٰ.

قال ابن عطاء: إبراهيم الذي وفَّىٰ بأربعة أشياء: بذل نفسه للنيران، وقلبه للرحمن، وابنه للقُربان، وماله للإخوان[4].

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ أي: ليس لابن آدم في الآخرة إلا جزاء ما عمل في الدنيا؛ إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ٤٠﴾ يعني: جزاء عمله سوف يراه في العُقبىٰ ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ٤١﴾ إنْ كان محسنًا يضاعف له الحسنات، وإنْ كان مسيئًا يجزىٰ له مثلها.

---

(١) في الأصل كلمة مصحفة، صورتها: ا د بد ف، والتصحيح من تهذيب اللغة ١٠/ ١٧٧، الكشف والبيان ٢٥/ ١٤٧.

(٢) في الأصل اللديد، والكديد من الأرض الغليظ.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٥.

(٤) الكشف والبيان ٢٥/ ١٥٠.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ أي: مصير الخلق[١] يوم القيامة، هذه كلها كلمات الصحف ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾ أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ أمات القلب بالمعصية، وأحياه بالذكر، وقيل: أمات الحيوانات وأحيا النُّطفة[٢].

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥﴾ واختلاف ألوانهما ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦﴾ أي: هريقت في الرحم ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧﴾ أي: الثانية البُعث ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾ أي: أرضاهم بما أعطى من الفضة والذهب والمسكن، وأقنى: أي جعل لهم من الإبل والبقر والغنم.

وقيل: أقنى جَعْلُه من المال ما يقتنى[٣].

وقال الجنيد: أغنى قومًا وأفقر قومًا.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٩﴾ أي: خالق الشِّعرى، وهي كوكب كانت تعبدها خزاعة، وهي التي تتبع الجوزاء، وهي أحد كوكبي ذراع الأسد[٤].

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠﴾ يعني: قوم عاد بالريح.

وقد ذكر الحدادي في الموضح: أنَّ عادا كان أربعًا: الأولى قوم هود، وأُهلكوا بالريح، وعادا أخرى في زمن فارهق[٥]، ولهم عاد أيضًا، وعادان أخريان

---

(١) في الأصل: الحق، وهو تصحيف.

(٢) المعنى: أمات من أمات من خلقه، وأحيا من أحيا منهم (تفسير الطبري ٢٢/ ٥٤٨، الكشف والبيان ٢٥/ ١٧٠)، وما ذكره المصنف فهو من قبيل التفسير الإشاري.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٤٩.

(٤) ويقال له: مرزم الجوزاء (الكشف والبيان ٢٥/ ١٧٣).

(٥) كذا في الأصل.

بعد ذلك.

وقيل: عاد الأولىٰ شداد بن عاد بن سام بن نوح، وعاد الأخرىٰ قوم هود[١].

﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ منهم أحدًا إلا أهلكه.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ عاد وثمود أهلكهم بالغرق ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ من عاد وثمود ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ هي قُريات لوط، أهواها: من الهُوِي، وهو السقوط إلىٰ الأرض[٢].

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ من الحجارة لا يعلمها أحد إلا الله.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ ونعمائه[٣] ﴿تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ تجحد وتُكذِّب أيها الإنسان أنها ليست من الله تعالىٰ.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ يعني: به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، رسولٌ كالرسل المتقدِّمة.

وقيل: القرآن من النذر الأولىٰ، مما ذُكر في الكتب السابقة، والصحف الأولىٰ[٤].

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ قربت القيامة، لأنَّ محمدًا رسول آخر الزمان، وأن هذا الدِّين يبقىٰ فلا يُنسخ إلىٰ يوم القيامة، والآية تدل عليه.

---

(١) الكشف والبيان ٢٥/ ١٧٥.

(٢) البسيط ٢١/ ٧٩.

(٣) في الأصل: ونعمل به، وهو تصحيف.

(٤) والأول هو المشهور بدلالة السياق (تفسير أبي الليث ٣/ ٣٦٧).

﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ أي: ليس أحد يكشفها ويظهرها[١] ويُجليها لوقتها إلا الله تعالىٰ.

ثم قال: ﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضۡحَكُونَ﴾ أي: تهزؤون ﴿وَلَا تَبۡكُونَ ۝٦٠﴾ علىٰ أنفسكم بما يخوفكم من الهلكة، التي هي قربت منكم ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ غافلون عن الحق، بلغة يمن، عن مقاتل[٢].

والسمود: اللهو، والسامد الملاهي[٣].

قيل: لمَّا نزلت هذه الآية قال أهلُ مكة: لا نعرف السَّامد، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ابغوا لي رجلاً من اليمن» فجاءوا برجلٍ يماني، فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «ما السَّامد فيكم؟» فقال الرجل: إنا إذاً اتخذنا لهونا وتغنينا وقلنا: نحن سامدون[٤].

﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ۩ ۝٦٢﴾ اخضعوا له بالتوحيد، وأطيعوه، وليكن سجودكم لله خالصًا.

قال مؤلفه عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة النجم أُعطي عشر حسنات بعدد من صدَّق بمحمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم وجحد به»[٥].

---

(١) في الأصل: يظهرا.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٢٩٥.

(٣) الكشف والبيان ٢٥/ ١٨٠.

(٤) غريب، ولعله من أخبار الكلبي وأباطيله، فإن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم لا يسأل عن معاني القرآن، ولعله عن بعض الصحابة أو التابعين، والله أعلم

(٥) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ٦٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢٠.

سورة القمر

مكيَّة(١)، وهي خمسٌ وخمسون آية(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ①﴾ وقال في آيةٍ أخرىٰ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ وقال: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وهذه كلها تخويف بالقيامة حتىٰ يستعدوا لها، وهي في علم الله قريبة.

وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «بُعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطىٰ(٣).

وروي عن عبد الله بن مسعود: وانشق القمر نصفين حتىٰ رأيتُ حراء(٤) بين فلقتي القمر(٥).

ورأىٰ ذلك جماعةٌ من الصحابة، منهم: عمر وحذيفة وجُبير وأنس(٦).

ومن التابعين مجاهد والنخعي(٧).

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٥/ ١٩١، زاد المسير ٤/ ١٩٦.

(٢) بلا اختلاف بينهم (البيان في عد آي القرآن ٢٣٦).

(٣) رواه البخاري ٤٩٣٦، ومسلم ٢٩٥٠ من حديث سهل بن سعد.

(٤) في الأصل: جزاء.

(٥) صحيح البخاري ٣٦٣٦، صحيح مسلم ٢٨٠٠.

(٦) رواه عنهم الطبري في التفسير ٢٢/ ٥٧١.

(٧) لم يروا انشقاق القمر، لكن روي عنهم القول بانشقاق القمر، وكذا روي عن قتادة ومجاهد والضحاك وغيرهم، وقد استوعب ابن جرير الروايات عنهم في التفسير ٢٢/ ٥٦٩.

﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾ وقال أهل مكة حين رأوا ذلك ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ مصنوع، سيمر ويذهب ويضمحل[(١)].

وقيل: مستمرٌ شديد محكم، أُخذ من إمرار الحبل[(٢)].

﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ عبادة الأصنام ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ وعدهم الله ﴿مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ كائنٌ في وقته.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أنباء من أخبار الأُمم السالفة في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾ موعظة ونهي عن المعاصي.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ في القرآن موعظة بليغة ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥﴾ أي: لم ينفعهم إنذار الرسل.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم ولا تكافئهم، وقف تام[(٣)]، ثم ابتدأ وقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ وهو إسرافيل بالنفخة الثانية ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾ هائل فظيع.

﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ خاشعة خاضعة أبصارهم حياءً بما فعلوا في الدنيا ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، يجول بعضهم في بعضٍ، وفيه مقدَّم ومؤخَّر، يعني: يخرجون من الأجداث خاشعةً أبصارهم.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ ناظرين مسرعين إلىٰ الدَّاعي، دائمًا للنظر إليه ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ شديد عذابه وأهواله.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٤. وهو قول عامة أهل التأويل (تفسير الطبري ٢٢/ ٥٧٠).

(٢) نقله الطبري عن بعض العلماء من أهل البصرة (تفسير الطبري ٢٢/ ٥٧١)، وهو قول أبي العالية والضحاك، كما في البسيط ٢١/ ٩١.

(٣) عند جميع العلماء غير ابن الأنباري، وتعقبه الداني في المكتفىٰ ٢٠٧.

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾ نوحًا ﴿وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩﴾ يعني: صِيح به وخُوِّف فاستطار عقله[1]، فقالوا له: مجنون ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ﴾ مقهورٌ في أيديهم ﴿فَٱنتَصِرۡ ١٠﴾ وأعِنْ، وهذا حين بلغ الأجل منتهاه، قال الله تعالىٰ: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أربعين يومًا ﴿بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١﴾ مُنْصَبٍّ من السماء ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾ أي: فجرنا عيون الأرض أربعين يومًا ﴿فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ﴾ أي: تقابل ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢﴾ أي: قُضِيَ عليهم الهلاك، وإنما لم يقل التقىٰ الماءان لأنَّه ذكر الماء باسم الجنس.

﴿وَحَمَلۡنَٰهُ﴾ أي: نوح والمؤمنين من قومه ثمانين نفرًا ﴿عَلَىٰ﴾ سفينة ﴿ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣﴾ والدِّسار مسمارٌ يُشد به السفينة، والدُّسر جمعه، أي: سفينة مشدودة بالمسامير[2].

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ بنظرنا وحفظنا ﴿جَزَآءٗ﴾ منًّا، يعني: السفينة جزاءً منا وكرامةً ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾ وجُحد برسالته، وهو نوح، والنجاة جزاء من كُفِرَ، والهلاك جزاء من كَفَر.

﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ﴾ أي: سفينة نوح عِبرة، حتىٰ كان بعض خشبها باقيًا إلىٰ قريبٍ من هذه الأزمنة.

ويُقال: في سفينة زماننا منها آية.

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥﴾ مِن أُمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم يخاف أن ينزل به ما نزل بهم.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦﴾ أي: كيف كان عاقبة إنذاري آباءهم ونجاة رسلي.

---

(١) أي غشي عليه، تفسير أبي الليث ٣/ ٣٧١.

(٢) البسيط ٢١/ ٩٩.

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: سهلناه على العباد ﴿لِلذِّكۡرِ﴾ ليحفظوا، لأنَّ أهل التوراة والإنجيل يقرؤون كتابهم نظرًا، ولا يحفظون كما يُحفظ القرآن ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ أي: متذكر بما يدعو إليه القرآن.

وقيل: هل من طالب علم فيُعان عليه[(١)].

﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ﴾ قوم هود رسولها ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨﴾ كيف كان عاقبة إنذارهم.

ثم وصف عذابهم فقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ باردةً ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩﴾ أي: يوم شؤم، وشؤم ذلك اليوم عليهم مستمر، ذهب بالصغير والكبير، وذلك اليوم من الأربعاء الآخر من الشهر إلى الأربعاء الثاني، وقال صلى الله عليه وسلم: «آخر الأربعاء من الشهر شؤمٌ»[(٢)].

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ ترفعهم عن الأرض ثم تكبُّهم على الوجه ﴿كَأَنَّهُمۡ﴾ حين سقطوا لوجوههم ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ شبَّههم بالنخل لطول قاماتهم ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١﴾ أليس وجدوه حقًا.

---

(١) وهو قول مطر الوراق وقتادة، رواه الطبري ٢٢/ ٥٨٤، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ٢٢٥. قال الطبري: وهذا قريب المعنى مما قلناه -يعني: بيناه وفصلناه لمن أراد أن تذكر ويعتبر ويتعظ- ولكنا اخترنا العبارة التي عبرنا عنها في تأويله لأن ذلك هو الأغلب من معانيه على ظاهره.

(٢) رواه ابن مردويه من حديث عائشة، كما في الدر المنثور ٧/ ٦٧٧، والغالب على أحاديث ابن مردويه الضعف، وروى الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٦، وفيه مسلمة بن الصت متروك الحديث (لسان الميزان ٨/ ٥٩). وقد ذكره الثعلبي عن ابن عباس من قوله (الكشف والبيان ٢٥/ ٢٢٧). والحديث من جملة الموضوعات المذكورة في كتب الموضوعات، انظر: الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ٧٣، اللآلئ المصنوعة ١/ ٤٤١.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾ قوم صالح نبيهم، ومن تقدَّمه من الرسل ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا﴾ آدميًا مثلنا ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ نسلك طريقه ﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: جنون، يقال: ناقة مسعورة إذا كان بها شبه جنون[1].

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: أنزل الوحي علىٰ صالح من جُملتنا ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ فَرِحٌ مَرِحٌ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ يوم القيامة ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ هم أم صالح.

﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ وبليَّةً ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾ انتظر هلاكهم، واصطبر علىٰ ما يستقبلونك به من الأذىٰ ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ إذا أتتهم الناقة، لها شرب ولهم شرب، يومٌ لهم ويومٌ للناقة ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ أي: كل حظ لأحد الفريقين يحضره صاحبه في قومه[2].

﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ﴾ أخذ القوم كلهم مشربها[3]، وجلس علىٰ مضيق ممرَّها مِصْدَع بن دهر، وعلىٰ المضيق الثاني قدار[4] بن سالف، فلما قربت[5] من مصدع، نادىٰ القوم كلهم: أتتك الناقة يا مِصْدَع، فرماها وضربها ثانية علىٰ الساق الآخر، حتىٰ عجزت عن المشي، ثم ضرب بالسيف علىٰ منحرها، فذلك قوله تعالىٰ فنادوا صاحبهم ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: أخذ السيف فعقرها.

فقال لهم صالح: سألتم مني ناقةً أعطاكم الله، ورفع عنكم مؤونتها، كانت

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٩.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٩٢.

(٣) في الأصل: مشربهما، علىٰ التثنية، وهو غلط.

(٤) تصحف في الأصل إليك قراب.

(٥) في الأصل: قرب.

ترعىٰ في أراضي الله، فإذ[١] عقرتموها فأيقنوا بعذاب الله، فقالوا استهزاءً: عجِّل عذابنا، فجاءهم العذاب بعد ثلاثة أيامٍ، وعلامة ذلك أن وجوههم اصفرَّت في اليوم الأول، واحمرَّت في اليوم الثاني، واسودَّت في اليوم الثالث، فأيقنوا بالعذاب، فحفظوا أنفسهم، وتكفَّنوا، فصاح بهم جبريل في اليوم الرابع فهلكوا، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١﴾ ما يبس من ورق الشجر فهشَّمته الدواب، والمحتَظِر: صاحب الحظيرة، والمحتَظَر: بالنصب، الدَّابة في الحظيرة[٢].

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢﴾ أي: للفظه، فهل من متعظٍ.

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ أي: أمطرنا عليهم حجارة من سحابٍ تمطر عليهم الأحجار، والحاصب: الحصىٰ الصغار والرمل.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ﴾ منصوبٌ بالاستثناء، يعني: لوطًا وابنتيه ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤﴾ أي: في آخر الليل.

﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ ومنَّة منَّا علىٰ آل لوط ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي﴾ أي: نُكافئ ونُثيب ﴿مَن شَكَرَ ٣٥﴾ النعمة وعرف الربوبية.

﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا﴾ أي: خوَّفهم لوط عذابنا ﴿فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦﴾ أي: شكُّوا في الرسل الذين دعاهم لوط إلىٰ تصديقهم ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ أي: طلبوا من لوط أضيافه ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ مسح جبريل أبصارهم فعميوا ﴿فَذُوقُواْ

---

(١) في الأصل: فإذا، وهو تصحيف.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٠. وقد قرأ الحسن وقتادة وأبو العالية: المحتظَر، وهي قراءة شاذة (الكشف والبيان ٢٥/ ٢٤٢).

عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ عذابٌ تمكّن فيهم، واستقر فيهم، ولم يتخلّص منهم نافخ نار.

وقوله: صبَّحهم، أي: ألمَّ بهم صباحًا، وهو عند انصداع الصبح، وذلك حين قلب جبريل مدائنهم، ورفعها إلىٰ السماء أو قريبًا منها، وذلك قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ثم لما أقلهم جبريل فخسف بهم وقت إشراف الشمس، وهو قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: عند شروق الشمس إذ أضاءت.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ من موسىٰ وهارون ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع ﴿كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ منيع قوي، أخذهم بعزَّته وأهلكهم بقدرته.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ أي: من قوم موسىٰ يا أهل مكة ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ في الكتب المُنزَّلة، استفهام خرج مخرج التقريع(١).

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ردَّ الكلام إلىٰ الغائب بعد المخاطبة، ومعناه: بل يقولون كفارُ مكة ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ وإنما قال ذلك أبو جهل يوم بدر، ركب فرسًا قد كان يعلفها كل يوم فرقًا من ذُرةٍ، وحلف أنه يقتل عليه محمدًا، ويقول: ننتصر اليوم من محمد، فقتله ابن مسعود، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾(٢) ردَّ عليهم قولهم: نحن جميعٌ منتصر؛ بكلمة: بل، ولم يقل في منتصر: منتصرون؛ وهو فعل الجمع،

---

(١) والإنكار، البسيط ٢١/ ١١٩.

(٢) والسورة مكية، قال أبو الليث: وفي هذا علامة من علامات النبوة لأن هذه الآية نزلت بمكة، وأخبرهم أنهم سيهزمون في الحرب، فكان كما قال (تفسير أبي الليث٣/ ٣٧٦).

ولكن المُراد به: إنا بجملتنا في الانتصار كالواحد[١] لا تختلف آراؤنا، ولو ذكر فيه الجمع لكان جائزًا، كقوله ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[٢].

وقيل: إنَّه ذكر المنتصر ثم قال: ويولون الدبر، ولم يقل: الأدبار؛ لفواصل الآيات.

ثم قال: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ أي: أشد وأعظم بليَّة من يوم بدر.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي: خطأ في الدنيا وعذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يُجرُّون فيها، يُقال لهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: جرِّبوا إحراق النار، فسُمِّي إحراق النار مسًّا لأن مسَّ النار عذاب قائم.

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ بمقدور، ومكتوب في اللوح المحفوظ.

وهذه الآية ردٌّ على القدرية، لأنهم يقولون: ليست المعاصي بقدر الله، وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «القدرية مجوس هذه الأُمة»[٣].

قال عبد الحميد الحاكم مؤلفه: بلغنا عن وهب بن منبه رضي الله عنه أنه قال: الكتب كلها بضعة وتسعون[٤]، وقرأتُ منها بضعًا وسبعين فوجدت في كل كتابٍ: أنَّ من زعم أنَّ إليه شيئًا من المشيئة فقد كفر[٥].

---

(١) في الأصل: وكالواحد، ولا معنىٰ لهذه الواو.

(٢) في الأصل: حذرون، وهي قراءة المدنيين والبصريين وابن كثير وهشام بخلف عنه (النشر ٢/ ٣٣٥).

(٣) رواه ابن ماجه ٩٢، وأبو داود ٤٦٩١.

(٤) في الأصل: وتسعين.

(٥) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ ١٧٧١.

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾ أي: قولنا بقيام الساعة إلا مرة واحدة ﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠﴾ لأنه يقول كن فيكون.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ أصحابكم وأشباهكم يا أهل مكة بألوان العذاب ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝٥١﴾ مُتَّعظ بما صنع بهم.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ شركهم وكبائرهم في اللوح المحفوظ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ۝٥٣﴾ مكتوب في ديوانهم.

ثم ذكر أنَّ حال المؤمنين علىٰ خلاف حال المشركين ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤﴾ والنَهْر والنهَر واحد، والنصب أفصح ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ في مجلس كريم، وهي الجنة ﴿عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ له القدر والمنزلة، عند الملك الجبَّار، قادر علىٰ ما يشاء من الإكرام والإهانة.

قال الصادق: سُمِّي مقعد صدق لأنه لا يقعد فيه إلا أهل الصدق، وهو المقعد الذي يصدُق الله مواعيد أوليائه، بأن يبيح لهم النظر إلىٰ وجهه الكريم.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة القمر كل يوم بُعث يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، ومن قرأها في كل ليلةٍ كان أفضل»(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ١٩٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢١.

سورة الرحمن

مكيَّة[١]، وهي ثمان وسبعون آية في الكوفي، وسبع في المدني، وست في البصري[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ قال مقاتل: لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ فأخبر الله عزَّ وجلَّ عن نفسه، ودلَّهم بصُنعه ليعرفوه ويوُحِّدوه، فقال: الرحمن الذي أنكرتموه هو الذي عمَّت رحمته علىٰ خلقه في أرزاقهم وأغذيتهم، الذي علَّم القرآن محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم، وهذا يصلح جوابًا لقول الكفار: إنما يُعلِّمه بشرٌ، وهو جبر ويسار[٣].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾ يعني آدم ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ ألهمه الكلام.

ويحتمل: أنه أراد به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أيضًا، أخبر أنه علَّمه القرآن الذي [هو] بيان عن الأولين والآخرين[٤].

---

(١) فيها خلاف حكاه الثعلبي وغيره، ورجح الثعلبي أنها مكية، وهو قول الجمهور (الكشف والبيان ٢٥/ ٢٨٣، زاد المسير ٤/ ٢٠٥)

(٢) والشامي كالكوفي، والمكي كالمدني، (البيان في عد آي القرآن ٢٣٧).

(٣) في الأصل: حبر ونشار، وهو تصحيف.

(٤) هذا الأخير قول ابن كيسان كما في زاد المسير ٤/ ٢٠٦. وأهل التأويل علىٰ أن الإنسان هو آدم، والبيان عام في كل ما هو محتاج أن يبان له، ومن ذلك الكلام، والشرائع والحلال والحرام (تفسير الطبري ٢٣/ ٨، الكشف والبيان ٢٥/ ٢٨٩).

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥﴾ يجريان بالحساب، والجمع جمع حساب، كشهاب وشهبان.

﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦﴾ فالنجم من النبات ما لا يقوم على ساقٍ، والشجر: ما قام على ساقٍ، وسجودهما: تفيؤ ظلالهما، وقيل: يخضعان[١].

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ من فوق الأرض وأمسكها في الهواء ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧﴾ أي: بيَّن في الأرض العدل، وقيل: ما يوزن به[٢].

﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ﴾ أي: أمركم أن لا تطغوا ﴿فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨﴾ أي: لا تجاوزوا الحدَّ، ولا تجوروا على الناس في الموازنة.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ بالعدل أقيموا لسان الميزان ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩﴾ أي: لا تنقصوا حقوق الناس.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠﴾ أي: بسطها للخلق ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾ بألوانها ﴿وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١﴾ ذات الفلق قبل أن ينفتق[٣] ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ أي: ذو الورق، وَذو[٤] ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢﴾ وهو ما يُشَمُّ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣﴾ أي: بأي نعمائه وصنائعه وأفعاله من هذه الأشياء المذكورة يجحدان أنها ليست من الله؛ أيها الثقلان من الجن والإنس، وواحد الآلاء: إِلَىٰ، كواحد الأمعاء: مِعَىٰ[٥].

(١) البسيط ٢١/ ١٣٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ١٣، البسيط ٢١/ ١٣٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٧.

(٤) فصل بين الواو والريحان، بـ: ذو.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٨.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ وقال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ١١﴾ وقال: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾ فالألفاظ وإن اختلفت فهي راجعة إلىٰ أصل واحدٍ، لأن أصل الطِّين التراب، فالطين انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالاً ﴿كَٱلۡفَخَّارِ ١٤﴾ والصلصال: الخَزَف اليابس، الذي له صوتٌ حين نقرته، قبل أن يُوقَدَ عليه[1].

اعلم أنَّ الله تعالىٰ خلق البشر من صلصالٍ، واعلم أنه ﴿وَخَلَقَ﴾[2] أب ﴿ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥﴾ وهي التي لا دُخان لها، يكون بين حجابٍ دون سماء الدنيا، ومنها تكون الصواعق، والمارج: المختلط، يعني مختلط اللون بياض وحُمرة وسواد.

ثم قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦﴾ أي: بأيِّ نعمة ما قدر لكما من قدرته تُنكرون أيها الثقلان.

وقد طعن أهل الزيغ في تكرار قوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في هذه السورة، وقوله تعالىٰ: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ في سورة اقتربت، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ في المرسلات وأشباهها.

فالجواب لهم:

أنَّ القرآن أُنزل علىٰ لغة العرب، والعرب إنما اختارت الإيجاز والاختصار، وربما اختارت التطويل والإشباع والتكرار، للتأكيد والإفهام، وقد قال شاعرهم حين قُتل كليب بن وائل، وقد نهض للقتال والانتقام لهذا القتيل حتىٰ يقتل قاتله[3] وأنشأ قصيدة تربىٰ علىٰ مائة قافية أولها:

---

(١) انظر: تفسير سورة الحجر، آية: ٢٦.

(٢) في الأصل: فصل بين الواو وخلق بـ: اعلم.

(٣) في الأصل: والانتقام هذا القاتل حين يقتل قاتله..

قربا مربط النعامة مني لقراعٍ وصولةٍ وقتالٍ

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل [عن حيالي][(١)]

إلىٰ آخر القصيدة في أول كل بيت: قربًا مربط النعامة مني، والنعامة فرسٌ أنثىٰ، سمَّاها: نعامة [(٢)].

وقال الآخر:

يا علقمة يا علقمة يا علقمة خيرُ تميم كلها وأكرمه [(٣)]

وقال:

هلاَّ سألت جموع كندة [يوم ولَّوا] أين أينا [(٤)]

---

(١) هاهنا في الأصل: بن بجير بعد ما كان حائلا يأتي. وهذه قصيدة الحارث بن عباد المشهورة في رثاء ابنه بجير، بعد أن قتله الزير بشسع نعل كليب، فقالها الحارث في ابنه بجير، لا كما يوهم نظم الكتاب أنها في كليب بن وائل أخي الزير المهلل. وانظر: الحماسة البصرية ١/ ١٦، نهاية الأرب ١٥/ ٤٠٣.

نعم وقع للزير في رثاء أخيه كليب مثل هذا، وهو قوله (كما في النكت والعيون ٥/ ٤٢٧):

علىٰ أن ليس عدلاً من كليب إذا ما ضيم جيران المجير

علىٰ أن ليس عدلاً من كليب إذا خرجت مخبأة الخدور

ويظهر أن المصنف صدر عن صاحب النظم الجرجاني، لتشابه الكلام كما في البسيط ٢١/ ١٥٠.

(٢) هنا في الأصل بعد كلمة: نعامة، زيادة كأنها : «الله غد الغدود»، وفيه تصحيف لم أهتد لصوابه، والفرس تسمىٰ النعامة، وهي مشهورة في الكتب، ولم أجد هذا الي ثبت هنا.

(٣) البيت في تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٢٦، وفتح القدير ٥/ ٦٢٠، والقرطبي بحث مسألة التكرار في سورة الكافرون.

(٤) البيت لعبيد بن الأبرص، وهو في الحماسة البصرية ١/ ٨٣، وغريب الحديث للخطابي ٢/ ٧١، والأغاني ٢٢/ ٨٨.

وهم يقولون[١] في الاستعجال: عجل عجل، الوحا الوحا.

وقال الله تعالىٰ: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.

وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل»[٢].

وفي عادة الناس: هذا كرجل يقول لابنه يُعاتبه: ألم تكن طفلاً فربيتك، أفتُنكر هذا، ألم تكن جاهلاً فعلَّمتُك، أفتنكر هذا، ألم تكن فقيرًا فأغنيتك، أفتُنكر هذا، ألم تكن عزبًا فزوجتك أفتنكر هذا. ومثله كثيرٌ في الكلام يُربي علىٰ ما لا يُمكن تعداده[٣].

وقيل: كيف ذكر الجن والإنس ولم يجر ذكر الجن في الكلام، والكناية تلحق بالمذكور لا بغير المذكور.

فأجاب بعضهم: وقالوا: مثل هذا جائزٌ كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ وقال: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ وقال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

والأصح أن يُقال بأن الجن مذكور في الكلام، لأنه قال: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ والأنام: كل ما فيه الرُّوح من الجن والإنس وغيرهما[٤]، ولأنَّ الله تعالىٰ أرسل محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الجن والإنس؛ فخاطبهما جميعًا[٥].

---

(١) في الأصل: وهم يعقلون.

(٢) رواه أبو داود ٢٠٨٣، والترمذي ١١٠٢، وابن ماجه ١٨٧٩.

(٣) انظر بقية الشواهد في الكشف والبيان ٢٥/٣٠٦، البسيط ٢١/١٤٩، الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٦٠.

(٤) وهذا إجماع من المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس من طرق، وعن الحسن وقتادة ومجاهد وابن زيد، انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ١٥، الهداية ١١/ ٧٢١٦.

(٥) وهذا عليه جماهير المفسرين، انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ١٥، تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٣٨٠، تفسير السمعاني ٥/ ٣٢٤، معالم التنزيل الكشاف ٤/ ٤٤٥.

وقد قيل: إن المُراد بالخطاب للإنس وحده، لكن الخطاب للمثنىٰ علىٰ عادة العرب، تقول العرب: يا غلام ازجُر الجمال وسُوقها، وكان الحجَّاج يقول: يا غلام قوما فاضربا عُنقه، وقال الله تعالىٰ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤﴾(١).

وقال امرئ القيس:

قِفا نبك مِنْ ذكري حبيب ومنزل .... (٢)

فتأمَّل فيها، ولا تَطْعَنْ في كتاب الله جهلاً، واسأل الله الهداية فإنه الهادي والمرشد(٣).

قوله تعالىٰ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ هما مشرق الشتاء والصيف ومغربهما(٤).

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ يعني: أرسل ماء البحرين يلتقيان ولا يختلطان.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ أي: حاجز لا يختلطان. وأراد به: بحر فارس والرُّوم، والحاجز بينهما جزيرة العرب(٥).

وقيل: لا يبغيان لا يُغيِّر أحدهما(٦) طعم ماء الآخر، لا المِلْح طعم العذب ولا

---

(١) وهذا قول بعض اللغويين، فقد ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ١١٤، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ٣٠٥، والواحدي في البسيط ٢١/ ١٤٩.

(٢) البيت الأول من معلقته المشهورة.

(٣) المسألة في معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٤، تفسير الطبري ٢٢/ ٢٣، مفاتيح الغيب ٢٩/ ٣٤٦، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٥٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٨، البسيط ٢١/ ١٥٣.

(٥) هذا قول الحسن وقتادة (رواه ابن جرير في التفسير ٢٣/ ٣٠)، وضعفه الواحدي (البسيط ٢١/ ١٥٤).

(٦) في الأصل: أحدما.

العذب طعم المِلْح.

[﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١﴾][(١)].

وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ٢٢﴾ اللؤلؤ الكبار، والمرجان الصغار.

وقيل: اللؤلؤ الدُّرُّ، والمرجان الخرز الأحمر، وهو البُسَّذ[(٢)]، واللؤلؤ من البحر المالح، وأضاف إليهما كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾[(٣)].

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ٢٤﴾ المنشآت: المخلوقات والمرفوعات، شرعهنَّ في البحر كالجبال[(٤)] [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٥﴾].

وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦﴾ أي: علىٰ وجه الأرض من الخلق ميت

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ربك ﴿ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧﴾ ذو العظمة والكبرياء [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٨﴾].

---

(١) لم يكرر هذه الآية مرة أخرىٰ إلىٰ آخر السورة، وقد أحسن ابن جرير لما ذكر كل آية منها في موضعها، ثم حمل الآلاء علىٰ ما سبق، فيقول هنا مثلا: يقول تعالىٰ ذكره: فبأي نعم الله ربكما معشر الجن والإنس تكذبان من هذه النعم التي أنعم عليكم من مرجه البحرين، حتىٰ جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك.

(٢) البسذ: عرفه ابن جرير بأنه له شُعب، وهو أحسن من اللؤلؤ، وقال: هو تفسير كعب الأحبار (تفسير الطبري ٢٣/ ٣٤، الكشف والبيان ٢٥/ ٣١٥). وفي تاج العروس ٩/ ٣٧٦: «فارسي معرب». وفي الأصل: اليسر، وهو تصحيف.

(٣) والقمر في الدنيا من السماوات (وهو قول الكلبي كما في الكشف والبيان ٢٥/ ٣١٤).

وقد ناقش ذلك ابن جرير ورده بناء علىٰ ما رجح من البحرين، فإنه اختار رواية عن ابن عباس: أنه بحر السماء -أي القطر- وبحر الأرض. قال ابن عباس: إن السماء إذا أمطرت تفتحت لها الأصداف، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ. (تفسير الطبري ٢٣/ ٣٥، الكشف والبيان ٢٥/ ٣١٦).

(٤) أي: السفن (الكشف والبيان ٢٥/ ٣١٨).

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أهل الأرض يسألون الرزق وأهل السماء يسألون لأهل الأرض الرزق والمغفرة، وهم[1] يسألون القوة والعبادة[2] ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ لأنَّ اليهود قالوا: إنَّ الله تعالىٰ لا يقضي يوم السبت شيئًا، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ في السَّبت وغيره[3][﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾].

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ كل شيء نفيس يُتنافس فيه وله قدْرٌ في القلوب يُقال له: الثَّقَل[4].

ومنه قوله صلىٰ الله عليه وسلم: «خلَّفْتُ فيكم الثَّقَلين؛ كتاب الله وعترتي[5]» لقدرهما عنده.

وقوله: «سنفرغ» فالفراغ يكون بعد الشغل، وما لله شغلٌ، فكيف يُوصَف بالفراغ؟ ولكنَّهُ جاء علىٰ وجه التهديد والوعيد، كما يقول الرجل لولده: سأفرغ لك الساعة؛ وإن كنت فارغًا[6].

---

(١) في الأصل: ومن.

(٢) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/ ٣٠٦، تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٢. ونسبه الثعلبي (في الكشف والبيان ٢٥/ ٣٢٦) لابن عباس وهو من رواية الكلبي.

(٣) وهوقول مقاتل في تفسيره ٣/ ٣٠٦. وعنه: الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ٣٢٦.

(٤) البسيط ٢١/ ١٦٦.

(٥) رواه أحمد في المسند (١١١٠٤) من حديث عطية العوفي -وهو ضعيف- عن أبي سعيد الخدري.

وفي صحيح مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم في حديث غدير خم، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث علىٰ كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

(٦) وهذا قول عامة المفسرين كما ذكر الواحدي(البسيط ٢١/ ١٦٦).

ومعناه: اليوم يوم العمل وغدًا يوم الجزاء، وسنحاسبكم[١] إذا صرتم من دار العمل إلىٰ دار الجزاء. [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾].

قوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلىٰ جوانبها، واحدها قُطر ﴿فَٱنفُذُواْۚ﴾ وجوزوا، واسبقوا، وهو بمعنىٰ قوله: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ والمُراد منه: الهرب من الموت، أي: لا يمكنهم الهرب من الموت[٢].

قال الكلبي: إنَّ الله يُوكِّل الملائكة علىٰ أكتاف الأرض وأطرافها يوم القيامة، فإذا عايَنَ الخلقُ أهوال القيامة طمع الجن في الهرب، يقصدون أطراف الأرض فيجدون عند ذلك ملائكة تحجزهم عن النفوذ، فيُقال لهم: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾﴾ وحُجَّة من الله تعالىٰ[٣] [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾].

﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ﴾ وهو: اللهب الذي لا دخان له ﴿وَنُحَاسٞ﴾ هو: الدخان يسوقهم إلىٰ المحشر[٤] ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ أي: لا تمتنعان عند ذلك.

وقيل: النحاس الصَّفر المُذاب، يجري عليهم من ذلك خمسة أنهار ثلاثة في مقدار الليل واثنان في مقدار النهار[٥] [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾].

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ من هيبة الرحمن، وتنزل

---

(١) في الأصل: أقرب إلىٰ: سنعاتبكم، وهو تصحيف، وهو تفسير ابن جرير (تفسير الطبري ٢٣/ ٤١) والكلبي ما أثبت (البسيط ٢١/ ١٦٤). ولم يقل أحد في هذا الموضع: سنعاتبكم.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٣.

(٣) نحوه في تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٤.

(٤) قوله: يسوقهم إلىٰ المحشر غريب، بل قول المفسرين أنه تخويف وتهديد بأن يعذبهم بها، والله أعلم (تفسير الطبري ٢٣/ ٤٩، الكشف والبيان ٢٥/ ٣٣٨، البسيط ٢١/ ١٧١.

(٥) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/ ٣٠٦.

الملائكة كلون الفَرس الورد[١] والكميت، والورد يتلون: فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف[٢].

وقوله: «كالدِّهان» فالدهان جمع دُهن، إذا صُبَّ بعضها علىٰ بعضٍ تكون ألوانًا مختلفةً، ونظيره وتصديقه قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ والمهل: الزيت المغلي[٣].

وقيل: كالصُّفر المذاب أو الذهب المحماة [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨﴾].

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩ [فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠]﴾ وقال في موضعٍ آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾.

قال الكلبي: هو بعد الفراغ من الحساب والقصاص لا يُسأل أحدٌ بعد ذلك، ولكن ظهر علىٰ وجه كل واحد أثرٌ؛ أما الكافر هو مسودٌ وجهه، أزرق عيناه، وأما المؤمن فإنهم غُرٌّ مُحجَّلون من آثار الوضوء، فتأخذ الملائكة بنواصِ المجرمين وأقدامهم ويرمونهم في النار، وهو قوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١﴾[٤].

وقيل: لا يُسألون سؤال استعلام، ولكن يُسألون سؤال توبيخ وتقريع، ولا يُقال: هل فعلتم كذا ولكن قيل: لم فعلتم كذا سؤال عن الحُجة[٥].

وقيل: لا يُسأل عن ذنب مذنب أحد من الجن والإنس، ولكن يُسأل كل واحد

---

(١) وذلك لأنه يكون في الربيع كميتا أشقر وفي الشتاء أحمر فإذا اشتد البرد كان أغبر (تفسير مقاتل ٣/ ٣٠٧).

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٧، تفسير الطبري ٢٣/ ٤٩، الكشف والبيان ٢٥/ ٣٤٢.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٧، البسيط ٢١/ ١٧٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٥، الكشف والبيان ٢٥/ ٣٤٧.

(٥) انظر: البسيط ٢١/ ١٧٧، زاد المسير ٤/ ٢١٢.

عن فعل نفسه.

قوله: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ۝٤١ [فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢]﴾ أي: بضمّ الأقدام إلىٰ النواصي من خلف، ويُشَدُّ ويُرمىٰ في النار علىٰ وجهه، ويُقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٤٣﴾[1].

﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ۝٤٤ [فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٥]﴾ أي: يُعذَّبون في جهنم، فإذا اشتد عليهم حرَّها سألوا أن يُنطلق بهم إلىٰ الحميم، فإذا اشتدَّ عليهم الحميم سألوا أن يُعادوا إلىٰ النار، فهذا دأبهم، مرة إلىٰ الحميم ومرة ثانية إلىٰ النار يطوفون.

والآنيُّ: الذي انتهىٰ حرّه[2].

ثم قال: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ أي: مَنْ خاف عند المعصية قيامه بين يدي ربه للحساب فانتهىٰ عنها فله جنَّتان، بُستانان، كل بستان مسيرة مائة سنة، ووسط كل بستان دارٌ بُنيت من نورٍ علىٰ نورٍ، كل بستان يهتزّ بخضرة ونعمة، وقرارها ثابت، وشجرها نابت، قال ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم[3].

وقيل: جنَّتان جنَّة عَدْن، وجنَّة نعيم[4] [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾].

ثم وصفهما فقال: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ۝٤٨ [فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩]﴾ والأفنان: الألوان من الشجر والأفنان: الأغصان أيضًا[5].

---

(١) وهذا تفسير الكلبي كما في البسيط ٢١/ ١٨٠.

(٢) وهذا قو المفسرين قاطبة، تفسير مقاتل ٣/ ٣٠٨، مجاز القرآن ٢/ ٢٤٥، تفسير الطبري ٢٣/ ٥٥.

(٣) موضوع، رواه مقاتل في تفسيره عن عطاء عن ابن عباس مرفوعا (تفسير مقاتل ٣/ ٣٠٨).
وقد ذكره الثعلبي دون أن يجعله حديثا (٢٥/ ٣٥٠).

(٤) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/ ٣٠٨.

(٥) تفسير الطبري ٣/ ٣٠٨.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ على أهل الجنَّة بالخير والبركة والرحمة [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١﴾].

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ حلو وحامض.

وقيل: زوجان أي زوج منها عجم وعجمها وصيف ووصيفة[1]، وزوجٌ لا عَجْم فيه[2] [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣﴾].

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا﴾ بطائنها: ظواهرها، وهو الوجه الذي يُنام عليه ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو الدِّيباج الغليظ؛ كيلا يتشنَّج، والظَّهارة رقيقة كأنها من نورٍ يتلألأ[3] ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾ أي: ثمارها التي تُجنا قريبة ينالها القاعد بيده، والمضطجع أيضًا، ولا يُمنع بمانعٍ ولا شَوْكٍ [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥﴾].

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي: الجنان[4]، وهيَ: جنَّة الفردوس، وجنَّة المأوىٰ، وجنَّة عدن، وجنَّة نعيم[5].

وقاصرات الطرف: نساء حافظات للبصر غاضات الطرف، قانعات بأزواجهن، لا ينظرن إلىٰ أحدٍ.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يعني: لم يجامعهنَّ في النشأة الثانية ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾ أي: إنسيٌّ ولا جِنِّيٌّ قبل أزواجهن.

وفي الآية دلالة علىٰ أن الجِنَّ تطمث بنات آدم[6] [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧﴾].

---

(١) في الأصل: وصيفة.

(٢) وهذا قول غريب.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٢، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٧٩، اللباب لابن عادل ١٨/ ٣٤٦.

(٤) هذا قول الكلبي، وهو غريب لأنه لم يجر ذكر للجنان، والصحيح أن المقصود: الفرش ذات بطائن الاستبرق (تفسير الطبري ٢٣/ ٦٣).

(٥) تفسير مقاتل ٣/ ٣٠٩.

(٦) وقيل أيضا: إنَّ فيها دليلا علىٰ أن الجن يدخلون الجنة (الكشف والبيان ٢٥/ ٣٦٢).

ثم وصفهنَّ فقال: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ يعني في صفاء الياقوت وبياض المرجان [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾].

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ [فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾]﴾ إلا الإحسان كلام خرج مخرج الاستفهام، وفيه معنىٰ التقرير للمؤمنين والتقريع للكافرين(١).

قال مقاتل: ليس جزاء أهل التوحيد في الآخرة إلا الجنة(٢).

وقال إبراهيم الخواص: هل جزاء الإسلام إلا دار السلام.

وقيل: هل جزاء الطاعات إلا الدرجات.

وقيل: هل جزاء الشكر إلا الزيادة وهل جزاء المِنَّة إلا الرؤية(٣).

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ أي دون الجنتين الأولتين جنَّتان أُخراوان [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾].

ثم وصفهُما فقال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ أي: خضراوان من الرَّيْ مأخوذ من الدَّهم، وهو السَّواد والأخضر الشديد يضرب للسواد(٤)[﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾].

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ فوَّارتان بالماء مملوءتان بالخير والبركة والبراقة والزيادة. وقيل: فيَّاضتان(٥)[﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾].

---

(١) البسيط ٢١/ ١٩١.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٣١٠.

(٣) البسيط ٢١/ ١٩٢، زاد المسير ٤/ ٢١٤، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٨٢.

(٤) البسيط ٢١/ ١٩٣.

(٥) البسيط ٢١/ ١٩٥.

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ٦٨﴾ يعني ألوان الفواكه ونخل ورُمَّان [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٩﴾].

﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في الجنان الأربع ﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠﴾ يعني: خيرات الأخلاق حِسان الوجوه[١] [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١﴾].

ثم قال: ﴿حُورٞ﴾ وهي جمع حوراء[٢] ﴿مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢﴾ محبوسات ممنوعات في الحجاب المضروبة [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣﴾].

﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤﴾ إنهم نفوسٌ مستودعة في أستار أولياء الحق[٣] [﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٥﴾].

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ [حِسَانٖ]٧٦﴾ يعني: الرياض الخُضر من الأرض المخضبة، عن الكلبي[٤].

وقال مقاتل: مجالس خضر تحت العرش أو فوق العرش.

والرفرف: الطنافس والمرافق، والعبقري: الزرابي وهي بالفارسية شاذروان[٥].

وقال بعضهم: عبقريٌ اسم موضع تكون فيه الثياب الموشىٰ والبلدة في جانب اليمن[٦].

---

(١) وهو مروي عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم من حديث أم سلمة، رواه ابن جرير (٢٣/ ٧٥).
(٢) في الأصل: حوار.
(٣) هذا من التفسير الإشاري.
(٤) وهو قول جمهور المفسرين، كما في تفسير الطبري ٢٣/ ٨٣.
(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٨٥، البسيط ٢١/ ٢٠١.
(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٩، البسيط ٢١/ ٢٠٣.

ثم قال ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧﴾ أي: بأي نِعم ربكما الذي عدَّ عليكما تجحدان -يا معشر الجن والإنس- أنها ليست من الله.

ثم عظَّم نفسه فقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾[١] أي: تعظم اسم الله أن يستحق أحد سواه الجلال: العظمة؛ والإكرام: العفو أو الصفح عن العباد.

قال عبد الحميد الحاكمي -عفا الله عنه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الرحمن رَحِمَ الله تعالىٰ ضُعفه وقد أدَّىٰ شكر ما أنعم الله عليه»[٢].

---

(١) في الأصل: ذا الجلال، وهي قراءة

(٢) موضوع. رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ٢٨٦، والمستغفري في الفضائل (١٢٢٢).

سورة الواقعة

مكيَّة[١]، وهي ست وتسعون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١﴾ يعني: إذا قامت القيامة.

وإذا يُراد به المستقبل، يعني: ستقع الواقعة، وهي النفخة الثانية[٣].

﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ أي مردودة ولا مثنوية. عن مقاتل: أي ليس في وقوعها كذب.

﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ أي: خفضت أقوامًا بأعمالهم فأدخلتهم النار، ورفعت أقوامًا فأدخلتهم الجنَّة.

ثم بيَّن متىٰ تكون فقال: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ۝٤﴾ أي: زلزلت زلزلةً وتحرَّكت تحريكًا شديدًا، فعند ذلك تكون الواقعة.

﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥﴾ أي: كُسرت كسرًا وقُلِعَت من أماكنها.

وقيل: فُتتت تفتيتًا[٤].

﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ۝٦﴾ أي: صارت كالهَبَاء المنبث، أي: الغُبار المتفرِّق وهو

---

(١) الكشف والبيان ٢٥/ ٣٩٩، وذكر ابن الجوزي خلافا فيها (زاد المسير ٤/ ٢١٨).

(٢) في الكوفي، وسبع بصري، وتسع للباقين (البيان في عد آي القرآن ٢٣٩).

(٣) الكشف والبيان ٢٥/ ٤٠٤.

(٤) وهو قول جماعة كأبي صالح والسدي ومجاهد، انظر: تفسير الطبري ٢٣/ ٩٣، معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠٨.

ما ينبث في الكوَّة إذا دخلها شعاع الشمس(١).

﴿وَكُنتُمْ﴾ حينئذٍ ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧﴾ صنفان في الجنَّة، وصنفٌ في النار.

ثم فسَّر الأزواج فقال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين كانوا عن يمين العرش حين أخرجهم الله من صُلْب آدم، وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي(٢).

وقيل: الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم.

ثم عظَّم شأنهم ليكون دليلاً علىٰ فوزهم وفلاحهم فقال: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨﴾ أي ما لأهل اليمين من الخير.

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الذين كانوا عن يَسَار العرش، وقيل لهم: هؤلاء في النار ولا أبالي، ثم ذكر صعوبة عذابهم فقال: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩﴾ ما لهم من الشر.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠﴾ قال الزجَّاج: السابقون إلىٰ طاعة الله والتصديق لأنبيائه هم السابقون إلىٰ رحمته(٣).

وقيل: السابقون إلىٰ الخيرات والطاعات والجماعات والجُمعات(٤) هم السابقون إلىٰ الجنة.

﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ أي: في منازل القربة.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٢﴾ يتنعمون.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ أي: فرقة من الذين كانوا من لدُن آدم فجزاؤهم الجنة.

---

(١) وهو قول ابن عباس في رواية العوفي، عن قتادة: يبيس الشجر تذروه الرياح يمينا وشمالا (تفسير الطبري ٢٣/ ٩٤).

(٢) الكشف والبيان ٢٥/ ٤١٤.

(٣) معاني القرآن ٥/ ١٠٩. وقد سبقه إليه الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٢٢.

(٤) في الأصل: هم و، وهذا إقحام.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٤﴾ من أُمَّة محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

وقيل: يعني بالأوَّلين مَنْ سبق إلىٰ إجابة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وقليلٌ من الآخرين: من لم يسبق إلىٰ إجابته، فكان المُراد من الثُلَّتين هذه الأُمَّة، ثُلة من الأولين من هذه الأُمة وقليلٌ من الآخرين.

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ١٥﴾ أي: مرمولة بقضبان الذهب، والمرمول: المنسوج كنسج الدروع، وهي منسوجة بالدر والياقوت[1].

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦﴾ في الزيارة لا ينظر أحدهم في قفا غيره.

﴿يَطُوفُ﴾ بالخدمة ﴿عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧﴾ لا يموتون أبدًا، وقيل: متنعمون، وقيل: هم أطفال المشركين جُعلوا خدم أهل الجنَّة.

﴿بِأَكۡوَابٖ﴾ أي: كيزانٍ عِظام مُدوَّرة الرأس، لا آذان لها ولا عُرىٰ ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ هي التي لها خراطيم ﴿وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨﴾ كأس فيه خمر من نهرٍ جارٍ علىٰ أرض الجنة.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا﴾ أي: بشربها ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ١٩﴾ أي: لا يَسْكَرون بفتح الزاي[2].

وقُرئ: بكسر الزاي، أي: لا ينفد شرابهم[3].

﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠﴾ مخفوضة علىٰ المجاورة، لأن الفاكهة لا يُطاف بها.

وكذلك ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ أي: يختارون.

وإن كان كلُّ تلك جيِّدًا ﴿وَحُورٌ عِينٞ ٢٢﴾ فالكسر عطف علىٰ الجوار والفعل فيه

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٠، البسيط ٢١/ ٢٢٠

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٠.

(٣) الكسر قراءة الكوفيين، والفتح قراءة من سواهم (النشر ٢/ ٣٥٧).

مضمر، أي: يُؤتَون بألوانِ الفاكهة ولحم طير وحُورٍ عين[١].

ومَنْ قرأ بالرفع مبتدأ[٢].

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ في الصدف، كُننَّ من الحرِّ والبرد.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ نصب على المصدر، أي: يجزون جزاءً[٣].

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ كلامًا باطلاً ﴿وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ كلام فيه إثم، وقيل: تكذيبًا.

﴿إِلَّا قِيلًا﴾ أي قولاً ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ يُحيي بعضهم أي بعض، ويسلمون بعضهم بعضًا، ويسلمون على أهل الجنة خدام الجنة، ولفظ الاستثناء معناه: ولكن.

[ثم] قال: هذه منزلة المقرَّبين من العباد السَّابقين إلى الخيرات، وهم أقل أهل الجنة ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ أي: لا تدري ما لهم من الكرامة.

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ السِّدر: نوعٌ من الشجر، والمخضود الذي لا شوك فيه، وقيل: المخضود الموقر حملاً، هو الذي تؤكل كلها ولا يُرمىٰ منها شيءٌ[٤].

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ يُعنىٰ بالطلح الموز والمنضود الذي نُضد بعضها فوق بعض.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ دائم لا يسخنه شمسٌ.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ مصبوب جارٍ عليهم من تحت العرش.

قيل: لإن جماعة من المسلمين خرجوا إلى وادٍ من أودية الطائف ورأوا فيه

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٠٤.

(٢) قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: وحورٍ عينٍ، بخفض الاسمين، وقرأ الباقون بالرفع فيهما (النشر ٢/ ٣٨٣).

(٣) الدر المصون ١٠/ ٢٠٥.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ١٠٩.

أشجار سدر وطلح ومياه جارية فأعجبهم ذلك، فنزلت الآية.

﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾ كالقطع في الدنيا في بعض الأوقات ولا تبقىٰ ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣﴾ كما ينظر في الدنيا علىٰ الشجر ولا ينال يده.

﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤﴾ مرتفعة، وقيل مرفوعة علىٰ الأَسِرَّة.

وعن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لو أن فرشًا ألقي من أعلاها لم يصل إلىٰ صحن الجنة أربعين خريفًا»[1].

وقيل: الفرش كناية عن النساء مرتفعات القدر في عقولهن وحُسنهنَّ لأن الفرش إنما تفترش لأجلهنَّ[2].

وسمعنا أنَّ نوارة[3] امرأة الفرزدق سُئلت: أيُّ النساء خيرٌ؟ فقالت: هن فُرْشٌ فخيرها ألينها.

﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥﴾ وهذه دلالة المرأة بالنساء أي خلقناهن ثانية تخليقًا.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦﴾ بعد ما كن عجائز[4] ثيبات.

﴿عُرُبًا﴾ عاشقات علىٰ أزواجهن ﴿أَتۡرَابٗا ٣٧﴾ علىٰ ميلادٍ واحدٍ ثلاث وثلاثين سنة.

---

(١) رواه الطبراني، عن أبي أمامة مرفوعا، بإسناد فيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف، قال ابن القيم: في رفع هذا الحديث نظر، فقد روه ابن أبي الدنيا من طريق معاذ بن هشام قال: وجدت في كتاب أبي القاسم عن ابي أمامة في قوله عز و جل ﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤﴾ قال: لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفًا (حادي الأرواح ٢٠٦).

(٢) الكشف والبيان ٢٥/ ٤٦٥، تفسير السمعاني ٥/ ٣٥٠، الكشاف ٤/ ٤٦١.

(٣) في الأصل: توارة، وهو تصحيف، واسمها: نوار.

(٤) في الأصل: جائز.

﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٨﴾ أي: جعلناهن لهم ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ [وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ] ۝٤٠﴾ أي: جماعة من هذه الأُمة وجماعة من الآخرين الذين يكونون علىٰ العَدْلِ[١] عند نزول عيسىٰ وخروج المَهْدي.

وعن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «الثُّلَّتان جميعًا من أُمتي»[٢].

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾ هذا ذكر الثالثة من الأزواج، الذين لا يُدرىٰ ما لهم من العذاب والنَّكال، ثم وَصَفَ عذابهم فقال: ﴿فِي سَمُومٖ﴾ وهي الرِّيح الحارَّة التي تدخل في مسام البدن ﴿وَحَمِيمٖ ۝٤٢﴾ أي: ماء حار قد انتهىٰ حرَّه ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ۝٤٣﴾ وهو الدخان الأسود.

وقيل: السموم الريح الباردة التي تقطع الوجوه وينثر بها[٣] اللحم.

﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ۝٤٣﴾ فاليحموم جبلٌ من جهنم أيضًا يهرب أهل النار إلىٰ ظِلِّهِ وهو أشد حرًّا من النار ﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤﴾ أي: لا بارد المَدْخَل ولا حسن المنظر، والكريم المنزل: الحسن.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ [ذَٰلِكَ]﴾ في الدنيا ﴿مُتۡرَفِينَ ۝٤٥﴾ متجبرين[٤] في النعمة

---

(١) لعلها هكذا.

(٢) رواه الطبري في التفسير ٢٣/ ١٢٨، ووقع في نسختي الطبري اللتين أنظر فيهما قوله: وقد روي عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم خبر من وجه عنه صحيح أنه قال: الثلتان جميعا من أمتي أهـ(تفسير الطبري، طبعة هجر، تحقيق التركي ٢٢/ ٣٣٣) وقد سقط من هذا النص كلمة: غير، والصواب: من وجه عنه غير صحيح، وذلك لأن في الإسناد أبان بن أبي عياش، وهو يضعفه، فقد سبق أن ضعفه وحكم علىٰ إسناد هو فيه بأنه غير صحيح، ٥/ ٢٦٠، ولأنه يستعمل في عادته المطردة هذا الأسلوب في غير المرضي، فلا يقول عن حديث غير صحيح روي من وجه صحيح، بل يقول: روي من وجه غير مرضي، أو غير حميد، أو غير صحيح. وهكذا.

(٣) في الأصل: به.

(٤) وهو تفسير مقاتل (البسيط ٢١/ ٢٤١).

متكبِّرين ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ أي يُقيمون ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤٦﴾ وهو الشرك بالله حتىٰ ماتوا.

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ باليةً ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧﴾ أو يُبْعَث[1] ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝٤٨ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الماضية ﴿وَٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٩﴾ من هذه الأُمَّة ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠﴾ علَّمهم كيفية البعث ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدىٰ ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١﴾ بالبعث ﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢﴾ تنبت في أصل الجحيم، وتقدَّم تفسيره.

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٥٣﴾ أي: تملؤون من طلعها بطونكم من شدة الجوع، ثم يدفعكم لهب النار إلىٰ الحميم ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝٥٤﴾ علىٰ الزقوم من الحميم ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝٥٥﴾ الإبل التي لا تُروىٰ من الماء، وقد أصابها الهيام، وهو داء يكون [في] الإبل لا تَرْوَىٰ.

والهيم أيضًا: الرِّمال التي لا يرويها ماء السماء[2].

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦﴾ أي طعامهم وشرابهم يوم القيامة ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يا أهل مكة ولم تكونوا شيئًا ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾ أي: هلا تُصدِقون بالبعث.

ثم أخبر عن صُنْعِهِ فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ أي: ما يكون منكم من المَنِيِّ الذي يُخْلَق منه الولد ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ الولد في الأرحام ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾ بل نحن الخالقون لا أنتم.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ في الصغير والكبير ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠﴾ أي: لم يسبقنا أحدٌ في تخليق الخلق والإماتة.

---

(١) في الأصل: فصل بين أو وآباؤنا بـ:يبعث.

(٢) والأول هو المشهور، والثاني قول الضحاك والكلبي، البسيط ٢١/ ٢٤٢.

وقيل: لا يسبقنا مَنْ نطلبه ولا نعجز[١].

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ﴾ أطوع منكم ﴿وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦١﴾ أي: نُحوِّلكم إلىٰ صورةٍ أخرىٰ من سواد الوجه وزُرقة العين وصورة القردة والخنازير[٢].

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ في بطن الأم من غير مشاركة أحد في خَلْقكم ﴿فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ هلا تعيدون[٣] النشأة الثانية على النشأة الأولىٰ ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ۝٦٣﴾ مِن البذر ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ﴾ تُنبتونه من الأرض ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ أي: المنبتون ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا﴾ مُكسرة لا حَبَّ فيه يابسًا ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥﴾ أي: صرتم تندمون. عن الزجاج[٤].

وقيل: تعجبون من يُبْسِهِ مع ارتوائه، وتقولون: ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ۝٦٦﴾ المُغْرَم: الذي ذهب مالهُ بغير عوضٍ ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ۝٦٧﴾ حُرمنا منفعة زرعنا.

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ۝٦٨﴾ وتسقون زروعكم وجنَّاتكم ﴿ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ﴾ يعني السحاب ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا﴾ مالحًا ومرًّا بعد العذوبة ﴿فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ۝٧٠﴾ فهلا تشكرون هذه النِّعم.

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١﴾ تَقْدَحون ﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾ أي أنبتم، وهما شجرتان: المرخ والعفار، يثقب أحدهما وتدلك الأخرىٰ فيه فتخرج منهما النار، تقول العرب في الأمثال: من كل شجر نار واستمجد

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ١٣٧.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٦.

(٣) في الأصل: حتىٰ تعيدون، وإثبات النون دليل تصحيف في حتىٰ، والصواب: هلاَّ، كما هو في أصوله، كتفسير الكلبي والزجاج، وقد سبق له تفسير لولا بذلك، وسيأتي بعد قليل.

(٤) معاني القرآن ٥/ ١١٤.

المرخ والعفار[١].

﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ﴾ أي: عِبْرةً ليُتذكَّر بها نار جهنم ﴿وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ٧٣﴾ منفعةً للمسافرين، وعند أهل اللغة: المقوي الذي فني زاده.

وينتقي[٢] بها أهل الأمصار أيضًا، لكن ترك ذكرهم على الاختصار.

وقيل: المقوي الذي ينزل القي[٣].

ثم أمرهم الله بالتسبيح بعد إظهار دلالة التوحيد فقال: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ أي: برِّئ الله من كل سوءٍ وشركٍ.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: سمعتُ الشيخ الإمام شيخ الإسلام منبه بن أحمد المخلصي -جازاه عمَّا أفاد من خيرٍ-: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «اجعلوها في ركوعكم»، ثم لما نزل قوله ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في سجودكم»[٤].

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ يعني: أقسم.

قال الغزالي رحمه الله: القَسَمُ إذا كان قبله لا فهو أبلغ في التأكيد، لأن معناه ليس كما يقول المشركون؛ ولكن أقسِمُ أنه كذا وكذا[٥].

ومواقع النجوم فيه أقوالٌ:

---

(١) انظر تفسير سورة يس، آية: ٨٠.

(٢) كذا في الأصل مجودا مشكولا.

(٣) والقيُّ: القواء، وهي الأرض الخالية، (معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٥، والبسيط ٢١/ ٢٥٤).

(٤) رواه أحمد في المسند ١٧٤١٤، وابن ماجه ٨٨٧، وأبو داود ٨٦٩ بإسناد فيه ضعف.

(٥) وهو قول بعض أهل العربية (تفسير الطبري ٢٣/ ١٤٧).

منها أنه مساقط النجوم عند انتشارها لقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ عن الحسن[(١)].

وقيل: منازل النجوم[(٢)].

وقيل: مطالعها لأن فيها منافع كثيرة، تدل علىٰ قصد البر والبحر، ويُعرف بها فصول السنة؛ وعجيب تدبير الله في حوائج الخلق بمعرفة الأوقات.

وقيل: نزول القرآن نجمًا نجمًا بعد ما كان تكلم الله بالقرآن كله، وأنزل إلىٰ بيت رب العزة، وأملاه جبريل علىٰ السَّفرة، ثم أنزله علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في عشرين سنة[(٣)].

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ لجلالة خطر النعمة.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ كرَّمه الله وشرَّفه وأعزَّه لأنه كلامه.

﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ لوحٌ محفوظٌ مستورٌ إلا عن الملائكة الذين وُكِّلوا به.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ من الذنوب، وهم السَّفرة في بيت رب العزة يقرؤونه ويكتبونه.

---

(١) رواه الطبري في التفسير ٢٣/ ١٤٨ .

(٢) وهو قول قتادة، كما في تفسير الطبري.

(٣) وهو قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد، رواه عنهم الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٧، ولكنه رجح قول الحسن ومن وافقه، وهذا من المواطن القليلة في تفسيره التي يرجح فيها قول تابعي علىٰ قول ابن عباس وتلاميذه .
ومما يرجح قول ابن عباس السياق، فقد أتبعه بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ فهذا يدل علىٰ أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن، والضمير في (إِنَّهُ) يعود علىٰ القسم، ودل عليه قوله: أقسم، والمعنىٰ: وأن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمه لانتفعتم بذلك (البسيط ٢١/ ٢٥٨).

وقال الفرَّاء: لا يجد حلاوته إلا المؤمنون[(١)].

وسُمِّي القرآن كريمًا لأنَّه يدل العباد على مكارم الأخلاق.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١﴾ أي: بالقرآن أنتم مكذِّبون والمُداهن: الكذَّاب المنافق[(٢)].

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ تجعلون شكر رزقكم التكذيب؛ لأنهم إذا مُطروا يقولون مُطِرْنا بنوء كذا ولا ينسبون السقيا إلى الله تعالى[(٣)].

ثم وَعظَهم فقال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣﴾ فهلا إذا بلغت النفس عند الموت الحلقوم، وترك جوابه، معناه: هلا تكونون عند ذلك أربابًا لأنفسكم مالكين غير مملوكين ولا عاجزين.

﴿وَأَنتُمْ﴾ يا أولياء المريض ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾ إليه وهو في النَّزع ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يعني: مَلك الموت وحده لقبض رُوحه، كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥﴾ وإنما أخرجهم جبريل، وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ يعني جبريل.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ ملك الموت وأعوانه.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦﴾ محبوسين، وقيل: عبيدًا مقهورين[(٤)].

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي: هلا ترجعون الروح إلى الجسد، أو تردُّون غمرة الموت عن أنفسكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾ كرر الشرط، كقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ إلى آخر الآية كرر قوله: «ولا تحسبن»[(٥)].

---

(١) معاني القرآن ٣/ ١٣٠، وهو بعيد، وفيه منحى إشاري.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٦.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٨، البسيط ٢١/ ٢٦٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٨.

(٥) الكشف والبيان ٢٥/ ٥٣٩.

الآية نزلت في الزنادقة الذين يزعمون أن ليس للعالَم صانع وتقدير الموت والحياة، بل للإنسان، فإن رفق بنفسه عاش ما بدا له، وإن حرق وتوانىٰ فسد طبعه فيموت.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨﴾ يعني: الميِّت إن كان له عند الله درجاتٍ ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ الرَّوح صفة لكل نعيم، معناه: رحمة وريحان يتلقَّىٰ به عند الموت.

وقال الضحَّاك: الروح المغفرة والريحان الاستراحة.

قيل: لم يكن أحدٌ من المقرَّبين السابقين إلا يؤتىٰ إليه عند موته بغصن[١] من ريحان الجنة فيشمه حتىٰ يقبض فيه روحه[٢].

وقُرئ: «فرُوحٌ وريحانٌ» أي حياة دائمة لا موت فيها[٣].

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠﴾ أي: من عامة المسلمين ممَّن يُعْطىٰ كتابه بيمينه، قيل له: ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾[٤] أي: الجنَّة.

وقيل: هذا الخطاب لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: سلامٌ لك إنك ترىٰ فيهم ما تحب من السلام، فلا تخف عليهم يا محمد.

قيل: وهذه بشارةٌ لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ نجاة المؤمنين من أُمته وإن لحقتهم الشدة.

---

(١) في الأصل: بعض، وهو تصحيف.

(٢) وهو قول أبي العالية، كما في تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٠.

(٣) وهي قراءة شاذة نسبت لعائشة والحسن، كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٨، والكشف والبيان ٢٥/ ٥٤١.

(٤) كرر تفسير الآية السابقة.

ومثال هذا: رجلٌ يكون له ولدٌ في السَّفر، وأصابه في السَّفر شدائد وضرر، لكنه سليم بنفسه، فيُخبِرُ المُخْبِرُ أباه فيقول: هو في سلامٍ من النفس، فيعرف العاقل أنه لحقه مشقة.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ لله ولرسوله المُنكِرين للبعث الضالين عن الهدىٰ، فلَهُ[1] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣﴾ وهو شرابهم بعدما يكون طعامهم الزَّقوم.

وقيل: شربة تُسقىٰ عند قبض أرواحهم من الحميم.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ دخولٌ في النار.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكرت من كرامة المقرَّبين وإهانة المكذبين ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ أضاف الحق إلىٰ اليقين كأنه قال حق حقًا.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ أي: صَلِّ باسم ربك واذكر توحيده، فلا شيء أعظم منه.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الواقعة كُتب له أنه ليس من الغافلين»[2].

---

(١) في الأصل: فصل بين الفاء ونزل.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٥/ ٤٠٣، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢٣.

سورة الحديد

مدنيَّة[١]، تسع وعشرون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: صلَّىٰ له ما في السماوات من الملائكة ومن في الأرض من الآدميين وما فيه الروح[٣].

وقيل: ما في السماوات من الشمس والقمر وما في الأرض من الجبال والبحار والأشجار والدَّواب والنبات.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكِهِ بالنقمة من أعدائه ﴿ٱلْحَكِيمُ ①﴾ في حكمه وقضائه.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائنه من المطر والنبات وغيرها ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ②﴾ من الإماتة والإحياء.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ لم يكن قبله أحد.

﴿وَٱلْآخِرُ﴾ ليس له غاية ولا نهاية. فأوليته دليلٌ علىٰ أنَّ كل ما سواه مُحْدَثٌ، وآخرتيه دليلٌ علىٰ أن كل شيءٍ سواه يفنىٰ.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ يعني: ظاهر بأزليته.

﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ عن إحساس الخلق.

وقيل: هو الأول ببره والآخر بعفوه والظاهر بإحسانه والباطن بستره ﴿وَهُوَ بِكُلِّ

---

(١) الكشف والبيان ٢٦/ ٧، زاد المسير ٤/ ٢٣٢، وهي مكية في قول ابن السائب.

(٢) في الكوفي والبصري، وثمان للباقين (البيان في عد آي القرآن ٢٤١).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٠٢، الكشف والبيان ٢٦/ ١١.

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ [(١)].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من الأمطار والكنوز ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الملائكة والأمطار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يصعد عليها من أعمال العباد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ عالِمٌ بكم ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ في برٍّ وبحرٍ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ [وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ] ﴿٥﴾﴾ الآية[(٢)]، يعني: أمور الآخرة كلها يرجع إليه ويعلم عواقبها.

ثم أخبرَ عن قُدرته فقال: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ عالمٌ بضمائر القلوب، وقد سبق تفسيرُ هذه الآيات علىٰ قدر ما يحتمله الكتاب.

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي: تصدَّقوا من الأموال التي ملكتموها وصرتم خلفًا فيها بعد الأُمم الماضية ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ من أموالهم ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ ثوابٌ جزيلٌ.

---

(١) قد فسر النبي صلىٰ الله عليه وسلم هذه الكلمات بقوله: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» (رواه مسلم في الصحيح ٢٧١٣).
أخذه ابن جرير فقال في تفسيره ٢٣/ ١٦٨: هو الأول: قبل كل شيء بغير حد، والآخر: بعد كل شيء بغير نهاية؛ وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص:٨٨].
وقوله: والظاهر: أي وهو الظاهر علىٰ كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلىٰ منه، والباطن يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلىٰ شيء منه، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة ق:١٦].

(٢) لم يكمل الآية في الأصل، ولذا كتب الآية .

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يا أهل مكة وغيرهم من الكفار ﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ إلىٰ توحيد الله بالحجج ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ﴾ حين أُخرجتم من صُلب آدم، وتقديره: أوفوا بما ضمنتم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ مُقرِّين بالعهد.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ بهذا الكتاب ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ أرسل إليكم محمد صلىٰ الله عليه وسلم برأفته ورحمته وهذا الكتاب.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وما يمنعكم من ذلك وأنه يُوصلكم إلىٰ رضا الله ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: تموتون وترجع أموالكم إلىٰ الرَّبِّ الذي لا يموت ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ من قبل فتح مكة ﴿وَقَـٰتَلَ﴾ قبل فتحها مع من أنفق وقاتل بعده ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ المهاجرون الذين أنفقوا قبل الفتح ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟﴾ وأكثر ثوابًا ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي وعد الله لكلا الفريقين علىٰ نفقاتهم الجنَّة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بنفقاتكم ﴿خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾.

ثم استقرضهم شيئًا هو أملك عليه منهم، ووعد لهم عليه تضعيف الثواب ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: مَنْ يفعل فعلاً حسنًا ابتغاء مرضات الله وطاعته خالصًا من نفسه وقلبه، لا يُمن به علىٰ السائل ولا يُؤذيه، ويصدق الله في الخلف ﴿فَيُضَـٰعِفَهُۥ﴾ الله ﴿لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ جزاءٌ حسنٌ.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لهم أجرٌ كريمٌ يوم ترىٰ المؤمنين ﴿وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ أي: ثواب توحيدهم ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ليكون لهم دليلاً إلىٰ الجنَّة ﴿وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ وأراد بهم جميع الجوانب فاكتفىٰ بالبعض اختصارًا ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ﴾ أي: أبشروا بها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في الجنان ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ النجاة الوافرة.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾ أي: انتظرونا ﴿نَقْتَبِسْ مِن

﴿نُّورِكُمۡ﴾ أي: نُصِب من نوركم فنمضي معكم.

وقُرئ: «أَنْظِرونا» بفتح الألف وكسر الظاء[١]: أمهلونا[٢].

﴿قِيلَ﴾ لهم ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ﴾ من الدنيا بما فعلتم لأنه نور الطاعة، فخاب الأشقياء ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم﴾ أي: بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٖ﴾ بحائطٍ حائل بين المؤمنين والمنافقين ﴿لَّهُۥ بَابُۢ﴾ أي: للحائط بابٌ ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ من قِبَل المخلصين ساحة الجنَّة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ أي: خارجه ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ الصراط، يأتيهم ﴿ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾.

﴿يُنَادُونَهُمۡ﴾ يعني: المنافقين من وراء السور ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ﴾ على دينكم ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ كنتم معنا بألسنتكم ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ يعني: أهلكتم أنفسكم بالنفاق.

وقيل: تعرَّضتم للفتنة بترك الإخلاص[٣].

﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ انتظرتم موت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ شككْتُم فيما جاء به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم[٤].

وقيل: تربَّصتم انتظرتُم بالتوبة ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ أي: الأباطيل ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت عند الكلبي، وقيل: القيامة[٥].

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤﴾ يعني غرَّكم عن الإيمان بالله الشيطان.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ﴾ أي: لا يُقبل منكم فداء ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾

---

(١) وهي قراءة حمزة (النشر ٢/ ٣٨٤).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٢٤، الكشف والبيان ٢٦/ ٤٣.

(٣) الكشف والبيان ٢٦/ ٥١.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٥.

(٥) وهما بمعنىٰ، لأن من مات فقد قامت قيامته (تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٥، البسيط ٢١/ ٢٩٠).

من أهل مكة ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ يعني: أولىٰ بكم، عن الكلبي[(١)].

وقال مقاتل: مثواكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ النار.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ معناه: ألم يحن، وأصله: أنىٰ يأني إناءً، إذا حان[(٢)].

﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: تلين قلوبهم للتوحيد ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾ يعني: ألم يأنِ أن لا تكونوا ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ اليهود والنصارىٰ ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ العُمر ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يبست واشتدت ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ الذين ماتوا علىٰ فسقهم.

قال أهل التحقيق: علامة قسوة القلب أن لا تعمل فيه الموعظة، ولا تنجع فيه النصيحة، ولا يؤثر فيه مجالسة الصالحين.

ثم أخبر عن البعث فقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: بعد يُبسها بالمطر، فكذلك يحي الموتىٰ بماء الحيوان ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يعني الحجج من قدرة الله علىٰ النشأة الثانية ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ تستعملون العقل وتؤمنون بالبعث.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ قُرئ بالتشديد، يعني: المتصدِّق، وبالتخفيف: المؤمن[(٣)].

---

(١) البسيط ٢١/ ٢٩١.

(٢) حاشية في هامش الأصل: «من أنىٰ الأمر يأني إذا جاء أناه أي وقته، قيل: كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة، ففتروا عما كانوا عليه فنزلت. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين (صحيح مسلم: ٣٠٢٧).
وعن أبي بكر رضي الله عنه: أن هذه الآية قُرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاءً شديدًا فنظر إليهم فقال: هكذا كنَّا حتىٰ قست القلوب. مدارك» وهي منقولة من تفسير النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/ ٤٣٧.

(٣) التخفيف أي في الصاد: المُصَدِّقين، وهي قراءة ابن كثير وشعبة (النشر ٢/ ٣٨٤).

﴿وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ أنفقوا من أموالهم لله وفي الله ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ﴾ قرضهم من سبع إلىٰ عشر إلىٰ سبعين إلىٰ ما يشاء الله من الأضعاف ﴿وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨﴾ جزاءٌ حسنٌ في الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ والصدِّيق كثير الصِّدق، للمبالغة في تصديق الإيمان، وهو وقفٌ تامٌ ثم ابتدأ فقال:

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ قيل: هم الذين قُتلوا في سبيل الله(١).

وقيل: هم الأنبياء يشهدون علىٰ الأُمم(٢).

وقال مجاهد: كل مؤمن صِدِّيق وشهيد، ثم قرأ هذه الآية(٣).

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ علىٰ الصراط يمشون في ضوئه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾.

ثم وصف الدنيا وقِلَّة بقائها وغرور الناس بها فقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ كَلَعِب الصبيان ولهو النساء والفتيان(٤).

---

(١) وهو قول مسروق وأبي الضحىٰ والحاك، وهذا يعني أن الشهداء ابتداء، وهي مفصولة عما قبلها، فالتمام علىٰ هذا القول علىٰ قوله: «الصديقون»، وهو اختيار ابن جرير (تفسير الطبري ٢٣/ ١٩١).

(٢) ذكره ابن جرير ولم ينسبه لأحد (تفسير الطبري ٢٣/ ١٩٣)، ونسبه الثعلبي لابن عباس، فمثل هذا الصنيع يشعر أنه م نرواية الكلبي عنه (الكشف والبيان ٢٦/ ٧٨).

(٣) وهذا علىٰ أن الشهداء من صفة الذين قبلهم، فلا يقف علىٰ «الصديقون»، وهو قول ابن مسعود ومجاهد (تفسير الطبري ٢٣/ ١٩٢). وجوز الزجاج كلا القولين (معاني القرآن ٥/ ١٢٦).

(٤) في الأصل: صورتها أقرب إلىٰ النسيان، ولا معنىٰ، ولعل الصواب ما أثبته، قال بعض المتأولين من المتأخرين: لعب كلعب الصبيان، ولهو كلهو الفتيان، وزينة كزينة النسوان، وتفاخر كتفاخر الأقران، وتكاثر كتكاثر الدهقان.
وقيل: المعنىٰ أنَّ الدنيا كلها كهذه الأشياء في الزوال والفناء.

﴿وَزِينَةٌ﴾ لمن استحسن بزخرفها.

﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيۡنَكُمۡ﴾ في الحسب والنسب.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ أي: مَثَل الدنيا كمثل المطر[1] يفرح الزُّرَّاع نباته ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ النبات، أي: ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرًّا﴾ بعد الخضرة ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ﴾ مُكسَّرة تحت أرجل الدواب، فكذلك الدنيا يغني[2] إقبالها أيامًا ثم تعود إلىٰ غير شيءٍ.

ومثال هذا مثال بني آدم يُولدون من الأمهات، ويشبون كخضرة الزرع، ثم يَهْرَمُون مثل يُبس الزرع، ثم يموتون ويُدفنون تحت التراب، كما يتلاشىٰ نبات الأرض تحت الأرجل.

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن لم يؤمن ﴿وَمَغۡفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٌۚ﴾ لمن آمن وأطاع ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ وبقاء أهلها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ مثل أواني الخزف، كالقصاع والسكرجات أو الزُّجاج، يغتر بها الإنسان أيامًا ثم تتكسَّر.

وقال علي رضي الله عنه لعمار بن ياسر رضي الله عنه: لا تحزن علىٰ الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء: مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء يستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة، وأفضل المشموم المسك وهو دم فأرة، وأفضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال، وأما المنكوح فالنساء وهو مبال في مبال، والله إن المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها (الكشف للثعلبي ٢٦/ ٧٩، وعنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٥٥).

(١) في الأصل: الطين، وهو تصحيف فيما يظهر، لأنه لم يُذكر في الآية، وإنما ذكر الغيث، وكلمة المفسرين متفقة علىٰ المطر في هذا الموضع، (تفسير أبي الليث ٣/ ٤٠٨، معاني القرآن ٥/ ١٢٧، الكشف والبيان ٢٦/ ٧٩، البسيط ٢١/ ٣٠١).

(٢) كذا في الأصل، وهو صحيح، ولعل الصواب: يغر.

وقال أبو عبد الله التستري: أصل الدنيا الجهل، وفرعها المأكل والمشرب وزينة للناس والنوم والراحة والنساء والطيب والأموال، وثمرتها المعاصي وهي التي تورث العقوبة وقسوة القلب(١).

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: بادروا إلىٰ التوبة تستوجبوا بها المغفرة، وبادروا بالطاعة إلىٰ ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ سَعتها كسَعَة السماوات والأرض، يعني: سبع سماوات وسبع أرضين لو ألصقت بعضها إلىٰ بعضٍ(٢).

﴿أُعِدَّتۡ﴾ أي: هُيِّئَتْ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ﴾ الكرامة ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ يعني المؤمنين ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ والمنَّة والجسميَّة.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الجدوبة ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من الأمراض ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ أي نخلق الأنفس ﴿إِنَّ﴾ حفظ ﴿ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ يعني كتابه في اللوح المحفوظ.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ منها، لأنَّ الله كتب ذلك في الأزل فما يُغني الحزن.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ يعني: المختال في مشيه، والفخور بماله وحسبه وكبره.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ نزلت في اليهود يخلوا بإظهار نعت

---

(١) لم أجده في تفسيره، وقال في تفسير هذه الآية ص١٦٢: الدنيا نفس نائمة، والآخرة نفس يقظانة. قيل: فما النجاة منها؟ قال: أصل ذلك العلم، ثم ثمرته مخالفة الهوىٰ في اجتناب المناهي، ثم مكابدة النفس علىٰ أداء الأوامر علىٰ الطهارة من الأدناس، فيورث السهولة في التعبد والحلول بعده في مقامات العابدين، ثم يذيقه الله ما أذاق أولياءه وأصفياءه وهي درجة المذاق.

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران، آية: ١٣٣ .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأمروا سفلتهم بكتمانه(١).

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن طاعة الله وتوحيده ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن طاعة خلقه وهو ﴿ٱلْحَمِيدُ ۝٢٤﴾ يقبل اليسير ويُعطي الجزيل فحُمد بفعاله وأياديه.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ﴾ أي: عليهم ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ لبيان العدل، والمراد بالميزان: العدل ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالحق ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ لا يلين إلا بالنار.

وجاء في التفسير: أنه لمَّا هبط آدم من الجنَّة إلىٰ الأرض معه العَلاة والكلبتان والمطرقة(٢).

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فيما يحتاجون إليه من الفأس والقَدُّوم والسيف والسكِّين ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ علم رؤية، وليميز المطيع من العاصي ومن ينصر

---

(١) معاني القرآ، للفراء ٣/ ١٣٦، الكشف والبيان ٢٦/ ٩٠، البسيط ٢١/ ٣٠٨، وهذا قول الكلبي وعطاء، وإذا كانت من صفة اليهود فهي مستأنفة، ورأس الآية علىٰ التمام، والصحيح أن المراد الشح بما أعطي في الدنيا، ويدخل فيه العلم، بدلالة الآية قبلها، فيكون رأس الآية قبلها: كافٍ، والذين في محل خفض. ولم يأت للآية جواب استغناء بالآيات التي تشبهها (تفسير الطبري ٢٣/ ١٩٩، البسيط ٢١/ ٣٠٩).

(٢) وهو قول الكلبي، كما في البسيط ٢١/ ٣١٠، وهذه من آلات الحدادين، والعَلاة: التي يقال لها السندان، وهي الصلاءة، والمسحنة، كلها واحد، وهي ما يُدقُّ عليه.
والكلبتان: ما يأخذ به الحداد الحديد المحمي، والمطرقة معروفة، وتسمىٰ الميقعة، والجمع المواقع.
وفي رواية أخرىٰ عن ابن عباس: نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من الحديد: السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة، وزاد في رواية: والإبرة (تفسير الطبري ٢٣/ ٢٠١، الكشف والبيان ٢٦/ ٩٣، البسيط ٢١/ ٣١١).

دينه بهذه الأسلحة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لا يُعْجِزُهُ شيء ﴿عَزِيزٌ ۝﴾ كل شيء له خاضع ذليل.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا﴾ بعد آدم بثمان مائة سنة(١) ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ﴾ أي في قومه ﴿أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾(٢) يدعوهم إلىٰ توحيد الله.

﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ أيضًا أرسلناه بعد نوح.

﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ أي: في نسل نوح وإبراهيم ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ﴾ مُقرّ بالكُتب والرسل ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝﴾ كافرون بالكُتب والرسل.

﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ أي: أتبعنا وأردفنا بعد موتهم الأنبياء ﴿وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ رسولاً إلىٰ بني إسرائيل ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ مِن الحواريين وغيرهم ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾ الرأفة لأهل دينهم، والرحمة لسائر الخلق.

[﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾(٣)].

﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ ولم نكتب ذلك عليهم ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ أي: لم نكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله أي طلبًا لرضا الله.

---

(١) وهذه آية من سورة العنكبوت، ذكرها للتفسير، لا علىٰ أنها تتمة الآية.

(٢) انظر: تفسير سورة العنكبوت، آية ١٤ .

(٣) سقط تفسيرها. وقوله: «وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوها» يعني: ابتدعوا رهبانية، لم نكتبها عليهم؛ وذلك أنه لما كثر المشركون فيهم، خرج المسلمون منهم، فهربوا، واعتزلوا في الغيران، واتبعوا الصوامع، فطال عليهم الأمد، ورجع بعضهم عن دين عيسىٰ بن مريم، وابتدعوا النصرانية والخروج إلىٰ الصوامع، والتبتل للعبادة (تفسير أبي الليث ٣/ ٤١١).

﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ لأنهم اشتغلوا بالتبتل[١] فوقع الإخلال في الغرض حتىٰ صاروا إلىٰ أكل لحم الخنزير وشُرب الخمر وترك الاغتسال وترك الختان والصلاة نحو المشرق، فتنصروا، وصاروا في النصرانيَّة أحزابًا، وأقام نفر منهم علىٰ دين عيسىٰ حتىٰ أدركوا محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم فآمنوا به، فَهُم الذين عفا الله عنهم فذلك قوله: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾ جزاء إيمانهم ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾ كافرون جزاءهم النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ يعطكم ضعفين من ثوابه، والكفل: النصيب[٢].

﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ علىٰ الصراط، وقيل: سبيلاً واضحًا في الدنيا تهتدون به[٣].

﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ ما سلف من ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لمن تاب من شركه ﴿رَّحِيمٞ ٢٨﴾ بعد إيمانه.

﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: ليعلم، و«لا» صلة في الكلام[٤]، وهكذا قرأه عاصم الجحدري[٥]. ومعنىٰ الصلة: السقوط من الكلام.

وكل كلام دخل في أوله جحد وفي آخره جحد غير مصرَّح كان الجحود الأول

---

(١) في الأصل: الفيل، وهو تصحيف.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٠٨.

(٣) الكشف والبيان ٢٦/ ١٠٧.

(٤) باتفاقهم، انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٣٧، تفسير الطبري ٢٣/ ٢١٤، معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٣١، الكشف والبيان ٢٦/ ١٠٨، البسيط ٢١/ ٣٢٠، الكشاف ٤/ ٤٨٣.

(٥) أي: ليعلم، وهذه القراءة شاذة، وهي مذكورة في الكشاف دون نسبة ٤/ ٤٨٣، ونسبها السمين في الدر المصون ١٠/ ٢٥٩ لجماعة.

لغوًا[١]، ويقال له صلة.

وكذلك كل كلام دخل في أوله جحد غير مصرَّح وفي آخره جحد مصرَّح فالثاني لغو لا معنىٰ له، كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فالمنع جحد غير مصرَّح فالجحد الثاني بعده صلة ساقط.

وكذلك قوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ معناه يرجعون، لأن في الحرام جحد غير مصرَّح.

وكذلك في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ فقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ جحد غير مصرَّح فكان حرف «لا» بعده لغوًا وصلة، فمعناه: إذا جاءت يؤمنون[٢].

ومعنىٰ الآية علىٰ أوضح الوجوه: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمِنوا برسوله محمد يؤتكم جزاء إيمانكم كفلين من رحمته ليعلم الذين التزموا رهبانية ابتدعوها ثم أضاعوها وما رعوها حق رعايتها أنهم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ إذ لم ينالوا برهبانيتهم شيئًا سألوا، وأنتم نلتم بالإيمان بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ علىٰ من اختصه بالإيمان والجنة.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الحديد كتبه الله تعالىٰ من الذين آمنوا بالله ورسوله»[٣].

---

(١) في الأصل: ما للجحود للأول لغوا.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٢١٤.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ١٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢٤.

سورة المجادلة

مدنية[١]، وهي اثنتان وعشرون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ قيل: أول من ظاهَرَ في الإسلام من امرأته أوس بن الصامت، وكان به شيء من اللمَم، وكان من الصلحاء، فغضب يومًا علىٰ امرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك الأنصاري لشيء أمرها فلم تعطه، فقال: أنت عليَّ كظهر أمي، فأتت خولة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأخبرته بذلك، وقالت: إن ابن عمي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابَّة ذات مال وجمال، فلما كبر سني جعلني كظهر أمه، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ليس عندي في أمركم شيء، إلا أني أراكِ قد حُرِّمْتِ عليه» فقالت: لا تقل ذلك يا رسول الله، فردَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عليها مرارًا، وردَّت علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مرارًا.

ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك شدة وَجدي، وما يشقُّ عليَّ من فراق زوجي، اللهمَّ أَنْزِل علىٰ نبيك قرآنًا، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: تتضرَّع ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ مراجعتكما الكلام، كره الله أن يذكر الكلام [مع] رسوله جدالاً فسمَّاه محاورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لسؤالها ﴿بَصِيرٌ ١﴾ بأمرها[٣].

---

(١) الكشف والبيان ٢٦/ ١١٧، زاد المسير ٤/ ٢٤١.

(٢) في قول جمهورهم، وفي المدني الأخير والمكي إحدىٰ وعشرون (البيان في عد آي القرآن ٢٤٢).

(٣) الخبر في تفسير الطبري ٢٣/ ٢١٩، الكشف والبيان ٢٦/ ١٢١، وأطال ابن كثير بذكر طرقه في تفسيره ٨/ ٣٤.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ ويقول: لامرأته أنت عليَّ كظهر أمي ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ﴾ أي: بأمهاتهم، منصوب بنزع الخافض ﴿إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ﴾ المنكر: ما هو غير معروف، وقيل: قبيحًا باطلاً، وزُورًا: كذبًا.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢﴾ متجاوز حيث لم يعاقب بتحريم ما أحلَّ الله.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾ أي: يُشبِّهون نساءهم بأمهاتهم ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي: إلىٰ ما قالوا، أو: إلىٰ ما حرَّموا من الجماع.

ويحتمل: يعودون إلىٰ الحق عما قالوا، ويدعون الزور، فحينئذ تلزمهم الكفارة.

وقيل: يرجعون إلىٰ تحليل ما حرَّموا علىٰ أنفسهم[1].

﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ أي: من قبل أن يجامعها ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ أي: تؤمرون به ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣﴾ عالِم يجزيكم عليها.

ثم قال: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ التحرير ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾ لا يفصل بينهما ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ الصوم ﴿فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾ لكل مسكين نصف صاع من الطعام ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي بيَّنت من الكفارة ﴿لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ وبتوحيده ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ﴾ أحكام الله وفرائضه في الظهار ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ بحدود الله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾ أي: يعاندون الله، وهي المعاداة، والمعنىٰ يخالفون الله ﴿وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ﴾ أي: قُهروا وأهينوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من الأمم الخالية ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ﴾ من القرآن ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥﴾.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٢٩.

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ يحشرهم في القيامة ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ يخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْۚ﴾ في الدنيا ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أي: حفظه عليهم ﴿وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٦﴾ لا يخفىٰ عليه شيء.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ أي: من خلوة ثلاثة يُسِرُّون شيئًا ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ بالعلم بإسرارهم(١) ﴿وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ﴾ كذلك ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾ بالعلم لا يخفىٰ عليه سرهم ﴿أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ من سرّهم ونجواهم.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ نزلت في المنافقين واليهود، كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا بعث سريَّة إلىٰ طرف الأرض يتناجون فيما بينهم، ويُوهِمون المسلمين أن بهم من خبر السريَّة علمٌ، واغتموا لذلك، فنهاهم الله عن التناجي، ثم عادوا إلىٰ التناجي فنزلت الآية(٢).

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ﴾ يا محمد ﴿حَيَّوۡكَ﴾ بالسَّام عليك ﴿بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ إن كان نبيًّا ﴿لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ قال الله تعالىٰ: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٨﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ﴾ فيما بينكم ﴿فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ والظلم ﴿وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ لأنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم نهاهم عن ذلك،

---

(١) قال الطبري: بمعنىٰ هو مشاهدهم بعلمه، وهو علىٰ عرشه، ثم روىٰ عن الضحاك: هو فوق العرش وعلمهم معهم (تفسير الطبري ٢٣/ ٢٣٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٣٠١، وقد روي عن مجاهد أن ذلك في اليهود (تفسير الطبري ٢٣/ ٢٣٨، الكشف والبيان ٢٦/ ١٣٩).

والمنافقون يعصونه ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ أي: بإحسان بعضكم إلىٰ بعض، والتقوىٰ: هي ترك المعاصي والجفاء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩﴾.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ أي: نجوىٰ المنافقين ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ وتزيينه وإغوائه ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: يقع في قلوبهم الحزن ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا﴾ وليس نجوىٰ المنافقين بضرر المؤمنين إلا الحزن، وقوله ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي ما أراد الله ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾(١) نزلت في ثابت بن قيس، دخل علىٰ جماعة من الصحابة جالسين فلم يبرح له رجل عن مكانه، فكان يتخطَّىٰ رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، فلم يفسحوا وكان في أُذُنه وقرٌ، فنزلت هذه الآية(٢).

﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ يعني: إذا قيل قوموا إلىٰ الصلاة أو إلىٰ قتال أو أداء شهادة أو في جمعة قبل الخطبة.

وأصل القصة: أن مجلس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان غاصًّا بالقوم فدخل بعض مَنْ لم يدرك أول المجلس فأمر البعض بقيامه عن مجلسه حتىٰ يجلس مكانه الذي حضر في الحال، فكرهوا ذلك فنزلت(٣).

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ مع الإيمان ﴿دَرَجَاتٍ﴾ وفضائل في الجنة فوق درجات من يس بعالمٍ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾.

---

(١) في الأصل: المجلس، وهي قراءة الكل سوىٰ عاصم (النشر ٢/ ٣٨٥).

(٢) وهو قول مقاتل (الكشف والبيان ٢٦/ ١٤٥) وقيل: ذلك في مجلس رسول الله خاصة، وقيل في مجالس القتال (تفسير الطبري ٢٣/ ٢٤٤).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤١٧.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: شاورتموه، الأصح إذا شاورتموه[١] ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾[٢] وقرئ: صدقة[٣]، أي: الفقير ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الصدقة ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ لذنوبكم وقلوبكم من الذنب ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ وكنتم فقراء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾ لمن ناجىٰ قبل أن يتصدَّق.

وسبب ذلك: أنَّ الأغنياء كانوا يُكثِرون من المناجات مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وكانوا يغلبون الفقراء علىٰ مجلس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يكره ذلك منهم لحق الفقراء، فلما أمر الله تعالىٰ بالصدقة قبل المناجاة انتهوا عن ذلك، وقدر الفقراء علىٰ مكالمة رسول لله صلىٰ الله عليه وسلم ومجالسته[٤].

قيل: لم يستعمل أحد آية النجوىٰ إلا علي بن أبي طالب تصدَّق دينارًا وكلَّم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عشر كلمات[٥].

وجاء رجل أنصاري بصاع من تمر حتىٰ يتصدَّق، فلم يلبثوا إلا يسيرًا حتىٰ نزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ أخِفتُم علىٰ أنفسكم الفقر ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ وتجاوز عنكم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فنسخت الزكاةُ صدقة المناجاة ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾ من أعمالكم.

---

(١) كذا محررا في الأصل، وفيه شيء، فالصواب: إذا ساررتموه (الكشف والبيان ٢٦/ ١٥٤، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٣٠١).

(٢) في الأصل: صدقات، وهو تصحيف، فقد أجمع القراء علىٰ هذا الموضع.

(٣) في هذا الموضع خلل، فالذي قُرئ بالجمع: صدقات، هو الموضع الآتي، وهو الذي قد يكون قرئ بالصدقة، حيث إني لم أقف علىٰ من قرأه بالإفراد.

(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٣٣٤.

(٥) وهو حديث مقاتل (تفسير مقاتل ٣/ ٣٣٤، البسيط ٢١/ ٣٥١).

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ وهو المنافقون تولوا اليهود ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ﴾ من أهل دينكم الإسلام حتىٰ يستحقوا الثواب مثلكم ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ أي: من اليهود حتىٰ تأخذوا منهم الجزية(١).

ثم قال ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ﴾ أنهم مخلصون ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ أنهم كاذبون.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا شَدِيدًاۖ﴾ وهي النار ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥﴾ من النفاق.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ من القتل ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: صرفوا الناس عن طاعته في السر ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦﴾ يهانون فيه.

﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾ أي: لا ينفعهم في الآخرة كثرة أموالهم ولا أولادهم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧﴾.

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ في القيامة ﴿فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي: عنده ﴿كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ﴾ عندكم في الدنيا، لأنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «إنكم توادون(٢) اليهود» فيحلفون بالله لم نفعل، وفي الآخرة يحلفون ويقولون: والله ربنا ما كُنَّا منافقين كإيمان أهل الشرك ما كُنَّا مشركين(٣).

﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ﴾ من الصواب ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨﴾ في إيمانهم.

﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ غلب واستولىٰ ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ جُنده وأنصاره، ولم يقل أحزاب لأن الحزب اسم جمع(٤) ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ

---

(١) الكشف والبيان ٢٦/ ١٥٩.

(٢) في الأصل: توارو ا.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٣٣٤، والمنافق المقصود هو عبد الله بن نتيل.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٤١.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي: يخالفون الله في الدين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠﴾ المقهورين المغلوبين، ويقال مع الأذلين.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أي: قضىٰ الله قضاء مبرمًا ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ علىٰ من خالف ديني، لأنه قضىٰ بالنُصرة لأوليائه علىٰ أعدائه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ بإعزاز أوليائه.

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ قيل: سبَّ أبو قحافة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فصكَّه أبو بكر فسقط، فأخبر به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: أو فعلت؟ فقال: نعم، فقال صلىٰ الله عليه وسلم: «لا تَعُدْ إلىٰ مثله» فقال أبو بكر: والله لو كان السيف مني قريبًا لقتلته، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[1].

﴿يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي خالف الله ورسوله ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ أقرباءهم، والمعنىٰ: أن المؤمن الصادق لا يناصح الكفار وإن كانوا أقرباءه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ قضىٰ الله أن يكون في قلوبهم تصديق الإيمان، وقيل: أثبت الله الإيمان في قلوبهم كأنه مكتوب فيها.

---

(١) ليس بصحيح، فهو من رواية ابن جريج قال: حُدثت (الكشف والبيان ٢٦/ ١٦٧) ثم إن السورة مدنية، وأبو قحافة كان بمكة حتىٰ أسلم، لم يلتق بأبي بكر الذي كان في المدينة، فكيف يسب النبي صلىٰ الله عليه وسلم أمام أبي بكر!.
وكذا ما ورد من أنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح لأنه قتل أباه يوم أحد أو بدر، لا يصح كذلك، فهو من رواية مقاتل، وقد قيل إن أباه لم يدرك الإسلام(الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٣٠٧) ومقاتل والكلبي يرويان في أسباب النزول ما ينفردا به ولا يصح.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بنور البرهان حتىٰ اهتدوا للحق، وقيل برحمة منه.

وقال سهلٌ: من صحح إيمانه وأخلص توحيده لا يُجالس المبتدع؛ ولا يواكله ولا يشاربه، ومن ضحك إلىٰ مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه، ومن لم يُصدِّق لم يجرِّب.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بالتوحيد ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ بالثواب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: أنصار دينه والدعاة إلىٰ توحيده ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قال محمد بن علي رحمه الله: حزب الله هم رجالته[١] في أرضه، الذَّابُّون عن حريمه، الناصرون لحقه.

وقيل: حزب الله مَنْ يغضب لله ولا يخاف في الله لومة لائم[٢].

قال عبد الحميد الحاكمي -رضي الله عنه-: بلغنا عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المجادلة كان من حزب الله يوم القيامة»[٣].

---

(١) في الأصل: رحالته.

(٢) وحزب الله جنده وأولياؤه، (تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٨، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٢١).

(٣) موضوع، وراه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ١١٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢٥ .

سورة الحشر

مدنية[1]، أربعة وعشرون آية[2].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: صلَّىٰ لله ما فيها من الملائكة والآدميين ومِنْ كل شيء حي ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ بالنقمة من الكفار ﴿ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ في قضائه.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ وهم بنو النضير ﴿لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾ والحشر والإخراج واحد.

وتلك أول ما أخرج من الكفار من ديارهم في الإسلام، وقصة ذلك: أن بني النضير عاهدوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أن يتمسكوا بدينهم ولا يكونوا لرسول الله ولا عليه، فلما أصيب المسلمون يوم أُحد فرحوا بذلك وتجاسروا علىٰ المسلمين، وذهب رئيسهم كعب بن الأشرف وعاهد أهل مكة علىٰ أن يكونوا يدًا واحدة علىٰ محمد وأصحابه، فنزل جبريل بخبره، وأمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رهطًا من المسلمين حتىٰ قتلوا كعبًا بغتة، ثم قصدهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وحاصر بني النضير إحدىٰ وعشرين ليلة، كلما ظهر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ دارٍ من دورهم هدموا ليتسع بهم المكان، وأمر بقطع نخيلهم، وكلما هدم المسلمون بيتًا فرُّوا إلىٰ بيت آخر، وكانوا ينتظرون المنافقين، قد قالوا لهم: لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم، فلمَّا رأوا أنَّ المنافقين خذلوهم صالحوا رسول الله صلىٰ

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٦/ ١٧٧، زاد المسير، وتمسىٰ سورة بني النضير.

(٢) باتفاقهم (البيان في عد آي القرآ، ٢٤٣).

الله عليه وسلم فصالحهم علىٰ الإجلاء، وعلىٰ أنْ يكون لكلِّ ثلاثة منهم بعير واحد، ويتركوا الصفراء والبيضاء، فذهبوا وقسم أموالهم بين المهاجرين والأنصار، ولحق أعداء الله بالشام، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من شك أن الحشر في القيامة هو الشام فليقرأ هذه الآية، فهذا حشر أول والقيامة حشر ثانٍ[٢].

وقال بعضهم: الحشر أربعة: حشر بني النضير أول الحشر، وحشر خيبر، وحشر أهل نجران، ثم حشر جميع أهل الكتاب من جزيرة العرب علىٰ يدي عمر رضي الله عنه، لأنَّ النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»[٣].

وجزيرة العرب في قول أبي عبيد[٤]: ما بين حفر أبي موسىٰ إلىٰ أقصىٰ اليمن طُولاً، وما بين رمل بيرين إلىٰ منقطع السماوة عرضًا[٥].

---

(١) انظر الروايات في ذلك في: الكشف والبيان ٢٦/ ١٧٩، وتفسير ابن كثير ٨/ ٥٧، وهذا من المشهور عند المفسرين.

(٢) البسيط ٢١/ ٣٦٣.

(٣) أصله في الصحيحين من حديث عمر، رواه البخاري في الصحيح ٣٠٥٣، ومسلم ١٦٣٧. لكن بلفظ: أخرجوا اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب، أو: لأخرجن..

(٤) كذا في الأصل، وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلام لكن يأثره عن أبي عبيدة معمر بن المثنىٰ.

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٦٧. ونص كلامه: قال أبو عبيدة: جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسىٰ إلىٰ أقصىٰ اليمن في الطول، وأما العرض فما بين رمل يبرين إلىٰ منقطع السماوة. وقال الأصمعي: جزيرة العرب من أقصىٰ عدن أبين إلىٰ ريف العراق في الطول، وأما العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر إلىٰ أطوار الشام.

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ أيها المؤمنون ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ يعني: بني النضير ﴿أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾ من عذاب الله والجلاء ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: عذَّبهم الله وخذلهم وأذلهم وأخزاهم ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ ولم يظنُّوا ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ يعني الخوف ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾(١) يرمون بها على المؤمنين ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم تركوا بعض البيوت حتى خربها المؤمنون.

وقرئ: «يُخْرِبون»، بجزم الخاء، يعني: يتركونها حتى تخرب.

﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ من إجلاء بني النضير.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالسيف ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: خالفوا الله ﴿وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾.

قال أبو عبيد: فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإخراجهم من هذا كله، فيرون أن عمر إنما استجاز إخراج أهل نجران من اليمن -وكانوا نصارى- إلى سواد العراق لهذا الحديث، وكذلك إجلاؤه أهل خيبر إلى الشام وكانوا يهودا أهـ.

وحفر أبي موسى هي البلد التي نشأت فيها، وتسمى حفر الباطن، وهذا الكتاب الذي تقرأه قد عارضته فيها، وكان أبو موسى بنى فيها بئرا، لأجل الحاج، ثم جددها زياد، فسميت: حفير زياد، وهي على طريق حاج البصرة، وبينها وبين البصرة فيما زعم البكري: واحد وثلاثون ومائة ميل (المسالك والممالك ١/ ٣٨١).

وحفر أبي موسى أحد الأحفار الثلاثة المعروفة في بلاد العرب (معجم البلدان ٢/ ٢٧٥) وكان بها بئر -قد اندثر قريبا- يُزعم أنه هو البئر الذي حفره أبو موسى، وسموا الحي باسمه، والله أعلم.

(١) في الأصل: يخرِّبون، وهي قراءة أبي عمرو وحده (النشر ٢/ ٣٨٦).

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ وهي نوع من النخيل شديد الصُفرة، ترىٰ نواته من خارجه، وقد أمر الله رسوله بقطعها ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ من العجوة وغير ذلك ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بمشيئة الله ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ وقد لامهم بنو النضير علىٰ قطع النخيل، وقالوا: أنتم مفسدون في الأرض، فنزلت الآية[١].

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ من غنيمة بني النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ أي: ليس ذلك مما توثقون عليه خيلاً أو ركابًا، والخيل: الفرس، والركاب: الإبل، والإيجاف: شديد المركب.

والمراد: أن غنيمة بني النضير لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خاصة لا يشركه أحد، وكانوا يطمعون في القسمة، فالله تعالىٰ قطع أطماعهم بهذه الآية وقال: ما أسرعتم بخيل ولا إبل؛ ولا قطعتم مسافة؛ ولكن مشيتم بأقدامكم لنُصرة دين الله في قريب من المسافة من المدينة[٢].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ كما سلَّط محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ بني النضير ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره عن بعض التابعين ٢٣/ ٢٧١ .

وفي الصحيحين (البخاري ٢٣٢٦، ومسلم ١٧٤٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «أنه حرق نخل بني النضير، وقطع»، وهي البويرة، ولها يقول حسان:

وهانَ علىٰ سراةِ بني لُؤيٍّ ... حَريقٌ بالبويرة مُستطيرُ

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٧٣ . وروىٰ عن الزهري أنه قال: صالح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عليه وسلم أهل فدك وقرىٰ قد سماها لا أحفظها، وهو محاصر قوما آخرين، فأرسلوا إليه بالصلح، قال: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يقول: بغير قتال، فكانت بنو النضير للنبي صلىٰ الله عليه وسلم خالصة لم يفتحوها عنوة، بل علىٰ صلح، فقسمها النبي صلىٰ الله عليه وسلم بين المهاجرين لم يعط الأنصار منها شيئا، إلا رجلين كانت بهما حاجة.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: ما ردَّ الله ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ من الغنيمة ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ من قريظة والنضير وفدك ﴿فَلِلَّهِ﴾ حتىٰ يأمر فيه بما أحبّ ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ وأمر رسوله فيها جائز ﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ إذ مُنعوا الصدقة جعل حقهم فيها ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ عام دون يتامىٰ بني عبد المطلب ﴿[وَٱلۡمَسَٰكِينِ] وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ مارّ الطريق دون بني عبد المطلب ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ﴾ الفيء ﴿دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾.

فـ«الدُّولة»: المال الذي يتداوله الناس، و«الدَّولة»: بنصب الدال الظفر في الحرب(١).

فأعطي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم غنائم بني النضير المهاجرين ولم يعط الأنصار غير رجلين، أحدهما: سهل بن حنيف، والثاني: سماك بن خرشة أبو دجانة، أعطاهما أرضًا من أرض بني النضير(٢).

قوله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ من الفيء ﴿وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ ولا تعصوه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾ ولا تخالفوا رسول الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ إذا عاقب.

ثم ذكر أنَّ الفيء ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ بمكة وغُلبوا علىٰ أموالهم ﴿يَبۡتَغُونَ﴾ هؤلاء الفقراء ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ أي: مغفرة من الله، وقيل: غنيمةً(٣).

---

(١) المتواتر قراءة الضم، وقرأ السلمي وأبو حيوة بنصب الدال، وهي قراءة شاذة (تفسير الطبري ٢٣/ ٢٧٩، الكشف والبيان٢٦/ ٢١٦).

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٧٩ .

(٣) قال قتادة: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام علىٰ ما فيه من الشدة، حتىٰ لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر علىٰ بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها (تفسير الطبري ٢٣/ ٢٨١).

﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ قصدوا نُصرة دين الله ونُصرة رسوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ في إيمانهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ الدار أراد بها المدينة لأنها دار الهجرة لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولأصحابه، معناه: الذين توطنوا[1] دار الهجرة وهي المدينة أراد به الأنصار والإيمان ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني تبوءوا الإيمان ولزموه قبل هجرة المهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ بالمدينة من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: حسدًا وحزازة وغيظًا ﴿بِمَآ أُوتُواْ﴾ أي: مما أُعطيَ المهاجرون من القُرىٰ الثلاثة: بني قريظة والنضير وفدَك ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بأموالهم ومنازلهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: حاجة، وهم الأنصار ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ أي: بُخْل نفسه حتىٰ يخرج حق الله من ماله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ السعداء في الآخرة.

نزلتْ في الأنصار حين طابت أنفسهم بمنع غنائم بني النضير عنهم.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ قال الكلبي: هم المهاجرون الآخرون الذين جاءوا بعد القسمة، لأنهم خافوا أن يقع في قلوبهم غل للذين آمنوا لما وقع من الفيء، فدعوا وقالوا: ربنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، الذين أخذوا نصيبًا من الفيء من السلف والخلف[2].

وقيل: هم التابعون الذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار.

وقال مقاتل: هم المؤمنون إلىٰ يوم القيامة يستغفرون لمن سبقهم بالإيمان، و ﴿[يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ] وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا

---

(١) في الأصل: وطنوا، (الكشف والبيان ٢٦/ ٢٢٣).

(٢) البسيط ٢١/ ٣٨٤ مختصرا.

﴿غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لما أُعطي ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٠﴾.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ يعني: عبد الله بن أبي ورفاعة بن زيد من أهل النفاق(١) ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من بني النضير ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ أي: لنوافقنَّكم(٢) في الخروج ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لا نُعين في قتالكم محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ أي: قاتلكم محمد ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١١﴾ في دعواهم.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ ولا يعينونهم ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ لو أرادوا أن يعينوهم ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ منهزمين: الناصر والمنصور ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢﴾ يمنعون ما أنزل بهم.

﴿لَأَنتُمْ﴾ يا معشر المسلمين ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي: خوفًا ﴿فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني: خوفهم منكم أشدُّ من خوفهم من الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ١٣﴾ توحيد الله.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ أي لا يجترئون ولا اليهود أن يقاتلونكم ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ أي: في حصون حصينة ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ جدر حيطان ﴿بَأْسُهُم﴾ أي: قتالهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ إذا قاتل بعضهم بعضًا، ولكن لا يقاومونكم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي متفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة ﴿ذَٰلِكَ﴾ التفرُّق ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ١٤﴾ توحيد الله.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: مثل بني قريظة كمثل الذين من قبلهم من بني النضير ﴿قَرِيبًا﴾ فُتِحَتْ قلعتهم بعد الهجرة بسنتين ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي:

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٨٩.

(٢) في الأصل: نوافقنكم.

عقوبة صنيعهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ يعني: مثل المنافقين مع اليهود كمثل الشيطان إذ قال للإنسان: يعني: برصيصا الراهب: أُكفر، يعني أُسجُد لي حتىٰ آخذ بأعينهم وأنجيك من أيديهم، وذلك حين قصدوا قتله ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾[(١)].

وقيل: هو في جميع الناس إذا أمرهم الشيطان بالكُفر[(٢)]، فلمَّا كفر قال ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ قيل: إنه علىٰ وجه السخرية ولا يخاف الملعون.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الكافرين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: لتعلم نفس ما عملت ليوم القيامة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: خافوه وانتهوا عن ولاية اليهود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

---

(١) البسيط ٢١/ ٣٨٤ مختصرا.

(٢) وقصة برصيصا الراهب في تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣١ مختصرة، وفي الكشف والبيان ٢٦/ ٢٥٤، وهي من رواية مقاتل، ملخصها: كان في بني إسرائيل راهب عبد الله تعالىٰ زمانا من الدهر، حتىٰ كان يؤتىٰ بالمجانين فيعودهم ويداويهم، فيبرءون علىٰ يديه، وأنه أتىٰ بامرأة قد جُنت وكان لها أخوة فأتوه بها، فكانت عنده، فلم يزل به الشيطان يزين له، حتىٰ وقع عليها، فحملت، فلما استبان حملها، لم يزل به الشيطان يخوفه ويزين له، حتىٰ قتلها ودفنها، ثم ذهب الشيطان إلىٰ إخوتها في صورة رجل، حتىٰ لقي أحدا من أخوتها، فأخبره بالذي فعل الراهب، وأنه دفنها في مكان كذا، فبلغ ذلك ملكهم، فسار الملك مع الناس، فأتوه فاستنزلوه من الصومعة فأقر لهم بالذي فعل، فأمر به، فصلب، فلما رفع علىٰ خشبة، تمثل له الشيطان، فقال: أنا الذي زينت لك هذا وألقيتك فيه، فهل لك أن تطيعني: فيما أقول لك، وأخلصك مما أنت فيه؟ فقال: نعم. قال: اسجد لي سجدة واحدة، فسجد له، فلما سجد له خلاه وذهب. وهي من الإسرائيليات، ولا يمكن أن تكون سبب نزول الآية

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: مردة أهل الكتاب تركوا ما عهد الله إليهم ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ أي: خذلهم الله حتىٰ تركوا حظوظ أنفسهم في الآخرة، وقيل: أنساهم أنفسهم حتىٰ لم يعملوا في فكاكهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾[١].

﴿لَا يَسۡتَوِيٓ﴾ في الطاعة والثواب ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ بالنجاة.

ثم وعظهم الله فقال: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ بالأمر والنهي والوعد والوعيد ﴿لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا﴾ متذللاً من الخوف ﴿مُّتَصَدِّعٗا﴾ مُشفِقًا ﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ وخوفه ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ في أمثال القرآن.

وقال الحسن: لو خلقنا للجبل تمييزًا كتمييزكم وجعلنا له من الثواب والعقاب كما جعل لكم لرأيته كما ذكرنا[٢].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾ الطاهر[٣] لا زوجة ولا ولد ولا شريك[٤].

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ الذي سلم الخلق من ضرره، والذي لا يلحقه عيب وموت، ولا يُغيِّره زمان.

﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ الذي أمِنَ الخلق من ظلمه، وأولياءه من أعدائه، والمؤمن هو المصدِّق، فالعبد المؤمن يصدق الله في التوحيد، والله تعالىٰ يصدق العباد في

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠٠.

(٢) نحوه في الكشف والبيان ٢٦/ ٢٦٣ دون أن ينسبه للحسن.

(٣) في الأصل: الرا هر.

(٤) وقيل: المبارك (تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠٢).

الإقرار بالتوحيد[١].

﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ الأمين في شهادته، وأصله: المؤتمن وأولها بُدئت بالهمزة ومعناه: الشهيد علىٰ عباده بأعمالهم[٢].

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ هو المنيع بعزَّته في مُلكه، وكل عزيز دونه، وذليل لعزّته.

﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾ القهار لخلقه علىٰ ما أراد، ويحتمل: الجبار الذي يجبر الكسر يعني: يجبر خُلَّة الفقير[٣].

﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ هو الذي تكبَّر عن ظلم العباد، وقيل: المتكبر المتعال عن الشبيه[٤].

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ تنزيهًا له عما يصفه الجاهلون.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ﴾ المقدِّر للخلق ﴿ٱلۡبَارِئُ﴾ الذي برأ كل نسمة وحيوان، أي: أوجدها.

﴿ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ الذي صوَّر ما قدَّر وبرأ ذكرًا وأنثىٰ في عجيب صورها[٥].

﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ الرحمن والرحيم والعزيز والجبَّار والمتكبِّر وله الصفات العُلىٰ ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ويحمده حمدًا ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ لا يُعجزه شيء أحدثه، محكم تدبيره وقضاؤه.

---

(١) جمع بين المعنيين اللذين ذكرهما أهل العلم (البسيط ٢١/ ٣٩٤).

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠٤.

(٣) وهذا الثاني هو الذي رواه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٣٠٤ عن قتادة.

(٤) ويشمله قول قتادة: المتكبر عن كل شر (تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠٥).

(٥) الكشف والبيان ٢٦/ ٢٧٥.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الحشر لم تبق جنَّة ولا نار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماوات ولا الأرضون ولا الهواء[1] ولا الريح ولا الماء ولا الطير ولا الشجر ولا الدواب ولا الشمس ولا القمر ولا الملائكة إلا استغفروا له وصلَّوْا عليه، وإن مات من يومه أو ليلته كان شهيدًا»[2].

❁ ❁ ❁

(١) في المصادر: الهوام، ولعله أصح، بدلالة ذكر الريح بعدها.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ١٧٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٢٦ .

سورة الممتحنة

مدنية(١)، وهي ثلاث عشرة آية(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال ابن عباس: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، لمَّا تجهز رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لغزو مكة كتب حاطب إلىٰ أهل مكة، وأخبرهم ليأخذوا حذرهم، ودفع الكتاب إلىٰ امرأة تسمَّىٰ سارة، مولاة أبي عمرو بن صيفي(٣)، فنزل جبريل وأخبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بذلك، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عليًّا والزبير بن العوام ليأخذا منها الكتاب، ويُخليا سبيلها، أو إن لم تُعْطِ الكتاب يقتلاها، فلمَّا أدركاها في الطريق أنكرت أن يكون معها كتاب، فقال عليٌّ: والله لئن لم تُعْطِ الكتاب لأقتلنَّك، فأخرجت الكتاب من بين قرون رأسها، ودعت عليه، فعرض رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الكتاب علىٰ حاطب، فقال حاطب: يا رسول الله والله ما نافقت منذ أسلمت، ولكن أحببتُ أن أصرف أهل مكة عن أهلي فلا يهيجونهم، فنزلت الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: حاطب(٤).

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٦/ ٢٨٥، زاد المسير ٤/ ٢٦٦.

(٢) لا اختلاف بينهم (البيان في عد آي القرآن ٢٤٤).

(٣) في الأصل: صيفر، وهو تصحيف، والتصحيح من تفسير مقاتل ٣/ ٣٤٧، والكشف والبيان ٢٦/ ٢٨٦، وهو أبو عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف. وقد سماها عروة بن الزبير: سارة، وقال: مولاة لبعض بني عبد المطلب (تفسير الطبري ٢٣/ ٣١٣).

(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٣٤٧، الكشف والبيان ٢٦/ ٢٨٧. وقد ثبت في صحيح البخاري ٣٠٠٧، وصحيح مسلم ٢٤٩٤: أن عليا رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنا

﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ لأنهم أعداء الله وأعداء دين الله ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي: ترسلون إليهم الكتاب بالنصيحة ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني القرآن والتوحيد ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي: لأجل إيمانكم بالله ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى﴾ وسبب ديني، فلا تتخذوهم أولياء، فهذا كلام معناه راجع إلىٰ الأول ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ راجع إلىٰ قوله: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ سرًّا.

وقوله: «تُلقون» في محل النصب[1]، ومعناه: أن لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ملقين إليهم بالمودَّة سرًّا، ولكن لما طال الكلام بين قوله «تلقون» وبين معنىٰ أعيد علىٰ لفظ الأول أو معناه، كقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ ثم كرر الكلام الأول فقال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها»، فانطلقنا تعادىٰ بنا خيلنا حتىٰ انتهينا إلىٰ الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

(١) لأنه حال من: تتخذوا (التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢١٧).

ثم قال: ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ أضمرتم في أنفسكم ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ﴾ من نصيحة المشركين ﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾.

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾ ومعناه: كيف تنصحونهم ولو ظفروا بكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ بالقتل ﴿وَأَلۡسِنَتَهُم﴾ بالطعن[(١)] ﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢﴾ أي: تمنَّوْا أن تكفروا بالله كما كفروا.

﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ﴾ التي بمكة ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ يُميِّز ويُفرِّق بينكم وبين أقربائكم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الخير والشر ﴿بَصِيرٞ ٣﴾ عالِم.

﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ وقدوة صالحة ﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وفعله وفعل[(٢)] ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ﴾ من الكفَّار ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سوى الله من الأصنام ﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ أي: تبرَّأنا منكم ﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَٱلۡبَغۡضَآءُ﴾ العداوة بالقلب دائمًا ﴿حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ ومعناه: هلَّا تأسيت يا حاطب واقتديت بإبراهيم وتبرَّأت من أهلك؛ كما تبرأ إبراهيم؛ فإنَّ اقتداءكم بإبراهيم واجب ﴿إِلَّا﴾ في ﴿قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ فإنَّ ذلك الوعد لموعدة وعدها إياه.

وقوله ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ﴾ أي: من عذابه[(٣)] قليل ولا كثير ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا﴾ تُبنا ورجعنا ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: بليَّة، أي: لا تظهرهم علينا فيرون أنهم على الحق ونحن على الباطل ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥﴾[(٤)].

---

(١) في الأصل: والطعن.

(٢) في الأصل: فصل بين الواو والذين بكلمة: فعل.

(٣) في الأصل: عذاب.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٣١٩.

﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ﴾ يا معشر المسلمين ﴿فِيهِمۡ﴾ أي: في إبراهيم وقومه من المؤمنين ﴿أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ﴾ والرجاء: الخوف ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦﴾ في فعاله.

ثم قال ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾ يعني به أهل مكة، يعني يكرمهم بالإيمان فتكونوا كلكم إخوانًا ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ﴾ علىٰ ما يشاء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧﴾.

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ﴾ برِّ ﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ أي: من قِبل الدين ﴿وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ مكة ﴿أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾ تصلوهم ﴿وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ أي: تعدلوا معهم بوفاء العهد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ الموفين بالعهد.

﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ عن مواصلة ﴿ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ يعني أهل مكة ﴿وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ ومنازلكم بمكة ﴿وَظَٰهَرُواْ﴾ أي: عاونوا المشركين ﴿عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ﴾ موالاة وتنصحونهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ﴾ بمعونة ومودَّة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾ باليمين واستحلفوهنَّ.

قال ابن عباس: كُنَّ النساء إذا هاجرن يحلفن بالله ما خرجت عن بُغض، وبالله ما خرجت رغبة من أرض إلىٰ أرض، وبالله ما خرجت للتماس مال الدنيا، وبالله ما خرجت إلا حُبًّا لله ورسوله(١).

و﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ في قلوبهنَّ ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ في الظاهر، وظهر عندكم أنها خرجت للإسلام ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ﴾ وذلك لمواعدة بين رسول

---

(١) الكشف والبيان ٢٦/ ٣٠٧.

الله صلىٰ الله عليه وسلم وأهل مكة في الحديبية، فهاجرت النساء بعد ذلك، وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «المواعدة بيننا في الرجال لا في النساء» فنزلت الآية[١].

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ لا يحل كون مسلمة تحت كافر، ولا تمسكوهن بالنكاح أيضًا وقد انقطعت العصمة بينهما.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ أي: أعطوا أزواجهنَّ ما أنفقوا علىٰ هذه النساء من المهر، لأجل العهد الذي بينكم وبينهم إلىٰ المدة.

وقال مقاتل: فإن لم يتزوجها أحد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيء[٢].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنَّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ جمع عصمة، والمراد به: النكاح، وأصل العصمة الحبل[٣].

والمعنىٰ: لا تعتدُّوا بامرأة كافرة بمكة أنها امرأة لزوجها المهاجر لأنه انقطعت عصمتها منه بالهجرة إذا تركها كافرةً[٤] في دار الحرب.

ثم قال ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ أي: اطلبوا من الكفار ما أنفقتم علىٰ أزواجكم من المهر إذا لَحِقْنَ بهم ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ من المهر علىٰ أزواجكم إذا لحقن بكم ودخلن في دينكم ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين الكفار، برد النفقة علىٰ أهل العهد ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يكون بين الفريقين من حاصل ﴿حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ بمطالبة المهر.

---

(١) وهو من رواية مقاتل، كما في تفسيره ٣/ ٣٥١، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٨.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٣٥١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٥٩.

(٤) في الأصل: كافر.

قال علي بن الحسين: ...[١] هذه الآيات منسوخة إلا قوله ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: هرب منكم امرأة من أزواجكم ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي: غنمتم غنيمة من العدو ﴿فَآتُوا ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم﴾ من تلك الغنيمة ﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ علىٰ نسائهم من المهر.

قال بعضهم: من خُمس الغنيمة بعد القسمة.

وقال بعضهم: يدفع ذلك قبل القسمة، ثم يقسم الباقي.

وقد روي أن امرأة عمر رضي الله عنه وهي أم مكتوم بنت خَرْوَل[٢]، وقيل: أم سلمة، وقيل: فاطمة أخت أم سلمة بنت ابن أبي أميَّة بن المغيرة ارتدت ولحقت بمكة، فأعطاه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من الغنيمة بمثل مهرها[٣].

وقيل: إنها نزلت في أم حكيم بنت أبي سفيان حين فتح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة، وكانت تبغض زوجها فتركته ولحقت بالطائف، وكانت الطائف دار حرب، فأعطىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم زوجها مثل مهرها من الغنيمة[٤].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ أنه إلـٰهكم.

ومعنىٰ قوله: عاقبتم من العاقبة، أي: غزوتم مرة بعد مرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ وهي: نساء مكة حين فتح الله مكة علىٰ

---

(١) هاهنا كلمة يظهر أنها مقحمة أو مصحفة، صورتها: واقر.

(٢) كذا في الأصل مجودا، وفي تفسير الطبري ٢٣/ ٣٣٢، والكشف والبيان ٢٦/ ٣١٧: أم كلثوم بنت جرول.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٢٣، الكشف والبيان ٢٦/ ٣١٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٧٠.

رسوله صلىٰ الله عليه وسلم حضرت النساء للبيعة، فأمر الله تعالىٰ نبيه صلىٰ الله عليه وسلم بمبايعته، بايعهن[1] ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ فجلس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ الصفا، وجلس عمر أسفل منه، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يشترط عليهنَّ وعمر يصافحهنَّ من وراء ثيابهن[2].

وقيل: كان ثوب بينهنَّ[3] وبين رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، أحد طرفيه في يد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فلمَّا عاهدهنَّ ألقىٰ ذلك الطرف إليهنَّ يأخذهنَّ بدلاً عن المصافحة، حتىٰ جاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنكرة بما صنعت بحمزة، فلما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لا تسرقن» قالت هند: كنت أصبتُ من مال أبي سفيان هنات فما أدري أيحلُّ لي أم لا؟ وكان أبو سفيان جالسًا، قال: نعم قد أحللت لك ما أصبتِ فيما مضىٰ وبقي، فلما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ولا يزنين» قالت هند: وهل تزني الحرة يا رسول الله، فضحك عمر، وقال: لا تزني.

ويُرْوَىٰ أنه قال لها: لو كان قلب نساء العرب علىٰ قلب هند ما زنت واحدة منهنَّ، فلما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ولا يقتلن أولادهن» قالت هند: نحن ربيناهم صغار وأنتم قتلتموهم كبارًا، وقد قتل حنظلة بن أبي سفيان يوم بدر، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «قتلناهم لأنهم أبوا أن يقولوا لا إله إلا الله»[4].

---

(١) في الأصل: بيعهن.

(٢) الكشف والبيان ٢٦/ ٣١٨، البسيط ٢١/ ٤٢٦. وهو خبر مرسل لا يصح.

(٣) في الأصل: بينها.

(٤) وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وهي رواية شديدة الضعف، انظر: تفسير الطبري ٢٣/ ٣٤٢، الكشف والبيان ٢٦/ ٣١٩.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ والبُهتان: هو أن تأتي ولدًا من غير زوجها وتربيه بين أيديها وأرجلها، وتقول لزوجها: هو منك.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ والمعروف طاعة الله ورسوله، لم يأمر إلا بالطاعة لله ورسوله، وقيل: المعروف أن لا يحرقن[1] ولا يخرقن في مصيبة ولا يَنُحْنَ.

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ إذا شرطن هذه الخصال ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ رجع المعنىٰ إلىٰ أول السورة ﴿لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في المنافقين كانوا يتولون اليهود، وقيل: فقراء المؤمنين كانوا يخبرون اليهود بأمر المسلمين لينالوا من أثمارهم فنهاهم الله عن ذلك[2].

﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بكفرهم ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ الذين لا يؤمنون بالبعث ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ يعني الأموات.

والمعنىٰ: قد قطعوا أطماعهم عن الآخرة ونعيمها كما قطعوا أطماعهم من الإحياء بعد الموت.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الممتحنة يكون المؤمنون والمؤمنات شفعاء له يوم القيامة»[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) كذا في الأصل. وقد يكون الصواب: لا يحلقن كما في الكشف والبيان ٢٦/ ٣٢٣.

(٢) الكشف والبيان ٢٦/ ٣٢٣، البسيط ٢١/ ٤٢٧.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ٢٨٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١١٢٧.

سورة الصف

مكية(١)، وهي أربع عشرة آية(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي صلَّىٰ علىٰ ما تقدم ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال الكلبي: كان المؤمنون قالوا لو علمنا أي الأعمال أحبَّ إلىٰ الله عز وجل لفعلناه، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠﴾ إلىٰ قوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣﴾ ففرحوا بذلك، فلما نزلت ابتُلي المؤمنون بحرب أُحد ففرُّوا(٣)، ولم ينصروا رسول الله حتىٰ شُجَّ وكُسِرَتْ رَباعيته، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾(٤).

﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: بُغضًا ﴿أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾ جميعًا علىٰ مكان من غير انهزام

---

(١) وقيل مدنية، ورجح الثعلبي أنها مدنية لأمره فيها بالجهاد، وهو قول الجمهور، (الكشف والبيان ٢٦/ ٣٣٩، زاد المسير ٤/ ٢٧٦).

(٢) بلا خلاف (التبيان في عد آي القرآن ٢٤٥).

(٣) في الأصل: نزل..فروا.

(٤) روىٰ ابن جرير في التفسير ٢٣/ ٣٥٠، نحوه عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة عنه، ولفظه: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا علىٰ أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به؛ فلما نزل الجهاد، كره ذلك أناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾.

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ﴾ أي: جدران ﴿مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ بعضها إلىٰ بعض، أي: ضُمَّ وشُدَّ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الذين كانوا به مؤمنين ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وقد ذكرنا تفسيره في سورة الأحزاب، في قوله: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: مالوا إلىٰ الباطل والضلال وانصرفوا عن الحق أمال الله قلوبهم عن الهُدىٰ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ أي: لا يوفق الذي سبق في علمه أنه يختم أمره علىٰ الفسق(١).

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا﴾ أي: موافِقًا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ لِمَا كان قبلي من التوراة ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ من ولد قيدار(٢) [بن] إسماعيل بن إبراهيم خاتم النبيين وإمام المرسلين ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ عيسىٰ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتىٰ ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾.

وقال ابن عطاء: في قوله: «أحمد» يعني: أحمد الحامدين حمدًا، وأحمد المطيعين طاعة، وأحمد العارفين معرفة، وأحمد المشتاقين شوقًا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ يعني اليهود والنصارىٰ، يُسمُّون آيات الله سحرًا ورُسله سحرة.

المعنىٰ: من أكفر ممَّن اختلق علىٰ الله الكذب.

﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ والانقياد لأمر الله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾ من الضلالة ﴿ٱلْقَوْمَ

---

(١) الكشف والبيان ٢٦/ ٣٥١.

(٢) يجوز فيه بالدال وبالذال (الإكمال في رفع الارتياب ٤/ ٤٢٥).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ الكافرين إلىٰ دينه.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ [بِأَفۡوَٰهِهِمۡ]﴾ أي: يرُدُّوا كتاب الله وكلامه فيكذبوه بألسنتهم ونور دينه وكتابه ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ مُظْهِر كتابه ومُعْلِنٌ أمر رسوله ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ من اليهود.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي التوحيد، وقيل: بالحُجج والبراهين ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ﴾ أي: يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ علىٰ الأديان كلها، وهي الأديان الخمسة: اليهوديَّة والنصرانيَّة والمجوسيَّة والصابئة والشرك، وهي باطلة كلها، فيظهر الله الإسلام علىٰ هؤلاء الخمسة حتىٰ تكون كلمة الله هي العليا.

﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩﴾ من أهل مكة وغيرهم، ولا تقوم الساعة حتىٰ يصير أهل الأديان كلهم مقهورين لأهل الإسلام.

قال الكلبي: عند نزول عيسىٰ[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠﴾ استفهام بمعنىٰ التقرير ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في أعدائه ﴿بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ﴾ الجهاد ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من الأموال والأنفس ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١﴾ ثواب الله.

﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾ أي: منازل حسنة طيَّبها الله لأوليائه ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ موضع إقامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢﴾ النجاة من الجحيم، وذلك جنات النعيم.

﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ﴾ أي: يعطكم خصلة واحدة أخرىٰ تحبونها، وهي الظفر علىٰ

---

(١) انظر: تفسير سورة التوبة، آية: ٣٢.

أعدائكم: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ ظفر عاجل وهي فتح مكة ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ بالظفر في الدنيا والنجاة في العقبىٰ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ يعني: أعوان دين الله وأعوان رسوله ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى﴾ مختصر معناه: كما نصر الحواريون لعيسىٰ بن مريم حين قال لهم عيسىٰ ﴿ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ وهم أصفياءُ عيسىٰ ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسىٰ ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ﴾ أي: جحدت ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قوّيناهم.

والذين آمنوا هم الشمعونيَّة، والذين كفروا هم: الملكانية واليعقوبيَّة والنسطورية والمرقوسية، ولكل واحد مذهب واختلاف علىٰ ما قدمنا، ومع اختلافهم اجتمعوا علىٰ قتل المؤمنين وهم الشمعونيَّة، فقتلوا منهم كثيرًا، ولحقت بقيتهم إلىٰ الغيران والأسراب في الجبال يترهبون، ومن نسلهم بحيرىٰ الراهب والنجاشي ومن آمن منهم برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(١).

﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم وأيّدنا محمدًا وأصحابه ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ اليهود والنصارىٰ ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ علىٰ أهل قريظة والنضير وخيبر وجنود الروم يوم مؤتة ويرموك.

وقوله: «ظاهرين» أي: عاليين(٢).

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٦٧.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: غالبين.

لم يذكر الحديث الموضوع في فضائل سورة الصف، وهو حديث: من قرأ سورة الصف كان عيسىٰ مستغفرا له ما كان في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة جعله الله له رفيقا (الكشف والبيان ٢٦/ ٣٤٠، فضائل القرآن للمستغفري ١٢٢٧). وقد نبهنا مرارا علىٰ أنه حديث مكذوب

سورة الجمعة

مدنيَّة[١]، وهي إحدىٰ عشرة آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ﴾ الدائم الذي لا يزول مُلكه، وكل العالم خلقه وعبيده ﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾ المبارك الذي يكون منه اليُمن والبركة، وقيل: الطاهر من العيوب[٣] ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ في قضائه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ يعني العرب سُمُّوا آمنين لأنهم علىٰ ما خلقت عليه الأمة، قيل: تعلم الكتابة، والكتابة لا تكون إلا بتعلُّم.

وقيل: سُمُّوا أميين لأنه لم يكن لهم كتاب وشرع كما كان لليهود والنصارىٰ[٤].

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: من العرب ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ بالأمر والنهي ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من نجاسة الشرك، ويطهرهم من دنس الكفر ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ القرآن والفقه الذي فيه الحلال والحرام ﴿وَإِن كَانُوا۟﴾ وقد كانوا ﴿مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ أي: بعثه الله رسولاً إلىٰ العرب وإلىٰ آخرين منهم، أي: العجم، وهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ بعد فيستلحقون بهم علىٰ الترادُف إلىٰ يوم القيامة.

وفي إعراب «آخرين» وجهان:

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٦/ ٣٦٩، زاد المسير ٤/ ٢٨٠.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٤٦).

(٣) انظر تفسير سورة الحشر، آية: ٢٣.

(٤) تفسير السمعاني ٥/ ٤٣٠.

كسر معطوف علىٰ «أميين»(١).

ونصب معطوف علىٰ الهاء والميم في «ويعلِّمهم الكتاب والحكمة ويعلِّم قومًا آخرين»(٢).

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ إرسال الرسل(٣) والكتاب ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ من كان أهلاً ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ المن الوافر.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ أي: أمروا باستعمال التوراة وما فيها ﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ ولم يعملوا بها(٤).

وهذا مثل عالم لا يعمل بعلمه، عن سهل.

وقال ابن عباس: هم اليهود هم يحملون التوراة ولا يعملون بها(٥).

﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ من الكتب ولا يدري ما فيه ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: بئس المثل الذي ضربناه لهم تمثيلاً بالحمار ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ مِنْ علم أنه يموت علىٰ اليهوديَّة.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ أي: مالوا عن الإسلام ﴿إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: دون محمد وأصحابه وقد زعمتم أنكم أحباء الله ﴿فَتَمَنَّوُاْ

---

(١) ويكون المعنىٰ: هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم وبعث في الذين لم يلحقوا بهم (معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٠) وهو الذي لم يذكر ابن جرير سواه (تفسير الطبري ٢٣/ ٣٧٤).

(٢) معاني القرآن ٥/ ١٧٠، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٠.

(٣) كذا في الأصل، الرسل بالجمع والكتاب بالمفرد.

(٤) البسيط ٢١/ ٤٤٩.

(٥) لا خلاف بينهم في ذلك (تفسير الطبري ٢٣/ ٣٧٨).

﴿ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ وقولوا: اللهم أمتنا.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا﴾ أي لا يشتهونه أبدًا ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ من خوف ما سلفت به من ذنوبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ أي: من اليهود أنهم لا يشتهون الموت.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ ونازل بكم لا محالة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ أي ترجعون ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب عن العباد وعلمه وما علِمُوه ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾ ويجازيكم به.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ﴾ بادروا إليها وأجيبوا داعي الله، ولم يُرِدْ به العَدْوَ، عن الأخفش.

﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ أي اتركوه بعد الأذان، ولا تتخلَّفوا عن الخُطبة والصلاة لأجل التجارة ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ الجمعة خير من البيع ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾ ثواب الله في ذلك.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بعد فراغكم عنها ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ قد أُبيح لكم طلب الرزق، وقيل: ابتغاء الفضل طلب العلم، مروي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

وقيل: تشييع الجنازة وعيادة المريض(١).

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ باللسان ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾ لكي تفوزوا.

﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ عن مقاتل: أن دحية بن خليفة(٢) الكلبي كان إذا قَدِمَ العير المدينة استقبلها بالطبول والتصفيق، وكان العير يأتون بالطبول علىٰ

---

(١) البسيط ٢١/ ٤٥٨.

(٢) في الأصل: حديفة، وهو تصحيف.

الجمال أيضًا، فقَدِمَ يوم الجمعة في وقت كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يخطب علىٰ المنبر، ولم يبق مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلا أحد عشر رجلاً وامرأة، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لو لحق آخرهم أوَّلَهم لالتهب الوادي نارًا»(١).

﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ أي: تفرقوا إليها، ولم يقل إليهما، والمذكور(٢) السابق: التجارة واللهو، ولكن أراد: رأوا تجارة انفضوا إليها وإذا رأوا اللهو انفضوا إليه، فاختصر الكلام.

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾ تخطب، فيه دلالة علىٰ أن القيام شرط في الخطبة ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب علىٰ الصلاة ﴿خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ التي جاء بها دحية ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الجمعة أُعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد من حضر وبعدد من لم يحضر الجمعة»(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٣٦١، وهو قول عامة المفسرين: تفسير الطبري ٢٣/ ٣٨٦، الكشف والبيان ٢٦/ ٤٢٩.

(٢) في الأصل: المذكر.

(٣)موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ٣٧٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٢٩.

سورة يُذكر فيها المنافقون

مدنية[١]، وهي إحدىٰ عشرة آية[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ المنافق: هو المُضْمِر للكفر مع إظهار الإيمان، واشتُقَّ من نافق اليربوع[٣].

والمعنىٰ: إذا حضَروك منافقو المدينة.

﴿قَالُوا﴾ لك ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ والشهادة هاهنا الحلف، حلفوا بأنَّك رسول الله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ من غير شهادة المنافقين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ①﴾ في حلفهم، ويضمرون خلاف ما يُظْهِرون.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ لأنفسهم من القتل وإعطاء الجزية ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: منعوا الناس عن دين الله الإسلام ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ②﴾ من الصد والكفر.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الصد ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ آمنوا في العلانية وكفروا في السر ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: جعل الله أعمالهم الخبيثة حجابًا لقلوبهم لا يبصروا الهُدىٰ ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ③﴾ ما يأتيهم به الرسول.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي لهم خِلْقٌ حسنة، وأجسام بسيلة ﴿وَإِن

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٦/ ٤٣٩، زاد المسير ٤/ ٢٨٦.
(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٤٧.
(٣) البسيط ٢١/ ٤٦٧.

يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ أي: يصغي إليهم سمعك إعجابًا بحُسن منطقهم ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ إلىٰ الحائط بعضها إلىٰ بعض، أي: لا تعجب بحُسن منطقهم وكلامهم، فلا خير في باطنهم، وليس فيهم شجاعة ولا جراءة ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ﴾ تكون بالمدينة ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾ لا هم، ولو كانوا هم مؤمنين لاطمأنت قلوبهم بوعد الله.

وقيل: الهاء والميم في عليهم راجع إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(١).

وتمَّ الكلام ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾ ابتدأ الكلام، يعني لا تأمنهم ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أي: لعنهم الله ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤﴾ من أين يكذبون استفهام بمعنىٰ التوبيخ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ﴾ احضروا ﴿يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إن حضرتم بقلوبكم وتركتم النفاق ﴿لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾ عطفوا رؤوسهم عن الاستغفار، أي: ثنوا ﴿وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن الاستغفار ﴿وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٥﴾ متعظمون عن الإيمان.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ ماداموا علىٰ نفاقهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾ الذين في علمه أنهم يموتون علىٰ النفاق.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ نزلت في عبد الله بن أُبي، وكان مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في غزوة تبوك -أو غزوة أخرىٰ- فخاصم رجل من المسلمين اسمه جُعال رجلاً من المنافقين يقال له جهجاه(٢) الغفاري، فلطم المخلص المنافق فرآه عبد الله بن أُبي فاغتاظ، وقال: عمدنا إلىٰ رجل ليس منَّا فحملناه علىٰ أعناقنا حتىٰ يفعل هو أصحابه فينا ما يريدون،

---

(١) وهذا قول غريب، لم يذكره المفسرون (تفسير الطبري ٢٣/ ٣٩٥، الكشف والبيان ٢٦/ ٤٥١، البسيط ٢١/ ٤٧٢).

(٢) في الأصل مصحفة، صورتها: حمقا.

والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قيل: سَمِّنْ كلبك يأكلك، ثم قال لبعض أصحابه: لو كنتم تمنعون جُعال وأصحابه فضل طعامكم لما ركبوا أعناقكم، ولتفرقوا من عند محمد وتركوه وحيدًا(١)، فذلك قوله: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ أي: لا يصدِّقون أنَّ الرزق من الله.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ وإنما قال ذلك عبد الله بن أُبي عند مخاصمة الرجلين، فسمع ذلك زيد بن الأرقم، فقال للمنافق: أنت والله الذليل المبغض، ومحمد في عز من الله ومودة من المسلمين، ثم جاء زيد بن أرقم وأخبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بذلك، فشقَّ علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قول المنافق فدعاه، فجاء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في نفر من الرجال يذُبُّون عنه، فحلف وقال: والله الذي أنزل الكتاب ما قلت من ذلك شيئًا، وما عملت عملاً أرجىٰ في نفسي من غزاتي هذه، فصدَّقته الأنصار، وقالوا: يا رسول الله شيخنا وسيدنا لا تُصدِّق عليه قول غلام، فعذره رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وفشت الملامة لزيد بن أرقم، قالوا: كذب زيد عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ استحيا زيد من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ولم يدْنُ منه بعد، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ والآية التي بعدها(٢).

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٣٦٥، الكشف والبيان ٢٦/ ٤٥٤.

(٢) انظر الروايات في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠١ . وأصله في الصحيحين، فقد روىٰ البخاري ٤٩٠٠، ومسلم ٢٧٧٢: عن زيد بن أرقم، قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي، يقول: لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما

ثم قال الله تعالىٰ جوابًا له ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ المنعة والقدرة ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ عز الإيمان ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٨﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ أي: لا تُشغلكم أموالكم ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ أمر توجه إلىٰ غير المأمور كقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢﴾ والمعنىٰ: لا تشتغلوا بأموالكم وأولادكم ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ عن أداء فرائض الله ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ ومن يشتغل بتكثير أمواله وتربية أولاده عن إصلاح معاده ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي يعاين أهوال الموت ﴿فَيَقُولَ﴾ حينئذ ﴿رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ [فَأَصَّدَّقَ]﴾ هلا أجّلتني حتىٰ أتصدَّق من مالي ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾[1] المؤمنين.

ويقال: أحُجّ بذلك المال بيتك يا رب[2].

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ وعاين الموت ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾ من الخير والشر، فتوبوا قبل الندامة.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق يوم القيامة»[3].

قالوا، فكذبني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلىٰ أن كذبك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ومقتك؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ فبعث إلي النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقرأ فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد».

(١) في الأصل: وأكون، وهي قراءة أبي عمرو (النشر ٢/ ٣٨٨).

(٢) وهي رواية الضحاك عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٣/ ٤١١).

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ٤٤٠، فضائل القرآن للمستغفري ١٢٣٠.

سورة التغابن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ(١)

قوله عز وجل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾ أي: كل ما في السماوات والأرض خلقه وملكه، وهو يستحق أنَّ تحمده الخلائق لتواتر نعمه عليهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ يتصرَّف كيف يشاء(٢).

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ يا بني آدم ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ قال الزجاج: خلقكم في بطون أمهاتكم كفارًا ومؤمنين، والدليل عليه ما ذكر من قصَّة يحيىٰ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية، أخبر أنه خُلِق كذلك(٣).

وقال أبو سهل: فمنكم الآن كافر ومنكم مؤمن، فاستويتم في الخلق واختلفتم في الأحوال.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢﴾ يجزيكم بالخير خيرًا وبالشر شرًا.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ لم يخلقهما باطلاً، ولكن خلقهما لأمر كائن ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ﴾ لأنَّ صورة بني آدم أحسن من صور سائر الخلق ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ أي: مصير العباد في الآخرة إلىٰ الجزاء.

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ أي: ما تسرون في

---

(١) بيض لتنزيلها وعدد آيها، وهي مكية إلا آية منها، في قول الثعلبي (الكشف والبيان ٢٦/ ٤٧٧) وهو قول الجمهور عند ابن الجوزي، وقال الضحاك: إنها مكية (زاد المسير ٤/ ٢٩١).
وأما عد آيها فهي ثمان عشرة آية في عد الجميع (البيان في عد آي القرآن ٢٤٨).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٥٤.

(٣) معاني القرآن ٥/ ١٧٩.

قلوبكم وما تعلنون بألسنتكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾ أي: بما في القلوب.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ كيف أهلكهم الله لتعتبروا بذلك ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ أي: أصابتهم عقوبة صنيعهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٥﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب لهم ﴿بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ البيان من عند الله ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾ أي: آدمي مثلنا يدعوننا إلىٰ دين غير دين آبائنا ﴿فَكَفَرُواْ﴾ بالرسل ﴿وَتَوَلَّواْ﴾ عن الإيمان بهم ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾ عن إيمانهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن طاعة العباد ﴿حَمِيدٞ ۝٦﴾ شاكر لمن أطاعه.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ بعد الموت ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ أمره الله بالجواب المقرون باليمين ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾ يوم القيامة، أي: تُخبرون ﴿وَذَٰلِكَ﴾ البعث ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾ هيِّن.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ أنه قادر علىٰ البعث ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ أنه من الله ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ علىٰ نبينا وهو القرآن ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٨﴾.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ لأنَّ الكفار غُبنوا بنعيم الجنة، وقيل: هو اسم من أسماء القيامة(١).

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يصدِّق بتوحيده ﴿وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٠﴾ والمرجع.

﴿مَآ أَصَابَ﴾ ابن آدم ﴿مِن مُّصِيبَةٍ﴾ مرض أو ذهاب مال ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٢٠، الكشف والبيان ٢٦/ ٥٠٠.

وقضائه ومشيئته ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يرىٰ أن المصيبة من الله ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ يعرف قلبه بما شاهد من تدبير الله في نفسه وماله، ويعلم أن الخلق كلهم لله يفعل فيهم ما يشاء. وقيل: يهدِ قلبه للاسترجاع حتىٰ يقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون[١].

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما تعبدكم في السرَّاء والضرَّاء ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ﴾ فيما أخبركم عن الله ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن كتاب الله وطاعة رسوله ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٣﴾ يعتمد المؤمنون في دينهم ودنياهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ﴾ ولا تقعدوا عن الهجرة بسببهم ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤﴾.

قال مقاتل: كان الرجل إذا أراد الهجرة منعه أهله، وقالوا: ننشدك بالله أن تترك أهلك وولدك، فمنهم من هاجر ومنهم من تأخر عن الهجرة، فكل من هاجر ورأىٰ من سبق من المهاجرين قد تفقهوا في دين الله غضبوا علىٰ نسائهم وأولادهم، وقالوا: لئن جمعنا الله وإياكم في دار الهجرة نعاقبكم ولا ننفق عليكم، لأنكم تثبطونا عن الجهاد، ثم هاجر أهلهم، فأنزل الله هذه الآية وأمرهم بالعفو[٢].

ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ أي بليَّة تُبْتَلُون بها ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ وهو الجنة لمن ترك ما يحبه ولزم عبادة ربه.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٢١، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٥٧.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٣٦٩.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قال الكلبي: هذه الآية ناسخة لقوله تعالىٰ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ معناه: اتقوا الله ما أطقتم واحذروا مخالفته ما تطيقون[١].

﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون ﴿وَأَطِيعُوا﴾ الله والرسول ﴿وَأَنفِقُوا﴾ أموالكم في سبيل الله ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ من المنع، أي: تكن النفقة خيرًا لأنفسكم من المنع ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾.

قال ابن عيينة: الشُح هو الظلم[٢].

وقيل: البُخل، أي: من منع ظلم نفسه وبُخل نفسه حتىٰ يخرج عن حق الله تعالىٰ من ماله[٣].

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ الظافرون بالفوز.

﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ صادقًا من قلوبكم طيبة بها أنفسكم ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ ما بين سبع إلىٰ عشر إلىٰ سبعين إلىٰ سبعمائة إلىٰ ما شاء الله ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ يعني: يقبل اليسير من الأعمال ويعطي الجزيل من الثواب، ويحلم عن جهل العباد.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ عالِم بما غاب عن علم الخلق وبما شاهده الخلق ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ سورة التغابن دفع الله عز وجل عنه موت الفجأة»[٤].

---

(١) وهو قول قتادة وسعيد بن جبير (تفسير الطبري ٢٣/ ٤٢٧، الكشف والبيان ٢٦/ ٥١١).

(٢) نقله السمعاني في تفسيره ٥/ ٤٥٥.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٥٨.

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ٤٧٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣١.

سورة الطلاق

مدنية(١)، اثنتا عشرة آية(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: حلَّيتم لهُنَّ عن عقدة النكاح بقولكم: أنتِ طالق.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أبو صالح عن ابن عباس قال: غضب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ حفصة فطلَّقها فنزلت هذه الآية(٣).

معناه: إذا أردتم طلاق النساء فطلِّقوهن طواهر من غير جماع.

﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ﴾ يريد به الحيض، وقيل: يريد به الأطهار(٤).

يعني: إن كانت ممن تحيض فثلاث حِيَض، وإن كانت حاملاً فوضع الحمل، وإن كانت آيسة فثلاثة أشهر.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ﴾ فيما أمركم من الطلاق للعدد وإحصاء العدَّة.

﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ التي طلقتموهن فيه ﴿وَلَا يَخۡرُجۡنَ﴾ من قِبَل أنفسهن؛

---

(١) بإجماعهم، وتسمىٰ: سورة النساء القصرىٰ، الكشف والبيان ٢٦/ ٥١٧، زاد المسير ٤/ ٢٩٥.

(٢) إلا في البصري فهي: إحدىٰ عشرة آية (البيان في عد آي القرآن ٢٤٩).

(٣) من رواية الكلبي ، كما في البسيط ٢١/ ٤٩٣، وروي من غير طريق الكلبي، فرواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ٥٢٣ من حديث قتادة عن أنس، وهو معلول، والصحيح عن قتادة مرسلا، كذا رواه الطبري ٢٣/ ٤٣٦، ولا يصح هذا السبب، والله أعلم.

(٤) علىٰ الخلاف الوارد في القرء، انظر: تفسير سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

لأن نفقتها على المطلِّق، فإلى أين تخرج، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ وهو أن تبذو على أهلها(١).

وقيل: الفاحشة هو الخروج من غير إذن الزوج.

وقيل: إذا زنت فأخرجت لإقامة الحد(٢).

﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ في الطلاق والعدة ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ عصاه وتجاوز أحكامه ﴿فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ بالمعصية واستوجب العقوبة، ثم قال: ﴿لَا تَدۡرِي﴾ أيها المطلق ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد التطليقة الواحدة والثنتين ﴿أَمۡرٗا ١﴾ أي: رجعة، تبدو له في رجعتها، وندم على طلاقها.

﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قرب انقضاء عدتهنَّ بعد الطلقتين ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾ بالموافقة مع حُسن الصحبة ﴿أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾ بطاعة الله بغير ضرار، أي: خلوا سبيلهُنَّ بإعطاء المهر والنفقة ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ على الطلاق والمراجعة؛ حُرَّين مسلمين ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ عند الحُكَّام، أي: لطلب رضا الله تعالى ولا تميلوا إلى أحد الزوجين.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الذي ذُكر من الأمر والنهي ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ

---

(١) وهو مروي عن ابن عباس من طريق غريبة (تفسير الطبري ٢٣/ ٤٣٩).

(٢) فالفاحشة على هذا القول الزنى، وهو قول الحسن والشعبي وابن زيد (تفسير الطبري ٢٣/ ٤٣٨). ورجح الطبري العموم، فقال: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عنى بالفاحشة في هذا الموضع: المعصية، وذلك أنَّ الفاحشة هي كل أمر قبيح تعدى فيه حده، فالزنى من ذلك، والسرق والبذاء على الأحماء، وخروجها متحولة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتد فيه منه، فأي ذلك فعلت وهي في عدتها، فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك، لإتيانها بالفاحشة التي ركبتها.

وفي الأصل: زنى فأخرج..

﴿ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ والذي لا يؤمن لا ينفعه الوعظ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾ يعني: من يتق الله فيما أمره من طلاق السُّنَّة وإحصاء العدة يجعل له مخرجًا من الشبهات في الدين والدنيا؛ فلا يندم، ولا يصير عاصيًا.

وقيل: مخرجًا من غمرات الموت وشديد الآخرة، عن ابن عباس(١).

﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ في الدنيا ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ يكفيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾ أي مُنْفِذٌ سابق علمه ما شاء كيف شاء.

قال ابن مسعود ومسروق: إن المتوكِّل على الله يكفِّر عنه سيئاته، فأما القضايا فإنها تقع على ما قُضيت لا محالة(٢).

﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ من الشدة والرخاء والفقر والغِناء، لا يتقدَّم ولا يتأخَّر عمَّا قدر.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ المؤمنات ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي: شككتم في حكم عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ لأنه لما نزل عدة ذوات الحيض سكتوا في الآيسة والصغيرة، فنزلت الآية ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ يعني: الصغائر عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر(٣).

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ في الطلاق والوفاة ﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فيما عهد إليه من أمر الطلاق والنفقة والسُّكنى ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ يُيسِّر عليه أمره، ويوفقه للعمل الصالح.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أمر به وشرع ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ وهو الذي أوحاه إلى

---

(١) البسيط ٢١/ ٥٠٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٤٨، البسيط ٢١/ ٥٠٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٦٢.

عباده فيما فرض ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فيما فُرض عليه وأمرَهُ ﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ يغفر ذنوبه ﴿وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾ علىٰ التقوىٰ.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ﴾ يعني: المطلقات ﴿مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ في المنزل الذي تسكنون ﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ سعتكم وطاقتكم علىٰ قدر ما تجدون ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ في النفقة والسُكنىٰ ﴿وَإِن كُنَّ﴾ المُطلَّقات ﴿أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ﴾ أي: لولدكم بعد الوضع ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ نفقة الرضاع ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ﴾ أي: شاوروا في الإرضاع ونفقة الرِّضاع علىٰ أمرٍ معروفٍ جائز صحيح، بغير إسرافٍ ولا تقتير.

﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ﴾ في النفقة، أي: طلبت المرأة النفقة أكثر والرجل يُعطي الأقل ﴿فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ۝٦﴾ امرأة أخرىٰ غير أُمِّه[1].

﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾ هو لام الأمر، أي: ذو غناء من غناه علىٰ قدر غناه ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ أي: ضُيِّق عليه رزقه ﴿فَلۡيُنفِقۡ﴾ علىٰ المراضع ﴿مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ علىٰ قدر طاقته ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ أي: قدر ما أعطاها ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ۝٧﴾ سعة من الرزق بعد الشدة والضيق.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أي: كم من أهل قريةٍ ﴿عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا﴾ أي: تعدَّت وخالفت وخرجت عن أمر ربها ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ عن أمر رسله ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا﴾ أي: نحاسبها في الآخرة ونعذبها عذابًا شديدًا، لا نَدَع لها ذنبًا إلا أحصيناه عليها ﴿وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ۝٨﴾ أي: فظيعًا صعبًا.

﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا﴾ أي: جرَّبت عقوبة فعلها. والوبال والوبيل: مما ثقل من الطعام علىٰ الأكل[2].

---

(١) تفسير السمعاني ٥/ ٤٦٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٨٧.

﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ۝٩﴾ أي: صار عاقبة أمرها في الآخرة إلىٰ الخسران.

﴿[أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ] فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ اخشَوْه يا ذوي العقول؛ ولا تعملوا مثل أعمالهم، ثم وصف أولي الألباب فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ۝١٠﴾ أي: كتابًا وهو القرآن.

وقيل: الذكر الرسول(١).

﴿[رَّسُولٗا] يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات ﴿لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: ليدعوهم ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ من الجهل إلىٰ العلم.

وقيل: من ظُلمة الدنيا والقبر إلىٰ نور الجنة(٢).

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ وبمحمد والقرآن ﴿وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ خالصًا فيما بينه وبين ربه ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ مُقيمين في الجنة ﴿أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ۝١١﴾ بعمله الصالح في الدنيا لأنه قال: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾.

ثم قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي﴾ دعاكم إلىٰ توحيده وطاعته والذي ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ بعضها فوق بعض؛ مثل القبَّة ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ﴾ في العدد بعضها تحت بعض ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ أي: الوحي من السماء السابعة إلىٰ الأرض السابعة إلىٰ أهلها ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ مما أراد ويريد.

ليس في القرآن آية تدل علىٰ أنَّ الأرض سبع إلا هذه الآية.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢﴾ أي: أحاط علمه بكلِّ شيءٍ.

علمًا: نصب علىٰ التفسير لكثرة الإحاطة(٣).

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٦٧، الكشف والبيان ٢٦/ ٥٩٥.

(٢) البسيط ٢١/ ٥٠٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٨٩.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الطلاق مات علىٰ سُنة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم»[١].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ٥١٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٢.

سورة التحريم

مدنية، إلا آيتان منها من آخرها(١)، وهي اثنتا عشرة آية(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ قيل: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خلا بمارية القبطية أم إبراهيم في بيت حفصة بنت عمر، وكانت غائبة، وذلك اليوم يوم عائشة من القِسْمَة، فلما رجعت حفصة رأتهما في المنزل، وأظهرت ذلك مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لحفصة: «لا تُخبري بهذا الخبر حتىٰ أُخبرك بشيءٍ يَسُرُّكِ»، فقالت ما هو؟ قال: «إنَّ أبا بكر وعمر سيملكان بعدي أُمَّتي»(٣)، فقالت حفصة: لا أخبرها، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إنِّي حرَّمتُ مارية علىٰ نفسي».

فذهبت حفصة وأخبرت عائشة بذلك، وكان بينهما مصافاة من جُملة النساء، فنزل جبريل بخبر حفصة وتبليغه إلىٰ عائشة، ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «يا حفصة ألست قد ضمنت أن لا تقولي ذلك مع عائشة، فلِمَ أفشيتِ سِرِّي؟» فقالت حفصة: مَنْ أخبرك بهذا، وظنَّت أن عائشة أخبرتهُ بذلك، فقال: «نبَّأني العليم الخبير»، فغضب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ حفصة، وطلَّقها تطليقة واعتزل نساءه كُلَّهن شهرًا، ومكث في مشربة مارية أم إبراهيم تسعًا وعشرين ليلةً،

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٧/ ٧، زاد المسير ٤/ ٣٠٤.

(٢) في الأصل: ثلاثة، وهو خطأ، فقد اتفق العادون علىٰ أنها اثنتا عشرة آية (كما في البيان في عد آي القرآن).

(٣) هذا الخبر بهذه الصياغة من رواية الكلبي، وقد ذكرها من يعتمد عليه، كالفراء في معاني القرآن ٣/ ١٦٥.

فلما سمع عمر بطلاق حفصة قال: لو كان في آل الخطاب خيرًا ما طلّق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حفصة، ثم جاء جبريل بعد أيامٍ وأمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يُراجعها، وقال: راجعها فإنها صوَّامة قوَّامة، ثم أنزل الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ وهي مارية القبطية[١].

ووجد ...[٢] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في منزل حفصة، فوضعت حفصة بين يديه عَسَلاً، وكان لها زِقٌّ من العسل تطعم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من ذلك، فلما دخل عليها وسمعت[٣] بذلك عائشة فأخذتها الغَيْرَة، فأرسلت إلىٰ نساء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقالت: كلما دخل عليكن رسول الله قلن له: نجد منك رائحة المغافير، وهي شيءٌ مثل الصمغ من شجرةٍ يُقال لها العرفط، له رائحة كريهة، فكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يُحبُّ الطِّيبَ لأجل الملائكة، ويكره الرائحة الكريهة، فخرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من بيت حفصة ودخل علىٰ سَوْدَة، فقالت: أَكَلْتَ المغافير يا رسول الله فقال: «لا، ولكنِّي أكلتُ العسل» فقالت: أجدُ منك رائحة المغافير، وكذلك سائر النساء، حتىٰ دخل علىٰ عائشة قالت عائشة: إيش هذه الرائحة يا رسول الله، أكلتَ المغافير؟ فقال: «لا، أكلتُ العسل» فقالت: أجد منك رائحة المغافير، ولعل النحل الذي منه العسل جلس علىٰ العرفط، وأكل نَوْرَهُ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إنِّي حرَّمتُ العسل علىٰ نفسي، لا آكله أبدًا» وإنما قال ذلك لما كره من رائحته[٤].

---

(١) وممن قال إن المحرمة جاريته: زيد بن أسلم، ومسروق والشعبي وقتادة، وهو رواية علي والعوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٣/ ٤٧٦).

(٢) هاهنا كلمة صورتها: احدان.

(٣) في الأصل: وسمع.

(٤) وممن قال إنه حرم العسل: عبد الله بن شداد، وابن أبي مليكة (تفسير الطبري ٢٣/ ٤٨٠).

فنزل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ يعني: مارية أو العسل[١].

﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ يعني: لِمَ تُحرِّم ولِمَ تبتغي مرضات أزواجك في تحريم الحلال ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لحلفك بتحريم الحلال ﴿رَّحِيمٞ ١﴾ بيَّن الكفارة.

﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ أي: بيَّن الله وأوجب الله كفارة أيمانكم، فأعتق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رقبة، وعاد إلىٰ مارية ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ حافظكم وناصركم ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بمقالتكم ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ حكم بالكفارة عليكم.

ثم ذكر الله القصة ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾ يعني: حفصة أسرَّ إليها حديث مارية ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾ عائشة ﴿وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ اطَّلع رسوله علىٰ أخبار حفصة ﴿عَرَّفَ﴾ رسول الله ﴿بَعۡضَهُۥ﴾ عاتبها فيما أخبرت ﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾ ولم يعاتبها فيما أخبرها به من خلافة أبي بكرٍ وعمر.

وقُرِئ: «عرَف بعضهُ»، بتخفيف الراء[٢]، أي: عاتبها وجازاها أن طلَّقها بذلك السبب[٣].

تقول العرب: لأعرفنَّ لك، يريدون: لأعاقبنَّك، ويُقال: عرفتُ حقه أي: جازيته[٤].

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ أي: نبَّأ حفصةَ بما قالت لعائشة ﴿قَالَتۡ﴾ حفصة ﴿مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾ مَنْ أخبرك بما قلتُ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بسرائر الخلق ﴿ٱلۡخَبِيرُ ٣﴾ بأعمالهم

---

(١) روىٰ البخاري في صحيحه ٤٩١٢ ، ومسلم ١٤٧٤ قصة العسل من حديث عائشة، وهو أصح من حديث تحريم مارية، والله أعلم.

(٢) والتخفيف قراءة الكسائي وحده (النشر ٢/ ٣٨٨).

(٣) حديث طلاق حفصة مشهور عند المفسرين، لكنه لم يثبت من وجه صحيح خالٍ من العلة، والله أعلم.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٦، تفسير الطبري ٢٣/ ٤٨٢.

وضمائرهم، وهو الله عزَّ وجلَّ.

ثم وعظهما الله فقال: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ أي: مالت قلوبكما إلىٰ الحق يا عائشة ويا حفصة.

وقيل: إن تتوبا إلىٰ الله فقد صغت قلوبكما عن الحق(١).

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ أي تعاونا علىٰ أذىٰ رسول اله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾ وناصره ﴿وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ أبو بكر وعمر(٢).

وقيل: جميع الرُّسل والأنبياء والمؤمنين(٣).

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ أي: ظهراء.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ وعسىٰ من الله واجب، ولم يبدل الله خيرًا منهن؟

فالجواب عنه: أنه مُعلَّقٌ بالشرط؛ مظاهرتهما علىٰ مغاضبة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، لأنه قال: «إن تظاهرا عليه»، ثم قال في آخره: «عسىٰ ربه».

والثاني: أنه مُعلَّق بشرطِ طلاقهنَّ ولم يطلقهنَّ رسول الله(٤).

ثم قال: ﴿مُسۡلِمَٰتٍ﴾ لأمر الله وقضائه ﴿مُّؤۡمِنَٰتٍ﴾ مُصدِّقات بالقلوب والألسن ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مُطيعات لله فيما يأمرهنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ من الذنوب ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ لله مجتهدات ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ۝٥﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ احرسوا أنفسكم بالطاعة،

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٩٣.

(٢) وهو قول مجاهد والضحاك (تفسير الطبري ٢٣/ ٤٨٧).

(٣) وهو الذي رجحه ابن جرير في تفسيره ٢٣/ ٤٨٧.

(٤) الكشف والبيان ٢٧/ ٤٨، البسيط ٢٢/ ٢٠، تفسير السمعاني ٥/ ٤٧٤.

وأهليكم بالدعاء إلىٰ الطاعة ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ والوقود: ما يتوقد بها النار، والحجارة: حجارة الكِبريت.

﴿عَلَيْهَا﴾ وعلىٰ النار ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ أي: غلاظ الأخلاق وإن كانوا رقاق الأجسام، وشداد: أقوياء.

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ من عذاب أهل النار ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا أن مَلَكًا من الزَّبانية يكسر عظام المُعذَّب، فيقول: ألا ترحمني؟ فيقول: ويلك كيف أرحمك وأرحم الراحمين لا يرحمك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ من الكفر ولا تُقبل معذرتكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ هو النَّدم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع، والعزم علىٰ أن لا يعود[١].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يَسْتُر عليكم ما مضىٰ من سيئاتكم، من الجمعةِ إلىٰ الجمعةِ؛ كفَّارات لما بينهن من السيئات، ما لم يبلغ الفواحش ﴿وَيُدْخِلَكُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ أي: هذه الكرامات للتائبين يوم لا يُخزي الله النبي، أي: لا يخجله ويرد شفاعته في أُمَّتِهِ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ لا يرد شفاعتهم في إخوانهم وأقاربهم[٢].

---

(١) الكشف والبيان ٢٧/ ٥٠.

(٢) قد قيل: إن التمام علىٰ «النبي» وما بعده استئناف، وعليه فلا يكون معطوفا علىٰ ما سبق (بحر العلوم ٣/ ٤٧٠).

قال الداني (في المكتفىٰ في الوقف والابتدا ٢١٩): ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ قيل: هو تام، وعلىٰ ذلك يكون «والذين آمنوا» مبتدأ، ويكون «النور» للمؤمنين، وقيل: التمام «والذين

﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ أي: يمضي نورهم ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ يهديهم إلىٰ الجنة، يمشي بعضهم كالبرق وبعضهم كالرِّيح وبعضهم كعدو الفرس، وبعضهم يسلّ الرِّجْل بالسرعة، وبعضهم يمشي، وبعضهم يحبوا، وبعضهم يزحف زحفًا، وهو أدناهم، يُعْطَوْن قدر منازل أقدامهم، علىٰ الصراط ومنهم مِنْ يبلغ نُورُه مد البصر ﴿يَقُولُونَ﴾ الذين لا يرون إلا مواضع أقدامهم علىٰ الصراط ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ مخافة أن يذهب نورهم الذي تحت أقدامهم ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ ما سلف من ذنوبنا ولا تؤاخذنا بها ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ من إتمام النور وغيره.

ويكون الصراط علىٰ المؤمنين كما بين صنعاء إلىٰ الجَنَد، ويكون علىٰ الكافرين مثل حدِّ السيف مُدْحضة ومزلة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: جاهد كفار مكة بالسيف حتىٰ يسلموا، والمنافقين من أهل المدينة بالغلظة عليهم والتكبُّر.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ علىٰ الفريقين ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾ جميعًا ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾ النار.

ثم ضرب مثلاً لوعظ عائشة وحفصة كيلا يغترّا بكونهما من أزواج رسول الله فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ مُرْسلَيْن ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: خالفتاهما بإظهار الإيمان وإسرار النفاق[1].

آمنوا معه»، وعلىٰ هذا يعطفون علىٰ «النبي»، والمعنىٰ: لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه لا يخزون. وهو أجود.

(١) الكشف والبيان ٢٧/ ٥٨، البسيط ٢٢/ ٢٧.

﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا﴾ أي: لم ينفعهما صحبتهما من دفع العذاب ﴿مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾ كذلك عائشة وحفصة إن لم يتوبا لا ينفعهما صُحبة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

ثم حثَّهما علىٰ التوبة فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عائشة وحفصة وجماعة المؤمنين ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ آسية بنت مزاحم ﴿إِذۡ قَالَتۡ﴾ وهي [في] عذاب فرعون بسبب إيمانها بالله ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ أي: ابن[1] لي بيتًا في الجنة وأرينيه كي يهوِّن عليَّ عذاب فرعون، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليها بالإلهام ارفعي رأسك فرأت بيتًا في الجنة من دُرٍّ أبيضٍ، فضحكت، فقال فرعون: انظروا إلىٰ هذه المجنونة تضحك وهي تُعذَّبُ[2].

وقالت ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ الخبيث.

وقيل: «وعمله» وملكه. وقيل: دينه[3].

﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾ يعني: القبط وأهل مصر في ذلك الوقت كانوا مشركين.

قيل: إن فرعون شَدَّ آسية بأربعة أوتاد وأمر بحجر عظيم رُفع وقُذف إليها، فلما رأت الحجر يهوي إليها دعت بهذا الدعاء، فلما وصل الحجرُ إليها رفع الله روحها إلىٰ الجنة[4].

---

(١) في الأصل: يبن.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٠٠، الكشف والبيان ٢٧/ ٦١.

(٣) الكشف والبيان ٢٧/ ٦٣، زاد المسير ٤/ ٣١٢. ومن غريب الأقوال تفسير الكلبي عمله أي جماعه، ثم رواه عن ابن عباس بإسناده المطروق (الكشف والبيان ٢٧/ ٦٤، البسيط ٢٢/ ٣٠).

(٤) روي عن جماعة من السلف نحوه (تفسير الطبري ٢٣/ ٥٠٠).

ثم قال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ أي: اذكُرْ مريم فإن بها أسوة لكل مؤمنة ﴿ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظت فرجها من الفواحش ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي في الجَيْب.

قال الكلبي في تفسيره[(١)]: أحصنت فرج درعها، فنفخنا فيه، أي: في فرج درعها وكل شيء هو فرج، فمد جبريل درعها ونفخ في الجيب، فوصلت نفخة جبريل في الساعة إلىٰ بطنها ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ أي برسالاته التي أدَّاها جبريل: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ أي صدَّقت بالإنجيل الذي وعد لولدها، وبسائر الكتب ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ المُطيعين لله تعبده، ولم يقل: من القانتات، لأنَّ تعبدها كان في مسجد بيت المقدس مع العُبَّاد وهم الرجال.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة التحريم أعطاه الله تعالىٰ توبةً نصوحًا»[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء، آية: ٩١.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/ ٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٣.

سورة المُلك

مكيَّة[١]، وهي ثلاثون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ قال الخليل بن أحمد: تمجَّد.

وقال الحسن: كلمةٌ، ومعناه هو ذو البركة، ومنه جميع البركات والنَّماء، وهي الزيادة.

وقيل: هو الثابت الدَّائم الذي لا يزول مُلكه، وهو مالك الملوك يُعِزُّ مَنْ يشاء ويُذل من يشاء[٣] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ①﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قال الكلبي: خلق الموت ككبش أملح لا يمر علىٰ شيءٍ ولا يطأ علىٰ شيءٍ ولا يجد ريحه شيء إلا مات، وخلق الحياة مثل فرس بلقاء أنثىٰ، خطوها مد البصر، وهي دون البغل وفوق الحمار، وهي التي ركبها جبريل يوم غَرَقَ فرعون، ولا تمر علىٰ شيءٍ ولا تطأ علىٰ شيءٍ ولا يجد رائحتها شيء إلا حيي، وهي التي يراها السامري تحت جبريل فأخذ التراب من أثر حافرها وألقاها علىٰ العجل فحيي[٤].

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ بين الحياة والموت ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أخلص عملاً وأزهد في الدنيا وفي تركها ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ②﴾.

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٧/ ٧٩، زاد المسير ٤/ ٣١٣.

(٢) وفي المدني الأخير والمكي: إحدىٰ وثلاثون (البيان في عد آي القرآن ٢٥١).

(٣) استوعب الأزهري الأقوال في تبارك في تهذيب اللغة ١٠/ ١٣٠.

(٤) نقله في البسيط ٢٢/ ٣٧، هذا الخبر ونحوه من أباطيل الكلبي.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ بعضها فوق بعض ملتصقة أطرافها إلىٰ الأرض ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: مخلوقاته، يعني السماوات ﴿مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ أي: اختلاف وتناقض، لأنَّ كلها دليلٌ علىٰ توحيده، فهي مستوية في الدلالة ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ أي: قلِّب البصر أيها الناظر ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾ أي: صدوعٍ وشقوقٍ في السماوات(١).

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ إليها ﴿كَرَّتَيۡنِ﴾ مرة بعد مرة ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا﴾ أي يرجع إليك بصرك بعد طول النظر خاسئًا صاغرًا ذليلاً ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾ أي: مُعْيي، ولا ترىٰ شيئًا من ذلك.

﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي: الكواكب ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ إذا استمعوا خبر السماء يُرْجَمْنَ بالشهب ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥﴾ في الآخرة.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦﴾ جهنَّم.

﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا﴾ أي: ألقتهم الخزَنةُ في النار بالكلاليب ﴿سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا﴾ والشهيق: أقبح الأصوات، ويُشبه صوت الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ ٧﴾ علىٰ الكفار لتأخذهم.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ أي: تتقطع ﴿مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ﴾ علىٰ أهل النار ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا﴾ في النار ﴿فَوۡجٞ﴾ من الكفار الخمسة الذين هم أعداء الدِّين دين الله(٢) ﴿سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ وزبانيتها ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨﴾ رسولٌ يُنذركم من العذاب.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا﴾ هم ﴿وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ أي كتاب، ولا

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٩٨.

(٢) وهم مشركو العرب واليهود والنصارىٰ والمجوس وسائر الأصناف (تفسير مقاتل ٣/ ٣٨٢).

بعث من نبيٍ، فيُقال لهم ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩﴾ وهو الكفر[1].

﴿وَقَالُواْ﴾ للخزنة ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾ أي: بُعدًا لأهل النار وخَيبةً لهم من قبول العُذر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي خافوه ولم يروه حين اجتنبوا المعاصي وأدُّوا الفرائض ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ أي: ثوابٌ وافرٌ في الجنة.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ﴾ بالتكذيب لمحمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم ﴿أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ﴾ أعلنوه، لفظ أمر معناه الوعيد ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾ وضمائر القلوب فكيف يُسرُّون منه.

﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ السرَّ والجهر والقلوب؛ حتىٰ يكتمون منه، بلىٰ يعلمها ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ اللطيف باستخراج السرائر الخبير بها.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا﴾ ذللها لكم بالجبال كيلا تزول ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أمرٌ بمعنىٰ الخبر، أي: تمشون في مناكبها جبالها ونواحيها ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ وتأكلون من رزقه ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ من القبور.

ثم خوَّف الكفار فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ مختصرٌ، ومعناه أأمنتم يا أهل مكة مِن عذاب مَن هو إلهٌ في السماء وإلهٌ في الأرض[2] ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي:

---

(١) وهذا قول الكلبي، كما في تنوير المقباس ٤٧٩، والصحيح أنه منتتمة مقولتهم للأنبياء (تفسير الطبري ٢٣/ ٥١٠).

(٢) هذا كلام مَن ينفي علو الله علىٰ خلقه، ويكفي في ضعفه أنه تقديرٌ لم يدل عليه سياق ولا أثر، ولو قُبل هذا التقدير لكان لآخر أن يقدر شيئا يوافق رأيه، ويحتج به ويجعله تفسيرا، وهكذا يدخل الدخيل في التفسير، وحسبك أن هذا مخالف للتفسير المأثور، وللمعروف عند السلف، ففي تفسير ابن عباس: عذاب مَن في السماء إن عصيتموه، (الكشف والبيان

يغور بها وبكم إلىٰ الأرض السفلىٰ ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ أي: تدُور بكم إلىٰ أسفل الأرضين(١).

٢٧/ ١٠٩، تفسير السمعاني ٦/ ١٢) وهو قول الكلبي ومقاتل (كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٤٧٦) فالله هو الذي في السماء، أي: علا عليها، فهو فوقها، كذا نقل الثعلبي عن المحققين (الكشف والبيان ٢٧/ ١١١) وهذا هو الصحيح.

ولم يكن أهل التفسير في أول الأمر يحتاجون للاستدلال علىٰ ذلك لشدة وضوحه، ولذا تلحظ مثل الطبري لا يزيد علىٰ أن يقول: «أأمنتم من في السماء، وهو الله» ثم يمضي، وهكذا قال مكي بن أبي طالب: «أأمنتم - أيها الكافرون - الله الذي في السماء أن يخسف بكم الأرض عقوبة علىٰ كفركم به»، وكذا قال من قبله الحارث المحاسبي في فهم القرآن (ص٣٥٠) ومثله تجد في تفسير البغوي وابن الجوزي وغيرهم، فلما جاء أبو منصور الماتريدي خاض في تأويل هذه الآية علىٰ نحو مخالف لما عليه السلف (تأويلات أهل السنة ١٠/ ١١٧)، وتبعه الوحدي في البسيط ٢٢/ ٥٥ وبنىٰ عليه الرازي، فتكلم علىٰ هذه الآية علىٰ هذا النحو، إلا أنه زعم أن ظاهر الآية يفضي إلىٰ التشبيه فوجب تأويل الآية باتفاق المسلمين، وقال: واعلم أن المشبهة احتجوا علىٰ إثبات المكان لله تعالىٰ بقوله: أأمنتم من في السماء، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها علىٰ ظاهرها باتفاق المسلمين.. ثم أوَّلَها علىٰ وجوه أوَّلُها عنده: أأمنتم من في السماء عذابه (التفسير الكبير ٣٠/ ٥٩٢)، وهذا هو الوجه الذي ذكره المصنف، والعجب أنه يزعم اتفاق المسلمين علىٰ ذلك، فإما أن من قدمنا من أهل العلم ليسوا عنده من المسلمين أو أنه صاحب دعوىٰ عريضة، وتوسع في الكلام، يبطل الثقة به، وهذا الذي ذكره هؤلاء هو قول الزمخشري في كشافه ٤/ ٥٨١ فتوافق المعتزلة والأشاعرة في تأويل هذه الآية.

وزعم الزمخشري والرازي وغيرهم من أهل التأويل أن من أوجه التأويل الصحيحة أن يكون المراد بمن في السماء الملائكة، ووجه صحة هذا عندهم أن الملائكة في السماء، وأن السماء منزلهم، ونسي هؤلاء أن الملائكة عند الله، كما قال تعالىٰ {وجعلوا الملائكة الذين عند الرحمن}، وهذه قراءة الجمهور من الحجازيين والشاميين ويعقوب من أهل البصرة، فإذا كانت الملائكة -وهي عند الله- فوق السماء فيكون الله فوق السماء، مستوٍ علىٰ عرشه، علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته، بلا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٠.

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: حجارةً من السماء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ أي: عذابي وإنذاري لمن أبَىٰ عن توحيدي.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل كفار مكة رُسلهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝١٨﴾ أليس وجدوا عذاب الله حقًا؟ والنَّكير: الشيء المُنكَر في غاية الإنكار[1].

وحُذِفَت الياء من نكيرِ ونذيرِ لوفق رؤوس الآي.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ في الهواء غير معتمدات علىٰ أرجلهن؛ ولا واضعات جنوبهن علىٰ شيءٍ يحملهن، باسطات بأجنحتهن يضربن بالأجنحة كما يضرب السابح في الماء ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أي: يضممن جناحهن إلىٰ أنفسهن ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ۝١٩﴾.

قل لهم يا محمد: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ أي قوةً ومنعةً ﴿يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: من عذابه ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠﴾ في عبادة الأصنام.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ عنكم، قال الله تعالىٰ: ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝٢١﴾ أي: تمادوا في تكبُّرهم ونفرتهم من الدِّين[2].

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٢﴾ قال الكلبي: هذا مثلٌ ضربه في أبي جهل ومحمد، فأبو جهل كأنه يمشي مُكبًّا كما تكبُّ البهيمة، مُنكسًا رأسه، راكبًا في الغي، لا يرىٰ يُمنةً ولا يُسرةً، ولا يعرف قصد الطريق، فهو أصوب طريقًا أم من يمشي سويًا علىٰ صراطٍ مستقيمٍ، وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ منهج الإسلام[3].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٧٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٥١٤.

(٣) البسيط ٢٢/ ٦٠.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ لكي تسمعوا الحق وتبصروه ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ ولتعقلوا بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ بنعمه وصنائعه.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم من النُطف والعلق وكثَّركم في الأرض ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ للجزاء.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي تَعِدُنَا ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ وهو البعث والحساب، استهزاء بهم.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: علم الساعة ونزول العذاب كله عند الله ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ مُخوِّف من العذاب، مفقهٌ لكم.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب ﴿زُلْفَةً﴾ قريبة، أقام الاسم مقام الفاعل ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ساء العذاب وجوه الذين كفروا، يعني قبحت واسودَّت ﴿وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: تفتعلون من الدعاء، أي هذا الذي كنتم تمنَّون.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ بالعذاب ﴿وَمَن مَّعِىَ﴾ مَنْ اتَّبعني من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يُعذبنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي: ينصرهم.

فإن أجابوك وإلا: فـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في جميع ما ينوبنا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند نزول العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ نحن أم أنتم.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ يعني: ماء زمزم وغيره[1] غائرًا من الأرض.

---

(١) في الأصل: وبحيره، وهو تصحيف، تصحيحه من تفسير مقاتل ٣/ ٣١٣ حيث صدر عنه.

﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾ ظاهرًا تناله الدِّلاء.

قال مقاتل: كل معين في القرآن ماءٍ جارٍ إلا هذا(١).

قال ابن مسعود: مكتوب في التوراة: سورة الملك مَنْ قرأ في ليلةٍ فقد أكثر وأطيب، وهي المانعة تمنع من عذاب القبر(٢).

وقال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: سمعت أبي رحمه الله يروي عن والده عن جده(٣) بإسنادهما إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أنَّ مَنْ قرأ سورة الملك كل ليلة تدفع عنه عذاب القبر إذا مات»(٤).

سمعت هذا الحديث وأنا ابن تسع سنين وضاع منِّي الإسناد.

والحديث مذكور في تفسير الرواس(٥) عن أُبي بن كعب.

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٣١٣.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٦٠٢٥ والمستغفري في الفضائل ٩٥٧ بإسناد صحيح.

(٣) في الأصل: جدي، وهو تصحيف، لأن جده مذكور .

(٤) روىٰ الترمذي في السنن ٢٨٩٠ عن ابن عباس أنه صلىٰ الله عليه وسلم قال: هي المانعة المنجية تنجي من عذاب القبر، ورواه المستغفري في الفضائل ٩٥٥.

(٥) في الأصل: البراس، وهو تصحيف.

سورة ن

مكيَّة(١)، وهي اثنتان وخمسون آية(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نٓ﴾ قال ابن عباس: الحوت الذي عليها الأرضون(٣).

وفي الخبر: «أنه لوحٌ من نورٍ»(٤).

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٧/ ١٢٩، زاد المسير ٤/ ٣١٨.
(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٥٢).
(٣) وهي رواية الكلبي وأبي ظبيان عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٣/ ٥٢١، الكشف والبيان ٢٧/ ١٣٢)، وهو من قبيل الإسرائيليات، حيث رووا أن اسم الحوت يهموت، أو يلوثا، أو لوثوثا، أو بلهوت، ذكر ذلك الثعلبي.
لفظ رواية أبي ظبيان: أول ما خلق الله من شيء القلم، فجرىٰ بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السموات، ثم خلق النون فبسطت الأرض علىٰ ظهر النون، فتحركت الأرض فمادت، فأثبت بالجبال، فإن الجبال لتفخر علىٰ الأرض، قال: وقرأ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾. وروايته هذه غريبة منكرة، تفرد بها الأعمش عنه، ولم أره في شيء من الطرق صرح بالسماع، وقد رواه بعضهم عن الأعمش فأسقط ذكر أبي ظبيان، فيكون الحديث منقطعًا (رواه الطبري ٢٣/ ٥٢١)، ومما يدل علىٰ نكارته مخالفة سعيد بن جبير وعكرمة فيه، فقد روىٰ ابن جرير عن سعيد وعكرمة عن ابن عباس أنه قال: حروف الرحمن مقطة، أو اسم مقطع (تفسير الطبري ٢٣/ ٥٢٤) وهذا هو الصحيح عن ابن عباس من جهتين: الأولىٰ: رواية أصحابه المفسرين المشهورين عنه، الثانية: أنه المشهور عن ابن عباس في باقي الحروف المقطعة، والله أعلم.
(٤) رواه ابن جرير في التفسير ٢٣/ ٥٢٥، وفيه فرات بن أبي الفرات وهو ضعيف الحديث (لسان الميزان ٦/ ٣٢٥)، والراوي عنه: محمد بن زياد الجزري كذاب (كتاب المجروحين ٢/ ٢٥٠).

وقيل: هي الدَّواة[١].

وروىٰ أبو صالح عن ابن عباس: هي السمكة التي تحمل الأرض، وتحت الحوت ثور، وتحت الثور صخرة، وتحت الصخرة الثَّرىٰ، ولا يعلم ما تحت الثَّرىٰ إلا الله عزَّ وجل[٢].

قيل: أول شيء نزل من القرآن خمس آيات من سورة اقرأ ثم نزل ثانية ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ إلىٰ قوله ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾.

وقوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ أي: ما يكتب بنو آدم بعضهم إلىٰ بعضٍ.

وأما القلم: قال قتادة: هو نعمة من الله تعالىٰ عظيمة، لو لا القلم ما قام دِينْ، ولم يصلح عيش.

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «أول ما خلق الله القلم ثم النون وهي الدَّواة»[٣].

«وما يسطرون»: كرام الكاتبين الذين يكتبون أعمال بني آدم[٤].

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ هذا موضع القسم، أي: ما أنت يا محمد بحمد الله بمجنونٍ كما يزعم أهل مكة.

وقيل: بنعمة ربك: بما أنعم الله عليك من العقل والنبوة والقرآن؛ فلست بمجنونٍ.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ أي: مقطوعٍ، والمَنُّ: القطع.

---

(١) الكشف والبيان ٢٧/ ١٣٧.

(٢) وهو تفسير الكلبي، كما في تنوير المقباس ٤٨٠.

(٣) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١٠٣٤) وفي إسناده يحيىٰ بن الغساني متهم.

(٤) وهو قول جميع المفسرين البسيط ٢٢/ ٧٣.

وقيل: لا يَمُنّ عليك بهذا الأجر[١].

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ قال سهل: خُلقه آداب القرآن؛ أمرٌ ونهيٌ وعدلٌ وإحسانٌ وإيتاء ذي القُربىٰ والنهي عن الفحشاء والمنكر.

وسُئلت عائشة عن خُلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت: خُلقه الآي العشر من أول سورة المؤمنين[٢].

واجتمع في خُلقه: السخاوة والأُلفة والنصيحة والشفقة.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ أي: ستعلم يوم القيامة عند كشف الغطاء ويعلمون، يعني: هؤلاء الكفرة أيضًا.

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ أي: مع أيكم المفتون الجِنِّي الذي قد فتن حين أفسد بني آدم بالصَّرْعة[٣].

وقيل: هو مفعول قام مقام المصدر، كما قام المصدر مقام المفعول في قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾ يعني المسموع.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وهو أبو جهل ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾ لدِينه، أبو بكر وأصحابه الذين سبقوا إلىٰ الإسلام.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ وكان صناديد قريش يَدْعُون رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ استلام أصنامهم.

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ أي: وَدُّوا لو تلين لهم في دينهم فيلينون لك في دينك، وقيل: تمنَّوْا أن تكفر أنت يا محمد فيكفرون ولا يؤمنون.

---

(١) تفسير السمعاني ٦/ ١٧.

(٢) أصله في صحيح مسلم ٧٤٦، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٩٣ بلفظ المصنف.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٣٠، معاني القرآ، للزجاج ٥/ ٢٠٥، الكشاف ٤/ ٥٨٥.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ ضعيف القلب، وهو الوليد بن المُغيرة.

وقيل: كان يحلف كاذبًا ويجعل الله عُرضةً ليمينه. والمَهين: الحقير(١).

﴿هَمَّازٍ﴾ وهو الذي يغتاب الناس وكذلك اللَّماز ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ يمشي بالنميمة بين الناس ليُفسِدَ بينهم.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يمنع عن الإسلام أهله وبني أخيه.

وقيل: شحيح بماله، وكان موسرًا، وله عشر بنون، فكان يقول لهم: مَنْ أسلم منكم منعتُه رفدي ﴿مُعْتَدٍ﴾ غشوم ظلوم عند القدرة علىٰ عباد الله ﴿أَثِيمٍ ۝١٢﴾ فاجر بربِّهِ.

﴿عُتُلٍّ﴾ شديد الخصومة، الجافي الخلق، لئيم الضريبة.

وقيل: رجيب البطن أكول شروب ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي مع هذه العيوب ﴿زَنِيمٍ ۝١٣﴾ والزَّنيم الملصق بالقوم دعي ليس منهم.

قال الشاعر:

زنيم ليس يُعْرَف مَنْ أبوه   بغي الأم ذو حسبٍ لئيمِ(٢)

قوله: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤﴾ معناه: بأن كان ذا مالٍ كثيرةٍ جعل مجزاة هذه النعمة:

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٨١.

(٢) البيت غير منسوب، وهو في: تفسير الطبري ٢٣/ ٥٣٧، البسيط ٢٢/ ٨٧، الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣٤.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦﴾ يعني: الأنف، والخرطوم أنف البهائم والسِّباع، وهو عبارة عن الوجوه، أي: يسود وجهه وتزرق عيناه، مكوي الوجه، مغلولاً في الحديد[١].

قيل: دخول النار، يُقال: سنسمه وسمًا[٢] لا يفارقه أبد الدهر، وهو ما ذكره الله تعالىٰ في القرآن: تعييره من العيوب في القرآن بقي وسمًا علىٰ أنفه إلىٰ يوم القيامة.

وإنما ذكر الأنف لأن الكَيَّ علىٰ الأنف أفحش[٣].

﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ يعني: أمرنا هؤلاء الكفار بمتابعة الرسول كما أمرنا أصحاب الجنة بالشكر لله تعالىٰ علىٰ ما أعطاهم؛ والتقرُّب إليه بالمواساة مع الفقراء من ثمرها؛ فتركوا أمر الله تعالىٰ.

﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧﴾ وأقسموا أن يصرموها إذا أصبحوا، أي: تحالفوا أن يقطعوها عند الصبَّاح قبل خروج الفقراء ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ١٨﴾ أي: تركوا الاستثناء وهو كلمة: إن شاء الله.

﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ﴾ بالليل ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠﴾ كالليل الأسود المُظلِم، سمِّيَ الليل والنهار كلاهما صَريمًا، كل واحد يتصرَّم عن الآخر ﴿فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١﴾ إذ نادىٰ بعضُهم بعضًا وقت الصباح:

﴿أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ﴾ بُستانكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢﴾ الثمار والزروع قبل علم

---

(١) الكشف والبيان ٢٧/ ٢٠٨.

(٢) في الأصل: نسما، وهو تصحيف.

(٣) قال الواحدي (في البسيط ٢٢/ ٩٥): وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة ولا يعلم أن الله عز وجل وصف أحدًا وصفه له، ولا بلغ من ذكر عيوبه ما بلغه من ذكرها عنه؛ لأنه وصف بالحلف، والمهانة، والغيب للناس، والمشي بالنمائم، والبخل، والظلم، والإثم، والدِّعوة؛ فألحق به عارًا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة. كالوسم علىٰ الخرطوم وأبين ما يكون في الوجه.

المساكين.

﴿فَانطَلَقُوا۟﴾ إلىٰ البستان ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يتسارُّون فيما بينهم.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ سائلٌ.

﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: قصد ﴿قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ في زعمهم.

وقيل: علىٰ منعٍ من الثمار، يُقال: حاردت السنة إذا منعتْ خيرها[1].

وقيل: «حرد»: غضب، «قادرين»: مقدرين إحراز[2] ما في جنتهم دون الفقراء.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ يعني: الجنة محترقة ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ أخطأنا الطريق، فلما أمعنوا النظر عرفوها، قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ حُرمنا ثمرة جنتنا ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم قولاً ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ لا تحرموا ولا تمنعوا الفقراء حقوقهم ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ لله وتعظمونه وتستغفرون من سوء نياتكم، وهذا عن ابن سهل[3].

وقال الكلبي ومقاتل: لولا تستثنون في قسمكم[4].

﴿قَالُوا۟﴾ حينئذٍ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ تنزيهًا له ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ لأنفسنا بترك حقوق الفقراء.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: لام بعضهم بعضًا ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾ في نعمة الله بما أعطانا من رزقه، ثم رجعوا [إلىٰ] أنفسهم ورجَوْا من الله العقبىٰ بما أصابهم، وقالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ بعد توبتنا في الدنيا ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ في عطاياه.

---

(١) البسيط ٢٢/ ١٠١، وقد تصحف في الأصل.

(٢) في الأصل: إحراد، وهو تصحيف.

(٣) كذا في الأصل، وأظن الصواب: عن أبي سهل.

(٤) البسيط ٢٢/ ١٠٦.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ في الدنيا لمانع الزكاة ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ كلمة «عند» كلمة ضمان في العُرف.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ استفهام بمعنىٰ الإنكار(١).

وكان الكفار يقولون: إن كان ما يقوله محمد حقًا فنحن وإياهم في الوعد سواء، فنزل ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿مَا لَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ﴾ أهل مكة ﴿كِتَٰبٌ﴾ من الله ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وتقرؤون ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ تشتهون ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ عهود وثيقة محكمة: لا ينقطع عهدكم إلىٰ يوم القيامة ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بأنا وعدناكم عدة تقضوا بها لأنفسكم.

﴿سَلْهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ كفيلٌ، بأن لهم في الآخرة مثل ما يكون للمؤمنين.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ شهدوا علىٰ ما قالوا ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ بشهدائهم.

وقيل: أراد بالشركاء الأصنام، أي: فليأتوا بأصنامهم لكي تحتج لهم(٢) وتمنعهم من عذاب الله ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ أن دينهم الحق.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أي: عن شدَّةٍ من الأمر، والمُراد: اشتد به أمره كشف عن ساقه، وقيل: يكشف عن ساق العرش(٣).

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ السجود، وصارت أصلابهم

---

(١) والتوبيخ والتقرير عند الزجاج (معاني القرآن ٥/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل: بهم.

(٣) والثاني غريب، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٠، تفسير أبي الليث ٣/ ٤٨٥.

كصياصي البقر.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ أي: ذليلة عند عيان الموت؛ أو مُعاينة عذاب النار ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ﴾ تعلوهم كآبة ﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾ أصحاء فلم يجيبوا، وهم الذين يسمعون الإقامة فلا يقومون إلىٰ الصلاة.

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾ القرآن ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤﴾ سنأخذهم بالعذاب درجة درجة، كلما جددوا معصية جدَّدنا لهم نعمة، ونُنسيهم الشكر والاستغفار.

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ أي: عذابي في الآخرة شديد.

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا﴾ أي: تسأل أهل مكة عن التبليغ أجرًا ﴿فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ﴾ في مغرمهم وما يلزمهم من الديون ﴿مُّثۡقَلُونَ ٤٦﴾ عن الإجابة، وقيل: عن الغرم.

﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾ أم بأيديهم اللوح المحفوظ ﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤٧﴾ منها ما يحاجونك.

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ علىٰ تبليغ الرسالة ﴿وَلَا تَكُن﴾ في ضيق قلبك ﴿كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ يونس بن مَتَّىٰ عليه السلام.

﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ أي: دعىٰ الله في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾ مَمْلوٌّ غمًا[1]، وقيل: ساخط علىٰ قما ملك في زمانه[2] إذ أرسله إلىٰ نينوىٰ.

ونداؤه: أن قال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين.

﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: لولا أن الله تعالىٰ منَّ عليه برحمته ﴿لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ﴾ وهو الصحراء ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩﴾ ملومٌ، والعراء: المكان الذي لا نخل فيه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٥٣.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: ساخط علىٰ ملك في زمانه...الخ.

ولا شجر، ولكن الله رحمه ونبذه بالعراء غير مذموم.

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بالتوراة والنبوة ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠﴾ المرسلين.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ أي: قد كادوا ليصيبونك بأعينهم ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١﴾ لأنهم لم يجدوا حيلة في دفع رسول الله عن أنفسهم إلا هذا.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ أي: عِظة وتخويف للعالمين.

وكان الكفار قصدوا أنْ يصيبوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعينهم بُغضًا له، وكان العرب يقولون: نظر إليَّ فلانٌ نظرة كاد يأكلني، وكان الرجل إذا حسد إبلاً لرجل أراد أن يعينها بعينه يجوع ثلاثة أيام، ثم نظر إلىٰ إبله وقال: لم أر كاليوم إبلاً[(١)]، فيصيبها بالعَين.

وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «العين حق، فإذا رأىٰ أحدكم ما يعجبه فليبرِّك»[(٢)].

وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في حديثٍ آخر: «لو كان شيء سبق القدر؛ لسبق العين القدر»[(٣)].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة ن أعطاه الله ثواب الذين حسُنت أخلاقهم»[(٤)].

---

(١) أي: كهذه الإبل.

(٢) رواه أحمد في المنسد ١٥٧٠٠.

(٣) رواه مسلم في الصحيح ٢١٨٨.

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان٢٧/ ١٣٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٥.

سورة الحاقة

مكيَّة[١]، وهي اثنتان وخمسون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾ قال محمد بن مروان[٣]: سُمي اليوم الحاقة لأنَّ فيه حق للمؤمن جزاء عمله، وللكافر جزاء عمله.

وقال الكلبي: الحاقة السَّاعة، ما الحاقة: تعظيم لأمر القيامة[٤].

ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ أيُّ شيء أعلمك أمر القيامة؟ وهذا تفخيم ثانٍ.

ولأنَّ اسم الحاقة لم يكن من نبأ لأن نبأ قوم، ثم ابتدأ ذكر التعظيم؛ وقال: ما الحاقة تهويلاً للسامعين[٥].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ قوم صالح ﴿وَعَادٌۢ﴾ قوم هود ﴿بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾ سُميت القيامة قارعة لأنها تقرع القلوب[٦].

---

(١) بإجماعهم، الكشف والبيان ٢٧/ ٢٧١، زاد المسير ٤/ ٣٢٨.

(٢) إلا في البصري والشامي فآية (البيان ٢٥٣).

(٣) هو السدي الصغير، انظر: الكشف والبيان ٢٧/ ٢٧٤، البسيط ٢٢/ ١٢٨.

(٤) قارن مع تنوير المقباس ٤٨٢.

(٥) كذا في الأصل، وهو بمعنىٰ ما نقل عن أهل المعاني أنهم قالوا: إنما قيل له: وما أدراك ما الحاقة مع أنه يعلمها؛ لأنه إنما يعلمها بالصفة، فقيل تفخيماً لشأنها: وما أدراك ما الحاقة، أي: كأنك لست تعلمها إذا لم تعاينها؛ ولم تر ما فيها من أهوالها (معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٣، البسيط ٢٢/ ١٣٢، معالم التنزيل ٨/ ٢٠٤).

(٦) وهو قول المبرد، كما في البسيط ٢٢/ ١٣٣، وتفسير السمعاني ٦/ ٣٤.

ثم ذكر عذابهم وقال: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ بعذاب طغىٰ وعلا عليهم، وهو صيحة جبريل.

وقيل: بطغيانهم أقام الفاعل مقام المصدر، أو هو مصدر علىٰ لفظ الفاعلية كالعاقبة واللاغية.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ شديدة عتت علىٰ خزَّانها، تحرِق إحراق النار من شدة بردها.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ أي: سلَّطها ﴿وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ دائمةً متتابعةً كتتابع الكي علىٰ المقطوع ينحسم دَمه، وكل شيء متتابع حاسم، والجمع: حسوم كشاهد وشهود[1].

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ هَلْكَىٰ وموتىٰ في هذه الأيام ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ أصول نخل ساقطة متعلقة، قد خوىٰ مكانها، وخويت من مكانها أي: خلا.

وقيل: خاوية بالية[2]. ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ أي: نفس باقية.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾[3] قومُه، «ومن قَبْله»: بفتح القاف من الأُمم الماضية[4].

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ المقلوبات قُريَّاتهم؛ وهم قوم لوط ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩﴾ الخطأ الذي أصرُّوا عليه.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٧٣، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٤.

(٢) البسيط ٢٢/ ١٤٢.

(٣) ضبطها في الأصل: قِبَله، وعلي هذا الضبط جاء التفسير، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب والكسائي، وقرأ الباقون كما أثبت في الرسم (النشر ٢/ ٣٨٩).

(٤) الكشف والبيان ٢٧/ ٢٨٥، البسيط ٢٢/ ١٤٣.

﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾ فرعون وقومه وقوم لوط، جحدوا رسل الله ﴿فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ١٠﴾ زائدة على الأخذات.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ على خُزَّانِهِ في زمن نوح ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١﴾ أي: السفينة ﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ﴾ أي: قصة السفينة، وقيل: عينُ السفينة تذكرة عن سفينة نوح ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢﴾ أي: تحفظ هذه الصنيعة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾ وهي النفخة الأولى(١).

﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ عن أماكنها ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤﴾ فضُربت الجبال عن الأرض فَدُقَّتا دقةً واحدةً؛ حتى صيرتا غبارًا، وهذا الدَّقُّ إنما يكون للجبال التي من الصخور، فأما ما كان من الرمل فهو يسير على وجه الأرض سير السحاب، حتى تصير هباءً منثورًا فتستوي الأرض.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥﴾ قامت القيامة، ووجبت المحاسبة من الله، والمُجازاة بالأعمال.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ لهيبة الرحمن ﴿فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦﴾ ضعيفة متمزقة من الخوف بعد ما كانت مُحكمة.

﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ أي: مَنْ بقي من الملائكة بعد الصَّيْحَة ﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ أطراف الأرض(٢)، وهي رجًا مقصور، ورجَوان، وجمعه الأرجاء(٣).

﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ﴾ أي: فوق رؤوسهم.

---

(١) في قول ابن عباس، وهو الصحيح، وفي قول الكلبي ومقاتل: الثانية (البسيط ٢٢/ ١٥٣).

(٢) وعن السعيدين ابن جبير وابن المسيب: أرجاء السماء، وهي رواية العوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٣/ ٥٨٢).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٦، البسيط ٢٢/ ١٥٦.

وقيل: فوق كواهلهم ﴿يَوۡمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ أعداد من الملائكة.

وحَمَلة العرش اليوم أربعة[١]، لكل واحد صُوَر أربعة، وَجْهُ إنسان ووجه أسدٍ ووجه ثَوْر ووجه نسرٍ. وقيل: وجه فرس مكان ثور[٢].

وكل صورة تدعو للخلق الذي هو علىٰ صورته.

وقيل: ثمانية أراد ثمانية أجزاء من الملائكة، لأنَّ الملائكة تسعة أجزاء، فثمانية أجزاء منها الكروبيون يحملون العرش[٣].

﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾ علىٰ الله ثلاث عرضات: عرض للحساب والمقادير[٤]، وعرض للخصومات والقصاص، وعرض لتطاير الكتب[٥].

﴿لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ علىٰ الله، أي: مستورة.

ثم قال: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وفيه حسناته ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ أي: تعالوا يا أهل القيامة، تقول العرب: ها يا رجل وهاؤمَا لرجلين، وهاؤم للجماعة[٦].

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ أي: علمتُ وأيقنت في الدنيا ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١﴾ في الجنة يرضاه.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢﴾ رفيعة الغُرف.

---

(١) وهو قول ابن إسحاق، رواه عن ابن جرير في التفسير ٢٣/ ٥٨٤.

(٢) وهذا من قول وهب بن منبه (تفسير أبي الليث ٣/ ٤٩٠) فهو من الإسرائيليات المنكرة.

(٣) الكشف والبيان ٢٧/ ٢٨٥، البسيط ٢٢/ ١٤٣.

(٤) كذا في الأصل، وفي تنوير المقباس وتفسير أبي الليث: المعاذير. وكلاهما صحيح.

(٥) وهو تفسير الكلبي، كما في تنوير المقباس ٤٨٣، وتفسير أبي الليث ٣/ ٤٩١.

(٦) البسيط ٢٢/ ١٦٥..

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ واحدها قطفٌ، أي: ثمرها قريبة.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: عملتم من الأعمال الصالحة ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ في الدنيا.

قال الكلبي وابن عباس: نزلت في الصَّائمين خاصَّة[1]. وقيل: علىٰ العموم[2].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ وفيه سيئاته ﴿فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ بشمال، يتحسَّر علىٰ فوت كتابه بيمناه، ولا تنفعه الحَسْرَة.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ يتمنَّىٰ أنه لم يُبعث ولم يُحاسب.

﴿يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ يا ليت الصيحة التي أخرجتني من القبر كانت هلكةً وموتةً لا حياة بعدها.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾﴾ لم ينفعني كثرة المال.

﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ ذهب عني حُجَّتي.

ويقول الله تعالىٰ للملائكة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ يديه إلىٰ عُنقه.

﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ أدخلوه فأحرقوه.

﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ أدخلوه في دُبُره وأخرجوه من فَمِهِ، ثم يلوي فَضْل السلسلة علىٰ عنقه، والسلسلة سبعون ذراعًا، كل ذراع سبعون باعًا، والباع ما بين مكة والكُوفة، ذكره الكلبي في تفسيره[3].

---

(١) البسيط ٢٢/ ١٧٣.

(٢) وهو الصحيح.

(٣) تنوير المقباس ٤٨٤، وعن نوف البكالي نحوه كما في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٨٩، والبسيط ٢٢/ ١٧٨، فقد يكون الكلبي أخذه منه.

قال ابن عباس: لو وُضعت حلقة منها علىٰ ذِرْوَة جبل لذاب كما يذوب الرصاص[١].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ أي: لا يحث نفسه ولا غيره علىٰ برِّ الفقراء.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ أي: قريبٌ شفيعٌ.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ وهو غسالة أهل النار؛ ما يسيل من أجسامهم من القيح والصَّديد فهو طعامهم وشرابهم.

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ الذين أخطؤوا طريق الهُدَىٰ والتوحيد.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي: أقسم بما تُبصرون من أمر الدنيا ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ من أمر الآخرة.

وقيل: بما تبصرون من صنعي وما لا تبصرون من برِّي لأوليائي.

وقال الجنيد: ما تبصرون من آيات الرسالة علىٰ حبيبي وما لا تبصرون من سِرِّي معه[٢].

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ ما تسمعونه من محمد من الوحي قول رسول كريم، وهو جبريل، جاء به من عند الله، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمدًا ساحرٌ، وقال أبو جهل: شاعر، وقال عقبة: كاهن؛ فأقسم الله تعالىٰ بالدنيا والآخرة أنه وحيٌ يُوحَىٰ إليه، وبرَّأه مما قاله أعداء الله[٣].

---

(١) من رواية مقاتل (البسيط ٢٢/ ١٧٩).

(٢) هذه الأقوال وغيرها في الكشف والبيان ٢٧/ ٣١٨.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٩٢.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي لا تصدِّقون به أنتم ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: لا تتذكرون فتعتبروا ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ علىٰ سيد الجن والإنس أجمعين صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ أي: بعض ما يُلقىٰ إليكم من الوحي ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ أي: بالقوة والقدرة[(١)].

وقال أبو سهل: أخذنا منه يمينه، أقام اليمين مقام القوة، لأن قوة كل شيء يمينه[(٢)].

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ والوَتين: حَبْل القلب، والمعنىٰ: لو فَعَلَ غير ما أُمِرَ لعُذِّب بعذابٍ كان فيه هلاكه.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: ما منكم من أحدٍ يحجز عنه العذاب إذا عُذِّب، عن الأخفش[(٣)].

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: عِظَةٌ للمتقين والمتَّعظين.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ بما أنزل الله، ومنكم من يعلم أنه الحق فيجحده عمدًا للحسد.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ يوم القيامة ﴿عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ يندمون علىٰ ترك الإيمان به.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ أي: هو كلام الله تعالىٰ يقينًا.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٩٢.

(٢) حكاه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٥٩٣.

(٣) وهو قول عامة المفسرين (تفسير الطبري ٢٣/ ٥٩٤، الكشف والبيان ٢٧/ ٣٢٣).

ثم خاطب الرسول صلىٰ الله عليه وسلم وقال: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٥٢﴾ أي: سبح ربك العظيم باسمه.

وقيل: اذكر اسم ربك بالتوحيد.

وقيل: الاسم زائدة، معناه: نَزِّه ربك العظيم وعظِّمه ومَجِّده، عن ابن سهل[1].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعب أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة الحاقة لم يُكتب من الغافلين»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أبي سهل.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/ ٢٧٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٣.

سورة سأل سائلٌ

مكيَّة[١]، أربع وأربعون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ﴾ يعني دعا داعٍ من الكفار علىٰ نفسه بعذاب، ذلك العذاب ﴿وَاقِعٖ ١﴾ لا محالة.

وهو النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء؛ فنزل: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾[٣].

﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ علىٰ الكافرين ﴿لَيۡسَ لَهُۥ﴾ أي العذاب ﴿دَافِعٞ ٢﴾ إذا نزل، فنزل العذاب به فقُتل صَبْرًا يوم بدر.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣﴾ أي: لا مدفع لله، وهو ذو المعارج، وهي: السماوات والحُجب، والمعارج: مواضع العروج[٤].

ثم وصف المعارج فقال: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ﴾ واحد ثم ابتدأ وقال: ﴿كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾ تمييزه: عزه[٥].

والروح ها هنا جبريل، ذكرَهُ الكلبي في تفسيره[٦].

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٧/ ٣٢٧، زاد المسير ٤/ ٣٣٥.

(٢) وفي الشامي: ثلاث، (البيان في عد آي القرآن ٢٥٤).

(٣) الكشف والبيان ٢٧/ ٣٣١، البسيط ٢٢/ ٢٠٠، وعن مجاهد نحوه، رواه الطبري ٢٣/ ٥٩٦، دون أن يسمي النضر.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٠٠.

(٥) كذا في الأصل.

(٦) وهو قول الأكثرين (زاد المسير ٤/ ٣٣٦).

وقال أبو سهل: تمام الكلام عند قوله: «تعرج الملائكة»، «والرُّوح إليه» صفة عروج الملائكة(١).

ثم ذكر وقوع العذاب بالكفار فقال: «في يوم» أي: العذاب نازل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة(٢)، حتىٰ يفصل الله بين الخلائق، ولولا ذلك لكان لذلك اليوم غاية تفنىٰ فيها الجنة والنار، ولكن يوم القيامة له أوَّلٌ وليس له آخرٌ.

وقيل: معنىٰ الآية أنْ لو وُلِّي محاسبة الخلق إلىٰ غير الله لم يتفرَّغ منه في خمسين ألف سنةٍ(٣).

ثم عزَّىٰ رسوله وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ الصَّبْر الجميل: هو الرضىٰ بغير الشكوىٰ، خاضعًا لا يسخط.

كما قال: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦﴾ أي: الكفار يرون العذاب بعيدًا غير كائن ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ ثم بيَّن وقته فقال: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨﴾ يعني: الفِضَّة المُذابة تسيل سيلاً حتىٰ تنشق وتصير أبوابًا وخروقًا، ثم تزول عن مكانها.

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ﴾ ذات ألوانٍ ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩﴾ الصوف التي تطيره الرياح.

---

(١) وهذا قول غريب، ولم يذكره أصحاب الوقف، لا ابن الأنباري ولا الداني.
والصحيح ما ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/ ٦٠٠: وقوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ يقول تعالىٰ ذكره: تصعد الملائكة والروح، وهو جبريل عليه السلام إليه، يعني إلىٰ الله جل وعز، والهاء في قوله: «إليه» عائدة علىٰ اسم الله ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ يقول: كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهىٰ أمره من أسفل الأرض السابعة إلىٰ منتهىٰ أمره، من فوق السموات السبع.

(٢) فيكون يوم من صلة واقع، وهذا جوزه الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٢٠، ولكن قول أهل التفسير علىٰ خلافه، كما سبق وذكرناه عن الطبري، وانظر: الكشف والبيان ٢٧/ ٣٣٨.

(٣) وهو قول الكلبي، كما في الكشف والبيان ٢٧/ ٣٤٠، وهو بعيد.

﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠﴾ ابن كثير: برفع الياء، والباقون بفتح الياء[١].

ومعنىٰ الضم: لا يُسأل قريبٌ عن ذي قرابة، ومعنىٰ الفتح: أن يرىٰ الإنسان أباه وأُمَّهُ وزوجته وقريبه فلا يسأله النَّصر لما دخله من الخوف[٢].

﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ قال قتادة: يعلمون ويعرفون[٣] يوم القيامة قومٌ قومًا وناسٌ ناسًا، ولا يكلموهم من هول يوم القيامة[٤].

وقال الزجاج: يُبصَّر الملائكة بمعرفة المجرمين بأسمائهم وأنسابهم[٥].

ثم قال: ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ﴾ أي: يتمنَّىٰ الكافر ﴿لَوۡ يَفۡتَدِي﴾ نفسه ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١﴾ بجميع أولاده ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ أي: زوجته ﴿وَأَخِيهِ ١٢﴾ من أبيه وأُمِّه ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣﴾ أي: عشيرته التي تنتهي إليه وتحوزه في المأوىٰ ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ يعني أهل الدنيا ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤﴾ ذلك من عذاب الله لافتدىٰ بهم.

ثم قال: ﴿كَلَّآۖ﴾ أي: لا ينجيه الافتداء بجميع ذلك، ثم وصف عذابهم فقال: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥﴾ اسمٌ من أسماء النار، وهي مأوىٰ الكفار ﴿نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦﴾ قلاعة للأطراف وللأعضاء ﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧﴾ يعني: أدبر عن التوحيد وأعرض عن الإيمان، لأن النار تقول يوم القيامة: إليَّ أهلي إليَّ هلي.

﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨﴾ أي: جمع ماله من الحرام، وأَوْعَىٰ جمعه في الأوعية، ولم يُؤَدِّ حق الله عنه.

---

(١) بخلف عن ابن كثير، وكذا قرأ أبو جعفر (النشر ٢/ ٣٩٠).

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٠٥، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢٠.

(٣) في الأصل: يعلمن يعرفن، والتصحيح من تفسير الطبري ٢٣/ ٦٠٥.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٦٠٥.

(٥) هو في معاني القرآن له ٥/ ٢٢٠ مختصرا.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾ ضجورًا بخيلاً جزوعًا.

وقيل: تفسيره ما ذكره الله ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠﴾ أي: هَلِعٌ جَزِعٌ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾ أي ممنعٌ.

وقيل: الهلوع دَعَّاءٌ عند المحنة نسَّاءٌ عند النعمة[(١)].

﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ لا يغفلون عن أدائها في مواقيتها ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤﴾ أي: حظٌّ معروف جعلوا ذلك علىٰ أنفسهم يُؤَدُّونه ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ الذي ليس بمرزوق[(٢)].

وسُئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن المحروم فقال: «هو الذي يحمل نخل الناس ولا يحمل نخله، ويزكو زرع الناس ولا يزكو زرعه»[(٣)].

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦﴾ للجزاء ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧﴾ خائفون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨﴾ أي: لم يأمنهم منه أمان فكيف يُقصِّرون في أداء حقه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩﴾ عن الفواحش ولا يرسلونها ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ الأربع ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ مِنْ جواريهم ما شاؤوا ﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠﴾ علىٰ الحلال ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ﴾ أي طلب لفرجه ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ من الفساد ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١﴾ المتجاوزون الحدَّ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢﴾ والأمانات: ما يأتمنهم الله عليها من أمر

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٦١١، الكشف والبيان ٢٧/ ٣٥٧.

(٢) وأطال الطبري في رواية الأقوال الواردة فيه (تفسير الطبري ٢٣/ ٦١٤).

(٣) غريب، وقد ذكره أبو منصور في تأويلات أهل السنة ١٠/ ٢٠٨، ولم أقف عليه، ولا ذكره السيوطي في الدر المنثور.

دينهم، وما ائتمنوا عليه من حقوق العباد وعهد الله في شرائعه، يرعونه ويحفظونه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣﴾ يقومون بأدائها ولا يكتمونها وإن كانت على أنفسهم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾ منعمون.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦﴾ مسرعين إليك عامدين نحوك.

وقيل: مهطعين ناظرين إليك بالعداوة.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧﴾ حِلقًا حِلقًا، وجماعةً جماعةً، والعِزة: طائفة، وجمعه عزون(١).

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون: إن كان أصحاب محمد يدخلون الجنة فنحن ندخلها قبلهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ﴾ لا يكون ذلك(٢).

ثم ابتدأ وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ من النُّطف والعَلَق والمَضغ، ومِنْ حُكْمِنَا أنَّ ابن آدم لا يدخل الجنة إلا بالإيمان وصالح العمل، فلِمَ يطمعون في الجنة وهم كفار.

وقيل: إنا خلقناهم مما يعلمون ويعقلون، أي: من جنس العقلاء، فلم تركوا العمل بالعقل.

و«ما» في هذا القول بمعنىٰ «مَن»(٣).

---

(١) الكشف والبيان ٢٧/ ٣٦٤.

(٢) وهو تام (المحتسب ٢٢/ ٢٣٥).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٩٧.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ فالمشارق مائة وثمانون مشرقًا والمغارب كذلك، أقسم الله بنفسه، وقال: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠﴾ مقتدرون.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ﴾ أطوع وأعقل وألزم لأمري ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١﴾ عاجزين إن أردنا ذلك.

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾ أمرٌ بمعنىٰ الوعيد يخوضوا في الباطل ويلهوا عن طاعتي وتوحيدي ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ﴾ أي: يُعاينوا يومهم ﴿ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢﴾ يُخوَّفون من عذابه.

﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا﴾ جمع سريع ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣﴾ يعني: إلىٰ عَلَم منصوب لهم يُسرعون[١].

وقُرئ: «إلىٰ نُصُبٍ» إلىٰ أصنامٍ[٢].

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ أي: ذليلة عند معاينة النار أبصارهم ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ وهوان ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾ يُخوَّفون به، فلم يؤمنوا.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول اله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة سأل سائلٌ أعطاه الله تعالىٰ ثواب الذين لأماناتهم وعهدهم راعون»[٣].

---

(١) هذا التفسير علىٰ قراءة: نَصْبٍ، بفتح النون وجزم الصاد، وهي قراءة الجمهور إلا ابن عامر وحفصا، فإنهما قرآ كما أثبت (النشر ٢/ ٣٩١).

(٢) البسيط ٢٢/ ٢٣٨.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/ ٣٢٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٧.

سورة نوح

مكيَّة[١]، ثمان وعشرون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ هو نوح بن لمك، ونوح بالسريانية السَّاكن سكنت إليه الأرض في طول المدة.

﴿أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ وهو الطوفان.

﴿قَالَ﴾ نوحُ ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ﴾ من العذاب ﴿مُّبِينٌ ٢﴾ مُفْهِمٌ بلغة تعرفونها.

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدوه ولا تشركوا به شيئًا ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣﴾ فيما نصحت لكم ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ في الشرك ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ إلىٰ مُنتهىٰ آجالكم حتىٰ تموتوا غيرَ ميتة المُستأصَلين بالعذاب ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ يعني به العذاب في الدنيا، وهو الغرق.

فلما كذَّبوا برسالته ولم يؤمنوا وأقام فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا فلم يُصدِّقوه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي﴾ إلىٰ التوحيد ﴿لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ﴾ إلىٰ التوحيد ﴿إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾ وتباعدًا من الإيمان ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ﴾ إلىٰ التوحيد ﴿لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ يا ربِّ ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ لئلا يسمعوا دعائي ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ غطَّوْا رؤوسهم بثيابهم حتىٰ لا يروني ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ علىٰ كفرهم وجهالتهم ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمان ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨﴾ علانيةً ﴿ثُمَّ

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٧/ ٣٨٣، زاد المسير ٤/ ٣٤١.

(٢) في الكوفي، وتسع في البصري والشامي، وثلاثون آية في المدنيين والمكي (البيان في عد آي القرآن ٢٥٥).

﴿إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ﴾ أظهرتُ الحُجة والبينات على توحيدي ﴿وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾ أي: دعوت بعضهم دون بعضٍ في السرِّ.

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠﴾ لم يزل ولا يزال يغفر للتائبين، وإن تُبتم ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١﴾ متتابعًا عند الحاجة ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ﴾ أي إبل وبقرٍ وغنمٍ ﴿وَبَنِينَ﴾ وبناتٍ ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ أي: بساتين ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ تجري لمنافعكم.

﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ أي: لا تخافوا عَظَمَة الله.

الوقار هاهنا معناه العَظَمَة، وهو سعة القدر، وأصله: ثبوت ما به الشيء يكون عظيمًا من الحلم والعلم(١).

﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤﴾ أي: نقلكم من حالٍ إلى حالٍ؛ من نطفةٍ إلى عَلقةٍ ثم إلى مضغةٍ. وقيل: صبيًا ثم شبابًا ثم شيخًا(٢).

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥﴾ ما بين كل سماء منها مسيرة خمس مائة عام، وغِلظ كل سماء كذلك.

﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ والقمر وإن كان في سماء الدنيا فجاز إضافتها إلى الكل لأنَّ سماء الدنيا من جُملة سبع سماوات، فما جُعل فيها كان فيهن(٣).

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ يعني: أنبتكم [جعلكم] تنبتون نباتًا(٤).

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢٩، البسيط ٢٢/ ٢٥٥.

(٢) وأهل التأويل على الأول (تفسير الطبري ٢٣/ ٦٣٦)، والثاني ضعيف، لأنه ليس كلهم ينتقلون في هذه الأطوار بخلاف الأول.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٣٧.

(٤) لا بد من الزيادة كي يتم المعنى، وهي في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٠.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي في الأرض ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾ عند النفخة الآخرة.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩﴾ مُمهدًا ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ طُرُقًا بيِّنة واسعة.

والفجُّ: هو المسلك بين الجبلين، وجمعه فجاج[١].

وقيل: فجاجًا مختلفةً.

فلما لم يجيبوه ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ فيما دعوتُهم إليه ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١﴾ يعني كبراءهم وأشرافهم ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢﴾ يعني: كبيرًا.

﴿وَقَالُوا﴾ للضعفاء ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ بقول نوح، كان الرجل يُوصي ولده الصغير بذلك في مواجهة نوحٍ ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ وهي: أصنامهم الخمسة.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس بسببهن ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادة الأوثان ﴿إِلَّا ضَلَالًا ۝٢٤﴾ خسارًا وهلاكًا.

﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾[٢] وما زائدة ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ أي: أُغرقوا في الدنيا وأُدخلوا نارًا في العقبىٰ.

وسمَّىٰ ذنوبهم خطيئات وإنْ كانوا عمدوها لأنه علىٰ مخالفة الحق، فمعناه: بخطيئتهم ومن أجل خطيئتهم أُغرقوا فأُدخلوا نارًا[٣].

وفي الآية دليل علىٰ ثبوت عذاب القبر.

---

(١) البسيط ٢٢/ ٢٦١.

(٢) في الأصل: خطاياهم. وهي قراءة أبي عمرو (النشر ٢/ ٣٩١).

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٤١، البسيط ٢٢/ ٢٧١.

﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾ يمنعوهم من الغَرق.

﴿وَقَالَ نُوحٞ﴾ بعد ما أوحىٰ الله إليه أنه: «لن يؤمن من قومك إلا مَنْ قَدْ آمن»: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ أحدًا، وأصله من دار يدور[١].

وقال أبو سهل: الدَّيَّار متخذ الدَّيْر والدَّار وسكانها، والله تعالىٰ استجاب لنوحٍ دعاءه وأهلكهم جميعًا، وقد بقي عاج[٢] لم يهلك لأنه منكر لتوحيدك ليس من ساكن الدَّار، ولو كان المعنىٰ ما قاله الفرَّاء كان نقضًا في الإجابة، لأنه قال: هو مِنْ دُرْتُ، وهو فَيْعَال من ذلك، كما قرأ عمر بن الخطاب: «الحي القيام»[٣].

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾ ثم استغفر لنفسه ولوالديه وللمؤمنين مَن وَرِثه، ثم عم الجميع مَن تقدم ومن تأخر: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ﴾ وكان بين نوح وآدم عشرة آباء كلهم مؤمنون.

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ دمارًا وهلاكًا.

والظالمين: أراد به الكافرين الذين يظلمون أنفسهم.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه الصلاة والسلام»[٤].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣١.

(٢) يعني: عوج بن عنق، وهو من الأباطيل الداخلة من رواية الإسرائيليات.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٠.

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/ ٣٨٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٨.

سورة الجن

مكيَّة[١]، وهي ثمان وعشرون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ اتفق القُرَّاء على قراءة «أنه استمع» بنصب الألف، وإن كان بعد القول؛ لأن معناه: بأنه استمع[٣].

قال المُفسِّر الكبير: صورة الجن بخلاف صورة الآدمي والملائكة، والله تعالى سَمَّى الجنَّ في كتابه بثلاثة أسماء سوى الاسم المعروف وهو الجِن.

أوَّلها: سمَّاهم رِجالاً بقوله ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾.

والثاني: سمَّاهم ناسًا بقوله: ﴿يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

والثالث: سمَّاهم نفرًا في هذه الآية.

قيل: كان تسعةُ نفرٍ من جنِّ نَصِيبين[٤] استمعوا قراءة رسول الله صلى الله عليه

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٧/ ٤١٥، زاد المسير ٤/ ٣٤٦.

(٢) بلا خلاف، كما في البيان في عد آي القرآن ٢٥٦.

(٣) ولوقوعه موقع المصدر، والتقدير: أوحي إلي باستماعهم، انظر المسألة في: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩١، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٣، الكشاف ٤/ ٦٢٢، الدر المصون ١٠/ ٤٨١٠.

(٤) كتب فوقها: اسم موضع، وتحتها: في اليمن أهـ. ونصيبين غير اليمن، فهي من بلاد الجزيرة، والمشهور بضبطها: فتح الأول وكسر الثاني، ثم ياء علامة الجمع الصحيح (معجم البلدان ٥/ ٢٨٨، تاج العروس ٤/ ٢٧٨)، والقول بأنهم من اليمن هو قول الضحاك، رواه ابن جرير عنه في التفسير ٢٣/ ٦٤٨، وذكره الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٣٣.

وسلم، ثم رجعوا إلىٰ مَنْ وراءهم وأخبروهم بعجيب ما سمعوا[١].

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ إلىٰ الحق والصواب ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ أقررنا أنه كلام الله نزل من عنده ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ في الربوبية، والله تعالىٰ أمرَ رسوله بأن يُخبر أهل مكة بإيمان الجنِّ بهذا القرآن ليعلموا أنهم أولىٰ بالإيمان به، لأنَّ محمدًا منهم.

ثم حكىٰ عنهم وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: عظمة ربنا وآلاؤه ونعمه علىٰ خلقه.

وقيل: مُلْكه وسُلطانه[٢].

---

(١) انظر: الكشف والبيان ٢٧/ ٤١٧، وتفسير سورة الأحقاف، آية ٢٩.

وسبب نزول هذه الآية ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ الجن ولا رآهم؛ انطلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في نفر من أصحابه، عامدين إلىٰ سوق عكاظ، قال: وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلىٰ قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث.

قال: فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حدث، قال: فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، يتتبعون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء؛ قال: فانطلق النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بنخلة، وهو عامد إلىٰ سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر؛ قال: فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، قال: فهنالك حين رجعوا إلىٰ قومهم، فقالوا يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ قال: فأنزل الله علىٰ نبيه صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن (رواه ابن جرير في التفسير ٢٣/ ٦٤٨).

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٥٠، الكشف والبيان ٢٧/ ٤١٩. وهذه الآية مما يخطيء الناس في تفسيرها، وقد نُسب إلىٰ بعض الناس أن المراد أب الأب، وظنوا أن ذلك من قول سفهة الجن، قال ابن جرير: أولىٰ الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: عني بذلك: تعالت

﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ أي: هو أعظم وأجلّ مِنْ أن يتخذ لنفسه امرأة أو ولدًا.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ جوْرًا وكذبًا، يعنون إبليس(١)، سمَّوه سفيهًا لجهله وعتوِّه على الله.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ قبل سماع القرآن ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ بأنَّ له شريكًا، يظنون أن ما قاله الكفار صدق، فهذه كلها حكاية من كلام الجن، وهم تسعة من جنِّ نَصِيبين، ولم يكونوا هذه التسعة قبل ذلك مؤمنين، ولكنهم كانوا متورعين في الكفر.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ تكبُّرًا وفسادًا.

عظمة ربنا وقدرته وسلطانه؛ وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن للجد في كلام العرب معنيين: أحدهما الجد الذي هو أبو الأب، أو أبو الأم، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة، وذلك أنهم قد قالوا: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ ومن وصف الله بأن له ولدا أو جدا أو هو أبو أب أو أبو أم، فلا شك أنه من المشركين.
والمعنى الآخر: الجد الذي بمعنى الحظ؛ يقال: فلان ذو جد في هذا الأمر: إذا كان له حظ فيه، وهو الذي يقال له بالفارسية: البخت، وهذا المعنى قصده هؤلاء النفر من الجن بقيلهم: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ إن شاء الله. وإنما عنوا أنَّ حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا يكون له صاحبة ولا ولد؛ لأنَّ الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأنَّ الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجن: علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفًا ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيء يكون منه ولد؛ وقد بين عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم أنهم إنما نزهوا الله عن اتخاذ الصاحبة والولد بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾.

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٥٣.

وقيل: خطأً وإثمًا(١)، وأصل الرهق: العَيْب.

وقصة ذلك: أنَّ الرجل في الجاهلية إذا نزل في أرض قفرة، وجَنَّ عليه الليل، وجاءت الوحشة، عقل بعيره ثم قال: أعوذ بسيِّد هذا الوادي من سفهاء قومه، ثم يبيت في جوار الجن آمنا، يحفظونه إلىٰ الصباح، فقال سادة الجن عند ذلك: سُدْنا حتىٰ بلغ سؤددنا الإنس، وزادهم تعوُّذ الإنس رهقًا أي: كِبرًا وطغيانًا(٢).

ومعنىٰ الرَّهق في قوله ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ أي: بخسًا ولا ظلمًا، عن الفراء.

والرهق: السَّفَه، والقول أيضًا عن الأزهري، وهو الحدَّة والخِفة.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾ يعني الجِن ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ رسولاً بعد عيسىٰ.

وقيل: ظنُّوا أن لا يبعث الله أحدًا بعد الموت للجزاء.

ثم رجع إلىٰ حكاية الجن فيما بينهم ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي: انتهينا إلىٰ السماء قبل أن آمنا بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ أي: حراسًا أشداء، معهم شهبٌ ترمي بها، وهو النجم المضيء الذي قدر أصل الرجم.

ذكر الكلبي في تفسيره: أنَّ الحرس يحرسون بلا حَوْلَ ولا قوةَ إلا بالله، وكانت السماء لا تحرس في الفترة بين عيسىٰ ومحمد، خمسمائة عام، وكانت الجن تقْعُد مقاعد منها، وتسمع خبر السماء من الملائكة، وتُخبر الكهنة، فلمَّا بُعِثَ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رَأَوْا حرسًا وشهبًا يرمىٰ بها إليهم، فأنكروا ذلك وحكوا فيما

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٥٦.

(٢) الكشف والبيان ٢٧/ ٤٢٥.

بينهم، وعجبوا من ذلك، وقالوا: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ أي: يجد شهابًا قد أرصد له[1].

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حين منع الشيطان من الاستراق بإرسال محمد: يكذبوه فيهلكهم ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ وهو أن يؤمنوا فيهتدوا.

ثم حكىٰ قول الجن ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: مِنَّا المطيعون لله ومِنَّا الكفرة ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ أي: كُنَّا جماعة متفرقين ومذاهب مختلفة.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: علمنا يقينًا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢﴾ أي: لن نفوته، يُدْركنا حيثما كُنَّا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ الدعوة إلىٰ الإسلام من الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ وتوحيده ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣﴾ لا ينقص من حسناته، ولا يحمل عليه ذنب غيره فيظلم به.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ﴾ الجائرون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ وأخلص دِينه ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤﴾ قصدوا طريق الرشد، عن الزجاج[2].

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ العادلون عن الحق ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ أي: بمنزلة الحطب في النار وانقطع كلام الجن.

ثم قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾، قال الكلبي: هي طريقة الكفر[3].

---

(١) نحوه في البسيط ٢٢/ ٢٩٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٥.

(٣) وهو قول أبي مجلز والربيع وزيد بن أسلم واختيار الفراء، انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٤، تفسير الطبري ٢٣/ ٦٦٣، البسيط ٢٢/ ٣١١.

﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ١٦﴾ يعني: كثيرًا من السماء، ومالاً كثيرًا، وهذا مثل قوله: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ الآية.

وفي الخبر: «لو كانت الدنيا تَزِن عند الله جناح بعوضةٍ ما سقىٰ كافرًا منها شَرْبَة ماء»[1].

وقال مقاتل: أراد أهل مكة، لو استقاموا علىٰ طريقة الإسلام والهُدَىٰ لأسقيناهم ماء كثيرًا[2].

غدقًا: كثيرًا موسعًا، ووسَّعْنَا لهم أموالهم، وعليهم أرزاقهم.

شبَّه المال بالماء لأن القليل منه يكفي، والكثير يهلك، ولأنَّ طبع الماء التحوُّل من مكانٍ إلىٰ مكانٍ، والمال يتحول من مالك إلىٰ مالك، وهو مثل قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، وقال في آيةٍ أخرىٰ: ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾.

وهذا القول أجود لأنَّ الله تعالىٰ ذكر الطريقة مُعرَّفة بالألف واللام، فكان المُراد بالطريقة طريقة الهُدىٰ، لأنَّ الرسول صلىٰ الله عليه وسلم داعٍ إلىٰ الهدىٰ، وقد سبق ذكره في قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾، وذلك أنه حبس عنهم سبع سنين، ثم قال: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم بالشدة والرَّخاء[3].

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ أي: توحيد الله ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ١٧﴾ قال الكلبي: يُكلَّف الكافر أن يصعدَ جبلاً من صخرة ملساء في النار، يُجذب من أمامه

---

(١) رواه الترمذي ٢٣٢٠، وابن ماجه ٤١١٠، وهو صحيح.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٤٠٧.

(٣) وهو قول الجمهور، انظر: تفسير الطبري ٢٣/ ٦٦٤، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٥، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٦، الكشف والبيان ٢٧/ ٤٣٩.

بسلاسل من حديدٍ، ويُضرب من خلفه بمقامع من حديدٍ، ولا يبلغ أعلاها أربعين سنةً، فإذا بلغ أعلاها انحدر إلىٰ أسفلها، ثم يُكلَّف ارتفاعها ثانيًا، وهو قوله ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾(١).

﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ بُنيت لذكر الله، وهو الأذان والإقامة والصلاة ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ﴾ فيها ﴿أَحَدٗا ۝١٨﴾ ولا تشركوا.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ يعني محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿يَدۡعُوهُ﴾ ويذكره بالوحدانية في صلاة الصبح ببطن نخل ﴿كَادُواْ﴾ وهم التسعة من جِنِّ نصيبين ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ۝١٩﴾ كادت الجِنُّ أنْ تسقط عليه تعجبًا عليه، وحرصًا علىٰ حفظ القرآن(٢).

واللُّبد: المركَّب بعض الشيء علىٰ البعض، ومنه اللِّبْد(٣).

وقُرئ: «لبَّدا»(٤) بتشديد الباء جمع لابد.

وقيل: يعني به الكفار يكونون علىٰ الرسول متكاتفين بعضهم فوق بعض ليزيلوه عن الدعوة(٥).

---

(١) نقله في البسيط ٢٢/ ٣١٣.

(٢) وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٣/ ٦٦٦).

(٣) أي: الذي يفرش، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٧.

(٤) وهي قراءة شاذة، مع أن الثعلبي نسبها إلىٰ أبي جعفر ، فلعلها في شاذه (الكشف والبيان ٢٧/ ٤٥٩).

وتوجيهها علىٰ الجمع، مثل: راكع وركع، وغاز وغزَّىٰ، (معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٧).

وفي الأصل: اللبدا. وهو تصحيف.

وفي هذا الحرف قراءة متواترة أخرىٰ، وهي قراءة هشام: لُبدا، بضم اللام (النشر ٢/ ٣٩٢)، وهي لغة صحيحة فيه (الكشف والبيان ٢٧/ ٤٥٩).

(٥) وهو قول قتادة، ورجحه ابن جرير (تفسير الطبري ٢٣/ ٦٦٧)

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ﴾ لكفار قريش ﴿إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١﴾ لا أقدر أدفع الضر عنكم، ولا أسوق المنفعة إليكم، ولكنه إلى الله ذلك.

﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ أي: لا يمنعني من عذاب الله أحد أن أعصيه ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾ أي: ملجأ ولا حرزا[1].

﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ نصب على البدل[2]، معناه: لن أجد من دونه منجىً إلا بلاغًا، أي: لا ينجيني شيء إلا أن أُبلِّغ رسالات ربي فذلك التبليغ ينجيني من عذاب الله.

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾ لا مخرج له منها.

ثم انقطع الكلام، وابتدأ فقال: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ يعني: أمهلهم حتى ﴿إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني عذاب الآخرة ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حينئذٍ ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ٢٤﴾ كفار مكة أم المؤمنون.

وقيل: هذا جواب قولهم: إنَّ خزنة جهنم تسعة عشر، ونحن وهم أما نستطيع أن يتعلَّق بواحدٍ منهم جماعة كثيرة فنَنْجُوا، فنزلت الآية.

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ أي: لا أدري أقريبٌ ما توعدون من العذاب ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥﴾ أي: أجلاً.

---

(١) في الأصل: حدرا، وهو تصحيف، وهذا قول قتادة.

(٢) أي: من «متحدا»، وهو اختيار الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٣٧، وعليه فيكون الاستثناء متصلا، وفيه أقوال أخرى (الدر المصون ١٠/ ٥٠١).

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾ والغيب هاهنا نزول العذاب[١]، ثم استثنىٰ المرسلين فقال:

﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ فإنه نُطْلِعه علىٰ ما يشاء من الغيب بالوحي.

﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾ من الملائكة يحفون جميعًا عند تبليغ الوحي، ويخبروا به الكهنة، ثم يخبروا به الناس، فيقع به المُساوَات بينهم وبين الأنبياء[٢].

وقيل: إذا بعث الله رسولاً جعل حوله ملائكة لأن الشياطين كانوا يأتون للأنبياء علىٰ صورة جبريل، وربما لا يعرفوا الأنبياء، فإذا جاء الشيطان تخبر الملائكة النبي ويقولون: هو شيطان فاحذروه، وإذا جاءه جبريل يخبرونه أنه جبريل يأتي بالوحي[٣].

﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ﴾ ليعلم محمد وسائر الأنبياء أنَّ الملائكة قد أبلغوا ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ من كلام الشيطان.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ أي: أحاط علم بما عندهم ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٨.

(٢) وهذا قول غريب، إذ أن الملائكة يحفون بالأنبياء كي لا تصل إليهم الشياطين، فكيف يخبروا به الكهنة، ولا يظن أنه سقط منه شيء، وأن الصواب: كيلا يخبروا به الكهنة..، فإن مما يدفع توهم التصحيف ذكره القول الثاني علىٰ خلاف هذا.

وذكر الفراء قولاً يشبه أن يكون صواب هذا القول، وهو: ذكروا أن جبريل- صلىٰ الله عليه- كان إذا نزل بالرسالة إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه نزلت معه ملائكة من كل سماء يحفظونه من استماع الجن الوحي ليسترقوه، فيلقوه إلىٰ كهنتهم، فيسبقوا به النبي صلىٰ الله عليه، فذلك الرصد من بين يديه ومن خلفه (معاني القرآن للفراء٣/ ١٩٦).

فلعل هذا هو صواب القول، ولا سيما أن الفراء من مصادره. ويكون صواب قوله: يحفون جميعا.. يحفون جبريل..

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٨.

نصب علىٰ الحال، أي: في حال العدد[١].

وفي التفسير: أنَّ جبريل كلما نزل بالوحي نزل معه سبعون ألفًا من الملائكة في أيديهم مزاريق من نارٍ يطردون الشياطين كيلا يحفظوا القرآن.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: « مَنْ قرأ سورة الجن أُعطي مِنْ الأجر عدد كل حي صدَّق بمحمدٍ وكل من عتق رقبة»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٨، الكشف والبيان ٢٧/ ٤٦٤، الكشاف ٤/ ٦٣٣.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/ ٤١٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٣٩.

سورة المزمل

مكيَّة، إلا قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلىٰ آخر السورة[١]، وهي عشرون آية في الكوفي[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾ وهو الملتفُّ في ثيابه[٣].

هذا خطابٌ للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، نُودي في تلك الحالة، وأُمر بالقيام للصلاة في بعض الليل وهجوم النوم.

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ﴾ وكان ذلك بمكة قبل فرضية الصلوات[٤] الخمس[٥]، والمعنىٰ: قُمْ أكثر الليل أو قُمْ نصف الليل.

﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣﴾ من نصف الليل؛ أو زد علىٰ النصف، خيَّره الله في هذه الساعات ثم قال: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ أي: اقرأه قراءة متفصلة[٦].

والترتيل: ترتيب الحروف علىٰ حقها[٧].

---

(١) الكشف والبيان ٢٧/ ٤٦٧، زاد المسير ٤/ ٣٥٢.

(٢) وكذا الشامي والمدني الأول، إلا المدني الأخير فهي ثماني عشرة آية، وإلا البصري والمكي بخلف فهي تسع عشرة (الباين في عد آي القرآن ٢٥٧).

(٣) الكشف والباين ٢٧/ ٤٦٩.

(٤) في الأصل: الصلاة.

(٥) وهو قول مقاتل (البسيط ٢٢/ ٣٤٩).

(٦) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٨١، الكشف والبيان ٢٧/ ٤٧٧، البسيط ٢٢/ ٣٥٠.

(٧) معني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٠.

وقال الكلبي: يقرأ آية أو آيتين أو ثلاثة، ثم يقطع آية أو آيتين أو ثلاثة، ثم يقطع[(١)].

والترتيل: التثبيت، والحَدر: الإسراع.

﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ أي: ننزل عليك قولاً فيه أمرٌ ونهيٌ، لا يُؤدِّيها أحدٌ إلا بتكلُّف، فكان العمل به ثقيلاً[(٢)].

وقيل: ليس بخفيف ولا سفساف، بل هو ثقيلٌ؛ لأنه كلام الله له قدْرٌ ومنزلةٌ وثقل[(٣)].

ويُقال: ثقيل في الميزان يوم القيامة[(٤)].

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: ساعته، وناشئة كل شيء ابتداءه، معناه: ساعات الليل[(٥)].

﴿هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾[(٦)] موافقة لقراءة القرآن لعلَّة السمع، يعني: يتوطأه قلب المصلي ولسانه وسمعه علىٰ التفهُّم في الأداء والاستماع؛ ما لم يكن ذلك بالنهار.

وقُرئ: «أشد وطأً»، أي: أشد ثقلاً علىٰ المُصلِّي، وكلما كان أثقل كان ثوابه أكثر[(٧)].

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ يعني القرآن بالليل أثبت قراءة منه بالنهار.

---

(١) نحوه في تنوير المقباس ٤٩٠.

(٢) رواه ابن جرير عن الحسن وقتادة (تفسير الطبري ٢٣/ ٦٨١).

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٧.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٥١٠، البسيط ٢٢/ ٣٥٤.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٨٣.

(٦) في الأصل: وطاءً، وهي قراءة وعليها جاء التفسير، وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٣٩٣).

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٨٤، الكشف والبيان ٢٧/ ٤٩٢.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ تصرُّفًا في حوائجك وإقبالاً وإدبارًا، يعني: في تبليغ الرسالة ودعوة الخلق إلىٰ الحق.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ قال سهل: اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك تُوصلك بركة قراءتك إلىٰ ربك، وتقطعك(١) عن كل سواه(٢).

﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ۝٨﴾ أَخْلِصْ لله بالدعاء والعبادة والقراءة إخلاصًا.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود للخلق غيره ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ بعبادتك فيكون ناصرًا لك علىٰ أعدائك.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبهم ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ وهو المجانبة والاعتزال بالقول الحسن الذي لا جزع فيه. ونسختها آية السيف(٣).

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ هذا تهديدٌ عظيمٌ للكفار، لأنه قال: كفر ربهم معاقبًا لهم فذرني وإيَّاهم(٤).

أولي النعمة: هم أهل الغناء والمال والتنعم(٥).

﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١﴾ إلىٰ انقضاء آجالهم، فقُتِلوا ببدرٍ.

﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢﴾ أي: أعددنا لهم قيودًا وبعد القيود سعيرًا ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ لا يسوغ لآكله ولا يجري في حلقه، وهو الضَّريع، له شوكٌ كشوك العوسج ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ مُؤلمًا.

---

(١) في الأصل: يقطعك، والتصحيح من المصادر، فالمراد هو البسملة.

(٢) تفسير التستري ١٨٠، الكشف والبيان ٢٧/ ٥٠٤.

(٣) وهو قول الكلبي ومقاتل علىٰ أصلهما في أن كل ما فيه أمر بالصبر والموادعة منسوخ بآية القتال (الكشف والبيان ٢٧/ ٥١٠، البسيط ٢٢/ ٣٧٠).

(٤) كذا في الأصل.

(٥) الكشف والبيان ٢٧/ ٥١٤.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي تزلزل عند قيام الساعة ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾ والكثيب: الرمل المجتمع، والمهيل: السائل، هال الرمل والماء إذا صبَّه وسيله[1].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بإيمان مَنْ آمن وتكذيب مَنْ كذَّب ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ وخالفه ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾ أي: عاقبناه عقوبةً شديدةً.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ عذاب يوم القيامة ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ بالله والبعث في الدنيا ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧﴾ يعني: كيف السبيل إلىٰ امتناع عذاب هذا اليوم وهذه حاله، يعني: لو كان في الدنيا لصار الصبي يَشيب.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ منشقٌّ بهول ذلك اليوم ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨﴾ كائنًا وهو البعث.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ آيات القرآن، وقيل: هذه السور ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩﴾ أي: مَنْ شاء اتخذ سبيلاً إلىٰ طاعة ربه، وهو الإسلام والتوحيد، حتىٰ ينجوا من عذاب النار.

ثم رجع إلىٰ أوّل القصة من قيام الليل، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ﴾ أي: أدنىٰ من نصفه ﴿وَثُلُثَهُۥ﴾ أدنىٰ من ثُلثه[2].

وقُرئ: «ونصفَه وثلثَه» أي: يقوم نصفه وثلثه[3].

---

(١) البسيط ٢٢/ ٣٧٧.

(٢) وهذا التفسير علىٰ قراءة: ونصفِه وثلثِه، وهي قراءة أبي عمرو التي يفسر عليها المصنف، ولم يضبطها في الأصل، لكن علم ذلك من التفسير (تفسير الطبري ٢٣/ ٦٩٧، الكشف والبيان ٢٧/ ٥٢٥).

(٣) قرأ ابن كثير والكوفيون بنصب الفاء والثاء وضم الهاءين، كما أثبت بالرسم العثماني، وقرأ الباقون بخفض الفاء والثاء وكسر الهاءين (النشر ٢/ ٣٩٣).

﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ من المؤمنين ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ يعلم ساعات تقدير الليل والنهار ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ أن لن تقدروه، ولن تطيقوا قيام الليل ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ أي: تجاوز عنكم ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ في صلاة الليل.

قال ابن عباس: ما تيسَّر مائتا آية إلىٰ ثلاثمائة آية[1].

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾ لا يطيقوا قيام الليل للتهجُّد ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يُسافرون فيها ﴿يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ أي: رزقه ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ يحاربون أعداء الله في سبب دِينه ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ أي من القرآن ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ﴾ من الصدقة، والعمل الصالح، صادقًا من قلوبكم، طيبة بها أنفسكم ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ أي: مالٍ ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: تجدوا ثوابه ﴿هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾ هو صلة وعماد، أي: تجدوه خيرًا وأعظمَ أجرًا، أفضل ثوابًا من تجارتكم ومعاملتكم ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ بعد استغفارهم.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة المزمل رفع الله تعالىٰ عنه العُسْر في الدنيا والآخرة»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) وهو من رواية الكلبي، ولذا لم يخرجوه، وعن السدي والحسن: مائة آية (البسيط ٢٢/ ٣٨٧).

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٧/ ٤٦٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٠.

سورة المدثر

مكيَّة(١)، وهي ست وخمسون آية(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ بثيابه.

وتقدير الآية: يا أيها الطالب صرف الأنوار(٣) بالدثار أقبل إلىٰ الإنذار، وقم إلىٰ الكفار، وأنذرهم بالنار.

قال مقاتل: إنَّ كفار مكة لما آذَوْا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين سمعوا بإتيان مقدَّمات الوحي؛ قام إلىٰ جبل حراء ليتوارىٰ عنهم؛ فبينما هو يمشي إذ سمع مناديًا فوق رأسه يقول: يا محمد، يا محمد، فنظر يمينًا وشمالاً فلم ير شيئًا، فمضىٰ، ثم نودي ثانيًا، فنظر ولم ير شيئًا، ففزع وظنَّ أنه شيطان، ثم نُودي من قفاه، فنظر خلفه ثم نظر إلىٰ السماء فرأىٰ سريرًا بين السماء والأرض وعليه جبريل، مثل النور المتوقد يتلألأ، فغُشيَ عليه فزعًا، فما لبث إلا ساعةً حتىٰ أفاق، فرجع إلىٰ منزله وبه رَعدة ورِجلاه يصطكان، فدخل علىٰ خديجة علىٰ هذه الحالة، وقال: «دثِّروني»، وقد أخذه مثل الحمىٰ، فدثَّروه بقطيفة، فاستدفأ، فأتاه جبريل وهو متقنع في القطيفة، وقال: يا أيها المدثر بثيابه، المضطجع علىٰ فراشه: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ كفار مكة بالعذاب(٤).

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٨/ ٧، زاد المسير ٤/ ٣٥٨.

(٢) إلا المدني الأخير والمكي والشامي فإنها خمس، البيان في عد آي القرآن ٢٥٨.

(٣) لعله هكذا، فإنها في الأصل بدون ألف.

(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٤١٠. وكان الأولىٰ به أن ينقل حديث البخاري ومسلم في بدء الوحي فإنه أصح سياقة، وأنقىٰ ألفاظا، فعن يحيىٰ بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾، قلت: يقولون: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ أي: عَظِّمه ونزهه عما يقول عبدة الأوثان ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ قال الكلبي: لا تكن غادرا، يُقال للغادر: دَنِس الثياب[١].

وقال مجاهد: عملك فأصلح[٢].

وقال الزجاج: ثوبك فقصِّر، لأنَّ تقصير الثواب أبعد من النجاسة[٣].

وقال ابن سيرين: طهِّرها بالماء[٤].

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ قال قتادة: الرجز هاهنا صنمان: إساف ونائلة عند البيت، وكان المشركون يمسحون وجوههما، فأمر الله بالمباعدة عنهما[٥]. وقيل: الرجز المأثم.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ أي: لا تعط شيئًا طمعًا في زيادة مجازاة أكثر منه، ورفع[٦] تستكثر لأنه حال متوقع، أي: مستكثر[٧].

[سورة العلق:١] فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت: فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء باردا، قال: فدثروني وصبوا علي ماء باردا، قال: فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾» (صحيح البخاري ٤، ٤٩٢٢، صحيح مسلم ١٦١).

(١) وهو قول الجمهور (تفسير الطبري ٢٣/ ٩، البسيط ٢٢/ ٣٩٨).

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ٢٤/ ١٢.

(٣) معاني القرآن ٥/ ٢٤٥.

(٤) رواه ابن جرير في التفسير ٢٣/ ١٢.

(٥) رواه ابن جرير في التفسير ٢٣/ ١٣.

(٦) في الأصل: وروح. ولا معنىٰ له.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٦.

وقيل: معناه لتستكثر، فلما تركت اللام ارتفعت الراء.

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ اصبر علىٰ طاعة ربك.

وقيل: اصبر علىٰ أذىٰ الكفار لربِّك.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾ أي: نُفخ في الصُّور وهي النفخة الآخرة.

﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾ وإنما كرر مبالغة في الوعيد، ولأنه وصف حال المؤمنين باليسير بقوله: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨﴾ فأراد أن يكون حال الكافرين علىٰ خلاف المؤمنين في الذكر.

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١﴾ فأنا كافئ لعقوبته.

ومعنىٰ قوله: وحيدًا قيل من صفة الله تعالىٰ، أي: خلقته وحدي بلا معونة أحد.

وقيل: خلقتهُ وحيدًا منفردًا لم يكن له مالٌ ولا ولدٌ، لأنه لم يعرف له أبٌ فالتزق بقريش[(١)].

وأراد به الوليد بن المغيرة المخزومي.

﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۝١٢﴾ كبيرًا ذا مدد ﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا ۝١٣﴾ لا يغيبون عنه، وهم عشرة قائمون بين يديه، ومنهم خالد بن الوليد سيف الله أسلم بعده.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ۝١٤﴾ بسطت له في الجاه بسيطًا ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝١٥﴾ في ماله وولده وجاهه زيادةً ﴿كَلَّآۖ﴾ لا أزيده، بل أقطع ذلك عنه، فلم يزل وليد بعد نزول هذه الآية في نُقصانٍ من المال والجاه، حتىٰ صار بحالٍ يسأل الناس، ومات فقيرًا[(٢)].

---

(١) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٦. والصحيح الذي عليه أهل التأويل أن المراد بالوحيد هو الوليد بن المغيرة، وكان يسمىٰ بمكة: الوحيد، وبذلك جاء الماثور (تفسير الطبري ٢٤/ ١٩، الكشف والبيان ٢٨/ ٤٠).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥١٦، البسيط ٢٢/ ٤٢٣، وهو من تفسير الكلبي.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ١٦﴾ يعني: عن آياتنا مُعرضًا معاندًا لها.

﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾ وهو جبلٌ من صخرة ملساء في جهنم، إذا وضعوا عليها أيديهم ذابت، وإذا رفعوها عادت[1]، وقد ذكرنا صفة صعوده في سورة الجن.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ يعني: الوليد تفكَّر في أمر محمد ﴿وَقَدَّرَ ١٨﴾ القول فيه ماذا يقوله له ﴿فَقُتِلَ﴾ أي: لعن اللعان ﴿كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩﴾ الباطل الذي لا يجوز ذلك علىٰ محمد.

﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾ أي: لُعن ﴿كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠﴾ كرره للتقبيح ﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ وتأمَّل ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢﴾ وجهه، حتىٰ كلح وجهه وزاد في العبوسة ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣﴾ أعرض عن القرآن وتكبَّر عن الإيمان ﴿فَقَالَ﴾ لأصحابه ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤﴾ يأثره ويرويه عن غيره محمد[2] ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦﴾ سأدخله بما فعل سقر ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧﴾ تعظيمًا لأمرها.

وسقر مؤنثة مُعرَّفة لا تنصرف[3]، ثم وصفها فقال: ﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨﴾ أي: لا تبقي علىٰ أهلها في الحرق ولا تذر منه شيئًا لا تحرقه.

وقيل: لا تحييه حياة تنفعه ولا تُميته فيستريح.

﴿لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩﴾ مُغيِّرة للجلد بالإحراق كلما نضج بُدِّل مكانه غيره.

﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠﴾ مَلَكًا خازنًا للنار، وثمانية عشر أُخر، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كصياصي البقر، وشفاهم تمس أقدامهم، يخرج لهب من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع في كف أحدهم مثل ربيعة ومُضر، نُزعت الرحمة من قلوبهم، غضاب علىٰ أهلها، يأخذ أحدهم سبعين ألفًا يلقيهم

---

(١) هاهنا جملة مقحمة لا معنىٰ لها،وهي: واقتحامها ﴿فك رقبة أو إطعامٌ في يومٍ ذي مسغبة﴾.

(٢) البسيط ٢٢/ ٤٣٠.

(٣) لعلتين: التأنيث والتعريف (معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٧).

حيث أراد، فيهوي أحدهم في جهنم مسيرة أربعين سنة، لا يضرهم حر النار، لأن نورهم أشد من حر النار(١).

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ يعني: خَزنة النار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لأنَّ الكفار يقولون: ليس لتسعة عشر عندنا خطر، لأنه ذُكر أنَّ أبا أسد بن كلدة(٢) قال: أنا أكفي من جملة تسعة عشر سبعة عشر، أحمل عشرة على ظهري وسبعة على صدري، أما تكفون أنتم اثنين(٣).

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بصدق محمد؛ لأن القرآن أُنزل على موافقة التوراة والإنجيل في عدد الملائكة.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ وتصديقًا بتصديق أهل الكتاب ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو ابن سلام وأصحابه، لا يشكُّون في حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أهل النفاق ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: مشركو العرب ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أيُّ صفة في قِلَّتهم؟ هلا ذكر عشرين أو ثلاثين إذ ذكر تسعة عشر.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بهذا المَثَل والتقدير في العَدد ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: جنود الملائكة من الزبانية وغيرهم إلا الله عزَّ وجل ﴿وَمَا هِىَ﴾ يعني سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ [لِلْبَشَرِ] ﴿٣١﴾﴾ أي تذكرةً للخلق.

---

(١) وهو قول مقاتل في تفسيره ٣/ ٤١٧، وانظر: الكشف والبيان ٢٨/ ٦٠، البسيط ٢٢/ ٤٣٦.

(٢) كذا ورد اسمه في الأصل، وقد صدر المصنف عن تفسير مقاتل ٣/ ٤١٧، وفيه: قال أبو الأشدين، واسمه: أسيد بن كلدة. ومثله في البسيط ٢٢/ ٤٣٧.
وكما ثبت عندنا ثبت في نسخة من تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٢٨/ ٦٣، وفي نسخة أخرى منه كما في تفسير مقاتل، والله أعلم.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٤١٨، البسيط ٢٢/ ٤٣٧.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢﴾ يعني: حقًا والقمر ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣﴾(١) جاء بعد النهار، وقُرئ: «أدبر» أي: ولَّىٰ وذهب(٢).

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤﴾ وأضاء ﴿إِنَّهَا﴾ يعني دكدكة سقر ﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ۝٣٥﴾ أي إحدىٰ العظائم من دَرَكات النار ﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ۝٣٦﴾ معرفة وُصفت بالنكرة فانتصبت.

وقيل: يرجع معناه إلىٰ أول السورة يعني قم نذيرا للبشر.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾ أي: يتقدَّم إلىٰ الطاعة فيؤمن أو يتأخر عنها فلا يؤمن.

﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ مرهونة في النار بذنوبها(٣).

وقيل: كل نفس بما عملت مأخوذة من الخير والشر، إلا من اعتمد علىٰ الفضل والرحمة والسعادة دون الكسب.

﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩﴾ هم الذين يُعطون كتبهم بأيمانهم(٤).

وقال الحسن: هم أصحاب الجنَّة لا يُرهنون في النار(٥).

﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١﴾ أي رجالٌ من أهل الجنَّة يسألون رجالاً من أهل النار ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾ أيْ: أيّ شيءٍ أدخلكم في سقر ﴿قَالُواْ﴾ جوابًا لهم ﴿لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ من الموحِّدين المؤمنين ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ

---

(١) في الأصل: «إذا دبر»، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر والكسائي وشعبة وأبي جعفر، وقرأ نافع ويعقوب وحمزة وخلف وحفص: إذا أدبر، كما أثبت الآية (النشر ٢/ ٣٩٣).

(٢) الكشف والبيان ٢/ ٣٩٣.

(٣) في الأصل: بذنوبه.

(٤) في الأصل: بيمينهم بأيمانهم.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٥.

﴿٤٤﴾ لا نتصدق عليهم ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ كنا نتبع الغواة من الأباطيل، والطعن على الرسل، ونخوض معهم فيما خاضوا.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ بأنه غير كائن.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ الموت على تلك الحالة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ من الملائكة المُقرَّبين والأنبياء المرسلين.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ عن القرآن، ثم شبَّههم بالحُمر الوحشية فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ أي نافِرة، بكسر الفاء ونصبها[1].

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ قيل: هو الأسد.

وقيل: القنَّاص والرَّامي، وأصله الأخذ بالقسر[2].

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ من قريش ﴿أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ منشورة من الله: إلى فلانٍ بن فلانٍ هذا محمد رسولي إليك فصدِّقوه.

﴿كَلَّا﴾ أي: لا يكون ذلك، ثم ابتدأ ببل، فقال: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ وعذابها.

﴿كَلَّآ﴾ حقًا يا محمد ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ عِظة من الله تعالى لمن فرَّ عن طاعته.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ أي: مَن شاء الله أن يتعظ بالقرآن يتعظ به.

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع و ابن عامر بنصب الفاء: مستنفَرة، وقرأ الباقون بكسرها (النشر ٢/ ٣٩٣). وتخريج القراءتين على اسم الفاعل أو المفعول (الكشف والبيان ٢٨/ ٨٦، البسيط ٢٢/ ٤٥٩).

(٢) البسيط ٢٢/ ٤٦٠.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: ما يتعظون إلا أن يشاء الله لهم ذلك ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ أي: هو أهلُ أن يُتقىٰ عنه عقابه، وتُتقىٰ محارمه، وأهل أن يغفر ذنوب المذنبين[١].

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة المدثر أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدَّ بمحمدٍ وكذَّب به»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) وهو معنىٰ قول قتادة، كما في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤١.

سورة القيامة

مكيَّة(١)، وهي تسع وثلاثون آية(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ اتفقوا أن معناه أقسم، وتكلَّموا في إثبات لا:

قال ابن عباس: هو تأكيد للقَسَم، كقول القائل: لا والله(٣).

وقال الفرَّاء: «لا» ردٌّ لكلام المكذبين الذين أنكروا البعث، فقيل: ليس الأمر كما ذكرتم؛ ولكن أقسمُ بيوم القيامة(٤).

وسُمِّيت قيامة لأنهم يقومون من قبورهم للمجازاة.

﴿وَلَآ أُقْسِمُ﴾ أُقسم ﴿بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ليس أحد يوم القيامة إلا يلوم نفسه، إن كان محسنًا يلومها هلا ازدادت، وإن كان مُسيئًا فهو أَلْوَمُ وأَلْوَمُ»(٥).

وقيل: النفس اللوامة الكافرة تلوم نفسها(٦) علىٰ ما فرَّطت في أمر الله، وهي نفسٌ

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٨/ ١٠٧، زاد المسير ٤/ ٣٦٨.

(٢) إلا الكوفي فأربعون (البيان في عد آي القرآن ٢٥٩).

(٣) لم أقف عليه من قول ابن عباس، فلعله من رواية الكلبي عنه، وهو قول أبي بكر بن عياش (تفسير الطبري ٢٤/ ٤٨، الكشف والبيان ٢٨/ ١١١).

(٤) معاني القرآن ٣/ ٢٠٧.

(٥) نقله الواحدي في البسيط ٢٢/ ٤٧٥ عن ابن عباس من رواية عطاء.

(٦) في الأصل: نفسه.

أمّارة قرينة الحرص والأَمَل، عن التستري[١].

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ في الآخرة وأننا نبعثه بعد الموت ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ رَد لحسبان هذا الكافر وإثبات بخلافه ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ أطراف أصابعه مع صغر عظامها.

وقال مقاتل: بلىٰ قادرين علىٰ أن نُلحق أصابعه بالرَّاحة مستوية حتىٰ تصير كخف البعير، حتىٰ لا ينتفع بها[٢].

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ أي: يعمل بالفسق والفجور في المستقبل.

وقيل: يركب المعصية ويُؤخِّر التوبة يومًا بيومٍ، ويقول: سوف أتوب، حتىٰ يموت علىٰ شرِّ عمله، فقد فجر أمامه[٣].

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ أي: متىٰ هو علىٰ وجه الإنكار، وأيَّان مأخوذة من لفظين، يعني: أي أوان.

ثم أجابهم ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ أي: فزع وتحيَّر.

يُقال لمن رأىٰ البرق وفزع منه: بَرِق، ويُقال لمن رأىٰ الأسد وهابه: أَسِدَ.

وقُرِئ: «بَرَق»[٤] بالنصب من البرق، يعني: شخَصَ وتلألأ[٥].

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾ أي: ذهب ضوءه ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ ولم يقل جمعت

---

(١) تفسير التستري ١٨٢.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٤٢١.

(٣) وهو قول ابن عباس وأصحابه (تفسير الطبري ٢٤/ ٥٣).

(٤) وهي قراءة أبي جعفر ونافع (النشر ٢/ ٣٩٣).

(٥) الكشف والباين ٢٨/ ١٢٣، البسيط ٢٢/ ٤٨٣.

لتذكير القمر، أي: جمعا في ذهاب نورها، قيل: أخذ نورهما ويبعث إلىٰ جهنم حتىٰ يكون مدد النار.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: أبا جهل ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ المذهب.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾ أي: لا مفرَّ ولا ملجأ ولا منجىٰ، وأصل الوزر: الحصن.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ أي: يُساق إلىٰ المحشر الذي يُحاسب الربُّ فيه.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: يخبر الكافر ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ قبل موته ﴿وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ من سيئة عُمل بسيئته بعد موته.

وقيل: بما قدَّم من المعصية وأخَّر من الطاعة(١).

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤﴾ دخلت الهاء للمبالغة، كما يُقال: رجل علامة ونسابة وهجاءة.

وقيل: معناه من الإنسان علىٰ نفسه بصيرة وهي جوارحه؛ تُبصر ما يفعل فتشهد يوم القيامة؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ الآية(٢).

وقال الكلبي: للإنسان من نفسه شاهد يشهد عليه في القيامة(٣).

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ معناه: وإنْ اعتذر وقال: لم أفعل؛ لم يُقبل عُذره(٤).

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٦١.

(٢) الكشف والبيان ٢٨/ ١٣٣.

(٣) البسيط ٢٢/ ٤٩٢.

(٤) معاني القرآن ٣/ ٢١١، البسيط ٢٢/ ٤٩٤. وهو قول الجمهور، ورجحه ابن جرير في التفسير ٢٤/ ٦٥، لدلالة ظاهر التنزيل.

وقال أبو سهل: معناه وإن أرخىٰ ستوره واستتر من الناس؛ لا يُمكنه أن يستتر من جوارحه، والمعاذير واحدها: مِعذار، وهو الستر[١].

ثم قال لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ وكان رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم يتلو الوحيَ قبل فراغ جبريل ليتعجل به مخافة النسيان ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أي: تأليفه.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: فرغ جبريل من القراءة ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ أي: مقروءه.

والقرآن اسم، والقراءة مصدر، وفي الآية دليل أنَّ القراءة عين والمقروء غير، لأنَّه أمر بمتابعة المقروء مع ترك القراءة.

وقيل: اتَّبع حلاله واجتنب حرامه[٢].

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ أي: بيان حلاله وحرامه، وإجماله وإضماره، وتفسير ذلك كله، كما بيَّن في زكاة الذهب والفضَّة والإبل والبقر وركعات الصلاة، وغير ذلك.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ كلا: ردٌّ وتنبيهٌ، إن ارتدعوا عمَّا يؤدي إلىٰ العذاب، ليس الأمر كما تزعمون، بل تحبون العاجلة التي تتعجلونها من الدنيا.

وقيل: «كلا» حقًا.

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ فلا تعلمون لها.

وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ أحب دُنياه أضر بآخرته، ومَنْ أحب

---

(١) وهو قول السدي كما في تفسير الطبري ٢٤/ ٦٤، واختيار الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٥٣.

(٢) وهو قول قتادة، ورده الواحدي بقوله: المعنىٰ: فاتبع قرآنه، أي: اقرأه إذا فرغ جبريل من قراءته. وهذا أولىٰ؛ لأنه أمر أن يدع القراءة، ويستمع من جبريل، حتىٰ إذا فرغ جبريل قرأه، وليس هذا موضع الأمر باتباع ما فيه من الحلال والحرام (البسيط ٢٢/ ٤٩٩).

آخرته أضر بدنياه»[١].

ثم بيَّن حال من يعمل لآخرته ولم يمهل؛ فقال فيمن عمل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ ناعمة حسنة مشرقة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ كما قال في آية أخرىٰ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾.

والنظر مقيد بالوجه، مقرون بحرف: إلىٰ، ولا يُراد به إلا النظر إلىٰ الله تعالىٰ بلا حجابٍ.

وما قاله المعتزلة وبعض أهل الزيغ -لعنهم الله-: أنَّ المُراد به الانتظار؛ أو النظر بالقلب؛ أو غير ذلك؛ فهو باطلٌ؛ لأنَّ النظر بهذه الوجوه لا يقرن بحرف إلىٰ، لأن نظر القلب هو التفكُّر، ويُقال في باب التفكُّر: نظرت في علوم النجوم والفلسفة، ولا يُقال: إلىٰ علم النجوم، وفي باب الانتظار يُقال: نظرت زيدًا بحذف الصلة أصلاً، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾.

وفي هذه الآية قيَّد النظر بحرف «إلىٰ» علم أنه الرؤية بالعَيْن كما يعرفه العبد اليوم بقلبه بلا كيف؛ فكذلك يراه غدًا بعينه بلا كَيْف، والله الهادي والمُرشِد، وبه الثقة[٢].

ووصف حال من لم يعمل لآخرته فقال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ كالحة ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي: داهية منكرة، والظن هاهنا اليقين، والفاقرة: الكاسرة لفقار ظهره[٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند ١٩٦٩٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٤/ ٧٣، الكشف والبيان ٢٨/ ١٤٥، تفسير السمعاني ٦/ ١٠٦، تفسير ابن كثير ٨/ ٢٧٩.

(٣) البسيط ٢٢/ ٥١٣.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦﴾ أي: حقًا إذا بلغت الروح إلىٰ التراقي ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧﴾ أي: هل من طبيبٍ يرقي فلا تخرج النفس.

وقال مقاتل: يقول بعض الملائكة للبعض من يرقىٰ بالروح(١) ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب(٢).

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨﴾ أي: تيقَّن المريض مفارقة الأهل والوَلَد والدُّنيا ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩﴾ أي: التفَّ علىٰ المريض أمر الدنيا وأمر الآخرة، لأنه آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة(٣).

والساق: عبارة عن مُلاقاة الشدة؛ لأنَّ الرجل إذا أصابته داهيةٌ شمَّر عن ساقه واستعدَّ للشرِّ.

وقيل: هو التفاف الساق في الكفن.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ٣٠﴾ لأنَّ الرب يجازيه في القبر، لأن القبر إمَّا روضة أو حُفرة، وكل عبد يسوقه إلىٰ المحشر كاتباه وحافظاه؛ حتىٰ يشهدا علىٰ عمله.

ثم ذكر الكافر فقال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١﴾ أي: لم يُصدِّق الله ورسوله ولا صلَّىٰ لله عزَّ وجل ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢﴾ كذَّب الله ورسوله وأعرض عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣﴾ أي: يتبختر في المشي(٤)، وأصله يتمطَّط أي: يتمدد تكثُّرًا، فاجتمعت ثلاث طاءات فبُدِّلت الطاء الثالثة ياء(٥).

---

(١) في الأصل: بروح.

(٢) البسيط ٢٢/ ٥١٧.

(٣) أي شدة الدنيا مع شدة الآخرة (الكشف والبيان ٢٨/ ١٦٢، البسيط ٢٢/ ٥٢٠).

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٨١.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٤٢٨.

﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ۝٣٥﴾ يروح ويجيء.

ومعنىٰ التكرار: ويلٌ لك يوم تحيا، وويلٌ لك يوم تموت، وويلٌ يوم تُبعث، وويلٌ لك يوم تُساق إلىٰ النار.

وقال أهل التفسير: نزلتْ في أبي جهل أخذه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وزعزعه، وقال: أولىٰ لك فأولىٰ، أي: وليك أمرٌ محذور فاحذره، فقال اللعين: إني لا أخافك ولا أخاف ربك(١).

وهذه الكلمة مشتقة من الويل وهو الهلاك.

وهو فعلٌ مقلوب؛ قُدِّمت لام الفعل وأُخِّرت الياء والواو، وإذا قُدِّمت أو أُخِّرت عن مواضعها صارت ياءً، كقولنا: قوس وجمعه قِسِي، وأصله قؤوس، وأظهر من هذا قوله: أدنىٰ، وهي في الأصل: أدون، لأنه دون.

والأيم جمعه أيامىٰ، وأصله: أيايم.

ومعنىٰ أولىٰ: أي أَوَيْلٌ لك، وأصله بواوين، فحول إحدىٰ الواوين ياء، وذهب عن موضعه، فصار: أولىٰ، ومعناه أشد الهلاك وأهوله أزِفَ منك، فالحذر الحذر.

ثم قال: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أي الكافر ﴿أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ لا يُؤْمَر ولا ينتهي ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً﴾ قبل أن يُخلق بشرًا ﴿مِّن مَّنِيٍّ يُمۡنَىٰ ۝٣٧﴾ قُرئ بالياء من مَنِيٍّ، وبالتاء من نطفة، تُقْذَفُ في الرحم(٢).

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ بعد النطفة ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ أي: خلقه فسوَّاه أي سوَّا أعضاءه؛ كما خلق جنسيه من الآدميين.

---

(١) الكشف والبيان ٢٨/ ١٧٦، البسيط ٢٢/ ٥٢٨.

(٢) بالياء قرأ يعقوب وحفص وهشام بخلف عنه، وقرأ الباقون بالتاء (النشر ٢/ ٣٩٤).

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ٣٩﴾ أي: من المَنِيِّ.

وقيل: من أبي جهل، فالذَّكر عكرمة بن أبي جهل، والأنثىٰ خَوْلة بنت أبي جهل كانا من عباد الله الصالحين[1].

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ أليس الذي فعل هذا ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ٤٠﴾ بعد البلىٰ.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة القيامة شَهِدْتُ أنا وجبريل له يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بيوم القيامة، وجاء ووجهه مسفرًا علىٰ وجوه الخلائق»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) وهذا قول غريب، فالآية علىٰ العموم.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ١٠٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٢.

سورة الدَّهر

مكيَّة[١]، وقيل: مدنيَّة وهي ثلاثون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ معناه: قد مضىٰ علىٰ آدم[٣] ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ مُدَّةً من الزمان: أربعون سنة قبل أن يُنفخَ فيه الروح ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ لم يُذكر اسمه، ولم يُعلم ماذا يُراد به، كان قالبه موضوعًا بين مكة والطائف زمانًا طويلاً[٤]، لم يعلم [أنه][٥] يكون الخليفة الذي وعد الله به ملائكته.

﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ وهو نطفة الرجل ونطفة المرأة، فنطفة الرجل: أبيض غليظ يكون منها العظم والعصب والعروق والقوة، وهي تجري من بين الصلب، ونطفة المرأة: أصفرُ، تجري من بين الترائب، يكون منها اللحم والدَّم والشَّعْر والظفر، فيختلطان، فذلك قوله أمشاج[٦].

وقوله ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ نختبره بالعمل [﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾].

﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: بيَّنا له الطريق؛ طريق الهدىٰ وطريق الضلالة ﴿إِمَّا

---

(١) وقيل مدنية، الكشف والبيان ٢٨/ ١٨٩، زاد المسير ٤/ ٣٧٤.

(٢) كذا ثبت في الأصل، وفي البيان ٢٦٠: وهي إحدىٰ وثلاثون آية في جميع العدد.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٢٥.

(٤) وهي رواية الكلبي عن ابن عباس، الكشف والبيان ٢٨/ ١٩١، البسيط ٢٣/٨، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١١٩.

(٥) في الأصل: أقدمه، وهو تصحيف. وقد يكون صواب الجملة: لم يعلم قدره وأنه يكون الخليفة الذي وعد الله به (الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١١٩).

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥٧، البسيط ٢٣/ ٩.

﴿شَاكِرًا﴾ لنعمائه فيستحق الثواب والدرجات ﴿وَإِمَّا كَفُورًا ③﴾ فلا يوحِّده فيستحق العقاب في الدركات، وأي المسلكين سلكه لا يخلو من الابتلاء، حتىٰ لو أُثيب علم علىٰ ماذا يُثاب، وإنْ عوقب علم علىٰ ماذا يُعاقب، والله تعالىٰ عالمٌ بما يكون من ابن آدم قبل الابتلاء.

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ من النار، فيسلكون مع الشياطين ﴿وَأَغۡلَٰلًا﴾ تُغلُّ بها أعناقهم ﴿وَسَعِيرًا ④﴾ نارًا مُوقدة.

ثم بيَّن ما أعدَّه للمخلصين ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ﴾ في الجنة ﴿مِن كَأۡسٍ﴾ أي: مشربة خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ⑤﴾ وهو: ماء من عين تُسمَّىٰ كافورًا، هكذا ذكره الكلبي[1].

وفسَّر الله تعالىٰ به فقال: ﴿عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ يعني: كافورًا من عينٍ يشرب بها عباد الله ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ يعني: تلك العين في الجنة ﴿تَفۡجِيرًا ⑥﴾ كما تُفجَّر الأنهار في الدنيا تفجيرًا، أي: تشقيقًا، وهو إجراء الأنهار[2].

ثم نعتهم فقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ في الدنيا ويُتِمُّونه بالوفاء به ﴿وَيَخَافُونَ﴾ من نقضه ﴿يَوۡمًا﴾ عذاب يوم ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرًا ⑦﴾ منتشرًا، حين تنشق السماء، وتتناثر الكواكب، وتُنسَف الجبال، وخُسفت الشمس والقمر، وتفزع الملائكة.

﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الطعام وشهوته إليه ﴿مِسۡكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧﴾ المسكين الذي يطوف علىٰ الأبواب، واليتيم لا وَالِدَ له فيطعمه.

والأسير: يعني الذي أسر من أهل الشرك في يد المسلمين.

قال قتادة: أمر الله تعالىٰ بالإحسان إلىٰ المشرك، ووعد به الجزاء خيرًا، فوالله

---

(١) البسيط ٢٣/ ٢٣. وذكر قتادة ومجاهد: إن الشراب يمزج لهم بالكافور (تفسير الطبري ٢٤/ ٩٣).

(٢) وعن مجاهد وقتادة والثوري: يعدلونها ويقودونها حيث شاؤوا (تفسير الطبري ٢٤/ ٩٥).

لأخوك المسلم أعظم عليك حُرمَةً[١].

قال سهل بن عبد الله التستري: نزلت الآية في علي بن أبي طالب، فكان الحسن والحسين قد مرضا، فجاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مع أصحابه عيادة هما، وقال لعلي: لو نذرتَ بشيءٍ، فنَذَرَ: إن شفاهما الله تعالىٰ يصوم ثلاثة أيام، وليس لهم شيء من الطعام في ذلك اليوم، فلما ظهر عليهما علامة الصِّحَة أصبح صائمًا، وفاطمة وجارية لهما في البيت كلهم صائمون، فاستقرض عليٌّ من شمعون اليهودي الخيبري ثلاثة أصواع شعير، فطحنت فاطمة منها شيئًا، وطبخت خمسة أقراص، فلما كان عند الإفطار جاء سائلٌ، وقال: أنا مسكين من المسلمين لم أطعم منذ يوم فأطعموني يا أهل بيت الرحمة والنبوة، فقال عليٌّ: نحنُ لم نأكل يومًا، نطعمه حتىٰ يشبع، فأطعموه الكلَّ وناموا جائعين، ثم صاموا غدًا وطحنوا وطبخوا مثلها من الأقراص، فجاءهم عند الإفطار يتيمٌ وقال: لم أطعم منذ يومين فأطعموني يا أهل بيت الشفقة والرحمة، فأطعموه وبقوا جائعين، وأصبحوا صائمين وفاءً لنذرهم، واتخذوا من الأقراص مثلها فجاءهم عند الإفطار أسيرٌ، وقال: لم أطعم منذ ثلاثة أيام، وأنتم علىٰ دين الإسلام، وتقولون: نحن نشفق علىٰ خلق الله كلهم، فرفع الأقراص من بين أيديهم وأطعمَ الأسير، ولم يشربوا في الأيَّام الثلاثة إلا بالماء القراح، فلما أصبح علي أخذ بيد الحسن والحسين وذهب إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وكان علي تصطك رِجْلاه ويضطرب قلبه، وكانت فاطمة علىٰ مُصلاها تنضح عيناها، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ما هذه الشدَّة يا علي»، ثم قام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ فاطمة فرآها وغارت عيناها، فقال: «واعجبًا أهل بيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يموتوا جوعًا». فنزل جبريل بهذه السورة[٢].

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٣٦، تفسير الطبري ٢٤/ ٩٧، الكشف والبيان ٢٨/ ٢١٠.

(٢) هذا حديث موضوع، وله تتمة فيها شعر ركيك منسوب لعلي، والحديث رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٢٢٦، وقد حكم عليه بالوضع شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية،

وقيل: من قوله ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ إلىٰ قوله: ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ نزلت بالمدينة(١).

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي: يقولون في أنفسهم: إنما نطعمكم لأجل الله.

والوجه: يُذكر ويُراد به الرضا، فَعَلْتُ ذلك لوجه فلان أي: رضاه(٢).

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ لا نطلب منكم مكافأةً ولا ثناءً.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ يعني: يوم تعبس فيه الوجوه، وهذا فعل نقل عن فاعله إلىٰ غيره، كقوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ ويُقال: ليلٌ نائمٌ وبيتٌ كاتمٌ.

وقال الشاعر:

نهارهم ظمآن أعمىٰ وليلهم ... وإن كان بدرًا ظلمة بن جَمير

و[ابن] الجَمير: القمر في آخر ليلةٍ في الشهر(٣).

﴿قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ والقمطرير: الشديد الغليظ، يُقال: اقمطرَّ اليوم، وهو أشد الأيام في البلاء(٤).

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أي: أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ في وجوههم

وأطلنا الحديث عليه وعلىٰ شواهده في: «مشيخة الحافظ أبي القاسم الحسكاني»، فليراجعه من أراد الاستزادة.

(١) وصاحب هذا القول إنما قاله كي يصحح هذه الرواية الضعيفة، وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع علىٰ أنها نزلت بمكة (منهاج السنة النبوية ٧/ ١٧٤).

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٩٨.

(٣) البيت لابن أحمر، شعره ١١٤، الزاهر ٢/ ١١، الأضداد ١٢٧، المخصص ٢/ ٣٧٨، معجم مقاييس اللغة ١/ ٣٠٥. وحكي فيه بالتصغير (تاج العروس ٦/ ٢١٢).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥٩.

﴿وَسُرُورًا ⑪﴾ في قلوبهم.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ علىٰ أمر الله وفيما ابتلاهم من المصائب ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا ⑫ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ أي: في حال إتكائهم علىٰ السُرر.

والأرائك: جمع أريكة وهي الحجال.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ⑬﴾ لا حرًّا مؤذيًا ولا بردًا مؤذيًا.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾ هي منصوبة علىٰ أول الكلام، وجزاهم بما صبروا جنةً دانيةً عليهم ظلال أشجارها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ⑭﴾ سُخِّرت ثمرتها، حتىٰ ينالها القاعد والقائم في أي حالٍ كان.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ أي: يطوف عليهم الغلمان ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ دهوم حام(١) ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۟ ⑮ قَوَارِيرَا۟ [مِن فِضَّةٍ]﴾ كِيزان لا عرىٰ لها مُدوَّرة الرأس من بياض الفِضَّة وصلابتها وصفاء القوارير(٢).

وقوارير كل قوم من أرضهم، وأرض الجنة من فضةٍ، فالقارورة منها.

﴿قَدَّرُوهَا﴾ يعني الخدم قدَّروها ﴿تَقْدِيرًا ⑯﴾ مقدار ما يشربه العبد ويروي، لا يفضل ولا وكس.

ثم قال: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ⑰﴾ والزنجبيل عينٌ في الجنة(٣) ﴿عَيْنًا فِيهَا﴾ في الجنة ﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ⑱﴾.

قال مقاتل: هي عين الخمر تنبع من تحت العرش، وهي شديدة الجري(٤).

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: دهوم جام، وهي كلمة بالفارسية.
(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٢٨، تفسير السمعاني ٦/ ١١٨.
(٣) وقيل: يمزج لهم بالزنجبيل (تفسير الطبري ٢٤/ ١٠٧).
(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٤٢٩.

وقيل: معنىٰ العين أي: سلَّ[١] الله إليها سبيلاً[٢].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي مُحلَّون يُقال: لجماعة الحلي الخلد، يعني: مُسَوَّرون.

وقيل: مُخلَّدون لا يخرجون عن حد الصغر[٣].

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ أي: كاللؤلؤ المنثور علىٰ الثوب الأخضر.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ نعمة دائمة ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ وهو استئذان الملائكة لدخولهم، إذ لا يدخل رسول رب العزَّة عليهم إلا بإذنهم، فأيُّ مُلْكٍ أكبر من هذا، وإذا بلغ رسول رب العزة من الملائكة إلىٰ بابه واستأذن بالدخول قال البواب: إني لا أستطيعُ لك الإذن، ولكنِّي أطلبُ لك الإذن منه، فيقول للحاجب الذي يليه، وذلك للحاجب الذي يليه، هكذا إلىٰ سبعين حاجبًا، حتىٰ يدخل عليه المَلَك، فهذا هو المُلْكِ الكبير[٤].

وإذا دخل عليه الملك فيبلغه السلام من رب العرش، كقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ والتحفه قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾ والبشارة بالرضا كقوله ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

ثم قال: ﴿[عَالِيَهُمْ] ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ قيل: السندس هو الديباج الرقيق الفاخر ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ والإستبرق: الديباج الغليظ[٥].

---

(١) كأن صورتها في الأصل: سبل، والتصحصح من المصادر.

(٢) تنوير المقباس ٤٩٥، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٢٨، والنكت والعيون ٦/ ١٧١، ونسبه إلىٰ علي بن أبي طالب، وقال ابن الجوزي بعد أن أورده: لا يصح (زاد المسير ٤/ ٣٨٠).

(٣) ولا يموتون، وكلا القولين في تفسير الطبري ٢٤/ ١١٠.

(٤) وهو مجموع قول الكلبي ومقاتل (الجامع لأحكام القرآم ١٩/ ١٤٤).

(٥) معاني إعراب القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٢.

﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ ولكل واحدٍ من أولياء الله ثلاثة أسورة؛ سوارٌ من ذهبٍ وسوارٌ من لؤلؤٍ وسوارٌ من فضةٍ.

﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١﴾ والشراب الطهور: الذي لا يتغير ولا يتنجس ولا تصيبه آفة، وطهرت به قلوبهم من الغشِّ والغلِّ والحسد.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ﴾ لأعمالكم في الدنيا ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾ أي: عملكم مقبولاً ومَرْضيًا.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣﴾ مُتفرِّقًا سورةً بعد سورةٍ.

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ فارْضَ بقضاء ربك ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾ يعني من كفار مكة، والآثم: الفاجر، والكفور: الذي كفر بنعم الله.

قال الكلبي ومقاتل: الآثم هو الوليد، والكفور عُتبة بن أبي ربيعة(١).

فقيل: كان الوليد يدعو رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ دين آبائه، ولم يحصل له مقصوده، فقال لعُتبة بن ربيعة: أنت أقرب إلىٰ محمدٍ وأرفق، اذهب وعِظْهُ حتىٰ يرجع إلىٰ ديننا، فجاء فوجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تحت الميزاب، فقال: يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله، أنت خيرٌ أم عبد المطلب، أنت خيرٌ أم عبد مناف، إنهم لم يدَّعوا شيئًا مما تدَّعي، فارجع من مقالتك، فإن أخذت في هذه الطريقة طمعًا في الدنيا فإنا نقاسمك في أموالنا حتىٰ تكون أغنىٰ من أحدنا، وإن كان لامرأةٍ تخطبها خطبناها عليك، وإن كان للرئاسة سوَّدناك علىٰ أنفسنا، فلم يُجبه رسول الله، فقال: هلا تُجيبُني، فقام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقرأ رافعًا صوته: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ حتىٰ بلغ إلىٰ قوله ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣﴾ وثب عُتبة

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٢٩، الكشف والبيان ٢٨/ ٢٥٨، البسيط ٢٣/ ٥٨.

وقال: يا محمد إيَّاك أن تحرقني، ومضىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في قراءته حتىٰ انتهىٰ إلىٰ آية السجدة وسجد، وفرَّ عُتبة إلىٰ أصحابه مُتغيِّر اللون، قيل: ما أصابك؟ فقال: سمعت كلامًا عجيبًا ما سمعت أذناي مثله، وخِفْتُ أن يحرقني، فقالوا: أكان شِعْرًا؟ قال: ومن أشعر منِّي، فعرضوا عليه الأرجاز والأسجاع فكان يرد عليهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤﴾[1].

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥﴾ بالإخلاص في صلاة الفجر والظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعني المغرب والعشاء، ثم أمر بالتطوع ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يختارون استصلاح الحياة العاجل، وهي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝٢٧﴾ يتركون قُدَّامهم يومًا شديدًا أهواله وعذابه.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ قوَّينا خلقهم.

وقيل: مفاصلهم[2]، وقيل: أراد شدة المَصَرَّتين حتىٰ يحفظان البول والغائط ولا يسترخيان، قيل: الإرادة[3].

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝٢٨﴾ أهلكنا هؤلاء الكفرة وبدَّلنا خيرًا منهم وأطوع لنا طاعة.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عِظَةٌ من الله تعالىٰ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ

---

(١) انظر تفسير مقاتل ٣/ ٤٣٢، وقد سبق ذكر ذلك في تفسير سورة فصلت، والمصنف ذكر القصة في تفسير سورة غافر.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ١١٨.

(٣) أي إذا أراد استرخىٰ فأخرج، وهو مروي عن قتادة قال: الأسر هو الشرج، وذلك مصري الإنسان، تسترخيان عند الغائط ليسهل خروج الأذىٰ، فإذا خرج انقبضا (تفسير السمعاني ٦/ ١٢٣).

سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ طريقًا لنجاته.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ من اتخاذ السبيل والعمل بالخير ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ حكم بما هو كائن وبما يكون.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ﴾ يُكرِم مَنْ يشاء بدينه ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ مؤلمًا مُوجعًا.

والرحمة الجنة، والظالمين: منصوب معطوف علىٰ الأول، أي: يُدْخِل الظالمين في عذابه.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [قال]: «مَنْ قرأ سورة الدَّهر كان جزاؤه علىٰ الله تعالىٰ جَنَّة عَدْنٍ وحريرا»(١).

* * *

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ١٩٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٣.

سورة المرسلات

مكيَّة[١]، خمسون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١﴾ هم الملائكة تباعًا كعرف الفرس، هي جمع الجمع، كرجال ورجلات، وتنزل بالمعروف أيضًا[٣].

﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢﴾ هي الرياح الشديدة ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣﴾ هي: البعث يوم القيامة، ينشر المؤمن[٤].

وقيل: هي المطر[٥].

﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤﴾ القرآن أنزله الله آية آية ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥﴾ المُنْزِلات وحيًا[٦]. قال: مقاتل يعني جبريل.

وقيل: هو الملائكة، قال ابن عباس: هم الملائكة[٧].

﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦﴾ حُجَّةً وتخويفًا، أو: بمعنىٰ الواو، يعني إعذارًا وإنذارًا[٨].

---

(١) في قول الجمهور (الكشف والبيان ٢٨/ ٢٦٧، زاد المسير ٤/ ٣٨٢).

(٢) في عد الجميع، كما في البيان في عد آي القرآن ٢٦١.

(٣) في قول مسروق وأبي صالح (تفسير الطبري ٢٤/ ١٢٤).

(٤) غريب، وقد نقله أبو الليث في تفسيره ٣/ ٥٣١.

(٥) الكشف والبيان ٢٨/ ٢٧٣.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٣١.

(٧) في رواية العوفي عنه (تفسير الطبري ٢٤/ ١٢٨).

(٨) وهو قول قتادة (تفسير الطبري ٢٤/ ١٢٩).

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ هذا موضع القَسَم، يعني: القيامة[١].

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ كالطمس على الكتاب لأنه يذهب نور النجوم ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ شُقّقت وانفطرت بعد أن كانت سقفًا محفوظا.

فأول تحوُّل السماء أن تصير واهية، ثم الانشقاق، ثم الانفتاح، ثم الانفراج، ثم تتلاشى فتصير كأنها لم تكن.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ قُلعت من أصلها.

فأول شيء من تبدُّل الجبال قلعها، ثم سيرها، ثم كسير السحاب، ثم كونها كالعهن، ثم بسها وإمهالها، ثم انتسافها، ثم صيرورتها منثورًا، ثم تلاشيها حتى استوت بالأرض؛ فتصير قاعًا صفصفًا، لا ترى فيها عوجًا ولا أمْتًا.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾ بُدّلت الواو بالألف، وقُرئ: وُقِّتت على الأصل[٢]، أُحضرت وجُمعت لوقتٍ جُعل لهم.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢﴾ أي: أُخِّرت، يعني: الطمس والنسف وجمع الرسل وغير ذلك.

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣﴾ والقضاء ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤﴾ تعظيمًا له، أي: لم تكن تعلم ما يوم القيامة، وما أعدَّ فيه من الثواب والعقاب لأولياء الله وأعدائه ما لم يأتك خبرٌ من الله عزَّ وجل.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ للرسل بالوعد والوعيد، والويل: دعاء بالهلاك والشدائد والأهوال العِظَام.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٥.

(٢) قرأ أبو عمرو وابن وردان وابن جماز بخلف: وقتت، وقرأ الباقون: أقتت (النشر ٢/ ٣٩٦).

وقيل: معناه ويلٌ للمكذِّبين بما سبق ذكره في هذه السورة من صفات القيامة(١).

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ من الأمم الماضية عند التكذيب ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي: سنُلحق بهم الغابرين من الكافرين ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ وهم كفار مكة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾(٢) للرسل وبهذا الوعيد.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ يا أهل مكة، أَخْبرهم ببدء خلقهم ومكثهم في أرحام الأمهات ليعتبروا؛ فلا يُكذِّبوا بالبعث، والمهين: الضعيف.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ رحم المرأة، والمكين: الحريز.

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾ أجل مؤقت: تسعة أشهر أو ما شاء الله.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ مُكْثكم في الأرحام(٣).

﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ وقُرِئ: بالتشديد فقدَّرنا، خلقكم من النطف، ثم قال: فنعم القادرون؛ جمع بين الفعلين، كقوله ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ تكفتهم وتضمُّهم ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ والكفت في اللغة: الجمع، ومعناه كِنًّا وسِترًا للأحياء في البيوت والأسراب، وللأموات في القبور والأجداث(٤).

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ جبالاً ثوابت مرتفعات في الهواء ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾ من السحاب ﴿مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ عذبًا حُلوًا طيِّبًا نميرًا فراتًا لا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٨.
(٢) ولم يكرر كتابة هذه الآية، في بعض مواضعها، كما فعل في سورة الرحمن.
(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٣٣.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٧، البسيط ٢٣/ ٩٠.

زغافا ولا مُرًّا ولا ملحًا، ولكن ماء زلال بالغ في العذوبة.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٩﴾ وهو المحشَر ثم النار لأنهم كانوا يُكذِّبون به.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ٣٠﴾ قال الكلبي رحمه الله: يُنطلق بأهل النار إلىٰ النار حتىٰ انتهوا إليها خرج منها لسانان من النار، فأحاطوا بهم، فيكونا عليهم كالسُّرادق، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ ثم يخرج من ذلك السرادق ثلاث شعب -أي فِرَق من الدخان- وهو قوله: ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ٣٠﴾ فتظلل ذلك السرادق عليهم، فيقيلوا فيه، فكان مقيل أهل الجنة في ظلال طاعاتهم، وهو قوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾ ومقيل أهل النار في ظلٍّ ذي ثلاث شُعَب[1].

﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ أي: لا كنين من الشمس التي فوق رؤوسهم، ولا طيب بارد ﴿وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١﴾أي لا يُنجيهم ذلك من لهب النار.

﴿إِنَّهَا﴾ يعني النار ﴿تَرۡمِي بِشَرَرٖ﴾ يعني تطاير منها شرر ﴿كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢﴾.

قال الكلبي: يعني قصور الأعاريب وخيامهم التي تُبنىٰ علىٰ الماء[2].

وقال مقاتل: شرر تلك النار في الكثرة عدد نجوم السماء وورق الأشجار، ولا يقع منها شيءٌ إلا علىٰ أكتاف الرجال[3].

ثم شبَّه سواد شررها فقال: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣﴾ أي: سود، والعرب تُسمِّي الإبل السود: صُفْرًا.

قال الشاعر:

---

(١) البسيط ٢٣/ ٩٤.

(٢) نقله في البسيط ٢٣/ ٩٧.

(٣) لم أجده في تفسير مقاتل ٣/ ٤٣٧.

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب[١]

والإبل قد يزداد سوادها إذا كانت مطلية بالقطران.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ مقدار أربعين سنة، عن مقاتل ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾ في هذه المدة ولا يحتجون.

قال الجُنيد: أنَّىٰ لهم أوان العُذر فيعتذروا، وأي عذر لمن أعرض عن منعمه، وكفر نعمه وأياديه[٢].

ولم يقل: «فيعتذروا»؛ لأنَّ معناه لا ينطقون[٣] بالحُجة ولا يؤذن لهم ثم يعتذرون[٤].

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ﴾ أي: الحكم بين الخلائق كلهم ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ﴾ يا أُمَّة محمد ﴿وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ من الأُمم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ﴾ لهم حِيلة ومكرٌ يقدرون عليه ﴿فَكِيدُونِ ٣٩﴾ واحتالوا لأنفسكم، لا تنجوا من عذابي[٥] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠﴾ بالإيمان والبعث.

ثم بيَّن الله مستقرَّ المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١﴾ أي: في خيام من الدُّرِّ، وظلال الأشجار، وعيون الأنهار ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ من طعام الجنة وشرابها، لا تخافون منه سوء عاقبة ولا داء ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ من الإيمان والطاعات في الدنيا.

---

(١) البيت للأعشىٰ، وهو في تهذيب اللغة ١٢/ ١٢٠، وتفسير أبي الليث ٣/ ٥٣٤، والكشف والبيان ٢٨/ ٢٩٣، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦٤.

(٢) الكشف والبيان ٢٨/ ٢٩٤.

(٣) في الأصل: يمطلون، وهو تصحيف.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٣/ ١٠٣، البسيط ٢٣/ ١٠٣، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٦٥.

(٥) البسيط ٢٣/ ١٠٥.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٤٤﴾ من المؤمنين في الجنَّة.

ثم رجع إلىٰ ذكر الكفار فقال: ﴿[وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ] ۝٤٥ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ۝٤٦﴾ كافرون لا حظَّ لكم من نعيم الجنة ﴿[وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٤٧] وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ﴾ وصَلُّوا ﴿لَا يَرۡكَعُونَ ۝٤٨﴾ لا يُصلُّون.

وقال بنو ثقيف: الصلاة مشقَّة علينا ما بقينا، فقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1].

﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ بقضيَّة الصلاة ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٠﴾ إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فلا حديث أصدق منه، ولا دعوىٰ أبلغ من دعوة محمد سيد المرسلين صلىٰ الله عليه وسلم.

قيل: إن تكرار قوله ﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ مفيد جدًا خلافًا لما قاله بعض أهل الزيغ، لأنه ذكر بين كل وعيد[2]، فصَّل كلامهم ثم بنىٰ عليه التوعيد، فكان التوعيد راجعًا إلىٰ ما يليه من الكلام، والله أعلم.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة والمرسلات كُتب له أنه ليس من المشركين المُكذِّبين»[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) وهو قول مقاتل، كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٥٣٥، والكشف والبيان ٢٨/ ٢٩٥.

(٢) في الأصل: لكل لو عيد.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٢٦٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٤.

سورة عمَّ يتساءلون

مكيَّة[١]، أربعون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ①﴾ الأصل فيه: عمَّا، فحُذفت الألف للتفرقة بين ما للاستفهام والخبر، كقوله ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

والأصل فيه -في عمَّ-: عن ما، إلا أن النُّون شاركت الميم في الغُنَّة فأُدغم فيه[٣].

والمعنىٰ: عن أي شيءٍ يتساءلون، توبيخ علىٰ صورة الاستفهام ثم بيَّن وقال: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ②﴾ يعني: القرآن، وأمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم كقوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾[٤].

وقيل: النبأ العظيم هو القيامة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾.

وقيل: هو البعث[٥].

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ③﴾ بين تصديقٍ وتكذيبٍ.

ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ رد عليهم اختلافهم، وقيل: حقًا ﴿سَيَعْلَمُونَ ④ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ⑤﴾ وعيد علىٰ إثر وعيد، أي: سيعلمون عند الموت ما يُفعل بالمكذبين.

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٨/ ٣٠١، زاد المسير ٤/ ٣٨٧.

(٢) وإحدىٰ وأربعون في البصري، البيان في عد آي القرآن ٢٦٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٧١.

(٤) وهو قول مجاهد (تفسير الطبري ٢٤/ ١٤٩).

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ١٥٠، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٣٦.

ثم نبَّه علىٰ قدرته: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦﴾ مقامًا ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ ثباتًا للأرض كيلا تميل ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨﴾ ذكورًا وإناثًا ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ استراحةً لأبدانكم ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ سترًا ومسكنًا تسكنون فيه ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ مطلبًا للمعيشة ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ غلاظًا، غلظ كل سماء خمس مائة عام ﴿وَجَعَلْنَا﴾ الشمس ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ وقَّادًا مُضيئًا[١].

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ يعني السحاب، وقيل: الرياح[٢].

﴿مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ أي: صبابًا، والماء مثجوج، وأقام الفاعل مقام المفعول، يُقال: ثججته فثج أي: أصببته فصب[٣].

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ﴾ أي بالمطر ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥﴾ يعني الحبوب كلها وألوان النبات ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ بساتين[٤] ملتفة.

وقال الزجاج: كل ما يحصد فهو حبٌّ، وكل ما تأكله الدواب فهو نبات[٥].

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝١٧﴾ ميعادًا، يبعث فيه الأولين والآخرين ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ يعني: تأتي كل أُمَّة مع إمامهم ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝١٩﴾ قُرِئ: بالتخفيف لأجل لفظ السماء، وبالتشديد لتكثير الأبواب[٦]، فصارت أبوابًا متشققة لنزول الملائكة[٧].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٧٢.

(٢) الكشف والبيان ٢٨/ ٣٠٨.

(٣) تهذيب اللغة ١٠/ ٤٧٠، البسيط ٢٣/ ١٢٤.

(٤) في الأصل: تين، سقطت: بسا.

(٥) معاني القرآن له ٥/ ٢٧٢.

(٦) قرأ الكوفيون بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتثقيل (النشر ٢/ ٣٦٤).

(٧) الكشف والبيان ٢٨/ ٣١٧.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ من أماكنها ﴿فَكَانَتْ﴾ فصارت ﴿سَرَابًا ۝٢٠﴾ أي: تُرىٰ كأنها سراب(١).

وقيل: صار ماءً بين السماء والأرض(٢).

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١﴾ ترصد أعداء الله، تشهق مرة وتزفر أخرىٰ، إلىٰ أن يُلقىٰ فيها أهلها فتسكن.

وقال أبو سهل: مِرصادا لأنَّها علىٰ الممر(٣).

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢﴾ وهم الكفار، أي: مرجعًا لهم ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ والحقب الواحد: ثمانون سنةً، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، وكل يوم ألف سنة من أيام الدنيا.

وقد فسَّروه بغير هذا التفسير من المقادير، وهذا أقرب، ذكره الكلبي رحمه الله.

ولا تعلُّق في هذه الآية لمن ينكر التأبيد في النار، لأنَّ الله تعالىٰ ذكر الأحقاب ولم يُقدِّره، لأنه لم يقل: مائة حقب، ولا ألف حقب، ولكن قال: أحقابًا، فكلما مضىٰ حقب يخلفه حقب آخر، إلىٰ ما لا يتناهىٰ(٤).

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ والبرد: النوم، لأن بالنوم تخرج الأنفس فتبرد الأجسام، ولا شرابًا باردًا، إنما يشربون: ﴿[إِلَّا] حَمِيمًا﴾ حارًّا ﴿وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ منتنًا.

قوله: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ أي جوزوا وفق أعمالهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ لا يقرُّون بالبعث ﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾ وقيل: لا يخافون الحساب.

---

(١) البسيط ٢٣/ ١٢٦.

(٢) غريب لم أقف عليه.

(٣) الكشف والبيان ٢٨/ ٣١٨.

(٤) وهو معنىٰ قول الحسن (الكشف والبيان ٢٨/ ٣٢٥).

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾ بالتشديد، وهو مصدر مكذب، وقُرئ: «كِذَابًا» مصدر آخر منه(١).

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ كتبناه في للوح المحفوظ ﴿كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟﴾ أي: يُقال لهم ذوقوا ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ على العذاب.

قال ابن عباس والضحاك: هي أشد آية في القرآن(٢).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١﴾ والمفاز والفلاح واحد، أي: يفوزون بالبقاء في الجنة، ثم فسَّر المفاز وهو موضع الفوز(٣):

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢﴾ بساتين فيها كُرمٌ ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ أي: جوارٍ [لسن] بِسنٍّ صغارٍ لا يصلحن للغشيان، ولا كبارًا يُعاف مسيسهن.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾ والدِّهاق: الملأىٰ، والكأس: إذا لم يكن فيه شراب لا يُسمَّىٰ كأسًا(٤).

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي: في الشراب يمينًا كاذبة ﴿وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥﴾ تكذيب بعضهم لبعضٍ؛ كما في شراب الدنيا، يشربون الحرام ويلغون ويَكذبون ويُكذبون ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦﴾ كافيًا، من قولهم: حسبي ذلك، أي: كفاني.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧﴾ لا يقدر الخلق أن يكلموه إلا بإذنه.

---

(١) قرأ الكسائي بتخفيف الذال (النشر ٢/ ٣٩٧).

(٢) أي على الكفار، هكذا رواه الطبري في تفسيره ٢٤/ ١٦٩ عن عبد الله بن عمرو، ونقله الواحدي عن الضحاك (البسيط ٢٣/ ١٣٦).

(٣) البسيط ٢٣/ ١٣٦.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ١٧٣، تهذيب اللغة ٥/ ٣٩٤، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٧٥.

وقيل: لا يملك أحدٌ شفاعة لغيره إلا بإذنه.

ولا حُجَّة في الآية لمن أنكر رؤية الله لأن هذا يكون من وقتٍ دون وقتٍ.

ولأنَّ هذا موصول بقوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ وذلك الوقت لا يُكلِّم أحدٌ أحدًا من هَيْبَة رب العرش وهول يوم الحشر.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ ملكٌ علىٰ صورة الإنسان، يقوم عن يمين العرش صفًا واحدًا، ويقوم الملائكة كلهم صفًا.

وعن مجاهد: أن الرُّوح خَلْقٌ ليسوا من الملائكة، لهم رؤوسٌ وأيدي وأرجل، وهم يأكلون ويشربون.

ولعله استدلَّ عليه بقول الله تعالىٰ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [فرق][1] بين الروح والملائكة.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بالشفاعة ﴿وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ أي: قال في الدنيا قولاً صوابًا، وهو شهادة أن لا إله الله محمد رسول الله.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الكائن لا مُحالة، وهو حق أي: عدل ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ أي: مَرجعًا بالطاعة فليتخذ.

ثم خوَّف كفار مكة: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ في الآخرة، إن كل ما هو آتٍ قريب ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ورِجلاهُ وعيناه، أي: يرىٰ كل أحد ثواب طاعته وعقاب ومعصيته.

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾ قال مقاتل: يجمع الله تعالىٰ الدواب والوحوش والسِّباع والطيور فيقضي بينهم، حتىٰ تقتص الجماء من القرناء، ثم يقول

---

(١) هاهنا كلمة ساقطة، لا يصعب تخمينها، لعلها كما أثبت أو: عطف، أو: غاير.

الله تعالىٰ لهم: من ربكم؟ فيقولون: الرحمن الرحيم، وكان الخلائق كلهم وقوفًا ينظرون إليهم، فيقول لهم عزَّ وجلَّ: أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم، وكنتم لي مطيعين أيام حياتكم، فارجعوا إلىٰ الذي خلقتُكم، فيصيرون ترابًا، وذلك التراب هي القَتَرة التي ترهق وجوه الكفار لقوله ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١﴾.

فحينئذ يتمنَّىٰ الكافر أن يكون ترابًا، أي: يتمنىٰ أن يكون خنزيرًا أو دُبًّا فيصير ترابًا ولا يُحاسب بعمله(١).

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ [قرأ] سورة عم يتسائلون سقاه الله تعالىٰ برد الشراب يوم القيامة»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٤٤٤.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٣٠٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٥.

سورة النازعات

مكيَّة[١]، وهي خمسٌ وأربعون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١﴾ هم الملائكة ينزعون الأرواح من الأبدان[٣].

قال مقاتل: هو ملك الموت يُخرج روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصُّوف المُبتل، يخرج نفسه من حلقه كما يخرج روح الغريق في الماء[٤].

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢﴾ هو ملك الموت ينشط روح الكافر من قدَمه أو حَلْقه نشطًا عنيفًا. وقيل: تنشط روح المؤمن كما ينشط العِقال من يَدِ البعير بالرفق[٥].

قال أبو سهل: النازعات: هم الرُّماة في سبيل الله، وهو الذي ينزع القوس من النبل إغراقًا، والناشطات: اللذين ينشطون من وادٍ إلىٰ وادٍ كما ينشط الثَّور البري من أرضٍ إلىٰ أرضٍ[٦].

ثم قال: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣﴾ هي: الخيل إذا جرَتْ بالفرسان جريًا شديدًا ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤﴾ هي الخيل العراب تسبق البراذين إلىٰ الغارة[٧].

---

(١) بالإجماع، الكشف البيان ٢٨/ ٣٦١، زاد المسير ٤/ ٣٩٣.

(٢) وست في الكوفي (البيان في عد آي القرآن ٢٦٣).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ١٨٥.

(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٤٤٥.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ١٨٧، الكشف والبيان ٢٤/ ١٨٧.

(٦) وهذا علىٰ قول عطاء، رواه الطبري ٢٤/ ١٨٦، البسيط ٢٣/ ١٥٦.

(٧) وهو غريب، حكاه الماوردي عن ابن شجرة (النكت والعيون ٦/ ١٩٣)، وعنه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٣٩٤.

وقيل: طيران الملائكة في السماوات يسبقون الشياطين بالوحي إلىٰ الأنبياء(١).

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ هم الملائكة فوَّض لهم تعالىٰ تدبير العباد ...(٢)، مثل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل(٣).

وقيل: هم أمراء أجناد الغُزاة، يُدبِّرون أمر الحرب.

وهذه كلها قسمٌ، وقيل: جوابه محذوف، ومعناه: لتبعثن(٤) وقيل: جواب القسم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾ والبعث أولىٰ بكونه جوابًا.

بيَّن متىٰ يُبعثون فقال: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ والراجفة: الاضطراب، أي: تزلزل الأرض في النفخة الأولىٰ ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ النفخة الثانية ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ أي مضطربة ﴿أَبۡصَٰرُهَا﴾ وتلك القلوب ﴿خَٰشِعَةٞ ۝٩﴾ خاضعة ذليلة، وهم الذين كانوا مُنكرين للبعث، قيل: القلوب مضطربة والأبصار خاشعة شاخصة(٥).

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠﴾ وهو أول حال الرجل وشبابه لغةً، والمُراد به: الحياة الثانية، وهو إنكار البعث.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١﴾ باليةً، وقُرئ: ناخرةً.

﴿قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢﴾ أي: ذات خسر، وقيل: مخسرة، يعني: لو بُعثنا خسرنا ولكن كُذِّب محمد، ولعنهم الله علىٰ إنكارهم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣﴾ أي: صيحةٌ من صيحات إسرافيل يسمعونها وهم في بطون الأرض ﴿فَإِذَا

---

(١) وعليه الجمهور (البسيط ٢٣/ ١٦٦).

(٢) في الأصل هنا: اتيهم، وهي مقحمة لا معنىٰ لها، وقد ذكر هذا القول أبو الليث في تفسيره ٣/ ٥٤٢.

(٣) نقل الواحدي الإجماع علىٰ هذا القول (البسيط ٢٣/ ١٦٧).

(٤) وهو قول الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٣١.

(٥) الكشف والبيان ٢٨/ ٣٨٠.

هُم﴾ جميعًا ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ أي: وجه الأرض[١].

وقيل: الساهرة اسمٌ من أسماء القيامة لأنها تسهر، ولأن نوم الخلائق وسهرهم علىٰ الأرض[٢].

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ المُطهَّر ﴿طُوًى ۝١٦﴾ أي: لم يكن لك ولا لقومك به علمٌ لأنه بمَدْيَنَ.

وطُوىٰ: اسم وادٍ كلَّم الله فيه موسىٰ، ولكن أخبرتك عن حاله، ناديته ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧﴾ أي: تكبَّر وعلا وادَّعىٰ الربوبية ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ أي: تزَكَّا وحِّدْ وتفعل الخير ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩﴾ أدُلك علىٰ وحدانية الله وصفاته فتوحدوه.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٢٠﴾ اليد والعصا ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ۝٢٢﴾ أي أعرض عن الحق وهو يسعىٰ في غلبة موسىٰ وقهره بجمع السحرة ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣﴾ جمعهم وقال في خُطبته: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ أي: ربكم ورب أصنامكم ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ أي: عاقبة عقوبة كلمته الأخيرة؛ وكلمته الأولىٰ: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ والآخرة قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾، وكان بين كلمتيه عشرون سنةً، وأخذه الله بعد كلمته الآخرة بأربعين سنةً[٣].

ويُقال: نكال الأولىٰ الغرق ونكال الآخرة النار[٤].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما نزل من القرآن ﴿لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾ فاعتبروا به يا أهل مكة.

---

(١) وهو المشهور من أقوال أهل التأويل وقول جميع أهل اللغة وأكثر المفسرين كما قال الواحدي (تفسير الطبري ٢٤/ ١٩٧، البسيط ٢٣/ ١٨٢).

(٢) غريب، لم أقف عليه.

(٣) تنوير المقباس ٥٠٠.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٤٣.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾[١] وتمَّ الكلام ههنا، ثم ابتدأ فقال: ﴿بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي سقفها في الهواء ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ من الفطور والعيوب ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلم ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ أبرز قمرها، وقيل: شمسها.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ معناه مع ذلك، ويُقال: بعد خلق السماء دحاها أي بسطها على وجه الماء ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ ثبّتها على وجه الأرض ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ لكم حُبوبها ولأنعامكم قشورها.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ وهي الصيحة التي تَطُمّ كل شيء، أي: تعلو.

وجواب الكلام محذوف، وجوابه: علموا وعاينوا ما وُعدوا[٢].

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ أي يندم على ما فعَل، وهو النَّضْرُ بن الحارث.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أي: أخرجت وأظهرت لكل ذي عينٍ وبصرٍ.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ تكبَّر وعصى ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ على الآخرة ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ أي: مأواه، والألف واللام: تدل على الضمير[٣].

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي: قيام نفسه بين يدي ربه للحساب ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي: مأواه.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ متى وقتها وقيامها.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ أي: فيما أنت من علمها وأنت لا تعلم ذلك.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ أي: غاية علم قيامها.

---

(١) أتم الآية في الأصل، والتمام المذكور على لفظة: السماء، بدليل أنه سيعيد لفظة: بناها.

(٢) وقال الزجاج: جوابه ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ (معاني القرآن ٥/ ٢٨١).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٨١.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ۝٤٥﴾ بالقرآن تخوفهم بها.

﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾ في نعيم الدنيا وسرورها ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ أي: كأنهم إذا عاينوا أهوال القيامة لم يَلْبَثوا في الدنيا إلا عشيةً من أخر النهار، أو ضحاها: وهو أول النهار.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة النازعات لم يكن قدر حسابه يوم القيامة إلا بقدر صلاة مكتوبة ثم يُدخله الله الجنة»[1].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٣١٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٦.

سورة عبس

مكية(١)، وهي أربعون آية(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ هذا الخطاب لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وفي هذا الخطاب كرامة ومَزِيَّة لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، لأنه ذكر عبوسه ولم يخاطبه، وكره أن يخاطبه بالعبوس، فلم يقل: عبست، فلما تجافىٰ الكلام عن العبوس خاطبه وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾.

وقضية ذلك: أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان جالسًا مع عَمِّه العبَّاس بن عبد المطلب، ومع أُميَّة بن خلف، وهو مُقْبِلٌ بوجهه عليهما طمعًا في إسلامهما، فبينما هم علىٰ ذلك إذ دخل عليه عبد الله بن أم مكتوم، وهو عبد الله بن سرح الأعمىٰ، فقال: يا رسول الله عَلِّمني مما علَّمك الله، فعبس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بوجهه وأعرض عنه، وأقبل علىٰ العبَّاس وأُميَّة بن خلف.

وقال مُجاهد: كان عنده عُتبة وشيبة(٣).

فأنزل الله تعالىٰ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ أَعْرَضَ محمد عن جواب الأعمىٰ إذ جاءه(٤).

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٨/ ٤١٣، زاد المسير ٤/ ٣٩٩.

(٢) في الشامي، وإحدىٰ وأربعون في المدني الأول والبصري، واثنتان وأربعون في الباقي (البيان في عد آي القرآن ٢٦٤).

(٣) رواه الطبري في التفسير ٢٤/ ٢٢٠.

(٤) روي عن عائشة وعن ابن عباس من طريق العوفي، وطائفة من التابعين، انظر: تفسير الطبري ٢٤/ ٢١٧، الكشف والبيان ٢٨/ ٤١٦، زاد المسير ٤/ ٤٠٠.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ يا محمد، عدل عن المغايبة إلىٰ المخاطبة ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ أي: يتزكّىٰ، يصلح بما سألك عن علمه ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾ أي: يتعظ لموعظتك فتنفعه العِظَة.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ يقول: من استغنىٰ عن الله بزعمه؛ أو استغنىٰ عن موعظتك؛ فأنت له تصدّىٰ.

وأصله: تتصدد لأن الصَّدَدَ هو القرب، يعني: يتقرَّب إليه، ولكن اجتمعت ثلاث دالاتٍ فقُلبت الدال الأخيرة ياء، كقوله: يتمطىٰ.

﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ أي: لم يصلح ولم يُؤمن مَنِ استغنىٰ عن الله.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩﴾ أي: يسعىٰ في المشي إلىٰ مرضات الله ويخشىٰ ربه بقلبه، وقيل: يخشىٰ في المشي كعادة العُمْيَان.

﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ تتشاغل وتعرض بوجهك عنه.

قيل: ما عبس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة في وجه فقير قط، ولا تصدّىٰ قط، حتىٰ لَحِقَ بالله.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١﴾ هو ردع، يعني: لا تفعل مثله يا محمد، إنها تذكرة، أي: هذه السورة تذكرة موعظة.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ أي: اتعظ به.

﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣﴾ أي: هذا القرآن مكتوب في كُتب مُكَرَّمَةٍ علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ الملائكة ﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾ إلىٰ السماء السابعة ﴿مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤﴾ من أيدي الكفرة، بل هو ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥﴾ وهم ملائكة في السماء الدنيا ﴿كِرَامِۭ﴾ علىٰ الله تعالىٰ ﴿بَرَرَةٖ ۝١٦﴾

جمع بَارٍّ، وهو: المطيع[١].

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أي: لُعن الكافر وهو عُتبة بن أبي لهب ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ لربِّه، علىٰ وجه التعجُّب حيث كَفَرَ: «بالنجم إذا هوىٰ»[٢].

﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨﴾ أي: هَلا يتفكَّرُ في أصل خِلقته، وهو: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩﴾ علىٰ ما يشاء من خلقه ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠﴾ أي سبيل الخروج من بطن أُمِّه، وقيل: سبيل الخير والشر[٣].

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١﴾ أي: جعله ممن يُقْبَر ولا يُطرَح في المزابل كالبهائم.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ أحياه بعد الموت.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣﴾ أي: لم يَقُمْ بأمر الله تعالىٰ فيما أمره.

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤﴾ وليتأمل فيما أنعم الله عليه ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥﴾ أنزلنا المطر إنزالاً ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦﴾ صدعناها بالنبات صَدْعًا ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧﴾ أي: أنواع الحبوب ﴿وَعِنَبٗا﴾ كُرومًا ﴿وَقَضۡبٗا ٢٨﴾ وهو القَتّ ما يبس[٤]، والقضب: الرطب[٥].

﴿وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠﴾ أي: البساتين فيها أشجار غلاظ طِوال

---

(١) البسيط ٢٣/ ٢٢٠.

(٢) وهو قول مقاتل (الكشف والبيان ٢٨/ ٤٢٨).

(٣) قولان مشهوران، واختار ابن جرير الأول لدلالة السياق (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٢٤، البسيط ٢٣/ ٢٢٣).

(٤) تهذيب اللغة ٨/ ٢٧٢، البسيط ٢٣/ ٢٢٩.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٨، تفسير الطبري ٢٤/ ٢٢٦، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٨٦، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٤٨، الكشف والبيان ٢٨/ ٤٤١، زاد المسير ٤/ ٤٠٣، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٢١.

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ والأَبَّ: الكلأ كله للدواب.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سُئل عن الأب، فقال رضي الله عنه: أيُّ سماء تُظِلُّني وأي أرضٍ تُقِلُني إذا قلت في كتاب الله ما لا أَعْلَم(١).

وعن عمر أنه سُئل عن الأب -وقد اختلفت الصحابة فيه- فقال عمر: آمنا به كُلٌّ من عند ربنا(٢).

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾ وهي التي تكون عند القيامة، صوت تصيخ(٣) الأسماع أن يُصمها ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾.

وقيل: معناه يَفرُّ المرء من أخيه: قابيل من هابيل، وأُمِّه وأبيه: محمد عليه الصلاة والسلام من أُمِّه وأبيه، وكذلك إبراهيم من أبيه آزر، وصاحبته: هو لوط النبي عليه السلام من زوجته(٤).

﴿وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾ هو آدم ونوح من أولادهما.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ يُشغله ويكفيه.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨﴾ لأهل السعادة، أي: مُضيئة من قيام الليل والتهجد.

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ عليها أثر السرور.

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٤٤٥.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير ٢٤/ ٢٢٩، بنحوه.

(٣) قال ابن جرير: «ذكر أنها اسم من أسماء القيامة، وأحسبها مأخوذة من قولهم: صاخ فلان لصوت فلان: إذا استمع له، إلا أن هذا يقال منه: هو مصيخ له، ولعل الصوت هو الصاخ، فإن يكن ذلك كذلك، فينبغي أن يكون قبل ذلك لنفخة الصور» (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٣١).

(٤) وهو مروي عن الحسن (الكشف والبيان ٢٨/ ٤٥٠).

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠﴾ غُبارٌ اغبرَّت بالبلاء الذي نزل بها.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١﴾ يعلوها سواد كالدُّخان.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ الكفرة بالله، الفجرة الكَذَبَة علىٰ الله.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي كعب أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحِك»(١).

---

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٤١٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٧.

سورة كوِّرت

مكية(١)، وهي تسع وعشرون آية(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١﴾ أي: جُمع ضوءها ونورها، كما تُلَف العمائم، فتُلقىٰ في حجاب النور(٣).

والكَور في اللغة هو الجمع، وفي الحديث: «نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكور» ومعناه التشتيت بعد الأُلفة، والتفريق بعد الجمع، والنقصان بعد الزيادة.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢﴾ أي: تساقطت وتناثرت، قيل: إن السماء تمطر حتىٰ لا يبقىٰ في السماء نجم، وانكدارها: انكبابها علىٰ وجهها(٤).

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣﴾ من أماكنها فصارت سرابًا، وسوِّيت الأرض كما كانت أول مرة.

﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤﴾ النوق الحوامل التي أتىٰ عليها عشرة أشهرٍ، عُطِّلت: أي عطَّلها أربابها اشتغالاً بأنفسهم، والناقة العُشَراء أحسن ما تكون جميع الأوقات، فلا تعطَّل إلا لأمرٍ صعبٍ(٥).

﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥﴾ جُمعت للقصاص؛ فيقتص بعضها من بعضٍ(٦).

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٨/ ٤٦١، زاد المسير ٤/ ٤٠٥.

(٢) وفي عد المدني الأول وثمان (البيان في عد آي القرآن ٢٦٥).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٢٣٨، الكشف والبيان ٢٨/ ٤٦٥، البسيط ٢٣/ ٢٤٥.

(٤) الكشف والبيان ٢٨/ ٤٦٧.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٥٠.

(٦) وهو قول قتادة، ورجحه ابن جرير لأنه المشهور من لغة العرب (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٤٢).

وقيل: حَشرُها موتها[١]، والأول أجود.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ فُجِّر بعضها في بعضٍ، والعذب والمالح صارا شيئًا واحدًا، والبحار كلها بحرًا واحدًا[٢].

وقيل: مُلئت من الماء ثم سيلت[٣] حتىٰ بلغت الثور الذي علىٰ قرنه الأرضون، فإذا بلغته فتح فاه فابتلعها كلها، فإذا وقعت المياه في جوفها يبست البحار.

وقال مقاتل: سجرت معناه أوقدت وجعلت نيرانًا؛ يُعذَّبُ بها أهل النار، وري ذلك عن علي رضي الله عنه[٤].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ أي: زُوِّجت نفوس المؤمنين بالحور العين، ونفوس الكفار بالشياطين[٥].

وقال ابن عمر: زُوِّج الصالح مع الصالح، والفاجر مع الفاجر، واليهودي مع اليهودي، والنصراني مع النصراني[٦].

وقال عكرمة والشعبي: زُوِّجت أي رُدَّت الأرواح إلىٰ الأجسام[٧].

وقيل: قُرنت بأعمالها.

---

(١) وهو مروي عن ابن عباس من طريق عكرمة (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٤١، الكشف والبيان ٢٨/ ٤٧٠).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٥٠.

(٣) في الأصل: سبلت.

(٤) وهو قول الثوري وابن زيد (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٤٣).

(٥) من رواية عطاء عن ابن عباس، وهي منقطعة (البسيط ٢٣/ ٢٥٥).

(٦) رواه ابن جرير في التفسير عن عمر ٢٤/ ٢٤٤. والمصنف ذكره عن ابن عمر، فلعله هكذا في مصادره.

(٧) الكشف والبيان ٢٨/ ٤٧٩.

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩﴾ وكانوا في الجاهلية يدفنون البنات في التراب وهي في حياتها، كراهية لها، وإنما تُسأل تفزيعًا لقاتلها، لأنَّ جوابها: إنما قُتلت بغير ذنبٍ.

وقُرئ: «وإذا الموؤدة سَألت»، يعني: سَألت أبويها بأيِّ ذنبٍ قُتلت[1].

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ لأن المرء إذا مات طُويت صحيفته، فإذا حُشر يوم القيامة نُشرت صحيفته، فيُعطىٰ كتابه مسطور إما بيمينه أو بشماله.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «يُؤتىٰ برجلٍ يوم القيامة، ثم يُؤتىٰ بتسعٍ وتسعين سِجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيها خطاياه وذنوبه، ثم توقر بالميزان فتوضع في كفة، ثم يخرج له بقرطاسٍ مثل هذا» -وأشار الراوي وهو عبد الرحمن بن عوف بإصبعه، وأمسك بإبهامه علىٰ نصف إصبعه- «فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله تُوضع في الكفَّة الأخرىٰ، فترجح علىٰ خطاياه وذنوبه»[2].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ قال الكلبي: نُزعت من أماكنها فطُويت.

وقال الزجاج: قُلعت كما تُقلع الصخرة، يُقال: كشطت الحبل عن ظهر الفرس وقشطتُه واحد؛ إذا كشطته، والكاف بدل عن القاف، كما يُقال: لبكتُ الشيء ولبقته؛ إذا خلطته[3].

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢﴾ بالتشديد[4]، مرة بعد مرة: أُوقدت

---

(١) وهي قراءة شاذة، نسبت لجابر بن زيد وأبي الضحىٰ، الكشف والبيان ٢٨/ ٤٨٥.

(٢) بحو هذا حديث البطاقة، رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، رواه الترمذي ٢٦٣٩.

(٣) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩١، مع اختلاف في العبارة.

(٤) قرأ أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وحفص وشعبة بخلف: بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف (النشر ٢/ ٣٩٨).

للكفار(١).

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾ قُرِّبت للمتقين، ويحتمل أن معناه: دَنَا دخول أهلها فيها.

وجواب هذه الكلمات كلها: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ من خيرٍ أو شرٍ، وأثيبت علىٰ قدر عملها.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥﴾ هي النجوم الخمسة السيَّارة التي تقطع المجرة، وهي: زُحل والمشتري والمريخ والزُّهرة والعُطارد(٢). سُميت: خُنَّسًا لرجعتها في مجراها واستتارها(٣) في مكانها(٤).وقال الكلبي: لأنها تخنس بالنهار وتظهر بالليل(٥).

﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ فالجوار جمع جارية(٦)، إنما ذكرها بلفظ التأنيث لأنها أموات لا عمل لها بنفسها؛ إلا ما سُخِّرت له، كالنار عملها للإحراق، والماء عملها للإرطاب.

والكُنَّس: جمع كانس من الوحش التي تستخفر في ظلٍ، كالظباء، سُميت كانسة: لأنها تكنس في ظلالها، والنجوم الكانسة: التي تدخلً في كناسها، وهو مستَتَرها(٧).

---

(١) الكشف والباين ٢٨/ ٤٨٩، البسيط ٢٣/ ٢٦٢.أ

(٢) ويسمىٰ المريخ: بهرام، تفسير الطبري ٤/ ٢٥١، الكشف والبيان ٢٨/ ٤٩١.
ويسمىٰ المشتري: البرجيس (معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٢).

(٣) في الأصل: واستنارها.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٢، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩١.

(٥) وهو قول من قال: إنها النجوم، ولا يختص به الكلبي. البسيط ٢٣/ ٢٦٥.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٢.

(٧) وهو القول الثاني في الخنس، وبه قال ابن مسعود (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٥٢) ومال الطبري إلىٰ هذا القول، لأن المكانس مأوىٰ الظباء وما شابهها من البقر الوحشي (تفسير الطبري

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ أقبل وأدبر، وهو ابتداء الظلام وباقي الظلام من آخر النهار[١].

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ أسفر وأضاء.

وجواب القسم في هذه الأشياء: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ علىٰ ربه، أي: قراءة جبريل، نزل به من عند رب العالمين.

ثم وصف جبريل فقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شدَّةٍ، ومن قوته أنه رفع قُريات لوط إلىٰ السماء أو قريب منها مع كثرة الخلائق فيها وألقاها بمَنْ فيها.

﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾ أي: ذو جاهٍ وقدرٍ ومنزلةٍ عند الله تعالىٰ.

﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ يعني: في أهل السماوات، وثَمَّ: إشارة إلىٰ مكانٍ بعيدٍ ﴿أَمِينٖ ٢١﴾ علىٰ الوحي.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢﴾ وهذا أيضًا جواب القسم، يعني به النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣﴾ عند مطلع الشمس الأعلىٰ في صورته كما هو، وله سبعمائة جناح، عن أبي الأحوص[٢].

٢٤/ ٢٥٤)، لكنه قال: وغير منكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة علىٰ أن المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الظباء، فالصواب أن يعم بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحيانا والجري أخرىٰ، والكنوس بآنات علىٰ ما وصف جل ثناؤه من صفتها.

قلت: هذه إحدىٰ فوائد التفسير المأثور، وهو: التوسعة في الأقوال.

(١) ملخص من معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٢.

(٢) في تفسير الطبري ٢٤/ ٢٦٠ عن أبي الأحوص: وله ستمائة جناح.

وكان رآه من قبل ذلك في غير صورته، وهو دَحْيَة بن خليفة الكلبي[١].

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[٢] أي: ليس بُمتهم على وحي الله.

وقُرئ بالضاد: أي: ليس هو ببخيلٍ على وحي الله حتى يمنع عن الخلق ولا يُعلمهم.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ كما قال الكفرة: إنما يُعلِّمه شيطان يُقال له الرِّي[٣].

ثم قال: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يقول: أين تعدلون عن كتابي وأمري، وقال: أيُّ طريق تسلكون فيه أبين من هذه الطريقة التي بَيَّنت لكم.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هذا القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أي عِظة ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ ويُقيم على توحيد الله.

ثم ردَّ المشيئة إلى نفسه فقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ففيه إعلامٌ أن الإنسان لا يعمل خيرًا إلا بتوفيقٍ، ولا شرًّا إلا بخذلانٍ منه، وأنَّ الخير والشر بقضائه وقدره، يهدي من يشاء إلى الطاعة فضلاً، ويُضل مَن يشاء عدلاً، لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون، ونفع الأفعال وضررها للعباد، فلو كفر الخلق كلهم

---

(١) قال عامر الشعبي: ما رأى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورته إلا مرة واحدة، وكان يأتيه في صورة رجل يقال له: دحية، فأتاه يوم رآه في صورته قد سد الأفق كله، عليه سندس أخضر معلق الدر (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٦٠).

(٢) في الأصل: بظنين، بالمشالة، وعليها جاء التفسير، فالظنين: المتهم، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس، وطريق ابن مهران عن روح، وقرأ الباقون بالضاد (النشر ٢/ ٣٩٩).

(٣) وهذا منقول عن مقاتل والكلبي (انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٤٥٧، البسيط ٢٣/ ٢٨١، وتصحف في تنوير المقباس: المرمي).

لم ينتقص من مُلك الله قدر ذرةٍ، ولو آمنوا كلهم وخرُّوا جميعًا في سجدةٍ واحدةٍ إلىٰ نفخ الصور لم يزيدوا في مُلْكِ الله نقيرًا، تعالىٰ الله ما أعظم شأنه، وأجل برهانه.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن عبد الله بن عُمر عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَن أراد أن ينظر إلىٰ يوم القيامة رأي العين فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»[1].

قال: وبلغنا عن أُبي بن كعب عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة كُوِّرت أعاذه الله أن يُفضحه حين تُنشر صحيفته»[2].

❁ ❁ ❁

(١) رواه أحمد ٤٨٠٦، والترمذي ٣٣٣٣، والثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٤٦٢. بإسناد جيد.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٨/ ٤٦٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٨.

سورة انفطرت

مكيَّة(١)، وهي تسع عشرة آية(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ معناه: انشقت وانفرجت يوم القيامة لنزول الملائكة وهيبة الرحمن(٣).

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ تهافتت وتساقطت.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣﴾ بعضها في بعضٍ فصارت كلها بحرًا واحدًا(٤).

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾ أُخرج ما فيها وقُلِّب ترابها، وبُعث المؤمن منها(٥).

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ أي: عملت بنفسها وسنَّت لغيرها من الطاعة والمعصية، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ فآثارهم: ما سَنُّوها واستنَّ بها غيرهم(٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ كان عمر رضي الله عنه [يقول]: إذا قيل لي ما غرَّك بربك الكريم؟ أقول: جهلي يا رب(٧).

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ٧، زاد المسير ٤/ ٤١٠.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٦٦).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٥.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٢٦٧.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٥٤.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٥٤، البسيط ٢٣/ ٢٩٢.

(٧) رواه ابن أبي حاتم عنه، كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٣٤٢، وإسناده لا يصح، وكذا روي عن ابنه وفي الإسناد ضعيف، وروي مرفوعا من وجه آخر لا يصح كذلك (الكشف والبيان ٢٩/ ١٢).

وقال منصور بن عمار: لو قيل ما غرَّك بربك؟ أقولُ: ما علمتُ من فضله علىٰ عباده[١].

وقال مقاتل والكلبي: نزلت الآية في كلدة بن أسيد، ضرب النبي مرة فلم يعاقبه الله، ثم قصد إليه مرةً أخرىٰ، فنزلت الآية[٢].

أي: ما غرَّك بربك أي لم يُعاقبك في الدنيا بكرمه تجاسرت عليه، وهو: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ بشرًا ﴿فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ أي: جعلك معتدلا ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ﴾.

قُرِئ: بالتشديد، يعني قوَّمَك، وبالتخفيف: أي صرفك[٣].

أَيْ: أَيِّ صورة ﴿مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ طويلاً وقصيرًا وصبيحًا وقبيحًا.

قال الفرَّاء: التثقيل في العربية أكثر استعمالاً[٤].

ثم ابتدأ فقال: ﴿كَلَّا﴾ أي: لم تستدلوا علىٰ توحيد الله تعالىٰ بهذه الأشياء ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ أي: الحساب والجزاء ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠﴾ من الملائكة يحفظون أعمالكم وأقوالكم ﴿كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١﴾ أي: كرامًا علىٰ الله يكتبون أعمالكم.

ذكر المُفسِّر الكبير: أنهم يكتبون بالسُّريانية، والحساب يكون بالسُّريانية، فإذا دخلوا الجنة تحوَّل لسانهم إلىٰ العربية[٥].

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ من الخير والشر فيكتبُون.

---

(١) روىٰ الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ١٥ نحو هذه القصص عن طائفة من العلماء.

(٢) وهذا منكر، ولا يعرف في الرواية (تفسير أبي الليث ٣/ ٥٥٤، البسيط ٢٣/ ٢٩٣).

(٣) قرأ الكوفيون بتخفيف الدال، وقرأ الباقون بتشديدها (النشر ٢/ ٣٩٩).

(٤) معاني القرآن ٣/ ٢٤٤.

(٥) وهذا من أباطيل مقاتل، وقد ذكرها في تفسيره ٣/ ٤٥٩.

قال أبو عثمان رحمه الله: مَنْ لَمْ يزجره[١] عن المعاصي محافظة الله ونظره إليه ومراقبته إياه فكيف يزجره محافظة الكرام الكاتبين.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ المُطيعين في دار الدنيا في نعيم الجنة في الآخرة.

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ أي: ظُلمة النار ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: الجحيم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾﴾ يوم يُدان لشأنه.

معناه: لا يعلمه أحدٌ بالحقيقة بالخبر ما لم يُعاينه.

ثم كررها وقال: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ ثم أخبر عنه فقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تقدر نفسٌ لنفسٍ شيئًا من شفاعة أو يُنجيه من عذاب.

قُرئ: رفعًا «يومُ لا تملكُ»؛ على الاستئناف، ونصبًا؛ على الظرف[٢].

قال أبو سهل: إن قيل: كيف يوم الدِّين في يوم لا تملك نفسٌ لنفسٍ شيئًا ويوم القيامة كله يوم واحد؟.

جوابه: أن يُقال يوم القيامة طُوله خمسون ألف سنة، فكل ساعة من ساعاتها مقام يوم تامٍّ في الدنيا، فهي في الجملة يوم، وفي العدد أيام كثيرة، فجاز أن يذكر ساعة منها في جملة اليوم لأنه قَدْر يوم في الدنيا.

قال أبو سهل: فاعرفه فإنه ظريفٌ.

﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ أي: الحُكم في ذلك اليوم كله لله يقضي بين العباد وحده.

---

(١) في الأصل هنا: يزجره الله، ولا معنىٰ لها.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالرفع في الميم، وقرأ الباقون بنصبها (النشر ٢/ ٣٩٩).

قال أبو معاذ: يوم لا تملك نصب على الصفة، وقيل: نصب لأنه أُضيف إلى غير متمكن[١].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة انفطرت أعطاه الله تعالى بعدد كل قطرة ماء حسنةً وأصلح الله شأنه يوم القيامة»[٢].

(١) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٧٥، الدر المصون ١٠/ ٧١٣.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٤٩.

سورة المطففين

مدنية(١)، وهي ست وثلاثون آية(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ الويل: كلمة تُقال لمَنْ وقع في عذاب وهلكة.

المطففون: الذين ينقصون بالمكيال والميزان، مأخوذ من طفَّ الشيء إذا قرب من أن يتم ولمَّا يتم بعد، وإنما يسمىٰ مطففًا لأنه يسرق الشيء اليسير بالمكيال والميزان، وكانوا يستخفُّون ذلك، فسُمُّوا مطففين(٣).

وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «كلكم بنو آدم طَفُّ صاعٍ لم يملأه»(٤) أي: انتقص شيء يسير من الامتلاء.

---

(١) الكشف والبيان ٢٩/ ٢٩، وحكىٰ في زاد المسير ٤/ ٤١٣ ثلاثة أقوال.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٦٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٧.

(٤) رواه أحمد في المسند ١٧٣١٣، وابن جرير في التفسير ٢٢/ ٣١٣ وفي إسناده ابن لهيعة ضعيف الحديث، وبعضهم قبل رواية العبادلة عنه، وهذا منها.
ولفظه: إن أنسابكم هذه ليست بسباب علىٰ أحد، وإنما أنتم ولد آدم، طف الصاع لم تملئوه، ليس لأحد علىٰ أحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح، حسب الرجل أن يكون فاحشا بذيا، بخيلا جبانا.
والمعنىٰ: أي قريب بعضكم من بعض. يقال: هذا طف المكيال وطفافه وطفافه: أي ما قرب من ملئه. وقيل: هو ماعلا فوق رأسه. ويقال له أيضا: طفاف بالضم. والمعنىٰ كلكم في الانتساب إلىٰ أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام. وشبههم في

وعن ابن عمر في ذكر السباق: طفف بي الفرس[١]، أي: انتقصَ من السبق شيءٌ يسيرٌ.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢﴾ يعني: إذا كان لهم على الناس يأخذونه وافيًا كاملاً في الكيل والوزن.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ﴾ معناه: كالوا لهم من عند أنفسهم، كقوله ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ أي: قدرنا له منازل، وفي آيةٍ أخرىٰ: ﴿تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ أي: تبغون لها[٢].

والهاء والميم: في موضع النصب[٣].

وقيل: هو في موضع الرفع معناه: كالوهم بأنفسهم[٤].

﴿أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ والكلام فيهما واحد ﴿يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾ يُنقصون في الكيل والوزن.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤﴾ بعد الموت ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾ هَوْله.

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ مَنْ قبورهم للمحاسبة يوقفون سبعين موقف، كل موقف ثلاثمائة عام[٥].

﴿كَلَّآ﴾ معناه حقًا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧﴾ أي: نسخة أعمالهم في سجين.

نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، ثم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوىٰ (النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٢٩).

(١) رواه مسلم ١٨٧٠.

(٢) الكشف والبيان ٢٩/ ٣٣.

(٣) وهو اختيار الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٩٨.

(٤) أي: كالوا هم، وهو غير راجح عند الزجاج والنحاس (إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٨).

(٥) تفسير مقاتل ٣/ ٤٦١.

ذكر الكلبي السجين هو: الصخرة الخضراء تحت الأرض السابعة، وهي التي عليها الأرضون، فَعَمَل الفُجَّار مكتوبٌ في الصخرة لا يصعد به إلىٰ السماء(١).

وقيل: السجين موضع إبليس في النار.

وقال أهل اللغة: السجِّين فعيل من السجن(٢).

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ عظم شأنه وعجب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من صفة سجين وعليين، ولم يُفسِّرهما ثم ذكر كتاب الفريقين في الموضعين فقال: ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ۝٩﴾ مكتوب فيه سيئاتهم ﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٠﴾ الجاحدين بالله وبالقرآن ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾ أي: ظلوم غشوم فاجر.

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ يعني الوليد بن المُغيرة ﴿كَلَّاۖ﴾ ليس كما يقول ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤﴾ الرَّين: الصَّدأ، أي: غلب علىٰ قلوبهم ظُلمة الكفر، كالصَّدأ يغلب جوهر السيف(٣).

روىٰ أبو هريرة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «إن المؤمن إذا أذنب كانت كنكتة سوداء في قلبه، فإن نزع وتاب واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتىٰ تعلوَ قلبه، فهو الرَّيْن الذي قال الله تعالىٰ ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ »(٤) وهو الذنب علىٰ الذنب حتىٰ يسود القلب ويموت.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٥٧، الكشف والبيان ٢٩/ ٥٢، البسيط ٢٣/ ٣١٧. وهو مأخوذ من الإسرائيليات فقد روي نحوه عن كعب الأحبار (الكشف والبيان ٢٩/ ٥٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٨.

(٣) البسيط ٢٣/ ٣٢٤.

(٤) رواه الترمذي ١٦٦٨، وابن ماجه ٢٨٠٢ ، والطبري ٢٤/ ٢٨٦ بإسناد حسن.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ وفي الآية دلالةٌ علىٰ رؤية الله في الآخرة، ولولا ذلك لما كانت في الآية فائدة.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ بعد ما يحجبون ﴿لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ أي: يدخلون النار ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم ﴿هَٰذَا﴾ العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ في دار الدنيا.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ ومعناه علوٌ علىٰ علوٍ، لأنه جمعه بالنون والتضعيف.

قال مقاتل: مكتوبٌ في القائمة اليُمنىٰ من العرش(١).

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾ عظم أمره.

وقال الفرَّاء: العليون اسمٌ موضوعٌ علىٰ صورة الجمع وصيغته، كقولنا عشرون وثلاثون(٢).

ثم قال: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ مكتوب في لوح من زبرجد تحت العرش، وفي قول مقاتل: علىٰ ساق العرش(٣).

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: يشهد عمله مُقرَّبوا كل سماءٍ حين رُفع من الأرض إلىٰ السماء ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ من الجنة.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ أي: السُّرر المضروبة فوقها حجال مُكللة بالدُّرِّ والياقوت ﴿يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إلىٰ أهل النار حين يُعذَّبون.

وقيل: ينظرون إلىٰ ما أعدَّ الله لهم(٤).

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٤٦٢.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٤٧.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٤٦٢.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٥٨.

﴿تَعۡرِفُ﴾ يا محمد ﴿فِي وُجُوهِهِمۡ﴾ إذا نظرت إليهم ﴿نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾ أي: حسنه وطراوته.

﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ﴾ أي: خمر طُيِّبَت بالمسك والكافور والزنجبيل ﴿مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ أي مَشُوبٌ بالمسك، وهو مختوم.

عن ابن مسعود: المختوم الممزوج[١].

وختامه مسك أي: طعمه وخَلْطه.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ الشراب ﴿فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ أي: فليتبادر المتبادرون في الأعمال الصالحة، وقيل: فليرغب الرَّاغبون.

﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: مزاج هذا الرحيق ﴿مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧﴾ وهو عينٌ تجري من فوق رؤوسهم، وبه سُمي تسنيمًا، وقيل: هو أشرف شراب في الجنة[٢].

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ يشربها ويشرب بها لغتان، أي: يشرب المقربون من هذه العَيْن خالصًا، وعامة أهل الجنة ممزوجة بها، لأنه قال ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧﴾، ثم قال ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ [وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ] ٣٠﴾ أجرموا: أشركوا في الدنيا، من الذين آمنوا يضحكون ويسخرون بهم.

كان أبو جهل والوليد بن المغيرة وأُميَّة بن خَلَف وأصحابهم إذا رأوا خباب بن الأرت ومقداد بن الأسود وسائر فقراء الصحابة يضحكون منهم، ويتغامزون بنظر العيون[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢٤/ ٢٦٧.

(٢) الكشف والبيان ٢٩/ ٨١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٠١.

(٤) الكشف والبيان ١٨/ ٨٥.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾[(١)] مُعجبين لضلالتهم، وقُرئ: «فكهين» مسرورين.

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ﴾ يعني: أصحاب محمد ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾ باتباع محمد ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ﴾ أي: ما أُرسل المجرمون ﴿عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣﴾ مُسلَّطين.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني يوم القيامة ﴿مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾ أي: عليهم يضحكون ويستهزؤن ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥﴾ إلىٰ الكفار وكيف يُعذَّبُون.

ويُقال: تفتح من النار إلىٰ الجنة فيُقال لهم: هلُمُّوا إلىٰ الجنة فيُسرعون إليها، فلما وفوا إلىٰ الباب أُغلق الباب دونهم، فبقوا في النار، فضحك أهل الجنة منهم[(٢)].

قال الله تعالىٰ: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ استفهام بمعنىٰ التقرير، هل جُوزِي الكفار بما جوزوا[(٣)] بأعمالهم الخبيثة[(٤)].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالىٰ من الرحيق المختوم»[(٥)].

---

(١) في الأصل: «فاكهين»، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة الجمهور، إلا أبا جعفر وحفصا (التيسير ٢٢١، النشر ٢/ ٣٥٤).

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٠٤، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٥٩.

(٣) في الأصل: جوزي.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٠١.

(٥) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٣١، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٠.

سورة إذا السماء انشقت

مكيَّة[١]، وهي خمس وعشرون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ الأصل أنَّ حَرْفَ إذا من جواب سؤال قد سبق، وقيل: سُئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن مُلاقاة الأعمال متىٰ وقتها؟ فنزل قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ انفرجت لنزول الملائكة[٣].

وقيل: بالغمام الأبيض، أُسقط علىٰ السماء فانشقت علىٰ ما سبق ذكره.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ أي: سمعت، وقيل: استمعت وأطاعت وحُقَّ لها ذلك.

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ بسطت بسط الأديم العكاظي، وسُوِّيت، فصارت قاعًا صفصفًا لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا[٤].

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ أي: ألقت الكنوز والأموال وتخلَّت [﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾][٥].

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ٩٣، زاد المسير ٤/ ٤١٩.

(٢) وفي البصري والشامي وثلاث آيات (البيان في عد آي القرآن ٢٦٨).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٠٩.

(٤) الكشف والبيان ٢٩/ ٩٦، زاد المسير ٤/ ٤١٩.

(٥) قال الزمخشري (في الكشاف ٤/ ٧٢٥): حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب. أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار. وقيل: جوابها ما دل عليه فملاقيه أيْ إذا السماء انشقت لاقىٰ الإنسان كدحه.

وانظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٠، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٠٣، البسيط ٢٣/ ٣٥٥.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ أي: إنك عاملٌ وساعٍ وتصير إلىٰ ربك بعمل أنت مُلاقيه، أي: ملاق ثوابه(١).

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨﴾ هينًا ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩﴾ مُستبشرًا.

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١﴾ واثبوراه واويلاه ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣﴾ بكفره لا يهمه أمر الآخرة.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ أي: لا يرجع إلىٰ ربِّه للبعث، ثم قال: ﴿بَلَىٰٓۚ﴾ ليرجعنَّ إلىٰ ربِّه لا مُحالة ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ۝١٥﴾ في الأزل، عالم به من غير حاجة إلىٰ اختبار وامتحان.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾ معناه: أقسم، وكلمة «لا» لرفع منازعة بين القوم في أمر البعث، أي: ليس كما تظنون أقسم بالشفق.

والشفق هو البياض، وقال بعضهم: الحُمْرَة(٢).

والبياض مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه(٣).

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ أي: ضم وجمع وردَّ إلىٰ مسكنه ما كان منتشرًا من الخلق، والوسق: الحمل أيضًا، والليل حامل للظُلمة والنجوم وغيرها(٤).

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ استكمل واستدار في الليالي البيض.

---

(١) المعنىٰ: ملاقٍ الله بعملك (تفسير الطبري ٢٤/ ٣١٢،).

(٢) أهل العراق علىٰ أن الشفق الحمرة، وعن مجاهد أنه البياض، وقيل هو من الأضداد (تفسير الطبري ٢٤/ ٣١٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٧٤.

(٤) الكشف والبيان ٢٩/ ١١٥، البسيط ٢٣/ ٣٦٥.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ أيها الناس، حالاً بعد حالٍ، ولا تمكثون علىٰ حالة واحدة، حتىٰ تصيرون إلىٰ الله تعالىٰ في الإماتة والإحياء.

وقيل: أراد به إسراء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من سماء إلىٰ سماء، عن الكلبي والشعبي[١].

وقال أبو سهل: الأصْوَب عندي أن المُراد به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ولكن أراد بيان حاله، أي: لا تبقىٰ يا محمد علىٰ حالة واحدة بل كل يوم تزيد منزلتك، ويعظم شأنك، حتىٰ تَعْلُوَهم، والطَّبق في الأصل هو الحال.

قال الشاعر:

إني امرؤٌ قد حلبت الدهر أشطره   وساقنى طَبَقٌ منه إلىٰ طبق[٢]

يعني: الحال.

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾ أي: ما الذي منعهم من الإيمان، استفهام بمعنىٰ الإنكار ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ٢١﴾ أي: لا يخضعون لله بالتوحيد.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ أي: يضمرون من عداوته ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من الذين يوعون عداوته ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ٢٥﴾ غير منقوص ولا مقطوع.

بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة انشقت أعاذه الله من أن يُعْطَىٰ كتابه وراء ظهره»[٣].

---

(١) وروي عن عبد الله وأصحابه، كما في تفسير الطبري ٢٤/ ٣٢٤، البسيط ٢٣/ ٣٦٩.

(٢) البيت للأقرع بن حابس،انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٨٠.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٩٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥١.

سورة البروج

مكية[١]، اثنتان وعشرون آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ يعني القصور.

وقيل: النجوم[٣]، وقيل: منازل عالية تأتيها حملة العرش، وقيل: منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر بُرجًا معروفة[٤].

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ القيامة[٥].

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ الشاهد الملائكة والمشهود بنو آدم[٦].

وقيل: الشاهد والمشهود الإنسان لا غير، لأنه جعل عليه منه شاهدًا، بقوله ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ أي: لُعنوا وهذا موضع القسَم[٧].

وقوله: قُتل، حمله بعضهم على المعذَّبين، وبعضهم على المعذِّبين، فإن أراد

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ١٣٥، زاد المسير ٤/ ٤٢٣.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٦٩).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٣١.

(٤) ورجحه ابن جرير في تفسيره ٢٤/ ٣٣١.

(٥) بالإجماع (البسيط ٢٣/ ٣٧٩، زاد المسير ٤/ ٤٢٣).

(٦) وقيل: الجمعة وعرفة، وقيل: الإنسان والقيامة، وقيل: محمد والقيامة في أقوال أخرى تحتملها كلها الآية عند ابن جرير (تفسير الطبري ٢٤/ ٣٣٧، البسيط ٢٣/ ٣٨٠).

(٧) وهو قول جميع المفسرين، الكشف والبيان ٢٩/ ١٥٥، البسيط ٢٣/ ٣٨٤.

المُعذِّبين فمعناه اللعن، وإن أراد المعذَّبين أراد حقيقة القتل(١).

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ أي: الحطب كثيرًا، النار بدل عن الأخدود.

وقيل: كان رجلٌ يقرأ الإنجيل أجر نفسه لرجل ليعمل له عملاً، فكان يعمل ويقرأ الإنجيل، وكان للرجل المستأجر ابنة رأت نورًا من قراءة الإنجيل، فأخبرت به أباها، فنظر أبوها إليه رمقًا، فنظر إلى النور، فسأل الرجل عن حاله فلم يُجبه، فلا زال عليه حتى أخبره بالإسلام، فأسلم الرجل وأهل بيته، حتى أسلم ثمانون إنسانًا من بين رجلٍ وامرأةٍ، وذلك بعد رفع عيسى إلى السماء، فأخبر بذلك ملكهم، وهو يوسف بن ذي(٢) نواس بن شراحيل الحميري، فخدَّ لهم في الأرض أخدودًا وأوقد فيه النار، وكان وقودها النفط والقطران والقصب، فعرض عليهم الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه في النار، وهو قوله ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾(٣).

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ يعني: الملِك وقومه حضور، يعاقبونهم بالمُشاهدة منهم، وقيل: يشهدون عليهم بالضلال.

عن مقاتل: فارتفعت النار فوق رؤوسهم أربعين ذراعًا فأحرقتهم كلهم، فذلك قوله ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾(٤).

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ وما أنكروا عليهم من ذنبٍ إلا لإيمانهم بالله، وليس بذنبٍ، بل هو فرض من فرائض الله، العزيز الحميد، يعني العزيز: في سلطانه ومُلكه، الحميد: عند خلقه في صنائعه.

---

(١) هذا القول الذي ذكره م نحمله على المقتولين لم أقف عليه عند غيره.

(٢) في الأصل: ردي.

(٣) وهذه رواية مقاتل، كما في تفسيره ٣/ ٤٦٩، الكشف والبيان ٢٩/ ١٧١.

(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٤٦٩.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ عالم بأعمالهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾ أي: أحرقوا ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ والفتنة المِحْنة ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ أي: لم يؤمنوا.

والتوبة المقبولة عند الله الندم علىٰ ما سلف من المعصية، والعزم علىٰ ترك المعاودة عند القدرة عليها مع دعاء الشهوة إليها، فمن لم يكن هذا عزمُه فهو علىٰ الإصرار، وإن أكثر الاستغفار.

وقوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ في الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ﴾ يعني: الذين أُحْرِقُوا في الأخدود من المؤمنين ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾ النجاة الوافرة.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ أي: أخذه بالعقوبة لمن لا يؤمن به شديد، انتقامه عظِيم.

ثم عظَّم نفسه فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣﴾ يُبدئ الخلق من النطفة ويُعيدهم بعد الإماتة ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ المُحِبّ لأوليائه ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾ الكريم الشريف ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ يكونه كيف شاء.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧﴾ أي: قد أتاك، استفهام بمعنىٰ التقرير.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩﴾ بل يدخل في الكلام لاستدراك غلط، أو نفي شيء تقدمه، وههنا لنفي معنىٰ مودع مضمر في الكلام، كأنه قال: إنما ذكرت ما حَلَّ بقوم فرعون وثمود وغيرهم من الكفرة ليعتبر قومك ويرتدعوا، فما اعتبروا ولا ارتدعوا، بل هم في تكذيبٍ، كما كافرًا(١).

---

(١) كذا في الأصل، وفيه خلل، والمراد: كافرين بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم، ولعله نحو ما ثبت في الكشاف ٤/ ٧٣٣: وكذبوا أشد من تكذيبهم.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ عالم بأسرارهم وضمائرهم، وهم في ملكه، والقدرية لا يفوتونه.

﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١﴾ كريم شريف، وليس كما يزعمون في التكذيب: أساطير الأولين.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ من أيدي الشياطين ومن الزيادة والنقصان.

بالكسر: صفة اللوح، وبالرفع: صفة القرآن، والكسر أصوب(١).

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة النجوم أُعطي من الأجر بعدد كل يوم جمعة ويوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) قرأ نافع بالرفع: محفوظٌ، وقرأ الباقون بالكسر (النشر ٢/ ٣٩٩).

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ١٣٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٢.

سورة الطارق

مكيَّة[١]، وهي سبع عشرة آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ كل مَنْ أتىٰ ليلاً فهو طارق، وأراد به النجوم، والله تعالىٰ عظَّم قدر السماء في أعين الخَلْق؛ بما جعلها مصدر رزقهم، ومسكن أولي الإقرار من خلقه وهم الملائكة، وخلق فيها الجنَّة، وخلقها بغير عمدٍ تُرَىٰ، فأقسم بها تعظيمًا لشأنها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ وهو المضيء المتلألأ، وهو الذي يبعث برمي[٣] الشياطين رجمًا لهم ليحرقهم ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾[٤] جواب القسم، و«ما» صلة في الكلام، يعني: كل نفس لها حافظ يحفظ أجلها ورزقها، فإذا استوفىٰ جميع ذلك قبضه إلىٰ ربه[٥].

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ يعني: المكذِّب بالقرآن وبالبعث، ثم بيَّن فقال: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦﴾ أي: مدفوق، كقوله ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١﴾ أي: مرضية.

قال الكلبي: مهراق[٦].

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ١٩٥، زاد المسير ٤/ ٤٢٨.

(٢) في الأصل: تسعة، وهو خطأ، وفي عدد المدني الأول ست (البيان في عد آي القرآن ٢٧٠).

(٣) في الأصل: رمي.

(٤) في الأصل: لما بتخفيف الميم، وعليها جاء التفسير، وهي قراءة الجمهور إلا أبا جعفر وعاصمًا وابن عامر وحمزة (التيسير ١٢٦، النشر ٢/ ٣٩٩).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٦٨، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣١١.

(٦) أي في رحم المرأة (البسيط ٢٣/ ٤٠٨).

﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ أي: صُلب الرجل، وترائب المرأة. والترائب من المرأة أوصال أصداع ثمانية، أربعة عن يمينها وأربعة عن يسارها، فوق الصَّدْرِ دون الترقوة(١).

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾ أي: علىٰ بعثه من القبر حيًا، فليعتبر الإنسان في أول خلقه حتىٰ يتيسَّر له الإقرار.

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ أي: رجعه وبعثه يوم تظهَر السرائر ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ أي: للإنسان ﴿مِن قُوَّةٖ﴾ تمنع العذاب عن نفسه ﴿وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١﴾ أي: المطر والسحاب، سُمِّي رجعًا لأنه يمطر ثم يمطر مرارًا ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢﴾ تنشق عن النبات، وهو شيء ليِّنْ ضعيف، والأرض غليظ كثيف، فالله تعالىٰ يصدع(٢) الأرض بلطفه ويُخرج منه نباتًا مستويًا غير منكسر، ولا منثنٍ، ليعلم العاقل أنه قادرٌ علىٰ إحياء الموتىٰ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣﴾ صدق وحق، فصَّل الحق من الباطل ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤﴾ اللعب والباطل ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥﴾ يا محمد مِن دار النَّدْوَة بك ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦﴾ أُجازيهم جزاء كيدهم ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧﴾ جمع بين اللغتين، والمعنىٰ لا تُجازِهم فإني أجازيهم عن قريب.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالىٰ من الأجر بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات»(٣).

---

(١) يريد ملتقىٰ الأضلاع عن اليمين والشمال، وهو الصدر، ولذا قالوا: الترائب موضع القلادة من المرأة، ونسب هذا إلىٰ الجميع (تفسير الطبري ٢٤/ ٣٥٦، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣١٢، البسيط ٢٣/ ٤١٠).

(٢) في الأصل: يصدف.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ١٩٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٣.

سورة سبح

مكية[١]، وهي تسع عشرة آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ أي: نَزِّه ربَّك الذي عَلا عن السوء، وقل: سبحان ربي الأعلىٰ.

وقال الكلبي: صَلِّ بأمر ربك، والصلاة تسبيح لأنه يقطع وجوه المعاملات بينه وبين الخلق، ويمنعه عن حوائجه مع العباد[٣].

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ خلق ذي روحٍ علىٰ ما أراده، وأفعال العباد لا تخرج سويًا علىٰ مُرادهم، بل تتفاوت غالبًا.

﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ أي: عرَّف كل ذكر إتيان أنثىٰ، وقيل: قدَّر لكل شيءٍ شكلاً في جنسه زوجًا له[٤].

﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤﴾ أنبت الكلأ الأخضر بالمطر ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥﴾ أي: جعله يابسًا أسود من بعد خُضرته[٥].

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ سنُعلِّمك القرآن حتىٰ لا تنساه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أنْ تنساه.

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ٢٢٧، زاد المسير ٤/ ٤٣١.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢١٧).

(٣) تنوير المقباس ٥٠٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٦٩، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٧٠.

(٥) البسيط ٢٣/ ٤٣٥.

قيل: هذا الاستثناء واقع علىٰ شيءٍ قليلٍ من القرآن ينساه بعد الحفظ ثم يحفظ ثانيًا بعد النسيان، وهذا اللفظ يُستعملُ في القليل مما سبق ذكرُه، يقول الرجلك أنفقت مالي في الجهاد والصَّدَقة إلا ما شاء الله، كان الاستثناء واقعًا علىٰ قليل تركه من المال.

ويجوز أن يكون المُراد بالنسيان ترك حُكمه بعد النَّسْخ، لأنَّ المنسوخ يُترك حكمُه، والنِّسيان في اللغة هو الترك، قال الله تعالىٰ: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي: تركوه فتركهم[1].

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ⑦﴾ أي: ما يُعْلِنه العبد من الأعمال وما يخفيه.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ⑧﴾ نُهوِّن عليك تبليغ الرسالة، واليسرىٰ: اسم لكل خير وطاعة، والله تعالىٰ يسَّرها علىٰ المؤمنين بقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ⑮﴾.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ⑨﴾ يعني: عِظ بالقرآن أهل مكة إن نفعت العِظَة لهم.

وقيل: ذَكَر «إن» وأراد به التحقيق لا الشرط، كقوله ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ⑩⑧﴾ يعني: قد كان.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ⑩﴾ يتعظ مَنْ يخشىٰ الله تعالىٰ.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑪ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ⑫﴾ يعني به الوليد بن المغيرة[2].

والنار الكبرىٰ هي الدرك السفلىٰ، قيل: إذا ذكر الشقي ذكر التجنب وأضاف الفعل إليه، بقوله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ الذي يعني يتجنَّب الموعظة قصدًا، وإذا ذكر التجنيب وإضافة الفعل إلىٰ نفسه بقوله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ⑰﴾ معناه أُجنِّب التقي من النار.

---

(١) واختاره ابن جرير في التفسير ٢٤/ ٣٧١، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣١٦، الكشف والبيان ٢٩/ ٢٤١، البسيط ٢٣/ ٤٣٩.

(٢) وهو قول مقاتل (البسيط ٢٣/ ٤٤٤).

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ أي: ظفر ونجا وسعد مَن تصدَّق من ماله، أو أدَّىٰ زكاة مالِه، وقيل: عني به صدقة الفطر(١).

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ وذكر اسمَ ربه بالتهليل للصلاة، وهو حُجَّة أبي حنيفة رحمة الله عليه فيمن افتتح الصلاة بغير لفظ التكبير جاز(٢).

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ علىٰ الآخرة ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ من الدنيا ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ يعني: الذي ذكر من هذه السورة في كتب الأوَّلين، وهو: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ صلوات الله عليهما.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الأعلىٰ أعطاه الله في الآخرة عشر حسنات بعدد كل حرف أنزل الله تعالىٰ موسىٰ وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام»(٣).

❁ ❁ ❁

(١) وهو قول أبي الأحوص (تفسير الطبري ٢٤/ ٣٧٤، تفسير أبي الليث / ٥٧٢).
(٢) انظر المسألة في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢.
(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٢٢٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٤.

سورة الغاشية

مكية[١]، ست وعشرون آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قول الله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ يعني: قد أتاك حديث التي تغشىٰ الناس، وهي: النار، كقوله ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ﴾[٣].

وقيل: الغاشية هي القيامة، تغشىٰ الصغير والكبير والشقي والسعيد[٤].

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ ذَليلة خاضعة، خصَّ الوجه لأنَّ أثر الحزن والسرور يظهر في الوجه؛ بعد ما استحكم في القلب، فالوجه تدل علىٰ صاحبها، يعني: صاحبها.

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣﴾ وهو منصرف إلىٰ الكفار الذين يفرِّغون أنفسهم عن الطاعة والعمل، فأعملهم الله في النار بمعالجة السلاسل والأغلال، جزاء علىٰ ترك طاعة الله وعبادته، لينصبوا ويتعبوا[٥].

﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤﴾ أي تُشوىٰ في نارٍ مُحرقةٍ، إذا قُرأت بالرفع، وبالنصب: تُدخل.

---

(١) في قول الجميع، الكشف والبيان ٢٩/ ٢٦١، زاد المسير ٢٠/ ٢٥.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٧٢.

(٣) زاد المسير ٢٠/ ٢٥.

(٤) روي عن ابن عباس من طريق علي والعوفي، وهو قول قتادة والمبرد وغيرهما (تفسير الطبري ٢٤/ ٣٨١، البسيط ٢٣/ ٤٥٦).

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٨٢، بلا خلاف بينهم.

﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥﴾ حارة قد انتهىٰ حرُّها وهي مُنتنة ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦﴾ وهي: شجرٌ تكون بمكة يُسمُّون لرطبه: شبرق[(١)]، فإذا يبس يُسمُّونه: ضريعًا، لا تأكله الدواب بعد اليُبس لكثرة ما عليها من الشَّوك[(٢)].

و﴿لَّا يُسۡمِنُ﴾ الدَّابة أبدًا ﴿وَلَا يُغۡنِي﴾ ها ﴿مِن جُوعٖ ۝٧﴾ وقيل: أهل النار تأكل منه ثم يصرعون ويخدعون من شدة ما بهم من أكْله منه، سُمي ضريعًا[(٣)].

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨﴾ أي: مُتنعمة كما أدركت ثوابَ أعمالها ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾ والمعنىٰ: ناعمة جميلة لسعيها، وهو العمل.

﴿رَاضِيَةٞ ۝٩﴾ بما أوتي.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠﴾ مرتفعة الدرجات ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا﴾ أي: الجنَّة ﴿لَٰغِيَةٗ ۝١١﴾ أي ما يجب أن يُلغا، أو يُؤثم به، أي: صافية.

﴿[فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ] ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣﴾ إذا حضر وَليُّ الله تَطامَنتْ، وإذا استوىٰ عليها ارتفعت.

﴿وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤﴾ كيزان لا عُرىٰ بها.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ أي: وسائد ﴿مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥﴾ صُفَّتْ علىٰ البسط كما يُصَفُّ في الدنيا وأزين ﴿وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦﴾ هُنَّ: الطَّنافِس، مبسوطة[(٤)].

---

(١) في الأصل: شبرما. وهو تصحيف، وهذا من المشهور في كتب التفسير، انظر: البسيط ٢٣/ ٤٦٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٨٤، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٧٤، تفسير السمعاني ٦/ ٢١٣.

(٣) الكشف والبيان ٢٩/ ٢٦٩.

(٤) باتفاق المفسرين، تفسير الطبري ٢٣/ ٤٧٢.

ثم قال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧﴾ وإنما خصَّ الإبل لأنه اجتمع فيه نفع من سائر الدواب، وهو الحَمْل والرُّكوب والحَلْب والأكل والصُّوف.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨﴾ بغير عمدٍ.

﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩﴾ مُرساةً مُثبتة لا تزول.

﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠﴾ دُحيَتْ علىٰ وجه الماء.

فهذه كُلُّها دالَّةٌ علىٰ إحياء الموتىٰ لمن أنكر ذلك، لأنه أوجدهنَّ -أي الأشياء- من العدم، فأحرىٰ أن يقدر علىٰ إعادتها.

﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١﴾ أي: ذكِّر بالوعظ.

﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢﴾ أي: مُسلَّط حتىٰ تجبرهم علىٰ الإسلام أو تقتلهم بالكفر.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير، المعنىٰ: فذكِّر إنما أنت مُذكِّر ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣﴾ ولا يقبل التذكير، ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ۝٢٤﴾ في الدنيا، ولست يا محمد عليهم بمسيطر.

ثم قال: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥﴾ أي: رجوعهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ أي: جزاءهم.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابًا يسيرًا»[1].

---

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٢٩٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٦.

سورة الفجر

مكيَّة(١)، وهي تسع وعشرون آية(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ الفجر: هو انفجار الصبح بعد سواد الليل(٣).

أقسم الله بشق عمود الصبح من أول يوم ذي الحجة(٤).

وبليالٍ عشر وهي عشر ذي الحجة(٥).

﴿وَالشَّفْعِ﴾ يوم العشر لأنه يوم العاشر ﴿وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ لأنه يوم التاسع(٦).

وقيل: الشفع الخلق كلهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨﴾ والوتر: هو الله تعالىٰ(٧).

وقيل: الشفع آدم وحواء، والوتر: هو الرب عزَّت قدرته(٨).

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ٢٨٩، زاد المسير ٤/ ٤٣٧.

(٢) في البصري، وثلاثون في الكوفي والشامي، واثنتان وثلاثون في المدنيين والمكي (البيان في عد آي القرآن ٢٧٣).

(٣) وهو قول عامة المفسرين (تفسير الطبري ٢٤/ ٣٩٥).

(٤) وهو قول الضحاك ، كما في زاد المسير ٤/ ٤٣٧.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٩٦، وقال الضحاك: العشر الأول من شهر رمضان (الكشف والبيان ٢٩/ ٢٩٤).

(٦) أي يوم عرفة وهو التاسع الوتر، ويوم النحر وهو العاشر الشفع (تفسير الطبري ٢٤/ ٣٩٧).

(٧) رواية العوفي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٤/ ٣٩٨).

(٨) وحمل ابن جرير الآية علىٰ كل شفع ووتر (تفسير الطبري ٢٤/ ٤٠٠).

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ الحاجّ فيه من عرفات إلىٰ المزدلفة.

سقط الياء عن «يسر» لوقف رؤوس الآي، وقيل: يعني: ليله يسري فيه لقوله ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ .

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾ أي: هل بعد ذلك قسمٌ لذي حِجر.

فيه دليلٌ علىٰ أنَّ القسم لا يعرفه إلا ذو الألباب، وكَّد القسم ولم يبين ما عقد عليه القسم، ويُقال: جواب القسم «إنَّ ربك لبالمرصاد»[1]، ومن عادة العرب أنهم يؤكدون الكلام فخوطبوا علىٰ ما عرفوا.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ قيل: هما عادان، الأول: عاد إرم، والثانية: بعدهم، وقيل: إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود[2].

﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧﴾ أي: ذات الأجساد الطويلة، في قول السدي[3].

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨﴾ في الطول والقوىٰ، طول كل رجل أربعمائة ذراع، حتىٰ إن الرجل يضرب بقدمه الأرض فيسوخ فيها[4].

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩﴾ وهو قوم صالح، بنو عم عاد، قطعوا الصخر بواد القرىٰ ونقبوها، واتخذوا منها قصاعًا، كالجوابي، وبيوتًا[5].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٢١.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٧٨.

(٣) وابن عباس في رواية العوفي، ومجاهد، والضحاك (تفسير الطبري ٢٤/ ٤٠٦، الكشف والبيان ٢٩/ ٣٢٣).

(٤) روي عن ابن زيد نحو هذا في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٠٧.

(٥) البسيط ٢٣/ ٥٠٤.

﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِی ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠﴾ قيل: الملك الثابت، وقيل: له خيام ينصبونها أوتاد، وقيل: أوتاد يُعذِّب بها الناس(١).

﴿ٱلَّذِینَ طَغَوۡا۟ فِی ٱلۡبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُوا۟ فِیهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَیۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ أنزل عليهم عذابًا مترادفةً يتلو بعضها بعضًا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ يرصد عذابه، ينتظر آجالهم حتىٰ يعذبهم، وقيل: معناه إنَّ علىٰ الله الممرَّ، وإليه المرجع، وهذا موضع القسم(٢).

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ اختبره بالنعمة فشكر ﴿فَیَقُولُ رَبِّیۤ أَكۡرَمَنِ ۝١٥﴾ ولي عنده منزلة، ولو اختبره بالمحنة والفقر شكىٰ ﴿وَأَمَّاۤ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَیۡهِ رِزۡقَهُۥ فَیَقُولُ رَبِّیۤ أَهَـٰنَنِ ۝١٦﴾ فمنع عنِّي الرزق، يظن أن الكرامة والإهانة علىٰ الله في إرسال المال ومنعه.

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡیَتِیمَ ۝١٧﴾(٣) رد عليهم ظنهم، أي: ليس كما تظنون، رُبَّ مُكرم في الدنيا مُهان في الآخرة، ورُبَّ مَهان في الدنيا مُكرَم في الآخرة، ثم فسَّر: المُهان عندي من لم يُكرم اليتيم ﴿وَلَا تَحَـٰۤضُّونَ﴾ أنفسهم ولا غيرهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِینِ ۝١٨﴾ وبر اليتيم ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلًا لَّمًّا ۝١٩﴾ يعني: الميراث أكلاً لمًّ شديدًا.

وقال الزجاج: اللَّم التجميع، معناه جمعوه فأكلوه(٤).

---

(١) الكشف والبيان ٢٩/ ٣٢٥.

(٢) البسيط ٢٣/ ٥٠٧.

(٣) ثبتت هذه الأفعال الثلاثة: يكرمون، يحضون، يأكلون، كلها بالياء، وهذه قراءة أبي عمرو ورويس، وروح بخلف عنه، وقرأ الباقون بالتاء، وقرأ أبو جعفر والكوفيون: تحاضون (النشر ٢/ ٤٠٠).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٢٣.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ كثيرًا.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١﴾ أي: زلزلت زلزالاً شديدًا، والدك والدَّق واحد(١).

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ معناه وجاء ربك بالملك، وقد يوضع الواو موضع الباء، في قصة موسىٰ ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ أي: بسيدك.

وإذا كان الواو موضع الباء كان المُراد حضور الملائكة بأمر الله، وإحضار الملائكة في المجمع كقوله ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ أضاف المجاوزة إلىٰ نفسه؛ لأنه أجازهم بقدرته، تعالىٰ عن الانتقال عُلوًا كبيرًا.

وهذا كما قال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ والنفخ من الله تعالىٰ مُحالٌ، وقال ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ والكتابة ليست من صفة الله، ولكن الفعل حصل بأمره، فأضافه إلىٰ نفسه إما تعظيمًا أو تهويلاً(٢).

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ تُقادُ بسبعين ألف زمام في كل زمام سبعون ألف مَلَكٍ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣﴾ أي: لا ينفعه الاتعاظ في ذلك الوقت ﴿يَقُولُ﴾ حينئذٍ ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤﴾ الباقية من العمل الصالح

---

(١) البسيط ٢٣/ ٥١٦.

(٢) هذا تأويل لصفة المجيء، وقد قال نحوه أبو منصور الماتريدي في تفسيره، فكأن المصنف لخص منه.

والحق أن الله عز وجل يأتي يوم القيامة وتأتي ملائكته صفوفا، وهذا هو قول أهل التأويل، قال ابن جرير: جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صف، ثم روىٰ عن ابن عباس خبرا طويلا (تفسير الطبري ٢٤/ ٤١٧).

وهو قول الضحاك، نسب المجيء إلىٰ الله وإلىٰ الملائكة، وهو قول مكي في تفسيره الهداية ١٢/ ٨٢٥٦، وابن كثير في تفسيره ٨/ ٣٩٩.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي: لا يعذب أحدٌ كعذاب الله ولا مِثل عذاب الله هذا المُعذَّب ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ أي: لا يُصَفَّد ولا يغل مثل صفده وغلِّه.

وقُرِئ: «لا يُعَذَّب» و«لا يوثَق»، بنصب الذَّال والثاء[١]، فيكون الفعل مضافًا إلىٰ المعذَّب والموثق[٢].

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ المؤمنة بتوحيد الله المُقرة بوعده ووعيده، الآمنة من عذابه.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ من الله ﴿مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ رضي الله عنها.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ ذكر النفس بلفظ الوحدان، ثم أمر بالدخول في جميع العباد، لأنَّ النفس اسمٌ يقع علىٰ الجمع من حيث إنها اسم الروح، ويحتمل الروح ويحتمل القالب، فإن أُريد به الروح فقوله: «ارجعي إلىٰ ربك» إلىٰ قالبك راضية، وادخلي في عبادي وشفعهم، وإن أريد به القالب لا الروح فقوله: «ارجعي إلىٰ ربك» أي: يعني إلىٰ الله، وادخلي في عبادي من المؤمنين فشفعهم ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ بنفسك، والله أعلم.

قال عبد الحميد الحاكمي -عفا الله عنه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الفجر في أيام العشر غفر الله له، ومَنْ قرأها في سائر الأيام كانت له نورًا يوم القيامة»[٣].

---

(١) وهي قراءة الكسائي ويعقوب (النشر ٢/ ٤٠٠).

(٢) الكشف والبيان ٢٩/ ٣٥٥.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٢٩٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٦.

سورة البلد

مكية[(١)]، وهي عشرون آية[(٢)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ لا في هذا الموضع ليست لنفي القسم، وإنما هي كقول العرب: لا والله ما[(٣)].

وقيل: إنها دخلت في الكلام لدفع منازعة الكفار، أي: ليس كما تقولون، ولكن: أقسم بهذا البلد، ترك سائقة المنازعة لشهرتها، كما ذكر الجواب في بعض الكلام، وترك السؤال، وقد ذكر بعض السؤال من الجواب، وحذف الجواب.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ يوم فتح مكة تقتل مَنْ شئت في الحرم، وتدخل بغير إحرامٍ[(٤)].

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ آدم وذريته، وقيل: كل ما له نسلٌ وولادة سوىٰ آدم والآدمي[(٥)].

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ أي: شدة الحزن، وشدة عمل الذنب، وهذا

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ٣٧٧، زاد المسير ٤/ ٤٤٦.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٧٤).

(٣) أي: لا والله ما أفعل كذا، انظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٢٧، تفسير السمعاني٦/ ٢٢٥.

(٤) والسورة مكية، ففيه بشرىٰ للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، وتحذير وتخويف للمشركين (البسيط ٢٤/ ٨، زاد المسير ٤/ ٤٤٦).

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٣٢، الكشف والبيان ٢٩/ ٣٨٢، وما ولد علىٰ هذا القول: أي لم يلد له، وهو العاقر.

موضع القسم[١].

وقيل: خلقنا الإنسان منتصبًا، وخلق كل دابة منكسًا غير[٢].

﴿أَيَحۡسَبُ﴾ الإنسان ﴿أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥﴾ يظن أن لن يبعثه الله بعد الموت، وهو الله تعالىٰ.

﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦﴾ أي: جمًّا، أي: أنفقتُ مالاً كثيرًا في عداوة محمد.

وقُرئ: «لُبَّدًا» بتشديد الباء[٣]، وهي موضعة بعضها فوق بعض، وقيل: تكون للكثرة: يُقال رجلٌ حطَّم ورجل صوَّم[٤].

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ يظن أن الله لا يراه ولا يسمع كذبه.

وقيل: الآية نزلت في كلدة بن أسيد الجمحي، وكان رجلاً قويًا، رام من قوته أنه يُبسط الأديم العكاظي تحت قدميه ثم يقول: مَنْ حرَّكني وجرَّني بهذا الأديم فله كذا من الإبل، فجرَّ الأديم حتىٰ لم يبق منه إلا ما تحت قدميه، وهو قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ أي: شدة انتصاب، والانتصاب: تسوية القامة مع القوة[٥].

ثم قال: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨﴾ يُبصر بهما الغير ﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩﴾ ينطق به، ويحفظ لسانه وأسنانه بهما ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾ الطريق في مكان مرتفع.

قال الكلبي: عرَّفه سبيل الجنَّة والنَّار[٦].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٢٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٣٤.

(٣) وهي قراءة أبي جعفر (النشر ٢/ ٤٠١).

(٤) الكشف والبيان ٢٩/ ٣٩١.

(٥) تفسير السمعاني ٦/ ٢٢٧.

(٦) وهو قول أكثر المفسرين، الكشف والبيان ٢٩/ ٣٩٧، البسيط ٢٤/ ٢٤.

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١﴾ أي: لم يقتحم العقبة بعد، كقوله ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١﴾، ومعناه: ولكن سيقتحمها، وقيل: معناه لم يقتحم العقبة بإنفاق هذا المال حتىٰ يقطعها[1].

ثم عظَّم شأنها فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢﴾ أي: ما أدراك ما يقطع ذكر العقبة، ثم بيَّن فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤﴾ يعني: إعتاق نسمة من الرِّقِّ؛ تنزِّل عن تلك العقبة، أو إطعام الطعام في زمن المجاعة.

وقُرِئ: علىٰ الماضي «فَكَّ رقبةً أَوْ أَطْعَمَ»[2].

والمعنىٰ: ما قال أنفقتُ مالي في عداوة محمد حتىٰ أجابه الله: فهلا اقتحم العقبة بذلك المال، أفكَّ رقبةً في رِضَىٰ الله، وأطعم في يومٍ ذي مسغبةٍ[3].

﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥﴾ دليلٌ علىٰ وجوب حق الأيتام من ذوي القربىٰ إذا كان محتاجًا ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦﴾ ملصقًا بالتراب من فقره ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: لا ينفعه فك الرقبة والإطعام إلا مع الإيمان.

وكلمة «ثُمَّ» هاهنا للإخبار لا للترادف، لأنَّ العمل يكون بعد الإيمان، والمعنىٰ: هلاَّ فَعَلَ ذلك واستقام[4] علىٰ الإيمان، وكان مع جميع هذه الصفات ومن الذين[5] ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ أمروا الناس بالصبر علىٰ طاعة الله ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧﴾ أي: التَّراحم بعضهم علىٰ بعضٍ.

---

(١) البسيط ٢٤/ ٢٤.

(٢) في الأصل في الموضع الول أثبتها هكذا، وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي، وقرا الباقون كما أثتب في الرسم (النشر ٢/ ٤٠١).

(٣) الكشف والبيان٢٩/ ٤٠١.

(٤)في الأصل: واستفهام.

(٥)فصل باللذين بين الواو وتواصوا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨﴾ الذين يُعْطَوْن كتابهم بأيمانهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩﴾ يُعْطَوا كتابهم بشمالهم.

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ أي: من الوصيد وهو الباب[١]، ومعناه: مُقفلة، وقيل: مُطبقة عن الكلبي وقتادة[٢].

قُرِئَ: بالهمز من: آصدت، وبغير الهمز من: أوصدت[٣].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنَّ «مَنْ قرأ سورة البلد أعطاه الله تعالىٰ الأمان من غضبه يوم القيامة»[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٠.

(٢) البسيط ٢٤/ ٣٧.

(٣) قرأه بالهمز أبو عمرو ويعقوب وحمزة وحفص، وقرأ الباقون بدون همز (النشر ١/ ٣٩٥).

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٣٧٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٧.

سورة الشمس

مكيَّة[١]، وهي خمس عشر آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ أقسم تعالىٰ[٣] بالشمس وضحاها، وهو أول ساعة من النهار. وقيل: ضياؤها[٤].

وإنما أقسم بها لأنَّ فيها من العجائب، وهو: إخفاؤه النجوم بنورها، وإخفاء نور السراج ونور القمر بضوئها، ثم ظهور هَبِّ الهواء من نورها، فالنور الواحد يُخفي أظهر الأشياء، ويُظهر أستر الأشياء، وما هذا إلا شيءٌ عجيبٌ، ولأن بها مصالح ومنافع من مصالح الأغذية ونضج الفواكه، وكبس الحبوب، فلهذا أقسم بها.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ يعني: في ليلة الهلال، حين[٥] تغرب الشمس حين يظهر الهلال، ويتلوها في الغروب، عن الكلبي وقتادة وعكرمة[٦].

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ يعني: جَلَّىٰ الظُّلمة، وقيل: جلىٰ الأرض والدنيا، وإن لم يكن في الكلام ذكرها، كقوله: ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾.

وقيل: إذا جلىٰ الشمس عن ظلمة الليل[٧].

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ٤١٥، زاد المسير ٤/ ٤٥٠.

(٢) وفي المدني والمكي ست (البيان في عد آي القرآن ٢٧٥).

(٣) في الأصل: اخبار تعال.

(٤) كرر هذا القول مرتين.

(٥) في الأصل: حتىٰ. وصححها في الهامش، وقد تكرر مثل هذا التصحيف.

(٦) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٥٢، البسيط ٢٤/ ٥١.

(٧) البسيط ٢٤/ ٥٢، تفسير السمعاني ٦/ ٢٣٢.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ أي: يغشي الشمس عند الغروب.

أقسم بالليل والنهار، لأن سلطانهما أقوىٰ من سلطان الشمس والقمر، لأن سلطان الليل والنهار أنهما يُفنيان الآجال، ويقطعان الأعمار، ولا يتهيأ لأجل الامتناع والتحرُّز من سلطانهما، والتحرُّز من سلطان الشمس والقمر ممكنٌ بالخِباء والأسباب.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ يعني: والذي بناها بغير عمدٍ.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ الذي طحَّاها من تحت الكعبة مسيرة خمس مائة عام، ثلاثمائة في العمران، ومائتان في الخراب.

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ والذي سوَّاها حدَّ الأعضاء المستوية من الأيدي والأرجُل والعُيون والأذان وغيرها، فيكون «ما» بمعنىٰ «مَنْ».

وقال بعضهم: «ما» صلة وزائدة، ومعناه: والسماء وبنائها والأرض وطحوها والنفس وتسويتها، وهو قول الزجاج[1].

وقال أبو بكر الأصم: معناه والسماء، ثم عظَّم أمر السماء تعجيبًا ولكن أضمر لفظ السماء ثانيًا، كأنه قال: وما السماء ثم أجاب فقال بناها، أي: الله بناها، وكذلك في قوله ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ فيكون بمعنىٰ التعجُّب.

﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ بيَّن لها ما تأتي وتذر، وفهمها أعمال الظلم والبر، والمعنىٰ: خذل بعض النفوس حتىٰ [ما] سلك التقوىٰ[2].

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ موضع القسم.

---

(١) معاني القرآن ٥/ ٣٣٢.

(٢) في الأصل غير محرر، وفيه شيء، ولذا أضفت ما لتصح الجملة.

أي: فاز ونجا وسعد مَنْ زكَّىٰ نفسه، وأنماها بالعمل الصالح، وموضع القسم لا يكاد يكون بغير اللام، ولكن طال الكلام فحذف اللام، وهو قول الزجاج[١].

وأنكر الكسائي أن يكون جواب القسم بدون اللام.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ أي: أخفاها[٢]، ومعنىٰ الكلامين: لقد ظفر وسعد مَنْ جعل نفسه بحيث يُحمد، وخاب وخَسِرَ مَنْ جعلها بحيث لا تُذكر إلا بذَمٍّ.

ومعنىٰ: دسَّاها أي: أخفاها حتىٰ لا تُعرف في أهل الصلاح، فالمُتقي يعيش محمودًا، والفاجر يعيش مذمومًا.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾ أي: طغيانها، كذَّبوا رسول الله صالحًا من غير حُجَّة ولا بُرهانٍ ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢﴾ أي: قام وقصد.

والانبعاث: القيام إلىٰ الشيء، والهاء في أشقاها راجعٌ إلىٰ القبيلة، وقد سبق ذكر ثمود، والأشقىٰ: هو عاقرُ الناقة، وسُئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مَنْ أشقىٰ الناس قال: «عاقر ناقة صالح»[٣].

وقيل: هما اثنان مصدع بن دهر والآخر قُدار بن سالف.

قال أبو سهل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، والمعنىٰ: انبعث أشقاها ليعقر الناقة ولا يخاف عُقباها، وهو عاقبة فعلته التي فعلها.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣﴾ نُصب علىٰ التحذير[٤]، معناه:

---

(١) معاني القرآن ٥/ ٣٣١.

(٢) وهو قول ابن قتيبة (غريب القرآن ٤٥٦)، وأصل الدس الإخفاء (البسيط ٢٤/ ٥٧).
وفي الأصل: أخفايها.

(٣) رواه أحمد في المسند ١٨٣٢١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٨، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٤٧.

احذروا أن تُصيبوها بمكروهٍ، ولا تقربوا سُقياها، وكان للناقة من الشُّرب يوم، ولهم يوم، وإضافة الناقة إلىٰ الله تعظيمًا، كما قال: مساجد الله تعظيمًا لبقاعها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: صالحًا ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: الناقة ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ أي: أطبق العذاب عليهم، والدَّمْدَمَة: التعميم في صفة أو أمر، يُقال: ناقة مُدَمْدَمَة باللحم إذا كانت سمينة استوت أعضاؤها سمنًا، وناقة مدمومة بالقطران إذا طُليت به لجميع أعضائها.

والدمدمة ههنا الهلاك، معناه: سَوَّاهم في الهلاك صغيرهم وكبيرهم، لم يبق منهم أحد إلا هلك[1].

﴿بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه يُراد به عاقر الناقة، وهو قول الزجاج، وقد قدَّمناه[2].

والثاني: أن الله تعالىٰ أهلكهم بذنبهم، ولا يخاف تبعة إهلاكهم، كما في المخلوقين إذا أضَرَّ بعضهم بعضًا يخاف عاقبته[3].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة والشمس أُعطِيَ من الأجر كأنهما تصدَّق بكل شيءٍ طلعت عليه الشمس والقمر»[4].

---

(١) البسيط ٢٤/ ٦٩.

(٢) معاني القرآن ٥/ ٣٣٢. وهو قول الضحاك والسدي، رواه عنهم ابن جرير في التفسير ٢٤/ ٤٦١، فلم يتفرد به الزجاج، بل هو من أقوال أهل التأويل.

(٣) وهو قول الجمهور (تفسير الطبري ٢٤/ ٤٦١، الكشف والباين ٢٩/ ٤٣٢).

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٤١٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٨.

سورة الليل

مكيَّة(١)، وهي [إحدى] عشرون آية(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١﴾ ضوءَ النهار بظُلمته.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢﴾ عن ظُلمة الليل بضيائه، أقسمَ الله بالليل إذا اسوَّد الأُفق به وأظلم، وبالنهار إذا ظهر وبان، وهما آيتان عظيمتان علىٰ البعث علىٰ كل جاحدٍ ومُنكر من الفراعنة.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣﴾ أي: الذي خلق، وهو الله تبارك وتعالىٰ.

قال بعضهم: «ما» صلةٌ وزائدة، وهو بمنزلة قوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: برحمة، والمعنىٰ ههنا: وخلقه الذكر والأنثىٰ.

وقيل: معناه وما خلق من الذكر والأنثىٰ يعني أزواج الخلائق.

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤﴾ أي: عملكم لمختلف، وهو موضع القسم(٣).

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾ أي: تصدَّق ﴿وَٱتَّقَىٰ ٥﴾ الشرك.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦﴾ أي: التوحيد والجنَّة، ويُقال: بموعود الله.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾ نُوفقه للطاعة وعمل الشرائع، ونُهوِّن عليه أداؤه.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بماله، ومنع حق الله ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ [وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩]﴾ أي: عَدَّ

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ٤٣٧، زاد المسير ٤/ ٤٥٣.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٧٦.

(٣) أي جوابه، كما في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٢.

نفسه مستغنيًا عن الله، وكذَّب بتوحيده وثواب المُنفقين.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ أي: نُهوِّن عليه المعصية بالخذلان.

وقال الفرَّاء: كيف يكون التيسير للعُسرىٰ، وإنما التيسير للخير، ولكن هو بمنزلة قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾[١].

وقال الأزهري: معناه سنُهيِّئه، يسَّرت الغنم إذا تهيَّأت للولادة[٢].

قيل: نزلت في أبي سفيان قبل إسلامه[٣].

وقيل: نزلت في الوليد بن المُغيرة.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ أي: هلك وتردَّىٰ بالنار.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ أي: هداية مَنْ اهتدىٰ وإضلال مَنْ ضَلَّ.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي: ثواب الإنفاق في الآخرة، والرزق في الدنيا.

وقيل: بالجزاء والكرامة للمؤمنين، والنكال والعقوبة للكافرين[٤].

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ تتوقد وتتلهب ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ بتوحيد الله ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ أعرض عن الإيمان.

وقد احتجَّ بعضُ الناس بهذه الآية أنَّ المؤمن لا يدخل النار، وهو قول المُرْجئة.

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٧١.

(٢) تهذيب اللغة ١٣/ ٤٢، وهو قول الطبري في تفسيره ٢٤/ ٤٧٣.

(٣) وهو قول مقاتل كما في تفسيره ٣/ ٤٩٢، وافقه الكلبي كما في البسيط ٢٤/ ٨١، ومثلهما لا يعتمد عليه، وقيلك في أمية بن خلف.

(٤) البسيط ٢٤/ ٨٥.

ولكن جواب أهل السُّنة والجماعة لهم أنه ذكر في سياق الآية: نارًا تلظَّىٰ، وهي نكرة تتناول بابًا من النار، أو دركًا منها، دون باب ودرك، ولا ينطلق علىٰ جميع دركات النار، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ وقال في آية أخرىٰ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ في درك الضريع.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ أي: يبعد من النار ويُزحزح ﴿ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾ يعني: أتقىٰ خلق الله وهو أبو بكر رضي الله عنه ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ أي: يُعطي ماله ينفقه في سبيل الله متزكِّيًا بنفسه[1].

وقيل: يطلب أن يكون عند الله زاكيًا، ولا يطلب رياء ولا سُمعة.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾ من المخلوقين ﴿عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩﴾ أي: لم يُنفق ماله لأجل مكافأة الدنيا ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ إلا طلب مرضات الله، نُصب علىٰ الاستثناء المنقطع ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ أبو بكر، أي: يُعطيه الله في الآخرة ما يرضىٰ عنه أبو بكر، يعني: يُساق إليه من الثواب ما يرضىٰ به، وحرف سوف وعسىٰ من الله واجبٌ.

وقيل: الآية نزلت في أبي بكر رأىٰ بلالاً في يد سيِّده أُمية بن خلف يُعذِّبه علىٰ الإيمان، فقال له أبو بكر: يا أُمية أتُعذِّب مؤمنًا علىٰ إيمانه، فقال: لم يفسد عليَّ عبدي أحدٌ إلا أنت وصاحبك، يعني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: هل لك أن تبيعه؟ فقال أُميَّة: بمَ؟ فقال أبو بكر: بعبدٍ آخر علىٰ دينك، فقال: نعم، فعمد أبو بكر إلىٰ عبدٍ مشركٍ واشتراه فدفعه إلىٰ أُميَّة بن خلف، واشترىٰ منه بلالاً وأعتقه، فقال أُمية بعد الإعتاق: أما أنك لو لم تشتره إلا بأوقيةٍ لبعتكه، فقال: والله لو لم تبعه

---

(١) في قول الجميع، كذا قال الواحدي في البسيط ٢٤/ ٨٨، وإنما نزلت في أبي بكر لعتقه من أعتق في سبيل الله، وقد خرج ابن جرير الروايات في ذلك (تفسير الطبري ٢٤/ ٤٧٩).

إلا بأربعين أوقية اشتريته، فأنزل الله تعالىٰ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ١٩﴾ وأحد: أراد به بلالاً، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ: أعتقه برضا الله الذي ملكه رفيعٌ فوق خلقه، وسُلطانه منيعٌ، وعزُّه دائمٌ، ولسوف يرضىٰ: أبو بكر في القيامة(١).

وجاء في التفسير أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالىٰ لأبي بكر هل رضيت عنّي فإنّي عنك راضٍ»(٢).

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ سورة الليل أعطاه الله من الأجر حتىٰ يرضىٰ، وعافاه من العُسر ويسَّره لليسرىٰ»(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) الخبر في الكشف والبيان من طريقين مرسلين ٢٩/ ٤٥٤.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٦/ ٣٥، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ١٠٥، بإسناد منكر عن الثوري.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٤٣٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٥٩.

سورة والضحى

مكيَّة(١)، وهي إحدىٰ عشرة آية(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ أقسم الله تعالىٰ به، وهي أول ساعة من النهار حين(٣) تطلع الشمس، عن مقاتل(٤).

وقيل: هو النهار كله، وقيل: ضوء النهار، وهو وقت تنال الأرض حر الشمس(٥).

«والليل إذا سجىٰ»: أي أظلم وسكن(٦).

قال عبد الحميد غفر الله له: القسم لا يقع إلا علىٰ ما يعظُم حاله، ففي ظُلمة الليل وضوء النهار عجيب صُنْعِ الله عز وجل، لأنَّ ظلمة الليل تستر الخلائق كلهم في أقصر زمانٍ، وضوء النهار يكشف السَّتر عنهم في أقصر زمانٍ، من غير أن يكون لذلك الحجاب ثقلاً ، ولا بعد رفعه خفة، فأقسم الله بهما تعظيمًا لما فيها من الأمر العجيب.

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٢٩/ ٤٦٥، زاد المسير ٤/ ٤٥٦.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٧٧.

(٣) في الأصل: حتىٰ، وهو تصحيف تكرر منه، وعلىٰ الصواب في مصدره.

(٤) تفسير مقاتل ٣/ ٤٩٤.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٩١.

(٦) بمعنىٰ أقبل، فإذا أقبل كأنه سكن، وأظلم، وغطىٰ، وهذه الثلاثة كلمات أهل المعاني وغيرهم (تفسير الطبري ٢٤/ ٤٨٢، البسيط ٢٤/ ٩٩).

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ قوله ما قلىٰ: سقط عنه الإضافة لوقف الفواصل، وهو موضع القسم، أي: ما تركك منذ أرسل إليك، ولا أبغضك منذ أحبَّك[١].

قال الواسطي: ما أهملك بعدما اصطفاك.

قيل: إن الكفار سألوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن أصحاب الكهف وغيرهم، فوعد الجواب ولم يستثن، فمُنِعَ الوحي أربعين يومًا، فقال مشركو العرب: إنَّ رب محمد قد ودَّعه وقلاه، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[٢].

وقوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ أي: ما ادَّخرتُ لك من الشفاعة والكرامة خيرٌ مما أعطيتك في الدنيا وشرفها، رغَّبَهُ الله في الآخرة وزهَّده في الدنيا.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ قيل: هذه أرجىٰ آية في القرآن.

وقيل: أرجىٰ آيةٍ ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾.

وقال أكثر أهل العلم: أرجىٰ آية ما أمر الله رسوله وملائكته بالاستغفار للمؤمنين[٣].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٩.

(٢) وقد اختلفوا في سبب الاحتباس وفي مدته، والأخبار في ذلك في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٨٥، والكشف والبيان للثعلبي ٢٩/ ٤٦٨.
وفي الصحيحين عن جندب بن سفيان، قال: اشتكىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءته امرأة، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ الآيات. (صحيح البخاري ١١٢٥، صحيح مسلم ١٧٩٧)

(٣) اختلف العلماء في أرجىٰ آية علىٰ بضعة عشر قولا، ذكرها السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ٤/ ١٤٩.

قيل: يُعطىٰ لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شفاعة في أهل بيته، ثم في أُمَّتِهِ، ثم في سائر الأُمم حتىٰ يرضىٰ[١].

ثم عدَّ نعمه عليه فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ أي: آواك إلىٰ أبي طالب.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ معناه: لولا أنه هداك لدينِهِ لوجدك ضالاً، كقوله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ معناه: لو لم يُنقذكم منها لكنتم علىٰ شفا حفرةٍ من النار.

وقيل: معناه وجدك ضالاً أي ناسيًا فنبَّهك، وهداك إلىٰ الحفظ، والضلال يقع علىٰ النسيان، كقوله في شهادة النساء: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ أي تنسىٰ ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾.

وقيل: ضالاً أي غير عالمٍ بنبوتك قبل الوحي، فهداك بالوحي[٢].

قيل: إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خرج بقافلةٍ، فأخذ إبليس لعنه الله بزمام ناقته فعدل به عن الطريق بعيدًا، فجاء جبريل عليه السلام فنفخ بإبليس نفخة وقع من ذلك الموضع إلىٰ الحبشة، وردَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ القافلة فنزلت الآية[٣].

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ أي: وجدك فقيرًا فأغناك أي: قنعك بالرزق.

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٨٧، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٩٢.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٩٢، تفسير السمعاني ٦/ ٢٤٥.

(٣) وهذه قول باطل، ونحوه أقوال ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٤٩٠، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٧٦٨ مردها إلىٰ أنه ضل الطريق إما في صغره وإما في سفره.

وعن السدي والكلبي: وجدك في قوم ضلال أربعين سنة فهداك(تفسير الطبري ٢٤/ ٤٨٨، الكشف والبيان ٢٩/ ٤٨٩).

وقيل: أغناكَ بمالِ خديجة[١].

قال مقاتل: كل فصل قرأ جبريل علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «بلىٰ بلىٰ، يَمُنُّ عليَّ ربي وهو أهلٌ للمَنِّ»[٢].

ثم حثَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ مكارم الأخلاق فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ القهر هو الغلبة والتسلُّط.

قال بعض أهل التفسير: لا تعبس وجهك في وجه اليتيم، ولا تزجره، فقد كنت يتيما.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ أي: لا ترده خائبا، ولا تزجره، فقد كنت فقيرًا، وقد ذُقتَ مَضَضَ الفقر، وعرفت ذُل اليتيم.

قال الحسن: ليس المُراد به هذا السائل الذي يطوف عليك ويسألك، ولكنه طالب العلم يسأل عن العلم[٣].

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ أي: بما أنعم الله عليك من النبوة والإسلام أظهر شكره، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يختم مجلسه بقوله: «كنت يتيمًا فآواني ربي، وكنت عائلاً فأغناني ربي»[٤].

---

(١) الكشف والبيان ٢٩/ ٥٠١، وبالغنائم وبالرضىٰ بما قسم.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٤٩٥.

(٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٥٠٨، البسيط ٢٤/ ١١٦، وعن يحيىٰ بن آدم نحوه، والآية عامة في كل سائل، فتتناول المستعطي والمتعلم.

(٤) غريب بهذا اللفظ، وذكر ابن كثير في آخر تفسيرهذه السورة ٨/ ٤٢٨ عن ابن إسحاق قال: جعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا إلىٰ من يطمئن إليه من أهله، وافترضت عليه الصلاة، فصلىٰ.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا في الأخبار أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «سألت ربِّي مسألة فوددت أنِّي لم أسألها، قلتُ: يا رب اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلَّمت موسىٰ تكليمًا، وسخَّرت مع داود الجبال يسبحن والطير، وأعطيت سليمان مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فقال الله تعالىٰ: أَلَمْ أجدك يتيمًا فآويتك؟ قلتُ: بلىٰ يا رب، قال: ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ قلت: بلىٰ يا رب، قال: ألم أرفع لك ذكرك؟ قلتُ: بلىٰ يا رب، قال: ألم أضع عنك وزرك؟ قلتُ: بلىٰ يا رب، قال: ألم أؤتك ما لم أؤتِ نبيًا قبلك، خواتيم سورة البقرة؟ قلتُ: بلىٰ يا رب، قال: ألم أتخذك حبيبًا كما اتخذت إبراهيم خليلاً؟ قلتُ: بلىٰ»(١).

قال: وبلغنا عن أُبي بن كعب عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة والضحىٰ كان فيمن يرضاه محمد صلىٰ الله عليه وسلم أن يتشفَّع له، ويُكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢٢٨٩، ومن طريقه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٤٨٥، وإسناده حسن فيه عطاء بن السائب مختلط، لكن راويه عنه هو حماد بن زيد وقد سمع منه قبل الاختلاط.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٤٦٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٠.

سورة ألم نشرح

مكيَّة[١]، وهي ثمان آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ وهذه من النعم المعدودة علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سورة الضحىٰ، معناه: ألم نُوسِّع قلبك بالإيمان والتوحيد[٣].

قيل: لما كُلِّف رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة إلىٰ الفراعنة الجبابرة؛ الذين همتهم إهلاك من يُخالف دينهم، وإقلاع من يعبد الله وأطاعه، ضاق صدرُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وتغلغل قلبه، فوسَّعَ الله له صدره وشرحه، حتىٰ هان عليه جميع ذلك، فقام يوفي ما كُلِّف بلُطفٍ من الله عزَّت قدرته.

وقيل: ألم نُوسِّع قلبك، حتىٰ أطقت علىٰ حمل النبوة وأذىٰ الكفار[٤].

وقيل: ألم نشرح معناه شرحنا، لأنه استفهام المنفي، واستفهام المنفي بمعنىٰ التقرير، وذلك أنَّ جبريل وميكائيل شقَّا بطنه في صباه وغسلاه وملآه حكمةً وعلمًا، ثم وضعاه مكانه[٥]، وله قصة طويلة[٦].

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان٢٩/ ٥٢٣، زاد المسير ٤/ ٤٦٠.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٧٨).

(٣) وهو قول مقاتل وغيره، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٩٣، الكشف والبيان ٢٩/ ٥٢٥.

(٤) وعلىٰ هذه الأقوال فالانشراح معنوي، بمعنىٰ التوسعة والانفراج.

(٥) وعلىٰ هذا القول فالانشراح حقيقي، وهو شق الصدر، وجمع ابن كثير بين القولين، إذ لا منافاة بينهما، والمعنوي يترتب علىٰ هذا.

(٦) انظر الروايات في تفسير ابن كثير ٨/ ٤٢٩.

﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢﴾ أي: حططنا عنك إثمك الذي كان قبل النبوة والوحي، عن الكلبي ومجاهد ومُقاتل[١].

وقيل: وضعنا عنك وزرك حتىٰ لو لم نعصمك عن الأوزار لكان لك أوزار، كقوله ﴿لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ معناه: لولا عصمة الله لكانوا في الظلمات.

﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾ يعني: لو أتيتَ بالوزر لأثقل ظهرك.

وذُكر في بعض التفاسير: أنَّ إنقاض ظهره إنَّما كان لأن الكفار أخذوه وربطوا صنمًا ثقيلاً علىٰ ظهره حتىٰ جاء جبريل وحلَّهُ من ظهره، ورما به إلىٰ موضع انكسر رجله[٢].

قلت: وردَّ هذا الكلام أولىٰ بالقبول، لأنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لم يكن ذليلاً، لا في ابتداء حاله ولا في انتهائها، وهو مِنْ أشرفهم نسبًا، وأعزَّهم قرابةً، وأوسطهم بيتًا وجرثومة، فذووا قرابته -وإن لم يكونوا مؤمنين به- كانوا يحمونه حميَّة وافرة، مع أن الله تعالىٰ عاصمه وناصره، وقد وعد له العِصمة والنُّصرة.

﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ يعني: شرَّفناك بإقران ذكرك بذكرنا في الآذان والتشهُّد والخطب[٣].

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ﴾ الذي أنت فيه بمكة ﴿يُسۡرًا ۝٥﴾ بالمدينة.

﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ﴾ الذي أنت فيه بالمدينة ﴿يُسۡرًا ۝٦﴾ في الجنَّة.

﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ من دُنياك ﴿فَٱنصَبۡ ۝٧﴾ لآخرتك.

---

(١) البسيط ٢٤/ ١٢٤.

(٢) غريب لم أقف عليه.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٩٤.

وقيل: إذا فرغتَ من الصلاة فانصب للدعاء، ومعناه اجهد.

ويحتمل: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب لعبادة ربك[١].

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ ارفع إليه حاجتك وارغب إليه بالمسألة.

قال الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله: ينبغي أن لا يتكلف تفسير ما ذُكر في هذه السورة مِنْ أولها إلىٰ آخرها، لأنه أمر بينه وبين ربه، فلا يلزمنا التكلُّف في استخراجه سوىٰ الإيمان به[٢].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة ألم نشرح أُعطيَ من الأجر كمن لقي محمد صلىٰ الله عليه وسلم مغتمًّا ففرَّج به»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) الكشف والبيان ٢٩/ ٥٤٧.

(٢) تأويلات أهل السنة ١٠/ ٥٦٩.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩/ ٥٢٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦١.

سورة التين

مكيَّة[١]، وهي ثمان آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ①﴾ قال ابن عباس: هو تينكم الذي تأكلونه، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزَّيت[٣].

أقسم الله بهما لأن فيهما فوائد ودلائل، والتِّين يُؤكل ظاهره وباطنه.

وقيل: التين جبلٌ عليه مسجد دمشق، والزيتون جبل عليه بيت المقدس[٤].

﴿وَطُورِ سِينِينَ ②﴾ الجبل الذي كلَّم الله عليه موسىٰ.

وسينين: كل جبلٍ مُشجَّر[٥].

أقسم الله تعالىٰ بالجبال لأنَّ منافعها لا تُحصىٰ، فإنها أوتاد الأرض تمنع الأرض من الزلزال الدائم، والجبل أصلُب الأشياء، يخرج منه ما هو ألين الأشياء وألطفه، وهو الماء الزُّلال، ولأن عليها من الأشجار والثمار من غير إنباتٍ وغرسٍ، ولا يُمكن للخلق استخراج ذلك بكثرة الحيل، فهذا من عظم شأن الجبال.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ③﴾ يعني: مكة سمَّاها أمينًا لأن مَنْ دخله أَمِنَ.

---

(١) الكشف والبيان ٣٠/ ٧، زاد المسير ٤/ ٤٦٣، وحكىٰ فيها قولا أنها مدنية.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٧٩.

(٣) في رواية الكلبي، وهو قول الجمهور، تفسير الطبري ٢٤/ ٥٠١، الكشف والبيان ٣٠/ ٩، البسيط ٢٤/ ١٤٤. وهو الراجح عند ابن جرير وغيره لأنه هو المعروف من لسان العرب.

(٤) وهو قول كعب وقتادة وابن زيد، انظر: تفسير الطبري ٢٤/ ٥٠٢، زاد المسير ٤/ ٤٦٣.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٠٥، تفسير أبي الليث ٣/ ٥٩٥.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ علىٰ أحسن صورة وقامة.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ إلىٰ الخرف والهَرم وفقد العقل والنسيان، وفيه دلالة البعث.

وقيل: الإنسان أراد به الكافر، خلقناه في أحسن تقويمٍ: أحسن صورة، فأنكر توحيدنا فرددناه إلىٰ أسفل سافلين، من نارِ جهنم في أقبح صورة، بنحو صورة الخنزير والقِردة، ولهذا استثنىٰ أهل الإيمان فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ أي: غير مقطوعٍ ولا منقوصٍ أبد الآبدين.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ ما الذي دعاك أيها المُكَذِّب إلىٰ تكذيبك بدِين الله، وقيل: هو الجزاء، وقيل: القيامة للحساب[1].

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ﴾ ألم تعرف بأن الله ﴿بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾أن الله أحكم الحاكمين وأَعْدَل العادلين[2].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن ابن السائب الكلبي رحمة الله عليه في قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ قال: مَنْ أدركه الهَرَم وهو علىٰ طريقةٍ حسنةٍ في شبابه، ثم أدركه الهَرَم وهو علىٰ ذلك، كتب الله له في هَرَمِه مثل الذي كان يعمل وهو شابٌ صحيحٌ، لا ينقص من أعماله شيء[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) وفي قول ابن الكلبي أن المراد هو الوليد (تنوير المقباس ٥١٤).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٩٦، الكشف والبيان ٣٠/ ٢٧.

(٣) ونحوه قال مقاتل في تفسيره ٣/ ٤٩٨.

سورة اقرأ

مكيَّة[١]، وقيل: سورة العلق، وذكر الكلبي: سورة الزبانية[٢].

وهي تسع عشرة آية[٣].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ ذكر أهل التأويل أنَّ هذه السورة أول وحي أوحىٰ الله إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وكان علىٰ جبل حراء، فجاءه جبريل وقال له: اقرأ، فقال: «كيف اقرأ وأنا أمِّيٌ؟» فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ أي: بأمر ربك الذي خلق ما خلق[٤].

واللاحق في هذه الآية وما يُشاكلها إذا قيل لرسول الله: اقرأ، أو افعل أن لا يقول لغيره مثل ما قيل له من افتتاح، وهو قوله: اقرأ، في هذه السورة، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وقل إنما أنا بشرٌ مثلكم، ونظيره لا يُحصىٰ من كثرته، فينبغي أن يترك كلمة: قل، ثم يتكلَّم بباقي الكلام الذي أمره، ولكن يُقال: إنه ذكرَ هذه الكلمات حتىٰ تكون كلها قرآنًا، وتثبُت في المصاحف، وتُقرأ بالألسنة، حتىٰ يكون المفهوم من وحي السماء بخلاف المفهوم من كلام بعضنا بعضًا، وأن يكون الخطاب منه لكل أحد ومن كل أحد إلىٰ مثله، خاطب بها جبريل أولاً، ثم خاطب جبريل رسول الله

---

(١) بالإجماع، لأنها أول ما نزل، الكشف والبيان ٣٠/ ٣١، البسيط ٢٤/ ١٦٥، زاد المسير ٤/ ٤٦٦.

(٢) والقلم (زاد المسير ٤/ ٤٦٦).

(٣) وثمان عشرة في الشامي، وعشرون في المدنيين والمكي، البيان في عد آي القرآن ٢٨٠.

(٤) وهو الحديث الثالث في صحيح البخاري، ورواه مسلم ١٦٠.

صلىٰ الله عليه وسلم، ثم خاطب رسول الله مَنْ رأىٰ مِنْ أصحابه، ثم خاطب أصحابه مَنْ رَأَوْهُمْ من الناس، هكذا إلىٰ يوم القيامة، والله أعلم[١].

قال أبو سهل: الاسم زائدٌ في الكلام، معناه: اعمل بالله أو بعون الله واقرأ بوحي الله إليك.

ثم قال ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ أي: دم عبيط ﴿ٱقْرَأْ﴾ القرآن ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ الحليم عن جهل عباده، والمتجاوز عن ذنوبهم[٢].

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ أي: علَّم الخط والكتابة بالقلم.

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ أي: علَّم آدم الأسماء كلها، فإلىٰ هاهنا نزلت السورة في أول مرة، ثم نزلت الباقي بعد زمانٍ طويلٍ[٣].

وفي الخبر عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «كنت قائمًا علىٰ جبل حراء إذ أتاني آتٍ، وقال: أبشر يا محمد، فأنا جبريل وأنت رسول الأُمَّة، ثم أخرج لي قطعة نمط، وقال: اقرأ، فقلت: والله ما قرأت كتابًا، فقال: اقرأ، فقلتُ: كيف اقرأ وأنا أُمِّيٌ، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قوله ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾.

ثم قال: انزِل فنزلتُ من الجبل إلىٰ قرار الأرض، وأجلسني علىٰ

---

(١) وبنحو هذا أجاب أبي بن كعب، لما سأله زر بن حبيش عن المعوذتين، فقال: سالت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن ذلك فقال: قيل لي فقلتُ، فنحن نقول كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (رواه البخاري ٤٩٧٦).

(٢) تفسير الأكرم بالحليم هو قول الكلبي، كما في الكشف والبيان ٣٠/ ٤٥، وهو أقرب إلىٰ التفسير باللازم، ، وفي تفسير أبي الليث ٣/ ٥٩٨ أن الأكرم: الكريم ، يعني المكرم الذي يكرم من يشاء بالإسلام، وهذا أحسن في تفسير الأكرم، والله أعلم.

(٣) زاد المسير ٤/ ٤٦٦.

درنوك[١] وعليه ثوبان أخضران، ثم ضرب برجله الأرض، فجرت عينًا، فتوضأ منها، وقال لي: توضأ فتوضأت، وقال: صَلِّ فصلَّىٰ ركعتين وصليت، ثم قال هكذا الصلاة يا محمد، ثم انطلق»[٢].

وقوله ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ نزل بعده بسنتين، ومعناه: حقًا إن الإنسان يترفع ويتكبَّر إذا رأىٰ نفسه غنيًّا.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ المرجع في الآخرة ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في الحِجْرِ يُصلِّي، فنهاه أبو جهل لعنه الله، فنزلت الآية[٣].

يعني: أعجب من الذي نهاك ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١﴾ أي: أَخْبِرْنِي أيها النَّاهي إن كان محمد علىٰ الهُدىٰ ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢﴾ أي: بخشية الله، ثم ترك جوابه، ومعناه: أرأيت المُكذِّب المتولي النَّاهي عبدًا مُصليًا هاديًا مهديًا، وهذا كله إيعادٌ بأبي جهل[٤].

وقيل: أكنت تنهاه عن طاعة ربه إن كان علىٰ هذه الصفة.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ يا محمد، وجوابه محذوف، معناه: أكنت تُطيعه.

﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ أبو جهل لعنه الله ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ ما يفعله في كُفرِهِ ﴿كَلَّا﴾ حقًا، لئن لم ينته الخبيث من قوله ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾ يعني: لنأخذ ناصيته، وقيل لنَجرنَّهُ بناصيته إلىٰ النار، والسَّفع: الجرّ والجذب[٥].

---

(١) الدرنوك: ستر له خمل (النهاية لابن الأثير ٢/ ١١٥).

(٢) ذكره في السيرة الحلبية ١/ ٣٧٧، وهو من الأحاديث الدائرة في كتب السيرة.

(٣) رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره، تفسير الطبري ٢٤/ ٥٢٣.

(٤) البسيط ٢٤/ ١٧٥.

(٥) البسيط ٢٤/ ١٧٦.

وقوله: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ أي: ناصية نفسٍ ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾ مُشركة.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ أي: أبو جهل ليجمع أهل مجلسه وعشيرته، يستنصره ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ ليعذبنه، وهم الغِلاظ من الملائكة، واحدهم: زبنية، طول أقصرهم ما بين السماء والأرض، يجرُّون إلىٰ النار فلينظر الملعون يومئذٍ لمن النصرة.

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ يا محمد فيما أمرك من ترك الصلاة ﴿وَٱسْجُدْ﴾ علىٰ رغمه ﴿وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ إلىٰ الله بالسجود الثاني.

فشَرَع الله في كل ركعة سجدتان اقترابًا، وانصرف أبو جهل من عند رسول الله هاربًا لمَّا ذكر الزَّبانية، فقيل له: خِفْتَهُ يا أبا الحكم؟ قال أبو جهل: رأيتُ عليه حارسًا يُهددني بالزبانية، قيل: ما الحارس؟ قال: فحلٌ أهوىٰ إليَّ أراد أن يأكلني(١).

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ قرأ سورة القلم أُعطي من الأجر كأنما قرأ المُفصَّل كلها»(٢).

---

(١) أصله في صحيح مسلم (٢٧٩٧) ولفظه: عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزىٰ لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن علىٰ رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليطأ علىٰ رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص علىٰ عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا» قال: فأنزل الله عز وجل - لا ندري في حديث أبي هريرة، أو شيء بلغه -: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾، الآيات.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٣٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٣.

سورة القدر

مكيَّة[١]، وهي خمس آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ معناه: إنا أنزلنا القرآن.

والهاء في أنزلناه ضمير القرآن، وإن لم يجْرِ ذكره في هذه السورة.

في ليلة القدر، أي: ليلة الحُكم والقضاء، من اللوح المحفوظ إلىٰ سماء الدنيا، ثم ينزل به جبريل بسورةٍ سورةٍ، وآيةٍ آيةٍ، بقدر الحاجة إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأنزل القرآن من اللَّوح إلىٰ السَّفرةِ قدر ما يوحىٰ إلىٰ رسول الله في تلك السنة في ليلة القدر، وكذلك في القدر الثاني والثالث إلىٰ تمام عدده، فكان بعد ذلك يقرأ علىٰ رسول الله[٣].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ هذا للتعظيم والتعجُّب.

ثم بيَّن فقال: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ يعني: العمل في ليلة القدر خيرٌ من العمل في ألفِ شهر ليس فيه ليلة القدر[٤].

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ يعني بالرُّوح جبريل.

---

(١) هذا قول الكلبي، وزعم الماوردي أنه قول الأكثرين، وخالفه غيره فقال: إنها مدنية، وزعم الثعلبي أن ذلك قول الأكثرين، انظر: الكشف والبيان ٣٠/ ٥٥، النكت والعيون ٦/ ٣١١، زاد المسير ٤/ ٤٦٩.

(٢) إلا في المكي والشامي فهي عندهم ست (البيان في عد آي القرآن ٢٨١).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٣١، تفسير أبي الليث ٣/ ٦٠١، الكشف والبيان ٣٠/ ٥٨.

(٤) وهو قول عامتهم (تفسير الطبري ٢٤/ ٥٣٣، البسيط ٢٤/ ١٩٢).

وقيل: الرُّوح خلقٌ يوكلون بالملائكة كما أن الملائكة مُوكَّلُون ببني آدم[١].

وجائزٌ أن يُقال: بأن الروحَ هي الرحمة، أي: تنزل الملائكة ومعهم رحمة الله ينزلون بها علىٰ عباد الله المؤمنين ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ يعني ينزلون بأمر ربهم ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ بكل أمرٍ أَمَرَ الله به عباده، وقدَّره من الليلة إلىٰ الليلة القابلة، ومن بمعنىٰ الباء، يعني ينزلون بأمر ربهم[٢].

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي: تنزل الملائكة تخفق بأجنحتها بسلامٍ من الله والرَّحمة والمغفرة.

وقيل: السلام من صفة الليل، معناه: هي سالمة من الآفات لا يحدث فيها شرٌّ ولا يرسل فيها شيطان[٣].

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ إلىٰ مطلع الفجر.

وقال بعضهم: معنىٰ قوله «من كل أمرٍ سلامٌ»، أي: علىٰ كل مأمورٍ سلم، وكلمة «من» تُقام مقام كلمة «علىٰ»، كقوله ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ معناه: علىٰ القوم.

والأمر يُراد به المأمور لأنَّ المأمور لا يخلو عن الأمر.

وقيل: من كل أمر يعني من كل عقوبة، والأمر يذكر ويُراد به العقوبة كقوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي عذاب الله، وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾.

---

(١) وقد مضىٰ ذكر ذلك، في تفسير سورة النبأ، آية: ٣٨، وانظر: تفسير أبي الليث ٣/ ٦٠٢.

(٢) البسيط ٢٤/ ١٩٦.

(٣) وهذا ذكره الطبري في تفسيره عن أهل التأويل (تفسير الطبري ٢٤/ ٥٣٥، البسيط ٢٤/ ١٩٧).

قيل: سمَّاها الله تعالىٰ ليلة قدر لشرفها علىٰ الليالي، وأخفاها لحكمته، وهو: استعمال العباد بطاعته، لأن في إظهارها استراحة الخلق عن الطاعة.

وتكلَّموا فيها، وأكثر العلماء علىٰ أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان، لأن السورة كلها ثلاثون كلمةً، وكلمة السابع والعشرين كلمة: هي، وإنها إشارة إلىٰ ليلة القدر، فاستدلوا بها علىٰ أنها ليلة السابع والعشرين[1].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة القدر أُعطي من الأجر كمن صام شهر رمضان وأحيىٰ ليلة القدر»[2].

---

(١) أطال الثعلبي الكلام علىٰ ذلك في فصل عقده له (الكشف والبيان ٣٠/ ٦٢).

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٥٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٤.

سورة لم يكن

مكيَّة[١]، وهي ثمان آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال الشيخ أبو سهل رحمه الله: لم يكن عبد الله بن سلام وغيره، منْ أسلم مِن اليهود، ومَنْ أسلم مِن النصارىٰ، ومَنْ أسلم من مشركي العرب، مثل أبي بكر وعمر وغيرهما[٣].

﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ أي: منتهين زائلين عن كُفرهم.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ يعني: البيان من الله، فإذا أتتهم البيِّنة انتهَوْا عن الكفر.

ثم فسَّر البينة فقال ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

وقال بعضهم: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب؛ مثل كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، والمشركين مثل أبي جهل والوليد وعُتبة وشَيْبَة؛ منفكين: زائلين عن الكفر، حتىٰ تأتيهم البيِّنة: العذاب من الله تعالىٰ بالقتل يوم بدر، وقيل: بني قريظة وغير ذلك[٤].

---

(١) وهذا قول الكلبي، وفيها خلاف، فقد حكىٰ الثعلبي أنها مدنية (الكشف والبيان ٣٠/ ١٢١)، وهذا قول الجمهور، وهو الصحيح (زاد المسير ٤/ ٤٧٥).

(٢) وتسع في البصري والشامي (البيان في عد آي القرآن ٢٨٢).

(٣) وهذا قول غريب. والمعهود عن أبي سهل أنه يتبع الفراء، لكني لم أجده مثله في كتاب الفراء ٣/ ٢٨١.

(٤) وتفسير البينة بالعذاب غريب كذلك، والصحيح في الآية -الذي عليه أهل التأويل-: لم يكن هؤلاء الكفار من المشركين ومن اليهود والنصارىٰ منتهين عن شركهم وكتمهم صفة النبي

ثم قال [عن] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ من الباطل والشرك، يعني القرآن ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ أحكامٌ بيِّنةٌ، وأخبارٌ صادقة، وأمور مستقيمة.

سمَّاها كتبًا: لِما فيها من السور، وجعل كل سورة بمنزلة كتاب مفرد.

وقيل: جمعه تعظيمًا له، كقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ والخطاب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في رسالة محمد ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ أنه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ثم اختلفوا وتفرَّقوا.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ لا يُشركون به شيئًا ﴿حُنَفَآءَ﴾ مائلين عن الأديان كلها ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ ذكر القيمة بالتأنيث والدِّين مذكَّرٌ.

قال مقاتل: أراد به المِلَّة(١).

وقال الخليل بن أحمد: القَيِّمَة جمع القيم، والقائم والقيم واحدٌ، ومعنىٰ الآية: دِين القائمين لله.

وروي عنه أنَّ الهاء دخلت في القيمة لفواصل الآيات، وقد ينقص حرف ويزاد حرف لفواصل الآيات، ومِثْله كثيرٌ في القرآن وقد قدَّمنا أمثاله(٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ

وكفرهم به حتىٰ يأتيهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالقرآن (تفسير الطبري ٢٤/ ٥٣٩، تفسير أبي الليث ٣/ ٦٠٣، الكشف والبيان ٣٠/ ١٢٦، البسيط ٢٤/ ٢٠٥).

(١) البسيط ٢٤/ ٢١٧.

(٢) قال الخليل: القيمة الملة المستقيمة، ودين القيمة أي المستقيمة (العين ٥/ ٢٣٣).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ والبَرِيَّة: كل مَا خلق الله من التراب.

﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي: دار إقامة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ دائمين فيها ﴿أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ الرضا من الله ضد السخط، ومن العبد طيب النفس بما أوتي، أي: رضُوا من الله بثوابه وكرامته ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ فوحَّده.

والخشية من الله لا تكون إلا بالعلم بالله، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مستقرًّا ومقيلاً»[1].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ١٢٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٦.

سورة الزلزلة

مكيَّة عن الكلبي، ومدنيَّة عن مقاتل[١]، وهي تسع[٢] آيات[٣].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①﴾ قد ذكرنا فيما سبق وتقدَّم: أنَّ كلمة «إذا» تذكر [جواب] سؤال سابق، كأنهم سألوا عن الوقت واليوم إذا كانوا يوعدون، فأجابهم الله: إذا زلزلت الأرض.

والزلزلة: شدة الاضطراب والتحريك حتىٰ ينهدم البنيان، وينكسر ما علىٰ الأرض من الأشجار وغيرها، وهي من أشراط الساعة.

والزلزال والزلزلة والرَّجفة والرَّاجفة والرَّادفة كلها واحدٍ، وهي شدة الاضطراب[٤].

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②﴾ أي: لفظت الأرض وأبرزت كنوزها ومدفوناتها وأمواتها، كقوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④﴾[٥].

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ③﴾ يقول الكافر عند ذلك: ما لها تتحرك، تعجُّبًا منها[٦].

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٥٠٦، تنوير المقباس ٥١٦، الكشف والبيان ٣٠/ ١٣٩، زاد المسير ٤/ ٤٧٧.

(٢) في الأصل: سبع، وهو تصحيف.

(٣) وفي المدني الأول والكوفي ثمان (البيان في عد آي القرآن ٢٨٣).

(٤) البسيط ٢٤/ ٢٢٣.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٤٧.

(٦) وهو مروي عن ابن عباس (تفسير الطبري ٢٤/ ٥٤٨).

وقيل: الإنسان ههنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

وروي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «أنا ذلك الإنسان، وأنا أوَّل مَن تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فأقول: ما لأرضِ ربِّي» والله أعلم ممن يكون ذلك.

﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤﴾ أي: تخبر الأرض عما[1] عملَ علىٰ ظهرها من خيرٍ أو شرٍ، وهو مرويٌّ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أيضًا أنه فسَّرها به[2].

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ أي: أَذِنَ لها بالتحدُّث وأمرها، والوحي يكون للإِذْنِ والإلهام والأمر، ولم يقل: أوحىٰ إليها لأنه أراد أذن لها.

﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾ أي: يرجعون من الموضع الذي حُوسبوا فيه أشتاتًا متفرِّقين[3].

ويحتمل: الصدور من القبور إلىٰ الحساب.

﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦﴾ أي: ما كُتِبَ لهم من ثواب الحسنات وعقوبة السيئات.

ويحتمل: أنهم يَرِدون عرصة الحساب ثم يصدرُون عنها إلىٰ مثواهم ومنقلبهم أشتاتًا، زُمرة زُمرة، مُتفرِّقين مُنقادين، فريقٌ إلىٰ الجنة وفريقٌ في السَّعير؛ ليصلوا إلىٰ جزاء أعمالهم.

---

(١) في الأصل: مما.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ١٤٦ عن أنس قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أتدرون ما أخبارها، إذا كان يوم القيامة أخبرت بكل عمل عُمل علىٰ ظهرها. وفيه رشدين بن سعد ضعيف الحديث.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٥١.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

قال الشيخ أبو منصور: يرىٰ الكافر ما عمل من خيرٍ في الدنيا، ولا يراه في الآخرة لأنه عمل للدنيا لا للآخرة، وقال الله تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ الآية.

والمؤمن يرىٰ ما عمل من شرٍّ في الدنيا وما عمل من خيرٍ في الآخرة، وإنما ضرب الخير والشر مثلاً بمثقال ذرةٍ -وهي نملة صغيرة حمراء- لأنها أصغر ما يقع عليها وَهْمُ البشر غالبًا(١).

وكان بعض المسلمين يستحقرون الذَّنْبَ الصغير ويتهاونون به، في زمن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وكانوا يقولون: إنَّ الله تعالىٰ يأخذ بالكبيرة ولا يُؤاخِذُ بالصغيرة، مثل: النظرة والكذبة والغيبة، وكانوا أيضًا يَسْتَقِلُّون اليسير من الصَّدقة، ولا يتصدَّقون بتمرةٍ وجوزةٍ، وكانوا يقولون: ثواب الله عزَّ وجل إنما يقع علىٰ ما نُحِبُّه، وقد أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ فالله تعالىٰ أنزل هذه الآية ترغيبًا في القليل من الخير، وتحذيرًا عن القليل من الشر.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولأبويه-: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة إذا زلزلت كأنه قرأ سورة البقرة، وأعطي من الأجر كمَنْ قرأ ربع القرآن»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) ملخص من تأويلات السنة للماتريدي ١٠/ ٥٩٩.

(٢) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٦.

سورة العاديات

مدنيَّة[١]، إحدىٰ عشر آية[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ [فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢]﴾.

في الخبر: أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم بعث سَرِيَّة إلىٰ بني كنانة أو بني كندة، وأبطأ خبرهم، فأعلمه الله خبرهم علىٰ لفظ القسم ليكون دليلاً علىٰ قبول جهادهم، واسترضاء فعلهم[٣].

قال ابن عباس وابن مسعود: نزلت في خَيْلِ الغزاة[٤].

وقال علي: في إبل الحُجَّاج[٥].

---

(١) علىٰ خلاف بينهم، حكاه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ١٦٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٨٠.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٨٤).

(٣) وهو من رواية مقاتل، كما في الكشف والبيان ٣٠/ ١٧١، والكلبي كما في البسيط ٢٤/ ٢٣٧، وروي عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٤) وهم في عد ابن مسعود من القائلين بهذا القول، بل هو من أصحاب القول الثاني، كما في تفسير الطبري ٢٤/ ٥٥٨، و الكشف والبيان ٣٠/ ١٦٩، ويظهر أن القول بأنها خيل الغزاة هو قول الجمهور.

(٥) ومعه ابن مسعود، وأقوالهم في تفسير الطبري ٢٤/ ٥٥٨، والكشف والبيان ٣٠/ ١٧٦.

وقد حصلت مناظرة بين علي وابن عباس في العاديات، فروىٰ ابن جرير في تفسيره من طريق أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس حدثه قال: بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن العاديات ضبحا، فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلىٰ الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم، فانفتل عني، فذهب إلىٰ علي بن أبي طالب رضىٰ

وقال ابن عباس: لا يكون الضَّبْحُ إلا في الخيل خاصةً، وهو الصوت الذي يُسمع من جوفها حين تعدو[١].

وإنَّما جرىٰ القسم بالخيل لشدة عَدْوِهَا وقوتها، وحِدَّة بصرها في ظُلمة الليل، ومِنْ قوتها أنها تعدو في ليلة ظلماء فتخرج النار من شدة جريها من الحجارة التي تضربها بالحوافير، وذلك في مكانٍ يعجز الإنسان عن المشي عليه إلا بمشقَّةٍ.

فمعنىٰ الكلام: والعاديات تضبح في عدوها ضبحًا، نصب علىٰ المصدر[٢].

قال عليٌّ رضي الله عنه: متىٰ كان في سرايا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خيلٌ

الله عنه وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن العاديات ضبحا، فقال: سألت عنها أحدًا قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي، فلما وقفت علىٰ رأسه؛ قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكانت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحا، إنما العاديات ضبحًا من عرفة إلىٰ مزدلفة إلىٰ منىٰ، قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلىٰ الذي قال علي رضي الله عنه.

قلت: إسناده غريب، وقد تفرد به أبو صخر الخراط عن أبي معاوية الدهني عن سعيد بن جبير، أما أبو صخر فيهم، وأما أبو معاوية فصدوق لكنه لم يسمع من سعيد بن جبير شيئا، ففي (العلل رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل ٣٠٣٣): عن بكر بن عياش قال: مر بي عمار الدهني فدعوته، فقلت: يا عمار، تعال، فجاء فقلت له: سمعت من سعيد بن جبير شيئًا؟ قال: لا، قلت: اذهب.

فالخبر منقطع، والصحيح أن ابن عباس وعليا اختلفا، وما ليس بصحيح أن ابن عباس رجع عن قوله، ومما يؤكد ذلك أن أصحابه قالوا: هي الخيل، ولم ينزعوا عن ذلك، وهو الذي رجحه ابن جرير والله أعلم.

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٥٨، الكشف والبيان ٣٠/ ١٦٩. ومن الحيوانات التي تضبح: الكلب والثعلب.

(٢) الدر المصون ١١/ ٨١.

تعدو حتىٰ[١] يُقسم بها.

والضبح يعبر بها عن الصوت الذي يُسمع في مشافر الإبل[٢] إذا عدت.

قال ابن عباس: الإيراء من الحجارة لا يكون إلا بسنابك الخيل[٣].

قال علي رضي الله عنه: الإبل لتضربُ الحِجارة بأخفافها فتصطك فيخرجُ منه النار.

قال ابن عباسٍ: ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣﴾ هي الخيل التي أغارت علىٰ الكفار في وقت الصبح.

وفي قول علي: إبل الحُجَّاج التي أفاضت من المزدلفة، يدفع بعضها بعضًا وقت الصبح، وكانت العرب نزولهم في تلك الغارات.

﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤﴾ أي: بالوادي، وإن لم يجر ذكر الوادي ولكن في الكلام ما يدل عليه، كقوله ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾.

﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥﴾ يعني: جمع الكفار بالمكان أو بالوادي، وفي قول علي: جمع الحاج بمنىٰ.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾ وهذا موضع القسم.

في الخبر عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «الكنود الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفده، ولا يُعطي النائبة في أهله»[٤].

---

(١) في الأصل: حين، وهو تصحيف تكرر منه في هذه الكلمة.

(٢) في الأصل: مشافر اوابل.

(٣) لأنه يحتاج إلىٰ حافر صلب لا خف لين (البسيط ٢٤/ ٢٣٩).

(٤) رواه ابن جرير في التفسير ٢٤/ ٥٦٦، من حديث أبي أمامة، مرفوعًا وفيه متروك، ثم رواه موقوفا وهو أصح.

وفي لغة قريش: الكنود البخيل، وفي لغة كنانة: الكفور، وفي لغة حضرموت: العاصي[١].

وقال الحسن البصري: هذا الذي يعد المصائب وينسىٰ النِّعَمْ[٢].

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ يعني الله تعالىٰ علم بكنوده، وقيل: الإنسان هو الوليد بن المغيرة شهيد علىٰ فعله لا يجحده[٣].

وقال الكلبي: نزلت الآية في أبي حباحب، وهو من بخلاء العرب، وهو أبخل الناس، كان لا يوقد نارًا حتىٰ ينام جيرانه، فإذا أحس بأحدٍ أطفأ ناره كراهة أن ينتفع أحد بها[٤].

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ أي: متشدد بخيل، الخير: هو المال، الشديد والمتشدد: بخيل مصر علىٰ البخل.

قال طرفة بن العبد:

أرىٰ الموتَ يَعْتَامُ الكرامَ ويصطفى عَقيلة مال الفاحِش المتشدِّدِ[٥]

يعني: البخيل.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ يعني: لا يعلم الكافر إذا بُعث من

---

(١) وهو قول الكلبي ورواه عن ابن عباس، الكشف والبيان ٣٠/ ١٨١، الدر المصون ١١/ ٨٩.

(٢) الكشف والبيان ٣٠/ ١٨٢.

(٣) وقال الكلبي: هو قرط بن عبد الله بن عمرو، ويقال: أبو الحباحب (تنوير المقباس ٥١٧). ولا شك أن المراد العموم.

(٤) الكشف والبيان ٣٠/ ١٧٧.

(٥) البيت من معلقته المشهورة، (شرح المعلقات السبع للزوزني ١١٠) وأخذ من هذا البيت أن العرب تسمي البخيل: فاحشا، ومتشددا (تهذيب اللغة ٤/ ١١٢، الكشف والبيان ٣٠/ ١٨٨). وقوله: اعتام أي اختار.

القبور، وذكر «ما» لأنَّ في القبور عظامًا بالية.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ أي: أظهر ما أخفته النفوس، وجوابه محذوف، ومعناه: أن لا يعلم أن الله يحاربه في ذلك اليوم.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ وهو خبير بهم اليوم أيضًا، ولكن ذكر يومئذٍ لأنه يوم الجزاء وهو خبير بالجزاء والله أعلم.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة العاديات أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد مَنْ بات بالمزدلفة وشهد جَمْعًا»(١).

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ١٦٨، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٧.

سورة القارعة

مكيَّة[١]، وهي ثمان آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ القارعة عند العرب هي الدَّاهية، وهي في هذا الموضع وصف لشدة هول يوم القيامة[٣].

وقوله: «ما القارعة» تعجيب وإعظام لذلك.

قيل: هو مبتدأ[٤] وخبره: ما القارعة، وقيل: خبره وما أدرك[٥].

والألطف ما قال سيبويه: أنه رفع علىٰ التحذير، والعرب ترفع علىٰ التحذير، يُقال: الأسدُ الأسدُ[٦].

وقال الشاعر:

فاحذروا غب ما يخافه إنْ قا ... ل أخو النجدة السلاح السلاح[٧]

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٠/ ١٩٣، زاد المسير ٤/ ٤٨٣.

(٢) في البصري والشامي، وعشر في المدنيي والمكي، وإحدىٰ عشرة في الكوفي (البيان في عد آي القرآن ٢٨٥).

(٣) قال الواحد: اسم من أسماء القيامة في قول الجميع (البسيط ٢٤/ ٢٦١).

(٤) في الأصل: أشد. وهو تصحيف.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٧٥.

(٦) الدر المصون ١١/ ٩٣. وهي قاعدة عندهم: أن العرب تحذر وتغري بالنصب والرفع.

(٧) كذا أنشد البيت، وشطره الأول في تفسير الطبري ٦/ ١٢٨، والدر المصون ١١/ ٩٣: لجديرون بالوفاء إذا قال... الخ.

وسُمِّيت قارعة: لأنها تقرع القلوب بأقراعها[١].

ثم عظَّم شأن القيامة ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾ أي: لا علم لك بها لعظم شأنها.

ثم وصف وقال: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤﴾ وهي: صغار جرادٌ منتشرٌ يموج بعضها في بعضٍ، ويركب بعضها بعضًا، ويتفرَّق يمنة ويسرة، وهذه صفة حيرتهم[٢].

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾ العهن: صوف مصبوغ، والمنفوش: المندوف، وذلك أنَّ الجبال تتلون ألوانًا من شدة أهوال يوم القيامة، وتتطاير كتطاير الصوف المندوف عند الندف[٣].

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ ولها تأويلان[٤]:

أحدها: القدر والجاه والخطر، يُقال: لفلان عند الأمير وزن، أي: جاهٌ بسيط وقدر وخطر، فكان المُراد به: من كان له عند الله قدرًا ومنزلةً من غير أن يكون هناك وزن ولا ميزان.

والوجه الثاني: أنه يُراد به وزن السرائر المرضية الحسنة، مما لم تطلع عليها الملائكة الذين هم يكتبون أعمال بني آدم، فأظهر الله تعالىٰ سرائرهم علىٰ خلقه[٥].

---

(١) البسيط ٢٤/ ٢٦١.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٦١١.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٤.

(٤) لكنه ذكر ثلاثة.

(٥) هذان القولان شاذان، ينتهكان قانون التفسير بالمأثور، ولم يقل بهما أحد ممن سلف من أهل التأويل، إنما ذكرهما أبو منصور الماتريدي في تفسيره تأويلات أهل السنة ١٠/ ٦٠٦.

والوجه الثالث: وزن الأعمال وهو معروف[١].

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ أي: مرضيَّة فاعل بمعنىٰ المفعول.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨﴾ أي: من الأعمال السيئة والسرائر الخبيثة ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ أي: مسكنه النار، والهاوية دركة في النار.

وقيل: معناه يسقط فيه علىٰ أم دماغه، فأمه هاوية، أي: أم دماغه ساقطة فيها، وهذا اللفظ معروف فيما بين العرب، تقول: هوت أمه أي: سقط هو في أمرٍ عظيمٍ، علىٰ وجه الدعاء[٢].

قال الشاعر:

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديًا   وماذا يؤدي الليل حين يؤوب[٣]

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾ [النفس][٤]، ثم فسَّرها وقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ فاعلة بمعنىٰ المفعولة، أي: في غاية الحر.

ولم يذكر أبو منصور القول الثالث الذي عليه أهل التأويل، ولذا تبعه المصنف، ثم زاد عليه قول أهل التأويل وجعله وجها ثالثًا.

(١) هذا القول الثالث الأخير هو الذي يذكره المفسرون هنا، لأن القرآن دل عليه في آيات أخرىٰ، انظر: تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٥، تفسير أبي الليث ٣/ ٦١١، البسيط ٢٤/ ٢٦٥، زاد المسير ٤/ ٤٨٣.

(٢) روي عن قتادة وأبي صالح (تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٥، الكشف والباين ٣٠/ ١٩٦).

(٣) البيت لكعب بن سعد الغنوي، انظر: تهذيب اللغة ٦/ ٢٦٠، ١٥/ ٤٣٢، إعراب القرآن للنحاس ٦/ ١٧٦.

(٤) هكذا في الأصل ، وهو تصحيف، ولم أهتد لصوابه، لكن لعله: المسكن، فإنه إنما فسرها بأنها مسكنه (انظر: تفسير أبي الليث ٣/ ٦١١).

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولأبويه-: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة القارعة ثقَّل الله بها ميزانه يوم القيامة»[١].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ١٩٤، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٨.

سورة ألهاكم

مكيَّة(١)، وهي ثمان آيات(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ أي: شغلكم التفاخر بكثرة الأولاد والعشائر، وقيل: كثرة المال عن أمر الآخرة.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ أي: أتيتم المقابر.

ذُكر في التفسير أنَّ حيَّين من بني عبد مناف وبني سهم تفاخرا بكثرة العدد، فكثرهم بنو عبد مناف، فقال بنو سهم: لقد أفنانا السيف وأهلكنا البغي، تعالوا نعد الأموات، فعدوا الأموات فكثرهم بنو سهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾الآية(٣).

معناه: شغلكم التكاثر بالأنفس حين دخلتم المقابر وعددتم الأموات.

ويُقال: معناه حتىٰ دُفنتم في المقابر، والدفن في القبر يُسمىٰ زيارة للقبور(٤).

كما قال الطائي:

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٠/ ٢٠١، زاد المسير ٤/ ٤٨٥.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٨٦.

(٣) هذا قول ابن السائب ومقاتل، ولذا لم يذكره الطبري (الكشف والبيان ٢٤/ ٥٨٠، زاد المسير ٤/ ٤٨٥). وقال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا نحن أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتىٰ ماتوا ضلالا (تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٩، الكشف والبيان ٣٠/ ٢٠٣).

(٤) ويدل عليه استدلال علي بن أبي طالب بهذه الآية علىٰ عذاب القبر (تفسير الطبري ٢٤/ ٥٨٠).

وما يوم زرت اللحد يومك وحده علينا ولكن يوم عمرو وحاتم[(١)]

﴿كَلَّا﴾ زجر، أي: لا تفعلوا ذلك وارتدعوا ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ [ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ] ۝٤﴾ أنَّ المفاخرة بماذا أولىٰ بكم، وقيل: الاشتغال بأي شيءٍ أولىٰ بكم[(٢)].

ثم أكَّد الوعيد فكرر[(٣)]، ثم قال ﴿كَلَّا﴾ أي: حقًّا ﴿[لَوْ] تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ الذي لا شك فيه، أضاف العلم إلىٰ اليقين إضافة الشيء إلىٰ نعته، وإلىٰ نفسه، كقوله ﴿حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ ، وجوابه: مضمر محذوف، معناه لو تعلمون علم اليقين لما تكاثرتُم.

ثم ابتدأ فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ بالتفكُّر في آيات الله وحجج نبوة رسول الله في الدنيا ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ مشاهدة ومعاينة، نظير قوله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ إن أراد به المؤمن فهذا معناه.

وإن أراد به الكافر: فمعناه لتدخلن الجحيم[(٤)].

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ أي: كل ما تنعمتم به في الدنيا.

واللامات الثلاثة للقسم، والنونات للتأكيد، أقسم الله بها للمبالغة.

في الذي[(٥)] فقال علي رضي الله عنه: النعيم هو خبز الشعير، والماء القراح، وظل الشجر والنعلين.

---

(١) ديوان أبي تمام ص٣٧٤، الموازنة بين أبي تمام والبحتري ١/ ٣٦٥.

(٢) وعن الضحاك: الأولىٰ للكفار والثانية للمؤمنين (تفسير الطبري ٢٤/ ٥٨١).

(٣) في الأصل: فكبر، وهو تصحيف.

(٤) البسيط ٢٤/ ٢٨٢.

(٥) كذا في الأصل، وهذه الورقات بخط سيء، وهو تصحيف، ويظهر أن الصواب: «واختلفوا في النعيم الذي يسأل عنه».

وعن الضحاك: هو الماء البارد في الصيف، والماء الحار في الشتاء[١].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولأبويه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن سول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة ألهاكم لم يحاسبه الله بالنعم التي أنعم عليه في دار الدنيا وأُعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر الأقوال في النعيم في تفسير الطبري ٢٤/ ٥٨٢، الكشف والبيان ٣٠/ ٢٠٨، البسيط ٢٤/ ٢٨٦. ثم قال ابن جرير بعد روايته طرفا من أقوالهم: والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عم بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٢٠١، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٩.

سورة العصر

مكيَّة[١]، وهي ثلاث آيات[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾.

قال الكلبي: أقسم الله عز وجل بالدهر كله[٣].

وقيل: بصلاة العصر[٤]، ويُقال: بعمر محمد صلىٰ الله عليه وسلم[٥].

ومعناه: لعمري إن الإنسان لفي خسرٍ، أي: في غبنٍ يوم القيامة. وقيل: في عقوبة أو هلكة.

والإنسان: أراد به أبا لهب، وقيل: الوليد بن المغيرة[٦].

وقيل: جميع الناس، لأنه قال ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والجماعة [لا][٧] تُستثنىٰ من الواحد، والمعنىٰ: الكفار في خسارٍ وهلاكٍ إلا الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا صالحًا.

ويُقال: كيف استثنىٰ أهل الربح من الخسران، ولم يستثن أهل الخسران

---

(١) وهو قول الجمهور، الكشف والبيان ٣٠/ ٢٣٩، وقيل: مدنية (زاد المسير ٤/ ٤٨٧، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٧٨).

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٨٧.

(٣) الكشف والبيان ٣٠/ ٢٤١.

(٤) وهو قول مقاتل (الكشف والبيان ٣٠/ ٢٤١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٧٩.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٦١٥.

(٧) سقطت من الأصل، ولا بد منها كي يصح السياق والاستدلال.

من الربح؟

والجواب: أنَّ هذه الآية نزلت بقرب من مبعث رسول الله، والقوم إذ ذاك بأجمعهم كانوا ضلالاً كفارًا، والمؤمنون قليل، واستثناء القليل من الكثير المعروف.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾أي: تحاثوا متابعة الحق[١]، بعضهم بعضًا.

وقيل: الحق اسم من أسماء الله تعالىٰ وحده، يعني: تواصَوْا بإلزام طاعة الله ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ علىٰ المصائب وإقامة الطاعات.

وعن أبي[٢] عباس محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أبي الخلفاء رضي الله عنه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ أي غبن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أبا بكر الصديق ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عمر بن الخطاب ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ عثمان بن عفان ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ علي بن أبي طالب[٣].

وصف الله أبا بكر بالإيمان لأنه سابق في الإيمان، وخصَّ عمر بالعمل الصالح لأن التواصي بالحق والصبر يدخلان في العمل الصالح، وخصَّ عثمان بالتواصي بالحق لأن التواصي بالحق جزء من العمل الصالح، والتواصي بالصبر داخل في التواصي بالحق، وخصَّ عليًا بالصبر لأنَّ مجاهدة العدو واعتماد أمور الدين معه لا يحصل إلا بالصبر، فصح ترتيب فضل الصحابة في تفسيره علىٰ ما عليه الأُمة الهادية.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة والعصر ختم الله تعالىٰ أمره بالصبر، وكان من أصحاب اليمين يوم القيامة»[٤].

---

(١) في الأصل: عاثوا المتابعة الحق، وهو تصحيف بين.

(٢) في الأصل: ابن. وهو تصحيف.

(٣) الكشف والبيان ٣٠/ ٢٤٦.

(٤) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٢٣٩، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٠.

سورة الهمزة

مكيَّة(١)، وهي تسع آيات(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ الهمزة: الطعَّان الذي يهمز في الوجه، واللمزة: الذي يلمز من خلف، وهو المغتاب(٣).

وقيل: الهُمزة الذي يؤذي جليسه، واللمزة الذي يغتابه في غيبته.

نزلت في الوليد بن المغيرة قام رسول الله...(٤).

﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢﴾ الذي جعله عدة للنوائب يتكبر به.

وقُرئ: بالتخفيف(٥)، أيْ جمَّع مالاً وعددًا من قومه أنصارًا.

﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣﴾ خلصه من الموت ﴿كَلَّاۖ﴾ لا يخلده ولا يخلصه.

وكلاَّ: تنتظم معنيين، ردًا وقسمًا.

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٠/ ٢٤٩، زاد المسير ٤/ ٤٨٨.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٨٨.

(٣) الكشف والبيان ٣٠/ ٢٥١، البسيط ٢٤/ ٣٠٥، زاد المسير ٤/ ٤٨٨.

(٤) بيض لباقي القصة، وفي تفسير الكلبي (تنوير المقباس٥١٩): نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق ويقال في الوليد بن المغيرة المخزومىٰ وكان يغتاب النبىٰ صلىٰ الله عليه وسلم من خلفه ويطعن في وجهه.
وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان يغتاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم ويطعن في وجهه (تفسير أبي الليث ٣/ ٦١٦).

(٥) بالتشديد: جمَّع، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وروح، وقرأ الباقون بالتخفيف (النشر ٢/ ٤٠٣).

فإنْ كان ردًا ينظر إلىٰ مكانه، إن كان حسن الابتداء بما بعده وقف عليه، وابْتُدئ بما بعده، كقوله ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ۝٧٨ كَلَّآۚ﴾ لأنه حسن الابتداء بما بعده فيكون ردًا.

وإن كان قسمًا لا يوقف عليه، ولكن يوصل بما بعده كقوله: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ﴾.

وهاهنا يحتمل كِلا الوجهين القسم والرد.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾ أي: ليطرحن فيها، وهي دركة من النار تحطمه حطمًا.

وقرئ: لينبذان[1]، فمعناه هو وماله، كقوله ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ إلىٰ قوله ﴿فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ﴾.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥﴾ ثم بيَّن ما هي، قال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦﴾ المتسعرة علىٰ أهلها لا تخمد ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ أي: تبلغ إلىٰ الفؤاد ولا يحترق الفؤاد، لأن الفؤاد لو احترق يموت فيستريح، أخبر الله تعالىٰ أنه بحال قرب موته ولا يموت، لأنَّ الألم بلغ إلىٰ الفؤاد ولم يحرقه.

﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم﴾ يعني: النار عليهم ﴿مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨﴾ مُطبقة أبوابها حتىٰ لا يدخل عليهم روح ولا يخرج منها غم.

﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ ذكر الفراء في معانيه: العَمَد بالنصب، والعُمُد بالرفع[2]، كلاهما جمعان للعمود[3].

---

(١) نسبها الثعلبي للحسن (الكشف والبيان ٣٠/ ٢٥٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: عُمُد، وقرا الباقون كما أثبت (النشر ٢/ ٤٠٣).

(٣) في الأصل: للعموم، وهو تصحيف، وانظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩١.

قال الكلبي: الحطمة مُطبقة عليهم مشددة بعمد كعمد أهل الدنيا غير أنها من نار[١].

قال عبد الحميد الحاكمي -غُفر له ولوالديه-: بلغنا عن أُبي بن كعبٍ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الهمزة أُعطي من الأجر بعدد ما استُهزئ بمحمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم عشر حسنات»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) البسيط ٢٤/ ٣١٦.

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٢٥٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧١.

سورة الفيل

مكيَّة[١]، خمس آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عزَّ وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ قيل: كانت الحبشة اتخذوا بيتًا كهيئة الكعبة لتتخذه الناس مثابة مثل الكعبة، فلم يفعلوا ذلك، فغاضهم ذلك فقصدوا تخريب بيت الحرام.

وقيل: كانت جماعة من قريش سافروا في بلادهم، فنزلوا بجنب كنيسة النجاشي، يُقال له ما سر حسان[٣]، وأوقدوا نارًا لحاجتهم ثم ارتحلوا، وبقيت بقية النار فهبَّت به الريح، واضطرمت البيعة وهلك مال كثير، فاهتم به النجاشي، فقال له أبرهة بن الصباح -وقيل: أبرهة بن أشرم، أبو يكسوم الكندي-: لا تهتم أيها الملك فإنَّا نبني هذه الكنيسة من مالنا، ونقصد إلىٰ قريش نخرب الكعبة التي هي فخرهم ومعتزهم، فننسف بناءها، ونبيح دماءها، وننتهب أموالها، فَسُرَّ به النجاشي.

وكان ذلك قبل مولد رسول الله بثلاث وعشرين سنة.

فأتوا بقرب مكة فوقفت بهم دوابهم، لم تسر، فردوها من ورائهم فسارت، فنزلوا، واندعرت قريش وهربوا، ونشأت من شاطئ البحر طير لها خراطيم الطيور، وأكف الكلاب، وأنياب السباع، في منقارها الحصىٰ كأنه حصىٰ الخذف، ترميهم بها،

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٠/ ٢٦٥، زاد المسير ٤/ ٤٩٠.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٨٩.

(٣) في الأصل: ما بين حسان، مهملة، والتصحيح من تفسير مقاتل ٣/ ٣٢٠، فهو صاحب هذه الرواية.

فوقع كل حجر على رأس صاحبه فبلغ جوفه، فأهلكهم الله مع دوابهم، فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾[1].

وهذه الكلمة تذكير أعجوبة كانت وقد عرفوها، ثم غفلوا عنها، وفيه معنيان:

إظهار المنَّة من الله عز وجل بقهر من قصد الكعبة وأهلها.

والثاني: تنبيه أن الله تعالى لمَّا فعل ذلك لهتك حرمة بيته فلأن يفعل مثله بأهل هتك حرمة رسوله، لأن حرمة الرسول فوق حرمة البيت.

وسماهم أصحاب: لأنهم أرباب الفيل، تحملوا لتخريب بيت الله، فأهلك الله الفيل وأصحابها.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ أي: صنيعهم في خسران وبطلان، حتى بطل ما قدَّروه من عند أنفسهم وهو تخريب الكعبة.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ جماعات في تفرقة، واحدها: أَبُّول، مثل سنور وسنانير، وعجول وعجاجيل[2].

وقيل: هذا جمع لا واحد له مثل عباديد.

﴿تَرْمِيهِم﴾ من الهواء ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤﴾ قومِ لوط ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ كورق زرع بال قد جوَّفه دواب البقل.

وقيل: كتبْنٍ عفِن.

والمأكول الذي يُؤكَلُ جنسه، كما يقال: طعام مأكول ليس يراد به ما قد أكل[3].

---

(١) القصة مشهورة، وقد أطال فيها الطبري في تفسيره ٢٤/ ٦١٠، والثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٢٦٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٩٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٢، تفسير الطبري ٢٤/ ٦٠٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦٤.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولأبويه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الفيل عافاه الله أيام حياته من القذف والمسخ»[١].

❁ ❁ ❁

(١) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٢٦٥، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٢.

سورة الإيلاف

مكية(١)، أربع آيات(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ [إِيلَافِهِمْ]﴾.

قيل: هو لام تعليل لأنه موصوف بقصة أصحاب الفيل، معناه: إنما فعل ذلك بهم لإيلاف قريش حتىٰ ائتلفوا في مكانهم كما تألفوا ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾.

وقيل: لام تعجيب، اعجبوا من إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف آمنين من الأعداء بحرمة الكعبة؛ مع كفرهم برب الكعبة(٣).

وكانت قريش وأهل مكة يرتحلون اتجارا(٤) آمنين بين الأمصار، لا يُتعرض لهم ولا لمالهم، لا حيًا ولا ميتًا، وقيل: هذا رجل حرمي، فيترك آمنًا بحُرمة الكعبة.

وإنما منَّ الله عليهم بهلاك أصحاب الفيل لأنَّ قبل ذلك كانوا آمنين في كافة العرب، فلو تم لأصحاب الفيل مرادهم لاجترأ كل واحد علىٰ أنفسهم وأموالهم، فصاروا عُرضة للعادة [والأمر](٥)، فزادهم الله بهلاك أصحاب الفيل أمنًا علىٰ أمن.

---

(١) في قول الجمهور، الكشف والبيان ٣٠/ ٣٠٣، زاد المسير ٤/ ٤٩٣.

(٢) وخمس في المدنيين والمكي (البيان في عد آي القرآن ٢٩٠).

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٣، تفسير الطبري ٢٤/ ٦١٩، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦٥.

(٤) في الأصل: ارتحارا، وهو تصحيف.

(٥) في الأصل: ولاير، ولكن بدون نقط، ولعل الصواب ما أثبته.

﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ أي: كفاهم مؤنة الجوع، مع أنه لا زرع في أرضهم، تارة يحمل الطعام إليهم فيشترونه، وتارة يخرجون إلىٰ البلاد آمنين فيحملوه إلىٰ أهاليهم.

﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾ السبي والأسر وسائر الناس كلهم خائفون، كقوله ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾[1].

❁ ❁ ❁

(١) لم يذكر الحديث الموضوع في فضل سورة قريش، كعادته في سائر السور، فلا أدري أسقط علىٰ الناسخ، أم هكذا هو في الأصل، والحديث في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٣٠/ ٣٠٤.

سورة أرأيت

مكية عند مقاتل، ومدنية عن الكلبي، وعند غيرهما إلىٰ ﴿طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾، نزلت بمكة، والباقي بالمدينة[١]، وهي سبع آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ﴾ يا محمد هذا ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ أي: يجحد بالحساب والحشر والبعث، وألف «أرأيت» ألف تنبيه وتبيين، ومعناه التنفير، ومعناه: اعلم أنَّ الذي يدع اليتيم ولا يحض علىٰ طعام المسكين هو الذي يكذِّب بالدين، ويجحد بالبعث، يعني الوليد بن المغيرة.

وقيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي، أضاف الناس وسقاهم خمرًا، وعلىٰ بابه يتيم يسأله فدفعه حتىٰ طرحه في الطين، فذمَّه الله به[٣].

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ أي: يتركه جائعًا لا يطعمه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ أي: لا يُرغِّب أحدًا علىٰ إطعام مسكين ولا من به[٤].

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ غافلون تاركون حتىٰ ذهب وقتها[٥] من غير عذر.

---

(١) وهو قول الجمهور، تنوير المقباس ٥٢٠، تفسير مقاتل ٣/ ٥٢٧، الكشف والبيان ٣٠/ ٣٢٩، زاد المسير ٤/ ٤٩٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢١٠.

(٢) في الكوفي والبصري، وست في عد الباقين (البيان في عد آي القرآن ٢٩١).

(٣) وهو قول مقاتل (تفسير مقاتل ٣/ ٥٢٧) والكلبي (الكشف والبيان ٣٠/ ٣٣١).

(٤) كذا في الأصل، ولعلها: ولا من به حاجة، أو نحو ذلك، هذا إن لم تكن مصحفة.

(٥) في الأصل: وقته.

والسهو هاهنا عبارة عن إضاعة الوقت، والسهو بالقلب لا يقال بكلمة «عن» ولكن يقال بكلمة «في»[١].

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ الناس إذا صلوا ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ أي: زكاة أموالهم[٢].

والماعون في اللغة: كل ما يُنتفع به من أمتعة البيت، كالقدور والقصعة والفأس[٣].

وقالت عائشة: هي النار والماء والملح[٤].

ومن قال هي: الزكاة لذكرها[٥] مقرونة بالصلاة، والمقرون بالصلاة هي الزكاة، والله أعلم.

قال عبد الحميد: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة أرأيت غفر الله له [إن كان للزكاة مؤديا][٦]»[٧].

❁ ❁ ❁

---

(١) البسيط ٢٤/ ٣٥٨.

(٢) وهو قول جمهور السلف (تفسير الطبري ٢٤/ ٦٣٥).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦٨. وهو قول ابن عباس في الماعون (تفسير الطبري ٢٤/ ٦٣٨).

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٣٤٣ عن عائشة مرفوعا، بإسناد شديد الضعف.

(٥) في الأصل: يتذكرها مقرون.

(٦) أتممت الرواية من تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٣٠/ ٣٣٠، وفضائل القرآن للمستغفري (١٢٧٤)، وكان في الأصل قد تصحفن فكتب كلمات غير مقروؤة، صورتها: وكان له من الثواب لدعوة مودي.

(٧) حديث موضوع، وقد ذكرنا مصادره في التعليقة السابقة.

سورة الكوثر

مكية[١]، وهي ثلاث آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾ .. عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «الكوثر نهر أعطاني [الله في الجنة] [٣] علىٰ حافتيه قباب[٤] من در، تقرقر[٥] في حوضي، وحوضي ما بين الصنعاء والأردن»[٦].

وجاء في الخبر: «الكوثر هو الخير الكثير»[٧].

وقيل: أراد به القرآن لأنه خير كثير، وقيل: يعني به الأمة، وقيل: الشفاعة.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ②﴾ صلي صلاة العيد وانحر البدن بعده.

وقيل: صلي الصبح بجَمْعٍ وانحر بمنىٰ[٨].

وقيل: اقعد بين السجدتين حتىٰ يحاذي نحرك القبلة[٩].

---

(١) في قول الجمهور، الكشف والبيان ٣٠/ ٣٤٩، زاد المسير ٤/ ٤٩٧.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٩٢.

(٣) بيض في الأصل بمقدار كلمتين.

(٤) في الأصل: علىٰ ما فيه فباب، وهو تصحيف.

(٥) كذا في الأصل، والقرقرة المستوي الأملس، وهو وسط القاع (تهذيب اللغة ٨/ ٢٢٧).

(٦) لم أجده بهذا اللفظ، وقد روىٰ ابن جرير نحوه من عدة طرق، وهذا القول الأول في التفسير (تفسير الطبري ٢٤/ ٦٤٥، ٦٤٩).

(٧) وهو قول لابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما (تفسير الطبري ٢٤/ ٦٤٧).

(٨) وهو قول عكرمة وقتادة، تفسير الطبري ٢٤/ ٦٥٣.

(٩) حكاه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٩٦.

وقال الزجاج: صلي لله وانحر له، لأن الكفار يصلون ويذبحون للأصنام[1].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ عدوك هو المقطوع.

وكان العاص بن وائل يقول لرسول الله: أبتر، بعد موت ولده طاهر بن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[2]: إن عدوك هو المقطوع الذي لا يذكر إلا باللعن، وأما أنت فذكرك يطبع في الخطب والأذان.

قال عبد الحميد -غفر الله له-: بلغنا عن أُبي بن كعب أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالىٰ من أنهار الجنة وأُعْطِي من الأجر عشر حسنات»[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) لم أجده في معاني القرآن ٥/ ٣٦٩ ، وهو معنىٰ قول القرظي (تفسير الطبري٢٤/ ٦٥٥) واختاره ابن جرير.

(٢) الكشف والبيان ٣٠/ ٣٨٦.

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٣٥٠، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٥.

السورة التي يذكر فيها الكافرون

مكية[١]، ست آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾ قد قدمنا أن الكفار دعوا رسول الله إلىٰ عبادة آلهتهم حتىٰ يعبدوا رب السماوات والأرض، فنزلت السورة جوابًا لهم، وقد بيَّنا معنىٰ التكثير أيضًا، وهو علىٰ عادة العرب، يؤكدون الكلام بالتكثير، يقولون: ارم ارم، اضرب اضرب[٣].

وقيل: إن الأول علىٰ الوقت والثاني علىٰ المستأنف، معناه ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ②﴾ في الحال ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③﴾ في الحال ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④﴾ بعد اليوم ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ⑤﴾ في الحال ولا بعد اليوم، يعني «من» أعبد، وضع «ما» مكان من إدراجًا علىٰ نسق الكلام، لأنه جرىٰ بكلمة[٤].

والدليل علىٰ صحة ما ذكرنا إثبات التنوين في قوله «ولا أنا عابدٌ»، وإثبات النون في قوله «ولا أنتم عابدون» وهما يدلان علىٰ الاستقبال، كقوله: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ⑦①﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ③⓪﴾ ﴿وَٱللَّهُ مُتِمٌّ نُورِهِۦ﴾[٥] وهو كما[٦] وعد[٧].

---

(١) في قول الجمهور، الكشف والبيان ٣٠/ ٣٩١، زاد المسير ٤/ ٤٩٩.

(٢) بلا خلاف (البيان في عد آي القرآن ٢٩٣).

(٣) البسيط ٢٤/ ٣٩٤.

(٤) يعني ما، ونحوه في تفسير السمعاني ٦/ ٢٩٥.

(٥) علىٰ قراءة: متمٌّ، بتنوين الميم.

(٦) في الأصل: كلما، وهو تصحيف.

(٧) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٦١، معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٧١، البسيط ٢٤/ ٣٩٣.

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ أي: لكم[1] ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وعليكم جزاء دينكم الشرك ولي جزاء ديني الإسلام.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الكافرون أُعْطِي من الأجر [كأنما] قرأ ربع القرآن وتباعد منه الشيطان وبرئ من الشرك ويعافىٰ من فزع يوم القيامة»[2].

❁ ❁ ❁

قال الطبري: وإنما قيل ذلك كذلك، لأنَّ الخطاب من الله كان لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبدا، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه صلىٰ الله عليه وسلم أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه، وحدثوا به أنفسهم، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم، في وقت من الأوقات، وآيس نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم من الطمع في إيمانهم، ومن أن يفلحوا أبدا، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا، إلىٰ أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف، وهلك بعض قبل ذلك كافرًا.

(١) كذا في الأصل، والآية فيها معنىٰ التهديد، والمفسرون ينظرونها بقوله: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ [سورة الشورى:١٥] (الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢٩).

(٢) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٣٩٧، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٦.

سورة الفتح

مدنية[١]، وهي ثلاث آيات[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ لفظه ماض والمراد منه المستقبل.

قال مقاتل: نزلت السورة بعد فتح الطائف، والفتح فتح مكة.

وقال ابن عباس: نزلت بالمدينة.

وقال ابن عمر: نزلت بمنىٰ في حج الوداع في وسط أيام التشريق، وهي مدنية، لأنها نزلت بعد الهجرة.

والنصر: هو المعونة علىٰ العدو، والفتح هو الأمن من شر العدو، وأراد به فتح مكة وسائر البلدان[٣].

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢﴾ أي جماعة جماعة من غير عد.

وقال الحسن[٤]: لما فتح الله مكة علىٰ رسول الله قالت العرب: قد ظهر محمد علىٰ الحرم، وقد منع الله [أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين

---

(١) بالإجماع، الكشف والبيان ٣٠/ ٤٠٧، زاد المسير ٤/ ٥٠١، وهي آخر سورة نزلت.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٩٤.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٦٧، الكشف والبيان ٣٠/ ٤٠٩، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢٩.

(٤) في الأصل: الحسين، وهو تصحيف، وهذا قول الحسن البصري.

الله][(١)] وحدانًا وحدانًا ومثنىٰ ومثنىٰ وقبائل قبائل.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صلي بأمر ربك شكرا له علىٰ ما أعطاك من الفتح ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ للمستغفرين.

وفي آياته علامات نعي رسول الله لأنه أمره يختم عمره بالاستغفار[(٢)].

والتوَّاب: علىٰ الكثرة، أي: يقبل التوبة مرة بعد مرة، لأن من ارتكب معصية ثم تاب تُقْبَل توبته، ثم إن عصىٰ وتاب تُقْبَل ثانيًا، وثالثًا، وإن كثر.

قال عبد الحميد الحاكمي: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله يوم فتح مكة»[(٣)].

❁ ❁ ❁

---

(١) سقط هذا علىٰ المصنف، ولا بد منه لتصحيح السياق، والقول في الكشف ولابين ٣٠/ ٤٣٨، البسيط ٢٤/ ٤٠٠، معالم التنزيل ٨/ ٥٧٦.

(٢) روي ذلك عن ابن عباس وعائشة وغيرهم (تفسير الطبري ٢٤/ ٦٦٩).

(٣) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٣٢، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٦٣.

سورة تبت

مكية عن الكلبي، قال مقاتل: مدنية[١]، خمس آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أي: خسرت يداه وخابتا من كل خير، نسب الخسران إلىٰ يديه لأنَّ أكثر البياعات تجري علىٰ اليدين.

وفي الخبر: لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ نادىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «يا آل بني المطلب يا آل هاشم ويا آل عبد مناف، فاجتمعوا فقال: إني لا أملك لكم من الله نفعًا في الدنيا والآخرة، إلا أن تقولوا شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فقال له أبو لهب لعنه الله: تبًا لك يا محمد ألهذا دعوتنا، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ مجازاة له، فخابت يداه من أعمال الخير، ومات علىٰ الكفر[٣].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[٤] أي: خُسران وهلاك. وإنما ذكره بكنيته لأنَّ اسمه عبد العُزىٰ فلم يجوِّز أن ينسب عبوديته إلىٰ غيره[٥].

---

(١) وشذ من قال مدنية، فقد نقل الإجماع علىٰ مكيتها، الكشف والبيان ٣٠/ ٤٥٥، زاد المسير ٤/ ٥٠٢.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٩٥.

(٣) رواه البخاري ٤٩٧١، ومسلم ٢٠٨.

(٤) في الأصل: أخطأ في كتابة الآية.

(٥) البسيط ٢٤/ ٤٠٩.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ لا ينفعه ما جمع من ماله وما كسب من الأولاد في الدنيا، وهم عتبة وعتيبة وعتاب ومعيتب ومعتب[١]، سمىٰ أولاده كسبًا كما ذكر في الخبر المعروف: «ولد البعل من كسبه»[٢].

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣﴾ سيدخلها وهي ذات وقود، لا يسكن لهبها، ولا يهدأ غيظها تتلظىٰ علىٰ وجهه.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ أي: تصلىٰ النار، الحطب: يوقد به نار الإحراق، والنميمة يهيج بها نار الحقد والفتنة والعداوة[٣].

قال الشاعر:

إن بنى الأدرم حمالو الحطب   هم الوشاة في الرضىٰ وفي الغضب[٤]

﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾ أي سلسلة من مسد[٥]، والمسد الحديدة[٦] التي تدور عليها البكرة[٧].

وقيل: في عنقها حبل من مسد أي ذهب لأنها كانت تحتطب وتجمع الشوك فتلقيه علىٰ طريق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

---

(١) وهو قول عامة المفسرين (تفسير الطبري ٢٤/ ٦٧٧).

(٢) رواه أحمد في المسند ٢٤٠٣٢.

(٣) أي: أنها كانت تمشي بالنميمة، ولذا سميت حمالة الحطب، وقيل: إنها كانت تحمل الشوك فتلقيه علىٰ طريق النبي صلىٰ الله عليه وسلم (تفسير السمعاني ٦/ ٣٠٠).

(٤) البيت في الكشف والبيان ٣٠/ ٤٧٧، تفسير السمعاني ٦/ ٣٠٠، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٣٩.

(٥) في الأصل: جهد، وهو تصحيف.

(٦) في الأصل: الحديدة والحديدة. وهو تكرار.

(٧) وهو قول مجاهد (تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨١).

وذُكِرَ في بعض التفاسير أنها جاءت حاملة الحطب فوضعته على جدار لتستريح فأسرجت الحزمة من وراء ظهرها والحبل في عنقها فماتت، ولكن هذه القصة ربما لا تصح، لأنَّ الله تعالىٰ ذكر غنىٰ أبي لهب حيث قال: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ وامرأة الغني لا تحتاج إلىٰ هذا، وكانت امرأته أم جميلة أخت أبي سفيان بن حرب، وكانت متمولة ولها خدم وجواري[١].

فمعنىٰ الآية ما ذكرناه من قبل.

ويروىٰ أنه لما نزلت هذه الآية وسمعت بها رفعت حجرًا وقصدت رسول الله، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأبو بكر جالسين بفناء الكعبة، فقامت علىٰ رؤوسها فأعمىٰ الله عينها حتىٰ لم تر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وقالت لأبي بكر: هل رأيت[٢] ابن أبي كبشة، أما كفاه أن يهجوَ عمه حتىٰ هجاني رسول الله لو رأيته لفصصت[٣] فاه، ولم تر رسول الله، فراحت وهي تقول: محمد قلينا، ودينه أبينا، وأمره عصينا[٤].

وقيل: معنىٰ قوله ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾ أي سلسلة من نار.

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولأبويه-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع بينه وبين أبي لهب في دار واحدة»[٥].

---

(١) البسيط ٢٤/ ٤٢٠.

(٢) في الأصل مصحفة.

(٣) كذا في الأصل، ولعله: لقصعت، وفي تهذيب اللغة ١٢/ ٨٤: إذا أصاب الإنسان جرح فجعل يسيل دما، فص يفص، فصيصا.

(٤) تفسير السمعاني ٦/ ٣٠٢.

(٥) موضوع، رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣٠/ ٤٥٦، والمستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٨.

سورة الإخلاص

مكية[١]، وهي أربع آيات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ذكر أن أهل مكة سألوا رسول الله: يا محمد أنت تقول إن السماء من الدخان، والجن من مارج من نار، والملائكة من النور، ولنا آلهة من الذهب والفضة والرصاص، فمن أي شيء إلٰهك، ومن أي جوهر؟ فغضب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من سؤالهم وكاد أن يضطرب، فجاءه جبريل وأشار إليه: أن اسكن وقرأ عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[٣].

وهذا تعليم لجميع من يسأل عن الله عز وجل، إذ ليس من حق الائتمار بالأوامر إعادة لفظ الأمر بحرفه، فمن حق الأمر أن لا يذكر حرف «قل»، ولكن خطاب لكل من سأله عن الله تعالىٰ.

وكل ما في القرآن «قل» إمَّا إن تكون أجاب عن أمر سبق عنه السؤال، أو يعلمه الله في سابق علمه أنه يقع السؤال عن هذا الحكم، فأجابه قبل ورود السؤال تعليلاً[٤].

---

(١) علىٰ خلاف بينهم، انظر: الكشف والبيان ٣٠/ ٤٨٥، زاد المسير ٤/ ٥٠٥.

(٢) وخمس في المكي والشامي، البيان في عد آي القرآن ٢٩٦.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٥٣٥، الكشف والبيان ٣٠/ ٥٠٢.

وقيل: السائل اليهود، وقيل: السائل النصارىٰ (تفسير الطبري ٢٤/ ٤٨٧، الكشف والبيان ٣٠/ ٥٠٣).

(٤) صدر المصنف في تفسير هذه السورة عن كتاب تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي ١٠/ ٦٤٣.

وقوله «هو» قال بعضهم: هو اسم من أسماء الله تعالىٰ يقال في الدعاء: يا هو يا من لا هو إلا هو، وهذا صحيح لأنَّ الله تعالىٰ هو لذاته، وهوية كل مخلوق يحتمل التلاشي، فليس هو بذاته إلا الله تعالىٰ(١).

وقوله «الله» اسم للمعبود في لسان العرب علىٰ الوضع بدون الاشتقاق، فإنهم يسمون كلَّ ما عبدوه ومَن عبدوه إلـٰهًا.

وقيل: إنه مشتق يقال أَلِه الرجل إلىٰ آخر؛ إذا التجأ إليه واستجاره، وآلهه بمعنىٰ أجاره وأمَّنه، فسُميَ إلـٰهًا لما يلتجأ إليه، كما يسمىٰ إمامًا لمن يؤتم به، وفخِّمَ بإدخال الألف واللام تعظيمًا.

وسمي إلـٰهًا لتحير القلوب بالتفكر في عظمته، يقال: ألهني الشيء حتىٰ ألهت، منها مفازة ملهة، إذا كان يحار العقل عند(٢) النظر إلىٰ فضائه وعظمته.

قال الشاعر:

لاه ربى عن الخلائق طرًا خالق الخلق لا يُرىٰ ويرانا(٣)

وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ ولم يقل: واحد، لأنَّ الواحد يستعمل في نفي المثل في الإضافة، يقال: هو واحد الزمان وواحد الأقران.

ولأنَّ الواحد اسم للموجود من حيث العدد، لأن به بيت الحساب، ولا يبتدأ الحساب إلا من واحد، لأنه يقال واحد واثنان، ولا يقال أحد واثنان، فكان لأحدٍ من

---

(١) تأويلات أهل السنة ١٠/ ٤٦٦، و«هو» لم يثبت من أسماء الله تعالىٰ، ولم يقل به أحد من السلف، إنما هو ضمير منفصل (تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٨).

(٢) في الأصل: عن، والتصحيح من تأويلات أهل السنة ١٠/ ٦٤٦.

(٣) ذكره أبو منصور للاستدلال علىٰ اشتقاق أله من لهت إذا استترت (تأويلات أهل السنة ١٠/ ٦٤٦).

هذا الوجه أبلغ من اقتضاء التوحيد من واحد.

وإن كان الله تعالىٰ ثاني حرفين ذكر ووصف فلا يختلف المعنىٰ لأنه الواحد الذي يستحيل أن تكون وحدانيته من واحد يحتمل الثاني، أو من وجه بعد، بل هو الواحد ألا له الحق المتعال عن -يعني- الأعداد والأنداد.

وقد قال المحققون: الآحاد أربع:

واحد: هو كلٌ لا يحتمل التضعيف.

[وواحد هو الأقل وهو الذي لا يحتمل التضعيف](١) والنصيف بقليل، والأقل لا يكون له أقل.

وواحد هو الوسط، وهو الذي يحتمل التضعيف والتنصيف.

والقسم الرابع هو واحد قام به الآحاد، وهو صفة الرب عزت قدرته، هو ولا هو إلا هو أخفىٰ وأظهر من كل هو، هو الذي يخرس عنه اللسان، وليقطع قوته البيان، وحارت فيه الأفهام، وانحسرت عنه الأوهام، فذلك الله رب العالمين(٢).

والوجه المعقول فيه أنه لا سبيل إلىٰ العبارة عنه وعن صفاته إلا باللسان، ولا وجه للتقريب إلىٰ الأفهام باللسان إلا بما جرت به العادة، وظهرت به المعارف، وكلام الله تعالىٰ نزل للأفهام، ولا يتقرب إلىٰ الأفهام إلا بعبارة اللسان؛ المؤسس علىٰ الاعتياد، فأحديته تخالف أحدية غيره، لأن أحدية غيره من جهة القلة أو الكثرة غير أحدية الرب، تعالىٰ عما يصفه الملحدون.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ السيد الذي انتهىٰ سؤدده، وكمال سؤدده في الأفهام أن

---

(١) سقط علىٰ الناسخ من انتقال النظر، وتتمته من تفسير أبي منصور ١٠/ ٦٤٨. وهذا الواحد يحتمل التنصيف لا التضعيف.

(٢) تفسير أبي منصور الماتريدي ١٠/ ٦٤٨.

ترفع إليه الحوائج، وقيل: السيد الذي لا جوف له فيطعم أو ينام[١].

وقيل: الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيورثُ ملكه ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ فيرثُ ملكه من أحد.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ أي ليس له كفأٌ فيوازيه، ولا ضد فيعاديه.

وسميت هذه السورة سورة الإخلاص لأن من اعتقد ما فيها فقد أخلص لربوبية الله وأخلص نفسه من الكفر.

وإعرابه[٢]: «هو»: ابتداء، و«الله»: خبر، و«أحد»: خبر بعد خبر.

وقيل: «هو»: اسم مبهم مبتدأ به، و«الله»: بيان له، وتسمية أهل اللغة: عطف البيان، كقوله ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، و«أحد»: خبره، والله أعلم.

يقول عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولأبويه-: واستقصيت في بيان هذه السورة ما لم أستقص في سائر السور القصار، لأنَّ معرفتها ركن التوحيد، إذ في معرفة تفسيرها معرفة الصانع بصفاته الأزلية، كثير من الناس يتغافلون عن البحث والخوض في معاني هذه الكلمات، ويزعمون أنها مشهورة، لا حاجة إلىٰ إبرازها.

وكلا أن يظن به اللبيب إلىٰ ... ذلك، بل هو أحوج إلىٰ النعيم من كل آية أو كلمة ذكرت في بيان التوحيد في القرآن العظيم، ونسأل الله تعالىٰ أن يوفقنا [إلىٰ] ما لا نستغني عنه في شرائع ديننا.

وبلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات فكأنما قرأ الوحي كله، يغفر الله له ذنوب خمسين سنة»[٣].

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٩، الكشف والبيان ٣٠/ ٥١٠.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٩٤، الدر المصون ١١/ ١٤٩.

(٣) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢٧٩.

سورة الفلق

مدنية[١]، خمس آيات[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ إنما أمر الله تعالىٰ بالتعوذ تعليمًا لا لنازلة كانت به في ذلك الوقت، ولكن الله تعالىٰ علم بشرِّ هذه الأشياء في الغالب، كما أمر الله بالتعوذ من الشيطان لا لنازلة في تلك الساعة، ولكن لغلبة شره في أكثر الأوقات، لأنه يرىٰ الآدمي من حيث لا يراه الآدمي، وأمر بالتعوذ لتكونوا متيقظين.

وفي التفسير: أنَّ لبيد بن أعصم اليهودي سحر النبي صلىٰ الله عليه وسلم في إحدىٰ عشر عقدة، في بئر، وكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يستند إلىٰ تلك البئر، فلما استند إليها دبَّ فيه السحر، واشتد عليه ثلاث ليال، فنزل عليه جبريل بالمعوذتين، وأخبره بمكان السحر، فأرسل عليًا فأخرجه، فكلما قرأ آية انحل عقدة من السحر[٣].

---

(١) الكشف والبيان ٣٠/ ٥٢٣، زاد المسير ٤/ ٥٠٧.

(٢) بلا خلاف، البيان في عد آي القرآن ٢٩٧.

(٣) قصة سحر النبي صلىٰ الله عليه وسلم رواها البخاري ٥٧٦٥ ومسلم ٢١٨٩ من حديث عائشة، ولفظه: كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سحر، حتىٰ كان يرىٰ أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا، فقال: يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم - رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقا - قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاقة، قال: وأين؟ قال: في جف طلعة ذكر، تحت راعوفة في بئر ذروان، قالت: فأتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم البئر حتىٰ استخرجه، فقال: «هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء،

وقوله ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ معناه: امتنع واعتصم، واستعيذ برب الفلق.

قال ابن عباس: الفلق الخلق كلهم[(١)].

وقال الكلبي وقتادة: هو الصبح[(٢)].

وقال السدي: بئر في جهنم أو وادي[(٣)].

وروي عن كعب الأحبار: أنه دخل بعض كنائس الروم فقال: أحسن عمل وأضل قوم، قد رضيت لكم بالفلق، قيل له: وما الفلق؟ قال: بيت النار إذا فتح بابه صاح جميع أهل النار من شدة عذابه.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أي: من شر كل هي خلقة ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ يعني: الليل إذا دخل واشتد بظلمته.

والغسق: في اللغة هو البرد، فسُمي الليل غاسقًا لأنَّه أبرد من النهار، وقيل: سُمي غاسقًا لغسوق الشر فيه، والغسوق هو الخروج[(٤)].

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ أي: من شر السواحر اللاتي يعقدن عُقد السحر ثم ينفثن فيها، فالنفث: يكون النفخ[(٥)] من غير ريق والثفل الذي يخالطه ريق.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ فحمله حسده علىٰ إنزال مكروه بالمحسود.

وكأن نخلها رءوس الشياطين» قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا؟ - أي تنشرت - فقال: «أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير علىٰ أحد من الناس شرا.

(١) وعنه سجن في جهنم (تفسير الطبري ٢٤/ ٦٩٩).

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٠١.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٧٠٠، الكشف والبيان ٣٠/ ٥٣٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٧٩.

(٥) في الأصل: السفين.

وذكر في التفسير أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أُخِّذ عن عائشة فسحر فسقط علىٰ فراشه لا يعقل من شدة الألم، فعاده خازن سماء الدنيا -واسم السماء: الرقيع، واسم الخازن: إسماعيل- وكان معه مَلك آخر، فقعد إسماعيل عند رأس رسول الله والمَلَك الآخر عند رجليه، فقال المَلَك لإسماعيل: ما أصاب رسول الله؟ فقال إسماعيل: إنه طبَّ، أي سُحِرَ، فقال: فمن طبه؟ [قال:] لبيد بن أعصم اليهودي، فقال: فأين دفن سحره؟ فقال: تحت راعوفة بئر أروان، ثم رجعا، وأفاق النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقد فهم كلامهما، فبعث عليًّا والزبير فأخرجا الدفن فإذا وتر عليه إحدىٰ عشرة عُقدة، فنزل جبريل بالسورتين، فكان ينحل بكل آية منها عقدة، حتىٰ قام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كأنه نشط من عقال، والله أعلم بما كان، وما لم يكن(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) متفق عليه، وقد ذكرنا لفظ الصحيح آنفا.

سورة الناس

مدنية[١]، وهي ست آيات[٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ظاهره ظاهر أمر مشار إليه، وحق الإجابة فيه وفي مثله أن يقول: أعوذ برب الناس، لا أن تقول: قل أعوذ، لكنه -والله أعلم أراد- أن يكون ذلك أمرًا لكل من بلغه، وتعليمًا بالذي هو عليه من الاعتصام بالله، والالتجاء إليه من شر ما ذكر، والمعنىٰ: اعتصم وأمتنع.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ استعيذ برب الناس، بمعنىٰ مربيهم وخالقهم ومحولهم من حال إلىٰ حال، الذي يملك نفعهم وضرهم، وأنفسهم وأمورهم وأحوالهم.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ معبودهم وملجأهم ومفزعهم يألهون إليه في النوازل والنوائب.

﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ أراد به الوسوسة، والوسواس والوسوسة مصدران، وأصله وسَّس فاجتمعت ثلاث سينات وواو واحدة، فحولت إحدىٰ السينات واوًا، فقيل وسوس، كما يقال: لجلج وأصله لجج، وهبهب وأصله هبب، وكبكب وأصله كبب، قال الله تعالىٰ: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا﴾.

وقيل: الوسواس الشيطان نفسه[٣].

---

(١) الكشف والبيان ٣٠/ ٥٤٥، زاد المسير ٤/ ٥١٠.

(٢) وسبع في المكي والشامي، البيان في عد آي القرآن ٢٩٨.

(٣) الكشف والبيان ٣٠/ ٥٤٥..

وفي الخبر: «أن الوسواس شيطان علىٰ صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل، إذا غفل العبد يدخل خرطومه إلىٰ قرب، وإذا ذكر الله خُبِسَ أي رجع واختفىٰ»[(١)]، فذلك قوله: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ وهو الذي إذا ذكر العبد ربه خنس برأسه كالقنفذ والسلحفاة[(٢)].

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

قال: وسواس لا يعدو عن الصدور، ومارد الصدر ليس بمحل الوسواس، وهذه الآية مشكلة أحد الآية[(٣)] قال: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

فقال بعضهم: اسم الناس ينطلق علىٰ الجن والإنس، لأنه اسم الجنس، كأنه قال: الشيطان يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الإنس[(٤)].

وقيل: الوسواس من جنسين آدمي وجني، كما قال الله تعالىٰ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾، أخبر أن من الإنس شيطان كما من الجن شيطان، والشيطان: اسم لكل متمرد خرج عن طاعة ربه، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ وأولياء الشيطان كل من يفعل فعلهم من إلقاء الكلمات التي تستغل القلب ويتحير من يُلقىٰ إليه ذلك، ولا يعرف المخرج منها.

وأما شياطين الجن: معروف عند أهل الأديان من آمن بالرسل، إلا الدهرية ومنكرو الرسالة، يقولون: ليس من الجن شيطان، وإنما الشيطان اسم اخترعته مدَّعوا

---

(١) روي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم، كما في تفسير الطبري ٢٤/ ٧١٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٨١، وتفسي أبي الليث ٣/ ٦٣٨، والكشف والبيان ٣٠/ ٥٤٦.

(٢) الكشف والبيان ٣٠/ ٥٢٣، زاد المسير ٤/ ٥٠٧.

(٣)هكذا في الأصل، كلام مصحف.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٠٢.

النبوَّة والرسالة لِيُلْزِمُوا الخلق الاستماع إلىٰ كلامهم، حيلٌ في إظهار ما عندهم، ولعنهم الله لعنًا دائمًا[١].

وقال بعض أهل المعاني: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ هذه كلها صفة الوسواس، والوسواس من الجنة، كقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ ثم قال: من الجنة والناس معطوف علىٰ أول الكلام معنىٰ، يعني من شر هؤلاء ومن شر الناس المضل من بني آدم، والعلم كله عند الله، ولا يعلم الغيب إلا الله[٢].

قال عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين-: بلغنا عن أُبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة قل أهو برب الفلق وقل أعوذ برب الناس أعطاه الله تعالىٰ من الأجر كأنما قرأ جميع الكتب التي أُنْزِلَ علىٰ الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»[٣].

والحمد لله علىٰ ما أنعم علينا في مفتتح الكتاب ومختتمه.

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير أبي منصور الماتريدي تأويلات أهل السنة ١٠/ ٦٦٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٨١، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٠.

(٣) موضوع، رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٢٨٠.

[الخاتمة]

يقول عبد الحميد الحاكمي -غفر الله له ذنوبه وذنوب أبويه-: قد أنهيت كتابي إلىٰ أقصىٰ ما تمنيت من شرح متضمن للإيجاز، وحذف معرب عن التطويل والإبراز، ولله الحمد والمنّة علىٰ ما وفقني علىٰ إيراد ما لا بدَّ مِن ذكره من لطائف القصص، علىٰ أوجز العبارة، وبدائع الإعراب علىٰ التلويح والإشارة، وحل المشكلات علىٰ أوضح التبيان، وإظهار المضمرات بالحُجج والبرهان، وأسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه، ولا يخذلنا بحرمان من ثوابه وأجره، إنه عطوف رؤوف علىٰ عباده.

وهذا بيان الإسناد للكتب التي التقطتُ منه الجواهر، وضمنتها في كتابي المسمىٰ بـ«تخليص الدرر»:

فأوله: وهو الركن الوثيق، والمعتمد عليه من كل وجه وطريق: «تهذيب جامع العلوم».

أخبرني به الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، ناصح الدين، أبو طاهر منبه بن محمد بن أحمد المخلصي الفرواني، عن الشيخ الإمام الزاهد محمد بن عمر البروقاني، عن مصنف التهذيب.

وأيضًا أخبرني القاضي الإمام الزاهد سعد بن عمر بن أبي سهل الخالدي، عن الشيخ الإمام الزاهد أبي القاسم بن منصور بن محمد التميمي البلخي.

[عن] مصنف التهذيب: الشيخ الإمام المفسر الكبير أبي بكر محمد بن الفضل الرواس البلخي رحمة الله عليه.

والأصل الثاني: هو «الموضح في التفسير».

أخبرني به الشيخ الإمام شيخ الإسلام ناصح الدين منبه بن محمد المخلصي،

عن الشيخ الإمام الزاهد محمد بن أحمد الحدادي، عن والده مصنف الكتاب: الشيخ الإمام الزاهد أبي نصر أحمد بن محمد الحدادي الفريوبي غفر الله لهم جميعًا.

والأصل الثالث: «كتاب التنزيل».

من تأليف الشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن سحمة الهروي.

أخبرني به الشيخ الإمام علي بن عبد الرحمن الواعظ الزورني، عن الشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل الزورني، عن أبيه، عن جده الشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن سحمه الهروي، وهو مصنف الكتاب.

الأصل الرابع: «معاني الفراء».

أخبرني به القاضي الإمام الأجل، شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي، عن والده الشيخ الإمام أحمد بن الحسين، قال: أخبرني أبو سعيد بن أبي عمر، قال: حدثنا أبو العباس الأصم، قال: حدثنا محمد بن الجهم، قال: حدثنا أبو زكريا يحيىٰ بن زياد الفراء، وهو مصنف الكتاب.

وبعضها من أصل تفسير الكلبي:

والأقاويل التي ذكرتها من سائر الأصول عن الكلبي، فهو مما أخبرني القاضي الإمام الأجل شيخ القضاة أبو علي هذا، عن أبيه، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن [بن] محبور الدهان، قال: حدثنا الحسين [بن] محمد بن هارون، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن نصر، قال: حدثنا يوسف بن بلال، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

وما ذكرنا فيه قول أبي سهل محمد بن علي الأنماري:

بإسناد ذكرناه عن المفسر الكبير قال: أخبرني عنه رجب بن أحيد الفرغاني.

وما ذكرنا قول الزجاج:

عن المفسر الكبير قال: أخبرنا به أبو سعيد البستي، عمَّن روىٰ عن الزجاج.

وما ذكرنا فيه قول مقاتل بن سليمان أو مقاتل بن حيان وقول الضحاك وسعيد بن جبير فهو مسموع مسند إلىٰ المفسر الكبير، وهو من أسانيد شيخ القضاة بأسانيد صحيحة إلىٰ المؤلف، وأجاز لنا روايتها عنه، احترزنا عن بيان الإسناد لكل واحد من الأصول.

وذكرنا بعض الطرف والإشارات من «إشارات» أبي عبيد الطوسي، وإن لم يكن سماع ذلك مُسندًا لنا، ولكني رأيت عن المفسر الكبير أنَّ العلماء يختارون ذلك إذا كانت الأصول والنُسخ المعتمدة عليها، فأوردت شمة منها ومن غير ذلك، وإن لم يحضرني إسنادها، اقتداء بالسلف الصالح، وأرجو أن الله يتجاوز عنّا ببركتهم، ولا يؤاخذنا بزلة لم نقصد به فساد أنفسنا، ولا فساد خلقه.

وما ذكرنا في آخر السور من الأحاديث في فضل كل سورة:

فهو مما ذكرنا إسناده بطريقين إلىٰ المفسر الكبير: الشيخ الإمام الأجل أبي بكر محمد بن الفضل الرواس، قال: حدثنا الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حامد بن متوية الشنابادي، والشيخ أبو الحسن أحمد بن حمدان بن يوسف السحابي، قالا: حدثنا أبو شهاب المعمر بن محمد بن المعمر العوفي، قال: حدثنا أبو عصمة عصام بن يوسف الزاهد البلخي، عن سلام بن سليم، عن محمد بن عبد الواحد، عن علي بن زيد، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن زر بن حبيش، قال: قال أُبي بن كعب، حين قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «يا أُبي إن جبريل أمرني أن أقرأ عليك وهو يقرئك السلام» قال: قلت: يا رسول الله، كما كانت لي منك خاصية تقرأ القرآن، فخصَّني بفضائل قراءة القرآن، مما علَّمك الله وأطلعك عليه، قال: «نعم، يا أُبي ما من عبد قرأ فاتحة الكتاب» ثم ذكر فضائل السور إلىٰ آخر القرآن.

والحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

وله المنُّ والفضل والطَّول علىٰ ما أنعم علىٰ عباده، وزادنا فضلاً، وكرامة بمنِّه وجوده.

قال مؤلفه رحمه الله: وفرغت من كتابة هذا الأصل المتضمن لما شرحته في الرابع عشر، من ذي الحجة، سنة أربعة عشر وخمسمائة، حامدًا لله تعالىٰ، مصليًّا علىٰ رسوله، مثنيًا علىٰ الصلحاء من عباده، راجيًا شفاعتهم يوم الدين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب بحمد الله وعونه علىٰ يد أقل عبيده وأحوجهم إلىٰ مغفرته: محمد بن الفقير إلىٰ كرم الله تعالىٰ الشيخ رمضان السعودي الشافعي غفر الله لهما.

بتاريخ ثامن عشر شهر ربيع الثاني سنة ٩٤٣هـ.

وكتب ذلك من خط مؤلفه رحمه الله، لجميع التفسير المذكور وفي آخره من كتابه هذا(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) وفرغت من مقابلته رابع عشر ذي الحجة عام ١٤٤٢، أي بعد ٩٢٨ سنة من فراغ مؤلفه من تأليفه، أسأل الله القبول لي وله ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وذلك في مدينة حفر الباطن، صانها الله من الحدثان، ثم أعدت فيه النظر وانتهيت من خدمته في الحادي عشر من شهر صفر الخير من عام ١٤٤٣ في الأحساء العامرة، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

سورة عسق ٥
سورة الزخرف ٢٣
سورة الدخان ٤٥
سورة الجاثية ٥٥
سورة الأحقاف ٦٥
سورة محمد عليه السلام ٧٩
سورة الفتح ٩١
سورة الحجرات ١٠٧
سورة ق ١١٧
سورة الذاريات ١٢٩
سورة الطور ١٤١
سورة النجم ١٤٩
سورة القمر ١٦٥
سورة الرحمن ١٧٥
سورة الواقعة ١٩١
سورة الحديد ٢٠٥
سورة المجادلة ٢١٧
سورة الحشر ٢٢٥
سورة الممتحنة ٢٣٧
سورة الصف ٢٤٥
سورة الجمعة ٢٤٩
سورة يُذكر فيها المنافقون ٢٥٣
سورة التغابن ٢٥٧
سورة الطلاق ٢٦١
سورة التحريم ٢٦٧
سورة الملك ٢٧٥

سورة ن ٢٨٣
سورة الحاقة ٢٩٣
سورة سأل سائلٌ ٣٠١
سورة نوح ٣٠٧
سورة الجن ٣١١
سورة المزمل ٣٢١
سورة المدثر ٣٢٧
سورة القيامة ٣٣٥
سورة الدَّهر ٣٤٣
سورة المرسلات ٣٥٣
سورة عمَّ يتساءلون ٣٥٩
سورة النازعات ٣٦٥
سورة عبس ٣٧١
سورة كُوِّرت ٣٧٧
سورة انفطرت ٣٨٥
سورة المطففين ٣٨٩
سورة إذا السماء انشقت ٣٩٥
سورة البروج ٣٩٩
سورة الطارق ٤٠٣
سورة سبح ٤٠٥
سورة الغاشية ٤٠٩
سورة الفجر ٤١٣
سورة البلد ٤١٩
سورة الشمس ٤٢٣
سورة الليل ٤٢٧
سورة والضحى ٤٣١
سورة ألم نشرح ٤٣٧
سورة التين ٤٤١
سورة اقرأ ٤٤٣
سورة القدر ٤٤٧
سورة لم يكن ٤٥١